PT. 180 - 10% Khanji 12/2/45
bound in 3 vols.
Binding 60
(C)
39
9 m 3

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الاول

فى الشعراء الجاهليين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

مطبعة مصر - شركة مساهمة مصرية

RIMU.100
YTIDNIMU
VIKIPEDIA

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
١	خطبة الكتاب
ه	ترجمة مؤلف الأغانى
١	شعراء جديس
١	عفيرة بنت عفان
٤	شعراء قحطان
٤	شعراء جرهم
٤	مضاض بن عمرو
٨	شعراء حمير
٨	علس ذو جدن
٩	حسان بن تبع
١١	خزيمة بن نهد القضاعى
١٣	عبدالله بن العجلان النهدى
١٦	زهير بن جناب الكلبى
١٦	غزوة زهير لغطفان
١٨	امرة زهير على بكر وتغلب
٢٠	زهير والجلاح بن عوف
٢٢	زهير من المعمرين
٢٤	الحرث بن وعلة الجرمى
٢٦	أبو الطمحان القينى
٢٨	شعراء كهلان ـ شعراء كندة
٢٨	حجر بن عمرو
٣٠	عمرو بن حجر
٣١	يوم الكلاب الاول
٣٣	حديث حجر وبنى أسد
٣٦	روح الانتقام
٤١	امرؤ القيس وعلقمة
٤٧	شعراء مذحج
٤٨	الأفوه الأودى
٤٩	عبد يغوث بن صلاءة
٤٩	يوم الكلاب الثانى
٥٥	يزيد بن عبد المدان
٦٢	شعراء زبيد
٦٢	عمرو بن معد يكرب
٦٦	شعراء طيء
٦٦	حاتم
٧٤	قيس بن جروة
٧٤	يوم أوارة
٧٨	زيد الخيل
٨٥	أبو زبيد
٩٠	وصف الأسد
٩٢	شعراء همدان
٩٢	عمرو بن براقة
٩٣	شعراء الازد

45 3911 Beirut 16.1.96 MLF

تابع الفهرست

ص	الموضوع
٩٣	حاجز بن عوف
٩٥	الشنفرى
٩٩	قيس بن منقذ
١٠٥	الحرث بن الطفيل
١٠٧	شعراء الأوس والخزرج
١٠٧	نزول اليهود المدينة
١٠٩	أوس بن دنى
١٠٩	السموءل
١١١	أبو الزناد
١١٢	كعب بن الأشرف
١١٢	الربيع بن أبى الحقيق
١١٢	أحيحة بن الجلاح
١١٥	أبو قيس بن الاسلت
١١٦	يوم بعاث
١٢٠	قيس بن الخطيم
١٢٩	عمرو بن الاطنابة
١٣١	مالك بن أبى كعب
١٣٣	كعب بن مالك
١٣٦	حسان بن ثابت
١٤٧	شعراء عدنان
١٤٧	شعراء أياد
١٤٧	أبو دواد
١٤٩	قس بن ساعدة
١٥٠	لقيط بن يعمر
١٥١	شعراء ربيعة
١٥٢	شعراء بكر
١٥٢	المرقش الاكبر
١٥٥	المرقش الاصغر
١٥٧	عمرو بن قميئة
١٥٨	الأعشى
١٦٤	القند الزمانى
١٦٥	الحرث بن حلزة
١٦٨	المنخل اليشكرى
١٧١	سويد بن أبى كاهل
١٧٧	قيس بن مسعود
١٨٢	الأغلب العجلى
١٨٣	شعراء تغلب
١٨٣	المهلهل
١٨٤	مقتل كليب
١٩٢	عمرو بن كلثوم
١٩٦	شعراء ضبيعة
١٩٦	المتلمس
٢٠٤	شعراء مضر
٢٠٤	شعراء قيس

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٠٤	ذو الاصبع العدوانى	٢٢٧	الحادرة الثعلبى
٢١٥	تأبط شرا	٢٣٠	النابغة الذبيانى
٢٢٥	الطفيل الغنوى	٢٤٦	منظور بن زبان

(خطأ وصواب)

اقرأ فى السطر الخامس عشر من الصفحة الرابعة والثمانين بدل كلمة (والعمائم) لا وعائم وهو اسم صنم لهم يقسم به

واقرأ فى السطر التاسع عشر من الصفحة الثامنة والتسعين بدل كلمة (تعنف) يعنف والضمير يعود على امرأ والأقيصر صنم لهم يحلف باثوابه

واقرأ فى السطر السابع من ص ١١٠ بدل « اغوَى وتغوَى » (أغوِى وتغوِى)

واقرأ فى السطر السابع من ص ١٢١ بدل (تُرَد) تَرُد

واقرأ فى السطر الأول من ص ١٥٤ بدل كلمة (او أنسُ) أوانس

الى أمير الشعراء وشيخ المتأدبين أحمد شوقى بك

هذا كتاب الأغاني قد تأنقت في تصفيته وتهذيبه، ولما كنت المهذب المصفى فى أدبك وشعرك كنت أحق الناس أن يقدم اليك وأن يخرج للناس محلى باسمك ؟

محمد الخضرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبعد فان كتاب الأغانى الذى جمعه الكاتب أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى يعد بحق من أمهات كتب الأدب العربى ، فقد ترجم صاحبه لأكثر شعراء العرب من جاهليين واسلاميين ومحدثين كما ترجم لكل من عرف اسمه من المغنين في الدولتين الأموية والعباسية «وأتى فى كل فصل من ذلك بنُتف تشاكله ولُمَع تليق به وفقر اذا تأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة الي مثلها ومتصرفا بها بين جد وهزل وآثار وأخبار وسير واشعار متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء فى الاسلام تجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الأحداث الي دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها اذ كانت منتحلة من غُرَر الأخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة بها »

بيد أن هذا الشهاد كثرت حوله الابر حتى حالت بين الجمهور والانتفاع به وقللت من مقدار نفعه المتأدبين وذلك من أمور

« الأول » ان المؤلف لم يرتب شعراءه ولا مغنيه على أي ترتيب يفيد ، والذى صرفه عن ذلك انه ابتدأ الكتاب بذكر الأصوات الثلاثة المختارة للرشيد فترجم لشعرائها الثلاثة وهم أبو قطيفة وعمر بن أبى ربيعة ونُصَيب ، ولما جرى أول الكتاب هذا المجرى ولم يمكن ترتيب الشعراء فيه ألحق آخره بأوله فكلما ذكر صوتا من الأصوات ترجم لشاعره ، ولم ير أن يرتب تلك الأصوات باعتبار المغنين ولا باعتبار الشعراء لانه لو رتبه باعتبار المغنين لم يَخْلُ فيها اذ أتى بغناء رجل وأخباره وماصنف فيه اسحق وغيره من أن يأتى بكل ما أتى به المصنفون والرواة

منها على كثرة حشوه وقلة فائدته وفى هذا نقص ما شرطه من الغناء الحشوء أو أنه يأتى ببعض فينسب الكتاب الى القصور عن مدى غيره ، ولو رتبه على الشعراء لجرى هذا المجرى وكانت للنفس عنه نَبْوة وللقلب منه مَلَّة ، وفي طباع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء والاستراحة من معهد الى مستجد ، وكل منتقل اشهى الى النفس من المنتقل عنه والمنتظر أغلب على القلب من الموجود ، واذا كان هذا هكذا فما رتبه «زعم» أحلى وأحسن ليكون القارئ بانتقاله من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن أخبار قديمة الي محدثة ومليك الي سوقة وجد الي هزل أنشط لقراءته واشهى لتصفح فنونه ، تلك الأعذار التى ذكرها أبو الفرج رحمه الله جعلته ينثر تلك الأخبار نثرا على غير نظام فلم يعد يمكن قارئه أن يرى صورة الأدب منتظمة لعصر من العصور ، وتلك ضالة المتأدبين ينشدونها حتى يفيدوا حكماً صادقا على ما لكل عصر من أسلوب وتفكير ، أما خلط الصور بعضها ببعض فانه لايزيد على أن يقدم للقارئ صورة مشوشة للأدب العربى يحتاج معها الى عناء كبير فى ضم الشبيه الى شبيهه والأليف الى أليفه ، لذلك رأيت أن أرتب الكتاب ترتيبا يفيد العلم ولا ينقص من التسلية ، وذلك بأن أجعله على قسمين الأول فيه أخبار الشعراء وما قرضوا من الشعر ، والثانى فيه أخبار المغنين وما صنعوا من أصوات ، وأرتب الشعراء ثلاث طبقات ، الأولى طبقة الشعراء الجاهليين ، والثانية طبقة الشعراء الاسلاميين ، والثالثة طبقة الشعراء المحدثين وجعلت المخضرمين بين كل طبقتين مع الاولى منهما ، وأنظم فى سلك شعراء كل قبيله من كل طبقة ، فابدأ بشعراء قحطان ثم أثني بشعراء عدنان ، وأبدأ الاولين بشعراء حِمْيَر وأثني بشعراء كَهلان ، وأبدأ من الآخرين بشعراء ربيعة وأثني بشعراء مُضَر ، وبذلك يمكن المتأدب أن يستعرض أمام نظره شعر كل عصر على حدته وكل قبيلة على حدتها فيمكنه الحكم على المؤثرات التى أثرت

فى أساليبها وفى طرق تفكيرها ولا تضيع مزايا الانتقال الذى تأثر به ابو الفرج رحمه الله، وكذلك فعلت بالمغنين فرتبتهم حسب ازمانهم بعد مقدمة قدمتها فى الغناء العربى

« الثانى » نقص فى رواية الشعر من وجهين « الأول » أنه كثيراً ما يتحدث عن قصائد يصفها بأنها من صدور الشعر وفاخره ثم يقتصر على رواية بعض أبيات منها ويترك سائرها وربما لم يذكر الا البيت أو البيتين « الثانى » أنه كثيراً ما يروى الشعر على ما تغنى به المغنون لا على ماقال الشعراء ، والمغنون قد يحتاجون الى شىء من اخلال الترتيب لتقويم أصواتهم ، فرأيت أن أتم تلك القصائد المنقوصة وأرتب تلك القطع المشوشة بعد الرجوع الى الأصول من دواوين الشعراء والمجاميع التى عنيت برواية الشعر كالأصمعيات والمفضليات وأمالى أبى على القالى وخزانة الأدب للبغدادى وغيرها من الكتب التى سأنص عليها في الجزء الذي جعلته للملحوظات وهو آخر الأجزاء

« الثالث » نقص فى الأداء من ثلاثة أوجه « الأول » عدم الضبط لغريبه « الثانى » عدم تفسيره « الثالث » تحريف في مرويه فقد مُنِى هذا الكتاب على جلالة قدره بتحريف كثير حتى لا تكاد صفحة من صفحاته تخلو منه وأكثر ما يكون ذلك فى شعر الطبقة الاولى من عرب الجاهلية ، فأزلت هذا النقص بضبط الغريب وتفسير ما رأيته في حاجة الى التفسير وتصحيح المحرف بعد الرجوع الى الأصول ، وقد كان هذا أشق عمل عرض لي فى تهذيب الأغانى ، واكبر دعامة اعتمدت عليها بعد تلك الأصول وشروحها كتاب لسان العرب وأساس البلاغة، وليعلم انى لم أصلح الا ما هو خطأ، أما عند اختلاف الروايات فانى أبقيت رواية أبى الفرج رحمه الله ، وسأذكر فى جزء الملحوظات كل اصلاح أصلحته ومن أى كتاب أخذته

« الرابع » ان أبا الفرج رحمه الله كان في بيئة سمحت له أن يضمن كتابه كثيراً من فاحش الحكايات التى تنفيها بيئتنا ولا تسمح بذكرها فضلا عن أن تسطر فى كتاب فرأيت ان أحذف ما كان من هذا الطراز

« الخامس » ان المصنف سار على طريقة رواة الأخبار من المتقدمين فيبتدئ ما يحكى بسنده ، وهذه الأسانيد على طولها قليلة الجدوى وانما يلجأ اليها المحدثون ليطمئنوا الى صحة الأحاديث التى هى أساس استنباطهم وقد اشتغل فريق منهم بتعديل الرواة وتجريحهم فعرفت قيمة كل راو وأمكن الحكم على ما يروى من صحة وضعف ، أما الحكايات الأدبية فليست فى حاجة الى ذلك كله على أنه متى عرف ان ما فى كتابنا هذا ينتهى الى كتاب الأغانى فان أسانيده تسد الحاجة ان كانت ، لذلك رأيت أن أحذف هذه الأسانيد جملة وانما اصرح أحياناً بذكر من ينتهى اليه السند ان كان المروى مسألة علمية يجب ذكر صاحبها

« السادس » اشتمال الكتاب فى بعض الأحيان على أشعار أو حكايات لا تفيد علماً ولا ترقى أدباً ، فرأيت أن أحذف ما كانت تلك صفته

وقد خرج الكتاب فى ثمانية أجزاء الأول والثانى فى الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، والثالث والرابع فى الطبقة الثانية من الشعراء الاسلاميين ومخضرمى الدولتين ، الخامس والسادس فى الطبقة الثالثة من الشعراء المحدثين ، السابع فى المغنين وفيه مقدمة فى الغناء العربى ، الثامن فيه الفهارس والملحوظات

وقد شرعت فى تهذيب هذا الكتاب منذ سنة ١٩٠٩ ولا يستطيل القارئ هذه المدة بين البدء والختام فقد اعترضتنى عقبات شاقة لم يذللها الا طول الصبر والأناة

وانى أحمد الله على ما من به من التوفيق الى اتمام هذا العمل الذى له الفخار بظهوره فى عهد نصير الأدب وأخى نصيره وابن نصيره حضرة صاحب الجلالة الملك أحمد فؤاد الأول أخى الحسين وابن اسمعيل أسكنهما الله فسيح جنته وأفاض عليهما صيب رحمته ووفق وارث عرشهما وحائز مجدهما الى ما يرضيه من خير واسعاد ؟

ترجمة مؤلف الأغانى

هو أبو الفرج على بن الحسين بن محمد ، ينتهى نسبه الى مَرْوان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية

وُلد سنة ٢٨٤ ونشأ ببغداد وروى عن أئمتها أبي بكر بن دُرَيد وأبي بكر ابن الأَنْبارى والفضل بن الحُباب الجُمَحى وعلى بن سليمان الأَخفش وابراهيم نفطويه ومحمد بن جرير الطبرى واحمد بن عبد العزيز الجوهرى وغيرهم

حلاه ياقوت فى معجم الأدباء بقوله «العلامة النساب الأخبارى الحُفظة الجامع بين سَعة الرواية والحذق فى الدراية لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه فى فنها وحسن استيعاب مايتصدى لجمعه وكان مع ذلك شاعراً » وقال فيه صاحب اليتيمة « وكان من أعيان أدبائها — بغداد — وأفراد مصنفيها وله شعر يجمع اتقان العلماء واحسان ظرفاء الشعراء » ونقل ابن خلكان عن التنوخى أنه قال « ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهانى كان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب مالم أر قط من يحفظ مثله ويحفظ دون ذلك من علوم أُخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازى ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك »

مؤلفاته ، ذكر منها ياقوت : الأغانى الكبير ، مجرد الأغانى ، التعديل والانتصاف فى أخبار القبائل وأنسابها ، مقاتل الطالبيين ، أخبار القيان ، الاماء الشواعر ، المماليك الشعراء ، أدباء الغرباء ، الديارات ، تفضيل ذى الحجة ، الأخبار والنوادر ، أدب السماع ، أخبار الطفيليين ، مجموع الأخبار والآثار ، الخمارين والخمارات ، الفرق والمعيار فى الأوغاد والأحرار ، وهى رسالة عملها فى هارون المنجم ، دعوة التجار ، أخبار جحظة البرمكى ، جمهرة النسب ، نسب بني عبد شمس ،

نسب بنى شيبان ، نسب المهالبة ، نسب بني تغلب ، الغلمان المغنيين ، مناجيب الخصيان ، وله بعد تصانيف جياد كان يصنفها ويرسلها الى المستولين على بلاد المغرب من بنى أمية وكانوا يحسنون جائزته لم يعد منها الى المشرق الا القليل ، وكتاب الأغانى أجمعها ، وسئل أبو الفرج فى كم جمعت هذا الكتاب (الأغانى) فقال فى خمسين سنة وأنه كتبه مرّة واحدة فى عمره وهى النسخة التى أهداها الى سيف الدولة فأعطاه ألف دينار وبلغ ذلك الصاحب أبا القاسم بن عباد فقال : لقد قصر سيف الدوله وانه يستأهل أضعافها ووصف الكتاب فأطنب ثم قال : ولقد اشتملت خزائنى على مائتين وستة آلاف مجلد ما منها ماهو سميرى غيره ولا راقني منها سواه ، وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة : لم يكن كتاب الأغانى يفارق عَضُد الدولة فى سفره ولا حضره وانه كان جليسه الذى يأنس اليه وخدينه الذى يرتاح نحوه ، وقال ياقوت : ولعمرى ان هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جمّ الفوائد عظيم العلم جامع بين الجد البحت والهزل النحت .

وكان أبو الفرج من ندماء الوزير المهلّبى وهو الحسن بن محمد بن هارون من ولد المهلب بن أبى صُفْرة وهو وزير معز الدولة بن بُوَيْه الديلمى وكان الوزير يقربه ويصبر فى مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره لانه كان وسخاً فى نفسه ثم فى ثوبه وفعله حتى انه لم يكن ينزع دراعة يقطعها الا بعد ابلائها وتقطيعها ولا يعرف لشىء من ثيابه غسلا ولا يطلب منه فى مدة بقائه عوضاً ومع ما كان يصنع الوزير معه ما خلا من هجوه فقال فيه

أبعين مفتقر اليك رأيتنى ... بعد الغنى فرميتنى من حالق

لستَ الملومَ أنا الملومُ لاننى ... أمّلت للاحسان غير الخالق

وقد دامت الصحبة بين أبى الفرج والوزير المهلبى الى أن فرق الموت بينهما

شعره

كتب الى المهلبى يشكو الفأر ويصف الهرّ

يا لَحُدْب الظهور قُعْص الرقاب ... لِدقاق الأنياب والأذناب
خُلِقَتْ للفساد مُذْ خُلِقَ الخلـــق وللعيْثِ والأذى والخراب
ناقبات فى الأرض والسقف والحيـــطان نَقْباً أعيا على النُّقَّاب
آكلاتٍ كلَّ المآكل لا تأ ... منُها شاراتِ كلَّ الشراب
آلفاتٍ قرضَ الثياب وقد يعْـــدِل قرضَ القلوب قرضُ الثياب
زال همى منهن أزرقُ تركـــى السِّبالين أَنْمَرَ الجلباب
ليث غاب خَلْقا وخُلْقا فمن لا ... ح لعينيه خاله ليثَ غاب
ناصب طرْفه إزاء الزوايا وإزاء السقوف والأبواب
ينتضى الظفر حين يَظْفَرُ للصيـــد والا فظفره فى قِراب
لا يُرى أخبثية عيناً ولا يعـــلم ما جنتاه غير التراب
قَرْطقوه وشنّفوه وحلّوْ ... ه أخيراً وأولاً بالخِضاب
فهو طوراً يمشى بِحلْى عروس وهو طوراً يخطو على عُنّاب
حبذا ذاك صاحباهو فى الصحـــبة أوفى من أكثر الأصحاب

كان كاتباً لركن الدولة حَظِيًّا عنده محتشماً لديه وكان يتوقع من الرئيس أبى الفضل بن العميد أن يكرمه ويبجله ويتوفر عليه فى دخوله وخروجه وعدم ذلك منه فقال

مالك موفور فما بالُهُ أكسبك التيه على المعدم
ولِمْ اذا جئت نهضـــنا وان جئت تطاولْتَ ولم تُتْمِم
وان خرجنا لم تقل مثل ما نقول «قَدِّم طِرْفه قدم»
ان كنت ذا علم فمن ذا الذى مثلَ الذى تعلم لم يَعْلَم

ولست فى الغارب من دولة ونحن من دونك فى المنسم
وقد وَلِينا وعُزِلنا كما أنت فلم نصغر ولم نعظم
تكافأت أحوالنا كلها فَصِل على الانصاف أو فاصرم

ومن قوله

حضرتكم دهراً وفى الكف تحفة فما أذن البواب لى فى لقاكم
إذا كان هذا حالكم يوم أخذكم فما حالكم تالله يوم عطاكم

قال أبو الفرج وكنت انحدرت إلى البصرة منذ سنيات فلما وردتها أصعدت إلى سكة قريش أطلب منزلا أسكنه لانى كنت غريباً لا أعرف أحداً من أهلها الا من كنت اسمع بذكره ، فدلنى رجل على خان ، فصرت اليه واستأجرت فيه بيتاً وأقمت بالبصرة أياماً ، ، ثم خرجت عنها طالبا حصن مهدى وكتبت هذه الابيات على حائط البيت الذى أسكنه

الحمد لله على ما أرى من صنعتى من بين هذا الورى
أصارنى الدهر إلى حالة يعدم فيها الضيف عندى القِرى
بدّلت من بعد الغنى حاجة إلى كلاب يلبَسون الفِرا
أصبح أدم السوق لى مأكلا وصار خبز البيت خبز الشرى
وبعد ملكي منزلا مبهجاً سكنت بيتاً من بيوت الكرا
فكيف ألقَى لاهياً ضاحكا وكيف أحظى بلذيذ الكَرى
سبحان من يعلم ما خلفنا وبين أيدينا وتحت الثرى
والحمد لله على ما أرى وانقطع الخطب وزال المرا

وقال : بلغ أبا الحسن جَحْظَه أن مُدْرك بن محمد الشيبانى الشاعر ذكره بسوء فى مجلس كنت حاضره وكتب الى

أبا فرج أهجي لديك ويعتدى ... علىّ فلا تحمي لذاك وتغضب
لعمرك ما أنصفتنى فى مودتى ... فكن معتباً ان الأكارم تعتب

فكتبت اليه

عجبت لما بلغت عني باطلا ... وظنك بى فيه لعمرك أعجب
تكلت اذاً نفسى وعزّى أسرتى ... بفقدى ولا أدركت ما كنت أطلب
فكيف بمن لاحظ لى فى لقائه ... وسيان عندى وصله والتجنب
فثق بأخ أصفاك محض مودة ... تشاكل منها ما بدا والتغيب

ولما ولى ابو عبد الله البريدى الوزارة فى عهد الراضى بالله قال ابو الفرج فى ذلك قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت يهجو فيها ابا عبد الله ويؤنب الراضى فى توليته وطمعه فيه أولها

ياسماء اسقطى ويا أرض ميدى ... قد تولى الوزارة ابن البريدى
جلّ خطب وحل أمر عضال ... وبلاء أشاب رأس الوليد
هد ركن الاسلام وانهنك الملـــك ومحت آثاره فهو مودى
أخلقت مهجة الزمان كما أنـــهك طول اللباس وشى البرود

ومن قوله فى الوزير المهلبى

ولما انتجعنا عائذين بظله ... أعان وما عنّى ومنّ وما منّا
وردنا عليه مقترين فراشنا ... ورُدّ نداه مجدبين فأخصبنا

وله فيه يهنئه بابلاله من مرض

ابا محمد المحمود ياحسن الاحســـان والجود يابحر الندى الطامى
حاشاك من عود عوّادا ليك ومن ... دواء داء ومن المام آلام

وكتب الى القاضى التنوخى يلتمس منه حبرا

يأيها القاضى السنىّ الذكر ومن علا على قضاة العصر
قد اجتمعنا فى محل وَعْر ومنزل ضنك ومَثْوًى قفَرْ
خال من الخير كثير الشر نلقى زمانىَ ألم وضر
من ليل بق ونهار حر فقد فقدت جلدى وصبرى
وليس لى عند مجىء فكرى سوي تشكى فادحات أمرى
بقلم يخطها فى سطر الى فتى ذى أدب وقدر
فاسمع لشكواى وجد بعذر قد صفرَت محبرتى من حبر
ولم أجده مشترى فأشرى فجد حباك الله طول العمر
يملئها حبراً وفز بشكرى من بين نظم حسن ونثر
ورب مجد باسق ونخر نالها الحر ببذل النزر

توفى أبو الفرج رحمه الله سنة ٣٥٦ فى خلافة المطيع لله

شعراء جَدِيس

عُفَيْرة بنت عفان الجَدِيسية

يقال لها الشَّمُوس .

كانت منازل طَسْم فى موضع اليمامة وكان يملكهم عمليق وكانت معهم جَدِيس وهما ابنا (١) لاوذ بن إرم بن سام بن نوح وكان عمليق فى أول مملكته قد تمادى فى الظلم والغَشْم والسيرة بغير الحق . وكانت امرأة من جَدِيس يقال لها هَزِيلة ولها زوج يقال له ماشق فطلقها وأراد أخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق فقالت « يأيها الملك انى حملته تسعاً ووضعته دَفْعاً وأرضعته شفعاً حتى اذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد أن يأخذه منى كرها ويتركنى من بعده وَرْها » فقال لزوجها ما حجتك ؟ قال « حجتى أيها الملك انى قد أعطيتها المهر كاملا ولم أصبْ منها طائلا الا وليداً خاملا فافعل ما كنت فاعلا » فأمر بالغلام أن ينزع منهما جميعاً ويجعل فى غلمانه وقال لهزيلة « ابغيه ولداً ولاتنكحى أحداً واجزيه صفَداً » فقالت هزيلة « أما النكاح فانما يكون بالمهر وأما السفاح فانما يكون بالعَهْر ومالى فيهما من أمر » فلما سمع ذلك عمليق أمر أن تباع هى وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى هزيلة عشر ثمن زوجها فأنشأت تقول .

اتينا أخا طَسْمٍ ليحكم بيننا ... فأنفذ حكما فى هَزِيلة ظالما
لعمرى لقد حُكِّمْتَ لا متورعا ... ولا كنت فيما يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم وأنى لعثرتى ... واصبح بعلى فى الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر ألاَّ تزوج بكر من جَدِيس وتُهْدى الى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها . فلقُوا من ذلك بلاء وجهداً وذلا فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت الشَّموس فلما ارادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عمليق ليناها قبله ومعها القِيَان يتغنين

---

(١) فى سبائك الذهب انهما ابنا ارم بن سام وأن لاوذ اخو ارم

ابْدَىْ بعمليق وقومى فاركبى وبادرى الصبح لأمر معجب
فسوف تلقَيْنَ الذى لم تطلبى وما لبكر عنده من مَهْرَب

فلما أن دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها فى دمائها شاقة درعها من قُبُل ومن دُبُر والدم يسيل وهى فى أقبح منظر وهى تقول

لا أحدٌ أذَلَّ من جَدِيس أهكذا يُفعَل بالعَرُوس
يَرْضَى بهذا يا لقَوْمى حُرُّ أهْدَى وقد أعطَى وسيق المهر
لأخذَةُ الموت كذا لنفسه خير من أنْ يفعل ذا بعرسه

وقالت تحرض قومها فيما أتى اليها

أيَجْعُل ما يؤتى الى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتُصبح تمشى فى الدماء عُفَيْرَة عشية زُفَّت فى النساء الى بعل
ولو اننا كنا رجالاً وكنتم نساء لكنا لا نُقِرّ بذا الفعل
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم ودبوا لنار الحرب بالحطب الجَزْل
والا فخلوا بطنها وتحملوا الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللموت خير من تمادٍ على أذى وللموت خير من مقام على الذل
وان أنتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعاب من الكحل
ودونكم طيبَ العروس فانما خلقتم لأثواب العروس وللمسل
فبعدا وسُحقاً للذى ليس دافعاً ويختال يمشى بيننا مِشْيَةَ الفحل

فلما سمع أخوها الاسود بن عُفَيرة ذلك وكان سيداً مطاعاً قال لقومه «يامعشر جَدِيس ان هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم فى داركم الا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا وإدهاننا ما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَف فأطيعونى فيما آمركم به فانه عز الدهر وذهاب ذل العمر واقبلوا رأيى» وقد أحمى جديسا ما سمعوا من قولها . فقالوا نطيعك ولكن القوم اكثر وأحمى وأقوى . قال فانى اصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً فاذا جاؤا يرقلون فى الحلل

نُرْنا الى سيوفنا وهم غارُّون فأهمدناهم بها . قالوا نفعل . وصنع طعاماً كثيراً وخرج به الى ظهر بلدهم ودعا عمليقاً وسأله ان يتغدى عنده هو وأهل بيته فأجابه الى ذلك وخرج اليه مع أهله يرْفُلون فى الحلى والحلل حتى اذا اخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم الى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم فشد الاسود على عمليق فقتله وكل رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم فلما فرغوا من الاشراف شدوا على السِّفْلة فلم يَدَعوا منهم أحداً فقال الاسود فى ذلك

ذوقى ببغيك ياطَسْمُ مُجَلَّلةً ... فقد أتيت لعمرى أعجب العجب
انا أتينا فلم نَدْفُكَّ نقتلهم ... والبغى هَيَّج منا سَوْرة الغضب
ولن يعود علينا بغيهم أبدا ... ولن يكونوا كذى أنف ولا ذَنَب
وان رعيتم لنا قربى مؤكدةً ... كنا الاقارب فى الارحام والنسب

ثم أن بقية طسم لجؤا الى حسان بن تُبَّع فغزا جديسا فقتلها وأخرب بلادها فهرب الاسود فأقام بجبل طيئ قبل نزول طيئ اياهُ وكانت طيئ تسكن الجُرْف من ارض اليمن وهو اليوم مَحِلة مُراد وهَمْدان وكان سيدهم يومئذ أسامة بن لُؤَىّ بن الغَوْث بن طيئ وكان الوادى مَسْبَعَة وهم قليل عددهم وكانت الأُسْد قد خرجت من اليمن أيام العَرِم فاستوحشت طيئ لذلك وقالت قد ظُعن اخواننا فصاروا الى الارياف حتى هبطوا الجبلين « أجا وسلمى » فهجموا على النخل والشعاب وعلى مواش كثيرة واذا هم برجل فى شعب من تلك الشعاب وهو الاسود بن عباد فبعث اليه اسامة بن لؤى ابنا له يقال له الغوث فرماه بسهم فقتله واقامت طيئ بالجبلين بعده فهم هنالك الى اليوم .

الشعراء من قحطان

اعقب قحطان من اربعة ابناء جُرهُم والسَّلَف وحضرموت ويَعرُب، وجمهور عقبه من يعرب

وقد تشعب نسله الى جذمين عظيمين هما حِمير وكهلان ابنا سبأ بن يشجب ابن يَعرُب

شعراء جرهم

مُضاض بن عمرو

هو مُضاض بن عمرو بن الحرث بن مُضاض الجُرهمى وكان جده مُضاض زوج ابنته رعلة اسماعيلَ بن ابراهيم خليل الرحمن فولدت له اثنى عشر رجلا أكبرهم قَيْذار ونابت وكان ابراهيم أمر اسماعيل بذلك لانه لما بنى مكة وانزلها ابنه قَدِم عليه قَدَمَة من قَدَماته فسمع كلام العرب وقد كانت طائفة من جُرْهُم نزلت هنالك مع اسماعيل فأعجبته لغتهم واستحسنها فأمر اسماعيل عليه السلام أن يتزوج اليهم فتزوج بنت مُضاض بن عمرو وكان سيدهم . وولى البيت بعد اسماعيل ابنه نابت ثم تُوُفى فولى مكانه جده لامه مُضاض بن عمرو فضم ولد نابت اليه ونزلت جُرْهُم مع ملكهم مُضاض بأعلى مكة ونزلت قَطُوراء مع ملكهم السَّمَيْدَع أجْيَادَ أسفل مكة وكان هذان البطنان خرجا سيارة من اليمن وكذلك كانوا لا يخرجون الا مع ملك يملكونه عليهم فلما رأوْا مكة رأوا بلداً طيباً وماء وشجراً فنزلوا ورضى كل منهما بصاحبه ولم ينازعه فكان مُضاض يَعْشُر من جاء مكة من أعلاها وكان السَّمَيْدَع يَعْشُر من جاءها من أسفلها ومن كُدَى لا يدخل أحدهما مع صاحبه فى أمره . ثم أن جُرهُما وقطوراء بغى كل واحد منهما على صاحبه فتنافسوا فى الملك حتى نَشِبَتْ الحرب بينهم وكانت ولاية البيت الى مُضاض دون السميدع فخرج مُضاض من بطن قُعَيْقِعَان مع كتيبته فى سلاح شاك يتقعقع

« فيقال ما سميت قعيقعان الا بذلك » وخرج السَّمَيْدَع من شِعْب أجياد فى الخيل الجياد والرجال « ويقال ما سميت أجياداً الا بذلك » حتى التقَوْا بفاضح فاقتتلوا قتالا شديداً فقتل السَّميدع وفضحت قطوراء « ويقال ماسمى فاضحاً الا بذلك » ثم تداعى القوم الى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شِعْبًا بأعلى مكة « وهو الذى يقال له الآن شِعْب بنى عامر » فاصطلحوا هناك وسلموا الامر الى مُضاض فلما اجتمع له أمر مكة وصار ملكها دون السَّميدع نحر للناس فطبخوا هناك الجُزُر فأكلوا « وسمى ذلك الموضع المطابخ » فيقال ان هذا أول بغى بمكة

فقال مُضاض بن عمرو فى تلك الحرب .

نحن قتلنا سيدَ الحى عَنْوَةً ... فأصبح منها وهو حَيْرَانُ مُوجَع

يعنى أن الحى أصبح حيران مُوجَعًا

وما كان يبغى أن يكون سِواؤنا ... بها ملكا حتى أتانا السَّميدع

فذاق وبالاً حين حاول ملكنا ... وحاول منا غُصَّةً تُتَجَرَّعُ

ونحن عَمَرْنا البيت كنا وُلاتَه ... نضارب عنه من أتانا وندفع

وما كان ينبغى ذاك فى الناس غيرنا ... ولم يك حى قبلنا ثَمَّ يمنع

وكنا ملوكاً فى الدهور التى مضت ... ورثنا ملوكاً لا ترام فتوضع

ثم استخفت جُرْهم بحق البيت وارتكبوا فيه أموراً عظاماً وأحدثوا فيه احداثاً قبيحة فلما كثر بغيهم بمكة قام فيهم مُضاض بن عمرو بن الحرث بن مُضاض فقال « ياقوم احذروا البغى فانه لا بقاء لاهله وقد رأيتم من كان قبلكم من العمالیق استخفوا بالحرم ولم يعظموه وتنازعوا بينهم واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم فتفرقوا فى البلاد فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله وجاءه معظما لحُرُماته أو خائفاً أو رغبَ فى جواره فانكم ان فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذل وصَغار حتى لا يقدر أحد منكم أن يصل الى الحرم ولا الى زيارة البيت الذى هو لكم حرز وأمن والطير تأمن فيه فقال قائل

منهم ومن الذى يخرجنا منه ؟ ألسنا أعز العرب وأكثرهم مالاً وسلاحاً ؟ فقال مُضاض اذا جاء الامر بطل ما تذكرون فقد رأيتم ما صنع الله بالعماليق . فلما رأى مُضاض بن عمرو بغيهم ومقامهم عليه عمد الى كنوز الكعبة وهى غزالان من ذهب وأسيافٌ [1] قلعية فحفر لها ليلا فى موضع زمزم ودفنها فبيناهم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مأرب ومعهم طريفة الكاهنة حين خافوا سيل العرم وعليهم مُزَيقيا وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان فقالت لهم طَرِيفة « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمنى ما أقول الا الحكيم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم . قالوا لها ما شأنك يا طريفة ؟ قالت خذوا البعير الشَّدْقَم [2] فخضبوه بالدم تكن لكم أرض جُرْهم جيران بيته المحرم . فلما انتهوا الى مكة وأهلها أرسل اليهم عمرو بن ثعلبة فقال لهم : يا قوم انا قد خرجنا فلم ننزل بلدة الا أفسح أهلها لنا وتزحزحوا عنا لنقيم معهم حتى نرسل رُوَّادنا فيرتادوا لنا بلداً يحملنا فافسحوا لنا فى بلادكم حتى نقيم قدر ما نستريح ونرسل رُوَّادنا الى الشام والى الشرق فحيثما بلغنا أنه أمْثَلُ لحقنا به وأرجو أن يكون مُقامنا معكم يسيراً ، فأبت ذلك جُرْهم إباء شديداً واستكبروا فى أنفسهم وقالوا لا والله ما نحب أن ينزلوا فيضيقوا علينا مرابعنا ومواردنا فارحلوا عنا حيث أحببتم فلا حاجة لنا بجواركم . فأرسل اليهم لابد من المقام بهذا البلد حولا حتى ترجع الىَّ رسلى التى أرسلت فان أنزلتمونى طوعاً نزلت وحمدتكم وآسيتكم فى الرعى والماء وان أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم تَرْبَعوا معى الا فضلا ولا تشربوا الا رَنْقا وان قاتلتمونى قاتلتكم ثم ان ظهرت عليكم سبيت النساء وقتلت الرجال ولم أترك منكم أحداً ينزل الحرم أبداً . فأبت جُرْهم أن تنزله طوعاً وتعبَّت لقتاله فاقتتلوا ثلاثة أيام أُفْرِغ عليهم فيها الصبر ومنعوا النصر ثم انهزمت جرهم فلم

---

(١) القلعة بلد هندى تنسب اليه السيوف (٢) واسع الشدق

يفلت منهم الا الشريد . وكان مُضاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ولم يُعنهم فى ذلك وقال قد كنت أحذركم هذا . ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قَنُونى[1] وما حوله فبقايا جُرْهم به الى اليوم وفنى الباقون أفناهم السيف فى تلك الحروب . فلما حازت خُزاعة أمر مكة وصاروا أهلها جاءهم بنو اسمعيل وقد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخُزاعة فلم يدخلوا فى ذلك فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم فلما رأى ذلك مُضاض بن عمرو بن الحرث وقد كان أصابه من الصبابة الى مكة أمر عظيم أرسل الى خزاعة يستأذنها ومتّ اليهم برأيه وتوزيعه قومه عن القتال وسوء العشرة فى الحرم واعتزاله الحرب فأبت خزاعة أن يقروهم ونَمَوْهم عن الحرم وقالوا من دخله منهم فدمه هدَر فنزعت أبل لمضاض من قَنُونى تريد مكة فخرج فى طلبها حتى وجدها قد دخلت مكة فمضى الى الجبال نحو أجْيَاد حتى ظهر على أبى قُبيس يبصر الابل فى بطن وادى مكة فأبصر الابل تنحر وتؤكل لاسبيل له اليها فخاف ان هبط الوادى أن يقتل فولى منصرفاً الى أهله وأنشأ يقول

كأن لم يكن بين الحَجُون الى الصفا ... أنيس ولم يَسْمُرْ بمكة سامر
ولم يتربَّعْ واسطاً فجنوبَه ... الى المنحنى من ذى الأريكة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالى والجدود العواثر
وابدلنا ربى بها دارَ غربة ... بها الذئب يعوى والعدو المخامر
وبدلت منهم أوْجُهًا لا أريدها ... وخيرُ قد بُدِّلتها واليُحابر[2]
فان تَمِلِ الدنيا علينا بكَلْكَل ... ويصبح شر بيننا وتشاجر
فنحن ولاة البيت من بعد نابت ... نُمَشِّي به والخير اذ ذاك ظاهر
وأنكح جدى خيرُ شخص علمته ... فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
وأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك يا للناس تجرى المقادر

---

(١) من أودية السراة يصب الى البحر فى أوائل أرض اليمن
(٢) يحابر بن مالك بن أدد ورسم فى الاصل خطأ

فصرنا أحاديثا . وكنا بغبطة ... كذلك عضتنا السنون الغوابر
وسحّت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرمٌ أمنٌ وفيها المشاعر
ويا ليت شعري مَنْ بأجيادَ بعدنا ... أقام بمُفضَى سيله والظواهر
فبطن منيً أمسى كأن لم يكن به ... مُضاضٌ ومن حيَّيْ عَدِيٍّ عمائر
فهل فَرَجٌ آتٍ بشيء نحبه ... وهل جزعٌ مُنجيك مما تحاذر

قالوا وقال أيضاً

يأيها الحي سيروا ان قصركمُ ... أن تُصبحوا ذات يوم لاتسيرونا
انا كما أنتم كنا فغيرنا ... دهر بصرف كما صرنا تصيرونا
أرْجُوا المطيَّ وأرْخُوا من أزمَّتها ... قبل الممات وقضُّوا ما تقضونا
قد مال دهر علينا ثم أهلكنا ... بالبغي فيه فقد صرنا أفانينا
كنا زماناً ملوك الناس قبلكم ... نأوي بلاداً حراماً كان مسكونا

شعراء حمير

علس ذو جدَن

هو علس بن زيد بن الحرث بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد الجمهور بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير . هو ملك من ملوك حمير ولقب ذا جدَن لحسن صوته والجدن الصوت بلغتهم ويقال انه أول من تغنى باليمن . ومما يغنى به من شعره

ما بالُ أهلك يا رباب ... خُزْراً كأنهم غضاب
ان زرت أهلكِ أوعدوا ... وتهرُّ دونهم الكلاب

قال رجل من أهل صنعاء انهم حفروا حفيراً في زمن مَرْوان فوقفوا على أزج له باب فاذا هم برجل على سرير كاعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب

وعصابة من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه أنا عَلس ذو جَدَن القيل خليلي منى النيل ولعدوى منى الويل طلبت فأدركت وأنا ابن مائة سنة من عمرى وكانت الوحش تأذن لصوتى وهذا سيفى ذو الكف عندى ودرعى ذات الفروج ورمحى الهزبرى وقوسى الفَجْواء[1] وقرنى ذات الشر فيها ثلاثمائة حُشُر[2] من صنعة ذى نمر اعددت ذلك لدفع الموت عنى فخانى : فنظرنا فاذا جميع ذلك عنده واذا طول السيف اثنا عشر شبرا

حسان بن تبع

هو حسان بن تُبَّع بن عمرو بن أبرهه بن قيس بن صَيْفِى بن سبأ الأصغر ابن كعب بن زيد الجمهور من حمير

ملك اليمن : كان أحول أعسر بعيد الهمة شديد البطش فدخل اليه يوماً وجوه قومه وهم الأقيال من حِمْيَر فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم

أيها الناس ان رأيى يُرينى ... وهو الرأىُ طَوْفَةً فى البلاد
بالعوالى وبالقنابل تَرْدِى[3] ... بالبطاريق مِشْيَة العواد
وبجيش عَرَمْرَم عربى ... جَحْفَل يستجيب صوت المنادى
من تميم وخِنْدِف وإياد ... والبهاليل من حِمْيَر ومُراد
فاذا سرت سارت الناس خلفى ... ومعى كالجبال فى كل واد
سقَّنِى ثم سقَّ حِمْيَر قومى ... كأس خمر أولى النُّهَى والعماد

ثم قال لهم استعدوا لذلك فلم يراجعه أحد لهيبته فلما كان بعد ثلاثة خرج وتبعه الناس حتى وطىء أرض العجم وقال لأ بلغن من البلاد حيث لم يبلغ أحد

---

(١) ما بعد وترها عن كبدها .
(٢) الحشر الملطف المقذ والقذ قطع أجود الريش جمع حشرة والقرن الجعبة
(٣) ردت الفرس رديا ورداناً رجمت الارض بحوافرها .

التبابعة فجال بهم فى أرض خُراسان ثم مضى الى المغرب حتى بلغ رومية وخلف عليها ابن عم له وأقبل الى أرض العراق حتى اذا صار الى شاطىء الفرات[1] قالت وجوه حِمْير مالنا نُفْنِي أعمارنا مع هذا نطوف فى الأرض كلها ونفرق بيننا و بين بلدنا وأولادنا وعيالنا وأموالنا فلا ندرى من تخلف عليهم بعدنا فكلموا أخاه عمراً وقالوا له كلم أخاك فى الرجوع الى بلده وملكه قال هو أعسر من ذلك وأنكد فقالوا فاقتله ونملكك علينا أنت أحق بالملك من أخيك وأنت أعقل وأحسن نظراً لقومك . فقال أخاف ألا تفعلوا وأكون قد قتلت أخى وخرج الملك عن يدى فوائقوه حتى ثَلَجَ الى قولهم وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم الا ذارُعَيْن فانه خالفهم وقال ليس هذا برأى يذهب الملك من حِمْير فشجعه الباقون على قتل أخيه فقال ذورُعَيْن ان قتلته بادَ ملكك . فلما رأى ذورُعَيْن ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة فقال ياعمرو انى مستودعك هذا الكتاب فضَعْهُ عندك فى مكان حريز وكتب فيه

ألاَ مَنْ يشترى سهراً بنوم سعيد من يبيت قرير عين
فان تلك حِمْير غدرت وخانت فمعذرة الاله لذى رُعَيْن

ثم أن عمراً أتى أخاه حسان وهو نائم على فراشه فقتله واستولى على ملكه فلم يبارك له فيه وسلط عليه السهر وامتنع منه النوم فسأل الاطباء والكهان والعيَّاف فقال له كاهن منهم : انه ما قتل أخاه رجل قط الا منع نومه . فقال عمرو : رؤساء حِمْيَر حملونى على قتله ليرجعوا الى بلادهم ولم ينظروا إلىَّ ولا لأخى فجعل يقتل من أشار عليه بقتله فقتلهم رجلا رجلا حتى خلص الى ذى رُعَيْن وأيقن بالشر فقال له ذو رُعَيْن ألم تعلم أنى أعلمتك ما فى قتله ونهيتك و بينت هذا ؟ قال وفيم هو ؟ قال فى الكتاب الذى استودعتك فدعا بالكتاب فلم يجده فقال ذورُعَيْن ذهب دمى على أخذى بالحزم فصرت كمن أشار بالخطأ ثم سأل الملك أن ينعم فى طلبه

---

(١) راجع ابن الأثير ص ١٦٩ ج ١ فى ذكر الحوادث أيام قباذ وانظر تعليقه على هذا الحديث بما فيه من الغلط والفساد

ففعل فأتى به فقرأه فاذا فيه البيتان فلما قرأهما قال: لقد أخذت بالحزم قال: انى خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابى . وتشتت أمر حِمْير حين قتل أشرافها واختلفت عليه حتى وثب على عمرو لخنيعة تنوف ولم يكن من أهل بيت المملكة فقتله واستولى على ملكه وكان يقال له ذوشناتر الحميرى وجاء بعده ذونواس واجتمعت حمير اليه

خزيمة بن نهد القضاعى

وقُضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن الهميسع بن حمير

شاعر مُقِلّ من قدماء الشعراء فى الجاهلية كان يَهْوَى فاطمة بنت يَذْكُر الرَّبَعية فخطبها من أبيها فلم يزوجه اياها فقتله غِيلة وفى ذلك يقول

فتاة كان رُضاب العَبير بفيها يُعَلّ به الزَّنْجبيل
قتلت أباها على حبها فتبخل ان بخلت أو تُنيل

وفيها يقول

اذا الجوزاء أردفت الثُّرَيَّا ظننت بآل فاطمة الظنونا
وحالت دون ذلك من همومى هموم تُخرج الشَّجَن الدفينا
أرى ابنة يَذْكُر ظعنت فحلت جنوب الحَزْن ياشحطا مبينا

وكان بسبب ذلك شر عظيم بين بنى نِزار وبنى قُضاعة وكانت قُضاعة يومئذ تنتسب الى مَعَدّ

تفرق بنى اسماعيل عن تِهامة

كان تفرق بنى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ونزوعهم عنها الى الآفاق وخروج من خرج منهم عن نسبه أنه كان أول من ظعن عنها وأخرج منها قُضاعة ابن مَعَدّ وكان سبب خروجهم أن خُزَيمة بن نهد لما قتل يذْكُر بن عَنَزة تشاور الحيان فاقتتلوا وصاروا أحزاباً وكانوا يقولون يومئذ كِندة بن جَنادة بن مَعَدّ . وحاء بن عمرو بن أُدّ بن أُدد ، وقُضاعة بن مَعَدّ ، وعَكّ بن عدنان بن ادّ والاشعر ابن أُدد ، وكانوا يتبدّونَ من تِهامة الى الشام وكانت منازلهم بالصفّاح ، وكان مُرّ

وعُسفان لربيعة بن نزار ، وكانت قُضاعة بين مكة والطائف . وكانت كِندة تسكن من الغَمْر الى ذات عِرْق فهو الى اليوم يسمى غَمْر كندة واياد عنى عمر بن ابى ربيعة بقوله

اذا سلكت غَمْر ذى كِندة مع الصبح قصد بها الفَرْقَد
هنالك اما تعزى الهوى واما على أثرهم تكْمَد

وكانت منازل حاء والاشعر فيما بين جُدَّة الى البحر

فلما ظهرت نزار على أن خُزَيمة قتل يَذْكُر قاتلوا قُضاعة أشد قتال فهزمت قضاعة وقتل خزيمة وخرجت قضاعة متفرقين

فسارت تيم اللات بن أسد بن وَبْرة بن تَغْلِب بن حُلْوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، وفرقة من بنى رُفَيْدَة بن ثور بن كلب بن وَبْرة ، وفرقة من الاشعريين نحو البحرين حتى وردوا هَجَر وبها يومئذ قوم من النَّبَط فأجلتهم عنها . ولما استقروا بها قالوا للزرقاء وكانت كاهنة ما تقولين يا زرقاء ؟ قالت سَعَف وإهان وتمروا لبان خير من الهوان ، فقالوا لها فما تَرَين ؟ فقالت مقام وتُنُوخ ماولد مولود واتفقت فروخ الى أن يجىء غراب أبقع أصمع أنزع عليه خلخالا ذهب فطار فألهب ونعق فنعب يقع على النخلة السَّحوق بين الدُّور والطريق فسيروا على وتيرة ثم الحِيرة الحيرة ، فسميت تلك القبائل تَنُوخ لقول الزرقاء مقام وتُنُوخ ولحق بهم قوم من الأَزْد فصاروا الى الآن فى تنوخ . وخرجت فرقة من بنى حُلْوان يقال لهم بنو يزيد فنزلوا عَبْقَر من أرض الجزيرة فنسج نساؤهم الصوف وعملوا الزَّرَابِىَّ فهى التى يقال لها العبقرية وعملوا البرود التى يقال لها اليزيدية . وسارت سَلِيح بن عمرو بن الحاف حتى نزلوا ناحية فلسطين على بنى أُدَيْنَة بن السَّمَيْدَع من عاملة . وسارت اسْلَم بن الحاف وهى عُذْرة ونَهد وحَوْتَكة وجُهَيْنَة والحرث بن سعد حتى نزلوا من الحِجْر الى وادى القُرَى . ونزلت تَنُوخ بالبحرين

(١) الاهاذ (بالكسر) عرجون التمرة (٢) تنخ بالمكان تنوخا أقام

سنتين ثم كان ماتكهنت به الزرقاء فساروا الى الحيرة فنزلوها فهم أول من اختطها واجتمع اليهم لما ابتَنَوْا بها المنازل ناس كثير من سُقاط القرى فاقاموا بها زماناً

ثم أغار عليهم سابور الاكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذ يا آل عباد الله فسموا العباد ، وهزمهم سابور فصار معظمهم ومن فيه نهوض الى الحَضْر من الجزيرة يقودهم الضَّيْزَن بن معاوية التَّنُوخي . فمضى حتى نزل الحَضْر ، وهو بناء بناه الساطرون الجَرْمَقاني فاقاموا به ، وأغارت حمير على بقية قُضاعة فخيروهم بين أن يقيموا على خراج يدفعونه اليهم أو يخرجوا عنهم فخرجوا ، وهم كَلْب وجَرْم والعِلاف ، وهم بنو زِبان بن تَغْلِبْ بن حلوان ، وهو أول من عمل الرِّحال العِلافية وعِلاف لقب زبان فلحقوا بالشام فأغارت عليهم بنو كِنانة بن خُزَيمة بعد ذلك بدهر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وانهزموا ، فلحقوا بالسَّماوة فهي منازلهم الى اليوم

عبد الله بن العجلان

هو من بني نَهْد ثم من قضاعة

شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء ، ومن قتله الحب منهم وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك فتزوجت زوجاً غيره فمات أسفاً . قال الهيثم بن عدي كان عبدالله بن العجلان النَّهدي سيداً في قومه وابن سيد من ساداتهم وكان أبوه أكثر بني نَهد مالا وكانت هند امرأة عبد الله بن العجلان امرأة من قومه وكانت أحب الناس اليه وأحظاهم عنده فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد فقال له أبوه أنه لا ولد لي غيرك ولا ولد لك وهذه المرأة عاقر فطلقها وتزوج غيرها فأبى ذلك ، فآلى ألاّ يكلمه أبداً حتى يطلقها ، فأقام على أمره ، ثم عمد اليه يوماً وقد شرب الخمر حتى سكر وهو جالس مع هند ، فأرسل اليه أن صِرْ الى ، فقالت له هند لا تمض اليه فوالله ما يريدك لخير وانما يريدك لانه بلغه أنك سكران فطمع فيك أن يقسم عليك فتطلقني فتم مكانك ولا تمض اليه ، فأبى وعصاها ، فتعلقت

بثوبه ، فضربها بمسواكه ، فأرسلته ، وكان فى يدها زعفران فأثر فى ثوبه مكان يدها ومضى الى أبيه ، فعاوده فى أمرها وأنّبه وضعفه وجمع عليه مشيخة الحى وفتيانهم فتناولوه بألسنتهم وعيروه بشغفه بها وضعف حزمه ، ولم يزالوا به حتى طلقها ، فلما أصبح خبر بذلك وقد علمت به هند فاحتجبت عنه وعادت الى أبيها ثم خطبها رجل من نمير فزوجها أبوها منه فبنى بها عندهم وأخرجها الى بلده ، فلم يزل عبد الله بن العجلان دنفاً سقيما يقول فيها الشعر ويبكيها حتى مات أسفاً عليها ، وعرضوا عليه فتيات الحى جميعاً فلم يقبل واحدة منهن وقال فى طلاقه اياها

فارقت هندا طائعاً ... فندمت عند فراقها
فالعين تذرى دمعة ... كالدُّر من آماقها
متحلباً فوق الرِّدا ... ء يجول من رَقْراقها
خَوْد رَداح طفلة ... ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألَذُّ حديثها ... وأُسَرُّ عند عناقها

وفى هذه القصيدة يقول

ان كنت ساقية بـــ ... ـبُزل الأُدْم أو بحقاقها
فاسقى بنى نَهْد اذا ... شربوا خيار رِقاقها
فالخيل تعلم كيف نـــ ... ـلحقها غداة لحاقها
بأسنة زُرْق صبَحْنـــ ... ـنا القوم حدَّ رقاقها
حتى ترى قصد القنا ... والبيض فى اعناقها

وكانت بين بنى نَهْد وبنى عامر مغاورات وكانت لبنى نَهْد على بنى عامر فقال عبد الله بن العجلان فى ذلك

اعاود عينى نَصْبها [1] وغؤورها ... أهَمُّ عناها أم قَذاها يعورها
ام الدار أمست قد تعفّت كأنها ... زَبور يمان رَقَّشته سطورها
ذكرت بها هندا وأترابها الاولى ... بها يُكْذَب الواشى ويعصى أميرها

(١) النصب الداء والبلاء

فما معول تبكي لفقد أليفها ... اذا ذكرته لا يُكَفّ زفيرها
بأعزّ منى عبرة اذ رأيتها ... يُحَثّ بها قبل الصباح بعيرها
ألم يأت هنداً كيفما صنع قومها ... بنى عامر اذ جاء يسعى نذيرها
فقالوا لنا انا نحب لقاءكم ... وانا نحيي أرضكم ونزورها
فقلنا اذاً لا نَتْكُل الدهر عنكم ... بصُم القنا اللائى الدماء نميرها
فلاغرو ان الخيل تَمْخط[1] فى القنا ... تَمطّرُ من تحت العوالى ذكورها
تأوّهُ مما مسها من كريهة ... وتصغى الخدود والرماح تصورها
وأربابها صَرعى ببرقة أحدب[2] ... يجررهم ضبعا نهما ونسورها
فأبلغ أبا الحجاج عنى رسالة ... معلغلة لا يُفْلِتَنّكَ بسورها
فأنت منعت السلم يوم لقيتنا ... بكفيك تُسدى غَيّة وتثيرها
فذوقوا على ما كان من فرط إحنة ... حلائبنا اذ غاب عنا نصيرها

ومن مختار ما قاله ابن العجلان فى هند

ألا أبلغا هنداً سلامى فان نأت ... فقلبى مذ شَطّت بها الدار مُدْنَف
ولم أر هنداً بعد موقف ساعة ... بأنعَم فى أهل الديار تَطَوّف
أنت بين أتراب تمايَسُ اذ مشت ... دبيب القطا أوهن منهن أقطف
أشارت الينا فى خفاة وراعها ... سَراة الضحى منى على الحى موقف
وقالت تباعد يا ابن عمى فانى ... مُنِيت بذى صول يَغار ويَعْنُف

ومن قوله وفيه غناء

خليلى زورا قبل شَحْط النوى هندا ... ولا تأمنا من دار ذى لطف بعدا
ولا تعجلا، لم يدر صاحب حاجة ... أغَيّاً يلاقى فى التعجل ام رشدا
ومرا عليها بارك الله فيكما ... وان لم تكن هند لوجهيكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا ... ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

---

(١) تزفر (٢) رسم فى الأصل محرفاً

ومن قوله

قد طال شوقى وعادنى طربى من ذكر خَوْد كريمة النسب
غراء مثل الهلال صورتها ومثل تمثال صورة الذهب

فلما اشتد ما بعبد الله من السقم خرج سراً من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بنى عامر لا يرهب ما بينهم من الشر والترات حتى نزل ببنى نُمَير وقصد خباء هند فلما قارب دارها وهى جالسة على الحوض وزوجها يسقى ويذود الأبل عن مائه فلما نظر اليها ونظرت اليه رمى بنفسه عن بعيره وأقبل يشتد اليها وأقبلت تشتد اليه فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وجعلا يبكيان ويَنْشِجان ويَشْهَقان حتى سقطا على وجوههما وأقبل زوج هند ينظر ما حالها فوجدهما ميتين .

زهير بن جناب الكلبى

من كَلْب بن وَبْرَة من قُضاعة

شاعر جاهلى وهو أحد المعمرين وكان سيد بنى كلب وقائدهم فى حروبهم وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة فى غزواته ، وهو أحد من ملَّ عمره فشرب الخمر صرفاً حتى قتلته . ولم يوجد شاعر فى الجاهلية والاسلام أكثر ولداً من زهير

غزوة زهير لغطفان

لما خرجت بنو بَغيض من تِهامة ساروا بأجمعهم فتعرضت لهم صُداء وهى قبيلة من مَذْحِج فقاتلوهم وبنو بَغيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم فقاتلوا عن حريمهم فظهروا على صُداء فأوجعوا فيهم ونكؤا وعزّت بنو بغيض بذلك وأثرت وأصابت غنائم ، فلما رأوا ذلك قالوا أما والله لنتخذن حَرَماً مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يُعْضَد شجره ولا يهاج عائذه ، فوَلِيت ذلك بنو مُرَّة بن عوف ! ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم ، ففعلوا ذلك وهم على ماء لهم يقال له بُسّ وبلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب وهو يومئذ

سيد كلب فقال والله لا يكون هذا ابداً وأنا حى ولا أخلى غَطَفَان تتخذ حرماً أبداً فنادى فى قومه فاجتمعوا ، فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنها وان أكرم مأثرة يعتقدها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك ويحولوا بينهم وبينه، فأجابوه، واستمد بنى القَيْن ابن جَسْر[1] فأبوا أن يغزوا معه ، فسار فى قومه حتى غزا غطفان فقاتلهم فظفر بهم زهير وأصاب حاجته فيهم وأخذ فارساً منهم أسيراً فى حرمهم الذى بَنَوْه فقال لبعض أصحابه اضرب رقبته فقال انه بَسْل، فقال زهير وأبيك ما بسل علىّ بحرام ، ثم قام اليه فضرب عنقه وعطل ذلك الحرم، ثم منَّ على غطفان ورد النساء واستاق الاموال وقال زهير فى ذلك

ولم تصبر لنا غَطَفَان لما ... تلاقينا وأُحْرِزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتم ... الى عذراء شيمتها الحياء
وكم غادرتم بطلا كَمِيًّا ... لدى الهيجاء كان له غَنَاء
فدونكم ديونا فاطلبوها ... وأوتارا ودونكمُ اللقاء
فانا حيث لا نخفى عليكم ... ليوث حين يُحتضر اللواء
نخلى بعدها غَطَفَانُ بُسًّا[2] ... وما غَطَفَان والأرض الفضاء
فقد أضحى لحى بنى جَنَاب ... فضاء الارض والماء الرِّواء
ويصدق طعننا فى كل يوم ... وعند الطعن يختبر اللقاء
نَقَيْنا نخوة الاعداء عنا ... بأرماح أسنتها ظِماء
ولولا صبرنا يوم التقينا ... لَقِينا مثل ما لقيت صُداء
غداة تعرضوا لبنى بَغيض ... وصدق الطعن للنَّوْكَى شفاء

---

(١) حرف فى الاصل فقيل (من جشم) والصواب ما كتبنا لأن القين ليس من جشم وانما هو ابن جسر بن شيبع اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان من قضاعة

(٢) ضبطه يا قوت بساء بالمد وجعله اسما للحرم نفسه

وقد هربت حذار الموت قَيْنٌ على آثار من ذهب العفاء
وقد كنا رجونا ان تمدوا فأخلفنا منِ اخوتنا الرجاء
وألهى القَيْنَ عن نصر الموالى حلاب النِّيب والمرعى الضَّراء

امرة زهير على بكر وتغلب

لما طلع أبرهة نجدا أتاه زهير بن جَناب فأكرمه أبرهة وفضله على من أتاه من العرب ثم أمره على ابنى وائل تَغْلِب وبكر ، فوليهم حتى أصابتهم سنة شديدة ، فاشتد عليهم ما يطلب منهم زهير ، فأقام بهم زهير فى الجدب ومنعهم من النُّجعة حتى يؤدوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تهلك ، فلما رأى ذلك ابن زيَّابة أحد بنى تيْم الله بن ثعلبة وكان رجلا فاتكا بَيَّت زهيراً وكان نائماً فى قبة له من أَدَم ، فدخل عليه فألفى زهيراً نائماً وكان رجلا عظيم البطن ، فاعتمد التَّيْمى بالسيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارقا بين الصفاق وسلمت أعفاج[1] بطنه وظن التيمى أنه قد قتله ، وعلم زهير أنه قد سلم فتخوف أن يتحرك فيجهز عليه فسكت وانصرف ابن زيَّابة الى قومه فقال لهم قد والله قتلت زهيراً وكفيتكموه فسرهم ذلك ، ولما علم زهير أنه لم يُقْدِم الا عن ملأ من بكر وتغلب وانما مع زهير نفر من قومه بمنزلة الشُّرَط فأمر زهير قومه فغيبوه بين عمودين فى ثياب ، ثم أتوا القوم فقالوا لهم انكم قد فعلتم بصاحبنا مافعلتم فأذنوا لنا فى دفنه ففعلوا فحملوا زهيراً ملفوفاً فى عمودين والثياب عليه حتى إذا بعدوا عن القوم أخرجوه فلففوه فى ثيابهم ثم حفروا حفيرة وعمقوها ودفنوا فيها العمودين ، ثم ساروا ومعهم زهير ، فلما بلغ زهير أرض قومه جمع لبكر وتَغْلِب الجموع ، وبلغهم أن زهيراً حى فقال ابن زيَّابة

طعنةً ماطعنت فى غَبَش الليـــل زهيراً وقد توافى الخصوم
حين تَجْبى له المواسم بكـر أين بكر وأين منها الحلوم

---

(١) العفج ما ينتقل اليه الطعام بعد المعدة والجمع أعفاج

خاننى السيف اذ طعنت زهيرا وهو سيف مضلَّل مشئوم

وجمع زهير بنى كلب ومن تجمع له من شُذّاذ العرب والقبائل ومن أطاعه من أهل اليمن فغزا بكرا وتغلب ابنى وائل وهم على ماء يقال له الحُبَيّ وقد كانوا نذروا به فقاتلهم قتالاً شديداً ثم انهزمت بكر واسلمت تغلب فقاتلت شيئاً من قتال ثم انهزمت ، وأسر كُلَيب ومُهَلْهِل ابنا ربيعة واستيقت الأموال وقتلت كلب فى تغلب قتلى كثيرة واسروا جماعة من فرسانهم ووجوههم . وقال زهير ابن جَناب فى ذلك

تبّاً لتغلب اذ تساق نساؤهم سوق الاماء الى المواسم عُطَّلا
لحقت أوائلُ خيلنا سُرْعانَهم حتى أسرن على الحُبَيّ مُهَلْهِلا
انا مهلهلُ لا تطيش رماحنا أيام تَثْقف فى يديك الخنظلا
ولّت حُماتك هاربين من الوغى وبقيت فى حَلَق الحديد مُكبَّلا
فلئن قهرت لقد أسرتك عَنوة ولئن قتلت لقد تكون مُرَمَّلا

وقال أيضاً يعير بنى تَغْلِب بهذه الواقعة فى قصيدة أولها

حى داراً تغيرت بالجناب أقفرت من كواعب أتراب

يقول فيها

اين اين الفِرار من حَذَر المو ت اذ يتقون بالأسلاب
اذ أسرنا مُهَلْهِلا وأخاه وابن عمرو فى القِدّ وابن شهاب
وسبينا من تَغْلِب كل بيضا ء رَقود الضحى برود الشباب
يوم يدعو مُهَلْهِل يالبكر ها أهذى حفيظة الاحساب
ويحكم ويحكم أبيح حماكم يابنى تغلب أنا ابن ضراب
وهمُ هاربون فى كل فج كشريد النعام فوق الروابى
واستدارت رحا المنايا عليهم بليوث من عامر وجناب

طحنتهم أرحاؤها بطحون ذاتِ ظفر حديدة الأنياب
فهمُ بين هارب ليس يألو وقتيل مُعفَّر فى التراب
فضل العزّ عزنا حين يسمو مثل فضل السماء فوق السحاب

زهير والجلاح بنو عوف

كان الجُلاح بن عوف قد وطأ لزهير بن جَناب وأنزله معه فلم يزل فى جناحه حتى كثر ماله وولده وكانت أخت زهير متزوجة فى بنى القَيْن بن جَسْر فجاء رسولها الى زهير ومعه بُرْد فيه صِرار رمل وشوكة قَتاد ، فقال زهير لأصحابه أتتكم شوكة شديدة وعدد كثير فاحتملوا ، فقال له الجُلاح أنحتمل لقول امرأة والله لا نفعل ، فقال زهير

أما الجُلاح فانى فارقته لا عن قِلىً ولقد تشِط بنا النوى
فلئن ظعنت لاصبحن مخيماً ولئن أقمت لأظعنن على هوى

فأقام الجُلاح وظعن زهير وصبحهم الجيش فقتل عامة قوم الجُلاح وذهبوا به واسم الجُلاح عامر ويجتمع مع زهير فى عوف بن عُذْرة ، ومضى زهير لوجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بنى جَناب وبلغ الجيش خبره فقصدوه فحاربهم وثبت لهم وقتل رئيساً منهم فانصرفوا عنه خائبين ، فقال زهير

أمن آل سلمى ذا الخيال المُؤرِّق وقد نمق الطَّيْف الغريب المشوق
وأنّى اهتدت سلمى لوجه محلنا وما دونها من مهمَه الأرض يخفق
فلم تر إلا هاجعاً عند حُرّة على ظهرها كُور عتيق ونُمْرُق
ولما رأتنى والطليح تبسمت كما انهلّ أعلى عارض يتألق
فحييت عنا زودينا تحية لعل بها العانى من الكَبْل يطلق
فردت سلاماً ثم ولت لحاجة ونحن لعمرى يا ابنة الخير أشوق

فيا طيب ماريًّا ويا حسن منظر ... لهوتَ به لو أن رؤياك تصدق
ويوم أثالى قد عرفت رسومها ... فعُجْنا اليها والدموع ترقرق
وكادت تُبين القول لما سألتها ... وتخبرنى لو كانت الدار تنطق
فيادار سلمى هِجْت للعين عَبْرة ... فماء الهوى يرفضّ أو يترقرق

وفى هذه القصيدة يذكر خلاف الجلاح عليه

أيا قومنا ان تَقْبَلوا الحق فانتهُوا ... والا فأنياب من الحرب تُحرق
فجاؤا الى رَجْراجة مُكْفَهِرّة ... يكاد المدير نحوها الطرف يُصْعَق
سيوف وأرماح بأيدى أعزة ... وموضونة مما أفاد مُحَرّق
فما بَرِحوا حتى تركنا رئيسهم ... وقد حار فيه المَضْرحيّ المذلّق
وكائن ترى من ماجد وابن ماجد ... له طعنة نجلاء للوجه يشهق

وقال زهير فى ذلك أيضاً

سائل أُمَيْمة عنى هل وفيت لها ... أم هل منعت من المَخْزاة جيرانا
لا يمنع الضيف الا ماجد بطل ... إن الكريم كريم أينما كانا
لما أبى جيرتى الا مصممةً ... تكسو الوجوه من المخزاة ألوانا
ملنا عليهم بورد لا كِفاء له ... يَفْلِقن بالبيض تحت النقع أبدانا
اذا ارْجَحَنّوا علونا هامهم قدما ... كأنما نختلى بالهام خُطْبانا
كم من كريم هوى للوجه منعفر ... قد اكتسى ثوبه فى النقع الوانا
ومن عميد تناهى بعد عثرته ... تبدو ندامته للقوم خزيانا

زهير من المعمرين

بلغ زهير عمراً طويلا حتى ذهب عقله وكان يخرج تائهاً لايدرى اين يذهب فتلحقه المرأة من أهله والصبي فيرده ويقول له انى أخاف عليك الذئب أن يأكلك فأين تذهب ، فذهب يوماً من أيامه ولحقته ابنة له فردته فرجع معها وهو يهدج كأنه رأل وراحت عليهم سماء فى الصيف فعلتهم منها بَغْشة [1] ثم أردفها غيث منكر وسمع له زجلا منكراً ، فقال ما هذا يابنية ؟ فقالت عارض هائل ان اصابنا دون أهلنا هلكنا فقال انعتيه لى ، فقالت أراه منبطحا مُسْلَنْطِحاً قد ضاق ذرعاً وركب رَدْعا ، ذا هَيْدب يطير وهمامِهِم وزفير ينهض نهض الكسير عليه مثل شباريق الساج فى ظلمة الليل الداج يتضاحك مثل شعل النيران يهرب منه الطير ويوائل منه الحشرة . قال أى بنية وائلى منه الى عصر قبل ألاّ عَيْنَ ولا أثر

عن بعض مشايخ كلب عاش زهير بن جَناب خمسين ومائتى سنة أوقع فيها مائتى وقعة فى العرب ولم تجتمع قُضاعة الا عليه وعلى حُنّ بن زيد العُذْرى ولم يكن فى اليمن أشجع ولا أخطب ولا أوجه عند الملوك من زهير ، وكان يُدْعى الكاهن لصحة رأيه . وذكر حماد الراوية انه عاش اربعمائة وخمسين سنة . وقال الشَّرْقى بن القَطامى عاش اربعمائة سنة فرأته ابنة له فقالت لابن أخيها خذ بيد جدك ، فقال له من أنت ؟ فقال فلان بن فلان ابن فلانة فأنشأ يقول

أبَنِيَّ ان أهلِك فقد ... اورثتكم مجدا بنيـة
وتركتكم ابناء سـادا ... ت زنادكم وَرِيّة
ولكُلُّ ما نال الفتى ... قـد نلته الا التحية
والموت خـير للفتى ... فليَهْلِكَنْ وبه بقية
من ان يرى الشيخ البجا ... ل وقد تهادى بالعشية

---

(١) البغشة المطرة الضعيفة

ولقد شهدت النار للاســـلاف توقد فى طميّة [1]
ولقد رحلت البازل الـــكوماء ليس لها وليّة
وخطبت خطبة ماجد غير الضعيف ولا العيية
ولقد غدوت بمشرق الـــقطرين لم يغمر شظيه
فأصبت من بقر الجنا ب ضحى ومن حمر القفية

وقال فى كبره أيضاً وفيه غناء

الا يا لقومى لا أرى النجم طالعا ولا الشمس الا حاجبى بيمينى
[2]ومعزبتى عند القفا بعمودها فأقصى نكيرى أن أقول ذرينى
أمين على أسرارهن وقد أرى أكون على الأسرار غير أمين
فللموت خير من حداج موطأ على الظعن لا يأتى المحل لحين

وقال ايضاً فى كبره

ان تنسنى الأيام الا جلالة أمت حين لا تأسى على العوائد
فيأذى بى الأدنى ويشمت بى العدا ويأمن كيدى الكاشحون الاباعد

وقال أيضاً

لقد عمرت حتى لا أبالى أحتفى فى صباحى أم مسائى
وحق لمن أتت مائتان عاما عليه أن يملّ من الثواء
شهدت الموقدين على خزازى وبالسلان جمعاً ذا زهاء
ونادمت الملوك من آل عمرو وبعدهم بنى ماء السماء

وكان زهير اذا قال الا ان الحى ظاعن ظعنت قضاعة واذا قال الا ان الحى مقيم أقاموا فلما أن أسنّ نصب ابن أخيه عبد الله بن عُلَيم للرياسة فى كلب ، وطمع أن يكون كعمه وتجتمع قضاعة كلها عليه، فقال زهير يوماً الا ان الحى ظاعن، فقال عبد الله

---

(١) جبل بالبادية (٢) المعزبة الامة وامرأة الرجل

ألا ان الحى مقيم ، فقال زهير الا ان الحى مقيم ، فقال عبدالله الا ان الحى ظاعن ، فقال زهير من هـذا المخالف على منذ اليوم ، فقالوا ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال اعدى الناس للمرء ابن أخيه الا انه لا يَدَعُ قاتل عمه أو يقتله ، ثم أنشأ يقول

وكيف بمن لا أستطيع فراقه ... ومن هو ان لم يجمع الدار آلف
أمير شقاق ان أُقِم لا يُقِم معى ... ويرحل وان أرحل يُقِم ويخالف

ثم شرب الخمر صِرْفا حتى مات

الحارث بن وعلة الجرمى

من جَرْم بن زَبَّان من قُضاعة

كان وَعْلة الجَرْمىّ وابنه الحرث من فرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها وشهد وعلةُ الكُلابَ الثانى فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المِنْقَرى وطلبه ففاته ركضاً وعدواً ، وكان قيس يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء فبينا هو فى ذلك اذ أدرك وعلة وعليه مقطعات فقال له على يمينك ، قال على يسارى أقْصِدُ لى ، قال هيهات منك اليمن ، قال العراق منى أبعد ، قال انك لن ترى أهلك العام ، قال ولا أهلك أراهم ، وجعل وعلة يركض فرسه فاذا ظن أنها قد أعْيَت وثب عنها فعدا معها وصاح بها فتجرى وهو يجاريها ، فاذا أعيا وثب فركبها حتى نجا فسأل عنه قيس فعرف أنه وعلة الجرمى فانصرف وتركه فقال وعلة فى ذلك

فدًى لكما رِجْلَيَّ أمى وخالتى ... غداة الكُلاب اذ تُحَزُّ[1] الدوابر
نجوت نجاء لم ير الناس مثله ... كأنى عُقاب عند تَيْمَنَ كاسر
ولما رأيت الخيل تدعو مُقاعسا ... تنازعنى من ثُغْرة النحر جائر[2]

---

(١) فى لسان العرب اذ تحز الدوابر اى يقتل القوم فتذهب اصولهم ولا يبقى لهم أثر
(١) رواه ياقوت ويقطع منى ثغرة النحر جائر وانشد بعده البيت الذى قبله

فان أستطع لا تلتبس بى مُقاعس ولا يرنى مبداهم والمحاضر
ولا تك لى حدّادة مضرية اذا ما غدت قوت العيال تبادر

قتلت نَهْد أخا وَعْلة فاستعان بقومه فلم يعينوه فاستعان بحلفاء بنى نُمَيْر كانوا له حلفاء وأعواناً فأعانوه حتى أدرك بثاره فقال فى ذلك

سائل مجاور جَرْم هل جنيت لها حرباً تُزَيِّل بين الجيرة الخُلُط
أم هل علوت بجرار له لَجَب يغشى المخارم بين السهل والفرط
حتى تركت نساء الحى ضاحية فى ساحة الدار يستوقدن بالغُبُط[1]

ومن قوله وفيه غناء

ألم تعلموا أنى تُخاف عرامتى وان قَناتى لا تلين على القَسْر
وإنى وإياكم كمن نبه القَطا ولو لم تُنَبَّه باتت الطير لا تسرى
أناةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً فما أنا بالوانى ولا الضَّرِع[2] الغمر
أظن صروف الدهر والجهل منكم ستحملكم منى على مركب وَعْر

ومن شعر وعلة فى يوم الكُلاب

عذلتنى نَهْد فقلت لنَهْد حين جاشت على الكُلاب أخاها
يوم كنا لديهم طير ماء وتميم صقورها وبُزاها
لا تلوموا على الفرار فسعد يالَ نَهْد يخافها من يراها
انما همها الطعان اذا ما كره الطعن والضِّراب سواها
تركوا مَذْحِجا حديثا شَعاعا مثل طَسْم وحِمْير وصُداها
يالَ قَحْطان وادعو حى سعد وابتغوا سلمها وفضل نداها
ان سعد السعود اسْد غياض باسل بأسها شديد قواها

---

(١) الغبيط رحل قتبه واحناؤه واحدة جمعه غبط
(٢) الضرع الذليل المستكين والغمر من لم يجرب الامور مثلث الغين

فضحت بالكُلاب حارِ بن سعد وبنو كِندة الملوكُ أباها
أسْلَموا للمنون عبد يَغوث ويَعَضّ الكبول حولا يراها
بعد ألف سقُوا المنية صِرفا فأصابت فى ذاك سعد مناها
ليت نَهْداً وجَرْمها ومُرادا والمذاحيج ذو أُناة نهاها
عن تميم فلم تكن قَفْع قاع تبتدرها رَبابها ومَناها
قل لبكر العراق يستر عمراً عمرو قيس فرأى عمرو قراها
عن تميم لو غزتها لكانت مثل قحطان مستباحاً حماها

أبو الطمحان القينى

هو حنظلة بن الشَّرْقى القينى القضاعى

شاعر فارس خارب صُعْلوك من المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام فكان خبيث الدين فيهما . وكان تِرْبا للزبير بن عبد المطلب فى الجاهلية ونديماً له

جنى جناية فلحق هاربا ببنى فَزارة فنزل على رجل منهم يقال له مالك بن سعد من بنى شَمَّخ فآواه وأجاره فأقام مدة ثم تشوق يوماً الى أهله فقال لمالك لولا أن يدى تقصر عن دية جنايتى لعدت الى أهلى فقال له هذه ابلى فخذ منها دِيَةَ جنايتك واردُد ما شئت ثم ندم على ما قال وكره مفارقة موضعه ولم يأمن على نفسه فأتى مالكا فأنشده

سأمدح مالكا فى كل ركب لقيتهم وأترك كل رَذْل
فما أناو البكارة أو مخاض عظام جلّة سُدُس وبُزْل
وقد عرفت كلا بكم ثيابى كأنى منكم ونسيت أهلى
نمت بك من بنى شَمَّخ زناد لها ماشئت من فرع وأصل

فقال مالك مرحبا فانك حبيب ازداد حبا فأقم فى الرحب والسَّعة فلم يزل عندهم حتى هلك فى دارهم

لامته امرأته فى غاراته ومخاطرته بنفسه فقال لها

ولو كنت فى ريمان تحرس بابه أراجيل أحبوش وأغضف آلف
اذا لأتتنى حيث كنت منيتى يخبُّ بها هاد بأمرى قائف
فمن رهبة آتى المتالف سادرا وأيةُ أرض ليس فيها متالف

ومدح بجير بن أوس به حارثة بقوله

اذا قيل أى الناس خير قبيلة وأصبر يوماً لا توارى كواكبه
فان بنى لأم بن عمرو أرومة علت فوق صعب لا تنال مراقبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
لهم مجلس لا يحصرون عن الندى اذا مطلب المعروف أجدب راكبه

وقال لبجير أيضا

أرقت وآبتنى الهموم الطوارق ولم يلق ما لاقيت قبلى عاشق
اليكم بنى لام تخبُّ هجانها بكل طريق صادفته شبارق
لكم نائل غمر وأحلام سادة وألسنة يوم الخطاب مسالق
ولم يدع داع مثلكم لعظيمة اذا رزمت بالساعدين السوارق[1]

ومن شعره

الا عللانى قبل نوح النوائح وقبل نشور النفس بين الجوانح
وقبل غدٍ يالهف نفسى على غد اذا راح أصحابى ولست برائح

ومنه

اذا كان فى صدر ابن عمك إحنة فلا تستثرها سوف يبدو دفينها
وان حمأة المعروف أعطاك صفوها فخذ عفوه لا يلتبسْ بك طينها

ونزل بالزبير بن عبد المطلب ثم استأذنه فى الرجوع الى أهله فلم يأذن له فأقام عنده مدة ثم قال

الا حنّت المرقالُ وائتبَّ ربها تذكر أوطانا واذكر معشرى

---

(١) الجوامع

ولو عرفت صرف البيوع لسرها بمكة ان تبتاع حمضا بإذخر
أسرك لو أنا بجنبي عنيزة وحمض وضمران الجناب وصعتر
اذا شاء راعيها استقى من وقيعة كعين الغراب صفوها لم يكدر

فلما أنشده إياها أذن له فانصرف وكان نديما له

شعراء كهلان

شعراء كندة

مجربه عمرو

ولايته على ربيعة

أقبل تُبَّع أيام سار الى العراق فنزل بأرض مَعَدّ فاستعمل عليهم حُجْر بن عمرو وهو آكل المُرار فلم يزل ملكا حتى خرف وله من الولد عمرو ومعاوية الجون. ثم أن زياد بن الهَبولة بن عمرو القُضاعي أغار عليه (وهو ملك فى ربيعة بن نزار ومنزله بغَمْر ذى كِنْدَة) فأخذ مالا كثيراً وسبى امرأة حجر وهى هند بنت ظالم وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل، فلما بلغ حُجْرا وبكر بن وائل مُغاره وما أخذ أقبلوا معه، فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن مُحَلّم الشيبانى وقالا لحُجْر انا متعجلان الى الرجل لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا فلقياه دون عين أُباغ، فكلمه عوف بن مُحَلّم وقال له ياخير الفتيان أردد على ما أخذته منى، فأعطاه إياه، وكلمه عمرو بن معاوية فى فحل ابله، فقال خذه، فاخذه عمرو وكان قوياً فجعل الفحل ينزع الى الابل، فاعتقله عمرو فصرعه، فقال له ابن الهَبولة أما والله يا بنى شَيْبان لو كنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الابل لكنتم أنتم أنتم، فقال عمرو أما والله لقد وهبت قليلا وشتمت جليلا ولقد جررت على نفسك شراً ولتجدنّى عند ماساءك، ثم ركض حتى صار الى حُجْر فأخبره الخبر، فأقبل حجر فى أصحابه حتى اذا كان بمكان يقال له الحفير وهو دون عين أُباغ بعث سَدوس بن شيبان وصليع بن عبد غَنْم يتجسسان الخبر ويعلمان له علم العسكر

فخرجا حتى هجما على عسكره وقد أوقد ناراً ونادى مناد له من جاء بحزمة من حطب فله فِدْرة من تمر فاحتطب سدوس وصليع ثم أتيا به ابن الهَبولة فطرحاه بين يديه فناولهما من التمر وجلسا قريباً من القبة ، فأما صليع فقال هذه آية وعلم مايريد فانصرف الى حُجْر فأعلمه بعسكره وأراه التمر ، وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بأمر جلي ، فلما ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه وقد تفرق أهل العسكر فى كل ناحية ودنا سدوس من القبة فكان حيث يسمع الكلام فدنا ابن الهَبولة من هند امرأة حجر وقال لها ما ظنك الآن بحُجْر لو علم بمكانى منك ؟ قالت ظنى به والله انه لن يَدَع طلبك حتى يدع القصور الحمر وكأنى أنظر اليه فى فوارس من بنى شيبان يذْمُرهم ويذمُرونه وهو شديد الكَلَب سريع الطلب يُزبد شِدقاه كأنه بعير آكل مُرار (فسمى حجرا آكل المرار يومئذ) ، فقال لها ما قلت هذا الا من عُجْبك به وحبك له فقالت والله ما أبغضت ذا نسمة قط بغضى له ولا رأيت رجلا قط أحزم منه نائماً ومستيقظاً ان كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حى لا ينام ، وذلك كله باذن سدوس ، فلما نامت الأحراس خرج يَسْرى ليلته حتى صبح حُجْرا فقال

أتاك المرجفون برجم غيب ... على دهش وجئتك باليقين
فمن يك قد أتاك بأمر لبس ... فقد آتى بأمر مستبين

ثم قص عليه جميع ماسمع فأسف ونادى بالرحيل فساروا حتى انتهوا الى عسكر ابن الهبولة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم أصحاب ابن الهبولة وعرفه سدوس فحمل عليه فاعتنقه وصرعه فقتله وبصر به عمرو بن معاوية فشد عليه فأخذ رأسه منه وأخذ سدوس سلبه وأخذ حجر هندا فربطها بين فرسين ثم ركضا بها حتى قطعاها قطعا وقال فيها

لمن النار أوقدت بحفير ... لم ينم عند مصطلى مقرور
أوقدتها احدى الهنود وقالت ... أنت ذا موثق وثاق الاسير
ان من غره النساء بشيء ... بعد هند لجاهل مغرور

حلوة القول والنساء ومر كل شئ أجن منها الضمير
كل انثى وان بدالك منها آية الحب حبها خيتعور (١)

عمرو بن حجر المقصور

وكان عمرو بن حُجْر وهو المقصور ملكا بعد أبيه وكان معاوية بن حجر وهو الجَوْن ملكاً على اليمامة ، ولما مات عمرو ملك بعده ابنه الحرث وكان شديد الملك بعيد الصيت ، ولما ملك قُباذ بن فيروز خرج فى أيامه مزدك فدعا الناس الى الزندقة واباحة الحرم والا يمنع أحد منهم أخاه مايريده من ذلك ، وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحِيرة ونواحيها ، فدعاه قُباذ الى الدخول معه فى ذلك فأبى ، فدعا الحرث بن عمرو فأجابه فشدد له ملكه واطرد المنذر عن مملكته وغلب على ملكه ، ولما هلك قُباذ ملك ابنه انوشروان فجلس فى مجلس الملك ، وبلغ المنذر هلاك قُباذ فاقبل الى انوشروان وقد علم خلافه على ابيه فيما كانوا دخلوا فيه ، فاذن انوشروان للناس فدخل عليه مزدك ، ثم دخل المنذر ، فقال انوشروان انى كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لى ، فقال مزدك وما هما أيها الملك ؟ قال تمنيت أن أملك فاستعمل هذا الرجل الشريف (يعنى المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزدك أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم ؟ قال انك لهنا وأمر به فقتل وصلب وأمر بقتل الزنادقة ، فقتل منهم مابين خازر الى النَّهْرَوان الى المدائن فى ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم وطلب الحارث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالأَنبار فخرج هارباً فى هجائنه وماله وولده فمر بالثَّوِيّة وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وبَهْرَاء واياد ، فلحق بارض كلب فنجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بنى آكل المُرار فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بجفر الاملاك فى ديار بنى مَرِينا العباديين بين ديرهند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم

---

(١) يتلون ولا يدوم على حال

فآبوا بالنِّهاب وبالسبايا وأُبْنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بنى حُجْر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة اصيبوا ولكن فى ديار بنى مَرِينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن فى الدماء مزملينا
تَظَلّ الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

ومضى الحرث فاقام بأرض كاب حتى مات

وكان الحرث قد فرق بنيه فى قبائل العرب

فملك ابنه حجرا على بنى أسد وغَطَفان — وملك ابنه شُرَحبيل على بكر ابن وائل بأسرها وبنى حنظلة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بنى دارم من تميم والرَّباب — وملك ابنه معد يكرب وهو غَلْفاء على بنى تَغْلِب والنَّمِر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بنى دارم بن حنظلة والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قوم كانوا يكونون مع الملوك من شُذَّاذ العرب وملك ابنه عبد الله على عبد القيس وملك ابنه سَلَمة على قيس ، فلما هلك الحرث تشتت أمر بنيه وتفرقت كلمتهم وكانت المغاورة بين الاحياء الذين معهم وتفاقم الامر حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع

يوم الكلاب الاول

سار شرحبيل ومن معه فنزلوا الكُلاب (وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليال من اليمامة) وأقبل سلمة بن الحرث فيمن معه ، وكان نصحاء شرحبيل وسلمة نَهَوْهما عن الحرب والفساد والتحاسد وحذروهما عثرات الحرب وسوء مَغَبَّتها فلم يقبلا ولم يبرحا وأقاما على التتابع [1] واللجاجة فى أمرهما وكان

(١) يقال يتتابع فى الامور أى يرمى بنفسه فيها من غير تثبت

أول من ورد الكلاب من جمع سلمة سفيانُ بن مجاشع بن دارم وكان نازلا فى بنى تغلب مع اخوته لامه فقتلت بكر بن وائل بنين له فيهم مُرَّة بن سفيان فقال سفيان وهو يرتجز

الشيخ شيخ ثكلان والجوف جوف حرّان
والورد ورد عجلان يامُرَّة بن سفيان

وأول من ورد الماء من بنى تغلب النعمان بن قُرَيع بن حارثة بن معاوية بن عبد جُشَم وعبد يغوث بن دوس على فرس له يقال له الحرون ، ثم ورد سلمة ببنى تغلب ، فاقتتل القوم قتالا شديداً وثبت بعضهم لبعض حتى اذا كان فى آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة والرباب بكر بن وائل وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بنى تغلب وصبر ابنا وائل بكر وتغلب ليس معهم غيرهم ، حتى اذا غشيهم الليل نادى منادى سلمة من أتى برأس شُرَحْبيل فله مائة من الابل ، وكان شُرَحْبيل نازلا فى بنى حنظلة فغفروا عنه وعرف مكانه أبو حَنَش عُصَم بن النعمان من بنى جُشَم بن بكر فَصَمد نحوه فلما انتهى اليه رآه جالساً وطوائف الناس يقاتلون فطعنه بالرمح ثم نزل اليه فاحتز رأسه وألقاه اليه ، فقال معديكرب أخو شرحبيل وكان صاحب سلامة معتزلا عن جميع هذه الحروب

ألا أبلغ أبا حَنَش رسولا فما لك لاتجىء الى الثواب
تعلّم أن خير الناس طراً قتيل بين أحجار الكُلاب
تداعت حوله جُشَم بن بكر وأسلمه جعاسيس (١) الرباب
قتيل ماقتيلك ياابن سلمى تضر به صديقك أو تحابى

وقال أيضاً يرثيه

ان جنبى عن الفراش لَناب كتجافى الأسَرِّفون الظِّراب
من حديث نمى الى فلا تر فأ عينى ولا أسيغ شرابى

(١) الجعسوس القصير الدميم

مرة كالذُّعاف أكتمها النا س على حرّ ملّة كالشهاب
من شُرَحبيل اذ تعاوَرُه الأر ماح فى حال لذّة وشباب
يا ابن أمى ولو شهدتك اذ تد عو تميما وأنت غير مجاب
لتركت الحسام تجرى ظُباه من دماء الأعداء يوم الكُلاب
ثم طاعنت من ورائك حتى تبلغ الرحب أو تُبَز ثيابى
يوم ثارت بنو تميم وولت خيلهم يتقين بالأذناب
ويحكم يا بنى أُسَيِّد انى ويحكم ربكم ورب الرباب
أين معطيكم الجزيل وحابـــيكم على الفقر بالمئين اللباب
فارس يضرب الكتيبة بالســـيف على نحره كنضح المذاب
فارس يطعن الكماة جريئ تحته قارح كلون الغراب

ولما قتل شرحبيل قامت بنو سعد بن زيد مناة دون عياله فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم ودفعوا عنهم حتى الحقوهم بقومهم ومأمنهم وفى ذلك يقول امرؤ القيس

ألا ان قوما كنتم أمس دونهم هم منعوا جاراً لكم آل غُدْران
عُوَير ومن مثل العُوَير ورهطه وأسعد فى ليل البلابل صفوان
ثياب بنى عوف طَهارَى نقية وأوجههم عند المشاهد غُرّان

حديث حجر وبنى أسد

كان لحجر إتاوة فى كل سنة على بنى أسد فعمر ذلك دهراً ، ثم بعث اليهم جابيه الذى كان يجبيهم فمنعوه ذلك وحُجْر يومئذ بتهامة وضربوا رسله وضرجوهم ضرجاً شديداً قبيحاً فبلغ ذلك حُجْرا فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم فأخذ سراتهم فجعل يقتلهم بالعصا (فسموا عبيد العصا)

وأباح الاموال وصيرهم الى تهامة وآلى بالله الا يسا كنوهم فى بلد أبداً وحبس منهم عمرو بن مسعود الأسدى وكان سيداً وعبيد بن الابرص الشاعر ، فسارت بنو أسد ثلاثاً ثم أن عبيد بن الابرص قام فقال أيها الملك اسمع مقالتى

يا عين فابكي ما بنى أسـد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر والنـــعم المؤبَّل والمدامـة
وذوى الجياد الجُرْد والـــأسـل المثقَّفة المقامـة
حِلاً أَبَيْتَ اللعن حـــلا ان فيما قلت آمة
فى كل واد بين يـــثرب فالقصور الى اليمامة
تطريب عان أو صـــياح محرق أو صوت هامة
ومنعتهم نجـداً فقد حلوا على وَجَل تهامة
بَرِمت بنو أسـد كما برمت ببيضتها الحمامـة
جعلت لها عودين من نشَم وآخر من ثُمامة
إما تركت تركت عفـــواً أو قتلت فلا ملامة
أنت المليك عليهم وهم العبيد الى القيامة
ذلوا لسوطك مثل ما ذل الأشيقر ذو الخزامة

فرقَّ لهم حجر حين سمع قوله ، فبعث فى أثرهم فأقبلوا ، حتى اذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة الأسدى فقال لبنى اسد « ياعبادى » قالوا لبيك ربنا ، قال من الملك الأصهب الغلاَّب غير المغلَّب فى الأبل كأنها الرَّبْرَبْ هذا دمه يتشعب وهو غداً أول من يسلب ؟ قالوا من هو يا ربنا ؟ قال لولا أن تجيش نفس جاشية لأخبرتكم أنه حجر ضاحية ، فركبوا كل صعْب وذلول ، فما أشرق لهم النهار حتى أتَوْا على عسكر حجر ، فهجموا على قبته وأقبل علباء بن الحرث الكاهلى وكان حُجْر قتل أباه فطعنه من خلفهم فأصاب نساه فقتله ، فلما قتلوه قالت بنو أسد يامعشر كنانة وقيس أنتم أخواننا وبنو عمنا

والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم، فشدوا على هجائنة فمزقوها ولفوه فى رَيْطَة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق، فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه ووثب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال أنا لهم جار، وكان حُجْر قبل أن يموت أوصى ودفع كتابه الى رجل وقال له انطلق الى ابنى نافع وكان أكبر ولده فان بكى وجزع فالهُ عنه واستقرهم واحداً واحداً حتى تأتى امرأ القيس وكان أصغرهم فأيهم لم يجزع فادفع اليه سلاحى وخيلى وقدورى ووصيتى، وقد كان بين فى وصيته من قتله وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته الى نافع ابنه فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم استقراهم واحداً فواحداً فكلهم فعل ذلك حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد، فقال قتل حجر، فلم يلتفت الى قوله، وأمسك نديمه، فقال له امرؤ القيس اضرب، فضرب حتى اذا فرغ قال ما كنت لأفسد عليك دستك، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه فأخبره، فقال الخمر علىَّ والنساء حرام حتى أقتل من بنى أسد مائة واجزّنوا صى مائة وفى ذلك يقول

أرقت ولم يأرق لما بى نافع وهاج لى الشوق الهموم الروادع

وكان حجر قد طرد امرأ القيس وآلى الا يقيم معه أنفة من قوله الشعر وكانت الملوك تأنف من ذلك فكان يسير فى أحياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب من طيئ وكلب وبكر بن وائل فاذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه فى كل يوم وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه الى غيره، فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدَمُّون من أرض اليمن فقال

تطاول الليل علىَّ دَمُّون دَمُّون إنا معشر يمانون وانما لأهلها محبون

ثم قال ضيعنى صغيراً وحملنى دمه كبيراً لاصحو اليوم ولاسكر غدا اليوم خمر وغدا أمر (فذهبت مثلا) ثم قال

خليلى لافى اليوم مَصْحَى لشارب ولافى غد اذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعا فلما صحا آلى ألا يأكل لحما ولا يشرب خمراً ولا يدّهن بدهن ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك بثاره ، فلما جنه الليل رأى برقا فقال

أرقت لبرق بليل أهلّ ... يضيء سناه بأعلى الجبل
أتانى حديث فكذبته ... بأمر تزعزع منه القُلَل
بقتل بنى أسد ربهم ... الا كل شيء سواه جلَل
فأين ربيعة عن ربها ... وأين تميم وأين الخول
ألا يحضرون لدى بابه ... كما يحضرون اذا ما أكل

وقال أيضاً

والله لا يذهب شيخى باطلا ... حتى أُبير مالكا وكاهلا
القاتلين الملك الحُلاحلا ... خير معد حسبا ونائلا
يا لهف هند اذ خطئن كاهلا ... نحن جلبنا القُرَّح القوافلا
يحملننا والأُسل النواهلا ... مستئفرات بالحصى جوافلا

روح الانتقام

قدم على امرئ القيس بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بنى أسد كهول وشبان فيهم المهاجر بن خداش ابن عم عَبيد بن الأبرص و قبيصة بن نعيم وكان فى بنى أسد مقيما وكان ذا بصيرة بمواقع الامور و رِدا واصدارا يعرف ذلك له من كان محيطا بأكناف بلده من العرب ، فلما علم بمكانهم أمر بانزالهم وتقدم باكرامهم والافضال عليهم ، واحتجب منهم ثلاثا فسألوا من حضرهم من رجال كندة ، فقالوا هو فى شغل باخراج ما فى خزائن حجر من السلاح والعدة ، فقالوا اللهم غفراً انما قدمنا فى أمر نتناسى به ذكر ماسلف ونستدرك به ما فرط فليبلغ

ذلك عنا ، فخرج عليهم فى قباء وخف وعمامة سوداء (وكانت العرب لا تعتم بالسواد الا فى التِّرات) فلما نظروا اليه قاموا له وبدر اليه قَبيصة فقال ، انك فى المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتنتقل به أحواله بحيث لا تحتاج الى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرب ولك من سودد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك فى العرب ما يحتمل ما حمل عليه من اقالة العثرة ورجوع عن هفوة ولا تتجاوز الهمم عن غاية الا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح فى الذى كان من الخطْب الجليل الذى عمت رزيته نِزارا واليمن ولم تخصص كِندة بذلك دوننا للشرف البارع كان لُحجْر، التاج والعمة فوق الجبين الكريم واخاء الحمد وطيب الشيم ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخِلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه به ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أخراه ولا يلحق أقصاه أدناه فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى احدى خلال ، اما ان اخترت من بنى أسد أشرفها بيتاً وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا فقُدْناه اليك بنِسعة يذهب مع شفرات حسامك فيقال رجل امتحن بهلك عزيز فلم تستل سخيمته الا بتمكينه من الانتقام، أو فداء بما يروح من بنى أسد من نعمها فهى ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القُضُب الى أجفانها لم يردده تسليط الاحن على البرآء ، واما ان توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الازر ونعقد الخمر فوق الرايات، فبكي ساعة ثم رفع رأسه فقال

لقد علمت العرب الاّ كُفْء لحجر فى دم وانى لن أعتاض به جملا أو ناقة فأكتسب بذلك سُبَّة الأبد وفَتَّ العضد، وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة فى بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها سبباً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقا وفوق الأسنة علَقا

اذا جالت الخيل فى مأزِق تدافع فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا بل ننصرف بأسوأ الاختيار وأبلى الاجترار لمكروه واذية وحرب وبلية ، ونهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلا

لعلك أن تستوخم الموت ان عدت كتائبنا فى مأزق الموت تُحضر

فقال امرؤ القيس لا والله لا استوخمه أبدا فرُوَيْدا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير ، ولقد كان ذكر غير هذا أولى لى اذ كنت نازلا بربعى ولكنك قلت فأجبت ، فقال قبيصة مانتوقع فوق قدر المعاتبة والاعتاب، قال امرؤ القيس فهو ذاك

ارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكراً وتغلب فسألهم النصر على بنى أسد، وبث العيون والارصاد على بنى أسد فنذروا بالعيون ولجؤا الى بنى كنانة وكان الذى أنذرهم بهم علباء بن الحرث ، فلما كان الليل قال لهم يامعشر بنى أسد تعلمون والله ان عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت اليه بخبركم فارحلوا بليل ولا تعلموا بنى كنانة ، ففعلوا وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى الى بنى كنانة وهو يحسبهم بنى أسد فوضع فيهم السلاح وقال ياثارات الملك يالثارات الهمام، فخرجت اليه عجوز من بنى كنانة فقالت أبيت اللعن لسنا لك بثار نحن من كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فان القوم ساروا بالأمس، فتبع بنى أسد ففاتوه ليلتهم تلك فقال فيهم

الا ياهف هند اثر قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببنى أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب يعنى بهم كنانة
وأفلتهن علباء جريضاً ولو أدركنه صفر الوطاب

ثم أدركهم ظُهراً وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش وبنو أسد حامون على الماء فتهد اليهم فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم وحجز الليل بينهم وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا له قد أصبت ثأرك قال والله ما فعلت ولا أصبت من بنى كاهل ولا من غيرهم من بنى أسد أحداً قالوا بلى ولكنك رجل مشئوم وانصرفوا عنه ، فخرج من فوره

ذلك الى اليمن فاستنصر أزْدشنوءة فأبَوْا أن ينصروه وقالوا اخواننا وجيراننا فنزل بقَيْل يدعى مرثد الخير بن ذى جَدَن الحميرى وكانت بينهما قرابة فاستنصره واستمده على بنى أسد فأمده بخمسمائة رجل من حمير ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس فأنفذ له ذلك الجيش خلفه فرحل وتبعه شذاذ من العرب واستأجر من قبائل العرب رجالا فسار بهم الى بنى أسد، وكان المنذر اللخمى يطلبه فألح فى طلبه ووجه الجيوش فى ذلك من اياد وبَهْرَاء وتَنُوخ وأمده أنو شروان بجيش من الاساورة فسرحهم فى طلبه، وتفرق حمير ومن كان معه عنه فنجا فى عصبة من بنى آكل المُرار حتى نزل بالحرث بن شهاب من بنى يَرْبوع ومعه أدراع خمسة الفَضْفاضة والضافية والمحصنة والخِرْبق وأم الذيول كن لبنى آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك، فقاما لبثوا عند الحرث حتى بعث اليه المنذر يتوعده بالحرب ان لم يسلم اليه بنى آكل المُرار فأسلمهم ، ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحرث وهند بنت امرىء القيس والأدرع والسلاح ومال كان بقى معه فنزل فى أرض طيىء على رجل من بنى جديلة يقال له المعلّى بن تَيْم ففى ذلك يقول

كأنى اذ نزلت على المعلى ... نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلّى ... بمقتدر ولا ملك الشام
أقر حشَى امرىء القيس بن حجر ... بنو تيم مصابيح الظلام

فلبث عنده واتخذ ابلا هناك فغدا قوم من بنى جَديلة فطردوا الابل ، وكانت لامرىء القيس رواحل مقيدة عند البيوت خوفا من أن يدهمه أمر ليسبق عليهن فخرج حينئذ فنزل ببنى نَبْهان من طيىء، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الابل فأخذتهن جَديلة فرجعوا اليه بلا شىء ففرقت عليه بنو نبهان فرقا من معزى يحلبها فقال

اذا ما لم نجد ابلا فمعزى ... كأن قرون جلّتها العِصِى
اذا ما قام حالبها أرنّت ... كأن القوم صبحهم نعِىّ
فتملأ بيتنا أقطا وسمنا ... وحسبك من غنى شبع وري

فكان عندهم ما شاء الله ، ثم خرج فنزل بعامر بن جوين واتخذ عنده ابلا وعامر يومئذ أحد الخلعاء الفتاك قد تبرأ قومه من جرائره فكان عنده ما شاء الله ، ثم هم أن يغلبه على أهله وماله ففطن امرؤ القيس ، فانتقل الى رجل من بنى ثُعَل يقال له حارثة بن مر فاستجار به فوقعت الحرب بين عامر وبين الثعلى ، فخرج من عندهم فنزل برجل من بنى فزارة فطلب منه الجوار حتى يرى ذات غيبه فقال له الفزارى ، يا ابن حُجْر انى أراك فى خلل من قومك وانا أنفس بمثلك من أهل الشرف وقد كدت بالامس تؤكل فى دار طيىء وأهل البادية أهل وبر لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذؤبان من قيس أفلا أدلك على بلد فقد جئت قيصر وجئت النعمان فلم أر لضيف نازل ولا لمجتدٍ مثله ولا مثل صاحبه ، قال من هو؟ واين منزله ؟ قال السَّمَوْءل بتيماء وسوف أضرب لك مثله هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيبك وهو فى حصن حصين وحسب كبير ، فمضى حتى قدم على السموءل فأنزله عنده مكرماً ، ثم انه طلب اليه أن يكتب له الى الحرث ابن ابى شمر الغسانى بالشام ليوصله الى قيصر ففعل ، ومضى امرؤ القيس حتى انتهى الى قيصر فقبله واكرمه وكانت له عنده منزلة ، ثم أن قيصر ضم اليه جيشا كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك ، فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه ان العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم ينزوك بمن بعثت معه ، فبعث اليه قيصر بحلة وشى مسمومة منسوجة بالذهب وقال له انى أرسلت اليك بحلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك فاذا وصلت اليك فالبسها واكتب لى بخبرك من منزل منزل ، فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره فأسرع فيه السم وسقط جلده ، فلذلك سمى ذا القروح ، فلما صار الى أنقرة احتضر بها فقال

رب خطبة مسحنفرة[1] وطعنة مثعنجرة[2]
وجفنة متحيرة حلت بارض أنقرة

ورأى قبر امرأة من بنات الملوك ماتت هناك فدفنت فى سفح جبل يقال له عسيب فسأل عنها فأخبر بقصتها فقال

---

(١) لم يتوقف فيها صاحبها (٢) سائل دمها

اجارتنا ان المزار قريب وانى مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة فقبره هناك

وامرؤ القيس يعرف بالملك الضليل وذى القروح واياه عنى الفرزدق بقوله

وهب القصائد لى النوابغ اذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

يعنى بأبى يزيد المخبل السعدى وجرول الحطيئة

وكانوا يقولون أحسن الناس ابتداء فى الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

« ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالى »

وحيث يقول « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

تنازع امرؤ القيس علقمة بن عبدة الفحل فى الشعر فقال له قد حكّمت بينى وبينك امرأتك فقالت لهما قولا شعراً على روى واحد وقافية واحدة صفا فيه الخيل فقال امرؤ القيس :

خليلىّ مرابى على أم جندب لنقض لُبانات الفؤاد المعذب
فانكما ان تنظرانى ساعة من الدهر تنفعنى لدى أم جندب
ألم تريانى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وان لم تطيّب
عقيلة أتراب لها لا دميمة ولاذات خلق إن تأملت جأنب (١)
ألا ليت شعرى كيف حادث وصلها وكيف تراعى وصلة المتغيب
أقامت على ما بيننا من مودة أُمَيمة أم صارت لقول المُخبّب (٢)
فان تنأ عنها حقبة لا تنالها فانك مما أحدثت بالمجرب
وقالت متى يبخل عليك ويُعتلل يسؤك وان يكشف غرامك تذرب

(١) خلق جأنب اذا كان قبيحاً كزا (٢) الذى يسعى بالفساد

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... سوالكَ نقبًا بين حزمى شعبعب
علون بأنطاكية (١) فوق عقمة ... كجرمة نخل أو كجنة يثرب
ولله عينا من رأى من تفرق ... أشتّ وأنأى من فراق المحصّب
فريقان منهم سالك بطن نخلة ... وآخر منهم جازع نجد كبكب
فعيناك غربًا جدول فى مفاضة ... كمر الخليج فى صفيح المصوّب
وانك لم تقطع لبانة عاشق ... بمثل غدو او رواح مؤوب
بأدماء (٢) حرجوج كأنّ قتودها ... على أبلق الكشحين ليس بمغرب
يغرد بالأسحار فى كل سدفة (٣) ... تغرد ميّاح الندامى المطرّب
أقبّ (٤) رباع من حمير عماية ... يمج لعاع البقل فى كل مشرب
بمحنية قد آزر الضّال نبتها ... مجرّ جيوش غانمين وخيّب
وقد اغتدى والطير فى وكناتها ... وماء الندى يجرى على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد لاحه (٥) ... طراد الهوادى كل شأو مقرّب
على الأين جيّاش كأن سراته (٦) ... على الضمر والتعداء سرحة مرقب
يبارى الخنوف (٧) المستقلّ زماعه ... ترى شخصه كأنه عود مشجب
له أيطلا (٨) ظبى وساقا نعامة ... وصهوة عير قائم فوق مرقب
ويخطو على صمّ صلاب كأنها ... حجارة غيل وارسات (٩) بطحلب

---

(١) ثياب صنعن بها والعقمة الثوب الأحمر
(٢) الادماء الناقة البيضاء والقتد خشب الرحلة جمعه قتود والمغرب الابيض الأشفار والوجه
(٣) السدفة طائفة من الليل والمياح الذى يميح فى ناحية من النشوة
(٤) الاقب خميص البطن والرباع من السن والانثى رباعية واللعاع نبت ناعم أول مايبدو
(٥) لاحه اهزله وأضمره والهوادى السوابق المتقدمات
(٦) السراة الظهر والمرقب الموضع الذى يرقب منه
(٧) الخنوف الذى يرمى بيديه فى السير فهو أسرع له وأوسع والزماع الشعرات التى خلف اليته
(٨) الايطل الخاصرة والصهوة الظهر
(٩) الوارسات المصفرات

له كَفَلٌ كالدِّعْصِ لبّده الندى ... الى حارِكٍ (١) مثل الغبيط المذأّب

وعين كمرآة الصّناع تديرها ... بمَحْجَرِها من النصيف المنقب

له أذنان تعرف العتق فيهما ... كسامعتَيْ مذعورة وسط رَبْرَب

ومستفلك (٢) الذّفرى كأن عنانه ... ومُثْناتَه فى رأس جذع مُشذَّب

وأسحم (٣) رَيّانُ العَسيب كأنه ... عَثا كيلُ قِنْوٍ من سميحة مُرْطِب

اذا ماجرى شَأْوَيْن وابتلّ عِطْفُهُ ... تقول هزيز الريح مرت بأَثْأَب (٤)

يدير (٥) قطاةَ كالمَحالة أشرفت ... الى سند مثل الغبيط المذأّب

فيوماً على سرب نقى جلودُه ... ويوماً على بَيْدانة (٦) أم تَوْلب

فبينا نعاجٌ يرتمين خميلة (٧) ... كمشى العذارى فى المُلاء المهدب

فكان تنادينا وعقد عذاره ... وقال صحابى قد شأونَك (٨) فاطلب

فلأيا بلأى (٩) ما حملنا غلامنا ... على ظهر محبوك السَّراة مُحَنَّب

وولى كشؤبوب (١٠) العشى بوابل ... ويخرجن من جَعْد تراهُ مُنَصَّب

فلاساق ألْهُوب (١١) وللسوط دِرَّة ... وللزجر منه وقع أخرجَ مِهذَب

فأدرك لم يَجْهَد ولم يثن شأوه ... يمر كخذروف (١٢) الوليد المثقَّب

ترى الفأر فى مستيفع القاع لاحباً ... على جَدَدِ الصحراء من شد مُلْهب

---

(١) الحارك أعلى الكاهل والمذأب الموسع

(٢) الذفرى العظم خلف الاذن والمثناة الحبل المشدود فى رأسه

(٣) أسحم ذنب أسود والعثا كيل الشماريخ وسميحة اسم بئر (٤) شجر

(٥) القطاة معقد الرديف والمحالة البكرة

(٦) البيدانة الحمارة التولب ولدها

(٧) الخميلة رملة فيها شجر والمهدب الذى له هدب

(٨) شأونك سبقتك (٩) اللأى البطء والمحنب المقوس

(١٠) الشؤبوب الدفعة من المطر والجعد الغبار والمنصب الذى انتصب على كل شىء وغطاه مثل الدخان

(١١) الالهوب شدة جرى الفرس والدرة اسم مادر من اللبن وغيره والأخرج الظليم والمهذب الشديد العدو

(١٢) الخذروف الدوارة التى يلعب بها الصبيان

خفاهن [١] من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشى مُجَلَّب
فعادى عِداء بين ثور ونعجة وبين شبوب [٢] كالقضيمة قَرْهب
وظل لثيران الصَّريم [٣] غماغم يداعسها بالسَّمْهَرِيّ المعلَّب
فكاب على حُرِّ الجبين ومتَّق [٤] بمَدْرِية كأنها ذلق مِشْعَب
وقلنا لفتيان كرام الا انزلوا فعالُوا علينا فضل ثوب مُطَنَّب
وأوتاده مازية [٥] وعماده ردينية فيها أسنة فَعْضَب
وأطنابه أشْطان [٦] خُوص نجائب وصهوته من أتحمى مُشَرْعَب
فلما دخلناه أضفنا ظُهورنا الى كل حَارِيّ [٧] جديد مُشَطَّب
كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزْعُ الذى لم يُثَقَّب
نَمُش [٨] بأعراف الجياد أكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مُضَهَّب
ورحنا كأنا من جُؤَاثَى [٩] عشية نعالى النعاج بين عدْل ومحقب
وراح كتيس الرَّبْل [١٠] ينفض رأسه أضاة به من صائك متحلب
كأن دماء الهاديات بنحره عُصارة حِنّاء لشيب مُخَضَّب
وأنت اذا استدبرته سد فرجه بضاف فُوَيق الأرض ليس بأصْهَب

---

(١) خفاهن أظهرهن والودق المطر والمجلب الذى له جلبة
(٢) الشبوب الثور الفتى والقضيمة الصحيفة البيضاء والقرهب المسن من كل دابة ومن الوعول
(٣) الصريم رمل منقطع من الرمال والغماغم أصوات الثيران يداعسها يطاعنها والمعلب المشدود بالعلباء وهى عصبة تشد على العصاة اذا خافوا أن تتكسر
(٤) المدرية القرن وذلق حد والمشعب مخرز يشعب به النعال .
(٥) المازية الدروع البيض وفعضب رجل كان يصنع الرماح
(٦) الأشطان الحبال والخوص النوق الغائرة العيون وألا تحمى ضرب من الثياب والمشرعب المصنف
(٧) الحارى منسوب الى الحيرة والمشطب من السيوف ما فيه الشطب وهى طرائق
(٨) نمش نمسح والمضهب الذى لم يبلغ نضجه (٩) جؤاثى قرية بالبحرية
(١٠) الربل نبت ينبت فى آخر الصيف واستقبال الشتاء والصائك الريح المتغيرة والمتحلب المنصب والأضاة الغدير

وقال علقمة بن عبدة

ذهبتَ من الهجران فى كل مذهب ... ولم يَكُ حقا كلُّ هذا التجنب

ليالىَ لا تبلَى نصيحة بيننا ... ليالى حلوا بالسِّتار فعرب

مُبتَّلة (١) كأن أنضاء حَلْيها ... على شادن من صَاحة مُتَرَبِّب

مَحال (٢) كأجواز الجراد ولؤلؤ ... من القَلعى والكبيس (٣) المُلوَّب

اذا ألحم الواشون للشر بيننا ... تبلغ راسى الحب غير المكذب

وما أنت أما ذكرها ربعيـة ... نحل بإير أو بأ كناف شُربُب

أطعت الوشاة والمشاة بصرمها ... فقـد أنهجت حبالها للتقضب

وقد وعدتك موعداً لو وفت به ... كموعود عرقوب أخاه بيثرب

وقالت متى يبخل عليك ويعتلل ... تشكوان يكشف غرامك تَذْرَب

فقلت لها فيئى فما تستفزنى ... ذوات العيون والبنان المُخَضب

فقامت كما قامت من الأُدْم مُعْزِل ... ببيشة ترعى فى أراك وحُلَّب

فعشنا بها من الشباب مُلاوة ... فأنجح أيات الرسول المحبَّب

فانك لم تقطع لُبانة عاشق ... بمثل بكور او رواح مُؤوب

بمُجفِرة (٤) الجنبين حَرْف شِملَّة ... كهمك مِرْقال على الأين ذِعْلِب

اذا ماضربت الدَّفّ (٥) أوصلت صولة ... ترقب منى غير أدنى ترقب

بعين كمرآة الصَّناع تديرها ... بمَحْجرها من النصيف المُثقَّب

كأن بحاذَيها (٦) اذا ما تَشَزَّرت ... عثاكيلَ قِنوٍ من سميحة مُرْطِب

---

(١) المبتلة الجميلة التامة الخلق والصاحة أرض لا تنبت شيئاً أبداً

(٢) المحال نوع من الحلى

(٣) الكبيس حلى يصاغ مجوفاً ثم يحشى بطيب ثم يكبس والملوب المخلوط بالملاب وهو طيب

(٤) مجفرة الجنبين عظيمتهما والحرف الناقة الضامرة الصلبة والشملة السريعة ومرقال سريعة وكذلك الذعلب (٥) الدف الجنب

(٦) الحاذ الظهر وتشذرت حركت رأسها فرحاً اذا رأت رعياً

تَذُبُّ به طوراً وطوراً تُمِرُّه ... كذبّ البشير بالرداء المهدَّب
وقد اغتدى والطير فى وُكُراتها ... وماء الندى يجرى على كل مِذْنب
بمنجرد قَيْد الاوابد لاحه ... طراد الهوادى كل شأو مقرب
بغَوْج (١) لبانُه يتم بريمه ... على نَفَث راق خشية العين مجلب
كميت كلون الأرْجُوان نشرته ... لبيع الرداء فى الصوَّان المكعب
مُمِرّ (٢) كعقد الأندرى يزينه ... مع العتق خَلْق مُفْعَم غير جأنب
له حُرّتان تعرف العتق فيهما ... كسامعتَى مذعورة وسطَ رَبْرب
وجوف هواء تحت متن كأنه ... من الهضبة الخلفاء زُحلوف ملعب
قطاة (٤) ككُرْدوس المحالة أشرفت ... الى كاهل مثل الغبيط المذأب
وغُلْب (٥) كأعناق الظباء مضيفها ... سلام الشظَى يغشى بها كل مرقب
وسمر يُفَلقن الظِّراب كأنها ... حجارة غَيْل وارسات بطُحْلُب
اذا ما اقتنصنا لم نخاتل بجنة ... ولكن ننادى من بعيد الا اركب
اخائفةً لا يلعن الحىُّ شخصه ... صبوراً على العلّات غير مُسَبَّب
اذا أنفدوا زاداً فان عِنانه ... واكرعه مستعملا خير مكسب
رأينا شياها يرتعين خَمِيلة ... كمشى العذارى فى الملاء المهدَّب
فبينا تمارينا وعقد عذاره ... خرجن علينا كالجمان المثقب
فأتبع أدبار الشياه بصادق ... حثيث كغيث الرائح المتحلب
ترى الفار عن مستر غب الغُدْر لائحا ... على جَدَد الصحراء من شدّ مُلْهب
خفا الفار من أنفاقه فكأنما ... تجلّله شؤبوب غيث منقب

---

(١) غوج اللبان واسع الصدر
(٢) ممر مفتول فتلا شديداً والأندرى الحبل الغليظ
(٣) الزحلوف آثار تزلج الصبيان من فوق التل الى أسفله
(٤) القطاة مقعد الرديف من الدابة والكردوس أعلى فقر الكاهل والمحالة الفقرة من فقر البعير وغيره
(٥) الأغلب غليظ الرقبة وجمعه غلب والشظى عظيم مستدق لازق بالركبة

فظل لثيران الصَّريم غَماغم يداعسهن بالنَّضِيِّ [١] المُعَلَّب
فهاو على حُرِّ الجبين ومتق بِمِذْرَاته كأنها ذَلَقُ مِشْعَب
وعادى عداء بين ثور ونعجة وتيس شبوب كالهَشيمة قَرْهَب
فقلن الا قد كان صيد لقانص نخبوا علينا فضل بُرْد مُطَنَّب
فظل الأكف يختلفن بحانك الى جؤجؤ مثل المَدَاك [٢] المخضب
كأن عيون الوحش حول خبائنا وارحلنا الجزع الذى لم يثقب
ورحنا كأنا من جُوَاثَى عشية نعالى النعاج بين عدل ومُحْقب
وراح كشاة الرَّبل ينفض رأسه اذاة به من صائك متحلب
وراح يبارى فى الجناب قلوصنا عزيزاً علينا كالحباب المسيب
فادركهن ثانياً من عِنانه يمر كمر رائح متحلب

فقالت له علقمة أشعر منك لانك زجرت فرسك وحركته بساقك وضربته بسوطك وانه جاء هذا الصيد ثم أدركه ثانياً من عنانه فغضب امرؤ القيس وقال ليس كما قلت ولكنك هويته فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك وبهذا سمى علقمة الفحل

(وقد أتينا بالقصيدتين كاملتين ليقابل الادباء بينهما وليروا كيف انفق الشاعران فى أبيات كثيرة فى ألفاظها ولينظروا حكم المرأة كيف كان)

شعراء مذحج

من مَذْحِج أُدَد بن صعب بن سعد العشيره بن مذحج، والحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن جلد بن مذحج، وزبيد بن منبه بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه ابن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج

---

(١) النضى الرمح
(٢) المداك حجر يسحق عليه الطيب

الأفوه الأودى

الأفوه لقبه واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك. وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء وفى ذلك يقول الأفوه

أبى فارس الشوهاء عمرو بن مالك غداة الوغى اذ مال بالجد عاثر

والأفوه من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم فى حروبهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وتعد كلمته

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وان بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها

ومن شعره

نقاتل أقواماً فنسبى نساءهم ولم يَرِدوا غيراً لنسوتنا حجلا

نقود ونأبى ان نُقاد ولا ترى لقوم علينا فى مكارمة فضلا

وانا بطاء المشى عند نسائنا كما قيدت بالصيف نجدية بُزُلا

نَظَل غيارى عند كل ستيرة تقلب جيداً واضحاً وشوى عبلا

وانا لنعطى المال دون دمائنا ونأبى فما نستام دون دم عقلا

وهذه أبيات قالها يفخر بها على قوم من بنى عامر كانت بينه وبينهم دماء فأدرك بثأره وزاد وأعطاهم ديات من قتل فضلا على قتلى قومه فقبلوا وصالحوه

وأول هذه القصيدة وفيه غناء

سقى دمنتين لم نجد لهما أهلا بحقل لكم ياعز قد رابنى حقلا

وتمام الصوت

فياعز ان واش وشى بى عندكم فلا تكرميه أن تقول له مهلا

كما نحن لو واش وشى بك عندنا لقلنا تزحزح لا قريباً ولا سهلا

ألم يأنِ لى ياقلب أن أترك الجهلا وان يحدث الشيب الملمّ لى العقلا
على حين صار الرأس منى كأنما علَت فوقه ندّافة العُطُب[1] الغزلا

والابيات الأربعة بعد المستهل لكثير

ومن جيد شعره قوله

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار
حتم الدهر علينا انه طلَف[2] ما نال منا وجُبار

عبد يغوث بن صلاءة الحارثى

كان شاعراً من شعراء الجاهلية فارساً سيداً لقومه من بنى الحرث بن كعب وهو كان قائدهم يوم الكُلاب الثانى الى بنى تميم ، وفى ذلك اليوم أسر فقتل ، وهو من أهل بيت شعر مُعْرِق لهم فى الجاهلية والاسلام

يوم الكُلاب الثانى

لما أوقع كسرى ببنى تميم يوم الصفَا بالمشقَّر فقتل المقاتلة وبقيت الأموال والذرارى بلغ ذلك مَذْحجا فمشى بعضهم الى بعض وقالوا اغتنموا بنى تميم ، ثم بعثوا الرسل فى قبائل اليمن وأحلافها من قُضاعة ، فقالت مَذْحج للمأمور الحارثى وهو كاهن ما ترى ؟ فقال لهم لا تغزوا بنى تميم فانهم يسيرون أعقابا ، ويردون مياها جِبابا فتكون غنيمتكم ترابا ، وكان رئيس مَذْحج عبد يغوث بن صلاءة ورئيس همْدان يقال له مسرح ورئيس كِندة البراء بن قيس بن الحرث ، فأقبلوا الى تميم ، فبلغ ذلك سعداً والرباب ، فانطلق ناس من أشرافهم الى أكثم بن صيفى وهو قاضى العرب يومئذ فاستشاروه ، فقال لهم ، اقِلّوا الخلاف على أمرائكم

(١) العطب القطن (٢) طلف باطل وجبار هدر

واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة ، يا قوم تثبتوا فان أحزم الفريقين الركين ، ورب عَجَلة تهب ريثاً ، واتَّزروا للحرب ، وادَّرعوا الليل فانه أخفى للويل ولا جماعة لمن اختلف عليه ، فلما انصرفوا من عندكم تهيئوا واستعدوا للحرب ، وأقبل أهل اليمن من بنى الحرث من أشرافهم يزيد بن عبد المَدان ويزيد بن مخزم ويزيد بن الطَّيْسَم بن المأمور ويزيد بن هَوْبَر ، حتى اذا كانوا بتَيْمَن نزلوا قريباً من الكلاب ورجل من بنى زيد بن رِياح بن يَرْبوع يقال له مشمت بن زِنباع فى ابل له عند خال له من بنى سعد يقال له زهير بن بو فلما أبصرهم المشمت قال لزهير دونك الابل وتنح عن طريقهم حتى آتى الحى فأنذرهم ، فركب المشمت ناقة ثم سار حتى أتى سعداً والرباب وهم على الكلاب فأنذرهم ، فأعدوا للقوم ، وصبحوهم فأغاروا على النعم فطردوها وجعل رجل يرتجز ويقول

فى كل عام نَعَم نَنتابه على الكُلاب غُيَّبا أربابه

فأجابه غلام من بنى سعد فى النَّعَم على فرس له فقال

عما قليل سترى أربابه صلب القناة حازما شبابه على جياد ضُمَّر عيابه

فأقبلت سعد والرباب ورئيس الرباب النعمان بن جساس ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم المِنقرى ، فقال صبى حين دنا من القوم

فى كل عام نَعَم تحمونه يَلْقَحه قوم وتُنْتجونه أربابه نَوْكى فلا يحمونه
ولا يلاقون طعاناً دونه أنَعَم الابناء تحسبونه هيهات هيهات لما ترجونه

فقال ضَمْرة بن أسد الحارثى انظروا اذا استقتم النعم فان أتتكم الخيل عُصَبا عصبا وثبتت الاولى للاخرى حتى تلحق فان أمر القوم هين ، وان لحق بكم القوم فلم ينظروا اليكم حتى يردوا وجوه النعم ولا ينتظر بعضهم بعضاً فان أمر القوم شديد . وتقدمت سعد والرباب فالتقوا فى أوائل الناس فلم يلتفتوا اليهم واستقبلوا

النعم من قبل وجوهها فجعلوا يضربونها بأرماحهم ، واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديداً يومهم ، حتى اذا كان من آخر النهار قتل النعمان بن جساس قتله رجل من من أهل اليمن كانت أمه من بنى حنظلة ، وظن أهل اليمن أن بنى تميم سيهزمهم قتل النعمان ، فلم يزدهم ذلك الا جراءة عليهم فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل فباتوا يحرس بعضهم بعضاً فلما أصبحوا غدَوا على القتال فنادى قيس بن عاصم يالَ سعد ونادى عبد يغوث يالَ سعد (قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد بن مناة ابن تميم وعبد يغوث يدعو سعد العشيرة) فلما سمع ذلك قيس نادى يالَ كعب فنادى عبد يغوث يالَ كعب (قيس يدعو كعب بن سعد وعبد يغوث يدعو كعب بن عمرو) فلما رأى ذلك قيس من صنيع عبد يغوث قال ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار الادعوا بمثله فنادى قيس يال مُقاعس يعنى بنى الحرث بن عمرو بن كعب وكان يلقب مقاعسا . فلما سمع وَعْلة بن عبد الله الجَرْمى الصوت وكان صاحب اللواء يومئذ طرحه ، وكان أول من انهزم من اليمن وحملت عليهم بنو سعد والرباب فهزموهم أفظع هزيمة وجعل رجل منهم يقول

يا قوم لا يُفْلِتكمُ اليزيدان مخزما أعنى به والدَّيان

وجعل قيس ينادى يا آل تميم لا تقتلوا الا فارساً فان الرجالة لكم وجعل يرتجز ويقول

لما تولوا عُصَبا سواربا أقسمت لا أطعن الا راكبا انى وجدت الطعن فيهم صائبا

وما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أسر عبد يغوث أسره فتى من بنى عمير بن عبد شمس ، فانطلق به الى أهله وكان العبشمى أهوج فقالت له أمه ورأت عبد يغوث عظيما جميلا من أنت ؟ قال انا سيد القوم ، فضحكت وقالت قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الاهوج ، فقال عبد يغوث

وتضحك منى شيخة عبشمية كان لم ترى قبلى اسيراً يمانيا

ثم قال لها أيتها الحرة هل لكِ الى خير ؟ قالت وما ذاك ؟ قال اعطى ابنك مائة من الأبل وينطلق بى الى الأهتم فانى أتخوف أن تنتزعنى سعد والرباب منه، فضمن له مائة من الابل وأرسل الى بنى الحرث فوجهوا بها اليه فقبضها العبشمى، فانطلق به الى الاهتم وانشأ عبد يغوث يقول

أأهتم يا خير البرية والدا ... ورهطا اذا ما الناس عدوا المساعيا
تدارك أسيراً عانيا فى بلادكم ... ولا تَتْنَفَنِّى التَّيْم ألق الدواهيا

فمشت سعد والرباب فيه فقالت الرباب يا بنى سعد قتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور ، فدفعه الاهتم اليهم ، فأخذه عصمة بن أبير التيمى ، فانطلق به الى منزله، فقال عبد يغوث يا بنى تيم اقتلونى قتلة كريمة ، فقال له عصمة وما تلك القتلة قال اسقونى الخمر ودعونى أنح على نفسى ، فقال له عصمة نعم ، فسقاه الخمر ، ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل وتركه ينزف ومضى عنه عصمة وترك معه ابنين له فقالا جمعت أهل اليمن وجئت تصطلمنا فكيف رأيت الله صنع بك ؟ فقال عبد يغوث فى ذلك

ألا لا تلومانى كفى اللومَ مابيا ... فما لكما فى اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعها ... قليل وما لومى أخى من شماليا
فيارا كباً اما عرضت فبلغا ... ندامای من نجران ألاَّ تلاقيا
أبا كَرِب والأيْهَمين كلاهما ... وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا
جزى الله قومى بالكُلاب ملامة ... صريحهم والآخرين المواليا
ولو شئت نجتنى من الخيل نَهْدة ... ترى خلفها الحُوَّ الجياد تواليا
ولكننى أحمى ذِمار أبيكم ... وكان الرماح تختطفن المحاميا
وتضحك منى شيخة عبشمية ... كان لم ترى قبلى أسيرا يمانيا
وقد علمت عرسى مُليكة أننى ... أنا الليث معدُوًّا عليه وعاديا

(١) أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطلقوا لي لسانيا
أمعشر تيم قد ملكتم فأسجحوا فان اخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلوني تقتلوني سيداً وان تطلقوني تحربوني بماليا
أحقا عباد الله أن لست سامعاً نشيد الرعاء المعزبين المتاليا
وقد كنت نحار الجزور ومعقل المطـــى وأمضى حيث لاحى ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتي وأصدع بين القينتين ردائيا
وعادية سوم الجراد وزعتها بكفي وقد انحوا الى العواليا
كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كري نفسي عن رجاليا
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

وكان قتلهم له بالنعمان بن جساس وفي ذلك تقول صفية بنت الخرع ترثي النعمان

نطاقه هندواني وجبته فضفاضة كاضاة النهي موضونة
لقد أخذنا شفاء النفس لو شفيت وما قتلنا به الا امرأ دونه

وقتل يومئذ علقمة بن سباع عمرو بن الجعيد وقال فيه

لما رأيت الأمر مخلوجة اكرهت فيه ذابلا مارنا
قلت له خذها فاني امرؤ يعرف رمحي الرجل الكاهنا (١)

وقالت نائحة عمرو بن الجعيد

أشاب قذال الرأس مضرع سيد وفارس هبود أشاب النواصيا

وقال البراء بن قيس الكندي

قتلتنا تميم يوما جديدا. قتل عاد وذاك يوم الكلاب
يوم جئنا يسوقنا الحين سوقا نحو قوم كانهم أسد غاب

---

(١) لما أسر شدوا لسانه بنسعة لئلا يهجوهم (٢) يريد أن عمرو بن الجعيد كان كاهناً

سرت فى الازد والمذاحج طرا ... وبكيل وحاشد الأنياب
وبنى كندة الملوك ولخم ... وجذام وحمير الارباب
ومراد وخثعم وزبيد ... وبنى الحرث الطوال الرغاب
وحشدنا الصميم نرجو نهابا ... فلقينا البوار دون النهاب
لقيتنا أسود سعد وسعد ... خلقت فى الحروب سوط عذاب
تركونى مسهدا فى وثاق ... أرقب النجم ما أُسيغ شرابى
خائفاً للردى ولولا دفاعى ... بمئين عن مهجتى كالهضاب
لسقيت الردى وكنت كقومى ... فى ضريح مغيبا فى التراب
تذرف الدمع بالعويل نسائى ... كنساء بكت قتيل الرباب
فلعينى على الأولى فارقونى ... درر من دموعها بانسكاب
كيف أبغى الحياة بعد رجال ... قتلوا كالأسود قتلى الكلاب
منهم الحارثى عبد يغوث ... ويزيد الفتيان وابن شهاب
فى مئين نعدها ومئين ... بعد ألف مُنوا بقوم غضاب
برجال من العرانين شُمّ ... أسد حرب ممحوضة الانساب

وقال محرز بن مكعبر الضبّى

فدى لقومى ما جمعت من نشب ... اذ ساقت الحرب أقواماً لأقوام
قد حدثت مذحج عنا وقد كذبت ... ألاّ يروع عن نسواننا حام
دارت رحاهم قليلا ثم واجهم ... ضرب يصبح منهم مسكن الهام
ساروا الينا وهم صيدٌ رؤوسهم ... وقد جعلنا لهم يوماً كأيام
ظلت مطيا لحراز تعذبهم ... وألجموهن منهم أى الجام
ظلت رؤوس بنى كعب بكلكلها ... وهمّ يوم بنى نهد باظلام

يزيد بن عبد المدان الحارثى

كان عبد المسيح بن دارس بن عدى بن معقل من أهل نَجْران وكان له قبة من ثلثمائة جلد أدَم وكانت على نهر بنجران ، ولم يأت القبة خائف الا أمن ولا جائع الا شبع ، وكان يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار

وكان أول من نزل نَجْران من بنى الحرث بن كعب يزيد بن عبد المَدَان وذلك أن عبد المسيح زوجه ابنته دهيمة فولدت له عبد الله بن يزيد ومات عبد المسيح فانتقل ماله الى يزيد فكان أول حارثى حل فى نجران وفى ذلك يقول أعشى بنى تغلب

فكعبة نجران حتم علـــيكِ حتى تُناخى بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح وقيســاهمُ خير اربابها

اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطُّفيل بموسم عُكاظ وقدم أميَّة بن الأسكر الكنانى وتبعته ابنة له من أجمل أهل زمانها فخطبها يزيد وعامر ، فقالت أم كِلاب امرأة أمية من هذان الرجلان؟ فقال هذا يزيد بن عبد المدان بن الدَّيان وهذا عامر بن الطفيل ، فقالت اعرف بنى الديان ولا أعرف عامراً ، فقال هل سمعت بملاعب الاسنة ؟ فقالت نعم ، قال هذا ابن أخيه ، وأقبل يزيد فقال يا أمية أنا ابن الدَّيان صاحب الكتيبة ورئيس مَذْحج ومكلم العقاب ومن كان يصوب اصابعه فتَنْطِف دماً ويدلك راحتيه فتخرجان ذهبا ، فقال امية بخ بخ مَرْعَى ولا كالسَّعدان ، فارسلها مثلاً فقال يزيد يا عامر هل تعلم شاعراً من قومى سار بمدحة الى رجل من قومك ؟ قال اللهم لا ، قال فهل تعلم ان شعراء قومك يرحلون بمدائحهم الى قومى ؟ قال اللهم نعم ، قال فهل لكم نجم يمانٍ او بُرْد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان ؟ قال لا قال فهل ملكنا كم ولم تملكونا ؟ قال نعم فنهض يزيد وأنشأ يقول

أمىَّ يا ابن الأسكر بن مُدلج لا تجعلن هوازناً كمذحج
انك ان تلهج بأمر تلجج ما النبع فى مغرسه كالعوسج
ولا الصَّريح المحض كالممزج

فقال مُرَّة بن دُودان السُّلَمى وكان عدواً لعامر

يا ليت شعرى عنك يا يزيد ماذا الذى من عامر تريد
لكل قومى فخركم عتيد أمطعمون نحن أم عبيد
لا بل عبيد زادُنا الهَبيد

فزوج أميةُ يزيد بن عبد المدان ابنته فقال يزيد فى ذلك

يا للرِّجال لِطارق الأحزان ولعامر بن طُفَيل الوسنان
كانت إناوة قومه لمحرِّق زمناً وصارت بعد للنعمان
عَدَّ الفوارس من هوازن كلها نفراً علىَّ ، وجئتُ بالدّيان
فاذا لى الشرف المتين بوالد ضَخْم الدَّسيعة زانني ونمانى
يا عامِ انك فارس ذو منعة غَضُّ الشباب أخو ندًى وقيان
واعلم بأنك يا ابن فارس قُرْزل دون الذى تسعى له وتدانى
ليست فوارس عامر بمقرَّة لك بالفضيلة فى بنى عيلان
فاذا لقيت بنى الحماس ومالك وبنى الضباب وحى آل قنان
فاسأل عن الرجل المنوه باسمه والدافع الأعداء عن نجران
يعطى المقادة فى فوارس قومه كرما لعمرك والكريم يمان

قدم يزيد بن عبد المدان وعمرو بن معديكرب ومَكْشوح المُرادى على ابن جَفْنة زواراً وعنده وجوه قيس مُلاعب الأسنة عامر بن مالك ويزيد بن عمرو ابن صَعْق ودُرَيْد بن الصِّمة فقال ابن جَفْنة ليزيد ماذا كان يقول الدَّيان اذا أصبح فانه كان دياناً فقال كان يقول آمنت بالذى رفع هذه (السماء) ووضع هذه

(الأرض) وشق هذه (أصابعه) ثم يخر ساجداً ويقول سجد وجهى للذى خلقه وهو عاشم وما جشمنى من مشى فانى جاشم فاذا رفع رأسه قال

ان تغفر اللهم تغفر جَمًّا وأى عبد لك ما ألما

فقال ابن جَفْنة ان هذا لذودين . ثم مال على القيسيين وقال ألا تحدثونى عن هذه الرياح الجَنوب والشَّمال والدَّبور والصَّبا والنكباء لم سميت بهذه الأسماء فانه قد أعيانى علمها . فقال القوم هذه أسماء وجدنا العرب عليها لا نعلم غير هذا فيها ، فضحك يزيد ثم قال يا خير الفتيان ما كنت أحسب أن هذا يسقط علمه عن هؤلاء وهم أهل الوَبَر ان العرب تضرب أبياتها فى القبلة مَطْلَع الشمس لتُدْفئهم فى الشتاء وتزول عنهم فى الصيف فما هب من الرياح عن يمين البيت فهى الجنوب وما هب عن شماله فهى الشمال وما هبت عن أمامه فهى الصَّبا وما هبت من خلفه فهى الدَّبور وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهى النَّكْباء . فقال ابن جَفْنة ان هذا لَلعلم يا ابن عبد المَدان وأقبل على القيسيين يسألهم عن النعمان بن المنذر فعابوه وصغروه ، فنظر ابن جَفْنة الى يزيد فقال له ما تقول يا ابن عبد المدان فقال يزيد يا خير الفتيان ليس صغيراً من منعك العراق وشركك فى الشام وقيل له أبيت اللَّعْن وقيل لك يا خير الفتيان وألفى أباه ملكاً كما ألفيت أبك ملكاً فلا يسرك من يغرك فان هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لنالوا فيك مثل ما قالوا فيه وايم الله ما فيهم رجل الا ونعمة النعمان عنده عظيمة ، فغضب عامر بن مالك وقال يا ابن الدَّيان أما والله لنحتلبن بها دماً فقال له ولو أريد فى هوازن من لا أعرفه فقال لا بل هم الذين تعرف فضحك يزيد ثم قال ما لهم جُرْأة بنى الحارث ولا فَتْك مُراد ولا بأس زَبيد ولا كيد جُعْفِى ولا مُغَارَطَيِّئ وما هم ونحن يا خير الفتيان بسواء ما قتلنا أسيراً قط ولا اشتهينا حرة قط ولا بكينا قتيلا نُبِيء به

وان هؤلاء ليعجزون عن ثأرهم حتى يقتل السَّمُّ بالسَّمِّي والكَنِيُّ بالكَنِي والجار بالجار وقال يزيد فيما كان بينه وبين القيسى شعراً غدا به على ابن جفنة

تعالَى على النعمان قوم اليهم موارده فى ملكه ومصادره
على غير ذنب كان منه اليهم سوى أنه جادت عليهم مواطره
فباعدهم من كل شر يخافه وقربهم من كل خير يبادره
فظنوا وأعراض المنون كثيرة بأن الذى قالوا من الأمر ضائره
فلم ينقصوه بالذى قيل شعرة ولا فلت أنيابه وأظافره
وللحَرث الجَفْنى أعلم بالذى يبوء به النعمان ان حَفَّ طائره
فيا حار كم فيهم لنعمان نعمة من الفضل والمن الذى أنا ذاكره
ذنوباً عفا عنها ومالا أفاده وعظما كسيراً قومته جوابره
ولو سال عنك الغائبين ابن مُنذر لقالوا له القول الذى لا يحاذره

فلما سمع ابن جفنة هذا القول عظم يزيد فى عينه وأجلسه معه على سريره وسقاه بيده وأعطاه عطية لم يعطها أحداً ممن وفد عليه قط ، فلما قرب يزيد ركائبه ليرتحل سمع صوتاً الى جانبه واذا هو رجل يقول

أما من شفيع من الزائرين يحب الثنا زنده ثاقب
يريد ابن جفنة اكرامه وقد يمسح الصَّرَّة[1] الحالب
فينقذنى من أظافيره وإلا فانى غدا ذاهب
فقد قلت يوماً على كربة وفى الشرب فى يثرب غالب
ألا ليت غسَّان فى ملكها كلَحْم وقد يخطئ الشارب
وما فى ابن جَفْنة من سُبَّة وقد حَفَّ حملا بها الغارب
كأنى قريب من الابعدين وفى الحلق منى شجًى ناشب

---

(١) الضرع

فقال يزيد علىّ بالرجل ، فأتى به ، فقال ما خطبك أ أنت تقول هذا الشعر ؟ قال بل قاله رجل من جُذام جفاه ابن جُفنة وكانت له عند النعمان منزلة فشرب فقال له على شرابه شيأ انكره عليه ابن جَفنة فحبسه وهو مخرجه غدا فقاتله ، فقال له يزيد أنا أغيثك ، فقال له ومن أنت حتى اعرفك؟ فقال انا يزيد بن عبد المدان، فقال أنت لها وأبيك ، قال أجل قد كفيتك أمره فلا يسمعنك أحد تنشد هذا الشعر ، وغدا يزيد على ابن جفنة ليودعه ، فقال حياك الله يا ابن الدَّيان حاجتك ، قال تلحق قُضاعة بالشام وتؤثر من أتاك من وفود مَذْحج وتَهب لى الجُذامى الذى لا شفيع له إلا كرمك ، قال قد فعلت أما انى قد حبسته لأهبه لسيد ناحيتك وكنت ذلك السيد ووهبه له فاحتمله يزيد معه ، ولم يزل مجاوراً له بنَجران فى بنى الحرث بن كعب ، وقال ابن جَفنة لاصحابه ما كانت يمينى لتفى الا بقتله أوهبته لرجل من بنى الدَّيان فان يمينى كانت على هذين الامرين ، فعظم بذلك يزيد فى أعين أهل الشام ونبُه ذكره وشرف

جاور رجلان من هوازن يقال لهما عمرو وعامر فى بنى مُرّة بن عوف بن ذُبْيان وكانا قد أصابا دما فى قومهما ، ثم أن قيس بن عاصم المنقرى أغار على بنى مُرّة فأصاب عامراً أسيراً فى عدة أسارى كانوا عندهم ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازنى فاستغاث أخوه بوجوه بنى مُرّة ، سِنان بن أبى حارثة والحرث بن عوف والحرث بن ظالم وهاشم بن حَرْملة والحُصَيْن بن الحُمام فلم يُغيثوه، فركب الى موسم عُكاظ فأتى منازل مَذْحج ليلا فنادى

دعوت سنانا وابن عوف وحارثا ... وعاليت دعوى بالحُصَيْن وهاشم
أعيذهم فى كل يوم وليلة ... بترك أسير عند قيس بن عاصم
حليفهم الأدنى وجار بيوتهم ... ومن كان عما سرهم غيرَ نائم
فصَمُّوا واحداث الزمان كثيرة ... وكم فى بنى العلّاتِ من متصامم
فياليت شعرى من لاطلاق غلمة ... ومن ذا الذى يَحْظَى به فى المواسم

فسمع صوتاً من الوادى ينادى بهذه الأبيات

ألا أيهذا الذى لم يُجَبْ عليك بحى يُجَلِّى الكُرَب
عليك بذا الحى من مَذْحج فانهم للرضا والغضب
فناد يزيد بن عبد المْدَان وقيساً وعمرو بن معدى كرب
يفُكُّوا أخاك بأموالهم وأقْلِلْ بمثلهم فى العرب
أولاك الرؤوس فلا تَعْدُهم ومن يجعل الرأس مثل الذنب

فاتبع الصوت فلم يَرَ أحداً فغدا على المَكْشوح وهو قيس بن عبد يَغوث المرادى فأخبره خبره، فقال له المكشوح والله ان قيس بن عاصم ما قارضته معروفاً قط ولا هو لى بجار ولكن اشتر أخاك منه وعلى الثمن ولا يمنعك غلاؤه. ثم أتى عمرو بن معدى كرب فقال له عمرو هل بدأت بأحد قبلى ؟ فقال نعم بقيس ابن عبد يغوث، قال عليك بمن بدأت به، فتركه وأتى يزيد بن عبد المدان فأخبره بقصته، فقال له يزيد مرحباً بك وأهلا، أبعث الى قيس بن عاصم فان هو وهب لى أخاك شكرته والا أغرت عليه حتى يتقينى بأخيك فان نلتها والا دفعت اليك كل أسير من بنى تميم بنَجْران فاشتريت به أخاك، قال هذا الرضا، فأرسل يزيد الى قيس بن عاصم بهذه الأبيات

يا قيس أرسل أسيراً من بنى جُشَم انى بكل الذى تأتى به جازى
لا تأمن الدهر أن تَشْجَى بغُصَّته فاختر لنفسك احمادى واعزازى
فافكاك أخا منقَرٍ عنه وقل حسناً فيما سئلت وعقبه بانجاز

وبعث بالأبيات رسولاً الى قيس بن عاصم فأنشده إياها ثم قال يا أبا على ان يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ويقول لك «ان المعروف قروض ومع اليوم غد فأطلق لى هذا الجُشَمِى فقد استعان بأشراف بنى مرّة وبعمر بن معدى كرب وبمكشوح المرادى فلم يصب عندهم حاجته فاستجار بى ولو أرسلت الىَّ فى

جميع أسارى مُضَر بنَجران لقضيت حاجتك ، فقال قيس بن عاصم لمن حضره من بنى تميم ، هذا رسول يزيد بن عبد المدان سيد مَذْحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يد وهذه فرصة لكم كما ترون ، قالوا نرى أن نُغْليه عليه ونحكم فيه شططاً فانه لن يخذله أبداً ولو أتى ثمنه على ماله ، فقال قيس بئسما رأيتم أما تخافون سِجال الحروب ودول الايام ومجازاة القروض ، فلما أبَوْا عليه قال بيعونيه ، فأغلوه عليه فتركه فى أيديهم ، وكان أسيراً فى يد رجل من بنى سعد ، وبعث الى يزيد فأعلمه بما جرى وأعلمه أن الأسير لو كان فى يده أو فى يد مِنقر لأخذه وبعث به ولكنه فى يد رجل من بنى سعد ، فأرسل يزيد الى السعدى أن سر الى بأسيرك ولك فيه حكمك ، فأتى السعدى يزيد ، فقال له احتكم ، فقال مائة ناقة ورعاؤها ، فقال له يزيد انك لقصير الهمة قريب الغنى جاهل بأخطار بنى الحرث أما والله لقد غبنتك يا أخا بنى سعد ولقد كنت أخاف أن يأتى ثمنه على جُلّ أموالنا ولكنكم يابنى تميم قوم قصار الهمم ، وأعطاه ما احتكم فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران

أغار يزيد بن عبد المدان ومعه بنو الحرث بن كعب على بنى عامر فأسر عامر ابن مالك ملاعب الاسنة أبا براء وأخاه عبيدة بن مالك ثم أنعم عليهما فلما مات يزيد قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كلاب أخت ملاعب الأسنة ترثيه

بكيت يزيد بن عبد المدا ن حلت به الارض أثقالها
شريك الملوك ومَنْ فَضْلُه يفضل فى المجد أفضالها
فككت أسارى بنى جعفر وكندة اذ نلت أقوالها
ورهط المجالد قد جللت فواضل نعماك اجبالها

وقالت أيضاً ترثيه

سأبكى يزيد بن عبد المدان على أنه الأحلم الأكرم
رماح من العزم مركوزة ملوك اذا برزت تحكم

فلامها قومها فى ذلك وعيروها فقالت

ألا أيها الزارى علىَّ بأننى نزارية أبكى كريماً يمانيا
ومالى لا أبكى يزيد وردنى أجر جديداً مدرعى وردائيا

عمرو بن معد يكرب الزبيدى

يكنى أبا ثور فارس اليمن، وهو مقدم على زيد الخيل فى الشدة والبأس، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد مذحج مع فروة بن مسيك المرادى فأسلموا وذلك منصرف الناس من غزوة تبوك سنة ٩ وبعث فروة على صدقات من أسلم منهم وقال له ادع الناس وتألفهم فاذا وجدت الغفلة فاهتبلها واغز ولم يلبث عمرو أن ارتد وقال :

وجدنا ملك فروة شر ملك حمار ساف منخره بقذر
وانك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر

فاستجاش فروة النبى صلى الله عليه وسلم فوجه اليه خالد بن سعيد بن العاص وخالد بن الوليد وقال لهما اذا اجتمعتم فعلى بن أبى طالب أميركم وهو على الناس ووجه علياً عليه السلام فاجتمعوا وقاتلوا المرتدين ، ثم راجع عمرو الاسلام وأبلى فى وقعة القادسية بلاء عظيماً ورماه رجل من العجم بنشابة فوقعت فى كتفه وكانت عليه درع حصينة فلم تنفذ وحمل على العلج فعانقه فسقطا الى الأرض فقتله عمرو وسلبه ورجع بسلبه وهو يقول

أنا أبو ثور وسيفى ذو النون أضربهم ضرب غلام مجنون
يا لزبيد انهم يموتون

وقال فى ذلك :

ألمم بسلمى قبل أن تظعنا ان لنا من حبها ديدنا
قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا أنا

شككت بالرمح حيازيمه والخيل تعدو زيماً بينا

أغار الصمة بن بكر على بنى زبيد فاستاق أموالهم وسبى ريحانة بنت معديكرب وانهزمت زبيد فتبعه عمرو وناشده أن يخلى عنها فلم يفعل فلما يئس منها ولى وهى تناديه بأعلى صوتها يا عمرو فلم يقدر على انتزاعها فقال :

أمن رَيحانة الداعى السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع
سباها الصمة الجُشمى غصبا كأنّ بياض غُرّتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس تكشف عن سواعدها الدروع
اذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

وقيل ان هذه القصيدة قالها عمرو فى امرأة تزوجها من مُرادثم أخبر قبل أن يدخل بها أن بها وضَحا فطلقها وتزوجها رجل آخر من بنى مازن وبلغ ذلك عمراً وأن الذى قيل فيها باطل

غزا عمرو مع أبى المُرادى فأصابوا غنائم فادعى أبى أنه كان مسانداً فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً وكره أبى أن يكون بينهما شر فأمسك عنه وبلغ عمراً أنه توعده فقال فى ذلك :

أعاذلَ شِكّتى بدنى ورمحى وكلٌّ مُقَلَّص سَلِس القياد
أعاذلَ انما أفنى شبابى وأقرح عاتق ثقل النِّجاد
تمنانى ليلقانى أبىّ وددتُ وأينما منى ودادى
ولو لاقيتنى ومعى سلاحى تكشّف شحم قلبك عن سواد
أُريد حِباءه ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مُراد
تمنانى وسابغتى دِلاصٌ كأنّ قتيرها حلَقَ الجراد
وسيفى كان مذ عهدا بن صد تخيره الفتى من عهد عاد
ورمحى العنبرى تخال فيه سِنانا مثل مقباس الزناد

وعِجْلِزَة [1] يزل اللِّبد عنها أمر سَراتها حلق الجياد
اذا ضربت سمعت لها أزيزا كوقع القَطْر فى الأَدَم الجلاد
اذا لوجدت خالك غير نكس ولا متعلاً قبل الوحاد
يقلب للأمور شَرَنْبَثَات بأظفار مغارزُها حِداد

قتلت بنو مازن أخا عمرو ثم جاءوا اليه فقالوا ان أخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران ونحن يدك وعضدك فنسألك بالرحم الا أخذت الدية ما أحببت ، فهم عمرو بذلك وقال احدى يدى أصابتنى ولم تُرِد ، فبلغ أختا لعمرو يقال لها كَبْشة ناكحا فى بنى الحارث بن كعب فغضبت فلما وافى الناس من الموسم قالت شعراً تعير عمراً

أأرسل عبد الله اذ خان يومه الى قومه لا تَعقِلوا لهم دمى
ولا تأخذوا منهم افالا وأبكراً وأُترك فى بيت بصَعْدة مظلم
ودع عنك عمراً ان عمراً مسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فان أنتم لم تقبلوا واتَّدَيْتم فَشُلُّوا بآذان النَّعام المصلَّم
ولا تردوا الا فضول نسائكم اذا ارتملت [2] اعقابهن من الدم
أيقتل عبدَ الله سيدَ قومه بنو مازن ان سُبّ راعى المخزَّم

فقال عمرو قصيدة له عند ذلك يقول فيها

أرقت وأمسيت لا أرقد وساورنى الموجع الاسود
وبت لذكرى بنى مازن كأنى مُرْتفق أرْمَد

ثم أكب على بنى مازن وهم غارُّون فقتلهم وقال فى ذلك شعراً

خذوا حِقاً مُخطَّمَة صَفَايا وكيدى يا مُخَزِّم ما أكيد
قتلتم سادتى عرضاً فانى على أكتافكم عث حديد

وقال :

تمنت مازن جهلا خِلاطى فذاقت مازن طعم الخلاط

---

(١) فرس شديدة (٢) ارتملت ارتطخت

أطلت فراطكم عاماً فعاما ودَيْنُ المَذْحِجى الى فراط [1]
أطلت فِراطكم حتى اذاما قتلت سراتكم قالت قطاط [2]
غدرتم غدرة وغدرت أخرى فما أن بيننا أبداً يَعاطى
بطعن كالحريق اذا التقينا وضرب المَشْرَفية فى الغطاط

ومما قاله عمرو فى ريحانة وغنى فيه

هاج لك الشوق من ريحانة الطَّرَبا اذ فارقتك وأمست دارها غَرَبا
مازلت أحبس يوم البين راحلتى حتى استمرُّوا ودرَّت دمعها سَرِبا
حتى ترفع بالخَزَّان يركضها مثل المهاة مَرَتْه الريح فاضطربا
والغانيات يقتلن الرجال اذا خرجن بالزعفران الرَّيط والنقبا
من كل آنسة لم يَغْذُها عدم ولا تسدد بشىء صوتها صخبا
ان الغوانى قد أهلكننى تعباً وخلتهن ضعيفات القُوَى كذبا

وقال عمرو اذ لم ينل من العطاء ما كان يرجو

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد قالت قريش ألا تلك المقادير
نُعْطَى السَّوِيَّة من طعن له نَفَذٌ ولا سوية اذ تعطى الدنانير

مات عمرو وهو متوجه نواحى الرى فقالت امرأته الجُمْفِيَّة ترثيه

لقد غادر الركب الذين تحملوا بروذَةَ شخصاً لا ضعيفا ولاغمرا
فقل لزبيد بل لمَذْحِج كلها فقد تم أبا ثور سنانكم عمرا
فان تجزعوا لا يُغْنِ ذلك عنكم ولكن سلوا الرحمن يُعْقِبكم صبرا

مات عمرو فى آخر خلافة عمر ودفن بروذة بين قُمّ والرى

---

(١) الفراط التقدم يقول أطلت التقدم لكم بوعيدى لكم لتخرجوا من حق فلم تفعلوا
(٢) قطاط أى قطنى وحسى

شعراء طيء

حاتم

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدى الطائى يكنى أبا سَفّانة وأبا عدى أمه عُتْبة بنت عفيف بن عمرو الطائى كانت ذات يسار وكانت من أسخى الناس وأقراهم للضيف وكانت لا تمسك شيئا فلما رأى اخوتها اتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها فمكثت دهراً لا يدفع اليها شيء منه حتى اذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك اعطوها صِرْمة من الابل فجاءتها امرأة من هَوزان كانت تأتيها فى كل سنة تسألها فقالت دونك الصِّرمة فخذيها فوالله لقد عضنى من الجوع مالا أمنع معه سائلا أبداً ثم أنشأت تقول

لعمرى لقد ما عضنى الجوع عضة ... فآليت ألا أمنعَ الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليوم أعفنى ... فان أنت لم تفعل فمَضّ الاصابعا
فماذا عساكم أن تقولوا لاختكم ... سوى عذلكم أو عذل من كان مانعا
وماذا ترَوْن اليوم الا طبيعة ... فكيف بتركي يا ابن أمى الطبائعا

وكان حاتم من شعراء العرب وكان جوادا يشبه شعرَه جودُه ويصدق قولَه فعلُه وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفّراً اذا قاتل غَلب واذا غَنِم أنهَبَ واذا سُئل وهب واذا ضرب بالقداح فاز واذا سابق سَبق واذا أسَرَ أطلق، وكان يُقْسم بالله انه لم يقتل واحد أمه، وكان اذا أهل الشهر الاصم الذى كانت مُضَرُ تعظمه فى الجاهلية ينحر فى كل يوم عشراً من الابل فأطعم الناس واجتمعوا اليه، وكان ممن يأتيه من الشعراء الحُطَيْئة وبشر بن أبى خازم

وقال لما عذله جده فى السَّرَف وفارقة من أجل ذلك

وانى لعفّ الفقر مشترك الغنى ... وتارك شكل لا يوافقه شكلى
وشكلى شكل لا يقوم لمثله ... من الناس الا كل ذى نِيقَة[1] مثلى

(١) النيقة من التنوق يقال تنوق فى ملبسه وحديثه اذا تجود

واجعل مالى دون عِرْضى جُنَّة ... لنفسى وأستغنى بما كان من فضلى
وما ضرنى أن سار سعد بأهله ... وأفردنى فى الدار ليس معى أهلى
سيكفر ابتناء المجد سعدُ بنُ حَشْرج ... وأحمل عنكم كل ما ضاع من نفل
ولى مع بذل المال فى المجد صولة ... اذا الحرب أبدت من نواجذها العُصُلْ

أغار النعمان بن الحارث بن أبى شمر الجفنى على طيئ فأصاب من بنى عدى ابن أخزم رهط حاتم سبعين رجلا يرأسهم وَهْم بن عمرو وحاتم يومئذ بالحيرة فلما قدم الجبنين جعلت المرأة تأتيه بالصبى فتقول ياحاتم اسرابو هذا فلم يلبث الا ليلة حتى سار الى النعمان ومعه ملحان بن حارثة وكان لا يسافر الا وهو معه فقال حاتم

ألا انى قد هاجنى الليلة الذِّكَرْ ... وماذاك من حب النساء ولا الأَشَرْ
ولكنه مما أصاب عشيرتى ... وقومى بأقران[2] حوالَيْهم الصُّبَرْ[3]
ليالى نمشى بين جَوّ ومِسْطَح[4] ... نَشاوَى لنا من كل سأمة جَزَرْ
فياليت خير الناس حياً وميتاً ... يقول لنا خيراً ويُمْضى الذى ائتمر
فان كان شراً فالعزاء فاننا ... على وقعاتِ الدهر من قبلها صُبُرْ
سقى الله رب الناس سَحّاً وديمة ... جَنُوب السَّراة من مآبَ الى زُغر[5]
بلاد امرىء لا يعرف الذمُّ بيته ... له المشرب الصافى ولا يَطْعَم الكدر
تذكرت من وَهْم بن عمرو جَلادة ... وجرأة مَغْزاه اذا صارخ بكر
فأبشر وقَرَّ العين منك فانى ... أحيى كريما لا ضعيفا ولا حصر

فدخل حاتم على النعمان فأنشده فأعجب به واستوهب منه فوهب له بنى امرئ القيس بن عدى ثم أنزله فأتى بالطعام والخمر فقال له ملحان أتشرب الخمر وقومك فى الاغلال فدخل على النعمان فأنشده

---

(١) العوج (٢) الاقران الجبال (٣) الحظائر واحدتها صبرة
(٤) موضعان فى جبلى طيء
(٥) زغر قرية بمشارف الشام ورسم فى الاصل كلمة مآب خطأ وتصحيحها من ياقوت

ان امرأ القيس أضحى من صنيعتكم ... وعبد شمس أبَيْت اللعن فاصطنع
ان عِدِيًا اذا ملكت جانبها ... من أمر غَوْث على مرأًى ومستمَع

فأطلق له بنى عبد شمس وبقى قيس بن جُحْدَر وهو من لخم وأمه من بنى عدى فقال حاتم

فككت عِدِيًّا كلَّها من اسارها ... فأفضل وشفعنى بقيس بن جُحْدَر
أبوه أبى والامهات أمهاتنا ... فأنعم فدتك اليوم نفسى ومعشرى

فقال هولك ياحاتم فقال

أبلغ الحارث بن عمرو بأنى ... حافظ الود مُرْصد للثواب
ومجيب دعاه إما دعانى ... عَجِلاً واحداً وذا أصحاب
انما بيننا وبينك فاعلم ... سيُرتسع للعاجل المنتاب
فثلاث من السَّراة الى الحِلْـ ... ـة للخيل جاهداً والركاب
وثلاث يوردْنَ تَيْماء زهوا ... وثلاث يقربن بالاعجاب
فاذا ما مررن فى مُسْبَطِرّ ... فاجمح الخيل مثل جَمْح الكِعاب[1]
بينما ذاك أصبحَتْ وهى عَضْدَى[2] ... من سُبَىٍّ مجموعة أو نِهاب
ليت شعرى متى أرى قبةً ذا ... تَ قِلاع للحرث الوهاب
لبقاع وذاك منها محل ... فوق ملك يَدِين بالاحساب
انها موعدى فان لبونى ... بين حَتْل وبين هَضْب ضِباب
حيث لا أرهب الجراءة حولى ... ثُعَلِيُّون كالليوث الغضاب

وقال يذكر ماوِيَّة بن عَفْزَر

حننت الى الأجبال أجبال طيء ... وحنَّت قلوصى أن رأت سوط أحمرا
فقلت لها ان الطريق أمامنا ... وانا لمُحْيُو رَبْعِنا ان تيسرا

---

(١) ادم بها (٢) مكسورة الاعضاد

فيا راكبَى عَلْيا جَديله انما ... تسامان ضَيْماً مستبينا فتنظرا
فما نَكِراهُ غير أن ابن مِلْقَط ... أراه وقد أعطى الظلامة أوجرا
وانى لَمُزْجٍ للعطى على الوَجا ... وما أنا من خُلَّانك ابنة عَفْزَرا
وما زلت أسعى بين خُصّ ودارة ... ولخَيَّان حتى خِفت أن أتنصرا
وحتى حسبت الليل والصبح اذبدا ... حِصانين سيالين جَوْنا وأشقرا
لَشِعْب من الرَّيان (١) أملك بابه ... أنادى به آل الكبير وجعفرا
أحبُّ الىَّ من خطيب رأيته ... اذا قلت معروفاً تبدل منكرا
تنادى الى جاراتها ان حاتما ... أُراه لَعَمْرِى بعدنا قد تغيرا
تغيرت انى غير آتٍ لريبة ... ولا قائل يوماً لذى العرف منكرا
فلا تسأليني واسألى أى فارس ... اذا بادر القوم الكنيف (٢) المسترا
ولا تسأليني واسألى أى فارس ... اذا الخيل جالت فى قَنًا قد تكسرا
فلا هى ما ترعى جميعاً عِشارها ... ويصبح ضَيْفى ساهمَ الوجه أغبرا
متى ترنى أمشى بسيفى وسطها ... تَخَفْنِى وتُضْمِرْ بينها أن تُجَزَّرا
وانى لَتَغْشى أبعد الحىّ جَفْنَتى ... اذا وَرَقُ الطَّلح الطِّوال تحسرا
فلا تسأليني واسألى بى صحبتى ... اذا ما المطى بالفلاة تَضَوَّرا
وانى لو هاب قُطُوعى (٣) وناقتى ... اذا ما انتشيت والكُمَيْتَ المصدرا
وانى كأَشْلاء اللجام ولن تَرَى ... أخا الحرب الا ساهم الوجه أغبرا
أخو الحرب ان عَضَّت به الحرب عضها ... وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وانى اذا ما الموت لم يك دونه ... قَدِى الشبر أحمى الأنف أن أتأخرا
متى تبغ وداً من جَديلة تلقه ... مع الشَّنِّ منه باقياً متأزراً
فإلا يغادونا جهاراً نلاقهم ... لأعدائنا ردْه دليلا ومنذرا

---

(١) الريان جبل من جبال طيء (٢) الكنيف حظيرة من شجر
(٣) جمع قطع وهو البساط والنمرقة والطنفسة تكون تحت الرجل على كتفى البعير

اذا حال دونى من سلامان رملة ... وجدت توالى الوصل عندى أبترا

وقال فيها

أماوىَّ قد طال التجنب والهجر ... وقد عذرتنى فى طلابكم العذر
أماوى ان المال غادٍ ورائح ... ويبقى من المال الأحاديث والذكر
أماوىَّ انى لا أقول لسائل ... اذا جاء يوماً حل فى مالنا النَّزر
أماوىَّ اما مانع فمبين ... واما عطاء لا يُنهنهه الزجر
أماويَّ ما يُغنى الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
اذا أنا دلانى الذين أحبهم ... بملحودة زلخ[1] جوانبها غبر
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم ... يقولون قد دمىَّ أنا ملنا الحفر
أماوىَّ أن يُصبح صداى بقفرة ... من الأرض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أنفقت لم يك ضرنى ... وإن يدى مما بخلت به صفر
أماوىَّ انى رُبَّ واحدِ أمه ... أخذت فلا قتل عليه ولا أسر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر
فانى لا آلو بمالى صنيعة ... فأرله زاد وآخره ذخر
يُفكّ به العانى ويؤكل طيباً ... وما أن تُعرّيه القداح ولا الخمر
ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتى ... شهوداً وقد أودى بأخوته الدهر
غنينا زماناً بالتصعلك والغنى ... وكلاً سقاناه بكأسيهما العصر
فما زادنا بغيا[2] على ذى قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر
وما ضر جاراً يا ابنة القوم فاعلمى ... يجاورنى ألاَّ يكون له ستر
بعينى عن جارات قومى غفلةٌ ... وفى السمع منى عن حديثهم وقر

ثم تزوج حاتم ماوية فولدت له عديا. وقال لها وقد عذلته فى السَّرَف

---

(١) زلخ دحض (٢) رواه صاحب الخزانة بأوا وهو الكبر والفخر وكذلك هو فى ديوانه

هل الدهر الا اليومُ أو أمس أو غد ... كذاك الزمان بيننا يتردد
يرد علينا ليلة بعد يومها ... فلا نحن ما نبقى ولا الدهر يَنْفَدَ
لنا أجل اما تناهى أمامه ... فنحن على آثاره نتورد
بنو نُعل قومى فما أنا مُدَّع ... سواهم الى قوم وما أنا مسند
بدرتهم أغشى دروء معاشر ... ويحنف عنا الأبلج المتعمد
فمهلا فداك اليوم أمى وخالتى ... فلا يأمرنى بالدنية أسود
على حين ان ذكيت واشتد جانبى ... أسام التى أغْيَيْتُ اذ أنا أمرد
فهل تركت قبلى حضور مكانها ... وهل من أتى ضَيْماً وَخسفا مخلد
ومعتسف بالرمح دون صحابه ... تعسفته بالسيف والقوم شهد
تخر على حُرّ الجبين وذاده ... الى الموت مَطْرورالوقيعة مِذْود
فما رمته حتى أزحت عويصه ... وحتى علاه حالك اللون أسود
فأقسمت لا أمشى على سرجارنى ... يَدَ الدهر ما دام الحمام يغرد
ولا أشترى مالا بغدر علمته ... ألا كل مال خالط الغدر أنكد
اذا كان بعض المال ربًّا لاهله ... فانى بحمد الله مالى مُعَبَّد
يفك به العانى ويؤكل طيبا ... ويعطى اذا مَنَّ البخيلُ المصرُد
اذا ما البخيل الخِبّ أخمد ناره ... أقول لمن يَصْلَى بنارى أوقدوا
توسع قليلا أو يكن ثَمّ حَسْبُنا ... وموقدها البادى أعف وأحمد
كذاك أمور الناس راضٍ دِنيةً ... وسامٍ الى فرع العلا متورد
فمنهم جواد قد تلفت حوله ... ومنهم لئيم دائم الطرف أقود
وداعٍ دعانى دعوةً فاجبته ... وهل يَدَعُ الداعين الا المبلد

جاور حاتم فى بنى بدر فأحمد جوارَهم فقال

ان كنت كارهة معيشتنا ... هاتا فحُلى فى بنى بدر

جاورتهم زمن الفساد فنعم الحي في العوصاء واليسر
فسقيتُ بالماء النمير ولم ينظر الى بأعين خزر
الضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

خرج الحكم بن أبي العاصي بن أمية ومعه عطريريد الحيرة ، وكان بالحيرة سوق تجتمع اليها الناس كل سنة وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو من طيئ ربع الطريق طُعْمة لهم لانهم أصهاره فمر الحكم بحاتم فسأله الجوار في أرض طيئ حتى يصير الى الحيرة فأجاره ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه فمر حاتم ببني لأم فقالوا مَنْ هؤلاء معك؟ قال هؤلاء جيراني ، فقال له سعد بن حارثة بن لأم فأنت تجير علينا في بلادنا ، قال له أنا ابن عمكم وأحق من لم تَخفُروا ذمته فقالوا لست هناك ووثبوا اليه فتناول سعد بن حارثة حاتماً فأهوى له حاتم بالسيف فأطار أرنبة أنفه ووقع الشر حتى تحاجزوا فقال حاتم

وددتُ وبيتِ الله لو أن أنفه هواء فما مت المخاط عن العظم
ولكنما لاقاه سيف ابن عمه فآب ومر السيف منه على الخطم

فقالوا لحاتم بيننا وبينك سوق الحيرة فما جدك ونضع الرهن ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس رهنا على يدى رجل من كلب ووضع حاتم فرسه ، ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة ، وسمع بذلك اياس بن قبيصة الطائي فخاف أن يعينهم النعمان ابن المنذر ويقويهم بماله وسلطانه للصهر الذى بينهم وبينه فجمع رهطه من بني حية وقال لهم ان هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مماجدته ، فقال رجل منهم عندى مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء أدماء وقام آخر فقال عندى عشرة حُصُن على كل حصان منها فارس مُدَجَّج لا يرى منه الا عيناه ، وقال حسان بن جَبَلة الخير قد علمتم أن أبي قد مات وترك مَلاً كثيراً فعلى كل خمر أو لحم أو طعام أما قاموا في سوق الحيرة ثم قام اياس فقال على مثل جميع ما أعطيتم كلكم

وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا، ثم قال اياس احملوني الى الملك (وكان به نقرس) فحمل حتى أدخل عليه، فقال انعم صباحا أبيت اللعن، فقال النعمان وحياك الهك فقال اياس أتمد أخنانك بالمال والخيل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة أظن أخنانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بني حية بالبلد؟ فان شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دما فليحضروا بجادهم غدا بمجمع من العرب، فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه، فقال له النعمان ياأحلمنا لاتغضب فاني سأكفيك، وأرسل النعمان الى سعد بن حارثة والى أصحابه انظروا ابن عمكم حاتما فأرضوه فوالله ماأنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه وما أطيق بني حية، فخرج بنو لأم الى حاتم فقالوا له اعرض عن هذا المجاد ونزع أرش أنف ابن عمنا قال لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم، فتركوا ارش أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا قبحها الله وأبعدها فانما هي مقارف زيت فعمد اليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر

ولم يزل حاتم في اطعام الطعام وانهاب ماله حتى مضى لسبيله

مر أبو الخيبري في نفر من قومه بقبر حاتم، فبات ليلته كلها ينادي أباجعفر اقر أضيافك، فيقال له مهلا ما تكلم من رمة بالية، فقال ان طيئا يزعمون انه لم ينزل به أحد الا قراه، فلما كان آخر الليل نام أبو الخيبري حتى اذا كان في السحر وثب فجعل يصيح واراحلتاه، فقال له أصحابه ويلك مالك؟ قال خرج والله حاتم بالسيف وأنا أنظر اليه حتى عقر ناقتي، قالوا كذبت، فنظروا الى راحلته فاذا هي منخزلة لا تنبعث، فقالوا قد والله قراك، فظلوا يأكلون من لحمها، ثم أردفوه فانطلقوا فساروا ماشاء الله، ثم نظروا الى راكب فاذا هو عدي ابن حاتم راكبا قارنا جملا أسود فلحقهم فقال أيكم أبو الخيبري؟ فقالوا هو هذا، فقال جاءني أبي في النوم فذكر لي شتمك إياه وانه قرى راحلتك لاصحابه وقد قال في ذلك أبياتا ورددها حتى حفظتها وهي

أبا الخيبرى وأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها
ماذا أردت الى رمة ببادية صخب هامها
تبغى أذاها واعسارها وحولك غوث وأنعامها
وانا لنطعم أضيافنا من الكوم بالسيف نعتامها

وقد أمرنى أن أحملك على جمل فدونكه ، فأخذه وركبه

وقد أدركت سفانة وعدى الاسلام فأسلما ، وأتى بسفانة النبى صلى الله عليه وسلم فى أسرى طيء فقالت يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت أن تخلى عنى فلا تشمت بى أحياء العرب فانى بنت سيد قومى ، كان أبى يفك العانى ويحمى الذمار ويقرى الضيف ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طيء ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق

قيس بن جروة الطائى ويلقب بعارق

يوم أوارة

كان عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو ابن هند عاقد هذا الحى من طيء ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، ثم غزا اليمامة فرجع منفضاً فمر بطيء ، فقال له زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى أبيت اللعن أصب من هذا الحى شيئاً ، قال له ويلك ان لهم عقداً ، قال وان كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة واذوادا ، فقال فى ذلك قيس بن جروة

ألا حر قبل البين من أنت عاشقه ومن أنت مشتاق اليه وشائقه
ومن لا تواتى داره غير فينة ومن أنت تبكي كل يوم تفارقه

وتعدو بصحراء الثوية ناقتى ... كعدو النحوص[1] قد أخفت[2] نواهقه

الى الملك الخير ابن هند تزوره ... وليس من الفوت الذى هو سابقه

فان نساء غير ما قال قائل ... غنيمة سوء بينهن مهارقه

ولو نيل فى عهد لنا لحم أرنب ... رددنا وهذا العهد أنت معالقه

فهبك ابن هند لم تعقك أمانة ... وما المرء الا عهده وموائقه

وكنا أناساً خافضين بنعمة ... يسيل بنا تلع الملا وأبارقه

فأقسمت لا أحتل الا بصهوة ... حرام على رمله وشقائقه

واقسم جهداً بالمنازل من منى ... وماخب فى بطحائهن درادقه[3]

لئن لم تغير بعض ما قد فعلتم ... لأنتحين العظم ذو أنا عارقه

فبلغ هذا الشعر عمرو ابن هند فقال له زرارة بن عدس أبيت اللعن انه يستوعدك فقال عمرو ابن هند لترملة بن شعاث الطائى وهو ابن عم قيس أيهجونى ابن عمك ويتوعدنى قال والله ما هجاك ولكنه قال :

والله لو كان ابن جفنة جاركم ... ما أن كساكم غصة وهوانا

وسلاسلا يبرقن فى أعناقكم ... وإذاً لقطع تلكم الأقرانا

ولكان غارته على جيرانه ... ذهبا وريطا رادعاً وجفانا

فقال والله لأقتلنه فبلغ ذلك قيساً فقال :

من مبلغ عمرو بن هند رسالة ... اذا استحقبتها العيس تنعى من البعد

أيوعدنى والرمل بينى وبينه ... تبين رويدا ما امامة من هند

ومما أجا دونى رعان كأنها ... قنابل خيل من كميت ومن ورد

غدرت بأمر كنت أنت احتذيتنا ... عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

---

(١) النحوص الاتان التى لا ولد لها ولا لبن والناقة الشديدة السمن أو التى منعها السمن الحمل جمعه نحص ونحائص (٢) صار لها مخ

(٣) الدردق الاطفال وصغار الابل جمعه درادق

فقد يترك الغدر الفتى وطعامه اذا هو أمسى حَلْبَةً من دم الفَصْد

فبلغ عمرو ابن هند شعره فغزا طيئاً فأسر أسرى من أخزم وهم رهط حاتم الطائى ، فوفد حاتم فيهم الى عمرو بن هند ، (ارجع الى تاريخ حاتم)

وكان المنذر قد وضع أخاً له اسمه مالك عند زُرارة فخرج ذات يوم يتصيد فأخفق ولم يُصِب شيئاً فرجع ، فمرَّ بأبل لسُوَيد بن ربيعة الدارمى وهو زوج بنت زُرارة التى ولدت له سبعة غلمة ، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة فنحرها ثم اشتوى وسُوَيد نائم ، فلما انتبه شد على مالك بعصا فضربه فأمَّه ومات الغلام ، فخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة وعلم أنه لا يأمن فحالف بنى نَوْفل بن عبد مناف واختط بمكة ، وكانت طيئ تطلب بثَرَات زُرارة وبنى أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخى الملك فأنشأ عمرو بن ثعلبه بن مِلْقَط الطائى يقول :

مَنْ مبلغٌ عمراً بأن المرء لم يخلق صُبارة
وحوادث الأيام لا تَبْقَى لها الا الحجارة
ان ابن عَجْزَةَ أمَّه بالسَّفْح أسفل من أُوارة
تَسفِي الرياح خلالَه سَحْيا وقد سلبوا إزاره
فاقتل زُرارة لا أرى فى القوم أفضل من زُرارة

فلما بلغ هذا الشعر عمرو ابن هند بكي حتى فاضت عيناه ، وبلغ الخبر زرارة فهرب ، وركب عمرو ابن هند فى طلبه فلم يقدر عليه فأخذ امرأته وهى حبلى فقال أذكر فى بطنك أم أنثى ؟ قالت لا علم لى بذلك ، قال ما فعل زُرارة الغادر الفاجر ؟ قالت ان كان ما علمتُ للطَّيب العَرَق ، السمين المرق ، ويأكل ماوجد ولا يسأل عما فقد ، لا ينام ليلة يخاف ، ولا يشبع ليلة يُضاف . فبقر بطنها ، فقال قوم زُرارة لزُرارة والله ما قتلت أخاه فأت الملك فأصدقه الخبر ، فأتاه زُرارة فأخبره الخبر ، فقال جئنى بسُوَيد ، فقال قد لحق بمكة ، فقال فعلى بنيه السبعة فأمر بقتلهم ، وآلى عمرو ابن هند بأيمانه ليحرقن من بنى حنظلة مائة رجل ،

فخرج يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة بن عتاب بن ملقط الطائى ، فوجد القوم قد ندروا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية البحرين فحبسهم ، ولحقه عمرو ابن هند حتى انتهى الى اوارة فضربت قبته ، فأمر لهم باخدود فحفر لهم ، ثم أضرمه ناراً ، فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيها فاحترقوا ، وأقبل راكب من البراجم (وهم بطون من حنظلة) عند المساء ولا يدرى بشىء مما يوضع به بعيره فأناخ فقال عمرو ابن هند ما جاء بك ؟ قال حب الطعام قد أقويت ثلاثاً لم أذق طعاماً فلما سطع الدخان ظننته دخان طعام ، فقال له عمرو ابن هند ممن أنت ؟ قال من البراجم ، قال عمرو ان الشقى وافد البراجم (فذهبت مثلا) ورمى به فى النار وأقام عمرو ابن هند لايرى أحداً ، فقيل له أبيت اللعن لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلا ، فدعا بامرأة من بنى حنظلة فقال لها من أنت ؟ قالت أنا الحمراء بنت ضمرة ، فقال انى لأظنك أعجمية ، قالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتنى العجم

انى لبنت ضمرة بن جابر ساد معدّا كابراً عن كابر
انى لأخت ضمرة بن ضمرة اذا البلاد لفعت بجمرة

قال عمرو أما والله لولا مخافة أن تلدى مثلك لصرفتك عن النار ، قالت أما والذى أسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ويسلبك ملكك ما قتلت الا نساء أعاليها ثدى وأسفلها دمى ، قال اقذفوها فى النار ، فالتفتت ، فقالت ألا فتى يكون مكان عجوز ، فلما أبطؤا عليها قالت كان الفتيان حما (فذهبت مثلا) فقال لقيط بن زرارة يعير بنى مالك بن حنظلة فى أخذ من أخذ منهم الملك وقتله إياهم ونزولهم معه

لمن دمنة أقفرت بالجناب الى السفح بين الملا بالهضاب
بكيت لعرفان آياتها وهاج لك الشوق نعب الغراب
فأبلغ لديك بنى مالك مغلغلة وسراة الرباب
فان امرأ أنتم حوله تحفون قبته بالقباب

يُهين سَراتكم عمداً ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم أبلا أمْلحت لقد كرعت للمياه العذاب
ولكنكم غنم تُصْفَر ويترك سائرها للذباب
لعمر أبيك الى الخير ما أردت بقتلهم من صواب
ولا نعمة ان خير الملو ك أفضلهم نعمة فى الرقاب

زيد الخيل النبهانى الطائى

هو زيد بن مُهَلْهِل بن يزيد من نَبهان ثم من طيئ

كان فارساً مِغواراً مظفراً شجاعاً بعيد الصيت فى الجاهلية ، وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم ولقيه وسرَّ به وقرظه وسماه زيد الخير ، وهو شاعر مُقِلٌ مُخَضْرَم معدود فى الشعراء الفرسان ، وانما كان يقول الشعر فى غاراته ومفاخراته ومغازيه وأياديه عند من مر عليه وأحسن فى قِراه اليه ، وانما سمى زيد الخيل لكثرة خيله وانه لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب الا الفَرس والفرسان وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التى ذكرها فى شعره وهى ستة . الهَطَّال ، والكُمَيت والوَرد ، وكامل ودوول ولاحق وفى الهَطَّال يقول

أقرب مربط الهَطَّال أنى أرى حرباً ستلقح عن حِيال

وفى الورد يقول

أبت عادة للورد أن يكره القنا وحاجة نفس فى نُمير وعامر

وفى دوُول يقول

فأقسم لا يفارقنى دوُول أجول به اذا كثر الضراب

ظلع لزيد فرس من خيله فى بعض غزواته بنى أسد فلم يتبع الخيل ووقف فأخذته بنو الصَّيداء فصلح عندهم واستقل فقال فى ذلك

يا بنى الصَّيْداء ردوا فرسى ... انما يُفعل هـذا بالذليل
لا تُذِيلوه فانى لم اكن ... يا بنى الصَّيدا لمهرى بالمُذيل
عودوه كالذى عودته ... دَلَج الليل وايطاء القتيل
احمل الزِّق على مَنْسِجه ... فيظَلّ الضيفُ نَشْوانا يميل

وكان زيد مُلِحًّا على بنى أسد بغاراته ثم على بنى الصَّيداء منهم ففيهم يقول:

ضجت بنو الصَّيداء من حربنا ... والحرب من يحلل بها يَضْجَرِ
بتنا نُزَجّي نحوهم ضُمّرًا ... معروفة الانساب من مَنْسِرِ
حتى صَبَحْناهم بها غدوة ... نقتلهم قَسرا على ضُمَّرِ
يدعُون بالويل وقد مسهم ... منا غداة الشِّعب ذى الهَيْشَرِ (١)
ضرب يُزيل الهام ذو مَصْدَق ... يعلو على البَيْضة والمغفرِ

ومما قاله زيد الخيل فى يوم مِخجن

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا ... ابو مِكْنَف قدشد عقد الدوائرِ
بجيش تَضِلّ البُلق فى حجراته ... ترى الأُكم فيه سُجَّدًا للحوافرِ
وجمع كمثل الليل مرتجزٍ الوغى ... كثيرٍ حواشيه سريع البوادرِ

وكان زيد قد جمع طيئًا وأخلاطًا لهم وجموعًا من شُذّاذ العرب فغزا بهم بنى عامر، ومن جاورهم من قبائل العرب وسار اليهم فصبحهم من طلوع الشمس، فنذروا به وفزعوا الى الخيل وركبوها، وكان أول من نذر بهم فلق جمعهم غَنِىّ بن أَعْصُر واخوتهم الحرث وهم الصُّفاوة واسمه مالك بن سعد بن قيس عَيلان، فاقتتلوا قتالا شديداً، ثم انهزمت بنو عامر، فاستحرّ القتل بغنىّ وفيهم يومئذ فرسان وشعراء، فملأت طيئ أيديهم من غنائم، وأسر زيد يومئذ الحُطَيئة الشاعر فجز ناصيته واطلقه، ثم ان غَنِيًا تجمعت بعد ذلك مع لِفّ من بنى عامر فغزوا طيئًا فى

---

(١) شجر كثير الشوك تأكله الابل

أرضهم فغنموا وقتلوا وأدركوا ثارهم منهم ، وقد كان زيد قال فى وقعته ببنى عامر قصيدته التى يقول فيها

وخيبة من يُغير على غَنِيّ وباهلة بن أعصُر والكلاب

فلما أدركوا ثارهم اجابه طُفَيل الغنَوى فقال

سمونا بالجياد الى أعاد مغاورةً بجد واغتصاب
نؤمهم على رُعْب وشحطٍ بقود يطّلعن من النقاب

وهى طويلة يقول فيها

أخذنا بالمخطَّم من أتاهم من السود المزَنَّة الرِّغاب
وقتّلنا سَراتهم جهاراً وجئنا بالسَّبايا والنّهاب
سبايا طيءٍ أبرزن قسراً وأبدِلن القصور من الشعاب
سبايا طيء من كل حى بمن فى الفرْع منها والنصاب
وما كانت بناتهم سَبِيًّا ولا رَغَبًا يعد من الرِّغاب
ولا كانت دماؤهم وفاء لنا فيما يعد من العقاب

خرج رجل من طيء يقال له دُؤاب بن عبد الله الى صِهر له من هَوازن فأصيب الرجل وكان شريفاً ذا رياسة فى حيه فبلغ ذلك زيداً ، فركب فى نَبهان ومن تبعه من ولد الغوث وأغار على بنى عامر وجعل كلما أخذ أسيراً قال له ألك علم بالطائى المقتول ؟ فان قال له نعم قتله وان قال لا خلى سبيله ومنَّ عليه ، ثم رجع زيد الى قومه فقالوا ما صنعت ؟ فقال ما اصبت بثار دؤاب ولا يبوء به الا عامر بن مالك ملاعب الأسنة فأما ابن الطفيل فلا يبوء به وانشأ زيد يقول

لا أرى أنَّ بالقتيل قتيلا عامريا يفى بقتل دُؤاب
ليس من لاعب الأسنة فى النَّقع وسمى ملاعباً بإراب
عامر ليس عامر بنَ طُفَيل لكن العمر رأسُ حى كِلاَب

ذاك إن ألقه أنال به الو تـــــر وقرّتْ به عيون الصحاب
أو يفتنى فقد سبقت بوِتْر مذْ حِجِى وجد قوم كثاب

فبلغ عامر بن الطفيل قول زيد وشعره فأغضبه وقال مجيباً له

قل لزيد قد كنت تُؤثَر بالحلـــم اذا سفّهت حُلوم الرجال
ليس هذا القتيل من سَلَف الحـــى كُلاع ويَحْصُب وكُلال
أو بنى آكل المُرار ولا صيـــد بنى جَفْنة الملوك الطوال
وابن ماء السماء قد علم النا س ولا خير فى مقالة غال
ان فى قتل عامر بن طُفَيْل لبَواء لطىء الأجبـــال
اننى والذى يَحُجّ له النا س قليل فى عامر الامثال
يوم لامال للمحارب فى الحر ب سوى نصر أسمر عسّال
ولجام فى رأس أجْرَدَ كالجذ ع طُوال وأبيض قَصّال
ودِلاص كالنّهى ذات فُضول ذاك فى حَلْبَة الحوادث مالى
ولعمى فضل الرياسة والســـن وجد على هَوازن عال
غير انى أُولى هَوازنَ فى الحر ب بضرب المتوج المحتال
وبطعن الكَمِىّ فى حَمس النَّقْـــع على متْن هيكل جوّال

لما بلغ زيداً ما كان من الحرث بن ظالم وعمرو بن الإطْنابة الخزرجى وهجائه إياه غضب لذلك فأغار على بنى مُرّة بن غَطَفان فأسر الحارث بن ظالم وامرأته فى غارته ثم منّ عليهما وقال يذكر ذلك

الا هل أتى غَوْثا ورُومان أننا صبحنا بنى ذُبْيان احدى العظائم
وسقنا نســـاء الحى مُرة بالقنَا وبالخيل تَرْدِى قد حوينا ابن ظالم
جَنيبا لأعْضاد النواجى يَقُدْنه على تعب بين النواجى الرواسم
يقول اقبلوا منى الفداء وأنعموا على وجزُونى مكان القوادم

وسائل بنا حار بن عوف فقد ارى حليلته جالت عليها مقاسمى
أغرّك أن قيل ابن عوف ولا أرى عزيمك الا واهيا فى العزائم
غداة سَبَينا من خفاجة سَبْيها ومرت لهم منا نُحوس الاشائم
فمَنْ مبلغٌ عنى الخزارج غارة على حى عوف موجفا غير نائم

أغار زيد على بنى فَزَارة وبنى عبد الله بن غَطَفان ورئيسهم يومئذ أبو ضَبّ ، ومع زيد من بنى نَبْهان بطنان بنو نصر وبنو مالك فأصاب وغنم وساقوا الغنيمة وانتهوا الى العَلَم فاقتسموا النِّهاب ، فقال لهم زيد أعطونى حق الرياسة ، فأعطاه بنو نصر وأبى بنو مالك ، فغضب زيد ، فبينما بنو مالك يقتسمون اذ غشيتهم فَزَارة فاستنقذوا ما بأيديهم ، فلما رأى زيد ذلك شد على القوم فقتل رئيسهم أبا ضب وأخذ ما فى أيديهم فدفعه الى بنى مالك وكانوا نادَوْه يومئذ يازيداه أغثنا ،

وقال يذكر ذلك

كررت على ابطال سعد ومالك ومن يَدعُ الداعى اذا هو ندا
فلأيا كررت الوَرْد حتى رأيتهم يكبون فى الصحراء مَثْنَى ومَوْحَدا
وحتى نبذتم بالصعيد رماحكم وقد ظهرت دعوى زُنَيم واسعدا
فما زلت ارميهم بغُرّة وجهه وبالسيف حتى كَلَّ نحرى وبَلّدا
اذا شك اطرافُ العوالى لَبانَه أُقَدِّمه حتى يرى الموت اسودا
عُلالتها بالامس ما قد علمتم وعَلُّ الجوارى بيننا ان تسهدا
لقد علمت نَبْهان انى حميتها وانى منعت السبى ان يتبددا
بذى شُطَب اغشى الكتيبة سَلْهَب أَقَبَّ كسرحان الظلام معودا

وقال فى واقعة له مع عامر بن الطفيل أسره فيها ومنَّ عليه

انا لنكثر فى قيس وقائعنا وفى تميم وهذا الحى من أسد
وعامر بن طفيل قد نحوت له صدرَ القناة بماضى الحد مُطَّرد

لما أحس بأن الوَرْد مدركه وصار ما وربيط الجأش ذا لبد
نادى الى بسلم بعد ما أخذت منه المنية بالخيزوم واللغد
ولو تصبر لى حتى أخالطه أسعرته طعنة كالنار بالزند

وقال فى غارة له وقد أسر فيها الحطيئة فلم يعط فداء وشكا الحاجة

أقول لعبدى جرْول اذ أسرته أثبتنى ولا يغررك انك شاعر
أنا الفارس الحامى الحقيقة والذى له المكرمات واللهى والمآثر
وقومى رؤوس الناس والرأس قائد اذا الحرب شبتها الأكف المساعر
فلست اذا ما الموت حوذر وِرْده وأترع حوضاه وجح ناظر
بوقافة يخشى الحتوف تهيبا يباعدنى عنها من القُبّ ضامر
ولكننى أغشى الحتوف بصعدتى مجاهرة ان الكريم يجاهر
وأروى سنانى من دماء غزيرة على أهلها اذ لا ترجى الأياصر

فقال الحطيئة لزيد

ان لم يكن مالى بآت فاننى سيأتى ثنائى زيدنا بن مهلهل
فأعطيت منا الود يوم لقيتنا ومن آل بدر شدة لم تهلل
فما نلتنا غدراً ولكن صبحتنا غداة التقينا فى المضيق بأخيل
تفادى حُماة القوم من وقع رمحه تفادى ضعاف الطير من وقع أجدل

وقال فيه الحُطَيْئَة أيضاً

وقعتَ بعبس ثم أنعمت فيهم ومن آل بَدْر قد أصبت الأخايرا
فان يشكروا فالشكر أدنى الى التقى وان يكفروا لا ألفَ يا زيد كافرا
تركت المياه من تميم بلاقعا بما قد ترى منهم حلولا كَرا كرا
وحى سليم قد أثرت شريدهم ولا تنس ما قتلت يا زيد عامرا

فرضى عنه زيد ومن عليه لما قال هذا فيه وعد ذلك ثواباً من الحطيئة ،

فلما رجع الحطيئة الى قومه قام فيهم حامداً لزيد شاكراً لنعمته ، حتى أسرت طيئ بنى بدر ، فطلبت فَزارة وأفناء قيس الى شعراء العرب أن يهجوا بنى لام وزيداً فتحامتهم شعراء العرب وامتنعت من هجائهم فساروا الى الحطيئة فأبى عليهم وقال اطلبوا غيرى فقد حقن دمى وأطلقنى بغير فداء فلست بكافر نعمته أبداً ، قالوا نعطيك مائة ناقة ، قال والله لو جعلتموها ألفاً ما فعلت ذلك وقال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لام بظهر الغيب تأتينا
المنعمين أقام العز وسطهم ... بيض الوجوه وفى الهيجا مطاعينا

وقعت حرب بين أخلاط طيئ فنهاهم زيد عن ذلك وكرهه فلم ينتهوا فاعتزل وجاور بنى تميم ونزل على قيس بن عاصم فغزت بنو تميم بكر بن وائل وعليهم قيس وزيد معه فاقتتلوا قتالا شديداً وزيد كافّ فلما رأى ما لقيت تميم ركب فرسه وحمل على القوم حتى هزمت بكر فلما قدموا قال له زيد اقسم لى نصيبى فقال وأى نصيب وما وَلِى القتال غيرى وغير أصحابى فقال زيد

ألا هل أتاها والأحاديث جَمَّة ... مغلغلة أنباء جيش اللَّهازم
فلست بوقاف اذا الخيل أحجمت ... ولست بكذاب كقيس بن عاصم
تخبر من لاقيت أن قد هزمتهم ... ولم تدر ما سيماهمُ والعمائم
بل الفارس الطائى فَضَّ جموعهم ... ومكةَ والبيت الذى عند هاشم
اذا ما دعَوْا عِجْلا عجلنا عليهم ... بمأثورة تَشْفى صُداع الجماجم

وفد زيد على النبى صلى الله عليه وسلم فى عدة من طيء فأناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فلما رآهم قال انى خير لكم من العُزّى ومما حازت مَناع ومن كل ضار غير نفاع ومن الجمل الأسود الذى تعبدونه من دون الله عز وجل ، فقام زيد وكان من أجمل الرجال وأتمهم وكان يركب الفرس المشرف ورجلاه تَخُطّان الأرض كأنه على حمار فقال اشهد ألا إله

الا الله وانك محمد رسول الله ، قال ومن أنت ؟ قال انا زيد الخيل بن مهلهل ، فقال رسول الله بل انت زيد الخير ، فقال الحمد لله الذى جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الاسلام ، يا زيد ما وصف لى رجل قط فرأيته الا كان دون ما وصف به الا أنت فانك فوق ما قيل فيك ، فلما ولى قال النبى صلى الله عليه وسلم أى رجل ان سلم من آطام المدينة فأخذته الحمى فأنشأ يقول

أنخت بآطام المدينة اربعا ... وخمسا يغنى فوقها الليل طائر

شددت عليها رحلها وشَلِيلها ... من الدرس والشعرى والبطن ضامر

فمكث سبعاً ثم اشتدت به الحمى فخرج فقال لأصحابه جنبونى بلاد قيس فقد كانت بيننا خُماشات فى الجاهلية ولا والله لا أقاتل مسلماً حتى ألقى الله فنزل بماء لحى من طيىء يقال له فَرْدة واشتدت به الحمى فأنشأ يقول

امرتحل صحبى المشارق غُدْوة ... وأُترك فى بيت بفَرْدة منجد

سقى الله ما بين القفيل فطابة ... فما دون أرْمام فما فوق منشد

هنالك لو انى مرضت لعادنى ... عوائد من لم يشف منهن مجهد

فليت اللواتى عُدْننى لم يَعُدْننى ... وليت اللواتى غبن عنى عُوَّدى

ورثته زوجه فقالت

الا انما زيد لكل عظيمة ... اذا اقبلت اوب الجراد رعالها

لقاهم فما طاشت يداه بضربهم ... ولا طعنهم حتى تولى سجالها

وكان لزيد الخيل ثلاثة بنين كلهم يقول الشعر وهم عروة وحريث ومهلهل

ابو زبيد الطائى

هو حرملة بن المنذر كان نصرانياً وعلى دينه مات وهو ممن أدرك الجاهلية والاسلام فعد فى المخضرمين والحقه بن سلام بالطبقة الخامسة من الاسلاميين وهم العجير السلولى وذووه

كان نديماً لأبي وهب الوليد بن عقبة أيام ولايته على الكوفة فلما عزل الوليد لاتهامه بشرب الخمر قال أبو زبيد

من يرى العير لابن أروى على ظـــهر المروزى حداتهن عجال
مصعدات والبيت بيت أبي وهـــب خلاء تحن فيه الشمال
يعرف الجاهل المضلل ان الدهـــر فيه النكراء والزلزال
ليت شعري كذا كم العهد ام كا نوا أناسا كمن يزول فزالوا
بعد ما تعلمين يا أم زيد كان فيهم عز لنا وجمال
ووجوه بودنا مشرقات ونوال اذا اريد النوال
اصبح البيت قد تبدل بالحـــى وجوهاً كأنها الأقتال (١)
كل شيء يحتال فيه الرجال غير ان ليس للمنايا احتيال
ولعمرُ الاله لو كان للســـيف مصال او للسان مقال
ما تناسيتك الصفاء ولا الـــود ولا حال دونك الاشغال
ولحرمت لحمك المتقضى ضلة ضل حلمهم ما اغتالوا
قولهم شربك الحرام وقد كا ن شراب سوى الحرام حلال
وأبى الظاهر العداوة الا شنآنا وقولَ مالا يقال
من رجال تقارضوا منكرات لينالوا الذى ارادوا فنالوا
غير ما طالبين ذحلا ولـكن مال دهر على أناس فمالوا
من يخنك الصفاء أو يتبدل أو يزل مثل ما تزول الظلال
فاعلما أنى أخوك أخو الو د حياتى حتى تزول الجبال
ليس بخلا عليك عندى بمال أبداً ما أقل نعلا قبال
ولك النصر باللسان وبالكفـــ اذا كان لليدين مصال

---

(١) جمع قتل وهو العدو

وله فيه يمدحه

يا ليت شعرى بأنباء أُنبؤها ... قد كان يعيابها صدرى وتقديرى
من امرىء ما يَزِدْهُ اللهُ من شرف ... أَفْرَحْ به ومُرَىٌّ (١) غير مسرور

وهى طويلة يقول فيها

ان الوليد له عندى وحق له ... ود الخليل ونصح غير مذخور
لقد رعانى وأدنانى وأظهرنى ... على الاعادى بنصر غير تقدير
فشذّب القوم عنى غير مكترث ... حتى تناهَوْا على رغم وتصغير
نفسى فداء ابى وهب وقل له ... يا أم عمرو فخلى اليوم أو سيرى

وقال فيه

لعمر ابيك يا ابن ابى مُرَىٍّ ... لعيرك من اباح لها الديارا
أباح لها أبا رق ذاتَ نَوْرٍ ... لترعى القُفَّ منها والقفارا
بحمد الله ثم فتى قريش ... أبى وهب غدت بطناً غِزارا
اباح لها ولا يحمى عليها ... اذا ما كنتم سنة جزارا (٢)
فتى طالت يداه الى المعالى ... وطحطحن المقطعة القصارا

وكان الربيع بن مرى بن اوس والياً للوليد على الحِمَى فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة فأجدبت الجزيرة وكان ابو زيد فى تغلب فخرج بهم ليُرْعيهم فأبى عليه الأوسى وقال ان شئت ان أرعيك وحدك فعلت فاتى ابو زُبَيْد الوليد بن عقبة فأقطعه مابين القصور الحمر من الشام الى القصور الحمر من الحيرة وجعلها له حِمًى ولما عزل الوليد وولى سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده فقال

ولقد مِتُّ غير انى حى ... يوم بانت بودها خَنْساء
من بنى عامر لها شِقّ نفسى ... قسمة مثل ما يُشَقّ الرداء

---

(١) يريد مرى بن أوس بن حارثة (٢) يريد جزراً من الجدب والشدة

أُشرِبَتْ لونَ صفرة فى بياض وهى فى ذاك لَدْنَةٌ غَيْدَاء
كل عين ممن يراها من النا س اليها مديمة حَوْلاء
فانتهوا ان للشدائد أهلا وذروا ما تُزَيِّن الأهواء
ليت شعرى وأين منى لَيْتٌ ان لَيْتًا وان لَوًّا عَنَاء
أى ساع سعى ليقطع شِرْبى حين لاحت للصابح الجوزاء
واستظل العصفور كرها مع الضَّـــبّ وأونى فى عوده الحرباء
ونفى الجُنْدَب الحصى بكُرَاعَيْـــه وأذْكَتْ نيرانها المَعْزَاء
من سموم كأنها حر نار شـــفعتها ظهيرة غراء
واذا أهل بلدة نكِرونى عَرَفتنى الدَّوِيّة الملساء
عرفت ناقتى شَمائلَ منى فهى ألا بُغامَها خرساء
عرفت ليلها الطويل وليلى ان ذا الليل للعيون غطاء

وقال يتشوق الى الوليد لما خرج عن الكوفة

لعمرى لنْ أمسى الوليد ببلدة سواى لقد أمسيت للدهر معورا
خلا ان رزق الله غاد ورائح وانى له راج وان سرت أشهرا
وكان هو الحصن الذى ليس مسلمى اذا أنا بالنَّكْراء هيجت معشرا
اذا صادفوا دونى الوليد كأنما يرَوْن بوادى ذى حَمَاس مزعفرا
خضيب بنان ما يزال براكب يَخُبّ وضاحى جلده قد تقشرا

نزل شيبانى يقال له المكاء برجل من طيء ثم من حيَّة فذبح له شاة وسقاه الخمر فلما سكر الطائى قال هلمَّ أفاخرك أبنو حية أكرم أم بنو شيبان فقال له الشيبانى حديث ومنادمة كريمة أحبُّ الينا من المفاخرة فقال الطائى والله ما مدَّ رجل قط يداً أطول من يدى فقال الشيبانى والله لئن أعدتها لأخضبنها من كوعها فرفع الطائى يده فقال أبو زبيد

خبرتنا الركبان أن قد نخرتم وفرحتم بضربة المُكّاء
ولَعمرى لعارُها كان أدنى لكم من تقيّ وحق وفاء
ظل ضيفاً أخوكم لأخينا فى صبوح ونعمة وشواء
ثم لما رآه رانت به الخمـــر وألاَّ يَريبـــه بانقاء
لم يَهَبْ حرمة النديم وحقت ياقومى لِلسَّوءة السَّوءاء

وكان لأبى زبيد كلب يقال له الأكدر فلقيه أسد فقتله فقال

أحال أكدر مشياً لا كعادته حتى اذا كان بين البئر والعطن
لاقى لدى ثِلَّة (١) الأطواء داهية أسْرت وأكدر تحت الليل فى قَرَن
حطت به شيمة وَرْهاء تطرده فوق السراة كذِفْرى[٢] الفالج القمن
رئبال غاب فلا قَحْم ولا ضَرِع كالفيل يحتطم العجلين فى قرن

وهى قصيدة طويلة

وكان لأبى زبيد نديم فغاب عنه أبو زبيد غيبة ثم رجع فأخبر بوفاته فعدل الى قبره قبل دخوله منزله فوقف عليه ثم قال

يا هاجرى اذ جئت زائره ما كان من عادتك الهجر
يا صاحب القبر السلام على من حال دون لقائه القبر

وأبو زبيد أحد المعمرين وكان طوله ثلاثة عشر شبراً . ومن قوله فى أخريات حياته

اذا جعل المرء الذى كان حازما يحل به حل الحوار ويحمل
فليس له فى العيش خير يريده وتكفينه ميتاً أعف وأجمل

ومات فدفن على البليخ

---

(١) ثلة البئر ما أخرج من ترابها جمعه ثلل والأطواء الآبار مفرده طوى
٢ لذفرى العظم خلف الأذن

وصف الأسد

كان أبو زبيد من زوار الملوك وخاصة ملوك العجم وكان عالماً بسيرهم ، وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه يقربه على ذلك ويُدْنى مجلسه ، وكان نصرانياً ، فتذاكروا مآثر العرب وأشعارها ، فالتفت عثمان الى أبى زبيد وقال يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت أنك تجيد فأنشده قصيدته التى يقول فيها

مَنْ مبلغ قومنا النائين اذ شحطوا ان الفؤاد اليهم شيق وَلِع

ووصف الأسد فقال عثمان رضى الله عنه تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت والله انى لأحسبك جباناً هراباً ، قال كلا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد ويتردد فى قلبى ومعذور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم فقال له عثمان رضى الله عنه وأنّى كان ذلك ؟ قال

خرجت فى صِيَابة[1] اشراف من أبناء قبائل العرب ذوى هيئة وشارة حسنة ترمى بنا المهارى بأكسائها[2] ونحن نريد الحرث بن أبى شَمِر الغسانى ملك الشام فاخرَوَّط[3] بنا السير فى حَمارَّة[4] القيظ حتى اذا عَصبت[5] الأفواه وذَبلت الشفاه وسالت المياه وأذكت[6] الجَوْزاء المَعْزاء[7] وذاب الصَّيْهَبُ[8] وصَرَّ الجُنْدَب وأضاف العصفور الضَّب فى وكره وجاوره فى جُحْره قال قائل أيها الركب غُوروا فى دَوْح هذا الوادى ، واذا واد بدا لنا كثير الدَّغَل[9] دائم الغَلَل[10] اشجاره مُغِنَّة[11] واطياره مُرِنَّة[12] فخططنا رحالنا بأصول دَوْحات

---

(١) صيابة القوم وصيابهم لبابهم وخيارهم (٢) الكسى مؤخر العجز والجمع أكساء
(٣) أخروط طال وامتد (٤) شدة الحر (٥) عصب الريق بالفم يبس عليه والريق جفاه جففه (٦) اذكت أشعلت (٧) أرض معزاء ومكان أمعز صلب الحصى
(٨) الصيهب كل موضع تحمى عليه الشمس حتى ينشوى عليه اللحم
(٩) الدغل الشجر الكثير الملتف (١٠) الغلل الماء الذى يجرى بين الاشجار
(١١) أغن الشجر أدرك وأغن الوادى كثر شجره (١٢) صائحة

كَنَهْبَلَات[1] فأصبنا من فَضَلَات الزاد وأتبعناها الماء البارد ، فانا لنصف حرّ يومنا ومماطلته اذ صَرّ[2] أقصى الخيل أذنيه ونحص الأرض بيديه فوالله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال ثم فعل فعله الفرسُ الذى يليه واحداً فواحداً فتضعضعت الخيل وتكعكعت[3] الابل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وأنه السبع ، ففزع كل واحد منا إلى سيفه فاستَلَّه من جُرُبَّانه[4] ثم وقفنا رَزْدَقاً[5] ارسالا وأقبل أبو الحرث من أجَمَته يتظالع فى مشيته كأنه مجنوب[6] أوفى هجار[7] لصدره نحيط[8] ولبلاعمه[9] غطيط ولطرفه وَميض ولأرساغه نقيض[10] كأنما يخبط هشيما أويطأ صريماً[11] واذا هامة كالمجَنّ وخدٌّ كالمِسَنّ وعينان سجراوان[12] كأنهما سراجان يتقِدان وقصرة[13] رَبْلة[14] ولهزمة[15] رَهِلة[16] وكتِد[17] مُغْبَط[18] وزَوْر مفرط وساعد مجدول وعَضُد مفتول وكف شَثْنَة[19] البراثن[20] الى مخالب كالمحاجن ، فضرب بيده فأرْهَج[21] وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشْدَق[22] كالغار الأخرق ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز[23] وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعَى[24] فاقْشَعَرّ ثم مثل

---

(١) الكنهبل شجر عظام (٢) صر أذنه نصبها وسواها للاستماع
(٣) أحجمت وتأخرت الى الوراء (٤) غمده (٥) الرزدق الصف من الناس
(٦) به ذات الجنب (٧) الهجار حبل يشد فى رسغ البعير ثم يشد الى حقوه ان كان عرياناً وان كان مرحولا شد الى الحقب (٨) زفير
(٩) البلعم مجرى الطعام فى الحلق وهو المرىء وجمعه بلاعم
(١٠) النقيض من أسماء الاصوات (١١) الصريم الارض المحصود زرعها
(١٢) السجر فى العين أن يخالط بياضها حمرة وهى السجرة وهو أسجر وهى سجراء
(١٣) القصرة أصل العنق اذا غلظت جمعه قصر (١٤) غليظة
(١٥) اللهزمتان مجتمع اللحم بين الماضغ والاذن (١٦) مسترخية
(١٧) الكند مجتمع الكتفين من الانسان والفرس
(١٨) يقال مغبط الكاثبة مرتفع المنسج ومغتبط الحارك محبوك الكفل (١٩) غليظه
(٢٠) البرثن من السباع والطير بمنزلة الاصابع من الانسان (٢١) أثار الغبار
(٢٢) واسع (٢٣) دفع من الخلف (٢٤) جلس على اليتيه ونصب فخذيه

فاكفهر (١) ثم تجهم فازبأر (٢) فلا وذو بيته فى السماء ماانتقيناه الا بأخ لنا من فزارة كان ضخم الجزارة (٣) فوقصه ثم نفضه نفضة قضقض متنيه فجعل يلغ فى دمه ، فذمرت أصحابى فبعد لأى ما استقدموا فهجهجنا (٤) به فكر مقشعراً بزبره كأن به شماحولياً فاختلج رجلا أعجر (٥) ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت مفاصله ثم همهم ففرفر (٦) ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ويمينه فرعشت الايدى واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المنون ، فقال له عثمان أسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين

شعراء همدان

عمرو بن براقة

هو عمرو بن منبه بن يزيد من بنى نهم بن عمرو بن ربيعة ثم من همدان وبراقة أمه

أغار رجل من همدان يقال له حريم على أبل لعمرو بن براقة وخيله فذهب بها فأتى عمرو امرأة كان يتحدث اليها ويزورها فأخبرها بما كان من حريم وأنه يريد الاغارة عليه فقالت له ويحك لا تعرض لتلفات حريم فانى أخافه عليك فخالفها وأغار عليه فاستاق كل شىء له وقال فى ذلك

تقول سليمى لا تعرّض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم
وكيف ينام الليلَ من جلُّ ماله ... حسام كلون الملح أبيضُ صارم
صموت اذا عضَّ الكريهة لم يدَع ... لها طمعاً طوْعُ اليمين مكارمُ
نقدت به ألفاً وسامحت دونه ... على النقد اذ لا يستطاع الدراهم

---

(١) عبس (٢) تنفش حتى ظهرت أصول من وبر شعره
(٣) غليظ اليدين والرجلين (٤) صحنا به وزجرناه ليكف
(٥) الاعجر عظيم البطن (٦) أسرع وقارب الخطو

ألم تعلمى أن الصعاليك نومهم ... قليل اذا نام الخلىّ المسالم
اذا الليل أدجَى واكفهرَّت نجومه ... وصاح من الافراط هامٌ جوائم
ومال بأصحاب الكرَى غالباته ... فانى على أمر الغواية حازم
كذبتم وبيتِ الله لا تأخذونها ... مُرَاغمَة ما دام للسيف قائم
تحالف أقوام علىّ ليَسْلَموا ... وجروا علىَّ الخوف اذ أنا سالم
أفالآن أدْعَى للهوادَة بعدما ... أُميلَ على الحى المذاكي الصَّلادم
كأن حريماً اذ رجا أن يَضُمها ... ويذهب مالى يا ابنة القوم حالم
متى تجمع القلب الذَّكيّ وصارما ... وأنفا حَمِيًّا تجتنبك المظالم
ومن يطلب المال الممنع بالقنا ... يعش ذا غنى أو تخترمه المخارم
وكنت اذا قوم غزونى غزوتهم ... فهل أنا فى ذا يا لَهَمْدان ظالم
فلاصلح حتى تعثر الخيل بالقنا ... وتضرب بالبيض الدقاق الجماجم
ولا أمن حتى تَغْشِم الحرب جَهْرة ... عبيدة يوماً والحروب غواشم
أمستبطئٌ عمرو بن نعمان غارتى ... وما يشبه اليقظان من هو نائم
اذا جَرَّ مولانا علينا جريرة ... صبرنا لها انا كرام دعائم
وننصر مولانا ونعلم أنه ... كما الناس مجروم عليه وجارم

شعراء الازد

الأَزْد هو ابن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن كهلان

حاجز بن عوف الازدى

من سَلامان بن مُفَرِّج بن مالك بن زهران بن مَيْدَعان بن مالك بن نصر ابن الازد ، شاعر جاهلى مُقِل ليس من مشهورى الشعراء وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب وممن كان يَعْدُو على رجليه عدواً يسبق الخيل ، وكان حليفاً لبنى مخزوم وفى ذلك يقول

قومى سلامان اذا ما كنت سائلة وفى قريش كريم الخلف والنسب
انى متى أدْعُ مخزوما تَرَىْ عنَقا لا يَرْعشون لضرب القوم من كثب
يدعى المغيرة فى أُولَى عديدهم أولاد مَرَّاسة ليسوا من الذنب

اجتاز قوم حجاج من الأزد ببنى هلال بن عامر فعرفهم ضَمْرَة بن ماعز سيد بنى هلال فقتلهم هو وقومه وبلغ ذلك حاجزا فجمع جمعا من قومه وأغار على بنى هلال فقتل فيهم وسبى منهم وقال يخاطب ضمرة بن ماعز

يا ضَمْر هل نلنـاكم بدمائنا أم هل حَذَوْنا نعلكم بمثال
تبكي لقتلى من فُقَيم قتلوا فاليوم تبكى صادقا لهلال
ولقد شفانى أن رأيت نساءكم تبكين مُرْدَفة على الأكفال
يا ضَمْر ان الحرب أضحت بيننا لَقِحت على الدَّكاء بعد حيال

وكان حاجز مع غاراته كثير الفرار لقى عامراً فهرب منهم ونجا وقال

ألا هل أتى ذات القلائد فرَّتى عشية بين الجرف والبحر من بَعْز[1]
عشية كادت عامر يقتلوننى لدى طرف السَّلماء راغية البكر
فما الظبى أخطت خلفه الصقر رجلها وقد كاد يلقى الموت فى حَلْقه الصقر
بمثلى غداة القومُ بين مقَنَّع وآخر كالسكران مرتكز[2] يَفرى

وفر من خَتْعَم وتبعه المرقَّع الختعمى ففاته حاجز وقال فى ذلك

وكأنما تبع الفوارس أرنبا أو ظبى رابية[3] خُفافا أشعبا
وكأنما طردوا بذى نمراته صَدَعا[4] من الأروَى أحن مكلبا
أعجزت منهم والاكف تنالنى ومضت حياضهم وآبوا خُيَّبا
ادعو شَنوءة غثها وسمينها ودعا المرقع يوم ذلك أكلُبا

---

(١) بعرماء لبنى ربيعة بن عبدالله بن كلاب (٢) ارتكز على القوس جعل سيتها على الارض ثم اعتمد عليها (٣) الخفاف الخفيف القلب المتوقد والاشعب ما كان بين قرنيه بعيدا جدا (٤) الصدع من الاروى الفتى الشاب القوى

خرج حاجز فى بعض أسفاره فلم يعد ولا عرف له خبر فكانوا يرون أنه مات عطشا أو ضل فقالت أخته ترثيه

أحيٌّ حاجز أم ليس حيا ... فيسلك بين خِنْدِف والبهيم
ويشرب شربة من ماء تَرْح ... فيصدُرَ مشية السبع الكليم

ومما يغنى فيه من شعره

الا عللانى قبل نوح النوادب ... وقبل بكاء المُعْوِلات القرائب
وقبل نَوائى فى تراب وجَنْدَل ... وقبل نشوز النفس فوق التَّرائب
فان تأتنى الدنيا بيومى فُجاءة ... تجدنى وقد قَضَّيت منها مآربى

الشنفرى الازدى

من الأَوَاس بن الحَجْر بن الهِنْ بن الازد . أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان رجلا منهم ففدته بنو شبابة بالشَّنْفَرَى فكان فى بنى سلامان لا تحسبه الا أحدهم ، ولما عرف قومه أنكر على بنى سلامان استعبادهم إياه فلزم دار فهم وكان يغير على الازد وقال لبنى سلامان

كأن قَدْ فلا يغررك منى تمكثى ... سلكت طريقا بين يَزْبَغَ فالسَّرْد
وانى زعيم ان تُلَفَّ عجاجتى ... على ذى كساء من سلامان أو برد
هم عرفونى ناشئا ذا مخيلة ... أمشى خلال الدار كالأَسد الوَرْد
كأنى اذا لم أُمْسِ فى دار خالد ... بتيماء لا أُهْدَى سبيلا ولا أَهْدِى

ومن شعره وقد قتل قاتل أبيه

أرى أم عمرو أزْمعت فاستقلت ... وما ودعت جيرانها اذ تولت
فقد سبقتنا أم عمرو بأمرها ... وكانت بأعناق المطى أظلت

بعينى ما أمست فباتت فأصبحت ... فقضت أمورا فاستقلت فولت

فوا كبدى على اميمة بعد ما ... طمعت فهبها نعمة العيش زلت

فيا جارتى وأنت غير مليمة ... اذا ذكرت يوما ولا بذات تقلت (١)

لقد أعجبتنى لا سقوطا قناعها ... اذا ما مشت ولا بذات تلفت

تبيت بعيد النوم تهدى غبوقها ... لجاراتها اذا الهدية قلت

تحل بمنجاة من اللؤم بيتها ... اذا ما بيوت بالمذمة حلت

كأن لها فى الأرض نسيا (٢) تقصه ... اذا ما مشت وان تحدثك تبلت

اميمة لا يخزى نثاها (٣) حليلها ... اذا ذكر النسوان عفت وجلت

اذا هو أمسى آب قرة عينه ... مآب السعيد لم يسل أين ظلت

فدقت (٤) وجلت واسبكرت وأكملت ... فلو جن انسان من الحسن جنت

فبتنا كأن البيت حجر حولنا ... بريحانه (٥) ريح عشاء وطلت

بريحانة من بطن حلية نورت ... لها أرج ماحولها غير مسنت (٦)

وباضعة (٧) حمر القسى بعثتها ... ومن يغز يغنم مرة ويشمت

خرجنا من الوادى الذى بين مشعل ... وبين الحبى هيهات أنشأت سربتى (٨)

أمشى على الارض التى لن تضيرنى ... لأنكى قوما أو ألاقى حمتى (٩)

أمشى على أين الغزاة وبعدها ... يقربنى منها رواحى وغدوتى

وأم (١٠) عيال قد شهدت تقوتهم ... اذا أطعمتهم أو تحت وتقلت

---

(١) أى ليست من صواحب هذه الكلمة الموصوفات بها (٢) النسى الشئ الضائع وتبلت تنقطع فى كلامها لاتطيله (٣) نثاها ما يثث عليها من أفعالها (٤) أراد دقت فى حسنها وجلت فى خلقها واسبكرت طالت وامتدت (٥) ريحت اصابتها ريح فجاءت بنسيمها

(٦) مسنت مجدب (٧) الباضعة القاطعة ويريد غزاة وحمر القسى يعنى انهم غزوا مرة بعد أخرى فاحمرت قسيهم للشمس والمطر ويشمت يخيب ولا يغنم (٨) السربة الجماعة وأنشأتهم أظهرتهم (٩) الحمة المنية (١٠) أراد بأم عيال تأبط شراً لانهم حين غزو جعلوا زادهم اليه وكان يقتر عليهم مخافة أن تطول الغزاة بهم فيموتوا جوعا

تخاف علينا العيل ان هي أكثرت ... ونحن جياع أيّ آل تألّت [١]

مُصَعْلِكة لا يقصُر الستر دونها ... ولا ترتجى للبيت ان لم تُبَيت

لها وَفضة [٢] فيها ثلاثون سَيْحفا ... اذا آنست أو لَى العَدِيّ اقشعرت

وتأتى العديَّ بارزا نصفُ ساقها ... تجول كعَيْر العانة المتفلت

اذا فزعوا طارت بأبيض صارم ... ورامت بما فى جفْرها ثم سلت

حسام كلون الملح صاف حديدُه ... جُراز كأقطاع الغدير المنعَّت

تراها كأذناب الحسيل [٣] صواديا ... وقد نَهلت منها الدماء وعَلَّت

قتلنا قتيلا مُهْديا بمُلَبَّد ... جمار منى وسط الحجيج المصوَّت

جزينا سَلامانَ بن مُفْرِج قرضها ... بما قدمت أيديهم وأزلّت

وهنئ بى قوم وما ان هنأتهم ... وأصبحت فى قوم وليسوا بمَنْبتي

شفينا بعبد الله بعض غليلنا ... وعوف لدى المَعْدَى أوانَ استهلت

اذا ما أتتنى ميتتى لم أبالها ... ولم تُذْرِ خالاتى الدموع وعمتى

الا لا تَعُدْنى ان تشكيت خُلَّتي ... شفانى بأعلى ذى البُرَيقين عدوتى

وانى لحلو ان أريدت حلاوتى ... ومر اذا نفس العَزُوف استمرت

أبيّ لما آبَى وشيك مباءتى ... الى كل نفس تنتحى فى مسرتى

وقال أيضا

ومَرْقَبة عَيْطاء [٤] يقصر دونها ... أخو الضروة الرجل الخفيف المُشَفَّف [٥]

نميت الى أعلى ذراها وقد دنا ... من الليل ملتف الحديقة أسْدَف [٦]

---

(١) أى آل تألت أى سياسة ساست

(٢) الوفضة الجعبة والسيحف السهم العريض النصل ويروى سلجما وهو الطويل من النصال

(٣) الحسيل أولاد البقر

(٤) أبية ممتنعة (٥) شففه المرض والحب أذهله وأوهنه (٦) مظلم

فبت على حد الذراعين محدبا ... كما يتطوّى الأرقش[1] المتقصف

قليل جهازى غير نعلين أسحقت ... صدورهما مخصورة لا تخصف

وملحفة درس[2] وجرد[3] مُلاءة ... اذا أنجمت من جانب لا تكفف

وأبيض من ماء الحديد مهنّد ... مجذ لأطراف السواعد معطف

وصفراء من نبع أبى ظهيره ... يُرن كارنان الشجى وتهتف

اذا طال فيها النزع تأبى بعجسها[4] ... وترمى بمذريها[5] بهن فتقذف

كأن حفيف النبل من فوق عجسها ... عوازب نحل أخطأ الغار مطنف[6]

نأت أم قيس المربعين كليهما ... وتحذر أن ينأى بها المتصيّف

وانك لا تدرين ان ربّ مشرب ... مخوف كداء البطن أو هو أخوف

وردت بمأثور يمان وضالة[7] ... تخيرتها مما أريش وأرصف

أركبها فى كل أحمر غائر ... وأنسج للولدان ما هو مقرف

وتابعت فيه البرى حتى تركته ... يزفّ اذا انفذته ويذفذف

فكفى منها للبغيض كراهة ... اذا بعت حلاّ ماله متخوف

وواد بعيد العمق ضنك جماعه ... بواطنه للجن والأسد مألف

تعسفت منه بعدما سقط الندى ... غماليل[8] يخشى غيلها المتعسف

اذا خشعت نفس الجبان وخيّمت ... فلى حيث يخشى أن يجاور مخشف[9]

وان امرأ أجار سعد بن مالك ... على وانواب الأقيصر يعنف

ولما أسره بنو سلامان وأرادوا قتله قالوا له أين نقبرك ؟ فقال

لا تقبرونى ان قبرى محرم ... عليكم ولكن أبشرى أم عامر

---

(١) الارقش والرقشاء الحية المنقطة بسواد وبياض (٢) بالية (٣) خلق

(٤) مقبضها (٥) مذروا القوس الموضعان اللذان يقع عليهما الوتر من أعلى وأسفل قال أبو عمرو واحداهما مذرى (٦) يعلو الطنف (٧) سهام (٨) الغمليل الوادى الضيق الكثير الشجر والنبت الملتف (٩) والمخشف الدليل الماضى

اذا احتملت رأسي وفي الرأس كثرتي وغودر عند الملتقى ثم سائري
هنالك لا أرجو حياة تسرني سَجيس الليالي مُبْسَلا بالجرائر

قيس بن منقذ السلولي

من سَلول بن كعب بن عمرو خُزاعة بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقيا يعرف بابن الحُدادية وهي أمه من محارب بن خَصَفة ثم من بني حُدَاد منهم

شاعر من شعراء الجاهلية وكان فاتكا شجاعا صُعْلوكا خليعاً خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على أنفسها بخلعها اياه فلا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه

من شعره في اغارة له على بني هوازن

نحن جلبنا الخيل قُبًّا (١) بطونُها تراها الى الداعي المثوب جُنَّحا
بكل خُزاعي اذا الحرب شمَّرت تَسَرْبل فيها بُرْدَه وتوشحا
قرعنا قُشَيرا في المحل عشية فلم يجدوا في واسع الارض مَطْرَحا
قتلنا أبا زيد وزيداً وعامرا وعروةَ أقصدنا (٢) بها ومُرَوَّحا
وأُبْنا بإبل القوم تُحْدَى ونسوة يُبَكِّين شِلْوا أو أسيرا مُجَرَّحا
غداةَ سقينا أرضهم من دمائهم وأُبْنا بأُدْم كنَّ بالامس وضَّحا
ورُعْنا كِلابا قبل ذاك بغارة فسقنا جلادا في المبارك قُرَّحا
لقد علمت أفناء بكر بن عامر بانا نَذُود الكاشح المتزحزحا
وانا بلا مَهْر سوى البيض والقَنا نُصيب بأفناء القبائل منكِحا

كانت خُزاعة تلي البيت فرغبت قيس أن ينزعوه منهم فساروا الى خُزاعة وعليهم عامر بن الظَّرِب العَدْواني فاقتتلوا فانهزمت قيس ونجا عامر على فرس له فقال ابن الحُدادية في ذلك

---

(١) القب دقة الخصر وضمور البطن (٢) أقصده طعنه فلم يخطئه

لقد سُمْت نفسك يا ابن الظَّرِب ... وجشَّمتهم منزلا قد صَعُب
وحمَّلتهم مركبا باهظا ... من العبء إذ سقتهم للشغب
بحرْب خزاعة أهل العلا ... وأهل الثناء وأهل الحسب
هم المانعو البيت والذَّائدو ... ن عن الحُرمات جميع العرب
نفوْا جرْهما ونفوْا بعدهم ... كِنانة غصْبا ببيض القُضُب
وسُمْر الرماح وجُرْد[1] القداح ... عليها فوارس صدق نُجُب
وهم ألحقوا أسداً عَنْوة ... بأحياء طيء وحازوا السَّلَب
خُزاعة قومى فان أفتخر ... بهم يَزْكُ مُعْتَصرى والنسب
هم الرأس والناس من بعدهم ... ذُنابَى وما الرأس مثل الذَّنب
يواسى لدَى المحل مولاهم ... ويكشف عنه غموم الكرب
فجارهم آمن دهره ... بهم أن يُضام وأن يغتصب
يكبون فى الحزن خون الهجا ... ويَبْرُون اعداءهم بالحرب
ولو لم ينجك من كيدهم ... أمين الفُصوص شَديد العصب
لزرت المنايا فلا تكفرن ... جوادك نعماه يا ابن الظَّرِب
فان يلتقوك يَزُرْك الحما ... م أو تنجُ ثانية بالهرب

وقال يمدح أسَد بن كُرز حين تحمل عنه دما أصابه

لاتعذُليني سليمى اليوم وانتظرى ... أن يجمع الله شملا طالما افترقا
ان شتت الدهر شملا بين جيرتكم ... فطال فى نعمة يسَلْم ما اتفقا
وقد حللتا بِقَسْرِى أخى ثقة ... كالبدر يجلو دُجى الظلماء والأفقا
لايجبر الناس شيئاً هاضه أسد ... يوماً ولا يَرْتقُون الدهر مافتقا
كم من ثناء عظيم قد تداركه ... وقد تفاقم فيه الامر وانخرقا

---

(١) فرس أجرد قصير الشعر رقيقه والاجرد السباق

وقال لابى الضريس القُشَيْرى وقد غزا بنى ضَيَاطر فلم يفز بشىء

فدى لبنى قيس وأفنَاء مالك ... لدى الشِّسْع من رجلى إلى الفَرْق صاعداً
غداة أتى قوم الضَّريس كأنهم ... قَطا الكُدْر من وَدَّان أصبح وارداً
فلم أر جمعاً كان أكرم غالباً ... وأحمى غلاماً يوم ذاك وأطردا
رميناهم بالحُوّ والكُمْت والقنا ... وبيض خِفاف يختلين السواعدا

ولما خلعته خزاعة تحول ونزل عند بطن من خُزاعة يقال لهم بنو عدى بن عمرو ابن خالد فآووه وأحسنو اليه فقال فيهم

جزى الله خيراً عن خليع مُطَرَّد ... رجالا حَمَوْه آل عمرو بن خالد
فليس كمن يغزو الصديق بنَوْكه ... وهمته فى الغزو كسب المزاود
عليكم بعَرصات الديار فانني ... سواكم عديد حين يبكي مساهدى
ألاوَذْتم حتى اذا ما أمِنتم ... تعاورتم سجعاً كسجع الهداهد
تَجَنَّى على المازنان كلاهما ... فلا أنا بالمغضى ولا بالمساعد
وقد حَدبت عمرو علىّ بعزها ... وأبنائها من كل أرْوَع ماجد
مصاليت يوم الروع كسبهم العلا ... عظام مَقيل الهام شُعْث السواعد
أولئك اخوانى وجُلُّ عشيرتى ... وثروتهم والنصر غير المحارد

وقال يمدح عدى بن نوفل وقد فك أساره هو وجماعة من قومه

دعوت عديا والكُبول تكُبّنى ... ألا يا عدىُّ يا عدىَّ بن نوفل
دعوت عدياً والمنايا شوارع ... ألا يا عدى للأسير المكَبَّل
فما البحر يجرى بالسفين اذا غدا ... بأجود سيباً منه فى كل محفل
تداركت أصحاب الحظيرة بعدما ... أصابهم منا حريق المحلل
واتبعت بين المشعَرين سعاية ... لحجاج بيت الله أكرم منهل

وكان يحب ابنة عمه نعم وله فيها وقد رحلت مع أخيها

أجدّك أن نعم نأت أنت جازع ... قد اقتربت لو أن ذلك نافع
قد اقتربت لو أن فى قرب دارها ... نوالا ولكن كل من ضن مانع
وقد جاورتنا فى شهور كثيرة ... فما نوّلت والله راء وسامع
فان تلقياً نعما هديت فحيها ... وسل كيف ترعى بالمغيب الودائع
وظنى بها حفظ لغيبى ورعية ... لما استُرعيت والظن بالغيب واسع
وقلت لها فى السر بينى وبينها ... على عجل أيّان من سار راجع
فقالت لقاء بعد حول وحجة ... وشحط النوى الا لذى العهد قاطع
وقد يلتقى بعد الشتات أولو النوى ... ويسترجع الحيّ السحاب اللوامع
وما ان خذول نازعت حبل حابل ... لتنجو الا استسلمت وهى ظالع
بأحسن منها ذات يوم لقيتها ... لها نظر نحوى كذى البثّ خاشع
رأيت لها ناراً تُشبُّ ودونها ... طويل القرا من رأس ذروة فارع
فقلت لأصحابى اصطلوا النار انها ... قريب فقالوا بل مكانك نافع
فمالك من حادٍ حبوت مقيداً ... وألحى على عرنين أنفك جادع
أعيطا أرادت أن تخب جمالها ... لتفجع بالأظعان من أنت فاجع
فما نطفة بالطود او بصَرية ... بقية سيل أحرزتها الوقائع
يطيف بها حرّان صاد ولا يرى ... اليها سبيلا غير أن سيطالع
بأطيب من فيها اذا جئت طارقاً ... من الليل واخضلّت عليك المضاجع
وحسبك من نأى ثلاثة أشهر ... ومن حزن ان زاد شوقك رابع
سعى بينهم واشٍ بأفلاق بُرْمة ... لتفجع بالاظعان من هو جازع
بكت من حديث بثه وأشاعه ... ورَصفه واشٍ من القوم راصع
بكت عين من أبكاك لا يعرف البكا ... ولا تتخالجك الامور النوازع
فلا يسمعن سرى وسرك ثالث ... الا كل سر جاوز اثنين شائع
وكيف يشيع السر منى ودونه ... حجاب ومن دون الحجاب الأضالع

وحب لهذا الربع يمضى أمامه قليل القلى منه قليل ورادع
لهوت به حتى اذا خفت أهله وبيّن منه للحبيب المخادع
نزعت فما سرى لأول سائل وذو السر مالم يحفظ السر وازع
وقد يحمد الله العزاء من الفتى وقد يجمع الامر الشتيت الجوامع
الا قد يسلّى ذو الهوى عن حبيبه فيسلى وقد تروى المطى المطامع
وما راعنى الا المنادى ألا اظعنوا والا الرواعى غدوة والقعاقع
فجئت كأنى مستضيف وسائل لأخبرها كلّ الذى أنا صانع
فقالت تزحزح مابنا كبر حاجة اليك ولا منا لفقرك راتع
فما زلت تحت الستر حتى كأننى من الحرذو طمرين فى البحر كارع
فهزت إلى الرأس منى تعجبا وعضّض مما قد فعلت الأصابع
فأيهما منى اتبعت فاننى حزين على اثر الذى أنا وادع
بكى من فراق الحى قيس بن منقذ واذراء عينى مثله الدهر شائع
باربعة تنهل لما تقدمت بهم طرق شتى وهن جوامع
وما خلت بين الحى حتى رأيتهم ببينونة السفلى وهن سوافع
كأن فؤادى بين شقّين من عصا حذار وقوع البين والبين واقع
يحثّ بهم حاد سريع نجاؤه ومعزى عن الساقين والثوب واسع
فقلت لها يانعم حلى محلنا فان الهوى يانعم والعيش جامع
فقالت وعيناها تفيضان عبرة بأهلى بيّن لى متى أنت راجع
فقلت لها تالله يدرى مسافر اذا أضمرته الأرض ما الله صانع
فشدت على فيها اللثام وأعرضت وأمعن بالكحل السحيق المدامع
وانى لعهد الود راع وانى بوصلك مالم يطوِنى الموت طامع

قال أبو عمرو فأنشدت عائشة بنت طلحة هذه القصيدة فاستحسنتها

وبحضرتها جماعة من الشعراء فقالت من قدر منكم أن يزيد فيها بيتا واحدا يشبهها ويدخل فى معناها فله حلتى هذه فلم يقدر أحد منهم على ذلك . وقال قيس يذكر الحى وتفرقهم

١ سقى الله اطلالا بنُعْم ترادفت ... بهن النوى حتى حلان المَطَالِيا
فان كانت الايام يا أم مالك ... تُسَلِّيكم عنى وتُرْضى الاعاديا
فلا يأمنن بعدى امرؤ فَجْعَ لذة ... من العيش أوفجع الخطوب العواديا
وبُدِّلت من جَدْواك يا أم مالك ... طوارق همّ يحضرون وسـاديا
٥ وأصبحت بعد الأنس لابس جنة ... أساقى الكُماة الدارعين العواليا
فيومای يوم فى الحديد مُسَرْبلا ... ويوم مع البيض الأوانس لاهيا
فلا مدركا حظا لدى أم مالك ... ولا مستريحاً فى الحياة فقاضيا
خليلى ان دارت على أم مالك ... صروف الليالى فابعثا لى ناعيا
ولا تتركانى لا لخير معجل ... ولا لبقـاء تنظران بقائيـا
١٠ وان الذى أملتُ من أم مالك ... أشاب قَذالى واستهام فؤاديا
فليت المنايا صبحتنى غُدَيَّةً ... بذَبْح ولم أسمع لبين مناديا
نظرت ودونى يَذْبُل وعَمايَة ... الى آل نُعم منظرا متنائيـا
وقلت ولم أملك أعمرو بن عامر ... لحتف بذات الرَّقمتين يرى ليا
وقد أيقنت نفسى عشية فارقوا ... بأسفل وادى الدوح الا تلاقيا
١٥ اذا ما طواك الدهر يا أم مالك ... فشأن المنايا القاصرات وشانيا

أغارت هوازن على خُزاعة وهم بالمُحَصَّب من مِنًى فأوقعوا ببطن منهم يقال لهم بنو العنقاء وبقوم من بنى ضياطر فقتلوا منهم عبـدا وعوفا وأقرم وغبشان ، فقال ابن الأحب العَدْوانى ففخر بذلك

غداة التقينا بالمحصَّب من منًى فلاقت بنو العنقاء احدى العظائم
تركنا بها عوفا وعبدا وأقرما وغُبْشان سؤرا للنسور القشاعم

فاجابه قيس

فخرت بيوم لم يكن لك فخره أحاديث طسم انما أنت حالم
تفاخر قوما أطردتك رماحهم اكعب بن عمرو هل يجاب البهائم
فلو شهدت أم الصبيين حملنا وركضهم لابيضَّ منها المقادم
غداة توليتم وأدبر جمعكم وأبنا بأسراكم كأنا ضراغم

لقى قيس جمعا من مُزَينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرة ، فقالوا له استأسر فقال وما ينفعكم منى اذا استأسرت وأنا خليع؟ والله لو أسرتمونى ثم طلبتم بى من قومى عنزا جرباء جذماء ما أعطيتموها ، فقالوا له استأسر لا أم لك ، فقال نفسى على أكرم من ذاك وقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز ويقول

أنا الذى تخلعه مواليهْ وكلهم بعد الصفاء قاليه
وكلهم يُقْسم لا ينالیه انا اذا الموت ينال غاليه
مختلط أسفله بعاليه قد يعلم الفتيان انى صاليه

اذا الحديد رفعت عواليه

الحارث بن الطفيل الدوسى الازدى

من دَوس بن عبدالله بن عُدْثان بن عبيدالله بن زَهْرَان بن كعب بن الحرث ابن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الازْد ، شاعر فارس من مخضرمى الجاهلية والاسلام ، وأبوه الطُّفيل بن عمرو شاعر أيضا وهو أول من وفد من دَوْس على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وعاد الى قومه فدعاهم الى الاسلام . وأنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا واله الناس نألم حربهم ولو حاربتنا منهب وبنو فهم
ولما يكن يوم تزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأ ضخم
أسلما على خسف ولست بخالد ومالى من واق اذا جاءنى حتمى
فلا سلم حتى تحفز[1] الناس خيفة ويصبح طير كانسات على لحم

وقد أسلمت دوس بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن قول الحرث فى حرب كانت بين دوس وبين بنى الحرث بن عبد الله انتصرت فيها دوس

يادارُ من ماوىً بالشُّهْب بنيت على خَطْب من الخطْب
اذ لا ترى الا مقاتلةً وعجانساً[2] يرفُلن كالركب
ومُدَجَّجا يسعى بشكَّته محمرة عيناه كالكلب
ومعاشرا ضدأ الحديد بهم عبق الهناء مخاطم الجُرْب
لما سمعت نزال قد دعيت أيقنت انهمُ بنو كعب
كعب بن عمر لا لكعب بنى العنقاء والتبيان فى النسب
فرميت كبش القوم معتمدا فمضى وراشوه بذى كعب
شكوا بحقويه القداح كما ناط المُعَرَّض أقْدَحُ القُضْب
فكأن مهرى ظل محتفرا بشبا الاسنة مغرة[3] الجأب
يارب موضوع رفعت ومر فوع وضعت بمنزل اللصب[4]
وخليل غانية هتكت قرارها تحت الوغى بشديدة العضْب
كانت على حب الحياة فقد احلتها فى منزل غرب
جانيك من يجنى عليك وقد تعدى الصحاح مبارك الجرب

ليس هذا البيت من القصيدة

---

(١) حفزة أزعجه (٢) العجنس الجمل الضخم الصلب الشديد ج عجانس
(٣) المغرة الطين الاحمر يصبغ به والجأب ماء لبنى هجيم (٤) الشعب الصغير فى الجبل

شعراء الاوس والخزرج

الأوس والخزرج ابنا حارثه بن عمرو مُزَيْقيا بن عامر ماء السماء بن حارثه الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد نزلا المدينة على من بها من اليهود بعد سيل العَرِم

نزول اليهود المدينة

لما ظهرت الروم على بنى اسراءيل بالشام خرج بنو النَّضير وبنو قُرَيظة وبنو هَزَل هاربين منهم الى الحجاز ، ولما قدموا المدينة نزلوا الغابة فوجدوها وبية فكرهوها فتحولوا الى العالية وهى بُطْحان ومَهْزُوروها واديان يهبطان من حَرّة على تلاع أرض عَذْبة بها مياه عَذْبة تنبت حُرّ الشجر ، فبنى بنو النضير على بُطحان ونزلت قُرَيظة ومن معهم على مهزور وكان معهم من غير بنى اسراءيل بطون من العرب ، فلما أرسل الله سيل العَرِم على أهل مأرِب تفرقوا فنزل الاوس والخزرج منهم المدينة نزلوا بصِرار وهو ماء على ثلاثة أميال من المدينة نزلوا فى جهد وضيق فى المعاش ليسوا باصحاب ابل ولا شاء لان المدينة ليست بلاد نَعَم وليسوا باصحاب نخل ولا زرع وليس للرجل منهم الا الأعْذاق اليسيرة يستخرجها من أرض موات والأموال لليهود ، لبث الاوس والخزرج كذلك حينا ثم ان مالك بن العَجْلان وفد الى أبى جُبَيْلة الغَسّانى وهو يومئذ ملك غسّان، فسأله عن قومه وعن منزلتهم فأخبره بحالهم وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبيلة والله ما نزل قوم منا بلدا الا غلبوا أهله عليه فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضى الى قومه وقال له أعلمهم انى سائر اليهم ، فرجع مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبى جبيلة ثم قال لليهود ان الملك يريد زيارتكم فأعدوا نُزُلا ، فأعدوه وأقبل أبو جبيلة سائرا من الشام فى جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذى حُرُض ، ثم دعا اليه

اليهود فاقبل اليه وجهاؤهم فأمر بقتلهم وفى ذلك تقول سارة القُرَيظيه ترثيهم

بنفسى أمة لم تغن شيئاً ... بذى حرُض تُعفّيها الرياح
كهول من قُرَيظة أتلفتها ... سيوف الخزرجية والرماح
رُزِئنا والرزية ذات ثقل ... يَمَرّ لأهلها الماء القَراح
ولو أربوا بأمرهم لجالت ... هنالك دونهم جأوَى رَداح (١)

وقال الرَّمَق وهو عبيد بن سالم الخزرجى يمدح أبا جبيلة

لم يُقْضَ دينك فى الحسا ... ن وقد غَنِيت وقد غَنَينا
الراشقات المرشقا ... ت الجازيات بما جزينا
أمثال غز لان الصرا ... ئم يأتزرن ويرتدينا
الرَّيْطَ والديباج والـ ... ـزَّرد المضاعف والبُرِينا (٣)
وأبو جُبَيلة خير من ... يمشى وأوفاهم يمينا
وأبَرُّه براً وأعـ ... ـلمه بعلم الصالحينا
أبقت لنا الايام والـ ... ـحرب المهمة تعترينا
كَبْشا لنا ذكرا يفُلّ ... حسامه الذكر السمينا
ومعاقلا شملا واسـ ... ـيافا يَقُمن وينحنينا
ومَحِلة زوراء تز ... حف بالرجال المصلتينا

وقال الصامت بن أصرم

سائل قُرَيظة من يقسم سَبْيها ... يوم العريض ومن أفاء المغنما
جاءتهم الملحاء (٤) يخفق ظلها ... وكتيبة خشناء تدعو سلما
عيّ الذى جلب الهمام لقومه ... حتى أحل على اليهود الصَّيْلَما

---

(١) كتيبة ثقيله (٢) أرشقت الظبية مدت عنقها ونظرت فهى مرشق
(٣) البرة كل حلقة من سوار وقرط وخلخال (٤) الكتيبة العظيمة

ثم ان أبا جبيلة قال لهم ان لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم ، ثم رحل فأقاموا زمنا بعد ما صنع ويهود تعترض عليهم وتناويهم ، فقال مالك بن العَجْلان والله ما أثخنا اليهود غلبة كما نريد ، ثم فعل باليهود فعلة أبي جبيلة فقتل منهم بضعة وثمانين رجلا ، فلما قتل منهم من قتل ذلوا وقل امتناعهم وخافوا خوفا شديداً وجعلوا كلما هاجهم أحد من الاوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم الى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهودى الى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول انما نحن جيرانكم ومواليكم فكان كل قوم من يهود قد لجؤا الى بطن من الاوس والخزرج يتعززون بهم

وقد كان من اليهود شعراء فمنهم

أوس بن دلى الفرظى

كانت له امرأة من قومه أسلمت وفارقته ثم نازعتها نفسها اليه فأتته وجعلت ترغبه فى الاسلام فقال فيها

دعتنى الى الاسلام يوم لقيتها ... فقلت لها لا بل تعالَىْ تهودى

فنحن على توراة موسى ودينه ... ونعم لَعَمْرَى الدينُ دين محمد

كلانا يرى ان الرسالة دينه ... ومن يُهْدَ أبواب المراشد يهتدى

ومما غنى فيه من شعره

انى تذكّر زينب القلب ... وطلاب وصل عزيزة صعب

ماروضة جاد الربيع لها ... مَوْشِيةٌ ما حولها جَدْب

بألذّ منها اذ تقول لنا ... سيرا قليلا يلحق الركب

ومنهم

السموءل بن غريض بن عاديا الاسرائيلى

صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتَيْماء المشهور بالوفاء ، وكانت العرب تنزل بحصنه فيُضَيفها وتمتار من حصنه وتقيم هناك سوقا وبه يضرب المثل فى الوفاء

لاسلامه ابنه حتى قتل ولم يخن أمانته فى ادراع أودعها وقال فى ذلك

وفيت بأدرع الكِنْدى انى ... اذا ماذم اقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بألا ... تُهَدِّم ياسموءلُ ما بنيت
بنى لى عاديا حصنا حصينا ... وماء كلما شئت استقيت

ومنها

اعاذلتى الا لا تعذلينى ... فكم من أمر عاذلة عصيت
دعينى وارشدى ان كنت أغوى ... ولا تغوى زعمت كما غويت
أعاذل قد أطلت اللوم حتى ... لو انى منته لقد انتهيت
وحتى لو يكون فتى أناس ... بكي من عذل عاذلة بكيت
وصفراء المعاصم قد دعتنى ... الى وصل فقلت لها أبيت
وزق قد جررت الى الندامى ... وزق قد شربت وقد سقيت

وسُعَيَّة بن غريض أخو السموءل شاعر، فمن شعره الذى يغنى فيه قوله

يادار سعدى بمُنْضى تَلْعة النعم ... حييت دارا على الاقواء والقدم
عُجنا فما كلمتنا الدار اذ سئلت ... وما بها عن جواب خلتُ من صَمَم
وما بجزعك الا الوحش ساكنة ... وهامد من رماد القدر والحَمَم

ومنه

لُبَاب يا أخت بنى مالك ... لا تشترى العاجل بالآجل
لباب داوينى ولا تقتلى ... قد فضل الشافى على القاتل
أن تسألى فاسألى خابراً ... والعلم قد يُلْفَى لدى السائل
ينبيك من كان بنا عالما ... عنا وما العالم كالجاهل
انا اذا حارت دواعى الهوى ... وأنصت السامع للقائل
واعتلج القوم بألبابهم ... فى المنطق الفاصل والنائل
لا نجعل الباطل حقا ولا ... نُلفِظُ دون الحق بالباطل

نُخاف أن تَسْفَه أحلامنا فنَخْمَل الدهر مع الخامل

ومما يغنى فيه منها

لباب هل عندك من نائل لعاشق ذى حاجة سائل
علته منك بما لم ينل يا ربما علت بالباطل

ومن قوله

أرى الخلان لما قل مالى وأجحفت النوائب ودعونى
فلما ان غَنِيت وعاد مالى أراهم لا أبالك راجعونى
وكان القوم خلانا لمالى واخوانا لما خُوِّلت دونى
فلما مر مالى باعدونى ولما عاد مالى عاودونى

أبو الزناد

من شعراء اليهود

مما يغنى فيه من شعره

هل تعرف الدار خفَّ ساكنها بالحجْر فالمستَوَى الى ثَمَد
دار لبَهْنانة (١) خدَّ لجة تضحك عن مثل جامد البَرَد
نعم ضجيعُ الفتى اذا بَرَد الليل وغارت كواكب الأسد
يا مَنْ لِقلب متيم سَدِم عانٍ رهين أحيط بالفقد
أزجره وهو غير مزدجر عنها وطرفى مقارن السُّهد
تمشى الهُوَينا اذا مشت فضلا مشى النَّزيف المبهور فى صُعُد
تَظَلّ من زَوْر بيت جارتها واضعة كفها على الكبد

---

(١) البهنانة المرأة الطيبة النفس والريح واللينة فى عملها ومنطقها والضحاكة الخفيفة الروح والخدلجة المرأة الممتلئة الذراعين والساقين

كعب بن الاشرف

من بنى النَّضير ثم من بنى اسراءيل ، كان شاعراً فارساً وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره فى الحروب التى كانت بين الاوس والخزرج وهو شاعر من شعراء اليهود فحل فصيح كان عدوا للنبى صلى الله عليه وسلم يهجوه ويهجو أصحابه ويُحَرِّض عنه العرب فبعث النبى صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه فقتلوه فى داره . ومن شعره وفيه غناء

ولنا بئر رِواء جَمَّة ... من بَرِدْها بأناءٍ يغترف
تَدْلج الجُون على أكتافها ... بدلاء ذات أمْراس صُدُف
كل حاجاتى قد قضيتها ... غير حاجاتى من بطن الجُرُف

الربيع بن أبى الحقيق

من شعراء اليهود من بنى قُرَيظة وكان أحد الرؤساء فى يوم حرب بُعاث حليفا للخزرج هو وقومه

سئمت وأمسيت رَهْن الفرا ... ش من جُرْم قومى ومن مَغْرَم
ومن سَفَه ارأى بعد النهى ... وعيب الرشاد ولم يفهم
فلو أن قومى أطاعوا الحليم لم يتعدَّوْا ولم يظلم
ولكن قومى أطاعوا الغُوَا ... ة حتى تعكس أهل الدم
فأودى السفيه برأى الحليم وانتشر الأمر لم يُبْرَم

ومن قوله يعاتب الانصار فى شىء بينه وبينهم

رأيت بنى العَنْقاء زالوا وملكهم ... وآبوا بانف فى العشيرة مُرْغَم
فان يقتلوا نندم لذاك وان بَقُوا ... فلا بد يوماً من عقوق ومأثم
وان فُوَيْق الرأس شؤبوب مُزْنة ... لها بَرَد مايغْشَ م الارض يَحْطِم

ومن قوله وفيه غناء

دورعفَتْ بقُرى الخابور غيرها ... بعد الأنيس سوافى الريح والمطرُ
ان تُمسِ دارك ممن كان ساكنها ... وحشاً فذلك صرف الدهر والغير
وقد تحل بها بيض ترائبها ... كأنها بين كُثبان النَّقا البقر

أُمية بن الجلاح

من بنى جَحْجَبَى من الأوس

خبره مع تُبَّع

أقبل أبو كَرِب تُبَّع بن حسان من اليمن سائراً يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل فمر بالمدينة فخلف بها ابناً له فقتل بها غيلة فكر تبع راجعاً الى المدينة وهو مجمع على خرابها وقطع نخلها واستئصال أهلها وسبى الذرية ،فنزل بسفح أُحُد فاحتفر بها بئراً « يقال لها الى اليوم بئر الملك » ثم أرسل الى أهل المدينة ليأتوه ، فذهبوا اليه وفيهم أحيحة ومعه قينة له وخباء فضرب الخباء وجعل فيه القينة وفهم أن تبعاً يريد قتله فدخل خباءه فشرب الخمر وقرض أبياتاً وأمر القينة أن تغنيه بها وجعل تبع عليه حرساً وكانت قينته تدعى مُلَيْكة فقال :

يشتاق قلبى الى مُلَيْكة لو ... أمست قريباً ممن يطالبها
ما أحسنَ الجِيدَ من مليكة واللَّـبَّاتِ اذ زانها ترائبها
ياليتنى ليلةً اذا هجع النـاس ونام الكِلابُ ، صاحبُها
فى ليلة لا يرى بها أحد يسعى علينا الا كواكبها
لتبكنى قَيْنَة ومِزْهرها ولتبكنى قهوة وشاربها

ولتبكنى ناقة اذا رحلت وغاب فى سَرْدَح [1] منا كبها
ولتبكنى عصبة اذا جمعت لم يعلم الناس ما عواقبها

فلم يزل القينة تغنيه يومه وعامة ليلته ، فلما نام الحرس قال لها انى ذاهب الى أهلى فسدّى عليك الخباء فاذا جاء رسول الملك فقولى له انى نائم فاذا أبَوْا إلا أن يوقظونى فقولى قد رجع الى أهله وترك معى رسالة الى الملك ، فان ذهبوا بك اليه فقولى له يقول لك أُحَيْحة « اغدر بقَيْنة أودَع » ثم خرج فتحصن فى أُطُمه ، وعلم الملك بما كان بعد ذلك فجرد كتيبة من جيشه فى طلب أحيحة فلم يظفروا بطائل وانصرف تبع عن المدينة باشارة حبرين من يهودها قالا له « ان هذه البلدة محفوظة وانا نجد اسمها فى كتابنا وأنها مُهاجَر نبى من بنى اسمعيل اسمه احمد يخرج من هذا الحرم من نحو البيت الذى بمكة تكون داره وقراره ويتبعه أكثر أهلها »

وقال أحيحة يرثى من قتل تبع

ألا يالَهْفَ نفسى أى لهف على أهل القفارة أى لهف
مَضَوا قصد السبيل وخلفونى الى خَلْف من الأبرام خافى
سدًى لايكتفون ولا أراهم يصونون امرأ ان كان يكفى

ومن قوله

إنى أقيم على الزوراء أعمُرها ان الكريم على الاخوان ذو المال
لها ثلاث بئار فى جوانبها فى كلها عُقَب [2] يسعى باقبال
استغن أومت ولا يغررك ذو نشب من ابن عم ولا عم ولا خال
يلوون مالهم عن حق أقربهم وعن عشيرتهم والحق للوالى

---

(١) السردح الارض اللينة المستوية وفى الخزانة فى سريح وقال أنها الارض الواسعة

(٢) العقب الذى فى أول المال عند مدخل الماء والطلب الذى فى آخره وفى اللسان العقب نوب الواردة ترد قطعة فتشرب فاذا وردت قطعة بعدها فشربت فذلك عقبتها

أتى قيس بن زهير أحيحة لما وقع الشر بينه وبين بني عامر فقال له يا أباعمرو نبئت ان عندك درعاً ليس بيثرب درع مثلها فان كانت فضلاً فبعنيها أو فهبها لي فقال يا أخا بني عَبْس ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضل عنه ولولا اني أكره أن أستلئم الى بني عامر لوهبتها لك ولحملتك على سوابق خيلي ولكن ابتزها يا أباأيوب فان البيع مرتخص وغال — فأرسلها مثلا — فقال له قيس فما تكره من استلئامك الى بني عامر قال كيف لا أكره ذلك وخالد بن جعفر الذي يقول

اذا ما أردت العز في آل يثرب ... فنـاد بصوت يا أحيحة اسمع
رأيت أباعمرو أُحيحة جارُه ... يبيت قرير العين غير مُرَوَّع
ومن يأته من خائف ينسَ خوفه ... ومن يأته من جائع البطن يشبع
فضائل كانت للجُلاح قديمة ... وأكرم بفخر من خصالك الأربع

فقال قيس وما عليك بعد ذلك من لوم ، فلها عنه ، ثم عاوده فساومه فغضب أحيحة وقال له بت عندي فبات عنده فلما شرب تغنى أحيحة وقيس يسمع

ألا ياقيس لا تسمن درعي ... فما مثلي يساوم بالدروع
فلولا خلة لأبي حُوَيّ ... واني لست عنها بالنزوع
لأبتَ بمثلها عشراً وطِرْف ... لحَوق الأطل جيّاش تليع
ولكن سم ما أحببت فيها ... فليس بمنكر غير البيوع
فما هبة الدروع أخا بَغيض ... ولا الخيل السوابق بالبديع
فأمسك بعد ذلك عن مساومته

أبو قيس بن الاسلت الاوسي

شاعر من شعراء الجاهلية وكانت الأوس قد اسندت اليه حربها يوم بُعاث وجعلته رئيساً عليها فكفى وساد

يوم بعاث

كانت الأوس قد استعانت ببنى قريظة والنضير فى حروبهم التى كانت بينهم وبلغ ذلك الخزرج فبعثت اليهم ، ان الأوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يعجزنا ان نستعين بأعدادكم واكثر منكم من العرب فان ظفرنا بكم فذاك ماتكرهون وان ظفرتم لم ننم عن الطلب أبداً فتصيروا الى ما تكرهون ويشغلكم من شأننا ما انتم الآن منه خالون ، وأسلم لكم من ذلك أن تدعونا وتخلوا بيننا وبين اخواننا ، فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق ، فأرسلوا الى الخزرج انه قد كان الذى بلغكم والتمست الأوس نصرنا وما كنا لننصرهم عليكم ابداً ، فقالت لهم الخزرج فان كان ذلك كذلك فابعثوا الينا برهائن تكون فى أيدينا ، فبعثوا اليهم أربعين غلاماً منهم ، ففرقهم الخزرج فى دورهم ، فمكثوا بذلك مدة ، ثم أن عمرو بن النعمان البياضى قال لقومه بياضة ان عامراً أنزلكم منزل سوء بين سبخة ومفازة وانه والله لا يمس رأسى غسل حتى انزلكم منازل بنى قريظة والنضير على عذب الماء وكريم النخل ، ثم راسلهم اما أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها وأما ان نقتل رهنكم ، فهموا أن يخرجوا من ديارهم ، فقال لهم كعب بن اسد القرظى ياقوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرهن والله ما هى الا ليلة يصيب فيها احدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن ، فاجتمع رأيهم على ذلك ، فأرسلوا الى عمرو بألا نسلم لكم دورنا وانظروا الذى عاهدتمونا عليه فى رهننا فقوموا لنا به ، فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج فقتلوهم ، وأبى عبد الله بن أُبَىّ (وكان سيداً حليما) وقال هذا عقوق ومأثم وبنى فلست معيناً عليه ولا أحد من قومى أطاعنى وخلى عمن عنده من الرهن ، فناوشت الأوس الخزرج يوم قتل الرهن شيئاً من قتال غير كبير ، واجتمعت قريظة والنضير الى كعب بن أسد ثم تآمروا أن يعينوا الأوس على الخزرج ، فبعث الى الأوس بذلك ثم أجمعوا عليه على أن

ينزل كل أهل بيت من النبيت على بيت من بنى قريظة فنزلوا معهم فى دورهم ثم ارسلوا الى سائر الأوس فى الحرب والقيام معهم على الخزرج فأجابوهم الى ذلك ، فاجتمع الملأ منهم واستحكم أمرهم وجدوا فى حربهم فلما سمعت بذلك الخزرج اجتمعوا حتى جاؤا عبد الله بن أبى وقالوا له قد كان الذى بلغك من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا ، وانا نرى أن نقاتلهم فان هزمناهم لم يحرز أحد منهم معقله ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد ، فلما فرغوا من مقالتهم قال لهم عبد الله ان هذا بغى منكم على قومكم وعقوق ، والله ما أحب ان رجلاً من جراد لفيناهم وقد بلغنى انهم يقولون هؤلاء قومنا منعونا الحياة أفيمنعوننا الموت والله انى أرى قوماً لا ينتهون أو يهلكوا عامتهم وانى لأخاف ان قاتلوكم أن ينصروا عليكم لبغيكم عليهم فقاتلوا قومكم كما كنتم تقاتلونهم فاذا ولوا فخلوا عنهم ، فاذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت خلوا عنكم ، فقال له عمرو بن النعمان انتفخ والله سحرك يا أبا الحرث حين بلغك حلف الأوس وقريظة والنضير ، فقال عبد الله والله لاحضرتكم أبداً ولا أحد أطاعنى أبداً ولكأنى أنظر اليك قتيلا تحملك اربعة فى عباء ، وتابع عبد الله رجال من الخزرج ، واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرو بن النعمان البياضى وولّوه أمر حربهم ، ولبثت الاوس والخزرج اربعين ليلة يتصنعون للحرب ويجمع بعضهم لبعض ، وذهب حُضَير الكتائب الاشهلى الى ابى قيس بن الأسلت فأمره ان يجمع له أوس الله ، فجمعهم له ابو قيس فقام حضير فاعتمد على قوسه وعليه نمرة تشف عن عورته ، فحرضهم وأمرهم بالجد فى حربهم وذكر ما صنعت بهم الخزرج من اخراج النبيت واذلال من تخلف من سائر الاوس ، فى كلام كثير ، فاجابته أوس الله بالذى يحب من النصرة والموازرة والجد فى الحرب ، وقد اجالوا الرأى فقالوا ان ظفرنا بالخزرج لم نبق منهم أحداً ولم

نقاتلهم كما كنا نقاتلهم ، فقال حضير يا معشر الأوس ما سميتم الأوس إلا لأنكم تؤسون الامور الواسعة ثم قال

يا قوم قد أصبحتم دوارا لمعشر قد قتلوا الخيارا
يوشك أن يستأصلوا الديارا

ثم قال لهم حضير اعقدوا لأبي قيس بن الأسلت ، فقال لهم أبو قيس لا أقبل ذلك فاني لم أرأس على قوم في حرب قط الا هزموا وتشاءموا برياستي ، ثم ولى أمرهم وكان اللقاء بُعاث وهو من أموال بني قُرَيظة فيها مزرعة يقال لها قَوْرَى ، وحشد الحيان فلم يتخلف عنهم الا من لا ذكر له ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه واقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت الأوس حين وجدوا مس السلاح فولوا مصعدين في حرّة قَوْرَى نحو العُزيض ، فنزل حضير وصاحت بهم الخزرج أين الفرار ، فلما سمع حضير طعن بسنان رمحه فخذه ونزل وصاح واعقراه والله لا أريم حتى أقتل فان شئتم يامعشر الاوس أن تسلموني فافعلوا ، فتعطفت عليه الاوس وقام وعلى رأسه غلامان من بني عبد الاشهل يقال لهما محمود ولبيد ابنا خليفة بن ثعلبة وهما يومئذ معرسان ذوا بطش فجعلا يرتجزان ويقولان

أي غلامي ملك ترانا في الحرب اذ دارت بنا رحانا
وعدّد الناس لنا مكانا

فقاتلا حتى قتلا ، وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج فقتله لا يدري من رمى به وانهزمت الخزرج ووضعت الاوس فيهم السلاح وصاح صائح يامعشر الاوس أسجحوا ولا تهلكوا اخوتكم فجوارهم خير من جوار الثعالب ، فتناهت الاوس وكفت عن سلبهم بعد الثخان فيهم وسلبتهم قريظة والنضير وحملت الأوس حضيراً من الجراح التي به وهم يرتجزون حوله ويقولون

كتيبة زينها مولاها لا كهلها هد ولا فتاها

وقدمات حضير من جراحته هذه

وقد رثاه خُفاف بن نَدْبة وكان نديمه وصديقه فقال

لو أن المنايا حِدْنَ عن ذى مَهابة ... لهبن حُضَيْرا يوم أغلق واقما

أطاف به حتى اذا الليل جنّ ... تبوأ منه منزلا متناعما

وقال أيضاً يرثيه

أتانى حديث فكذبته ... وقيل خليلك فى المَرْمَس

فياعين بكّى حُضَيْرَ الندى ... حُضَيْرَ الكتائب والمجلس

ويوم شديد أُوار الحديد ... تقطع منه عرى الأنفس

صليت به وعليك الحديـــد ... ما بين سَلْع الى الاعرس

فأودى بنفسك يوم الوغى ... ونقى ثيابك لم تدنس

وكان أبو قيس شحب وتغير لونه ولبث أشهرا لا يقرب امرأته ثم أنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له فأهوى اليها بيده فدفعته وأنكرته فقال لها أنا أبو قيس فقالت والله ما عرفتك حتى تكلمت وفى ذلك يقول

قالت ولم تقصد لقيل الخنى ... مهلا فقد أبلغت أسماعى

استنكرت لونا له شاحبا ... والحرب غول ذاتُ أوجاع

من يذق الحرب يجد طعمها ... مُرًّا وتتركه بجعجاع

قد حصّت البيضة رأسى فما ... أطعم نوما غير تهجاع

لا نألم القتل ونجزى به الاعداء كيل الصاع بالصاع

وقال أبو قيس وقد أسر فى ذلك اليوم مُخَلَّد بن الصامت أبا مسلمة بن مخلد فمن عليه وقال

أسرت مخلدا فعفوت عنه ... وعند الله صالح ما أتيت

مُزَيْنة عنده ويهود قَوْرَى وقومى كل ذلكم كفيت

ومن قوله

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتلّ عن اتيانهن فتعذر
وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

وله يصف الثريا

وقد لاح فى الصبح الثُّرَيَّا لمن رأى كعنقود مُلَّاحِيَّة حين نَوَّرا

ومن قوله وقد تمثل به عبد الملك فى خطبة له

من يَصْلَ نارى بلاذنب ولا تِرَة يَصْلَ بنار كريم غير غدار
أنا النذير لكم منى مجاهرة كيلا ألامَ على نهى واعذار
فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا ان سوف تلقَوْن خزياً ظاهر العار
لتُتْرَكُنَّ أحاديثاً وملعنة عند المقيم وعند المدلج السارى
وصاحب الوتر ليس الدهرَ مدركه عندى وانى لطلاب لأوتار
أقيم عَوْجته ان كان ذا عوج كما يقوِّم قِدح النَّبْعة البارى

قيس بن الخطيم الاوسى

قتل أبوه الخطيم بن عدى وقيس صغير قتله رجل من حارثة بن الحرث ابن الخزرج فلما بلغ قتل قاتل أبيه ونشبت لذلك حروب بين الأوس والخزرج وكان جده عَدِيّ بن عمرو قد قتل أيضا فظفر قيس بقاتله بعد ظفره بقاتل أبيه بمعونة خداش بن زهير ومن معه فقال فى ذلك قيس

تذكَّر ليلى حسنها وصفاءها وبانت فأمسى ما ينال لقاءها
ومثلك قد أصْبَيت ليست بكَنَّة ولا جارة أفضت الىّ حياءها(١)

---

(١) أى لم يكن بينى وبينها ستر وقال أبو عمرو أخبرتنى بما تكتم وتستر

اذا ما اصطبحت أربعا خط مئزرى ... وأتبعت دلوى فى السخاء رشاءها
ثأرت عديا والخطيم فلم أضع ... ولاية أشياخ جعلت إزاءها (١)
ضربت بذى الزرين رقبة مالك ... فأبت بنفس قد أصبت شفاءها
وساعنى فيها ابن عمرو بن عامر ... خداش فأدى نعمة وأفاءها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع (٢) أضاءها
ملكت بها كفى فأنهرت فتقها ... ترى قائما من خلفها ما وراءها
يهون علىّ أن تردّ جراحه ... عيون الأواسى اذ حمدت بلاءها
وكنت امرأ لا أسمع الدهر سبّة ... أتيت بها إلا كشفت غطاءها
وانى فى الحرب الضروس موكّل ... باقدام نفس ما أريد بقاءها
اذا سقمت نفسى الى ذى عداوة ... فانى بنصل السيف باغ دواءها
متى يأت هذا الموت لا تبق حاجة ... لنفسى الا قد قضيت قضاءها
وكانت شجىً فى الحلق مالم أبوئها ... فأبت بنفس قد أصبت دواءها
وقد جربت منى لدى كل مأقط ... دحىّ اذا ما الحرب ألقت رداءها
وانا اذا ما ممترو (٣) الحرب بلّحوا ... نقيم بأسياد العرين لواءها
ونلقحها مبسورة (٤) ضرزنية ... بأسيافنا حتى نذل أباءها
وانا منعنا فى بعاث نساءنا ... وما منعت ملمخزيات نساءها

قال أنس بن مالك جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه الاخزرجى فاستنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم يعنى قوله

أتعرف رسما كاطراد المذاهب (٥) ... لعمرة وحشا غير موقف راكب

---

(١) أى جعلت القيم بها (٢) الشعاع حمرة الدم (٣) ممترو الحرب الذين يستدرونها وهذا مثل وبلحوا أعيوا (٤) يقال بسر الفحل الناقة اذا ضربها على غير ضبعة وضرزينة عاصية (٥) المذاهب جلود كانت تذهب واحدها مذهب بضم الميم يجعل فيها خطوط مذهبة بعضها فى أثر بعض ووحشا قفرا

ديارَ التى كادت ونحن على مِنًى ... تَحُلُّ بنا لولا نَجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة ... بداحاجب منها وضنَّت بحاجب
ولم أرَها الا ثلاثا على مِنًى ... وعهدى بها عذراء ذات ذوائب
ومثلك قد أصْبَيت ليست بكَنَّة ... ولا جارة ولا حَليلة صاحب
دعوت بنى عوف لحقن دمائهم ... فلما أَبَوْا سامحتُ (١) فى حرب حاطب
وكنت امرأ لا أبعث الحرب ظالما ... فلما أَبَوْا أشعلتها كل جانب
ارِبْتُ (٢) بدفع الحرب حتى رأيتها ... عن الدفع لا تزادد غير تقارب
فاذ لم يكن عن غاية الموت مَدْفع ... فأهلا بها اذ لم تزل فى المراحب
فلما رأيت الحرب حربا تجردت ... لبستُ مع البُرْدين ثوب المحارب
مضاعفةً يغشَى الانامل فضلُها ... كأن قَتيرَيها (٣) عيون الجنادب
أتت عُصْبَ ملْكاهنين (٤) ومالك ... وثعلبةَ الأثْرَين رهط ابن غالب
رجال متى يُدعَوْا الى الموت يُرْقلوا (٥) ... اليه كارقال الجمال المَصاعب
ترى قِصَدَ (٦) المُرَّان تَهْوِى كأنها ... تَذَرَّع خِرْصان بأيدى الشواطب
صبحنا بها الآطام حول مُزاحم ... قوانس (٧) أولَى بيضنا كالكواكب
لو انك تُلقى حنظلا فوق بيضنا ... تدحرج عن ذى سامِهِ (٨) المتتارب
اذا ما فررنا كان أسوَا فِرارنا ... صُدودَ الخدود وازورار المناكب
صدودَ الخدود والقنَا متشاجر ... ولا تبرح الاقدام عند التضارب
اذا قصرت أسيافنا كان وصلُها ... خُطانا الى أعدائنا بالتقارب

---

(١) سامحت تابعت وحاطب حليف لهم قتل فكانت بينهم حرب فى قتله (٢) كانت لى أربة أى حاجة فى دفع الحرب (٣) القتير رؤوس المسامير لحلق الدروع (٤) قريظة والنضير (٥) أرقل البعير نفض رأسه وارتفع عن الذميل (٦) قصد قطع والمران الرماح والخرصان جمع الخرص وهو كل قضيب أو غصن يابس أو رطب من رمح أو سعف والشواطب جمع الشاطبة وهى التى تشقق الشطبة وهى السعفة الطويلة وتأخذ قشرها الاعلى تعمل منه الحصر (٧) القونس الناتىء فى أعلى البيضة (٨) السام عروق الذهب وأراد به خطوط ذهب على البيض تموه بها

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

فالتفت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل كان كما ذكر؟ فشهد له ثابت بن قيس بن شمّاس وقال له والذى بعثك بالحق يارسول الله لقد خرج الينا يوم سابع عرسه عليه غلالة وملحفة مُورّسه فجالدنا كما ذكر

ويومَ بُعاثَ أسلمتنا سيوفُنا الى نسب فى جِذْمِ غسّان ثاقب
يُعرَّين بيضا حين نَلْقى عدونا ويُغْمدن حمرا ناحلات المضارب
أطاعت بنو عوف أميرا نهاهم عن السلم حتى كان أول واجب (١)
أَوَيْت لعوف اذ تقول نساؤهم وبرمين دَفعا ليتنا لم نحارب
صبحناهم شهباء يَبْرُق بَيْضها تُبين خلاخيل النساء الهوارب
أصابت سَراة المُلَّأغرّ سيوفنا وغودر أولاد الاماء الحواطب
ومنا (٢) الذى آلى ثلاثين ليلة عن الخمر حتى زاركم بالكتائب
رضيت لهم اذ لا يريمون قعرها الى عازب الأموال الا بصاحب
فلولا ذُرَى الآطام قد تعلمونه وترك الفضا شوركتم فى الكواعب
فلم تمنعوا منا مكانا نريده لكم محرزا الا ظهور المشارب (٣)
فهلا لدى الحرب العوان صبرتم لوقعتنا واليأس صعب المراكب
ظأرناكم (٤) بالبيض حتى لأنتم أذلُّ من السُّقْبان بين الحلائب
ولما هبطنا الحرْث قال أميرنا حرام علينا الخمر مالم نضارب
فسامحه منا رجال أعزة فما برحوا حتى أحلت لشارب
فليت سويدا رَاء من جُرِّمنكم ومن فراذ يحدونهم كالجلائب
فأبْنا الى أبنائنا ونسائنا وما مَنْ تركنا فى بُعاث بآئب

---

(١) ميت (٢) هو أبو قيس بن الاسلت (٣) الغرف (٤) عطفنا كم على ما نريد والسقبان جمع سقب وهو الذكر من أولاد الابل

وغُيبت[1] عن يوم كَنَدْبِى عشيرتى ويوم بُعاث كان يوم التغالب

وقد أنشد قيس النابغة هذه القصيدة فقال له أنت أشعر الناس

ذكر حسان بن ثابت ليلى بنت الخطيم فى شعره وذكر يوم الرُّبَيْع وهو يوم من أيامهم فقال

لقد هاج نفسك أشجانها وعاودها اليوم أديانها
تذكرت ليلى وأنى بها اذا قطعت منك أقرانها
وحجل فى الدار غربانها وخف من الدار سكانها
وغيرها مُعْصِرات الرياح وسَحُّ الجنوب وتَهْتانها
مَهاة من العين تمشى بها وتتبعها ثَمَّ غزلانها
وقفت عليها فساءلتها وقد ظعن الحى ماشانها
فعَيّت وجاوبنى دونها بما راع قلبى أعوانها

وهى طويلة يقول فيها مفتخراً

ويثرب تعلم أنا بها اذا التبس الامر ميزانُها
ويثرب تعلم أنا بها اذا قحط القطر نُوءانها
ويثرب تعلم أنا بها اذا خافت الأوس نيرانها
ويثرب تعلم أن النبيـــت عند الهزاهز ذلانها
متى ترنا الأوس فى بَيْضنا نَهُزّ القنا نَخْبُ نيرانها
وتعط القياد على رغمها وينزلُ مِ الهام عصيانها

فأجابه قيس بقوله

أجِدَّ[2] بمَرْة غُنْيانها فتهجرَ أم شاننا شانُها
وان تُمْسَ شَطَّت بها دارها وباح لك اليومَ هجرانها

---

(١) لم يكن قيس حضر يوم بعاث (٢) استمر وغنيانها استغناؤها

فما روضة من رياض القطا كأن المصابيح حوذانها[١]
بأحسن منها ولا مزنة[٢] دلوح تكشف أدجانها
وعمرة من سروات النسا ء تنفح بالمسك أردانها
ونحن الفوارس يوم الربيـــع[٣] قد علموا كيف فرسانها
جنبنا الحراب وراء الصريـــخ حتى تقصف مرانها
فلما استقل كليث الغريـــف زان الكتيبة أعوانها
تراهن يخلجن خلج الدلا ء تختلج[٤] النزع أشطانها
ولاقى الشقاء لدى حربنا دحيّ وعوف واخوانها
رددنا الكتيبة مفلولة بها أفنها[٥] وبها ذانها
وقد علموا أنْ متى ننبعثْ على مثلها تذكُ نيرانها
ولولا كراهة سفك الدماء لعاد ليثرب أديانها[٦]
ويثرب تعلم أن النبيـــت راسٍ بيثرب ميزانها
حسان الوجوه حداد السيو ف يبتدر المجد شبانها
وبالشوط من يثرب أعبد ستهلك فى الخمر أثمانها
يهون على الأوس أثمانهم اذا راح يخطر نشوانها
أتتهم عرانين من مالك سراعٌ الى الروع فتيانها
وقد علموا أن مافلّهم حديد النبيت وأعيانها

وعمرة هذه التى نسب بها قيس بنت الصامت زوج حسان فكان كل واحد منهما معجباً بصاحبه وسيذكر خبره معها عند ذكره

---

(١) الحوذان نبت طيب الريح له زهرة حسنة (٢) المزنة السحابة والدلوح التى تجىء مثقلة (٣) الربيع الجدول الصغير (٤) يقول الاشطان تخالجن بالنزع والاشطان الحبال (٥) الافن نقص العقل والذان أيضاً العيب (٦) جمع دين أى الامور التى تعرفها

وثب سَمِير بن زيد الأوسى على جار لمالك بن العجلان فقتله فأخبر مالك بذلك فأرسل الى بنى عوف بن عمرو عشيرة سمير انكم قتلتم منا قتيلا فأرسلوا الينا بقاتله فعرضوا عليه الدية فقبلها وأرادوا أن يدفعوا اليه دية الحليف وهى نصف الدية فأبى وآذن عمرو بن عوف بالحرب واستنصر قبائل الخزرج فأبت بنو الحرث بن الخزرج أن تنصره فقال مالك يذكر خذلان بنى الحرث له وحَدَب بنى عمرو بن عوف على سمير ويحرض بنى النجار على نصرته

ان سميرا أرى عشيرته ... قد حَرِبوا دونه وقد أنِفوا
ان يكن الظن صادقا ببنى الـ ... ـنجار لا يطعموا الذى علفوا
لا يسلمونا لمعشر أبداً ... مادام منا ببطنها شرف
لكن موالىّ قد بدا لهم ... رأى سوى مالدىّ أوضعفوا
بين بنى جَحْجَبَى وبين بنى ... زيد فأنى تخاذل السلف
يمشون فى البَيْض والدروع كما ... تمشى جمال مصاعب قُطُف
كما تَمَشَّى الأسود فى رَهَج الموت اليه وكلهم لهف

وقال درهم بن زيد أخو سمير

ياقوم لا تقتلوا سميرا فا ... ن القتل فيه البوار والأسف
ان تقتلوه تُرِنّ نسوتكم ... على كريم ويفزع السلف
اني لَعَمْرُ الذى يحج له النا ... س ومن دون بيته سَرِف
يمين بَرّ بالله مجتهد ... يحلف ان كان ينفع الحلف
لا نرفع العبد فوق سنته ... ما دام منا ببطنها شرف
انك لاقٍ غداً غواة بنى ... عمى فانظر ماأنت مزدهف
فأبد[1] سيماك يعرفوك كما ... يبدون سيماهمُ فتعترف

---

(١) كان مالك بن العجلان اذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف

يامالِ ما تَبْغِينَ ظلامتنا ... يامال انا معشر أُنُف
يامال والحق ان قنعت به ... فيه وفينا لأمرنا نَصَف
ان يُجِيرًا عبد نخذ ثمناً ... فالحق يوفى به ويعترف
ثم اعلمَنْ ان أردت ضيم بنى ... زيد فانى ومن له الحَلَف
لأُصْبَحَنْ داركم بذى لَجَب ... جون له من أمامه عزف
البِيض حصن لهم اذا فزعوا ... وسابغات كأنها النُّطَف
والبيض قد تُلِّمت مضاربها ... بها نفوس الكُماة تختطف
كأنها فى الأكف اذ لمعت ... وَميض برق يبدو وينكشف

وقال قيس فى ذلك ولم يدركه وانما قاله بعد هذه الحرب بزمان

ردّ الخليطُ الجمال فانصرفوا ... ماذا عليهم لو انهم وقفوا
لو وقفوا ساعة نسائلهم ... رَيْث [٢] يضحّى جماله السلف
فيهم لعوب العشاء آنسة الـ ... ـدَّلّ عروب يسوءها الخُلُف
بين شُكول [٣] النساء خِلْقتها ... قَصْد فلا جَبْلة ولا قَضَف
تغترف [٤] الطرف وهى لاهية ... كأنما شَفّ وجهها نُزُف
قضى لها الله حين يخلقها الـ ... ـخالق الا يُكنّها سدف [٥]
تنام عن كُبْر شأنها فاذا ... قامت رُوَيدا تكاد تنقصف
حوراء جَيْداء يستضاء بها ... كأنها خُوط بانة قَصِف
تمشى كمشى الزَّهراء فى دَمَث الـ ... ـرمل الى السَّهل دونه الجُرُف

---

(١) أى ردوا جمالهم من الرعى ليرتحلوا (٢) يرعونها ضحى والسلف القوم الذين يتقدمون الظعن ينفضون الطرق (٣) ضروب والجبلة الغليظة والقضف الدقيقة قليلة اللحم والقاف مكسورة فى الديوان خطأ (٤) يقول من نظر اليها استغرقت طرفه وبصره وشغلته من النظر الى غيرها وأراد بقوله نزف أن فى لونها مع البياض صفرة وذلك أحسن (٥) يقول اذا كانت فى ظلمة أبصرت

ولا يَغِثُّ الحديثُ ما نطقت وهو بفيها ذو لذة طرف
تَخزُنه وهو مشتهى حسن وهو اذا تكلمت أُنُف
كأن لباتها تبدّدها (١) هَزْلَي جراد أجوازه جُلُف
كأنها درة أحاط بها الـــغواص يجلوعن وجهها الصدف
والله ذى المسجد الحرام وما جُلّل من يَمْنة لها خُنُف (٢)
انى لأهواك غير ذى كذب قدشُفّ منى الأحشاء والشَّغَف
بل ليت أهلى وأهل أثلة فى دار قريب من حيث تختلف
أيهات من أهله بيثرب قد أمسى ومَن دونَ أهله سَرِف
يارب لا تُبعدَنْ ديار بنى عُذْرة حيث انصرفت وانصرفوا
أبلغ بنى جَحجَبَى وقومهمُ خَطْمة أنا وراءهم أُنُف (٣)
وأننا دون ما يسومهم ال أعداء من ضيم خطة نُكُف (٤)
نَفْلي (٥) بحد الصفيح هامهم وفَلْيُنا هامهم بنا عُنُف
لما بدت غـُدوة جباههم حنّت الينا الأرحام والصحف
كقيلنا للمقدمين قفوا عن شأوكم والحراب تختلف
يتبع آثارها اذا اختُلجت (٦) سُخْن عبيط عروقه تكِف
قال لنا الناس معشر ظفروا قلنـا فأنّى بتومنا خَلَف
لنا مع آجامنا (٧) وحوزتنا بين ذُراها مخارف دُلُف
يَذُبّ عنهن سامر مَصِع (٨) سودَ الغواشى كأنها عُرُف

كأن قيس مقرون الحاجبين أدعج العينين أحمر الشفتين برّاق الثنايا

---

(١) كأن عن يمينها وعن شمالها هزلى جراد وهو شىء يصاغ على هيئة الجراد
(٢) الخنف ثياب كتان (٣) أى نأنف من ورائهم (٤) أى نستنكف
(٥) فلاه بالسيف اذا علاه (٦) جذبت والسخن العبيط الدم (٧) الآجام الحصون ومخارف نخل يخترف منه أى يلقط ودلف تدلف بحملها تنهض به (٨) المصع الذى يلعب بالمحراق

كأن بينها برقا ، اسلمت زوجته حواء بنت يزيد وكانت تكتمه اسلامها ، فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد وأوصاه بها خيراً وقال له انها قد أسلمت، ففعل قيس وحفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام وفى الأُدَيْعج

عمرو بن الاطنابة

هو عمرو بن الإطنابة الخزرجى ملك الحجاز ، لما بلغه مقتل الحارث بن ظالم خالدَ بن جعفر وكان خالد مصافيا له غضب لذلك غضبا شديداً وقال والله لو لقى الحارث خالدا وهو يقظان لما نظر اليه ولكنه قتله نائما ولو أتانى لعرف قدره ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقيانة فتغنين له

عَلِّلانى وعللا صاحِبَيّا ... واسقيانى من المروَّق رِيّا
ان فينا القِيان يَعْزِفن بالدُّ ... فّ لفتياننا وعيشا رَخيا
يتبارَيْن فى النعيم ويَصْبُبْـ ... ـنَ خلال القرون مسكاذكيا
انما همهن ان يَتحلَّيْـ ... ـن سُموطا وسنبلا فارسيا
من سُموط المَرْجان فُصِّل بالدّ ... ر فأحسن بحليهن حُلِيا
وفتى يضرب الكتيبة بالسيـ ... ـف اذا كانت السيوف عِصِيا
اننا لا نسر فى غير نَجْد ... ان فينا بها فتى خزرجيا
يدفع الضَّيم والظُّلامة عنها ... فتجافَىْ عنه لنا يا منيّا
أبلغ الحارث بن ظالم الرَّعـ ... ـديد والناذر النذورَ عليّا
أنما يقتل النِّيام ولا يقتـ ... ـل يَقْظان ذا سلاح كميا

ومعى مشتكى معابل [1] كالجمـــر وأعددت صارما مشرَفيا
لوهبطت البلاد أنسيتك القتـــل كما ينسئ النسئ النسيا

فلما بلغ الحرث شعره ازداد حنقا وغيظا فسار حتى أتى ديار بنى الخزرج ثم دنا من قبة عمرو بن الأطنابة ، ثم نادى أيها الملك أغثنى فانى جار مكثور وخذ سلاحك ، فأجابه وخرج معه حتى اذا برز له عطف عليه الحرث وقال أنا أبو ليلى فاعتركا مليا من الليل ، وخشى عمرو أن يقتله الحرث ، فقال له ياحار انى شيخ كبير وانى تعترينى سنة فهل لك فى تأخير هذا الأمر الى غد ، فقال هيهات ومن لى به فى غد ؟ فتجاولا ساعة ثم القى عمرو الرمح من يده وقال ياحار ألم أخبرك ان النعاس يغلبنى ، قد سقط رمحى فاكفف ، فكَفَّ ، ثم قال عمرو أنظرنى الى غد ، قال لا أفعل ، قال فدَعْنى آخذ رمحى ، قال خذه ، قال أخشى أن تُعْجِلنى عنه أو تفتك بى اذا أردت أخذه ، قال وذمة ظالم لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخذه ، قال وذمة الإطنابة لا آخذه ولا أقاتلك فانصرف الحرث الى قومه وقال مجيبا له .

اعزفا لى بلذة قَيْنَتَيا قبل أن يبكر المنون عليا
قبل أن يُبْكر العواذل انى كنت قِدْما لأمرهن عَصيا
ما أبالى أراشدا فاصْبَحانى حسبتني عواذلى أم غَويا
بعد ألاَّ أُصِرَّ لله اثما فى حياتى ولا أخون صفيا
من سلاف كأنها دم ظبى فى زجاج تخاله رازقيا
بلغتنا مقالة المرء عمرو فأنفنا وكان ذاك بَديَّا
قد هممنا بقتله اذ برزنا ولقيناه ذا سلاح كَمِيَّا
غير ما نائم تعالل بالحلـــم مُعِدّا بكفه مشرَفيا

(١) المعبلة نصل عريض طويل جمعه معابل

فمننا عليه بعـــد علو بوفاء وكنت قِدْماوفيا
ورجعنا بالصفح عنه وكان الـــمن منا عليه بعد تليا

مالك بن أبى كعب الخزرجى الازدى

شاعر جاهلى

قدم يثرب رجل من طيئ بإبل له يبيعها فنزل بجوار بَرْذع بن عَدِىّ أخى بنى ظَفَر فباع ابله واقتضى أثمانها وكان مالك اشترى منه جملا فمطله بثمنه فشكاه الى برذع فمشى معه الى منزل مالك فلم يجده ووجد الجمل فرده على الطائى، فلما بلغ ذلك مالكا أغضبه وجعل يسفه برذعا فى جراءته عليه وما صنع فقال برذع

أمن شَحْط دار من لُبانةَ تجزع وصَرْف النوى مما يُشِتّ ويجمع
وليس بها الا ثلاث كانها مُشَقَّقة أو قد علاهن أيْدع (١)
قد اقتربتْ لو كان فى قرب دارها جَداء ولكن قد تضر وتنفع
وكان لها بالمُنْحَنَى من جنوبه مَصِيفٌ ومَشْتًى قبل ذاك ومَرْبَع
أتانى وعيد الخزرجى كأننى ذليل له عند اليهودى مَضْرَع
متى تَلْقَنى لا تلق نُهْزة واحد وتعلمْ بانى فى الهَزاهز أروع
معى سَمْحة صفراء من فرع نَبْعة ولَيِّن اذا مس الكريهة يقطع
ومُطَّرِد لَدْن اذا هُزَّ متنه متين كخُرْص الراملات وأهزع
فلا والهى لا يقول مجاورى الا اننى قد خاننى اليوم برذع
واجعل مالى دون عرضى انه على الوُجدوالاعدام عرض مُمَنَّع
وأصْبِر نفسى فى الكريهة انه لذى كل جنب مستقر ومصرع

---

(١) طائر

وانى بحمد الله لا ثوبَ فاجر لبست ولا من خِزْية أتقنع

فأجابه مالك فقال

هل للفؤاد لدى شَنْباء تنويل أم لا نوالَ فاعراض وتحميل
ان النساء كأشجار نَبَتْنَ معا منهن مُرٌّ وبعض المر مأكول
ان النساء ولوصُوِّرن من ذهب فيهن من هَفَوات الجهد تخييل
انك ان تَنْهَ احداهن عن خلق فانه واجب لا بد مفعول
ونعجةٍ من نِعاج الرمل خاذلة كأن ما قِيَّها بالحسن مكحول
ودَّعتها فى مقامى ثم قلت لها حيَّاك ربُّك انى عنك مشغول
وليلةٍ من جُمادى قد شربت بها والزِّقُّ بينى وبين الروح معدول
ومُرْجَحِنّ على عمد حلفت به كأنه رَجُل فى الصف مقتول
ولا أهاب اذا ما الحرب حرشها ال أبطال واضطربت فيها البهاليل
امضى أمامهمُ والموت مكتنع قُدْما اذا ما كبا فيها التنابيل
علىَّ فَضْفاضة كالنَّهْي سابغة وصارم مثل لون الملح مصقول
ولَدْنة فى يد سمراء تقلبها بعامل كشهاب النار موصول
انى من الخَزْرَج الغُرِّ الذين همُ أهل المكارم لا يفنى لهم جيل
فى الحرب أنهلُ منهم للعدو اذا شبت وأعظم نيلا ان هم سيلوا
أشبهت من والدى عزا ومكرمة وبَرْذَع مُدْغَم فى الأوْس مجهول
نبئته يَدَّعى عزا ويوعدنى فركا وعندى له بالسيف تنكيل

وقال

لعمر أبيها لا تقول حليلتى الا فرَّعنى مالك بن أبى كعب
أقاتل حتى لا أرى لى مقاتلا وادعو اذا غم الجبان مع الكرب

أبى لى أن أُعطى الصَّغار ظلامة ... جُدودى وآبائى الكرام أولو السلب
هُم يضربون الكبش يَبْرُق بَيْضه ... ترى حوله الابطال فى حَلَق شُهب
وهم أورثونى مجدهم وفعالهم ... فأقسم لا يُزرى بهم أبداً عقبى
وأرعى لجارى ما حييت ذمامه ... وأعرف ماحق الرفيق على الصحب
ولا أُسمع النَّدمان شيئاً يَريبه ... اذا الكأس دارت بالمدام على الشرب
اذا ماعترى بعضَ النَّدامى لجاجةٌ ... نقول له أهلا وسهلا على الرَّحْب
اذا أنفَذوا الزق الرَّوىَّ وصُرعوا ... نَشاوَى فلم أقطع بقولى لهم حسبى
بعثت الى حانوتها فاستَبَأْتها ... بغير مكاس فى السّوام ولا غصب
وقلت اشربوا رِيًّا هنيئا فانها ... كماء القَليب فى اليَسارة والقرب
يطاف عليهم بالسَّديف وعندهم ... قِيان يُلَهِّين المزاهر بالضرب
فان يصبروا لى الدهر أصبرهم بها ... ويَرحَبْ لهم باعى وَيَغزُرْ لهم شربى
وكان أبى فى المَحْل يُطْعم ضيفه ... ويُرْوى نَداماه ويصبر فى الحرب
ويمنع مولاه ويدرك نيله ... ولو كان ذاك النيل فى مطلب صعب
اذا مامنعت المال منكم لثروة ... فلا يَهْنِنى مال ولا يَنْمُ لى كسبى

كعب بن مالك الخزرجى

من شعراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعدودين وهو بدرى عَقَبى وأبوه مالك بن أبى كعب شاعر وله فى حروب الأوس والخزرج التى كانت بينهما قبل الاسلام آثار . ولكعب بن مالك أصل أصيل وفرع طويل فى الشعر ، ابنه عبد الرحمن شاعر وابن ابنه بشير شاعر ومَعْن بن عمر بن عبد الله بن كعب شاعر وعبد الرحمن بن عبد الله شاعر ومَعْن بن زهير بن كعب شاعر وكلهم مجيد مقدم ، وعُمِّر كعب بن مالك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً .

وكان كعب عثمانيا وهو أحد من قعد عن على بن أبى طالب فلم يشهد حروبه وخاطبه فى أمر عثمان وقتله خطأ ثم اعتزله، وله مراث فى عثمان بن عفان رحمه الله وتحريض للانصار على نصرته قبل قتله وتأنيب لهم على خذلانه منها

فلو حُلتُم من دونه لم يزل لكم ... مَدَى الدهر عز لا يَبُوخ ولا يسرى
ولم تقعدو والدار كاب دخانُها ... يُحَرَّق فيها بالسعير وبالجمر
فلم أر يوماً كان أكثر ضيقة ... وأقرب منه للغواية والفكر

وقال

من مبلغ الانصار عنى آية ... رسلا تَقُصُّ عليهم التبيانا
أنْ قد فعلتم فَعْلة مذكورة ... كست الفضوح وأبدت الشنآنا
بقعودكم فى داركم وأميركم ... يُغْشى ضواحى داره النيرانا
بينا يُرجَّى دفعكم عن داره ... ملئت حريقاً كابياً ودخانا
حتى اذا خلصوا الى أبوابه ... دخلوا عليه صائماً عطشانا
يَعْلون قُلَّته السيوفَ وأنتم ... متلبثون مكانكم رضوانا
أللهُ يعلم اننى لم أرضَه ... لكم صنيعاً يوم ذاك وشانا
يالَهْف نفسى إذ يقول ألا أرى ... نفراً من الأنصار لى أعوانا
والله لو شهد ابن قيس ثابت ... ومعاشر كانوا له إخوانا
وأبو دجانة[1] وابن أقرم ثابت ... وأخو المشاهد[2] من بنى عَجْلانا
ورفاعة العمرى[3] وابن معاذهم ... وأخو معاوى[4] لم يخف خذلانا
قوم يَرَوْن الحق نصر أميرهم ... ويرون طاعة أمره إيمانا
ان يُتْرَكوا فَوْضى يكن فى دينهم ... أمر يضيق عنهم البلدانا

---

(١) سماك بن خرشة (٢) معن بن عدى (٣) هو سعد بن معاذ (٤) هو المنذر بن عمرو الساعدى

فليعلمن الله كعب وليه ... وليجعلن عدوه الذُّلانا
انى رأيت محمداً اختاره ... صهراً وكان بعده خُلصانا
محض الضرائب ماجدا أعراقه ... من خير خِندِف منصباً ومكانا
عرفت له عُلْيا معَدّ كلها ... بعد النبى الملك والسلطانا
من معشر لايغدرون بجارهم ... كانوا بمكة يرتعون زمانا
يعطون سائلهم ويأمن جارهم ... فيهم ويُرْوُون الكماة طعانا
فلو أنكم مع نصركم لنبيكم ... يوم اللقاء نصرتم عثمانا
أنسيتم عهد النبى اليكم ... ولقد أَلَظّ ووكد الايمانا

ومن قوله فيه

كف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لمن فى داره لا تقاتلوا ... عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم ... عداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر عنهم ... وولى كأدبار النعام الجوافل

ومن قوله فى غزوة الخندق

من سره ضرب يُرَعْبِل بعضُه ... بعضاً كمعمعة[1] الأباء المحرق
قليأت مأسدة[2] تُسَنّ سيوفُها ... بين المزاد وبين جزْع الخندق
دَرِبوا بضرب المُعْلمين فأسلموا ... مُهَجات أنفسهم لرب المشرق
فى عُصبة نصر الاله نبيه ... بهمُ وكان بعبده ذا مَرْفَق
فى كل سابغة يحُطّ فصولَها ... كالنّهى هبت ريحها المترقرق[3]
بيضاء محكمةٍ كأن قتيرها ... حدَق الجَنادب ذات شك موثق

---

(١) المعمعة اختلاف الاصوات وشدة زجلها (٢) الموضع الذى تجتمع فيه الاسد والمزار موضع بالمدينة والخندق الذى احتفره النبى صلى الله عليه وسلم حولها (٣) صفة النهى وهو الغدير

جَذْلاء يحفِزُها نجاد مهنَّد ... صافى الحديدة صارم ذى رَوْنق
تلكم مع التقوى تكون لباسنا ... يومَ الهياج وكلَّ ساعةَ مَصْدَق
نصل السيوف اذا قصُرن بخطونا ... قُدُماً ونُلْحقها اذا لم تَلْحَق
فترى الجماجم ضاحياً هاماتُها ... بَلَهَ الأكف كأنها لم تُخْلق
نَلْقى العدو بفَحمة ملمومة ... تَنْفى الجموع كقصد راس المُشْرق
ونُعِدّ للأعداء كل مُقَلَّص ... وزْهِ ومحجول القوائم أبلق
تَردى بفرسان كأن كُماتهم ... عند الهياج أسود طَلٍّ مُلْثِق (١)
صُدُق يعاطون الكُماة حتوفَهم ... تحت العَماية بالوَشيج المُرْهَق
أمر الأله بربطها لعدوه ... فى الحرب ان الله خير موفق
لتكون غيظاً للعدو وحَيْطاً ... للدار ان دَلَفت خيول النُّزَّق
ويعيننا الله العزيز بقوة ... منه وصدق الصبر ساعة نلتقى
ونطيع أمر نبينا ونجيبه ... واذا دعا لكريهة لم نُسْبَق
ومتى ينادِ الى الشدائد نأتها ... ومتى نرى الحُومات فيها نُعْنَق
من يتبع قول النبى فانه ... فيها مطاع الأمر حق مصدق
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا ... ويصيبنا من نيل ذاك بمَرْفَق
ان الذين يكذبون محمداً ... كفروا وضلوا عن سبيل المتقى

مسانه بهه ثابت النجارى الخزرجى

أمه الفُرَيْعة بنت خالد الخزرجى — يكنى أبا الوليد، وهو فحل من فحول الشعراء وقد قيل أنه أشعر أهل المَدَر، وكان أحد المعمَّرين من المُخَضرمين عمر مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام وكان يخضِب شاربه وعَنْفَقَته بالحناء ولا يخضب سائر لحيته فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت لم تفعل

(١) مبلل

هذا قال لأكون كأنى أسد والغ فى دم . وقال أبو عبيدة فضل حسان الشعراء بثلاث، كان شاعر الانصار فى الجاهلية وشاعر النبى صلى الله عليه وسلم فى النبوة وشاعر اليمن كلها فى الاسلام . جاء حسان الى نفر فيهم أبو هريرة فقال أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجب عني ثم قال اللهم أيده بروح القدس؟ قال أبو هريرة اللهم نعم. وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء فقال كيف تهجوهم وأنا منهم؟ قال انى أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ، فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر فكان فى ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة فلما أسلموا وفقهوا الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ، وقال عليه السلام لحسان فأت أبا بكر فانه أعلم بأنساب القوم منك فأتى أبا بكر فقال له كف عن فلانة واذكر فلانة فقال

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبى ووالده وعِرْضى ... لعرض محمد منكم وقاء
أتهجوه ولستَ له بكُفءٍ ... فشركما لخيركما الفداء

وقال حسان لأبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب

وان سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زُهْرَة منكم ... كرام ولم يلحق عجائزَك المجد

وأنت هجين نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فقال العباس مالى وما لحسان ؟ يعنى فى ذكره نُتَيلة فقال فيها

ولست كعباس ولا كابن أمه ولكن هجين ليس يورى له زند

وقال عليه السلام أمرت عبدالله بن رواحة فقال وأحسن وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى . وأمره عليه السلام ذات ليلة أن يَحْدو فجعل ينشد ويصغى اليه النبى صلى الله عليه وسلم ويستمع فما زال يستمع اليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يَمَسّ الورك حتى فرغ من نشيده فقال عليه السلام لهذا أشد عليهم من وَقْع النَّبل

مر عمر بحسان وهو ينشد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهره عمر فقال حسان قد أنشدت فيه من هو خير منك فانطلق عمر . ومر الزُّبير بن العَوَّام بمجلس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم من شعره وهم غير نُشَّاط لما يسمعون منه فجلس معهم الزبير فقال مالى أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفُرَيعة ! فقد كان يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويُجْزِل ثوابه ولا يشتغل عنه بشئ فقال حسان

أقام على عهد النبى وعهده حَواريُّه والقول بالفعل يعدل

أقام على منهاجه وطريقه يُوالى ولىَّ الحق والحق أعدل

هوالفارس المشهور والبطل الذى يصول اذا ما كان يوم مُحَجَّل

اذا كشفت عن ساقها الحرب حَشَّها بأبيض سبَّاق الى الموت يُرْقل

وان امرأ كانت صَفِيَّةُ أمَّه ومن أسد فى بيتها لمرَفَّل

له من رسول الله قربى قريبة ومن نصرة الاسلام مجد مُؤَثَّل

فكم كربة ذَبَّ الزبير بسيفه عن المصطفى والله يعطى فيُجْزل

فما مثله فيهم ولا كان قبله ... وليس يكون الدهر ما دام يَذْبُل
ثناؤك خير من فعال معاشر ... وفعلك يا ابن الهاشمية افضل

ولما قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم قالوا جئنا لنفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا فقام خطيبهم وتكلم فقام ثابت بن قيس بن شماس واجابه فقام الزِّبْرِقان فقال

نحن الملوك فلا حى يقاربنا ... منا الملوك وفينا يؤخذ الربع
تلك المكارم حزناها مقارعة ... اذا الكرام على أمثالها اقترعوا
كم قد نَشَدْنا من الاحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتبع
وننحر الكوم عُبطا في منازلنا ... للنازلين اذا ما استطعموا اشبعوا
وننصر الناس تأتينا سَراتهم ... من كل أوْب فتَمْضِي ثم تتبع

فقام حسان فقال

ان الذوائب من فِهْر واخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله وبالأمر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم ... او حاولوا النفع فى اشياعهم نفعوا
سجيةٌ تلك منهم غير محدثة ... ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يَرْقَعُ الناس ما أوْهَت اكفهم ... عند الرقاع ولا يُوهون ما رقعوا
ان كان فى الناس سبّاقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعِفّة ذكرت فى الوحى عفتهم ... لا يطمعون ولا يُزْرى بهم طمع
يَسْمُون للحرب تبدو وهى كالحة ... اذا الزعانف من اظفارها خشعوا
لا يفرحون اذا نالوا عدوهم ... وان اصيبوا فلا خُورٌ ولا جزُع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع ... أسودُ بِيشةَ فى أرساغها فَدَع
خذ منهم ما أتَوْا عفواً وان منعوا ... فلا يكن همك الأمر الذى منعوا

فان فى حربهم فاتركْ عداوتهم ... سما يخاض عليه الصَّاب والسَّلَع
أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... اذا تفرقت الأهواء والشيع
أهْدَى لهم مِدَحى قلب يؤازره ... فيما اراد لسان حائك صَنَع
وانهم افضل الاحياء كلهم ... ان جد بالناس جد القول او سمعوا

فقام عُطارد بن حاجب فقال

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ... اذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنا فروع الناس فى كل موطن ... وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

فقام حسان فقال

منعنا رسول الله من غضب له ... على رغم أنف من معَدّ وراغم
هل المجد الا السؤدد العَوْد والندي ... وجاه الملوك واحتمال العظائم

فقال الأقرع بن حابس والله ان هذا الرجل لمؤتًى له والله لَشاعرُه أشعر من شاعرنا ولَخطيبُه اخطب ولأصواتُهم ارفع من اصواتنا ، أعطني يامحمد ، فأعطاه فقال زدنى ، فزاده ، فقال اللهم انه سيد العرب

وقال حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

شهدت باذن الله ان محمداً ... رسول الذى فوق السموات من عَلُ
وان اخا الأحقاف اذ يَعْذُلونه ... يقوم بدين الله فيهم فيعدل
وان ابا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل فى دينـــه متقبل
وان الذى عادى اليهود ابن مريم ... رسول اتى من عند ذى العرش مرسل
وان التى بالجزع من بطن نخلة ... ومن دانها فل من الخير معزل

فقال النبى صلى الله وسلم انا اشهد معك

بينا حسان بن ثابت بالخَيْف وهو مكفوف اذ زفر زفرة ثم قال

وكأن حافرها بكل خَيلة صاع يكيل به شحيح مُعْدِم
عارى الأشاجع من ثَنيف اصله عبد ويزعم انه من يَقْدُم

والمغيرة بن شعبة جالس قريباً منه يسمع ما يقوله فبعث اليه بخمسة آلاف درهم فقال من بعث بهذا ؟ قالوا المغيرة بن شعبة سمعما قلت ، قال واسوءتاه وقبلها

جاء الحرث بن عوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابعث معى من يدعو الى دينك وانا له جار ، فأرسل معه رجلا من الانصار فغدرت بالحرث عشيرته فقتلوا الأنصارى ، فقدم الحرث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام لا يُؤنّب احداً فى وجهه فقال ادعوا لى حسان، فدعى له، فلما رأي الحرث أنشده

يا حارِ من يَغْدُر بذمة جاره منكم فان محمداً لم يغدر
ان تغدروا فالغدر منكم شيمة والغدر ينبت فى اصول السَّخْبَر

فقال الحرث اكففه عني يامحمد وأؤدى اليك دية الخفارة، فأدى الى النبى صلى الله عليه وسلم سبعين عُشَراء وكانت دية الخفارة وقال يا محمد انا عائذ بك من شره فلو مزج البحر بشره مزجه

خرج رجل يقال له جَهْجاه الغفارى بفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس له يسقيهما فأوردهما الماء فوجد على الماء فتية من الانصار فتنازعوا فاقتتلوا فبلغ ذلك حسان فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام

امسى الخَلا بِيس قد عزوا وقد كثروا وابن الفُرَيعة أمسى بَيْضة البلد
يمشون بالقول سراً فى مُهادَنة تَهَدُّدا لى كأنى لست من أحد
قد ثَكِلت أمُّه من كنت صاحبه او كان منتشباً فى بُرْثُن الأسد
ما للقتيل الذى أشمو فأقتله من دية فيه أعطيها ولا قَوَد

ما البحر حين تَهُب الريح شامية فَيَغْطَئِلّ [1] ويرمى العِبْر بالزبد
يوماً بأغلبَ مني حين تبصرنى أفْرِى من الغيظ فَرْى العارض البَرد
اما قريش فانى لست تاركهم حتى يُثيبوا من الغيّات بالرَّشَد
ويتركوا اللاتَ والعزّى بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا ان ما قال الرسول لهم حق ويُوفو بعهد الله في سدد
أبلغ بنىّ بأنى قد تركت لهم من خير ما ترك الآباء للولد
الدار واسطة والنخل شارعة والبيض يرفُلن فى القَسّى كالبرد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حسان نَفِست علىّ اسلام قومى واغضبه كلامه، فغدا صَفْوان بن المُعَطَّل السُّلَمى على حسان فضربه بالسيف وقال صَفْوان

تلق ذُباب السيف عني فانني غلام اذا هو جيت لست بشاعر

فوثب قومه على صَفْوان فحبسوه ثم جاؤا سعد بن عُبادة فذكروا له ما فعل حسان وما فعلوا، فلامهم ان فعلوا ما فعلوا بغير امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا بصفوان فكساه، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان وأعرض عنه فقال يا رسول الله احفظ قولى

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

فرضى عنه عليه السلام ووهب له سيرين أخت مارية أم ابراهيم

وكان ممن جاء بالافك فى حق عائشة رضى الله عنها ثم قال يعتذر من ذلك

حَصان رَزان ما تُزَنّ بريبة وتصبح غَرْثَى من لحوم الغوافل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم فلا رفعت سوطى الىّ أناملى

---

(١) اغطأل الشيء ركب بعضه بعضا

وكيف وودى من قديم ونصرتى ... لآل رسول الله زين المحافل
فان الذي قد قيل ليس بلائط ... ولكنه قول امرئ بى ماحل

أنشد حسان يوما بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد غدوت أمام القوم منتطقا ... بصارم مثل لون الملح قطّاع
يحفز عنى نجاء السيف سابغةٌ ... فضفاضة مثل لون النهي بالقاع

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حسان يتهم بالجبن وانما كان قد قطع أكحله فلم يكن يضرب بيده

دخل حسان فى الجاهلية بيت خمار بالشام ومعه أعشى بكر بن وائل فاشتريا خمراً وشربا فنام حسان ثم انتبه فسمع الأعشى يقول للخمار كره الشيخ الغرم فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خمر الخمار كلها ثم سكبها فى البيت حتى سالت تحت الاعشى ، فعلم انه سمع كلامه فاعتذر اليه فقال حسان

ولسنا بشرب فوقهم ظل بردة ... يعدون للخمار تيسا ومفصدا
ولكننا شرب كرام اذا انتشوا ... أهانوا الصريح والسديف المسرهدا
كأنهم ماتوا زمان حليمة ... فان تأتهم تحمد ندامتهم غدا
وان جئتهم ألفيت حول بيوتهم ... من المسك والجادى فتيتا مبددا
ترى حول أثناء الزرابى ساقطا ... نعالا وقسيا وريطا منضدا
وذا نمرق يسعى وملصق خده ... بديباجة تكتنفها قد تقددا

وقال حسان فى هزيمة الحرث بن هشام يوم بدر

ان كنت كاذبة الذى حدثتني ... فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرة ولجام

ومن قول حسان وفيه غناء

قدعفا جاسم الى بيت رأس ... فالحوانى فجانب الجولان

فحمى جاسم فأبنية الصفـــــر مغني قبائل وهجان
فالقريات من بلاس فداريـــــا فسكاء فالقصور الدوانى
قد دنا الفصح فالولائد ينظمـــــن سراعا أكلة المرجان
يتبارين فى الدعاء الى الله وكل الدعاء للشيطان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـــــر وحق تصرف الازمان
صلوات المسيح فى ذلك الديـــــر دعاء القسيس والرهبان
قد أرانى هناك حق مكين عند ذى التاج مقعدي ومكانى

ومن قوله من قصيدة يمدح بها آل غسان

لله درّ عصابة نادمتها يوما بجلّق فى الزمان الاول
أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم كأساً يصفّق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم شمّ الانوف من الطراز الاول

ومن قوله يمدح جبلة بن الايهم

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام اذ هو ربها كلا ولا متنصرا بالروم
يعطى الجزيل ولا يراه عنده الا كبعض عطية المذموم
واتيته يوما فقرب مجلسى وسقى فروّانى من الخرطوم

ومن قوله يرثى ربيعة بن مكدّم ويحض على قتلته

ولأصدقن الى حذيفة مدحتى لفتى اليسار وفارس الاجراف
مأوى الضريك اذا الرياح تناوحت ضخم الدسيعة مخلف متلاف

من لا يزال يكب كل ثقيلة ... كوماء غير مسائل متراف
رَحْب المباءة والجنابُ مُوَطأ ... مأوًى لكل معتق بسواف
فسقى الغوادى رمسك ابنُ مكدَّم ... من صوب كل مُجَلْجِلٍ وَكَّاف
أبلغ بنى بكر وخص فوارسا ... لحقوا الملامة دون كل لحاف
أسلمتمُ جذْل الطعان أخاكم ... بين الكُدَيْد وقُلَّة الأعراف
حتى هَوَى متدائلا أوصاله ... للحد بين جنادل وقِفاف
لله دَرّ بنى علىّ انهم ... لم يثأروا عوفا وحى حقاف

تزوج حسان عَمْرة بنت الصامت الأوسية فكان كل واحد منهما معجبا بصاحبه ثم انها عيرته يوما بأخواله وفخرت عليه بالأوس فغضب لهم فطلقها فأصابها من ذلك ندم وشدة وندم هو بعد فقال

أزمعت عَمرة صَرما فابتكر ... انما يُذهن للقلب الحصِر
لا يكن حبك حبا ظاهراً ... ليس هذا منك ياعمرَ بسر
سألت حسان مَنْ أخواله ... انما يسأل بالشيء الغمر
قلت أخوالى بنو كعب اذا ... أسلم الابطال عورات الدُّبُر
رب خال لى لو أبصرته ... سَبط المشية فى اليوم الخصِر
عند هذا الباب اذ ساكنه ... كل وجه حسن النقبة حر
يوقد النار اذا ما أطفئت ... يعمل القِدْر بأثْباج الجُزُر
من يَغُرُّ الدهرُ أو يأمنه ... من قبيل بعد عمرو وحُجُر
مَلَكا من جبل الثلج الى ... جانبى أيْلة من عبد وحر
ثم كانا خير من نال الندى ... سبقا الناس بإقساط وبر
فارمَيْ خيل اذا ما أمسكت ... رَبَّة الخِدْر بأطراف الستر
أتيا فارس فى دراهمُ ... فتناهَوْا بعد اعصام بقر

ثم نادوا يا لغسان اصبروا ... انه يوم مصاليت صبُر
اجعلوا معقلها أيمانكم ... بالصفيح المصطفى غير الفطر
بضراب تأذن الجن له ... وطعان مثل أفواه الفقر
ولقد يعلم من حاربنا ... اننا ننفع قِدَما ونضر
صُبُر للموت ان حل بنا ... صادقو البأس غطاريف نُفُر
وأقام العز فينا والغنى ... فلنا فيه على الناس الكبر
منهمُ أصلى فمن يفخر به ... يعرف الناس بفخر المفتخر
نحن أهل العز والمجد معاً ... غير أنكاس ولا ميلٍ عُسُر
فاسألوا عنا وعن افعالنا ... كل قوم عندهم علم الخبر

ومن قوله يرد على قيس بن الخطيم

ما بال عينك دمعها يكف ... من ذكر خَوْدٍ شطَّت بها قَذَف
بانت بها غربة تَؤُمّ بها ... ارضا سوانا والشكل مختلف
ما كنت أدرى بوشك بينهم ... حتى رأيت الحدوج تنقذف
دعْ ذا وعدّ القريض فى نفر ... يرجون مدحى ومدحى الشرف
ان تدْعُ قومى للمجد تُلفِهمُ ... اهلَ فعال يبدو اذا وصفوا
ان سميرا عبدٌ طغى سفها ... ساعده أعبد لهم نطف

شعراء عدنان

عقب عدنان من ولده معدّ ، وعقب معد من ولده نزار ، وعقب نزار من أولاده انمار وإياد وربيعة ومضر

شعراء اياد

ابو دواد الايادى

هو ابو دُواد حارثة بن الحجاج من اياد بن نزار ، شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصافاً للخيل واكثر أشعاره في وصفها وله فى غيرها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك الا ان شعره فى وصف الفرس اكثر ، قال ابن الاعرابى لم يصف أحد قط الخيل الا احتاج الى أبى دواد . عاتبته امرأته ام حَبْتَر على البذل فقال

فى ثلاثين زعزعتها حقوق ... أصبحت أم حَبْتَر تشكوني
زعمت لى بأنني أفسد المال ... وأزْويه عن قضاء ديونى
أمّلت أن أكون عبدا لمالى ... ويُهَنَّا بها مع المال دونى

ولها يقول

حاولتِ حين صرمتِنى ... والمرء يعجز لا محالة
والمرء يكسب ماله ... والشيخ يورثه الكلالة
والعبد يُقرَع بالعصا ... والحر تكفيه المقالة
والسَّكْت خير للفتى ... فالحَيْن من بعض المقالة

وقال يمدح الحرث بن هام وقد جاوره فأحمد جواره

فالى ابن هام بن مرة أصعدت ... ظُعُن الخليط بهم فقل زِيالها

أنعمتَ نعمة ماجد ذى منة نصبت عليك من العُلا أظلالها
وجعلتنا دون الولى فأصبحت زبّاء [1] منقطعا اليك عقالها

قيل للحطيئة من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول

لا أعد الاقتار عُدْما ولكن فقد من قد رزئته الاعدام

وتمامه

من رجال من الاقارب بادوا من حُذاق هم الرؤس العظام
فهمُ للعلاينين أناةٌ وعُرام اذا يراد العُرام
وسماح لدى السنين اذا ما قَحَط القَطر واستقل الرِّهام
ورجال أبوهم وأبى عمـــرو وكعب بيض الوجوه جسام
وشباب كأنهم أسد غيل خالطت فَرْدَ حدّهم أحلام
وكهول بني لهم أولوهم مأثُرات يَهابها الأقوام
سُلط الدهر والمنون عليهم فلهم فى صَدَى المقابر هام
وكذاكم مَصير كل أُناس سوف حقا تُبليهم الأيام
فعلى أثرهم تَساقط نفسى حسراتٍ وذكرهم لى سَقام

ومن قوله وفيه غناء

يا عَدِيا لقلبك المُهْتاج أن عفا رسم منزل بالنباج
غيرته الصَّبا وكل مُلِثّ دائم الوَدْق ذى أهاضيب داج
وحملنا غـــلامنا ثم قلنا هاجر العيس ليس منك بناج
فانتحى مثل ما انتحى بازُ دَجْن جوعته القُنّاص للدُّرّاج

وكان لأبى دواد ابن يقال له دُواد شاعر وهو الذى يقول يرثى اباه

فبات فينا وأمسى تحت هاوية ما بعد يومك من مُمْسًى واصباح
لا يدفع السقمَ الا أن يُفَدِّيه ولو ملكنا مسكنا السقم بالراح

(١) زباء ناقته

قس بن ساعدة الايادى

خطيب العرب وشاعرها وحكيمها وحكمها فى عصره ، يقال انه أول من علا على شَرَف وخطب عليه وأول من قال في كلامه «اما بعد» واول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا ، وادركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآه بعُكاظ فكان يأثُر عنه كلاماً سمعه منه وسئل عنه فقال « يحشر أمةً وحده » ومن قوله : ايها الناس اسمعوا وَعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليل داج ، وسماء ذات ابراج ، بحار تَزْخَرُ ونجوم تَزْهَر ، وضوء وظلام ، وبر وآثام ، ومَطْعَم ومشرب ، وملبس ومركب ، مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرَضُوا بالمُقام فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ واله قُسّ بن ساعدة ماعلى وجه الارض دين افضل من دين قد أظلكم زمانه وأدركتكم أوانه ، فطوبى لمن ادركه فاتبعه وويل لمن خالفه ، ثم انشأ يقول

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها يَمْضى الأصاغر والأكابر
أيقنت انى لا محا لة حيث صار القوم صائر

ومن قوله ويقال انها لعيسى بن قُدامة الأسَدى وكان قَدِم قاسان وكان له نديمان فماتا وكان يجئ فيجلس عند القبرين حتى يقضى وَطَره ثم ينصرف وينشد وهو يشرب

خليلى هُبّا طالما قد رقدتما أجِدَّكما لا تقضيان كَرَاكما
أجِدَّكما ما تَرثيان لموجَع حزين على قبريكما قد رثاكما
الم تعلما ما لى براوَنْدَ هذه ولا بُخَرَاق من نديم سواكما

مقيم على قبريكما لست بارحاً ... طوال الليالى او يُجيب صَدا كما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما ... كأن الذى يسقى العُقار سقا كما
تحمل من يَهْوَى اقفول وغادروا ... اخاً لكما أشجاه ما قد شجا كما
فأى أخ يجفو اخاً بعد موته ... فلست الذى من بعد موت جفا كما
أصُبّ على قبريكما من مُدامة ... فإلّا تذوقا أُرْوِ منها ثرا كما
أُناديكما كيما تُجيبا وَتنطقا ... وليس مجاباً صوته من دعا كما
أَمِنْ طول نوم لا تجيبان داعياً ... خليلى ماهذا الذى قد دها كما
قضيت بأنى لا محالة هالك ... وانى سيعرونى الذى قد عرا كما
سأبكيكما طول الحياة وما الذى ... يَرُدّ على ذى عَوْلة أن بكا كما

لقيط بن يعمر الايادى

شاعر جاهلى قديم مُقِل ليس يعرف له شعر غير القصيدة التى ارسل بها الى قومه من اياد يحذرهم كسرى وعزمه على حربهم وأولها

يا دار عَمْرة مَنْ يحتلُّها الجزعا ... هاجت لى الهم والاحزان والوجعا

وفيها يقول

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غُيُرا ... على نسائكم كِسْرى وما جمعا
هو الجلاء الذى تبقى مذلته ... ان طار طائرهم يوماً وان وقعا
هو الفناء الذى يَجْتَثُّ أصلهم ... فمن رأى مثل ذا يوماً ومن سمعا
فقلدوا أمركم لله دَرُّكمُ ... رَحْبَ الذراع بأمر الحرب مُضْطلعا
لا مُتْرَفاً ان رَخِىُّ العيش ساعده ... ولا اذا حل مكروه به خشعا
لا يَطْعَم النومَ الا رَيْثَ يبعثه ... هَمٌّ يكاد حَشاه يقطع الضَّلَعا
مُسَهَّد النوم تَعْنيه أمورُكم ... يروم منها على الاعداء مُطَّلَعا

ماانفكّ يحلب هذا الدهر أشطره ... يكون متبعا طورا ومتبعا
فليس يشغله مال يثمره ... عنكم ولا ولد يبغى بها الرفعا
حتى استمر على شزر مريرته ... مستحكم السن لا قحما ولا ضرعا
كمالك بن سنان أو كصاحبه ... زين الفتاحين لاقى الحارثين معا
اذ عابه عائب يوما فقال له ... دمّت لجنبك قبل الليل مضطجعا
فشاوروه فألفوه اخا ثقل ... فى الحرب لا عاجزا نكسا ولا وزعا
عبل الذراع أبيّا ذا مزابنة ... فى الحرب يختتل الرئبال والسبعا
مستنجدا يتحدّى الناس كلهم ... لو صارعوه جميعا فى الورى صرعا
هذا كتابى اليكم والنذير لكم ... لمن رأى الرأى بالابرام قد نصعا
وقد بذلت لكم نصحى بلا دخل ... فاستيقظوا انّ خير العلم ما نفعا

وجعل عنوان الكتاب

كتاب فى الصحيفة من لقيط ... الى من بالجزيرة من إياد
بان الليث كسرى قد أتاكم ... فلا يحبسكم سوق النقاد

شعراء ربيعة

عقب ربيعة من أسد وأكلب وضبيعة أولاد ربيعة

ومن أسد عنزة بن عمرو بن أسد ، وعبد القيس بن أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد ، والنمر بن قاسط بن هنب بن أفصى ، وبكر وتغلب ابنا وائل ابن قاسط

ومن ضبيعة جلىّ بن أحمس بن ضبيعة

شعراء بكر

المرقش الاكبر

هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ولقب بالمرَقش لقوله من قطعة يغنى بها

النشر مسك والوجوه دنا نير واطراف الأكف عَنَم (١)
والدار وحش والرسوم كما رَقش فى ظهر الأديم قلم (٢)
لست كأقوام خلائقهم نثُّ احاديث وهتكُ حُرَم (٣)

وهو أحد المتيمين كان يَهْوَى ابنة عمه اسماء بنت عوف بن مالك

وكان للمرقشين الأكبر والأصغر موقع فى بكر بن وائل وحروبها مع تَغلِب وبأس وشجاعة ونجدة وتقدم فى المشاهد ونكاية فى العدو وحسن أثر

عشق المرقش بنت عمه اسماء بنت عوف بن مالك وهو غلام فخطبها الى ابيها فقال لا أزوجك حتى تعرف بالبأس (وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن) وكان يعده فيها المواعيد ثم انطلق مُرَقِّش الى ملك من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه ،واصاب عوفاً زمان شديد فأتاه رجل من مُراد فأرغبه في المال فزوجه اسماء على مائة من الابل ورجع مُرَقش فأخبره اخوته ان اسماء ماتت فمكث اياماً ثم علم الخبر فخرج يطلب المُرَادىَّ زوج اسماء ومعه وليدة له وزوجها وكان عتيقاً له فمرض فى الطريق حتى ما يحمل الا معروضاً فنزل كهفا بأسفل نجران وهى أرض مراد فسمع مُرَقِّش زوج الوليدة يقول لها اتركيه فقد هلك سقما وهلكنا معه

---

(١) العنم شجر أحمر وقيل بل هو ورد احمر كالتسابيح يكون فى النيل فى ايام الربيع.
(٢) رقش زين والاديم جلد (٣) نث الحديث اشاعته

ضراً وجوعا فجعلت الوليدة تبكي من ذلك فقال لها زوجها أطيعيني والا فاني تاركك وذاهب ، وكان مُرَقِّش يكتب ، كان ابوه دفعه وأخاه حَرْمَلَة وكانا أحب ولده اليه الى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط ، فلما سمع مُرَقِّش قول الرجل للوليدة كتب على مؤخرة الرحل هذه الابيات

يا صاحبي تَلَبَّثا لا تعجلا ... ان الرواح رهين ألاَّ تفعلا
فلعل لبثكما يفرط سَيْبَنَا ... او يسبق الاسراعُ سَيْباً مقبلا
يارا كبا إمّا عرضت فبلغن ... أَنَس بن سعدان لقيت وحَرْملا
لله دَرُّكما ودرُّ ابيكما ... ان أفلت العبدان حتى يقتلا
مَنْ مبلغُ الأقوام أن مُرَقِّشا ... أضحى على الاصحاب عِبْئاً مُثْقلا
وكأنما ترد السباع بِشِلْوه ... اذ غاب جمع بنى ضُبَيْعَة مَنْهلا

فانطلقت الوليدة وزوجها حتى رجعا الى اهلهما فقالا مات مُرَقِّش ، ونظر حَرْملة الى الرحل وجعل يقلبه فقرأ الابيات فدعاهما وخوفهما وامرهما بأن يَصْدُقاه وقد كانا وصفا له الموضع ، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان فسأل عن خبره فعرف ان مرقشا كان فى الكهف ولم يزل فيه حتى أتاه راعى غنم لأسماء فأعطاه خاتمه ليضعه فيما يحلب من اللبن لأسماء ففعل ، ولما رأت اسماء الخاتم قالت لزوجها هذا خاتم مرقش فاُعْجَل الساعة فى طلبه فركب فرسه واحتمله الى أهله فمات عند اسماء ، وقال قبل ان يموت

سرى ليلا خيال من سُلَيْمى ... فأَرَّقنى وأصحابى هجود
فبتّ أدير أمرى كلَّ حال ... واذكر اهلها وهمُ بعيد
على أن قد سما طَرْفى لنار ... يُشَبّ لها بذى الأَرْطى وقود
حواليْها مَهًا بيض التَّراقى ... وآرام وغزلان رُقود

نواعمُ لا تعالج بُؤس عيش ... أو أنسُ لا تروح ولا ترود
يَرُحْنَ معًا بِطاء المشى بُدنًا ... عليهن المجاسد [١] والبُرودُ
سكنَّ ببلدة وسكنت أخرى ... وقُطِّعَت المواثق والعهود
فما بالى أَفِى ويُخان عهدى ... وما بالى أصاد ولا اصيد
ورب أَسِيلة الخدين بِكْر ... منعمة لها فَرْع و جِيد
وذو أُشُرٍ شتيت النبت عَذْب ... نقى اللون بَرَّاق بَرود [٢]
لهوت بها زمانا فى شبابى ... وزارتها النجائب والقصيد
أُناس كلما أَخْلقت وصلا ... عنانى منهم وصل جديد

ومما قاله مُرَقِّش فى فراق أسماء

أمن آل اسماء الرسوم الدوارس ... تخطط فيها الطير قفرٌ بسابس

وهى قصيدة طويلة، وقال فيها أيضا

أَغالِبك القلب اللَّجوج صبابةً ... وشوقا الى اسماء أم أنت غالبه
يَهيم ولا يَعْيا بأسماء قلبُه ... كذاك الهوى أَمراره وعواقبه
أيُلْحى امرؤ فى حب اسماء قد نأى ... بغم من الواشين وازورَّ جانبه
واسماء همُّ النفس ان كنت عالما ... وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه
اذا ذكرتها النفس ظَلْت كأنني ... يذعذعنى قَفْقاف وِرْد وصالبه

وقع المجالد بن رَيَّان ببني تَغْلِب بن حُرْان فنكى فيهم وأصاب مالا وأسرى وكان معه المرقش الاكبر فقال المرقش فى ذلك

أتتنى لسان بني عامر ... فجَلَّى أحاديثها عن بَصَر
بأن بني الوَخْم [٣] ساروا معا ... بجيش كضوء نجوم السَّحَر

---

(١) المجسد كمنبر ثوب يلى الجسد (٢) اشر الاسنان الذى يكون فيها خلقة ومستعملا
(٣) هم بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة

بكل خبوب السُّرَى نَهْدة ... وكل كُمَيْت طُوال أَغَرّ
فما شعر الحى حتى رأَوْا ... بَريقَ القوانس فوق الغُرَر
فأقبلْنهم ثم أدْبَرْنهم ... فأصْدَرْنهم قبل حين الصدَر
فيا رُبَّ شِلْوٍ تخطرفنه (١) ... كريم لدى مزْحف أو مكَرّ
وآخر شاصٍ ترى جلده ... كقِشْر القَتادة غِبَّ المطر
وكائن بجمْرَان من مُزْعَف ... ومن رجل وجهه قد عفُر

ومن شعره

خليلى عوجا بارك الله فيكما ... وان لم تكن هند لارضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا ... ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
تخيرت من نُعمان عودَ أراكة ... لهند فمن هذا يبلغه هندا
وأنْطَيته سيفى لكيما أقيمه ... فلاأوَدًا فيه استبنت ولاحصدا
ستُبْلغ هنداً ان سلمنا قلائص ... مَهَارِيّ يقطعن الفلاةَ بنا وَخْدا
فلما أنخنا العيس قد طار سيرها ... اليهم وجدناهم لنا بالقرَى حُشْدا
فناولتها المسواك والقلب خائف ... وقلت لها ياهند أهلكتنا وجدا
فمدت يدا فى حسن دَلّ تناولا ... اليه وقالت ماأرى مثل ذا يُهْدى
تعرض للحى الذين أريدهم ... وما التمست الا لتقتلنى عمدا

المرقش الاصغر

هو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة

وهو أشعر المرقشين وأطولهما عمرا عشق فاطمة بنت المنذر وقال فيها

الايا اسلمى لاصرْم لى اليوم فاطما ... ولاأبدا مادام وصلك دائما
رمتك ابنة البكْري عن فرع ضالةٍ ... وهن بنا خُوص (٢) يُخْلن نعائما

(١) تخطرف الشيء اذا جاوزه وتعداه (٢) الخوص من الابل الغائرة العيون من جهد السفر

تراءت لنا يوم الرحيل بوارد (١) وعذب الثنايا لم يكن مترا كما
سقاه حباب المزن فى متهلل من الشمس رواه ربابا سواجما
أرتك بذات الضال منها معاصما وخدا أسيلا كالوذيلة (٢) ناعما
صحا قلبه عنها على أن ذكرة اذا خطرت دارت به الأرض قائما
تبصر خليلى هل ترى من ظعائن خرجن سراعا واقتعدن المفائما (٣)
تحملن من جو الوريعة (٤) بعدما تعالى النهار وانتجعن الصرائما
تحملين ياقوتا وشذرا وصيغة وجزعا ظفاريا ودرا توائما
سلكن القرى والجزع تحدى جمالهم وورك كن قواما واجتزعن المخارما
ألا حبذا وجه يريك بياضه ومنسدلات كالمثانى فواحما
وانى لأستحيى فطيمة جائعا خميصا وأستحيى فطيمة طاعما
وانى لأستحييك والخرق بيننا مخافة أن تلقى أخا لى صارما
وانى وان كلت قلوصى لراجم بها وبنفسى يا فطيم المراجما
ألا يا اسلمى بالكوكب الطلق فاطما وان لم يكن صرف النوى متلائما
ألا يا اسلمى ثم اعلمى أن حاجتى اليك فردى من نوالك فاطما
أفاطم لو أن النساء ببلدة وأنت بأخرى لابتغيتك هائما
متى ما يشأ ذو الود يضرم خليله وينضب عليه لا محالة ظالما
وآلى جناب حلفة فأطعته فنفسك ولم اللوم ان كنت نادما
فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما
ألم تر أن المرء يجذم كفه ويجشم من لوم الصديق المجاشما
أمن حلم أصبحت تنكت واجما وقد تعترى الاحلام من كان نائما

---

(١) شعر وارد مسترسل طويل (٢) مرآة الفضة (٣) المفائم المراكب الواسعة (٤) الوريعة موضع لبنى فقيم

عمرو بن قميئة

هو عمرو بن قَمِيئة بن ذُرَيح بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة من قدماء شعراء الجاهلية ويقال أنه أول من قال الشعر من نزار وهو أقدم من امرىء القيس ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه الى قيصر لما توجه اليه فمات في طريقه وسمته العرب عمراً الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب، وكان شاعراً فَحْلاً متقدماً، وكان شابا جميلاً، حسن الوجه مديد القامة، ومات أبوه وخلفه صغيراً فكفله عمه مَرْثد بن سعد وكانت سبابتا قدميه ووُسْطَياهما ملتصقتين، وكان حيه محباً له مُعْجَبًا به رقيقاً عليه.

ومن شعره يعتذر الى عمه في موجدة وجدها عليه.

خليلي لا تستعجلا ان تَزَوَّدَا ... وأن تَجْمعا شملي وتنتظرا غدا
فما لَبَنِي يوماً بسائقِ مَغْنَم ... ولا سرعتي يوماً بسائقة الرَّدى
وأن تَنْظُراني اليوم أَقْضِ لُبانة ... وتستوجبا مَنًّا عليَّ وتُحْمدا
لَعَمْرُك ما نفس بجدّ رشيدة ... تؤامرني سوءا لأَصْرِمَ مَرْثدا
وان ظهرت مني قوارصُ جَمَّة ... وأفرغ من لومي مراراً وأصعدا
على غير جُرْم أن أكون جنيته ... سوى قول باغٍ كادني فتجهدا
لعمري لنعم المرء تدعو بخلة ... اذا ما المنادى في المقامة نَدَّدا
عظيم رَماد القِدْر لا متعبس ... ولا مُؤْيِس منها اذا هو أوقدا
وان صرحت كَحْلٌ وهَبَّتْ عَرِيَّة ... من الريح لم تترك من المال مرقدا(١)
صبرت على وطء الموالي وخَطْبِهم ... اذا ضَنَّ ذو القربى عليهم وأخمدا
ولم يَحْم فَرْجَ الحيّ الا محافظ ... كريم المحيا ماجد غير أجردا

---

(١) كحل ويمنع السنة الشديدة والعرية الريح الشديدة

ومن قوله لما بلغ تسعين سنة

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عنى عنان لجامى
على الراحتين مرة وعلى العصا ... انوء ثلاثاً بعدهن قيامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى ... فما بالُ من يرمى وليس برام
فلو ان ما أُرمَى بنبل رميتها ... ولكنما أُرمَى بغير سهام
اذا ما رآنى الناس قالوا ألم يكن ... حديثاً جديد البَرْى غير كهام
وافنى وما أفني من الدهر ليلة ... وما يُفْنِ ما أفنيت غير نظامى
واهلكني تأميل يوم وليلة ... وتأميل عام بعد ذاك وعام

وعمرو هو الذي عناه امرؤ القيس بقوله

بكى صاحبى لما رأى الدَّرْب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينُك انما ... نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وقال له فى سفره الا تركب الى الصيد؟ فقال عمرو

شكوت اليه أنني ذو جلالة ... وانى كبير ذو عيال مُجَنَّب
فقال لنا اهلا وسهلا ومرحبا ... اذا سركم لحم من الوحش فاركبوا

ومما يغنى فيه من شعره

نأتك أُمامةُ الا سؤالا ... والا خيالا يوافى خيالا
يوافى مع الليل ميعادُها ... ويأبى مع الصبح الا زِيالا
فذلك يُبذَل من ودها ... ولو شهدت لم تُوَاتِ النوالا
فقد رِيعَ قلبى اذ أعلنوا ... وقيل أَجِدَّ الخليط الزِّيالا

الاعشى

هو مَيْمون بن قيس بن جَنْدَل بن شَراحيل بن عوف بن سعد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ويكنى أبا بَصير

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدم على سائرهم وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا فى غيره ، قال يونس النحوى اشعر الناس امرؤ القيس اذا غضب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والأعشى اذا طَرِب ، وقال ابو عبيدة من قدم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه فى المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره، ويقال هو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصى البلاد ، وكان يُغَنّى في شعره فكانت العرب تسميه صَنّاجة العرب ، وقال ابو عمرو بن العلاء عليكم بشعر الأعشى فانى شبهته بالبازى يصيد ما بين العَنْدَليب الى الكُرْكي ، وقال يحيى بن الجَوْن العَبْدى راوية بشار نحن حاكَةُ الشعر في الجاهلية والاسلام ونحن أعلم الناس به أعشى بني قيس بن ثعلبة استاذ الشعراء في الجاهلية وجرير بن الخطفَى استاذهم في الاسلام ، وقال الشَعْبى الأعشى أغزل الناس في بيت وأخنث الناس في بيت وأشجع الناس في بيت ، فأما أغزل بيت فقوله

غرّاء فرْعاء مصقول عوارضها تمشى الهُوَيْنَى كما يمشى الوَجِي الوَحِل

وأما أخنث بيت فقوله

قالت هُرَيرة لما جئت زائرها ويلى عليك وويلى منك يارجل

واما اشجع بيت فقوله

قالوا الطِّرادُ فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون فانا معشر نُزُل

وقال يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً وكان مُعَمِّراً قد كان الأعشى قَدَريا وكان لبيد مثبتاً قال لبيد

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الأعشى

استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولىَّ الملامة الرجلا

وأخذ مذهبه هذا من قبل العبادِيين نصارى الحيرة كان يأتيهم يشترى منهم الخمر فلقنوه ذلك

كان الأعشى يوافى سوق عكاظ كل سنة وكان المُحلِّق الكلابى مِئْنَاثاً مُمْلِقاً فنزل به الأعشى فنحر له المُحلِّق ناقته وكشط له من سنامها وكبدها ثم سقاه فلما وافى سوق عكاظ أنشد بها

أرِقت وما هذا السُّهاد المؤرَّق ... وما بى من سُقْم وما بى مَعْشق
ولكن أرانى لا أزال بحادث ... اغادى بما لم يُمْسِ عندى وأُطْرَق

ومن قوله فيها

لعمرِي لقد لاحت عيون كثيرة ... الى ضوء نار باليَفَاع تحرَّق
تُشَبُّ لِمَقْرُورين يَصْطليانها ... وبات على النار الندى والمُحلِّق
رضيعى لبان ثَدْى أم تحالفا ... بأسْحَم داجٍ عَوْضُ لا نتفرق

ومنها

أبامِسمعَ سار الذى قد فعلتمُ ... فأنْجَدَ أقوام به ثم أعرقوا
به تعقد الأجمال فى كل منزل ... وتعقد أطراف الحبال وتطلق

ثم نادى يا معاشر العرب هل فيكم مِذْكار يزوج ابنه الى الشريف الكريم فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة الا وقد زوجها

هجا الأعشى رجلا من كَلْب فقال

بنو الشهر الحرام فلست منهم ... ولست من الكرام بَنى عُبَيْد
ولا من رهط جبَّار بن قُرْط ... ولا من رهط حارثة بن زيد

وهؤلاء كلهم من كلب، فقال الكلابى لا أبا لك أنا أشرف من هؤلاء، فسبه الناس بعد بهجاء الأعشى اياه وكان متغيظا عليه فأغار على قوم قد بات فيهم

الأعشى إياه وهو لا يعرفه ثم جاء حتى نزل بشُرَيح بن السَّمَوءل بن عاديا الغسّانى صاحب تيماء بحصنه الذى يقالُ له الأبلق فمر شريح بالأعشى فناداه الأعشى

شريحُ لاتتركَنّي بعدما علِقَت ... حبالك اليوم بعد القدِّ أظفارى
قد جلت ما بين بانِقْيا الى عدَن ... وطال فى العُجْم تَردادى وتَسيارى
فكان أكرمَهم عهداً وأوثقَهم ... مجداً أبوك بعُرف غير إنكار
كالغيث ما استمطروه جاد وابله ... وفى الشدائد كالمستأسد الضارى
كن كالسَّموءل اذ طاف الهمام به ... فى جَحْفل كهَزيع الليل جرَّار
إذ سامه خُطَّتَىْ خَسْف فقال له ... قل ما تشاء فانى سامعٌ حار
فقال غَدْر وثُكْل أنت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل أسيرك انى مانع جارى
وسوف يُعْقِبُنيه ان ظفرتَ به ... رب كريم وبيض ذات أطهار
لا سرهن لدينا ذاهب هدَرا ... وحافظات اذا استُودعن أسرارى
فاختار أدراعه كي لا يُسَبَّ بها ... ولم يكن وعده فيها بختَّار

فجاء شُرَيح الى الكلبى فقال هَبْ لى هذا الأسير المضرور فقال هو لك فأطلقه وقال له أقم عندى حتى أكرمك وأحْبُوَكَ فقال له الأعشى ان من تمام صنيعتك أن تعطينى ناقة نجيبة وتخليني الساعة فأعطاه ناقته فركبها ومضى من ساعته، وبلغ الكلبى أن الذى وهبه لشريح هو الأعشى فأرسل الى شريح ابعث الى الأسير الذي وهبت لك حتى أحْبُوَه وأعطيه، فقال قد مضى، فأرسل الكلبى فى أثره فلم يلحقه .

تزوج الأعشى امرأة من عَنَزَة ثم من هِزّان[1] فلم يرضها ولم يستحسن خلقها وقال فيها:

---

(١) هو هزان بن يقدم

بيني حَصَانَ الفرج غير ذميمة ... وموموقةً فينا كذاك وواملة
وذوق فتى قوم فانى ذائق ... فتاة أناس مثل ما أنت ذائقة
لقد كان في فتيان قومك منكح ... وشبان هزَّانَ الطوال الغرانقة
فبيني فان البين خير من العصا ... والا تَرَيْ لى فوق رأسك بارقة
وماذاك عندى أن تكونى دنيئة ... ولا أن تكونى جئت عندى بائقة
ويا جارتا بيني فانك طالقة ... كذاك أمور الناس غاد وطارقة

ومن قوله يصف الخمر

وأدْكَنَ عاتق حجل رِبَحْل ... صبحت براحه شَرْبا كراما (١)
من اللائى حملن على المطايا ... كريح المسك تَسْتَلُّ الزكاما

وهو خير من قول الأخطل

وتظل تنصفنا بها قَرَوِيَّة ... ابريقها برقاعها ملثوم
فاذا تعاورت الأكُفُّ زجاجَها ... نفحت فشم رياحَها المزكوم

قال الأعشى أتيت سلامة ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت اليه فأنشدته .

إنَّ مَحَلاً وإنَّ مُرْتَحَلاً ... وإنَّ فى السَّفْرِ من مضى مهلا
استأثر الله بالوفاء وبالـ ... ـعدل وولى الملامة الرجلا
الشعر قلدته سلامة ذا ... فائش والشىء حيثما جُعِلا

فقال صدقت الشعر حيثما جعل وأمر لى بمائة من الأبل وكسانى حللا وأعطانى كَرِشا مدبوغة مملوءة عنبراً وقال إياك أن تخدع عما فيها فأتيت الحيرة فبعتها بثلثمائة ناقة حمراء

وفد الأعشى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التى أولها

---

(١) الربحل التام الخلق

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ماعاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما تناسيت قبل اليوم خلة مهدد (١)

وفيها يقول لناقته :

فآليت لا أرثى لها من كلالة ولا من حفى حتى تزور محمدا
نبى يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراحى وتلقى من فواضله يدا

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه وقالوا هذا صماجة العرب ما مدح أحدا قط الا رفع فى قدره، فلما ورد عليهم قالوا أين أردت يا أبا بصير ؟ قال أردت صاحبكم هذا لأسلم، قالوا انه ينهاك عن خلال ويحرمها عليك وكلها بك رفق ولك موافق، قال وما هن ؟ فقال ابو سفيان بن حرب الزنا، قال لقد تركنى الزنا وما تركته ثم ماذا؟ قال القمار، قال لعلى ان لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار ثم ماذا ؟ قال الربا، قال ما دنت ولا ادنت ثم ماذا؟ قالوا الخمر، قال أوه ارجع الى صبابة قد بقيت لى فى المهراس فأشربها ؛ فقال له ابو سفيان هل لك فى خير مما همت به؟ قال وما هو ؟ قال نحن الآن وهو فى هدنة فتأخذ مائة من الابل وترجع الى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير اليه أمرنا فان ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً وان ظهر علينا أتيته، فقال ما اكره ذلك، فقال ابو سفيان يامعشر قريش هذا الأعشى والله لئن أتى محمدا أو اتبعه ليضرمن عليكم نيران العرب بشعره فاجمعوا له مائة من الابل ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده، فلما كان بقاع منفوحة (٢) رمى به بعيره فقتله

ومن قول الأعشى فى يوم ذى قار

لو أن كل معدى كان شاركنا فى يوم ذى قار ما أخطاهم الشرف
لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الارض تغشاها بهم سدف

---

(١) من أسماء النساء (٢) قرية باليمامة

بَطارق وبنو ملك مَرَازبة من الاعاجم في آذانها النُّطَف (١)
من كل مَرجانة فى البحر أحرزها تيارها ووقاها طينَها الصَّدَف
وظُعننا خلفنا تجرى مدامعها اكبادُها وَجَلا مما ترى تَجِف (٢)
يَحْسِرن عن أوجه قد عاينت عبرا ولاحها عبرة الوانها كُسُف
مافي الخدود صدود عن وجوههم ولاعن الطعن فى اللَّبَّات مُنْحَرف
عَوْدا على بَدْءِ كَرِّ ما يلينهم كَرَّ الصقور بناتِ الماء تختطف
لما أمالوا الى النُّشاب أيديهم ملنا ببيض فظَلَّ الهام يقتطف
وخيل بَكْر فما تنفك تطحنهم حتى تولَّوْا وكاد اليوم ينتصف

وعن ذلك قوله

فدى لبنى ذُهْلِ بن شَيْبان ناقتى وراكبها يوم اللقاء وقلت
هم ضربوا بالخنْوِ حنوِ قُراقر مقدمة الهامُرْز حتى تولت

وقال

حلفت بالملح والرماد وبالعُـــزَّى وباللات نسلم الحلقة
حتى يَظَلَّ الهامُ منجدلا ويَقْرَعَ النَّبل طُرَّة الدرقة

الفند الزمانى

هو سَهْل بن شَيْبان بن ربيعة بن زِمّان بن مالك بن صَعْب بن على بن بكر ابن وائل والفِنْد لقب غلب عليه شبه بالفِنْد من الجبل . كان أحد فرسان ربيعة المشهورين المعدودين وشهد حرب بكر وتغلب وقد جاوز المائة سنة فأَبْلَى بلاء حسنا وكان مشهده فى يوم التحالق الذى يقول فيه طَرَفة

سائلوا عنا الذى يعرفنا بقُوانا يوم تَحْلاق اللمم
يوم تُبْدى البيض عن اسوقها وتَلُفّ الخيل أعراج النَّعَم

---

(١) النطف الاقراط (٢) تجف تضطرب

ومن قوله فى طعنة طعنها

ايا طعنةَ ما شيخٍ كبير يَفِن بل
تَفَتّيت بها اذْ كَـــرِه الشّكة أمثالى
تقيم المأتم الأعلى على جهد وإعوال

ومن شعره وفيه غناء

كففْنا عن بنى هنـد وقلنا القوم اخوان
عسى الايام ان يَرْجعـــن قوماً كالذى كانوا
فلما صرح الشر فأمسى وهو عُرْيان
ولم يَبْقَ سوى العدوا ن دِنّاهم كما دانوا
شددنا شَـدَّة الليث غدا والليث غضبان
بضرب فيه تفجيع وتأييم وإرنان
وطعن كفم الزِّق غـدا والزِّق ملآن
وفى العدوان للعدوا ن توهين واقران
وبعض الحلم عند الجهـل للذلة اذعان
وفى الشر نجـاة حيـن لا ينجيك احسان

الحرث بن حلزة

هو الحرث بن حِلِّزة بن مكروه من يشكر بن بكر وهو صاحب القصيدة التى أولها

آذنتنا ببينها أسماء رُبّ ثاوٍ يُمَل منه الثّواء
بعد عهد لنا ببُرْقة شَمّا ء فأدنى ديارها الخلصاء

وكان من خبرها ان عمرو بن هند لما جمع بكرا و تغلب ابنى وائل وأصلح بينهم

أخذ من الحيين رهناً من كل حى مائة غلام ليكُفّ بعضهم عن بعض فكان أولئك الرهن يكونون معه في سيره، يغزون معه، فاصابتهم سَموم فى بعض مسيرهم، فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون، فقالت تغلب لبكر أعطونا ديات أبنائنا فان ذلك لكم لازم، فأبت بكر، فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة، وجاءت بالنعمان بن هرم احد بني ثعلبة بن غَنْم بن يشكر، فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هَرِم يا أصم جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك، فقال النعمان وعلى من أظلّت السماء كلهم يفخرون ثم لا ينكر ذلك، فقال عمرو له اما والله لو لطمتك لطمة ما أخذوا لك بها، فقال له النعمان والله لو فعلت ما أفلت بها قيس ابن أبيك، فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر، وقام الحرث بن حلزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالا، توكأ على قوسه وأنشدها واقتطم كتفه وهو لا يشعر من الغضب، فلما تكلم أعجب عمرو بن هند بمنطقه، وقد جمع فيها ذكر عدة من أيام العرب عير ببعضها بني تغلب تصريحاً وعرض ببعضها لعمرو بن هند فمن ذلك قوله

أيها الناطق المبلغ عنا ... عند عمرو وهل لذاك انتهاء
من لنا عنده من الخير آيا ... ت ثلاث فى كلهن القضاء
آية شارق الشقيقة[1] اذ جا ... ءوا جميعاً لكل حى لواء
حول قيس مستلئمين بكَبْش ... قَرَظِىّ كأنه عَبْلاء[2]
فرددناهمُ بطعن كما يَخْـ ... ـرج من خُرْبة المزاد الماء
وحملناهمُ على حَزْم ثَهْلا ... ن شِلالا ودُمَّى الأَنْساء[3]

---

(١) قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن معدى كرب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يغيرون على ابل لعمرو بن هند فردتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم ولم يوصل الى شيء من ابل عمرو بن هند (٢) كبش قرظى منسوب الى بلاد القرظ وهى اليمن والعبلاء الصخرة (٣) الحزم ما كان من الارض أغلظ من الحزن وثهلان جبل ضخم بالعالية وشلالا متفرقين والانساء جمع نساء

وجبهناهم بطعن كما تنـــهز فى جَمّة الطّوىّ الدّلاء (١)
وفعلنا بهم كما علم الله وما ان للحائنين دماء
ثم حُجْرا اعنى ابن أم قَطام وله فارسية خضراء (٢)
أسد فى اللقاء وَرْد هَمُوس وربيع ان شمرت غبراء (٣)
وفككنا غُلَّ امرئ القيس عنه بعد ماطال حبسه والعَناء (٤)
ومع الجَوْن جَوْن آل بَني الأَوْ س عَنُود كأنها دَفْواء (٥)
ماجزعنا تحت العَجاجة اذ ولَّـــوْا شِلالا واذْ تَلَظّى الصِّلاء
وأقدناه ربَّ غَسّان بالمنـــذر كرها اذ لا تُكال الدماء
وأتيناهم بتسعة أمـــلا ك كرام أسلابهم أغلاء (٦)
وولدنا عمرو بنَ أمِّ اناس من قريب لما أتانا الحباء
مثلُها تُخرج النصيحةَ للقو م فَلاةٌ من دونها أفلاء
فاتركوا الطَّيْخ والتعاشِى واما تعاشوا ففى التعاشى الداء (٧)
واذكروا حِلف ذى المجاز وماقُـــدّم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدى وهل ينـــقُض مافى المهارق الاهواء (٨)
واعلموا اننا واياكم فيـــما اشترطنا يوم اختلفنا سواء
عَنَتا باطلا وظلما كما تُعْـــتَر عن حُجْرة الرَّبيض الظباء (٩)

---

(١) الجمة مجتمع ماء البئر وتنهز يضرب بها فى الماء لتتلئ والطوى البئر
(٢) كان حجر الكندى غزا امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر وكانت بكر مع امرئ القيس فخرجت الى حجر وقتلت جنوده (٣) الهموس الكسار لفريسته والورد الجرىء
(٤) كانت غسان أسرته يوم قتل المنذر أبيه فأغارت بكر على بعض بوادى الشام فقتلوا ملكا من ملوك غسان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر (٥) الدفواء من النجائب الطويلة العنق اذا سارت كادت تضع هامتها على ظهر سنامها وتكون مع ذلك طويلة الظهر
(٦) يعنى بنى حجر آكل المرار وقد ذكر أمرهم فى حديث حجر
(٧) الطيخ التكبر والتعاشى التنامى (٨) المهارق الصحف (٩) تعتر تذبح والربيض الغنم المجتمعة فى مرابضها والحجرة الحظيرة

أعلينا جُناح كِندة ان يغـــنَم غازيهم ومنا الجزاء (١)
أم علينا جرَّى اياديكا قيـــل لطَسْم أخوكم الأبَاء
ليس منا المضرَّبون ولا قيـــس ولا جَنْدل ولا الحدَّاء
أم جنايا بني عَتيق فمن يَغْـــدر فانا من حربهم بُرَآء
أم علينا جرَّى العباد كما نيـــط بجَوْز المحمَّل الأعباء
وثمانون من تميم بأيديـــهم رماح صدورهن القضاء (٢)
تركوهم مُلحَّبين وآبوا بنهاب يَصَمّ منها الحُداء
أم علينا جرَّى حنيفةَ أو ما جمعت من محارب غَبْراء (٣)
أم علينا جرَّى قُضاعة أم ليـــس علينا فيما جنوا أنداء (٤)
ثم جاؤا يسترجعون فلم تر جع لهم شامة ولا زهراء
لم يُخلوا بني رِزاح ببرقا ءِ نِطاعٍ لهم عليهم دعاء
ثم فاءوا منهم بقاصمة الظهـــر ولا يَبْرُد الغليل الماء
ثم خيل من بعد ذاك مع الغَـــلاّق لا رأفة ولا ابقاء (٥)

---

(١) كانت كندة قد كسرت الخراج على الملك فبعث اليهم رجالا من بنى تغلب يطالبونهم بذلك فقتلوا ولم يدرك بثأرهم فعيرهم بذلك (٢) يعنى عمرا أحد بنى سعد مناة خرج فى ثمانين رجلا من تميم فأغاروا على قوم من بنى قطن بن تغلب فقتل فيهم وأخذ أموالا كثيرة فلم يدرك منه بثار

(٣) كانت حنيفة محالفة لتغلب على بكر فاذكر الحرث عمرو بن هند بهذا البيت قتل شمر ابن عمرو الحنفى المنذر بن ماء السماء غيلة لمحارب الحرث بن جبلة الغسانى وبعث الحرث الى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الامان على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله ، فركن المنذر الى ذلك فأقام الغلمان معه فاغتاله شمر بن عمرو الحنفى وتفرق من كان مع المنذر وانتهبوا عسكره فحرضه بذلك على بنى حنيفه حلفاء تغلب (٤) عيره بأن قضاعة كانت غزت بنى تغلب ففعلت بهم فعل كندة ولم يكن منهم فى ذلك شئ ولا أدركوا منهم ثاراً

(٥) الغلاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر وكان من بنى حنظلة من تميم ، وكان عمرو ابن هند دعا بنى تغلب بعد قتل المنذر الى الطلب بثأره من غسان فامتنعوا وقالوا لانطيع أحدا من بنى المنذر أيظن ابن هند انا له رعاء ! فغضب عمرو بن هند وجمع جموعا كثيرة من العرب فلما اجتمعت آلى الا يغزو قبل تغلب أحدا فغزاهم فقتل منهم قوماً ثم استعطفه من معه لهم واستوهبوه جريرتهم فأمسك عن بقيتهم وطلب دماء القتلى فذلك قول الحرث

ماأصابوا من تغلبى فطلو ل عليهم اذ توالى القضاء

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاء

فلما فرغ من هذه القصيدة حكم عمرو ابن هند انه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث على رهائن تغلب ، فتفرقوا على هذه الحال، ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى هم باستخدام أم عمرو بن كلثوم تعرضا لهم واذلالا « وسيأتى ذلك فى ترجمة عمرو بن كلثوم »

ومما أنشده النضر بن شُمَيل للحرث وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول لله دره ما أشعره

مَنْ حاكمٌ بيني وبين الدهـــر مال عليَّ عمدا
أوْدَى بسادتنا وقد تركوا لنا حَلَقا وجُرْدا
خيلى وفارسها ورب أبيـــك كان أعزَّ فقدا
فلو أن ما يأوِي إليّ أصاب من شَهْلان هَدَّا
فضَعِي قناعك ان رَيْـــبَ الدهر قد أفنى مَعَدَّا
فلكم رأيت معاشراً قد جَمَّعوا مالاً ووُلْدا
وهم رَباب حائر لا يُسْمِع الآذان رَعْدا
فعِشَنْ بجِد لا يَضِرْ ك النَّوْك ما لاقيت جدا
والعيش خير فى ظلا ل النَّوْك ممن عاش كَدَّا

المنخل بهه عمرو اليشكرى البكرى

شاعر مقل من شعراء الجاهلية ، كانت المتجردة زوج النعمان بن المنذر تهواه فقال يصفها

إن كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تَحُورى
لا تسألى عن جُلّ ما لى واذكرى كرمى وخِيرى

واذا الرياح تناوحت بجوانب البيت الكسير[1]
ألفيتنى هشَّ اليدين بمرْى قِدْحى أو شَجيري[2]
ونهى أبو أفْعَى فقلدنى أبو أفْعَى جَرِيرى
وجَلالة خطَّارة هَوْجاء جائلة الضفور
تعدو بأشعثَ قد وَهَى سِرْباله باقى المسير
فضلا على ظهر الطريق اليك علْقمة بن صير
الواهب الكُوم الصفَّا يا والأوانس فى الخدور
يُصفْيك حين تجيئه بالغصن والحلْى الكثير
وفوارس كأُوار حر النار أحْلاس الذكور
شدوا دَوابر بَيْضهم فى كل مُحْكَمة القَتير
واستلأموا وتلبثوا إن التلبث للمُغير
وعلى الجياد المُضْمَرا ت فوارس مثل الصقور
يخرجن من خلَلِ الغبار يَجِفْنَ بالنَّعَم الكثير
فشفيت نفسى من أولئك والفوائح بالعبير
يرفُلْن فى المسك الذَّكى وصائك كدم النَّحير
يعكُفن مثل أساود التَّنُّوم لم تُكْلف لزور
ولقد دخلت على الفتاة الخِدر فى اليوم المطير
الكاعب الحسناء ترْ فُلُ فى الدِّمَقْسِ وفى الحرير
فدفعتها فتدافعت مشى القَطاة الى الغَدِير
ولثمتها فتنفست كتنفس الظبى الغَرِير

---

(١) الكسير الذى له كسور وهى ماسس الارض من هداب خيامهم وفيها حبال تشد بها
(٢) الشجير الغريب يعنى قدحا يتبرك به فيستعار من الغير

فدنت وقالت يا مُنَخَّـــل ما بجسمك من حَرور
ما شَفَّ جسمى غيرُ حبـــك فاهدئى عنى وسيرى
ولقد شربت من المدامـــة بالصغير وبالكبير
ولقد شربت الخمر بالخيـــل الأناث وبالذكور
ولقد شربت الخمر بالعبـــد الصحيح وبالأسير
فاذا سكرت فاننى رب الخَوَرْنق والسَّدير
واذا صحوت فاننى رب الشويهة والبعير

وقد اطلع النعمان على أمر المنخل والمتجردة فقتله

سويد بن أبى كاهل اليشكرى

شاعر متقدم من مخضرمى الجاهلية والاسلام وله القصيدة التى قال الاصمعى كانت العرب تفضلها وتعدها من حكمها وكانت تسميها فى الجاهلية اليتيمة وهى

بسطت رابعةُ الحبلَ لنا فوصلنا الحبلَ منها ما اتسع
حُرَّة تجلو شتيتا واضحا كشُعاع الشمس فى الغَيْم سطع
صقلتـه بقضيب ناضر من أراك طيب حتى نَصَعَ
أبيضَ اللون لذيذا طعمـه طيبَ الريق اذا الريق خدَع
تمنح المِرآة وجها واضحا مثل قرن الشمس فى الصحو ارتفع
صافى اللون وطَرْفا ساجيا أكحل العينين مافيه قَمَع (١)
وقُرونا سابغا أطـرافها غَلَّلتها ريح مسك ذى فنَع (٢)
هيّج الشوق خيال زائر من حبيب خفِر فيه قَدَع (٣)
شاحط جاز الى أرحُلنا عُصَب الغاب طروقا لم يُرَع

---

(١) القمع حمرة فى العين وفساد فى المؤق (٢) الفنع الكثرة
(٣) القدع الرد والمراد فيه حياء

آنسٍ كان اذا ما اعتادنى ... حال دون النوم منى فامتنع
وكذاك الحب ما أشجعه ... يركب الهول ويعصى من وزع
فأبيت الليل ما أرقده ... وبعينيَّ اذا النجم طلع
واذا ما قلت ليل قد مضى ... عطف الاول منه فرجع
يسحب الليل نجوما ظُلَّعا ... فتواليها (١) بطيئات التبع
ويزجيها على أبطائها ... مُغْرِب (٢) اللون اذا اللون انقشع
فدعانى حب سلمى بعد ما ... ذهب الجِدّة منى والرَّيَع
خبَّلتنى ثم لما تشفنى ... ففؤادى كلّ أوْب ما اجتمع
ودعتني برُقاها انها ... تُنزل الأعصم من راس اليفع
تسمع الحُدّاث قولاً حسناً ... لو ارادوا غيره لم يستمع
كم قطعنا دون سلمى مَهْمَها ... نازح الغَوْر اذا الآل لمع
فى حرور ينضج اللحم بها ... يأخذ السائرَ فيها كالصقع (٣)
وتخطّيت اليها من عِدًى ... بزماع الأمر والهم الكنع (٤)
وفلاةٍ واضح أقرابُها (٥) ... باليات مثل مُرْفَتّ القزع
يسبح الآل على أعلامها ... وعلى البيد اذا اليوم متع (٦)
فركبناها على مجهولها ... بصلاب الأرض فيهن شجع (٧)
كالمغالى (٨) عارفات للسُّرَى ... مُسْنِفَات لم توشَّم بالنَّسَع
فتراها عُصُفا مُنْعَلة ... بنعال القَيْن يكفيها الوقع
يدَّرِعن الليل يَهْوِين بنا ... كهُوِيّ الكُدْر صبَّحن الشَّرَع
فتناولن غِشاشا منهلا ... ثم وجهن لأرض تُنْتجع

---

(١) التوالى الاواخر (٢) المغرب الابيض يعنى بياض الصبح (٣) الصقع حرارة تصيب الرأس (٤) الكنع اللازم الذى لا يفارق (٥) المراد بالاقراب الجوانب والاطراف والمرفت المتكسر المتحطم والقزع بقايا تبقى من الشعر (٦) متوع اليوم ارتفاع النهار (٧) جنون من النشاط (٨) المغالى السهام

٣٠ من بنى بكر بها مملكةٌ منظر فيهم وفيهم مستمع
بُسُط الأيدى اذاماسئلوا نُقُع النائل ان شئ نفع
من اناس ليس من أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع
عُرُف للحق ما نَعْيا به عند مُرّ الأمر ما فينا خرع
واذا هبّت شمالا أطعموا فى قُدور مشبعات لم تُجع
٣٥ وجفان كالجوابى مُلئت من سمينات الذرى فيها تَرع
لايخاف الغدرَ من جاورهم أبدا منهم ولا يخشى الطبع
ومساميح بما ضُنَّ به حاسروا الانفس عن سوء الطمع
حسنو الأوجه بيض سادة ومراجيح اذا جدَّ الفزع
وُزُن الاحلام ان هم وازنوا صادقو البأس اذا البأس نصع
٤٠ وليوث تتقى عُرّتها ساكنو الريح اذا طار القزع
فبهم يُنْكَى عدو وبهم يُرْأب الشعب اذا الشعب انصدع
عادة كانت لهم معلومة فى قديم الدهر ليست بالبدع
واذا ما حُمّلوا لم يَظْلَعوا واذا حملت ذا الشفّ ظلع
صالحو أكفائهم خُلانهم وسَراة الأصل والناسُ شيع
٤٥ أرّق العين خيال لم يدع من سُليمى ففؤادى منتزع
حل أهلى حيث لا أطلبها جانب الحضْر وحلّت بالفرع
لا الاقيها وقلبى عندها غير المام اذا الطرْف هجع
كالتؤامية (١) ان باشرتها قرت العين وطاب المضطجع
بكرت مُزْمعة نيتها وحدا الحادى بها ثم اندفع
٥٠ وكريمٌ عندها مُكْتَبَل غلق اثر القطين المتبع

(١) درة منسوبة الى تؤام على ساحل بحر عمان عنده مغاص

فكأنى اذ جرى الآل ضُحًى فوق ذيّال [١] بخديه سفع
كفّ خداه على ديباجة وعلى المتنين لون قد سطع
يبسط المشى اذا هيجته مثل ما يبسط فى الخطو الذرع [٢]
راثه من طيء ذو أسهم وضراء كن يُبلين الشرع
فرآهن ولمّا يستبن وكلاب الصيد فيهن جشع
ثم ولى وجنابان له من غبار أكدرىّ واتدع [٣]
فتراهن على مُهلته يختلين الأرض والشاة [٣] يلع
وانيات ما تلبّسن به واثقات بدماء ان رجع
يُرهب الشدّ اذا أرهقنه واذا برّز منهن ربع [٥]
ساكنُ القفر اخو دوّية فاذا ما آنس الصوت انصمع [٦]
كتب الرحمن والحمد له سمة الأخلاق فينا والضلع
واباء للدنيات اذا أُعطى للكثور ضيما فكنع
وبناء للمعالى انما يرفع اللهُ ومن شاء وضع
لا يريد الدهر عنها حولا جرع الموت وللموت جرع
نعم الله فينا ربّها وصنيعُ الله والله صنع
كيف باستقرار حرّ شاحط ببلاد ليس فيها مُتّسع
ربّ من أنضجت غيظا قلبه قد تمنى لى موتا لم يُطع
ويرانى كالشجا فى حلقه عسرا مخرجه ما ينتزع
مُزبد يخطر ما لم يرنى فاذا اسمعته صوتى انقمع
قد كفانى الله ما فى نفسه ومتى ما يكف شيئا لا يضع

---

(١) ثور طويل الذنب (٢) ولد البقر الصغير (٣) قصر من عدوه لثقته بعدوه (٤) يريد الثور يعدو عدوا ليّنا ولا يجتهد (٥) كف (٦) أصر أذنيه للاستماع

بئس ما يجمع ان يغتابنى مطعم وَخْم وداء يُدَّرع
لم يضرنى غير ان يحسدنى فهو يزقو مثل ما يزقو الضُّوع
ويحييني اذا لاقيتـــه واذا يخلو له لحمى رَتَع
مُستَمِرّ الشَّنْء لو يفقدنى لبدا منه ذُباب (١) فنبع
٧٥ ساء ما ظنوا وقد أَبْلَيْتهم عند غايات المدَى كيف أقع
صاحب المِرَّة (٢) لا يسأمها يوقد النار اذا الشر سطع
أصقع الناس برجم صائب ليس بالطيش ولا بالمرتجع
فارغ السوط فما يجهدنى ثَلِب (٣) عَوْد ولا شَخْت ضَرَع
كيف يرجون سقاطى بعد ما لاح فى الرأس بياض وصلع
٨٠ ورث البغضة عن آبائه حافظ العقل لما كان استمع
فسعى مسعاتكم فى قومه ثم لم يَظْفَر ولا عجزا وَدَع
زرع الداء ولم يدرك به ثِرَة فانت ولا وَهْيا رَقَع
مُقْعيا يَرْدى صَفاة لم تُرَم فى ذُرَى أَعْيَط وَعْر المُطَّلَع
معقِل يأمَن من كان به غلبت من قبله أن تقتلع
٨٥ لا يراها الناس الا فوقهم فهى تأتى كيف شاءت وتدَع
وهو يرميها ولن يَبْلُغها رِعَةَ الجاهل يَرضى ما صنع
كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحَى نفسه لما نَزَع
إذ رأى أن لم يضِرْها جهدُه ورأى خلقاء (٤) ما فيها طمع
تَعْضِب القَرْنَ اذا ناطحها واذا صاب بها المِرْدَى (٥) انجزع
٩٠ واذا ما رامها أعيَا به قلةُ العُدّة فِدْما والجَدَع (٦)

---

(١) الذباب الاذى (٢) العداوة (٣) الثلب الكبير من الابل وهو العود والشخت الدقيق النحيف الصغير والضرع الصغير السن (٤) الخلقاء الصخرة الملساء
(٥) المردى الحجر الذى يرمى به (٦) الجدع سوء الغذاء

وعدو جاهد ناضلته ... فى تراخى الدهر عنكم والجُمَع
فتساقينا بمُـــرّ ناقع ... فى متام ليس ينثنيه الورَع (١)
وارتمينا والأعادى شُهَّد ... بنبال ذات سم قد نقع
بنبال كلُّها مَـذْروبة ... لم يطق صنعتها الا صنع
خرجت عن بِغْضة بينة ... فى شباب الدهر والدهر جذع
وتحارضنا وقالوا انما ... ينصر الاقوامُ من كان ضرع
ثم ولى وهو لا يحمى استه ... طائر الارداف عنه قد وقع
ساجد المَنْخِر لا يرفعه ... خاشع الطرف أصمّ المستمع
فر منى هاربا شيطانه ... حيث لا يعطى ولا شيئا منع
فر منى حين لا ينفعه ... موقَرَ الظهر ذليل المتَّضع
ورأى منى مقاماً صادقاً ... ثابت الموطن كتّام الوجع
ولساناً صَيْرَفيّاً صارماً ... كحسام السيف مامسّ قطع
وأتانى صاحب ذوغيّث (٢) ... زَفَيان عند انفاذ القُرَع
قال لبّيك وما استصرخته ... حاقراً للناس قوّالَ القذَع
ذو عُباب (٣) زَبِد آذيّه ... خَبِط التيّار يرمى بالقلَع
زَغْرَبى (٤) مستعز بحره ... ليس للماهر فيه مطلع
هل سُوَيد غير ليث خادر ... ثئِدَتْ (٥) أرض عليه فانتجع

ولسويد قصيدة ينتمى فيها الى قيس عيلان ويفتخر بذلك وأولها

ابى قلبه الا عُمَيرة ان دنت ... وان حضرت دار العدى فهو حاضر
شَموس حَصان السرر يّا كأنها ... مُرَبّبة مما تضمن حائر

---

(١) الورع الهيوب الجبان (٢) ذو اجابة والزفيان الخفيف السريع والقرع المزاد (٣) العباب تكاثف الموج واضطرابه والآذى هو التيار وخبط يأخذ بجفاء والقلع قطع الجبال (٤) كثير الماء (٥) ندبت

ويقول فيها

أنا الغطفانى زين ذُبيان فابعدوا ... فلِلزِّنج أدنى منكم ويُحابر
أبت لى عَبْس أنْ أُسام دَنِيَّة ... وسعد وذُبيان الهِجان وعامر
وحى كرام سادة من هوازن ... لهم فى الملمات الأنوف النواضر

وجاور فى بني شيبان فأساؤا جواره وأخذوا ماله أخذه أحد بنى مُحَلِّم فقال سويد يهجوهم

حشر الاله مع القرود مُحَلما ... وأبا ربيعة ألأم الأقوام
فلأُهْدِين مع الرياح قصيدة ... منى مُغَلْغلة الى هَمَّام
الظاعنين على العمى قدامهم ... والنازلين بشر دار مقام
والواردين اذا المياه تقسمت ... نزح الرَّكِيِّ وعاتم الأسْدام

قيس بن مسعود ووقعة ذى قار

لما غضب كسرى ابرويز بن هُرْمُز على النعمان أتى هانئ بن مسعود بن عمرو ابن عامر بن ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبَان بن ثعلبة بن عُكابة فاستودعه ماله وأهله وولده وألف شِكَّة والشكة السلاح، فلما هلك النعمان جعلت بكر بن وائل تُغير فى السواد، فوفد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجَدَّين عبد الله بن عمرو الى كسرى فسأله أن يجعل له أكلا وطُعْمة على أن يضمن له على بكر بن وائل ألاَّ يدخلوا السواد ولا يُفسدوا فيه فأقطعه الأُبُلَّة وما والاها وقال هى تكفيك وتكفى أعراب قومك، فكانت له حجرة فيها مائة من الأبل للأضياف اذا نحرت ناقة أقيدت أخرى، فكان يأتيه من أتاه منهم فيعطيه جُلَّة تمر وكرباسة، حتى قدم عليه الحرث ابن وَعْلَة الشيبانى والمكسر بن حنظلة العِجْلى فأعطاهما جُلَّتى تمر وكرباستين فغضبا وأبيا أن يقبلا ذلك، فخرجا واستغويا ناساً من بكر ثم أغارا على السواد، فلما بلغ ذلك كسرى اشتد حنقه على بكر بن وائل وبلغه أن حَلْقَة النعمان وولده

وأهله عندهم ، فأرسل الى قيس بن مسعود وهو بالأُبُلَّة فقال غررتني من قومك وزعمت أنك تكفينيهم وأمر به فحبس بسابلط ، وأخذ كسرى فى تعبية الجيوش اليهم فقال قيس بن مسعود وهو محبوس

ألا أبلغ بني ذُهْل رسولا ... فَمَنْ هذا يكون لكم مكانى
أيأكلها ابن وَعْلَة فى ظَليف ... ويأمن هَيْثَم[1] وابنا سنان
ويأمن فيكم الذُّهْلى بعدى ... وقد وسموكم سِمة البيان
ألا مَنْ مبلغٌ قومى ومن ذا ... يُبَلِّغ عن أسير فى الإران
تطاول ليله وأصاب حزناً ... ولا يرجو الفكاك مع البيان

وقال يُنذر قومه

ألا ليتنى أرْشُو سلاحى وبغلتى ... لمن يخبر الأنباء بكْرَ بنَ وائل
فأوصيهم بالله والصلح بينهم ... لِيَنْطاء معروف ويزجر جاهل
وصاةَ امرئ لو كان فيكم أعانكم ... على الدهر والأيامُ فيها الغوائل
فإياكم والطَّفَّ لا تقْرُبُنَّه ... ولا البحر إن الماء للبحر واصل
ولا احْبِسَنْكُم عن بُغَى الخير انني ... سقطت على ضِرْغامة وهو آكل

وقال أيضاً ينذرهم

تَعَنَّاكَ من ليلى مع الليل خائل ... وذكرها في القلب ليس بزائل
أُحِبُّكِ حُبَّ الخمر ما كان حبها ... إلىَّ وكل فى فؤادى داخل
ألا ليتني أرشو سلاحى وبغلتى ... فيخبر قومى اليوم ما أنا قائل
فإنا نَوَيْنَا فى شَعوبَ وانهم ... غزتهم جنود جَمَّة وقبائل
وان جنود العُجْم بيني وبينكم ... فما فَلَجى يا قوم إن لم تقاتلوا

---

(١) هو الهيثم بن جرير الشيبانى

فلما وضح لكسرى واستبان ان مال النعمان وحلقته وولده عند ابن مسعود بعث اليه كسرى رجلا يخبره انه قال له ان النعمان انما كان عاملى وقد استودعتك ماله واهله والحلقة فابعث بها الى ولا تكافنى ان أبعث اليك ولا الى قومك بالجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذرية ، فبعث اليه هانئ ان الذى بلغك باطل وما عندى قليل ولا كثير وان يكن الأمر كما قيل فانما انا احد رجلين اما رجل استُودِع أمانة فهو حقيق أن يردها على من أودعه أياها ولن يسلم الحر أمانة ، أو رجل مكذوب عليه فليس ينبغى ان تأخذه بقول عدو أو حاسد ، وكانت الأعاجم قوماً لهم حلم قد سمعوا ببعض علم العرب وعرفوا ان هذا الأمر كائن فيهم ، فلما ورد عليه كتاب هانئ حملته الشفقة ان يكون ذلك قد اقترب فأقبل حتى قطع الفرات فنزل غمر بنى مقاتل وقد أحنقه ماصنعت بكر بن وائل فى السواد ومنع هانئ اياه ما منعه ، فعقد للنعمان بن زُرْعَةَ التغلبى على تغلب والنمر وعقد لخالد بن يزيد البهرانى على قضاعة وإياد وعقد لأياس بن قبيصة الطائى على جميع العرب ومعه كتيبتاه الشهباء والدَّوْسر ، فكانت العرب ثلاثة آلاف ، وعقد للهامرز على الف من الاساورة وعقد لخنابر بن على الف وبعث معهم باللطيمة وهى عير كانت تخرج من العراق فيها البَزّ والعطْر والألطاف توصل الى باذان عامله باليمن وقال اذا فرغتم من عدوكم فسيروا الى اليمن ، وأمر عَدِيّ بن زيد العبادى ان يسير بها وكانت العرب تَخْفُرهم وتُجيرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن ، وعهد كسرى اليهم اذا شارفوا بلاد بكر ودنَوْا منها ان يبعثوا اليهم النعمان بن زُرْعة فان أتوكم بالحلقة ومائة غلام منهم يكونون رهناً بما أحدث سفهاؤهم فاقبلوا منهم والا فقاتلوهم ، فلما بلغ بكر بن وائل الخبر سار هانئ بن مسعود حتى انتهى الى ذى قار فنزل به وأقبل النعمان بن زُرْعة فقال لهم انكم أخوالى وأحد طرفىَّ وان الرائد لا يكذب أهله وقد أتاكم مالا قبَلَ لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهباء والدَّوْسَر وان فى الشر خيارا

ولأن يفتدى بعضكم بعضا خير من أن تُصْطَلموا، انظر هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهنا من ابنائكم اليه بما أحدث سفهاؤكم، فقال له القوم ننظر فى أمرنا وبعثوا الى من يليهم من بكر بن وائل وبرزوا ببطحاء ذى قار بين الجلهتين (جلهة الوادى ما استقبلك منه واتسع لك) فتواردت عليهم بطون بكر حتى أقبل حنظلة بن ثعلبة بن سيّار بن حُيَيّ بن حاطبة بن الأسعد بن جذيمة بن سعد بن عِجْل فأخبروه بما قال النعمان بن زُرْعة، فقال قبح الله هذا رأياً لا تجر أحرار فارس غُرَ لها ببطحاء ذى قار وانا اسمع الصوت، ثم أمر بقبته فضربت بوادى ذى قار، ثم نزل ونزلت الناس فأطافوا به، ثم قال لهانئ بن مسعود يا أبا أُمامة ان ذمتناذمتكم عامة وانه لن يوصل اليك حتى تفْنَي أرواحنا فأخرج هذه الحلْقة ففرقها بين قومك فان تظفر فسترد عليك وان تَهْلِك فأهون مفقود، فأمر بها فأخرجت ففرقها بينهم ورد النعمان خائباً، فرجع الى اصحابه فأخبرهم بما رد عليه القوم، فباتوا ليلتهم مستعدين للحرب وأمر حنظلة بالظعن جميعاً فوقفها خلف الناس ثم قال يا معشر بكر بن وائل قاتلوا عن ظعنكم او دعوا، فاقبلت الاعاجم يسيرون على تعبية، فلما التقى الزحفان وتقارب القوم قام حنظلة فقال يا معشر بكر بن وائل ان النشاب الذي مع الاعاجم يعرفكم فاذا ارسلوه لم يُخْطِكم فعاجلوهم اللقاء وابدؤهم بالشدة، ثم قام هانئ بن مسعود فقال ياقوم مَهْلَك مقدور خيْر من نَجاء معرور وان الحذر لا ينفع من القدر وان الصبر من اسباب الظفر، المنية ولا الدنية، واستقبال الموت خير من استدباره والطعن فى الثَّغْر اكرم من الطعن في الدُّبُر، ياقوم جدوا فما من الموت بُدّ، فتح لو كان له رجال، اسمع صوتاً ولا أرى قوماً، يا آل بكر شدوا واستعدوا والا تشدوا تردوا، ثم قام شريك بن عمرو فقال يا قوم انما تهابونهم انكم تَرَوْنهم عند الحفاظ أكثر منكم وكذلك انتم فى اعينهم فعليكم بالصبر فان الأسنّة تُرْدِي الأعنّة يا آل بكر قُدُما قُدُما، ثم قام عمرو بن جَبَلة اليَشْكُرى فقال

يا قوم لا تغرُرْكمُ هذي الخرق ولا وميض البيض فى الشمس برّق
من لم يقاتل منكم هذى العنق فجنبوه الراح واسقوه المرق

ثم قام حنظلة بن ثعلبة الى وَضِين راحلة امرأته فقطعه ثم تتبع الظعن يقطع وُضُنهن فسمى يومئذ مقطع الوضين ، و كانت بنو عجْل فى الميمنة بازاء خنابرين وبنو شيبان فى الميسرة بازاء الهامُرْز وأفناء بكر فى القلب ،فاقتتل القوم صدر نهارهم أشد قتال رآه الناس الى ان زالت الشمس فشد الحوْفزان على الهامرز فقتله وقتلت بنو عجل خنابرين وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا وتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم حتى اصبحوا من الغد وقد شارفوا السواد ودخلوه فلم يُفْلت من العجم كبير أحد وأقبلت بكر على الغنائم فقسموها بينهم وقسموا تلك اللَّطائم بين نسائهم فذلك قول الدهان بن جَنْدل

ان كنت ساقية يوماً على كرم فاسقى فوارس من ذُهْل بن شيبانا
واسقى فوارس حامَوْا عن ديارهم واعْلِى مفارقهم مسكا وريْحانا

وكانت وقعة ذى قار بعد وقعة بدر بشهر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما بلغه ذلك قال هذا يوم انتصرت فيه العرب على العجم وبى نصروا

وقال أبو كَلْبة التَّيْمى يَفْخَر بيوم ذى قار

لو لا فوارس لا ميلٌ ولا عزُل من اللَّهازم [1] ما قِظْتُم بذى قار
إن الفوارس من عِجْل هم أَنِفُوا من أن يُخَلُّوا لكسرى عَرْصة الدار
لاقَوْا فوارس من عِجْل بشِكَّتها ليسوا اذا قَلَّصت حرب بأغمار
قد أحسنت ذُهْل بن شيبانٍ وما عدلت في يوم ذى قار فرسان ابن سيار
هم الذين أَتَوْهم عن شمائلهم كما تلبس وُرَّاد بصُدَّار

---

(٢) هم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة

وقال بكر بن الأصمّ

ان كنت ساقيةَ المدامةِ أهلَها ... فاسقي على كرم بني همام
وأبا ربيعة كلها ومُحَلِّما ... سبقوا بغاية أفضل الأقسام
زحفوا بجمع لا تُرَى أقطاره ... لَقِحَتْ به حرب لغير تمام
عرب ثلاثة آلف وكتيبة ... ألفان عُجْم من بني الفدّام
ضربوا بنى الأحرار يوم لقُوهم ... بالمَشْرَفى على شؤون الهام
وغدا ابن مسعود فأوقع وقعة ... ذهبت لهم فى مغرب وشآم

وقال بعض شعراء ربيعة

ألا من لليل لا تغور كواكبه ... وهمّ سَرَى بين الجوانح جانبه
ألا هل أتاها أن جيشاً عَرَمْرَماً ... بأسفلِ ذى قار تدار كتائبه
فما حلّقة النعمان يوم طلبتها ... بأقرب من نجم السماء تراقبه

وقال خريب بن الخرب التيمى

وان لَجُما أهل عز وثروة ... وأهل أيادٍ لا ينال قديمها
هم منعوا في يوم قار نساءنا ... كما منع الشَوْلَ الهِجانَ قرومُها
اذا قيل يوماً أقدموا فتقدموا ... وهل يمنع المخزاة الا صميمها

الأغلب العجلى

هو الأغلب بن جُشم بن سعد من عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر ، أحد المعمرين عُمِّر فى الجاهلية عمراً طويلا وادرك الاسلام فأسلم وحسن اسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجه الى الكوفة مع سعد بن ابى وقّاص فنزلها واستُشهد فى وقعة نَهاوند فقبره هناك فى قبور الشهداء

قال ابن حبيب كانت العرب تقول الرجز فى الحرب والحُداء والمفاخرة وما

جرى هذا المجرى فتأتى منه بأبيات يسيرة فكان الأغلب أول من قصد الرّجز ثم سلك الناس بعده طريقته ، ، ومن قوله وفيه غناء

ان الليالى أسرعت فى نقضى أخذْن بعضى وتركن بعضى
حَنَيْن طولى وطَوَيْن عَرْضى أقعدننى من بعد طول نهض

ارسل عمر الى المغيرة وهو والى الكوفة أن استنشد من قبلك من شعراء قومك ما قالوا في الاسلام ، فأرسل الى الاغلب فاستنشده فقال

لقد سألت هينا موجودا أرَجزا تريد أم قصيدا

ثم أرسل الى لبيد ، فقال ان شئت مما عفا الله عنه (يعني الجاهلية) فعلت ، قال لا أنشدنى ما قلت فى الاسلام ، فانطلق لبيد فكتب سورة البقرة فى صحيفة وقال قد أبدلنى الله عزوجل بهذه فى الاسلام مكان الشعر ، فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة وأقر عطاء لبيد على الفين وخمسمائة

شعراء تغلب

المهلهل

هو عدى بن ربيعة بن الحرث بن تَغْلِب بن وائل ، لقب مُهَلْهِلا لطيب شعره ورقته ، وكان أحد من غُنّى من العرب فى شعره ، وقيل انه أول من قصد القصائد وقال الغزل فقيل قد هلهل الشعر وأرَقّه ، وهو أول من كذب فى شعره ، وكان فيه خَنَث ولين ، وكان كثير المحادثة للنساء فكان كُليب يسميه زير نساء

مقتل كليب

كان كُلَيْب قد عز وساد فى ربيعة فبغى بغياً شديداً وكان هو الذى ينزلهم ويرحلهم ولا ينزلون ولا يرحلون الا بأمره فضرب به المثل في العز فقيل أعز من كليب، وكان لا يجير أحد من بكر وتغلب الا باذنه ولا يحمى حِمًى الا بأمره وكان اذا حَمَى حِمًى لا يقرب. وكان لمرة بن ذُهْل بن شَيْبان عشرة بنين جَسَّاس أصغرهم وكانت أختهم عند كليب. وكان لجساس خالة تعرف بالبَسُوس فجاءت فنزلت على ابن أختها جَسَّاس فكانت جارة لبنى مرة ومعها ابن لها ولهم ناقة خَوَّارة ومعها فصيل فرأى كليب الناقة فأنكرها، فقال لمن هذه؟ قالوا لخالة جَساس، قال أوَقد بلغ من أمر ابن السَّعدية أن يجير علىَّ بغير إذنى؟ ارم ضَرْعها يا غلام، فأخذ القوس فرمى ضَرْع الناقة فاختلط دمها بلبنها وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر، فسكت حتى ظعن ابنا وائل فمرت بكر على نَهْى يقال له شُبَيْث فنفاهم كليب عنه، ثم مروا على نهى آخر يقال له الأحَصّ فنفاهم عنه، ثم مروا على بطن الجَرِيب فمنعهم اياه حتى نزلوا الذَّنائب واتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه، ثم مر عليه جساس وهو واقف على غَدِير الذَّنائب فقال طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً، فقال كليب ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون، فقال له جساس هذا كفعلك بناقة خالتى، فقال له أوَقد ذكرتها؟ أما انى لو وجدتها فى غير أبل مرة لاستحللت تلك الأبل بها، فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فأنفذ حِضْنَيْهِ فلما تَدَاءمه[1] الموت قال يا جساس اسقنى من الماء، قال ما عقلت استسقاء الماء منذ ولدتك أمك الا ساعتك هذه، ثم أمال يده بالفرس حتى انتهى الى أهله، وتقول أخته حين رأته لأبيها ان ذا جساس أتى خارجاً ركبتاه،

---

(١) تداءمه الأمر تراكم عليه وتزاحم

قال والله ما خرجت ركبتاه الا لأمر عظيم ، فلما جاء قال ما وراءك يا بنى ؟ قال ورائى انى قد طعنت طعنة لنشفانً بها شيوخ وائل زمناً ، قال أقتلت كليباً ؟ قال نعم ، قال وَدِدْت أنك وإخوتك كنتم متم قبل هذا ، مابى الا أن تتشاءم بى أبناء وائل

وكان هَمّام بن مرة أخى مهلهل وعاقده الا يكتمه شيئاً ، فجاءت أَمَة له فأسرت اليه قتل جساس كليبا ، فقال مهلهل ماقالت ؟ فلم يخبره فذكره العهد بينهما ، فقال أخبرتني أن جساساً قتل كليبا ، فلم يصدق مهلهل الخبر

اجتمع نساء الحى المأتم فقلن لأخت كليب رحلى جليلة عن مأتمك « زوج كليب وأخت جساس » فان قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب ، فقالت لها يا هذه اخرجى عن مأتمنا فأنت أخت وائرنا وشقيقة قاتلنا ، فخرجت وهى تجر أعطافها ، فلقيها ابوها مرة فقال ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت ثُكْل العدد وحزن الأبد وفقد خليل وقتل أخ عن قليل وبين ذَيْنِ غَرْس الأحقاد وتفتت الاكباد ، فقال لها أو يكُفّ ذلك كرمُ الصفح واغلاء الدّيات ، فقالت جليلة أُمْنِيّة مخدوع ورب الكعبة ابا لبُدْنِ تدَعُ لك تَغْلِبُ دَمَ ربها . ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غداً لآل مرة من الكَرّة بعد الكرة ، فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها ؟ اسعد الله جدّ أختى أفلا قالت نُفْرة الحياء وخوف الاعتداء ، ثم انشأت تقول

يا ابنة الأقوام أن شئت فلا ... تَعْجَلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تَبَيَّنت الذى ... يوجب اللوم فلومى واعذُلى
ان تكن أخت امرئ ليمتْ على ... شَفَتى منها عليه فافعلى
جلَّ عندى فعل جسّاس فيا ... حسرتى عما انجلت أو تنجلى
فعلُ جساس على وَجْدى به ... قاطعٌ ظهرى ومُدْنٍ أجلى

لو بعين فُقِئَت عين سوى ... اختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قَذَى العين كما ... تحمل الأم أذى ما تَفتلى
يا قتيلا قَوَّض الدهر به ... سقفَ بيتى جميعاً من عَلِ
هدم البيت الذى استحدثته ... وانثنى في هدم بيتى الأول
ورمانى قتله من كَثَب ... رِمْيَة المصمَى به المستأصل
يانسائى دونكن اليوم قد ... خصنى الدهر بُرُزْء مُعْضِل
خصني قتل كُلَيب بلظَى ... من ورائى ولظى من أسفل
ليس من يبكي ليوميه كمن ... انما يبكى ليوم بَجَلِ
يشتفى المدرك بالثأر وفي ... دَرَكي ثأري تُكِلُّ المُثْكِل
ليته كان دما فاحتلبوا ... دررا منه دما من أكحلي
انني قاتلة مقتولة ... ولعل الله أن يرتاح لى

ثم قال بنو تغلب بعضهم لبعض لا تعجلوا على اخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم ، فانطلق رهط من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى أتوا مرة بن ذُهْل ، فعظموا ما بينهم و بينه وقالوا اخترمنا خصالا ، اما أن تدفع الينا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله ، واما أن تدفع الينا هَمَّاما ، واما أن تقيدنا من نفسك ، فسكت وقد حضرته وجوه بني بكر بن وائل فقالوا تكلم غير مخذول ، فقال اما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لى به ، وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة ولو دفعته اليكم لصيَّح بنوه فى وجهى وقالوا دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره ، وأما أنا فلا أتعجل الموت وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بنيَّ فدونكم أحدهم فاقتلوه به ، وان شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل ، فغضبوا وقالوا انا لم نأتك لتؤدى لنا بنيك ولا لتسومنا اللبن فتفرقوا ووقعت الحرب

وتكلم فى ذلك عند الحرث بن عُباد فقال لا ناقة لى فى هذا ولا جمل «وهو أول من قالها وأرسلها مثلا» وكانت حربهم أربعين سنة فيهن خمس وقعات مُزاحفات وكانت تكون بينهم مغاورات وكان يلقى الرجل الرجل والرجلان الرجلين ونحو ذلك

وكان أول تلك الأيام يوم عُنَيْزَة وهى عند فلجة فتكافؤا فيه لا لبكر ولا لتغلب ، ثم التقوْا يوم واردات وكان لتغلب على بكر وقتلوا بكرا أشد قتال وقتلوا بُجَيْرَ بن الحرث قتله مهلهل ، ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بنى ثعلبة بن عُكابة ورأسوا على أنفسهم الحرث بن عُباد فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عُكابة حتى التقوا بالحنوْ فظهرت بنو ثعلبة على تغلب

ثم التقوا يوم بطن السَّرْو وهو يوم القُصَيْبَات لبني تغلب على بكر حتى ظنت بكر أن سيقتلوا معا وقتلوا يومئذ همام بن مرة

ثم التقوا يوم قَضَّة وهو يوم التَّحالُق تحالقوا لتعرفهم النساء

وجاءهم فى هذا اليوم الفِنْد الزِّمَّانى فرأسوه عليهم وكان الحكم بينهم الحرث ابن عُباد وكان فارسهم جُحْدَر وكان شاعرهم سعد بن مالك بن ضُبَيْعة ، فأسر الحرث بن عُباد عَدِيًّا وهو مهلهل بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ، فقال له دلني على المهلهل ، قال ولى دمى ، قال ولك دمك ، قال ولى ذمتك وذمة أبيك ، قال نعم ذلك لك ، قال فانا مهلهل ، قال دلني على كُفْء لبُجَيْر ، قال لا أعلمه الا امرأ القيس بن أبان هذاك عَلَمه فجز ناصيته ، وقصد قصد امرئ القيس فشد عليه فقتله وقال الحرث فى ذلك

لَهْف نفسى على عَدِيّ ولم أعـــرف عديا اذ أمكنتني اليدان
طُلَّ من طُلَّ في الحروب ولم أو تر بُجَيْرًا ابانه ابن أبان
فارس يضرب الكتيبة بالسيـــف وتسمو امامه العينان

فلما رجع مهلهل بعد الوقعة والأسر الى أهله جعل النساء والولدان يستخبرونه تسأل المرأة عن زوجها وأبيها وأخيها والغلام عن أبيه وأخيه فقال

ليس مثلي يُخبر الناس عن آ ... بائهم قُتّلوا وينسى القتالا
لم أرِم عرْصة الكتيبة حتى انـ ... ـتعل الوَرْد من دماء نعالا
عرفته رماح بكر فما يأ ... خذن الا لبَأتِهِ والقذَالا
غلبونا ولا محالة يوماً ... يقلب الدهر ذاك حالا فحالا

ثم خرج حتى لحق بأرض اليمن فكان فى جَنْبٍ فخطب اليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل فأكرهوه فأنكحها إياه فقال فى ذلك مهلهل

أنكحها فقدها الأراقمَ فى ... جَنْبٍ وكان الحباء من أدَمِ
لو بأبانين جاء يخطبها ... ضُرِّج ما أنفُ خاطب بدم
أصبحت لا مُنْفِسا أصبت ولا ... أبْتُ كريماً حراً من الندم
هان على تغلِب بما لقيت ... أخت بنى المالكين من جُشَم
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا ... يُغْنُون من عيْلة ولا عدم

ثم أن مُهَلْهِلاً انحدر فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبَيْعة فطلب اليه أخواله بنو يشكر طلبه المجلَّل بن ثعلبة أن يدفعه اليه فيكون عنده ففعل فسقاه خمراً فلما طابت نفسه تغنى

طفلةٌ ما ابنة المجالد بيضا ... ء لعوب لذيذة فى العناق

حتى فرغ من القصيدة، فأدى ذلك من سمعه الى المجلل فحوله وأقسم ألا يذوق عنده خمراً ولا ماء ولا لبناً حتى يَرِدَ رَبِيب الهضاب (جمل له كان أقل وروده فى الصيف الخمس) فقالوا له يا خير الفتيان ارسل الى ربيب فلتؤت به قبل وروده ففعل فأوجره ذَنُوبا من ماء فلما تحلل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة وهو أوبأ ماء فمات

ولم يكن بينهم من قتلى تعد ولا تذكر الا ثمانية نفر من تغلب وأربعة من بكر عدهم مهلهل فى شعره من قصيدته

أليلتنا بذى حُسَم (١) أنيرى ... اذا أنت انقضيت فلا تحورى
فان يك بالذنائب طال ليلى ... فقد أبكى من الليل القصير
وأنقذنى بياض الصبح منها ... لقد أُنقذت من شر كبير
كأن كواكب الجوزاء عُوذ (٢) ... مُعَطَّفة على رُبَع كسير
كأن الجدى فى مثناة (٣) رِبْق ... أسير أو بمنزلة الأسير
كأن النجم (٤) اذ ولى سُحَيْرًا ... فصال جُلُن فى يوم مطير
كواكبها زواحف (٥) لاغبات ... كأن سماءها بيدى مُدير
كواكب ليلة طالت وغمَّت ... فهذا الصبح راغمةً فغورى
وتسألني بُدَيْلة عن أبيها ... ولم تعلم بُدَيلة ما ضميرى
فلو نُبِش المقابر عن كليب ... فيعلم بالذنائب أيُّ زير (٦)
بيوم الشعثمين أقرّ عينا ... وكيف لقاء من تحت القبور
وانى قد تركت بواردات ... بُجَيرا فى دم مثل العَبير
هتكت به بيوت بنى عُباد ... وبعض الغشم أشفى للصدور
وهمّام بن مرة قد تركنا ... عليه القشعمين من النسور
ينوء (٧) بصدره والرمح فيه ... ويخلجه خِدَبّ كالعبير
على ان ليس عدلا من كليب ... اذا طرد اليتيم عن الجزور
على أن ليس عدلا من كليب ... اذا رجف (٨) العضاه من الدبور

---

(١) موضع وتحورى ترجعى (٢) العوذ الحديثات النتاج والربع ما نتج فى الربيع
(٣) المثناة المثنى والربق الحبل (٤) الثريا (٥) الزواحف المعيبات التى لا تقدر على النهوض واللاغبات مثلها (٦) يقال هو زير نساء اذا كان يتحدث اليهن ويتبعهن ويهواهن ويخالبهن (٧) ينوء ينهض ويخلجه يجذبه والخدب الضخم (٨) رجف تحرك حركة شديدة والعضاه كل شجر له شوك

على ان ليس عدلا من كليب اذا ما ضيم جيران المجير
على ان ليس عدلا من كليب اذا خيف المخوف من الثغور
على ان ليس عدلا من كليب غداة بلابل الأمر الكبير
على ان ليس عدلا من كليب اذا برزت مُخَبَّأة الخدور
على ان ليس عدلا من كليب اذا اعلنت نجيبات الأمور
فدى لبنى شقيقة يوم جاؤا كأُسد الغاب لَجَّت فى الزئير
كأن رماحهم أشطان[1] بئر بعيد بين جاليها جرُور
فلا وابى جليلة ما أفأنا[2] من النَّعَم الموبَّل من بعير
ولكنا نهكنا القوم ضرباً على الأثباج[3] منهم والنحور
قتيل ما قتيل المرء عمرو وجساس بن مُرّة ذو ضرير
تظلّ الخيل عاكفة عليهم كأن الخيل تدْحَض فى غدير
غداة كأننا وبنى أبينا بجنب عُنَيْزة رَحَيا مدير
فلولا الريح أسمع من بحجر[4] صليل البَيْض يُقْرع بالذكور

فهؤلاء أربعة من بكر بن وائل ، وقال أيضا

طفلة مّا ابنة المجلَّل بيضا ء لعوب لذيذة فى العناق
فاذهبى ما اليك غير بعيد لا يُؤاتى العناقُ من فى الوثاق
ضربت نحرها الى وقالت ياعَدِيّا لقد وقتك الاواقى
ما أُرَجّى من العيش بعد نداما ى أراهم سقوا بكاس حِلاق
بعد عمرو وعامر وحُبَيّ وربيع الصَّدوق وابني عناق
وامرئ القيس ميت يوم أُوْدى ثم خلّى على ذات العراق

(١) حبال وجال البئر وجوهها ناحيتها وما يحبس الماء منها (٢) رجعنا والموبل المكمل
(٣) الأوساط (٤) حجر مدينة اليمامة وام قراها وعنيزة بين البصرة ومكة وبهذا البيت قالوا انه أول من كذب فى شعره

وكليب شمّ الفوارس اذ حُـــمّ رماه الكُماة بالاتفاق
ان تحت الأحجار جِدّا ولينا وخصيماً ألدّ ذا مغلاق
حية فى الوجار أربَد لا تنفـــع منه السليمَ نفثة راق

فهؤلاء ثمانية . وربما ذكر بعض الرواة عدداً قليلا غير هؤلاء

ومن شعر مهلهل وفيه غناء

أزجر العيسَ أن تُبكّى الطلولا إن فى الصدر من كليب غليلا
إن فى الصدر حاجةً لن تُقضّى مادعا فى الغُصُون داعٍ هديلا
كيف أنساك يا كليب ولما أقْضِ حزناً ينوبني وغليلا
أيها القلب أنجز اليوم نحبا من بني الحصن اذ غدَوْا وذُحولا
كيف يبكي الطلول من هو رهْن بطعان الأنام جيلا فجيلا
أنبضُوا معْجِسَ القسِيِ وأبرقـــنا كما تُوعد الفحولُ الفحولا
وصبرنا تحت البوارق حتى ركَدَت فيهم السيوف طويلا
لم يطيقوا أن ينزلوا ونزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

ومما يغنى فيه أيضاً

ثكِلتني عند الثَّنِيَّة أمى وأتاها نَعِيُّ عمى وخالى
ان لم أشفِ النفوس من حى بكر وعدى تطَاهُ بُزْل الجمال

ومن قوله

يالَبكر أنشروا لى كليبا يالَبكر أين أين الفرار
يالَبكر فاظعنوا أو فحلوا صَرَّح الشر وبان السِّرَار

وكان آخر من قتل فى هذه الحروب جساس بن مرة قاتل كليب وذلك أن أخته زوج كليب ولدت بعد مقتله غلاماً سمته الهَجْرَس فكان لا يعرف أباً غير جساس فزوجه ابنته ، فوقع بين الهجرس وبين رجل من بكر كلام فقال البكرى

ما أنت بمنته حتى نُلْحِقَكَ بأبيك فأمسك عنه ودخل الى أمه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر ،فلما أوى الى فراشه ونام الى جنب امرأته وضع أنفه بين ثدييها فتنفس تنفسة تَنَفَّط مابين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزِعة قد أقلقتها رِعْدَة حتى دخلت على أبيها فقصت عليه قصة الهجرس،فقال جساس ثائر ورب الكعبة، وبات جساس على مثل الرَّضَف حتى أصبح فأرسل الى الهجرس فأتاه فقال له انما أنت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت وقد زوجتك ابنتى وأنت معى وقد كانت الحرب فى أبيك زماناً طويلاً حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا،فقال الهجرس أنا فاعل ولكن مثلى لايأتى قومه الا بلأمته وفرسه، فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمته ودرعاً فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العافية ثم قال وهذا الفتى ابن أختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم ،فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال « أما وفرسى وأذنيه ورمحى ونَصْليه وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه » ثم طعن جساساً فقتله ثم لحق بقومه فكان آخر قتيل فى بكر بن وائل

شعراء تغلب

عمرو بن كلثوم التغلبي

من جُشَم بن حبيب بن عمرو بن تَغْلِب ، وأمه ليلى بنت مهلهل أخى كليب.

لما أتت عليه سنة أتى أمه آت فى الليل فأشار اليه وقال

انى زعيم لك أم عمرو بما جد الجد كريم النَّجر
اشجع من ذى لبد هزبر وقّاص أقران شديد الأسْر

يسودهم فى خمسة وعشر

فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر

أسره فى غزوة له يزيد بن عمرو الحنفى فشده فى القِدّ وقال له أنت الذى تقول

متى نَعقِد قرينتنا بحبل نَجُذّ الحبلَ أو نقص القرينا

اما انى سأقرنك الى ناقتى هذه فأطردكما جميعاً ، فنادى عمرو يالربيعة أمُثْلة ؟ فاجتمعت بنو جُشَم فنهوه ، ولم يكن يريد ذلك ، فسار به حتى أتى قصراً بحَجْر من قصورهم وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجيبة وسقاه الخمر ، فلما أخذت برأسه تغنى

أأجمع صحبتى السحر ارتحالا ولم أشعر ببين منك هالا
ولم أر مثل هالة فى مَعَدّ أشبه حسنها الا الهلال
الا أبلغ بني جُشَم بن بكر وتغلب كلما أتيا حلالا
بأن الماجد القَرْم ابن عمرو غداة نَطَاع[1] قد صدق القتالا
كتيبته مُلَمْلَمة رَدَاح اذا يرمونها تفنى النبالا
جزى الله الأغرّ يزيد خيرا ولقّاه المسرة والجمالا
بمأخذه ابن كُلْثوم بن عمرو يزيد الخير نازله نزالا
بجمع من بنى قُرّان صيد يُجيلون الطعان اذا أجالا
يزيد يقدُم السفراء حتى يُرَوّى صدرها الأسد النِّهالا

حارب بنو تغلب المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفاً منه ، فمر بهم عمرو بن أبى حجر الغسّانى ، فتلقاه عمرو بن كلثوم فقال له يا عمرو ما منع قومك أن يتلقوْنى؟ فقال له يا خير الفتيان فان قومى لم يستيقظوا لحرب قط الا علا فيها أمرهم واشتد شأنهم وحفظوا ما وراء ظهورهم ، فقال له ايقاظى نومة ليس فيها حلم أجْتثّ فيها اصولهم وأنفى فلّهم الى اليابس الجَرَد والنازح الثَّمَد، فانصرف عمرو وهو يقول

---

(١) قرية من قرى اليمامة

الا فاعلم أبيت اللعن انا على عمد سنأتى ما نريد
تعلَّمْ ان محملنا ثقيل وان زناد كتبتنا شديد
وانا ليس حى من معدّ يوازينا اذا لبس الحديد

بلغ عمرا ان النعمان يتوعده فدعا كاتباً من العرب فكتب اليه

الا أبلغ النعمان عنى رسالة فمدحك حولى وذمك قارح
متى تلقنى فى تغلب ابنة وائل وأشياعها ترق اليك المسالح

وقال يهجوه

لحا الله أدنانا الى اللؤم زُلْفة وألاَّ منا خالاً وأعجزنا أبا
واجدرنا ان ينفُخ الكِيرَ خالُه يصوغ القروط والشُنوف بيثربا

قال عمرو ابن هند ذات يوم لندمائه هل تعلمون أحداً من العرب تأنف امه من خدمة أمى ؟ فقالوا نعم أم عمرو بن كلثوم ، ابوها مُهَلْهِل وعمها كليب وبعلها كلثوم ابن مالك أفرس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه ، فأرسل عمرو ابن هند الى عمرو ابن كلثوم يستزيره ويسأله أن يُزير أمَّه امَّه ، فأقبل عمرو من الجزيرة الى الحيرة فى جماعة من بنى تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل فى ظعن من بنى تغلب ، وأمر عمرو ابن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة الى الفرات ، وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا فى وجوه بنى تغلب ، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند فى رواقه ، ودخلت ليلى وهند فى جانب من قبة الرواق ، وقد كان عمرو ابن هند أمر أمه ان تُنحى الخدم اذا دعا بالطَّرَف وتستخدم ليلى ، فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف ، فقالت هند ناوليني يا ليلى ذلك الطبق ، فقالت ليلى لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ، فأعادت عليها والحت ، فصاحت ليلى واذُلاّه يا لتَغْلب ، فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم فى وجهه ووثب الى سيف معلق بالرواق فضرب به رأس

عمرو ابن هند ، ونادى فى بنى تغلب فانتهبوا مافى الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم

ألا هُبِّى بصَحْنِكِ فاصبَحِينا ولا تُبْقِى خمور الأَندرينا
مُشَعْشَعَةً كأَن الحُصَّ فيها اذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذى اللُّبانة عن هواه اذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللَّحزِ الشَّحيح اذا أمرت عليه لما له فيها مهينا

يقول فيها

بأى مشيئة عمرو ابن هند نكون لقَيلكم فيها قَطينا
بأى مشيئة عمرو ابن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تَهَدَّدنا وأوعِدنا رويداً متى كنا لأمك مَقْتَوينا (١)
اذا عض الثِّقاف بها اشمأَزَّتْ وولتهم عَشَوْزَنَة زَبُوبا (٢)

وكان قام بها خطيباً بسوق عكاظ وقام بها فى موسم مكة و بنو تغلب تعظمها جداً ويرويها كبارهم وصغارهم

لما حضرت عمراً الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة جمع بنيه فقال « يابَنِىّ إنى قد بلغت من العمر مالم يبلغه أحد من آبائى ولابد أن ينزل بى ما نزل بهم من الموت ، وانى والله ما عَيَّرْتُ أحداً بشىء الا عُيِّرْتُ بمثله ان كان حقاً فحقاً وان كان باطلاً فباطلاً ، ومن سَبَّ سُبَّ فكفوا عن الشتم فانه أسلم لكم ، وأحسنوا جِواركم يحسنْ ثناؤكم ، وامنعوا من ضَيْم الغريب ، فرب رجل خير من الف ، ورد خير من خَلْف ، واذا حُدِّثتم فعُوا ، واذا حَدَّثتم فأَوْجِزُوا ، فان مع الاكثار يكون الاهذار ، وأشجع القوم العَطُوف بعد الكَرّ كما أن أكرم المنايا

(١) خداماً (٢) العشوزنة القناة الصلبة والزبون الدفوع

القتل ، ولا خير فيمن لا رَوِيَّةَ له عند الغضب ، ولا من اذا عُوتِبَ لم يُعْتِبْ ، ومن الناس من لا يرجى خيره ولا يخاف شره فبُكْؤه خير من دَرّه وعقوقه خير من بِرّه ، ولا تتزوجوا فى حَيِّكُم فانه يؤدى الى قبيح البغض

شعراء ضبيعة

المتلمس

هو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله من جُلَيّ بن أَحْمَس بن ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار

كان في أخواله من يشكر ويقال انه ولد فيهم ومكث فيهم حتى كادوا يغلبون على نسبه ، فسأل الملك عمرو ابن هند الحرثَ بن التوءم اليشكُرى عن المتلمّس ونسبه فأراد أن يدعيه فقال المتلمس

تعيرنى أمى رجال ولن ترى ... أخا كرم الا بأن يتكرما
ومن كان ذا عِرض كريم ولم يَصُنْ ... له حسبا كان اللئيم المذمّما
أحارث انا لو تُساط دماؤنا ... تزايلْن حتى لا يَمَسّ دم دما
أمنتفياً (١) من نصر بَهْثَةَ خلتنى ... ألا انني منهم وان كنت أيما
ألا إنني منهم ويرضى عرضهم ... كذى الأَنف يحمى أنفه أن يكشّما (٢)
وان نصابى إن سألت وأُسْرَتى ... من الناس قوم يقتنُون الزَّنَّما (٣)
وكنا اذا الجبار صَعَّرَ (٤) خده ... أقمنا له من ميله فتقوما
لذى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا ... وما علم الانسان الا ليعلما

(١) رويت فى الاساس امنتفلا والمعنى واحد وبهثة هو ابن وهب بن جلى (٢) يقطع
(٣) بعير مزنم قطع من أذنه وترك معلقاً بها يفعل ذلك بكرامها (٤) أمالها من النظر الى الناس تهاونا من كبره

فلو غيرُ أخوالى أرادوا نقيصتى ... جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وهل لى أم غيرها إن ذكرتها ... أبى الله إلا أن أكون لها ابنما
وقد كنت ترجو أن أكون لعقبكم ... زنيما فما أُجزِرْت(١) أن أتكلما
اذا لم يزل حبل القرينين يلتوى ... فلابد يوماً من قُوًى ان تجذّما
وما كنت الامثل قاطع كفه ... بكف له أخرى فأصبح أجذما
فلما استاد والكف بالكف لم يجد ... له دَرَكا فى ان تبينا فاحجما
يداه اصابت هذه حَتْف هذه ... فلم تجد الأخرى عليها مُقدَّما
فأطرق اطراق الشجاع ولو رأى ... مساغا لنابيه الشجاع لصمما

وربيعة تدعى ان الذى قرعت له العصا سعد بن مالك بن ضبيعة ، وذلك انه أتى النعمان الأكبر ومعه خيل بعضها يقاد وبعضها أعراء مهملة ، فلما انتهى الى النعمان سأله عنها فقال انى لم أقد هذه لأمنعها ولم أعرّ هذه لأهبها ، فسأله النعمان عن أرضه دل أصابها غيث يحمد أثره او رَوى شجره ؟ فقال سعد ، اما المطر فنزير ، وأما الورق فشكير (٢) واما النافذة (٣) فساهرة ، واما الحازرة فشبْعَى نائمة ، وأما الرَّمثاء (٤) فقد امتلأت مَسارِبها وابتلّت جنابتُها ، واما النبائث (٥) فغُدْر لا تطلع ، واما الحذف (٦) فعزاف لا يُنْكع تقتّر (٧) اذا ترتع ، فقال النعمان وحسده على ما رأى من ذَرابة لسانه . وابيك أنك لمفوَّه فان شئت اتيتك بما تعيا عن جوابه ، فقال سعد شئت ان لم يكن منك افراط ولا ابعاط (٨) فأمر النعمان

---

(١) أجر لسانه منعه الكلام (٢) الشكير اول النبت على اثر النبت الهائج المغبر
(٣) النافذة ضرب من الغنم وكذلك الحازرة وهذا من الاغانى وقال التبريزى فى شرح الحماسة النافذة التى قد نفدت من الهزال فلم يبق فيها قوة فهى ساهرة لانها لم تشبع بعد فسهرها لفقد الشبع والحازرة يجب ان تكون من قولهم حزرة المال خياره اى هى تقدر بقوتها على الرعى فتشبع فتنام (٤) الرمثاء ارض فيها الرمث وهو مرعى للابل (٥) النبائث واحدة نبيثة وهو تراب البئر والنهر ونحوها (٦) الحذف غنم سود صغار من غنم الحجاز بلا أذناب ولا آذان وتنكع تتتبع وعزاف يعنى أنها تعزف نفوسها عن الماء لكثرته ولا ينكع لا يقطع شربها
(٧) تقتر تشبع أو تسمن غاية السمن ورواية الخطيب تنتر بالفاء أى تكشف أسنانها اذا رفعت رؤوسها من الرعى (٨) الابعاط الغلو فى الجول وفى الامر القبيح

وصيفاً له فلطمه ، وانما اراد أن يتعدى فى القول فيقتله ، فقال له ما جواب هذه ؟ قال سفيه مأمور ، فأرسلها مثلا ، فقال النعمان للوصيف الطمه أخرى ، فلطمه ، فقال ما جواب هذه ؟ قال لو نُهِى عن الأولى لم يعد للأخرى ، فأرسلها مثلا ، فقال النعمان للوصيف الطمه أخرى ، ففعل ، فقال له ما جواب هذه ؟ قل ملك يؤدب عبده ، فقال الطمه أخرى ، ففعل فقال ما جواب هذه ؟ قل ملكت فأسْجح ، فأرسلها مثلا ، فقال له النعمان أجبت فاقعد ، فمكث عنده ما مكث ، ثم بدا للنعمان ان يبعث رائداً يرتاد له الكَلأ ، فبعث عمرو بن مالك اخا سعد ، فأبطأ عليه ، فأغضبه ذلك ، فأقسم ان جاء حامداً أو ذاماً ليقتلنه ، فلما قدم عمرو على النعمان دخل عليه والناس عنده وسعد قاعد لديه مع الناس ، وقد كان سعد عرف بما أقسم به النعمان من يمينه ، فقال اتأذن لى أيها الملك فأكلمه ؟ قال ان كلمته قطعت لسانك ، قال فأشير اليه ، قال ان اشرتَ اليه قطعت يدك ، قل فأومئ اليه ، قل اذاً أنزع حدقتك ، قال فأقرع له العصا ؟ قل وما يُريه ما تقول العصا ؟ فاقرع له فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التى كانت معه وأخوه قائم ، فقرع بعصاه العصا قرعة واحدة ، فنظر اليه أخوه ، ثم أومأ بالعصا نحوه ، فعرف انه يقول له مكانك ، ثم قرع العصا قَرْعة واحدة ثم رفعها الى السماء ومسح عصاه بالاخرى ، فعرف انه يقول له لم أجد جَدْبا ، ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً ، فعرف انه يقول له ولا نباتا ، ثم قرع العصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان ، فعرف انه يقول له كله ، فأقبل عمرو بن مالك حتى قام بين يدى النعمان ، فقال له النعمان هل حَمِدت خِصْبا أو ذممْت جَدْبا ؟ فقال عمرو لم أذمُم جَدْبا ولم أحمَد خِصْبا ، الأرض مشكلة لا خصبها يعرف ولا جَدْبها يوصف ، رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف ، فقال له النعمان أولى لك بذلك نجوت ، فنجا وهو أول من قرعت له العصا ، وفي ذلك يقول سعد

قرَعت العصا حتى تبين صاحبى ... ولم تك لولا ذاك للقوم تُقْرع
فقال رأيت الأرض ليس بمُمْحِلٍ ... ولا سارحٌ فيها على الرَّعْى يشبع
سواد فلا جَدْب فيعرف جَدْبها ... ولا صابها غيث غزير فتُمْرع
فنُجِّى بها حَوْباء نفس كريمة ... وقد كاد لولا ذاك فيهم يقطع

والمتلمس من الشعراء الجاهلية المقلِّين المُفْلقين وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية وقرن به سلامة بن جَنْدَل وحُصَيْن بن الحُمام والمسيَّب ابن عَلَس واتفقوا على أن أشعر المقلين فى الجاهلية هؤلاء الثلاثة

كانت ضُبَيْعة بن ربيعة رهط المتلمس حلفاء لبنى ذُهْل بن ثعلبة، فوقع بينهم نزاع، فقال المتلمس يعاتب بنى ذُهْل

الم تر أن المرء رهْن منية ... صَريع لعافى الطير اوسوف يُرْمَس
فلا تقبلَنْ ضَيْما مخافة مِيتة ... وموتَنْ بها حراً وجلدك أملس
فمن حَذَر الأيام ما حزَّ أنفه ... قَصيرٌ[1] وخاض الموت بالسيف بَيْهَس[2]
نَعامةُ لما صُرِّع القومُ حوله ... تبين في أثوابه كيف يلبَس
وما الناس الا ما رأَوْا وتحدثوا ... وما العجز الا أن يُضاموا فيجلسوا
ألم تر أن الجَوْن[3] أصبح راسياً ... تُطيف به الأيام ما يَتأبَّس
عصى تُبَّعاً أيام أهلكت القُرَى ... يُطَان عليه بالصفيح ويُكْلَس[4]
هَلُمَّ اليها قد أُثيرت دروبُها ... ودارت عليها المَنْجَنُون[5] تكدس
وذاك أوان العِرْض حَيَّ ذبابُه ... زنابيره والأزرق[6] المتلمِّس
فان تُقْبلوا بالود نُقْبل بمثله ... وإلا فانا نحن آبَى وأَشْمَس

---

(١) هو صاحب جذيمة (٢) هو بيهس الفزارى أغار على ربعه قوم فقتلوا اخوته وأهل بيته وأسروه ثم اطلقوه لما ظنوا أنه مجنون فجمع قوماً وغزا القوم الذين وتروه فأدرك بثاره منهم ولقب نعامة لانه كان جسيما طويلا (٣) جبل أو حصن باليمامة من بناء طسم وجديس ولا يتأبس لا يؤثر فيه الدهر (٤) يطلى بالكلس (٥) العرض وادى اليمامة
(٦) يريد به الذباب الاخضر وبهذا البيت لقب الشاعر بالمتلمس

يكون نذير (١) من ورائى جنة ويمنعني منهم جلي وأحمس
وان يك عنا فى حبيب تثاقل فقد كان منا مقنب ما يعرس

قدم المتلمس وطرفة بن العبد على عمرو ابن هند بعد أن هجواه فكتب لهما الى عامله بالبحرين وهجر، وهو ربيعة بن الحرث العبدى، وقال لهما انطلقا فاقبضا جوائزكما، فخرجا فلما هبطا النجف قال المتلمس يا طرفة انك غلام حديث السن والملك من عرفت حقده وغدره وكلا ناقد هجاه فلست آمناً أن يكون قد أمر بشر فهلم فلننظر فى كتبنا هذه فان يكن قد أمر لنا بخير مضينا فيه وان تكن الأخرى لم نهلك أنفسنا، فأبى طرفة أن يفك خاتم الملك وعدل المتلمس الى غلام من غلمان الحيرة عبادى فأعطاه الصحيفة ولا يدرى ممن هى، فقرأها فقال، ثكلت المتلمس أمه، فانتزع المتلمس الصحيفة من الغلام واكتفى بذلك من قوله واتبع طرفة فلم يلحقه وألقى الصحيفة في نهر الحيرة، ثم خرج هارباً الى الشام وقال فى ذلك

وألقيتها بالثنى من جنب كافر (٢) كذلك أقفو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها يجول بها التيار فى كل جدول

وقال أيضاً

من مبلغ الشعراء عن أخويهم نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس
أودى الذى علق الصحيفة منهم ونجا حذار حبائه المتلمس
ألقى صحيفته ونجى كوره وجناء (٣) مجمرة المناسم عرمس
عيرانة طبخ الهواجر لحمها فكأن نقبتها (٤) أديم أملس
أجد اذا ضمرت تعزز (٥) لحمها واذا تشد بنسعها لا تنبس
وتكاد من جزع يطير فؤادها ان صاح مكاء (٦) الضحى متنكس

(١) هو نذير بن بهثة بن حرب بن وهب بن جلى بن أحمس (٢) نهر بالحيرة وأقفو أحفظ والقط الصحيفة (٣) الوجناء الضخمة الغليظة ومجمرة المناسم مجتمعة لطيفة فى صلابة وعظم الاخفاف والعرمس الصلبة (٤) نقبتها لونها ويريد انى سافرت عليها حتى انجرد شعرها (٥) تشدد (٦) طائر يطير فى الجو ثم يتنكس

أَلِق الصحيفة لا أَبالك انه يُخشَى عليك من الحِباء النِّقْرِس

ولما بلغ الملك لحوقه بالشام شق عليه لحوقه بغسّان وحلف ألاّ يدخل العراق ولا يَطْعَمَ بها حتى يموت فقال المتلمس

يا آل بكر ألا لله أمكُمُ طال الثَّواء وثوب العجز ملبوس
أغنيت شأني فأَغنُوا اليوم شأنكُمُ واستحمقوا فى مِراسِ الموت أوكيسوا
وان عِلاَفا وهم باللَّوْذ من حَضَنٍ (١) لما رأَوْا أنه دين خلابيس
ردوا عليهم جمال الحى فارتحلوا والظلم ينكره القوم الأَكايس
شدوا الجمال بأكوار على عجل والضَّيْمُ ينكره القوم المكايس
كانوا كسامةَ اذ شَعَفْ منازله ثم استمرت به البُزْل القَناعيس
حنَّت قَلوصى بها والليل مُطَّرِق (٢) بعد الهُدُو وشاقتها النواقيس
معقولة ينظر التشريق راكبها كأنه من هوَى للرمل مَسْلوس (٣)
وقد أضاء سُهَيل بعد ماهجعوا كأنه ضَرَم بالكف مقبوس
أَنَّى طربتِ ولم تُاْحَيْ على طرب ودون إِلفك أَمْرات (٤) أَماليس
حنت الي نخلةَ القُصوى فقلت لها بَسْل حرام الاتلك الدَّهاريس (٥)
أُمِّى شآميةً اذ لا عراق لنا قوم نُوَدّهمُ اذ قومنا شوس (٦)
لن تسلكي سُبُل البَوْباة (٧) منجدة ما عاش عمرو ولا ما عاش قابوس
آليتَ حبّ العراق الدهرَ آكله والحب يأكله فى القرية السوس
لم تدر بُصْرَى بما آليتَ من قَسَم ولا دِمَشْقُ اذا ديس الكداديس (٨)
فان تبدلت من قومى عَدِيَّكم انى اذاً لضعيف العقل مسلوس

---

(١) جبل وخلابيس فيه اختلاط (٢) ركب بعض ظلمته بعضاً (٣) ذاهب العقل (٤) المرت المفازة بلا نبات والاماليس كذلك الفلاة بلا نبات (٥) الدواهى ٦ ينظرون اليك نظرة البغضة (٧) صحراء بأرض تهامة اذا خرجت من اعالى وادى النخلة اليمانية (٨) الكداس كرمان الحب المحصود المجموع وجمعه كداديس

كم دون مَيَّةَ من مستعمل[١] قَذَف ومن فلاة بها تستودع العيس
ومن ذرى علم ناء مسافته كأنه فى حباب الماء مغموس
جاوزته بأمون[٢] ذات معجمة ترمى بكلكلها والرأس معكوس

وقال يذكر لحاقه بالشام ويحرض قوم طرفه على الطلب بدمه

ان العراق وأهله كانوا الهوى فاذا نأى ودّهم فليبعد
فلتتركنهمُ بليل ناقتى تدع السماك[٣] وتهتدى بالفرقد
تعدو اذا وقع المُمرّ[٤] بدفّها عدو النحوص تخاف ضيق المرصد
أُجُد[٥] اذا استنفرتها من مبرك حلبت مغابنها بربّ معقد
واذا الركاب تواكلت بعد السُّرى وجري السَّراب على متون الجلجد[٦]
مرحت وطاح المرو[٧] من أخفافها جذب القرينة بالنجاء الأجرد
لبلاد قوم لا يرام هديُّهم[٨] وهديّ قوم آخرين هو الردى
كطُريفة بن العبد كان هديّهم ضربوا صميم قذاله بمهند
ان الخيانة والمغالة والخنى والغدر تتركه ببلدة مفسد
واذا حللت ودون بيتى غاوة[٩] فابرُق بأرضك ما بدالك وارعد
ابني قِلابة[١٠] لم تكن عاداتكم أخذ الدنيّة قبل خُطة معضد
لم يرْحض السَّوءات عن أحسابكم نَعَم الحوائر[١١] اذ تساق لمعبد
فالعبد دونكم اقتلوا بأخيكم كالعيْر أُبرز جنبهُ للمطرد[١٢]

---

(١) الطريق المعبد والقذف البعيد (٢) يؤمن مثارها والمعجمة الخبر (٣) السماك يمان والفرقد شامى (٤) الممر السوط المفتول والنحوص الخائل من الاتن (٥) الأجد الموثقة الخلق والمغابن الارفاغ وهى الآباط واصول الافخاذ شبه عرق تلك المواضع بالرب
(٦) الصلب من الارض (٧) حجارة بيض والقرينة بعيران فى حبل فاذا افلت احدهما لم يأل جهداً والاجرد الخفيف السريع (٨) الهدى الجار هنا والهدى الأسير ايضاً يقول ان جار غسان لا يضام ولا يرام بسوء (٩) قرية بالشام (١٠) هى بنت الحرث بن قيس بن الحرث ابن ذهل من بنى بكر ومعضد هو الذى ولى قتل طرفة (١١) قبيلة معضد وهم الذين ودوا طرفة (١٢) الرمح

قال المفضل كان المتلمس شاعر ربيعة في زمانه فوقف على مجلس لبنى ضبيعة فاستنشدوه فأنشدهم شعراً قال فيه

وقد أتناسى الهم عند احتضاره ... بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّة مِكْدَم
كُمَيت كِناز (١) اللون أو حِمْيَرِية ... مواشكه تنفى الحصا بلثم
كأن على أنسائه عِذْق (٢) خَصْبَة ... تَدَلّى من الكافور غير مكمَّم

والصيعرية سمة تكون للاناث خاصة، فقال طَرَفة وهو غلام «استنوق الجمل» فذهبت كلمته مثلا. وقال يهجو عمرو ابن هند

أطْرَدتني حذَر الهجاء ولا ... واللات والأنصاب ما تَئِلُ
ورهنتنى هندا وعِرضَك في ... صُحُف تلوح كأنها خِلَل
شر الملوك وشرها حسبا ... في الناس من علموا ومن جهلوا
بئس الفحولة حين جدّ بهم ... عَرَك الرهان وبئسما نَجَلوا
اعنى الخؤلة والعموم فهم ... كالطَّبْيُ (٤) ليس لبيته حول

وقال لما لحق بقومه

تفرق أهلى من مقيم وظاعن ... فلله دَرِّى أيَّ أهلى أتْبَع
اقام الذين لا أحب جوارهم ... وبان الذين بينهم أتوقع
على كلهم آسى وللأصل زُلْفَة ... فزَحْزِح عن الأدنَيْنَ ان (٥) يتصدعوا
ألِكْني الى قومى ضُبَيعة انهم ... اناسى فلوموا بعد ذلك أودعوا
وقد كان أخوالى كريما جوارهم ... ولكن أصل العود من حيث ينزع
ولا تحسبني خاذلا متخشعا ... ولا عَيْنُ صيد من هواى ولَعْلَع

---

(١) مكتنز اللحم ومواشكة سريعة وملثم خف قد لثمته الحجارة (٢) شبه هلب ذنبه بكباسة الخصبة وهى الدقلة والجمع الخصاب وغير مكمم غير مغطى (٣) أطرده صيره طريدا وتئل تخلص وتنجو (٤) الطبى لعبة يلعب بها الصبيان فى الاعراب يصفه بالضعف (٥) يقول لاتتباعد عن الادنين فيصدعوا عنك ويفارقوك وانما عنى اخواله من بنى يشكر وقومه من بنى ضبيعة

وقال في ذلك أيضا

لعلك يوما أن يسرك أنني ... شهدت وقد زَمَّت عظامي في قبري
وتصبح مظلوما تُسام دَنِيَّة ... حريصا على مثلي فقيرا الى نصري
ويهجرك الاخوان بعدي وتبتلى ... وينصرني منك الاله ولا تدري
ولو كنت حيا يوم ذلك لم تَسُمْ ... له خطة خسفاء شوورت في الامر

ويتمثل من شعره بقوله

وأعلم علم حق غير ظن ... وتقوي الله من خير العتاد
لحَفظُ المال أيسر من بُغاه ... وضرب في البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه ... ولا يبقى الكثير على الفساد

شعراء مضر

أعقب مضر من ولديه الناس وهو عيلان والياس

شعراء قيس بن عيلان

ذو الأصبع العَدْوانى

هو حُرْثَانُ بنُ الحرث بن مُحَرِّث من عَدْوانَ بن عمرو بن قيس بن عيلان ابن مُضَر أحد بنى عَدْوان وهم بطن من جَدِيلة . شاعر فارس من قدماء الشعراء فى الجاهلية وله غارات في العرب ووقائع مشهورة

قال الأصمعى نزلت عَدْوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغْزَل سوى من كان مختونا لكثرة عددهم ثم وقع بأسهم بينهم فتفانَوْا فقال ذوالأصبع

عَذِيرَ الحى من عَدْوا ... نَ كانوا حبةَ الأرض
بغى بعضهمُ بعضاً ... فلم يَبْقَوْا على بعض

فقد صاروا أحاديثَ برفع القول والخفض
ومنهم كانت السادا تُ والموفُون بالقَرْض
ومنهم من يُجيزُ النا س بالسنة والفرض
ومنهم حكم يَقضى فلا ينقض ما يقضى

يعني بقوله « ومنهم حَكَم يقضى » عامر بن الظَّرِب العَدْاونى كان حكماً للعرب تحتكم اليه ، تدعى ذلك قيس وتقول هو الحكم وهو الذى كانت العصا تقرع له وكان قد كبر فقال له الثانى من ولده انك ربما أخطأتَ في الحكم فيحمل عنك ، قال فاجعلوا لى أمارة أعرفها فاذا زُغْتُ فسمعتها رَجَعْت الى الحكم والصواب فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا فاذا زاغ اوهفا قرع له الجفنة فرجع الى الصواب وفى ذلك يقول المتلَمِّس

لذى الحلم قبل اليوم ماتُقْرَع العصا وما علم الانسان الا ليعلما

وربيعة تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام أو عمرو بن مالك

واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن وهو ذو الأعواد وهو أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم وفيه يقول الأسود بن يَعْفُر

ولقد علمت لو ان علمى نافعى أن السبيلَ سبيلُ ذى الأعواد

قال عمر بن شَبّة ان عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مُصْعَب بن الزبير جلس لعَرْض أحْيَاء العرب فقام اليه مَعْبَد بن خالد الجَدَلِي وكان قصيراً دميما فتقدمه اليه رجل حسن الهيئة، قال معبد فنظر عبد الملك الى الرجل وقال ممن أنت ؟ فسكت ولم يقل شيئاً وكان منا فقلت من خلفه نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيلَة ، فاقبل على الرجل وتركنى فقال من أيكم ذو الاصبع ؟ قال الرجل لا أدرى. قلت كان عَدْوانيا ، فأقبل على الرجل وتركنى وقال لم سمى ذا الاصبع ؟ قال الرجل لا أدرى فقلت نهشته حية في اصبعه فيست ، فأقبل على الرجل وتركنى فقال وبم

كان يسمى قبل ذلك ؟ فقال الرجل لا أدرى قلت كان يسمى حرثان ، فأقبل على الرجل وتركني فقال من أى عَدْوان كان ؟ فقلت من خلفه من بنى ناج الذين يقول فيهم الشاعر

وأمَّا بنو ناجٍ فلا تَذْكُرَنَّهُمْ ... ولا تُتْبِعَنْ عينيك ما كان هالكا
اذا قلت معروفاً لِأُصْلِحَ بينهم ... يقول وهيب لا اسالم ذلكا
فأضحى كظهر الفحل جُبَّ سَنامه ... يَدِبُّ الى الاعداء أَحْدَبَ باركا

فأقبل على الرجل وتركنى وقال أنشدنى قوله « عَذِيرَ الحى من عَدْوان » قال الرجل لست ارويها ، قلت يا أمير المؤمنين ان شئتَ أنشدتك قال ادْنُ منى فانى اراك بقومك عالماً فأنشدته اياها

فأقبل على الرجل وتركنى وقال كم عطاؤك ؟ فقال الفان . فأقبل على فقال كم عطاؤك ؟ فقلت خمسمائة ، فأقبل على كاتبه وقال اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا فانصرفت بها

وقوله ومنهم من يُجيز الناس فان اجازة الحج كانت لِخُزَاعة فأخذتها منهم عَدْوان فصارت الى رجل منهم يقال له أبو سيارة احد بني وَابِش بن زيد بن عَدْوان وله يقول الراجز

خلوا السبيل عن أبى سَيَّارة ... وعن مواليه بني فَزَارة
حتى يُجيز سالما حماره ... مستقبلَ الكعبة يدعو جاره

وكان ابو سيارة يجيز الناس فى الحج بأن يتقدمهم على حمار ثم يخطبهم فيقول « اللهم أصلح بين نسائنا وعَادِ بين رِعائنا واجعل المال فى سمحائنا ، أَوْفوا بعهدكم وأكرموا جاركم واقْرُوا ضيفكم » ثم يقول « أَشْرِق ثَبِيرُ كيما نُغِير » وكانت هذه اجازته ثم يَنْفِر ويتبعه الناس

كان لذى الأصبع اربع بنات وكن يُخطَبْن اليه فيَعرض ذلك عليهن فيستحيين ولا يزوجهن ، وكانت أمهن تقول لو زوجتهن ، فلا يفعل ، فخرج ليلة الى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن ، فقلن تعالَيْن نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى

ألا ليت زوجى من أُناس ذوى غنى ... حديثَ شباب طيبَ الريح والعِطْر
طبيب بأدواء النســـاء كأنه ... خليفة جانٍ لا ينام على وِتْر

فقلن لها انت تحبين رجلا ليس من قومك ، فقالت الثانية

ألا هل أراها ليلة وضجيعها ... أشَمُّ كنصل السيف غير مُبَلَّد
لَصوق بأكباد النساء وأصلُه ... اذا ما انتمى من مَبرَّ اهلى ومَحْتِدى

فقلن لها انت تحبين رجلا من قومك ، فقالت الثالثة

ألا ليته يملا الجِفان لضيفه ... له جَفْنَةٌ يُشقَى بها النِّيبُ والجُزْر
به محكمات الشيب من غير كبرة ... تَشِين ولا الفانى ولا الضَّرِع الغمر

فقلن لها انت تحبين رجلا شريفاً ، وقلن للصغرى تَمَنَّيْ ، فقالت ما أريد شيئاً ، قلن والله لا تبرحين حتى نعلم ما فى نفسك ، قالت زوج من عود خير من قعود ، فلما سمع ذلك أبوهن زوجهن أربعتهن فمكثن بَرْهَةً ثم اجتمعن اليه فقال للكبرى يا بُنَيَّة ما مالكم ؟ قالت الابل ، قال فكيف تجدونها ؟ قالت خيرَ مال نأكل لحومها مُزَعا ونشرب ألبانها جُرَعا وتحملنا وضيفنا معاً ، قال كيف تجدين زوجك ؟ قالت خيرَ زوج يكرم الخليلة ويعطى الوسيلة ، قال فمال عميم وزوج كريم . ثم قال للثانية يا بنية ما مالكم ؟ قالت البقر ، قال فكيف تجدونها ؟ قالت خيرَ مال تألف الفِناء وتُودِك السقاء وتملأ الاناء ونساء مع نساء ، قال فكيف تجدين زوجك ؟ قالت خيرَ زوج يكرم أهله وينسى فضله ، قال حَظِيتِ ورضيتِ ، ثم قال للثالثة ما مالكم ؟ لت المِعزَى قال فكيف تجدونها ؟ قالت لا بأس بها نولدها فطما ونسلخها أدَما ،

قال فكيف تجدين زوجك ؟ قالت لا بأس به ليس بالبخيل الخَبِر ولا بالسَّمْح البَذِر، قال جدوى مُغْنِية، ثم قال للرابعة يا بنية ما مالكم ؟ قالت الضأن، قال وكيف تجدونها ؟ قالت شرَّ مال جُوفٌ لا يَشْبَعْن وهِيمٌ لا يَنْتَعِن وصُمٌّ لا يَسْمَعْن وأمر مغويتهن يَتْبَعن، قال فكيف تجدين زوجك ؟ قالت شرَّ زوج يكرم نفسه ويهين عِرْسه، قال اشبه امرؤ بعض بزّه

عُمِّر ذو الأصبع العدوانى عمراً طويلاً حتى خَرِفَ وأهتر وكان يفرق ماله فعذله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده فقال في ذلك

أهْلَكَنا الليل والنهار معا ... والدهر يَغْدُو مُصَمِّماً جذَعا
فليس فيما أصابنى عَجَبٌ ... ان كنتِ شيباً أنكرتِ أو صلَعا
وكنت ذا رونق الشباب به ... ماء شبابى تخاله شرعا
والحى فيه الفتاة تَرْمُقنِى ... حتى مضى شأو ذاك فانقشعا
انكما صاحِبَىَّ لم تدَعا ... لومى ومعها أضِقْ فلن تَسَعا
لم تعقلا جفوةً علىّ ولم ... أشْتُمْ صديقاً ولم أنَلْ طبَعا
إلا بأن تكذبا علىَّ وما ... أملك أن تكذبا وأن تلَعا (١)
وانني سوف أبتدى بندَى ... يا صاحبى الغَداة فاستمعا
ثم سلا جارتى وكِنَّتها ... هل كنت فيمن أراب أوقذَعا
أودَعتانى فلم أُجِبْ ولقد ... تأمن مني حليلتى الفجعا
آبَى فلا أقْرُب الخباء إذا ... ما ربُّه بعد هدْأة هجَعا
ولا أروم الفتاة زورتها ... ان نام عنها الخليل أو شسَعا
وذاك في حِقْبة خلت ومضت ... والدهر يأتى على الفتى لُمَعا
ان تزعُمَا انني كبرت فلم ... أُلْفَ ثقيلا نِكْسا ولا وَرَعا

(١) تكذبا

إمَّا تَرَىٰ شِكَّتِي رُمَيْحَ أبي سعد (١) فقد أحمل السلاح معا
السيفَ والرمحَ والكنانةَ قد أكملت فيها مقابلا صُنَعا
والمهر حافى الأديم أصنعه (٢) يطير عنه عفاؤه (٣) قَزَعا
أقصر من قيده وأردعه حتى اذا السرب ريع أو فزعا
كان أمام الجياد يقدُمها يَهُزُ لَدْنا وجُؤجُؤًا تلِعا (٤)
فغامسَ الموتَ أو حمى ظعنا أوْ رَدَّ نَهْبا لأى ذاك سعى

لما احتُضِر ذو الأصبع دعا ابنه أسيدا فقال له يا بني ان أباك قد فنى وهو حى وعاش حتى سئم العيش وانى أوصيك بما ان حفظته بلغتَ فى قومك ما بلغتُه فاحفظ عنى، أَلِنْ جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابْسُطْ لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، وا سمَحْ بمالك، وا حمِ حريمك، وأعزِزْ جارَك، وأعِنْ من استعانَ بك، وأكرِمْ ضيفك، وأسرِعِ النهضة فى الصريخ فانَّ لك أجلاً لا يَعْدُوكَ، وصُنْ وجهك عن مسئلة أحد شيئاً فبذلك يتم سؤددك، ثم أنشأ يقول

أأُسَيْدُ ان مالاملكت فسر به سيراً جميلا
آخ الكرام إن استطعت إلى أخائهمُ سبيلا
واشرب بكأسهمُ وإن شربوا به السَّمَّ الثميلا
أهنِ اللئام ولا تكن لإخائهم جملا ذَلُولا
إن الكرام اذا تُوُّا خيهم وجدت لهم قبولا
ودَعِ الذى يَعِدُ العشيرة أن يسيل وان يسيلا

---

(١) أبو سعد ابنه ورميح عصا كانت له يلعب بها مع الصبيان يطاعنهم بها كالرمح فصار يتوكأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها (٢) صنع الفرس أحسن القيام عليه (٣) العفاء الشعر الطويل والقزع كل شىء يكون قطعا متفرقه (٤) التلع طول العنق

أبُنَيَّ إنَّ المال لا يبكي اذا فقد البخيلا
أُسَيْدُ إن أزمعت من بلد الى بلد رحيلا
فاحفظ وان شَحَطَ المزا ر أخا أخيك أو الزَّميلا
واركب بنفسك إن هممـ ـت بها الحُزُونة والسُّهُولا
وصِلِ الكرام وكن لمن ترجو مودته وَصولا
ودع التوانىَ فى الأمو ر وكن لها سَلِسا ذلولا
وابْسُطْ يمينك بالنَّدَى وامْدُدْ لها باعاً طويلا
وابسط يديك بما ملكـ ـت وشيد الحسب الأثيلا
واعزم اذا حاولت أمـ ـراً يفْرِج الهم الدخيلا
وابْذُل لضيفك ذات رحـ ـلك مُكْرماً حتى يزولا
واحلُلْ على الأيفاع (١) للـ ـعافين واجتنب المسيلا
واذا القُرُومُ تخاطرت يوماً وأرعدت (٢) الخَصيلا
فاهْصِرْ كهصر الليث خَضَّـ ـب من فريسته (٣) التَّليلا
وانزل الى الهيجا اذا أبطالها كرهوا النزولا
واذا دعيت الى المهـ ـم فكـ ـن لفادحه حَمولا

جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبة بن أبى سفيان لجَاء بين يدى معاوية فجعل ابن الزبير يعدِل بكلامه عن عتبة ويعرض بمعاوية حتى أطال وأكثر فالتفت اليه معاوية متمثلا وقال

ورامٍ بعَوْرَات الكلام كأنها نوافِرُ صبح نَفَّرَتْها المراتع
وقد يَرْخُصُ المرء الموارب بالخَنَى وقد تُدْرك المرء الكريمَ المصانع

ثم قال لابن الزبير من يقول هذا ؟ فقال ذو الأصبع ، فقال أتَرويه ؟ قال لا

---

(١) التلال المشرفة (٢) الخصيلة كل لحم فيها عصب جمعها خصائل (٣) التليل العنق

فقال من ههنا يروى هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال أنا أرويها يا أمير المؤمنين فقال أنشدنى فأنشده حتى أتى على قوله

وساعٍ برجليه لآخر قاعد ... ومُعْطٍ كريمٌ ذو يسار ومانع
وبانٍ لأحساب الكرام وهادمٌ ... وخافضُ مولاه سفاها ورافع
ومُغْضٍ على بعض الخصوم وقد بدت ... له عورة من ذى القرابة ضاجع
وطالب حُوبٍ باللسان وقلبه ... سوى الحق لا تخفى عليه الشرائع

فقال له معاوية كم عطاؤك؟ قال سبعمائة، قال اجعلوها الفاً وقطع الكلام بين عبد الله وعتبة

وكان لذى الاصبع ابن عم يعاديه فكان يتدسس الى مكارهه ويمشى به الى أعدائه ويُؤلِّب عليه ويسعى بينه وبين بنى عمه ويبغيه عندهم شراً فقال فيه

يا صاحبىَّ قفا قليلا ... وتخبرا عنى لَمَيسا
عمن اصابت قَلْبَهُ ... فى مرها قعدا نكيسا
دَبَّت له فأَحَسَّ بعـ ... ـد البرء من سقم رسيسا (١)
ولى ابن عم لا يزا ... ل الىَّ مُنْكَرُهُ دسيسا
اما علانيةً وامـ ... ـا مُخْبِرا (٢) كهلا وهيسا
انى رأيت بنى أبيـ ... ـك يحمحمون الى شوسا (٣)
حنقا على ولن ترى ... لى فيهمُ أثرا بئيسا
أنحى على حر الوجو ... ه بحد ميشار (٤) ضروسا
لو كنتَ ماء لم تكن ... عذب المذاق ولا مسوسا
ملحا بعيد القعر قد ... فلَّت حجارته الفؤسا
مناع ما ملكتْ يدا ... ه وسائل لهم نحوسا

---

(١) الرسيس أول الحمى الذى يؤذن بها ويدل على ورودها (٢) أخمر توارى بالخمر وهو ما واراك من الشجر والجبال ونحوها (٣) الاشوس الجرىء على القتال الشديد وهم شوس (٤) الميشار المنشار

ومما يشبه هذا المعنى وليس من شعر ذى الاصبع

لو كنت ماء كنت غير عذب أو كنت سيفا كنت غير عضب
او كنت طِرْفا كنت غير نَدْب أو كنت لحما كنت لحم كلب

وفى مثله

لو كنت مُخّا كنت مخا رِيرَا أو كنت بَرْدا كنت زَمْهَرِيرا
أو كنت ريحاً كانت الدَّبورا

وكان السبب فى تفرق عَدْوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانَوا ان بنى ناج بن يشكر بن عَدْوان اغاروا على بنى عوف بن سعد بن ظرب ونذرت بهم بنو عوف فاقتتلوا فقتل بنو ناج ثمانية نفر فيهم عمير بن مالك سيد بنى عوف وقتلت بنو عوف رجلا منهم يقال له سنان بن جابر وتفرقوا على حرب وكان الذى اصابوه من بنى واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيداً فاصطلح سائر الناس على الديات ان يتعاطَوْها ورَضُوا بذلك وابى مرير بن جابر ان يقبل بسنان بن جابر دية واعتزل هو وبنو أبيه ومن اطاعهم ومن والاهم وتبعه على ذلك كرب بن خالد احد بنى عبس بن ناج فمشى اليهما ذو الاصبع وسألهما قبول الدية وقال قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته فأبيا ذلك وأقاما على الحرب فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تفانَوْا وتقطعوا فقال ذو الاصبع فى ذلك

ويا بُؤْسَ للأيام والدهر هالكا وصَرْف الليالى يختلفن كذلكا
ابعد بنى ناجٍ وسعيك فيهم فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا
اذا قلت معروفاً لأصلح بينهم يقول مرير لا احاول ذلكا
فأضحَوْا كظهر العَوْد جُبَّ سَنامه يَدِبُّ الى الأعداء أحْدَبَ باركا
فان تك عَدْوانُ بنُ عمرو تفرقت فقد غيبت دهرا ملوكا هنالكا

وفى مرير بن جابر يقول ذو الاصبع

يامن لقلب شديد الهمِّ محزون ... أمسى تذكر رَيا أمَّ هرون
أمسى تذكرها من بعد ماشَحَطَتْ ... والدهر ذو غِلْظة حيناً وذو لين
فان يكن حبها أمسى لنا شَجَناً ... وأصبح الوأى منها لا يواتيني
فقد غَنِينا وشملُ الدهر يجمعنا ... أطيع رَيَّا وريَّا لا تعاصيني
نرمى الوشاة فلا نخطى مقاتلهم ... بخالص من صفاء الود مكنون
ولى ابن عم على ما كان من خلق ... مختلفان فأقليه ويقليني
أزرى بنا أننا شالت نعامتنا ... فخالني دونه بل خِلْته دوني
لاهِ ابنُ عمك لا أفضلت فى حسب ... شيئا ولا أنت ديَّانى فتخزوني
ولا تقوت عيالى يوم مسغبة ... ولا بنفسك فى العزَّاء تكفيني
فان تُرِدْ عَرَض الدنيا بمنقصتى ... فان ذلك مما ليس يُشْجيني
ولا ترى فىَّ غيرَ الصبر منقصةً ... وما سواه فان الله يكفيني
لولا أُواصرُ قربى لست تحفظها ... ورهبةُ الله فى مولًى يعاديني
اذا بَرَيْتُك بَرْياً لا انجبار له ... انى رأيتك لا تَنْفَكُّ تَبْرِيني
ان الذى يقبض الدنيا ويبسطها ... ان كان أغناك عني سوف يغنيني
الله يعلمكم والله يعلمنى ... والله يَجْزيكمُ عني ويَجْزِيني
ماذا علىَّ وان كنتم ذوى رَحِمى ... ألاَّ أُحِبَّكمُ ان لم تحبوني
لو تشربون دمى لم يَرْوَ شاربكم ... ولا دماؤكمُ جمعاً تُرَوِّيني
ولى ابنُ عم لو أن الناس فى كبدى ... لظل مجتحراً بالنَّبْل يرميني
يا عمرو ان لم تَدَعْ شتمى ومنقصتى ... أضربْك حتى تقول الهامة اسقوني
كل امرئ صائر يوماً لشيمته ... وان تخلق أخلاقاً الى حين
انى لعمرك ما بى بذى غَلَق ... على الصديق ولا خيرى بممنون
ولا لسانى على الأدنى بمنطلق ... بالمنكرات ولا فتكى بمأمون

لا تخرج النفس منى غير مُغْضَبَة ... ولا أَلِين لمن لا يبتغى لينى
وأنتم معشر زَيْد على مائة ... فأجمعوا أمركم شتّى فكيدونى
فان علمتم سبيل الرشد فانطلقوا ... وأن غبيتم طريق الرشد فأتونى
يا رب ثوب حواشيه كاوسطه ... لا عيب فى الثوب من حسن ومن لين
يوما شددت على فَرْغاء فاهقة ... يوما من الدهر تارات تمارينى
ماذا على اذا تدعُونى فزَعاً ... ألّا اجيبكم اذ لا تجيبوني
وكنت اعطيكم مالى وامنحكم ... ودى على مثبتٍ فى الصدر مكنون
يارب حى شديد الشَّغْب ذى لَجَب ... دعوت من راهن منهم ومرهون
رددت باطلهم فى رأس قائلهم ... حتى يَظَلوا حصوناً ذا أفانين
يا عمرو لو كنت لى الفيتنى يَسِراً ... سَمْحاً كريما اجازى من يجازينى

وقالت أمامة بنت ذى الأصبع وكانت شاعرة ترثى قومها

كم من فتى كانت له مَيْعَةٌ ... أبْلَجُ مثل القمر الزاهر
قد مرت الخيل بحافاتهم ... كمر غيث لجِب ماطر
قد لقيت فَهْمٌ وعَدْوانها ... قتلا وهلكا آخر الغابر
كانوا ملوكاً سادة فى الورى ... دهراً لها الفخر على الفاخر
حتى تساقَوْا كأسهم بينهم ... بغياً فيا للشَّارب الخاسر
بادوا فمن يَحْلُلْ بأوطانهم ... يحلل برسم مقفر داثر

ولأمامة هذه يقول ذو الأصبع ورأته قد نهض وسقط وتوكأ على العصا فبكت فقال

جزعت أُمامة أنْ مشيت على العصا ... وتذكرت اذ نحن مِلْفتيان
فلقبل ما رام الاله بكيده ... إرَماً وهذا الحى من عَدْوان
بعد الحكومة والفضيلة والنهى ... طاف الزمان عليهم بأوان

وتفرقوا وتقطعت أشلاؤهم وتبددوا فرقاً بكل مكان
جدب البلاد فأعقمت أرحامهم والدهر غيرهم مع الحدثان
حتى أبادهمُ على أخراهم صَرْعى بكل نقيرة ومكان
لا تَعْجَبَنَّ امامُ من حَدَثٍ عرا فالدهر غيرنا مع الأزمان

تأبط شراً

هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمى من فَهْم بن عمرو بن قيس عيلان . وأمه امرأة يقال لها أُميمة يقال انها من بني القَيْن بطن من فَهْم ولدت خمسة نفر تأبَّطَ شَرًّا وريشَ بالغَبْ وريش نَسْر وكعب جدر ولابوا كي له، وقيل انها ولدت سادساً واسمه عمرو، وتأبَّطَ شراً لقب لقب به

كان تأبط شراً أعدَى ذى رجلين وذى ساقين وذى عينين وكان اذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقى على نظره أسمنها ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه ثم يشويه فيأكله، وانما سمى تأبط شراً لأنه لقى الغُول فى ليلة ظلماء فى موضع يقال له رحى بِطان فى بلاد هُذَيْل فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها فلما أصبح حملها تحت ابطه وجاء بها الى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شراً فقال فى ذلك

تأبط شراً ثم راح أو اغتدى يوائم[1] غنماً أو يَسيف على ذُحْل

وقال أيضاً فى ذلك

ألا مَنْ مبلغٌ فتيان فَهْم بما لاقيت عند رحى بِطان
وانى قد لقيت الغُول تَهْوِى بسُهْب كالصحيفة صَحْصحان[2]
فقلت لها كلانا نِضْوُ أَيْنٍ أخو سفر فخلِّى لي مكانى

---

(١) يوائم يوافق ، ويسيف يقتدى (٢) المستوى البعيد من الارض فى سهولة

فشدت شَدَّة نحوى فأهْوَى ... لها كفى بمصقول يمانى
فأضربها بلا دَهَشٍ فخرت ... صريعاً لليدين وللجِرَان
فقالت عُدْ فقلت لها رُوَيْدًا ... مَكَانَكِ انني ثِبْتُ الجنان
فلم أَنْفَكَّ متكئاً عليها ... لأنظر مصبحاً ما ذا اتانى
اذا عينان فى رأس قبيح ... كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مُخْدَجٍ[1] وشَوَاة كلب ... وثوب من عَبَاء أو شنان

قيل لتأبط شراً هذه الرجال غلبتها فكيف لا تنهشك الحيات فى سُراك ؟ فقال انى لا أَسْرِى البَرْدَين، يعني أول الليل لأنها تمور خارجة من جِحَرَتها وآخر الليل لأنها تمور مقبلة اليها .

لقى تأبط شراً ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له ابو وهب كان جباناً أَهْوَجَ وعليه حلَّة جيدة فقال ابو وهب لتأبط شرا بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت كما أرى دميم ضئيل ؟ قال باسمى انما أقول ساعة ما ألقى الرجل انا تأبط شرا فينخلع قلبه حتى انال منه ما أردت ، فقال له الثقفى أقط ؟ قال قط . قال فهل لك ان تبيعنى اسمك ؟ قال نعم ، فبم تبتاعه ؟ قال بهذه الحلة وبكنيتى ،قال له أَفْعَل ففعل ، وقال له تأبط شرا لك اسمى ولى كنيتك وأخذ حلته واعطاه طِمِرَّيْه ثم انصرف وقال فى ذلك يخاطب زوجة الثقفى

الا هل أتى الحسناء ان حليلها ... تأبط شرا وا كتنيت ابا وهب
فهبْهُ تسمَّى اسمى وسميت باسمه ... فأين له صبرى على مُعْظِم الخطْب
واين له بأس كبأسى وسَوْرتى ... واين له فى كل فادحة قلبى

اغار تأبط شرا ومعه ابن براق على بَجيلة فأَطْرَدا لهم نَعَمًا ونذرت بهما بَجيلة فخرجت فى آثارهما ومضيا هاربين فى جبال السَّرَاة وركبا الحَزْن وعارضتهما بَجيلة فى السهل فسبقوها الى الوَهْط « وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف » فدخلوا لها

فى قصبة العين وجاءا وقد بلغ العطش منهما الى العين ،فلما وقعا عليها قال تأبط شرا لابن براق أقلَّ من الشرب فانها ليلة طرْد ، قال وما يُدْريك ؟ قال والذى أعدو بطيره انى لأسمع وَجيب قلوب الرجال تحت قدمى، وكان من أسْمَع العرب وأكيدهم ، فقال له ابن براق ذلك وَجيبُ قلبك ، فقال له تأبط شرا والله ما وَجَبَ قط ولا كان وَجَّاباً،وضرب بيده عليه وأصاخ نحوالأرض يستمع، فقال والذى أعدو بطيره انى لأسمع وَجيبَ قلوب الرجال، فقال له ابن برَّاق فانى أنزل قبلك، فنزل فبرك وشرب ، وكان أكَلَّ القوم عند بَجيلة شوكةً فتركوه وهم فى الظلمة، ونزل ثابت، فلما توسط الماء وثبوا عليه فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عَدْوه،فقال لهم ثابت انه من أصْلَف الناس وأشدهم عُجْبا بعَدْوه وسأقول له استأسر معى فسيدعوه عُجْبه بعَدْوه الى أن يَعدو من بين أيديكم وله ثلاثة أطْلاَق أولها كالريح الهابَّة والثانى كالفرس الجَواد والثالث يكبو فيه ويعثر فاذا رأيتم منه ذلك فخذوه فانى أحب أن يصير في ايديكم كما صرت اذ خالفنى،قالوا فافعل ، فصاح به تأبط شرا أنت أخى فى الشدة والرخاء وقد وعدنى القوم ان يَمُنّوا عليك وعلى فاستأسر وواسِنِي بنفسك فى الشدة كما كنت أخى فى الرَّخاء فضحك ابن براق وعلم انه قد كادهم وقال مهلا يا ثابت أيستأسر من عنده هذا العدو؟ ثم عداء،فعدا أول طلْق مثل الريح كما وصف لهم والثانى كالفرس الجواد والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه ، فقال ثابت خذوه فعَدَوْا بأجمعهم،فلما ان نفَّسوا عنه شيئاً عدا تأبط شرا فى كتافه وعارضه ابن براق فقطع كتافه وأفلتا جميعاً ، فقال تأبط شرا قصيدته القافية فى ذلك

يا عِيدُ ما لك من شوق وايراق ومر طيف على الاهوال طراق
يسرى على الأيْن والحيات محتفيا تفسى فداؤك من سار على ساق

خرج تأبط شرا غازياً يريد بَجيلة هو ورجل معه وهو يريد أن يَغْتَرّهم فيصيب

حاجته، فأتى ناحية منهم فقتل رجلا ثم استاق غنما كثيرة فنذروا به فتبعه بعضهم على خيل وبعضهم رجالة وهم كثير فلما رآهم وكان من أبصر الناس عرف وجوههم، فقال لصاحبه هؤلاء قوم قد عرفتهم ولن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا ويظفروا بحاجتهم، فجعل صاحبه ينظر فيقول ما أتبين أحداً حتى أذا دَهموهما قال لصاحبه اشتد فانى سأمنعك مادام فى يدى سهم، فاشتد الرجل ولقيهم تأبط شرا وجعل يرميهم حتى نَفِدت نَبْلُه ثم انه اشتد فمر بصاحبه فلم يُطِق شده فقتل صاحبه وهو ابن عم لزوجته، فلما رجع تأبط شرا وليس صاحبه معه عرفوا انه قد قتل فقالت له امرأته تركت صاحبك وجئت متباطناً فقال فى ذلك

الا تلكما عرسى مُنيعة ضمنت ... من الله اثما مستسرا وعالنا
تقول تركت صاحباً لك ضائعاً ... وجئت الينا فارقاً متباطنا
اذا ما تركت صاحبى لثلاثة ... او اثنين مثلينا فلا أُبْتُ آمنا
وما كنت أبّاءً على الخِلّ اذ دعا ... ولا المرء يدعونى ممرا مداهنا
وكرى اذا اكرهت رهطا وأهله ... وأرضاً يكون العَوْص فيها عُجاهنا (١)
ولما سمعت العَوْص تدعو تنعرت ... عصافير رأسى من غواة فَراتنا (٢)
ولم أنتظر ان يَدْهَمونى كأنهم ... ورائى نحل فى الخلية واكنا
ولا أن تصيب النافذات مقاتلى ... ولم أك بالشد الذَّليق مداينا
فأرسلت مثنياً عن الشر عاطفاً ... وقلت تزحزح لا تكونن حائنا
وحثحثت مشعوف النَّجاء كانني ... هِجَفٌ (٣) رأي قصرا سمالا وداجنا
من الحص هُذْروف كأن عِفاءه ... اذ استدرج الفَيفا ومد المغابنا
أَزَجّ زَلوج هَذْرَفىّ زَفازف ... هِزَفّ يَبُذّ الناجيات الصوافنا (٤)

---

(١) العجاهن الذى ليس بصريح النسب (٢) الفرتنى الأمة (٣) الهجف الظليم المسن (٤) الازج من النعام البعيد الخطو والزلوج الناجى من الغمرات والهذرفة السرعة والزفزاف النعام والهزف السريع

فزحزحت عنهم أو تجنّبني منيتي بغبراء أو عرفاء[1] تفرى الدفائنا
كأني أراها الموت لادر درها اذا أمكنت أنيابها والبراثنا
وقالت لأخرى خلفها وبنانها حتوف تُنقّى مخ من كان واهنا
أخاليج[2] وراد على ذى محافل اذا نزعوا مدوا الدلا والشواطنا

وروى أنه قتل معه صاحبان فقال يرثيهما

أبعد قتيل العوص أمسى على فتى وصاحبه أو يأمل الزادَ طارق
أأطرد نهباً آخر الليل أبتغى علالة يوم أو تعوق العوائق
لنعم فتى نلتم كأن رداءه على سَرْحَةٍ من سَرْح دُومَةَ شائق
لأطرد نهبا أو نرود بفتية بأيمانهم سُمْرُ القنا والفتائق
مساعرة شُعْث كأن عيونهم حريق الغضا تلقى عليها الشقائق
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيل أناس أو فتاة تعانق

خرج تأبط شراً يريد أن يغزو هُذَيلا في رهط فنزل على الأجل بن فنضل (رجل من بجيلة) وكان بينهما حِلْف فأنزلهم ورَحَّبَ بهم، ثم أنه ابتغى لهم الذَّراريح ليسقيهم فيستريح منهم، ففطن له تأبط شراً فقام الى أصحابه فقال انى أحب ألا يعلم أنا قد فطنا له سائتوه حتى نحلف ألاّ نأكل من طعامه ثم أغتّره فأقتله لأنه إن علم حذرنى، وقد كان مالأ ابن فنضل رجل منهم يقال له لُكَيز فثلب فيهم أخاه فاعتل عليه وعلى أصحابه فسبوه وحلفوا ألاّ يذوقوا من طعامه ولا من شرابه، ثم خرج فى وجهه وأخذ في بطن واد فيه النمور وهى لا يكاد يسلم منها أحد، والعرب تسمى النمر ذا اللونين و بعضهم يسميها السَّبَنْتَى، فنزل فى بطنه وقال لأصحابه انطلقوا جميعاً فتصيدوا فهذا الوادى كثير الأَرْوَى، فخرجوا وصادوا وتركوه في بطن الوادى فجاؤا فوجدوه قد قتل نمراً وحده، وغزا هُذَيلا فغنم واصاب فقال تأبط شراً فى ذلك

---

(١) العرفاء الضبع (٢) الأخليج من الخيل الجواد السريع

أقسمت لا أنسى وإن طال عيشنا ... صنيع لُكَيز والأجلّ بنِ فنضل
نزلنا به يوما فساء صباحنا ... فانك عَمْرى قد ترى أى منزل
بكى اذ رآنا نازلين ببابه ... وكيف بكاء ذى القليل المعيل
فلا وأبيك ما نزلنا بعامر (١) ... ولا عامر (٢) ولا الرئيس بن قوقل (٣)
ولا بالشليل رب مروان (٤) قاعدا ... بأحسن عيش والنُّفاثىّ (٥) نوفل
ولا ابن وهيب كاسب الحمد والعلا ... ولا ابن ضُبَيْع وسط آل المخبَّل
ولا ابن حُلَيس قاعداً فى لِقاحه ... ولا ابن جُرَيّ وسط آل المغفَّل
ولا ابن رياح بالزليفات داره ... رياح بن سعد لا رياح بن معقل
أولئك أعطى للولائد خلفة ... وأدعى الى شحم السَّديف المرَعْبَل

كان تأبط شراً يشتار عسلاً فى غار من بلاد هُذَيل يأتيه كل عام فرصدته هُذَيل لايِّان ذلك حتى اذا جاء هو وأصحابه تدلى فدخل الغار وقد أغاروا عليهم فأنفروهم فسبقوهم ووقفوا على الغار فحركوا الحبل فأطلع تأبط شراً رأسه، فقالوا اصعد فقال ألا أراكم ؟ قالوا بلى قد رأيتنا، قال فعلامَ أصعد ؟ أعلى الطلاقة أم الفداء ؟ قالوا لا شرط لك ، قال فأراكم قاتلى وآكلى جنَاى لا والله لا أفعل ، وكان قبل ذلك نقب فى الغار نقباً أعده للهرب فجعل يسيل العسل من الغار ويُهَريقه ثم عمد الى الزق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح يتزلق عليه حتى خرج سليما وفاتهم و بين موضعه الذى وقع فيه و بين القوم مسيرة ثلاث فقال فى ذلك

أقول لِلحيَان وقد صفَرت لهم ... وطابى ويومى ضيق الحُجْر معْوِر
لكم خصلة إما إسار ومنة ... وإما دم والقتل بالحر أجدر
وأخرى أُصادى النفس عنها وانها ... لمورد حزم إن ظفرت ومصدر

---

(١) هو عامر بن مالك ابو براء ملاعب الأسنة (٢) هو عامر بن الطفيل
(٣) مالك بن ثعلبة أحد بنى عوف بن الخزرج (٤) هو جرير بن عبدالله البجلى
(٥) هونوفل بن معاوية بن صخر بن يعمر أحد بنى الديل بن بكر

فرشت لها صدرى فزلَّ عن الصفا ... به جُؤجُؤٌ صُلْب ومتنٌ مُخَصَّر
فخالطسهل الارض لم يكدح الصفا ... به كَدْحةً والموت خزيان ينظر
فأُبتُ الى فَهْم وما كنت آئباً ... وكم مثلها فارقتها وهى تصفر
اذا المرء لم يحتل وقد جدَّ جِدُّه ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الامر الا وهو للحزم مبصر
فذاك قريع الدهر ما كان حُوَّلا ... اذا سُدَّ منه مَنْخِرجاش منخر
فانك لو قاسيت بالصب حيلتى ... بلحيان لم يقصر بى الدهر مقصر

خرج تأبط شرا فى عدة من فَهْم فيهم عامر بن الأخنس والشَّنْفَرَى والمسيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف حتى يبتوا العَوْص (وهم حى من بجيلة) فقتلوا منهم نفرا واخذوا لهم ابلا فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خَثْعَم وفيهم ابن حاجز وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من اربعين رجلا ، فلما نظرت اليهم صعاليك فَهْم قالوا لعامر بن الأخنس ماذا ترى ؟ قال لا أرى لكم الاصدقَ الضِّراب فان قُتِلْتم كنتم قد أخذتم ثأركم ، قال تأبط شرا بأبى انت وأمى فنعم رئيس القوم أنت اذا جد الجد واذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فانى أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فانكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثَّرَكم القوم ، فحملوا ثانية فانهزمت خَثْعَم وتفرقت واقبل ابن حاجز فأسند فى الجبل فأعجز ، فقال تأبط شرا فى ذلك

جزى الله فتيانا على العَوْص أمطرت ... سماؤهم تحت العجاجة بالدم
وقد لاح ضوء الفجر عرضا كانه ... بلَمْحته أقراب أبلقَ أدْهَمِ
فان شفاء الداء ادراكُ ذُحْله ... صباح على آثار حوم عَرَمرم
وضاربتُهم بالسَّفْح اذ عارضَتْهُمُ ... قبائل من أبناء قَسْر وخَثْعَم

ضِرابا غدا منه ابن حاجز هاربا ذرا الصخر فى جدر الوجين المريم

خرج تأبط شرا يوماً يريد الغارة فلقى سَرحا لمُراد فأطرده ونذرت به مُراد فخرجوا في طلبه فسبقهم الى قومه وقال فى ذلك

اذا لاقيت يوم الصدق فارْبَعْ عليك ولا يهمك يوم سَوِّ
على انى بَسَرْحِ بنى مُرادٍ شجوتهم سباقا أى شَجْو
وآخر مثله لا عيب فيه بصرت به ليوم غير زَوِّ
خفضت بساحة تجرى علينا اباريق الكرامة يوم لهو

اغار تأبط شرا وحده على خَثْعَم فبينا هو يطوف اذ مر بغلام يتصيد الارانب معه قوسه ونَبْله فلما رآه تأبط أهوى ليأخذه فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى وضربه تأبط شرا فقتله وقال في ذلك

وكادت وبيت الله أطناب ثابت تقوض عن ليلى وتبكى النوائح
تمنى فتى منا يلاقى ولم يَكِدْ غلام نمته المحْصَنات الصرائح
غلام نما فوق المُحامِسِيِّ قدره ودون الذى قد ترتجيه النواكح
فقد شد فى احدى يديه كنانة تداوى لها فى اسود القلب قادح

خطب امرأة من هُذَيل فقال لها قائل لا تنكحيه فانه لأول نصل غدا فقال تأبط شرا

وقالوا لها لا تنكحيه فانه لأول نصل ان يلاقى مجمعاً
فلم تر من رأيى فتيلا وحاذرت تأيمها من لابس الليل أروعا
قليل غِرار النوم أكبرُ همه دمُ الثأر أو يلقى كميًّا مُقَنَّعا
قليل ادخار الزاد الا تَعِلَّةً وقد نشر الشُّرْسُوف والتصق المعى (١)
تناضله كل يشجع نفسه وما طِبُّه فى طرقه أن يشجعا

(١) الشرسوف غضروف معلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ... ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا
وأى فتى لا صيد وحش يهمه ... فلو صادفت إنساً لصادفته معا
ولكن أرباب المخاض يشفهم ... اذا افتقدوه أو رأوه مشيعا
وانى ولا علم لأعلم أنني ... سألقى سنان الموت برشق أضلعا
على غرة أو جهرة من مكاثر ... أطال نزال الموت حتى تسعسعا (١)
فكيف أظن الموت فى الحى أوأرى ... ألذ وأكرى أو أموت مقنعا
ولست أبيت الدهر الا على فتى ... أسلبه أو أذعر السرب أجمعا
ومن يضرب الأبطال لابد أنه ... سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

أغار تأبط شراً على خثعم فقال كاهن لهم أرونى أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذوه فكفوا على أثره جفنة ثم ارسلوا الى الكاهن فلما رأى أثره قال هذا مالا يجوز فى صاحبه الأخذ فقال تأبط شراً

ألا أبلغ بني فهم بن عمرو ... على طول التنائى والمقالة
مقال الكاهن الجامى لما ... رأى أثرى وقد أنهبت ماله
رأى قدمىَّ وقعهما حثيث ... كتحليل الظليم دعا رئاله
أرى بهما عذاباً كل عام ... خثعم او بجيلة أو ثمالة
وشرًّا كان صبَّ على هذيل ... اذا علقت حبالهم حباله
ويوم الازد منهم شر يوم ... اذا بعدوا فقد صدقت فاله

فزعموا أن ناساً من الأزد ربؤا لتأبط شراً ربيئة وقالوا هذا مضيق ليس له سبيل اليكم من غيره فأقيموا فيه حتى يأتيكم فلما دنا من القوم توجس ثم انصرف ثم عاد فنهضوا فى أثره حتى رأوه لا يجوز ومر قريباً فطمعوا فيه وفيهم رجل يقال له حاجز ليث من ليوثهم سريع فأغروه به فلم يلحقه فقال تأبط شراً فى ذلك

---

(١) فى وذهب

قعقعت حضني حاجز وصحابه ... وقد نبذوا خُلْقانهم وتشنعوا
أظن وان صادفت وَعْثا وان جرى ... بى السهل أومتن من الأرض مَهْيَع
أجارى ظلال الطير لو فات واحد ... ولو صدقوا قالوا له هو أسرع
فلو كان من فتيان قيس وخِنْدِف ... أطاف به القناص من حيث أفزعوا
وجاء بلاداً نصف يوم وليلة ... لآب اليهم وهو أشْوَسُ أروع
فلو كان منكم واحداً لكفيته ... وما ارتجعوا لو كان فى القوم مطمع

فأجابه حاجز

فان تك جاريت الظلام فربما ... سبقت ويوم القرن عريان أسنع
وخليت اخوان الصفاء كأنهم ... ذبائح عِتْرٍ أو نخيل مُقَرَّع
تبكيهم شجو الحمامة بعد ما ... أرحت ولم ترفع لهم منك أصبع
فهذى ثلاث قد حويت نجاتها ... وان تنج أخرى فهى عندك أربع

ومن قوله يرثى الشنفرى

على الشَّنْفَرَى سارى الغمام ورائح ... غزير الكُلى أو صَيِّب الماء باكر
عليك جزاء مثل يومك بالجَبا ... وقد رَغَمَت منك السيوف البواتر
ويومك يوم العَيْكَتين وعَطْفَة ... عطفتَ وقد مَسَّ القلوبَ الحناجر
تحاول دفع الموت فيهم كأنهم ... بشوكتك الحُدَّى ضئين عوائر
فانك لو لاقيتني بعد ما ترى ... وهل يلقَيْنْ من غيبته المقابر
لألفيتني فى غارة أدَّعى بها ... اليك وإما راجعاً أنا ثائر
وان تك مأسوراً وظَلْتَ مخيما ... وأبْلَيْتَ حتى ما يكيدك واتر
وحتى رماك الشيب فى الرأس عانساً ... وخيرك مبسوط وزادك حاضر
وأجمل موت المرء اذ كان ميتاً ... ولابد يوماً موتُه وهو صابر
فلا يَبْعَدَنَّ الشَّنْفَرَى وسلاحه الـــحديد وشد خطوه متواتر
اذا راع روع الموت راع وان حمى ... حمى معه حر كريم مصابر

الطفيل الغنوى

هو طُفيل بن عوف بن غَنِيّ بن أَعْصُر بن سعد بن قيس عيلان، واسم غنى عمرو واسم أَعْصُر مُنَبِّه وانما سمى أعصرا لقوله

قالت عُمَيْرَة ما لرأسك بعدما ... فقد الشبابَ أتى بلون منكر

أعُمَيْرُ ان ابك غير رأسه ... مَرُّ الليالى واختلاف الأعصر

وطُفَيْل شاعر جاهلى من الفحول المعدودين ويكنى ابا قران، يقال انه من أقدم شعراء قيس وهو أوصف العرب للخيل، سمع أعرابى الناس يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبصر بها فقال كان يقال ان طُفَيلا ركب الخيل وولاها لاهلها وان ابا دُوادِ الإيادىَّ ملكها لنفسه وولاها لغيره كان يليها للملوك وان النابغة الجَعْدى لما أسلم الناس وآمنوا اجتمعوا وتحدثوا ووصفوا الخيل فسمع ما قالوه فأضافه الى ما كان سمع وعرف قبل ذلك فى صفة الخيل وكان هؤلاء نُعَّاتَ الخيل، وكان طُفَيل اكبر من النابغة وليس فى قيس فحل أقدم منه، وكان معاوية يقول خلوا الى طفيلا وقولوا ما شئتم فى غيره من الشعراء وكان يسمى طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها

قال قُتَيْبة بن مسلم لأعرابى من غَنِي قدم عليه خُراسان أى بيت قالته العرب أعفّ؟ قال قول طفيل

ولا اكون وِكاء الزاد أَحْبِسه ... لقد علمت بأن الزاد مأكول

قال فأى بيت قالته العرب فى الحرب أجود؟ قال قول طفيل

بجيش اذا قيل اركبوا لم يقل لهم ... عواوين يخشَوْن الردى أين نركب

قال فأى بيت قالته العرب فى الصبر اجود؟ قال قول نافع بن خليفة الغنوى

ومن خير ما فينا من الامن اننا ... متى مانوا فى موطن الصبر نصبر

قال قتيبة فما تركت لاخوانك من باهلة؟ قال قول صاحبهم

وانا اناس ما تزال سوامُنا تُنَوِّر نيرانَ العدو مناسمُه

وليس لنا حى نضاف اليهم ولكن لناعودشديدشكائمُه

وفد رجل من غني يقال له قيس الدارِمى على بعض الملوك وكان قيس سيدا جواداً فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب فقال لأضعن تاجى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس واعطاه ما شاء ونادمه مدة ثم اذن له فى الانصراف الى بلده، فلما قرب من بلاد طيئ خرجوا اليه وهم لا يعرفونه فقتلوه فلما علموا انه قيس ندموا لأيادٍ له كانت فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتاً ، ثم ان طُفَيلا جمع جموعا من قيس فأغار على طيئ فاستاق من مواشيهم ما شاء وقتل منهم قتلى كثيرة وكانت هذه الوقعة بين القَنان وشرقى سَلْمى فذلك قول طفيل فى قصيدته البائية

فذوقوا كما ذقنا غداة مُحَجِّر من الغيظ فى اكبادنا والتحوب

فبالقتل قتل والسوام بمثله وبالشَّل شل العابط المتصوب

وفيها يقول

يرى السين ما يهوى وفيها زيادة من اليمن أن يبدو وملهى وملعب

وبيت تهب الريح في حَجَراته بارض فضاء بابه لم يحجب

سماوته أسْمَالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وسائره من أَتْحَمى مُعَصَّب

وأطنابه أرْسان جرد كأنه صدور القنا من بادئ ومعقب

نصبت على قوم تدر رماحهم عروق الأعادى من عرين واشغب

ومن نسيب هذه القصيدة

وبالعقر (١) دار من جميلة هيجت سوالف (٢) حب فى فؤادك مُنْصِب (٣)

وكنت اذا ناءت (٤) بها غربة النوى شديد القوى لم تدر ماترك مشغب (٥)

---

(١) العقر منازل لقيس بالعالية (٢) سوالف مواض يقول هيجت حباً قد كان ثم انقطع

(٣) منصب ذو نصب (٤) نأت وناءت بمعنى واحد أى بعدت (٥) مشغب ذوشغب عليك وخلاف فى حبها ويروى مشعب أى متعدد يصرفك عنها

كريمة حر الوجه لم تدع هالكا ... من القوم هلكي فى غد غير معقب (١)
أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشى ... بدور الثنايا ذات خلق مشرعب (٢)

كانت فزارة لقيت بنى أبى بكر بن كلاب وجيرانهم من مُحارب فأوقعت بهم وقعة عظيمة ثم ادركتهم غَنِي فاستنقذتهم فلما قتلت طيئ وعبس بعض ساداتهم استغاثت غني ببنى أبى بكر وبنى محارب فقعدوا عنهم فقال طفيل فى ذلك يمن عليهم بما كان منهم فى نصرهم ويرثى القتلى

تأوبني هم من الليل مُنصِب ... وجاء من الأخبار مالا اكذب
تتابعن حتى لم تكن لى ريبة ... ولم يك عما خبروا متعقب
ولو كان هرم بن السنان خليفة ... وحصن بن اسماء لما ان تغيبوا
ومن قيس الثاوى بريان بيته ... ويوم الوغى ليث لدى الكر معجب
أشَمُّ طويل الساعدين كأنه ... فنيق هجان فى يديه مركب
وبالشهب ميمون النقيبة قوله ... لملتمس المعروف أهل ومرحب
كواكب دَجْن كلما انقض كوكب ... بدا وانجلت عنه الدُّجُنَّة كوكب

ومنها

لعمرى لقد خلى ابن جندع ثلمة ... ومن أين ان لم يرأب الله يرأب
ندامى سواء قد تخليت عنهم ... فكيف ألَذّ الخمر كيف أشرب
مضَوْا سَلَفاً قصد السبيل عليهم ... وصرف المنايا بالرجال تقلب

الحادرة الثعلبي

هو قُطْبة بن مِحْصن بن جَرْوَل من بني ثعلبة بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفَان ابن سعد بن قيس عيلان ولقب بالحادرة بقول زَبّان بن سيار الفزارى له

---

(١) أى لم تدب هالكا هلك فلم يخلف غيره ولم يعقب ومعنى ذلك انها فى عدد وقوم يخلف بعضهم بعضا فى المكارم لا كمن اذا مات سيد قومها او كريم منهم لم يقم احد مقامه
(٢) المشرعب الجسيم الطويل والشرعبى الطويل

كأنك حادرة (١) المنكبيـــن رسحاء تنقض فى حائر
عجوز الضفادع قد حُدرت تطيف بها ولدة الحاضر

وهو شاعر جاهلى مقل، ومن جيد شعره عينيته وهى من مختار الشعراء أصمعية مفضلية وهى

بكرت سُمَيَّة بُكْرة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يَرْبَع (٢)
وتزودت عيني غداةَ لقيتُها بِلوى البُدَينة نظرة لم تُقْلع
وتعرضت حتى استبتك بواضح (٣) صَلْت كمُنْتَصّ الغزال الأتْلَع
وبمقلتَيْ حوراء تحسب طَرْفها وسْنَانَ حُرَّةِ مستهلّ الأدمع
واذا تنازعك الحديث رأيتها حسناً تبسمُها لذيذ المَكْرَع
بغريض (٤) سارية أدرَّته الصَّبا من ماء أسْجَرَ طيب المستنقع
ظلم (٥) البِطَاحَ له انهلالُ حَريصة فصفا النِّطَافُ له بُعَيد المقلع
لعب السيولُ به فأصبح ماؤه غَلَلاً (٦) تقطَّع فى أصول الخِرْوَع
أسُمَيَّ ويحك هل سمعت بغَدْرة رفع اللواء لنا بها فى مَجْمَع
إنا نعِف فلا نَريب حليفنا ونكُف شُحّ نفوسنا فى المطمع
ونقى بآمن مالنا أحسابنا ونُجِرّ فى الهيجا الرماح وندعى
ونخوض غَمْرَة كل يوم كريهة تُرْدى النفوس وغُنْمها للأشجع
ونقيم فى دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظعَن غيرنا للأمْرَع
ومَحَلّ مجد لا يُسَرِّح أهله يوم الاقامة والحلول لمرتَع

---

(١) ضخم والرسح قلة لحم الفخذين والعجز وتنقض تنق والحائر مكان مرتفع ما حوله مطمئن وسطه فيحير فيه الماء (٢) لم يقم (٣) يعنى عنقها وصلت طويل والمنتص المنتصب
(٤) الغريض هنا القريب العهد بالسحابة والاسجر الماء الذى فيه كدرة لم يصف فيه كل الصفو (٥) أى حمل عليها المطر والحريصة المطرة التى تحرص وجه الارض أى تقشره
(٦) الغلل الماء يجرى فى أصول الشجر

بسبيل أغبرَ ما يقام بثغره سقم يشار لقاؤه بالأصبع
فسُمَيّ ما يدريك ان رُبَّ فتية بادرت لذتهم بأدكن مترع
محمرة عقب الصبوح عيونهم يمرى هناك من الحياة ومسمع
بكروا على بسحرة فصبحتهم من عانق كندم الغزال مشعشع

كان الحادرة جارا لرجل من سُلَيْم فأغار زبّان بن سيّار على أبله فأخذها فدفعها الى رجل من أهل وادى القُرَى يهودى كان له عليه دين فأعطاه إياها بدينه ، وكان أهل وادى القُرَى حلفاء لبني ثعلبة ، فلما سمع اليهودى بذلك قال سيجعل الحادرة هذا سبباً لنقض العهد الذى بيننا وبينه ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغى لنا أن نغدر ، فردها على جاره ورجع الى زبان فقال له أعطنى مالى الذى عليك ، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة فقال الحادرة فيه

لعَمْرة بين الأخرَمين طُلول تقادم منها مسهر ومُجيل
وقفت بها حتى تعالى لى الضحى لأخبرَ عنها انني لسؤل

يقول فيها

فان تحسبوها بالحجاب ذليلة فما انا يو ما ان ركبت ذليل
سأصنعها فى عصبة ثعلبية لهم عدد واف وعز أصيل
فان شئتم عدنا صديقاً وعدتمُ واما أبيتم فالمقام زحول

ولج الهيجاء بينهما

وقال الحادرة فى وقعة كانت بين قومه بني ثعلبة وبين بنى عامر قتل فيها قواد بني عامر ومنهم عقيل بن مالك النميرى

كأن عقيلا فى الضحى حلّقت به وطارت به في الجو عنقاء مغرِبُ
وذى كرم يدعوكم آلَ عامر لدى معرك سِرْبالُه يتصبب

رأت عامر وَقْعَ السيوف فأسلموا أخاهم ولم يعطف من الخيل مرهب
وسلم لما أن رأى الموت عامر له مركب فوق الأسنة احدب
اذا ما أظلته عوالى رماحنا تدلى به نَهْد الجزارة منهب
على صَلَوَيْه مُرْهفات كأنه قوادم نَسْر بُزّ عنهن منكب

وهذا اليوم يعرف بيوم شواحط قبيلة من محارب

خرج خارجة بن حصن فى جمع من بنى فَزارة ومن بنى ثعلبة بن زيد وهو يريد غزو بنى عَبْس بن بَغيض فلقُوا جيشاً لبنى تميم على ماء يقال له الكفافة وتميم فى جمع سعد والرِّباب وبنى عمرو فقاتلوهم قتالا شديداً وهزمت تميم وأجفلت وهذا اليوم يقال له يوم كفافة فقال الحادرة فى ذلك

ونحن منعنا من تميم وقد طفت مراعى الملا حتى تضمنها نجد
كعطفنا يوم الكُفافة خيلنا لتتبع أخرى الجيش اذ بلغ الجد
على حين شالت واستخفت رجالهم حلائب احياء يسيل بها الشد
اذا هى شك السَّمْهَري نحورها وخامت عن الابطال أتعبها القد
تكُر سراعاً في المضيق عليهم وتثني بِطَاء ما نُخبّ وما تعدو
فأثنُوا علينا لا أبا لأبيكم باحساننا ان الثناء هو الخلد

النابغة الذبيانى

هو زياد بن معاوية من ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان ويكني أبا أُمامة ولقب بالنابغة لقوله «فقد نبغت لهم منا شئون» وهو أحد الاشراف الذين غض الشعر منهم ، وهو من الطبقة الأولي المقدمين على سائر الشعراء ، قال عمر يامعشر غَطَفان من الذى يقول ؟

أتيتك عارياً خَلَقا ثيابى على وَجَل تُظَن بى الظنون

قالوا النابغة ، قال ذاك أشعر شعرائكم ، وقال مرة من أشعر الناس ؟ قالوا أنت أعلم يا أمير المؤمنين ، قال من الذى يقول

الا سليمان اذ قال المليك له قم فى البرية فاحدُدها عن الفَنَد
وخَيس الجن انى قد أذنت لهم يبنون تَدْمُرَ بالصفّاح والعَمَد

قالوا النابغة ، قال فمن الذى يقول «أتيتك عاريا البيت ؟ قالوا النابغة ، قال فمن الذى يقول

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مَذْهب
لئن كنت قد بُلِّغتَ عني خيانة لمبلغك الواشى أغَشُّ وأكذب
ولستَ بمستبقٍ أخا لا تَلُمّه على شَعَث أى الرجال المهذب

قالوا النابغة ،قال فهو أشعر العرب ، وقام رجل الى ابن عباس فقال أى الناس أشعر ؟ فقال ابن عباس أخبره يا أبا الأسود ، قال الذى يقول

فانك كالليل الذى هو مُدْرِكي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

كان يضرب للنابغة قبة من أدَم بسوق عُكاظ فتأتيه الشعراء فتَعْرض عليه أشعارها ، وأول من أنشده الأعْشَى ثم حسان ثم أنشدته الشعراء ثم أنشدته الخَنْساء

وان صخرا لتأتمّ الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فقال والله لولا أن أبا بصير أنشدنى آنفاً لقلت انك أشعر الجن والانس ، فقام حسان فقال والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ، فقال النابغة أنت يا ابن أخى لا تحسن أن تقول

فانك كالليل الذى هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حُجْن فى حبال متينة تمُدّ بها أيدٍ اليك نوازع

قال أبو عمرو بن العلاء ما كان ينبغى للنابغة الا أن يكون زُهَير أجيره ،

قيل لحماد الراوية بم تقدم النابغة ؟ قال بأكتفائك بالبيت الواحد من شعره لا بل بنصف بيت لا بل بربع بيت مثل قوله

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب

كان النابغة كبيراً عند النعمان خاصاً به ، وكان من ندمائه وأهل أنسه فرأى زوجته المتجردة يوماً فسقط نصيفها واستترت بيدها وذراعها فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها فقال قصيدته

أمنَ آل ميّة رائح أو مغتدي ... عجلانَ ذا زاد (١) وغيرَ مزوَّد

أفِد الترحل غير ان ركابنا ... لمَّا تزل برحالنا وكأن قَدِ

زعم البوارح (٢) ان رحلتنا غدًا ... وبذاك تَنْعاب الغراب الأسود

لا مرحباً بغد ولا أهلاً به ... ان كان تفريق الأحبة فى غد

حان الرحيل ولم تودع مهْدَدا ... والصبح والامساء منها موعدى

فى اثر غانية رمتك بسهمها ... فأصاب قلبك غير ان لم تقصد

غنيت بذلك اذ هم لي جيرة ... منها بعطف رسالة وتودد

ولقد أصاب فؤاده من حبها ... عن ظهر مرّنان بسهم مُصْرَد

نظرت بمقلة شادن مُتَرَبِّب ... أحوى أحمّ المقلتين مقلّد

والنظم فى سلك تزين نحرها ... ذهب توقد كالشهاب الموقد

صفراء كالسِّيَرا (٣) أُكمل خلقها ... كالغصن فى غُلوَائه المتأود

---

(١) الزاد هنا ما كان من تسليم ورد تحية (٢) البارح ماجاء من ميامنك الى مياسرك فولاك مياسره والسانح ماجاء من مياسرك الى ميامنك فولاك ميامنه وأهل نجد يتشاءمون بالبوارح وغيرهم من العرب يتشاءم بالسانح ويتيمن بالبارح وتنعاب الغراب صياحه وكان النابغة قد قال فى هذا البيت « وبذاك خبرنا الغراب الاسود » ثم ورد يثرب فسمعه يغنى فيه فبان له الاقواء ففيره فى مواضع من شعره وكان ابو عبيدة يقول فحلان من الشعراء يقوبان النابغة وبشر ابن أبى خازم (٣) السيراء ثوب من حرير فيه خطوط وغلواء الغصن طوله وارتفاعه والمتأود المثنى

قامت تَرَاءى بين سِجْفَي كِلَّة ... كالشمس يوم طلوعها بالأسعد
أو دُرَّة صَدَفية غواصُها ... بَهِج متى يَرها يُهِلّ ويسجد
أو دُمْيَة من مرمر مرفوعة ... بنيت بآجُرّ تشاد وقِرْمد
سقط النصيف[1] ولم تُرد اسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد
بمخضّب رَخْص كأن بَنانه ... عَنَم[2] على أغصانه لم يعقد
وبفاحم[3] رَجِل أثيث نبتُه ... كالكَرْم مال على الدعام المسند
نظرت اليك بحاجة لم تقضها ... نظر السقيم الى وجوه العُوَّد
تجلو بقادمتَيْ حمامة أيْكة ... بردا أُسِفّ لِثاته بالإثمد
كالأُقْحوان غداة غِبّ سمائه ... جفت أعاليه وأسفله ندِ

وفيها وصف آخر كثير فأنشدها النابغةُ مُرَّةَ بن سعد القرَيْعى فأنشدها مرة النعمان فامتلأ غضباً فأوعد النابغة وتهدده فهرب منه فأتى قومه ثم شخص الى ملوك غسّان بالشام فامتدحهم ، وقيل أن عِصام بن شَهْبَرَ الجَرْمى حاجب النعمان أنذره وعرفه ما يريده النعمان وكان صديقه فهرب ، وعصام هو الذى يقول فيه الراجز

نفس عِصام سوّدت عِصاما ... وعلمته الكَرّ والاقداما
وجعلته ملكاً هماما

فلما صار النابغة الى غسان نزل بعمرو بن الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج ابن الحرث الأكبر بن أبى شمر ، فمدحه ومدح أخاه النعمان ، ولم يزل مقيما مع عمرو حتى مات وملك أخوه النعمان فصار معه الى أن استطلع النعمان فعاد اليه ، فما مدح به عمرا قوله

---

(١) النصيف الخمار والجمع أنصفة ونصف (٢) العنم تسارع حمر تكون فى البقل فى الربيع وقيل شجر يحمر وينعم نبته (٣) الفاحم الشديد السواد والرجل الذى ليس بجعد والاثيث المتكاثف

كلينى (١) لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطىء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ ... وليس الذى يرعى النجوم بآئب
وصدر أراح الليلُ عازبَ همه (٢) ... تضاعف فيه الحزن من كل جانب
على لعمرو نعمة بعد نعمة ... لوالده ليست بذات عقارب (٣)
حلفت يميناً غير ذى مَثْنَوِيّة ... ولا علم الا حسن ظن بصاحب
لئن (٤) كان للقبرين ، قبرٍ بجلّق ... وقبرٍ بصَيْدَاء الذى عند حارب
وللحرث الجَفْنى سيد قومه ... ليلتمسَنْ بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر اذ قيل قد غدت ... كتائب من غسان غير أشائب
بنو عمه دِنْيا (٥) وعمرو بن عامر ... أولئك قومٌ بأسهم غير كاذب
اذا ما غزَوْا بالجيش حلّق فوقهم ... عصائب طير تهتدى بعصائب
يصانِعْنَهُم (٦) حتى يُغِرْنَ مُغارهم ... من الضاريات بالدماء الدوارب
تراهن خلف القوم خُزْرا (٧) عيونُها ... جلوس الشيوخ في ثياب المرانب
جوانح قد أيقَنَّ أن قبيله ... اذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفْنَها ... اذا عرض الخَطِّيّ فوق الكوائب (٨)
على عارفات للطعان عوابس ... بهن كلوم بين دام وجالب (٩)
اذا استنزلوا عنهن للطعن أرْقلوا ... الى الموت ارقالَ الجمال المصاعب
فهم يتساقَوْن المنية بينهم ... بأيديهم بيض رِقاق المضارب

---

(١) كلينى أى دعينى وناصب متعب وبطىء الكواكب أى قد طال حتى ان كواكبه لا تجرى.
(٢) يقول رد هذا الليل الى ما عزب من همي لانه يتعلل نهاراً بمحادثة الناس والتشاغل بغير الفكر فاذا خلا بالليل راح اليه همه (٣) أى لا يكدرها ولا يمنها (٤) يعنى لئن كان عمرو ابنا للمدفونين فى هذين القبرين يعنى قبر أبيه وجده ليلتمسن جيشه دار المحارب يحرضه بذلك
(٥) يريد بنى عمه الادنين من القرابة وعمرو بن عامر من الازد (٦) من المصانعة وهى حسن الصحبة أراد أن النسور تسير معهم ولا تؤذى دابة ولا تقع على دابة ، والضاريات المتعودات والدوارب من الدربة (٧) الاخزر الذى ينظر بمؤخر عينه والمرانب كسية من جلود الارانب (٨) الكائبة فى المنسخ امام القربوس (٩) عليه قشرة يقال جلب الجرح وأجلب

تُطيرُ فُضاضا[1] بينها كلّ قَوْنَس ... ويتبعها منهم فَراش الحواجب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فُلُول من قِراع الكتائب
تُورِّثن من أنهار يوم حليمة ... الى اليوم قد جُرِّبْنَ كل التجارب
تَقُدُّ السَّلُوقى[2] المضاعفَ نسجُه ... وتوقد بالصَّفّاح نار الحَباحب
بضرب يزل الهام عن سَكَناته[3] ... وطعن كايزاع المخاض الضوارب
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم ... من الجود والأحلام غير عوازب
محلتهم ذات الاله ودينهم ... قويم فما يرجون غير العواقب
رِقاق[4] النعال طيب حُجُراتهم ... يحيَّوْن بالرَّيحان يوم السباسب
يحييهم بيض الولائد بينهم ... وأكسية الإضْريج[5] فوق المَشاجب
يصونون أجسادا قديماً نعيمها ... بخالصة الأردان[6] خضر المناكب
ولا يحسبون الخير لاشر بعده ... ولا يحسبون الشر ضربة لازب
حبوت بها غسّان اذ كنت لاحقا ... بقومى واذ أُعْيت على مذاهبي

نظر النابغة الى النعمان بن الحرث أخى عمرو وهو يومئذ غلام فقال

هذا غلام حسن وجهُه ... مقتبل الخير سريع التمام
للحرث الأكبر والحرث الأصـ ... ـغر والحرث خير الأنام
ثم لهند ولهند فقد ... أسرع فى الخيرات منه امام
خمسة آباؤهم ما همُ ... هم خير من يشرب صَوْب الغمام

ولم يزل كذلك حتى بلغه أن النعمان عليل لايرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر

---

(١) الفضاض ما انفض وتفرق والقونس اعلى البيضة والفراش عظام رقاق على الحياشيم من داخل (٢) منسوب الى سلوق قرية باليمن والمراد بالصفاح البيض والساعد من الحديد
(٣) سكناته حيث يسكن والايزاع دفع الناقة ببولها
(٤) اراد انهم ملوك لا يخصفون نعالهم ويريد بقوله طيب حجراتهم انهم أعفاء والسباسب عيد للنصارى (٥) الاضريج الخز الاحمر والمشاجب اعواد تنشر عليها الثياب
(٦) الردن مقدم كم القميص

على البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه ، فصار اليه وألفاه محمولاً على سريره ينقل ما بين الغمر الى قصور الحيرة فقال لعصام

ألم اقسم عليك لتُخبرنّى ... أمحمول على (١) النعش الهمام
فانى لا(٢) الومك فى دخولى ... ولكن ما وراءك يا عِصام
فان يَهْلك ابو قابوس يهلك ... ربيع (٣) الناس والبلد الحرام
ونمسكْ بعده بذِناب عيش ... أجَبّ الظهر ليس له سَنام

ومن اعتذاره الى النعمان قوله

رأيتك ترعانى بعين بصيرة ... وتبعث حُرّاسا على وناظرا
وذلك من قول أتاك أقوله ... ومن دس أعدائى اليك المآبرا (٤)
فآليت لا آتيك ان كنت مجرما ... ولا أبتغى جارا سواك مجاورا
فأهلى فداء لامرئ ان أتيته ... تقبل معروفى وسد المفاقرا

يقول في ختامها

الا أبلغ النعمان حيث لقيته ... وأهدى له الله الغيوث البواكرا
وصيحه فَلْج ولا زال كعبه ... على كل من عادى من الناس ظاهرا
وربّ عليه الله أحسن صنعه ... وكان له على البريّة ناصرا
فألفيته يوما يُبيد عـــدوه ... وبحر عطاء يستخف المعابرا

ومن ذلك قصيدته الدالية

يا دار ميّة بالعَلْياء (٥) فالسَّنَد ... أقْوَت وطال عليها سالف الأمد

---

(١) قال أبو عبيدة كانت ملوك العرب اذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه فيكون كذلك على أكتاف الرجال لأنه عندهم أوطأ من الأرض

(٢) يقول لا ألومك فى ترك الاذن لى فى الدخول ولكن اخبرنى بكنه أمره

(٣) يريد أنه كالربيع فى الخصب لمجتديه وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل الى من أجاره كما لا يوصل فى الشهر الحرام الى أحد (٤) المآبر النمائم (٥) العلياء المكان المرتفع بناؤه والسند سند الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه أى يصعد وأقوت اقفرت وخلت من أهلها

وقفت فيها أصيلالا أسائلها ... أعيت[1] جوابا وما بالربع من أحد

الا الأواري[2] لأيا ما أبينها ... والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

ردت[3] عليه أقاصيه ولبده ... ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد

خلت سبيل أتي[4] كان يحبسه ... ورفعته الى السجفين فالنضد

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبد[5]

فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له ... وانم[6] القتود على عيرانة أجد

مقذوفة بدخيس[7] النحض بازلها ... له صريف صريف القعو بالمسد

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... يوم الجليل[8] على مستأنس وحد

من وحش وجرة[9] موشي أكارعه ... طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

أسرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجي الشمال عليه جامد البرد

فارتاع من صوت كلاب فبات له ... طوع الشوامت من خوف ومن صرد[10]

فبتن عليه واستمر به ... صمع[11] الكعوب بريات من الحرد

وكان ضمران[12] منه حيث يوزعه ... طعن المعارك عند المحجر النجد

---

(١) يروى عيت (٢) الاوارى جمع آرى وهى الأخية التى تشد بها الدابة واللأى البطء والمظلومة التى لم يكن فيها أثر لحفر أهلها فيها حوضا وظلمهم اياها احداثهم فيها ما لم يكن والجلد الارض الصلبة الغليظة من غير حجارة (٣) يعنى أمة ردت اقاصى الثؤى على ادناه ليرتفع ولبده طامنه والثاد الندى (٤) الاتى السيل ورفعه قدمته يريد الحفر والسجفان ستران رقيقان يكونان فى مقدم البيت والنضد ما نضد من المتاع (٥) آخر تسور لقمان الذى اختار ان يعمر مثل اعمارها (٦) انم عل والقتود خشب الرحل والعيرانة الناقة المشبهة للعير لصلابة خفها وشدته والاجد الموثقة الخلق (٧) الدخيس اللحم والدخس امتلاء العظم من السمن والنحض اللحم والقعو ما يضم البكرة اذا كان من خشب فاذا كان حديدا فهو خطاف والمسد الحبل (٨) الجليل موضع والمستأنس الذى ينظر بعينة ووحد منفرد (٩) فلاة بين مران وذات عرق وهى ستون ميلا يجتمع فيها الوحش ويريد بقوله موشى انه ابيض فى قوائمه نقط سود وفى وجهه سفعة والفرد المنقطع النظير (١٠) الصرد البرد أى بات له ما يسر الشوامت اللاتى شمتن به (١١) يعنى قوائمه انها لازقة محدودة الاطراف ليست برهلات وأصل الصمع رقة الشىء ولطافته والحرد داء بعينه (١٢) ضمران اسم كعب والمحجر الملجأ والنجد الشجاع

شك الفريصة [١] بالمدرى فأنفذها ... طعن المبيطر اذ يشفى من العضد
كأنه خارجا من جنب صفحته ... سفود شرب نسوه عند مفتأد [٢]
فظل يعجم أعلى الروق [٣] منقبضا ... فى حالك اللون صدق غير ذى أود
لما رأى واشق [٤] اقعاص صاحبه ... ولا سبيل الى عقل ولا قود
قالت له النفس انى لا أرى طمعا ... وان مولاك لم يسلم ولم يصد
فتلك تبلغنى النعمان ان له ... فضلا على الناس فى الأدنى وفى البعد
ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه ... ولا أحاشى من الأقوام من أحد
الا سليمان اذ قال المليك له ... قم فى البرية فاحددها عن الفند [٥]
وخيس [٦] الجن انى قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاعك فانفعه بطاعته ... كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة ... تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد [٧]
الا لمثلك أو من أنت سابقه ... سبق الجواد اذا استولى على الأمد
أعطى نفارهة حلو توابعها ... من المواهب لا تعطى على نكد
الواهب المائة المعكاء [٨] زينها ... سعدان توضح فى أوبارها اللبد
والراكضات ذيول الريط فنقعها [٩] ... برد الهواجر كالغزلان بالجرد
والخيل تمزع [١٠] غربا فى أعنتها ... كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد
والأدم [١١] قد خيست فتلا مرافقها ... مشدودة برحال الحيرة الجدد
احكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت ... الى حمام شراع وارد الثمد

---

(١) الفريصة مرجع الكتف الى الخاصرة والمدرى القرن والبيطر البيطار والعضد داء يأخذ فى العضد (٢) المفتاد موضع النار والضمير فى كانه يرجع الى القرن (٣) الروق القرن والضمير فى ظل يرجع الى ضمران (٤) واشق كلب والاقعاص الموت
(٥) الفند الخطأ (٦) ذلل (٧) حقد (٨) الغلاظ الشداد (٩) نعم عيشها والجرد المكان الذى لا ينبت (١٠) تمرمرا سريعاً وغربا أى حادا قويا والشؤبوب السحاب العظيم القطر القليل المكث (١١) النوق وفتلا جمع فتلاء وهى التى بانت مرافقها عن آباطها

يحفه [١] جانبا نِيق وتتبعه ... مثل الزجاجه لم تكحل من الرمد

قالت ألا ليما هذا الحمام لنا ... الى حمامتنا ونصفه فقد

فحسَّبوه فألفوه كما حبست ... تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد

فكملت مائة فيها حمامتها ... وأسرعت حِسْبَةً فى ذلك العدد

فلا لَعَمْرُ الذى مسَّحت كعبتَه ... وماهُريق على الأنصاب [٢] من جسد

والمؤمن العائذات الطيرِ تمسحها ... ركبان مكة بين الغَيْل [٣] والسَّنَد

ما ان أتيت بشىء أنت تكرهه ... اذاً فلا رفعت سوطى الىّ يدى

اذاً فعاقبنى ربى معاقبة ... قرّت بها عين من يأتيك بالحسد

هذا لأبرأ من قول قُذِفت به ... طارت نوافذه حرَّى على كبدى

أنبئت أن أبا قابوس أوعدنى ... ولا قرار على زأر من الأسد

مهلا فداءٌ لك الاقوام كلهم ... وما أُثمِّر من مال ومن ولد

لا تقذفنّى بركن لا كفاء له ... وان تأنّفك [٤] الأعداء بالرَّفَد

فما الفُرات اذا هب الرياح له ... تمرى أواذيُّه العَبْرين [٥] بالزبد

يمُده كلُّ واد مُتْرَع لجَب ... فيه ركام [٦] من اليَنْبوت والخضَد

يظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزُرانة [٧] بعد الأين والنَّجَد

يوماً بأجود منه سَيْبَ نافلة ... ولا يحول عطاء اليوم دون غد

هذا الثناء فان تسمع لقائله ... فلم أُعرَض أبيت اللعن بالصَّفَد

ها ان ذى عِذْرةٌ الاتكن نفعت ... فان صاحبها مشارك النَّكَد

ومما يغنى فيه من شعره

---

(١) أى يكون من ناحية هذا الثمد والنيق الجبل ويريد بمثل الزجاجة عينا صافية

(٢) الانصاب حجارة كان أهل الجاهلية يذبحون عليها والجسد الدم (٣) الغيل بالفتح الماء وبالكسر الغيضة (٤) احتوشوك فصاروا حولك كالاثافى من القدر والرفد أن يرفد بعضهم بعضا فى السعى بى عندك (٥) هما جانبا النهر (٦) حطام واليَنبوت ضرب من النبت والخضد ما يثنى وكسر من النبت (٧) الخيزرانة: السكان (الدفة)

ملوك واخوان اذا ما أتيتهم أحكم فى أموالهم وأقرب
ولكننى كنت امرأ لى جانب من الارض فيه مستراد ومذهب

ومنه

عفا ذو حسى من فرتنى فالقوارع فجنبا أريك فالقلاع الدوافع
فمجتمع الأشراج غير رسمها مصايف مرت بعدنا ومرابع
توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع
رماد كككل العين لأيا أبينه ونؤى كجذم الحوض أثلم خاشع

الحرث بن ظالم المرى

ومقتل خالد بن جعفر

أغار خالد بن جعفر على رهط الحارث بن ظالم من بنى يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن ذبيان فقتل الرجال حتى أسرع والحرث يومئذ غلام وزعموا أن ظالما اهلك فى تلك الوقعة من جراحة اصابته يومئذ ، وكانت نساء بنى ذبيان لا يحلبن النعم فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون الحرث فيشد أعصاب الناقة ثم يحلبنها ويبكين رجالهن ويبكي الحرث معهن ، فنشأ على بغض واردف ذلك قتل خالد زهير ابن جذيمة فاستحق العداوة فى غطفان ، وحينئذ أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدره عنده وأتاه بفرس فألفى عنده الحرث بن ظالم قد أهدى له فرساً وقال أبيت اللعن نعم صباحك وأهلى فداؤك هذا فرس من خيل بنى مرة فلن تؤتى بفرس يشق غباره ان لم تنسبه انتسب كنت ارتبطه لغزو بنى عامر بن صعصعة فلما اكرمت خالداً أهديته اليك ، وقام الربيع بن زياد العبسى فقال : أبيت اللعن نعم صباحك وأهلى فداؤك هذا فرس من خيل بنى عامر ارتبطت اباه عشرين سنة

لم يُخفِق فى غزوة ولم يعتلك فى شعر ، ثم كان بين الحرث وخالد تنازع فقال خالد أتنازعنى ياحارث وقد قتلت حاضرتك وتركتك يتيماً فى حجور النساء ؟ فقال الحرث ذلك يوم لم أشهده وأنا مُغْن اليوم بمكانى ، قال خالد فهلا تشكرنى اذ قتلت زهير بن جَذيمة وجعلتك سيد غَطَفَان ؟ قل بلى اشكرك على ذلك ، فخرج الحرث بن ظالم الى بنت عَفْزَر فشرب عندها وقال لها تغنَّى

تعلَّم أَبيتَ اللعن أنى فاتك ... من اليوم اومن بعده يا ابن جعفر
أخالد قد نبهتني غير نائم ... فلا تأمنن فتكي يدَ الدهر واحذر
أعيرتني ان نلت منا فوارساً ... غداة حُرَاض مثل جنّان عبقر
أصابهم الدهر الخَتُور بخَتْره ... ومن لا يقى الله الحوادثَ يَعْثُر
فعلك يوما ان تنوء بضربة ... بكف فتى من قومه غير حيدر
يَعَض بها عليا هوازن والمنى ... لقاء ابى جَزْء بأبيض مِبْتَر

فلما كان الليل جاء الحرث وخالد نائم فى خيمته فضربه بالسيف حتى قتله وقال في ذلك

الا سائل النعمان ان كنت سائلا ... وحى كلاب هل فتكت بخالد
عَشَوْت عليه وابن جَعْدة دونه ... وعروة يَكْلا عمه غير راقد
وقد نصبا رجلا فباشرت جَوْزه ... بكَلْكَل مَخْشى العداوة حارد
فأضربه بالسيف يا فوخ رأسه ... فصَمَّم حتى نال نيط القلائد
وأفلت عبد الله منى بذعْره ... وعروة من بعد ابن جَعْدة شاهدى

فلما أبت غطفان ان تجيره غضبت لذلك بنو عَبْس وبعث اليه قيس بن زهير بهذه الابيات

جزاك الله خيراً من خليل ... شفى من ذى تُبُولته الخليلا
أزحت بهاجوَى ودخيل حزن ... تَمَخّخ اعظمى زمناً طويلا

كسوت الجعفري اباجزءٍ ولم تحفل به سيفا صقيلا
أبأت به زُهير بنى بَغيض وكنت لمثلها وَلِها حمولا
كشفت له القناع وكنت ممن يُجلّى العار والأمر الجليلا

فأجابه الحرث

اتانى عن قُيَيْس بنى زهير مقالة كاذب ذكر التُّبولا
فلو كنتم كما قلتم لكنتم لقاتل ثاركم حرزاً أصيلا
ولكن قلتم جاور سوانا فقد جلتنا حدثا جليلا
ولو كانوا هم قتلوا أخاكم لما طردوا الذى قتل القتيلا

ثم لحق بحاجب بن زُرارة فأجاره ووعده ان يمنعه من بنى عامر، وبلغ بني عامر مكانه فى بني تميم فساروا فى عليا هوازن، فدعا حاجب الحرث فأخبره بخبر القوم قال يا ابن ظالم هؤلاء بنو عامر أتوك فما أنت صانع ؟ قال الحرث ذلك اليك ان شئت اقمت فقاتلت القوم وان شئت تنحيت، قال حاجب تنح عني غير ملوم فغضب الحرث من ذلك وقال

لعَمْرى لقد جاورت فى حى وائل ومن وائل جاورت في حى تَغْلِب
فأصبحت فى حى الأَراقم لم يقل لى القوم ياحارِ بن ظالم اذهب
وقد كان ظنى اذ عقلت اليكم بنى عُدُس ظني بأصحاب يَثْرِب
غداةَ أتاهم تُبّع فى جنوده فلم يُسْلموا المُرّين من حى يَحْصب
فان تك فى عليا هوازن شوكة تخاف ففيكم حدُّ ناب ومِخْلب
وان يمنع المرء الزُّرارىُّ جاره فأعجب بهامن حاجب ثم أعجب

فغضب حاجب وقال

لَعَمْرُ ابيك الخير ياحارِ انني لأمنع جاراً من كُلَيب بن وائل
وقد علم الحى المَعَدّى أننا على ذاك كنافى الخطوب الأوائل

وانا اذا ما جاء جاء ظلامة لبسنا له ثوبَيْ وفاء ونائل
وان تميما لم تحارب قبيلة من الناس الا أُولعت بالكواهل
ولو حاربتنا عامر يا ابن ظالم لعضّت علينا عامر بالأنامل
ولاستيقنت عليا هوازن أننا سنوطئها في دارها بالقنابل
ولكنني لا أبعث الحرب ظالما ولو هجتها لم أُلفَ شحمة آكل

فتنحى الحرث عن بنى زُرارة ،وخرجت بنوعامر وعليهم الأحوص بن جعفر حتى التقوا بتميم برَحْرَحان وأسر يومئذ معبد بن زرارة وكان قد أغار على عامر ابن مالك بن جعفر فى الشهر الحرام وهو رجب وكانت مُضَر تدعوه الأصَمّ لانهم كانوا لا يتنادَوْن فيه بالفلان وبالفلان ولا يتغازَوْن ولا يتنادون فيه باثارات وهو أيضاً مُنْصِلِ الإلّ والأل الأسنة كانوا اذا دخل رجب أَنْصلوا الأسنة من الرماح حتى يخرج الشهر ، وابى أخوه لقيط ان يفتديه بأكثر من مائة بعير دية مُضَر وقد أبى آسروه الا مائتين فتركه في ايديهم حتى مات فذلك قول شُرَيح بن الأحوص

لقيط وانت امرؤ ماجد ولكن حلمك لا يهتدى
ولما أمنت وساغ الشرا ب واحتل بيتك في ثَهْمَدَ
رفعت برجليك فوق الفرا ش تُهْدى القصائد فى مَعْبَدَ
وأسلمته عند جدّ القتا ل وتبخل بالمال ان يفتدى

ثم ذهب الحارث حتى أتى سلمى بنت ظالم وفي حجرها ابن للنعمان فقال لها انه ان يُجيرنى من النعمان الا تحرمى بابنه فادفعيه الى ،فدفعته اليه فقتله، فوثب النعمان على عم الحارث بن ظالم فقال له لأقتلنك أو لتأتيني بابن أخيك ، فاعتذر اليه فخلى عنه فأقبل ينطلق فقال

ياحارِ انك أحيا من مخبأة وأنت أجرأ من ذى لبدة ضار
قد كان بيتى فيكم بالعلاء فقد أحلت بيتى بين السيل والنار

مهما أخفك على شيء تجيء به ... فلم أخفك على أمثالها حار
ولم أخفك على ليث تختله ... عبل الذارعين للأقران هصار
وقد علمت بأنى لن ينجينى ... مما فعلت سوى الاقرار بالعار
فقد عدوت على النعمان ظالمه ... فى قتل طفل كمثل البدر معطار
فاعلم بأنك منه غير منفلت ... وقد عدوت على ضرغامة شار

وقال الحرث بن ظالم فى ذلك

قفا فاسمعا أخبركما إذ سألتما ... محارب مولاه ونكلان نادم
حسبتَ أبا قابوس أنك سابقى ... ولما تذق فتكي وأنفك راغم
أخصيّ حمار بات يكدم نجمة ... أتؤكل جاراتى وجارك سالم
تمنيته جهراً على غير ريبة ... أحارث ظلماً انما أنت حالم
فان تك أذواد أصبن ونسوة ... فهذا ابن سلمى أمره متفاقم
علوت بذى الحيات مفرق رأسه ... وكان سلاحى تحتويه الجماجم
فتكت به فتكاً كفتكي بخالد ... وهل يركب المكروه إلا الأكارم
بدأت بهذا ثم أثني بمثلها ... وثالثة تبيض منها المقادم
شفيت غليل الصدر منه بضربة ... كذلك يأتى المغضبون القماقم

وقال سنان بن أبى حارثة المرّى وهو يومئذ رأس غطفان أبيت اللعن والله ما ذمة الحرث لنا بذمة ولا جاره لنا بجار ولو أمنته ما أمناه ، فقال الحرث فى ذلك

ألا أبلغ النعمان عنى رسالة ... فكيف بخطاب الخطوب الأعاظم
وأنت طويل البغى أبلج معور ... فزوع اذا ما خيف احدى العظائم
فما غرة والمرء يدرك وتره ... بأروع ماض الهم من آل ظالم
أخى ثقة ماض الجنان مشيع ... كميش التوالي عند صدق العزائم
فأقسم لولا مَنْ تعرض دونه ... لعولى بهندى الحديدة صارم

فأقتل أقواماً لئاماً أذلةً يعضون من غيظٍ أصولَ الأباهم
تمنى سنان ضلةً أن يخيفنى ويأمن ما هذا بفعل المسالم
تمنيت جهداً أن تضيع ظلامتى كذبت ورب الراقصات الرواسم
يمين امرئ لم يرضع اللؤمَ ثديه ولم تتكنفه عروق الألائم

ثم ان النعمان أمَّنَهُ وأقام حيناً ، ثم أن مصدقاً للنعمان أخذ ابلا لامرأة من بني مرة فأتت الحرث فعلقت دلوها بدلوه ومعها بُنَيّ لها فقالت أبا ليلى انى أتيتك مضافة ، فقال الحرث اذا أورد القوم النَّعم فناد بأعلى صوتك

دعوت بالله ولم تراعى ذلك داعيك فنعم الداعى
وتلك ذَوْد الحرث الكسّاع يمشى لها بصارم قطاع
يشفى بها مجامع الصُّدَاع

وخرج الحرث في أثرها يقول

أنا أبو ليلى وسيفى المعلوب كم قد أجرنا من حَرِيب محروب
وكم رددنا من سليب مسلوب وطعنة طعنتها بالمنصوب
ذاك جهيز الموت عند المكروب

ثم قال لها لا تردن عليك ناقة ولا بعير تعرفينه الا أخذته ففعلت

ثم لحق الحرث بالشام بملك من ملوك غسّان فأجاره وهناك قتل، قتله مالك بن الخمس التغلبى قتله بأبيه وأخذ سيفه المعلوب فأتى به سوق عُكاظ فى الحرم فاشتراه قيس بن زهير وقتله به فى الحرم وقال يرثى الحرث

ما قصرت من حاضن ستر بيتها أبر وأوفى منك حارِ بن ظالم
أعز وأحمى عند جار وذمة واضرب فى كابٍ من النقع قاتم

هذه رواية البصريين فى مقتله أما الكوفيون فيروون أن النعمان بن المنذر هو الذى قتله أمَّنَهُ ثم غدر به

منظور بهة زياد الفزارى من فزارة بهة ذبيان

كان سيد قومه غير مدافع آخذاً بأطراف الشرف فى قومه وهو أبو خَوْلة التى يقول فيها الفزارى

قفا فى دار خَوْلة فاسألاها ... تقادم عهدها وهجرتماها
بِمحْلال يفوح المسك منه ... اذا هبت بأبطحه صباها
كأنك مُزْنَةٌ بَرَقت بليل ... لحرَّانٍ يضىء له سناها
فلم تُمْطِر عليه وجاوزته ... وقد أشفى عليها أو رجاها
وما يملا فؤادى فاعلميه ... سلو النفس عنك ولا غناها
أترعى حيث شاءت من حمانا ... وتمنعنا فلا نرعى حماها

وقد تزوج خولة هذه محمد بن طلحة فولدت له ابراهيم وداود وأم القاسم بنى محمد ثم قتل عنها يوم الجمل فخلف عليها الحسن بن على فولدت له الحسن بن الحسن وفى تزوج الحسن بها يقول جعير العبسى

ان الندى فى بنى ذُبْيان قد علموا ... والجود فى آل منظور بن سيار
الماطرين بأيديهم نَدًى دِيَمًا ... وكل غيث من الوَسْمِىِّ مدرار
تزور جاراتهم وَهْنًا فواضلُهم ... وما فتاهم لها سرا بزوار
ترضى قريش بها صهراً لأنفسهم ... وهم رِضًى لبنى أخت وأصهار

بعونه تعالى تم طبع الجزء الاول ويليه الجزء الثانى
وأوله الحُصَين بن الحُمام المرّى

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس

مُهذّبُ الأغانى

عبد العزيز
بالمعارف

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الثانى

فى الشعراء الجاهليين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

مطبعة مصر - شركة مساهمة مصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحصين بن الحمام المرى

من مُرَّة بن عوف بن ذُبيان

كان يقال له فى الجاهلية مانع الضيم ، قال أبو عبيدة وأدرك الاسلام ويدل على ذلك قوله

وقافيةٍ غير انســـية قرَضت من الشعر أمثالها
شرود تلَمَّع بالخافقين اذا أُنشدت قيل من قالها
وحيرانَ لا يهتدى بالنهار من الظَّلْع يتبع ضُلاَّلها
وداعٍ دعا دعوة المستغيث وكنت كمن كان لَبَّى لها
اذا الموت كان شَجًى بالحلوق وبادرت النفس أشغالها
صبرت ولم أكُ رِعْديدة والصبر في الرَّوْع أنْجى لها
ويومٍ تسَعَّر فيه الحروب لَبست الى الرَّوْع سِرْبالها
مُضَعَّفة السَّرْد (١) عادية وعَضْب المضارب مِفْصالها
ومُطَّرِدا من رُدَيْنيَّة أذود عن الورد أبطالها
فلم يبق من ذاك الا التقى ونفس تعالج آجالها
أمور من الله فوق السماء مقادير تنزل أنزالها
أعوذ بربى من المخزيا ت يوم ترى النفس أعمالها
وخفّ الموازينُ بالكافرين وزلزلت الأرض زِلزالها
ونادى مُنادٍ بأهل القبور فهبّوا لتبرز أثقالها
وسُعِّرَت النار فيها العذاب وكان السلاسل أغلالها

وقال في حادثة بين قومه سَهم بن مرة وبني عمهم صِرْمة بن مرة

---

(١) نسج الدروع

ألا تقبلون النصفَ منا وأنتم ... بنو عمنا لا بلَّ هامكم القَطْر
سنأبى كما تأبَوْن حتى تُلينكم ... صفائح بُصْرَى والأسنّة والإصر[1]
أيؤكل مولانا ومولى ابن عمنا ... نُعيم ومنصور كما نصرت جَسْر
فتلك التى لم يعلم الناس أننى ... خَنَعْتُ لها حتى يغيبنى القبر
فليتكمُ قد مال دون لقائكم ... سنون ثمانٍ بعدها حِجَجٌ عشر
أجِدِّى لا ألقاكمُ الدهرَ مرة ... على موطن الا خدودكم صُعْر
اذا ما دُعوا للبغى قامت وأشرقت ... وجوههمُ والرشـد ورْد له نفر
فواعجباً حتى خُصَيْلَة أصبحت ... موالي عز لا تحل لهـا الخمر
ألمـا كشفنا لأمة الذل عنكم ... تجردتِ لا بر جميل ولا شكر
فان يك ظنى صادقاً تجز منكمُ ... جوازى الإله والخيانة والغدر

وقال فى ذلك

جزى الله أفْنَاء العشـيرة كلها ... بدارةِ مَوْضوع عقوقاً ومأثما
بنى عمنا الأدْنَيْن منهم ورهطنا ... فَزارة اذ رامت من الأمر مُعْظَما
ولمـا رأيت الود ليس بنافعى ... وان كان يوماً ذا كواكب مظلما
صبَرْنا وكان الصبر فينا سجيةً ... بأسـيافنا يقطعن كفاً ومِعْصَما
يُفَلِّقْن هاماً من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعَقَّ وأظلما
نطاردهم نستنقذ الجُرْد بالقَنا ... ويستنقذون السَّمْهَرِيَّ المقوَّما[2]
عشـية لا تُغْنِى الرماح مكانها ... ولا النبلُ الا المَشْرَفى المصمَّما
لدن غُدْوة حتى أتى الليل ما ترى ... من الخيل الا خارجياً[3] مُسَوَّما
وأجردَ كالسِّرحان يضربه الندَى ... ومحبوكةً كالسِّيدِ شقَّاء[4] صِلْدِما
يطأن من القتلى ومن قِصَدِ القنا ... خَبَارًا[5] فما يجرين الا تقحما

---

(١) الاصر بالتثليث العهد (٢) نستنقذ الجرد أى نقتل الفارس فنأخذ فرسه ويستنقذون السمهرى وهو القنا الصلب اى نطعنهم فتجرهم الرماح (٣) الخارجى من الخيل الجواد فى غير نسب تقدم له (٤) الشقاء الطويلة والصلدم الصلبة (٥) الخبار ما لان من الارض واسترخى

عليهن فتيان كساهم مُحرِّق وكان اذا يكسو أجاد وأكرما
صفائح بُصْرى أخلصتها قُيونها ومُطَّرداً من نسج داود مُبهما(١)
يَهُزون سمراً من رماح رُدَيْنة اذا حركت بَضَّت عواملها دما
جزى الله عنا عبد عمرو ملامة وعَدْوان سَهْم ما أذل وألأما
فلست بمبتاع الحياة بسُبَّة ولا مرتقٍ من خشية الموت سلما
ولكن خذونى أي يوم قدرتم عليَّ فجزوا الرأس أنْ أتكلما
بآية انى قد فجعت بفارس اذا عَرَّد الأقوام أقدم مُعْلما

وفى تلك الحرب التى يذكرها قتل نعيم بن الحارث بن عباد وكان وادًّا للحصين فقال يرثيه

قتلنا خمسة ورموْا نُعَيما وكان القتل للفتيان زَيْنا
لَعَمْرُ الباكيات على نُعَيم لقد جلّت رزيته علينا
فلا تبعدْ نُعَيْمُ فكل حى سيَلْقَى من صروف الدهر حَيْنا

وكانت هذه الحرب دفاعاً عن بني حُمَيْس بن عامر بن جُهينة حلفاء بنى سَهْم، فلما رأوا ذلك كرهوا مجاورة بنى سهم، فغادروهم ومضَوْا، فلحق بهم الحُصين فردهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرته عنهم وقال في ذلك

ان امرأ بعدي تبدل نصركم بنصر بني ذُبْيان حقاً لخاسر
أولئك قوم لا يهان ثَوِيُّهم اذا صرحت كَحْل وهب الصَّنابر(٢)

وقال لهم أيضاً

ألا أبلغ لديك أبا حُمَيْس وعاقبة الملامة للمُليم
فهل لكم الى مولىً نَصُور وخطبكم من الله العظيم
فان ديارَكم بجنوب بُسٍّ الى ثَقَف الى ذات العُظوم

(١) المبهم الذى لا ثلم فيه (٢) صرحت كحل لم يكن فى السماء غيم والصنابر الرياح الباردة

غذتكم فى غداة الناس حجنا غذاء الجائع الجَدِع (١) اللئيم
فسيروا فى البلاد وودعونا بقَحْط الغيث والكَلأ الوخيم

ضمن الحرث دية فسأل فى قومه وسأل فى بنى حُمَيْس جيرانه ، فقالوا انا لا نعقل بالابل ولكن ان شئت أعطيناك الغنم ، فقال فى ذلك وفى كفرهم نعمته

خليلىَّ لا تستعجلا ان تَزَوَّدَا وأن تجمعا شملى وتنتظرا غدا
فما لَبَث يوماً بسائق مغنم ولا سرعة يوماً بسابقة غدا
وان تنظرانى اليوم أقْضِ لُبانة وتستوجبا منّاً علىَّ وتحمدا
لعمرك انى يوم أغدو بصِرْمتى تنابى حُمَيْس بادئين وعُوَّدا
وقد ظهرت منهم بوَائقُ جمَّة وأفْرَع (٢) مولاهم بنا ثم أصْعَدَا
وما كان ذنبى فيهمُ غير أننى بسطت يداً فيهم وأتبعتها يدا
وأنى أُحامى من وراء صريمهم اذا ما المنادى بالمغيرة نَدَّدا
اذا الفرج لا يحميه الا محافظ كريم المُحيَّا ماجد غير أجْرَدا
فان صرحت كَحْل وهبت عَرِيَّة من الريح لم تترك لذى العرض مرقدا
صبرت على وطْء الموالى وخفضهم اذا ضَنَّ ذو القربى عليهم وأجْمَدَا

وقال فيه نديمه البُرْج بن الحُلاس الطائى

ونَدْمان يزيد الكأس طيبا سقيت اذا تَغَوَّرت النجوم
رفعت برأسه وكشفت عنه بمُعْرَقة (٣) ملامةَ من يلوم
ونشرب ما شربنا ثم نصحو وليس بجانبى خدى كلوم
ونجعل عِبْئها لبنى جُعَيْل وليس اذا انْتَشَوْا فيهم حليم

أغار البُرْج مرة على جيران الحُصَين بن الحُمام من الحُرَقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصَّرِيخ الحُصَين ، فتبع القوم فأدركهم ، فقال للبُرْج ما صَبَّك على جيرانى يا برج ؟

---

(١) الجدع السيء الغذاء (٢) أفرع من الجبل انحدر (٣) المعرق من الخمر الذى يمزج قليلا مثل العرق

فقال له وما أنت وهم ؟ هؤلاء من أهل اليمن وهم منا وأنشأ يقول

انى لك الخُرُقات فيما بيننا ... عَنَنٌ بعيد منك يا ابن حُمام
أقبلت تُزْجى ناقة متباطئاً ... عُلُطا[1] تُزَجِّيها بغير خُطام

فأجابه الحصين

بُرْجٍ يؤنمني ويكفر نعمتى ... صَمِّى[2] لما قال الكفيل صَمام
مَهْلاً أبا زيد فانك ان تشا ... أُوردْكَ عُرْض مناهل أسدام[3]
أوردك أقلبة[4] اذا حافلتها ... خَوْضَ القعود خبيئة الأخصام
أقبلت من أرض الحجاز بذمة ... عُلُطا أُسَوِّقها بغير خُطام
فى اثر أخوان لنا من طيء ... ليسوا بأكْفاء ولا بكرام
لا تحسبن أخا العفاطة أنني ... رجل بخبرك لست كالعلام
فاستنزلوك وقد بللت نطاقها ... من بيت أُمك والذيول دوامى

أغار الحصين فى بني عدى على بني عقيل وبني كعب ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيد بني كعب فأطلقها ومَنَّ عليها وقال فى ذلك

فِدًى لبني عَدِيّ ركْضُ ساقى ... وما جَمَّعت من نعم مُرَاح
تركنا من نساء بني عقيل ... أيامَى تبتغى عقد النكاح
أرُعْيان الشَّوِىّ وجدتمونا ... أمَ اصحاب الكريهة والنِّطاح
لقد علمت هَوَازن ان خيلى ... غداة النَّعْف صادقة الصباح
عليها كل أَرْوَعَ هِبْرِزِيّ ... شديد حدُّه شاكى السلاح
فكرّ عليهمُ حتى التقينا ... بمصقول عوارضها صباح
فأُبْنا بالنِّهاب وبالسَّبايا ... وبالبيض الخرائد واللِّقاح
وأعتقنا ابنة العمرى عمرو ... وقد خُضْنا عليها بالقِدَاح

---

(١) ناقة علط لا سمة لها (٢) صمى صمام أى زيدى ياداهية (٣) متغيرة من طول المكث (٤) جمع قليب وهو البئر

مات الحصين فى بعض أسفاره فقال أخوه مُعَيَّةَ يرثيه

اذا لاقيت جمعاً أو فِئاماً ... فانى لا أرى كأبى يزيدا
أشدَّ مَهابة وأعز ركناً ... وأصلب ساعة الضرَّاء عودا
صفيى وابن أُمِّى والمواسى ... اذا ما النفس شارفت الوريدا
كأنَّ مُصَدَّرا [1] يحبو ورائى ... الى أشباله يبغى الأُسودا

الشماخ بهة ضرار الثعلبى

من ثعلبة بن سعد بن ذُبيان ، والشمَّاخ لقبه ، واسمه مَعْقَل ، أُمه أَنمارية من بنات الخُرْشُب ، ويقال انهن أنجب نساء العرب ، واسمها معازة بنت بجير ، أدرك الشمَّاخ الجاهلية والاسلام وقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

تعَلَّمْ رسول الله انا كأننا ... أفَأْنا بأنمار تعالب ذى غِسْل [2]

يعنى أنمار بن بَغيض وهم قومه ، وهو أحد من هجا عشيرته وهجا أضيافه ومَنَّ عليهم بالقِرَى ، وله أخوان شاعران مُزَرِّد وجَزْء

جعل محمد بن سلام الشمَّاخ فى الطبقة الثالثة وقرنه بالنابغة ولَبيد وأبى ذُؤَيْب الهُذَلِي ووصفه فقال كان شديد متون الشعر أشد كلاماً من لبيد وفيه كزَازة ، ولبيد سهل منه منطقاً ، وقد قال الحُطَيْئة فى وصيته أبلغوا الشمَّاخ أنه أشعر غَطَفان ، وهو أوصف الناس للحمير والقوس وأرجز الناس على البديهة ، توجهت عليه يمين فى دعوى فحلف وقال

أتتنى سليم قضُّها وقضيضها ... تُمَسِّح حولي بالبقيع سبالها
يقولون لى فاحلف ولست بحالف ... أُخاتلهم عنها لكيما أنالها
ففرجت همَّ النفس عنى بحلفة ... كما شقَّت الشقراء منها جلالها

---

(١) المصدر العظيم الصدر شبه أخاه بالاسد (٢) موضع بين اليمامة والنباج

ومن قوله وهو من أجود الشعر

وأشعثَ قد قدَّ السِّفار قميصه ... يجر شواء بالعصا غيرَ مُنضَجِ
دعوت الى ما نابنى فأجابنى ... كريم من الفتيان غير مُزَلَّج (١)
فتى يملأ الشِّيزَى ويُروي سنانه ... ويضرب فى رأس الكمىّ المدجج
فتى ليس بالراضى بأدنى معيشة ... ولا فى بيوت الحى بالمتولج

وهو القائل يمدح عَرَابة بن أوس الأنصارى ثم الخزرجى وانما قال له الشمّاخ الأوسى نسبة الى أبيه أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

رأيت عَرَابة الأوسى يسمو ... الى الخيرات منقطع القرين
أفاد سماحة وأفاد مجداً ... فليس كجامد لَحِز (٢) ضنين
اذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عَرَابة باليمين

وهى قصيدة طويلة وهو القائل يمدح عبد الله بن جعفر

انك يا ابن جعفر نعم الفتى ... ونعم مَأوى طارق اذا أتى
وجار ضيف طرق الحى سُرَى ... صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

ان الحديث طَرَف من القِرَى

زهير بن جذيمة

هو زهير بن جَذِيمة بن رَوَاحة من بني قَطِيعة بن عَبْس

مقتل ولده شاس

أقبل شاس بن زهير من عند النعمان وقد حباه أفضل الحبوة مسكاً وكُسًى وقُطُفاً وطَنَافِس ، فأناخ ناقته فى يوم شمال وقُرّ على رَدْهة (٣) فى جبل رياح بن الأسك الغنوى ، ليس على الرَّدْهة غير بيته بالجبل ، فأنشأ شاس يغتسل بين الناقة والبيت

(١) المزلج الناقص المروءة (٢) اللحز الشحيح البخيل (٣) الردهة النقرة يجتمع فيه ماء السماء

فاستدبره رياح فأهوى له بسهم فبتر صلبه ، وحفر له حفراً فهدمه عليه، ونحر جمله وأكله وأدخل متاعه بيته، وفقد شاس وقص أثره ونشد، وركبوا الى الملك فسألوه عن حاله، فقال لهم الملك حبوته وسرحته، فقالوا ومامتعته به ؟ قال مسك وكسى ونطوع وقطف، فأقبلوا يقصون أثره ، فلم تتضح لهم سبيله، فمكثوا كذلك ماشاء الله ، حتى رأوا امرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من حباء الملك، فعرفوا وتيقنوا أن رياحاً ثأرهم فأتى زهير غنيا ، فقالوا نعم قتله رياح بن الأسك ونحن برآء منه وقد لحق بخاله من بنى الطماح ، فكان يكون الليل عنده ويظهر فى أبان اذا أحس الصبح يرمى الأروى ، فلما تبين لزهير أن رياحاً ثأره قال يرثى شاساً

بكيت لشاس حين خبرت أنه ... بماء غنى آخر الليل يسلب
لقد كان ماتاه الرداة لحتفه ... وما كان لولا غرة الليل يغلب
قتيل غنى ليس شكل كشكله ... كذاك لعمرى الحين للمرء يجلب
سأبكي عليه ان بكيت بعبرة ... وحق لشاس عبرة حين تسكب
وحزن عليه ما حبيت وعولة ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجب
اذا سيم ضيماً كان للضيم منكراً ... وكان لدى الهيجاء يخشى ويرهب
وان صوت الداعى الى الخير مرة ... أجاب لما يدعو له حين يكرب
ففرج عنه ثم كان وليه ... تقلبى عليه لو بدا القلب مذهب

ثم غزت بنو عبس غنيا قبل أن يطلبوا قودا أو دية مع أخى شاس الحصين ابن زهير والحصين بن أسيد بن زهير ، فقيل ذلك لغنى ، فقالت لرياح أنج لعلنا نصالح على شىء أو نرضيهم بدية وفداء ، فخرج رياح رديفاً لرجل من بنى كلاب، فبينا هما سائران اذا هما بالقوم أدنى ظلام ، وقد كانا يظنان أنهما قد خالفا وجهة القوم ، فقال صاحبه لرياح اذهب فانى آتى القوم أشاغلهم عنك وأحدثهم حتى تعجزهم ، ثم ماض ان تركونى، فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أدراجه وعدا أثر

الراحلة حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ، ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على سُرَّته والأخرى على صفنه[1] ثم شد عليهما العمامة ، ومضى صاحبه حتى لقى القوم فسألوه فحدثهم وقال هذه غنى كاملة وقد دنوت منهم ، فصدقوه وخلوا سربه ، فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا من هذا الذى كان خلفك ؟ فقال لا مكذبة ذلك رياح فى الأول من السمرات ، فقال الخصيان لمن معهما قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يريدا أن يشركهما فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما ، فلما رآهما رياح رمى الأول منهما فبتر صلبه وطعنه الآخر قبل أن يرميه وأراد السُرَّة فأصاب الربلة[2] ومرَّ الفرس يهوى به فاستدبره رياح بسهم فرشق به صلبه فانفقر منحنى الأوصال ، ونذَّ فرساهما فلحقتا بالقوم ، وانطلق رياح حتى ورد رَدْهة عليها بيت أنمار بن بغيض وفيه امرأة ولها ابنان قريبان منها وجمل لها راتع في الجبل وقد مات رياح عطشاً ، فلما رأته يستدمى طمعت فيه ورجت أن يأتيها ابناها ، فقالت استأسر ، فقال دعيني ويحك أشرب ، فأبت ، فأخذ حديدة فجذم بها رَواهشها[3] وعَبَّ فى الماء حتى نهل ، ثم توجه الى قومه فقال فيها وفي الحصينين

قالت لي استأسر لتكنفني حيناً ويعلو قولها قولي
ولأنت أجرأ من أسامة أو مني غداة وقفت للخيل
اذ الحصين لدى الحصين كما عدَلَ الزجازةُ[4] جانب الميل

مقتل زهير

كان زهير بن جذيمة سيداً لهوازن بن منصور فكانت لا تراه الارباً ، وهوازن يومئذ لاخير فيها ، وكان زهير يعزهم ، فكانت تأتيه بالإتاوة التى كانت له فى أعناقهم فيأتونه بالسمن والأقط والغنم فأتته عجوز رهش من بني نصر بن معاوية بن بكر

---

(١) الصفن وعاء الخصية (٢) الربلة أصول الافخاذ (٣) الرواهش عروق ظاهر الكف (٤) الزجازة شيء يكون مع المرأة فى هودجها فاذا مال أحد الجانبين وضعته فى الناحية الاخرى ليعتدل

ابن هوازن بسمن فى نحى ، واعتذرت اليه وشكت السنين التى تتابعن على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعَّها بقوس فى يده عُطُل (١) فى صدرها فاستلقت لحلاوة (٢) القفا فبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن وأصمدت عليه الى ما كان فى صدرها من الغيظ والدِّمَن (٣) وأوْحَرها من الحسد وتذمرات عامر بن صعصعة يومئذ ، فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو أقتل ، وفى ذلك يقول

أديرونى أداتَكُمُ فانى ... وحَذْفَةَ (٤) كالشَّجا تحت الوَريد
مُقَرَّبة أسـويها بخَزّ ... وأُلْحِفها ردائى فى الجليد
وأُوصى الراعِيَيْن ليُؤْثراها ... لها لبن الخلية والصَّعود (٥)
تراها فى الغزاة وهن شُعْث ... كقلب العاج فى الرُّسْغ الجديد
يبيت رِباطها بالليل كفى ... على عود الحشيش وغير عود
لعل الله يفردنى عليهـا ... جهاراً من زُهير أو أَسِيد
وقيس فى المعارك غادرته ... قَناتى فى فوارسَ كالأسود
ويَرْبوع بن غيظ يوم ساق ... تركناهم كجارية وئيد
تركت بها نساء بني عُصَيْم ... أرامل ما تَحِنّ الى وليد
يَلُذْن بحارث جزعاً عليه ... يقُلْن لحارث لولا تسود
ومني بالظويلم قارعات ... تَبيد المخزيات ولا تَبيد
وحَكَّت بَرْكها ببني جحاش ... وقد أجرَوْا اليها من بعيد
تركت ابني جَذِيمة فى مَكَرّ ... ونصراً قد تركت لها شهودى

انتقل زهير من قومه ببنيه وبني أخويه زِنْباع وأَسِيد بركبة يَرِيع الغيث فى عُشَراوات له ، وبنو عامر قريب منهم ولا يشعر بهم ، فمر بهم الحرث بن عمرو

(١) قوس عطل لا وتر عليها (٢) حلاوة القفا وسطه (٣) الدمنة الحقد القديم وجمعه دمن (٤) فرسه (٥) الناقة تخدج فتعطف على ولد عام أول

السُّلَمي أخو تُماضِر امرأة زهير ، فحلبوا له وَطْبا وأخذوا منه يميناً ألاّ يخبر عنهم ولا يُنْذِر بهم أحداً ، فخرج يطير حتى أتى عامراً عند ناديهم ، فأتى شجرة فألقى الوَطْب تحتها والقوم ينظرون ، ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ماطعمُه، فقال أهل المجلس هذا رجل مأخوذ عليه وهو يخبركم خبراً، فأتَوْه وذاقوا اللبن فاذا هو حاو لم يَقْرُص [١] بعد ، فقالوا انه ليخبرنا ان طالبنا قريب ، فركب معه ستة فوارس لينظروا ما الخبر ، وهم خالد بن جعفر بن كِلاب على حَذْفة ، وجَنْدَح بن البَكّاء ، ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس الهَرّار وهو الأَخْيل جدليلى الأَخيلية وهو يومئذ غلام عليه ذؤابتان وكان أصغر من ركب ، وثلاثة فوارس من سائر بني عامر ، فاقتفوا أثر السير ، حتى اذا رأوْا إبل بني جَذيمة نزلوا عن الخيل ، فقالت النساء انا لنرى خَرْجة من عِضاه [٢] أوغابة من رماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً ، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء ، وأخبرت راعية أَسيد ابن جذيمة أَسيدا بمثل ذلك ، فأتى أَسيد أخاه زهيرا فأخبره وقال انما رأت خيل بني عامر ورماحها، فقال زهير كل أَزَبّ [٣] نَفُور، فذهبت مثلا ، وآلى زهير لا يَبْرَح مكانه حتى يُصبح ، وتحمل من كان معه غير ابنيه وَرْقاء والحرث ، وكانت لزهير مظلة دَوْح يربط فيها أفراسه لاتريمه حذراً من الحوادث ، فلما أصبح صَهَلت فرس منها حين أحست بالخيل وهى القَعْساء ، فقال زهير ما لها ؟ فقال رَبيئته أحست بالخيل فصهلت اليهن ، فلم تؤذنهم بهم الا والخيل دوائس [٤] محاضير بالقوم غُدَيّة، فوثب زهير وكان شيخاً نبيلا فتدثر القَعْساء فرسه وهو يومئذ شيخ قد بَدَّن ، فتمردت القَعْساء به، وجعل خالد يقول لا نجوت ان نجا مُجَدَّع ، يعنى زهيرا ، فلما تَمَغَّطت [٥] القَعْساء بزهير ولم تتعلق بها حَذْفة قال خالد لمعاوية الأَخْيَل، وكان على الهَرّار، حِصان أعوج ، أدرك معاوي ، فأدرك زهيرا ، وجعل ابناه وَرْقاء والحرث يُوَطِّشان [٦] عنه فقال خالد

---

(١) لم يحمض (٢) العضاه كل شجر يعظم وله شوك (٣) كثير الشعر
(٤) دوائس يتبع بعضها بعضاً والمحضار الكثير الحضر وشديد والحضر بالضم ارتفاع الفرس فى عدوه (٥) تمغط الفرس جرى حتى لا يجد مزيداً فى جريه (٦) يدفعان

اطعن يا معاوية فى نَساها ، فطعن في احدى رجليها فانخذلت القَعْساء بعض الانخذال وهى فى ذلك تَمَغَّط ، فقال زهير اطعن الأُخرى ، يكيده بذلك لكى تستوى رجلاها فتحامل ، فناداه خالد يا معاوية أفذ طعنتك ، أى اطعن مكاناً واحداً ، فشعشع الرمح في رجليها فانخذلت ، ولحقه خالد على حَذْفة فجعل يده وراء عنق زهير ، فاستخف به عن الفرس حتى قلَبه ، وخرَّ خالد ، فوقع فوقه ورفع المِغْفَر عن رأس زهير وقال يالَعامر اقتلونا معاً ، ولحق جَنْدَح بن البَكَّاء وقد حسَر خالد المِغْفَر عن رأس زهير ، فقال نحّ رأسك يا أبا جزْء ، لم يجز يومك ، فنحى خالد رأسه وضرب جَنْدَح رأس زهير وضرب ورقاء رأس خالد بالسيف وعليه درعان ، وكان أسْجَر العينين أزَبَّ أقمر مثل الفالج ، فلم يُغْنِ شيئاً ، وأجْهَض ابنا زهير القوم عن زهير فانتزعاه مُرْتَثّاً [1] ، فنظرا فاذا الضربة قد بلغت الدماغ ، فمات لثالثة ، فقال وَرْقاء بن زهير

رأيت زهيراً تحت كَلْكَل خالد ... فأقبلت أسعى كالعَجُول أُبادر
الى بطلين ينهضان كلاهما ... يَرِيعان نصل السيف والسيف ناذر
فشلَّتْ يميني اذ ضربت ابن جعفر ... وأحرزه مني الحديد المظاهَرُ
وشلَّتْ يميني يوم أضرب خالداً ... وشلَّتْ بَنانَاها وشلَّ الخناصر
فيا ليتني من قبل أيام خالد ... ويوم زهير لم تلدنى تُماضر
لعمرى لقد بُشِّرْتِ بى اذ ولدتِنِي ... فماذا الذى ردت عليك البشائر

وقال خالد بن جعفر يَمُنُّ على هَوازن بقتله زهيراً

بل كيف تَكْفُرنى هَوازن بعدما ... أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهمُ زهيراً بعد ما ... جدَع الأُنوف وأكثر الأوزارا
وجعلت حَزْن بلادهم وجبالهم ... أرضاً فضاء سهلة وعِشارا
وجعلت مهر بناتهم ودماءهم ... عقل الملوك هجائنا أبكارا

---

(١) المرتث المحمول من المعركة جريحاً

وقال وَرْقاء بن زهير

أما كلاب فانا لا نسالمها حتى يسالم ذئب الثَّلَّة الراعى
بنو جَذِيمة حامَوْا حول سيدهم الا أسِيدَ أنجا اذ نَوَّب الداعى

الربيع بن زياد

وحرب داحس والغَبْرَاء

هو الربيع بن زياد بن عبد الله من عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، وأُمه فاطمة بنت الخُرْشُب عمرو بن النَّضْر بن حارثة من بَغيض ، وهى احدى المنجبات ، كان يقال لبنيها الكَمَلة ، وهم الربيع الكامل وعمارة الوهاب وأنس الفوارس وقيس البرد والحرث الحَرون ومالك لاحق وعمرو الدَّرَّاك ، رآها عبدالله ابن جُدْعان وهى تطوف بالكعبة فقال لها نَشَدْتك برب هذه البَنِيَّة أَىُّ بنيك أفضل ؟ قالت الربيع لا بل عمارة لا بل أنس ثَكِلتهم ان كنت أدرى أيهم أفضل ، وأُمها من المنجبات حبيبة بنت رِيَاح الغَنَوِية أُم الأَحوص وخالد ومالك وربيعة بني جعفر بن كلاب ، والثالثة ماوية بنت عبد مناة بن مالك وهى أُم لَقيط وحاجب وعلقمة بني زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارم

السبب فى حرب داحس والغبراء

زار الوَرْد العبسى حُذَيفة بن بدر فعرض عليه حذيفة خيله ، فقال ما أرى فيها جوَاداً مُبرًّا [1] ، فقال له حذيفة فعند مَن الجواد المُبرُّ ؟ فقال عند قيس بن زهير ، فقال له هل لك أن تراهننى عليه ؟ قال نعم ، قد فعلت ، فراهنه على ذكر من خيله وأنثى ، ثم ان العبسى أتى قيس بن زهير وقال انى قد راهنت حذيفة على فرسين من خيلك ذكر وأنثى وأوجبت الرهان ، فقال ما أبلى من راهنت غير حذيفة ، فقال ما راهنت غيره ، فقال له قيس انك ماعلمت لأَنْكَد ، ثم ركب قيس حتى أتى حذيفة فوقف عليه ، فقال له ماغدا بك ؟ قال غدوت لأُواضعك الرهان ، قال بل غدوت لتُغْلِقَه [2] ، قال

(١) المبر الفرس الكريم (٢) أغلق الرهن أوجبه وأكده

ما أردت ذلك ، فأبى حذيفة الا الرهان ، فقال قيس أخيرك ثلاث خلال ، فان بدأت فاخترت قبلى فلى خلتان ولك الأولى ، وان بدأتُ فاخترت قبلك فلك خلتان ولي الأولى ، قال حذيفة فابدأ ، قال قيس الغاية من مائة غَلْوة [١] قال حذيفة فالمِضْمار أربعون ليلة والمُجْرى من الإصاد ، ففعلا ووضع السبق على يدى غلاق أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ثعلبة ، فأما بنو عَبْس فزعموا انه أجرى تُرْزُلاً والحنفاء وأجرى قيس داحساً والغبراء ، وملؤا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخيل يَكْرَع فيها ، ثم ان حذيفة وقيساً أتيا المَدَى الذى أرسلن منه ينظران الى الخيل كيف خروجها منه ، فلما أرسلت عارضاها ، فقال حذيفة خدعتك يا قيس ، قال (ترك الخداعَ من أجرى من مائة) فأرسلها مثلا ، ثم ركضاساعة فجعلت خيل حذيفة تُبِر وخيل قيس تقصر ، فقال حذيفة سبقتك يا قيس ، فقال (جَرْى المُذْكيات غِلاَب) فأرسلها مثلا ، ثم ركضاساعة فقال حذيفة (انك لا تركض مركضاً) فأرسلها مثلا ، وقال سبقت خيلك يا قيس ، فقال قيس (رويداً يَعْلُون الجُدُد) فأرسلها مثلا ، وقد جعل بنو فَزارة كميناً بالثَّنِيَّةِ فاستقبلوا داحساً فعرفوه فأمسكوه وهو السابق ولم يعرفوا الغَبْراء وهى خلفه مُصَلِّية ، حتى مضت الخيل واستهلت من الثَّنِيَّة ثم أرسلوه فتمطَّر فى آثارها وجعل يَبْذر فرساً فرساً حتى سبقها الى الغاية مُصَلِّيا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية لسبقها ، فاستقبلها بنو فَزارة فلطموها ثم حلئوها عن البركة ثم لطموا داحساً وقد جاء متواليين ، فجاء قيس وحذيفة فى آخر الناس وقد دفعتهم بنو فَزارة عن سبقهم ولطموا أفراسهم ، ولم تطقهم بنو عبس يقاتلونهم ، وانما كان من شهد ذلك من بنى عبس أبياتاً غير كثيرة ، فقال قيس بن زهير يا قوم انه لا يأتى قوم الى قومهم شراً من الظلم فأعطونا حقنا ، فأبت بنو فَزارة ان يعطوهم شيئاً وكان الخطر عشرين من الابل ، فقالت بنو عبس أعطونا بعض سبقنا ، فأبوا ، فقالوا أعطونا جزوراً ننحرها نطعمها أهل الماء ، فانا نكره القالة فى العرب ، فقال رجل من بنى فَزارة مائة جزور

---

(١) الغلوة الرمية بالنشابة

وجزور واحد سواء والله ما كنا لنقر لكم بالسبق علينا ولم نسبق ، فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال ياقوم ان قيساً كان كارهاً لأول هذا الرهان وقد أحسن فى آخره وان الظلم لا ينتهى الا الى شر فأعطوه جزورا من نعمكم ، فأبوا ، فقام الى جزور من ابله فعقلها ليعطيها قيساً ويرضيه ، فقام ابنه فقال انك لكثير الخطأ أتريد أن تخالف قومك وتلحق بهم خزاية بما ليس عليهم ؟ فأطلق الغلام عقالها فلحقت بالنعم ، فلما رأى ذلك قيس احتمل عنهم هو ومن معه من بني عَبْس ، فأتى على ذلك ما شاء الله ، ثم ان قيساً أغار عليهم فلقى عوف بن بدر فقتله وأخذ ابله ، فبلغ ذلك بنى فزارة فهموا بالقتال وغضبوا ، فحمل الربيع بن زياد دية عوف بن بدر مائة عُشَراء مُتْلِية [1] واصطلح الناس فمكثوا ما شاء الله ، ثم ان مالك بن زهير أتى امرأة يقال لها مُلَيكة بنت حارثة من بنى عوذ بن فزارة فابتنى بها باللُّقاطة قريباً من الحاجر ، فبلغ ذلك حذيفة ، فدس له فرساناً على أفراس من مَسَانّ خيله وقال لهم لا تنتظروا مالكا ان وجدتموه أن تقتلوه ، والربيع بن زياد مجاور حذيفة ، وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر ، فانطلق القوم فلقوا مالكاً فقتلوه ثم انصرفوا عنه فجاؤا عشية وقد جهدوا أفراسهم ، فوقفوا على حذيفة ومعه الربيع فقال حذيفة أقدرتم على حماركم ؟ قالوا نعم وعقرناه ، فقال الربيع مارأيت كاليوم قط ، أأهلكت أفراسك من أجل حمار ؟ فقال حذيفة لما أكثر عليه من الملامة وهو يحسب أن الذى أصابوا حماراً انا لم نقتل حماراً ولكنا قتلنا مالك بن زهير بعوف بن بدر ، فقال الربيع بئس لعمر الله القتل قتلت ، أما والله انى لأظنه سيبلغ ما نكره ، فتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرقا ، فقام الربيع يَطَأ الارض وطأً شديداً ، وأخذ يومئذ حَمَلُ ابن بدر ذا النون سيف مالك بن زهير ، وأرسل حذيفة الى الربيع بمولدة له فقال لها اذهبى الى معاذة بنت بدر امرأة الربيع فانظرى ما ترين الربيع يصنع ، فانطلقت

(١) العشراء التى أتى عليها من حملها عشرة أشهر من ملقحها والمتالى التى تتبع بعضها والذى يتلوها فى النتاج

الجارية حتى دخلت البيت فاندست بين الكِفاء [١] والنَّضَد فجاء الربيع فنفذ البيت حتى أتى فرسه فقبض بمعرفته ثم مسح متنه حتى قبض بعُكْوَة [٢] ذنبه ثم رجع الى البيت ورمحه مركوز بفِنائه فهزه هزاً شديداً ثم ركزه كما كان ثم قال لامرأته اطرحي لي شيئاً ، فطرحت له شيئاً ، فاضطجع عليه ، وكانت قد طهرت تلك الليلة ، فدنت منه ، فقال اليك فقد حدث أمر ، ثم تغنى وقال

نام الخَلِيُّ ولم أُغمض حارِ ... من سيِّء النبأ الجليل السارى
مِنْ مِثْلِه تُمْسِي النساء حواسراً ... وتقوم مُعْوِلةً مع الأَسحار
من كان مسروراً بمقتل مالك ... فلِيأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يَنْدُبنه ... يبكين قبل تبلُّج الأَسحار
قد كُنَّ يَخْبأْنَ الوجوه تستراً ... فاليومَ حين بَدَوْن للنظار
يَخْمشن حُرّات الوجوه على امرئ ... سهل الخليقة طيب الأَخبار
أفبعد مقتل مالك بن زُهَيْرٍ ... ترجو النساء عواقب الأَطهار
ما إن أرى فى قتله لذوى الحِجا ... الا المطيّ تشد بالأَكوار
وُمجَنَّبات ما يذقن عَذُوفاً [٣] ... يقذفن بالمهرات والأَمهار
ومَساعراً صدأُ الحديد عليهمُ ... فكأنما طلى الوجوه بقار
يارُبَّ مسرور بمقتل مالك ... ولسوف نصرفه بشر مَحار

فرجعت المرأة فأخبرت حذيفة الخبر ، فقال هذا حين اجتمع أمر اخوتكم ووقعت الحرب ، وقال الربيع لحذيفة سيرنى فانى جاركم مسيرة ثلاث ليال ، ومع الربيع فَضْلة من خمر ، فلما سار الربيع دس حذيفة فى أثره فوارس ، فقال اتبعوه فاذا مضى ثلاث ليال فان معه فضلة من خمر ، فان وجدتموه قد أهراقها فهو جادّ

---

(١) الكفاء شقة فى آخر البيت والنضد متاع يحمل على حمار من خشب (٢) أصل
(٣) العذوف والعدوف واحدوهو ما أكلته

وقد مضى فانصرفوا ، وان لم تجدوه قد أراقها فاتبعوه فانكم تجدونه قد مال لأدنى منزل فرتع وشرب فاقتلوه ، فتبعوه فوجدوه قد مال لأدنى منزل وشق الزق ومضى ، فانصرفوا ، فلما أتى الربيع قومه وقد كان بينه وبين بنى زهير شحناء ، وذلك أن الربيع ساوم قيساً فى درع كانت عنده ، فلما نظر اليها وهو راكب وضعها بين يديه ثم ركض ومضى بها فلم يردها على قيس ، فعرض قيس لفاطمة بنت الخُرْشُب وهى تسير فى ظعائن من عَبْس فاقتاد جملها يريد أن يرتهنها بالدرع حتى يرد عليه ، فقالت ما رأيت كاليوم فعل رجل ، أيْ قَيْسُ ضَلَّ حلمك ، أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم فذهبت بها يميناً وشمالاً فقال الناس فى ذلك ما شاؤا ؛ وحسبك من شر سماعُه ، فأرسلها مثلا ، فعرف قيس ما قالت فخلى سبيلها وأطرد إبلا لبنى زياد فقدم بها مكة فباعها من عبدالله بن جُدْعان التَّيْمى وقال فى ذلك قيس

ألم يبلغك والأنباء تَسْمِى ... بما لاقت لَبون بنى زياد
ومحبسها على القرشى تُشْرَى ... بأدراع وأسياف حِداد
كما لاقيت من حَمَل بن بدر ... واخوته على ذات الإصاد
هم نخروا علىَّ بغير فخر ... وذادوا دون غايته جوادى
وكنت اذا مُنيت بخصم سَوْء ... دَلَفْتُ له بداهية نَآد (١)
بداهية تَدُق الصُّلب منه ... فتقصم أو تجوب على الفؤاد
وكنت اذا أتانى الدهرُ رِبْق (٢) ... بداهية شددت لها نِجادى
ألم تعلم بنو الميقاب أنى ... كريم غير منفلت الزناد (٣)
أُطَوِّف ما أطوف ثم آوى ... الى جار (٤) كجار أبى دُواد

---

(١) شديدة (٢) الربق ما يتقلده (٣) الميقاب التى تلد الحمق والمنفلت الذى ليس بمنقى (٤) جاره يعنى ربيعة الخير بن قرط بن سلم بن بشير وجار أبى دواد يقال له الحرث ابن هام بن مرة بن ذهل بن شيبان

وقال أيضاً

ان تك حرب فلم أجنها جنتها خيارهم أوهم
حذار الردى اذ رأوا خيلنا يقدمها سابح أدهم
عليه كمي وسرباله مضاعفة نسجها محكم
فان شمرت لك عن ساقها فوينها ربيع ولم يسأموا
نهبت ربيعا فلم يزدجر كما ازدجر الحرث الأضجم[1]

فكانت تلك الشحناء بين بني زياد وبني زهير، فكان قيس يخاف خذلانهم إياه، فدس غلاماً له مولداً فقال له انطلق كأنك تطلب إبلا فانهم سيسألونك فاذكر مقتل مالك ثم احفظ ما يقولون، فأتاهم العبد فسمع الربيع يتغني بقوله

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

فرجع العبد الى قيس فأخبره، فعرف قيس أنه قد غضب، فاجتمعت بنو عبس على قتال بني فزارة، فأرسلوا اليهم أن ردوا علينا إبلنا التي وديناها عوفاً، فقال حذيفة لا أعطيكم دية ابن أبي وانما قتل صاحبكم حمل بن بدر وهو ابن الأسدية وأنتم وهو أعلم، فمكث القوم ماشاء الله أن يمكثوا، ثم ان مالك بن بدر خرج يطلب إبلا فمرّ على بني رواحة فرماه جندب أحد بني رواحة بسهم فقتله، فقالت ابنة مالك ابن بدر في ذلك

ولله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يشربا قط قطرة وليتهما لم يرسلا لرهان
أحل به أمس الجنيدب نذره فأى قتيل كان في غطفان
اذا سجعت بالرقمتين حمامة أو الرس فابكي فارس الكتفان[2]

ثم ان الأسلع بن عبدالله بن ناشب مشى في الصلح ورهن بني ذبيان ثلاثة

---

(١) رجل من بني ضبيعة بن نزار وهو صاحب المرباع (٢) فرس كانت له

من بنيه وأربعة من بني أخيه حتى يصطلحوا ، جعلهم على يدى سُبَيع بن عمرو من بني ثعلبة بن زيد بن ذُبْيان ، فمات سبيع وهم عنده ، فلما حضرته الوفاة قال لابنه مالك ان عندك مكْرُمَة لا تَبيد ان أنت احتفظت بهؤلاء الأُغيلمة ، وكأنى بك لو قدمتُ أتاك حذيفة خالك فعصر عينيه وقال هلك سيدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم اليه فيقتلهم فلا شرف بعدها ، فان خفت ذلك فاذهب بهم الى قومهم ، فلما ثقل جعل حذيفة يبكي ويقول هلك سيدنا ، فوقع ذلك له فى قلب مالك ، فلما هلك سبيع أطاف بابنه مالك فأعظمه ، ثم قال له يا مالك انى خالك وانى أسنّ منك فادفع اليَّ هؤلاء الصبيان ليكونوا عندى الى أن ننظر في أمرنا ، ولم يزل به حتى دفعهم الى حذيفة باليَعْمَرية [١] فجعل كل يوم يُبرز غلاماً فينصبه غَرَضاً ويرمى بالنبل ثم يقول ناد أباك ، فينادي أباه حتى يمزقه النبل ، ويقول لواقد بن جُنْدَب نادِ أباك ، فجعل ينادى يا عماه خلافاً عليهم ويكره أن يأْبِس [٢] أباه بذلك ، وقال لابن جنيدب ابن عمرو بن عبد الأَسلع ناد جنيبة [٣] فجعل ينادى ياعمراه باسم أبيه حتى قتل ، وقتل عتبة بن قيس بن زهير ، ثم ان بني فَزارة اجتمعوا هم وبنو ثعلبة وبنو مرة فالتقوا هم وبنو عبس ، فقتلوا منهم مالك بن سُبيع بن عمرو الثعلبي وعبد العُزّى بن حُذار الثعلبي والحرث بن بدر الفَزارى وهَرِم بن ضَمْضَم المُرّى ، ولم يشهد ذلك اليوم حذيفة بن بدر ، فقالت ناجية أخت هرم

يا لهف نفسى لهفة المفجوع ... ألاّ أرى هَرِماً على مودوع [٤]

من أجل سيدنا ومَصْرَع جنبه ... علق الفؤاد بحنظل مجروع [٥]

ثم ان حذيفة جمع وتأهب واجتمع معه بنو ذُبْيان ، فبلغ بني عبس أنهم قد ساروا اليهم ، فأمرهم قيس فسرحوا السَّوَام والضعاف بليل وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ، ثم ارتحلوا فى الصبح وأصبحوا على ظهر العَقَبة وقد مضى سَوامُهم

---

(١) ماء بواد من بطن نخلة الشربة لبنى ثعلبة (٢) الأبس القهر والحمل على المكروه
(٣) لقب أبيه (٤) فرسه (٥) جرع الماء ابتلعه بمرة

وضعفاؤهم ، فلما أصبحوا طلعت عليهم الخيل من الثنايا ، فقال قيس خذوا غير طريق المال فانه لا حاجة للقوم أن يقعوا في شوكتكم ولا يريدون بكم فى أنفسكم شراً من ذهاب أموالكم ، فأخذوا غير طريق المال ، فلما أدرك حذيفة الأثر وراه قال أبعدهم الله وماخيرهم بعد ذهاب أموالهم ؟ فاتبع المال ، وسارت ظُعُن بني عبس والمقاتلة من ورائهم ، وتبع حذيفة و بنو ذُبْيان المال ، فلما أدركوه ردوا أوله على آخره ولم يُفْلت منهم شيء وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الابل فيذهب بها ، وتفرقوا واشتد الحر ، فقال قيس بن زهير يا قوم ان القوم قد فرق بينهم المغنم فاعطِفوا الخيل فى آثارهم فلم تشعر بنو ذُبْيان الا والخيل دوائس فلم يقاتلهم كبير أحد ، فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البَقِيَّة ، ولم يكن لهم هم غير حذيفة ، فأرسلوا خيلهم مجتهدين فى أثره وأرسلوا خيلاً تَقُصُّ الناس ويسألونهم ، حتى سقط خبر حذيفة من الجانب الايسر على شداد بن معاوية وخمسة معه ، وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه فوضع رجله على حجر مخافة أن يقتص أثره ، ثم شد الحزام فوقع صدر قدمه على الأرض فعرفوه وعرفوا حَنَف [1] فرسه فاتبعوه ومضى حتى استغاث بِجَفْر الهَبَاءة وقد اشتد الحر ، فرمى بنفسه ومعه حَمَل بن بدر ورجال آخرون وقد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم ووقعوا فى الماء وتمعكت [2] دوابهم ، وقد بعثوا رَبِيئة ، فجعل يطلع فنظر فاذا هو لم يَرَ شيئاً ، فنظر نظرة فقال انى رأيت شخصاً كالنَّعامة أو كالطائر فوق القَتَادة من قِبَل مجيئنا ، فقال حذيفة هُنَا وهُنَا هذا شداد على جَرْوة [3] فبينا هم يتكلمون اذا هم بشداد بن معاوية واقفاً عليهم ، فحال بينهم وبين الخيل ، ثم جاء من معه فأطردوها واقتحموا عليهم فى الجَفْر ، فقال حذيفة يا بني عبس فأين العقول والأحلام ؟ فضربه أخوه حَمَل بن بدر بين كتفيه ، وقال اتق مأثور القول بعد اليوم ، فأرسلها مثلا ، وقتل حذيفة وحَمَل قتله الحرث بن زهير وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير وقال فى ذلك

---

(١) الحنف فى الرجل أن تعوج الى الداخل (٢) تمرغت (٣) فرس شداد والمعنى دع ذكر شداد عن يمينك وعن شمالك واذكر غيره لما كان يخاف منه

تركت على الهَباءة[1] غير فخر حذيفة حوله قصدُ العوالي
سيخبرعنهم حَنَش بن عمرو اذا لاقاهمُ وابنا بلال
ويخبرهم مكانُ النون مني وما أُعطيته عرق الخلال[2]

فأجابه حنش بن عمرو أخو بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان

سيخبرك الحديث به خبير يجاهرك العداوة غير آلِ
بداءتها لقرواش بن عمرو وأنت يجول جَوْبك في الشمال[3]

وقال قيس بن زهير

تعلم ان خير الناس ميْت على جَفْر الهَباءة ما يريم
ولولا ظلمه ما زلت أبكي عليه الدهرَ ما طلع النجوم
ولكن الفتى حَمَل بن بدر بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دَلَّ عليَّ قومي وقد يستجهل الرجل الحليم
فلا تغْشَ المظالم لن تراه يمتع بالغنى الرجل الظلوم
ولا تعجل بأمرك واستدمه فما صلَّى[4] عصاك كمستديم
أُلاقي من رجال منكرات فأنكرها وما أنا بالغشوم
ولا يعتبك عن قرب بلاء اذا لم يُعْطك النَّصَفَ الخصوم
ومارست الرجال ومارسوني فمعوج عليَّ ومستقيم

وقال شداد بن معاوية

فمن يك سائلا عني فاني وجَرْوَةَ لا ترود ولا تُعار
مُقَرَّبة النَّساء ولا تراها أمام الحي يتبعها المهار

---

(١) الهباءة أرض ببلاد غطفان وفيها مستنقع هو جفرها (٢) العرق المكافأة والخلال المودة يقول لم يعطوني السيف عن مكافأة ولكني قتلت وأخذت (٣) الجوب الترس
(٤) يقول عليك بالتأني والرفق واياك والعجلة فان العجول لا يبرم أمراً أبداً كما ان الذي يثقف العود اذا لم يجد تصليته على النار لم يستقم له

لها فى الصيف آصرة (١) وجل وست (٢) من كرائمها غزار
ألا أبلغ بني العشراء عنى علانيـــة وما يغني السرار
قتلت سراتكم وحسلت (٣) منكم حسيلا مثل ما حسل الوبار

عروة بن الورد

هو عروة بن الورد بن زيد العبسى من قطيعة بن عبس ، شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد ، وكان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم اذا أخفقوا فى غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مغزى ، وقيل بل لقب بذلك لقوله

لحا الله صعلوكاً اذا جن ليله مصافى المشاش آلفاً كل مجزر
يعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشـــاء ثم يصبح ناعساً يحت الحصى عن جنبه المتعفر
يعين نساء الحى ما يستعينه ويمسى طليحاً كالبعير المحسر
ولكن صعلوكاً صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح (٤) المشهر
اذا بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوق أهل الغائب المتنظر
فذلك ان يلق المنيـــة يلقها حميداً وان يستغن يوماً فأجدر

قال معاوية لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج اليهم ، وقال عبد الملك ابن مروان ما يسرنى أن أحداً من العرب لم يلدنى ولدنى الا عروة بن الورد لقوله

---

(١) حشيش (٢) أى ست أينق تسقى لبنها (٣) حسالة الناس السفلة يقول قتلت سراتكم وجعلتكم بعدهم حسالة كما خلقت الوبار حسالة . وكان ذلك اليوم يوم حساء
(٤) المنيح قدح من قداح الميسر لا نصيب له

وانى امرؤ عافى انائى شركة ... وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى ... بجسمى شحوب الحق والحق جاهد
أقرق جسمى فى جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد

وقال عمر بن الخطاب للحطيئة كيف كنتم فى حربكم ؟ قال كنا ألف حازم ، قال وكيف ؟ قال كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه ، وكنا نقدم اقدام عنترة ، ونأتم بشعر عروة بن الورد ، وننقاد لأمر الربيع بن زياد

أصاب عروة فى بعض غزواته امرأة من كنانة يقال لها سلمى ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فمكثت عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً وهو لا يشك فى أنها أرغب الناس فيه ، وهى تقول له لو حججت بى فأمر على أهلى وأراهم ، فحج بها فأتى مكة ، ثم أتى المدينة فلقى قومها عند بنى النضير ، فقالت لهم سلمى انه خارج بى قبل أن يخرج الشهر الحرام فتعالوا اليه وأخبروه أنكم تستحيون من أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحة سبية ، وافتدونى منه فانه لا يرى أنى أفارقه ولا أختار عليه أحداً ، فأتوه فسقوه الشراب ، فلما ثمل قالوا له فادنا بصاحبتنا فانها وسيطة النسب فينا معروفة ، وان علينا سبة أن تكون سبية ، فاذا صارت الينا وأردت معاودتها فاخطبها الينا ، فقال لهم ذلك لكم ولكن لى الشرط فيها أن تخيروها فان اختارتنى انطلقت معى الى ولدها وان اختارتكم انطلقتم بها ، قالوا ذلك لك ، فلما خيروها اختارت أهلها ، ثم أقبلت عليه فقالت « يا عروة أما انى أقول فيك وان فارقتك الحق ، والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك وأغض طرفاً وأقل فحشاً وأجود يداً وأحمى لحقيقة ، وما مر على يوم منذ كنت عندك الا والموت احب إلى من الحياة بين قومك ، لأنى لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول قالت أمة عروة كذا الا سمعته ، والله لا أنظر فى وجه غطفانية أبداً ، فارجع راشداً الى ولدك وأحسن اليهم ، فقال عروة فى ذلك

أرقت وصحبتي بمضيق عَمْق ... لبرق من تِهامة مستطير
سقى سَلْمى وأين ديارُ سلمى ... اذا حلت مجاورة السَّرير (١)
اذا حلت بأرض بني علىّ ... وأهلى بين إمَّرة وكير (٢)
ذكرت منازلا من أم وهب ... محل الحى أسفل ذى النَّقير
وأحدث معهد من أم وهب ... معرَّسُنا فويق بني النضير
وقالوا ما تشاء فقلت ألهو ... الى الاصباح آثر ذى أثير
بآنسة الحديث رُضاب فيها ... بعيد النوم كالعنب العصير

وفى رواية أنها قالت فى وصفه « والله ما علمت انك لضحوك مقبلا كسوب مدبرا، خفيف على متن الفراش ثقيل على ظهر العدو، طويل العماد كثير الرماد راضى الأهل والجانب فاستوص ببنيك خيراً » ، وكان عروة اذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا فى دارهم المريض والكبير والضعيف وكان عروة يجمع أشباه هؤلاء من دون عشيرته ثم يحفر لهم الأسراب ويكنف عليهم الكُنُف ويكسبهم ، ومن قوى منهم اما مريض يبرأ من مرضه أو ضعيف تثوب قوته خرج به معه ، فأغار وجعل لأصحابه الباقين فى ذلك نصيباً ، حتى اذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة ألحق كل انسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمة ان كانوا غنموها ، فربما أتى الانسان منهم أهله وقد استغنى فقال فى بعض السنين وقد ضاقت حاله

لعل ارتيادى فى البلاد و بغيتى ... وشدِّى حيازيم المطية بالرَّحل
سيدفعنى يوماً الى رب هَجْمة ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

فزعموا أن الله قيض له رجلا صاحب مائة من الابل قد فرّ بها من حقوق قومه وذلك أول ما ألبن الناس ، فقتله وأخذ إبله وامرأته وكانت من أحسن النساء ، فأتى بالابل أصحاب الكَنيف فحلبها لهم وحملهم عليها ، حتى اذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم ، فقالوا لا واللات والعزّى لا نرضى

(١) السرير موضع فى بلاد بنى كنانة (٢) جبل ببلاد غطفان وامرة فى بلاد بنى أسد

حتى تجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها ، فجعل يَهُمّ بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الابل منهم ، ثم يذكر أنهم صنيعته وانه ان فعل ذلك أفسد ما كان يصنع ، فأفكر طويلا ثم أجابهم الى أن يرد عليهم الابل الا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله ، فأبَوْا ذلك عليه ، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه ، فقال عروة فى ذلك قصيدته التى أولها

ألا ان أصحاب الكنيف وجدتهم ... كما الناس لما أمزَعوا وتموَّلوا

وانى لمدفوع اليَّ ولاؤهم ... بماوان اذ نمشى واذ نتململ

وانى واياهم كذى الأم أرهنت ... له ماء عينيها تُقَدَّى وتحمل

فباتت لحد المِرْفقين كليهما ... تُوَخوِخ مما نالها وتولول

تخير من أمرين ليسا بغبطة ... هو الثُّكْل الا أنها قد تَحَمَّل

سبى عروة امرأة من بني هلال بن عامر اسمها ليلى بنت شَعْوَاء ، فمكثت عنده زماناً وهى مُعْجَبَة به تريه انها تحبه ، ثم استزارته أهلها ، فحملها حتى أتاهم بها ، فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه وتوعده قومها بالقتل ، فانصرف عنهم وأقبل عليها ، فقال لها يا ليلى خبرى صواحبك عني كيف أنا ، فقالت ما أرى لك عقلا ، أترانى قد اخترت عليك وتقول خبري عنى ؟ فقال فى ذلك

تحن الى ليلى بحرّ بلادها ... وأنت عليها بالملا كنت أقدرا

وكيف ترجيها وقد حيل دونها ... وقد جاوزت حياً بتَيْماء منكرا

لعلك يوماً أن تُسِرّى ندامة ... علىَّ بما جشمتنى يوم غَضْوَرا

وهى طويلة ثم إن بنى عامر أخذوا امرأة من بنى عبس يقال لها أسماء ، فما لبثت عندهم الا يوماً حتى استنقذها قومها فبلغ عروة أن عامر بن الطفيل فخر بذلك وذكر أخذه اياها ، فقال عروة يعيرهم بأخذه ليلى

فان تأخذوا أسماء موقف ساعة ... فأخذ ليلى وهى عذراء أعجب

لبسنا زماناً حسنها وشبابها وردت الى شعواء والرأس أشيب
كأخذنا حسناء كرهاً ودمعها غداة اللوى مغصوبة يتصبب

أراد غزوة فنهته امرأته لما تخوفت عليه من الهلاك ، فقال فى ذلك

أرى أم حسان الغداة تلومنى تخوفنى الأعداء والنفس أخوف
تقول سليمى لو أقمت لسرنا ولم تدر انى للمقام أطوف
لعل الذى خوفتنا من أمامنا يصادفه فى أهله المتخوّف

وهى طويلة وقال في ذلك أيضاً

أليس ورائى أن أدبَّ على العصا فيشمت أعدائى ويأمنى أهلى
رهينة قعر البيت كل عشية يطيف بى الولدان أهدج كالرأل[1]
أقيموا بنى لبنى صدور ركابكم فكل منايا النفس خير من الهزل
فانكم لن تبلغوا كل همتى ولا إربتى حتى تروا منبت الأثل

عنترة

هو عنترة بن شداد بن عمرو العبسى، أمه أمة اسمها زبيبة، وكان شداد نفاه مرة ثم اعترف به فألحقه بنسبه ، وكانت العرب تفعل ذلك ، تستعبد بنى الاماء فان أنجب اعترف به والا بقى عبدا ، وكانت سُمَيَّة زوج أبيه تحرّش عليه أباه حتى أغضبته عليه فضربه ضربا مُبرِّحا وضربه بالسيف فحالت سُمَيَّة بينه وبين عنترة ، وفى ذلك يقول

أمن سُمَيَّة دمعُ العين مذروف لو أن ذا فيك قبل اليوم معروف
كأنها يوم صدّت ما تكلمنى ظبى بعُسفان ساجى العين مطروف
تجلتنى اذ أهوى العصا قِبَلى كأنها صنم يُعتاد معكوف
العبد عبدكم والمال مالكم فهل عذابك عنى اليوم مصروف
تنسى بلائى اذا ما غارة لحقت تخرج منها الطُّوالات[2] السَّراعيف[3]

---

(١) الرأل ولد النعام وهدج مشى فى ارتعاش (٢) الخيل (٣) السراع

يخرجن منها وقد بُلَّت رحائلها [1] بالماء يقدُمها الشَّمّ الغطاريف
قد أطعن الطعنة النجلاء عن عُرُض تصفر كف أخيها وهو منزوف

وكان سبب ادعاء أبي عنترة اياه ان بعض أحياء العرب أغاروا على بني عَبْس فأصابوا منهم واستاقوا إبلا ، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنترة يومئذ فيهم ، فقال له أبوه كُرّ يا عنترة ، فقال عنترة العبد لايحسن الكَرّ انما يحسن الحِلاب والصَّر ، فقال كر وأنت حر ، فكر وهو يقول

أنا الهجين عنترة كل امرئ يَحْمى حرِه أسوده وأحمره والشَّعرات المنفذات مَشْفَره وقاتل يومئذ قتالا حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحقه بنسبه ، وهو أحد أغربة العرب الثلاثة والثانى خُفاف بن عمير وأمه نَدْبة والثالث السُّلَيك بن عمير وأمه السُّلَكة

غزت بنو عبس بنى تميم وعليهم قيس بن زُهَير ، فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترة وحامى عن الناس فلم يُصب مدبراً ، فقال قيس ابن زُهير والله ماحمى الناس الا ابن السوداء ، وكان قيس أكولا ، فقال عنترة يعرض به قصيدته التى يقول فيها

بَكَرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن عُرُض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل لا بد أن أُسقَى بكأس المَنْهل
فاقْنَىْ [2] حياءك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموت ان لم أقتل
ان المنية لو تُمَثَّل مثلت مثلى اذا نزلوا بضَنْك المنزل
انى امرؤ من خير عبس منصبا شَطْرى وأحمى سائرى [3] بالمُنْصُل
واذا الكتيبة أجحمت وتلاحمت ألْفيت خيراً من مُعِمّ مُخَوَّل
والخيل تعلم والفوارس أننى فرقت جمعهم بضربة فيْصل
اذ لا أبادر فى المضيق فوارسى ولا أُوَكَّل بالرَّعيل [4] الأول
ان يلحقوا أكْرُر وأن يستلحموا أشْدُدْ وان يُلْفَوْا بضَنْك أنزل

(١) السروج (٢) احفظيه ولاتضيعيه (٣) يريد شطره الثانى والمنصل السيف
(٤) الرعيل القطعة من كل شيء

حين النزولُ يكون غايةَ مثلنا ويفرُّ كل مضلَّل مستوهل
والخيل ساهمة الوجوه كأنها تُسْقى فوارسها نقيعَ الحنظل
ولقد أبيت على الطَّوَى وأظلُّه حتى أنالَ به كريم المأكل

وأنشدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البيت الأخير فقال ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه الا عنترة، وقيل لعنترة أأنت أشجع العرب وأشدها؟ قال لا، قيل فبما ذا شاع لك هذا في الناس؟ قال كنت أُقدم اذا رأيت الاقدام عزماً، وأُحجم اذا رأيت الاحجام حزماً، ولا أدخل موضعاً لا أرى لي منه مخرجاً، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله رماه وزر بن جابر النبهاني وهو عائد من غزو بني نبهان من طيء فقال وهو مجروح

وان ابن سلمى عنده فاعلموا دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي
اذا ما تمشى بين أجبال طيء مكان الثُّرَيَّا ليس بالمتهضم
رماني ولم يَدْهَش بأزرق لَهْذَم عشية حلوا بين نَعْف ومَخْرَم

الحطيئة

هو جَرْوَل بن أوس بن مالك العبسى يكني أبا مُلَيْكة

من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصحائهم، متصرف فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد فى ذلك أجمع، وكان ذا شر وسَفَه، ونسبه متدافع بين قبائل العرب، وكان ينتمى الى كل واحدة منها اذا غضب على الآخرين، وهو مُخَضرم أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم ثم ارتد وقال فى ذلك

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا فيا لَعِباد الله ما لأبى بكر
أيورثها بكرا اذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وكان الحطيئة ينتمى الى بنى ذُهْل بن ثعلبة فقال

ان اليمامة خير سـا كنها أهل القُرَيَّة من بني ذُهْل
الضامنون لمال جارهم حتى يتم نواهض البقل
قوم اذا انتسبوا ففرعهمُ فرعى وأثبت أصلهم أصلى

والقُرَيَّة منازلهم ، ولم يثبت الحطيئة في هؤلاء ، فكان اذا غضب على بنى عَبْس يقول أنا من بنى ذُهْل واذا غضب على بنى ذُهْل يقول أنا من بني عَبْس ، قال ابن الكلبي كان الحطيئة مغموز النسب ، وقال الأصمعيّ كان الحطيئة يضرب بنسبه الى بكر بن وائل فقال فى ذلك

قومى بنو عوف بن عمـــرو ان أراد العلم عالم
قوم اذا ذهبت خضا رم منهمُ خلفت خضارم
لا يَفْشَلُون ولا تبيـــت على أُتوفهمُ المخاطم

وقدم الكوفة فنزل فى بني عوف بن عامر بن ذهل يسألهم ، وكان يزعم أنه منهم فقال

سيرى أُمَامَ فان المال يجمعه سَيْب الاله وإقبالى وإدبارى
الى معاشر منهم يا أُمَامَ أبى من آل عوف بن بدر غير أسرار
نمشى الى ضوء إحسان أضاء لنا ماضَوَّأت ليلة القَمْرَاء للسارى

وقال الأصمعى كان الحطيئة جَشِعاً سئولا مُلْحفاً دنئ النفس كثير الشر قليل الخير بخيلا قبيح المنظر رَثّ الهيئة مغموز النسب فاسد الدين ، وما تشاء أن تقول فى شعر شاعر من عيب الا وجدته وقلما تجد ذلك فى شعره ، وقال أبو عبيدة كان الحطيئة بذيئاً هَجاء ، فالتمس ذات يوم انساناً يهجوه فلم يجد وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول

أبت شفتاى اليوم الا تـكلما بشرٍّ فما أدرى لمن أنا قائله

وجعل يُدَهْور هذا البيت فى أشـداقه ولا يرى انساناً اذ اطّلع في رَكِيّ أو حوض فرأى وجهه فقال

أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

وقدم المدينة ذات مرة ، فأرصدت قريش له العطايا خوفاً من شره ، فقام في المسجد فصاح من يحملني على بغلين ، وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير ، فأتى كعب بن زهير وقال له قد علمت روايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي اليكم ، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك فان الناس لأشعاركم أرْوَى ، فقال كعب

فمن للقوافي شأنها من يحوكها اذا ماثوى كعب وفوَّز (١) جَرْوَل
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تَنَحَّلَ منها مثل ما تنتحل
نقول فلا نَعْيا بشيء نقوله ومن قائليها من يسيء ويجمل
نُثَقِّفُها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثَّل

أنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قصيدة نال فيها من قومه ومدح ابله فقال

مهاريس يُرْوى رِسْلُها (٢) ضيفَ أهلها اذا الريح أبدت أوجه الخَفِرات
يزيل القتادَ جَذْبُها بأصوله اذا أصبحت مقْوَرَّة خرصات (٣)

أنشد اسحاق الموصلي قول الحطيئة

وفتيانِ صدق من عَدِيّ عليهمُ صفائح بُصْرَى علقت بالعواتق
اذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهمُ ولم يُمْسكوا فوق القلوب الخوافق
وطاروا الى الجُرْد العِتاق فألْجَموا وشدوا على أوساطهم بالمناطق
أولئك آباء الغريب وغايةُ الصَّـــــريخ ومأوى المُرْمِلين الدرادق (٥)
أحلوا حياض المجد فوق جباههم مكان النواصي من وجوه السوابق

---

(١) مات (٢) الرسل اللبن ما كان والمهاريس التي تقضم العيدان اذا قل الكلأ وأجدبت البلاد (٣) المقورة المهازيل والسمان ضد والخرص الجائع المقرور (٥) الصغار

ثم قال أما انى ما أزعم أن أحداً بعد زهير أشعر من الحطيئة ، قال عبد الرحمن ابن أبى بَكْرة لقيت الحُطَيْئة بذات عِرْق فقلت له يا أبا مُلَيكة من أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحية وقال هذا إذا طمع ، وقال الأصمعى وقد أنشد شيئاً من شعر الحطيئة أفسد مثل هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع ، وقال لم ينزل ضيف قط بالحطيئة الا هجاه ، فنزل به صخر بن أعيا الأسدى فسقاه شربة من لبن فلما شربها قال

لما رأيت أنَّ ما يبتغى القِرَى ... وان ابن أعْيا لا محالة فاضحى
شددت حيازيم ابن أعْيا بشربة ... على ظمأ سدَّت أصول الجوانح
ولم أك مثل الكاهلى وعِرْسه ... بغى الودّ من مطروفة العين طامح
غدا باغياً يبغى رضاها وودها ... وغابت له غيب امرئ غير ناصح
دعت ربَّها الاّ يزال بفاقة ... ولا يفتدى الا رأى حدّ بارح (١)

قال أبو عبيدة وهجا أيضاً رجلا من أضيافه فقال

وسلم مرتين فقلت مهلا ... كفتك المرةُ الأولى السلاما
ونفق بطنه ودعا رؤاسا ... لما قد نال من شبع وناما

قال أبو عمرو بن العلاء لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من قول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العُرْف بين الله والناس

لما حضرت عبيد الله بن شداد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال يا بني أرى داعى الموت لا يُقْلع وبحق أن من مضى لا يرجع ومن بقى فاليه ينزع ، يا بني لِيَكُن أولى الأمور بك تقوى الله في السر والعلانية والشكر لله وصدق الحديث والنية فان للشكر مزيداً والتقوى خير زاد كما قال الحطيئة

---

(١) البارح الشؤم والنكد

ولست أرى السعادة جمعَ مال ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد
وما لا بُدَّ أن يأتى قريب ولكن الذى يمضى بعيد

سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس له فجئا على ركبتيه وقال انه لبَحْر، قال عمر كذب الحطيئة حيث يقول

وان جياد الخيل لا تستفزنا ولا جاعلات الرَّيط فوق المعاصم

لو ترك هذا أحد لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن شُبْرُمة أنا والله أعلم بجيد الشعر لقد أحسن الحطيئة حيث يقول

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا وان عاهدوا أوفَوْا وان عقدوا شدوا
وان كانت النعماء فيهم جَزَوْا بها وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جُلّ حادث من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
مطاعين فى الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم وبنى الجد

وأول هذه القصيدة

ألا طرقتنا بعد ما هجعت هند وقد جُزْن غَوْرا واستبان لنا نجد
وان التى نكبتها عن معاشر علىّ غضاب أنْ صَدَدت كما صدوا
أنت آل شمّاس بن لأى وانما أتاهم بها الاحلام والحسب العِدّ
فان الشقى من تعادى صدورهم وذو الجِدّ من لانوا اليه ومن ودوا
يسوسون احلاماً بعيداً أناتُها فان غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

ويلى ذلك الابيات التى أنشدها ابن شُبْرُمة وبعدها

فمن مبلغ أبناء سعد فقد سعى الى السورة العليا لهم حازم جَلْد
رأى مجد أقوام أضيع فخمهم على مجدهم لما رأى انه الجهد
وتعذلنى أفناء سعد عليهم وما قلت الا بالذى علمت سعد

نزل الحطيئة ببني مقلّد بن يربوع فحمد جوارهم ولما ارتحل عنهم قال فيهم

جاورت آل مُقَلِّد فحمدتهم اذ ليس كل أخي جوار يحمد
ايام من يرد الصنيعة يصطنع فينا ومن يرد الزهادة يزهد

انطلق الزِّبْرِقان بن بدر التميمي الى ابي بكر ليؤدي صدقات قومه فلقيه الحُطَيئة وهو ذاهب الى العراق عله يصادف رجلا يكفيه مؤنة عياله ويُصفيه مدحه أبداً، فعرض عليه الزِّبْرِقان ان يكون جاره ويوسعه لبناً وتمراً ويجاوره أحسن جوار واكرمه، فرضي بذلك الحطيئة وأمره الزِّبرقان ان يأتي منزله وكتب الى زوجته أن أحسني اليه واكثري له من التمر واللبن، فذهب الحُطَيئة اليها فأكرمته واحسنت اليه، وبلغ ذلك بَغيض بن عامر بن شَمّاس بن لأي القُريعي التميمي وكان هو واخوته ينازعون الزِّبرقان الشرف وكانوا أشرف من الزِّبرقان الا انه كان قد استعلاهم بنفسه، فارسلوا الى الحُطَيئة وطلبوا منه ان يكون نزيلهم فأبى عليهم وما زالوا به حتى بغضوا اليه جوار الزِّبرقان، فتحول اليهم فضربوا له قبة ربطوا بكل طُنُب من أطنابها حُلّة هَجَرية واراحوا عليه ابلهم واكثروا له من التمر واللبن وأعطوه لِقاحاً وكسوة، فلما قدم الزِّبرقان سأل عنه فأخبر بقصته فنادى في بني بَهْدلة بن عوف وركب فرسه وأخذ رمحه وسار حتى وقف على نادي بني شَمّاس القريعيين فقال ردوا على جاري، فأبَوْا وخيروه فاختار آل شَمّاس، فقال له الزبرقان يا أبا مُليكة افارقت جواري عن سخط وذم؟ قال لا، فانصرف وتركه وجعل يمدح آل شماس من غير ان يهجو الزِّبرقان وهم يحضونه على ذلك ويحرضونه فيأبى ويقول لا ذنب للرجل عندي، حتى ارسل الزبرقان الى رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار بن شيبان فهجا بغيضا، فحينئذ قال الحُطَيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض قصيدته التي يقول فيها

والله ما معشر لاموا امرأ جُنُبا في آل لأي بن شَمّاس بأكياس
ما كان ذنب بَغيض لا أبا لكم في بائس جاء يَحْدو آخر الناس

لقد مَرَيتكم لو أن دِرَّتكم ... يوماً يجئ بها مسحى وإبسامى
وقد مدحتكم عمدا لأُرشدكم ... كيما يكون لكم مَتْحى وأمراسى
لما بدا لىَ منكم غَيْب انقسكم ... ولم يكن لجراحى فيكم آسى
أزمعت يأساً مبينا من نوالكم ... ولن يرى طاردا للحر كالياس
جار لقوم اطالوا هَوْن منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قِراه وهرَّته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسى
سيرى أُمامُ فان الأكثرين حصًى ... والأكرمين أبا من آل شماس
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس
ما كان ذنبى ان فَلَّت معاولكم ... من آل لأى صَفَاةً أصلها راس
قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم ... مجداً تليداً ونبلا غير أنكاس

فاستعدى عليه الزِّبرقان عمر بن الخطاب فحبسه عمر فقال فى حبسه

أعوذ بجدك انى امرؤ ... سقتنى الأعادى اليك السِّجالا
فانك خير من الزِّبرقان ... اشد نكالا وأرجى نوالا
تَحَنَّن على هداك المليك ... فان لكل مقام مقالا
ولا تأخُذَنِّي بقول الوشاة ... فان لكل زمان رجالا
فان كان ما زعموا صادقاً ... فسيقت اليك نسائى رجالا
حواسر لا يشتكين الوجى ... يُخَفِّضن آلا ويرفعن آلا

فلم يلتفت اليه عمر ثم قال

ماذا تقول لا فراخ بذى مَرَخ ... زُغْب الحواصل لا ماء ولاشجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مُظْلمة ... فاغفر عليك سلامُ الله ياعمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه ... ألقى اليك مقاليدَ النُّهَى البشر

لم يُؤثروك بها اذ قدموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فامنُنْ على صبية بالرَّمل مسكنهم ... بين الأباطح تغشاهم بها القِرَرُ (١)
أهلى فداؤك كم بينى وبينهم ... من عرض دَاوِيَّة يَعْمَى بها الخبر

فبكي عمر وعفا عنه بعد أن أخذ عليه العهد ألا يعود ، وأراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه اعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم فقال الحطيئة

وأخذت أطراف الكلام فلم تَدَعْ ... شتما يضر ولا مديحا ينفع
وحميتني عرض اللئيم فلم يَخَفْ ... ذمى وأصبح آمنا لا يفزع

ومما قاله الحطيئة فى مديح آل لأى بعد ان رحل عنهم

لا يبعد الله اذ ودعت أرضهم ... أخى بغيضا ولكن غيره بعدا
لا يبعدالله من يعطى الجزيل ومن ... يَحْبو الجليل وماأكْدَى ولانكدا
ومن يلاقيه بالمعروف مبتهجا ... اذا اجْرَهَدَّ صفا المذموم أوصلدا
لاقيته ثلجا تَنْدَى أنامله ... أن يعطك اليوم لا يمنعنك غدا
انى لرافده ودى ومنصرتى ... وحافظ غيبه ان غاب أو شهدا

ومما يغني فيه من مدائحه بغيضاً

وادماء حُرْجوج (٢) تعالت موهنا ... بسوطى فارْمَدَّت (٣) نجاء الخفَيْدَد (٤)
اذا آنست وقعاً من السوط عارضت ... به الجوز حتى تستقيم ضحى الغد
وتشرب بالقَعْب الصغير وان تُقَدْ ... بِمشفرها يوما الى الحوض تنقد

ومنها

وآثرت ادلاجى على ليل حرة ... هضيم الحشى حَسَّانة المتجرَّد
تفرق بالمِـــذرَى أثيثا كأنه ... على واضح الذِّفرى أسيل المقلد

---

(١) القرة ماأصاب الانسان وغيره من البرد (٢) الحرجوج الناقة الطويلة على وجه الارض
(٣) ارمدت عدت عدو الرمد أى النعام (٤) الخفيف من الظلمان

ومنها

متى تأته تعشو الى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

ومن ذلك قوله

ما كان ذنب بغيض لا أبالكم ... في بائس جاء يحدو أينقا شزبا

طافت أمامة بالركبان آونة ... يا حسنها من خيال زار منتقبا

اذ تستبيك بمصقول عوارضه ... خمش اللثات ترى في مائه شنبا

قد اخلفت عهدها من بعد جدته ... وكذبت حب ملهوف وما كذبا

ومنها

جزى الله خيراً والجزاء بكفه ... بأحسن مايجزى الرجال بغيضا

فلو شاء اذ جئناه صد فلم يلم ... وصادف منأى في البلاد عريضا

وممن مدحه الحطيئة سعيد بن العاص فما قال فيه

أمن رسم دار مربع ومصيف ... لعينيك من ماء الشؤون وكيف

اليك سعيدَ الخير جبت مهامها ... يقابلني آل بها وتنوف (١)

ولولا أصيل اللب غضّ شبابه ... كريم لأيام المنون عروف

اذا هم بالأعداء لم يثن همه ... كعاب عليها لؤلؤ وشنوف (٢)

حصان لها في البيت زى وبهجة ... ومشى كما تمشى القطاة (٣) قطوف

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه ... حجاب ومطوى (٤) السراة منيف

كان سعيد بن العاص في المدينة زمن معاوية وكان يعشى الناس فاذا فرغ من العشاء قال الآذن أجيزوا الا من كان من أهل سمره، فدخل الحطيئة فتعشى مع الناس ثم أقبل فقال الآذن أجيزوا حتى انتهى الى الحطيئة فقال أجز، فأبى، فأعاد عليه فأبى، فلما رأى سعيد إباءه قال دعه وأخذ في الشعر والحطيئة مطرق

---

(١) التنوفة المفازة وجمعه تنوف (٢) الشنف القرط وجمعه شنوف (٣) القطوف المتقارب الخطو البطىء (٤) أى محكم أعلاه

لا ينطق ، فقال الحطيئة والله ماأصبتم جيد الشعر ولا شاعر الشعراء ، قال سعيد من أشعر العرب ؟ قال الذي يقول

لا أعد الاقتار عُدْما ولكن ... فقدُ من قد رزئنه الاعدام
من رجال من الأقارب بانوا ... من جُذامٍ هم الرؤس الكرام
سُلِّط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام
وكذاكم سبيل كل أناس ... سوف حقاً تُبْليهم الايام

قال ويحك من يقول هذا الشعر ؟ قال أبو دواد الإيادي قال أو ترويه ؟ قال نعم ، قال فأنشدنيه ، فأنشده الشعر كله ، قال ومن الثانى ؟ قال الذى يقول

أفلح بما شئت فقد يُبْـــلَغ بالضعف وقد يُخْدَع الأريب

قال ومن يقول هذا ؟ قال عَبِيد ، قال أو ترويه ؟ قال نعم ، قال فانشدنيه ، فأنشده ، ثم قال له ثم من ؟ قال والله لحسبك بى عند رغبة أو رهبة اذا وضعت احدى رجلى على الأخرى ثم رفعت عَقِيرتى بالشعر ثم عويت على أثر القوافى عُواء الفَصِيل الصادر عن الماء ، قال ومن أنت ؟ قال الحطيئة ، قال ويحك قد علمت تشوقنا الى مجلسك وأنت تمكتمنا نفسك منذ الليلة ، قال نعم لمكان هذين الكلبيين عندك ، وكان عنده كعب بن جُعَيْل وأخوه وكان عنده سويد بن مشنوء الهندى حليف بني عدى بن جَناب الكلبيين فأنشده الحطيئة قوله

ألست بجاعلى كابني جُعَيْل ... هداك الله أو كابني جَناب
أدِبّ فلا أقدر أن ترانى ... ودونك بالمدينة ألف باب
واحبس بالعراء المحل بيتى ... وبيتك عازب[1] ضخم الذباب

فقال له سعيد لعمرى لأنت أشعر عندى منهم فأنشدنى فأنشده

سعيد وما يفعل سعيد فانه ... نجيب فَلَاهُ فى الرباط نجيب

---

(١) العازب الكلأ الذى لم يرع وقد التف نبته

سعيد فلا يغرُرْك قلة لحمه[١] تَخَدَّد عنه اللحم فهو صليب
اذا غاب عنا غاب عنار بيعنا ونسقَى الغمام الغُرّ حين يؤوب
فنعم الفتى تعشو الى ضوء ناره اذا الريح هبت والمكان جديب

فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم عاد فأنشده قصيدته التى يقول فيها

أمن رسم دار مربع ومصيف

فأعطاه عشرة آلاف أخرى

ومن قوله يمدح شماسا وفيه غناء

عفا من سليمى مُسْحُلان فخامره تُمَشِّى به ظِلْمانه[٢] وجآذره
بمستأسد القُرْيان[٣] حُوّ نباته فنُوّاره[٤] ميل الى الشمس زاهره
رأت عارضا[٥] جَوْنا فقامت غريرة بمِسْحاتها قبل الظلام تبادره
فما برحت حتى أتى الماء دونها وسُدّت نواحيه ورُفِّع دابره[٦]

ومنها

وكلفتني مجد امرئ لن تناله وما قدمت آباؤه ومآثره
توانيت حتى كان من غِبّ أمره على مفخر ان قمت يوماً تفاخره
فدع آل شماس بن لأى فانه على مَرْقَب ما حوله هو قاهره
وفاخر بهم فى آل سعد فانهم مواليك أو كاثر بهم من تكاثره
فان الصفا العادىّ لن تستطيعه فأقصر ولم يلحق من الشر آخره

---

(١) ويروى خفة لحمه (٢) الظلمان ذكور النعام والجآذر أولاد البقر (٣) القريان مجارى الماء الى الرياض والمستأسد ما التف منها وطال (٤) النوار يقال انه يكون أبداً حيال الشمس يستقبلها بوجهه فيقول أن نوار هذه الروضة يميل زاهره حيال الشمس (٥) العارض السحاب والجون الاسود والغريرة الناعمة التى لم تجرب الامور يقول لما رأت السحابة السوداء قامت بمسحاتها تصلح النؤى حوالى بيتها وهو الحاجز بينه وبين الارض المستوية (٦) مؤخره الذى يلى الماء من النؤى

أمية بن أبى الصلت عبد الله الثقفى

من ثقيف وهو قَسِيّ واسمه مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان

أُمه رُقَيَّة بنت عبد شمس بن عبد مناف . قال أبو عبيدة اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف وأن أشعر ثقيف أُمية بن أبى الصَّلْت وكان قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً وكان ممن ذكر ابراهيم واسمعيل والحنيفة وحرم الخمر وشك فى الاوثان وكان محققاً والتمس الدين وطمع فى النبوة لانه قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم قيل له هذا الذى كنت تَستَرِيث وتقول فيه ، فحسده عدوّ الله وقال انما كنت أرجو أن أكونه وهو الذى يقول

كل دين يوم القيامة عند اللـــــه الا دين الحنيفة زور

وكان أُمية يحرض قريشاً بعد وقعة بَدْر وكان يرثي من قتل من قريش فى وقعة بَدْر فمن ذلك قوله

ماذا ببدر والعقَنْـــــقَلْ من مَرَازبة جَحَاجح

وهى قصيدة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن روايتها

وأنشد النبيّ صلى الله عليه وسلم قول أُمية

الحمد لله مُمْسَانا ومُصْبَحَنَا ... بالخير صبَّحَنَا ربى ومَسَّانا

ربّ الحنيفة لم تَنفَدْ خزائنه ... مملوءةً طبق الآفاق سلطانا

الا نبيٌّ لنا منا فيخبرنا ... ما بعد غايتنا من رأس مَحْيانا

بينا يُرَبِّينا آباؤنا هلكوا ... وبينما نقتنى الأولاد أفنانا

وقد علمنا لو آن العلم ينفعنا ... أن سوف يلحق أخرانا بأولانا

فقال عليه السلام ان كاد أُمية لَيُسلم ، وعتب على ابن له فأنشأ يقول

غذوتك مولوداً ومُنْتك يافعاً ... تُعَلُّ بما أَحْنِي عليك وتُنْهَلُ
اذا ليلة أَبتك بالشجو لم أَبِت ... لشكواك الا ساهراً أتململ
كأَنى أنا المطروق دونك بالذى ... طُرِقْت به دونى فعيني تَهْمُلُ
تخاف الرَّدى نفسى عليك واننى ... لأَعلم أن الموت حَتْم مؤجل
فلما بلغت السن والغايةَ التى ... اليها مَدَى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة ... كأَنك أنت المنعم المتفضل
وسميتني باسم المفنَّد رأيه ... وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل
فليتك اذ لم تَرْعَ حق أبوتى ... فعلتَ كما الجار المجاور يفعل

ومن قوله يهنىء سيف بن ذى يزن لما استعاد ملك آبائه باليمن وطرد الحبشة منه

لايطلب الثار الا كابن ذى يزن ... فى البحر خيم للاعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى بنى الأَحرار يَقْدُمهم ... تخالهم فوق متن الأَرض أجبالا
لله درهم من فتية صبروا ... ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا
بيض مرازبة غُلْب أساورة ... أسد تربَّب في الغَيضات أشبالا
فالقط من المسك اذ شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم فى بردبك اسبالا
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... فى رأس غُمدان داراً منك محلالا
تلك المكارم لا قَعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ومن قوله لعبد الله بن جُدْعان التيمى

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك ان شيمتَكَ الحياء
وعلمك بالأُمور وأنت قَرْم ... لك الحسب المهذب والسَّناء

كريم لا يغيره صباح عن الخُلُق السنيّ ولا مَساء
تبارى الريح مكرُمةً ومجداً اذا ما الكلب أجْحَره الشتاء
اذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء
اذا خلفت عبد الله فاعلم بأن القوم ليس لهم جزاء
فأرضُكَ كلَّ مكرُمة بناها بنو تيم وأنت لهم سماء
فأبْرِزْ فضله حقاً عليهم كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصير وهل بالشمس طالعة خفاء

ومن قوله يمدحه

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته ببذل وما كل العطاء يزين
وليس بشين لامرئ بذل وجهه اليك كما بعض السؤال يشين

وقال فيه أيضاً

ومالى لا أحييه وعندى مواهب يطَّلعن من النِّجاد
لأبيض من بنى تَيْم بن كعب وهم كالمَشْرَفيات الحداد
لكل قبيلة هادٍ ورأسٌ وأنت الرأس تقْدُم كل هاد
له بالخَيْف قد علمت مَعَدّ وان البيت يرفع بالعِماد
له داع بمكة مُشْمَعِلّ وآخر فوق دَارتِه ينادى
الى رُدُح من الشِّيزَى مِلاَء لباب البر يُلْبَك بالشّهاد

وله فيه

ذكر ابن جُدْعان بخيـــر كلما ذكر الكرام
من لا يخون ولا يَعُقّ ولا تغيره اللئام
يَهَب النجيبة والنجيـــب له الرِّحالة والزمام

دخل عليه وهو يجود بنفسه فقال له أمية كيف تجدك أبا زهير؟ فقال انى لمدابر أى ذاهب، فقال أمية

علم ابن جُدْعان بن عمـــرو انه يوماً مُدَابر
ومسافر سفراً بعيـــداً لا يؤُب به المسافر
فقدوره بفنـــائه للصيف مُرْعة زواخر
تبدو الكسور من انْضِرَا ج الغلي فيها والكَرَاكر
فكأنهن بما حَيـــن وما شُحِنّ بها ضرائر
بذّ المعاشر كلها بالفضل قد علم المعاشر
وعلا علو الشمـــس حتى ما يفاخره مفاخر
دانت له أبناء فِـــهْر من بني كعب وعامر
أنت الجواد ابن الجوا د بكم ينافر من ينافر

ومما يغنى فيه قوله

باتت همومى تَسْرِى طوارقها أكُفّ عيني والدمع سابقها
مما أتانى من اليقين ولم أوتَ بَراة يَقُص ناطقها

ومن قوله يمدح عبد الله بن جُدْعان

قومى ثقيف ان سألت وأُسْرَتى وبهم أدافع ركن من عادانى

ومنها

قوم اذا نزل الغريب بدارهم ردوه رب صواهل وقِيان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم لتلمس العِلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لها عند السؤال كأحسن الالوان

قال عبد الله بن مسلم كان أمية بن أبى الصلت قد قرأ كتاب الله عز وجل الأول فكان يأتى فى شعره بأشياء لا تعرفها العرب فمنها قوله

(والشهر بين هلاله ومُحَاقه أجَل لعلم الناس كيف يُعَدّد
لا نقص فيه غير أن خبيئه) قمر وساهور يُسَلّ ويُغْمَد

وكان يسمى الله عز وجل فى شعره السليطط فقال

(ان الأنام رعايا الله كلهم) هو السليطَطُ فوق الأرض مقتدر

قال ابن قتيبة وعلماؤنا لا يحتجون بشىء من شعره لهذه العلة

قال الأصمعى ذهب أمية فى شعره بعامة ذكر الآخرة، وذهب عنترة بعامة ذكر الحرب، وذهب عمر بن أبى ربيعة بعامة ذكر الشباب

ولما دنت وفاته أُغمى عليه قليلا ثم أفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما ها أَنَذَا لديكما

لا مال يَفْدِينِي ولا عشيرة تُنْجِينِي

ثم اغمى عليه بعد ساعة ثم أفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما ها أَنَذَا لديكما

لا بَرِىءٌ فأعتذر ولا قوىٌّ فانتصر

ثم أُغمى عليه ثالثةً وأفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما ها أَنَذَا لديكما محفوف بالنعم

ان تغفر اللّهُمَّ تغفر جَمًّا وأىّ عبدلك لا أَلَما

ثم أقبل على القوم فقال قد جاء وقتى فكونوا فى أُهْبتى وحدثهم قليلاً ثم أنشأ يقول

كل عيش وإن تطاول دهراً منتهى أمره إلى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ما قد بدا لي فى رؤوس الجبال أَرْعَى الوُعُولا

اجعل الموت نصب عينيك واحذر غَوْلة الدهر ان للدهر غولا

ثم قضى نحبه

غيلان بن سلمة الثقفى

أمه سُبَيْعة بنت عبدشمس بن عبد مناف بن قُصَى أخت أمية بن عبدشمس، أدرك الاسلام فأسلم بعد فتح الطائف ولم يهاجر، وهو شاعر مقل ليس بمعروف فى الفحول

قال غيلان يرثى ابنه عامرا وتوفى بعمَوَاس وكان فارس ثقيف يومئذ وهو صاحب شَنُوءة يوم تَثْليث وهو قتل سيدهم جابر بن سنان

عينى تجود بدمعها الهتَّان ... سَحًّا وتبكى فارس الفرسان
يا عامِ من للخيل لما أحجمت ... عن شدة مرهوبة وطعان
لو أستطيع جعلت منى عامرا ... بين الضلوع وكلُّ حى فان
يا عين بَكِّى ذا الخزامة عامرا ... للخيل يوم تواقف وطعان
وله بتثليثات شدةُ مُعْلِم ... منه وطعنة جابر بن سنان
فكأنه صافى الحديدة مِخْذَم ... مما يحير الفرس للبادان

كان لغيلان جار من باهلة وكانت له ابل يرعاها راعيه فى الابل مع ابل غيلان، فتخطى بعضها الى أرض لأبى عقيل بن مسعود، فضرب أبو عقيل الراعى واستخف به، فشكا الباهلى ذلك الى غيلان فقال لأبى عقيل

ألا من يرى رأى امرئ ذى قرابة ... أَبَى صدره بالطعن الا تطلعا
فسلْمَك أرجو لا العداوة انما ... أبوك أبى وانما صَفَقْنا معا
وان ابن عم المرء مثل سلاحه ... يقيه اذا لاقى الكَمِىّ المقنَّعا
فان يُكْبِرْ المولى فانك حاسد ... وان يفتقر لا يُلْفِ عندك مطمعا
فهذا وعيد وادِّخار وان تَعُدْ ... وجدك أعلم ما تَسَلَّفْتَ أجمعا

وغزتهم خَثْعَم فى جموع اليمن فانتصرت عليهم ثقيف فقال غيلان فى ذلك

ألا يا أخت خَثْعَم خبرينا ... بأى بلاء قوم تَفْخَرينا

جلبنا الخيل من أكناف وَجّ (١) ولَبّت نحوكم بالدار عينا
رأيناهن مُعْلَمة رواحا بقَيْنان الصباح ومعتدينا
فأمست مُنْى خامسة جميعا تضابع فى القياد وقد وَجينا (٢)
وقد نظرت طوالعكم الينا بأعينهم وحققنا الظنونا
الى رَحراحة (٣) فى الدار تُغْشى اذا استلمت عيون الناظرينا
تركن نساءكم فى الدار نُوحاً (٤) يبكين البعولة والبنينا
جمعتم جمعكم فطلبتمونا فهل أُنبئت حال الطالبينا

لما أسن غَيْلان وكثرت اسفاره ملته زوجته وتجنت عليه وأنكر أخلاقها فقال فيها

يا رب مثلك فى النساء غَريرة بيضاء قد صبحتها بطلاق
لم تدر ما تحت الضلوع وغرها منى تحمل عشرتى وخلاقى

ومن شعره يرثى ابنه غيلان وقد استشهد مع خالد بن الوليد بدُومةِ الجندل

ما بال عيني لا تُغَمِّض ساعة الا اعترتني عَبْرة تغشانى
أرعَى نجوم الليل عند طلوعها وهنّا وهنّ من الغروب دَوَان
يا نافعا من للفوارس أحجمت عن فارس يعلو ذرى الأقران
فلو استطعت جعلت مني نافعا بين اللَّهاة وبين عَكْد (٥) لسانى

وكثر بكاؤه عليه فعوتب فى ذلك ، فقال والله لا تسمح عينى بمائها فأضن به على نافع ، فلما تطاول العهد انقطع ذلك من قوله ، فقيل له فيه فقال بَلِي نافع وبَلِي الجزع وفَنِي وفنيت الدموع واللحاق به قريب .

ومن شعره

اسلُ عن ليلى علاك المشيب وتَصابى الشيخ شىء عجيب
واذا كان النسيب بسَلْمَى لَذَّ فى سلمى وطاب النسيب
انما شبهتها اذ تراءت وعليها من عيون رقيب

---

(١) هى الطائف (٢) وجى الفرس وجد وجعاً فى حافره (٣) الرحراح من الاشياء الواسع المنبسط القريب القعر (٤) جمع نائحة (٥) عكد الشىء وسطه

بطلوع الشمس فى يوم دَجْن بُكْرة أو حان منها غروب
انني فاعلم وان عز أهلى بالسويداء الغداة غريب

ولما حضرته الوفاة وكان قد أحصن عشراً من نساء العرب فى الجاهلية قال يا بني قد أحسنت خدمة أمواتكم، وأمجدت أمهاتكم، فلن تزالوا بخير ما غذوتم من كريم وغذا منكم، فعليكم ببيوتات العرب فانها معارج الكرم، وعليكم بكل رَمْكاء[1] مكينة ركينة أو بيضاء رزينة فى خِدْر بيت يتبع أوجدير تجى، وايا كم والقصيرة الرَّطْلة[2] فان أبغض الرجال الى أن يقاتل عن ابلى أو يناضل عن حسبى القصير الرَّطل، ثم أنشأ يقول

وحرةٍ قوم قد تَنَوَّق فعلها وزينها أقوامها فتزينت
رحلت اليها لا تُرَدّ وسيلتى وحملتها من قومها فتحملت

أبو محجن

هو عبد الله بن حبيب بن عمرو الثَّقَفى، من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام، وهو شاعر فارس شجاع معدود في أولي البأس والنجدة، وكان من المعاقرين للخمر المحدودين فى شربها، أقام عمر بن الخطاب الحد عليه مراراً وهو لا ينتهى فنفاه الى جزيرة فى البحر يقال لها حَضَوْضَى وبعث معه حَرَسياً يقال له ابن جَهْرَاء ورجلا آخر فهرب منهما على ساحل البحر ولحق بسعد بن أبى وقّاص وقال فى ذلك

الحمد لله نجانى وخلصـــنى من ابن جَهْرَاء والبُوصِى[3] قد حَبَسَا
من يجشم البحر والبُوصِى مركبه الى حَضَوْضَى فبئس المركبُ التمسا
أبلغ لديك أبا حفص مُغَلْغَلَةً عبْدَ الاله اذا ما غار[4] أو جلسا

---

(١) الرمكاء ما لونها الرمكة وهو لون الرماد وقال أبو عبيدة هى التى اشتدت كمتتها حتى دخلها سواد (٢) الرخوة الضعيفة
(٣) البوصى ضرب من السفن (٤) غار أتى الغور وجلس أتى نجدا

أنى أكرُّ على الأولى اذا نزعوا ... يوماً وأحبس تحت الراية الفرسا
أغشى الهياج وتغشانى مضاعفةً ... من الحديد اذا ما بعضهم خنَسا

وقال أيضاً

صاحبا سوءٍ صحبتهما ... صاحبانى يوم أرتحل
ويقولان ارتحل معنا ... وأقول انى نمِـــل
انني باكرت مُترَعة ... مُرَّة راووقها خضِل

ولما ذهب الي سعد كتب عمر الى سعد بحبسه، فحبسه فى القصر، وكانت حرب القادسية مشتعلة فأتى سلمى بنت أبى حفص زوج سعد، فقال لها هل لكِ الى خير؟ قالت وماذاك؟ قال تُخلّين عنى وتعيرينى البلقاء (فرس سعد) فلهِ علىَّ ان سلمني الله أن أرجع اليكِ حتى تضعى رجلى فى قيدى، فقالت وما أنا وذاك؟ فرجع يَرْسُف فى قيوده ويقول

كفى حزناً أن ترتدى الخيل بالقنا ... وأُتركَ مشـــــدوداً على وِثاقيا
اذا قمت عنَّانى الحديد وغُلِّقت ... مصاريعُ من دونى تُصِم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركونى واحـداً لا أخاليا
وقد شفَّ جسمى أننى كل شارق ... أعالج كَبْلاً مُصْمَتاً قد برانيا
فللهِ درى يومَ أُترك موثقاً ... وتَذْهَلُ عني أُسرتى ورجاليا
حبيساً عن الحرب العوان وقد بدت ... وإعمال غيرى يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس بعهده ... لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

فقالت له سلمى انى قد استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته فاقتاد أبو مِحجَن الفرس وأخرجها ثم ركبها ودب عليها، وفى ذلك اليوم أظهر من شجاعته عجباً، ولما تحاجز أهل العسكرين أقبل أبو مِحجَن حتى دخل القصر ووضع نفسه عن دابته وأعاد رجليه فى القيد وقال

لقد علمت ثقيف غير فخر بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعاً سابغات وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وأنا رِفْدهم فى كل يوم فان جحدوا فسل بهم عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بى ولم أكره لمخرجى الزحوفا
فان أُحبس فقد عرفوا بلائى وان أُطلق أُجرعهم حتوفا

فقالت له سلمى يا أبا محجن فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال أم والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ولكني كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤ شاعر يَدِب الشعر على لسانى فينفثه أحياناً فحبسنى لانى قلت

اذا مت فادفنى الى أصل كرمة تُرَوِّى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى أخاف اذا ما مت ألاّ أذوقها
ليَرْوَى بخمر الحُصّ لحمى فاننى أسير لها من بعد ما قد أسوقها

فذهبت الى سعد وأخبرته خبر أبى محجن ، فدعا به وأطلقه وقال أما والله لا أضرب اليوم رجلا أبْلَى الله المسلمين على يديه ما أبلاهم ، فقال قد كنت أشربها اذ كان الحد يقام عَلَيَّ وأطهر منها فأما اذ بَهْرجتنى فلا والله لا أشربها أبداً وقال

ان كانت الخمر قد عزّتْ وقد منعت وحال من دونها الاسلام والحرج
فقد أباكرها صِرْفاً وأمزجها ريا وأطْرَب أحياناً وأمتزج
« وقد تقوم على رأسى منعمة فيها اذا رفعت من صوتها غَنَج
تُرَفِّع الصوت أحياناً وتخفضه كما يَطِن ذُباب الروضة الهزِج »

ومن قول أبى محجن يرثى أبا عبيد بن مسعود لما قتله الفيل يوم قس الناطف بعد أن ضرب أبو عبيد خرطومه بالسيف فرمى به

انى تَسَدَّت (١) نحونا أم يوسف ومن دون مَسراها فَيافٍ مجاهل

(١) جازت

الى فتية بالطَّفِّ نِيلَتْ سَرَاتُهُمْ ... وغودر أفراس لهم ورواحل
وأضحى أبو جبر خلاءً بيوته ... وقد كان يغشاها الضعاف الأرامل
وأضحت بنو عمرو لدى الجسر منهم ... الى جانب الأبيات جود ونائل
وما لمت نفسى فيهمُ غير أنها ... لها أجلٌ لم يأتها وهو عاجل
وما رِمْت حتى خرقوا بسلاحهم ... إهابى وجادت بالدماء الأباجل (١)
وحتى رأيت مُهْرَتى مزْوَرَّة (٢) ... لدى الفيل يدْمَى نحرها والشواكل
وما رُحْتُ حتى كنت آخر رائح ... وصُرِّع حولي الصالحون الأمائل
مررت على الأنصار وسط رحالهم ... فقلت الاهل منكم اليوم قافل
وقربت روَّاحاً وكُوراً ونُمْرُقاً ... وغودر في أُلَّيْسَ بكر بن وائل
ألا لعن الله الذين يسرهم ... رَدَاىَ وما يدرون ما الله فاعل

وقال في تركه الخمر

رأيت الخمر صالحة وفيها ... مناقب تُهلك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتى ... ولا أسقى بها أبداً نديماً

ومن قوله

لا تسألي الناس عن مالى وكثرته ... وسائلى الناس ما فعلى وما خلقى
أُعطى السِّنان غداة الرَّوع حصته ... وعامِلَ الرمح أُرْوِيه من العَلَق
وأطْعُن الطعنة النجلاء عن عُرُض ... واحفظ السر فيه ضربة العنق
عفُّ المطالب عما لست نائله ... فان ظُلِمْت شديد الحِقْد والحَنَق
وقد أجود وما مالى بذى فَنَع ... وقد أكر وراء المحجر البرق
والقوم أعلم أنى من سَرَاتهم ... اذا سما بصر الرعديدة الشفق

---

(١) الابجل عرق فى باطن الذراع (٢) مزورة

قد يُعْسر المرء حيناً وهو ذو كرم ... وقد يثوب سَوَامُ العاجز الحَمِق
سيكثر المال يوماً بعد قلته ... ويكتسى العود بعد اليبس بالورق

ومن قوله فى جلد عمر إياه

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى ... ولا يستطيع المرء صرف المقادر
صبرت فلم أجزع ولم أك جازعا ... لحادث دهر في الحكومة جائر
وانى لذو صبر وقدمات اخوتى ... ولست عن الصهباء يوماً بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها ... فخلانها يبكون حول المعاصر

توفى أبو مِحْجَن بنواحى أذربيجان وهناك دفن

دريد بن الصمة الجشمى

من جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور

فارس شجاع فحل ، جعله ابن سلام أول شعراء الفرسان ، وقد كان أطول الفرسان الشعراء غزواً وأبعدهم أثراً وا كثرهم ظفَراً وأيْمَنَهم نَقيبة عند العرب وأشعرهم ، قال أبو عبيدة كان دُريد سيد بني جُشَم وفارسهم وقائدهم وكان مظفراً ميمون النقيبة وغزا نحو مائة غزوة ما أخفق فى واحدة منها ، وأدرك الاسلام فلم يسلم وخرج مع قومه فى يوم حُنَيْن مظاهراً للمشركين ولا فضل فيه للحرب وانما أخرجوه تيمناً به وليقتبسُوا من رأيه فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته وخالفه لئلا يكون له ذكر ، وكان لدُرَيْد أخوة وهم عبدالله وعبد يغوث وقيس وخالد أمهم جميعاً ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب الزبيدى كان الصِّمَّة سباها ثم تزوجها فأولدها بنيه

قال أبو عمرو بن العَلاء أحسن شعر قيل فى الصبر على النوائب قول دُرَيد ابن الصمة

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى ... مكان البكا لكن بُنيتُ على الصبر
لمقتل عبدالله والهالك الذى ... على الشَّرف الأعلى قتيل أبى بكر
وعبد يغوث أو خليلى خالد ... وعزَّ مُصابا حثْوُ قبر على قبر
أبى القتلُ الا آلَ صِمَّةَ انهم ... أَبَوْا غيره والقدر يجرى الى القدر
فاما تَرَيْنا ما تزال دماؤنا ... لدى واتر يَشْفَى بها آخر الدهر
فانا للحم السيف غير نكيرة ... ونلحمه حيناً وليس بذى نُكْر
يُغار علينا واترين فيُشْتَفَى ... بنا ان أُصِبْنا أو نُغِير على وتر
بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة ... فما ينقضى الا ونحن على شطر

وقال دريد يرثى أخاه عبدالله

أَرِثَّ جديد الحبل من أم معبد ... بعاقبة وأخلفت كل موعد
وبانت ولم أحمَد اليك جوارها ... ولم تَزْجُ منا ردة اليوم أو غد

وهى طويله وفيها يقول

أعاذلتى كل امرئ وابن أمه ... متاع كزاد الراكب المتزود
أعاذلَ ان الرزء أمثالُ خالد ... ولا رزء مما أهلك المرء عن يد
نصحتُ لعارض وأصحاب عارض ... ورهط بنى السوداء والقومُ شُهَّدى
فقلت لهم ظُنّوا بألفى مُدَجَّج ... سَراتهم فى الفارسى المسَرَّد
أمرتهم أمرى بمنعرج اللِّوى ... فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد
فلما عَصَوْنى كنت منهم وقد أرى ... غَوايتهم أو انني غير مهتد
وهل انا الا من غَزِية ان غَوَتْ ... غَوَيْتُ وان تَرشُد غَزِيَّةُ أرشد
دعانى أخى والخيل بيني وبينه ... فلما دعانى لم يجدنى بقُعْدُد
تنادَوْا فقالوا أرْدَتِ الخيل فارسا ... فقلت أعبدُ الله ذلكم الرَّدى
فان يكُ عبدالله خلى مكانه ... فما كان وَقَّافا ولا طائش اليد

ولا بَرَما اذا الرياح تناوحت برَطْب العِضاه والهشيم المعضّد
نظرت اليه والرماح تَنُوشه كوقع الصَّياصى فى النسيج الممدد
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت وحتى علانى أشقر اللون مُزْبِدُ
فما رِمْت حتى خرقتني رماحهم وغودرت أكبو فى القَنَا المتقصّد
فعال امرىء واسى أخاه بنفسه وأيقن ان المرء غير مخلد
صبور على وقع المصائب حافظ من اليوم أعقاب الاحاديث فى غد

وأم معبد التى ذكرها هذه كانت امرأته فطلقها لأنها رأته شديد الجزع على أخيه فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته وقال فى ذلك

أعبدَ الله أن سبتك عِرْسى تقدم بعض لحمى قبل بعض
اذا عرسُ امرىء شتمت أخاه فليس فؤاد شانئه بحُمْض (١)
معاذ الله أن يشتمن رهطى وان يملكن ابرامى ونقضى

وأغار دريد بعد مقتل أخيه عبدالله على غَطَفان يطالبهم بدمه فاستقراهم حياحياوقتل من بني عَبْس ساعدة بن مُرّ وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب وقتله بأخيه وقتل غيرهما وقال فى ذلك

تأبَّد من أهله معشر فجوّ سويقةَ فالأصفر
فجزْع الحُلَيْف الى واسط فذلك مبْدًى وذا مَحْضَر
فأبلغ سليمى وألْفافَها وقد يعطف النسب الاكبر
بأنى ثأرت باخوانكم وكنت كأنى بهم مُخْفَر
صبحنا فزارة سُمْر القنا فمهلا فزارة لا تضجروا
وأبلغ لديك بني مازن فكيف الوعيد ولم تقدروا
فان تقتلوا فئة أفردوا أصابهم الحَيْن أو تظفروا

---

(١) فؤاد حمض ينفر من الشىء أول ما يسمعه

فان حراما لدى معرَكك واخوته حولهم أنسر
ويوم يزيد بني ناشب وقبل يزيدكم الاكبر
أثرنا صريخ بني ناشب ورهط لقيط فلا تفخروا
تجر الضباع بأوصالهم ويلحقن فيهم ولم يقبروا

وقال فى ذلك أيضاً فى قصيدة أخرى

جزينا بني عبس جزاء موفرا بمقتل عبدالله يوم الذنائب
ولولا سواد الليل أدرك ركضنا بذى الرِّمث والأَرْطَى عياض بن ناشب
قتلنا بعبدالله خير لِداته ذُؤاب بن أسماء بنِ زيد بنِ قارب

وقال فى هذه الوقعة

قتلنا بعبدالله خير لداته وخير شباب الناس لو صم أجمعا
ذُؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب منيته أجرى اليها وأوضعا
فتى مثل نصل السيف يهتز للندى كعالية الرمح الرديني أروعا

وقتيل أبى بكر الذى ذكره دريد هو أخوه قيس ، قتله بنو أبى بكر بن كِلاب برأسهم عمرو بن سفيان الكلابى الذى كان يقال له ذو السيفين لأنه كان يلقى الحرب ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدهما واياه عني دريد بقوله

ان امرأً بات عمرو بين صِرمته عمرو بن سفيان ذو السيفين ، مغرور
يا آل سفيان ما بالى وبالكم هل تنتهون وباقى القول مأثور
يا آل سفيان ما بالى وبالكم أنتم كبير وفى الاحلام عصفور
هلا نهيتم أخاكم عن سفاهته اذ تشربون وغاوى الخمر مدحور
لا أعرفن لمّة سوداء داجية تدعو كلابا وفيها الرمح مكسور
لن تسبقونى لو أهملتكم شرفا عقبى اذا أبطأ الفُحْج (١) المخاصير

(١) الأفحج ذو الفحج وهو تباعد ما بين أوساط الساقين والمخاصير واحده مخصور وهو من يشتكى خاصرته

وعبد يغوث أخو دريد قتله بنو الصادر فقال دريد فى ذلك

أبلغ نعيما وأَوْفى ان لقيتهما ... ان لم يكن كان فى سمعيهما صَمَم
فما أخى بأخى سَوْءٍ فينقصه ... اذا تقارب بابن الصادر القسم
ولن يزال شهابا يستضاء به ... يَهْدى المقانب ما لم تهلك الأمم
عارى الأشاجع معصوب بلمته ... أمر الزعامة فى عرنينه شَمَمُ

وخالد الذى ذكره هو أخوه قتلته بنو الحرث بن كعب فقال دريد يرثيه

أميم أجدى عافى الرُّزء واجشمى ... وشدى على رُزء ضلوعك وابأسى
حرام عليها أن ترى فى حياتها ... كمثل أبى جَعْد فعودى أو اجلسى
أَعَفّ وأجدى نائلا لعشيرة ... وأكرم مخلوداً لدى كل مجلس
وألين منه صفحة لعشـــيرة ... وخيراً أبا ضيف وخيرا لمجلس
تقول هلال خارج من غمامة ... اذا جاء يجرى فى شَلِيل[1] وقَوْنَس
يشد متون الأقربين بهاؤه ... وتَخْبُتُ نفس الشانئ المتعبس
وليس بمكباب اذا الليل جنّه ... نؤوم اذا ما أولجوا فى المُعَرَّس
ولكنه مِدْلاج ليل اذا سَرَى ... يبُذُّ سُراه كلَّ هاد مملس

كان دريد قد هجا عبد الله بن جُدْعان وهو لا يعرفه ، فلقيه ابن جُدْعان بعُكَاظ فحياه وقال له هل تعرفني يا دريد ؟ قال لا ، قال فلِمَ هجوتنى ؟ قال من أنت ؟ قال أنا عبد الله بن جُدْعان ، قال هجوتك لانك كنت امرأً كريماً فأحببت أن أضع شعرى موضعه ، فكساه وحمله على ناقة برحلها ، فقال دريد يمدحه

اليك ابن جُدْعانَ أعملتها ... مخففة للسُّرَى والنَّصَب
فلا خفض حتى تلاقى امرأً ... جواد الرضا وحليم الغضب
وجلدا اذا الحرب مرت به ... يعين عليها بِجَزْل الحطب

---

(١) الشليل الدرع الصغيرة تحت الكبيرة أوعام والقونس أعلى بيضة الحديد

رحلت البلاد فما ان أرى ... شبيه ابن جُذعان وسط العرب
سوى ملك شامخ ملكه ... له البحر يجري وعين الذهب

مرَّ دُرَيد بالخَنْساء وهي تَهْنأ بعيراً لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نَضَتْ عنها ثيابها فاغتسلت وهو يراها ولا تشعر به فانصرف الى رحله وأنشأ يقول

حيوا تُماضِرَ وارْبَعوا صحبي ... وقِفُوا فان وقوفكم حسبي
أخُنَاس قد هام الفؤاد بكم ... وأصابه تَبْلٌ من الحب
ما ان رأيت ولا سمعت به ... كاليوم طالي أيْنُق جُرْب
متبذلا تبدو محاسنُه ... يضع الهِنَاء مواضع النُّقب
متحسراً نضْحُ الهناء به ... نَضْحَ العبير بريْطَة العصب
فسليهم عني خُنَاس اذا ... عَضَّ الجميعَ الخطْبُ ماخطبي

فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها اليه ، فقال له أبوها مرحباً بك أبا قرة انك للكريم لا يطعن فى حسبه والسيد لا يرد عن حاجته والفحل لا يُقْدَع أنفه ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها وأنا ذاكرك لها ، ثم دخل اليها وقال لها ياخَنْساء أتاكِ فارس هوازن وسيد بنى جُشَم دريد بن الصِّمة يخطبك وهو من تعلمين ، فقالت يا أبت أترانى تاركة بني عمى مثل عوالى الرماح ونا كحة شيخ بني جُشَم هامة اليوم أو غد؟ فخرج اليه أبوها فقال يا أبا قرة قد امتنعت ولعلها تجيبُ فيما بعد

وقالت الخَنْساء فى ذلك

أتخطبني هُبِلْت على دُرَيْد ... وقد طردت سيد آل بكر
تباكرني حَمِيدة كل يوم ... بما يُولى معاوية بن عمرو
فالاّ أُعْطَ من نفسى نصيباً ... فقد أودى الزمان اذاً بصخر
معاذ الله ينكحني حَبَرْكَى (١) ... يقال أبوه من جُشَم بن بكر
ولو أمسيت فى جُشَم هَدِيًّا ... لقد أمسيت فى دنس وفقر

(١) قصير الشبر

فغضب دريد من قولها وقال

وقاكِ الله يا ابنة آل عمرو ... من الفتيان أمثالى ونفسى
فلا تلدى ولا ينكحك مثلى ... اذا ما ليلة طرَقَت بنحس
لقد علم المراضع فى جُمادى ... اذا استعجلن عن حزّ بنهس
بأنى لا أبيت بغير لحم ... وأبدأ بالأرامل حين امسى
وأنى لا ينادى الحى ضيفى ... ولا جارى يبيت خبيث نفس
اذا عُقَب القدور تكنّ ملأى ... تُحِب حلائلُ الأبرام عِرسى
وأصفر من قِداح النبع صُلْب ... خفى الوسم فى ضرَس[1] ولمس
دفعت الى المُفيض[2] اذا استقلوا ... على الرُّكُباتِ مطلع كل شمس
فان أكْدَى[3] فتامكة تؤدى ... وان أرْبى فانى غير نِكس
وتزعم انني شيخ كبير ... وهل خبرتها انى ابن أمس
تريد شرَنْبَث[4] القدمين شَثْنا ... يبادر بالجدائر كل كِرْس
وما قصرت يدى عن عظْم أمر ... أهم به ولا سهمى بنكس
وما أنا بالمزجى حين يسمو ... عظيم فى الامور ولا بوهْس

وقال دريد وقد أسن

أصبحت أقذف أهْداف المنون كما ... يرمى الدريَّة أدنى فُوقه الوتر
فى منصف من مدَى تسعين من مائة ... كرمية الكاعب الحسناء بالحجر
فى منزل نازح ما الحى منتبذ ... كمَرْبِط العنْز لا ادعى الى خبر
كأنني خارب قُصَّت قوادمه ... أو جثة من بُغاث فى يدي خصِر
يُمْضون أمرهمُ دونى وما فقدوا ... عني عزيمة أمر ما خلا كبرى

---

(١) ضرس السهم عجمه (٢) المفيض هو الذى يضرب بقداح الميسر (٣) أخفق ولم يظفر (٤) غليظ والجديرة الحظيرة والكرس ماتكرس أى صار بعضه فوق بعض ومنه أخذت الكراسة

ونومة لست أقضيها وان منعت ... ومامضى قبل من شأوى ومن عمرى
وانني رابني قيد حبست به ... وقد أكون وما يمشى على أثرى
ان السنين اذا قربن من مائة ... لوين مرة أحوال على مرر

وقالت له امرأته قد أسننت وضعف جسمك وقتل أهلك وفني شبابك ولا مال لك ولا عدة فعلى أى شيء تعول ان طال بك العمر ؟ وعلى أى شيء يخلف أهلك ان قتلت ؟ فقال

أعاذل انما أفنى شبابى ... ركوبى فى الصريخ الى المنادى
مع الفتيان حتى كلّ جسمى ... وأقرح عاتقى حملُ النِّجاد
أعاذلَ انه مال طريف ... أحبُّ اليَّ من مال تِلاد
أعاذل عُدّتى بدنى ورمحى ... وكل مُقَلَّص شكِس القياد
ويبقى بعد حلم القوم حلمى ... ويفنى قبل زاد القوم زادى

قتلت بنو يربوع الصمة أبا دريد غدرا وأسروا ابن عم له فغزاهم دريد ببني نصر فأوقع ببني يربوع وبني سعد جميعاً وكان فيمن قتل عمار بن كعب وقال فى ذلك

دعوت الحى نصراً فاستهلوا ... بشبان ذوى كرم وشيب
على جُرْد كأمثال السعالى ... ورجل مثل أهمية الكثيب
فما جبنوا ولكنا نصبنا ... صدور الشرعبية للقلوب
فكم غادرن من كلب صريع ... يَمُجّ نجيع جائفة ذنوب
وتلكم عادة لبني رباب ... اذا ما كان موت من قريب
فأجلوا والسوام لنا مباح ... وكل كريمة خود رعوب
وقد ترك ابن كعب في مكرّ ... حبيساً بين ضبعان وذيب

تحالف دريد ومعاوية بن عمرو بن الشريد وتواثقا ان هلك أحدهما أن يرثيه الباقى بعده وان قتل يطلب بثاره فقتل معاوية فرثاه دريد بقصيدته التى أولها

ألا هبَّت تلوم بغير قدر ... وقد أحفظتني ودخلت سترى
والا تتركي لومى سفاها ... تلُمك علىَّ نفسك غير عصْر
أسرك أن يكون الدهر سدًى ... علىّ بشره يغدو ويسرى
والاَ تُرزئى نفساً ومالا ... يضرك هلكه في طول عمرى
فقد كذَّبتك نفسك فاكذبيها ... فان جزع وان اجمال صبر
فان الرزء يوم وقفت أدعو ... فلم أُسمِع معاوية بن عمرو
ولو أسمعته لأتاك يسعى ... حثيث السعى أو لأتاك يجرى
بشكة حازم لا غمْزَ فيه ... اذا لبس الكُماة جلود نمر
رأيت مكانه فعطفت زوراً ... وأى مكان زور يا ابن بكر
على إرَم وأحجار وصير (١) ... وأغصان (٢) من السلِمات سُمْر
وبنيانُ القبور أتَى عليها ... طَوالَ الدهر من سنة لشهر

كان دريد بن الصمة يوماً يشرب مع نفر من قومه ، فقالوا له يا أبا دفافة أينجو بنو الحرث بن كعب منك وقد قتلوا أخاك خالداً ؟ فقال لهم ان القوم جمرة مذْحج وهم أكفاء جُشَم ولا يجمل بى هجاؤهم ، فأحفظوه بكثرة القول واغضبوه فقال

يا بني الحرث أنتم معشر ... زَندكم وارٍ وفى الحرب بهم
ولكم خيل عليها فتية ... كأُسود الغاب يحمين الأجَم
ليس فى الأرض قبيل مثلكم ... حين يرفَضّ العدا غير جُشَم
لست للصمَّة ان لم آتكم ... بالخناذيذ تبارَى فى اللُّجُم
فتقرّ العين منكم مرة ... بانبعاث الحرب نوحاً تلتدم
ويُرَى نَجْرَان منكم بلقعاً ... غير شمطاء وطفل قد يتم
فانظروها كالسعالى شزَّبا ... قبل رأس الحول ان لم أُختَرَم

---

(١) الواحدة صيرة وهى حظيرة الغنم (٢) أى ألقيت على قبره

أغار أنس بن مدركة الخثعمى على مال جار لدُرَيد فتباون دريد فى أمره والجار يستحثه ، فضاق دريد ذرعاً بأمره وشاور أولى الرأى من قومه فقالوا له ارحل الى يزيد بن عبد المدان فان أنساً قد خلف المال والعيال بنجران للحرب التى وقعت بين خثعم وان يزيد يردها عليك ، فقال دريد بل أقدم اليه قبل ذلك مدحة ثم انظر ما موقعى من الرجل ، فقال هذه القصيدة وبعث بها اليه

بني الدَّيَّان ردوا مال جارى ... وأسرى فى كبولهم الثقال
وردوا السبى ان شئتم بمنّ ... وان شئتم مفاداةً بمال
فأنتم أهل عائدة وفضل ... وأيدٍ فى مواهبكم طوال
متى ما تمنعوا شيئاً فليست ... حبائل أخذه غير السؤال
وحربكم بني الدَّيان حرب ... يَغَصُّ المرء منها بالزلال
وجارتكم بني الدَّيان بَسْل ... وجاركم يعد مع العيال
حذا عبد المَدَان لكم حذاء ... مُخَصَّرَة الصدور على مثال
بنى الدَّيان ان بنى زياد ... هم أهل التكرم والفعال
فأَوْلُونى بني الدَّيان خيراً ... أُقِرّ لكم به أُخرى الليالى

فلما بلغ يزيد شعره قال وجب حق الرجل فبعث اليه ان اقدم علينا، فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه ورد عليه الأُسارى من قومه وجيرانه ثم قال له سلني ماشئت ، فلم يسأله شيئاً الا أعطاه إياه فقال دريد

مدحت يزيد بن عبد المَدَان ... فأَكْرِمْ به من فتى ممتدح
اذا المدح زان فتى معشر ... فان يزيد يَزين المدح
حللت به دون أصحابه ... فأَوْرَى زِنادى لما قدح
ورد النساء بأَطْهارها ... ولو كان غير يزيد فَضَح
وفك الرجال وكل امرىء ... اذا أصلح الله يوماً صَلَح

وقلت له بعد عتق النساء ... وفك الرجال ورد اللقحْ
أجزِ لى فوارس من عامر ... فأكرم بنفحته اذ نفح
وما زلت أعرف فى وجهه ... بكرّى السؤال ظهور الفرح
رأيت أبا النضر فى مدْحج ... بمنزلة الفجر حين اتضح
اذا قارعوا عنه لم يقرعوا ... وان قدموه لكبش نطح
وان حضر الناس لم يُخزِهم ... وان وازنوه بقرن رجح
فذاك فتاها وذو فضلها ... وان نابح بفخار نبح

ومن قوله يثني على شجاعة ربيعة بن مُكَدّم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله ... حامى الظعينة فارساً لم يُقتَل
أردَى فوارس لم يكونوا هُزّلاً ... ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللا تبدو أسرّة وجهه ... مثل الحسام جلَتْه أيدى الصيْقل
يُزجِى ظعينته ويَسْحَبُ رمحه ... متوجهاً يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مخافة رمحه ... مثل البُغاث خشين وقْعَ الأجْدَل
يا ليت شعرى من أبوه وأمه ... يا صاح من يك مثله لم يجهل

خرج دُرَيد مع هوازن يوم حُنَين وليس فيه شيء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب فكانت الهزيمة على هوازن وقتل دريد بعقب الانهزام قتله ربيعة بن رفيع السُّلَمى

لبيد بن ربيعة العامرى

من عامر بن صعصعة بن معاوية

أمه تامرة بنت زِنباع العبسية، أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين ممن أدرك الاسلام، وهو من أشراف الشعراء المجيدين الفرسان القُرّاء المعمرين يقال انه عمر مائة وخمساً وأربعين سنة

قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بني كلاب بن عامر بعد وفاة أخيه أربد وعامر بن الطفيل فأسلم وهاجر وحسن اسلامه ، ونزل الكوفة فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأقام بها ومات بها فى آخر خلافة معاوية ، ومن قوله حين بلغ سبعاً وسبعين سنة

قامت تَشَكَّى الى النفس مُجْهَشة ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

فان تزادى ثلاثاً تبلغى أملا ... وفى الثلاث وفاء للثمانينا

فلما بلغ التسعين قال

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عن منكبى ردائيا

فلما بلغ مائة وعشراً قال

أليس فى مائة قد عاشها رجل ... وفى تكامل عشر بعدها عشر

فلما جاوزها قال

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد

غلب الرجالَ وكان غير مُغَلَّب ... دهر طويل دائم مجدود

يوماً أرى يأتى علىَّ وليلة ... وكلاهما بعد المَضاء يعود

وأراه يأتى مثل يوم لقيته ... لم يُنْتَقَص وضعفت وهو يزيد

وكان لبيد يقول الشعر ويقول لا تظهروه حتى قال

عفَت الديار محلُّها فمقامها ... بمنًى تأبَّد غَوْلها فرِجامها

فمدافع الرَّيّان عُرِّى رسمها ... خَلَقا كما ضَمِن الوُحِىَّ سِلامها

ومنها

فاقنع بما قسم الاله فانما ... قسم الخلائق بيننا علامها

فقال لهم اظهروها ، قالوا ولم يقل فى الاسلام الا بيتاً واحداً وهو

الحمد لله اذ لم يأتني أجلى ... حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

كان لبيد من أجواد العرب ، وكان قد آلى فى الجاهلية ألا تهبَّ صبا الا أطعم ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح فى كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم ، فهبت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة فصعد المنبر فخطب الناس ، ثم قال ان أخاكم لبيد بن ربيعة قد نذر فى الجاهلية ألا تهب صبا الا أطعم ، وهذا يوم من أيامه وقد هبت صبا فأعينوه وأنا أول من فعل ، ثم نزل عن المنبر فأرسل اليه مائة بكرة وكتب اليه بأبيات قالها

أرى الجزار يشحذ شفرتيه ... اذا هبت رياح أبى عقيل
أشمّ الأنف أصيد عامرى ... طويل الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بحلفتيه ... على العلّات والمال القليل
بنحر الكوم اذ سحبت انيه ... ذيول صبا تجاذبُ بالاصيل

فقال لابنته أجيبيه فلعمرى لقد عشت برهة وما أعيا بجواب شاعر فقالت

اذا هبت رياح أبى عقيل ... دعونا عند هبتها الوليدا
أشمّ الأنف أروع عبشميا ... أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا ... عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا ... نحرناها فأطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معاد ... وظني بابن أروى أن يعودا

فقال لها لبيد أحسنتِ لولا أنك استطعمته ، فقالت ان الملوك لا يستحيا من مسألتهم ، فقال وأنت يابنية فى هذا أشعر

سمع الفرزدق قول لبيد

وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زُبُر تُجِدّ متونها أقلامها

فسجد ، فقيل ماهذا يا أبا فراس ؟ فقال أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر

قيل لِلَبيد أى العرب أشعر ؟ قال الملك الضِّلِّيل ذو القروح ، قيل ثم من ؟ قال الغلام ابن ثمان عشرة سنة وهو طَرَفة ، قيل ثم من ؟ قال صاحب المحجن (يعني نفسه) حيث يقول

ان تقوى ربنا خير نفل ... وباذن الله رَيْثى وعجل
أحمد الله ولا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء أضل

ثم قال أستغفر الله

ومن قوله

وبنو الرَّيّان لا يأتون لا ... وعلى ألْسُنِهم خفت نعم
زَيَّنَتْ أحلامُهُم أحسابَهُم ... وكذاك الحلم زين للكرم

ومن شعره

بلينا وما تَبْلى النجوم الطوالع ... وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وقد كنت فى أكناف دارمضنة ... ففارقني جار بأَرْبَدَ نافع
فلا جزِع ان فرق الدهر بيننا ... فكل امرىء يوماً له الدهر فاجع
وما الناس الا كالديار وأهلها ... بها يوم حلوها وتغدو بلاقع
ويَمْضُون ارسالا ونخلف بعدهم ... كما ضم احدى الراحتين الأصابع
وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يحور رماداً بعد اذ هو ساطع
وما المرء الا مضمرات من التقى ... وما المال الا عاريات ودائع
أليس ورائى ان تراخت منيتى ... لزوم العصا تُحْنَى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التى مضت ... أَدِبّ كأنى كلما قمت راكع
فأصبحت مثل السيف أَخْلَقَ جفنه ... تقادم عهد القَيْنِ والفصل قاطع
فلا تَبْعَدَنْ ان المنية موعد ... علينا فدانٍ للطلوع وطالع

أعاذل ما يدريك ألا تظنيا ... اذا رحل الفتيان من هو راجع
أتجزع مما أحدث الدهر بالفتى ... وأى كريم لم تُصِبْهُ القوارع
لعمرك ماتدرى الضوارب بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

رآه النابغة الذبيانى فقال له إلىَّ يا ابن أخى، فأتاه، فقال أنشدنى، فأنشده قوله

ألم تُلمم على الدِّمَن الخوالى ... لسَلْمَى بالمذانب فالقفال

فقال له أنت أشعر بنى عامر، زدنى، فأنشده

طلل لخَوْلة بالرَّسيس قديم ... بمعاقل فالأَنْعَمَيْن وشُوم

فقال له أنت أشعر هوازن، زدنى، فأنشده

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غَوْلها فرِجامها

فقال له النابغة اذهب فأنت أشعر العرب

ومن قوله يرثى أخاه أَرْبَدَ

ما ان تعدى المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أَرْبَدَ الحُتوف ولا ... أَرْهَب نَوْءَ السِّماك والأسد
فجعنى الرعد والصواعق بالفـ ... ـارس يوم الكريهة النجِد
الحارب الجابر الحريب اذا ... جاء نكيبا وان يعد نعد
يعفو على الجهد والسؤال كما ... أنزل صوب الربيع ذى الرصد
لم تبلغ العين كل نهمتها ... ليلة تمسى الجياد كالقدد
كل بنى حُرة مصيرهمُ ... قل وان أكثرت من العدد
ان يغبطوا يهبطوا وان أمروا ... يوماً يصيروا للهلك والنفد
ياعين هلا بكيت أربد اذ ... قمنا وقام الخصوم فى كَبَد
ياعين هلا بكيت أربد اذ ... ألوت رياح الشتاء بالعضد
وأصبحت لاقحا مُصَرَّمة ... حين تقضت غوابر المدد

أن يشغبوا لا يبال شغبهم ... أو يقصدوا في الخصام يقتصد
حلو كريم وفى حلاوته ... مر لطيف الأحشاء والكبد

ومن قوله فيه

لعمرى لئن كان المخبر صادقا ... لقد رُزِئَت فى حادث الدهر جعفر
أخ لى اما كل شىء سألته ... فيعطى واما كل ذنب فيغفر

ومنه

ألا ذهب المحافظ والمحامى ... ودافع ضيمنا يوم الخصام
وأيقنت التفرق يوم قالوا ... نقسم مال أربَد بالسهام
وأربد فارس الهيجا اذا ما ... تقعَّرت المشاجر بالقِئام

وهى طويلة يقول فيها

فودع بالسلام أبا حُدَير (١) ... وقل وداع أربد بالسلام

ومما رثاه به قوله وهى من مختار مراثيه

طرب الفؤاد وليته لم يطرب ... وعناه ذكرى خلة لم تَصْقَب (٢)
سفهاً ولو انى أطعت عواذلي ... فيما يُشِرْن به بسفح المِذْنب
لزجرت قلباً لا يريع لزاجر ... ان الغَوِىّ اذا نُهِى لم يُعْتِب
فتعزّ عن هذا وقل فى غيره ... واذكر شمائل من أخيك المنجب
يا أربد الخير الكريم جدوده ... أفردتنى أمشى بقَرْن أعْضَب
ان الرزية لا رزية مثلها ... فقدان كل أخ كضوء الكوكب
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم ... وبقيت فى خَلَف كجلد الأجْرَب
يتأكلون مَغالة وخيانة ... ويعاب قائلهم وان لم يَشْغَب
ولقد أرانى تارة من جعفر ... فى مثل غيث الوابل المتحلب

---

(١) كانت كنية أربد أبا حدار فصغره ضرورة (٢) لم تقرب

من كل كهل كالسنان وسيد صعب المقادة كالفنيق المُصْعَب
من معشر سنت لهم آباؤهم والعز قد يأتى بغير تطلب
فبرى عظامى بعد لحمى فقدهم والدهر ان عاتبت ليس بمُعْتب

لما حضرته الوفاة قال لابن أخيه، ولم يكن له ولد ذكر، يا بنى ان أباك لم يمت ولكنه فني، فاذا قبض أبوك فأقبله القبلة وسجّه بثوبه ولا تصرخن عليه صارخة، وانظر جفنتى اللتين كنت أصنعهما فاصنعهما ثم احملهما الى المسجد فاذا سلم الامام فقدمهما اليهم، فاذا طعموا فقل لهم فليحضروا جنازة أخيهم، ثم أنشد قوله

واذا دفنت أباك فاجعل فوقه خشباً وطينا
وسقائفا صُمًّا روا سبها يسددن الغضونا
ليقينَ حُرَّ الوجه سفساف التراب ولن يقينا

وتمام هذه الأبيات

أبنى هل أبصرت أعمامى بنى أم البنينا
وأبى الذى كان الأرا مل في الشتاء له قطينا
وأبا شريك والمنا زل فى المضيق اذا لقينا
ما أن رأيت ولا سمعت بمثله فى العالمينا
فبقيت بعدهم وكنت بطول صحبتهم ضنينا
دعني وما ملكت يميـ ني ان شددت بها الشؤنا
وافعل بمالك ما بدا لك مستعيناً أو معينا

وقال لابنتيه لما حضرته الوفاة

تَمَنَّى ابنتاى أن يعيش أبوهما وهل أنا الا من رَبيعة أو مُضَر
فان حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذى لا حليفه أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

المنافرة

بين علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل

أول ما هاج النفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر ، أن علقمة كان قاعداً يوماً يبول فبَصُر به عامر فقال ، لم أرَ كاليوم عورة رجل أقبح ، فقال علقمة أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كَنَّاتها (يعرض بعامر) ، فقال عامر وما أنت والقروم ؟ والله لفَرَس أبى حَيْوَة أذكر من أبيك ، ولفَحل أبى غَيْهب أذكر منك فى نجد ، وكان فرسه فرساً جواداً نجا عليه يوم بني مرة بن عوف ، وكان فحله فحلا لبني حرملة بن الأشعَر ابن صرْمة فاستعاره منهم يستطرقه فغلبهم عليه ، فقال علقمة أما فرسكم فعارة ، وأما فحلكم فغَدْرة ، ولكن ان شئت نافرتك ، فقال قد شئت ، فقال عامر والله لأنا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً ، فقال علقمة لأنا أحب الى نسائك ان أصبح فيهن منك ، فقال عامر أنافرك على أنى أنحر منك لِلقاح ، وخير منك فى الصباح ، وأطعم منك فى السنة الشياح ، فقال علقمة أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أنى جبان ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك ، وأنت جواد والناس يزعمون أنى بخيل ولست كذلك ، ولكني أنافرك انى خير منك أنراً ، وأحدُّ منك بصراً ، وأعزُّ منك نفراً ، وأشرف منك ذكراً ، فقال عامر ليس لبنى الأحْوَص فضل على بني مالك في العدد ، وبصرى ناقص وبصرك صحيح ، ولكنى أنافرك على أنى أنشر منك أمة ، وأطول منك قمة ، وأحسن منك لمة ، وأجعد منك جُمَّة ، وأبعد منك همة ، قال علقمة أنت رجل جسيم وأنا رجل قصيف ، وأنت جميل وأنا قبيح ، ولكني أنافرك بآبائى وأعمامى ، فقال عامر آباؤك أعمامى ، ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنى أنافرك انى خير منك

عقبًا ، وأطعم منك جذبًا ، قال علقمة قد علمت أن لك عقبًا فى العشيرة وقد أطعمت طيئًا اذ سارت ، ولكني أنافرك انى خير منك وأولى بالخيرات منك ، وقد أكثرنا المراجعة منذاليوم ، فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامهما فقالت ياعامر نافره أيكما أولى بالخيرات ، فرضيا بذلك على مائة من الأبل الى مائة من الأبل يعطاها الحكم ، أينا نفر عليه صاحبه أخرجها ، ففعلوا ووضعوا رهنًا من أبنائهم على يدى رجل من بنى الوحيد ، فسمى الضمين الي الساعة وهو الكفيل ، وخرج علقمة ومن معه من بني خالد بن جعفر ، وخرج عامر فيمن معه من بنى مالك ، وقد أتى عمه أبا براء ، فقال ياعماه أعنّى ، فقال يا ابن أخى سبني ، فقال لا أسبك وأنت عمى ، قال فسُبّ الأحوص ، فقال عامر ولا أسب والله الأحوص وهو عمى ، فقال دونك نعلى فانى قد ربعت فيها أربعين مرباعًا فاستعن بها فى نفارك .

وجعلا منافرتهما الى أبى سفيان بن حرب فلم يقل بينهما شيئًا وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما ، فانطلقا الى أبى جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما ، فوثب مَرْوان بن سُرَاقة بن قَتَادة بن عمرو بن الأحوص فقال

يالَ قريش بينوا الكلاما ... انا رضينا منكم الأحكاما
فبينوا ان كنتم حكاما ... كان أبونا لهم اماما
وعبد عمرو منع القِئاما ... في يوم فخر مُعْلِما اعلاما
ودِعْلِج أقدمه أقداما ... لولا الذى أجشمهم اجشاما
لاتخذتهم مَذْحِج نعاما

فأبَوْا أن يقولوا بينهما شيئًا ، وكانت العرب تحاكم الى قريش ، ثم ردهم حرملة بن الأشعر المرى الى هَرِم بن قُطْبة بن سِنان الفَزارى فانطلقا حتى نزلا به ، فقال هرم لعمرى لأحكمن بينكما ثم لأفصلن ، ثم لست أثق الى أحد منكما فأعطيانى موثقًا أطمئن اليه أن ترضيا بما أقول وتسلما لما قضيت بينكما ، وأمرهما بالانصراف

ووعدهما ذلك اليوم من قابل ، فانصرفا حتى اذا بلغ الأجل خرجا اليه ومع عامر لَبيد بن ربيعة والأعشى ومع علقمة الحطيئة وفتيان من بني الأحوص فقال لَبيد

يا هَرِم وأنت أهل عدل ان نفر الأحوص يوما قبلى
لبذهبن أهله بأهلى لا يجمعن شكاهم وشكلى
ونسل آبائهم ونسلى

وقال أيضاً

انى امرؤ من مالك بن جعفر علقم قد نافرت غير منفر
نافرت سَقْبا من سقاب العرعر

فقال قُحافة بن عوف بن الأحوص

نَهْنِه اليك الشعر يا لَبيد واصدُد فقد ينفعك الصدود
ساد أبونا قبل أن تسودوا سُودَدُكم مطرف زهيد

وقال أيضا

انى اذا أكتنى الخباء وضاع يوم المشهد اللواء
أنمى وقد حق لى النماء الى كهول ذكرها سَناء
اذ لا يزال جلة كَوْماء مبقورة لسَقْبها رُغاء
لم ينهنا عن نحرها الصفاء لنا عليكم سورة ولاء
المجد والسودد والعطاء

وقال أيضاً

أنتم عزلتم عامر بن مالك فى سنوات مضَرَ الهوالك
يا شرنا حيا وشر هالك

وأنشدها السندرى بن يزيد بن سريح ورفع صوته فقيل من هذا فقال

أنا لمن أنكر صوتى السندرى أنا الفتى الجعد الطويل الجعفرى
من ولد الأحوص أخوالى غنى

فقال عامر أجبه يا لبيد ، فرغب لبيد عن اجابته لأن السندرى كانت جدته أمة اسمها عيساء فقال

لما دعانى عامر لأجيبهم ... أبَيْت وكان ابن عَيْساء ظالما
لكيلا يكون السندرى نديدتى ... وأشتم أعماماً عموماً عماعما
وأنشر من تحت القبور أبوة ... كراماً هم شدوا على التمائما
لعبت على اكتافهم وحجورهم ... وليداً وسمّونى وليداً وعاصما
ألا أينا ما كان شراً لمالك ... فلا زال في الدنيا ملوماً ولائما

ووثب الحطيئة فقال

ما يحبس الحكام بالفصل بعد ما ... بدا سابق ذو غُرّة وحُجول

وقال أيضاً

يا عام قد كنت ذا باع ومكرمة ... لو أن مَسعاة من جاريته أَمَم
جاريت قَرْما أجاد الأحوصان به ... سَمْح اليدين وفي عِرنينه شَمَم
لا يصعب الأمر الا رَيْثَ يركبه ... ولا يبيت على مال له قسم
هابت بنو مالك مجداً ومكرمة ... وغاية كان فيها الموت لو قدموا
وما أساؤا فراراً عن مجلحة ... لا كاهن يمترى فيها ولا حكم

ثم أرسل هرم الى عامر فأتاه سراً ، فقال يا عامر قد كنت أرى لك رأياً وان فيك خيراً وما حبستك هذه الأيام الا لتنصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلا لا تفخر أنت ولا قومك الا بآبائه ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ قال عامر نشدتك الله والرحم ألا تفضل على علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً ، هذه ناصيتى فاجزُزها واحتكم في مالي ، فان كنت لابد فاعلا فسوِّ بيني وبينه ، قال انصرف فسوف أرى رأيي ، فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه ، ثم أرسل الى علقمة سراً فأتاه ، فقال له يا علقمة ان كنت لأحسب فيك خيراً وان لك رأيا ،

وما حبستك هذه الايام الا لتنصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب وأبوه أبوك وهو مع هـذا أعظم قومك غَنَاء وأحمدهم لقاء ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة أنشدك الله والرحم ألا تنفر عامرا ، اجززناصيتى واحتكم فى مالي ، وان كنت لا بد أن تفعل فسوِّ بيني و بينه ، فقال انصرف فسوف أرى رأيي ، فخرج وهو لا يشك انه سيفضل عليه عامرا ، ثم ان هَرِما أرسل الى بنيه و بني أبيه انى قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة ، فاذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة و يطرد بعضكم عشر جزائر ينحرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة ، وأصبح هَرِم فجلس مجلسه وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام لبيد فقال

يا هَرِم ابن الأكرمين منصبا انك قد وليت حكماً معجبا
فاحكم وصوب رأس من تصوبا ان الذى يعلو عليها تُرْتُبا
لخيرنا عماً وأماً وأبا وعامر خيرهما مركبا

وعامر أدنى لقيس نسبا

فقام هرم فقال يا ابني جعفر قد تحا كمتما عندى وأنتما عندى كركبتى البعير الأَدْرَم ، تقعان الى الأرض معاً ، وليس فيكما أحد الا وفيه ما ليس فى صاحبه ، وكلا كما سيد كريم ، وعمد بنو هَرِم و بنو أخيه الى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هرم ، عن علقمة عشراً وعن عامر عشراً ، وفرقوا الناس ، فلم يفضل أحداً منهما على صاحبه ولكن الأعشى قال فى ذلك

شاقك من قَيْلة أطلالُها بالشط فالجزع الى حاجر
لو أسندت ميتاً الى نحْرها عاش ولم ينقل الى قابر
حتى يقول الناس مما رأَوْا يا عجبا للميت الناشر
دعها فقد أعذَرْت فى ذكرها واذكر خَنَى علقمة الخاتر

فسفها توعدنى جاهلا لستَ على الأعداء بالقادر
يحلف بالله لئن جاءه عني نبأ من سامع خابر
ليجعلني ضحكة بعدها خدعت يا علقمَ من ناذر

الى أن قال

ان الذى فيه تماريتما بين للسامع والناظر
ما جعل الجد الظنون الذى جنب صوب اللَّجب الماطر
مثل الفُراتى اذا ما جرى يقذف بالبُوصِيِّ والماهر
أقول لما جاءنى فخره سبحان مِنْ علقمةَ الفاخر
علقمَ لا تسفه ولا يجعلن عرضك للوارد والصادر
وأول الحكم على وجهه ليس قضائى بالهوى الجائر
حكمتموه فقضى بينكم أبلج مثل القمر الباهر
لا يأخذ الرشوة فى حكمه ولا يبالي غَبَنَ الخاسر
قد قلت شعرى فمضى فيكما فاعترف المنفور للنافر

ومنها

ان ترجع الحق الى أهله فلست بالمُسْدى ولا النائر
ولست فى السلم بذى نائل ولست فى الهيجاء بالجاسر
ولست بالأكثر منهم حصى وانما العزة للكاثر
ولست فى الأَثْرَيْن من مالك ولا أبى بكر أولى الناصر
هم هامة الحى اذا ما دعوا ومالك فى السود والقاهر
سدت بنى الأحوص لم تَعْدُهم وعامر ساد بنى عامر
ساد وألفى قومه سادة وكابراً ساد عن كابر
فاصبر على حظك مما ترى فانما الفلج مع الصابر

وعاش هَرِم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسأله عمر فقال ياهرم أى الرجلين كنت مفضلا لو فضلت ؟ فقال يا أمير المؤمنين لو قلت ذاك لعادت جذَعة ولَبلغت شعافَ هَجَر ، فقال نعم مستودع السر ومسند الأمر اليه أنت ياهرم ، الى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم ،

النابغة الجعدى

هو حسان بن قيس بن عبد الله من جَعْدَة بن كعب بن ربيعة بن عامر، يكني أبا ليلى ، قال الشعر في الجاهلية ثم أُجبَلَ دهراً ثم نبغ بعد فى الشعر فى الاسلام ، قال ابن سلام كان النابغة الجعدى قديماً شاعراً طويلا مُفْلِقاً طويل البقاء فى الجاهلية والاسلام ، وكان أكبر من الذُّبْيَانى ويدل على ذلك قوله

ومن يك سائلا عنى فانى ... من القتيان في علم الخُنان
أتت مئة لعامَ ولدت فيه ... وعشر بعد ذاك وحجتان
فقد أبقت خطوب الدهر منى ... كما أبقت من السيف اليمانى

ويدل أيضاً على أنه أقدم من النابغة الذبيانى أنه عُمِّرَ مع المنذر بن المُحَرِّق قبل النعمان بن المنذر وكان النابغة الذُّبيانى مع النعمان بن المنذر وفى عصره ولم يكن له قدم الا أنه مات قبل الجَعْدِى ولم يدرك الاسلام ، والجَعْدِى الذى يقول

تذكرت شيئاً قد مضى لسبيله ... ومن عادة المحزون أن يتذكرا
نَدَامَايَ عند المنذر بن مُحَرِّق ... أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقفرا
كهول وفتيان كأن وجوههم ... دنانير مما شِيفَ فى أرض قيصرا

وهو القائل

لبست أُناساً فأفنيتهم ... وأفنيت بعد أُناس أُناساً
ثلاثة أهلين أفنيتهم ... وكان الاله هو المستآسا

وكنت غلاماً أُقاسى الحرو ب يلقى القاسون منى مِرَاسا
فلما دنونا لجَرْس النِّبا ج لم نعرف الحى الا التماسا
أضاءت لنا النار وجهاً أَغَـــرَّ ملتبساً بالفؤاد التباسا

وقال أيضاً

ألا زعمت بنو سعد بأنى ألا كذبوا، كبيرُ السن فانى
أتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان

قال نابغة بنى جَعْدَة أنشدتَ النبىَّ صلى الله عليه وسلم هذا الشعر فأُعْجِبَ به

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنبغى فوق ذلك مظهرا

فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال الجنة ، فقال قل ان شاء الله ، فقال ان شاء الله

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له بوادرُ تَحْمِى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم أجدت لا يَفْضُض الله فاك ، فلقد رؤى وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفض من فيه سن

ومن هذه القصيدة

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرَّة نيرا
وجاهرت حتى ما أُحِسُّ ومن معى سُهَيلا اذا ما لاح ثمت غوَّرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعله وكنت من النار المخوفة أوجرا

قال عمر بن شَبَّة كان النابغة شاعراً متقدماً وكان مُغَلَّباً ما هاجى قط الا غُلِبَ ، هاجى أوس بن مَغْرَاء وليلى الأخيلية وكعب بن جُعَيل فغلبوه جميعاً

ومما يغنى فيه من شعر الجعدى

هل بالديار الغداةَ من صَمَم أم هل بربع الأنيس من قدم
أم ماتنادى من ماثل دَرَجَ السـيل عليه كالحوض منهـدم
غراء كالليلة المباركة الـقمراء تهدى أوائل الظلم
أكْنِي بغير اسمها وقد علم اللّـه خفيات كل مكتتم
كأن فاها اذا تبسم من طيب مَشَمّ وطيب مبتسم
يُسَنّ بالضَّرْوِ من بَرَاقِش أو هيـلان أو ضامر من الغنم

قال عبد الله بن عروة أقحمت السـنة نابغة بني جعدة فدخل على ابن الزبير المسجد الحرام فأنشده

حكيت لنا الصديق لما وَلِيتنا وعثمان والفاروق فارتاح مُعْدم
أتاك أبو ليلى يجوب به الدجى دجى الليل جواب الفلاة عَثَمْثَم
لتجبر منـه جانباً زعزعت به صروف الليالى والزمان المصمَّم

فأعطاه قلائص سبعاً وجملا رجيلا وأوقر له الأبل بُرًّا وتمرا

وحضر النابغة مع على صفّين فساق به يوماً فقال

قد علم المصران والعراق أن علياً فحلها العتاق
أبيض جحجاح له رواق وأمه غالى بها الصـداق
أكرم من شُدَّ بها نِطاق ان الأُولى جاروك لا أفاقوا
لهم سباق ولـكم سباق قد علمت ذلـكم الرفاق
سقتم الى نهج الهدي وساقوا الى التى ليس لها عراق
فى ملّة عادتها النفاق

وقد كان معاوية كتب الى مَرْوان فأخذ أهل النابغة وماله، فدخل النابغة على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروان فأنشده

مَنْ راكب يأتى ابن هند بحاجتى على النأى والأنباء تُنْمَى وتُجْلب

ويخبر عنى ما أقول ابن عامر ونعم الفتى يأوى اليه المعصب
فان تأخذوا أهلى ومالى بظنة فانى لحراب الرجال مجرب
صبور على ما يكره المرء كله سوى الظلم انى ان ظلمت سأغضب

فأمر معاوية أن يرد عليه كل شيء أخذ منه ، وقال النابغة لعقال بن خويلد العقيلى يحذره غب الظلم لما أجار بنى وائل بن معن وكانوا قد قتلوا رجلا من بنى جعدة فحذرهم مثل حرب البسوس ان أقاموا على ذلك فيهم ، ففى ذلك يقول

فأبلغ عقالا أن غاية داحس بكفيك فاستأخر لها أو تقدم
تجير علينا وائلا فى دمائنا كأنك عما ناب أشياعنا عم
كليب لعمرى كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم
رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليمانى المسهم
وما يشعر الرمح الأصم كعوبه بثروة رهط الأبلج المتوسم
وقال لجساس أغثنى بشربة تفضل بها طولاً علىَّ وانعم
فقال تجاوزت الأحص وماءه وبطن شبيث وهو ذو مترسم

صخر بنه الشريد السلمى

من سليم بن منصور

فارس شجاع شاعر ، قال لما جرح ومرض قريباً من حول حتى مله أهله وسئلت سلمى امرأة صخر كيف بعلك ؟ فقالت لا حى فيرجى ولا ميت فينعى لقينا منه الأمرين

أرى أم صخر لا تمل عيادتى وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى ان أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بأمر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما وأسمعت من كانت له أذنان

وللموت خير من حياة كأنها محلة يعسوب برأس سنان
وأى امرئ ساوى بأم حليلة فلا عاش الا فى شقًى وهوان

وسمع صخر أخته الخنساء تقول كيف صبره ؟ فقال

أجارتنا ان الخطوب تنوب على الناس كلّ الحادثين تصيب
فان تسأليني هل صبرت فانني صبور على ريب الزمان صليب
كأنى وقد أدنوا الى شفارهم من الصبر دامى الصفحتين ركوب
أجارتنا لست الغداة بظاعن ولكنى مقيم ما أقام عسيب

وطلب من صخر أن يهجو قتلة أخيه معاوية ، فقال ان ما بيننا أجل من القذع ولو لم أكفف نفسى الا رغبة عن الخنا لفعلت ، وقال فى ذلك

وعاذلة هبت بليل تلومنى ألا لا تلومينى كفى اللوم مابيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم ومالى اذاً أهجوهم ثم ماليا
أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى وأن ليس اهداء الخنا من سجاياتيا
اذا ذكر الاخوان رقرقت عبرة وحيّيت رسما عند ليلة ثاويا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية فحياك رب الناس عنى معاويا
وهوّن وجدى اننى لم أقل له كذبت ولم أبخل عليه بماليا
فنعم الفتى أدّى ابن صرمة بزّه اذا الفحل أضحى أحدب الظهر عاريا

ثم زاد فيها بيتاً بعد ان أوقع بهم فقال

وذى اخوة قطعت أفراق بينهم كما تركونى واحداً لا أخاليا

وقال

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل أمس الدابر
ولقد دفعت الى دُرَيد طعنة نجلاء تزغل[1] مثل غط المنخر

---

(١) تخرج الدم قطعاً قطعاً والزغلة الدفعة الواحدة من الدم والبول

وقال فيمن قتل من بنى مرة

قتلت الخالدين به وبشراً ... وعمراً يوم حَوْزة وابن بشر
ومن شَمْخ قتلت رجال صدق ... ومن بدر فقد أوفيت نذرى
ومُرَّةَ قد صَبَحْناها المنايا ... فَرَوَّيْنا الأسنة غير نكر
ومن أفناء ثعلبة بن سعد ... قتلت وما أبيئهم بوتر
ولكنا نريد هلاك قوم ... فنقتلهم ونشريهم بكسر

وقال

ألا لا أرى مستعتب الدهر مُعْتِباً ... ولا آخذاً منه الرضا متعتبا
وذى اخوة قطعت أفراق بينهم ... اذا ما النفوس صرن حَسْرَى ولُغَّبا
أقول لرَمْس بين أجراع بيشة ... سقاك الغوادى الوابل المتحلبا
لنعم الفتى أدى ابن صِرمة بزه ... اذا الفحل أمسى عارى الظهر أحدبا

العباس بن مرداس السلمى

يكنى أبا العباس وأمه الخنساء بنت عمرو بن الشريد

فارس شاعر شديد العارضة والبيان سيد فى قومه من كلا طرفيه ، وهو مُخَضْرَم أدرك الجاهلية والاسلام ، وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما أعطى المؤلفة قلوبهم فضل عليه عُيَيْنة بن حِصْن والأقرع بن حابس فقام وقال

وكانت رَزَايا تلافيتها ... بكرّى على المهر فى الأجْرَع
ويقاظى الحى أن يرقدوا ... اذا هجع القوم لم أهجع
فأصبح نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْـ ... ـد بين عُيَيْنَةَ والأقْرَع
وقد كنت فى الحرب ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعْطَ شيئاً ولم أُمنع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مِرْداس فى مجمع
وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تَضَعِ اليوم لا يرفع

فأمر بلالا فأعطاه حتى رضى

وكان لأبيه صنم يعبده اسمه ضِماد فأحرقه العباس وسار الى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به ، ولما عاد وأخبر امرأته بذلك قوضت بيتها ولحقت بأهلها فذلك حيث يقول العباس

لَعَمْرِى انى يوم أجعل جاهدا ضِمادا لرب العالمين مشاركا
وتركي رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له ما أولئكا
كتاركِ سهل الارض والحَزْنَ يبتغى ليسلك فى غيب الأمور المسالكا
فآمنت بالله الذى أنا عبده وخالفت من أمسى يريد الممالكا
ووجهت وجهى نحو مكة قاصدا وتابعت بين الأَخْشَبَيْنِ المباركا
نبى أتانا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفُرقان أول شافع وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تلافى عُرَا الاسلام بعد انفصامها فأحكمها حتى أقام المناسكا
رأيتك يا خير البرية كلِّها توسطت في القربى من المجد مالكا
سبقتهمُ بالمجد والجود والعلا وبالغاية القُصْوى تفوت السنابكا
فأنت المصفَّى من قريش اذا سمت غَلاصِمُها تبقى القروم الفوارِكا

ولما سار صلى الله عليه وسلم الى مكة عام الفتح لقيه العباس بألف من قومه ففى ذلك يقول

بلغ عباد الله أن محمدا رسول الاله راشداً أين يَمَّما
دعا قومه واستنصر الله ربه فأصبح قد وافى الاله وأنعما
عشية واعدنا قَدِيدا محمدا يَؤُمّ بنا أمراً من الله محكما
حلفت يميناً بَرّة لمحمد فأوفيته ألفاً من الخيل مُعْلِما
سرايا يراها الله وهو أميرها يَؤُمّ بها فى الدين من كان أظلما

على الخيل مشدوداً عليها دروعنا وخيلاً كدُفّاع اللواتى عَرَمْرما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم وحتى صبحنا الخيل أهل يَلَمْلما

وهى قصيدة طويلة

كتب عبد الملك الى عبدالله بن الزبير كتاباً يتوعده فيه وكتب فيه

انى لعند الحرب تحمل شِكّتى الى الرَّوْع جَرْداء السبالة ضامر

والشعر للعباس

فأجابه ابن الزبير وكتب اليه

اذا اشتجر العوالى لم يخالج هموى غير نصر واقتراب
وانا والسوابح يوم جَمْع ومايتلو الرسول من الكتاب
هزمنا الجمع جمع بنى قَسِىّ وحكت بَرْكها ببنى رِئاب

والشعر للعباس وفيه يقول

بذى لَجَب رسول الله فيه كتيبتـه تعرض للضراب
ولو أدركن صِرْمَ بني هلال لآم نساؤهم والنَّقْع كابى

كان هُرَيْم بن مِرْداس مجاوراً فى خُزَاعة فى جوار رجل منهم يقال له عامر فقتله رجل من خُزَاعة يقال له خويلد فبلغ ذلك العباس فقال يحض عامراً على الطلب بثار جاره

اذا كان باغٍ منك نال ظُلَامَةً فان شـفاء البغى سيفُكَ فافصل
ونبئت أن قد عَوَّضوك أباعراً وذلك للجيران غزل بمغزل
فخذها فليست للعزيز بنصرة وفيها متـاع لامرىء متذلل

وقد ثأر له من القاتل حُلَيْس النَّصْرى فقال يمدحه

أتانى من الأنباء أن ابن مالك كفى ثائراً من قومه ما تغيبا
فِدًى لك أُمى ان ظفرت بقتله وأُقسم أبغى عنك أُما ولا أبا

فمثلك أدى نصرة القوم عنوة ومثلك أعيا ذا السلاح المجربا

أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بنى سُلَيْم ، فخرج اليهم العباس فى جمع من قومه ، فظفر بهم وأسر منهم عدداً ، وأخذ بنو نصر فرساً للعباس عائرة يقال لها زَوْرة فانطلق بها غيطة بن سفيان النصرى وهو يومئذ رئيس القوم فقال فى ذلك العباس

أبى قومنا الا الفرار ومن تكن هَوَازن مولاه من الناس يُظْلَم
أغار علينا جمعهم بين ظالم وبين ابن عم كاذب الود أيْهَم (١)
كلاب وما تفعل كلاب فانها وكعب سَرَاة البيت ما لم تهدم
وان كان هذا صنعكم فتجردوا لأُلفين منا حاسِر ومُلأَّم
وحرب اذا المرء السمين تَمَرَّست بأعطافه بالسيف لم يترمرم (٢)
ولم أحتبس سفيان حتى لقيته على ماطر اذ بيننا بِطْر مَنْشِم
فقلت وقد صاح النساء خلالهم لقومىَ شدوا انهم قوم هِذْم
فما كان تهليل لدن أن رميتهم بزَوْرَة ركضاً حاسراً غير ملجم
اذا هى صدت نحرها عن رماحهم أُقَدِّمها حتى تنعل بالدم
وما زال منهم رائغ عن سبيلها وآخر يَهْوِى لليدين وللفم
لدن غدوة حتى استبيحوا عشية وذُلُّوا فكانوا لحمة المتلحم
فآبُوا بها عرفاً وألقيت كَلْكَلى على بطل شاكي السلاح مكلم
ولن يمنع الأقوام الا مشايخ تَطَارَدُ فى الأرض الفضاء وترتمى

ثم ان العباس أطلق الأسرى وظن أنهم سيثيبونه بفعله وأن سفيان سيرد عليه فرسه فلم يفعل فقال

أزَوْرَةُ خير أم ثلاثون منكم طليق رددناه اليكم مسلما

---

(١) من لا عقل له ولا فهم (٢) ترمرم حرك فاه بالكلام ولم يتكلم

وجعل العباس يهجو بنى نَصْر ، فبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعده فى ذلك فقال

ألا مَنْ مبلغ سفيان عنى ... وظنى أن سيبلغه الرسول
ومولاه عطية أن قيلا ... خلا مني وان قد مات قيل
شتمتم ربكم وكفرتموه ... وذلكُمُ بأرضكُمُ جميل
ألا توفى كما أوفى شَبيب ... فحل له الولاية والسمول
أبوه كان خيركم وفاء ... وخيركم اذا حمد الجميل
أُلام على الهجاء وكل يوم ... تلاقيني من الجيران غول
سأجعلها لأجمعكم شعاراً ... وقد يمضى اللسان بما يقول

وقال يذكر غزوة له فى بنى زبيد بتثليث من أرض اليمن

لأسماء رسم أصبح اليوم دارساً ... توهمت منه رَحْرَحان فرا دسا

يقول فيها

فدع ذا ولكن هل أتاك مقادنا ... لأعدائنا بُزْجى الثقال الكوادسا
سمونا لهم تسعاً وعشرين ليلة ... تُجيز من الأعراض وحشاً بسابسا
فلم أرَ مثل الحى حياً مُصَبَّحاً ... ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
اذا ما شددنا شَدَّة نصبوا لنا ... صدور المَذاكي والرماح المَداعسا
وأحصينا منهم فما يبلغوننا ... فوارس منا يحبسون المحابسا
وجُرْد كأن الأُسد فوق متونها ... من القوم مرؤوساً كميًّا ورائسا
وكنت أمام القوم أول ضارب ... وطاعنت اذ كان الطعان مخالسا
ولومات منهم من جرحنا لأصبحت ... ضباع بأكناف العَرَاء عرانسا

وقال يذكر جلاء بنى النَّضير ويبكيهم

لو أن قَطين الدار لم يتحملوا ... وجدت خلال الدار مَلْهَىً وملعبا

فانك عمرى هل رأيت ظعائنا ... سلكن على ركن الشطاة فتيأبا
اذا جاء باغى الخير قلن بشاشة ... له بوجوه كالدنانير مرحبا
فلاتحسبني كنتُ مولى ابن مِشْكَم ... سلامٍ ولا مولى حُيَيّ بن أَخْطَبَا

فقال خوّات بن جُبَير يجيبه

أتبكى على قتلى يهود وقد ترى ... من الشجو لو تبكي أحق وأقربا
فهلا على قتلى ببطن أُرَيْنق ... بكَيْت وماتبكي على الشجومغضبا
اذا السلم دارت فى الصديق رددتها ... وفى الدين صداداً وفى الحرب ثعلبا
وانك لما أن كَلِفتَ بمدحة ... لمن كان مَيْنا مدحه وتَكَذُّبا
وجئت بأمر كنت أهلاً لمثله ... ولم تُلْفِ فيهم قائلاً لك مرحبا
فهلا الى قوم ملوك مدحتهم ... بَنَوْا من ذرى المجد المقدم منصبا
الى معشر سادوا الملوك وكرموا ... ولم يُلْفَ منهم طالب الحق مُجْدِبا
أولئك أولى من يهود بمدحة ... تراهم وفيهم عزة المجد تُرْتَبَا

فقال العباس يجيبه

هجوتَ صريح الكاهِنَيْن وفيكم ... لهم نعم كانت من الدهر تُرْتَبَا
أولئك أحرى ان بكيت عليهم ... وقومك لو أَدَّوْا من الحق موجَبا
من الشكر ان الشكر خير مَغَبَّة ... وأوفق فعلا للذى كان أصوبا
فصرت كمن أمسى يقطع رأسه ... ليبلغ عزاً كان فيه مُرَكَّبا
فبَكِّ بني هارون واذكر فعالهم ... وقتلهم للجوع اذ كان مسغبا
أخوّات أَذْرِ الدمع بالدمع وابكهم ... وأعرض عن المكروه منهم ونكبا
فانك لو لاقيتهم فى ديارهم ... لألفيت عما قد تقول منكّبا
سراع الى العليا كرام لدى الوغى ... يقال لباغى الخير أهلا ومرحبا

ولما مات العباس رثاه أخوه سراقة بقوله

أعين ألا ابكي ابا الهيثم ... وأذري الدموع ولا تسأمي
وأثني عليـــه بآلائه ... بقول امرىء موجع مؤلم
أشد على رجل ظالم ... وأدهى لداهية ميثم (١)

وقالت أخته عمرة ترثيه

لتبك ابن مرداس على ما عراهم ... عشيرته اذ حمّ أمس زوالها
لدى الخصم اذ عند الامير كفاهم ... فكان اليها فصلها وحلالها
ومعضلة للحاملين كفيتها ... اذا أنهكت هوج الرياح ظلالها

خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمى

أمه زبة واليها ينسب

شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانهم ، وأدرك الاسلام فأسلم ، وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ومع ابني عمه صخر ومعاوية ومالك بن حمار الشمخى وهو أحد أغربة العرب

أغار هو ومعاوية بن عمرو على بني ذبيان فقتل معاوية، فقال خفاف والله لا أريم اليوم أو أقيد به سيدهم ، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارس بنى فزارة وسيدهم فطعنه فقتله وقال

فان تك خيلى قد أصيب صميمها ... فانى على عمد تيممت مالكا
وقفت له علوى وقد خام صحبتى ... لأبنى مجداً أو لأثأر هالكا
لدن ذر قرن الشمس حتى رأيتهم ... سراعاً على خيل تؤم المسالكا
فلما رأيت القوم لا ود بينهم ... شريجين (٢) شتى طالبا ومواشكا
تيممت كبش القوم حتى عرفته ... وجانبت شبان الرجال الصعالكا

---

(١) شديدة الوطء (٢) صنفين

فجادت له يُمنَى يدىّ بطعنة ... كست متنَه من أسود اللون حالكا
أقول له والرمح يأطِر متنَه ... تأمل خُفافا انني أنا ذلكا
أنا الفارس الحامى الحقيقة والذى ... به أدرك الابطال قدما كذلكا
فان ينجُ منها هاشم فبطعنة ... كسته نجيعاً من دم الجوف صائكا(١)

بين خُفَاف والعباس بن مِرْداس

قال خُفَاف وهو فى ملأ من بنى سُلَيْم ان عباس بن مِرْداس يريد أن يبلغ فينا مابلغ عباس بن أنس ويأبَى ذلك خصال قعَدْنَ به ، اتقاؤه بخيله عند الموت ، واستهانته بسبَايا العرب ، وقتله الأسرى ، ومكالبة الصعاليك على الأسْلاَب ، ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته ، فأبلغ العباس ذلك فتى منهم ، فقال له العباس يا ابن أخى ان لم أكن كالأصَمّ فى حلمه فلست كخُفَاف فى جهله ، وقد مضى الأصَمّ بما فى أمس وخلفني بما فى غد ، فلما أمسى تغنى

خُفَاف ما تزال تجر ذيلا ... الى الأمر المفارق للرشاد
اذا ما عاتبتك بنو سُلَيْم ... تبيت لهم بداهية تَاد
وقد علم المعاشر من سُلَيْم ... بأنى فيهم حسن الأيادى
فأورد يا خُفَاف فقد بليتم ... بنى عوف بحية بطن واد

ثم أصبح فأتى خُفَافاً وهو فى ملأ من بنى سُلَيْم ، فقال قد بلغنى مقالتك يا خُفَاف ، والله لا أشتُمُ عِرْضك ولا أسُبّ أبك وأمك ولكن رمى سوادك بما فيك ، وانك لتعلم أنى أحمى المَصَافّ ، وأتكلم على السبى ، وأُطلق الأسير ، وأصون السَّبِيَّة ، وأما زعمك أنى أتقى بخيلى الموت فهاتِ من قومك رجلا اتقيت به ، وأما استهانتى بسبايا العرب فانى أحذُو القوم فى نسائهم بفعالهم فى نسائنا ، وأما قتلى الأسرى فانى قتلت الزَّبيدى بخالك اذ عجزت عن ثأرك ، وأما مكالبتى الصعاليك

(١) لاصقاً

على الأسلاب فوالله ما أتيت على مسلوب قط الا لمت سالبه ، وأما تمنيك موتى فان مت قبلك فأغنِ غنائى ، وان سُلَيْما لتعلم أنى أخف عليهم مؤنة وأثقل على عدوهم وَطأة منك ، وانك لتعلم أنى أبحت حِمَى بنى زَبيد وكسرت قُوَى بني الحارث وأطفأت جَمْرَة خَثْعَم وقلدت بنى كِنانة قلائد العار ، ثم انصرف ، فقال خُفَاف أبياتاً منها

ولم تقتل أسيرك من زَبيد ... بخالى بل غدرت بمستقاد
فزَندك فى سُلَيْم شر زَند ... وزادك فى سُلَيْم شر زاد

فأجابه العباس بقوله

ألا مَنْ مبلغ عنى خُفَافاً ... فانى لا احاشى من خُفَاف
نكحت وليدة ورضعت أخرى ... وكان أبوك تحمله قَطَافِ (١)
فلستُ لحاصن ان لم تُزِرْها ... تثير النقع من ظهر النِّعاف
سِراعاً قد طواها الأَيْنَ دُهْماً ... وكُمْتاً لونها كالوَرْس صاف

ثم كف العباس وخُفاف ، حتى أتى ابن عم للعباس يكني أبا عمرو بن بَدر وكان غائباً فقال ، ياعباس ما تقول فيك خيراً الا وهو باطل ، قل وكيف ذلك وَيْحك ؟ قال أخبرنى عن أصل الذى أقررت به من خُفاف فى نفيه اياك وتهجينه عِرْضك أليأس من نصر قومك أم لضَعْف فى نفسك ؟ قال لا ولا واحدة منهما ولكني أحببت البُقْيا ، قال اسمع ما قلتُه ، قال هاتِ ، فأنشأ يقول

أرى العباس ينفُض مِذْرَوَيه ... دهين الرأس يَفْليه النساء
وقد أزرى بوالده خُفَاف ... ويحسب مثله الداء العياء
فلا تُهْدِى السِّبابَ الى خُفَاف ... فان السب تحسنه الاماء
ولا تكذب وأَهْدِ اليه حربا ... معجلة فان الحرب داء
أذل الله شركا قَبِيلا ... ولا أَسْقت له رَسْما سماء

---

(١) علم للأمة

قال العباس قد آذنت خُفافا بحرب، فالتقيا بقومهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً يوماً الى الليل ، وكان الفضل للعباس على خُفاف ، فركب اليه مالك بن عوف ودُرَيْد بن الصِّمَّة فى وجوه هَوازن ، فقام دُرَيْد خطيباً وقال « يا معشر بني سُلَيم ، انه أعجلني اليكم صدر وَادّ ورأى جامع ، وقد ركب صاحباكم شر مَطِيّة وأَوْضعا الى أصعب غاية فالآن قبل أن يندم الغالب و يذم المطلوب » ثم جلس ، فقام مالك بن عوف فقال « يامعشر بني سُلَيم ، انكم نزلتم منزلاً بعدت منكم فيه هوازن، وشيعت منكم فيه بنو تميم ، وصالت عليكم فيه بكر بن وائل، ونالت فيه منكم بنو كنانة ، فانزعوا وفيكم بقية قبل أن تلقَوْا عدوكم بقَرْن أعْضَب وكف جَذْماء » فلما أمسيا تغنى دُرَيد بقوله

سُلَيْم بن منصور ألما تخبرا ... بما كان من حربى كُلَيب وداحس
وما كان من حرب اليحابر من دم ... مباح وجَدْع مؤلم للمعاطس
وما كان في حربى سُلَيم وقبلهم ... بحرب بُعاث من هلاك الفوارس
تسافهت الأحلام فيها جهالة ... وأُضرم فيها كل رطب ويابس
فكفوا خُفافا عن سفاهة رأيه ... وصاحبه العباس قبل الدهارس
والا فأنتم مثل من كان قبلكم ... ومن يعقل الامثال غير الأكايس

وقال مالك بن عوف

سُلَيم بن منصور دعوا الحرب انما ... هى الهُلْك للأَقْصَيْن أو للاقارب
ألم تعلموا ما كان فى حرب وائل ... وحرب مُراد أو أُوَى بن غالب
تفرقت الأحياء منهم لحَاجةً ... وهم بين مغلوب ذليل وغالب
فما لسُلَيم ناصر من هَوازن ... ولو نصروا لم تُغْن نصرة غائب

ثم أصبحوا وجاء العباس وخُفاف ، فقال لهما دُرَيْد ولمن حضر من قومهما ياهؤلاء أن أولكم كان خير أول ، وكل حى سلف خير من الخلف ، فكفوا صاحبيكم

عن لجاج الحرب وتهادى الشعر ، فاستحيا العباس فقال انا نكف عن الحرب وتهادى الشعر ، فقال دريد ان كنتما لابد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودعا الشتم فان الشتم طرف الحرب ، فانصرفا على ذلك ، فقال العباس

فأبلغ لديك بنى مالك ... فأنتم بأنبائنا أخبر
فأما النخيل فليست لنا ... نخيل تُسَقَّى ولا تُؤبر
وكنا جميعاً كجذل الحكا ... ك فيه المُقَمَّع والمُحْسَر
مغاوير تحمل أبطالنا ... الى الموت ساهمةً ضُمَّر
وأعددت للحرب خَيْفَانة ... تديم الجِرَاء اذا تَخْطِر

فأجابه خُفَاف فقال

أعباس ان استعار القصيـ ... ـد فى غير معشره منكر
علام تَناولُ مالا تنال ... فتقطع نفسك أو تَخْسَر
فان الدِّهان اذا ما أريد ... فصاحبه الشامخ المخطر
تَحَاوَصُ لم تستطع عدة ... كأنك من بغضنا أعور
فقصْرُك مأثورةٌ ان بقيـ ... ـتُ أصحو بها لك أو أسكر
لسانى وسيفى معاً فانظرن ... الى تلك أيهما تبدر

فلما طال الأمر بينهما قال عباس انى والله ما رأيت لخُفَاف مثلا الا شِبام ابن زَبيد فانه كان يلقى من ابن عمه ثَرْوان بن مرة من الشتم والأذى ما ألقى من خُفَاف فلما لج ثَرْوَان فى شتمه تركه وما هو فيه فقال

وهبت لثَرْوانَ بن مُرَّة نفسه ... وقد أمكنتنى من ذُؤابته يدى
وأحمل مافى اليوم من سوء رأيه ... رجاء التى يأتى بها الله من غد

فقال خُفَاف انى والله ما وجدت لعباس مثلا الا ثَرْوَان بن مُرَّة فانه كان يلقى من شِبام ما ألقى من العباس من الأذى فقال ثَرْوان

رأيت شباماً لا يزال يعيبنى فللّهِ ما بالى وبالُ شبام
فقصْرُكَ منى ضربة مازنية بكف فتى فى القوم غير كهام
فتُقْصر عنى يا شبام بن مالك وما عض سيفى شاتمى بمرام

فقال عباس جزاك الله عنى يا خُفَاف شراً فقد كنت أخف بنى سليم من دمائها ظهراً وأخْمَصها بطناً فأصبحت العرب تعيرنى بما كنت أعيب عليها من الاحتمال وأكل الأموال وصرت ثقيل الظهر من دمائها منفضح البطن من أموالها وقال

ألم تر أنى تركت الحروب وأنى ندمت على ما مضى
ندامة زارٍ على نفسه لتلك التى عارُها يتقى
فلا أوقد الحرب حتى رمى خُفَاف بأسهمه من رمى
فان تعطِف القومَ أحلامُهم فيرجع من ودهم ما نأى
فلست فقيراً الى حربهم وما بى عن سِلمهم من غنى

فقال خُفَاف

أعباس انا كرهت الحروب فقد ذقت من عضها ما كفى
أألْقَحْتَ حرباً لها شدةٌ زماناً تُسَعِّرها باللظى
فلما ترقيت في غيِّها دَحَضْتَ وزل بك المرتقى
فلا زلت تبكى على زلّة وماذا يرد عليك البكا
فان كنت أخطأت فى حربنا فلسنا نُقيلك هذا الخطا
وان كنت تطمع في سِلمنا فزاول ثبيراً وركنى حِرَا

وسعى أهل الفساد الى خُفَاف فقالوا ان عباساً قد فضحك، فقال خفاف

يأيها المهدى لى الشتم ظالما ولستُ بأهل حين أُذكر للشتم
أبَى الشتم انى سيد وابن سادة مطاعين فى الهيجا مطاعيم للجرم

هم منحوا الضرا أبك وطاعنوا وذاك الذى يُرْمَى ذليلا ولا يرمى
كمستلحم فى ظلمة الليل محزما رأى الموت صِرْفا والسيوف بها تعمى
أدِب على أنماط بيضاء حرة مقابلة الجدين ما جدة العم
وأنت لحَنْفاء اليدين لو انها تباع لما جاءت بزَنْد ولا سهم
وانى على ما كان أولُ أولى عليه كذاك القَرْم يُنْتَج للقَرْم
وأُكرم نفسى عن أمور دنيئة أصون بها عرضى وأسو بها كَلْمى
وأصفح عمن لو أشاء جزيته فيمنعني رشدى ويُدركني حلمى
وأغفر للولى وان ذو عظيمة على البغى منها لا يضيق بها جرمى
فهذي فعالي ما بقيت وانني لموص به عقبى اذا كنت فى رَجْمى

فقال له قومه لو كان أول قولك كآخره يا خُفاف لأطفأت النائرة واذهبت سخائم النمائم ، فقال العباس

يأيها المهدى لي الشتم ظالما تبيَّنْ اذا راميت هَضْبة من ترمى
أبى الذمَّ عِرْضى ان عرضى طاهر وانى أَبِيٌّ من أُباة ذوى غَشْم
وانى من القوم الذين دماؤهم شفاء لطُلاب الترات من الرغم

وقال

ان تلْقَنى تلق ليثا فى عَرِينته من أُسْد خِفّان فى أرساغه فَدَعُ
لا يبرح الدهر صيد قد تقنصه من الرجال على أشداقه القَمَع

وكان العباس وخُفاف قد هما بالصلح وكرهت بنو سُلَيم الحرب ، فجاء غَوِىّ من رهط العباس ، فقال للعباس ان خُفافا قد أنمى عليك وعلى والديك ، فغضب العباس ، فقال قد والله هجانى فكان أعظم ما عابني به أصغر عيب فيه ، ثم هجا والدى فما ضرهما ولا نفعه ، ثم برزت له فأخفى شخصه واتقانى بغيره ولو شئت لشتمت أباه وثلَبت عرضه وقال

أرانى كلما قاربت قومى ... نأوْا عنى وقطعهم شديد
سئمت عتابهم فصفحت عنهم ... وقلت لعل حلمهم يعود
وعلَّ الله يُمكِن من خُفاف ... فأسقيه التى عنها يَحيد
بما اكتسبت يداه وجر فينا ... من الشَّحْنا التى ليست تَبيد
فانى لو يؤدبنى خُفاف ... وعوف والقلوب لها وَقود
وانى لا أزال أزيد خيراً ... وعند الله من نعم مزيد
فضاقت بى صدورهم وغصَّتْ ... حلوق ما يَبِضّ لها وَريد
متى أَبْعُدْ فشرهم قريب ... وان أَقْرُبْ فودُّهم بعيد
أقول لهم وقد لهجُوا بشتمى ... ترقَّوْا يا بنى عوف وزيدوا
فما شتمى بنافع حى عَوْف ... ولا مثلى بضائره الوعيد
أتجعلنى سَرَاةُ بنى سُلَيْم ... ككلب لا يَهِرُّ ولا يصيد
كأنى لم أَقُدْ خيلا عِتاقا ... شَوَازِبَ[1] مثلها فى الارض عود
أُجشِّمها مَهامهَ طامساتٍ ... كأن رمال صَحْصَحها قعود
عليها من سَرَاة بنى سُلَيْم ... فوارس نجدة فى الحرب صيد
فأُوطِئُ من تريد بنى سُلَيْم ... بكَلْكلها ومن ليست تريد

فلما بلغ خُفَافاً قول العباس قال والله ما عِبْت العباس الا بما فيه وانى لسليم العود صحيح الأديم ولقد أدنيت سوادى من سواده فلم أُخجم ولا نكصت عنه وقال

أرى العباس ينقص كل يوم ... ويزعم أنه جهلا يزيد
فلو نقضت عزائمه وبادت ... سلامته لكان كما يريد
ولكن المعايب أفسدته ... وخلف فى عشيرته زهيد

---

(١) الشازب الضامر اليابس

فعباس بن مِرْداس بن عمرو وكذب المرء أقبح ما يفيد
حلفت برب مكة والمصلَّى وأشياخ مُحلَّقة تهود
بأنك من مودتنا قريب وأنت من الذى نَهْوَى بعيد
فأبشر ان بقيت بيوم سَوْء يشيب له من الخوف الوليد
كيومك اذ خرجت تفوق ركضاً وطار القلب وانتفخ الوَريد
فَدَعْ قول السفاهة لا تقله فقد طال التهدد والوعيد
رأينا من نحاربه شقياً ومن ذا يا بني عوف سعيد

وقال أيضاً

أعباس انا وما بيننا كصَدْع الزجاجة لا يجبر
فلستَ بكُفْءٍ لأعراضنا وأنت بشتمكما أجدر
ولسنا بأهل لما قلتم ونحن بشتمكم أعذر
أراك بصيراً بتلك التى تريد وعن غيرها أعور
فقصْرُكَ منى رقيق الذُّباب عَضْب كريهته مِبْتَر
وأزرقُ فى رأس خَطِّية اذا هز أكعبها تَخْطِر
يلوح السنان على متْنها كنار على مَرْقَب تُسْعَر
وزُعْف دِلاص كماء الغدير توارثه قبله حِمْير
فتلك وجرداء خَيْفانة اذا زُجِر الخيل لا تُزْجر
اذا ألقت الخيلُ أولادَها فأنت على جريها أقدر
متى يبلل الماء أعطافها تَبُدَّ الجياد وما تبهر
أُبَهْنِه بالسوط من غَرْبها وأُقْدِمها حيث لا ينكر
وأرحضها غير مذمومة بلَبَّاتها العلَق الأحمر
أقول وقد شك أقْرَابها غدرت ومثلى لا يغدر
وأشهدها غمراتِ الحروب فسيان تسلم أو تُعْقَر

وقال العباس

خُفاف ألم ترَ ما بيننا يزيد استعاراً اذا يسعر
ألم تر أنا نهين التلا دَ للسائلين وما نغدر
لأنا نكلَّف فوق التى يُكلَّفها الناس لو تخبر
لنا شيم غير مجهولة توارثها الأكبر الأكبر
وخيل تَكدَّس بالدارعين تنحر فى الروع أو تعقر
عليها فوارس مخبورة كجن مساكنها عبقَر
ورَجْراجة مثل لون النجوم لا العزْل فيها ولا الحُسَّر
وبيْض سوابغُ مسرودة مواريث ما أورثت خِير
فقد يعلم الحى عند الصباح بأن العقيلة بى تستر
وقد يعلم الحى عند الرَّها ن انى أنا الشامخ المخطر
وقد يعلم الحى عند السؤا ل انى أجود واستمطر
فانَّى تعيرنى بالفخار فها أنا هذا هو المنكر

ومن قول خُفاف يرثى صخرا ومعاوية ابني عمرو ورجالا منهم أصيبوا

تطاول همه ببراق سفر لذكرهم وأى أوان ذكر
كأن النار تخرجها ثيابى وتدخل بعد نوم الناس صدرى
لباتت تضرب الأمثال عندى على ناب سَرَيْت بها وبكر
وتنسى من أفارق غير قالٍ وأصبر عنهم من آل عمرو
وهل تدرين اما رب حِذْق رزئت مبرأ بقصاص وتر
أخا ثقة اذا الضراء نابت وأهل حباء أضياف ونحر
كصخر للشريَّة غادروه بذروة أو معاوية بن عمرو
وميت بالجَناب أثلّ عرشى كصخر أو كعمرو أو كبشر

وآخر بالنواصف من هدام فقد أخذوا ورب أبيك صبرى
فلم أرَ مثلها حسباً لقاحا أقاموا بين قاصية وحجر
أشد على صروف الدهر اداً وآمر منهمُ فيها بصبر
وأكرم حين ضَن الناس خِيما وأحمد قيمة ونَشيل قِدْر
اذا الخنساء لم ترحض يديها ولم يقصر لها بصر بستر
قروا أضيافهم ريحا بسَحّ يجيء بعبقرىّ الورق سمر
رماح مثقف حنت نصالا يلُحن كأنهن نجوم فجر
جلاها الصيقلون فأخلصوها مواضٍ كلها تَفْرى ببتر
هم الأيسار ان قحطت جادى بكل صبير سارية وقطر
يصدون المغيرة عن هواها بطعن يفلق الهامات شَزْر
تعلم ان خير الناس طرا بنو عمرو غداة الريح تجرى
وأرملة ومُعْتَرّ أسيف عديم المال عجزة أم صخر

الخنساء بنت عمرو بن الحرث بن الشريد السلمية واسمها تماضر

مخضرمة ، رثت أخويها معاوية وصخرا ابني عمرو بن الحرث بن الشريد أما صخر فقتل فى يوم له على بني أسد جرح اثناء الموقعة فكان الجرح سبب موته ، فقالت الخنساء ترثيه

قَذًى بعينيك أم بالعين عُوّار (١) أم أقفرت اذ خلت من أهلها الدار
تبكى لصخرهِ العَبْرَى وقد ذَرَفت (٢) ودونه من جديد الترب أستار
لا بد من ميتة فى صَرْفها غِيَر والدهر فى صرفه حول وأطوار (٣)
يا صخر وَرّادَ ماء قد تناذره (٤) أهل الموارد مافي وِرْده عار (٥)

---

(١) العوار والعائر وجع وهو مثل الرمد (٢) قطرت قطراً متتابعاً (٣) تحول وتقلب وتصرف (٤) أنذر بعضهم بعضاً هوله وصعوبته (٥) تريد ما فى ترك ورده عار

مشى السَّبَنْتَى [١] الى هيجاء معضلة ... له سلاحان أنياب وأظفار

فما عجول [٢] على بَوّ [٣] تُطيف به ... لها حنينان اصغار واكبار

تَرْتَع ما رتعت حتى اذا ادَّكرت ... فانما هى اقبال وادبار

لا تسمن الدهر في أرض وان رتعت ... فانما هى تَحْنان وتَسْجار

يوماً بأوجد مني يوم فارقنى ... صخر وللدهر احلال وامرار [٤]

فان صخرا لوالينا وسيدنا ... وان صخرا اذا نَشْتُو لنحار

وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه عَلَم فى رأسه نار [٥]

لم تَرْأَه جارة يمشى بساحتها ... لريبة حين يُخْلى بيته الجار

ولا تراه وما فى البيت يأكله ... لكنه بارز بالصحن مهمار

مثل الرَّدَيْنى [٦] لم تنفد شبيته ... كأنه تحت طى البُرْد أسوار [٧]

فى جوف رمس مقيم قد تضمنه ... فى رسمه مُقْمَطِرَّات [٨] وأحجار

طلق اليدين لفعل الخير ذوفجر [٩] ... ضَخْم الدَّسيعة [١٠] بالخيرات أمار

في رفقة حار حاديهم بمهلكة ... كأن ظلتها فى الطُّخْيَة [١١] القار

وقالت ترثيه

بكت عيني وعاودها قَذاها ... بعُوَّار فما تقضى كراها

على صخر وأىُّ فتى كصخر ... اذا ما الناب لم تَرْأَم طَلاها [١٢]

فتى الفتيان ما بلغوا مداه ... ولا تُكْدِى اذا بلغت كُداها

---

(١) النمر (٢) العجول الثكول (٣) البوأن يبحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من أمه فترأمه (٤) يقال ما احلى وما أمر أى ما أتى بحلو ولا مر والمعنى أن الدهر يأتى بالمشقة والمحنة (٥) أى مشهور والعلم الجبل جمه أعلام (٦) منسوب الى ردينة امرأة كانت تقوم الرماح (٧) اى من لطافة بدنه وهيفه شبه أسوار من ذهب (٨) صخور عظام وأحجار صغار (٩) ذوفجر يتفجر بالمعروف (١٠) العطاء (١١) الطخية من الطخاء وهو الغيم الرقيق الذى يوارى النجوم فيتحير الهادى (١٢) الطلا الولد أى لم تعطف عليه من الجدب

لئن جزعت بنو عمرو عليه لقد رُزِئت بنو عمرو فتاها
ترى الشُّم (١) الجحاجح من سليم وقد بلت مدامعها لحاها
وخيل قد كففت بجول (٢) خيل فدارت بين كُشيبها رحاها
ترفع فضل سابغة دِلاص على خَيْفانة خَفَق حَشاها
وتسعى حين تشتجر العوالى بكأس الموت ساعة مُصْطلاها
محافظة ومحْمِيَّة اذا ما نبا بالقوم من جزَع لظاها
فتتركها اذا اشتجرت بطعن تضمنه اذا اختلفت كُلاها
أمطعمكم وحاملكم تركتم لدى غبراء منهدم رَجاها
ليبك عليك قومك للمعالى وللهيجاء انك ما فتاها
وقد وردت طليحة فاستراحت فليت الخيل فارسها يراها

ومما رثت به الخنساء صخرا وغنى فيه

أعينى جودا ولا تَجْمُدَا ألا تبكيان لصخر الندى
ألا تبكيان الجرىء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النِّجاد رفيع العماد وساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدوا بأيديهم الى المجد مد اليه يدا
فنال الذى فوق أيديهم من المجد ثم مضى مُصْعِدَا
يحمله القوم ما عالهم وان كان أصغرهم مولدا
ترى المجد يَهْوِى الى بيته يرى أفضل المجد أن يُحْمَدَا
وان ذكر المجد ألفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى

أما معاوية فقتلته بنو مُرّة فقالت الخنساء ترثيه

---

(١) اذا وصف السيد بالشمم فانه لايدنو لدناءة ولا يضع لها أنفه (٢) جولان ويقال قطعة خيل تجول أى تذهب وتجىء

ألا لا أرى فى الناس مثل معاوية ... اذا طرقت احدى الليالى بداهية
بداهية يصغى الكلاب حسيسها ... وتخرج من سر النجى علانية
ألا لا أرى كالفارس الورد فارسا ... اذا ما علته جرة وغلانية
وكان لزار الحرب عند شبوبها ... اذا شمرت عن ساقها وهى ذاكية
وقواد خيل نحو أخرى كأنها ... سعال وعقبان عليها زبانية
بلينا وما تبلى تعار وما ترى ... على حدث الأيام الا كما هيه
فأقسمت لا ينفك دمعى وعولتى ... عليك بحزن ما دعا الله داعيه

وقالت الخنساء في كلمة أخرى ترثيه

ألا ما لعينيك أم مالها ... لقد أخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو منَ آل الشَّر ... يد حلت[1] به الارض أثقالها
واقسمت آسَى على هالك ... واسأل نائحة مالها
سأحمل نفسى على خطة ... فاما عليها واما لها
تُهين النفوس وهون النفو ... س يوم الكريهة أبقَى لها
ورَجْراجة[2] فوقها بيضها ... عليها المضاعَف أقتى لها
ككِرْفِئَة[3] الغيث ذات الصبير ... ترمى[4] السحاب ويرمى[5] لها
وقافية مثل حد السنان ... تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فسهلتها ... ولم ينطق الناس أمثالها
فان تك مُرّة أودت به ... فقد كان يكثر تقتالها
فزال الكواكب من فقده ... وجللت[6] الشمس اجلالها
وداهيةٍ جرَّها جارم ... تبين الحواضن[7] أحمالها

---

(١) القت مراسيها كانه كان ثقلا عليها (٢) الرجراجة التى تتمخض من كثرتها (٣) الكرفئة السحاب المرتفع بعضه فوق بعض والكرفئة القطعة منه (٤) تنضم اليه وتتصل به (٥) ينضم اليها السحاب حتى يستوى (٦) كسفت وصار عليها مثل الجبل (٧) الحوامل من النساء

كفاها ابن عمرو ولم يستعن ولو كان غيرك أدنى لها
وليس بأولى ولكنه سيكفى العشيرة ما غالها [١]
بمعترك ضيق بينه تجر المنية أذيالها
وبيضٍ منعت غداة الصيا ح تكشف للروع أذيالها
ومُعْمِلة [٢] سقتها قاعدا فأعملت بالسيف أغفالها [٣]
وناجيةٍ لاتتياب الثميل [٤] غادرت بالخل [٥] أوصالها
وتمتح خيلك أرض العدو وتنبذ بالغزو أطفالها
ونوح بعثت كمثل الاراخ [٦] آنست العين أشبالها

وقالت تثني على قيس بن الامرار الجشمى لماقتل هاشم بن حرملة قاتل معاوية

فدى للفارس الجُشَمِي نفسى وأفديه بمن لي من حميم
أُفَدِّيه بكل بني سُلَيم بظاعنهم وبالأنس المقيم
كما من هاشم أقررت عيني وكانت لا تنام ولا تنيم

المخبل القيسى

اسمه كعب من قيس، ولم يذكر أبو الفرج رحمه الله غير هذا، عشق بنت عمه ميلاء ووقف اخوتها على ذلك فرمى بنفسه نحو الشام حياء منهم، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز فلم يدر أهله ولا بنو عمه أين ذهب فقال كعب

أفى كل يوم أنت من لاعج الهوى الى الشُّمِّ من أعلام ميلاء ناظر
بعَمْشاء من طول البكاء كأنما بها خَزَر أو طرفها متخازر
تَمَنَّى المُنَى حتى اذا مَلَّت المنى جرى واكف من دمعها متبادر

---

(١) ما غلبها أو ماغمها (٢) ابل (٣) مالا سمة عليها (٤) بقية الماء فى الصخرة
(٥) الطريق فى الرمل يقول أعيت فتركتها هناك (٦) بقر الوحش تقول خرجن من بيوتهن كما خرجت البقر من كنسها فرحاً بالمطر

كما ارفضَّ عنها بعد ما ضم ضمة بخيط الفتيل اللؤلؤ المتناثر

ومن قوله في ذلك

خليليَّ قد قِسْتُ الأُمور ورمتها بنفسي وبالفتيان كلَّ زمان
فلم أُخْفِ سوءاً للصديق ولم أجدْ خلياً ولا ذا البثِّ يستويان
من الناس انسانان دينى عليهما مليئان لو شاءا لقد قضياني
خليليَّ أما أُمُّ عمرو فمنهما وأما عن الأُخرى فلا تسلاني
بُلينا بهجران ولم أرَ مثلنا من الناس انسانين يهتجران
أشد مصافاة وأبعد من قِلًى وأعصَى لواش حين يلتقيان
تحدث طرفانا بما في صدورنا اذا استعجمت بالمنطق الشفتان
فوالله ما أدرى أكلُّ ذوى الهوى على ما بنا أو نحن مُبْتَلَيان
فلا تعجبا مما بى اليوم من هوى فبى كلَّ يوم مثلُ ما تريان
خليليَّ عن أي الذى كان بيننا من الوصل أم ماضى الهوى تسلان
وكنا كريمَيْ معشر حُمَّ بيننا هوى فحفظناه بحسن صيان
سلاه بأُمِّ العمر من هى اذ بدا به سقم جمٌّ وطول ضمان
فما زادنا بُعْدُ المدى نقصَ مرَّةَ ولا رجعا من علمنا ببيان
خليليَّ لا والله مالي بالذى تريدان من هجر الحبيب يدان
ولا لى بالبين اعتلاء اذا نأت كما أنتما بالبين معتليان

وقال وهو بالشام

أحقاً عبادَ الله أن لست ماشياً بمرحاب حتى يمشى الثقلان
ولا لاهياً يوماً الى الليل كله ببيض لطيفات الخصور دوانى
يمنيننا حتى تريع قلوبنا ويخلطن مَطْلاً ظاهراً بلبان
فعيني يا عيني حتام أنتما بهجران أم العمر تختلجان

أما أنتما الا عليَّ طليعة على قرب أعدائى كما تريان
فلو أن أم العمر أضحت مقيمة بمصر وجثمانى بشِحْر عُمَان
إذاً لرجوت الله يجمع شَمْلَنَا فانا على ما كان ملتفتان

ولما عاد من الشام علم بوفاة من أحبها فزفر زفرة مات منها فدفن حذاء قبرها

شعراء خندف

خِنْدِف هى ليلى بنت حلوان القُضاعية زوج الياس بن مُضَر، وجميع أولادها منه ينسبون اليها، وهم بنو طابخة وبنو مُدْركة

فمن طابخة مُرّ وضَبَّة وعمرو وهو زوج مزينة وخميس وعبد مناة بنو أُدّ بن طابخة، ومن مر بنو تميم بن مر، ومن عبد مَناة نَوْر أطحل وبنو الرَّباب ولد تيم بن عبد مناة وعدىّ وعوف ابني عبد مناة، وعوف هو عُكْل

ومن مدركة هُذيل وخُزيمة، ومن خزيمة الهُون وأسد وكنانة، وأعقب الهون من عَضَل والدَّيش ابني بليغ بن الهون وهم القارَة، ومن كنانة عبد مناة وعمرو وعامر وملكان ومالك والنضر، ومن النضر فهر بن مالك بن النضر وهو قريش

شعراء عكل

النمر بن تولب

هو النمر بن تَوْلَب العُكْلى

شاعر مقِلّ مُخَضرم أدرك الجاهلية وأسلم فحسن اسلامه، ووفد الى النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتاباً فكان فى أيدي أهله، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وكان أبو عمرو ابن العَلاء يسميه الكيّس لحسن شعره

خرج بعد ما كبر فى ابله فسأله سائل فأعطاه فحل إبله ، فلما رجعت الابل اذا فحلها ليس فيها ، فهتفت به امرأته وعذلته وقالت فهلا غير فحل إبلك؟ فقال لها

دعيني وأمرى سأكفيكه ... وكونى قعيدة بيت ضباعا
فانك لن ترشدى غاويا ... ولن تدركى لك حظاً مضاعا

وقال أيضاً في عذلها إياه

بكرت باللوم تلحانا ... فى بعير ضل أو حانا
علقت لوّا تكررها ... ان لوّا ذاك أعيانا

أغار أخوه الحرث على بني أسد فسبى امرأة منهم يقال لها جمرة بنت نوفل فوهبها لأخيه النمر فولدت له أولاداً ، ثم قالت له فى بعض أيامها أزرنى أهلى فانى قد اشتقت اليهم ، فقال لها انى أخاف ان صرت الى أهلك أن تغلبيني على نفسك ، فوثقته لترجعن اليه ، فخرج بها فى الشهر الحرام حتى أقدمها بلاد بني أسد ، فلما أطلّ على الحى تركته وانصرفت الى منزل بعلها الأول ، فمكثت طويلا فلم ترجع اليه ، فعرف ما صنعت وانها خدعته فانصرف وقال

جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل ... جزاء مغلّ بالأمانة كاذب
لو آن عليها أمس موقف راكب ... الى جانب الشرحات أخيب خائب
وقد سألت عني الوشاة ليكذبوا ... علىّ وقد أبليتها فى النوائب
وصدّت كأن الشمس تحت قناعها ... بدا حاجب منها وضنّت بحاجب

وقال فيها أيضاً

كل خليل عليه الرّعا ... ث والحبلات [1] كذوب ملق
وقامت اليّ فأحلفتها ... بهدى قلائده تختنق
بألا أخونك فيما علمت ... فان الخيانة شر خلق

(١) الحبلات واحدها حبلة وهى جنس من الحلى قدر ثمر الطلح

وحج بعد هربها منه فنزل بمنًى ونزلت جَمْرة مع زوجها قريباً منه فعرفته فبعثت اليه بالسلام وسألته عن خبره ووصته خيراً بولده منها فقال

فحييت عن شحَط وخير حديثنا ... ولا يأمن الأيام الا المضلَّل
يود الفتى طول السلامة والغنى ... فكيف يرى طول السلامة يفعل

ولما توفيت نعاها له رجل من قومه يقال له حزام أو حرام فقال

ألم ترَ أن جَمْرةَ جاء منها ... بيان الحق ان صدق الكلام
نعاها بالنداء لنا حرام ... حديث ما تحدث يا حرام
فلا تبعَدْ وقد بعِدت وأجرى ... على جدَث تضمنها الغمام

ولما مات أخوه الحرث رثاه بقوله

لا زال صَوْب من ربيع وصيِّف ... يجود على حِسْى الغَميم فيَثْرُب
فوالله ما أسقى البلاد لحبها ... ولكنما أسقيك حار بن نَوْلب
تضمنت أدواء العشيرة بينها ... وأنت على أعواد نَعْش مقلب
كأن امرأً في الناس كنت ابن أُمه ... على فَلَج[1] من بطن دِجْلَة مُطْنِب

قال حماد الراوية كان النمر بن تَوْلب كثير البيت السائر والمتمثل به فمن ذلك قوله

لا تغضبن على امرىء في ماله ... وعلى كرائم صُلْبِ مالك فاغضب
واذا تُصِبْكَ خَصاصة فارجُ الغنى ... والى الذى يُعْطى الرَّغائب فارغب

وقوله

أعاذل أن يصبح صداى بقَفْرَة ... بعيد وفاتى ناصرى وقريبى
تَرَىْ أن ما أبقيت لم أكُ ربه ... وأن الذى أفنيت كان نصيبى

---

(١) الفلج الماء الجارى ومطنب من أطنب النهر بعد ذهابه

كان للنمر صديق فأتاه النمر فى ناس من قومه يسألونه فى دية احتملوها فلما رآهم وسألوه تبسم فقال النمر

تبسم ضاحكاً لما رآنى ... وأصحابى لديّ عن التمام

فقال الرجل ان لي نفساً تأمرنى أن أعطيكم ونفساً تأمرنى ألاّ أفعل فقال النمر

أما خليلى فانى غير معْجله ... حتى يؤامر نفسيه كما زعما

نفس له من نفوس الناس صالحة ... تعطى الجزيل ونفس ترضع الغنما

ثم قال النمر لأصحابه لا تسألوا أحداً فالدية كلها علىّ ؛ ومن قول النمر

أبقى الحوادث والأيام من نَمِر ... أُسباد سيف كريم أثره بادى

تَظَلّ تحفر عنه الأرض مندفعاً ... بعد الذراعين والقيدين والهادى

قيل للنمر كيف أصبحت يا أبا ربيعة فأنشأ يقول

أصبحت لا يحمل بعضى بعضاً ... تشكو العروقُ الآبضات[1] أيضا

كما تَشَكّى الأرْحَبِيّ الغَرْضا[2]

ومن قوله

أعِذْنى ربِّ من حصَرٍ وعىٍ ... ومن نفس أُعالجها علاجا

ومن حاجات نفسى فاعصمَنّى ... فان لمضمرات النفس حاجا

فأنت وليها وبرئت منها ... اليك فما قضيت فلا خلاجا

ولما وفد الى النبىّ صلى الله عليه وسلم قال

يا قوم انى رجل عندى خبر ... لله من آياته هذا القمر

والشمس فى الشِّعْرَى وآيات أخر ... من يتسامَ بالهدى فالخير شر

انا أتيناك وقد طال السفر ... أقود خيلا رُجّعا فيها ضرر

أطعمها اللحم اذا عز الشجر

---

(١) الابض هنا الشد (٢) الغرض للرحل كالحزام للسرج والارحبى فحل نجيب

ومن قوله وفى أوله غناء

سلا عن تذكره تكتُما ... وكان رهيناً بها مُغْرَما
وأقصر عنها وآياتها ... يذكرْنه داءه الأقدما
فأوصى الفتى بابتناء العلاء ... وألاّ يخون ولا يأثما
ويلبَس للدهر أجلاله ... فلن يبتنى الناس ما هدّما
وان أنت لاقيت فى نجدة ... فلا تتهيَّبْك ان تُقدِما
فان المنية من يخشها ... فسوف تصادفه أينَما
وان تتخطاك أسبابها ... فان قُصاراك أن تهرَما
فأحبب حبيبك حبًّا رُوَيْدا ... فليس يعولك أن تَصْرِما
فتصرم بالود من وصلُه ... رقيق فتَسْفَه أو تَنْدَما
وأبغض بَغيضك بغضاً رويدا ... اذا أنت حاولت أن تحكما
ولو أن من حتفه ناجيا ... لأَلْفيته الصَّدَع[1] الأعصما
بإسْبيل[2] ألقت به أمه ... على رأس ذى حبُك أيْهما
اذا شاء طالع مسجورة[3] ... ترى حولها النَّبْع والسَّاسَما
تكون لأعدائه مَجْهَلا ... مَضِلاً وكانت له مَعْلَما
سقتها رواعد من صَيِّف ... وان من خَريف فلن يعدما
أتاح له الدهر ذا وَفْضة ... يقلب فى كفه أسهما
فأرسل سهماً على غِرَّة ... وما كان يرهب أن يُكْلَما
فأخرج سهماً له أهزَعا[4] ... فشك نواهقه والغَما

---

(١) الصدع الوعل بين الجسيم والضئيل والأعصم الذى فى يده بياض (٢) اسبيل كقنديل بلد والحبك الطرق (٣) مسجورة مملوءة صفة لعين والساسم الآبنوس (٤) الاهزع آخر سهم يبقى فى الكنانة والنواهق العظمان فى مجرى الدمع وغمى كل شىء اعلاه

فظل يشبّ كأن الولو ع[1] كان بصحبته مغرما
فأدركه ما أتى تُبَّعا وأبرهة الملك الأعظما

شعراء مزينة

زهير

هو زهير بن أبي سُلْمَى (ربيعة) المازني ثم المُزَنى من مازن بن ثعلبة بن ثور بن هَرْمة ابن الأصم بن عثمان (مُزَيْنَة) بن عمرو بن أُدّ بن طابخة، وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وانما اختلف فى تقديم أحد الثلاثة على صاحبه فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُّبْيانى، قال جرير شاعر أهل الجاهلية زهير، وقال عمر لابن عباس أنشدنى لشاعر الشعراء، قال من هو يا أمير المؤمنين؟ قال ابن أبي سُلْمَى، قال وبِمَ صار كذلك؟ قال لانه لا يتبع حُوشِيّ الكلام ولا يعاظل في المنطق ولا يقول الا ما يعرف ولا يمتدح الرجل الا بما يكون فيه، أليس هو الذى يقول؟

اذا ابتدرت قيس بن عَيْلَان غاية من المجد من يسبق اليها يُسَوَّد
سبقت اليها كل طَلْق مُبَرِّز سبوق الى الغايات غير مُزَنَّد
كفعل جواد يسبق الخيلَ عفْوُه فيسرع وان يجهد ويجهدن يبعد
ولو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمُخْلِد

أنشدنى له، فأنشده حتى برق الفجر، فقال حسبك، اقرأ القرآن، قال وما أقرأ؟ قال اقرأ الواقعة، فقرأها ونزل فأذّنَ وصلى، وكان قدامة بن موسى يقدم زهيراً وكان أعجب اليه الشعر الذى يقول فيه

---

(١) الولوع القدر والحين

قد جعل المبتغون الخير من هَرِم والسائلون الى أبوابه طرقا

وسئل الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء فقال زهير لأنه ألقى عن المادحين فُضُولَ الكلام مثل قوله

فما يك من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبلُ

كان أبو سُلْمى مجاوراً لبني عبد الله بن غطفان وهم أخواله ، فخرج هو وخاله سعد بن الغدير وابنه كعب بن سعد فى ناس من بنى مرة يغيرون على طيء ، فأصابوا نَعَماً كثيرة وأموالا ، فرجعوا حتى انتهوا الى أرضهم ، فقال أبو سلمى لخاله وابن خاله أفردوا لى سهمى ، فأبيا عليه ومنعاه حقه ، فكف عنهما ، حتى اذا كان الليل احتمل أُمه حتى انتهى الى قومه مُزَينة فلبث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمزينة مغيراً على بنى ذبيان ، حتى اذا مزينة أسهلت وخلفت بلادها ونظروا الى أرض غطفان تطايروا عنه راجعين وتركوه وحده ، فأقبل حين رأى ذلك من مزينة حتى دخل فى أخواله بني مرة فلم يزل هو وولده فى بنى عبد الله بن غطفان الى اليوم

ورث زهير الشعر عن خاله بَشامة بن الغدير ، وكان زهير منقطعاً اليه مُعْجَباً بشعره ، وكان رجلا مقعداً ولم يكن له ولد وكان مكثراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل الى هذا البيت من غَطَفان لخؤلتهم ، وكان بشامة أحزم الناس رأياً ، وكانت غطفان اذا أرادوا أن يغزوا أَتَوْه فاستشاروه وصدروا عن رأيه فاذا رجعوا قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثر ماله وكان أسعد غطفان فى زمانه ، فلما حضره الموت جعل يقسم ماله فى أهل بيته وبين بني اخوته ، فأتاه زهير فقال يا خالاه لو قسمت لى من مالك ، فقال والله يا ابن أختى لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله ، قال وما هو ؟ قال شعرى ورِثْنِيه ، وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر وقد كان أول ماقال ، فقال له زهير الشعر شيء ما قلته فكيف تعتدّ به عليّ ؟ فقال له بشامة ومن أين جئت بهذا الشعر ؟ لعلك ترى أنك جئت به من مُزَينة

وقد علمت العرب أن حصانها وعين مائها في الشعر لهذا الحى من غطفان ثم لى منهم وقد رويته عني ، وأحذاه نصيباً من ماله ومات ، وبشامة شاعر مجيد وهو الذى يقول

ألا تَرَيْن وقد قطَّعتنى عذَلا ... ماذا من الفوْتِ بين البخل والجود
إلا يكن وَرَق يوماً أراح به ... للخابطين فانى لين العود

وزهير صاحب القصيدة التى أولها

أمن أم أوْفى دمنةٌ لم تكلَّم ... بحَوْمانة الدَّرَّاج فالمُتَثَلَّم

يمدح بها هَرِم بن سنان والحرث بن عوف المرِّيَّين لسعيهما فى الصلح بين عبس وذُبيان واحتمالهما دية القتلى ، وحديث ذلك ان ورد بن حابس العبسى قتل هَرِم بن ضَمْضَم المرى ، فتشاجر عبس وذبيان قبل الصلح وحلف حصين بن ضمضم ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس أو رجلا من بني عبس ثم من بني غالب ولم يطلع على ذلك أحدا ، وقد حمل الحمالة الحرث بن عوف ، فأقبل رجل من بني عبس حتى نزل بحُصَين ، فقال له حصين من أنت أيها الرجل ؟ قال عبسى ، قال من أى عبس ؟ فلم يزل ينتسب حتى انتسب الى بني غالب ، فقتله حصين ، وبلغ ذلك الحرث بن عوف وهَرِم بن سنان فاشتد عليهما ، وبلغ بني عبس فركبوا نحو الحرث ، فلما بلغه ركوبهم اليه وما قد اشتد عليهم من قتل صاحبهم وأنهم يريدون قتل الحرث بعث اليهم بمائة من الابل معها ابنه وقال للرسول قل لهم آلابل أحب اليكم أم أنفسكم ؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك ، فقال لهم الربيع بن زياد يا قوم ان أخاكم قد أرسل اليكم آلابل أحب اليكم أم ابني تقتلونه مكان قتيلكم ؟ فقالوا نأخذ الابل ونصالح قومنا وتتم الصلح ، وكان الصلح قد تم قبل ذلك على أن يحتسبوا القتلى فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، وحمل الحرث بن عوف وهرم بن سنان الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير فى ثلاث سنين ففى ذلك يقول زهير

سعى ساعيا غَيْظ بن مُرّة بعد ما ... تَبَزّل (١) ما بين العشيرة بالدم
فأقسمت بالبيت الذى طاف حول ... رجال بَنَوْه من قريش وجُرْهم
يميناً لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سَحيل (٢) ومُبْرَم
تداركتما عبساً وذبيان بعد ما ... تفانَوا ودقوا بينهم عِطْرَ مَنْشِم (٣)
وقد قلتما ان ندرك السِّلْم واسعا ... بمال ومعروف من الأمر نسلَم
فأصبحتما منها على خير موطن ... بعيدَيْن فيها من عُقوق ومأثَم
عظيمين فى عُلْيا مَعَدّ وغيرها ... ومن يستبح كنزاً من المجد يعظُم
فأصبح يجرى فيهمُ من تلادكم ... مغانمُ شتى من إفال (٤) المزَنَّم
تُعَفّى الكلوم بالمئين فأصبحت ... ينجّمها (٥) من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامـــة ... ولم يُهَريقوا بينهم ملء مِحْجَم
فمن مبلغ الأحلاف عنى رسالة ... وذُبْيان هل أقسمتمُ كل مُقْسَم
فلا تكتمُنّ اللهَ ما فى نفوسكم ... ليخفى ومهما يُكْتَم الله يَعْلَم
يؤخرْ فيوضعْ فى كتاب فيدّخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجَّم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتَضْرَ (٦) اذا ضَرّيتموها فتَضْرَم
فتَعْرُككُم عَرْكَ الرحى بثفالها (٧) ... وتَلْقَحْ كِشافا ثم تحمل فتُتئم
فتنتج لكم غلمان أشأمَ كلهم ... كأحمر عاد ثم تُرْضع فتفطِم
فتُغْلل لكم ما لا تُغِلّ لأهلها ... قُرًى بالعراق من قفيز ودرهم

---

(١) تشقق (٢) السحيل الخيط المفرد والمبرم المفتول يريد شدة الامر وسهولته
(٣) امرأة عطارة من خزاعة تحالف قوم فأدخلوا ايديهم فى عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا فضرب بها زهير المثل (٤) الافال الفصلان والمزنم فحل معروف (٥) اى تجعل نجوما على غارمها (٦) اى تتمود اذا عودتموها (٧) الثفال جلدة تكون تحت الرحى اذا ادیرت يقع الدقيق عليها ومعنى بثفالها ولها ثفال ولقحت الناقة كشافا اذا حمل عليها وهى فى اثر نتجها وهى فى دمها

لعمرى لنعم الحى جر عليهم ... بما لا يؤاتيهم حُصَين بن ضَمْضَم
وكان طوى كَشْحاً على مُسْتَكِنة[1] ... فلا هو أبداها ولم يتجمجم
وقال سأقضى حاجتى ثم أتقى ... عدوى بألف من ورائى مُلجَم
فشد ولم تفزع بيوت كثيرة ... لدى حيث ألقت رحلها أم قَشْعَم
لدى أسد شاكي السلاح مُقَذَّف ... له لِبَـد أظفاره لم تُقَلَّم
جرئ متى يُظلم يعاقب بظلمه ... سريعاً والا يُبْدَ بالظلم يَظلم
رعَوْا مارعوا من ظِمْئهم[2] ثم أوردوا ... غِماراً تسيل بالرماح وبالدم
فقضَّوا منايا بينهم ثم أصدروا ... الى كَلَأ مستوبَل متوخَّم
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم ... دمَ ابن نَهيك[3] أو قتيل المثلم
ولا شاركوا فى القوم فى دم نوفَل ... ولا وَهَب منهم ولا ابن المخزَّم
فكلا أراهم أصبحوا يعقِلونهم[4] ... عُلالة ألف بعد ألف مصمَّم
تساق الى قوم لقوم غرامة ... صحيحات مال طالعات بمَخْرَم[5]
لحى حلال يعصِم الناسَ أمرُهم ... اذا طلعت احدى الليالي بمعظم
كرام فلا ذو الضِّغْن يُدرك وِتْره ... لديهم ولا الجانى عليهم بمسلَم

وذكر قيامهم فى ذلك فى قصيدته التى أولها

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو ... وأقفر من سلمى التَّعانيق فالثقل
وقد كنت من سلمى سنين ثمانياً ... على صبر أمر ما يَمُرّ وما يحلو
وكنت اذا ما جئت يوماً لحاجة ... مضت وأَجَّت حاجة الغد ما تخلو
وكل محب أحدث النأى عنده ... سلو فؤاد غيرَ حبك ما يسلو
تأوّبنى ذكر الأحبة بعد ما ... هجعت ودونى قُلة الحَزْن فالرمل

---

(١) خطة أكتمها فى نفسه (٢) الظمء ما بين الشربتين والغمار جمع غمر وهو الماء الكثير
(٣) هؤلاء من قتلى بنى عبس (٤) يغرمون دياتهم والعلالة الشىء بعد الشىء والمصمم التام
(٥) المخرم الثنية فى الجبل والطريق

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى ... وما سحقت فيه المقاديم والقمل
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن ... الى الليل الا أن يعرجني طفل

يقول فيها

تداركتما الأحلاف[1] قد ثلّ عرشها ... وذبيان قد زلت بأقدامها النعل
فأصبحتما منها على خير موطن ... سبيل كما فيه وان أحزنوا سهل
اذا السنة الشهباء بالناس أجحفت ... ونال كرام المال فى الحجرة[2] الأكل
رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ... قطيناً بها حتى اذا نبت البقل
هنالك ان يُستخبَلوا[3] المال يُخبلوا ... وإن يُسألوا يُعطوا وان يَيسِروا يغلو
وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل
على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعند المقلّين السماحة والبذل
وان جئتهم ألفيت حول بيوتهم ... مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل
وان قام فيهم حامل قال قاعد ... رَشَدْتَ فلا غُرْم عليك ولا خُذْل
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم ... فلم يفعلوا ولم يُكيموا[4] ولم يألوا
فما يك من خير أتَوْه فانما ... توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطّىّ الا وشيجه[5] ... وتُغرس الا فى منابتها النخل

ومما مدح به هَرِما وأباه واخوته وغنى فيه قوله

ان الخليط أجدَّ[6] البين فانفرقا ... وعُلِّق القلب من أسماء ما عَلِقا
وفارقاك برهن لا فكاك له ... يوم الوَداع فأمسى الرهن قد غَلِقا[7]
وأخلفتك ابنة البكرى ما وعدت ... فأصبح الحبل منها واهناً خلقا

---

(١) الاحلاف اسد وغطفان وطيىء (٢) السنة الشديدة (٣) الاستخبال ان يستعير الرجل من الرجل ابلا فيشرب البانها وينتفع باوبارها ويسروا يقامروا
(٤) لم يفعلوا ما يلامون عليه ولم يألوا لم يقصروا (٥) الوشيج القنا الملتف فى منبته
(٦) اجتهد وانفرق انقطع وتفرق (٧) لم يكن له فكاك

قامت تبدّى بذى ضال لتحزننى ... ولا محالة أن يشتاق من عشقا
بجيد مُعْزِلة (١) أدماء خاذلة ... من الظباء تراعى شادنا خرِقا

يقول فيها

قد جعل المبتغون الخير فى هَرِم ... والسائلون الى أبوابه طُرُقا
ان تلْقَ يوماً على علّاته هَرِما ... تلق السماحة منه والندى خُلُقا
وليس مانع ذي قربى وذي نسب ... يوماً ولا مُعْدماً من خابط وَرَقا
ليث بعثّر يصطاد الرجال اذا ... ما كذب الليث عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما ارتموا، حتى اذا اطّعنوا ... ضارب، حتى اذا ماضاربوا اعتنقا
هـذا وليس كمن يَعْيا بخُطته ... وسط النّدِىّ اذا ما ناطق نطقا
لو نال حى من الدنيا بمنزلة ... أُفْق السماء لنالت كفُّه الأُفُقا

ومن قول زهير يرثى سنان بن أبى حارثة أبا هرم

ان الرزية لا رزية مثلها ... ما تبتغى غَطَفان يوم أُضلّت
ان الركاب لتبتغى ذا مِرَّة ... بجنوب نَخْلَ اذا الشهور أحلت
ينعين خير الناس عند شديدة ... عظمت مصيبته هناك وجلّت
ومدفّع ذاق الهوان ملعن ... راخيت عقدة حبله فانحلت
ولنعم حشو الدرع كان اذا سطا ... نَهِلت من العَلَق الرماح وعلّت

ومما فيه غناء من مدائح زهير

أمن أم سلمى عرفت الطلولا ... بذى حُرُض مائلات (٢) مُثولا
بلِينَ وتحسب آياتهن ... على فَرْط (٣) حولين رِقّا مُحيلا

---

(١) التى لها غزال والأدماء البيضاء والخاذلة المقيمة على ولدها والشادن الذى قد شدن أى تحرك ولم يقو بعد والخرق الدهش (٢) المائل هنا اللاطىء بالارض (٣) فرط حولين تقدم حولين والفارط المتقدم والمحيل الذ أتى عليه حول

يقول فيها

اليك سِنانُ الغداة الرحيـــل أعصى النهاة وا مضى الفُوُلا[1]

فلا تأمنى غزو افراســـه بني وائل وارهبيه جَدِيلا

وكيف اتقاء امرئ لا يؤ ب بالقوم فى الغزو حتى يطيلا

ومن الغناء فى مدائح هَرِم قوله

قف بالديار التى لم يَعْفُها القِدَم بلى وغيرها الأرواح والدِّيم[2]

كأن عينى وقد سال السليل[3] بهم وعَبرة ما هُمُ لو أنهم أَمَم

غَرْب على بَكْرة أو لؤلؤ قَلِق فى السلك خان به رباته النُّظُم

يقول فيها

ان البخيل ملوم حيث كان ولـكن الجواد على عِلّاته هَرِم

هو الجواد الذى يعطيك نائله عَفْواً ويُظْلم أحيانا فيَظَّلم

وان أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى ولا حَرِم

القائد الخيل منكوبا دوابرها منها الشَّنون[4] ومنها الزاهق الزَّهِم

ومنـه

لمن الديار بقُنَّة[5] الحَجْر أقوَيْن مذ حجج ومذ دهر

لعب الزمان بها وغيرها بعدى سوافى[6] المُور والقَطْر

دع ذا وعدّ القول فى هَرِم خير البُداة وسيد الحَضْر

تالله قد علمت سَراة بني ذبيان عام الحبس والأَضُر

---

(١) جمع فأل أى لا اتطير (٢) جمع ديمة وهو المطر الذى يدوم يوما او يومين مع سكون

(٣) السليل واد يريدانهم ساروا فيه سيرا سريعا وقوله وعبرة ما هم أى هم سبب بكائى وما صلة اى هم عبرة والامم القصد أى لو كانوا بين القريب والبعيد زرتهم (٤) الشنون من الخيل بين السمين والمهزول والزاهق السمين والزهم الكثير الشحم (٥) القنة الجبل الذى ليس بمنتشر أقوين خلون (٦) السوافى ما تسفى الرياح والمور التراب

أن نعم معترك الجياع اذا خبّ السفير [١] وسابئ الخمر
ولنعم حشو الدرع أنت اذا دُعيتْ نزال ولُجّ [٢] في الذُّعر
حامى الذِّمار على محافظة الـــ ـــجلّى أمين مغيّب الصدر
حدِب على المولى الضريك اذا [٣] نابت عليه نوائب الدهر
ومُرَهَّق [٤] النيران يحمد فى الـــ ـــلأواء غير مُلعَّن القِدْر
ويقيك ما وقّى الأكارم من حُوب [٥] تُسبّ به ومن غدر
واذا برزت به برزت الى ضافى [٦] الخليقة طيب الخُبْر
متصرف للمجد معترف للنائبات يُراح للذكر
جلْد يَحُث على الجميع اذا كره الظنون [٧] جوامع الأمر
فلأنت تفْرى [٨] ما خلقت وبعـــ ـــض القوم يخلق ثم لا يفْرى
ولأنت أشجع حين تنجه الـــ ـــأبطال من ليث أبى أجْر [٩]
ورْدعُراض [١٠] الساعدين حديـــ ـــد الناب بين ضراغم غُثْر
يصطاد أحْدان الرجال فما تنفك أجْريه على ذُخْر
والستر دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر
أثنى عليك بما علمت وما سلّفت فى النَّجدات والذكر
لو كنت من شىء سوى بشر كنت المنوّر ليلة البدر

ومنه

لمن طَلَلٌ برامةَ لا يريم عفا [١١] وأحاله عهد قديم

---

(١) السفير الورق تسفره الرياح وتطيره ومعنى ذلك تحات ورق الشجر
(٢) تتابع الناس فى الفزع (٣) الضرير (٤) اى تغشى ناره ينال رهقت الرجل اذا غشيته واللأواء الجهد وشدة الزمان (٥) اثم (٦) واسع الخلق (٧) الظنون لا يوثق بما عنده لما علم من قلة خبره (٨) الفرى القطع والخلق التقدير (٩) جمع جرو وهو ولد الاسد (١٠) عريض والغثر الغبر (١١) درس

تطالعنى خيالات لسلمى كما يتطالع الدين الغريم

يقول فيها

لعمر أبيك ماهرِم بن سَلْمى بمَلْحِيّ اذا اللؤماء لِيموا
ولا ساهى الفؤاد ولاعيى اللسان اذا تشاجرت الخصوم
وهو غيث لنا فى كل عام يلوذ به المخوَّل والعديم
وعوَّد قومه هرِم عليه ومن عاداته الخلق الكريم
كما قد كان عودهم أبوه اذا أزمتهم يوماً أزوم
كبيرة مغرَم انٌ يحملوها تهمّ الناس أو أمر عظيم
لينجوا من ملامتها وكانوا اذا شهدوا العظائم لم يُليموا
كذلك خيمهم[1] ولكل قوم اذا مستهم الضرَّاء خيم
وان سُدَّتْ به لَهَوات[2] ثغر يشار اليه جانبه سقيم
مخوفٌ بأسُه يَكْلأُكَ منه عتيق لا ألَفٌ[3] ولا سؤوم
له فى الذاهبين أُروم[4] صدق وكان لكل ذى حسَب أُروم

قال عمر لبعض ولد هرِم أنشدنى بعض مدح زهير أباك ، فأنشده ، فقال عمر ان كان لَيُحْسن فيكم القول ، قال ونحن والله ان كنا لنحسن له العطاء ، فقال قد ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم

وكان هرِم قد حلف ألا يمدحه زهير الا أعطاه ولا يسأله الا أعطاه ولا يسلم عليه الا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان اذ رآه فى ملأ قال عموا صباحاً غير هرِم وخيركم استثنيت

---

(١) الخيم الخلق (٢) اللهوة مدخل الطعام فى الحلق استعارها لمدخل الثغر (٣) الألف الضعيف الرأى الثقيل (٤) أصول

أغار الحرث بن ورقاء الصيداوى الأسدى على عبد الله بن غطفان فاستاق ابل زهير وراعيه يساراً فقال زهير

بان الخليط ولم يأووا (١) لمن تركوا ... وزودوك اشتياقاً أيّة سلكوا

وهى طويلة يقول فيها

هلا سألت بنى الصَّيْداء كلهم ... بأى حبل جوار كنت أمتسك
فلن يقولوا بحبل واهن خلق ... لو كان قومك في أسبابه هلكوا
ياحار لا أرمينْ منكم بداهية ... لم يلقها سُوقة قبلى ولا ملك
اردُد يساراً ولا تعنُفْ عليه ولا ... تمعَكْ (٢) بعرضك ان الغادر المعِك
ولا تكونن كأقوام علمتهمُ ... يلوُون (٣) ماعندهم حتى اذا نهكوا
طابت نفوسهم عن حق خصمهمُ ... مخافة الشر فارتدوا لما تركوا
تعلَّمَن ها لعَمْرُ الله ذا قسَما ... فاقدِر (٤) بذرعك وانظر أين تنسلك
لئن حللت بجوّ فى بني أسد ... فى دين (٥) عمرو وحالت بيننا فدَك
ليأتينك منى منطق قذَع (٦) ... باق كما دنَّسَ القبطيَّة الودك

فلما أنشد الحرث الشعر بعث بالغلام اليه

كان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بنى غليب فأكرموه لما نزل بهم وأحسنوا جواره ، وكان رجلا مولعاً بالقمار فنهوه عنه فأبى الا المقامرة ، فقُمر مرة فردوا عليه ، ثم قمر أخرى فردوا عليه ، ثم قمر الثالثة فلم يردوا ، فترحل عنهم وشكا ما صنع به الى زهير ، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاء شديداً ، فقال ماخرجت في ليلة ظلماء الا خفت أن يصيبنى الله بعقوبة لهجائى قوماً ظلمتهم ، وكان زهير فى

---

(١) لم يرحموا ولم يرقوا (٢) المعك المطل والمعك المطول (٣) يمطلون ونهكوا شتموا وبولغ فى هجائهم (٤) أى قدر بخطوك والذرع قدر الخطو (٥) أى فى طاعته وسلطانه وهو عمرو بن هذا الملك (٦) القذع اقبح الشتم والهجاء

الجاهلية سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع ، والذى هجاهم به قوله

عفا من آل فاطمة الجواء (١) فيمْن فالقوادم فالحِساء
فذوهاش فميثٌ (٢) عُرَيتنات عفَتْها الريح بعدك والسماء

ومنها

جرت سُنُحاً فقلت لها أجيزى (٣) نَوًى مشمولةً فمتى اللقاء
كأن أوابد (٤) الثيران فيها هجائن فى مغَابنها الطِّلاَء
لقد طالبتها ولكل شىء وان طالت لحاجته انتهاء

ومنها

وقد أغدو على شَرَب كرام نَشاوى واجدين لما نشاء
لهم راح وراووق ومسك تُعَلّ به جلودهمُ وماء

يقول فيها

وما أدرى وسوف أخل أدرى أقوم آل حِصْن (٥) أم نساء
فان قالوا النساء مخبآت فحُق لكل مُحْصَنه (٦) هداء
فاما أن يقول بنو مَصَاد (٧) اليكم اننا قوم بُراء
واما أن يقولوا قد وفينا بذمتنا فعادتنا الوفاء
واما أن يقولوا قد أبينا فشر مواطن الحسب الاباء
وان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نِفار (٨) أو جَلاء
فذلكمُ مقاطع كل حق ثلاث كاهن لكم شفاء

---

(١) هى أرض فى بلاد غطفان وكذلك ما بعدها (٢) الميث جمع ميثاء . قال أبو عمر اذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادى او ثلثيه فهى ميثاء والسماء هنا المطر (٣) انتذى والمشمولة السريعة الانكشاف (٤) الاوابد الوحشية والهجائن ابل بيض (٥) بنو حصن من كلب (٦) الهداء زفاف العروس الى زوجها (٧) بنو مصاد من آل حصن (٨) أى تنافر الى رجل يتبين حجج الخصوم ويحكم بينهم والجلاء أن ينكشف الامر وينجلى فتعلم حقيقته فيقضى به لصاحبه دون خصام ولا يمين

فلا مستكرَهون لما منعتم ... ولا تُعطُون الا أن تشاؤا
جوار شاهد عَدْل عليكم ... وسيان الكفالة والتَّلاء (١)
بأى الجيرتين أجرتموه ... فلم يصلُحْ لكم الا الأداء
وجار سار معتمداً اليكم ... أجاءته المخافة والرجاء
فجاور مكرَما حتى اذا ما ... دعاه الصيف وانقطع الشتاء
ضمنتم ماله وغدا جميعاً ... عليكم نقصه وله النَّماء
ولولا أن ينال أبا طريف ... إسار من مليك أو لحاء
لقد زارت بيوت بني عُلَيْم (٢) ... من الكلمات آنية ملاء
فتجمع أيمُن منا ومنكم ... بمُقْسَمة (٣) تمور بها الدماء
ستأتى آل حِصْن حيث كانوا ... من المثُلات باقية ثناء
فلم أر معشراً أسروا هَديًا ... ولم أرَ جار بيت يستباء (٤)
وجار البيت والرجل المنادى ... أمام الحى عقدهما سواء
أبى (٥) الشهداء عندك من معَدّ ... فليس لما تدب له خفاء
تُلَجْلج (٦) مُضْغَة فيها أنيض ... أصَلَّتْ فهى تحت الكَشْح داء
غَصِصْتَ بنيئها فبشمْت عنها ... وعندك لو أردت لها دواء
وانى لو لقيتك فاجتمعنا ... لكان لكل مُنْدِية (٧) لقاء
فأبرئ (٨) موضِحاتِ الرأس منه ... وقد يشفى من الجَرَب الهِناء
فمهلا آل عبد الله عدوا ... مخازى لا يُدَبّ (٩) لها الضَّراء

---

(١) التلاء الحوالة (٢) بنو عليم من كلب (٣) المقسمة موضع القسم ويريد بها مكة (٤) الهدى الرجل ذو الحرمة وهو المستجير بالقوم ما لم يجر أو يأخذ عهدا فاذا أخذ العهد وأجير فهو جار يستباء تؤخذ امرأته (٥) فى البيت حذف أى أبى الشهداء الا أن يشهدوا بالحق
(٦) أى ترددها فى فمك والانيض الذى لم ينضج واصلت انتنت (٧) المندية الداهية التى تندى صاحبها عرقا لشدتها (٨) أى ابرىء ما فى صدرك من منع الحق كما يبرىء الهناء الجرب والهناء القطران (٩) أى لا يخفى أمرها والضراء ما تواريت به من شجر والخمر ما تواريت به من شىء

أرونا سـنة لا عيب فيها يُسَوَّى بيننا فيها السواء
فان تَدَعوا السَّوَاء فليس بيني وبينكم بني حصن بقاء
ويبقى بيننا قَذَع وتُلفَوْا إذاً قوماً بأنفسهم أساؤا
وتوقد نارُكم شَرَراً ويُرْفع لكم فى كل مَعْجَمة لواء

ومن قوله فى أم أوفى بعد أن تزوج امرأة أخرى، وهى أم ابنيه كعب وبُجَير فغارت من ذلك أم أوفى وآذته فطلقها ثم ندم فقال فيها

لعمرك والخطوب مغيرات وفى طول المعاشرة التَّقالى
لقد باليت مَظْعَن أم أوفى ولكن أم أوفى ما تبالى
فأما اذ نأيت فلا تقولى لذى صهر أُذِلْت ولم تُذالى
أصبت بنى منك ونلت مني من اللذات والحلل الغوالى

كان لزهير ابن يقال له سالم جميل الوجه حسن الشعر ، فأهدى رجل الى زهير بردتين فلبسهما افتى وركب فرساً ، فمر بامرأة من العرب بماء يقال له النُّتاءة ، فقالت ما رأيت كاليوم قط رجلا ولا بُرْدتين ولا فرساً ، فعثر به الفرس فاندقت عنقه وعنق الفرس وانشقت البردتان ، فقال زهير يرثيه

رأت رجلاً لاقى من العيش غِبْطة وأخطأه فيها الأمور العظائم
وشبّ له فيها بنون وتوبعت سلامة أعوام له وغنائم
فأصبح محبوراً ينظّر حوله بغبطته لو أن ذلك دائم
وعندى من الأيام ما ليس عنده فقلت تعلَّم انما أنت حالم
لعلك يوماً أن تراع بفاجع كما راعني يوم النُّتاءة سالم

قال ابن الأعرابى كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة وهى القائلة ترثيه

وما يغنى توقى المرء شيئا ولا عقد التميم ولا الغضار[1]
اذا لاقى منيته فأمسى يساق به وقد حق الخِدار
ولاقاه من الأيام يوم كما من قبل لم يَخْلُد قُدار

وابن ابنه المضرب بن كعب شاعر وهو القائل

وانى لأحبس نفسى وهى صادية عن مُصْعَب ولقد باتت لي الطرق
أرْعَى عليه كما أرْعَى على هَرِم جدى زهير وفينا ذلك الخلق
مدح الملوك وسعى في مسرتهم ثم الغنى ويد الممدوح تنطلق

كعب بن زهير

من المخضرمين ومن فحول الشعراء . خرج هو وأخوه بُجَيْر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبْرَق العزّاف ، فقال كعب لبجير الحق الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر ما يقول لك ، فقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع منه وأسلم و بلغ ذلك كعبا فقال

من مبلغ عني بجيرا رسالة فهل لك فيما قلت بالخَيْف هل لكا
شربت مع المأمون كأسا رَوِيّة فأنهلك المأمون منها وعَلّكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته على أى شيء وَيْبَ غيرك دلكا
على خلق لم تُلْفِ أماً ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخالكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف ولا قائل اما عثرت لعاً لكا

وبعث بها الى بجير فكره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده اياها ، ثم قال بجير لكعب

---

(١) كان أحدهم اذا خشى على نفسه يعلق فى عنقه خزفا أخضر وهو الغضار

من مبلغ كعبا فهل لك في التى تلوم عليهـا باطلا وهى أحزم
الى الله لا العزّى ولا اللات وحده فتنجو اذا كان النجاة وتَسْلَم
لدى يومَ لاينجو وليس بمُفْلت من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه ودين أبى سُلْمى علىّ محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه وأَرْجف به من كان فى حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شىء بدا قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جُهَينة ، فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه، فقام حتى جلس اليه فوضع يده في يده وكان رسول الله لا يعرفه ، فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه نعم ، قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير فقال قصيدته التى أولها

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم أثرَها لم يُفْدَ مكبول

يقول فيها

تمشى الغُواة بجنبيهـا وقولهم انك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل صـديق كنت آمُله لا أُلْهِيَنّك انى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته يوماً على آلة حَدْباء محمول
نبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـــقرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم أُذنب ولو كثرت فىّ الأقاويل

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به ... يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل
لظل تَرْعُد من وَجْد بوادره ... ان لم يكن من رسول الله تنويل
ما زلت أقتطع البيداء مدّرعاً ... جنح الظلام وثوب الليل مسبول
حتى وضعت يميني ما أنازعها ... فى كف ذى نَقِمات قوله القيل
فلَهْوَ أخوف عندى اذ أكلمه ... وقيل انك منسوب ومسئول
من ضيغم بضَراء الأرض مخْدره ... فى بطن عَثَّر غِيل دونه غيل
يغدو فيُلْحِم ضِرغامين عيشهما ... لحم من الناس معفور خَرَادِيل
اذا يساور قِرْنًا لا يحـل له ... أن يترك القِرْن الا وهو مفلول
منه تظل حمير الجوّ نافرة ... ولا تمشّى بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة ... مُضَرَّج البَزّ والدِّرْسين مأكول
ان الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كُشُف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
يمشون مشى الرجال الزُّهْر يعصمهم ... ضرب اذا عَرَّد السود التنابيل
شُمّ العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شقت لها حَلَق ... كأنها حلق القَفْعاء مجدول
ليسوا مفاريح ان نالت رماحهم ... قوماً وليسوا مجازيعاً اذا نيلوا
لا يقع الطعن الا فى نحورهم ... ليس لهم عن حياض الموت تهليل (١)

فلما قال كعب « اذا عَرَّد السود التنابيل » وانما يريد معشر الأنصار وخص المهاجرين من قريش بمدحته غضبت عليه الأنصار فقال بعد أن أسلم يمتدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) هلل جبن وفر

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب[1] من صالحي الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر ... ان الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهريّ بأذرع ... كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق و كرار
يتطهرون يرونه نُسُكاً لهم ... بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية ... غُلْب الرقاب من الأسود ضوار
واذا حللت لينعوك اليهم ... أصبحت عند معاقل الأغفار[2]
صدموا الكتيبة يوم بدر صدمة ... ذلت لوقعتها رقاب نزار
لو يعلم الأقوام علمى كله ... فيهم لصدقنى الذين أمارى
قوم اذا خوت[3] النجوم فانهم ... للطارقين النازلين مقارى[4]

معن بن أوس

هو معن بن أوس المزنى من مُزَينة بن أُدّ بن طابخة

شاعر مُجيد فحل ، من مخضرمى الجاهلية والاسلام ، وله مدائح فى جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ووفد الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه مستعيناً به على بعض أمره وخاطبه بقصيدته التى أولها

تأوَّ به طيف بذات الجرائم ... فنام رفيقاه وليس بنائم

وعمر بعد ذلك الى أيام الفتنة بين عبدالله بن الزبير ومَرْوان بن الحكم

كان معاوية يفضل مُزَينة في الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو

---

(١) المقنب جماعة من الخيل تجتمع للغارة (٢) الغفر بضم الغين وفتحها ولد الاروية والجمع أغفار (٣) خوت النجوم أمحلت فلم تمطر (٤) المقرى الذى يقرى الضيف وجمعه مقار

زهير ، وكان أشعر أهل الاسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس . كان معن ابن أوس مئناثاً وكان يحسن صحبة بناته وتربيتهن ، فولد لبعض عشيرته بنت فكرهها وأظهر جزعاً من ذلك فقال معن

رأيت أناساً يكرهون بناتهم وفيهن لا تُكْذب نساء صوالح
وفيهن والأيام تعثر بالفتى نوادب لا يَمْلَلْنه ونوائح

مر عبدالله بن عباس بمعن وقد كُفّ بصره فقال له كيف حالك يا معن ؟ فقال ضعف بصري وكثر عيالي وغلبني الدين ، قال وكم دينك ؟ قال عشرة آلاف درهم ، فبعث بها اليه ، ثم مر به من الغد فقال له كيف أصبحت يا معن ؟ فقال

أخذت بعين المال لما نَهِكته وبالدين حتى ما أكاد أُدان
وحتى سألت القرض عند ذوي الغنى وردّ فلان حاجتي وفلان

فقال له ابن عباس الله المستعان ، انا بعثنا اليك بالأمس لقمة فما لُكْتها حتى انتزعت من يدك فأي شيء للأهل والقرابة والجيران ؟ وبعث اليه بعشرة آلاف أخرى فقال معن يمدحه

انك فرع من قريش وانما تَمُجّ الندى منها البحور الفوارع
ثَوَوْا قادة للناس بطحاء مكة لهم وسقايات الحجيج الدوافع
فلما دُعُوا للموت لم تبك منهم على حادث الدهر العيون الدوامع

قدم معن مكة على ابن الزبير فأنزله دار الضيفان ، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان ، فأقام يومه لم يَطْعَم شيئاً ، حتى اذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هَرِم هزيل فقال كلوا من هذا وهم نيف وسبعون رجلا ، فغضب معن وخرج من عنده فأتى عبدالله بن عباس فقراه وحمله وكساه ، ثم أتى عبدالله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه وأقام عنده ثلاثاً حتى رحل ، فقال يهجو ابن الزبير ويمدح ابن جعفر وابن عباس رضى الله تعالى عنهم أجمعين

ظَلِلْنا بمستَنّ الرياح غُدَيَّة ... الى أن تعالى الليل فى شر مَحْضَر
لدى ابن الزبير جالسين بمنزل ... من الخير والمعروف والرِّفد مُقْفِر
رمانا أبو بكر وقد طال يومنا ... بتيس من الشاة الحجازى أعفر
وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة ... وسبعون انساناً فيا لؤم مَخْبَر
فقلنا له لا تقربا فأمامنا ... جفان ابن عباس العلا وابن جعفر
وكن آمناً وارفُق بتيسك انه ... له أعين ينزو عليها وأبشر

ومن قوله

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا فى ديارهمُ الصنيعا
اذا الحَسَب الرفيع تواكلته ... بُناة السوء أوشك أن يضيعا

سافر معن الى الشام وترك ابنته ليلى فى جوار عمرو بن أبى سَلَمة وعاصم بن عمر، فقال له بعض عشيرته على من خلفت ابنتك ليلى بالحجاز وهى صبية ليس لها من يكفلها ؟ فقال

لعمرك ما ليلى بدار مضيعة ... وما شيخها ان غاب عنها بخائف
وان لها جارين لا يغدُرانها ... ربيبَ النبىّ وابنَ خير الخلائف

ومن قوله

لعمرك ما أدرى وانى لأوجل ... على أينا تغدو المنية أول
وانى أخوك الدائم العهد لم أخُنْ ... انَ آبزاك خصم أو نبابك منزل
أحارب من حاربت من ذى عداوة ... وأحبس مالى ان غرمت فأعقِل
وان سؤتنى يوماً صفحت الى غد ... ليعقب يوم منك آخر مُقْبِل
كأنك تشفى منك داء مساءتى ... وسخطى وما فى ريبتى ما تعجل
وانى على أشياء منك تريبنى ... قديماً لذو صفح على ذاك مُجْمِل
ستقطع فى الدنيا اذا ما قطعتنى ... يمينك فانظر أىّ كف تبدّل

اذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته ... على طَرَف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه ... اذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحل
وكنت اذا ما صاحب رام ظِنّتى ... وبدل سوءا بالذى كنت أفعل
قلبت له ظهر المِجَنّ ولم أدم ... على ذاك الا رَيْثَما أتحول
وفي الناس ان رثّتْ حبالك واصل ... وفي الأرض عن دار القِلي متحول
اذا انصرفت نفسى عن الشى لم تكد ... عليه بوجه آخرَ الدهر تُقْبِل

ومن قوله

وذى رَحم قلّمت أظفار ضِغْنه ... بحلمى عنه وهو ليس له حلم
يحاول رَغْمى لا يحاول غيره ... وكالموت عندى أن يحل به الرغم
فان أَعْفُ عنه أُغْضِ عيناً على قَذًى ... وليس له بالصفح عن ذنبه علم
وأن أنتصر منه أكن مثل رائش ... سهام عدو يستهاض بها العظم
صبرت على ما كان بينى وبينه ... وما تستوى حرب الأقارب والسلم
وبادرت منه النّأى والمرء قادر ... على سهمه ما دام فى كفه السهم
ويشتم عرضى فى المغيَّب جاهداً ... وليس له عندى هوان ولا شتم
اذا سُمْته وصل القرابة سامنى ... قطيعتها تلك السفاهة والاثم
وان أَدْعُه للنصف يأبَ ويعصنى ... ويدعو لحكم جائر غيرُه الحكم
فلولا اتقاء الله والرَّحم التى ... رعايتها حق وتعطيلها ظلم
اذاً لعلاه بارقى وخطمته ... بوَسْم شَنار لا يشاكهه وَسْم
ويسعى اذا أبنى لبهدم صالحى ... وليس الذى يبنى كمن شأنه الهَدْم
يَوَدّ لوَ انى مُعدم ذو خَصاصة ... وأكره جهدي أن يخالطه العُدْم
ويعتدّ غُنْما في الحوادث نَكْبتى ... وما ان له فيها سناء ولا غُنْم
فما زلت فى لينى له وتعطفى ... عليه كما تَحْنُو على الولد الأُم

وخفض له منى الجَناحَ تألفاً ... لتُدْنيَه منى القرابة والرَّحْم
وقولى اذا أخشى عليه مُلمَّة ... ألا اسلم نداك الخال والعَقْد والعم
وصبرى على أشياء منه تَرِيبنى ... وكَظْمِى على غيظى وقد ينفع الكظم
لأَسْتَلَّ منه الضِّغْن حتى استلانه ... وقد كان ذا ضِغْن يضيق به الجِرْم
رأيت انثلاماً بيننا فرقعته ... برفقى واحيائى وقد يُرْقع الثَّلْم
وأبرأت غِلّ الصدر منه توسعاً ... بحلمى كما يشفى بالأدوية الكَلْم
وأطفأت نار الحرب بينى وبينه ... فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

شعراء ضبة

ربيعة بن مقروم الضبى

شاعر اسلامى مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ثم عاش فى الاسلام زماناً

باع ربيعة عجرد بن عبد عمرو الدرامى لِقْحة الى أجل ، فلما بايعه وجد ربيعة عنده ضابىء بن الحرث وقد نهاه عن انظاره بالثمن فقال يعرض بضابىء انه أعان عليه وكان ضلعه معه

أَعَجْرَ بن المليحة ان همى ... اذا ما لجّ عذالى لَعان [1]
يرى مالا أرى ويقول قولا ... وليس على الأمور بمستعان
ويحلف عند صاحبه لَشاةٌ ... أحب الىّ من تلك الثمان
وحاملِ عِبْء ضِغْن لم يَضِرْنى ... بعيد قلبه حلو اللسان
ولو انى أشاء نَقَمت منه ... بشَغْب من لسان تَيْحان [2]
ولكنى وصلت الحبل منه ... مواصلة بحبل أبى بيان [3]

(١) من العناء عنانى الشىء يعنينى وهو لى عان (٢) طويل (٣) أحد أعمام ربيعة

ترفع فى بني قَطَن وحلت [١] بيوت المجد يبنيهن بان
وصخرةَ ان صخرةَ خير جار علقت له بأسباب متان
هجان الحى كالذهب المصفى [٢] صبيحةَ ديمةٍ يَجْنيه جان

كان لضابىء على عجرد دين بايعه به نَعَما واستخار الله فى ذلك و بايعه ربيعة ولم يستخر الله تعالى ، ثم خافه ضابىء فاستجار بربيعة فى مطالبته اياه فضمن له جواره ،فوفى عجرد لضابىء ولم يَفِ لربيعة ،فقال ربيعة

أعجرد انى من أمانى باطل وقولٍ غدًا شَحّ لذاك سَئُوم
وان اختلافى نصف حول مُجَرَّم اليكم بني هند علىّ عظيم
فلا أعرفنّى بعد حول مجرم وقولٍ خلا يشكونني فألوم
و يلتمسوا ودى وعطفى بعد ما تناشد قولى وائل وتميم
وان لم يكن الا اختلافى اليكم فانى امرؤ عِرضى علىّ كريم
فلا تفسدوا ما كان بيني و بينكم بني قَطَن ان المليم مُليم

فاجتمعت عشيرة عجرد عليه وأخذوه باعطائه ربيعة ماله فأعطاه إياه

أسر ربيعة بن مقروم واستيق ماله فتخلصه مسعود بن سالم بن أبى سلمى فقال ربيعة فيه

بان الخليط فأمسى القلب معموداً وأخلفتك ابنة الحرّ المواعيدا
كأنها ظبية بكر أطاع [٣] لها من حَوْمَل تلعات الجو أو أُودا
قامت تُريك غداة البين مُنْسدلا تجلّلتْ فوق متنيها العناقيدا
وبارداً طيباً عذباً مذاقتُه شربته مزجاً بالظلم [٤] مشهوداً

---

(١) يعنى بنى قطن (٢) قال ابو عمرو الذهب في معدنه اذا جاء المطر ليلا لاح من غد عند طلوع الشمس فيتتبع ويوجد (٣) انبت لها العشب والجو وأود موضعان والتامة من الاضداد تكون ما ارتفع وما انخفض (٤) الظلم ماء الاسنان ومشهودا كأن طعمه طعم الشهد

وجسرة (١) أجد تذمى مناسمها ... أعملتها بى حتى تقطع البيدا
كلفتها فرأت حتماً تكلفها ... ظهيرة كأجيج النار صيخودا (٢)
فى مهمه (٣) قذف يخشى الهلاك به ... أصداؤه لا تنى بالليل تغريدا
لما تشكت إلىّ الأين قلت لها ... لا تستريحنّ ما لم ألق مسعودا
ما لم ألاق امرأ جزلا مواهبه ... رحب الفناء كريم الفعل محمودا
وقد سمعت بقوم يحمدون فلم ... أسمع بمثلك لا حلماً ولا جودا
ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة ... وما أنبىء عنك الباطل السيدا
لا حلمك الحلم موجود عليه ولا ... يُلفى عطاؤك فى الأقوام منكودا
وقد سبقت بغايات الجياد وقد ... أشبهت آباءك الصيد الصناديدا
هذا ثنائى بما أوليت من حسن ... لازلت عوض قرير العين محسودا

ومن فاخر الشعر وجيده قول ربيعة

ولقد جمعت المال من جمع امرىء ... ورفعت نفسى عن لئيم المأكل
ودخلت أبنية الملوك عليهم ... ولشرّ قول المرء ما لم يفعل
ولرُبَّ ذى حنق علىّ كأنما ... تغلى عداوة صدره كالمرجل
أرجيته عنى فأبصر قصده ... وكويته فوق النواظر من علِ
وأخى محافظة عصى عذّاله ... وأطاع لذته مُعِمّ مُخوِل
هشّ يراح الى الندى نبهته ... والصبح ساطع لونه لم ينجل
فأتيت حانوتاً به فصبحته ... من عاتق بمزاجها لم تقتل
صهباء صافية القذى أغلى بها ... يسرٌ كريم الخيم غيرُ مبخّل
ومعرّس عرض الردى عرّسته ... من بعد آخر مثله فى المنزل

(١) الجسرة المتجاسرة فى سيرها واعانها سرت عليها (٢) الصيخود من قولهم صخدة اذا أذابه (٣) بعيد

ولقد أصبت من المعيشة لينها ... وأصابنى منه الزمان بكلكل

فاذا وذاك كأنه ما لم يكن ... الا تذكره لمن لم يجهل

ولقد أتت مائة على أعدها ... حولاً فحولاً ان بلاها مبتل

فاذا الشباب كمبذل (١) أنضيته ... والدهر يبلى كل جدة مبذل

هلا سألت وخبر قوم عندهم ... وشفاء غيك خابراً أن تسألى

هل نكرم الأضياف ان نزلوا بنا ... ونسود بالمعروف غير تنحل

ونحل بالثغر المخوف عدوه ... ونرد حال العارض المتهلل

ونعين غارمنا ونمنع جارنا ... ونزين مولى ذكرنا فى المحفل

واذا امرؤ منا جنى فكأنه ... مما يخاف على منا كب يذبل

ومتى تقم عند اجتماع عشيرة ... خطباؤنا بين العشيرة تفصل

لمن الديار كأنها لم تحلل ... بجنوب أسنمة فتف المنصل

درست معالمها فباقى رسمها ... خلق كعنوان الكتاب المحول

دار لسعدى اذ سعاد كأنها ... رشأ غضيض الطرف رخص المفصل

شماء واضحة العوارض طفلة ... كالبدر من خلل السحاب المنجلى

وكأنما ريح القرنفل نشرها ... أو حنوة (٢) خلطت خزامى حوءل

وكأن فاها بعد ما طرق الكرى ... كأس تصفق بالرحيق السلسل

لو أنها عرضت لأشمط راهب ... فى رأس مشرفة الذرى متبتل

جار ساعات النيام لربه ... حتى تخدد لحمه مستعمل

لصبا لبهجتها وحسن حديثها ... ولهم من ناموسه بتنزل

ومن مختارها ونادرها

بل ان ترى شمطاء تفرع لمتى ... وحنا قناتى وارتقى فى مسحلى (٣)

---

(١) الثوب الخلق وما يستعمل من الثياب كل يوم (٢) الحنوة نبات سهلى طيب الريح
(٣) المسحل جانب اللحية

وَدَلَفْتُ (١) من كبر كأنى خاتل ... قنصا ومن يَدْبِبْ لصيد يَخْتِلِ
فلقد أُرَي حسنَ القناة قويمها ... كالنَّصْل أخلصه جلاءُ الصَّيْقل
أزمانَ اذ أنا والجديد الى بِلًى ... تُصْبِي الغوانى مَيْعتى وتنقلى
ولقد شهدت الخيل يوم طِرَادها ... بسليم أوْظِفَة (٢) القوائم هَيْكَل
متقاذف شَنِج (٣) النَّساعَبْلُ الشَّوَى ... سباق أندية الجياد عَمَيْثَل
لولا أكفكفه لكاد اذا جرى ... منه العزيمُ (٤) يدق فأسَ المِسْحَل
واذا جرى منه الحميم رأيته ... يهوى بفارسه هوى الأجدل
واذا تعلل بالسياط جيادها ... أعطاك ثائبه ولم يتعلل
ودعوْا نزال فكنت أول نازل ... وعلامَ أركبه اذا لم أنزل
ويرى العدو لنا دُروءاً صعبة ... عند النجوم منيعة المتأول
واذا الحمالة أثقلت رُحَّالها ... فعلى سوائمنا ثقيل المحمل
ونحق فى أموالنا لحليفنا ... حقاً يَبُوء به وان لم يَسأل

---

(١) دلف مشى مشيا قارب الخطو (٢) الوظيف مستدق الذراع والساق
(٣) شنج متقبض وهو صفة محمودة فى الخيل لانه اذا شنج نساه لم تسترخ رجلاه والشوى اليدان والرجلان والاطراف والعبثل الضخم الشديد
(٤) العزيم العدو الشديد ومسحل اللجام الحديدة التى تحت الحنك والفأس الحديدة القائمة فى الشكيمة والشكيمة الحديدة المعترضة فى الفم

شعراء تميم

زهير بن عروة المازني

من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يلقب بالسَّكْب

شاعر جاهلي ، وكان من أشراف بني مازن وأشدائهم وفرسانهم وشعرائهم ، غاضب قومه في شيء ذمه منهم وفارقهم الى غيرهم من بني تميم فلحقه فيهم ضَيْم وأراد الرجوع الى عشيرته فأبت نفسه عليه ، فقال يتشوق ناساً منهم كانوا بني عمه دِنْيَةً يقال لهم بنو حَنْبَل

اذا الله لم يَسْقِ الا الكرامَ ... فسقَّى وجوهَ بني حَنْبَل
مُلِثّاً أَحَمَّ دَوانى السحاب ... هَزِيم الصَّلاصل والأَزْمل (١)
تُكَرْكِرُه[٢] خَضْخَضات الجَنُوب ... وتُفرغه هزّة الشَّمأَل
كأن الرَّباب[٣] دُوَيْنَ السحاب ... نعامٌ تَعَلَّق بالأَرجل
فنعم بنو العم والأَقربون ... لدى حَطْمة الزمن المُمْحِل
ونعم المواسون فى النائبا ... ت للجار والمعتفى المُرْمِل
ونعم الحماةُ الكفاةُ العظيمَ ... اذا غائظ الأمر لم يحلل
ميامين صُبْر لدى المُعْضِلات ... على موجع الحَدَث المُعْضل
مباذيل عفواً جزيلَ العطاء ... اذا فضلةُ الزاد لم تُبْذَل
هم سبقوا يوم جَرْيِ الكرام ... ذوى السبق فى الزمن الأول
وساموا الى المجد أهل الفعال ... فطالوا بفعلهم الأطول

---

(١) ألث المطر دام أياما لم يقلع ، الاحم الاسود من كل شيء ، وهزيم لا يستمسك كانه منهزم عن سحابة والهزيم صوت الرعد (٢) تصرفه (٣) الرباب السحاب الابيض وسأل رجل أبا عمرو عن الرباب فقال أما تراه معلقاً بالسحاب كالذيل له وانشد البيت

أوس بن حجر

هو أوس بن حَجَر التميمى من أسيد بن عمرو بن تميم ، من شعراء الجاهلية وفحولها ، قال أبو عمرو كان أوس شاعر مُضَر حتى أسقطه النابغة وزهير فهو شاعر تميم فى الجاهلية غير مدافع ، ومنهم من يقدم عليه عَدِيًا

خرج اعرابى مكفوف ومعه ابنة عم له لرعى غنم لهما ، فقال الشيخ أجد ريح النسيم فارفعى رأسك فانظرى ، فقالت أراها كأنها رَبْرَب معزًى هزلى ، قال ارعَىْ واحذرى ، ثم مكث ساعة ثم قال انى لأجد ريح النسيم قد دنا فانظرى ، قالت أراها كأنها بطن حمار أصحَر (١) ، فقال ارعَىْ واحذرى ، ثم مكث ساعة فقال انى لأجد ريح النسيم فما ترَيْن قالت أراها كما قال الشاعر

دانٍ مُسِفّ (٢) فويق الأرض هَيْدَبه ... يكاد يدفعه من قام بالراح

كأنما بين أعلاه وأسفله ... رَيْط منشرة أو ضوء مصباح

فمن بمحفله (٣) كمن بنجوته ... والمستكن كمن يمشى بقِرواح

فقال انجِى لا أبالك ، فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما ، والشعر لأوس

خرج أوس فى سفر حتى اذا كان بأرض بني أسد بين شَرْج وناظرة فبينا هو يسيرا اذ جالت به ناقته فعرعته فأندقت فخذاه فبات مكانه ، حتى اذا أصبح غدا جوارى الحى يجتنين الكَمْأة وغيرها من بنات الأرض والناس فى ربيع ، فبينا هن كذلك اذ بصرن بناقته تجول وقد علق زمامها فى شجرة وأبصرنه مُلْقًى ،

---

(١) تعنى أنه أبيض فيه حمرة والصحرة لون كذلك (٢) أسف على الارض اى دنا منها والهيدب ما تهدب منه اذا اراد الودق كانه خيوط (٣) يعنى من هو بحيث احتفل السيل والاحتفال كل شىء معظمه كمن فى نجوته أى ناحية عنه هما سواء لكثرة المطر والقرواح الارض الفضاء

ففزعن فهر بن ، فدعا بجارية منهن ، فقال من أنت ؟ قالت أنا حليمة بنت فضالة ابن كلدة وكانت أصغرهن ، فأعطاها حجراً وقال لها اذهبي الى أبيك فقولي له ابن هذا يقرئك السلام ، فأخبرته فقال يا بنية لقد أتيت أبك بمدح طويل أو هجاء طويل ، ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيته حيث صُرِع وقال والله لا أتحول أبداً حتى تبرأ ، وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقل ، فقال أوس فى ذلك

جذلت [1] على ليلة ساهرة ... بصحراء شرج الى ناظرة
تزاد ليالي فى طولها ... فليست بطلق ولا ساكرة [2]
أنوء برجل بها دهيها ... وأغنيت بها أختها العاثرة

وقال في حليمة

لعمرك ما ملّت ثواء ثويّها ... حليمة اذ ألقى مراسى مقعدا
ولكن تلقت باليدين ضمانتى [3] ... وحل بشرج فالقبائل [4] عودى
ولم تُلْهها تلك التكاليف انها ... كما شئت من أكرومة وتخوّد
سأجزيك أو يجزيك عنى مثوّب ... وقصرك ان يُثْنَى عليك ويحمد

ثم مات فضالة وكان يكنى أبا دُليحة فقال فيه أوس يرثيه

يا عين لا بد من سكب وتهمال ... على فضالة جل الرزء والعالى
أبا دُليحة من توصى بأرملة ... أم من لأشعث ذى طمرين ممحال
أبا دُليحة من يكفى العشيرة اذ ... أمسوا من الأمر فى لبس وبلبال
لا زال مسك وريحان له أرج ... على صداك بصافى اللون سلسال

ومن فاضل مراثيه إياه ونادرها

---

(١) جذل ثبت لا يبرح وشرج وناظرة موضعان (٢) لا ريح فيها (٣) الضمانة الزمانة (٤) لعله فالنواظر

أيتها النفسُ أجملي جزَعا ان الذى تحذرين قد وقعا
ان الذى جمع السماحة والنَّجـــدة والحزم والقُوَى جُمِعا
الأَلمعيُّ الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا
والمُخلف المُتلف المرزَّأ لم يمتَّع بضعف ولم يمت طبَعا
والحافظ الناس في تحُوطَ[1] اذا لم يُرْسلوا تحت عائذ رُبَعا
وعزّت[2] الشَّمْأَلُ الرياحَ واذ بات كميع الفتاة مُلتفعا
وشُبَّة الهَيْدَبُ العَبامُ[3] من الأَ قوام سَقْبا مُلَبَّسا فَرَعا
وكانت الكاعب المخبَّأة السـحناء فى زاد أهلها سبعا
أودى فلا تنفع الاشاحة[4] من أمر لمن قد يحاول البدعا
ليَبْكك الشَّرْب والمدامة والـفتيان طراً أو طامع طمعا
وذاتُ هِدْم[5] عارٍ نواشرها تُصْمت بالماء تَوْلَبا جَدِعا
والحى اذ حاذروا الصَّباح واذ خافوا مغيراً وسائراً تلِعا
وازدحمت حلْقتا البِطان بأقـوام وجاشت نفوسهم جزعا

عدى بن زيد

هو عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عُصَيَّة ابن امرىء القيس بن زيد مناة

شاعر فصيح من شعراء الجاهلية وكان نصرانياً وكذلك كان أبوه وأمه وأهله، وليس ممن يعد فى الفحول، وهو قروى، وقد أخذوا عليه أشياء عيب فيها،

---

(١) السنة الشديدة والعائذ الابل التى ولدت حديثا (٢) غلبت وكميع ضجيع
(٣) الثقيل والفرع ذبح كان أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقبا آخر
(٤) الجد فى الامور (٥) اخلاق من الثياب والنواشر عروق ظاهر الكف والجدع السيء الغذاء

وكان الأصمعى وأبو عبيدة يقولان عدى بن زيد فى الشعراء بمنزله سُهَيْل فى النجوم يعارضها ولا يجرى معها مجراها ، وكذلك عندهم أُمية بن أبى الصَّلْت ، ومثلهما كان عندهم من الاسلاميين الكُمَيْت والطِّرِمَّاح

أولية عدى

كان منزل جده أيوب بن محروف اليمامة فى بنى امرىء القيس بن زيد مناة ، فأصاب دما فى قومه فهرب فلحق بأوس بن قُلَّام الحارثى بالحيرة ، وكان بينهما نسب من قبل النساء ، فلما قدم عليه أكرمه وأنزله فى داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث ثم أن أوساً قال له يا ابن خال أتريد المقام عندى وفى دارى ؟ فقال له نعم فقد علمت أنى ان أتيت قومى وقد أصبت فيهم دما لم أسلم ومالى دار الا دارك آخر الدهر ، قال أوس انى قد كبرت وأنا خائف أن أموت فلا يعرف ولدى لك من الحق مثل ما أعرف وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمر يقطعون فيه الرحم فانظر أحب مكان فى الحيرة اليك فأعلمنى به لأُقْطِعَكَهُ أو أبتاعه لك ، فاختار موضعاً فى الجانب الشرقى من الحيرة فابتاعه له بثلثمائة أُوقية من ذهب ، وأنفق عليها مائتى أوقية ذهباً وأعطاه مائتين من الابل برعائها وفرساً وقَيْنَة ، ثم تحول اليها بعد مهلك أوس واتصل بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا له حقه وحق ابنه زيد ، ولم يكن منهم ملك يملك الا ولولد أيوب منه جوائز وحملان ، ثم ان زيد بن أيوب تزوج امرأة من آل قلام فولدت له حمادا ، ثم خرج زيد بن أيوب يوماً من الأيام يريد الصيد فى ناس من أهل الحيرة وهم منتدون بحفير ، فانفرد فى الصيد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجل من بنى امرئ القيس الذين كان لهم الثأر قبل أبيه ، فقال له وقد عرف فيه شبه أيوب ممن الرجل ؟ قال من بنى تميم ، قال من أيهم ؟ قال مَرَئِيّ ، قال له الاعرابى وأين منزلك ؟ قال الحيرة ، قال أمن بنى أيوب أنت ؟

قال نعم ومن أين تعرف بنى أيوب ؟ واستوحش من الأعرابى وذكر الثأر الذى هرب أبوه منه ، فقال له سمعت بهم ، ولم يعلمه أنه قد عرفه ، فقال له زيد فمن أى العرب أنت ؟ قال أنا امرؤ من طيىء ، فأمنه زيد وسكت عنه ، ثم ان الأعرابى اغتفل زيداً فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه فلق قلبه فلم يرم حافر دابته حتى مات ، فلبث أصحاب زيد ، حتى اذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنوا انه قد أمعن فى طلب الصيد ، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه ، ثم غدوا فى طلبه فاقتفوا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يسايره ، فاتبعوا الأثر حين وجدوه قتيلا ، فعرفوا أن صاحب الراحلة قتله ، فاتبعوه وأغذّوا السير فأدركوه مساء الليلة الثانية ، فصاحوا به ، وكان من أرمى الناس ، فامتنع منهم بالنّبل حتى حال الليل بينهم وبينه وقد أصاب رجلا منهم فى مرجع كتفيه بسهم فلما أجنه الليل مات ، وأفلت الرامى ، فرجعوا وقد قتل زيد ورجل آخر .

مكث حماد فى أخواله حتى أيْفَع ولحق بلوصفاء ، ثم تحول الى دار أبيه وتعلم الكتابة فيها ، فكان حماد أول من كتب من بني أيوب ، فخرج من أكتب الناس ، وطلب حتى صار كاتب النعمان الأكبر ، فلبث كاتباً له ، حتى ولد له ابنه زيد ، وكان لحماد صديق من الدهاقين العظماء يقال له فروخ ، فلما حضرت حماداً الوفاة أوصى بابنه زيد الى الدهقان فأخذه اليه فكان مع ولده ، وكان زيد قد حذق الكتابة والعربية فعلمه الدهقان الفارسية فلقفها وكان لبيباً ، فأشار الدهقان على كسرى أن يجعله على البريد فى حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك الا بأولاد المرازبة ، فمكث يتولى ذلك لكسري زماناً ، ثم ان النعمان هلك فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه الى أن يعقد كسرى الأمر لرجل ينصبه ، فأشار عليهم الدهقان بزيد بن حماد ، فكان على الحيرة الى أن ملك كسرى المنذر بن ماء السماء وكان المنذر لا يعصيه فى شيء ، ولد لعدى زيد وولد للدهقان ابن سماه شاهان مرد

فلما تحرك عدى بن زيد وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب حتى اذا حذق أرسله الدهقان مع ابنه الى كتاب الفارسية فكان يختلف اليهم ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمى بالنُّشّاب ، فخرج من الأساورة الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها ، ثم ان الدهقان وفد على كسرى ومعه ابنه شاهان مرد ، فأثبته كسرى وسائر أولاد الدهقان في صحابته ، فقال له فَرّوخ ان عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلفه فى حجرى فربيته فهو أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية والملك محتاج الى مثله فان رأى أن يثبته فى ولدى فعل ، فقال ادنهُ ، فأرسل الى عدى ، وكان جميل الوجه فائق الحسن ، وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه ، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جواباً فرغب فيه وأثبته مع ولد فروخ . فكان عدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى يؤذن له عليه فى الخاصة وهو مُعْجَب به قريب منه وأبوه زيد يومئذ حى الا أن ذكر عدي قد ارتفع وخَمَل ذكر أبيه ، فكان عدى اذا دخل الى المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد عدى ، فعلا له بذلك صيت عظيم ، فكان اذا أراد المقام بالحيرة استأذن كسرى فأقام فى أهله الشهر والشهرين وأكثر وأقل ، ثم ان كسرى أرسل عدى ابن زيد الى ملك الروم بهدية من طُرَف ما عنده ، فلما أتاه عدي بها أكرمه وحمله الى عماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه ، وكذلك كانوا يصنعون ، فمن ثَمّ وقع عدى بدمشق وقال فيها الشعر ، فكان مما قاله بالشام وهى أول شعر قاله فيما ذكر

رب دار بأسفل الجزْع من دُو مة أشهى اليّ من جيرون
ونَدامَى لا يفرحون بما نا لوا ولا يرهبون صرف المنون
قد سقيت الشمول فى دار بشر قهوة مُرّة بماء سخين

ثم كان أول ما قاله بعدها قوله

لمن الدار تعفّت بخيم ... أصبحت غيرها طول القدم
ما تبين العين من آياتها ... غير نؤى مثل خط بالقلم
وثلاث كالحمامات بها ... بين مجثاهن توشيم الحمم
أسأل الدار وقد أنكرتها ... عن حبيبي فاذا فيها صمم

وفسد أمر الحيرة وعدى بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لأنه كان لا يعدل فيهم وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه ، فلما تيقن ان أهل الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث الى زيد فقال له يا زيد أنت خليفة أبي وقد بلغني ما أجمع عليه أهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم دونكموه ملكوه من شئتم ، فقال زيد ان الأمر ليس لي ولكني أسبر لك هذا الامر ولا آلوك نصحاً ، فلما أصبح غدا اليه الناس فحيوه تحية الملك وقالوا له ألا تبعث الى عبدك الظالم « يعنون المنذر » فتريح منه رعيتك ؟ فقال لهم أولا خير من ذلك ؟ قالوا أشر علينا ؟ قال تدعونه على حاله فانه من أهل بيت ملك وأنا آتيه فأخبره ان أهل الحيرة قد اختاروا رجلا يكون أمر الحيرة اليه الا أن يكون غزو أو قتال فلك اسم الملك وليس اليك سوى ذلك من الأمور ، قالوا رأيك أفضل ، فأتى المنذر فأخبره بما قالوا ، فقبل ذلك وفرح وقال ان لك يا زيد علي نعمة لا اكفرها ما عرفت حق سبد ، فولى أهل الحيرة زيداً على كل شيء سوى الملك فانهم أقروه للمنذر .

ثم هلك زيد وعدى بالشام ، وكان لزيد الف ناقة للحمالات كان أهل الحيرة أعطوه إياها حين وَلّوه ما ولوه ، فلما هلك أرادوا أخذها ، فبلغ ذلك المنذر ، فقال لا واللات والعزّى لا يؤخذ مما كان في يد زيد ثُفْرُوق وأنا أسمع الصوت ، ثم ان عدياً قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان الذي ربّاه

قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى فى الالمام بالحيرة فأذن له فتوجه اليها ، وبلغ المنذر خبره فخرج فتلقاه فى الناس ورجع معه وعدى أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ولو أراد أن يملكوه لملكوه ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك ، فمكث سنين يبدو فى فصلى السنة فيقيم فى حفير ويشتو بالحيرة ويأتى المدائن فى خلال ذلك فيخدم كسرى ، فمكث كذلك سنين ، ولم يزل على حاله تلك حتى تزوج هنداً بنت النعمان بن المنذر وهى يومئذ جارية حين بلغت أو كادت

كان المنذر ابنان أحدهما النعمان وكان فى حجر آل عدى بن زيد فهم الذين أرضعوه وربوه وكان له ابن آخر كان فى حجر بني مَرِينا وكان له سواهما من الولد عشرة ، وكان يقال لولده الأشاهب لجمالهم ، وكان النعمان من بينهم أحمر أبرش قصيراً ، فلما احتُضِرَ المنذر أوصى بأولاده الى إياس بن قبيصة الطائى وملكه على الحيرة الى أن يرى كسرى رأيه ، فمكث مملكاً عليها أشهراً وكسرى بن هرمز فى طلب رجل يملكه عليهم ، فقال لعدى من بقى من آل المنذر وهل فيهم أحد فيه خير ؟ فقال نعم أيها الملك السعيد ان فى ولد المنذر لبقية وفيهم كلهم خير ، فقال ابعث اليهم فأحضرهم ، فبعث عدى اليهم وأنزلهم جميعاً عنده ، ثم قال للنعمان لست أملك غيرك فلا يوحشنَّكَ ما أفضل به اخوتك عليك من الكرامة فانى انما أغترُّهم بذلك ، ثم كان يفضل اخوته جميعاً عليه فى النُّزُل والاكرام والملازمة ويريهم تنقصاً للنعمان وأنه غير طامع فى تمام أمره على يده ، وجعل يخلو بهم رجلا رجلا فيقول اذا أدخلتكم على الملك فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها واذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطؤا فى الأكل وصغِّروا اللُّقَم ونَزِّروا ما تأكلون فاذا قال لكم أتكفونني العرب ؟ فقولوا نعم ، فاذا قال لكم فان شذا حدكم عن الطاعة وأفسد أتكفُونَنيه ؟ فقولوا لا ان بعضنا لا يقدر على بعض ليهابكم ولا يطمع فى تفرقكم ويعلم أن للعرب منَعَةً وبأساً ، فقبلوا منه ، وخلا بالنعمان يقال له البَسْ ثياب السفر

وادخل متقلداً بسيفك ، واذا جلست للأكل فعظم اللقم وأسرع المضغ والبلع وزد في الأكل وتجوّع قبل ذلك فان كسرى يعجبه كثرة الأكل من العرب خاصة ويرى أنه لا خير فى العربى اذا لم يكن أكولا شرهاً ولا سيما اذا رأى غير طعامه وما لا عهد له به ، واذا سألك هل تكفيني العرب ؟ فقل نعم ، فاذا قال لك فمن لي باخوتك ؟ فقل له ان عجزت عنهم فانى عن غيرهم لأعجز ، وخلا ابن مَرِينا بالأسود فسأله عما أوصاه به عدى فأخبره، فقال غشك والصليب والعمودية وما تصحك ولئن أطعتنى لتخالفن كل ما أمرك به ولتملكن ولئن عصيتني ليملكن النعمان ؟ ولا يغرنك ما أراك من الاكرام والتفضيل على النعمان فان ذلك دهاء منه ومكر ، وان هذه المعدّية لا تخلو من مكر وحيلة ، فقال له ان عدياً لم يألُنى نصحاً وهو أعلم بكسرى منك وان خالفته أوحشته وأفسد علىّ وهو جاء بنا ووصفنا والى قوله يرجع كسرى ؛ فلما أيس ابن مَرِينا من قبوله منه قال ستعلم ، ودعا بهم كسرى فلما دخلوا عليه أعجبه جمالهم وكلامهم ورأى رجالاً قلما رأى مثلهم ، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدى ، فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ويتأمل أكله ، فقال لعدى بالفارسية ان يكن فى أحد منهم خير ففى هذا ، فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلا رجلا فيقول أتكفينى العرب ؟ فيقول نعم الا اخوتى حتى انتهى الى النعمان آخرهم فقال أتكفينى العرب ؟ قال نعم قل كلها ؟ قال نعم ، قال فكيف لى باخوتك ؟ قال ان عجزت عنهم فانى عن غيرهم أعجز ، فملكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون الف درهم فيه اللؤلؤ والذهب ، فلما خرج وقد ملك قال ابن مرينا للأسود دونك عقبى خلافك لي وقال لعدى بن زيد

ألا أبلغ عديا عن عدى ... فلا تجزع وان رثّت قواكا
هيا كلنا تبر لغير ... فقد ليحمد أو يتم به عناكا
فان تظفر فلم تظفر حميداً ... وان تعطَبْ فلا يبعد سواكا

ندمت ندامة الكُسعيّ لما رأت عيناك ماصنعت يداكا

ثم قال للأسود أما اذا لم تظفر فلا تعجزن أن تطلب بثارك من هذا المعدى الذى فعل بك ما فعل فقد كنت أخبرك ان معدًا لا ينام كيدها ومكرها وأمرتك أن تعصيه فخالفتنى ، قال فما تريد ، قال أريد ألا يأتيك فائدة من مالك وأرضك الا عرضتها علىّ ففعل ، وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة فلم يكن فى الدهر يوم الا على باب النعمان هدية من ابن مرينا ، فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لايقضى فى ملكه شيئاً الا بأمر ابن مرينا ، وكان اذا ذكر عدى بن زيد عند النعمان أحسن الثناء عليه وشيع ذلك بأن يقول ان عدى بن زيد فيه مكر وخديعة والمعدى لا يصلح الا هكذا فلما رأى من بطيف بالنعمان منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه اذا رأيتمونى أذكر عدياً عند الملك بخير فقولوا له انه لكذلك ولكنه لا يسلم عليه أحد وانه ليقول ان الملك « يعني النعمان » عامله وأنه هو ولاه ما ولاه ، فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه فكتبوا كتاباً على لسانه الى قهرمان له ثم دسوا اليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتوا به النعمان فقرأه فاشتد غضبه ، فأرسل الى عدى بن زيد عزمت عليك الا زرتني فانى قد اشتقت الى رؤيتك « وعدى يومئذ عند كسرى » فاستأذن كسرى فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسه فى محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدى يقول الشعر وهو فى الحبس ، فكان أول ما قاله وهو محبوس من الشعر

ليت شعري عن الهمام ويأتيـــك بخير الأنباء عَطْفُ السؤال
أين عمّا اخطارنا المال والأنـــفُسَ اذ ناهدوا لِيوم المحال
ونضالي فى جنبك الناس يرمو ن وأرمي وكلنا غير آل
فأُصيبُ الذى تريد بلا غِشـــــ ـــّ وأُزبى عليهمُ وأُوالى

ليت أنى أخذت حتفى بكفـــى ولم ألق ميتة الأقتال
مَحَلُوا مَحْلَهم لصرعتنا العا م فقد أوقعوا الرَّحا بالثِّقال

وقال أيضاً وهو محبوس

أرِقت لمكْفَهرّ بات فيه بوارق يرتقين رؤس شيب
تلوح المَشْرَفيّة فى ذراه ويجلو صَفْح دَخْدار[1] قشيب
سعى الاعداء لا يألون شراً عليك وربِّ مكة والصليب
أرادوا كي تمهل عن عدى ليُسْجَن أو يُدَهْدَه في القَليب
وكنتُ لِزَازَ خَصْمك لم أُعَرِّد[2] وقد سلكوك فى يوم عصيب
أعالنهم وأبطن كل سر كما بين اللِّحاء الى العَسيب[3]
ففزت عليهم لما التقينا بتاجك فوزة القِدْح الأريب
وما دهرى بأن كدرت فضلا ولكن ما لقيت من العجيب
ألا من مبلغُ النعمانِ عني وقد تُهْدَى النَّصيحة بالمغيب
أحَظٌّ كان سلسلة وقيداً وغُلاً والبيان لدى الطبيب
أذلك بأننى قد طال حبسى ولم تسأم بمسجون حَرِيب
وبيتى مُقْفِرٌ الا نســـاء أرامل قد هلكن من النحيب
يبادرن الدموعَ على عدى كشَنِّ خانه خَرْز الربيب
يحاذرن الوشاةَ على عدى وما اقترفوا عليه من الذنوب
فان أخطأت أو أوهمت أمراً فقـديهم المصافى بالحبيب
وان أُظلَمْ فقد عاقبتمونى وان أُظْلَم فذلك من نصيبى
وان أهلكْ تجد فقدى وتخذل اذا التقت العوالى فى الحروب
فهل لك أن تدارك ما لدينا ولا تغلب على الرأى المصيب

---

(١) الثوب المصون (٢) عرد هرب وفر (٣) العسيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها واللحاء قشر الشجر

فانى قد وكلت اليوم أمرى الى رب قريب مستجيب

وقال فيه أيضاً

طال ذا الليل علينا واعتكر وكأنى ناذر الصبح سمر
من نجيّ الهم عندى ثاويا فوق ما أُعلن منه وأُسِرّ
وكأن الليل فيه مثله ولقد ما ظُنّ بالليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى أتمنى لو أرى الصبح حسر
غير ما عشق ولكن طارق خلّس النوم وأجدانى السهر

ويقول فيها

أبلغ النعمان عنى مألكا قول من قد خاف ظناً فاعتذر
انني والله فاقبل حلفى لأبيل كلما صلى جأر
مُرْعَدٌ أحشاؤه فى هيكل حسن لمته وافى الشعر
ما حملت الغُلّ من أعدائكم ولدى الله من العلم المسر
لا تكوننّ كآسى عظمه بأسى حتى اذا العظم جبر
عاد بعد الجبر يبغى وهْنَه ينحون المشى منه فانكسر
واذكر النعمى التى لم أنسها لك فى السعى اذا العبد كفر

وقال له أيضاً وهى قصيدة طويلة

أبلغ النعمان عنى مألكا انني قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرِقٌ كنتُ كالغصّان بالماء اعتصارى
ليت شعرى عن دخيل يفترى حينما أدرك ليلى ونهارى
قاعداً يكرب نفسى بثّها وحراماً كان سجنى واحتصارى
أجلِ نعمى ربّها أو لكم ودنوى كان منكم واصطهارى
نحن كنا قد علمتم قبلها عمَد البيت وأوتاد الإسار

ومما قاله

ليس شيء على المنون بباق غيرَ وجه المسبَّح الخلاق
ان نكن آمنين فاجأنا شر مصيبٌ ذا الود والاشفاق
فبرىء صدري من الظلم للر ب وحنث بمعقِد الميثاق
ولقد ساءني زيارة ذي قر بى حبيب لودِّنا مشتاق
ساءه ما بنا تبين فى الأيدى واشناقها الى الأعناق
فاذهبي يا أُمَيْمَ غير بعيد لايؤاتى العِناقُ من فى الوثاق
واذهبي يا أُمَيْمَ ان يشأ الله يُنَفَّسْ من أَزْم هذا الخناق
أو تكن وجهة فتلك سبيل الناس لا تمنع الحتوفَ الرواقى

ويقول فيها

وتقول العداة أَوْدَى عدى وبنوه قد أيقنوا بعلاف
يا أبا مِسْهر فأبلغ رسولا اخوتى ان أتيت صحن العراق
أبلغاً عامراً وأبلغ أخاه انني موثَق شديد وثاق
في حديد القسطاس يَرْقُبني الحارس والمرء كل شيء يلاقى
فى حديد مضاعف وغلول وثياب منضحات خلاق
فاركبوا فى الحرام[1] فكوا أخاكم ان عِيرا قد جُهِّزَت لانطلاق

وخرج النعمان الى البحرين فأقبل رجل من غَسَّان فأصاب فى الحيرة ما أحب ويقال أنه جعبة بن النعمان الجَفْنِي فقال عدى في ذلك

سما صقر فأشعل جانبيها والهاك المروَّح[2] والعزيب
وثُبْن لدى المثُوبة مُلْجَمات وصبحن العِباد وهن شِيب

(١) اى فى الشهر الحرام (٢) الابل المروحة الى اعطانها ما تترك فى مراعيه

ألا تلك الغنيمة لا إفال ترجيها مُسَوَّمة ونيبُ
ترجيها وقد صابت بقر كما ترجو أصاغرها عتيب

فلما طال سجن عدى كتب الى أخيه أُبَيّ وهو مع كسرى بهذا الشعر

أبلغ أُبَيًّا على نأيه وهل ينفع المرء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤا د وكنت به واثقاً ما سلم
لدى ملك موثق فى الحديـــد إما بحق وإما ظلم
فلا أعرفنّكَ كدأب الغلا م ما لم يجد عارماً يعترم
فأرضكَ أرضكَ أن تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم

فكتب اليه أخوه أُبَيّ

ان يكن خانك الزمان فلا عا جز باغ ولا ألَفُّ ضعيف
وبنين الاله لو أنهم جا وا طحوناً فيها تضىء السيوف
ذات رزء مجتابة غمرة المو ت صحيح سربالها ملفوف
كنت فى حَيْها لجئتك أسعى فاعلمن لو علمت اذ تستضيف
أو بمال سألت دونك لم يمـــنع تِلاَد لحاجة أو طريف
أو بأرض أسطيع آتيك فيها لم يهلني بَعَد بها أو مخوف
أن يُعَنّى والله الف فجوع لا يُعَنّيك مايصوب الخريف
فى الأعادى وأنت منى بعيد عز هذا الزمان والتعنيف
ولعمرى لئن جزعت عليه لجزوع على الصديق أسوف
ولعمرى لئن ملكت عزائى لقليل شَرْواك فيما أطوف

ثم قام أخوه الى كسرى فكلمه فى أمره وعرفه خبره ، فكتب الى النعمان يأمره باطلاقه وبعث معه رجلا ، وكتب خليفة النعمان اليه أنه قد كتب اليك

فى أمره ، فبعث اليه النعمان أعداءه فغموه حتى مات ، ودخل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب اليه ، فقال نعم وكرامة ، وقال له اذا أصبحت فادخل أنت بنفسك فأخرجه ، فلما أصبح ركب فدخل السجن فأعلمه الحراس أنه مات منذ أيام ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه وقد عرفنا كراهيته لموته ، فرجع الرسول الى كسرى وقال انى وجدت عدياً قد مات قبل أن أدخل عليه ، وندم النعمان على قتل عدى وعرف أنه قد احتيل عليه فى أمره ، واجترأ أعداؤه عليه وهابهم هيبة شديدة ، ثم انه خرج الى الصيد فلقى ابناً لعدى اسمه زيد ، فكلمه فاذا غلام ظريف ، ففرح به فرحاً شديداً وقربه وأعطاه ووصله واعتذر اليه من أمر أبيه وجهزه ، ثم كتب الى كسرى ان عدياً كان ممن أعين به الملك فى نصحه ولبه فأصابه مالابد منه وانقطعت مدته وانقضى أجله ولم يصب به أحد أشد من مصيبتى ، وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلا الا جعل الله له منه خلفاً لما عظم الله من ملكه وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه رأيته يصلح لخدمة الملك فسرحته اليه فان رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل وليصرف عمه عن ذلك الى عمل آخر ، وكان هو الذى يلى المكاتبة عن الملك الى ملوك العرب فى أمورها وفى خواص أمور الملك ، وكان له من العرب وظيفة موظفة فى كل سنة ، فلما وقع زيد بن عدى عند الملك هذا الموقع سأله عن النعمان فأحسن الثناء عليه ، ومكث على ذلك سنوات على الأمر الذى كان عليه أبوه ، وأعجب به كسرى فكان يكثر الدخول عليه والخدمة له ، وكانت لملوك العجم صفة من النساء مكتوبة عندهم فكانوا يبعثون فى تلك الأرضين بتلك الصفة فاذا وجدت حملت الى الملك غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ولا يظنونها عندهم ، ثم انه بدا للملك فى طلب تلك الصفة وأمر فكتب بها الى النواحى ، ودخل اليه زيد بن عدى وهو فى ذلك القول ، فقال له عند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين

امرأة على هذه الصفة فاكتب فيهن ، وان شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصة انهم يتكرمون ، زعموا ، في أنفسهم عن العجم فأنا أكره أن يغيبهن عمن تبعث اليه أو يعرض عليه غيرهن ، وان قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثني وابعث معي رجلا من ثقاتك يفهم بالعربية حتى أبلغ ما تحبه ، فبعث معه رجلا جلدا فهما ، فخرج به زيد حتى بلغ الحيرة وأبلغ النعمان إرادة كسرى كرامته بصهره ، فقال لزيد والرسول يسمع أما فى مَهَا السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية كاوان أى البقر ، فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان انما أراد الملك كرامتك ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب اليك به ، فعادا الى كسرى فلما دخلا عليه قال زيد هذا كتاب النعمان اليك فقرأه عليه ، فقال له كسرى وأين الذي كنت خبرتنى به ؟ قال قد كنت خبرتك بضنتهم بنسائهم على غيرهم وأن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُرْي على الشبع والرياش وإيثارهم السَّمُوم والرياح على طيب أرضك هذه حتى انهم ليسمونها السجن ، فسل هذا الرسول الذى كان معى عما قال فانى أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به ، فقال للرسول وما قال ؟ فقال الرسول أيها الملك انه قال أما فى بتمر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ؟ فعرف الغضب فى وجهه ووقع فى قلبه ما وقع لكنه لم يزد على أن قال رب عبد قد أراد ماهو شر من هذا ثم صار أمره الى التَّباب ، وشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى شهراً على ذلك ، وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه أن أقبل فان للملك حاجة اليك ، فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبل طيء ، فأراد النعمان طيئاً على أن يدخلوه الجبلين ويمنعوه ، فأبَوْا ذلك عليه وقالوا له لولا صهرك لقتلناك «وكان عنده امرأتان من بني حارثة بن لام» فانه لا حاجة بنا الى معاداة كسرى ولا طاقة لنا به ، وأقبل يطوف على قبائل

العرب ليس أحد منهم يقبله ، غير أن بنى رواحة بن قطيعة بن عَبْس قالوا ان شئت قاتلنا معك « لمنة كانت له عندهم » قال ما أحب أن أهلككم فانه لا طاقة لكم بكسرى ، ثم أقبل حتى نزل بذى قار فى بني شيبان فاستجار بهانىء بن مسعود ، فأجاره وقال له قد لزمنى ذمامك وأنا مانعك مما أمنع نفسى وأهلى وولدى منه ما بقى من عشيرتى الأدْنَيْن رجل وان ذلك غير نافعك لانه مهلكى ومهلكك ، وعندى رأى لك لست أشير به عليك لأدفعك عما تريده من مجاورتى ولكنه الصواب ، فقال هاته ، فقال ان كل أمر يجمل بالرجل الا أن يكون بعد الملك سوقة ، والموت نازل بكل أحد ، ولأن تموت كريماً خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك ، هذا ان بقيت ، فامض الى صاحبك واحمل اليه هدايا ومالاً وألْقِ بنفسك بين يديه فاما ان صفح عنك فعدت ملكاً عزيزاً ، وإما ان أصابك فالموت خير من أن يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك وتعيش فقيراً مجاوراً أو تقتل مقهوراً ، فقال كيف بحرمى ؟ قال هن فى ذمتى لا يخلص اليهن حتى يخلص الى بناتى ، فقال هذا وأبيك الرأى الصحيح ولن أجاوزه ، ثم اختار خيلا وحُلَلاً من عَصْب اليمن وجوهراً وطُرَفاً كانت عنده ووجه بها الى كسرى وكتب اليه يعتذر ويعلمه أنه صائر اليه ووجه بها مع رسوله ، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم عليه ، فعاد اليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم يَرَ له عند كسرى سوءا ، فمضى اليه ، حتى اذا وصل الى المدائن لقيه زيد بن عدى على قنطرة ساباط ، فقال له أُنْجُ نُعَيْم ان استطعت النجاء ، فقال له أفعلتها يازيد ؟ أما والله لئن عشت لك لأقتلنك قِتلة لم يقتلها عربى قط ولألحقنك بأبيك ، فقال له زيد امض لشأنك نعيم فقد والله أَخَيْتَ لك أَخِيَّة (١) لا يقطعها المهر الأَرِن (٢) ، فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى سجن كان له بخانقين ،

---

(١) الاخية عروة تربط الى وتد مشقوق وتشد فيها الدابة (٢) النشيط

فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه ، ويقال ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات ، ولما نعى الى النابغة وحدث بما صنع به كسرى قال طلبه من الدهر طالب الملوك ثم تمثل

من يطلب الدهرُ تدركه مخالبه ... والدهر بالوتر ناج غير مطلوب
ما من أناس ذوى مجد ومكرمة ... الا يشد عليهم شدة الذيب
حتى يبيد على عمد سَراتهم ... بالنافذات من النبل المصاييب
انى وجدت سهام الموت معرضة ... بكل حتف من الآجال مكتوب

وكان قتل النعمان سبباً فى وقعة ذى قار « تقدم حديثها »

قال خالد بن صفوان بن الأَهْتَم أوفدنى يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فى وفد أهل العراق ، فقدمت عليه وقد خرج بقرابته وحشمه وغاشيته وجلسائه ، فنزل في أرض قاع صحصح (١) منيف (٢) أفيح (٣) فى عامر قد بكر وَسْمِيُّه (٤) وتتابع وَلِيُّه (٥) ، وأخذت الأرض زينتها على اختلاف ألوان نبتها من نَوْر ربيع مونق ، فهو فى أحسن منظر وأحسن مختبر وأحسن مستمطر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، وقد ضرب له سرادق من حِبَرَة كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن ، فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها ، وعليه دُرَّاعة من خَزّ أحمر مثلها عما منها وقد أخذ الناس مجالسهم ، فأخرجت رأسى من ناحية السماط ، فنظر الىّ شبه المستنطق لي ، فقلت أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشداً وعاقبة ما يؤل اليه حمداً وأخلصه لك بالتقى وكثره لك بالنما ولا كدر عليك منه ما صفا ولا خلط سروره بالرَّدَى ، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقة ومستراحا اليك يقصدون فى مظالمهم ويفزعون فى أمورهم ، وما أجد شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ فى قضاء حقك وتوفير مجلسك وما منّ الله عز وجل علىّ به من

---

(١) مستو (٢) مشرف مرتفع (٣) واسع (٤) المطر الاول (٥) المطر الثانى

مجالستك من أن أذكرك نعمَ الله عليك وأنبهك لشكرها ، وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فان أذن أمير المؤمنين أخبرته به، فاستوى جالساً وكان متكئاً ثم قال هات يا ابن الأهتم ، قلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامك هذا الى الخَوَرْنَق والسَّدير فى عام قد بكر وَسْمِيّه وتتابع وَلِيّه ، وأخذت الأرض زينتها على اختلاف ألوان نبتها فى ربيع مونق فهو فى أحسن منظر وأحسن مختبر بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، وقد كان أعطى فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظر ، ثم قال لجلسائه لمن مثلُ هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أُعطى أحد مثل ما أعطيت؟ وعنده رجل من بقايا حَمَلة الحجة والمضى على أدب الحق ومنهاجه ، ولم تخل الأرض من قائم لله بحجة فى عباده ، فقال أيها الملك انك سألت عن أمر أ فتأذن فى الجواب عنه ؟ قال نعم ، قال أرأيت هذا الذي أنت فيه أشيء لم تزل فيه أم شيء صار اليك ميراثاً وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك ؟ قال كذلك هو ، قال فلا أراك ألا عجبت بشيء يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا وتكون غداً بحسابه مرتهناً ، قال ويحك فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ قال اما أن تقيم فى ملكك فتعمل فيه بطاعة الله ربك على ما ساءك وسرك ومَضَّك وأرمضك ، واما أن تضع تاجك وتخلع أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك ، قال فاذا كان السحر فاقرع علىّ بابى فانى مختار أحد الرأيين ، فان اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يعصى ، وان اخترت فَلَوات الأرض وقَفْر البلاد كنت رفيقاً لايخالف ، فقرع عليه عند السحر بابه ، فاذا هو قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس امساحه وتهيأ للسياحة ، فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما وهو حيث يقول عدى ابن زيد

أرواح مودع أو بكور لك فاعمد لأى حال تصير
ويقول العداة أودى عدى وعدى بسخط رب أسير

أيها الشامت المعيّر بالدهـــر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيـــام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلّدن أم من ذا عليه من أن يُضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك انوشرْ وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الـــروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر[1] اذ بناه واذ دجـــلة تُجبَى اليه والخابور
شاده مرمرًا وجلّله كلـــساً فللطير فى ذراه وكور
لم يَهَبْه ريب المنون فباد السّـــلك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق[2] اذ أشـــرف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـــلك والبحر معْرِضاً والسّدير
فارعوى قلبه فقال وما غِبْـــطة حى الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأُمـــة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم وَرَق جفّـــ فألْوَت به الصّبا والدّبور

فبكى هشام حتى أخضل لحيته و بلّ عمامته وأمر بنزع أبنيته و بنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ولزم قصره ، فأقبلت الموالى والحشم على خالد فقالوا له ما أردت الى أمير المؤمنين ؟ أفسدت عليه لذته ونغصت عليه مأدبته ، فقال اليكم عني فانى عاهدت الله عز وجل ألاّ أخلو بملك الا ذكرته الله عز وجل

---

(١) الحضر كان قصرا بحيال تكريت بين دجلة والفرات واخو الحضر هو الضيزن بن معاوية من بنى سليح من قضاعة وكان معه من قبائل قضاعة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشام فاغار عليه سابور ذو الاكتاف وفتح مدينته وقتله وأباد من معه ثم أخرب المدينة

(٢) قصر بناه النعمان بن الشقيقة وهى أمه وهو الذى ساح على وجهه فلم يعرف له خبر وكان الذى بنى الخوريق رجل يقال له سنمار رمى به الملك من أعلى القصر بعد ان اتم بناءه فقال الشعراء فى ذلك أشعاراً كثيرة

ومما غنى فيه من القصائد التى كتب بها عدى الى النعمان يستعطفه ويعتذر اليه

لم أرَ مثل الفتيان فى غَبَنِ الـ أيام ينسَوْنَ ما عواقبها
ينسَوْن اخوانهم ومَصْرَعهم وكيف تعتاقهم مخالبها
ماذا تُرَجِّى النفوس من طلب الخـ ـير وحبُّ الحياة كاربها
تظن أن لن يصيبها عَنَتُ الدهـ ـر وريب المنون صائبها

ومنها

لبَيْنَى أوقدي النارا ان من تَهْوَيْن قد حارا
رب نار بتُّ أرْمقُها تَقْضِم الهندى والغارا
عندها ظبى يُؤَرِّثها عاقد فى الجيد تقصارا

ومنها

بنات كرام لم يُرَبْن بضرة دُمَى شَرِقاتٍ بالعبير روادعا
يسارقن مِ الأستار طرفاً مُفَتَّراً ويُبْرِزْن من فتق الخدور الأصابعا

ومنها

ألا من مبلغ النعمان عني علانية فقد ذهب السِّرار
بأن المرء لم يخلق جديداً ولا هَضْباً تَرَقَّاه الوبار
ولـكن كالشهاب فَثَمَّ يخبو وحادي الموت عنه ما يَحار
فهل من خالد إما هلـكنا وهل بالموت يا للناس عار

ومنها

ألا مَنْ مبلغُ النعمان عني فبينا المرء أعزَب اذ أراحا
أطعت بنى بُقَيْلَة في وثاقى وكنا فى حلوقهم ذُباحا
منحتهم الفرات وجانبيه وتسقينا الأواجن والملاحا

ومنها

من لقلب دَنِف أو معتمد[1] قد عصى كل نصيح ومُفَنِّد
لست ان سلمى نأتنى دارها سامعاً فيها الى قول أحد

ومنها

ألا ربما عزّ خليلي قهاونت
ولو شئت على مقد رة مني لعاقبت
ولكن سرني أن يعـــلموا قدري فأقلعت
ألا لا فاسألوا الفتيـــة ما قالوا وقد قمت

ومنها

تعرِف أمس من لَمِيسَ الطَّلْل مثل الكتاب الدارس الأحول
أنعم صباحاً علقم بن عدى أَنَوَيْتَ اليوم أم ترحل
قد رحل الفتيان عيرهم واللحم بالغيطان لم يُنْشَـل
اذ هي تسبي الناظرين وتجـــلو واضحاً كالأُقحوان الرَّتِل[2]
عذباً كما ذقت الجَنِيّ من التـــفاح يســـقيه بَرْد الطَّلل

ومن شعر عدى بن زيد قاله على لسان المقابر

من رآنا فليحدث نفســه أنه موفٍ على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صُمُّ الجبال
رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
وأباريق عليها فُدُمٌ وجياد الخيل تَرْدِي في الجِلال
عُمِّروا دهراً بعيش حسن آمِنِي دهرِهُمُ غير عجال

---

(١) الذى غلبه الوجع (٢) الحسن النضيد

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال
وكذاك الدهر يرمى بالفتى فى طلاب العيش حالا بعد حال

ومن شعره

بكر العاذلون فى وضح الصبـــح يقولون لي ألا تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد اللّـــه والقلب عندكم موهوق
لست أدرى اذ أكثروا العذل عندى أعدوّ يلومني أو صديق
زانها حسنها وفرع عميم وأثيث صلت الجبين أنيق
وثنايا مفلّجات عِـــذاب لا قصار ترى ولاهن رُوق
فدعوا بالصبوح يوماً فجاءت قَيْنة فى يمينها ابريق
فدمته على عُقار كعين الد يك صفّى سلافها الراووق
مرة قبل مزجهـــا فاذا ما مزجت لذّ طعمها من يذوق
وطفت فوقها فقاقيع كالد ر صغار يثيرها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سماء غير ما آجن ولا مطروق

عيينة بن مرداس التميمى

يلقب بابن فسوة من بني عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم

شاعر مقل غير معدود فى الفحول ، مُخَضْرَم ممن أدرك الجاهلية والاسلام، هجاء خبيث اللسان بذىء

جاء عبدالله بن عباس وهو عامل على البصرة وتحته يومئذ شميلة بنت جنادة الزهرانية ، فقال له جئتك لتُعينني على مروءتى وتصل قرابتى ، فقال له ابن عباس

وما مروءة من يعصى الرحمن ويقول البهتان ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ، والله لئن أعطيتك لأعينك على الكفر والعصيان، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني انك هجوت أحداً من العرب لأقطعن لسانك وحبسه يومه ثم أخرجه عن البصرة ، فوفد الى المدينة مقتل على فلقى الحسن بن على وعبدالله بن جعفر فسألاه عن خبره مع ابن عباس ، فأخبرهما فاشتريا عرضه بما أرضاه فقال يمدحهما ويلوم ابن عباس

أتيت ابن عَبّاس فلم يقض حاجتى ... ولم يَرْجُ معروفى ولم يَخْشَ منكرى
حُبِسْتُ فلم أنطق بعذر لحاجة ... وشد خُصاص البيت من كل منظر
وجئت وأصوات الخصوم وراءه ... كصوت الحمام فى القليب المُغَوَّر
وما أنا اذ زاحمت مصراع بابه ... بذى صَوْلة بان ولا بحَزَوَّر (١)
فلو كنت من زَهْران لم ينس حاجتى ... ولكنني مولى جميل (٢) بن مَعْمَر
وباتت لعبدالله من دون حاجتى ... شُمَيْلة (٣) تلهو بالحديث المقتر
فليت قلوصى عُرِّيت أو رَحَلْتها ... الى حسن في داره وابن جعفر
الى ابن رسول الله يأمر بالتقى ... وللدين يدعو والكتاب المطهر
الى معشر لا يَخْصِفون نعالهم ... ولا يَلْبَسون السِّبت مالم يُخَصَّر
فلما عرفت اليأس منه وقد بدت ... أيادي سَبا الحاجات للمتذكر
تَسَنَّمت حُرْجوجاً كأن بُغامها (٤) ... أَصِيح ابنِ ماء فى يَرَاع مُفَجَّر
فما زلت في التَّيار حتى أنختها ... الى ابن رسول الأمة المتخير
فلا تَدَعُنّى اذ رحلت اليكم ... بني هاشم أن تصدرونى لمصدر

قدم على ابن عامر بن كريز وكان جواداً، فلما استؤذن له عليه أرسل اليه انك

---

(١) الغلام اذا اشتد وقوى وخدم (٢) كان حليفا لجميل بن معمر القرشى
(٣) هى شميلة بنت جنادة الزهرانية زوج عبد الله بن عباس (٤) البغام صوت الظبية

والله ما تسأل بحسب ولا دين ولا منزلة وما أرى لرجل من قريش أن يعطيك شيئاً وأمر به فلُكز وأهين فقال

وكائن تخطّت ناقتي وزميلها ... الى ابن كُرَيْز من نحوس وأسعُد
وأغبر مسحول التراب ترى له ... خبَاً طرَدته الريح من كل مطْرَد
لعمرك اني عند باب ابن عامر ... لكالظبي بعد الرَّمية المتردد
فلم أرَ يوماً مثله ان تكشفت ... ضبابته عني ولما أُقيَّد

فبلغ قوله ابن عامر فخاف لسانه وما يأتي به بعد هذا ورجع له وأحسن القوم رفده وقالوا هذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه والقليل يرضيه، فقال ردوه، فرد، فقال له إيه يا عينة اردد على ما قلت فقال

أتعرف رسم الدار من أم معْبَد ... نعم فرماك الشوق قبل التجلد
فيالكَ من شوق ويالكِ عَبْرة ... سوابقها مثل الجُمان المبدد
وكائن تخطت ناقتي وزَميلها ... الى ابن كُرَيْز من نحوس وأسعد
فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم ان المرء غير مخلد
اذا ما مُلِمّات الامور اعتلينه ... تجلى الدجى عن كوكب متوقد

فتبسم ابن عامر وقال لعمري ما هكذا قلت ولكنه قول مستأنف، وأعطاه حتى رضي

ومن قوله وكان ابن الاعرابي يستحسنها

مُنعَّمة لم يَغذُها أهل ثلَّة ... ولا أهل مصر فهي هَيْفاء ناهد
فَرِيعَتْ فلم تحبى ولكن تأوَّدت ... كما ابيض مكحول المدامع فارد
وأهْوَتْ لتنتاش الرواق فلم تقم ... اليه ولكن طأطأته الولائد
قليلة لحم الناظرَيْن يَزينها ... شباب ومخفوض من العيش بارد

تناهى الى لهو الحديث كأنها أخو سقم قد أسلمته العوائد
ترى القرط منها فى فتاة كأنها بمهلكة لولا البرى والمعاقد

وقال وقد أغار الهذيل التغلبى على بني تميم فقتل وهو على رأس ركية من سفار فكانت قبره

من مبلغ فتيان تغلب أنه خلا للهذيل من سفار قليب
اذا صوّت الأصداء صوّت صوتها فتى تغلبى فى القليب غريب
فأعددت يربوعاً لتغلب انهم أناس عرتهم فتنة وحروب
حويت لقاح ابني نعيم بن قعنب وانك ان أحرزتها لكسوب

تزوج عبد الله بن عامر بن كريز أخت بشر بن كهف، فكان أثيراً عنده واستعمله على الحمى، فسأله عينية أن يرعيه، فأبى ومنعه وطرد أبله، فقال فى ذلك

من يك أرعاه الحمى أخواته فمالى من اخت عوان ولا بكر
وماضرها ان لم تكن رعت الحمى ولم يطلب الخير الممنع من بشر
متى ما نحا يوماً من المال وارنى يجد قبض كف غير ملأى ولا صفر
يجد مهرة مثل القناة طمرة وعضباً اذا ما هز لم يرض بالهبر
فان تمنعوا منها حماكم فانه مباح لها ما بين إنبط فالكدر
اذا ما امرؤ أثنى بفضل ابن عمه فلعنة رب العالمين على بشر

نزل بنى سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة ومعه جارية له اسمها جوزاء، فسرقوا عيبة له فيها ثيابه وثياب جاريته، فرحل عنهم وأعلم قومه، فركب معه فرسان منهم حتى أغاروا على ابل لبني سعد فأخذوا منها صرمة واستاقوها فدفعوها اليه، فقال يمدح قومه ويهجو بني سعد

جزى الله قومى من شفيع وشاهد جزاء سليمان النبى المكرم

هم القوم لا قوم ابن دارة سالم ... ولا ضابىء ان أسلما شر مُسْلَم
وما عَيْبَةَ الجوزاء اذ غدرت بها ... سَرَاةُ بنى قيس إبسر مكتم
اذا مالقيت الحى سعدَ بنَ مالك ... على زُمَّ فانزل خائفاً أو تقدم
أُناس أجارونا فكان جوارهم ... شَعاعاً كلحم الجازر المتقسَّم
لقد دُنِّسَتْ أعراض سعد بن مالك ... كما دنست رجل البَغِيِّ من الدم
لهم نسوة طُلْس الثياب مواجن ... ينادين من يبتاع قِرْداً بدرهم

عبدة بن الطبيب

هو عَبْدَة بن الطبيب واسمه يزيد بن عمرو التميمى من عَبْشَمس بن سعد بن زيد مناة

شاعر ليس بالمكثر ، وهو مخضرم أدرك الاسلام فأسلم وكان فى جيش النعمان بن مُقَرِّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن ، وقد ذكر ذلك فى قصيدته التى أولها

هل حبلُ خَوْلة بعد الهجر موصول ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
حلّتْ خُوَيلة فى دار مجاورةً ... أهلَ المدائن فيها الديك والفيل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية ... منهم فوارس لا عُزْل ولا مِيل
فخامر القلبَ من ترجيع ذِكْرتها ... رَسٌّ[1] لطيف ورَهْنٌ منك مكبول
رَسَّ كرس أخى الحُمَّى اذا غَبَرَتْ[2] ... يوماً تأوبه منها عقابيل
وللأحبة أيام تذكرها ... وللنَّوَى قبل يوم البين تأويل[3]
ان التى ضربت بيتاً مهاجرةً ... بكوفةِ الجند غالت ودّها غول[4]
فعَدّ عنها ولا تشغلك عن عمل ... ان الصبابة بعد الشيب تضليل

---

(١) الرس الحفى (٢) غابت والعقابيل البقايا (٣) علامات (٤) الغول اسم ما اغتال

وبعد أن وصف ناقته ومنهله قال

لما وردنا رفعنا ظل أردية ... وفار باللحم للقوم المراجيل
وَرْدًا (١) وأشقر لم يُنْهِنْهُ طابخه ... ما غيَّرَ الغَلْيُ منه فهو مأكول
ثمت قمنا الى جُرْد (٢) مُسَوَّمة ... أعرافهن لأيدينا مناديل
ثم ارتحلنا على عيس مُخَدَّمة (٣) ... يزجى رواكمها مَرْن وتنعيل
يَدْلَحْن (٤) بالماء فى وُفْر مُخَرَّبة ... منها حقائب ركبان ومعدول
نرجو فواضل رب سَيْبُه حسن ... وكل خير لديه فهو مقبول
رب حبانا بأموال مخوَّلة ... وكل شىء حباه الله تخويل
والمرء ساع لأمر ليس يدركه ... والعيش شحّ واشفاق وتأميل

ومن قوله يرثى قيس بن عاصم

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما
تحيةُ من أوليته منك نعمة ... اذا زار عن شَحْط بلادك سلما
وما كان قيس هُلْكُه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

ومن قوله

أبَنِيّ انى قد كبرت ورابني ... بصرى وفىّ لمصلح مستمتَع
فلئن هلكت لأبْنِيَنّ مساعيا ... تبقى لكم منها مآثر أربع
ذكر اذا ذكر الكرام يزينكم ... ووراثة الحسب المقدم تنفع
ومقام أيام لهن فضيلة ... عند الحفيظة والمجامع تجمع

---

(١) شبه ما أخذ فيه النضج من اللحم بالورد وما لم ينضج بالاشقر وينهنه بنضجه
(٢) الجرد الخيل القصار والمسومة المعلمة (٣) الخدم سيور النعال ورواكم الأبل ماحسر منها للحفا والمرن المسح والتنعيل الانعال (٤) الدلح سير المثقل والوفر المزاد والمخربة التى لها خرب وهى آذانها

ولُهَى[1] من الكسب الذى يغنيكم ... يوماً اذا احتضر النفوسَ المطمع

ونصيحة في الصدر داخلة لكم ... ما دمت أُبصر فى الرجال وأسمع

أوصيكم بتقى الاله فانه ... يعطى الرغائب من يشاء ويمنع

وببرّ والدكم وطاعة أمره ... ان الأبر من البنين الأطوع

ان الكبير اذا عصاه أهله ... ضاقت يداه بأمره ما يصنع

ودَعُوا الضغينة لاتكن من شأنكم ... ان الضغائن للقرابة توضع

واعصوا الذى يزجى الشمائم بينكم ... متنصحاً ذاك السِّمام المنقع

يُزْجِى عقاربه ليبعث بينكم ... حرباً كما بعث العروقَ الأخدع

حرّان لا يشفى غليل فؤاده ... عسل بماء فى الاناء مشعشع

لا تأمنوا قوماً يشبّ صبيهم ... بين القوابل بالعداوة يُنْشَعَ[2]

فَضَلت عداوتهم على أحلامهم ... وأبت ضِباب[3] صدورهم لا تنزع

قوم اذا دَمِس الظلام عليهم ... حدَجوا قنافذ بالنميمة تَمْزَع[4]

أمثال زيد[5] حين أفسد رهطه ... حتى تشتت أمرهم فتصدعوا

ان الذين ترونهم اخوانكم ... يشفى غَليل صدورهم ان تُصْرعوا

وثَنِيّة من أمر قوم عزّة[6] ... فَرَجت يداى فكان فيها المطلَع

ومقام خَصْم قائم ظَلَمَاته[7] ... من زل طال له بناء أشنع

أصدرتهم فيه أقوم دَرْأهم ... عض الثقاف[8] وهم ظِماء جُوَّع

فرجعتهم شتّى كأن عميدهم ... في المهد يَمْرُث[9] ودْعتيه مُرضَع

ولقد علمت بأن قَصْرِى حفرة ... غبراء يحملني اليها شَرْجَع[10]

---

(١) اللهى العطايا (٢) النشوع السعوط (٣) الضباب الاحقاد (٤) المس واشتدت ظلمته وحدجوا رحلوا وتمزع تسرع (٥) هو زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك كان سببا فى تشتت قومه (٦) يريد بها خطة صعبة وعزة وصف للثنية (٧) أصل الظلفات الخشبات التى تلى جنب البعير وقال الاصمعى يقال للرجل اذا قام بالامر وعنى به واشتد فيه قام فى ظلفاته (٨) الثقاف ما تقوم به القناة وتسدد (٩) يمس (١٠) نعش

فبكى بناتى شجوهن وزوجتى ... والأقربون الىّ ثم تصدعوا
وتُركت فى غبراء يكره وردها ... تسفى علىّ الريح حين اودّع
فاذا مضيت الى سبيلى فابعثوا ... رجلا له قلب حديد أصمع (١)
ان الحوادث يختزمن وانما ... عمر الفتى فى أهله مستودع
يسعى ويجهد جاهداً مستهتراً (٢) ... جدًا وليس بآكل ما يجمع
حتى اذا وافى الحمام لوقته ... ولكل جنب لا محالة مصرع
نبذوا اليه بالسلام فلم يجب ... أحداً وصمّ عن الوداع الأسمع

وكان عبدة يترفع عن الهجاء وهو الذى يقول

وأجرأ من رأيت بظهر غيب ... على عيب الرجال أولو العيوب

الاضبط بن قريع التميمى

من بني عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم

من شعره

لكل هم من الهموم سعة ... والمُسْىُ والاصباح لافلاح معه
لا تحقرَن الفقير علّكَ أن ... تركع يوماً والدهر قد رفعه
وصلِ حبال البعيد ان وصل الحبـ ... ـل وأقصِ القريب ان قطعه
قد يجمع المالَ غيرُ آكله ... ويأكل المال غيرُ من جمعه
ما بالُ من غيّه مصيبك لا ... يملك شيئاً من أمره وزعه
حتى اذا ما انجلت غوايته ... أقبل يلحَى وغيُّه فجعه
أذود عن نفسه ويخدعني ... يا قوم مَنْ عاذري من الخُدَعة (٣)
فاقبل من الدهر ما أتاك به ... من قرّ عيناً بعيشه نفعه

---

(١) الاصمع الحديد المجتمع ليس بمنتشر (٢) ذاهب العقل فيه من حرصه عليه
(٣) قوم من بنى سعد بن زيد مناة

المخبل السعدى

هو الربيع بن ربيعة من سعد بن زيد مناة بن تميم

شاعر فحل، من مُخَضْرَمى الجاهلية والاسلام، ويكنى أبا يزيد، وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء وقرنه بخِدَاش بن زهير والاسود بن يَعْفُر وتميم ابن مقبل، وهو من المقلين، وعُمِّر فى الجاهلية والاسلام عمراً كثيراً ويظن أنه مات في خلافة عمر أوعثمان وهو شيخ كبير، وكان له ابن فهاجر الى الكوفة في أيام عمر فجزع عليه جزعاً شديداً حتى بلغ عمر خبره فرده عليه ومما قال في ذلك

أيُهْلِكني شَيْبان فى كل ليلة ... لقلبى من خوف الفراق وجيب
أشيبانُ ما أدراك أن كل ليلة ... غبقتك فيها والغَبوق حبيب
غبقتك عُظْماها سَناما أو انبرى ... برزقك بَرَّاق المتون أريب
أشيبان أن تأبى الجيوش بجدهم ... يقاسون أياماً لهن خطوب
ولا هَمَّ الا البرُّ أو كل سابح ... عليه فتى شاكي السلاح نجيب
يذودون جُنْدَ الهُرْمُزَان كأنما ... يذودون أوراد الكلاب تلوب
فان يك غُصْنى أصبح اليوم ذاوياً ... وغصناك من ماء الشباب رَطيب
فانى حَنَتْ ظهرى خطوب تتابعت ... فمشيي ضعيف في الرجال دبيب
اذا قال صحبى يا ربيع ألا ترى ... أرى الشخص كالشخصين وهوقريب
ويخبرنى شَيْبان أن لن يَعُقنى ... تَعُق اذا فارقتني وتحوب
فلا يدخلن الدهر قبرك حوبة ... يقوم بها يوماً عليك حسيب

ومدح بغيض بن عامر بن شماس وقد تحمل عن ابنه دية وكسا المخبل

لعمر أبيك لا ألقى ابن عم ... على الحَدَثان خيراً من بغيض
أقَلَّ ملامةً وأعز نصراً ... اذا ما جئت بالأمر المريض

كسانى حلة وحبا بعنس أبس بها اذا اضطربت عروضى
غداة جنى بنى على جرماً وكيف يداى بالحرب العضوض
فقد سد السبيل أبو حميد كما سد المخاطبة ابن بيض

ابن بيض رجل من بقايا قوم عاد كان تاجراً وكان لقمان بن عاد يجير تجارته له كل سنة بأجر معلوم ، فأجاره سنة وسنتين وعاد التاجر و لقمان غائب ، فأتى قومه فنزل فيهم ولقمان في سفره ، ثم حضرت التاجر الوفاة فخاف لقمان على بنيه وماله فقال لهم ان لقمان سائر اليكم وانى أخشاه اذا علم بموتى على مالى فاجعلوا ماله قبلى فى ثوبه وضعوه فى طريقه اليكم فان أخذه واقتصر عليه فهو حقه فادفعوه اليه واتقوه وان تعداه رجوت أن يكفيكم الله إياه ، ومات التاجر وأتاهم لقمان وقد وضعوا حقه على طريقه فقال سد ابن بيض الطريق ، فسارت مثلا

ومن شعره يمدح علقمة بن هوذة

أعرفت من سلمى رسوم ديار بالشط بين مخفق وصحار
وكأنما أثر النعاج بجوها بمدافع الركبين ودع جوار
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياء جاهلة عن الأخبار
فكأن عيني غرب أدهم داجن متعود الاقبال والادبار

يقول فيها

فجزى الاله سراة قومى نضرة وسقاهم بمشارب الأبرار
قوم اذا خافوا عثار أخيهم لا يسلمون أخاهم لعثار
أمثال علقمة بن هوذة اذ سعى يخشى علىّ متالف الابصار
أثنوا علىّ وأحسنوا وترافدوا لى بالمخاض البزل والأبكار
والشول يتبعها بنات لبونها شرقاً حناجرها من الجرجار

قيس بن عاصم المنقرى التميمى يكنى أبا على

من منقَر بن عبيد من مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد

شاعر فارس شجاع حليم، كثير الغَزَوات مُظَفَّر فى غزواته، أدرك الجاهلية والاسلام فساد فيهما، وأسلم وحسن إسلامه، أتى النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه فى حياته وعمر بعده زماناً وروى عنه عدة أحاديث، وهوالقائل يخاطب زوجه منفوسة بنت زيد الفوارس الضَّبى وقد أتته بطعامه فقال لها أين أكيلى ؟ فلم تفهم مراده

أيا ابنةَ عبد الله وابنةَ مالك ... ويا ابنةَ ذى البُرْدَين والفرس الوَرْد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له ... أكيلا فانى لست آكله وحدى
أخاً طارقاً أو جار بيت فاننى ... أخاف مَذَمّاتِ الاحاديث من بعدى
وانى لعبد الضيف من غير ذلة ... وما بى الا تلك من شيم العبد

فأرسلت جارية لها فطلبت أكيلا وأنشأت تقول

أبى المرء قيس أن يذوق طعامه ... بغير أكيل انه لكريم
فبوركت حياً ياأخا الجود والندى ... وبوركت ميتاً قد حوتك رُجوم

ولما توفى النبى صلى الله عليه وسلم قسم صدقته فى بنى منقَر وقال

ألا أبلغا عني قريشاً رسالة ... اذا ما أتتهم مهديات الودائع
حبوت بما صدقت فى العام منقَرا ... وأيأست منها كل أطلسَ طامع

قيل لقيس بن عاصم بماذا سدت فى قومك قال ببذل النَّدَى وكف الاذى ونصر المولى

ومن قول قيس فى يوم جدود وهو يوم كان لبنى منقَر على بكر بن وائل يَقْدُمهم الحَوْفَزان بن شريك الشيبانى وكان بنو منقر جاؤا مُصْرخين لبنى مُقاعس بعد أن امتنعت يربوع عن نجدتهم

جزى الله يربوعاً بأسوأ فعلها ... إذا ذكرت فى النائبات امورها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها
ستخطم سعد والرباب انوفكم ... كما حزفى أنف القضيب جريرها

جمع قيس بن عاصم ولده حين حضرته الوفاة وقال يا بنى اذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم ، وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم ، واذا مت فادفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، واياكم والمسئلة فانها آخر مكاسب العبد وان امرأ لم يسأل الا ترك مكسبه ، واذا دفنتمونى فأخفوا قبرى عن هذا الحى من بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات فى الجاهلية ، ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوتر ثم قال اكسروها فلم يستطيعوا ، ثم قال فرقوا ففرقوا ، فقال اكسروها سهماً سهماً فكسروها ، فقال هكذا أنتم فى الاجتماع والفرقة ثم قال

انما المجد ما بنى والد الصد ... ق وأحيا فعاله المولود
وتمام الفضل والشجاعة والحلـ ... ـم اذا زانه عفاف وجود
وثلاثون يا بنىّ اذا ما ... شدها للزمان قرح شديد
لم تكسر وان تفرقت الاسـ ... ـهم أودى بجمعها التبديد
وذوو الحلم والأكابر أولى ... أن يرى منكم لهم تسويد
وعليكم حفظ الأصاغر حتى ... يبلغ الحنث الأصغر المجهود

وهو ممن حرم الخمر فى الجاهلية على نفسه وقال

وجدت الخمر جامحة وفيها ... خصال تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتى ... ولا أدعو لها أبداً نديما
ولا أعطى بها ثمناً حياتى ... ولا أشفى بها أبداً سقيما
فان الخمر تفضح شاربيها ... وتجشمهم بها أمراً عظيما
اذا دارت حميّاها تعلّت ... طوالع تسفه الرجل الحليما

وقال فيها

فوالله لا أحسو بذا الدهر خمرة ... ولاشربة تُزْرِى بذى اللب والفخر
فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل ... بصاحبها حتى تكسع فى الغدر
وصارت به الامثال تضرب بعد ما ... يكون عميد القوم في السر والجهر
ويبدرهم فى كل أمر ينوبهم ... ويعصمهم ما نابهم حدث الدهر
فيا شارب الصهباء دعها لاهلها الـــغواة وسلم للجسيم من الامر
فانك لا تدري اذا ما شربتها ... وأكثرت منها ماتَرِيش وماتَبْرِى

السليك ابن السلكة

هو السُّليك بن عمرو أحد بني مُقاعس وهو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة، والسُّلَكة أُمه وهى أمة سوداء، أحد صعاليك العرب العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تَعْلَق بهم الخيل اذا عَدَوْا، وهم السليك والشَّنْفَرى وتَأَبَّطَ شَرًّا وعمرو بن براق، وكان السليك اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار، وكان أدل من قَطاة يجىء حتى يقف على البيضة، وكان لا يغير على مضر وانما يغير على اليمن فاذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة، وكان من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم، وكانت العرب تدعوه سليك المقانب

خرج سليك ومعه رجلان من بنى تميم يريد الغارة فمر على حى من بني شيبان والناس مُخْصِبون فى عشية فيها ضَباب ومطر، فاذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى، فقال لأصحابه كونوا بمكان كذا حتى آتى أهل هذا البيت فعلّى أن أصيب لكم خيراً أو آتيكم بطعام، قالوا افعل، فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل فاذا البيت بيت رويم، وهو جد حَوْشَب بن يزيد بن رُويم، واذا الشيخ

وامرأته بفناء البيت ، فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله ، فلم يلبث أن راح ابنه بابله ، فلما أراحها غضب الشيخ وقال لابنه هلا عشيتها ساعة من الليل ، فقال له ابنه انها أبت العشاء ، فقال العاشية تهيج الآبية ، فأرسلها مثلا ، ثم غضب الشيخ ونفض ثوبه فى وجهها فرجعت الى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة فرتعت ، وجلس الشيخ عندها لتتعشى وغطى وجهه بثوبه من البرد ، وتبعه سليك ، فلما وجد الشيخ مغتراً استله من ردائه فضربه فأطار رأسه وصاح بالابل فطردها ، فلم يشعر صاحباه وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه حتى اذا هما بالسليك يطردها فطرداها معه ، وقال في ذلك

وعاشيةٍ[1] راحت بطاناً ذعرتها ... بسوطٍ قتيل وسطها يتسيّف
كأن عليه لونَ بُرْدٍ محبَّر ... اذا ما أتاه صارم يتلهف
فبات له أهل خلاء فنِاؤهم ... ومرت بهم طير فلم يتعيّفوا
وباتوا يظنون الظنون وصحبتي ... اذا ماعلَوْا نَشْزاً أهلّوا وأوجفوا
وما نلتها حتى تصعلكت حقبة ... وكدت لاسباب المنية أعرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني ... اذا قمت تغشاني ظلال فأُسدِف[2]

رأت السليك طلائع جيش لبكر بن وائل وكانوا جازوا منحدرين ليُغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد ، فقالوا ان علم السليك بنا أنذر قومه ، فبعثوا اليه فارسين على جوادين ، فلما هايجاه خرج يمخص[3] كأنه ظبي ، وطارداه سحابة يومه ، ثم قالا اذا كان الليل أعيا ثم سقط أو قصر عن العدو فنأخذه ، فلما أصبحا وجدا قِصْدة منها قد ارتزّت[4] بالارض ، فقالا ماله أخزاه الله ما أشده وهما بالرجوع ، ثم قالا لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر فتبعاه فاذا أثره متفاجاً[5]

---

(١) العاشية الابل التى ترعى بالليل
(٢) أسدف الرجل أظلمت عيناه من جوع أوكبر (٣) يعدو عدواً سريعاً
(٤) ثبتت والقصدة القطعة مما يكسر (٥) تفاج مشى مفرجاً بين رجليه

قد بال فى الارض وجال ، فقالا ماله قاتله الله ما أشد متنه والله لا نتبعه أبداً ، فانصرفا وتم الى قومه وأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فأنشأ يقول

يكذبني العمران عمرو بن جُنْدَب ... وعمرو بن سعد والمكذَّب أكذب
ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها ... كراديس يهديها الى الحى موكب
كراديس فيها الحوفزان وقومه ... فوارس هماً متى يُدْعَ يَرْكب

وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم

أغار السليك على بني عُوارا فلم يظفر منهم بفائدة وأرادوا مساورته ، فقال شيخ منهم انه اذا عدا لم يتعلق به شيء ، فدعوه حتى يرد الماء فاذا شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتم به ، فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ثم بادروه ، فلما علم أنه مأخوذ جاملهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولج على امرأة منهم يقال لها فُكَيهة فاستجار بها ، فمنعته وجعلته تحت درعها واخترطت السيف وقامت دونه فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت باخوتها فجاؤا ودفعوا عنه حتى نجا من القتل فقال فى ذلك

لعمر أبيك والأنباء تَنْمى ... لنعم الجار أخت بني عُوارا
من الخفرات لم تفضح أباها ... ولم ترفع لاخوتها شنارا (١)
كأن مجامع الأرداف منها ... نقىٌّ دَرَجت عليه الريح هارا
يعاف وصال ذات البذل قلبى ... ويتبع الممنعة النَّوارا (٢)
وما عجزت فُكَيهة يوم قامت ... بنَصْل السيف واستلبوا الخمارا

كان السليك يعطى عبد الملك بن مويلك الخثعمى اتاوة من غنائمه على أن يجيره فيتجاوز بلاد خثعم الى من وراءهم من أهل اليمن فيغير عليهم ، فمر قافلا من غزوة ، فركب أسد بن مدرك الخثعمى في طلبه فلحقه فقتله ، فقال عبد الملك والله

(١) اقبح العيب (٢) المرأة النفور من الريبة

لأقتلن قاتله أو ليَدِيَنّه ، فقال أسد والله لا أديه ولا كرامة ولو طلب في ديته عقالا لما أعطيته وقال فى ذلك

انى وقتلى سُلَيكا ثم أعقِلَه ... كالثور يضرب لما عافت البقر
انى لتارك هامات بمجزرة ... لا يزدهيني سواد الليل والقمر
أغشى الحروب وسربالي مضاعفة ... تَغْشَى البَنان وسيفى صارم ذكر

الأسود بن يعفر

هو الأسود بن يَعْفُر النَّهْشَلى من نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة

شاعر متقدم فصيح، من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر، جعله محمد بن سلام فى الطبقة الثامنة مع خِدَاش بن زهير والمخبّل السعدى والنَّمِر بن تَوْلَب العُكْلى ، وهو من العُشّى المعدودين من الشعراء ، وقصيدته الدالية معدودة من مختار أشعار العرب مفضلية مأثورة أولها

نام الخَلِىّ وما أُحِسّ رُقادى ... والهمّ مُحتضِر لدىّ وِسادى
من غير ما سَقَم ولكن شَفّنى ... همّ أراه قد أصاب فؤادى
ومن الحوادث لا أبالك أنني ... ضُربت على الأرض بالأسداد[1]
لا أهتدى فيها لموضع تَلْعة ... بين العراق وبين أرض مُراد
ولقد علمت لو أن علمى نافع ... ان السبيل سبيل ذى الأعواد[2]
ان المنية والحتوف كلاهما ... يوفى المخارمَ يرقُبان سوادى
لن يرضيا منى وفاء رهينة ... من دون نفسى طارفى وتلادى
ماذا أؤمل بعد آل مُحَرِّق ... تركوا منازلهم وبعد إياد

---

(١) جمع سد والمعنى عمى على فصرت لا أتجه جهته فكأن المسالك مسدودة على

(٢) ذو الأعواد جد اكثم بن صيفى كان معمراً وكان من أعز أهل زمانه

أهل الخَوَرْنق والسَّدير وبارق ... والقصر ذى الشُّرُفات من سِنداد
أرضاً تخيرها لدار أبيهمُ ... كعب بن مامةَ وابن أم دُواد
جرت الرياح على مكان ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد
ولقد غَنَوا فيها بأنعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الأوتاد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم ... ماء الفُرات يجيء من أطواد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به ... يوماً يصير الى بِلًى ونَفاد
في آل غَرْف[1] لو بَغَيت لي الأسى ... لوجدت فيهم أُسوة العُدّاد
ما بعد زيد ، في فتاة فُرقوا ... قتلاً ونفياً بعد حسن تَناد[2]
فتخيروا الأرض الفضاء لعزهم ... ويزيد رافدهم على الرُّفّاد

كان الأسود مجاوراً فى بني قيس بن ثعلبة ، ثم بني مرة بن عُبَاد بالقاعة ، فقامرهم فقمَروه حتى حصل عليه تسعة عشر بكرا ، فقالت لهم أمه يا قوم أتسلبُون ابن أخيكم ماله ؟ قالوا فماذا نصنع ؟ قالت احبسوا قداحه ، فلما راح القوم قالوا له أمسك قِدْحك ، فدخل ليقامرهم فردوا قِداحه ، فقال لا أقيم بين قوم لا أضرب فيهم بقِدْح ، فاحتمل قبل دخول الأشهر الحرم ، فأخذت إبله طائفة من بكر بن وائل ، فاستسعى الأسود بنى مُرَّة بن عُبَاد وذكرهم الجِوار وقال لهم

يال عُباد دعوة بعد هجمة ... فهل فيكمُ من قوة وزَماع
فتسعوا لجار حل وسط بيوتكم ... غريب وجارات تركن جياع

وهى قصيدة طويلة فلم يصنعوا شيئاً ، فادعى جِوار بني مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان فقال

قل لبنى مُحَلِّم يسيروا ... بذمة يسعى بها خفير
لا قَدْحَ بعد اليوم حتى تُورُوا

---

(١) غرف هو مالك بن حنظلة بن مالك (٢) أى بعد حسن أخذ أداة للزمن

فسعوا معه حتى استنقذوا ابله ، فمدحهم بقصيدته التى أولها

أجارتنا غُضِّى من السير أوقفى ... وان كنت قد أزمعت بالبين فاصرفى

اسائلكِ أو أُخبرك عن ذى لُبانة ... سقيم الفؤاد بالحسان مُكَلَّف

يقول فيها

تداركنى أسباب آل مُحَلِّم ... وقد كدت أهوى بين نيقين نَفْنَف (١)

هم القوم يُمْسى جارهم فى غضَارة ... سوياً سليم اللحم لم يتحرف (٢)

فلما بلغتهم أبياته ساقوا اليه مثل ابله التى استنقذوها من أموالهم

كان رجل من تميم يقال له طلحة جاراً لبنى ربيعة بن عِجْل بن جُشَم ، فأكلوا إبله ، فطلب من الاسود أن يشفع له فى ردها فقال

يا جار طلحة هل تَرُدُّ لَبونه ... فتكون أدنى للوفاء وأكرما

تالله لو جاورتموه بأرضه ... حتى يفارقكم اذاً ما أحرما

وهى قصيدة طويلة فردوا على طلحة ابله

أقام الاسود عند النعمان مدة ثم مرض مرضاً شديداً فبعث النعمان يسأل عن خبره فقال

نفع قليل اذا نادى الصَّدَى أُصُلا ... وحان منه لبرد الماء تغريد

وودعونى فقالوا ساعةَ انطلقوا ... أودَى فأودى النَّدَى والحزم والجود

فما أبالى اذا مامت ما صنعوا ... كل امرئ بسبيل الموت مرصود

ومن قوله يرثى مسروق بن المنذر النَّهْشَلى وكان سيداً جوادا كثير الرفد للاسود وبرّا به

أقول لما أتانى هُلْكُ سيدنا ... لا يُبْعِدِ الله رب الناس مسروقا

---

(١) النيق أرفع موضع فى الجبل والنفنف مهواة بين جبلين (٢) تحرف مال الى حرف

من لا يُشيِّعه عجز ولا بَخَل ... ولا يبيت لديه اللحم موشوقا (١)
مِرْدَى حروب اذا ما الخيل ضرّجها ... نضح الدماء وقد كانت أفاريقا
والطاعن الطعنة النَّجلاء تحسبها ... شَنًّا هَزِيماً يمج الماء مخروقا
وجفْنَة كنضيح البئر مُتْأقة (٢) ... تروى جوانبها بالشحم مفتوقا
يَسَّرْتَها لِيَامى أو لأَرْمَلَة ... وكنت بالبائس المتروك محقوقا
يا لَهْفَ أمى اذ أودى وفارقني ... أوْدَى ابنُ سَلْمَى نَقِيَّ العرض مرموقا

عاتبته ابنة سَلْمَى على إضاعته ماله فيما ينوب قومه من حَمالة وما يمنحه فقراءهم ويعين به مستمنحهم فقال لها

وقالت لا أراك تُلِيق شيئاً ... أتُهْلِك ما جمعت وتستفيد
فقلت بحسبها يسر وعار ... ومُرْتَحَل اذا رحل الوفود
فلومى ان بدا لك أو أفيقى ... فقبلَك فاتنى وهو الحميد
أبو العوراء لم أَحْمَدْ عليه ... وقيس فاتنى وأخى يزيد
مضَوْا لسبيلهم وبقيتُ وحدى ... وقد يغني رِباعتَه الوحيد
فلولا الشامتون أخذت حقى ... وان كانت بمطلبة كُؤود

لما أسن الاسود كُفَّ بصره فكان يقاد اذا أراد مذهباً وقال فى ذلك

قد كنت أَهْدِى ولا أُهْدَى فعلمني ... حسن القَادة أنى أنْقِد البصرا
أمشى وأتبع جُنَّاباً (٣) ليَهْدِيني ... ان الجَنِيبة مما يجشم العذرا

ومن قوله وفيه غناء

لا يعترى شَرْبنا اللِّحاء وقد ... توهب فينا القَيْنَات والخُلَل
وفتية كالسيوف نادمهم ... لا حصَرٌ فيهمُ لا ولا بَخَل

---

(١) وشق اللحم شرحه وقدده (٢) مملوءة (٣) الجناب الذى يقوده كما تقاد الجنيبة والعذر مكان ليس مستوياً

علقمة الفحل

هو علقمة بن عَبَدَة بن النعمان من ربيعة بن مالك بن زيد مناة وانما لقب بالفحل لما تقدم فى تاريخ امرىء القيس . تحاكم علقمة والزِّبْرِقان بن بدر والمخبَّل السعدى وعمرو بن الأهتم الى ربيعة بن حذار الأسدى فقال ، أما أنت يا زِبْرقان فان شعرك كلحم لا أُنضج فيؤكل ولا ترك نيئاً فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو فان شعرك كبُرْد حِبرة يتلألأ في البصر فكلما أعدته نقص ، وأما أنت يا مخبل فانك قصرت عن الجاهلية ولم تدرك الاسلام ، وأما أنت يا عَلقمة فان شعرك كمزادة قد أُحكم خرزها فليس يقطر منها شيء ، ومن شعر علقمة

هل ماعلمتَ وما استَودعتَ مكتوم ... أم حبلها اذ نأتك اليوم مصروم

أم هل كبير بكى لم يقض[1] عَبْرته ... إثر الأحبة يوم البين مشكوم

لم أدرِ بالبين حتى أزمعوا ظعَنا ... كل الجمال قبيل الصبح مزموم

رد الاماء جمالَ الحى فاحتملوا ... فكلها بالتَّزِيديات[2] معكوم

عقلاً[3] ورَقْماً تَظَلّ الطير تخطفه ... كأنه من دم الأجواف مدموم

يحملن أُتْرُجّة[4] نَضخ العَبير بها ... كأن تَطْيابها فى الأنف مشموم

كأن فارة مسك فى مفارقها ... للباسط[5] المتعاطى وهو مزكوم

فالعين مني كأنْ غَرْبٌ[6] تَحُط به ... دَهماء حارِكها بالقَتْب محزوم

قد عُرِّيت زمناً حتى استطف[7] بها ... كِتْر كحافة كِير القَيْن مَلموم

---

(١) أى لم يشتف من البكاء ومشكوم مجزى (٢) هوادج يجاء بها من شق بلاد تضاعة منسوبة الى تزيد بن حيدان والمعكوم المشدود بالعكم وهو العدل (٣) العقل والرقم ضربان من الوشى فيهما حمرة وتخطفه تضربه ومدموم مطلى (٤) يريد امرأة والعبير اخلاط من الطيب (٥) المتناول (٦) الغرب الدلو وتحط به تنحدر ودهماء ناقة والحارك ما التقى عليه الكتفان (٧) ارتفع والكتر السنام والملموم المجموع المدار

قد أدبر العرّ [١] عنها وهي شاملها ... من ناصع القطران الصّرف تدسيم

تسقى مذانب [٢] قد زالت عصيفتها ... حدورها من أتيّ الماء مطموم

من ذكر سلمى وماذكرى الأوان بها ... الا السفاه وظن الغيب ترجيم

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة [٣] ... كأنها رشأ فى البيت ملزوم

وبعد أن وصف ناقته قال

بل كل قوم وان عزوا وان كثروا ... عريفهم بأثافى [٤] الشر مرجوم

والحمد لا يشترى إلا له ثمن ... مما يضنّ به الأقوام معلوم

والجود نافية المال مهلكة ... والبخل مبقى لأهليه ومذموم

والمال صوف قرار [٥] يلعبون به ... على نقادته واف ومجلوم

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه ... أنى توجه والمحروم محروم

والجهل ذو عرض لا يستراد [٦] له ... والحلم آونة في الناس معدوم

ومن تعرض للغربان يزجرها ... على سلامته لا بدّ مشئوم

وكل حصن وان طالت سلامته ... على دعائمه لا بدّ مهدوم

قد أشهد الشرب فيهم مزهر [٧] رنم ... والقوم تعثرهم صهباء خرطوم

كأس عزيز من الأعناب عتقها ... لبعض أحيانها حانيّة [٨] حوم

تشفى الصداع ولا يؤذيك صالبها [٩] ... ولا يخالطها فى الرأس تدويم

---

(١) العر الجرب والتدسيم الاثر (٢) المذانب مدافع الماء الى الرياض والعصيفة الورق وحدورها مطمئناتها وأتى الماء سيله ومطموم مملوء (٣) الخرعبة الطويلة القصب اللينة المس وملزوم مربى فى البيوت وهو أحسن له (٤) الاثافى الحجارة التى تنصب عليها القدر جعلها مثلا للرمى (٥) القرار النقدوهو صغار الغنم جمع صغار الاجرام ومجلوم مجزوز بالجلم وعلى نقادته على صغر أجسامه (٦) لا يراد ولا يطلب (٧) المزهر البربط والرنم المترنم الذى له صوت يطرب فيه والخرطوم اول ما ينزل منه الخمر صافية (٨) منسوبة الى الحانة وحوم كثير (٩) صالبها وجع فى الرأس يدور منه والتدويم الدوار

عانيَّة (١) قَرْقَف لم تُطَّلع سَنة ... يُجنها مُدْمَج بالطين مختوم
ظلت تَرَقْرَق فى الناجود (٢) يَصْفَقها ... وليد أعجمَ بالكتان مَفْدُوم
كأن ابريقهم ظبى على شَرَف ... مُقَدَّم بسَبا الكتان مرثوم
أبيضُ أبرزه للضَّحِّ (٣) راقبه ... مقلَّد قُضُب الرَّيحان مفغوم
وقد غدوت على قِرْنى يشيعنى ... ماض (٤) أخو ثقة بالخير موسوم
وقد يَسَرت اذا ما الجوع كُلِّفَه ... مُعَقَّب (٥) من قِدَاح النَّبْع مقروم
لو يَيْسِرون بخيل قد يَسَرت بها ... وكل ما يسر الأقوامُ مغروم
وقد أصاحب فتياناً طعامهم ... خضر (٦) المزاد ولحم فيه تنشيم

الاسهاب بهم ثور الدارمى التميمى

من دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة

يعرف بالأشهب بن رُمَيْلَة وهى أمه وأم اخوته رَبَاب وحَجْنا وسويد، كانوا من أشد إخوة فى العرب لساناً وأمنعهم جانباً وكثرت أموالهم فى الاسلام، ولدتهم أمهم فى الجاهلية فعزوا عزاً عظيماً. ومن شعره يرثى أخاه رباباً وقد قتله بنو قَطَن بن نَهْشَل بن دارم بنسير بن صبيح المعروف بأبى بدال

أعينيَّ قلت عبرة من أخيكما ... بأن تسهرا ليل التمام وتجزعا
وباكية تبكى الرباب وقائل ... جزى الله خيراً ما أعفَّ وأمنعا

---

(١) منسوبة الى عانة والقرقف التى تأخذ شاربها منها رعدة (٢) الناجود الباطية العظيمة ويصفقها يمزجها ومفدوم من الفدام وهو الخرقة يشدها الغلام على فيه اذا أراد ان يسقى القوم ومرثوم كمفدوم (٣) الضح الشمس ومفغوم مسدود (٤) يريد به قلبه
(٥) المعقب المشدود بالعقب والمقروم المعضوض عليه علامة يقول يسرت فى الوقت الذى يكف القداح فيه الجوع ليس معول على لبن ولا طعام غير الضرب بها (٦) يعنى المطحلبة والتنشيم بدء تغير الريح

وأضرب فى الهيجا اذا حِس الوغى ... وأطعم اذ أمسى المراضيع جُوَّعا
اذا ما استرضنا من أخينا أخاهم ... رَوِينا ولم نَشْفِ الغليل فيَنْقَعا
قَرَوْنا دماً والضيف منتظر القِرى ... ودعوة داع قد دعانا فأسمعا
مددنا وكانت همة من حلومنا ... تبدي الى أولاد ضموة أقطعا
وقد لامني قومى ونفسى تلومني ... بما قال رأيى فى رباب وضيعا
فلو كان قلبى من حديد أذابه ... ولو كان من صُمّ الصفا لتصدعا

ومن شعره وفيه غناء

ألا يا دينَ قلبُك من سليمى ... كما قد دين قلبُك من سعادا
عمدا سبتا الفؤاد وأصبتاه ... ولم يدرك بذلك ما أرادا
قفا نعرف منازل من سليمى ... دوارس بين حَوْمل أو جُرادا
ذكرت بها الشباب وآل ليلى ... فلم يرد الشـــباب بها مرادا
فان تُشِب الذؤابة أم زيد ... فقد لاقيت أياماً شـدادا

كثير بن الغريرة

كثير بن الغَرِيرة النهشلى التميمى من نَهْشل بن دارم والغريرة أمه مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وقال الشعر فيهما . ومن قوله يرثى جماعة أصيبوا بالطالقان

سقى مُزْنُ السحاب اذا استهلت ... مصارعَ فتية بالجَوْزجان
الى القَصْرَين من رُسْتاق خَوْط ... أبادهمُ هناك الأقرعان (١)
وما بى أن أكون جزعت الا ... حنين القلب للبرق اليمانى
ومحبور برؤيتنا يرجى الـــلقاء ولن أراه ولن يرانى

(١) الاقرع بن حابس وأخوه

ورب أخ أصاب الموتُ قبلى بكيت ولو نُعِيتُ له بكانى
دعانى دعوة والخيل تَرْدِى فما أدرى أباسمى أم كنانى
فكان إجابتى إياه أنى عطفت عليه خوَّار(١) العِنان
وأي فتى دعوت وقد تولت بهن الخيل ذات العُنْظُوان(٢)
وأى فتى اذا ما مت تدعو بطرف عنك غاشية السنان
فان أَهلِك فلم أك ذا صدُوف عن الأقران فى الحرب العوَان
ولم أُدْلج لأطْرُق عِرْس جارى ولم أجعل على قومى لسانى
ولكنى اذا ما هايجونى منيع الجار مرتفع البَنان
ويكرهنى اذا استبسلتُ قِرْنى وأقضى واحداً ما قد قضانى
فلا تستبعدا يومى فانى سأُوشك مرة أن تَفْقِدانى
ويدركنى الذى لابد منه وان أشفقت من خوف الجنان
وتبكينى نوائح مُعْوِلات تركن بدار معترك الزمان
حبائس بالعراق منهنهات سواجى الطرف كالبقر الهِجان
أعاذلتىَّ من لوم دعانى وللرشـــد المبين فاهدياني
وعاذلتى صوتكما قريب ونفعكما بعيد الخير دان
فردا الموت عنى ان أتانى ولا وأبيكما لا تفعلان

عبد قيس بن خفاف

هو عبد قيس بن خفاف البُرْجمى والبراجم من حنظلة بن مالك
أتى حاتم طيء فى دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها فقال والله لآتين من يحملها عني، وكان شريفاً شاعراً شجاعاً، فقدم على حاتم وقال له انه وقعت

---

(١) سهل المعطف كثير الجرى (٢) ماء لبنى تميم معروف

بينى وبين قومى دماء، فتوا كلوها، وانى حملتها في مالي وأهلي، فقدمت مالي وأخرت أهلى وكنت أوثق الناس به فى نفسى، فان تحملتها فكم من حق قضيته وهم كفيته، وان حال دون ذلك حائل لم أذممْ يومك ولم أيأس من غدك ثم أنشأ يقول

حملتُ دماء للبَرَاجم جَمَّةً ... فجئتك لما أسلمتنى البَرَاجم
وقالوا سفاها لمْ حملت دماءنا ... فقلت لهم يكفى الحمالةَ حاتم
متى آته فيها يقل لى مرحباً ... وأهلا وسهلا أخطأتك الأشائم[1]
فيحملها عنى وان شئت زادنى ... زيادة من حيزَت اليه المكارم
يعيش الندَى ما عاش حاتم طيىء ... وان مات قامت للسَّخاء مآتم
يُنادين مات الجود بعْدَك فلا نرى ... مجيباً له ما حام فى الجو حائم
وقال رجال أنْهَبَ العامَ ماله ... فقلت لهم انى بذلك عالم
ولكنه يعطى مِنَ أموال طيىء ... اذا جَلَّفَ[1] المالَ الحقوقُ اللوازم
فيعطى التى فيها الغنى وكأنه ... لتصغيره تلك العطيةَ جارم
بذلك أوصاه عدى وحَشْرَج ... وسعد وعبد الله تلك القماقم

فقال له حاتم ان كنت لأُحب أن يأتينى مثلك من قومك، وهذا مِرْباعى من الغارة على بنى تميم فخذه، فان وفى بالحمالة والا أكملتها لك، وهى مائتا بعير سوى نِيبها وفصالها مع انى لا أحب أن تُوبس قومك بأموالهم، فضحك أبو جُمَيل وقال لكم ما أخذتم منا ولنا ما أخذنا منكم وأي بعير دفعته اليَّ وليس ذنَبه فى يد صاحبه فأنت منه برىء، فأخذها وزاده مائة بعير وانصرف راجعاً الى قومه فقال حاتم

أتانى البُرْجمىّ أبو جُمَيل ... لهمّ فى حَمالته طويل
فقلت له خذ المِرْباع منها ... فانى لست أرضى بالقليل

---

(١) ذهبت به

على حال ولا عودت نفسى على علّاتها علل البخيل
نخذها انها مائتا بعير سوى النّاب الرّذيّة (١) والفصيل
فلا مَنٌّ عليك بها فانى رأيت المن يُزرى بالجميل
فآب البُرْجُمىّ وما عليه من أعباء الحمالة من قتيل
يجر الذيل ينفض مِذْرَوَيْه خفيف الظهر من حمل ثقيل

متمم بن نويرة

هو مُتَمِّم بن نُوَيرة بن عمرو من بني يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة، يكني أبا نَهْشَل، وأخوه مالك كان يكني أبا المغوار، وكان مالك شريفاً فارساً شاعراً وكانت فيه خيلاء وتقدم، وكان ذا مالة كبيرة، وكان يقال له الجفول، قتل في الردة قتله خالد بن الوليد بالبطاح فى خلافة أبى بكر وكان الذى وَلِي قتله ضِرار بن الأَزْوَر الأسدى

صلى متمم مع أبى بكر الصبح ثم أنشد

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت تحت الإزار قتلت يا ابن الأَزْوَر
أدعوته بالله ثم قتلته لو هو دعاك بذمة لم يغدر

فقال أبو بكر والله ما دعوته ولا قتلته، فقال

لا يضمر الفحشاء تحت ردائه حلو شمائله عفيف المئزر
ولنعم حشو الدرع أنت وحامرا ولنعم مأوى الطارق المتنور

ثم بكى ساعة حتى سالت عينه ثم انخرط على سِيَة (٢) قوسه يعني مغشياً عليه

---

(١) الرذية الناقة المهزولة من السير (٢) سية القوس ما عطف من طرفيها ولها سيتان

ومن فاخر المرائى قول متمم يرثى مالكا

لعمرى وما دهرى بتأبين مالك ... ولا جزع مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهال (١) تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برما (٢) تهدى النساء لعرسه ... اذا القشع من حس الشتاء تقعقعا

لبيباً أعان اللبّ منه سماحة ... خصيب اذا ما راكب الجدب أوضعا (٣)

تراه كصدر السيف يهتز للندى ... اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

ويوماً اذا ما كظّك (٤) الخصم ان يكن ... نصيرك منهم لا تكن أنت أضيعا

وان تلقه فى الشرب لا تلق فاحشا ... على الكأس ذا قاذورة متزبعا (٥)

وان ضرّس (٦) الغزو الرجال رأيته ... أخا الحرب صدقا فى اللقاء سميدعا

وما كان وقافا اذا الخيل أجحمت (٧) ... ولا طائشاً عند اللقاء مدفعا

ولا بكهام (٨) بزّه عن عدوه ... اذا هو لاقى حاسراً أو مقنّعا

فعينيّ هلا تبكيان لمالك ... اذا أذرت (٩) الريح الكنيف المرفعا

وللشرب فابكي مالكا ولبهمة (١٠) ... شديد نواحيه على من تشجعا

وضيف اذا أرغى طروقا بعيره ... وعان (١١) ثوى فى القدّ حتى تكنعا

وأرملة تمشى بأشعث محثل (١٢) ... كفرخ الحبارى رأسه قد تضوعا

---

(١) هو احد بنى يربوع مر على أشلاء مالك فأخذ ثوباً وكفنه فيه ودفنه

(٢) الذى لا يأخذ فى الجزور نصيباً اى ليس من الايسار والقشع قباب من أدم وحس الشتاء شدة برده وتقعقع يبس وصلب (٣) الايضاع السير السريع (٤) بلغ منك غاية الغم حتى يقطعك عن الكلام (٥) المتزبع الذى يرمى الشر بين القوم (٦) كدح واثر فيهم والسميدع الجميل الشجاع المديد القامة (٧) جبنت وكفت والمدفع المدفوع يرغب عن حضوره (٨) الكهام الكليل والبز السلاح (٩) القت (١٠) البهمة الشجاع (١١) أسير وتكنع خضع (١٢) سىء الغذاء اراد به ولدها وتضوع تفرق ويروى بالصاد

اذا جرَّد القوم القِداح وأوقِدت ... لهم نار أَيْسار كنى [١] من تضجعا
وان شهد الأَيسار لم يُلْفَ مالك ... على الفَرْث [٢] يحمى اللحم أن يتمزعا
أبى الصبرَ آياتٌ أراها وأنني ... أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا
وأنى متى ما أَدْعُ باسمك لا تُجب ... وكنت جديراً أن تُجيب وتُسْمعا
وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا ... أصاب المنايا رهطَ كِسْرَى وتُبَّعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نَبت ليلة معا
وكنا كندْمانَىْ [٣] جذيمة حِقْبة ... من الدهر حتى قيل أن يتصدعا
فان تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد بان محموداً أخى حين ودعا
أقول وقد طار السَّنا [٤] فى رَبابه ... وجَوْن يَسِحّ الماء حتى تَرَيَّعا
سقى الله أرضاً حلها قبر مالك ... ذِهابَ [٥] الغوادى المدْجِنات فأمرعا
وآثر سيلَ الواديين بديمة ... ترشح وَسْمِيا [٦] من النبت خِرْوعا
فمجتمع الأسدام [٧] من حول شارع ... فروَّى جبال القريتين فضَلْفَعا
فوالله ما أُسقى البلاد لحبها ... ولكنني أُسقى الحبيب المودَّعا
تحيته منى وان كان نائيا ... وأمسى تراباً فوقه الأرض بَلْقَعا
تقول ابنة المَرْئ مالك بعد ما ... أراك حديثاً ناعم البال أَفْرَعا [٨]
فقلت لها طول الأسَى اذ سألتنى ... ولَوْعة حزن تترك الوجه أسْفعا [٩]

---

(١) يقول اذا بقى من القداح شىء لم يؤخذ أخذه مع قدحه فكان له غنمه وعليه غرمه
(٢) الفرث حشوة الكرش ويتمزع يتقطع (٣) يريد مالكا وعقيلا ابنى فارج بن كعب ندما جذيمة الابرش حين ردا عليه ابن اخته عمرو بن عدى فسألهما حاجتهما فسألا منادمته فكانا نديميه ثم قتلهما (٤) ضوء البرق والرباب السحاب والجون هنا سحاب اسود وتريع جاء وذهب
(٥) الذهاب جمع ذهبة من السحاب (٦) الوسمى اول مطر يقع على الارض والخروع الغض الطرى (٧) الاسدام جمع ماء سدم بضم فسكون وهى المياه المندفقة وشارع والقريتين وضلفع مواضع (٨) الافرع كثير شعر الرأس (٩) السفعة سواد يضرب الى حمرة

وفقدُ بني أم تداعَوْا (١) فلم أكن ... خِلافَهمُ أن أستكين وأضرَعا
ولكنني أمضي على ذاك مُقْدِما ... اذا بعض من يلقى الحروب تكمكعا (٢)
وغيرني ما غال قيساً ومالكا ... وعمراً وجزءاً بالمُشَقَّر أَلْمَعا (٣)
وما غال نُعمانى يزيدَ وليتني ... تَمَلَّيته بالأهل والمال أجمعا
وانى وان عازلتني قد أصابني ... من البَثّ ما يُبْكى الحزين المفجَّعا
ولست اذا ما الدهر أحدث نكبة ... ورُزْءا بزوّار القرائب أخضعا
فعيدَك ألاّ تسمعيني مَلامةً ... ولا تنكئى (٤) قَرْح الفؤاد فيبجعا
فقَصْرَك انى قد شهدت فلم أجد ... بكفى عنهم للمنية مَدْفَعا
فلا فَرِحا ان كنت يوماً بغِبْطة ... ولا جزِعا مما أصاب فأوجعا
فلو أنّ لما ألقى يصيبُ مُتالعا ... أو الركن من سَلْمى اذاً لتضعضعا
وما وَجَدُ أظآر (٥) ثلاث روائم ... أصبن بِجَرًّا من حُوار ومَصْرَعا
يذكرْنَ ذا البَثّ الحزين بيتَه ... اذا حنّت الأولى سجعن لها معا
اذا شارفٌ (٦) منهن قامت فرجّعت ... حنيناً فأبكى شَجْوُها البَرْكَ أجمعا
بأوجدَ منى يوم قام بمالك ... مُنادٍ بصير بالفِراق فأسمعا
ألم تأت أخبارُ المُحِلّ سَراتكم (٧) ... فيغضبَ منكم كل من كان موجعا
بمَشْمَته اذ صادف الحتفُ مالكا ... ومَشْهده ما قد رأى ثم ضيعا
أثرت هِدْما (٨) بالياً وسَوِيّة ... وجئت بها تدعو بَرِيداً مُقَزَّعا

---

(١) دعا بعضهم بعضا وخلافهم بعدهم والضرع الذلة والاستكانة (٢) رجع ونكص
(٣) قال أبو عمرو يريد الذين معا (٤) نكأت القرحة اذا قشرتها
(٥) الاظآر جمع ظئر وهى نوق يعطفن على حوار واحد فيرضع من اثنتين ويتخلى أهل البيت بواحدة والروائم اللاتى يعطفن عليه والحوار ولد الناقة (٦) الشارف المسنة والبرك الآلف من الابل (٧) يقال رجل مر بمالك فلم يواره (٨) الهدم الكساء الخلق والسوية مركب من مراكب النساء والمقزع المخفف

فلا تفرحن يوماً بنفسك انني أرى الموت وقّاعاً على من تشجعا
لعلك يوماً أن تُلِمّ مُلِمّة عليك من اللائي يَدَعْنَكَ أجدعا[1]
نعيت امرأً لو كان لحمك عنده لآواه مجموعاً له أو مُمَزّعا
فلا يَهْنِيء الواشين مقتلُ مالك فقد آب شانيه إياباً فودّعا

وقيل لمتمم ما بلغ من وجدك على أخيك ؟ فقال أصبت باحدى عيني فما قطرت منها دمعة عشرين سنة فلما قل أخي استهلّت فما ترقأ

قال عمر بن الخطاب لمتمم انكم أهل بيت قد تفانيتم فلو تزوجت عسى أن ترزق ولداً يكون فيه بقية منكم ، فتزوج امرأة بالمدينة ، فلم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه وقلة حفْلِه بها فكانت تماظه وتؤذيه فطلقها وقال

أقول لهند حين لم أرض فعلها أهذا دلال الحب أم فعل فارك[2]
أم الصّرم ما تبغي وكل مفارق يسير علينا فقده بعد مالك

وقال لأخرى قالت له أما تنسى أخك ؟

أقول لها لما نهتني عن البكا أفي مالك تَلْحَيْنَني أم خالد
فان كان اخواني أصيبوا وأخفقت بني أمك اليوم الحتوف الرواصد
فكل بني أم سيُمْسُون ليلة ولم يبق من أعيانهم غير واحد

(١) مقطوع الانف (٢) الفارك التي تبغض زوجها

شعراء هذيل

صخر الغي

هو صخر بن عبد الله الخَيْثَعِي أحد بني خَيْثَم بن عمرو من سعد بن هُذَيل ابن مدركة ، ولقب بصخر الغيّ لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره

عمد صخر الى جار لبني خُناعة بن سعد بن هذيل وهو رجل من مُزَيْنَة فقتله ، فحرض أبو المثلّم الشاعر قومه على مطالبته بدم جارهم المزني والادراك بثأره ، فبلغ ذلك صخراً فقال يذكر أبا المثلم وما فعله

انى بدهماء عزّ ما أجد ... عاودنى من حبها زُؤُد [1]
عاودنى حبها وقد شحطت ... صَرْف [2] نواها فانني كَمِد

ومنها

ولست عبداً للموعدين ولا ... أقبل ضَيما أتى به أحد
جاءت كبير كيما أُخفِّرها ... والقوم صيد كأنهم رَمِدوا
فى المزنى الذى حششت به ... مال ضَريك تلاده نَكِد
ان أمتسكه فبالفداء وان ... أقتل بسيفى فانه قَوَد

كان الأعلم أخو صخر أحد صعاليك هذيل ، وكان يعدو على رجليه عَدْواً لا يلحق واسمه حبيب ، فخرج هو وأخواه صخر وصُخير حتى أصبحوا تحت جبل يقال له السَّطاع في يوم من أيام الصيف شديد الحر وهو متأبط قربة فيها ماء ، فأيبستها السَّمُوم وعطشوا حتى لم يكادوا يبصرون من العطش ، فقال الأعلم لصاحبه اشرب من القربة لعلى أرِد الماء وانتظرنى مكانك ، وكانت بنو عَدِيّ بن الدِّيل

---

(١) الزؤد الفزع (٢) الوجه الذى تصرف اليه قصدها اذا نأت

على ذلك الماء وهو ماء الأطواد يتفيئون بنخل متأخر عن الماء قدر رمية سهم ، فأقبل يمشى متلثماً وقد وضع سيفه وقوسه ونبله فيما بينه وبين صاحبه ، فلما برز للقوم مشى رُوَيداً مشتملا ، فقال بعض القوم من ترون الرجل ؟ فقالوا نراه بعض بنى مُدْلج بن ضَمْرَة ، ثم قالوا لبعضهم القَ الفتى فاعرفه ، فقال لهم ما تريدون بذلك الرجل ؟ آتيكم به اذا شرب فدعوه فليس بغميتنا فأقبل يمشى حتى رمى برأسه فى الحوض مدبراً عنهم بوجهه ، فلما رَوِى أفرغ على رأسه من الماء ثم أعاد نِقابه ورجع فى طريقه رُوَيْدًا ، فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء هل عرفت الرجل الذى صدر ؟ قال لا ، فقالوا هل رأيت وجهه ؟ قال نعم هو مشقوق الشفة ، فقالوا هذا الأعلم ، وقد صار بينه وبين الماء رمية سهم آخر فعَدَوا فى أثره ، وفيهم رجل يقال له جَذِيمة ليس فى القوم مثله عدواً فأغْرَوه به وطردوه ، فأعجزهم ومرّ على سيفه وقوسه ونبله فأخذه ثم مرّ بصاحبيه فصاح بهما فَضَبَرَا معه فأعجزوهم فقال الأعلم

لما رأيت القوم بالعلياء دون قَدِى المُناصب[١]
وفَرِيت من فزع فلا أرمى ولا ودّعت صاحب[٢]
يُغْرُون صاحبهم بنا جهداً وأُغْرِى غير كاذب
أُغْرِي أخى صخراً ليُعْجزهم ومدوا بالحلائب[٣]
وخشيت وقع ضريبة قد جُرِّبت كل التجارب
فأكون صيدَهمُ بها للذئب والضبع السواغب
جَزَرًا وللطير المرِبَّة والذئاب وللثعالب[٤]

وهى قصيدة طويلة

---

(١) القدى القدر المناصب المرامى يرميك وترميه (٢) فريت تحيرت (٣) الحلائب الجماعات (٤) المربة المقيمة الملاز

خرج صخر وأخوه أبو عمرو فى غزاة لهما فباتا فى أرض رملة فنهست أخاه حية فمات فقال يرثيه

لعَمْرُ أبى عمرو لقد ساقه المَنَى ... الى جَدَث يوزَى له بالأهاضِب[1]
لحية قفر فى وِجار مقيمة ... تَنَمَّى بها سَوْق المنى والجوالب
أخى لا أخا لى بعده سَبَقت به ... منيته جمع الرُّقى والطبائب
وذلك مما يحدث الدهر انه ... له كل مطلوب حثيث وطالب

خرج صخر فى طائفة من قومه يَقْدُمها خوفاً من أبى المثلم فأغار على بني المُصْطَلق من خُزاعة فانتظر بقية أصحابه وبدرت بنو المصطلق فأحاطوا به فقال

لو أن أصحابى بنو معاوية ... أهل جنوب النخلة الشآمية
ورهط دُهْمان ورهط عادية ... ما تركونى للذئاب العاوية

وجعل يرميهم ويرتجز ويقول

لو أن أصحابى بنو خُزاعة ... أهل الندى والمجد والبراعة
تحت جلود البقر القرّاعة ... لنهنهوا من هذه اليراعة

وقال أيضاً وهو يقاتلهم

لو أن حولي من قُرَيْم رَجْلا ... بيضَ الوجوه يحملون النَّبْلا
لمنعونى نجدة أو رِسْلا[2] ... سُفْعَ الوجوه لم يكونوا عُزْلا

فلم يزل يقاتلهم حتى قتلوه وبلغ ذلك أبا المثلم فقال يرثيه

لو كان للدهر مال كان مُتْلِدَه ... لكان للدهر صخر مالَ قُنْيان
أبى الهضيمة نابٍ بالعظيمة متـ ... ـلاف الكريمة لا نِكْس ولا وان[3]

---

(١) المنى القدر وأوزى ظهره الى الحائط أسنده (٢) يقول منعونى بنجدة وشدة أو على رسلهم بأهون سعى (٣) الوديقة حر نصف النهار

حامى الحقيقة نسّال[١] الوديقة معـــتاق الوسيقة جلد غير ثنيان
ربّاء مرقبة منّاع مغلبة ركاب سلهبة قطاع اقران[٢]
هبّاط أودية شهّاد أندية حمال ألوية سرحان فتيان
يحمى الصحاب اذا جدا الضراب ويكـــفى القائلين اذا ما كُلّ العانى
ويترك القرن مصفراً أنامله كأن في رَيْطتيه نضخ أرْقان[٣]
يعطيك ما لا تكاد النفس تُسلمه من التلاد وهوب غير منان

عمرو بن العجلان

هو عمرو بن العَجْلان بن عامر من بني كاهل بن لحيان بن هُذَيل ويلقب بذى الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه .

كان يغزو بني فهم غزواً متصلاً فنام ليلة فى بعض غزواته فوثب عليه نَمِران فأكلاه فادعت فهم قتله ، وقالت أخته رَيْدة ترثيه

كل امرئ لِمحال الدهر مكروب وكل من غالب الايام مغلوب
وكل حى وان عزوا وان سلموا يوماً طريقهم فى الشر دُعبوب[٤]
أبلغ هُذَيلا وأبلغ من يبلغها عني حديثاً وبعض القول تكذيب
بأن ذا الكلب عمراً خيرهم حسباً ببطن شَرْيان يعوى حوله الذيب
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مُنْعَجر من نجيع الجوف أسكوب
والتارك القِرْن مصفراً أنامله كأنه من رَجيع الجوف مخضوب
تمشى النسور اليه وهى لاهية مشى العذارى عليهن الجلابيب
والمخرج العاتق العذراء مذعنة فى السبى ينفح من أردانها الطيب

---

(١) ونسال سريع والوسيقة القطيع من الابل يطردها النسال ومعتاق الوسيقة اذا طرد طريدة سبق بها وأجاها والثنيان الذى يكون بعد السيد فى المرتبة (٢) السلهبة والسلهب من الخيل ما عظم وطالت عظامه (٣) الارقان اليرقان يعنى صفرته (٤) مسلوك

المتنخل

هو مالك بن عويمر بن عثمان من بني لَحيان بن هُذَيل ويكني أبا أُثَيلة من شعراء هُذَيل وفحولهم وفصحائهم

قال يرثي ابنه أُثَيلا وقد قتل في غزوة غزاها

ما بال عينك أمست دمعها خضل ... كأوهى سرب الأحزاب منبزل[1]

لا تفتأ الدهر من سَحّ بأربعة[2] ... كأن انسانها بالصاب مكتحل

تبكي على رجل لم تَبْلَ جدّته ... خلى عليها فجاجاً بينها خلل

وقد عجبت وهل بالدهر من عجب ... أنّى قلت وأنت الحازم البطل

ويلُمّه رجلاً تأبى به غُبَنا ... اذا تجرد لا خال ولا بخل[3]

السالك الثُّغْرة اليقظان كالئها ... مشيَ الهلوك عليها الخَيْعَل الفُضُل[4]

والتارك القِرْن مصفراً أنامله ... كأنه من تقار قهوة ثمل

مُجَدَّلا يتسقى جلدُه دمه ... كما تقطّر جذع الدَّومة القُطُل[5]

ليس بعلّ كبير لا شباب به ... لكن أُثيلة صافي الوجه مقتبل[6]

يجيب بعد الكرى لبّيك داعيه ... مجذامة لهواه قُلْقُل عَجِل[7]

حلو ومر كعَطْف القِدْح مِرّته ... في كل آن أتاه الليل ينتعل[8]

فاذهب فأي فتى في الناس أحرزه ... من حتفه ظُلَم دُعْج ولا حيل[9]

---

(١) خضل ندى والاحزاب جمع حزبة بالضم وهي عروة المزادة ومنبزل منشق

(٢) يريد المآقين واللحاظين (٣) الخال التكبر (٤) الهلوك من النساء التي تتهالك في مشيها اى تتبختر والخيعل القميص الذي ليس له كمان ويقال امرأة فسل اذا كان عليها قميص ورداء وليس عليها ازار ولا سراويل (٥) القطل المقطوع من الشجر (٦) رجل علّ مسن نحيف ضعيف صغير الجثه ومقتبل مستأنف الشباب (٧) القلقل الخفيف في السفر المعوان السريع التقلقل (٨) انتعل الرجل اذا ركب صلاب الارض وحرارها والمرة قوة الخلق وشدته (٩) أحرزه جعله في حرز والظلم الدعج الليالي الشديدة السواد

فلو قتلت ورجلى غير كارهة السابِ دلاج فيها قبيص الشد والسبل

اذاً لأعملت نفسى فى غزاتهمُ ولابتعثت به نوحاً له زَجَل

أقول لما أتانى الناعيان به لايَبْعَدالرمح ذو النصلين والرجل

رمح لنا كان لم يُفْلَل ننوء به توفى به الحرب والعَزّاء والجُلَل (١)

رَبّاء شَمّاء لا يدنو لقُلّتها الا السحابُ والا النُّوبُ والسَّبَل (٢)

وقال يرثى أباه أبا مالك

لعمرك ما ان أبو مالك بوانٍ ولا بضعيف قواه

ولا بألدَّ له نازع يُعَادى أخاه اذا ما نهاه (٣)

ولكنه هين لين كعالية الرمح عَرْد نَساه (٤)

اذا سدته سدت مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه

ألا من ينادى أبا مالك أفى أمرنا هو أم في سواه

أبو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه

قال الاصمعى أجود طائية قالتها العرب قصيدة المتنخل

عرفت بأَجْدُث فنعاف عرق علامات كتحبير النِّماط

كأن مَزاحفَ الحيات فيها قُبَيل الصبح آثار السِّياط

---

(١) توفى به الحرب أى تعلى به وتقهر وروى بالقاف من الوقاية والعزاء السنة الشديدة والجلل جمع جلى وهو الامر الجليل العظيم

(٢) رباء فعال من ربأ اذا صار ربيئة .وشماء مرتفعة أى هضبة شماء وقلة الجبل رأسه والنوب النحل والسبل المطر

(٣) الالد الشديد الخصومة وله نازع أى خلق سوء ينزعه من نفسه

(٤) العرد الشديد والنسا العرق المعروف

أبو العيال الهذلى

هو أبو العيال بن أبي عنترة من سعد بن هذيل ، شاعر فصيح مقدم من شعراء هذيل مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ثم أسلم فيمن أسلم من هذيل وعمر الى خلافة معاوية

قال يرثى ابن عمه عبد بن زهرة

ألا لله دَرُّك من فَتَى قوم اذا رهبوا
وقالوا من فَتًى للحر ب يَرْقُبنا ويرتقب
فكنت فتاهمُ فيها اذا يُدْعَى لها يَثب
ذكرت أخى فعاودنى صُداع الرأس والوصب
فدمع العين من بُرَحا ء ما فى الصدر ينسكب
كما أودى بماء الشـــنة المخروزة السَّرَب
على عبد بن زهرة طو ل الليل أكتئب

كان أبو العيال وبدر بن عامر الهُذَليان يسكنان مصر وكانا خرجا اليها فى خلافة عمر، وأبو العيال معه ابن أخيه، فبينا ابن أخى أبى العيال قائم عند قوم ينتضلون اذ أصابه سهم فقتله، فكان فيه بعض الهَيْج، فخاصم فى ذلك أبو العيال واتهم بدر ابن عامر وخشى أن يكون ضلعه مع خصمائه ، فاجتمعا فى ذلك فى مجلس فتباثنا فقال بدر بن عامر

بخلت فُطَيمة بالذي تولينى الا الكلام وقلما يُجْدِينى
ولقد تناهى القلب حين نهيته عنها وقد يَغْوَى اذا يَعْصِينى
أفُطيم هل تدرين كم من متلفٍ جاوزت لامَرع ولا مسكون

يقول فيها

وأبو العيال أخى ومن يعرض له ... منكم بسوء يؤذنى ويسوءنى
انى وجدت أبا العيال ورهطه ... كالحصن شد بجندل موضون
أعنى المجانيق الدواهى دونه ... فتركنه وأبر بالتحصين

فأجابه أبو العيال

ان البلاء لدى المقاوس [١] مخرج ... ما كان من غيب ورجم ظنون
واذا الجواد ونى وأخلف مِيْسَرا ... صُخْرًا فلا توقن له بيقين
لو كان عندك ما تقول جعلتنى ... كنزًا لريب الدهر غير ضنين
ولقد رمقتك فى المجالس كلها ... فاذا وأنت تعين من يبغينى
هلا درأت الخصم حين رأيتهم ... جنفًا علىّ بألسن وعيون
وزجرت عنى كل أشوس كاشح ... ترع المقالة شامخ العرنين [٢]

فأجابه بدر بن عامر فقال

أقسمت لا أنسى منيحة واحد ... حتى تُخَيَّط بالبياض قرونى
حتى أصير بمسكن أثوى به ... لقرار ملحدة العداء شطون [٣]
ومنحتنى جدّاء حين منحتنى ... شحصًا بمالئة الحلاب لبون [٤]
وحبوتك النصح الذى لا يشترى ... بالمال فانظر بعد ما تحبونى
وتأمل السِّبْت الذى أحذوكه ... فانظر بمثل إمامه فاحذونى [٥]

فأجابه أبو العيال

أقسمت لا أنسى مقال قصيدة ... أبدًا فما هذا الذى ينسينى

---

(١) المقاوس الحبل الذى تصف عليه الخيل عند السباق وجمعه مقاوس (٢) ترع عجل
(٣) شطون بعيدة القعر (٤) الجداء من كل حلوبة الذاهبة اللبن عن عيب والشحص التى لا لبن لها (٥) السبت من الجلود ما لا شعر عليه

ولسوف تنساها وتعلم أنها تبعٌ لآبية العِصاب زَبون[1]
ومنحتني فرضيت حين منحتني فاذا بها وأبيك طَيْف جنون
جهراء لا تألو اذا هي أظهرت بصراً ولا من عيلة تغنيني
قَرِّب حِذاءك قافلا أولينا فتمن في التخصير والتليين[2]
وارجع منيحتك التي اتبعتها هَوْعاً وحَدَّ مُذَلَّق مسنون[3]

أبو خراش خويلد بن مرة الهذلي

شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين الفصحاء، مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم، وعاش بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم مدة ومات في خلافة عمر، نهشته أفعى فمات، وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم، ومن قوله وقد فات قوماً أرادوا أخذه

رفَوْني[4] وقالوا يا خويلد لم تُرَعْ فقلت وأنكرت الوجوه هُمُ هُم
فغاورت[5] شيئاً والدَّريس كأنما يذعذعه وَتْكٌ من الموم مُرْدِم
تذكرت ما أين المَفَرُّ وانني بحبل الذي يُنْجي من الموت مُعْصِم
فوالله ما رَبْدَاء أو عِلْج عانة أقَبُّ وما ان تَيْس رمل مُصَمِّم[6]
بأسرعَ مني اذ عرفت عديهم كأني لأُولاهم من القرب تَوْءَم
وأجود مني حين وافيت ساعياً وأخطأني خلف الثَّنِيّة أسهم
أُوائل بالسيف الذَّليق وحَتْني لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم[7]

---

(١) العصاب ما تعصب به الناقة لتدر والزبون من النوق الدفوع (٢) قافلا يابسا ونعل مخصرة لها خصران وخصر النعل ما استدق من قدام الاذنين منها (٣) الهوع الجزع
(٤) سكنوني وقالوا لا بأس عليك (٥) تلبثت والدريس الخلق من الثياب ومردم لازم والموم البرسام (٦) الربداء النعامة وعلج العانة الحمار الوحشي والمصمم الصابر على السير الماضي فيه (٧) أوائل ألاوز والذليق الحديد ومشبوح الذراعين طويلهما والخلجم الطويل المنجذب الخلق

تذكر ذُحلا عندنا وهو فاتك ... من القوم يَعْرُوه اجتراء ومَأْثَم
تقول ابنتى لما رأتني عَشِيَّةً ... سلمت وما ان كدت بالأمس تَسْلَم
فقلت وقد جاوزت صارى عشية ... أجاوزت أُولَى القوم أم أنا أحْلُم
فلولا دِراك الشد قاظت حليلتى ... تخير فى خُطَّابها وهى أيِّم
فتسخط أو ترضى مكانى خليفة ... وكاد خِرَاش عند ذلك يَيْتَم

وقال يمدح دُبَيَّةَ السُّلَمى وقد نزل به فأكرمه وأعطاه نعلين من حِذَاء السِّبت

حذانى بعد ما خَذِمت نعالى ... دُبَيَّـــة انه نعم الخليل
مقابلتين من صَلَوَىْ مُشِبٍّ (١) ... من الثيران وصلها جميل
بمثلها يروح المرء لَهْوًا ... ويقضى الهمّ ذو الأَرَب الرجيل
فنعم مُعَرَّس الأضياف تُزْجِى ... رحالَهُمُ شـــآمِيَةٌ بليل
يقاتل جوعهم بمكلَّلات ... من الفُرْنِيِّ يَرْعَبُها الجميل (٢)

وقال يرثيه

ما لدُبَيَّة منذ اليوم لم أرَه ... وسط الشُّروب ولم يُلْمِم ولم يطف
لو كان حيا لغاداهم بمُتْرَعة ... فيها الرواويق من شِيزَى بنى الهَطِف (٣)
كابى الزِّماد عظيم القدر جفْنته ... حين الشتاء كحوض المنهل اللقف (٤)
أمسى سُقَامٌ (٥) خَلاءً لا أنيسَ به ... الا السباع ومر الريح بالغُرَف

وقالى يرثى زهير بن العجوة وقد قتله جميل بن مَعْمَر الجُمَحى

فجع أصحابى جميل بن معمر ... بذى فَجَرٍ تأوى اليه الأرامل (٦)
طويل نجاد السيف ليس بجَيْدَر ... اذا قام واستنت عليه الحمائل (٧)

---

(١) مسن (٢) يرعبها يملؤها والجميل الشحم (٣) الشيزى الجفان وبنو الهطف بطن من أسد يصنعون الجفان (٤) حوض لقف ملآن (٥) واد بالحجاز (٦) الفجر العطاء والكرم (٧) الجيدر القصير

الى بيته يَأْوِى الغريب اذا شتا ... ومهتلك بالي الدَّريسَيْن عائل
تروح مقرورا وراحت عشية ... لها حدب تحتثُّه فيوائل
تكاد يداه تُسْلمان رداءه ... من القَرِّ لما استقبلته الشمائل
فما بال أهل الدار لن يتصدعوا ... وقد خف منها اللَّوْذَعى الحُلاحل
فأقسم لو لاقيته غيرَ مُوثق ... لآبك بالجزع الضباع النواهل
لظل جميل أسوأ القوم ثِلّة ... ولكن قرن المرء للظهر شاغل[1]
فليس كعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل ... سوى الحق شيئاً فاستراح العواذل
ولم أنس أياماً لنا ولياليا ... بحَلْيَةَ اذ نَلْقَى بها ما نحاول

وقال أيضاً يرثيه

أفى كل مُمْسَى ليلة أنا قائل ... من الدهر لا يَبْعَد قتيل جميل
فما كنت أخشى أن تصيب دماءنا ... قريش ولما يُقْتلوا بقتيل
فأبرح ما أمرّتمُ وعمرتمُ ... مدى الدهر حتى تقبلوا لعليل

وقال وقد مَنَّ على ابني شعوب أحد بني شجع بن عامر بن ليث وكان أسرهما مع جماعة من قومه

عدونا عدوة لاشك فيها ... وخلناهم ذُؤَيْبَةَ أو حبيبا
فنُغْرِى الثائرين بهم وقلنا ... شفاء النفس أن بعثوا الحروبا
منعنا من عدى بنى حنيف ... صحاب مضَرِّس وابنى شعوبا
فأنّوا يا بني شِجْع علينا ... وحق ابنى شعوبٍ أن يثيبا
وسائل سَبْرَة الشَّجْعِى عنا ... غداة تخالهم نجوا جنيبا

---

(١) الثلة الهلكة

بأن السابق القِرْدِىَّ ألقى عليه الثوب اذ ولى دبيبا
ولولا ذاك أرهقه صُهَيْب حسام الحد مطروراً خشيبا

ومن قوله

وانى لأَنوِى الجوع حتى يَمَلَّنِى فأحيا ولم تَدْنَس ثيابى ولا جِرْمى
وأصطبح الماء القَراح فأكتفى اذا الزاد أضحى للمزَلج ذا طعم
أرد شجاع البطن قد تعلمينه وأُوثِر غيرى من عيالك بالطعم
مخافة أن أحيا برَغْم وذلة فَلَلْمَوْت خير من حياة على رَغْم

أسر أخوه عروة فذهب لآسريه واشتراه منهم ثم رهن عندهم ابنه خراشاً حتى أدى الفكاك ثم لم يجد عند أخيه حسن مكافأة فقال فى ذلك

لعلك نافعى يا عرو يوماً اذا جاورت من تحت القبور
أخذت خِفارتى ولطمت عينى وكيف تنيب بالمن الكبير
ويوم قد صبرت عليك نفسى لدى الاشهاد مرتدى الحَرور
اذا ما كان كُسْىُ القوم روقا وحالت مقلتا الرجل البصير
بما يمنه وتركت بكْرِى وما أطعمت من لحم الجزور

وقال وقد ثأر بأخيه زهير من بنى ثُمالة وقد قتلوه وهو معتمر

خذوا ذلكم بالصلح انى رأيتكم قتلتم زهيراً وهو مُهْدٍ مهمل
قتلتم فتى لا يَفْجُرُ الله عامداً ولا يجتويه جاره عام يَمْحَل

وقال يرثى أخاه عروة ويذكر خلاص ابنه

حدثت إلهى بعد عُرْوة اذ نجا خِراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله لا أنسى قتيلا رُزِئْتُه بجانب قَوْسَى ما حَيِيت على الأرض
بلى انها تعفو الكُلوم وانما نوكل بالأَدنى وان جلَّ ما يمضى

ولم أدرِ من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سُلَّ عن ماجد محْض
ولم يك مَثْلُوجَ (١) الفؤاد مُهَبَّلاً أضاع الشباب فى الرَّبِيلة والخَفْض
ولكنه قد لوحته مخامص على أنه ذو مِرَّة صادق النَّهْض

وقال يرثى أخاه ومن قتله مُمالة وكِنانة من أهله

فقدت بنى لُبْنَى فلما فقدتهم صبرت فلم أقطع عليهم أباجلى
رماح من الخَطِّىِّ زرق نصالها حِداد أعاليها شداد الأسافل
فلَهْفى على عمرو بن مُرَّة لهفة ولهفى على ميت بقَوْسَى المعاقل
حسان الوجوه طيب حُجُزاتهم كريمٌ نَشاهم غير لُفٍّ معازل
قتلت قتيلاً لا يحالف غَدْرة ولا سُبَّة لا زلت أسفل سافل
وقد أمِنونى واطمأنت نفوسهم ولم يعلموا كل الذى هو داخلى
أصيبت هُذَيْل بابن لُبْنَى وجُدِّعت أنوفهمُ باللوْذَعىّ الخُلاحل
رأيت بنى العلَّات لما تضافروا يحوزون سهمى دونهم بالشمائل

ودخلت عليه أُمَيمة امرأة عروة وهو يلاعب ابنه ، فقالت له يا أبا خراش تناسيت عروة وتركت الطلب بثاره ولهوت مع ابنك ، أما والله لو كنت المقتول ما غفل عنك والطلب قاتلك حتى يقتله ، فبكى أبو خراش وقال

لعمرى لقد راعت أُمَيْمة طلعتى وان ثوائى عندها لقليل
وقالت أراه بعد عروة لاهيا وذلك رُزْء لو علمت جليل
فلا تَحْسَبِى انى تناسيت فقده ولكن صبرى يا أُمَيْمَ جميل
ألم تعلمى ان قد تفرق قبلنا نديما صفاء مالك وعقيل
أَبَى الصبرَ أنى لا يزال يَهيجنى مبيت لنا فيما خلا ومقيل
وأنى اذا ما الصبح آنست ضوءه يعاودنى قطع علىّ ثقيل

---

(١) المثلوج البليد والمهبل الثقيل الجافى والربيلة الخفض والدعة

هاجر خِراش بن أبى خِراش فى أيام عمر وغزا مع المسلمين فأوغل في أرض العدو ، فقدم أبو خِراش المدينة فجلس بين يدى عمر وشكا اليه شوقه الى ابنه وأنه رجل قد انقرض أهله وقتل اخوته ولم يبق له ناصر ولا معين غير ابنه خراش وقد غزا وتركه وأنشأ يقول

ألا مَنْ مبلغٌ عني خراشا ... وقد يأتيك بالنبأ البعيد
وقد يأتيك بالأخبار من لا ... تجهز بالحِذاء ولا تُزيد (١)
تناديه ليَغْبُقَهُ كليب ... ولا يأتى لقد سفِهِ الوليد
فَرَدَّ اناءه لا شيء فيه ... كأن دموع عينيه الفريد
وأصبح دون غابقة وأمسى ... جبال من حِرار الشام سود
ألا فاعلم خِراش بان خير الـــــمهاجر بعد هجرته زهيد
رأيتك وابتغاء البرِّ دونى ... كمخضوب اللَّبان ولا يصيد

فكتب عمر بأن يقبل خراش الى أبيه وألا يغزو من كان له أب شيخ الا بعد أن يأذن له، ولما نهشته الحية قال وهو يعالج الموت

لعمرك والمنـايا غالبـات ... على الانسان تَطْلُع كل نَجْد
لقد أهلكتِ حيةَ بطن أَنْف ... على الاصحاب ساقا ذات فقد

وقال

لقد أهلكت حية بطن أنف ... على الاصحاب ساقا ذات فضل
فما تركت عدواً بين بُصْرَى ... الى صنعاء يطلبـه بذُحْل

أبو ذؤيب الهذلى

هو خويلد بن خالد من بني مازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام فحسن اسلامه ، ومات فى غزاة

---

(١) تجهز بالزاد

إفريقية ، قال محمد بن سلام كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميزة فيه ولا وهن ، وقال حسان أشعر الناس حيًّا هُذَيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب ، وكان فصيحاً كثير الغريب متمكناً فى الشعر ، وقال عمر بن شبة تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التى يرثى فيها بنيه يعنى قوله

أمِن المنون وريبها تتوجع ... والدهر ليس بمُعْتِب من يجزَع
قالت أُمَيمة ما لجسمك شاحبا ... منذ ابتُذِلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مَضْجَعا ... ألا أقضّ عليك ذاك المَضْجَع (١)
فأجبتها أمّا لجسمى أنّه ... أوْدَى بَنِىّ من البلاد فودّعوا
أودى بَنِىّ وأعقبونى غُصّة ... بعد الرُّقاد وعَبْرَةً لا تُقْلِع
سبقوا هَوَىَّ وأعنقوا لهواهمُ ... فتُخُرِّموا ولكل جنب مَصْرَع (٢)
فغبَرت بعدهم بعيش ناصب ... وإخال انى لاحق مستتبَع
ولقد حرَصت بأن أدافع عنهمُ ... فاذا المنية أقبلت لا تُدْفع
واذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع
فالعين بعدهمُ كأن حِداقها ... سُمِلت بشوك فهى عُور تدمع
حتى كأنى للحوادث مَرْوة ... بصفا المشرَّق كل يوم تُقْرَع (٣)
وتجلدى للشامتين أُريهمُ ... أنى لرَيْب الدهر لا أتضعضع
والنفس راغبة اذا رغبتها ... واذا تُرَدّ الى قليل تقنع
والدهر لا يَبْقَى على حدَثانه ... جَوْن السَّراة له جدائد أربع (٤)

---

(١) أقض صار تحت جنبك مثل قضيض الحجارة وهى الحجارة الصغار (٢) أعنقوا أسرعوا وتخرموا أخذوا واحدا بعد واحد
(٣) المروة واحد المرو حجارة بيض يقدح منها النار والمشرق المصلى ويروى المشقر يعنى سوق الطائف (٤) يعنى بجون السراة حمارا والسراة أعلى الظهر والجون الأسود الى حمرة والجدائد الأتن واحدتهن جدود

ثم وصف حمار الوحش وهلاكه بيد الصائد ثم قال

والدهر لا يَبْقَى على حَدَثانه شَبَبٌ أفزّته الكلاب مُرَوَّع (١)

ثم وصف الثور وهلاكه بقرون الكلاب ثم قال

والدهر لا يَبْقَى على حَدَثانه مستشعر حلق الحديد مُقَنَّع

ثم وصف الفارس وهلاكه الى آخر القصيدة

ومما يغنى فيه من شعر أبي ذؤيب

أساءلت رَسْمَ الدار أم لم تسائل عن الحى أم عن عهده بالأوائل
عفا غير رسم الدار ما ان تبينه وغير ظباء قد ثَوَتْ فى المنازل
فلو أن ما عند ابن بَحْرَة عندها من الخمر لم تَبْلُل لهاتى بناطل
فتلك التى لا يذهب الدهر حبها ولا ذكرها ما أرزَمت أم حائل

ومنها

وان حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل فى ألبان عُوذٍ مَطافل
مطافلَ أبكارٍ حديثٍ نِتاجُها تُشاب بماء مثلِ ماء المفاصل

ومن شعره

وما أنفس الفتيان الا قرائن تَبِين ويبقى همها وقبورها
فنفسكَ فاحفظها ولا تُفْشِ للعدا من السر ما يُطْوَى عليه ضميرها
وما يحفظ المكتوم من سر أهله اذا عُقد الاسرار ضاع كبيرها
من القوم الا ذو عَفاف يُعينه على ذاك منه صدق نفس وخيرها

وقال فى امرأة كان يهواها فاتهمها بخالد بن زهير

تريدين كيما تجمعيني وخالدا وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

---

(١) الشبب المسن من الثيران وأفزته طردته

أخالد ماراعيت من ذى قرابة ... فتحفظني بالغيب أو بعض ماتبدى
دعاك اليها مقلتاها وجيدها ... فملت كما مال المحب على عمد
وكنت كرقراق السحاب اذا بدا ... لقوم وقد بات المطى بهم يخدى (١)»
فآليت لا أنفك أحذو (٢) قصيدة ... تكون وإياها بها مثلا بعدى

وقال فى ذلك أيضاً

وما حمل البُخْتِيُّ عام غِياره (٣) ... عليه الوسوق بُرها وشعيرها
أتى قرية كانت كثيراً طعامها ... كرقم (٤) التراب كل شىء يميرها
فقيل تحمل فوق طوقك انها ... مطبّعة (٥) من يأتها لا يضيرها
بأعظم مما كنت حملت خالداً ... وبعض أمانات الرجال غرورها
ولو أنني حملته البُزْل ما مشت ... به البُزْل حتى تَتْلَئِبَّ (٦) صدووها
خليلى الذى دَلى لغَرّ خليلتى ... جهاراً فكل قد أصاب عرورها (٧)
فشأنكها انى أمين وانني ... اذا ما تحالى (٨) مثلها لا أطورها
أحاذر يوماً أن تبين قرينتى (٩) ... ويسلمها أحرازها ونصيرها
رعى خالد سرى ليالي نفسُه ... توالى على قصد السبيل أمورها
فلما تراماه الشباب وغَيه ... وفى النفس منه فتنة وفجورها
لوى رأسه عنى ومال بوده ... أغانيج خود كان فينا يزورها
تعلقه منها دلال ومقلة ... تظل لاصحاب الشقاء تديرها
فان حراماً أن أخون أمانة ... وأمن نفساً ليس عندى ضميرها

---

(١) خدى البعير اسرع وزج بقوائمه (٢) أصنع ويروى أحدو أى أغنى (٣) غاره الله بخير اعطاه (٤) الرقم من التراب الكثير اللين (٥) مملوءة (٦) تستقيم وتنتصب وتمتد وتتتابع (٧) عره بكذا أصابه (٨) تحالى من الحلاوة أطورها أقربها (٩) قرينتى بنفسى والأحراز الحصون

فأجابه خالد بن زهير

لا يبعدنّ الله لبك اذ غزا (١) وسافر والاحلام جمٌّ عثورها
وكنت إماماً للعشيرة تنتهى اليك اذا ضاقت بأمر صدورها
لعمرك أما أم عمرو تبدلت سواك خليلاً شاتمى تستخيرها (٢)
فان التى فينا زعمت ومثلها لَفيك ولكن لا أراك تخورها (٣)
ألم تنتقدها من عويم بن مالك وأنت صفى نفسه وسجيرها
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها
فان كنت تشكو من خليل مخافة فتلك الجوارى عُقبها (٤) ونُصورها
وان كنت تبغى للظلامة مركبا ذلولاً فانى ليس عندى بعيرها
نشأت عسيراً لا تاين عريكتى ولم يعل يوماً فوق ظهرى كُورها
متى ما تشأ أحملك والرأس مائل على صعبة حَرف وشيك طمورها
فلا تك كالثور الذى دفنت له حديدة حتف ثم أمسى يثيرها
يطيل ثواء عندها ليردها وهيهات منه دارها وقصورها
وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألذ من السلوى اذا ما يشورها (٥)
فلم يغن عنه خدعه يوم أزمعت صريمتها والنفس مر ضميرها
ولم يلف جلداً حازماً ذا عزيمة وذا قوة ينفى بها من يزورها
فأقصر ولم تأخذك منى سحابة ينفر شاء المقلعين (٦) خريرها
ولا تسبقن الناس منك بحكمة من السم مذرور عليها ذرورها

---

(١) غزا وسافر لبك ذهب عنك والعثور من العثار وهو الخطأ (٢) الاستخارة الاستعطاف (٣) تخورها تعرض عنها (٤) عقبها يريد عاقبتها ونصورها أى تنصر عليك الواحد نصر (٥) يشورها يجتنيها والسلوى ههنا العسل (٦) المقلعين الذين أصابهم القلع وهو السحاب

وقال أبو ذؤيب وهو يجود بنفسه لابن أخيه

أبا عبيد رفع الكتاب ... واقترب الموعد والحساب
وعند رحلي جمل نجاب ... أحمر في حاركه انصباب

وكانت وفاته رحمه الله منصرفه من غزوة في بلاد الروم

شعراء أسد

عبيد

هو عَبِيد بن الأبرص الأسدي من ثعلبة بن دُودان بن أسد ، شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية وقرن به طَرَفة وعلقمة بن عَبْدة وعدي بن زيد ، وكان شاعر بني أسد غير مدافع، ومن شعره قوله لامرئ القيس وقد أبى صلح بني أسد بعد قتلهم أباه

يا ذا المخوفُنا ... بقتل أبيه اذلالاً وحَيْنا
أزعمت انك قد قتلت سراتنا كذباً ومَيْنا
هلا على حُجْر بن أمّ قَطام تبكي لا علينا
انا اذا عَضّ الثِّقا ... فُ برأس صَعْدتنا لَوَيْنا
نَحمي حقيقتنا وبعـ ... ـض القوم يسقط بَيْنَ بَيْنا
هلا سألت جموعَ كِنْـ ... ـدة يوم وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنا
أيامَ نضرب هامهم ... ببواتر حتى انحنينا
وجموعَ غَسَّان الملو ... ك أتَيْنَهم وقد انطَوَيْنا
لُحُقا أَياطِلُهن قد ... عالجن أسفاراً وأَيْنا (١)

(١) أي لقد لحقت الخواصر بالاصلاب والأين الاعياء

نحن الأولى فاجمع جمو عك ثم وجههم الينا
واعلم بأن جيادنا آلين لا يقضين دَيْنا
ولقد أبحنا ما حميت ولا مُبيح لما حَمَيْنا
هذا ولو قدرت عليك رماح قومى ما انتهينا
حتى تَنُوشك[1] نَوْشة عاداتهن اذ انتوَيْنا
نُعْلى السِّباء بكل عا تقة شَمول ما صَحَوْنا
ونهين في لذاتنا عُظْم التِّلاد اذا انتشينا
لا يبلغ البانى ولو رفع الدَّعائم ما بنينا
كم من رئيس قد قتلناه وضَيْم قد أبَيْنا
ولربَّ سيدِ معشر ضَخْم الدَّسيعة قد رمينا
عقْبانُه بظلال عقْبان تتمم ما نوَيْنا
حتى تركنا شِلْوه جزَرَ السباع وقد مضينا
وأوانس مثل الدُّمَى حُور العيون قد استبينا
انا لعمرك ما يضا م حليفنا أبداً لدينا

ومن شعره وفيه غناء

طاف الخيال علينا ليلة الوادى من أم عمرو ولم يُلْمِمْ بميعاد
أنَّى اهتديت لركب طال سيرهم في سَبْسَب بين دَكْداك[1] وأعقاد
يُكلِّفون سُراها كل يَعْمَلَة مثل المَهاة اذا ما احتثّها الحادى
أبلغ أبا كَرِب عنى واخوته قولاً سيذهب غَوْراً بعد انجاد[2]
يا عمرو ما راح من قوم ولا ابتكروا الا والموت فى آثارهم حادى

---

(١) تنوشك تناولك انتوينا التحقنا وأتيناهم من بعد (٢) الدكداك أرض فيها غلظ والعقد ما تعقد من الرمل وتراكم (٣) أبو كرب عمرو بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار

فان رأيت بواد حيَّة ذكرا فامضِ ودَعْني أُمارس حيّة الوادي
لأعرفنَّك بعد الموت تَنْدُبني وفي حياتي ما زوَّدتني زادي
ان أمامك يوماً أنت مدركُه لا حاضرٍ مُفْلِتٍ منه ولا بادي
فانظر الى ظل ملك أنت تاركه هل تُرْسِيَنّ أواخيه بأوتاد
اذهب اليك فاني من بني أسد أهل القِباب وأهل الجُرْد والنادي
قد أترك القِرن مصفراً أنامله كأن أثوابه مُجَّت بفِرصاد
أوْ جرته ونواصي الخيل شاحبة سمراء عاملها من خلفه بادي

ومما غنى فيه من شعر عبيد

ما رعدت رَعدةً ولا برقت لكنها أنشئت لنا خَلِقَة
الماء يجري على نظام له لو يجد الماء مَخْرَقاً خرقه
بتنا وباتت على نمارقها حتى بدا الصبح عينُها أَرِقة
أن قيل ان الرحيل بعد غد والدار بعد الجميع مفترقة

ومنها

يا دار هند عفاها كل هطال بالجَوِّ مثل سَحيق اليَمْنَة البالي
جرت عليه رياح الصيف فاطَّرَدت والريح فيها تُعفِّيها بأذيال
حبست فيها صحابي كي اسائلها والدمع قد بلّ مني جيب سربالي
شوقاً الى الحي أيامَ الجميعُ بها وكيف يطرَب أو يشتاق أمثالي
وقد علا لمتي شيب فودعني منها الغواني وَداع الصارم القالي

ومنها

لمن جمال قبيل الصبح مزمومة ميمات بلاداً غير معلومة
عالين رَقْما (١) وأنماطاً مظاهرَة وكِلَّة بعتيق العَقْل مقرومة

(١) الرقم ما كان من الوشي مستديراً والعقل ما كان مستطيلا والقرام ستر فيه رقم ونقوش

للعبقرى (١) عليها اذ غدوا صبح كأنها من نجيع الجوف مدمومة
كأن أظعانهم نخل مُوَسَّقة سود ذوائبها بالحمل مكمومة (٢)
فيهن هند التى هام الفؤاد بها بيضاء آنسة بالحسن موسومة
وانها كمهاة الجو ناعمة تدنى النصيف بكف غير موشومة
كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت صهباء صافية بالمسك مختومة
مما يغالى بها البيّاع عتقها ذوشارب أصهبٌ يُغْلى بها السِّيمة
يامن لبرق أبيت الليل أرقبه فى مُكْفَهِرٍّ وفى سوداء مركومة (٣)
فبرقها حرق وماؤها دفق وتحتها رِيّق وفوقها ديمة (٤)
فذلك الماء لو أنى شربت به اذًا شفى كبداً شكّاء مكلومة
هذا وداوية يعمى الهداة بها ناء مسافتها كالبُرْد ديمومة (٥)
جاوزتها بعلَنْداة (٦) مذكّرة عيرانة كعلاة القَيْن ملمومة
أرمى بها عُرُض الدَّوّى ضامرة فى ساعة تبعث الحرباء مسمومة

ومنها من قصيدة أولها

ليس رسم على الدفين ببال فلوى ذرْوة فجنبى أُثال

يقول فيها

تلك عرسى تروم قدماً زيالي ألبين تريد أم لدلال
ان يكن طِبّك الدلال فلو فى سالف الدهر والليالي الخوالي

---

(١) العبقرى ضرب من الثياب والصبح بياض وحمرة والنجيع الدم الطرى ويقال الدمام للطيب الذى تجعله النساء على رؤسهن (٢) يقول سعفها مستور من شدة ما غطيت به (٣) المكفهر السحاب المتراكب بعضها على بعض فى سحاب كثيرة الظلمة والمركومة التى تراكمت ظلمتها بعضها على بعض (٤) الحرق السريع والدفق السائل والريق أول المطر والديمة المطر الدائم اليوم والليلة أو اليومين والليلتين أو الثلاثة (٥) الداوية الصحراء الواسعة ومثلها الديمومة (٦) العلنداة الناقة الضخمة الطويلة الشديدة

أنت بيضاء كالمهاة واذ آ تيك نَشْوان مرخياً أذيالي
فاتركي مَطّ حاجبيك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال
أو يكن طبك الزِّيال فان الـ ـبَيْنَ أن تعطفي صدور الجمال
زعمت أنني كبرت وأنى قل مالي وضن عنى الموالى
وصحا باطلي وأصبحت كهلا لا يؤاتى أمثالها أمثالى
ان رأتنى تغير اللون منى وعلا الشيب مَفْرِقى وقَذالى
فبما أدخل الخباء على مهـ ـضومة الكشح طفلة كالغزال
فتعاطيت جِيدها ثم مالت ميلان الكثيب بين الرمال
ثم قالت فِدًى لنفسك نفسى وفداء لمال أهلك مالى
فارفضى العاذلين واقَنَىْ حياء لا يكونوا عليك حظ مثالى
وبحظ مما نعيش فلا تذ هب بك التُّرّهات فى الأهوال
منهمُ مُمسك ومنهمْ عديم وبخيل عليك فى بُخَّال
واتركي مِرمة على آل زيد بالقُطَيْبات كنّ أو أوْرال
لم تكن غزوة الجياد ولم يُنْـ ـقب[1] بآثارها صدور النعال
دَرّ دَرّ الشباب والشعر الأسـ ـود والراتكات[2] تحت الرحال
والعَناجيج[3] كالقِداح من الشوّ حط يحملن شِكة الأبطال

---

(١) يقول لم يسافر عليها أحد
(٢) الراتكات يريد الابل فى سيرها وهو ضرب من السير شبهه بالحبب
(٣) العناجيج واحدها عنجوج وهى الطوال الاعناق من الخيل والقداح السهام والشوحط شجر تتخذ منه القسى والشكة السلاح

مقتل عبيد

كان للمنذر بن ماء السماء نديمان من بنى أسد ، هما خالد بن نَضْلَة وعمرو بن مسعود ، فأغضباه فى بعض المنطق ، فأمر بأن يحفر لكل واحد حفيرة بظهر الحيرة ثم يجعلا في تابوتين ويدفنا فى الحفرتين ، ففعل ذلك بهما ، حتى اذا أصبح سأل عنهما فأخبر بهلاكهما ، فندم على ذلك وغمه ، ثم ركب حتى نظر اليهما ، فأمر ببناء الغَرِيَّيْن عليهما وهما صومعتان ، وجعل لنفسه فى السنة يومين يجلس فيهما عند الغَرِيَّيْن ، أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس ، فأول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائة من الابل سوداً ، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبان أسود ثم يأمر به فيذبح ويطلى بدمه الغَرِيَّان ، فلبث على ذلك برهة من دهره ، ثم ان عَبِيد بن الأَبْرَص كان أول من أشرف عليه فى يوم بؤسه ، فقال هلا كان الذبح لغيرك ياعبيد ، فقال عبيد « أتتك بحائن رجلاه » فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر أوأجل قد بلغ إناه ، فقال له المنذر أنشدنى فقد كان شعرك يُعْجبني ، فقال عبيد « حال الجَرِيض دون القَرِيض ، وبلغ الحِزام الطُّبْيَيْن » فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر أسمعني ، فقال « المنايا على الحوَايا » فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر قد أملتني فأرحْنِي قبل أن آمر بك ، فقال عبيد « من عزَّ بَزَّ » فأرسلها مثلا ، فقال المنذر أنشدنى قولك « أقفر من أهله مَلْحوب » فقال

أقفر من أهله عَبِيد ... فليس يُبْدِى ولا يُعِيد
عنت له عنة نكود ... وحان منها له ورود

فقال له المنذر ياعَبِيد ويحك أنشدنى قبل أن أذبحك فقال عبيد

والله ان متّ ما ضرنى ... وان أعش ماعشت فى واحدة
فأبلغ بَنِيَّ وأعمامهم ... بأن المنايا هى الواردة

لها مدة فنفوس العباد اليها وان كرهت قاصدة
فلا تجزعوا لحمام دنا فللموت ما تلد الوالدة

فقال المنذر انه لابد من الموت، ولو أن النعمان عرض لى فى يوم بؤسى لذبحته، فاختر ان شئت فصدتك من الأكحل وان شئت من الأبجل وان شئت من الوريد، فقال عبيد أبيتَ اللعن ثلاث خصال كسحابات عاد، واردها شرور اد، وحاديها شر حاد، ومعادها شر معاد، ولا خير فيها لمرتاد، وان كنت لا محالة قاتلى فاسقني الخمر حتى اذا ماتت مفاصلى وذهلت منها ذواهلى فشأنك وما تريد، فأمر المنذر بحاجته من الخمر، حتى اذا أخذت منه وطابت نفسه دعا به المنذر ليقتله، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول

وخيرنى ذو البؤس فى يوم بؤسه خصالا أرى فى كلها الموت قد برق
كما خيرت عاد من الدهر مرة سحائب ما فيها لذي خيرة أنق
سحائب ريح لم تؤو كل ببلدة فتتركها الا كما ليلة الطلق

فأمر به المنذر فقصد حتى نزف دمه، فلما مات غرّى بدمه الغريين

فلم يزل كذلك حتى مرّ به رجل من طيئ يقال له حنظلة بن أبى عفراء فقرب ليقتل، فقال له أبيت اللعن انى أتيتك زائرا ولأهلى من خيرك مائراً فلا تكن ميرتهم قتلى، فقال المنذر لابد من قتلك فسل حاجتك تُقْضَ لك قبل موتك، فقال تؤجلني سنة أرجع فيها الى أهلى وأحكم من أمرهم ما أريد ثم أصير اليك فينفذ فيَّ أمرك، فقال ومن يكفل بك حتى تعود؟ فنظر فى وجوه جلسائه فعرف منهم شريك بن عمرو الشيبانى فقال

يا شريك يا ابن عمرو ما من الموت محالة
يا شريك يا ابن عمرو يا أخا من لا أخا له
يا أخا شيبان فك الـ ـيوم رهناً قد أتى له

يا أخا كل مُضاف وحيا من لا حيَا له
ان شيبان قبيل أكرم الله رجاله
وأبوك الخير عمرو وشَراحيل الخالة
رَقَباك اليوم فى المجـــد وفي حسن المقالة

فوثب شريك وقال أبيت اللعن يدى بيده ودمى بدمه ان لم يعد الى أجله ، فأطلقه المنذر ، فلما كان من القابل جلس فى مجلسه ينتظر حنظلة ، فأبطأ عليه ، فأمر بشَريك فقرب ليقتله ، فلم يشعر الا براكب قد طلع عليهم ، فتأملوه فاذا هو حنظلة قد أقبل متكفناً متحنطاً معه نادبته تندبه وقد قامت نادبة شريك تندبه ، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما وأبطل تلك السنّة

فضالة بهجو شريك

هو فُضالة بن شريك الحَرَشى من بنى الحريش ثم من بنى أسد كان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والاسلام

مرَّ فضالة بعاصم بن عمر فلم يَقْرِه فقال يهجوه

ألا أيها الباغى القِرَى لستَ واجداً قِرَاك اذا ما بِتَّ فى دار عاصم
اذا جئته تبغى القِرَى بات نائماً بَطيناً وأمسى ضيفه غير نائم
فَدَعْ عاصماً أُفّ لأفعال عاصم اذا جَهِلَ الأقوام أهل المكارم
فتى من قريش لا يجود بنائل ويَحْسِب أن البخل ضربةُ لازم
ولولا يَدُ الفاروق قَلَّدْت عاصماً مُطَوَّقة يُخْزَى بها فى المواسم
فليتك من جَرْم بنِ زَبَّان أو بنى فُقَيْم أو النَّوْكى أبانِ بن دارم
أناس اذا ما الضيف حل بيوتهم غدا جائعاً عَيْمان[1] ليس بغانم

(١) العيمان من يشتهى اللبن

فاستعدى عليه عاصم عمرو بن سعيد أمير المدينة ، فهرب فُضالة فلحق بالشام وعاذ بيزيد بن معاوية ، فأعاذه واستوهبه من عاصم فوهبه له فقال فُضالة يمدح يزيد

اذا ما قريش فاخرت بقديمها ... فخرت بمجد يا يزيدُ تَليدِ
بمجد أمير المؤمنين ولم يزل ... أبوك أمينَ الله غير بليد
به عصم الله الأنام من الرَّدَى ... وأدرك نُبْلاً من معاشر صيد
ومجد أبي سفيان ذي الباع والنَّدى ... وحَرْب وما حرب العلا بزهيد
فمن ذا الذي ان عدد الناس مجدهم ... يجيء بمجد مثل مجد يزيد

وقال فيه

ان حرباً وان صَخْراً أبا سفيـــان حازا مجدا وعزا تَليدا
فهما وارثا العلا عن جدود ... وَرِثوها آباءهم والجدودا
وحوى ارثها معاوية القَرْ ... م وأعطى صَفْو التُّراث يزيدا

وولى ابن الزبير عبد الله بن مطيع العَدَوِى الكوفة ، فطرده عنها المختار حين ظهر ، فقال فضالة يهجو ابن مطيع

دعا ابنُ مطيع للبياع فجئته ... الى بَيْعة قلبى بها غير عارف
فقرب لى خَشْنَاء لما لمستها ... بكفى لم تشبه أكُفُّ الخلائف
معودةً حملَ الهَرَاوى لقومها ... فَرُوراً اذا ما كان يوم التسايف
من الشَّثْنات الكُزْم أنكرتُ لمسها ... وليست من البيض السِّباط اللطائف
ولم يُسْمِ اذ بايعته مَنْ خليفتى ... ولم يشترط الا اشتراط المجازف
متى تَلْقَ أهل الشام فى الخيل تَلْقَنى ... على مُقْرَب لا بردها بالمجاذف
مُمَرٍّ كبنيان العبادى مُخْطَف ... من الضاريات بالدماء الخواطف

وأودع رجلا من بنى سليم يقال له قيس ناقة وخرج فى سفر فلما عاد ذكر السلمى أنها سرقت فقال

ولو أننى يوم بطن العقيق ذكرت وذو اللب يَنْسَى كثيرا
مُصَابَ سُلَيْمَ لِقاح النبى لم أودع الدهر فيهم بعيرا
وقد فات قيس بعَيْرَانة اذا الظلُّ كان مداه قصيرا
من اللاعبات بفضل الزمام اذا أطلق السير فيه القصورا
ومن يبك منكم بني موقد ولم يَرَهم يَبْكِ شَجْواً كثيرا
هم العاشقون صِلَابَ القنا اذا الخيل كانت من الطعن زُورا
وأيسار لُقْمانَ اذا أمحلوا وعز لمن جاءهم مستجيرا
فان أنا لم يقض لى ألْفَهُم قرأت السلام عليهم كثيرا

توفى فُضالة قبل خلافة عبد الملك

ولفضالة ابنان شاعران أحدهما عبد الله الوافد على عبد الله بن الزُّبَير والقائل له ان ناقتى قد تعبت ودَبِرَت ، فقال ارْقَعْها بجلد واخصِفها بهُلْب وسِرْ بها البَرَدَيْن ، فقال له انى قد جئتك مستحملا لا مستشيراً فلعن الله تعالى ناقة حملتنى اليك ، فقال له ابن الزبير إنَّ وراكبها ، فانصرف من عنده وهو يقول ، وقال ابن حبيبَ ان هذه القصة مع فضالة لا مع ابنه

أقول لغِلْمتى شدوا ركابى أُجاوزْ بطن مكة فى سواد
فمالى حين أقطع ذاتَ عِرْق الى ابن الكاهلية من مَعاد
شكوت اليه أن تعبت قَلُوصى فرد جواب مشدود الصِّفاد
يَضِن بناقة ويروم ملكاً محال ذلكم غير السَّداد
وَلِيتَ امارة فبخلت لما وَلِيتَهُمُ بملك مستفاد
فان وَلِيتَ أميـة أبدلوكم بكل سَمَيْدَع واري الزناد
من الاعياص أومن آل حرب أغرَّ كغُرَّة الفرس الجواد

اذا لم ألقهم بِمُنًى فانى ... ببيت لا يَهَشُّ له فؤادى
سيدنيني لهم نَصُّ المطايا ... وتعليق الأداوَى والمزاد
وظهر مُعبَّد قد أعملته ... مناسمُهُنَّ طلَّاع النِّجاد
وعين الحمض حمض خُنَاصرات ... وما بالعرف من سيل الفؤاد
فهن خواضع الأبدان قُود ... كأن رؤوسهن قبور عاد
كأن مواقع الغِرْبان منها ... منارات بُنين على عماد

والثانى فاتك بن فضالة وكان سيداً شريفاً وله يقول الأُقَيْشَر يمدحه

وَفَدَ الوفود فكنت أوَّلَ وافد ... يا فاتك بن فُضالةَ بنِ شَرِيك

عمرو بن شاس

هو عمرو بن شاس بن عبيد من ثعلبة بن دودان بن أسد

كانت امرأة عمرو من رهطه ويقال لها أم حسان وكان له ابن يقال له عَرَار من أمة له سوداء ، وكانت تعيره وتؤذى عَرَارا وتشتمه ويشتمها فلما أعْيَت عمراً قال

ديار ابنة السَّعْدى هيهِ تكلمى ... بدافقة الحَوْمان فالسفح من رَمَم
لعمر ابنة السَّعْدى انى لأتقى ... خلائق تُؤْبَى فى الثَّراء وفى العَدَم
وقفت بها ولم أكن قبلُ أرتجى ... اذ الحبلُ من احدى حبائبى انصرم
وانى لمُزْرٍ بالمطى تنقلى ... عليه وايقاعى المهنَّد بالعصَم
وانى لأعطى غثَّها وسمينها ... وأَسْرِى اذا ما الليل ذو الظُّلم ادْلَهَمّ
اذا الثلج أضحى فى الديار كأنه ... مناثر مِلْح في السهول وفي الأكَم
حِذَاءً على ما كان قدم والدى ... اذا رَوَّحتهم حَرْجَف تطرد الصَّرم

وأترك ندمانى يجر ثيابه ... وأوصاله من غير جرح ولا سقم
ولكنها من رية بعد رية ... معتقة صهباء راووقها رذم
من القانيات من مدام كأنها ... مذابح غزلان يطيب بها الشمم
واذ اخوتى حولي واذ أنا شامخ ... واذلا أجيب العاذلات من الصمم
ألم يأنها انى صحوت وأننى ... تحلمت حتى لا أعارم من عرم
وأطرقت اطراق الشجاع ولو يرى ... مساغاً لنابيه الشجاع لقد أزم
وقد علمت سعد بأنى عميدها ... قديماً وأنى لست أهضم من هضم [1]
خزيمة ردانى الفعال ومعشر ... قديما بنوا لي سورة المجد والكرم
اذا ما وردنا الماء كانت حماته ... بنو أسد يوماً على رغم من رغم
أرادت عراراً بالهوان ومن يرد ... عراراً لعمرى بالهوان لقد ظلم
فان كنت مني أو تريدين صحبتى ... فكونى له كالسمن رب له الأدم
والا فبينى مثل ما بان راكب ... تيمم خمساً ليس في ورده يمم [2]
فان عراراً ان يكن ذا شكيمة ... تقاسيها منه فما أملك الشيم
وان عراراً ان يكن غير واضح ... فانى أحب الجون ذا المنكب العمم [3]

ولما لم يمكنه الصلح بين امرأته وابنه طلقها ثم ندم ولام نفسه فقال فى ذلك

تذكر ذكرى أم حسان فاقشعر ... على دبر لما تبين ما ائتمر
فكدت أذوق الموت لو أن عاشقا ... أمر بموساه الشوارب فانتحر
تذكرتها وهناً وقد حال دونها ... رعان وقيعان بها الزهر والشجر
فكنت كذات البوء لما تذكرت ... لها ربعاً حنت لمعهده سحر
حفاظاً ولم تنزع هواي أثيمة ... كذلك شأو المرء يخلجه القدر [4]

---

(١) يقول لا أظلم أحداً من قومى فيطلبنى بمثل ذلك أى أرفع نفسى عن هذا
(٢) اليتم الابطاء (٣) العمم الطول والعميم الطويل (٤) الاثيمة الفعيلة من الاثم وهى مرفوعة بفعلها كأنه قال تنزع الاثيمة هواى ، وشأوه همه ونيته ويخلجه يصرفه

وقال فيها

ألم تعلمى يا أم حسان أننى ... اذا عبرة نهنهتها فتخلت
رجعت الى صبر كطسة حنتم ... اذا قرعت صفراً من الماء صلت

أغار ملك من ملوك غسان يقال له عدى وهو ابن أخت الحرث بن أبى شمر الغسانى على بني أسد، فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ورئيسهم ربيعة بن حذار، فقتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو سعد عدياً اشترك فى قتله عمرو وعمير ابنا حذار وأمهما امرأة من كنانة يقال لها تماضر احدى بني فراس بن غنم وهى التى يقال لها مقيدة الحمار فقالت فاختة بنت عدي

لعمرك ما خشيت على عدىّ ... رماح بني مقيدة الحمار
ولكنى خشيت على عدى ... رماح الجن أو إياك حار[1]
قتيل ما قتيل ابني حذار ... بعيد الهم جواب الصحارى

فقال عمرو بن شاس فى ذلك

متى تعرف العينان أطلال دمنة ... لليلى بأعلى ذى منازل تدمعا
على النحر والسربال حتى تبلّه ... سجوم ولم تجزع على الدار مجزعا
خليلى عوجا اليوم نقض لبانة ... والا تعوجا اليوم لم ننطلق معا
وان تنظرانى اليوم أتبعكما غداً ... قياد الجنيب أو أذلّ وأطوعا

جاء رجل من بني عامر بن صعصعة عمرو بن شاس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم نخطبها، عمرو الى أبيها، فقال أبوها أما ما دمت جاراً لكم فلا لأنى أكره أن يقول الناس غصبه أمره ولكن اذا أتيت قومى فاخطبها إلىّ أزوجكها، فوجد عمرو من ذلك فى نفسه واعتقد ألا يتزوجها أبداً الا أن يصيبها مسبية، فلما

---

(١) تعنى الحرث بن ابى شمر خاله

ارتحل أبوها همَّ عمرو بغزو قومها فسار فى أثر أبيها ، فلما وقعت عينه عليه وظفر به استحيا من جواره وما كان بينهما من العهد والميثاق ، فنظر الى الجارية أمامهم وقد أخرجت رأسها من الهودج تنظر اليه، فلما رآها رجع مستحيياً متذمماً منها، وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير فقال فى ذلك

اذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامَنا ... كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيس خفة أذرع ... وان كن حسرَى أن تكونى أماميا
ولولا اتقاء الله والعهد قد رأى ... منيتـه منى أبوك الليـاليا
ونحن بنو خير السباع أكيلة ... وأحرِ به اذا تنفس عاديا
بنو أســـد ورْد يشق بنانه ... عظام الرجال لا يجيب الرواقيا
متى تدْع قيساً أدْعُ خِنْدِفَ انهم ... اذا ما دُعُوا أسمعت نَمَّ الدواعيا
لنا حاضر لم يحضر الناس مثله ... وبادٍ اذا عدُّوا علينا البواديا

الأقيشر

هو المغيرة بن عبد الله بن معرض الأسدى من عمرو بن أسد والأُقَيْشر لقبه ، وكان يغضب منه، ويكنى أبا معرض، ولد فى الجاهلية وعمر عمراً طويلا فكان أقعد بني أسد نسباً

من قوله يمدح زكريا بن طلحة

قرب الله بالسلام وحيّا ... زكريا بن طلحةَ الفيّاض
معدنَ الضيف ان أناخوا اليه ... بعد أين الطلائع الأنقاض
ساهمات العيون خُوصٍ رَذَايا ... قد براها الكَلال بعد اياض
زاده خالد ابن عم أبيـه ... منصباً كان في العلا ذا انتقاض
فرع تَيْم من تَيْم مُرَّة حقاً ... قد قضى ذاك لابن طلحة قاض

ومنه وفيه غناء

سالني الناس أين يَعْمِد هذا ... قلت آتى فى الدار قَرْماً سَرِيّا
ماقطعت البلاد أشرى ولا يمّمـ ... ـت الا إيّاك يا زكريّا
كم عطاء ونائل وجزيل ... كان لي منكمُ هنيئاً مَرِيّا

ومن شعره

يأيها السائل عما مضى ... من علم هذا الزمن الذاهب
ان كنت تبغى العلم أو أهله ... أو شاهداً يخبر عن غائب
فاعتبر الأرض بأسمائها ... واعتبر الصاحب بالصاحب

وكان الأُقيشر صاحب شراب وندامى فأشخص الحجاج بعض ندمائه ومات بعضهم ونَسَكَ بعضهم فقال

غلب الصبر فاعترتني هموم ... لفراق الثقات من اخوانى
مات هذا وغاب هذا وهذا ... دائب فى تلاوة القرآن
ولقد كان قبل اظهاره النسـ ... ـك قديماً من أظرف الفتيان

ومن قوله يصف الخمر

تريك القذَى من دونها وهى دونه ... لوجه أخيها فى الاناء قُطُوب
كُمَيْت اذا فُضَّت وفى الكاس وَرْدة ... لها فى عظام الشاربين دبيب

وقال فى توبته من النبيذ

ان كانت الخمر قد عزّت وقد مُنعت ... وحال من دونها الاسلام والحَرَج
فقد أباكرها صِرْفاً وأشربها ... أشفى بها علتى صِرْفاً وأمتزج
وقد تقوم على رأسى مغنيـ ... ـة لها اذا رَجَّعَت فى صوتها غَنَج
وترفع الصوت أحياناً وتخفضه ... كما يَطِنّ ذباب الروضة الهَزِج

ومن قوله وفيه غناء

لا أشربنْ أبداً راحاً مسارقة ... الا مع الغُرِّ أبنـاء البطاريق
أفني تِلادي وما جمعت من نشب ... قرع القواقيز أفواهَ الأباريق

وأول هذه القصيدة

انى يذكرنى هنداً وجارتها ... بالطّفِّ صوت حمامات على نيق

سحيم عبد بنى الحسحاس المخضرمين

كان عبداً أسود نوبياً أعجمياً مطبوعاً فاشتراه بنوالحَسحاس، وهم بطن من بني أسد، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ويقال انه تمثل بكلمات من شعره غير موزونة، وكان حلو الشعر رقيق الحواشي وفي سواده يقول

وما ضر أثوابى سـوادى وانني ... لَكالمسك لا يسلوعن المسك ذائقه
كُسيتُ قميصاً ذا سواد وتحته ... قميص من القُوهي بيض بنائقه

وقال

أشعار عبد بنى الحسحاس قُمن له ... عند الفَخار مقام الأصل والورق
ان كنت عبداً فنفسى حرة كرما ... أو أسودَ اللون انى أبيض الخُلُق

ولما أنشد عمر قوله

عميرة ودع ان تجهزت غاديا ... كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

قال لو كان شعرك كله مثل هذا لأعطيتك عليه

أُتى عثمان بن عفان بعبد بنى الحسحاس ليشتريه ، فقالوا انه شاعر وأرادوا أن يرغبوه فيه ، فقال لا حاجة لي به اذ الشاعر لا حريم له ان شبع تشبب بنساء أهله وان جاع هجاهم فاشتراه غيره ، فلما رحل قال فى طريقه

أشوقاً ولما تمض لى غير ليلة فكيف اذا سار المطى بنا عشرا
وما كنت أخشى مالكا أن يبيعنى بشىء ولو أمست أنامله صفرا
أخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه فكان يشبب بنسائهم ، ومن قوله فى أخت مولاه

ماذا يريد السقام من قمر كل جمال لوجهه تبع
ما يرتجى خاب من محاسنها أما له فى القباح متسع
غير من لونها وصفرها فارتد فيه الجمال والبدع
لو كان يبغى الفداء قلت له ها أنا دون الحبيب يا وجع

جالس نسوة من بنى صُبَيْرَ بن يَرْبوع ، وكان من شأنهم اذا جلسوا للتغزل أن يتعابثوا بشق الثياب وشدة المغالبة على ابداء المحاسن فقال

كأن الصُبَيْرِيّات يوم لقينا ظباء حنَتْ أعناقهن المكانس
فكم قد شققنا من رداء مُزَنَّر ومن برقع عن ناظر غير ناعس
اذا شق بُرْدنيط بالبرد برقع على ذاك حتى كلنا غير لابس

ومن قوله وفيه غناء

أتُكتَم حييتم على القلب تكتما تحية من أمسى بحبك مغرما
وما تكتمين أن أتيت دنية ولا أن ركبنا يا ابنة القوم مَحْرَما
ومثلك قد أبرزت من خِدْر أمها الى مجلس تجر بُرْدا مُسَهَّما
وماشية مشى القطاة اتبعتها من الستر تخشى أهلها أن تكلَّما
فقالت صَهِ يا ويح غيرك انى سمعت حديثاً بينهم يَقْطُر الدما

فنفضتُ ثوبيها ونظَّرت حولها ... ولم أخش هذا الليل أن يتصرما
أُعفّي بآثار الثياب مَبيتها ... وألقط رَضًّا من وقوف تحطما

ومن شعره وفيه غناء

فما بيضة بات الظَّليم يَحُفُّها ... ويرفع عنها جؤجؤًا متعافيا
بأحسن منها يوم قالت أظاعن ... مع الركب أم ثاوٍ لدينا لياليا
وهبَّت شمال آخر الليل قَرَّة ... ولا ثوب الا بردها ورداثيا
وما زال بردى طيباً من ثيابها ... الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

ومنها

تجمعن من شتى ثلاثاً وأربعاً ... وواحدة حتى كملن ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يَعُدْنني ... بقية ما أبقين نَصْلاً يمانيا
يَعُدْن مريضاً هن قد هِجْن داءه ... الا انما بعض العوائد دائيا

ولما كثر منه هذا وأمثاله قتلته سادته

شعراء كنانة

ربيعة بن مكدم

هو ربيعة بن مُكَدَّم الفِرَاسى المضرى من بني فراس ثم من كنانة أحد فرسان مُضَر المعدودين وشجعانهم المشهورين

خرج دريد بن الصمة فى فوارس من بني جُشَم حتى اذا كانوا بواد لبنى كنانة رفع له رجل من ناحية الوادى معه ظَعينة، فقال لفارس من أصحابه صِحْ به أن خَلِّ الظعينة وانْجُ بنفسك، وهو لا يعرفه، فانتهى اليه الفارس وصاح به، فألقى زمام الراحلة للظعينة وقال

سيرى على رِسْلك سير الآمن سير رَدَاح ذاتِ جأش ساكن
ان انثنائى دون قِرْنى شائنى ابْلِى بلائى واخْبُرِى وعاينى

ثم حمل على الفارس فصرعه، فبعث دريد فارساً آخر لينظر ماصنع صاحبه فرآه صريعاً، فصاح به، فتصامم عنه ،فظن أنه لم يسمع ، فغشيه، فألقى الزمام للظعينة وقال

خل سبيل الحرة المنيعة انك لاق دونها ربيعة
فى كفه خَطِّيَّة منيعة أو لا نخذها طعنة سريعة
فالطعن منى فى الوغى شريعة

وحمل على الفارس فصرعه ، فلما أبطأ على دريد أرسل ثالثاً فرأى أخويه صريعين، فقال لربيعة خَلِّ عن الظعينة ، فقال لها ربيعة اقصدى قصد البيوت ثم أقبل عليه فقال

ما ذا تريد من شتيم عابس ألم ترَ الفارس بعد الفارس
أرداهما عامل رمح يابس

ثم طعنه فصرعه فانكسر رمحه، فارتاب دريد، فلحق بهم، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد دنا من الحى ووجد القوم قد صرعوه، فقال دُرَيْد ان مثلك لا يقتل وان الخيل ثائرة بأصحابها ولا أرى معك رمحاً وأراك حديث السن فدونك هذا الرمح فانى راجع الى أصحابى فشبط عنك، فأتى دريد أصحابه فقال ان فارس الظعينة قد حماها وقتل فوارسكم وانتزع رمحى ولا طمع لكم فيه، فانصرف القوم وقال ربيعة فى ذلك

ان كان ينفعك اليقين فسائلى ... عنى الظعينة يوم وادي الأخرَم
اذ هى لأول من أتاها نُهْبَة ... لولا طعان ربيعة بن مُكَدَّم
اذ قل من أدنى الفوارس مِيتة ... خل الظعينة طائعاً لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه ... عمداً ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطويل إهابهُ ... فهوى صريعاً لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جيَّاشة ... نجلاء فاغرة كشِدْق الأضجَم
ولقد شفعتهما بآخر ثالث ... وأبى الفِرارَ لى الغداة تكرمى

فلم يلبث دريد أن وقع فى أسر بني كنانة وهم لا يعرفونه فعرفته امرأة منهم وقالت هلكتم وأهلكتم، ماذا جرَّ علينا قومنا؟ هذا والله الذى أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها وقالت يا آل فِرَاس أنا جارة له منكم هذا صاحبنا يوم الوادى، فعرفوه وخلصوه من أسره فقالت المرأة وهى رَيْطة بنت جذْل الطعان

سنجزى دريداً عن ربيعةَ نعمة ... وكل فتى يُجْزى بما كان قدَّما
فان كان خيراً كان خيراً جزاؤه ... وان كان شراً كان شراً مُذَمَّماً
سنجزيه نُعْمَى لم تكن بصغيرةٍ ... باعطائه الرمحَ السديد المقوَّما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه ... وأهلٌ بأن يُجْزَى الذى كان أنعما
فلا تكفروه حق نُعْمان فيكمُ ... ولا تركبوا تلك التى تملأُ انما

نلو كان حياً لم يَضِق بثوابه ذراعاً غنيًّا كان أو كان مُعْدِما
فَفُكُّوا دُرَيْدا من إسارِ مُخارِق ولا تجعلوا البُؤسَى الى الشر سُلَّما

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معد يكرب الزبيدى هل كعمت من فارس قط ممن لقيت ؟ قال اعلم يا أمير المؤمنين انى لم أستحل الكذب في الجاهلية فكيف أستحله فى الاسلام ؟ ولقد قلت لجبهة من خيلى خيل بنى زبيد أغيروا بنا على بنى البَكَّاء ، فقالوا أتبعد علينا المُغار ؟ فقلت فعلى بنى مالك بن كنانة ، فأتينا على قوم سَراة ، فقال عمر وما علمك بأنهم سَراة ؟ قال رأيت مَذاوِدَ خيل كثيرة وقُدورا وقِباب أَدَم فعرفت ان القوم سَراة ، فكففت خيلى حُجْزَة وجلست فى موضع أسمع كلامهم ، واذا بجارية بينهم قد خرجت من خيمتها فجلست بين صواحب لها ، ثم دعت وليدة من ولائدها ، فقالت ادعى لى فلاناً ، فدعت لها رجلا من الحى ، فقالت له ان نفسى تحدثنى ان خيلا تُغير على الحى فكيف أنت ان زوجتك نفسى ؟ فقال أفعل وأصنع ، فجعل يصف نفسه فيُفرط ، فقالت له انصرف حتى أرى رأيى ، وأقبلت على صواحباتها ، فقالت ما عنده خير ، ادعى لى فلاناً ، فدعت آخر فخاطبته فأجاب بمثل جوابه ، فقالت له انصرف حتى أرى رأيى ، وقالت لصواحباتها وما عند هذا خير أيضاً ، ثم قالت للوليدة ادعى لى ربيعة بن مُكَدَّم ، فدعته ، فقالت له مثل قولها للرجلين ، فقال لها ان أَعْجَزَ العجز وصف الرجل نفسه ولكنى ان لقيت أَعذرت وحسب المرء غَناء أن يُعْذِر ، فقالت له زوجتك نفسى فاحضر غدا مجلس الحى ليعلموا ذلك ، فانصرف من عندها ، فانتظرت حتى ذهب الليل ولاح الفجر فخرجت من مَكْمَنى فركبت فرسى وقلت لخيلى أغيرى ، فأغارت فتركتها وقصدت قصد النسوة ومجلسهن فكشفت عن خيمة المرأة ، فاذا بامرأة تامة الحسن ، فلما ملأت عينها منى أهوت الى درعها

فشقته ، وقالت واثكلاه والله ما أبكي على مال ولا على تلاد ولكن على أخت لى من وراء هذا الغَوْر — وأهوت الى غور رمل الى جانبهم — تبقى بعدى فى مثل هذا الحائط فتهلك ضيعة ، فقلت هذه غنيمة من وراء غنيمة ، فدفعت فرسى حتى أوفيت على النقا فاذا أنا برجل جَلْدٍ أهْلَب يَخْصِف نعله والى جانبه فرسه وسلاحه ، فلما رآنى رمى بنعله ، ثم استوى على فرسه وأخذ رمحه ومضى لايحفل بى ، فطَفِقْتُ أشجره برمحى خَفَقاً وأقول له يا هذا استأسر ، فمضى لا يحفل بى حتى أشرف على الوادى ، فلما رأى الخيل تجرى بفمه استعبر باكياً وأنشأ يقول

قد علمت اذ منحتنى فاها انى سأجرى اليوم من مجراها
يا ليت شعري اليوم من دهاها

فقلت

عمرو على طول الوَجَى دهاها بالخيل يحميها على وَجَاها
حتى اذا حل بها احتواها

فحمل علىَّ وهو يقول

أهزُّ نَضْر العيش فى دار قدم أُفيض دمعاً كلما فاض انسجم
أنا ابن عبدالله محمود الشيم مؤتمن الغيب ومُوفٍ بالذمم
أكرم من يمشى بساق وقدم كالليث ان هم بتَقْضام قَضَم

فحملت عليه وأنا أقول

أنا ابن ذى التقليد فى الشهر الأصَمّ أنا ابن ذى الأكل قتال البُهم
من يَلْقَنِي يُودِ كما أوْدَت إرَم أتركه لحماً على ظهر وضم

فحمل علىّ وهو يقول

هذا حمى قد غاب عنه ذائده الموت وِرْد والأنام وارده

وحمل عليَّ فضربني فرُغت وأخطأني فوقع سيفه فى قَرَبوس السرج فقطعه وما تحته حتى هجم على مَنْسِج الفرس ، ثم ثنى بضربة أخرى فرُغت وأخطأنى فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل الى فخذ الفرس وصرت راجلا ، فقلت له ويحك من أنت ؟ فوالله ما ظننت أحداً من العرب يُقدم عليَّ الا ثلاثه الحرث ابن ظالم للعُجْب والخُيلاء ، وعامر بن الطفيل للسن والتجربة ، وربيعة بن مُكَدَّم للحداثة والصرامة ، فمن أنت ويلك ؟ قال بل الويل لك فمن أنت ويلك ؟ قلت عمرو بن معد يكرب قال وأنا ربيعة بن مكدم ، قلت يا هذا انى قد صرت راجلا فاختر مني احدى ثلاث ان شئت اجتلدنا بسيفنا حتى يموت الأعجز منا ، وان شئت اصطرعنا فأينا صرع صاحبه حكم فيه ، وان شئت سالمتك ، قال الصلح إذاً ان كان لقومك فيك حاجة ومابى أيضاً على قومى هوان ، قلت فذلك ، وأخذت بيده حتى أتيت أصحابى وقد حازوا نَعَمه ، فقلت هل تعلمون انى كععت عن فارس من الأبطال قط اذا لقيته ؟ قالوا نعيذك من ذلك ، قلت فانظروا هذا النعم الذى حزتموه فخذوه مني غداً فى بني زبيد فانه نَعَم هذا الفتى وانه لا يوصل منه الى شيء وأنا حى ، فقالوا لحاك الله من فارس قوم انسأتنا حتى اذا هجمنا على الغنيمة الباردة فتلتنا منها ، فقلت لابد من ذلكم وأن تَهَبُوها لى ولربيعة بن مكدم ، فقالوا وانه لهو ، فقلت نعم ورددتها وسالمته فأمن حربى وأمنت حربه حتى هلك

قتلته بنو سليم فى غارة لهم ورثاه شاعر منهم فقال

نَفَرَت قَلُوصى من حجارة حَرَّة ... بنيت على طَلَق اليدين وَهُوب

لا تَنْفِرى يا ناقَ منـــه فانه ... سَبَّاء خمر مِسْعَر لحروب

لولا السِّفار وبعد خَرْق مَهْمَه ... لتركتها تَحْبُو على العُرْقوب

فرّ الفوارس عن ربيعة بعد ما ... نجاهم من غَمْرة المكروب

يدعو علياً حين أسـلم ظهره فلقد دعوت هناك غير مجيب
لا يَبْعَدَنَّ ربيعة بن مُكَدَّم وسقى الغوادى قبره بذَنُوب

وقالت أُخته ترثيه

ما بال عينك منها الدمع مُهْرَاق سَحًّا فلا عازب لا ولا راقِ
أبكي على هالك أودى فأورثنى بعد التفرق حزناً حرُّه بلق
لو كان يرجع ميتاً وَجْدُ ذى رَحِم أبقى أخى سالماً وجدى واشفاقى
أو كان يُفْدَى لكان الأهل كلهم وما أُثَمِّر من مال له واقى
لكن سهام المنايا من نُصِبْنَ له لم يُغْنِهِ طِبّ ذى طب ولا راقى
فاذهب فلا يُبْعِدَنْكَ الله من رجل لاقى الذى كُلُّ حىّ مثله لاقى
فسوف أبكيك ما ناحت مُطَوَّقة وما سَرَيْتَ مع السارى على ساقى
أبكي لذُكْرَته عَبْرَى مُفَجَّعة ما أن يَجِفّ لها من ذُكْرَةٍ ماقى

أمية بن الأسكر

هو أمَية بن حُرْثان بن الأسكر الليثى من لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام وكان من سادات قومه وفرسانهم، وله أيام مأثورة مذكورة، وابنه كِلاب أدرك النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه هاجر كلاب الى المدينة فى خلافة عمر فأقام بها مدة ، ثم سأل أى الاعمال أفضل ؟ فقيل الجهاد فسأل عمر فأغزاه فى جيش وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال

لِمَنْ شيخان قد نَشَدا كِلابا كتابَ الله ان رَقَبَ الكتابا
نُنَفِّض مَهْدَه شَفَقًا عليه ونجنبُه أباعرنا الصِّعابا

اذا سجعت حمامة بَطْن واد على بَيْضاتها دَعَوَا كلابا
تركتَ أباك مُرْعَشَةً يداه وأمّك ما تُسيغ لها شرابا
أُناديه فيُعْرِض في إباء فلا وأبى كلاب ما أصابا
أتاه مهاجران تكنّفاه ففارق شيخه خَطِئا وخابا
فانك قد تركت أباك شيخا يطارد أَيْنُقًا شُزُبًا طِرَابا
اذا بلغ الرَّسيم فكان شدًّا يخر نخالط الذَّقَنُ الترابا
فانك والتماس الأجر بعدى كباغى الماء يتبع السَّرابا

فبلغت أبياته عمر فلم يردد كلابا وطالت غيبته فأَهْتَرَ أمية وخلط جزعاً عليه، ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار فوقف عليه ثم أنشأ يقول

أعاذلَ قد عَذَلْتِ بغير قدر ولا تدرين عاذلَ ما ألاقى
فاما كنت عاذلتى فردى كلابا اذ توجه للعراق
ولم أقض اللُّبانة من كلاب غداة غد وآذن بالفراق
فتى الفتيان فى عسر ويسر شديد الركن فى يوم التلاقى
فلا والله ما باليت وجدى ولا شفقى عليك ولا اشتياقى
وابقائى عليك اذا شتونا وضمك تحت نحرى واعتناقى
فلو فلق الفؤاد حطام وجد لَهَمَّ سواد قلبى بانفلاق
سأستعدى على الفاروق ربا له دَفَعَ الحجيج الى سياق
وأدعو الله مجتهداً عليه ببطن الأَخْشَبين الى دُفاق
ان الفاروقَ لم يردد كلابا الى شيخين هامهما زَوَاق

فبكى بكاء شديداً وكتب برد كلاب الى المدينة، فلما قدم دخل عليه، فقال ما بلغ من برك بأبيك؟ قال كنت أُوثره وأكفيه أمره وكنت اعتمد اذا أردت

أن أحلب لبناً أغزر ناقة فى إبله وأسمنها فأسقيه ، فقال له الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه وصرفه مع أبيه فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه

كانت لأمية إبل هائمة فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب ابلهم فأتى مُزَيْنة فأجاروه وأقام عندهم الى أن صحت إبله وسكنت فقال يمدح مزينة

تكنفها الهيام وأخرجوها ... فما تأوى الى إبل صحاح
فكان الى مُزَيْنة منتهاها ... على ما كان فيها من جُناح
وما يكن الجناح فان فيها ... خلائق ينتمين الى صلاح
ويوماً فى بني لَيْث بن بكر ... تراعى تحت قعقعة الرماح
فاما اصبحَنْ شيخاً كبيرا ... وراء الدار يثقلني سلاحى
فقد آتى الصَّريخ اذا دعانى ... على ذى مَيْعَة عَتَدٍ[1] وَقاح
وشر أخى مؤامرة خَذُولٌ ... على ما كان مؤتكِلٌ[2] ولاح

ومن قوله يخاطب ابنيه وقد كبر وسخر به أحد الرعاة

يا أُم هَيْثَمَ ماذا قلت أبلانى ... رَيْب المنون وهذان الجديدان
اما تَرَيْ حَجَرى قد رَكَّ جانبه ... فقد يسرك صُلْباً غيرَ كذَّان
أما تَرَيْنِي لا أمضى الى سفر ... الا معى واحد منكم أو اثنان
ولست أهدى بلاداً كنت أسكنها ... قد كنت أهدى بها نفسى وصُحْبانى
يا ابْنَىْ أُميةَ انى عنكما غان ... وما الغنى غير انى مُرْعَشٌ فان
يا ابْنَىْ أُميةَ الا تحفظا كِبَرِى ... فانما أنتما والثُّكْل مثلان
اذ يحمل الفرس الأَحْوَى ثلاثتنا ... واذ فراقكما والموت سيان

---

(١) فرس عتد شديد تام الخلق
(٢) ايتكل الرجل غضب وهاج

هل لكما فى تراث تذهبان به ... ان التراث لهيان بن بيان
أصبحت هزؤ الراعى الضأن يسخر بى ... ماذا يريبك منى راعىَ الضان
وانعق بضأنك فى نجم تحفرهُ ... من الأباطح واحبسها بجمدان
ان ترعَ ضأناً فانى قد رعيتهم ... بيضَ الوجوه بنى عمى واخوانى

اصيب قومٌ من بني جُنْدَع بن ليث بن بكر رهط أمية بن الأسكر أصابهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم المُرَيْسيع فى غزوته بني المُصْطَلق وكانوا جيرانه يومئذ ومعهم ناس من بني لِحْيان من هُذَيل ومع بني جُنْدَع رجلٌ من خُزَاعة يقال له طارق، فاتهمه بنو ليث بهم وأنه دل عليهم وكانت خُزَاعة مسلمها ومشركها يميلون الى النبى صلى الله عليه وسلم على قريش، فقال أُمية لطارق الخزاعى

لعمرك انى والخُزَاعى طارقاً ... كنعجة عاد حتفها تتحفر
أثارت عليها شَقْرَة بكُرَاعها ... فظلت بها من آخر الليل تُجْزَر
شَمِتّ بقوم هم صديقك أهلكوا ... أصابهم يومٌ من الدهر أعسر
كأنك لم تُنْبَأ بيوم ذُؤَالة ... ويوم الرَّجيع اذ تُنَحَّر حَبْتَر
فهلا أباكم في هُذَيْل وعمكم ... ثأرتم وهم أعدى قلوباً وأوتر
ويوم الأراك يوم أردف سبيكم ... صميم سراة الدِّيل عبد ويَعْمُر
وسعد بن ليث اذ تسل نساؤكم ... وكلب بن عوف نَحَّرُوكم وعقَّرُوا
عجبت لشيخ من ربيعة مُهْتِر ... أمر له يوم من الدهر منكر

شعراء قريش

زيد بن عمرو العدوى

هو زيد بن عمرو بن نُفيل العَدَوى من عَدِيّ بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فِهْر

أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع عن أكل ذبائحهم وكان يقول يا معشر قريش أيرسل الله قَطْر السماء وينبت بَقْل الأرض ويخلق السائمة فترْعَى فيه وتذبحونها لغير الله ؟ ما أعلم على ظهر الارض أحداً على دين ابراهيم غيرى ، وكان اذا أخلص الى البيت استقبله ثم قال

يا مولاى

لبَّيك حقا حقا تعبُّدًا ورِقا البرَّ أرجو لا الخال وهل مُهَجَّر كمن قال

عذت بما عاذبه ابراهِمْ مستقبلَ الكعبة وهو قائم

يقول أنفى لك عانٍ راغم مهما تُجَشِّمنى فانى جاشم

ثم يسجد ، وهو الذى يقول

لا هم انى محرم لا حِلّة وان بيتى أوسط المَحِلة

عند الصفَا ليس بذى مَضِلة

وهو الذى يقول

عزلت الجِن والجِنّانَ عني كذلك يفعل الجَلْد الصبور

فلا العزَّى أدين ولا ابنتيها ولا صَنَمَيْ بني عمرو أزور

ولا غَنْما أدِين وكان ربًّا لنا فى الدهر اذ حلمى صغير

أربا واحداً أم ألفَ رب أدين اذا تقسمت الأمور

ألم تعلم بأن الله أفنى رجالاً كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم فيربُل منهم الطفل الصغير[1]
رأينا المرء يفتر ثاب يوماً كما يتروح الغصن النضير
ولكن أعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهمُ جنان وللكفار حامية سعير
وخزى فى الحياة وان يموتوا يلاقوا ما تضيق به الصدور

وأنشد له

أسلمت وجهى لمن أسلمت له المُزْن تحمل عَذْباً زُلالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها سَواءً وأرسى عليها الجبالا

وكان زيد بالشام لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل يريده فقتله أهل مَيْفعة

نبيه بن الحجاج

هو نُبَيْه بن الحَجَّاج السهمى من سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب من شعراء قريش في الجاهلية ، وكان هو وأخوه منبه من وجوه قريش وذوى النباهة وقتلا جميعاً يوم بدر مشركين ، ومن شعره

قَصَّرَ العُدْم بى ولو كنت ذا ما ل كثير لأَجْلَبَ الناس حولى
وَلَقالوا أنت الكريم علينا وَلَحَطوا الى هواى وميلى
وَلَكِلْت المعروف كيلاً هنيا يَعْجِز الناس أن يكيلوا كَكيلى

---

(١) ربل القوم كثر عددهم ونموا

وله

قالت سليمى اذ طرقت أزورها ... لا أبتغى الا امرأً ذا مال
لا أبتغى الا امرأً ذا ثروة ... كيما يَسُدُّ مفاخرى وخلالى
فلأَحرِصَنَّ على اكتساب محبب ... ولأَكسِبَنْ فى عفة وجمال

وله وقد طلبت اليه زوجتاه الطلاق

تلك عِرْسَاى تنطقان بهُجْرٍ ... وتقولان قول زور وهَتْرِ
تسألانى الطلاق اذ رأتانى ... ذى قَلَّ مالي قد جئتمانى بنُكْرِ
فلعلى أن يكثر المال عندى ... ويُخَلِّى عن المغارم ظهرى
وتُرَى أعبدٌ لنا وجياد ... ومناصيف من ولائدَ عشر
ويُكَأَنْ من لم يكن له نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبَ ومن يفتقر يَعِشْ عيش ضر
ويُجَنَّب يسر الأُمور ولكن ذوى المال حُضر كل يسر

وله فيمن أحبها واسمها القتول وكان قد غلب عليها أباها فأخذت منه بحلف الفضول

راح صحبى ولم أُحَيِّ القتُولا ... لم أُودعهُمُ وداعاً جميلا
اذ أَجَدَّ الفُضُولُ أن يمنعوها ... قد أُرانى ولا أخاف الفضولا
لاتخالى أنى عشية راح الر ... كب هُنِّمْ علىّ ألا أقولا

وفيها يقول

حىّ الدُّوَيْرَة اذ نأت ... منا على عُدَوائها
لا بالفراق تنيلنا ... شيئاً ولا بلقائها
أخذت حُشاشة قلبه ... ونأت فكيف بنائها
حلت تِهامة خلة ... من بيتها ووَطائها
ولها بمكة منزل ... من سهلها وحِرائها

رفعوا المحلة فوقها واستعذبوا من مائها
تدعو شهاباً حولها وتعم فى حُلفائها
لولا الفُضول وأنه لا أمن من عدوائها
لدنوت من أبياتها ولَطُفْت حول خبائها
ولجئتها أمشى بلا هادٍ لدى ظلمائها
فشربت فضلة ريقها ولبتُّ فى أحشائها
فسلى بمكة تُخْبَرى أنا مِنَ أهل وفائها
قِدْماً وأفضل أهلها منًّا على أكفائها
نمشى بألوية الوغى ونموت فى أودائها

حلف الفضول

سبب حِلْفِ الفُضُول أن رجلا من أهل اليمن قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجل من بني سَهْم فلَوَى الرجل بحقه ، فسأله متاعه فأبى عليه فقام فى الحِجْر فقال

يالَ قُصَىّ لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الدار والنَّفَر
وأشعَثٍ مُحْرم لم يقض حرمته بين المقام و بين الركن والحَجَر
أقائم من بنى سَهْم بذمتهم أم ذاهب فى ضلال مال معتمر
ان الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فأعظمت قريش ذلك فتكاموا فيه ، فقال المطيَّبون والله لئن قمنا فى هذا ليغضبن الأحلاف ، وقال الأحلاف والله لئن تكلمنا فى هذا ليغضبن المطيبون ، وقال ناس من قريش تعالَوْا فليكن حِلْفاً فضولاً دون المطيبين ودون الأحلاف ، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان وصنع لهم طعاماً كثيراً وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يومئذ معهم قبل أن يوحى الله اليه وهو ابن خمس وعشرين سنة ، فاجتمعت بنو هاشم وأسد وزُهْرة وتَيْم ، وكان الذى تعاقد عليه القوم تحالفوا على ألا يُظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد الا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ويؤدوا اليه مظلمته من أنفسهم ومن غيرهم ، ثم عمدوا الى ماء من ماء زمزم فجعلوه فى جَفْنة ثم بعثوا به الى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه ، وروت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد شهدت فى دار عبدالله بن جُدْعان حِلْف الفضول ، أما لو دعيت به اليوم لأجبت وما أحب أن لى به حُمْرَ النَّعم وأنى نقضته ، وكان عتبة بن ربيعة يقول لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل حِلْف الفضول (وليس عبد شمس فى حلف الفضول) ، وقيل انما سمى حلف الفضول لأن قوماً من جُرْهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تحالفوا على مثل هـذا فى أيامهم فلما تحالفت قريش هذا الحلف سُمّوا بذلك ، ثم قدم رجل من خَثْعَم مكة تاجراً ومعه ابنة له اسمها القَتول من أوضأ نساء العالمين وجها ، فعلقها نُبيه فلم يبرح حتى نقلها اليه وغلب أباها عليها ، فقيل لأبيها عليك بحِلف الفضول ، فأتاهم فشكا ذلك اليهم ، فأتوا نبيها ، فقالوا أخرج ابنة هذا الرجل ، وهو يومئذ منتد بناحية مكة وهى معه ، فأخرجها اليهم فأعطوه اياها وركبوا وركب معهم الخثعمى وفيها يقول نُبيه ما تقدم من الشعر

ابن الزِّبَعْرى

هو عبدالله بن الزِّبَعْرَى بن قيس السهمى ، أحد شعراء قريش المعدودين ، وكان يهجو المسلمين ويحرض عليهم كفار قريش فى شعره ثم أسلم بعد ذلك فقبل النبى صلى الله عليه وسلم اسلامه وأمنه يوم الفتح ، ومن شعره فى غزوة أُحد

يا غراب البَيْنِ أسمعتَ فقل ... انما تنطق شيئاً قد فُعِل
لن للخير وللشر مَدًى ... وكلا ذلك وجه وقَبَل
والعطيات خِساس بينهم ... وسواء قبر مُثْرٍ ومُقِل
كل عيش ونعيم زائل ... وبنات الدهر يلعبْنَ بكلّ
أبلغا حسان عني آية ... فقريض الشعر يشفي ذا الغُلَل
كم ترى بالجَرّ من جُمْجُمة ... وأكفّ قد أُتِرّت ورِجِل
وسرابيلَ حسان سُرِيت ... عن كُماة أهلكوا في المنتزَل
كم قتلنا من كريم سيد ... ماجد الجدين مقدام بطل
صادق النجدة قَرْم بارع ... غير مُلْتاث لدى وَقْع الأَسَل
فسلَ المِهْراس مَن ساكنُه ... بين أقحاف وهام كالحَجَل
ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزَع الخزْرج من وَقْع الأَسَل
حين حكّت بقُباء بَرْكها ... واستحرّ القتل في عبد الأَشَل
ثم خفّوا عند ذاكم رُقّصا ... رَقَص الحَفّان يعلو في الجبل
فقتلنا الضِّعف من أشرافهم ... وعدلنا ميلَ بَدْر فاعتدل
لا ألوم النفس الا أننا ... لو كررنا لفعلنا المفتعَل
بسيوف الهند تعلو هامهم ... عَلَلا تعلوهمُ بعد نَهَل

ومن قوله يمدح بني حذيفة بن المغيرة المخزومي

ألا لله قوم و ... لدت أخت بني سَهْم (١)
هشام وأبو عبد ... مناف مِدْرَه الخصم
وذو (٢) الرمحين أشبال ... على القوة والحزم
فهذان يَذُودان ... وذا من كثَب يرمي

(١) هي ريطة بنت سعيد بن سعد بن سهم (٢) هو ابو ربيعة بن حذيفة

اسود تزدهى الأقرا ن منّاعون للهضم
وهم يوم عُكاظَ منعوا الناس من الهزم
وهم ان ولدوا أشبَوْا (١) بسر الحسب الضخم
فان أحلف وبيتِ الله لا أحلفْ على اثم
لمَا من أخوة تبنى قصور الشام والرَّدْم
بأزكى من بنى رَيْطة أو أوْزنَ فى الحلم

عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى

كان نخوراً معِنّاً (٢) متعرضاً لكل ذى عارضة من قريش وقد ذكر فى ترجمة مسافر بن أبى عمرو ما كان بينهما من المعارضة

خطب امرأة فاشترطت عليه أن يترك الشراب فتركه ثم عاوده فلما رأته امرأته قالت ألم تحلف ألا تشرب ؟ ولامته فقال

ولسنا بشَرْب أم عمرو اذا انتشَوْا ثيابُ النَّدامَى عندهم كالمغانم
ولكننا يا أم عمرو نديمنا بمنزلة الرَّيان ليس بعائم
أسَرَّكِ لما صُرِّع القوم نشوةً أنَ آخرُج منها سالماً غير غانم
خلياً كأنى لم أكن كنت فيهمُ وليس الخداع مرتضىً فى التنادم

ومن قوله

نديمى قد خف الشراب ولم أجد له سَوْرة فى عظم رأسى ولا جلدى
نديمى هذى غبهم فاشرباً بها ولا خير فى شُرب يكون على حَرْد

عدى بن نوفل

هو عَدِيّ بن نوفل بن أسد وأُمه آمنة بنت جابر بن سفيان أُخت تأبَّطَ شَرًّا وهو الذى يقول وفيه غناء

---

(١) المشبى الذى يولد له ولد ذكى وقد أشبى
(٢) المعن من يدخل فيما لا يعنيه ويعرض فى كل شىء

اذا ما أُم عبد اللـــــه لم تَحْلُلْ بواديه
ولم تَشْفِ سقيماً هيـــج الحزن دواعيه
غزال رابه القنا ص تحميه صَيَاصيه
عرَفت الرَّبْع بالا كيـــل عفَّتْه سوافيه
بجَوّ ناعم الحَوْذَ ان ملتف روابيه
وما ذكرى حبيباً و قليلاً ما أواتيـــه
كذا الخمر تمناها وقد أسرف ساقيه

وام عبد الله هى زوجه أُم عبد الله بنت أبى البَخْتَرِىّ بن هاشم بن الحرث ابن أسد بن عبد العزى وكان قد غاب عنها مدة وكتب اليها أن تشخص اليه فلم تفعل ودار عَدِىّ بن نوفل بمكة بين المسجد والسوق وفيها يقول اسمعيل بن يَسَار النَّسائى

ان مَمْشَاك نحو دار عَدِىّ كان للقلب شِقْوَة وفتونا
اذ تراءت على البلاط فلما واجهتها كالشمس تغشى العيونا
قال هرون قف فياليت أنى كنت طاوعت ساعة هرونا

ورقة بن نوفل بن أسد

امه هند بنت أبى كثير بن عبد بن قصى وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان فى الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان وهو الذى بشر النبى صلى الله عليه وسلم بالنبوة ، ولما رأى قريشاً تعذب بلالاً وهو يقول أحد أحد قال

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النـذير فلا يَغُرُّكمُ أحد
لا تعبـدون إلهاً غير خالقكم فان دعَوْكم فقولوا بيننا جَدَد(١)
سبحان ذى العرش سبحانا نعوذ به وقبلُ قد سبح الجُودِىّ والجَمَد

(١) الجدد الارض الغليظة المستوية ومنه المثل من سلك الجدد أمن العثار

مسخر كل ما تحت السماء له ... لا ينبغى أن يناوى ملكه أحد
لا شىء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعوب له ... والجن والانس يجرى بينها البرد

وقال لزيد بن عمرو حين سمع أبياته المذكورة فى توحيده

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما ... تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك رباً ليس رب كمثله ... وتركك جنان الجبال كما هيا
أقول اذا ما زرت أرضاً مخوفة ... حنانيك لا تظهر علىَّ الاعاديا
حنانيك ان الجن كانت رجاءهم ... وأنت إلهى ربنا ورجائيا
أدين لرب يستجيب ولا أرى ... أدين لمن لا يسمع الدهر داعيا
أقول اذا صليت فى كل بيعة ... تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

ومما نسب اليه وفيه غناء

رحلت قتيلة غيرها قبل الضحى ... وإخال ان شحطت تجاريك النوى
أو كلما رحلت قتيلة غدوة ... وغدت مفارقة لأرضهم بكى
ولقد ركبت على السفين ملججا ... أذر الصديق وانتحى دار العدى
ولقد دخلت البيت يخشى أهله ... بعد الهدو وبعد ما سقط الندى
فوجدت فيه حرة قد زينت ... بالحلى تحسبه بها جمر الغضا
فنعمت بالا اذ أتيت فراشها ... وسقطت منها حين جئت على هوى
فلتلك لذات الشباب قضيتها ... عني فسائل بعضهم ما قد قضى
فارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه ... يوماً فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثنى عليك وان من ... أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

قتيلة

هى قُتَيلة بنت الحرث بن النَّضر بن كَلْدة من بني عبد الدار بن قصى من قريش ، قالت ترثى أخاها النضر لما قتل بعد غزوة بدر بالصفراء بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا راكباً ان الأُثَيل مَظِنَّة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن تحيـــة ... ما ان تزال بها النجائب تَخْفُق
مني اليك وعَبرةً مسفوحة ... جادت بدِرَّتها وأخرى تَخْنُق
هل يسمعنَّ النَّضْر ان ناديته ... ان كان يسمع هالك لا ينطق
ظلت سيوف بني أبيه تَنُوشه ... لله ارحام هناك تُشَقَّق
صبراً يقاد الى المنية مُتْعَبا ... رَسْفَ المقيَّد وهو عانٍ موثَق
أمحمد ولأنت ضِنْءُ نجيبة ... فى قومها والفحل فحل مُعْرِق
ما كان ضرك لو مننت وربما ... منَّ الفتى وهو المَغيظ المحنَق
أو كنت قابل فدية فلنأتين ... بأعز ما يغلو لديك وَينْفُق
والنَّضْر أقرب من أخذت بزَلَّة ... وأحقهم ان كان عتق يعتق

فروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو سمعت هذا قبل ان أقتله ما قتلته ، فيقال ان شعرها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه

أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف

كانت عند حارثة بن الأوقص السُّلَمى ، قالت ترثى أخاها أبا سفيان بن أُمية ومن قتل من قومها يوم الفِجار

أبى ليلك لا يذهب ... ونِيطَ الطَّرْف بالكوكب
ونجم دونه الأهوا ... ل بين الدَّلو والعقرب

وهذا الصبح لا يأتى ولا يدنو ولا يقرُب
بعقر عشـــيرة منا كرام الخيم والمنصب
أحال عليهمُ دهر حديد الناب والمِخْلَب
فحَلَّ بهم وقد أمنوا ولم يُقْصَرْ ولم يُشْطَبْ
وما عنه اذا ما حلّ من مَنْجَى ولا مهرب
ألا يا عين فابكيهم بدمع منك مستغرب
فان أبْكِ فهم عِزِّى وهم ركنى وهم مَنْكِب
وهم أصلى وهم فرعى وهم نسبي اذا أُنسب
وهم مجدى وهم شرفى وهم حصني اذا أُرْهَب
وهم رمحى وهم تُرْسى وهم سيفى اذا أغْضَب
فكم من قائل منهم اذا ما قال لم يُكْذَب
وكم من ناطق فيهم خطيب مِصْقَع مُعْرِب
وكم من مِدْرَه فيهم أَرِيب حوَّل مِغْلَب
وكم من جَحْفَل فيهم عظيم النار والمنكب
وكم من خِضْرِم فيهم نجيب ماجد مُنْجِب

وكانت حروب الفجار بين قريش وقيس عيلان فى أربعة أعوام متواليات ولم يكن لقريش في أولها مدخل ثم تحققت بها

فأما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم تشهر بها

وأما الفجار الثانى فانه كان أعظمها لأنهم استحلوا فيه الحرم وكانت أيامه ١) يوم نَخْلَة وكان الرؤساء فيه حرب بن امية فى القلب وعبد الله بن جُدْعان وهشام بن المغيرة فى المجنبتين ثم ٢) يوم شَمْطَة ثم ٣) يوم العبلاء ثم ٤) يوم عكاظ ثم ٥) يوم الحرة

﴿ الفجار الأول ﴾

﴿ اليوم الاول ﴾

كان بدر بن معشر الغفارى الكنانى رجلا منيعاً مستطيلاً بمنعته على من ورد عُكاظ، فاتخذ مجلساً بسوق عُكاظ وقعد فيه وجعل يبرح على الناس ويقول

نحن بنو مدركة بن خِنْدِف ... من يطعنوا فى عينه لا يَطْرِف
ومن يكونوا قومه يُخَطْرَف ... كأنهم لُجَّة بحر مُسْدِف

وهو باسط رجليه يقول أنا أعز العرب فمن زعم أنه أعز مني فليضرب هذه بالسيف فهو أعز منى، فوثب الأحمر بن مازن من بنى نصر بن معاوية فضربه بالسيف على ركبته فأندرها ثم قال خذها اليك أيها المخندف وهو ماسك سيفه ، وقام رجل من هوازن فقال

أنا ابن عيلان ذوى التغطرف ... بحر بحور زاخر لم ينزف
نحن ضربنا ركبة المخندف ... اذ مدها فى أشهر المعرف

﴿ اليوم الثانى ﴾

كان سببه أن شباباً من قريش وكنانة كانوا ذوى غرام فرأوا امرأة من بني عامر جميلة وسيمة وهى جالسة بسوق عُكاظ وهى فُضُل عليها برقع لها وقد اكتنفها شباب من العرب وهى تحدثهم، فجاء الشباب من قريش وكنانة فأطافوا بها وسألوها أن تسفر ، فأبت، فقام أحدهم فجلس خلفها وحل طرف ردائها وشده الى فوق حُجزتها بشوكة وهى لا تعلم، فلما قامت انكشف درعها عن ظهرها، فضحكوا وقالوا منعتنا النظر الى وجهك وجدت لنا بالنظر الى ظهرك، فنادت يال عامر، فساروا وحملوا السلاح وحملته كنانة واقتتلوا قتالا شديداً ووقعت بينهم دماء فتوسط حَرْب ابن أُمية واحتمل دماء القوم وأرضى بنى عامر من مُثْلَة صاحبتهم

﴿ اليوم الثالث ﴾

كان لرجل من بنى جُشَم بن بكر دين على رجل من كنانة فلواه به، فلما أعياه وافاه الجشمى فى سوق عُكاظ بقرد ثم جعل ينادى من يبيعني مثل هذا الرباح بمالي من الدين على فلان بن فلان الكنانى رافعاً صوته بذلك، فلما طال نداؤه مرَّ به رجل من كنانة فضرب القرد بسيفه فقتله، فهتف الجشمى يال هوازن وهتف الكنانى يال كنانة، فتجمع الحيان حتى تحاجزوا ولم يكن بينهم قتلى

﴿ الفجار الثانى ﴾

(١) يوم نخلة

كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وكان سببه ان البراض بن قيس الكنانى كان سكيراً فاسقاً خلعه قومه وتبرؤا منه ، فأتى مكة ونزل على حرب بن أمية فحالفه، فأحسن حرب جواره وشرب بمكة حتى همّ حرب أن يخلعه ، فقال لحرب انه لم يبق أحد ممن عرفني الا خلعني سواك وانك ان خلعتني لم ينظر الى أحد بعدك فدعنى على حلفك وأنا خارج عنك ، فتركه وخرج فلحق بالنعمان بن المنذر، وكان النعمان يبعث الى سوق عُكاظ بلَطيمة يُجيزها له سيد مضر فتباع ويشترى بثمنها الأَدَم والحرير والوكاء والحِذاء والبرود من العَصْب والوَشْى والمسير والعدنى ، وكانت سوق عكاظ فى أول ذي القعدة فلا تزال قائمة يباع فيها ويشترى الى حضور الحج وكان قيامها فيما بين نَخْلة والطائف عشرة أميال وبها نخيل أموال لثقيف ، فجهز النعمان لَطيمة له وقال من يجيزها ؟ فقال البَرّاض أنا أجيزها على بني كنانة ، فقال النعمان انما أريد رجلاً يجيزها على أهل نجد ، فقال عروة الرَّحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب أنا أجيزها أبيت اللعن ، فقال له البراض أعلى كنانة تجيزها يا عروة ؟ قال نعم وعلى الناس كلهم أفكلب خليع يجيزها ؟ ثم شخص وشخص البراض وعروة يرى مكانه ولا يخشاه ، حتى اذا كان بين ظهري

غطفان الى جانب فدك نام عروة فى ظل شجرة ووجد البراض غفلته فقتله وهرب فى عضاريط الركاب فاستاق الركاب ، وقال البراض فى ذلك

وداهية يهال الناس منها شددت لها بنى بكر ضلوعى
هتكت بها بيوت بنى كلاب وأرضعت الموالى بالضروع
جمعت لها يدىّ بنصل سيف أفلّ نخرّ كالجذع الصريع

وقال أيضاً

تقمّت على المرء الكلابى فخره وكنت قديماً لا أقر فخارا
علوت بحد السيف مفرق رأسه فأسمع أهل الواديين خوارا

ثم أرسل الى رؤساء قريش من أخبرهم بالخبر ، وكانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها الى ابن جدعان حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ، ثم يردها عليهم اذا ظعنوا ، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال ، فجاء حرب الى عبدالله بن جدعان وقال له احتبس قبلك سلاح هوازن ، فقال له ابن جدعان أبا لغدر تأمرنى يا حرب ؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف الا ضربت به ولا رمح الا طعنت به ما أمسكت منها شيئاً ولكن لكم مائة درع ومائة رمح ومائة سيف فى مالى تستعينون بها ، ثم صاح ابن جدعان فى الناس من كان له قبلى سلاح فليأت وليأخذه ؟ فأخذ الناس أسلحتهم ، وبعث ابن جدعان وحرب بن أمية وهشام والوليد الى أبى براء انه قد كان بعد خروجنا حرب ، وقد خفنا تفاقم الأمر فلا تنكروا خروجنا ، وساروا راجعين الى مكة ، فلما كان آخر النهار بلغ أبا براء قتل البراض عروة ، فقال خدعنى حرب وابن جدعان وركب فيمن حضر عكاظ من هوازن فى أثر القوم فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم وجن عليهم الليل فكفوا وجعلوا الوعد بينهم عكاظ العام المقبل ، وفى يوم نخلة يقول خداش بن زهير

يا شدّة ما شددنا غير كاذبة على سَخِينَةَ لولا الليل والحرم

اذ يثقينا هشام بالوليد ولو ... انا ثقفنا هشاماً شالت الخدم
بين الأراك وبين المرج تبطحهم ... زرق الأسنة فى أطرافها السهم
فان سمعتم بجيش سالك شرفا ... وبطن مر فأخفوا الجرس واكتتموا

(٢) يوم شمطة

تجمعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة والأحابيش ، (وهم من بنى الحرث بن عبد مناة بن كنانة وبنو لحيان من خزاعة والقارة وهو اتبع بن الهون بن خزيمة وعضل بن دمس بن محلم بن عائذ بن اتبع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بنى بكر بن عبد مناة) وأعطت قريش رؤوس القبائل أسلحة تامة واداة وجمعت هوازن وخرجت فلم تخرج معهم كلاب ولا كعب ، وكان القوم جميعاً متساندين على كل قبيلة سيدهم ، ونزلت هوازن شمطة من عكاظ وأقبلت قريش فنزلت من دون المسيل ، وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة فلما كان آخر النهار تداعت هوازن وصبروا واستحر القتل فى قريش وانهزم الناس، وفى ذلك يقول خداش بن زهير فى كلمة له

فأبلغ ان عرضت بنا هشاماً ... وعبد الله أبلغ والوليدا
أولئك ان يكن فى الناس خير ... فان لديهمُ حسباً وجودا
همُ خير المعاشر من قريش ... وأوراها اذا قدحت زنودا
بأنا يوم شمطة قد أقمنا ... عمود المجد ان له عمودا
جلبنا الخيل ساهمة اليهم ... عوابس يدّرعن النقع قودا
فبتنا نعقد السيما وباتوا ... وقلنا أصبحوا الأنس الجديدا
فجاءوا عارضاً برداً وجئنا ... كما أضرمت فى الغاب الوقودا
ونادوا يا لعمرو لاتفروا ... فقلنا لا فراراً ولا صدودا
فعاركنا الكماة وعاركونا ... عراك النمر عاركت الأسودا

فولّوا تضرب الهامات منهم بما انتهكوا المحارم والحدودا
تركنا بطن شَمْطَةَ من علاء كأن حِلاَلها معزى شريدا
ولم أرَ مثلهم هزموا وفلوا ولا كذيادنا عنقاً مذودا

(٣) يوم العَبْلاَء[1]

كان على رأس حول من يوم شمطة، جمع القوم بعضهم لبعض والتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت كنانة فقال خِداش بن زهير في ذلك

ألم يبلغك بالعَبْلاء انا ضربنا خِنْدِفاً حتى استقادوا
نُبَنِّي بالمنازل عز قيس وودوا لو تَسيخ بنا البلاد

وقال أيضاً

ألم يبلغك ما قالت قريش وحى بني كِنانة اذ أثيروا
دهمناهم بأرْعَنَ مكفهِر فظل لنا بعقوتهم زئير
نقوم مارن الخطّي فيهم يجيء على أسنتنا الحزير

(٤) يوم عُكاظ

التقوا فى هذه المواضع على رأس الحول وقد جمع بعضهم لبعض واحتشدوا وخشيت قريش ان يجرى عليها ما جرى يوم العبلاء فقيد حرب وسفيان وأبو سفيان بنو أمية بن عبد شمس أنفسهم وقالوا لا نبرح حتى نموت مكاننا فسموا العَنَابس وهى الأسدُ، فقتل الناس يومئذٍ قتالاً شديداً وثبت الفريقان حتى همت كِنانة بالهرب، وكانت بنو مخزوم تلى كنانة فحافظت حفاظاً شديداً وكان أشدهم يومئذ بنو المغيرة فانهم صبروا وأبْلَوْا بلاء حسناً، فلما رأت ذلك كنانة تذامروا فرجعوا، وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه فانهزمت قيس كلها الا بنى نصر فانهم صبروا، ثم هربت بنو نصر أيضاً، وكان مسعود بن مُعَتِّب

(١) موضع قريب من عكاظ

الثقفى قد ضرب على امرأته سُبَيْعة بنت عبد شمس بن عبد مناف خباء وقال لها من دخله من قريش فهو آمن ، فجعلت توصل فى خبائها ليتسع ، فقال لها لا يتجاوزنى خباؤك فانى لا أمضى الا من أحاط به الخباء ، فأحفظها ، فقالت أما والله انى لأظن أنك ستَوَدُّ أن لو زدت فى توسعته ، فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها ، فأجار لها حرب بن أمية جيرانها وقال لها يا عمة من تمسك بأطناب خبائك أو دار حوله فهو آمن ، فنادت بذلك فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جداً فلم يبق أحد لا نجاة عنده الا دار بخبائها ، فقيل لذلك الموضع مدار قيس ، وكان يضرب به المثل فتغضب قيس منه ، وقال ضِرار بن الخطاب الفهرى فى ذلك اليوم

ألم تسأل الناس عن شأننا ... ولم يُنْبِت الأمرَ كالخابر
غداة عُكاظ اذ استكملت ... هوازن في كنهها الحاضر
وجاءت سُلَيم تَهُزّ القَنَا ... على كل سَلْهَبَة ضامر
وجئنا اليهم على المضمرات ... بأرْعد ذى لَجَب زاخر
فلما التقينا أذقناهمُ ... طِعاناً بسمرِ القنا العائر
ففرت سُلَيم ولم يصبروا ... وطارت شعاعا بنو عامر
وفرت ثقيف الى لاَتِها ... بمنقلَب الخائب الخاسر
وقاتلت العنس شطر النها ... ر ثم تولت مع الصادر
على أن دهمانها حافظت ... أخيراً لدى دارة الدائر

وقال خِداش بن زهير

أتتنا قريش حافلين بجمعهم ... عليهم من الرحمن واق وناصر
فلما دنَوْنا للقباب وأهلها ... أتيح لنا ريب مع الليل ناجر
أتيحت لنا بكر وحول لوائها ... كتائب يخشاها العزيز المكاثر

جئت دونهم بكر فلم تستطعهمُ كأنهمُ بالمشرفيّة سامر
وما برحت خيل تثور وتدّعى ويلحق منهم أولون وآخر
لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا عَماية يوم شره متظاهر
وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازن وارفضّت سُلَيم وعامر
وكانت قريش يَفْلِق الصخر حدها اذا أوهن الناس الجدود العواثر

(٥) يوم الحُرَيرة (١)

انهزمت فى هذا اليوم كِنانة وقتل يومئذ أبو سفيان بن أمية وثمانية رهط من بني كنانة وخمسة نفر ، وقال فى ذلك خِداش بن زهير

لقد بلوكم فأبلوَكم بلاءهمُ يوم الحُرَيرة ضرباً غير تكذيب
ان توعدونى فانى لابن عمكمُ وقد أصابوكمُ منه بشُؤبوب
وان وَرْقاء قد أردى أبا كنف وابني اياس وعمراً وابن أيوب
وان عثمان قد أردى ثمانية منكم وأنتم على خبر وتجريب

ثم تداعَوا الى الصلح على أن يَدِىَ من عليه فضل فى القتل الفضل الى أهله، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة، فاجتمعت القبائل على الصلح وتعاقدوا ألا يعرض بعضهم لبعض ، فرهن حرب بن أمية ابنه أبا سفيان ورهن الحرث بن كَلَدة العبدى ابنه النضر ورهن سفيان بن عوف أحد بني الحرث بن عبد مناة ابنه الحرث حتى وُدِيت الفُضول، ويقال ان هوازن لما رأت رهائن قريش بأيديهم رغبوا فى العفو فأطلقوهم

وشهد النبى صلى الله عليه وسلم سائر أيام الفجار الثانى الا يوم نخلة وكان يناول عمه الزبير بن عبد المطلب النبل ، وسئل صلى الله عليه وسلم عن مشهده يومئذ فقال ماسرنى انى لم أشهده انهم تعدّوا على قومى ، عرضوا عليهم أن يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبَوا

---

(١) حرة بجانب عكاظ

مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس

كان سيداً جواداً وهو أحد أزواد الركب، وانما سموا بذلك لانهم كانوا لا يدعون غريباً ولا ماراً طريقاً ولا محتاجاً يجتاز بهم الا أنزلوه وتكفلوا به حتى يطعم، وهو أحد شعراء قريش ومن قوله يرد على عمارة بن الوليد لما قال

خلق البيض الحسان لنا ... وجياد الرَّيْطِ والأزر
كابرا كنا أحق به ... حين صيغ الشمس والقمر

فقال مسافر

أعُمَارَ بْنَ الوليد وقد ... يذكر الشاعر من ذكره
هل أخو كأس محققها ... ومُوَقٍّ صَحْبَهُ سكره
ومحييهم اذا شربوا ... ومُقِلٌّ فيهم هذره
خلق البيض الحسان له ... وجياد الرَّيْطُ والحبرة
كابراً كنا أحق به ... كل حي تابع أثره

وله شعر ليس بالكثير، ومنه وقد قال في هند بنت عتبة وكان يحبها

يا من لقلب مقصر ... ترك المنى لفواتها
وتظلف النفس التي ... قد كان من حاجاتها
وطلابك الحاجات من ... سلمى ومن جاراتها
كتطرُّد العَنَس الذَّمو ... ل الفضل من متناتها

ولما بلغه أنها تزوجت أبا سفيان قال

ألا ان هنداً أصبحت منك محرماً ... وأصبحت من أدنى حموتها حما
وأصبحت كالملقمور جفن سلاحه ... يقلب بالكفين قوساً وأسهما

ومما يغني فيه من شعره

ألم نسق الحجيج وننـــحر المِذْلاقة الرُّفُدَا[1]
ورمزم من أرومتنا ونفقأ عين من حسدا
وان مناقب الخيرا ت لم نسبق بها عددا
فان نهلك فلم نملك وهل من خالد خلدا

مات بتَبالة ودفن فيها ، ورثاه أبو طالب فقال

ليت شعري مسافر بن أبي عمـــرو وليتٌ يقولها المحزون
رجع الركب سالمين جميعاً وخليلي في مَرْمَس مَدْفون
بورك الميت الغريب كما بو رك نضح الرمان والزيتون
ميت صدق على تبالة قد حا لت فيافٍ من دونه وحزُون
مِدْرَه يدفع الخصوم بأيْدٍ وبوجه يزينـه العرْنَيْن
كم خليل رزئته وابن عم وحميم قضت عليه المنون
فتعزيت بالأسى وبالصبـــر وانى بصاحبيَّ ضـنين

وقال

ألا ان خير الناس غير مدافع بسرد لَنَجْم غيبته المقابر
تبكى أباها أم وهب وقد نأى وريْشان أمسى دونه ويحابر
على خير حاف من معد وناعل اذا الخير يرجى أو اذا الشر حاضر
تنادَوْا ولا أبو أميـة فيهمُ لقد بلغت كنظ النفوس المحاجر

أبو سفيان

هو صَخْر بن حرب بن أُمَيَّة بن عبد شمس

أمه صفية بنت حزن بن بُجير من بني هلال بن عامر وهى عمة ميمونة أم المؤمنين وأم الفضل بنت الحارث ابن حزن أم بني العباس بن عبد المطلب

(١) الرفد جمع رفود وهى التى تملأ الرفد وهو القدح العظيم الضخم فى حلبة واحدة والمذلاقة الناقة السريعة السير

كان أبو سفيان سيداً من سادات قريش فى الجاهلية ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وكهفاً للمنافقين فى أيامه وأسلم يوم الفتح ، وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش الى أرض العجم ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده بعد الفتح وفقئت عينه يوم الطائف ، فلم يزل أعور الى يوم اليرموك ففقئت عينه الأخرى يومئذ فعمى ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنته أم حبيبة ، وقال له عليه السلام مرة أما والله انك والناس لكما قال الأول كل الصيد فى بطن الفرا أى كل شىء لهؤلاء من المنزلة فان لك وحدك مثل مالهم كلهم ، لما حصلت غزوة بدر نذر أبو سفيان ألا يمس ماء من جنابة حتى يغزو محمداً فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبرّ يمينه وقال وهو يتجهز

كُرّوا على يَثْرِب وجمعهمُ ... فان ما جَمّعوا لكم نَفَلُ
ان يك يوم القَلِيب كان لهم ... فان ما بعده لكم دول
آليت لا أَقْرُب النساء ولا ... يَمَسّ رأسى وجلدى الغُسُل
حتى تُبيدوا قبائل الأوس والخزْ ... رج ان الفؤاد مشتعل

ولما قارب المدينة سار الى سلام بن مِشْكَم وكان سيد بني النضير فى زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ونظر له خبر الناس ، فقال أبو سفيان فى ذلك

سقانى فروّانى كميتاً مدامة ... على ظمأ مني سلام بن مِشْكَم
تخيرته أهل المدينة واحداً ... سواهم فلم أُغْبَن ولم أتندم
فلما تقضى الليل قلت ولم أكن ... لأفرحه أبشر بعرف ومغنم
وان أبا غنم يجود وداده ... بيثرب مأوى كل أبيض خضرم

توفى أبو سفيان فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهما

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله الطبقة الثانية ﴾

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	الحصين بن الحمام المرى
٧	الشماخ بن ضرار الغطفانى
٨	زهير بن جذيمة العبسى
٨	مقتل شاس بن زهير
١٠	مقتل زهير
١٤	الربيع بن زياد العبسى
١٤	حرب داحس والغبراء
٢٣	عروة بن الورد العبسى
٢٧	عنترة العبسى
٢٨	الحطيئة العبسى
٤٠	أمية بن أبن الصلت الثقفى
٤٥	غيلان بن سلمة الثقفى
٤٧	أبو محجن الثقفى
٥١	دريد بن الصمة الجشمى
٦١	لبيد بن ربيعة العامرى
٦٨	المنافرة بين عامر بن علاثة وعامر بن الطفيل
٧٤	النابغة الجعدى
٧٧	صخر بن الشريد السلمى
٧٩	العباس بن مرداس السلمى
٨٥	خفاف بن عمير السلمى
٩٥	الخنساء بنت عمرو السلمية
٩٩	المخبل القيسى
١٠١	**شعراء خندف**

ص	الموضوع
١٠١	شعراء عكل
١٠١	النمر بن تولب العكلى
١٠٦	شعراء مزينة
١٠٦	زهير بن أبى سلمى المزنى
١٢٠	كعب بن زهير
١٢٣	معن بن اوس المزنى
١٢٧	شعراء ضبه
١٢٧	ربيعة بن مقروم الضبى
١٣٢	شعراء تميم
١٣٢	زهير بن عروة المازنى
١٣٣	اوس بن حجر التميمى
١٣٥	عدى بن زيد العبادى
١٣٦	اولية عدي
١٥٥	عيينة بن مرداس التميمى
١٥٩	عبدة بن الطبيب
١٦٢	الأضبط بن قريع التميمى
١٦٣	المخبل السعدى
١٦٥	قيس بن عاصم المنقرى
١٦٧	السليك بن السلكة
١٧٠	الأسود بن يعفر النهشلى
١٧٤	علقمة الفحل
١٧٦	الأشهب بن ثور الدارمى

ص	الموضوع
١٧٧	كثير بن الغريرة النهشلى
١٧٨	عبد قيس بن خفاف البرجمى
١٨٠	متمم بن نويرة اليربوعى
١٨٥	شعراء هذيل
١٨٥	صخر الغى
١٨٨	عمرو بن العجلان
١٨٩	المتنخل الهذلى
١٩١	أبو العيال الهذلى
١٩٣	أبو خراش الهذلى
٢٠٣	شعراء أسد
٢٠٣	عبيد بن الابرص
٢٠٨	مقتل عبيد
٢١٠	فضالة بن شريك
٢١٣	عمرو بن شاس
٢١٦	الاقيشر
٢١٨	سحيم عبد بنى الحسحاس

ص	الموضوع
٢٢١	شعراء كنانة
٢٢١	ربيعة بن مكدم
٢٢٦	أمية بن الأسكر
٢٣٠	شعراء قريش
٢٣٠	زيد بن عمرو
٢٣١	نبيه بن الحجاج
٢٣٣	حلف الفضول
٢٣٤	ابن الزبعرى
٢٣٦	عمارة بن الوليد
٢٣٦	عدى بن نوفل
٢٠٧	ورقة بن نوفل
٢٣٩	قتيلة
٢٣٩	أميمة بنت عبد شمس
٢٤٨	مسافر بن أبى عمرو
٢٤٩	أبو سفيان

مكتبة
لسان العرب
www.lisanarb.com

مُهذّبُ الأغانى

عبد الغنى نصر
بالمعارف

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الثالث

فى الشعراء الاسلاميين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

مطبعة مصر - شركة مساهمة مصرية

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبقة الثانية

الشعراء الاسلاميون ومخضرمو الدولتين

شعراء قحطان

شعراء حمير

ابنه مفرغ الحميرى

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، كان شاعراً محسناً غزلاً

لما ولى سعيد بن عثمان بن عفّان خُراسان استصحب ابن مُفَرِّغ واجتهد به أن يصحبه فأبى عليه وصحب عبّاد بن زياد ، فقال له سعيد أمّا اذا أبيت أن تصحبني وآثرت عبادا فاحفظ ما أوصيك به ، ان عبادا رجل لئيم فاياك والدالّة عليه وان دعاك اليها من نفسه فانها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته فانه طَرِف مَلول ، ولا تفاخره وان فاخرك فانه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله ، ثم دعا سعيد بمال فدفعه الى ابن مفرغ ، وقال استعن به على سفرك فان صح لك مكانك من عبّاد والا فمكانك عندى ممهد فأتني ، ثم سار سعيد الى خراسان وتخلف ابن مفرغ

عنه وخرج مع عباد ، فلما بلغ عبيدالله بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه شق عليه ، فلما سار أخوه شيعه وشيع الناس معه وجعلوا يودعونه ويودع الخارجون مع عباد عبيدالله ، فلما أراد عبيدالله أن يودع أخاه دعا ابن مفرغ فقال له انك سألت عبادا أن تصحبه وأجابك الى ذلك وقد شق علىّ ، فقال له ولم أصلحك الله ؟ قال لأن الشاعر لا يقنعه من الناس ما يقنع بعضهم من بعض لأنه يظن فيجعل الظن يقيناً ولا يَعذِر فى موضع العذر ، وان عبادا يَقْدَم على أرض حرب فيشتغل بحربه وخراجه عنك فلا تعذره أنت وتكسبنا شراً وعاراً ، فقال له لست كما ظن الأمير وان لمعروفه عندى لشكراً كثيراً ، وان عندى ان أغفل أمرى عذراً ممهداً ، قال لا ولكن تضمن لي ان أبطأ عنك ما تحبه ألا تعجل عليه حتى تكتب اليّ ، قال نعم ، قال امض اذاً على الطائر الميمون ، فقدم عباد خراسان واشتغل بحربه وخراجه ، فاستبطأه ابن مفرغ ولم يكتب الى عبيدالله يشكوه كما ضمن له ولكنه بسط لسانه فذمه وهجاه ، وكان عباد عظيم اللحية فسار ابن مفرغ مع عباد فدخلت الريح فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لَخْم كان الى جنبه

ألا ليت اللحى كانت حشيشا فنَعْلِفها خيول المسلمينا

فسعى به اللخمى الى عباد فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال لا يجمل بى عقوبته في هذه السرعة مع الصحبة لي وما أؤخرها الا لأشفى نفسى منه لأنه كان يقوم فيشتم أبى فى عدة مواطن ، وبلغ الخبر ابن مفرغ ، فقال انى لأجد ريح الموت من عباد ، ثم دخل عليه ، فقال أيها الأمير انى كنت مع سعيد بن عثمان وقد بلغك رأيه فيّ وجميل أثره علىّ وانى اخترتك عليه فلم أَحْلَ منك بطائل وأريد أن تأذن لي فى الرجوع فلا حاجة لى فى صحبتك ، فقال له أما اختيارك إياي فانى اخترتك كما اخترتني واستصحبتك حين سألتني وقد أعجلتني عن بلوغ محبتى فيك وطلبت الاذن لترجع الى قومك تتفضحني فيهم وأنت على الاذن قادر بعد أن

أقضى حقك ، و بلغ عبادا أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه ، وأجرى عباد الخيل فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرغ « سبق عباد وصلّت لحيته » فطلب عليه العلل ودس الى قوم كان لهم عليه دين فأمرهم أن يقدموه اليه ففعلوا ، فحبسه وأضرّ به وبعث اليه ان بعنى الأراكة وبردا « وكانت الأراكة قَيْنة له وبرد غلامه رباها وكان شديد الضن بهما » فبعث اليه ابن مفرغ مع الرسول أيبيع المرء نفسه أو ولده ؟ فأضرّ به عباد حتى باعهما عليه اشتراهما رجل من أهل خُراسان ، ثم قال عباد لحاجبه ما أرى هـذا يبالى بالمقام فى الحبس فبع فرسه وسلاحه وأثاثه واقسم ثمنها بين غرمائه ، ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم وبقيت عليه بقية حبسه بها ، فقال ابن مفرغ يذكر بردا والأراكة و بيعهما

شريت بردا ولو ملكت صفقته ... لما تطلبت فى بيع له رشدا
لولا الدَّعِيّ ولولا ما تعرض لى ... من الحوادث ما فارقته أبدا
يا برد ما مستنا بَرْد أضرّ بنا ... من قبل هـذا ولا بعنا له ولدا
أما الأراك فكانت من محارمنا ... عيشاً لذيذاً وكانت جنة رَغَدا
كانت لنا جنة كنا نعيش بها ... نَغْنَى بها ان خشينا الأَزْل والنكدا
يا ليتنى قبل ما نابَ الزمان به ... أهلى لقيت على عدوانه الأسدا
قد خاننا زمن لم نخش عَثْرته ... من يأمنُ اليوم أم من ذا يعيش غدا
لامتني النفس في برد فقلت لها ... لا تهلكى اثر برد هكذا كمدا
كم من نعيم أصبنا من لذاذته ... قلنا له اذ تولى ليته خلَدا

وعلم ابن مفرغ أنه ان أقام على ذم عباد وهجائه وهو في محبسه زاد نفسه شراً فكان يقول للناس اذا سألوه عن حبسه ما سببه ، رجل أدبه أميره ليقوّم من أوَده أو يكُفّ من غَرْبه وهذا لعمري خير من جر الأمير ذيله على مداهنة صاحبه ، فلما بلغ ذلك عباداً من قوله رق له واخرجه من السجن فهرب حتى أتى البصرة

ثم خرج منها الى الشام وجعل ينتقل فى مدنها هارباً ويهجو زياداً وولده وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم ، فكتب عبيد الله الى يزيد بن معاوية يقول له ان ابن مفرغ هجا زيادا وبني زياد بما هتكه فى قبره وفضح بنيه طول الدهر وتعدى ذلك الى أبى سفيان فقذفه وسب ولده فهرب من خُراسان الى البصرة وطلبته حتى لفظته الأرض فلجأ الى الشام يمضغ لحومنا بها ويهتك أعراضنا ، وقد بعثت اليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه ، ثم بعث بجميع ما قاله ابن مفرغ فيهم ، فأمر يزيد بطلبه ، فجعل ينتقل من بلد الى بلد فاذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ به واستجار ، فقال له الأحنف انى لا أُجير على ابن سُمَيَّة انما يجير الرجل على عشيرته فأما على سلطانه فلا فان شئت أجرتك من بني سعد وشعرائهم فلا يريبك منهم ريب ، فقال له ابن مفرغ يا أستاذ بنو سعد وما عساهم أن يقولوا فيَّ ؟ هذا ما لاحاجة لي فيه ، ثم أتى خالد بن عبد الله ابن خالد بن أَسيد فاستجار به ، فأبى أن يجيره ، فأتى عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ، فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، وأتى المنذر ابن الجارود العَبْدِى فأجاره وكانت بنته تحت عبيد الله وكان من أكرم الناس عليه فاغترّ بذلك وأَدَلَّ بموضعه منه ، وطلبه عبيد الله فقيل له قد أجاره المنذر ، فبعث عبيد الله الى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث بالشرط فكبسوا دار المنذر وأتوه بابن مفرغ ، فلم يشعر المنذر الا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه ، فقام الى عبيد الله فكلمه فيه فقال أذكرك الله أيها الأمير لا تخفر جوارى فانى قد أجرته ، فقال عبيد الله يا منذر ليمدحن أباك وليمدحنك ولقد هجانى وهجا أبى ثم تجيره عليَّ ، لاها الله لا يكون ذلك أبداً ولا أغفرها له ، فغضب المنذر ، فقال له لعلك تُدِلّ بكريمتك عندى ان شئت والله لأُبيِنَنّها بتطليق ألبته ، فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له بئسما صحبت به عبادا ، قال بئسما صحبنى به عباد اخترته على سعيد وأنفقت على صحبته كل ما أفدته وكل

ما أملكه ثم عاملني بكل قبيح وتناولني بكل مكروه من حبس وغرم وشتم وضرب فكنت كمن شام بَرْقاً خُلبا في سحاب جَهام فأراق ماءه طمعاً فيه فمات عطشاً، وما هربت من أخيك الا لما خفت أن يجرى فيَّ الى ماينـدم عليه وقد صرت الآن في يدك فشأنك فاصنع بي ما أحببت، فأمر بحبسه وكتب الى يزيد بن معاوية يسأله أن يأذن له فى قتله، فكتب اليه إياك وقتله ولكن عاقبه بما ينكله ويشد سلطانك ولا تبلغ نفسه فان له عشيرة هى جندى وبطانتى ولا ترضى بقتله منى ولا تقنع الا بالقَوَد منك فاحذر ذلك واعلم أنه الجد منهم ومني وانك مرتهن بنفسه ولك فى دون تلفها مندوحة تشفى من الغيظ، فأمر عبيد الله بابن مفرغ فسقى نبيذاً حلواً قد خلط معه الشُّبْرُم فأسهل بطنه وطيف به وهو على تلك الحال وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان حوله يصيحون به وألحَّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه فسقط، فعرف ابن زياد ذلك فقيل انه لما به لا تأمن أن يموت فأمر أن يغسل، ففعلوا ذلك به فلما اغتسل قال

يغسل المـاء ما فعلت وقولي راسخ منك فى العظام البوالي

فرده عبيد الله الى الحبس وأمر بأن يسلم مُحجماً وقدموا له عُلُوجاً وأمر بأن يحجمهم فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم فيتوارَوْن منه فترك ورده الى محبسه، وقامت الشُّرَط على رأسه تصب عليه السياط ويقولون له احجمهم فقال

وما كنت حجاماً ولكن أحلني بمنزلة الحجام نأبى عن الأهل

وقال يذكر ما فعل به ابن زياد واهمال حلفائه من قريش إياه

دَارَ سَلمى بالخَبْتِ ذى الأظلال كيف نومُ الأسير فى الأغلال
أين مني السلامُ من بعد نأى فارجعى لى تحيتى وسؤالى
أين مني نجائبى وجيادي وغزالى سَقَى الالهُ غزالى
أين لا أين جُنَّتى وسلاحى ومطايا سيرتها لارتحالى

هدم الدهر عرشنا فتداعى فبلينا اذ كل عيش بال
اذ دعانا زواله فأجبنا كل دنيا ونعمة لزوال
أم قضينا حاجاتنا فالى المو ت مصير الملوك والأقيال
لا وصومى لربنا وزكاتى وصلاتى أدعو بها وابتهالى
ما أتيت الغداة أمراً دنياً ولدى الله كابر الأعمال
أيها المالك المرهّب بالقتل بلغت النكال كلّ النكال
فاخش ناراً تشوى الوجوه ويوماً يقذف الناس بالدواهى الثقال
قد تعديت في القصاص وأدركت ذحولا لمعشر أقتال
وكسرت السن الصحيحة منى لا تذلني فمنكر اذلالى
وقرنتم مع الخنازير هراً وبميني مغلولة وشمالى
وكلاباً ينهشننى من ورائى عجب الناس مالهن ومالى
وأطلتم مع العقوبة سجناً فكم السجن أو متى ارسالى
يغسل الماء ما صنعت وقولي راسخ منك في العظام البوالى
لو قبلت الفداء أو رمت مالى قلت خذه فداء نفسى مالى
لو بغيرى من معشر لعب الدهر لما ذمّ نصرتى واحتيالى
كم بكانى من صاحب وخليل حافظ الغيب حامد للخصال
ليت أنى كنت الحليف للخم وجذام أو طيء والأجبال
بدلا من عصابة من قريش أسلمونى للخصم عند النضال
البهاليل من بنى عبد شمس فضلوا الناس بالعلا والفعال
وبنى التيم تيم مرّة لما لمع الموت فى ظلال العوالى
منعوا البيت بيت مكة ذا الحجر اذ الطير عكّف في الظلال
والبهاليل خالد وسعيد شمس دجن ووضّح كالهلال

فى الأرومات والذرى من بنى العيـــص قروم اذا تعدّ المعالى
كنت منهم ما حرّموا فحرام لم يراموا وحلّهم من حلالى
وذوو المجد من خزاعة كانوا أهل ودى فى الخصب والامحال
خذلونى وهم لذاك دعونى ليس حامى الذمار بالخذّال
لا تدعنى فداك أهلى ومالى ان حبليك من متين الحبال
حسرتا اذ أطعت أمر غواتى وعصيت النصح ضلّ ضلالى

ثم أرسله عبيدالله الى أخيه عباد بسجستان فحبسه وضيق عليه

ومن قوله يصف ما فعل به

ألا طرقتنا آخر الليل زينب سلام عليكم هل لما فات مطلب
وقالت تجنبنا ولا تقربنّنا فكيف وأنتم حاجتى أتجنب
أصاب عراقى اللون فاللون شاحب كما الرأس من هول المنية أشيب
قرنت بخنزير وهر وكلبة زماناً وشان الجلد ضرب مشذّب
وجرّعتها صهباء من غير لذة تصعد فى الجثمان ثم تصوب
وأطعمت مالا ان يحلّ لآكل وصليت شرقا بيت مكة مغرب
من الطفّ مجلوباً الى أرض كابل فملوا وما ملّ الأسير المعذب
فلو أن لحمى اذ هوى لعبت به كرام الملوك أو أسود وأذؤب
لهوّن وجدى أو لزادت بصيرتى ولكنما أودت بلحمى أكلب
أعبّادُ ما للؤم عنك محول ولا لك أم فى قريش ولا أب
سينصرنى من ليس تنفع عنده رقاك وقرم من أمية مصعب
وقل لعبيدالله مالك والد بحق ولا يدرى امرؤ كيف تنسب

فلما طال مقامه فى السجن استأجر رسولا الى دمشق وقال له اذا كان يوم

الجمعة فقف على درج جامع دمشق واقرأ هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك وثانى البيتين

أضحى دَعِيّ زياد فَقْعَ قَرْقَرَة يا للعجائب يلهو بابن ذى يَزَن

ففعل الرسول ما أمره به ، فحَمِيت اليمانية وغضبوا له ، وركب طلحة الطلحات الى الحجاز ولقى قريشا ، وكان ابن مفرغ حليفاً لبنى أمية ، فقال لهم طلحة يا معشر قريش ان أخاكم وحليفكم ابن مفرغ قد ابتلى بهذه الأعبد من بنى زياد وهو عديدكم وحليفكم ورجل منكم ووالله ما أحب ان يُجْرى الله عافيته على يدى دونكم ولا أفوز بالمكرمة في أمره وتخلوا منها فانهضوا معى بجماعتكم الى يزيد بن معاوية فان أهل اليمن قد تحركوا بالشام ، فركب خالد بن أسيد وأمية بن عبدالله أخوه وعمر بن عبيدالله بن معمر فى وجوه خزاعة وكنانة وخرجوا الى يزيد ، فبينما هم يسمُرون ذات ليلة اذ سمعوا راكباً يتغنى فى سواد الليل بقول ابن مفرغ ويقول

ان تركي ندى سعيد بن عثما ن بن عَفّان ناصرى وعديدى
واتباعى أخا الضَّراعة واللؤ م لَنَقْصٌ وفوت شَأْوِ بعيد
قلت والليل مُطْبِق بعُراه ليتنى مت قبل ترك سعيد
ليتني مت قبل تركي أخا النَّجْـ ـدة والحزم والفَعال الشديد
عَبْشَمِيٌّ أبوه عبد مناف فاز منها بتاجها المعقود
ثُمّ جُود لو قيل فيه مزيد قلت للسائلين ما من مزيد
قل لقومى لدى الأباطح من آ ل لؤى بن غالب ذى الجود
سامني بعدكم دَعِيّ زياد خُطَّة الغادر اللئيم الزهيد
كان ما كان فى الأراكة واجتُـ ـبّ بُبُرْد سَنام عيشى وجيدى
أوغل العبد فى العقوبة والشتـ ـم وأودى بطارفى وتليدى
فارحلوا فى حليفكم وأخيكم نحو غوث المستصرخين يزيد

فاطلبوا النصف من دَعِيِّ زياد وسلونى بما ادعيت شهودى

فدعوه وسألوه ما هذا الذى سمعناه منك تغنى به ؟ فقال هذا قول رجل والله ان أمره لعجب رجل ضائع بين قريش واليمن وهو رجل الناس ، قالوا ومن هو ؟ قال ابن مفرغ ، قالوا والله ما رحلنا الا فيه وانتسبوا له فأنشدهم قوله

لعمرىَ لو كان الأسير بن معمر وصاحبه أو شكله ابن أَسِيد
ولو أنهم نالوا أميَّة أرقلت براكبها الوَجْناء نحو يزيد
فأَبْلَغْتُ عذراً فى لُؤَىّ بن غالب وأتلف فيهم طارفى وتليدى
فان لم يغيرها الامام بحقها عدلت الى شُمّ شوامخَ صِيد
فناديت فيهم دعوة يمنيـــة كما كان آبائى دَعَوْا وجدودى
ودافعت حتى أبلغ الجهد عنهمُ دفاع امرىء فى الخير غير زهيد
فان لم تكونوا عند ظني بنصركم فليس لها غير الأغَرّ سعيد
بنفسى وأهلى ذاك حياً وميتاً نُضار وعود المرء أكرم عود
فكم من مقام فى قريش كفيته ويوم يُشيب الكاعباتِ شديد
وخصم تحاماه لُؤَىّ بن غالب شَبَبْتُ له نارى فهَبّ وقودى
وخير كثير قد أفأت عليكم وأنتم رقود أو شبيه رقود

فاسترجع القوم وقالوا والله لا نغسل رؤوسنا فى العرب ان لم نغسلها بفكه ، فاغذ القوم السير حتى قدموا الشام وهناك اجتمعوا مع اليمانية حتى سرح يزيد رجلا يقال له خمخام يأمر عبادا أن يسرح ابن مفرغ اليه ففعل

ومن قول ابن مفرغ يذكر هرب عبيدالله بن زياد وتركه أمه

أعبيد هلا كنت أول فارس يوم الهياج دعا بحتفك داع
أسلمت أمك والرماح تنوشها يا ليتنى لك ليلة الأفزاع
اذ تستغيث وما لنفسك مانع عبد تردده بدار ضياع

هلا عجوز اذ تَمُدُّ بثديها ... وتصيح ألا تَنْزَعُنَّ قناعى
أنقذت من أيدي العلوج كأنها ... رَبْداء مُجْفَلَة ببطن القاع
فركبت رأسك ثم قلت أرى العدى ... كثروا وأخلفَ موعد الاشياع
فانجى بنفسك وابتغى نَفَقاً فما ... لي طاقة بك والسلام وداعى
ليس الكريم بمن يخلف أمه ... وفتاته فى المنزل الجَعْجاع
حذر المنية والرماح تنوشه ... لم يرم دون نسائه بكُراع
متأبطاً سيفاً عليه يَلْمَق ... مثل الحمار أثَرْته بيفَاع
لا خير فى هذر يهز لسانه ... بكلامه والقلب غير شجاع
لابْنُ الزبير غداة يَذْعِر مبدرا ... أولى بغاية كل يوم وقاع
وأحق بالصبر الجميل من امرىء ... كَزٍّ أنامله قصير الباع
جَعْد اليدين على السماحة والندى ... وعن الضريبة فاحش مناع
كم يا عبيدالله عندك من دم ... يسعى ليدركه بقتلك ساع
ومعاشر أُنُفٍ أبحت حريمهم ... فرقتهم من بعد طول جماع
اذكر حسيناً وابن عروة هانئا ... وبني عقيل فارس المرباع

ومن قوله

كم بالدروب وأرض الروم من قدم ... ومن جماجم قتلى ما هم قبروا
ومن سرابيل أبطال مُضَرَّجة ... ساروا الى الموت ماخاموا ولا ذُعِرُوا
بقُنْدَهارَ ومن تُخْتَم منيته ... بقُنْدَهارَ يُرَجَّم دونه الخبر
أجد أهلك لا يأتيهمُ خبر ... منا ولا منهمُ عين ولا أثر
ولم تَكَلَّمْ قريش فى حليفهمُ ... اذ غاب أنصاره بالشام واحتضروا
لو أنني شهدتني حِمْيَرٌ غضبت ... اذاً فكان لها فيما جرى غير
رهط الأغرِّ شَراحيل بن ذى كُلَع ... ورهط ذى فائش ما مثلهم بشر

قولا لطلحة ما أغنت صحيفتكم ... وهل لجارك اذ أوردته صَدَر
فمن لنا بشقيق (١) أو بأسرته ... ومن لنا ببنى ذُهْل اذا خطَرُوا
همُ الذين سَمَوْا والخيل عابسة ... والناس عند زياد كلهم حذر
لولاهمُ كان سلَّام بمنزلتى ... أوْلَى لهم ثم أوْلَى بعد ما ظفِرُوا

وقال فى مقتل ابن زياد بالزَّاب

ان الذى عاش خَتَّاراً بذمته ... وعاش عبداً قتيل الله بالزاب
العبد للعبد لا أصل ولا طرَف ... أَلْوَتْ به ذاتُ أظفار وأنياب
ان المنايا اذا ما زُرْنَ طاغية ... هتكن عنه ستوراً بين أبواب
هلا جموع نِزَار اذ لقيتهمُ ... كنت امرأً من نِزَار غير مرتاب
لا أنت زاحمت عن ملك فتمنعه ... ولا مددت الى قوم بأسباب
ما شق جيب ولا ناحتك نائحة ... ولا بكتك جياد عند أسلاب

ومن قوله وفيه غناء

حى ذا الزَّوْرَ وانْهَهُ أن يعودا ... ان بالباب حارسين قعودا
من أساوير ما ينُونَ قياما ... وخلاخيل تُذْهِل المولودا
لا ذَعَرْت السَّوَامَ عن فلق الصبح مُغيراً ولا دُعيت يزيدا
يوم أعطى مخافة الموت ضيما ... والمنايا يَرْصُدْنَنِى أن أحيدا

وكان ابن مفرغ يهوى أناهيد بنت الأَعنق الدهقان، وكان لها أخوات أسماء والجمانة وأخرى فكان يذكرهن جميعاً فى شعره، فمن ذلك قوله في الجمانة

سقى برق الجمانة فاستطارا ... لعل البرق ذاك يحُور نارا
قعدت له العِشاء فهاج شوقى ... وذكرنى المنازل والديارا

(١) هو شقيق بن ثور الذهلى كان مقاتل بن مسمع حبس سلاما الرافعى لانه هجاه فخلصه شقيق

ديار للجمانة مقفرات بَلِينَ وَهِجْنَ للقلب ادِّكارا
فلم أملك دموع العين منى ولا النفس التى جاشت مرارا
بسُرَّق فالقرى من صهر باج فدير الراهب الطَّلَل القفارا
فقلت لصاحبى عرج قليلا نذاكر شوقنا الدرس البوارا
بآية ما غَدَوْا وهمُ جميع فكاد الصب ينتحر انتحارا
فقال بَكَوْا لفقدك منذحين زماناً ثم ان الحى سارا
بدِجْلة فاستمر بهم سفين يشق صدورها اللجج الغمارا
كأن لم أَغْنَ فى العرصات منها ولم أذعر بقاعتها صوارا
ولم أسمع غناء من خليل وصوت مقرطَق خلع العذارا

ومن شعره يمدح عبيد الله بن أبى بكرة

يسائلنى أهل العراق عن الندى فقلت عبيد الله حلف المكارم
فتى حاتمى فى سِجِسْتانَ رحله وحسبك جوداً أن يكون كحاتم
سما لينال المكرمات فنالها بشَدَّة ضِرْغام وبذل الدراهم
وحلمٍ اذا ما سَوْرَةُ الحق أَطْلَقَتْ حُبا القوم عند الفادح المتفاقم
وأن له في كل حى صنيعةً يحدثها الركبان أهلَ المواسم
دعانى اليه جودُهُ ووفاؤُه ومن دون مَسراه عداة الأَعاجم
فلم أبنِ الاجمعة فى جواره ويومين حَلَّا من أَلِيَّة آثم
الى أن دعانى زانه الله بالعلا فأنبت ريشى من صميم القوادم
وقال اذا ما شئت يا ابن مُفَرِّغ فعد عودة ليست كأَضغاث حالم
فقلت له لا يُبْعِد الله داره أعود اذا ما جئتكم غير حاشم
وأحمدت وردى اذوردت حياضه وكل كريم نُهْزَة للأَكارم

فأصبح لا يرجو العراقُ وأهلُه سواه لنفع أو لدفع العظائم
وان عبيد الله هنأ وفده سراحاً وأعطى رفده غير نائم

ومن قوله فيه

لو شئت لم تَعْنَ ولم تَنْصَبَ عشت بأسباب أبى حاتم
عشت بأسباب الجواد الذى لا يختم الأموال بالخاتم
من كف بُهْلُول له غُرَّة ما ان لمن عاداه من عاصم
المطعم الناس اذا حاردت نكباؤها فى الزمن العارم
والفاصل الخطة يوم اللجا للأمر عند الكربة اللازم
جاورته حيناً فأحمدته أثنى وما الحامد كاللائم
كم من عدو شامت كاشح أخزيته يوماً ومن ظالم
أذقته الموت على غرة بأبيض ذى رونق صارم

السيد الحميرى

هو اسمعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى والسيد لقبه ويكني أبا هاشم ، كان شاعراً متقدماً مطبوعاً ، يقال ان أكثر الناس شعراً فى الجاهلية والاسلام ثلاثة ، بَشّار وأبو العتاهية والسيد ، فانه لا يعلم ان أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع ، وانما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُفْرِط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحومى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفاً وتراقباً ، وله طِراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه ، ولا يعرف له من الشعر كثير ، وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم ، ولو أن أخباره كلها تجرى هذا المجرى ولا تخرج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئاً

ولكنا شرطنا أن نأتى بأخبار من نذكره من الشعراء فلم نجد بداً من ذكر أسلم ما وجدناه له وأخلاها من سيىء اختياره على قلة ذلك

قال أبو جعفر الأعرج ، كان السيد أسمر تام القامة أشنب ذا وَفْرة ، حسن الألفاظ جميل الخطاب ، اذا تحدث فى مجلس قوم أعطى كل رجل فى المجلس نصيبه من حديثه ، وقال الفرزدق ان ههنا لرجلين لو أخذا فى معنى الناس لما كنا معهما فى شيء ، السيد الحميرى وعِمْران بن بن حِطّان السَّدوسى ، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول فى مذهبه ، وقال الأصمعى لما أنشد شيئاً من شعره ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ، ولولا ما فى شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقته ، وكان أبو عبيدة يقول أشعر المحدثين السيد الحميرى وبشار

وكان السيد يذهب مذهب الكيسانية ويقول بامامة محمد بن الحنفية وله فى ذلك شعر كثير

وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال

أيها المادح العباد ليعطى ... ان لله ما بأيدى العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم ... وارج نفع المنزل العواد
لاتقل فى الجواد ما ليس فيه ... وتسمى البخيل باسم الجواد

قال بشار من هذا ؟ فعرفه ، فقال لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا فى مذهبنا لتعبنا .

ومن قول السيد

أتعرف رسماً بالثَّوِيين قد دَثَر ... عفته أهاضيبُ السحائب والمطر
وجرّت به الأذيالَ رِيحان خِلْفة ... صَبَاً ودَبوراً بالعشيات والبُكَر
منازل قد كانت تكون بجوها ... هضيم الحشى رِيَّا الشَّوى سحرها النظر
قَطوف الخُطَى خَمْصانة بَخْتَرِية ... كأن مُحياها سَنَادارة القمر

رمتني ببعد بعد قرب بها النوى فبانت ولما أقض من عَبْدة الوطر
ولما رأتني خشية البين موجعا أكفكف مني أدمعاً بيضها دُرَر
أشارت بأطرافٍ إليَّ ودمعها كمنظم جُمان خانه السلك فانتثر
وقد كنت مما أحدث البين حاذرا فلم يُغْنِ عني منه خوفيَ والحذر

لما استقام الأمر لبنى العباس قام السيد الى أبى العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال

دونكُموها يا بنى هاشم فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها لاعلا كعب من كان عليكم ملكها نافسا
دونكموها فالْبَسوا تاجها لا تَعْدَموا منكم له لابسا
لو خير المنبر فرسانَه ما اختار الا منكم فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولست من أن تملكوها الى مهبط عيسى فيكم آيسا

أنشد السيد جعفر بن محمد قوله

أُمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية
آأعظماً لا زلت من وَطْفَاء ساكبة رَوِيَّة
واذا مررت بقبره فأَطِلْ به وقف المطية
وابك المطهر للمطهر والمطهرة النقية
كبكاء مُعْوِلة أتت يوماً لواحدها المنية

فانحدرت دموع جعفر على خديه وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتى أمره بالامساك فأمسك

ومن قول السيد فى إمامة ابن الحنفية

ألا يا أيها الجَدِل المعنَّى لنا ما نحن ويحك والعناء

أتبصر ما تقول وأنت كهل ... تراك عليك من ورع رداء
ألا ان الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
عليٌّ والثلاثة من بنيه (١) ... هم أسباطه والأوصياء
فأنّى في وصيته اليهم ... يكون الشك منا والمراء
بهم أوصاهمُ ودعا اليه ... جميع الخلق لو سمع الدعاء
فسبط سبط ايمان وحلم ... وسبط غيبته كربلاء
سقى جدثاً تضمنه مُلِثٌّ ... هتُوف الرعد مرتجز رِواء
تظلّ مظلة منها عزالٍ (٢) ... عليه وتغتدى أخرى ملاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقودَ الخيل يَقْدُمها اللواء
من البيت المحجب فى سَرَاةٍ ... شُرَاة لف بينهم الاخاء
عصائب ليس دون أغرَّ أجلى ... بمكة قائم لهم انتهاء

وأنشد العتبى قصيدته اللامية التى أولها

هل عند من أحببت تنويل ... أم لا فان اللوم تضليل
أم فى الحشى منك جوًى باطل ... ليس تداويه الأباطيل
عُلِّقت يا مغرور خداعة ... بالوعد منها لك تخييل
رَيَّا رَدَاح النوم خمصانة ... كأنها أدماء عُطْبول
يشفيك منها حين تخلو بها ... ضم الى النحر وتقبيل
وذوق ريق طيب طعمه ... كأنه بالمسك معلول
فى نسوة مثل المها خُرَّد ... تضيق عنهن الخلاخيل

(١) هم الحسن والحسين ومحمد
(٢) العزلاء مصب الماء من الراوية ونحوها ويقال أنزلت السماء عزاليها اشارة الى شدة وقوع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادات

يقول فيها

أُقسم بالله وآلائه والمرء عما قال مسئول
ان عليّ بن أبي طالب على التقى والبر مجبول

فقال أحسن والله ما شاء هذا والله الشعر الذى يهجم على القلب بلا حجاب

قيل للسيد مالك لا تستعمل فى شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال لأن أقول شعراً قريباً من القلوب يَلَذّه من سمعه خير من أن أقول شيئاً معقداً تضل فيه الأوهام

تقدم السيد الى سَوّار القاضى ليشهد عنده فلم يرض به ، فقام مغضباً من مجلسه وكتب رقعة يقول فيها

يا أمين الله يامنصور ياخير الولاة
ان سَوّار بن عبدالله من شر القضاة
نَعْتَلِي جَمَلَي لكمُ غير مُوات
جده سارق عنز فجرة من فجرات
لرسول الله والقا ذفه بالمنكرات
وابن من كان ينادى من وراء الحجرات
يا هناةُ اخرج الينا اننا أهل هنات
مدحنا المدح ومن نر م يصب بالزفرات
فاكفنيه لاكفاه الله شر الطارقات

فلما قرأها سوار وثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل بالجسر فسبقه السيد اليه فأنشده

قل للامام الذى ينجى بطاعته يوم القيامة من بُحْبوحة النار

لا تستعن وجزاك الله صالحة ... يا خير من دب فى حكم بسوّار
لا تستعن بخبيث الرأى ذى صلف ... جمّ العيوب عظيم الكبر جبار
تُضحى الخصوم لديه من تجبره ... لا يرفعون اليه لحظ أبصار
تيهاً وكبراً ولولا ما رفعت له ... من ضبعه كان عين الجائع العارى

ودخل سوار فلما رآه المنصور تبسم ، وقال أما بلغك خبر اياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد فى الشهود فما أحوجك للتعرض للسيد ولسانه ؟ ثم أمر السيد بمصالحته

دخل السيد على المهدى لما بايع لا بنيه موسى وهارون فأنشأ يقول

ما بال مجرى دمعك الساجم ... أمن قذًى بات بها لازم
أم من هوى أنت له ساهر ... صبابة من قلبك الهائم
آليت لا أمدح ذا نائل ... من معشر غير بني هاشم
أوليتهم عندى يد المصطفى ... ذى الفضل والمن أبى القاسم
فانها بيضاء محمودة ... جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبى جعفر ... خليفة الرحمن والقائم
وطاعة المهدى ثم ابنه ... موسى على ذى الاربة الحازم
وللرشيد الرابع المرتضى ... مفترض من حقه اللازم
ملكهم خمسون معدودة ... برغم أنف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقوا غيرهم ... فى هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها الى هابط ... عليه عيسى منهم ناجم

ومن شعر السيد وفيه غناء

ما جرت خطرة على القلب مني ... فيك الا استترت عن أصحابى

من دموع تجرى فان كنت وحدى خالياً أسعدت دموعى انتحابى
ان حبى اياك قد سل جسمى ورمانى بالشيب قبل الشباب
لو منحت اللقا شفى يلك صباً هائم القلب قد ثوى فى التراب

قدم السيد الأهواز وأبو بجير بن سماك الأسدى يتولاها ، وكان له صديقاً ، وكان لأبى بجير مولى يقال له يزيد بن مذعور يحفظ شعر السيد ينشده أبا بجير ، وكان أبو بجير يتشيع ، فذهب السيد الى قوم من اخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرب عندهم ، فلما أمسى انصرف فأخذه العسس فحبس ، فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها الى يزيد بن مذعور ، فدخل على أبى بجير ، وقال له قد جنى عليك صاحب عسسك ما لا قوام لك به ، قال وما ذلك ؟ قال اسمع هذه الأبيات كتبها السيد من الحبس فأنشده

قف بالديار وحيها يا مربع واسأل وكيف يجيب من لا يسمع
ان الديار خلت وليس بجوها الا الضوابح والحمام الوقّع
ولقد تكون بها أوانس كالدمى جمل وعزة والرباب وبروع
حور نواعم لا ترى فى مثلها أمثالهن من الصيانة أربع
فعرين بعد تألف وتجمع والدهر صاح مشتت ما تجمع
فاسلم فانك قد نزلت بمنزل عند الأمير تضر فيه وتنفع
تؤتى هواك اذا نطقت بحاجة فيه وتشفع عنده فتشفع
قل للأمير اذا ظفرت بخلوة منه ولم يك عنده من يسمع
هب لى الذى أحببته فى أحمد وبنيه انك حاصد ما تزرع
يختص آل محمد بمحبة فى الصدر قد طويت عليها الأضلع

ملك رجل موسر مالاً وخلف ابناً له فورثه ماله وأتلفه بالاسراف ، وأقبل على الفساد واللهو ، وقد تزوج امرأة تسمى ليلى ، واجتمع على السيد وكان من أظرف

الناس ، وكان الفتى لا يصبر عنه وأنفق عليه مالاً كثيراً ، وكانت ليلى تعذله على اسرافه وتقول له كأنى بك قد افتقرت فلم يُغْنِ عنك شيئاً ، فهجاها السيد وكان مما قال فيها

أقول يا ليت ليلى فى يدى حنَقٍ ... من العداوة من أعدى أعاديها
يعلو بها فوق رَعْن[1] ثم يحدرها ... فى هوَّة فتَدَهْدَى يومها فيها
أوليتها فى غمار البحر قد عصفت ... فيه الرياح فهاجت من أواذيها[2]
أوليتها قد دنت يوماً الى فرسى ... قد شُـدَّ منه الى هاديه هاديها
حتى يرى لحمها من حُضره زِيَما[3] ... وقد أتى القومَ بعد الموت ناعيها
فمن بكاها فلا جفت مدامعه ... لا أسخن الله الا عين باكيها

اجتمع السيد والعبدى فأنشد السيد

انى أدين بما دان الوصى به ... يوم الحُدَيبة من قتل المحِلِّينا
وبالذى دان يوم النَّهروان به ... وشاركت كفه كفى بصِفِّينا

فقال العبدى أخطأت لو شاركت كفك كفه كنت مثله ولكن قل تابعت كفه لتكون تابعاً لا شريكاً ، وكان السيد بعد ذلك يقول أنا أشعر الناس الا العبدى

بلغ السيد وهو بالاهواز أن أبا بُجَيْر قد أشرف على الموت فأظهرت المُرْجِئة الشماتة به ، فخرج السيد متحرقاً حتى اكترى سفينة وخرج اليها وأنشأ يقول

تباشر أهل هُرْمُز اذ أتاهم ... بأمر أميرنا لهمُ بشـــير
ولا لأميرنا ذنب اليهم ... صغير فى الحياة ولا كبير

(١) الرعن أنف يتقدم الجبل جمعه رعون ورعان والجبل الطويل ودهدى الحجر فتدهدى أى دحرجه فتدحرج (٢) الاواذى أمواج البحر مفرده آذى (٣) الزيم المتفرق من اللحم

سوى حب النبي وأقربيه ومولاهم بجهم جدير
وقالوا لى لكيما يحزنونى ولكن قولهم افك وزور
لقد أمسى أخوك أبو بجير بمنزلة يزار ولا يزور
وظلت شيعة الهادى عليّ كأن الأرض تحتهم تمور
فبتُّ كأنني مما رموْنى به فى قِدِّ ذى حلق أسير
وان مدامعي وجفون عيني لتوخز بالقتاد فهن عور
أقول عليَّ للرحمن نذر صحيح حيث تحتبس النذور
بمكة ان لقيت أبا بجير صحيحاً واللواء له يسير

وهى قصيدة طويلة ، مات السيد بواسط ودفن بها وقيل ببغداد

تذاكر جماعة أمر السيد وأنه رجع عن مذهبه فى ابن الحنفية وقال بامامة جعفر بن محمد ، فقال اسمعيل بن الساحر راويته والله مارجع عن ذلك ولا القصائد الجعفريات الا منحولة له قيلت بعده وآخر عهدى به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعليّ عليه السلام انه سيولد لك بعدي ولد وقد نحلته اسمي وكنيتي ، فقال فى ذلك وهى آخر قصيدة قالها

أشاقتك المنازل بعد هند وتربيها وذات الدَّلِّ دَعْد
منازل أقفرت منهن مُحَّت معالمهن من سيل ورعد
وريح حرجف تستنُّ فيها بسافى التُّرب تُلحم ما تُسَدِّى
ألم يبلغك والأنباء تنمى مقالُ محمد فيما يؤدى
الى ذى علمه الهادى عليّ وخَوْلة خادم فى البيت تردى
ألم تَرَ أن خَوْلة سوف تأتى بوارى الزند صافي الخيم نَجْد
يفوز بكنيتي واسمي لاني نحلتهما هو المهدى بعدى

يُغَيَّب عنهم حتى يقولوا تضمنه بطَيْبة بطن لحد
سنين وأشهراً ويُرَى برَضْوَى بشِعب بين أنمار وأسد
مقيم بين آرام وعين وحَفَّان[1] تروح خلال رُبْد
تراعيها السباع وليس منها ملاقيهن مفترساً بحد
أَمِنَّ به فرتعن طوراً بلا خوف لدى مَرْعَى وورْد
حلفت برب مكة والمصلَّى وبيت طاهر الأركان فَرْد
يطوف به الحجيج وكل عام يحل لديه وفد بعد وفد
لقد كان ابن خَوْلة غير شك صفاء ولايتى وخلوص ودى
فما أحد أحب إليَّ فيما أُسِرُّ وما أبوح به وابْدِي
سوى ذى الوحى أحمد أوعلي ولا أزكى وأطيب منه عندى
ومن ذا يا ابن خَوْلة اذ رمتنى بأسهمها المنية حين وعدى
يُذَبِّب عنكم ويسد مما تثلَّم من حصونكمُ كسدِّى
ومالي أن أمُرّ به ولكن أؤمل أن يؤخر يوم فقدى
فأدرك دولة لك لستَ فيها بجبار فتوصف بالتعدى
على قوم بغَوْا فيكم علينا لتعدى منكمُ ياخير مُعْد
لتَعْلُ بنا عليهم حيث كانوا بغور من تهامة أو بنجد
اذا ما سرت من بلد حرام الى من بالمدينة من مَعَدّ
وماذا عزهم والخير منهم بأَشْوَسَ أعضل الانياب وَرْد
وأنت لمن بغى وعدا وأذكى عليك الحرب واستردك مُرْد

(١) الحفان صغار النعام

وضاح اليمن

هو عبد الرحمن بن اسمعيل بن عبد كلال بن داذ بن أبي جمد من آل خولان ابن عمرو من حمير ، ووضاح لقب غلب عليه لجماله

مات أبوه وهو طفل فانتقلت أمه الى أهلها وانقضت عدتها فتزوجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس ، وشب وضاح فى حجر زوج أمه فجاء عمه وجدته أم أبيه ومعهم جماعة من أهل بيته من حمير يطلبونه فادعى زوج أمه أنه ولده ، فحاكموه فيه وأقاموا البينة انه ولد على فراش اسمعيل بن عبد كلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، ثم مسح يده على رأسه وأعجبه جماله ، وقال له اذهب فأنت وضاح اليمن لامن أتباع ذى يزن « يعنى الفرس الذين قدم بهم ابن ذى يزن لنصرته » فعلقت به هذه الكلمة منذ يومئذ فلقب وضاح اليمن ، وكانت أم داذ بن أبى جمد جدة وضاح كندية فلذلك حيث يقول فى بنات عمه

ان قلبي معلق بنساء واضحات الخدود لسن بهجن
من بنات الكريم داذ وفى كنـــدة ينسبن من أباة اللعن

وقال أيضاً يفتخر بجده أبى جمد

بنى لي اسمعيل مجداً مؤثلا وعبد كلال بعده وأبو جمد

قال هشام الكلبى كان وضاح اليمن والمقنع الكندى وأبو زبيد الطائى يردون مواسم العرب مقنعين ، يسترون وجوههم خوفاً من العين وحذراً على أنفسهم من النساء لجمالهم

هوى امرأة من بنات الفرس يقال لها روضة ، فذهبت به كل مذهب ، وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها وعاتبه أهله وعشيرته فقال فى ذلك

يأيها القلب بعضَ ماتجد قد يَعْشَق المرء ثم يتئد
قد يكتم المرء حبه حِقَبا وهو عميد وقلبه كَمِد
ماذا تريدين من فتى غَزِل قد شفّه السقم فيك والسَّهَد
تهدّدونى كيما أخافهمُ هيهات أنّى يهدد الأسد

ومن قوله فيها

يا روضة الوضّاح قد عَنَّيت وضاح اليمن
فاسق خليلك من شرا ب لم يكدره الدَّرَن
الريح ريح سفرجل والطعم طعم سُلاف دَنّ
انى تهيجنى اليك حمامتان على فنَن
الزوج يدعو إلفه فتطاعما حب السَّكَن
لا خير فى بث الحديث ولا الجليس اذا فَطِن
فاعصى الوشاة فانما قول الوشاة هو الغَبَن
ان الوشاة اذا أتَوْ ك تنصحوا ونَهَوْك عن
دست حبيبة مَوْهِنا انى وعيشك يا سَكَن
أبلغت عنك تبدلا وأتى بذلك مؤتمن
وظننت انك قد فعلـ ـت فكدت من حَزَن اجن
ذَرَفت دموعى ثم قلـ ـت بمَنْ يبادلنى بمَنْ
اسكت فلست مصدقا ما كان يفعل ذا أظن
انى وجدك لو رأيـ ـت خليلنا ذاك الحسن
يجفوه ثم يحبنا والله مت من الحَزَن
اخبره اما جئته ان الفؤاد به يُجَن

أبغضت فيه أحبتى وقلَيْت أهلى والوطن
أتركتنى حتى اذا علّقت أبيض كالشطَن
أنشأت تطلب وصلنا فى الصيف ضيعت اللبن
لو قيل يا وضاح قم فاختر لنفسك أو تمَنّ
لم أعْدُ روضة والذى ساق الحجيجُ له البُدُن

ومما قال فيها

أيا روضة الوضاح يا خير روضة لأهلك لو جادوا علينا بمنزل
رهينك وضاح ذهبت بعقله فان شئت فاحييه وان شئت فاقتلى
وتوقد حينا باليَلَنْجُوج (١) نارها وتوقد أحيانا بمسك ومَنْدل

ومنها

يا روضَ جيرانكم الباكر فالقلب لا لاه ولا صابر
قالت ألا لا تلجَن دارنا ان أبانا رجل غائر
قلت فانى طالبٌ غِرّة منه وسيفى صارم باتر
قالت فان القصر من دوننا قلت فانى فوقه ظاهر
قالت فان البحر من دوننا قلت فانى سابح ماهر
قالت فحولى اخوة سبعة قلت فانى غالب قاهر
قالت فليث رابض بيننا قلت فانى أسد عاقر
قالت فان الله من فوقنا قلت فربى راحم غافر
قالت لقد أعييتنا حجة فأْتِ اذا ما هجع السامر
فاسقُطْ علينا كسقوط الندى ليلة لا ناهٍ ولا زاجر

(١) عود البخور والمندل العود وقيل أجوده

وقال فيها وهو بالشام

أبت بالشام نفسى أن تطيبا ... تذكرت المنازل والحبيبا
تذكرت المنازل من شَعوب[1] ... وحياً أصبحوا قطعاً شُعوبا
سَبَوْا قلبى فحل بحيث حلوا ... ويُعْظِم ان دعَوْا ألاَّ يجيبا
ألا ليت الرياح لنا رسول ... اليكم ان شَمالاً أو جنوبا
فتأتيكم بما قلنا سريعاً ... ويبلغنا الذى قلتم قريبا
ألا ياروض قد عذبت قلبى ... فأصبح من تذكركم كئيبا
ورققني هواك وكنت جَلْدَا ... وأبدى فى مفارقى المشيبا
أمايُنسيك روضة شَحْط دار ... ولا قرب اذا كانت قريبا

ومن قوله فيها

طرب الفؤاد لطَيْف روضة غاشى ... والقوم بين أباطح وعشاش
أنَّى اهتديتَ ودون أرضك سَبْسَب ... قَفْر وحَزْن فى دجَى ورَشاش
قالت تكاليف المحب كلفتها ... ان المحب اذا أخيف لماشى
أدعوك روضة رَحْبَ واسمك غيره ... شفقاً وأخشى أن يشي بك واش
قالت فزرنا قلت كيف أزوركم ... وأنا امرؤ لخروج سرك خاشى
قالت فكن لعمومتي سلما معاً ... والطُفْ لاخوتيَ الذين تحاشى
فتزورنا معهم زيارة آمن ... والسر ياوضاح ليس بفاشى
ولقيتها تمشي بأبطح مرة ... بخلاخل وبحُلَّة أكْياش[2]
فظَلِلْت معموداً وبت مسهداً ... ودموع عيني فى الرداء غواشى
ياروض حبك سل جسمى وانتحى ... فى العظم حتى قد بلغت مُشاشى[3]

(١) قصر باليمن معروف بالارتفاع (٢) حلة أكياش من برود اليمن
(٣) المشاش رؤوس العظام

وقال فيها

طرق الخيال فمرحباً سهلاً ... بخيال من أهدى لنا الوصلا
وسرى إليَّ ودون منزله ... خمس دوائم تُعمل الأسلا
يا حبذا من زار مُعْتَسِفاً ... حَزْن البلاد إليَّ والسهلا
حتى ألمَّ بنا فبت به ... أغنى الخلائق كلهم شَمْلا
والله مالي عنك منصرف ... الا اليك فأجملي الفعلا

وقال فيها

يا لقومي لكثرة العذال ... ولطيف سرى مليح الدلال
زائر في قصور صنعاء يَسْرى ... كل أرض مخوفة وجبال
يقطع الحَزْن والمهامه والبعد ... ومن دونه ثمان ليال
عاتب في المنام أحببْ بعُتبا ... ه الينا وقوله من مقال
قلت أهلاً ومرحباً عدد القطر ... وسهلاً بطيف هذا الخيال
حبذا من اذا خلونا نجيّاً ... قال أهلي لك الفداء ومالي
وهي الهم والمنى وهوى النفس ... اذا اعتل ذو هوًى باعتلال
قست ما كان قبلنا من هوى النا ... س فما قست حبها بمثال
لم أجد حبها يشاكله الحب ... ولا وجدنا كوجد الرجال
كل حب اذا استطال سيَبْلَى ... وهوى روضة المنى غير بال
لم يزده تقادم العهد الا ... جدّة عندنا وحسن احتلال
أيها العاذلون كيف عتابي ... بعد ما شاب مفرقي وقَذالي
كيف عذلي على التي هي مني ... بمكان اليمين أخت الشمال
والذي أحرموا له وأحلوا ... بمِنًى صبح عاشرات الليالي

ما ملكت الهوى ولا النفس منى ... منذ علقتها فكيف احتيالى
ان نأت كان نأيها الموت صرفاً ... أو دنت لي فثم يبدو خبالى
يا ابنة المالكي يا بهجة النفـــس أفى حبكم يحل اقتالى
أى ذنب علىَّ ان قلت انى ... لأحب الحجاز حب الزلال
لأحب الحجاز من حب من فيـــه وأهوى حلاله من حلال

ومما غنى فيه من شعره

أيها الناعب ماذا تقول ... فكلانا سائل ومسول
لا كساك الله ما عشت ريشا ... وبخوف بتَّ نمّ ثقيل
ثم لا أنقفت فى العشّ فرخا ... أبداً الا عليك دليل
حيث تنبى ان هندا قريب ... يبلغ الحاجات منها الرسول
ونأت هند فخبرت عنها ... ان عهد الود سوف يزول

ومنه

حى التى أقصى فؤادك حلّت ... علمت بأنك عاشق فأدلّت
واذا رأتك تقلقلت أحشاؤها ... شوقاً اليك فأكثرت وأقلت
واذا دخلت فأغلقت أبوابها ... عزم الغيور حجابها فاعتلت
واذا خرجت بكت عليك صبابة ... حتى تبل دموعها ما بلت
ان كنت يا وضاح زرت فمرحبا ... رحبت عليك بلادنا وأظلت

ومنها

أتعرف أطلالاً بميسرة اللوى ... الى أرعب قد حالفتك به الصبا

وفيها يقول

فأهلاً وسهلاً بالتى حل حبهـا ... فؤادى وحلت دار شحط من النوى

أبادر دُرْنوك (١) الامير وقربه ... لأذكر فى أهل الكرامة والنهى
وأتبع القُصّاص كل عشية ... رجاء ثواب الله فى عدد الخطا
وأمست بقصر يضرب الماء سوره ... وأصبحت فى صنعاء ألتمس الندى
فمن مبلغٌ عني سَماعة ناهيا ... فان شئت فاقطعنا كما يقطع السَّلى
وان شئت وصل الرَّحْم فى غير حيلة ... فعلنا وقلنا للذى تشتهى بلى
وان شئت صَرْما للتفرق والنوى ... فبعداً أدام الله تفرقة النوى

وهذه أبيات يقولها لأخيه سماعة وقد عتب عليه فى بعض الأمور ومنها

طرق الخيال فمرحبا ألْفا ... بالشاغفات قلوبنا شَغْفا
ولقد يقول لي الطبيب وما ... نبأته من شأننا حرفا
انى لأحسب ان داءك ذا ... من ذى دَمالج يخضِب الكفا
انى أنا الوضاح ان تصلى ... أحسن بك التشبيب والوصفا
شطت فشفّ القلب ذكرها ... ودنت فما بذلت لنا عُرْفا

ومنها

يا مرحباً ألفاً وألفاً ... بالكاسرات الى طَرْفا
رُجُح الروادف كالظبا ... ء تعرضت حُوّا ووُطْفا (٢)
أنكرن مركبى الحما ... ر وكن لا ينكرن طرْفا
وسألنني أين الشبا ... ب فقلت بان وكان حلفا
أفنى شبابى فانقضى ... حِلْف النساء تبعن حلفا
أعطيتهن مودتى ... فجزينني كذباً وخلفا

(١) الدرنوك والدرموك الطنفسه (٢) جمع وطفاء وهى كثيرة شعر الحاجبين والعينين

وقصائد مثل الرُّقَى أرسلتهن فكن شعفا
أوجعن كل منازل وعصفن بالغيران عصفا
من كل لذات الفتى قد نلت نائلة وعُرْفا
صِرْت الأوانس كالدُّمَى وسقيتهن الخمر صِرْفا

ومنها وهذه القصيدة تجمع نسيبه بمن ذكر وفخره بأبيه وجده أبي جمد

أغنى على بيضاء تنكل عن بَرَدْ وتمشى على هُونٍ كمشية ذى الحَرَد[1]
وتلبَس من بَزّ العراق مناصفا وأبراد عَصْب من مُهَلْهَلة الجَنَد[2]
اذا قلت يوماً نوليني تبسمت وقالت لعمر الله لو أنه اقتصد
سموت اليها بعد ما نام بعلها وقد وسدته الكف فى ليلة الصَّرَد
أشارت بطرف العين أهلاً ومرحبا ستُعطَى الذى تهوى على رغم من حسد
ألست ترى من حولنا من عدونا وكل غلام شامخ الأنف قد مرَد
فقلت لها انى امرؤ فاعلمينه اذا ما أخذت السيف لم أحفِل العدد
بنى لي اسمعيل مجداً مؤثلا وعبد كلال بعده وأبو جَمَد
تُطيف علينا قهوة فى زجاجة تُريك جبان القوم أمضى الأسد

ومنها

صدع البين والتفرق قلبى وتولت أم البنين بلبى
ثوت النفس فى الحمول لديها وتولى بالجسم منى صحبى
ولقد قلت والمدامع تجرى بدموع كأنها فَيْض غَرْب
جزعاً للفراق يوم تولت حسبى الله ذو المعارج حسبى

(١) حرد حرداً ثقل الدرع عليه فلم يقدر على الانبساط فى المشى
(٢) الجند مدينة باليمن من المدن النجدية

ومنها

يا ابنة الواحد جودى فما ... ان تصرمينى فيم أو لما
جودى علينا اليوم أو بينى ... فيمَ قتلتِ الرجل المسلما
انى وأيدى قُلَّص ضُمَّر ... وكل خرق ورد الموسما
ما عُلِّق القلب كتعليقها ... واضعة كفا علَت معصما
ورب محراب اذا جئتها ... لم ألقها أو أرتقى سلما
أخوتها أربعة كلهم ... ينفون عنها الفارس المعلما
كيف أُرَجيها ومن دونها ... بواب سَوْء يعجل المَشْتَما
أسود هتاك لأعراض من ... مر على الابواب أو سلّما
لا منة أعلم كانت لها ... عندى ولا تطلب فينا دما
بل هى لما أن رأت عاشقا ... صَبًّا رمته اليوم فيمن رمى
لما ارتمينا ورأت انها ... قد أنبتت في كفه أسهما
أعجبها ذاك فأبدت له ... سنّها البيضاء والمِعْصَما
قامت تراءى لي على قصرها ... بين جوار خُرَّد كالدُّمَى
وتعقد المِرْط على جَسْرة ... مثل كثيب الرمل أو أعظما

ومنها

دعاك من شوقك الدواعى ... وأنت وَضّاح ذو تباع
دعتك ميالة لَعوب ... أسيلة الخد باللِّماع
دلالك الحلو والمشهى ... وليس سِرِّيك بالمضاع
لا أمنع النفس من هواها ... وكل شيء الى انقطاع

ومنها

ألا ياقومى أطلقوا غل مرتهن ومنوا على مستشعر الهم والحزن
تذكر سلمى وهى نازحة فحن وهل تنفع الذكرى اذا اغترب الوطن
ألم ترها صفراء رُودًا شبابها أسيلة مجرى الدمع كالشادن الأغنّ
وأبصرت سلمى بين بُرْدى مراجل وأبراد عصب من مهلهلة اليمن
فقلت لها لا ترتقى السطح انى أخاف عليكم كل ذي لمة حسن

ومنها

أغدوت أم فى الرائحين تروح أم أنت من ذكر الحسان صحيح
اذ قالت الحسناء ما لصديقنا رَثّ الثياب وانه لمليح
لا تسألنَّ عن الثياب فانى يوم اللقاء على الكماة مُشبح
أرمى وأطعُن ثم أُتبع ضربة تَدَعُ النساء على الرجال تنوح

ومن قوله فى حَبابة جارية يزيد بن عبدالملك وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتصير اليه وسمع غناءها فأعجب بها إعجاباً شديدا

يا من لقلب لا يطيـــع الزاجرين ولا يفيقْ
تسلو قلوب ذوى الهوى وهو المكلف والمشوق
تَبَلت حَبَابةُ قلبـــه بالدَّل والشكل الأنيق
وبعين أحورَ ترتعى سقَط الكثيب من العقيق
مكحولة بالســحر تنشـــى نشوة الخمر العتيق
هَيْفاء ان هى أقبلت لاحت كطالعة الشروق
والردف مثل نقَى تلبَّـــد فهو زُحلوق زَلُوق
فى درة الأصداف معـــتنقاً بها رَدَع الخُلوق

داوى هواى وأطفئى ما فى الفؤاد من الحريق
وترفقى أمـــلى فقد كلفتنى مالا أطيق
فى القلب منك جوى المحبـــ وراحة الصب الشفيق
هـذا يقود برُمَّتى قَوْدا اليك وذا يسوق
يا نفس قد كلفتنى تعب الهوى منها فذوق
ان كنت تائقة لحـــر صبابة منها فتوق

مدح الوليد بن عبد الملك وهو يومئذ خليفة ووعدته أم البنين بنت عبدالعزيز ابن مَرْوان أن ترفده عنده وتقوى أمره فتقدم عليه وضاح وأنشده قوله فيه

صبا قلبي ومال اليك ميلا وأرَّقنى خيالك يا أُثَيْلا
يمانية تُلِمّ بنـا فتبْدى رقيق محاسن وتكنّ غَيْلا(١)
وعينًا ما أمت بنات نَعْش من الطيْف الذى يتتاب ليلا
ولـكن ان أردت فصبحينا اذا أمَّت ركائبنا سُهَيْلا
فانك لو رأيت الخيل تعدو سِراعًا يتخذن النَّقْع ذيلا
اذا لرأيت فوق الخيل أُسْدا تُفيد مغانمًا وتفيـد نَيْلا
اذا سار الوليد بنا وسرنا الى خيل نَلُفُّ بهن خيلا
وندخل بالسرور ديار قوم ونُعْقب آخرين أذًى وويلا

ومن قوله فيه

ما بال عينك لا تنام كأنما طلب الطبيب بها قَذًى فأضلَّه
بل ما لقلبك لا يزال كأنه نشوان أنهله النديم وعلَّه
ما كنت أحسب أن أبيت ببلدة وأخى بأخرى لا أحل محله

(١) الغيل الساعد الريان الممتلىء

كنا لعمرك يا عمير بغبطة ... مع ما نحب مبيته ومظله
فأرى الذى كنا وكان بغرة ... نلهو بغرته ونهوى دلّه
كالطَّيْف وافق ذا هوى فلها به ... حتى اذا ذهب الرقاد أضله
قل للذى شعف البلاء فؤاده ... لا تهلكن أخاً فربّ أخ له
والق ابن مَرْوان الذى قد هزه ... عرق المكارم والندى فأقلّه
واشكُ الذى لاقيته من دونه ... وانشر اليه داء قلبك كله
فعلى ابن مَرْوان السلام من امرئ ... أمسى يذوق من الرقاد أقله
شوقاً اليك فما تنالك حاله ... واذا يحل الباب لم يؤذن له
فاليك أعملت المطايا ضُمَّرًا ... وقطعت أرواح الشتاء وظله
ولياليا لو أن حاضر بثّها ... طرف القضيب أصابه لأشله

وكان وضاح بدمشق ينزل على أُم البنين زوج الوليد فمرضت فقال في علتها

حتام نكتم حزننا حتاما ... وعلام نستبقى الدموع علاما
ان الذى بى قد تفاقم واعتلى ... ونما وزاد وأورث الاسقاما
قد أصبحت أُم البنين مريضة ... نخشى ونُشفق أن يكون حِماما
يارب أمتعنى بطول بقائها ... واجبر بها الأرمال والأيتاما
واجبر بها الرجل الغريب بأرضها ... قد فارق الأخوال والأعماما
كم راغبين وراهبين وبؤّس ... عُصموا بقرب جنابها اعصاما
بجناب طاهرة الثنا محمودة ... لا يستطاع كلامها اعظاما

ومن قوله

ترحل وضاح وأسبل بعد ما ... تكهل حيناً في الكهول وما اختلم
وعلّق بيضاء العوارض طفلة ... مخضبة الأطراف طيبة النسم

اذا قلت يوماً نوليني تبسمت وقالت مَعاذَ الله من فعل ما حَرُم
فما نوَّلَتْ حتى تضرعت عندها وأعلمتها ما رخص الله فى اللمَم

ولما كان مقيماً بدمشق ورد عليه نعى أخيه وأبيه فقال يرثيهما

أراعك طائر بعد الخُفوق بفاجعة مُشَنَّعة الطُّروق
نعم ولها على رجل عميد أَظَلُّ كأنني شَرِق بريق
كأنى اذ علمت بها هُدُوًّا هوت بى عاصف من رأس نيق (١)
اعَلُّ بزَفْرة من بعد أخرى لها فى القلب حَرٌّ كالحريق
ويردف عَبرة تَهْتانُ أخرى كفائض غَرْب نَضَّاح فتيق
كأنى اذ أُكفكف دمع عينى وأنهاها أقول لها هَرِيق
الا تلك الحوادث غبت عنها بأرض الشام كالفرد الغريق
فما أنفك أنظر فى كتاب تدارى النفس عنه هوى زَهوق
يخبر عن وفاة أخ كريم بعيد الغَوْر نقاع طليق
وقَرْم يُعْرِض الخصماء عنه كما حاد البكار عن الفَنيق (٢)
كريم يملأ الشِّيزَى (٣) ويَقْرِى اذا ما قل ايماض البروق
وأعظم ما رميت به فجوعاً كتاب جاء من فَجٍّ عميق
يخبر عن وفاة أخ فصبراً تنجز وعدَ منان صدوق
سأصبر للقضاء فكل حى سيلقى سكرة الموت المذوق
فما الدنيا بقائمة وفيها من الأحياء ذو عين رَموق
وللأحياء أيام تقضى يَلُفُّ ختامها سوقاً يسوق
فأغناهم كأعدمهم اذا ما تقضت مدة العيش الرقيق

(١) النيق أرفع موضع فى الجبل (٢) الفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب (٣) الشيزى خشب أسود تعمل منه القصاع والامشاط وقد يطلق على مايصنع من ذلك فيقال للجفان شيزى

كذلك يبعثون وهم فُرادى ليوم فيه توفية الحقوق
أبعد هُمام قومك ذى الأيادى أبى الوضاح رَتَّاق الفتوق
وبعد عُبَيدة المحمود فيهم وبعد سَماعة العَوْد العتيق
وبعد ابن المفضل وابن كاف هما أخواك فى الزمن الأنيق
تؤمل أن تعيش قرير عين وأنت امام طلاب اللحوق
ودنياك التى أمسيت فيها مزايلة الشقيق عن الشقيق

وقال من قصيدة يرثيهم

مالك وضاح دائمَ الغزل ألست تخشى تقارب الأجل
صلّ لذى العرش واتخذ قدَما تنجيك يوم العثار والزلل
يا موت ما ان تزال معترضا لآمل دون منتهى الأمل
لو كان فر منك منفلتا اذاً لأسرعت رحلة الجمل
لكن كفيك نال طولهما ما كلّ عنه نجائب الابل
تنال كفاك كل مسهلة وصَوْتَ بحر ومعقل الوَعِل
لولا حِذارى من الحتوف فقد أصبحت من خوفها على وجل
لكنت للقلب فى الهوى تبعا ان هواه ربائب الحَجَل
حرْمية تسكن الحجاز لها شيخ غيور يعتل بالعلل
علق قلبى ربيب بنت ملو ك ذات قرطين وَعْثة الكَفَل
تفتّر عن منطق تضن به يجرى رُضابا كذائب العسل

حجت أم البنين فأرسلت الى كثير والى وضاح اليمن أن انسابى ، فهاب ذلك كثير ونسب بجاريتها غاضرة ، وأما وضاح فنسب بها ، فبلغ ذلك الوليد فطلبه فقتله

شعراء قضاعة

مرة بن عبد الله النهدى

من نهد ثم من قضاعة

كان يهوى بنت عمه ليلى بنت زهير واشتد شغفه بها ، فخطبها وأبوا أن يزوجوه ، فتزوجها المنجاب بن عبدالله النهدى ، فخرج الى البعث براذان ، وهى اذ ذاك مسلحة لأهل الكوفة ، فخرج بها معه فماتت براذان ودفنت هناك ، فلما بلغه نعيها من رجلين من بجيلة قال

أيا ناعِيَىْ ليلى أما كان واحد ... من الناس ينعاها الىَّ سوا كما
ويا ناعي ليلى ألم تك جيرة ... نَدَامَىَ ذوى حق فألا نهاكما
ويا ناعي ليلى لقد هجتما لنا ... تجاوُبَ نَوْح في الديار كلاكما
ويا ناعي ليلى لَجَلَّت مصيبة ... بنا فقد ليلى لا أُمِرّت قواكما
ولا عشتما الا حليفى بليـة ... ولا مت حتى يشترى كفنا كما
فأشمت والأيام فيها بوائق ... بموتـكما انى أحب ردا كما

وقال فيها أيضاً

كأنك لم تفجع بشىء تعده ... ولم تصطبر للنائبات من الدهر
ولم ترَ بؤساً بعد طول غَضَـارة ... ولم ترْمِكَ الأيام من حيث لا تدرى
سقى جانبى راذان والساحة التى ... بها دفنوا ليلى مُلِثٌّ من القطر
ولازال خِضْب حيث حلت عظامها ... براذان يسقى الغيث من هَطِلٍ غَمْر
وان لم تـكلمنا عظام وهامـة ... هناك وأصداء بقين مع الصخر

وقال فيها

أيا بيت ليلى ان ليلى مريضة ... براذان لا خال لديها ولا عَمَم
ويا بيت ليلى لو شهدتك أعولت ... عليك رجال من فصيح ومن عجم
ويا بيت ليلى لا يبست ولا تزل ... بلادك سقياها من الواكف الدِّيم
ويا قبر ليلى غيبت عنك أمها ... وخالتها والناصحون ذوو الذمم
ويا قبر ليلى كم جمال تكنه ... وكم ضم فيك من عفاف ومن كرم

هواسى بن قطنة العذرى

أحد بني الأحب رهط بُدَيْنَة وهو ابن عمها دِنْية ، كان شريفاً فى قومه شاعراً

كان يهاجى جميلاً فبلغه ان مروان بن الحكم توعده ان هاجى جميلاً فقال

لست بعبد للمطايا أسوقها ... ولكنني أرمى بهن الفيافيا
أتانى عن مرْوان بالغيب انه ... مبيح دمى أو قاطع من لسانيا
وفى الأرض منْجاة وفسحة مذهب ... اذا نحن رقمنا لهن المثانيا

وقال يرثى علقمة بن مُحَرِّز الكنانى

ان السلام وحسن كل تحية ... تغدو على ابن محرز وتروح
فاذا تجرد حافراك وأصبحت ... فى الفجر نائحة عليك تنوح
وتخيروا لك من جياد ثيابهم ... كفناً عليك من البياض يلوح
فهناك لا تغنى مودة ناصح ... حذراً عليك اذا يُسَدّ ضَريح
هلا فدى ابن محرز متفحش ... شَنِج اليدين على العطاء شحيح
متبرع ورع وليس بماجد ... متملج وحديثه مقبوح

عروة بن حزام

هو عروة بن حزام بن مهاصر العُذْرى من عُذْرة بن زَيْد

شاعر اسلامى أحد المتيمين الذين قتلهم الهوى ، لايعرف له شعر الا فى عَفْراء بنت عمه عِقال بن مهاصر وتشبيبه بها

وكان من حديثهما أن حزاماً هلك وترك ابنه عروة صغيراً فى حِجْرِ عمه عقال ، وكانت عَفْراء تِرْبا لعروة ، يلعبان جميعاً ويكونان معاً حتى تألف كل واحد منهما صاحبه الفاً شديداً ، وكان عقال يقول لعروة لما يرى من الفهما أبشر فان عفراء أمتك ان شاء الله ، فكانا كذلك حتى لحقت عفراء بالنساء ولحق عروة بالرجال ، فأتى عروة عمة له يقال لها هند وقال لها في بعض ما يقول ياعمة انى لمكلمك وانى منك لمستحى ولكن لم أفعل هذا حتى ضقت ذرعاً بما أنا فيه ، فذهبت عمته الى أخيها ، فقالت له ياأخى قد أتيتك فى حاجة أحب أن تحسن بها فان الله يأجرك لصلة رَحِمك بى ، فقال لها قولى فلن تسألى حاجة الا رددتك بها ، قالت تزوج عروة ابن أخيك بابنتك عفراء ، فقال ما عنه مذهب ولا هو دون رجل يُرغب فيه ولا بنا عنه رغبة ولكنه ليس بذى مال وليست عليه عجلة ، فطابت نفس عروة وسكن بعض السكون ، وكانت أُمها سيئة الرأى فيه ، تريد لابنتها ذا مال ووفر ، وكانت عَرُضة ذاك كمالاً وجمالاً ، فلما تكاملت سنه وبلغ أَشُدَّه عرف أن رجلا من قومه ذا يسار ومال كثير يخطبها ، فأتى عمه ، فقال ياعم قد عرفت حقى وقرابتى وانى ولدك وربيت فى حجرك وقد بلغني أن رجلاً خطب عفراء فان أسعفته بطَلِبته قتلتنى وسفكت دمى ، فأنشدك الله ورحمى وحقى ، فرقّ له وقال له يابني أنت مُعْدِم وحالنا قريبة من حالك ولست مخرجها الى سواك ، وأُمها قد أبت أن تزوجها الا بمهر غال ، فاضْطَرِب واسترزق الله تعالى ، فجاء الى أُمها فألطفها وداراها فأبت أن تجيبه الا بما تحتكمه من المهر وبعد أن يسوق شَطْرَه اليها ، فوعدها بذلك وعلم

أنه لا ينفعه قرابة ولا غيرها الا المال الذى يطلبونه ، فعمل على قصد ابن عم له موسر وكان مقيماً بالرَّيّ ، فجاء الى عمه وامرأته فأخبرهما بعزمه ، فصوباه ووعداه ألا يحدثا حدثاً حتى يعود ، وصار فى ليلة رحيله الى عفراء فجلس عندها ليلة هو وجوارى الحى يتحدثون حتى أصبحوا ، ثم ودعها وودع الحى وشد على راحلته ، وصحبه فى طريقه فتيان من بني هليل بن عامر كانا يألفانه وكان حيّاهم متجاورين ، وكان فى طول سفره ساهياً يكلمانه فلا يفهم فكْرُه فى عفراء حتى يرد القول عليه مراراً ، حتى قدم على ابن عمه فلقيه وعرفه حاله وما قدم له ، فوصله وكساه وأعطاه مائة من الابل ، فانصرف بها الى أهله ، وقد كان رجل من أهل الشام من أنساب بني أُمية نزل فى حى عفراء فنحر ووهب وأطعم ، وكان ذا مال ، فرأى عفراء ، وكان منزله قريباً من منزلهم ، فأعجبته وخطبها الى أبيها فاعتذر اليه وقال قد سميتها الى ابن أخ لي يعدلها عندي وما اليها لغيره سبيل ، فقال له انى أرغبك فى المهر ، قال لا حاجة لي بذلك ، فعدل الى أُمها فوافق عندها قبولا لبذله ورغبت فى ماله فأجابته ووعدته ، وجاءت الى عقال وقالت أى خير فى عروة حتى تحبس ابنتي عليه وقد جاءها الغني يطرق عليها بابها ؟ والله ما تدرى أعروة حى أم ميت ؟ وهل ينقلب اليك بخير أم لا ؟ فتكون قد حرمت ابنتك خيراً حاضراً ورزقاً سنياً ، فلم تزل به حتى قال لها فان عاد لي خاطباً أجبته ، فوجهت اليه أن عُدْ اليه خاطباً ، فلما كان من غد نحر جزراً عدة وأطعم ووهب وجمع الحى معه على طعامه وفيهم أبو عفراء ، فلما طَعِموا أعاد القول فى الخطبة ، فأجابه وزوجه وساق اليه المهر ، وحولت اليه عفراء وقالت قبل أن يدخل بها

يا عرو ان الحى قد نقضوا عهد الاله وحاولوا الغدرا

فى أبيات طويلة ، فلما كان الليل دخل بها زوجها وأقام فيهم ثلاثاً ثم ارتحل بها الى الشام ، وعمد أبوها الى قبر عتيق فجدده وسواه وسأل الحى كتمان أمرها ،

وقدم عروة بعد أيام فنعاها أبوها اليه وذهب به الى ذلك القبر ، فمكث يختلف اليه أياماً وهو مُضْنًى هالك ، حتى جاءته جارية من جوارى الحى فأخبرته الخبر ، فتركهم وركب بعض إبله وأخذ معه زاداً ونفقة ، ورحل الى الشام فقدِمها وسأل عن الرجل فأخبر به ودل عليه ، فقصده وانتسب اليه فى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته فمكث أياماً حتى أنسوا به ، ثم قال لجارية لهم هل لك فى يد تولينيها ؟ قالت نعم ، قال تدفعين خاتمى هذا الى مولاتك ، فقالت سوءة لك ، أما تستحيى لهذا القول ؟ فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها وقال لها ويحك هى والله بنت عمى ، وما أخذ منا الا وهو أعز على صاحبه من الناس ، فاطرحى هذا الخاتم فى صحنها ، فان أنكرت عليك فقولي لها اصطبح ضيفك قبلك ولعله سقط منه ، فرقت الأمة وفعلت ما أمرها به ، فلما شربت عفراء اللبن رأت الخاتم فعرفته ، فشهقت ، ثم قالت اصدقينى عن الخبر ، فصدقتها ، فلما جاء زوجها قالت له أتدرى من ضيفك هذا ؟ قال نعم فلان بن فلان للنسب الذى انتسبه له عروة ، فقالت كلا والله بل هو عروة ابن حزام ابن عمى وقد كتمك نفسه حياء منك ، فبعث اليه فدعاه وعاتبه على كتمانه نفسه اياه ، وقال له بالرحب والسعة نشدتك الله ان رمت هذا المكان أبداً وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان ، وأوصى خادماً له بالاستماع عليهما واعادة ماتسمعه منهما عليه ، فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق ، فطالت الشكوى وهو يبكي أحرّ بكاء ، ثم أتته بشراب وسألته أن يشربه ، فقال والله ما دخل جوفى حرام قط ولا ارتكبته منذ كنت ، ولو استحللت حراماً لكنت قد استحللته منك فأنت حظى من الدنيا وقد ذهبت مني وذهبت بعدك فما أعيش ، وقد أجمل هذا الرجل الكريم وأحسن وأنا مستحى منه ووالله لا أقيم بعد علمه مكانى ، وانى عالم أنى رجل الى منيتى ، فبكت وبكى وانصرف ، فلما جاء زوجها أخبرته الخادم بما دار بينهما ، فقال يا عفراء امنعى ابن عمك من الخروج ، فقالت لا يمتنع هو والله أكرم وأشد

حياء من أن يقيم بعد ما جرى بينكما ، فدعاه وقال له يا أخي اتق الله فى نفسك فقد عرفت خبرك وانك ان رحلت تلفت ووالله لا أمنعك من الاجتماع معها أبداً ولئن شئت لأفارقنها ولأنزلنّ عنها لك ، فجزّاه خيراً وأثنى عليه ، وقال انما كان الطمع اليها آفتي والآن قد يئست وحملت نفسي على الصبر فان اليأس يُسلي ، ولي أمور ولا بد لي من رجوعي اليها فان وجدت بي قوة على ذلك والاّ عدت اليكم وزرتكم حتى يقضي الله من أمري ما يشاء ، فزودوه وأكرموه وشيعوه فانصرف ، فلما رحل عنهم نُكس بعد صلاحه وتماسكه وأصابه غشى وخفقان ، فكان كلما أغمى عليه ألقى على وجهه خمارا لعفراء زودته إياه فيُفيق ، ولقيه في الطريق ابن مكحول عرّاف اليمامة ، فرآه وجلس عنده وسأله عما به وهل هو خبل أو جنون ؟ فقال له عروة أالك علم بالأوجاع ؟ قال نعم ، فأنشأ يقول

ما بي من خبْل ولا بي جنّة ... ولكنّ عمى يا أُخيّ كذوب
أقول لعرّاف اليمامة داوني ... فانك ان داويتني لطبيب
فوا كبدا أمست رُفاتاً كأنما ... يُلذّعها بالموقدات طبيب
عشية لا عفراء منك بعيدة ... فتسلو ولا عفراء منك قريب
عشية لا خلفي مكرّ ولا الهوى ... أمامي ولا يهوى هواي غريب
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا ... وما عقبتها في الرياح جنوب
واني لتغشاني لذكراك هزة ... لها بين جلدي والعظام دبيب

وقال يخاطب صاحبيه الهلاليين بقصته

خليليّ من عُلْيا هلال بن عامر ... بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني
ولا تزهدا في الذُّخر عندي وأجملا ... فانكما بي اليوم مُبتَليان
ألمّا على عفراء انكما غداً ... بوَشْك النوى والبين معترفان
فيا واشي عفراء ويحكما بمن ... وما والى من جئتما تَشيان

بمن لو أراه عانياً لفديته ومن لو رآنى عانياً لفدانى
متى تكشفاعني القميص تبينا بى الضر من عفراء يافتيان
إذاً تريا لحماً قليلا وأعظماً بَلِينَ وقلباً دائم الخَفَقَان
وقد تركتني لا أعي لمحدث حديثاً وان ناجيته ونجانى
جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف حَجْر ان هما شفيانى
فقالا نعم نشفى من الداء كله وقاما مع العُوَّاد يبتدران
فما تركا من حيلة يعرفانها ولا شربة الا وقد سقيانى
وقالا شفاك الله والله ما لنا بماضُمِّنت منك الضلوع يدان
فويلي على عفراء ويلاً كأنه على الصدر والأحشاء حد سنان
أحب ابنة العُذْرِيّ حباً وان نأت ودانيت فيها غير ما متدان
تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبال الراسيات يدان
فيارب أنت المستعان على الذى تحملت من عفراء منذ زمان
كأن قَطاة عُلِّقَت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان

وزاد فيها أبو زيد

وعينان ما أوفيت نَشْزاً فتنظرا بما أُقَيها الا هما تكفان
سوى انني قد قلت يوماً لصاحبى ضحى وقلوصانا بنا تَخِدَان
ألا حبذا من حب عفراء ملتقى نعام وبرك حيث يلتقيان (١)

ولما قابلها بالشام قال

وما هى الا أن أراها فجاءة فأُبْهَت حتى ما أكاد أُجيب
وأصْدِف عن رأيي الذى كنت ارتئى وأنسى الذى أزمعت حين تغيب

(١) نعام وبرك واديان

ويظهر قلبي غدرها ويعينها عليَّ فمالي في الفؤاد نصيب
وقد علمت نفسي مكان شفائها قريباً وهل مالاينال قريب
حلفت برب الساجدين لربهم خشوعاً وفوق الساجدين رقيب
لئن كان برد الماء حرَّانَ صادياً الىَّ حبيبا انها لحبيب

وتوفى عروة وهو راجع من الشام

ولما بلغ عفراء موته قالت ترثيه

ألا أيها الركب المخبُّون ويحكم بحقِّ نعيم عروة بن حزام
فلا تَهْنِيء الفتيانَ بعدك لذة ولا رجعوا من غيبة بسلام
وقل للحبَالى لا تُرَجِّينَ غائباً ولا فرحات بعده بغلام

وقالت لزوجها يا هناه قد كان من خبر ابن عمى ما كان بلغك، ووالله ماعرفت منه قط الا الحسن وقد مات فِيَّ وبسببي ولابد لي من أن أندبه فاقيم مأثمة عليه، قال افعلي، فما زالت تندبه ثلاثاً حتى توفيت في اليوم الرابع وبلغ معاوية بن أبي سفْيان خبرهما فقال لو علمت بحال هذين الحرين الكريمين لجمعت بينهما

جميل

هو جميل بن عبدالله بن مَعْمَر العُذْرِيّ من عُذرة بن سعد هُذَيم بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية، كان راوية هدْبة بن خشرم، وكان كثير رواية جميل وكان يقدمه على نفسه ويتخذه إماماً، واذا سئل عنه قال وهل علّم الله عز وجل ما تسمعون الا منه ؟ قال نُصَيب مولى عبد العزيز بن مَرْوان قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها بالشعر فقيل لي الوليد بن سعيد الأشجعى، فوجدته بشِعب سَلْع مع عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أزْهر، فانا

لجلوس اذ طلع علينا رجل طويل بين المنكبين يقود راحلة عليها بزّة حسنة ، فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن أزهر يا أبا حبتر هذا جميل فادعه لعله ينشدنا ، فصاح به عبد الرحمن هيا جميل ، فالتفت فقال من هذا ؟ فقال أنا عبد الرحمن بن أزهر ، فقال قد علمت أنه لايجترىء عليّ إلا مثلك ، فأتاه ، فقال له أنشدنا ، فأنشدهم

ونحن منعنا يوم أوّل نساءنا ... ويوم أُفَيّ والأسنة تَرْعُف
يحب الغوانى البيض ظل لوائنا ... اذا ما أتانا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا ... فان نحن أومأنا الى الناس وَقّفوا
نأى مَعَدّ كان فَيْء رماحه ... كما قد أفأنا والمفاخر ينصف
وكنا اذا ما معشر نصبوا لنا ... ومرت جوارى طيرهم وتعيفوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة ... بما سوف نوفيها اذا الناس طففوا
اذا استبق الأقوام مجداً وجدتنا ... لنا مَعْرَفا مجد وللناس مَعْرَف

ثم قال له أنشدنا هزجا ، قال وما الهزج ، لعله القصير ، قال نعم ، فأنشده

رسم دار وقفت فى طَلَله ... كدت أقضى الحياة من جَلَله[1]
موحشاً ما ترى به أحداً ... تلتسج الريح تُرْب معتدله
وصريعاً بين الشُّمام ترق ... عازفات المَدَبّ فى أسَله
بين علياء رائش فبلىّ ... فالغُمَيْم الذي الى جبله
واقفاً في ديار أم جُسَيْر ... من ضحى يومه الى أُصُله
يا خليلىّ ان أم جُسَيْر ... حين يدنو الضجيع من غَلَله[2]
روضة ذات حَنْوة وخُزامى ... جاد فيها الربيع من سَبَله[3]
بينما نحن بالأراك معاً ... اذا بدا راكب على جمله

(١) من أجله أو من عظمته فى صدرى (٢) الغلل الماء بين الاشجار (٣) السبل المطر

فتأطّرت[1] ثم قلت لها أكرميه حُيّيت فى نُزُله
فظَلَلْنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قُلله
قد أصون الحديث دون أخ لا أخاف الأذاة من قبله
غير بغض له ولا ملق غير أنى أشحت[2] من وَجَله
وخليل صافيت مرتضياً وخليل فارقت من مله

ثم اقتاد راحلته موليا، فقال ابن الأزهر هذا أشعر أهل الاسلام، فقال ابن حسان نعم والله وأشعر أهل الجاهلية، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسيبه، فقال عبد الرحمن بن الأزهر صدقت

قال محمد بن سلام كان لكثير فى النسيب حظ وافر وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب فى النسيب، وكان جميل صادق الصبابة والعشق ولم يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقول وكان الناس يستحسنون بيت كثير فى النسيب وهو

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

ورأيت من يفضل عليه بيت جميل

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلى

كان جميل ينسب بأم جسير، وكان أول ما علق بُثَيْنة انه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له بغيض، فاضطجع وأرسل إبله مُصْعدة وأهل بثينة بذَنَب الوادى، فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين الماء، فمرتا على فِصال له برك فعزفتهن بثينة (نَفَّرتهن) وهى اذ ذاك جويرية صغيرة، فسبها جميل، فافترت عليه فملح اليه سبابها فقال

وأول ما قاد المودة بيننا بوادى بغيض يا بُثَين سباب
وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله لكل كلام يا بثين جواب

(١) ملت (٢) أشاح حذر وخاف

خرج جميل فى يوم عيد ، والنساء اذ ذاك يتزينّ ويبدو بعضهن لبعض ويَبْدُونَ للرجال فى كل عيد ، وان جميلا وقف على بثينة وأختها أم جسير فى نساء من بني الأَحَبّ وهن بنات عبيدالله بن قطبة أخى أبيه لَحًا ، فرأى منهن منظراً وأعجبنه وعشق بثينة وقعد معهن ، ثم راح ، وقد كان معه فتيان من بنى الأحب فعلم ان القوم قد عرفوا فى نظره حب بثينة ووجدوا عليه ، فراح وهو يقول

عجل الفراق وليته لم يعجل ... وجرت بوادر دمعك المتهلل
طرباً وشاقك ما لقيت ولم تخف ... بينَ الحبيب غداة برْقَة مخجول
وعرفت انك حين رحت ولم يكن ... بعد اليقين وليس ذاك بمشكل
لن تستطيع الى بثينة رجعة ... بعد التفرق دون عام مقبل

ولما أخبرت بثينة ان جميلاً قد نَسب بها حلفت بالله لا يأتيها على خلاء الا خرجت اليه ولا تتوارى منه ، فكان يجيئها عند غفلات الرجال فيتحدث اليها ومع أخواتها ، حتى نمى الى رجالها انه يتحدث اليها اذا خلا منهم ، وكانوا أصلافاً غيارَى فرصدوه بجماعة نحو من بضعة عشر رجلا ، وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف على بثينة وأم جسير وهما يحدثانه وهو ينشدهما يومئذ فقال

حلفت برب الراقصات الى منى ... هُوِيَّ القطا يجتزن بطن دفين
لقد ظن هذا القلب أن لست لاقياً ... سليمى ولا أم الجسير لحين
فليت رجالاً فيك قد نذروا دمى ... وهموا بقتلى يا بثين لقونى

فبينما هو على تلك الحال اذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسبقت به

واعدت بثينة جميلاً أن يلتقيا فى بعض المواضع ، فأتى لوعدها ، وجاء اعرابى يستضيف القوم ، فأنزلوه وقَرَوْه ، فقال لهم قد رأيت فى بطن هذا الوادى ثلاثة نفر متفرقين متوارين فى الشجر وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم ، فعرفوا انه جميل وصاحباه ، فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده ، فلما أسفر له الصبح انصرف

كثيباً سيء الظن بها ورجع الى أهله ، فجعل نساء الحى يقرّعنه بذلك ويقلن له انما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر وغيرها أولى بوصلك منها كما أن غيرك يحظى بها ، فقال في ذلك

فأجبتها بالقول بعد تستر ... حبى بثينةُ عن وصالك شاغلى
أبثينَ انك قد ملكت فأسجحى ... وخذى بحظك من كريم واصل
فلرب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل
لو كان فى صدرى كقدر قُلامة ... فضلا وصلتك أو أتتك رسائلى
ويقلن انك قد رضيت بباطل ... منها فهل لك فى اجتناب الباطل
لِيُزِلْنَ عنك هواى ثم يصلنني ... واذا هَوِيت فما هواى بزائل
صادت فؤادى يا بُثَيْنَ حبالكم ... يوم الحَجون وأخطأتك حبائلى
منيتني فلوَيْت ما منيتني ... وجعلت عاجل ما وعدت كآجل
وتثاقلت لما رأت كلفى بها ... أَحْبِبْ إليَّ بذاك من متثاقل
وأطعت فيَّ عواذلاً فهجرتني ... وعصيت فيك وقد جهدن عواذلى
حاولنني لأَبُتَّ حبلَ وصالكم ... منى ولست وان جهدن بفاعل
فرددتهن وقد سعَيْن بهجركم ... لما سعَين له بأَفْوقَ ناصل (١)
يَعْضَضْن من غيظ علىَّ أناملا ... ووَدِدْت لو يَعْضَضْن صُمّ جنادل
ويقلن انك يا بثين بخيلة ... نفسى فداؤك من ضنين باخل

وقال جميل فى وعد بثينة بالتلاقى وتأخرها قصيدة أولها

يا صاح عن بعض الملامة أقصر ... ان المنى للقاء أم المِسْور

ومما يغني فيه منها

وكأن طارقها على تلل الكرَى ... والنجم وَهْنا قد دنا لتغور

(١) الافوق السهم الذى كسر فوقه وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر وناصل لا نصل فيه

يستاف[1] ريح مدامة معجونة بذكي مسك أو سحيق العنبر

ومنه

انى لأحفظ غيبكم ويسرنى اذ تذكرين بصالح أن تذكرى
ويكون يوم لا أرى لك مرسلا أو نلتقى فيه علىّ كأشهر
يا ليتني ألقى المنية بغتة ان كان يوم لقائكم لم يقدر
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم فيفيق بعض صبابتى وتفكرى

وفيه يقول

لو قد تجنّ كما أجن من الهوى لعذرت أو لظلمت ان لم تعذرى
والله ما للقلب من علم بها غير الظنون وغير قول المخبر
لا تحسبى أنى هجرتك طائعاً حدث لعمرك رائعاً أن تهجرى
فلتبكين الباكيات وان أبخ يوماً بسرك معلناً لم أعذر
يهواك ما عشت الفؤاد فان أمت يتبع صداى صداك بين الأقبر
انى اليك بما وعدت لناظر نظر الفقير الى الغني المكثر
يعد الديون وليس ينجز موعداً هذا الغريم لنا وليس بمعسر
ما أنت والوعد الذى تعديني الا كبرق سحابة لم تمطر
قلبى نصحت له فرد نصيحتى فمتى هجرتيه فمه تكثرى

وقال فى اخلافها إياه هذا الموعد

ألا ليت ريعان الشباب جديد ودهراً تولّى يا بثين يعود
فنغنى كما كنا نكون وأنتم قريب واذ ما تبذلين زهيد
وما أنسَ ملأ شياء لا أنس قولها وقد قربت نضوى[2] أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التى ترى أتيتك فاعذرنى فدتك جدود

(١) يشم (٢) النضو المهزول من الابل وغيرها

خليلي ما أخفى من الوجد ظاهر ودمعي بما قلت الغداة شهيد
ألا قد أرى والله أن ربّ عبرة اذا الدار شطت بيننا ستزيد
اذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي من الحب قالت ثابت ويزيد
وان قلت ردي بعض عقلي أعش به مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فلا أنا مردود بما جئت طالباً ولا حبها فيما يَبيد يَبيد
جزتكِ الجوازي يا بثينَ ملامة اذا ما خليل بان وهو حميد
وقلت لها بيني وبينك فاعلمي من الله ميثاق له وعهود
وقد كان حبيكم طَريفاً وتالداً وما الحب الا طارف وتليد
وان عُروض الوصل بيني وبينها وان سهّلته بالمنى لصَعود
فأمنيت عيشي بانظاري توالها وأبليت ذاك الدهر وهو جديد
فليت وُشاة الناس بيني وبينها يذُوف لهم سما طَماطم سود[1]
وليت لهم في كل مُمْسًى وشارق تضاعَف أكبال لهم وقيود
ويحسب نسوان من الجهل أنني اذا جئت إياهن كنت أريد
فأقسم طَرْفي بينهن فيستوى وفي الصدر بَوْن بينهن بعيد
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القُرَى انى اذاً لسعيد
وهل أهبطن أرضاً تَظَلّ رياحها لها بالنَنايا القارِيات وَئيد
وهل أَلَيَنْ سُعْدَى من الدهر مرة وما رَثّ من حبل الصفاء جديد
وقد تلتقي الأهواء من بعد يأسة وقد تطلب الحاجات وهي بعيد
وهل أرجُرَنْ حَرْفاً عَلاة شِمِلّة بخَرْق تُباريها سَواهم قود[2]
على ظهر مرهوب كأن نُشوزه اذا جاز هُلّك الطريق رقود

(١) يذوف يخلط وطماطم جمع طمطم وهو من في لسانه عجمة (٢) الحرف الناقة الضامرة الصلبة والعلاة المشرفة الصلبة والشملة السريعة والخرق الارض الواسعة والساهمة الناقة الضامرة

سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب ... وصدر كفاثور[1] اللجين وجيد
تزيف كما زافت الى سلفاتها ... مباهية طيا الوشاح ميود
اذا جئتها يوماً من الدهر زائراً ... تعرّض منقوض اليدين صدود
يصدّ ويغضي عن هواى ويجتني ... ذنوباً عليها انه لعنود
فأصرمها خوفاً كأنى مجانب ... ويغفل عنا مرة فنعود
فمن يُعط فى الدنيا قريناً كمثلها ... فذلك فى عيش الحياة رشيد
يموت الهوى مني اذا ما لقيتها ... ويحيا اذا فارقتها فيعود
يقولون جاهد يا جميل بغزوة ... وأيّ جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد
ومن كان فى حبى بثينة يمترى ... فبرقاء ذى ضال على شهيد
ألم تعلمى يا أم ذى الودع أنني ... أضاحك ذكراكم وأنت صلود

لقى جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته ، فتعاتبا طويلاً ، فقالت له ويحك يا جميل أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى يقول

رمى الله فى عيني بثينة بالقذى ... وفى الغرّ من أنيابها بالقوادح

فأطرق طويلاً يبكي ، ثم قال بل أنا القائل

ألا ليتني أعمى أصمّ تقودنى ... بثينة لا يخفى على كلامها

فقالت له ويحك ما حملك على هذه المُنَى ؟ أوليس فى سعة العافية ما كفانا جميعاً ؟

بعثت أمة لبثينة الى أبيها وأخيها وقالت لهما ان جميلاً عندها الليلة فأتياها مشتملين على سيفين ، فرأياه جالسا منها حُجزة يحدثها ويشكو لها بثّه ، ثم قال لها يا بثينة أرأيت ودى اياك وشغفى بك ألا تجزينيه ؟ قالت بماذا ؟ قال بما يكون من المتحابين ، فقالت له يا جميل أهذا تبغى ؟ والله لقد كنت عندى بعيداً منه ولئن

(١) الفاثور الخوان من رخام أو فضة أو ذهب

عاودت تعريضاً بريبة لا رأيت وجهى أبداً ، فضحك وقال والله ما قلت لك هذا الا لأعلم ما عندك فيه ، ولو علمت أنك تحبيبنى لعلمت أنك تحببين غيرى ، ولو رأيت منك مساعدة لضربتك بسيفى هذا ما استمسك فى يدى ، ولو أطاعتني نفسى لهجرتك هجرة الأبد ، أوماسمعت قولي ؟

وانى لأرضى من بثينة بالذى ... لو أبصره الوشى لقرت بلابله
بلا وبألاَّ أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العَجْلَى وبالحول ينقضى ... أواخره لا نلتقى وأوائله

فقال أبوها لأخيها قم بنا فما ينبغى لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها ، فانصرفا وتركاهما

ومن قول جميل وفيه غناء

ان المنازل هيجت أطرابى ... واستعجمت آياتها بجوابى
قفرا تلوح بذى اللُّجَيْن كأنها ... أنضاء رسم أو سطور كتاب
لما وقفت بها القلوص تبادرت ... منى الدموع لفرقة الأحباب
وذكرت عصراً يا بثينة شاقنى ... وذكرت أيامى وشرخ شبابى

لما نذر أهل بثينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل فكان يصعد بالليل على قور رمل يتنسم الريح من نحو حى بثينة ويقول

أيا ريح الشمال أما تريْنى ... أهيم وأننى بادى النحول
هبى لي نسمة من ريح بثن ... ومُنّى بالهُبوب الى جميل
وقولي يا بثينة حسب نفسى ... قليلك أو أقل من القليل

ومن قوله

يقيكِ جميلٌ كلَّ سوء أماله ... لديك حديث أو اليك رسول

وقد قلت فى حبى لكم وصبابتى ... محاسن شعر ذكرهن يطول
فان لم يكن قولي رضاكِ فعلمى ... هبوب الصبا يا بثن كيف أقول
فما غاب عن عيني خيالك لحظة ... ولا زال عنها والخيال يزول

ومنه

خليلى عوجا اليوم حتى تسلما ... على عذبة الأنياب طيبة النشر
ألمّا بها ثم اشفعا لي وسلما ... عليها سقاها الله من سائغ القطر
اذا ما دنت زدت اشتياقاً وان نأت ... جزعت لنأى الدار منها وللبعد
أبى القلب الا حب بثنة لم يُرد ... سواها وحب القلب بثنة لايجدى

وفيها يقول

سلى الركب هل عُجنا لمغناك مرة ... صدور المطايا وهى موقرة تخدى[1]
وهل فاضت العين الشروق بمائها ... من أجلك حتى اخضل من دمعها بُردى
وانى لأستجرى لك الطير جاهداً ... لتجرى بيُمن من لقائك أو سعد
وانى لاستبكى اذا الركب غرّدوا ... بذكراك أن يحيا بك الركب اذ تحدى
فهل تجزينّى أم عمرو بودها ... فان الذي أُخفى بها فوق ما أُبدى
وكل محب لم يزد فوق عهده ... وقد زدتها فى الحب منى على العهد

ومن قوله فيها وفيه غناء

لها في سواد القلب حب ومنعة ... هى الموت أو كادت على الموت تُشرف
وما ذكرتك النفس يا بثن مرة ... من الدهر الا كادت النفس تتلف
والا اعترتني زفرة واستكانة ... وجاد لها سجل من العين يذرف
وما استطرفت نفسى حديثاً لخلة ... أسر به الا حديثك أطرف

(١) خدى البعير يخدى أسرع وزج بقوائمه

وأول هذه القصيدة

أمن منزل قفر تعفت رسومه ... شمال تغاديه ونكباء حرجف[1]

فأصبح نفراً بعد ما كان آهلاً ... وجمل المنى تشتو به وتصيف

ظلمت ومتن من الدمع هامل ... من العين لما عجت بالدار ينزف

أمنصفتي جمل فتعدل بيننا ... اذا حكمت والحاكم العدل ينصف

تعلقتها والجسم مني مصحح ... فما زال ينمي حب جمل وأضعف

الى اليوم حتى سل جسمي وشفني ... وأنكرت من نفسي الذي كنت أعرف

قناة من المران مافرق حقوها[2] ... وما تحته منها نقاً يتقصف

لها مقلتا ريم وجيد جدايه[3] ... وكشح كطي السابرية أهيف

ولست بناس أهلها حين أقبلوا ... وجالوا علينا بالسيوف وطوفوا

وقالوا جميل بات في الحي عندها ... وقد جردوا أسيافهم ثم ونقفوا

وفي البيت ليث الغاب لولا مخافة ... على نفس جمل والاله لأرعفوا

هممت وقد كادت مراراً تطلعت ... الى حربهم نفسي وفي الكف مرهف

وما سرني غير الذي كان منهم ... ومني وقد جاؤا الي وأوجفوا

فكم مرتج أمراً أتيح له الردى ... ومن خائف لم ينتقصه التخوف

ومنها وفيه غناء

أأن هتفت ورقاء ظلت سفاهة ... تبكي على جمل لورقاء تهتف

فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقة ... صرمت ولكني عن الصرم أضعف

أنشد مصعب بن الزبير قول جميل

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت ... بالحجر يوم جلتها أم منظور

---

(١) الحرجف الريح الباردة الشديدة الهبوب (٢) الحقوا الخصر

(٣) الجدايه الغزالة والسابري ثوب من أجود الثياب منسوب الى سابور على غير قياس

فقال لو دِدْت أنى أعرف كيف جلتها ، فقيل له أن أم منظور هذه حية ، فكتب فى حملها اليه مكرمة ، فحملت اليه ، فقال أخبرينى عن قول جميل « ما أنس » كيف كانت هذه الجلوة ؟ قالت ألبستها قلادة بلح ومِخْنَقة بلح واسطتها تفاحة ، وضفرت شعرها ، وجعلت فى فَرْقها شيئاً من الخلوق ، ومرَّ بنا جميل راكباً على ناقه فجعل ينظر اليها بمُؤْخِر عينه ويلتفت اليها حتى غاب عنا ، فقال لها مصعب فانى أُقسم عليك الا جلوت عائشة بنت طلحة مثل ما جلوت بثينة ، ففعلت ، وركب مصعب ناقته وأقبل عليها وجعل ينظر الى عائشة بمُؤْخِر عينه ويسير حتى غاب عنها ثم رجع

لما علقت بثينة لحجنة الهلالي جفاها جميل وقال فى ذلك

بينا حبال ذات عَقْد لبُثْنَة ... أُتيح لها بعض الغواة فحلها
فعدنا كأنّا لم يكن بيننا هوى ... وصار الذى حل الحبال هَوَى لها
وقالوا نراها يا جميل تبدلت ... وغيرها الواشى فقلت لعلها

ومن قوله لما زوجت بثينة نبيهاً

ألا ناد عيرا من بثينة ترتع ... نودع على شحط النوى وتودع

ومنه وفيه غناء

أعيذك بالرحمن من عيش شقوة ... وأن تطمعى يوماً الى غير مطمع
اذا ما ابن ملعون تحدر رشحه ... عليك فموتى بعد ذلك أودعى
مَلِلْن ولم أَمْلَلْ وما كنت سائماً ... لأجمال سُعدى ما أنخن بجمجع
وحثوا على جمع الركاب وقربوا ... جمالا ونوقاً جِلَّة لم تضعضع
ألا قد أرى الا بثينة ههنا ... لنا بعد ذا المصطاف والمتربع

لما أبعد جميل عن بثينة وخاف السلطان قال

ألا قد أرى الا بثينة للقلب ... بوادى بَدِيّ لا بحِسمَى ولا الشعب

ولا بعراق قد تيممت فاعترف لما أنت لاق أو تيمم عن الركب
أفي كل يوم أنت محدث صبوة تموت لها، بُدِّلتُ غيرك من قلب

لما اشتهرت بثينة بحب جميل إياها اعترضه عبدالله بن قطبة أحد بني الأحب وهو من رهطها الأدنين، فهجاه، وبلغ ذلك جميلاً فأجابه وتطاولا فغلبه جميل وكف عنه ابن قطبة، واعترضه عمير بن رمل رجل من بني الأحب فهجاه، فاستعدوا عليه عامر بن ربعي، وكانت اليه بلاد عذرة وقالوا يهجونا ويغشى بيوتنا ويسب بنساءنا، فأباحهم دمه، وطلب فهرب منه، وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعاً فقال جميل

وما صائب من نابل قذفت به يد ومُمرّ العقدتين وثيق (١)
له من خوافي النسر حمٌّ نظائر ونصل كنصل الزاعبي فتيق (٢)
على نبعة زوراء (٣) أما خطامها فمتن وأما عودها فعتيق
بأوشك قتلاً منك يوم رميتني نوافذ لم تظهر لهن خروق
تفرق أهلانا بثين فمنهم فريق أقاموا واستمر فريق
فلو كنت خوّاراً لقدباح مضمرى ولكنني صُلْب القناة عريق
كأن لم نحارب يا بثين لوانها تكشف غمّاها وأنت صديق

ولم يزل جميل باليمن حتى عزل ذلك الوالي عنهم وانتجعوا ناحية الشام فرحل اليهم، فلقيه أحدهم فسأله عما أحدث بعده فقال

سقى منزلينا يا بثين بحاجر على الهجر منا صيِّف وربيع
ودونكِ يا ليلى وان كن بعدنا بلين بلى لم تبلهن ربوع

(١) صائب قاض وممر العقدتين يعني وترا والممر الشديد الفتل (٢) حم نظائر يريد ريش السهم والحم السود وجعلها نظائر في مقاديرها لانه أقصد للسهم والزاغبي منسوب الى زاغب رجل كان يعمل الأسنة وفتيق حاد رقيق (٣) معوجة والنبعة القوس

وخيمانك اللاتى بمنعرج اللوى لقمريها بالمشرقين سجيع
يزعزع منها الريح كل عشية هزيم بسلاف الرباح رجيع
وانى من أن يعلى بك اللوم أو ترى بدار أذى من شامت لجزوع
وانى على الشىء الذى يلتوى به وان زجرتنى زجرة لوريع
فقدتك من نفس شعاع فاننى نهينك عن هذا وأنت جميع
فقربت لي غير القريب وأشرفت هناك ثنايا مالهن طلوع
يقولون صب بالغوانى موكل وهل ذاك من فعل الرجال بديع
وقالوا رعيت اللهو والمال ضائع فكالناس فيهم صالح ومضيع

قال كثير يوماً وقد أخذ بطرف رَيطته وألقى طرفها الآخر هو (جميل) والله أشعر الناس حيث يقول

وخبر تمانى ان تيماء منزل لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنى قد انقضت فما للنوى ترمى بليلى المراميا
وأنت الذى ان شئت كدرت عيشتى وان شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت الذى ما من صديق ولا عدى يرى نضو ما أبقيت الا رثى ليا

وفى هذه القصيدة يقول

وما زلتم يا بثن حتى لو أننى من الشوق أستبكى الحمام بكى ليا
اذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت أنت دعائيا
وما زادنى النأى انفرق بعدكم سلوا ولا طول التلاقى تقاليا
ولا زادنى الواشون الا صبابة ولا كثرة الناهين الا تماديا
ألم تعلمى يا عذبة الريق أننى أظل اذا لم ألق وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنية بغتة وفى النفس حاجات اليك كما هيا

لما نذر أهل بثينة دم جميل وأباحهم السلطان قتله أعذروا الى أهله ، وكانت

منازلهم متجاورة انما هم يفترقون كما تفترق البطون والأفخاذ والقبائل غير متباعدين ألم تر الى قول جميل ؟

أبيت مع الهلاّك ضيفاً لأهلها وأهلي قريب موسعون أولو فضل

فمشت مشيخة الحي الى أبيه وكان يلقب صباحاً ، وكان ذا مال وفضل وقدر في أهله ، فشكوه اليه وناشدوه الله والرحم ، وسألوه كف ابنه عما يتعرض لهم ويفضحهم به في فتاتهم ، فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع ، ثم انصرفوا ، فدعا به فقال له يا بني حتى متى أنت عَمِهٌ في ضلالك ! ألا تأنف من أن تتعلق بذات بعل يخلو بها وأنت عنها بمعزل ثم تقوم من عنده اليك فتغرّك بخداعها وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرة لبعلها ما تضمنه الحرة لمن ملكها فيكون قولها لك تعليلاً وغروراً ؟ فاذا انصرفت عنها عادت الى بعلها على حالتها المبذولة ، ان هذا لذل وضَيْم ، ما أعرف أخيبَ سهماً ولا أضيع عمراً منك فنشدك الله ألا كففت وتأملت أمرك فانك تعلم أن ما قلته حق ، ولو كان اليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ولكن هذا أمر قد فات واستَبَدَّ به من قُدِّرَ له وفي النساء عوض ، فقال له جميل الرأي ما رأيت والقول كما قلت فهل رأيت قبلي أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه أو ملك أن يُسلي نفسه أو استطاع أن يدفع ما قضي عليه ؟ والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت ولكن لاسبيل الى ذلك وانما هو بلاء بليت به لحين قد أتيح لي وأنا أمتنع من طروق هذا الحي والالمام بهم ولو مت كمداً وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه ، وقام وهو يبكي ، فبكى أبوه ومن حضر جزعاً لما رأوا منه فذلك حين يقول جميل

ألا من لقلب لا يَمَلّ فيذهل أَفِقْ فالتعزي عن بثينة أجمل
سلا كل ذي ود علمت مكانه وأنت بها حتى الممات موكل
فما هكذا أحببت من كان قبلها ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل

فيا قلب دَعْ ذكرى بثينة انها ... وان كنت تهواها تَضَنّ وتبخل
وقد أيأست من نيلها وتجهمت ... وَلَلْيأسُ ان لم يُقْدَر النَّيْلُ أمثل
والا فسلها نائلاً قبل بينها ... وأبخل بها مسئولةً حين تسأل
وكيف تُرَجّى وصلها بعد بعدها ... وقد جُدَّ حبل الوصل ممن تؤمل
وان التي أحببت قد حيل دونها ... فكن حازماً والحازم المتمول
ففي اليأس ما يُسْلي وفي الناس خلة ... وفي الأرض عمن لا يؤاتيك معزل
بدا كلف مني بها فتثاقلت ... وما لا يرى من غائب الوجد أفضل
هَبيني بريا نلته بظُلامة ... عفاها لكم أو مذنباً يتنصل
فتاة من المُرّان ما تحت حقْوها ... وما تحته منها نَقاً يتهيل

وقال أيضاً في هذه الحال

أعن ظعن الحي الألى كنت تسأل ... بليل فردوا عيرهم وتحملوا
فأمسَوْا وهم أهل الديار وأصبحوا ... ومن أهلها الغربان بالدار تَخْجل
على حين ولى الأمر عنا وأسمحت ... عصا البين وانبتّ الرجاء المؤمل
فما هو الا أن أهيم بذكرها ... ويحظى بجَدْواها سواي ويَجْذَل
وقد أبقت الأيام مني على العدى ... حساماً اذا مس الضريبة يَفْصِل
ولست كمن ان سيم ضيماً أطاعه ... ولا كامرىء ان عَضّه الدهر يَنْكُل
لعمري لقد أبدى لي البين صفحة ... وبين لي ما شئت لو كنت أعقل
وآخر عهدي من بثينة نظرة ... على موقف كادت من البين تقتل
فلله عينا من رأى مثل حاجة ... كتمتكها والنفس منها تَمَلْمَل
واني لأستبكي اذا ذكر الهوى ... اليك واني من هواك لأوْجل
نظرت ببشر نظرة ظَلْت أمترى ... بها عَبْرة والعين بالدمع تكحل
اذا ما كررت الطَّرْف نحوك رده ... من البعد فياض من الدمع مهمل

ولما أراد الخروج الى الشام هجم ليلاً على بثينة وقد وجد غفلة ، فقالت له أهلكتني والله وأهلكت نفسك ويحك أما تخاف ؟ فقال لها هذا وجهي الى الشام انما جئتك مودعاً ، فحادثها طويلاً ثم ودعها وقال يا بثينة ما أرانا نلتقي بعد هذا وبكيا طويلاً ثم قال لها وهو يبكي

ألا لا أبالي جفوة الناس ما بدا ... لنا منك رأى يا بثين جميل
وما لم تطيعي كاشحاً أو تبدّلي ... بنا بدلاً أو كان منك ذهول
واني وتكرار الزيارة نحوكم ... بثين لذو هجر بثين يطول
وان صباباتي بكم لكثيرة ... بثين ونسياني لكم لقليل

طلب مروان الى جميل أن ينزل فيرجز به وهو يريد أن يمدحه فنزل جميل فقال

أنا جميل في السنام الأعظم ... الفارع الناس الأعز الأكرم
أحمي ذماري ووجدت أقرمي ... كانوا على غارب طود خضرم
أعيا على الناس فلم يهدم

فقال عد عن هذا فقال جميل

لهفا على البيت المعدّى لهفا ... من بعد ما كان قد استكفا
ولو دعا الله ومد الكفا ... لرجفت منه البلاد رجفا

وطلب ذلك اليه الوليد فقال

أنا جميل في السنام من معد ... في الذروة العلياء والركن الأشد
والبيت من سعد بن زيد والعدد ... ما يبتغي الأعداء مني ولقد
أضر بالشتم لساني ومرد ... أقود من شئت وصعب لم أقد

فقال له الوليد اركب لاحملك الله وما مدح جميل أحداً قط

ومن قول جميل في مراجزة جواس بن قطبة وكان ذلك بوادي القرى

يا ام عبد الملك أصرميني ... فبيّني صرمي أو صلميني

أبكي وما يدريك ما يبكيني ... أبكي حذار أن تفارقيني
وتجعلي أبعدَ مني دوني ... ان بني عمك أوعدوني
أن يقطعوا أسمي اذا لقوني ... ويقتلوني ثم لا يدوني
كلا ورب البيت لو لقوني ... شفعا ووترا لثوا كلوني
قد علم الأعداء أن دوني ... ضرباً كايزاع المخاض الجون
ألا أسبُّ القوم اذ سبّوني ... بلى وما مرَّ علي دنين
وسابحات بلوى الحجون ... قد جربوني ثم جربوني
حتى اذا شابوا وشيبوني ... أخزاهم الله ولا يخزوني
أشباه أعيار على معين ... أحسَّ حس أسد حرون
فهن يضرطن من اليقين ... أنا جميل فتعرّفوني
وما تقنعت فتنكروني ... وما أُعَيِّمكم لتسألوني
أنمي الى عادية طحون ... ينشق عنها السيل ذو الشئون
غمر يدق رُجَّج السفين ... ذو حدب اذا يرى حجون

تنحل أحقاد الرجال دوني

ومن قوله يمدح أخواله من جذام

جذام سيوف الله في كل موطن ... اذا أزمت يوم اللقاء ازام
هم منعوا ما بين مصر فذى القرى ... الى الشام من حلّ به وحرام
بضرب يزيل الهام عن سكناته ... وطعن كايزاع المخاض توام
اذا قصرت يوماً أكف قبيلة ... عن المجد نالته أكفّ جذام

اجتمع جميل وعمر بن أبي ربيعة بالأبطح فأنشده جميل قصيدته

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي ... بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل وانني ... لأقسم ما بي عن بثينة من مهل

أحلماً فقبل اليوم كان أوانه ... أم أخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل
لقد أنكحوا حربى نُبيهاً ظعينة ... لطيفة طى البطن ذات شوًى جزل
وكم قد رأينا ساعياً بنميمة ... لآخر لم يَعْمِد بكف ولا رجل
اذا ما تراجعنا الذي كان بيننا ... جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
كلانا بكى أو كاد يبكي صبابة ... الى إلفه واستعجلت عَبْرة قبلى
فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلى
فيا ويح نفسى حسب نفسى الذى بها ... ويا ويح أهلى ما أصيب به أهلى
وقالت لأتراب لها لا زعانف ... قصار ولا كُسّ الثنايا ولا عُلْ[1]
اذا حميت شمس النهار اتقيتها ... بأكسية الديباج والخزّ ذى الخمل
تداعَيْنَ فاستعجمن مشياً بذى الغضى ... دبيب القطا الكدرى فى الدمث السهل
اذا ارتعن أو فُزّعن قمن حوالها ... قيام بنات الماء فى جانب الضحل[2]
أجدّك لا ألقى بثينة مرة ... من الدهر الا خفتاً أو على رجل
خليلى فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حب قاتله قبلى
أبيت مع الهلاّك ضيفاً لأهلها ... وأهلى قريب موسعون ذوو فضل
ألا أيها البيت الذى حيل دونه ... بنا أنت من بيت وأهلك من أهل
ثلاثة أبيات فبيت أحبه ... وبيتان ليسا من هواى ولا شكلى

وقال فى هجرة هجرته إياها بثينة

ألم تسأل الربع القواء فينطق ... وهل تخبرنك اليوم بيداء سَمْلَق
وقفت بها حتى تجلت عمايتى ... وهلّ الوقوف الأرحبىُّ المنوق
تعزّ وان كانت عليك كريمة ... لعلك من رق لبُنْنة تُعتق

---

(١) الكسس محركة قصر الاسنان أو صغرها أو لصوقها بسنوخها وتعلت سنه ولثته فهى تعلاء تراكبت أسنانها (٢) الضحل الماء القليل على الارض لا عمق له

لعمركمُ ان البعاد لشائقي ... وبعض بعاد البين والنأى أشوق
لعلك محزون ومُبْدٍ صبابة ... ومظهر شكوى من أناس تفرقوا
وبيضٍ غريرات تُدَنِّى خصورها ... اذا قمن أعجاز ثقال وأسْوُق
عزائز لم يلقَينْ بؤس معيشة ... يحن بهن الناظر المتنوق
وغلغلت من وجد اليهن بعد ما ... سريت وأحشائى من الخوف تَخْفُق
معى صارم قد أخلص القَيْن صقله ... له حين اغشيه الضريبة رَوْنق
فلولا احتيالي ضِقْن ذرعاً بزائر ... به من صبابات اليهن أوْلق
تسوك بقضبان الأراك مُفَلَّجا ... يشعشع فيه الفارسى المروَّق
أبثنة للوصل الذى كان بيننا ... نضا مثل ماينضو الخِضاب فيَخْلُق
أبثنة ما تنأيْن الا كأننى ... بنجم الثريا ما نأيت مُعَلَّق

قال الرشيد لاسحق الموصلى أنشدنى أحسن ما تحب فى عتاب محب وهو ظالم متعتب فأنشده قول جميل

رِد الماء ما جادت بصفو ذنائبه ... ودَعْه اذا خيضت بطرْق[1] مشاربه
أعاتب من يحلو لدىّ عتابه ... وأترك من لا أشتهى وأجانبه
ومن لذة الدنيا وان كنت ظالماً ... عناقك مظلوماً وأنت تعاتبه

ومن قوله فى زيارة له

زورا بثينة فالحبيب مزور ... ان الزيارة للمحب يسير
ان الترحل ان تلبس أمرنا ... واعْتَقْنَا قَدَرٌ أَحَمّ بكور
انى عشية رحت وهى حزينة ... تشكو الى صبابةً لصبور
وتقول بت عندي فديتك ليلة ... أشكو اليك فان ذاك يسير
غراء مبْسام كأن حديثها ... دُرٌ تحدَّر نظمه منثور

(١) الطرق الماء الذى خوضته الابل وبرلت فيه وبعرت

مَحْطوطة المَتنين مُضْمَرة الحشى ... رَيَّا الروادف خلقها ممكور
لاحسنها حسن ولا كدلالها ... دَلّ ولا كوقارها توقير
ان اللسان بذكرها لموكل ... والقلب صادٍ والخواطر صور
ولئن جزيتِ الود مني مثله ... انى بذلكِ يا بثين جدير

وعذله فيها ابن عمه زوق فقال

لقد لامني فيها أخ ذو قرابة ... حبيب اليه فى ملامته رشدى
وقال أَفِقْ حتى متى أنت هائم ... ببثنة فيها قد تُعيد وقد تُبْدى
فقلت له فيها قضى الله ما ترى ... علىَّ وهل فيما قضى الله من رد
فان يك رشدا حبها أو غواية ... فقد جئته ما كان مني على عمد
لقد لَجّ ميثاق من الله بيننا ... وليس لمن لم يوفِ لله من عهد
فلا وأبيها الخير ما خنت عهدها ... ولا لي علم بالذى فعلت بعدى
وما زادها الواشون الا كرامة ... علىَّ وما زالت مودتها عندى
أفى الناس أمثالي أَحَبّ فخالهم ... كحالى أم أحببت من بينهم وحدى
وهل هكذا يلقى المحبون مثل ما ... لقيت بها أم لم يجد أحد وجدى

وقال فيها

خليلىّ عوجا اليوم حتى تسلما ... على عَذْبة الأنياب طيبة النشر
ألما بها ثم اشفعا لي وسلما ... عليها سقاها الله من سائغ القطر
وبوحا بذكرى عند بثنة وانظرا ... أترتاح يوماً أم تَهَشّ الى ذكرى
فان لم تكن تقطع قوى الود بيننا ... ولم تنسَ ما أسلفت فى سالف الدهر
فكيف يرى منها اشتياق ولوعة ... ببين وغَرْب من مدامعها يجرى
وان تك قد حالت عن العهد بعدنا ... وأصغت الى القول المؤنب والمُزْرى

(١) محطوطة المتنين ممدودتهما والمكورة المطوية الخلق.

فسوف يُرَى منها صدود ولم تكن بنفسى من أهل الخيانة والغدر
أعوذ بك اللهم أن تَشْحَطَ النوى بثينة فى أدنى حياتى ولا حشرى
وجاور اذا ما متّ بينى وبينها فيا حبذا موتى اذا جاورت قبرى
عدمتكَ من حب أما منك راحة وما بك عنى من توان ولا فتر
ألا أيها الحب المبَرِّح هل نرى أخا كَلَفٍ يُغْرَى بحب كما أُغرى
أجِدّكَ لا يَبْلَى وقد بَلِيَ الهوى ولا ينتهى حبى بثينة للزجر

ومن قوله

قفى تسل عنك النفس بالخطة التى تطيلين تخويفى بها ووعيدى
فقد طالما من غير شكوى قبيحة رضينا بحكم منك غير سديد

ومنه

بثين سليني بعض مالي فانما يبين عند المال كل بخيل
فانى وتكرار الزيارة نحوكم لبين يدى هجرٍ بثينَ طويل
فيا ليت شعرى هل تقولين بعدنا اذا نحن أزمعنا غدا لرحيل
ألا ليت أياماً مضين رواجع وليت النوى قد ساعدت بجميل

ومنه

أتعجب أن طربت لصوت حاد حدا بُزُلا يسرن ببطن واد
فلا تعجب فان الحب أمسى لبثنة فى السواد من الفؤاد

ومنها

خليلي عوجا بالمحلة من جُمْل وأترابها بين الأُصَيفر والخبل
نقف بمغانٍ قد محا رسمها البلَى تعاقبها الأيام بالريح والوَبْل
فلو درج النمل الصغار بجلدها لأندب أعلى جلدها مَدْرَج النمل

وأحسن خلق الله جيداً ومقلة تشبه فى النسوان بالشادن الطفل

ومنها

أمنك سرى يابثن طيف تأوبا هدُوًّا فهاج القلب شوقاً وأنصبا
عجبت له أن زار فى النوم مضجعى ولو زارنى مستيقظاً كان أعجبا

لما قدم جميل من الشام بلغ بثينة خبره ، فراسلته مع بعض نساء الحى تذكر شوقها اليه ووجدها به وطلبها للحيلة فى لقائه وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فسار اليها وحدثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها وقد كان أهلها رصدوها فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما ، فوثب جميل فانتضى سيفه وشد عليهما ، فاتقياه بالحرب ، وناشدته بثينة الله الا انصرف ، وقالت له ان أقمت فضحتنى ، ولعل الحى يلحقونك ، فأبى وقال أنا مقيم وامضي أنت وليصنعوا ما أحبوا ، فلم تزل تناشده حتى انصرف وقال فى ذلك وقد هجرته وانقطع التلاقى بينهما مدة

هى البدر حسناً والنساء كواكب وشتان ما بين الكواكب والبدر
لقد فضلت حسناً على الناس مثل ما على ألف شهر فضلت ليلة القدر

وقال

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوة وفى النفس حاجات اليك كما هيا
وانى لتثنيني الحفيظة كلما لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا
ألم تعلمى ياعذبة الريق أنني أظل اذا لم أسق ريقك صاديا

رحل الى مصر فأدركته بها منيته فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة

صدع النعىّ وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر الذيل فى وادى القرى نشوان بين مزارع ونخيل
قومى بثينة فاندبى بعويل وابكي خليلك دون كل خليل

ولما أنشدت بثينة قول جميل قالت

وان سُلُوى عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر ... اذا مت بأساء الحياة ولينها

هدبة وزيادة

هُدْبة بن خَشْرَم بن كُرْز بن أبي حية العذري ، من بني عامر بن عبد الله ابن ذبيان

شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز ، وكان شاعراً راوية كان يروى للحطيئة ، وكان جميل راويته ، وكان لهدبة ، ثلاثة أخوة كلهم شاعر ، حَوْط وسَيْحان والواسع ، أمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأدْنَين وكانت شاعرة أيضاً ،

أما زيادة فهو ابن زيادة بن زيد بن مالك من بني قرة بن خنيس بن عبدالله ابن ذبيان وهم بنو رَقَاش

وكان أول ما هاج الحرب بين الحيين ان حَوْط بن خَشْرَم راهن زيادة على جملين من إبلهما ، وكان مُطلقهما من الغاية على يوم وليلة وذلك في القيظ ، فنزودوا الماء في الروايا والقِرب ، وكانت أخت حوط سلمى تحت زيادة ، فمالت مع أخيها على زوجها ، فوهنت أوعية زيادة ، ففنى ماؤه قبل ماء صاحبه ، فقال زيادة

قد جعلت نفسي في أديم ... مجرم الدباغ ذي هزوم (١)
ثم رمت بي عُرُض الديموم ... في بارح من وَهَج السَّموم
عند اطلاع وَغْرة النجوم (٢)

(١) مجرم لم يدبغ وهزوم شقوق (٢) الوغرة شدة توقد الحر

فكان ذلك أول ما أنبت الضغائن بينهما ، ثم ان هُدْبة وزيادة اصطحبا وهما مقبلان من الشام فى ركب من قومهما فكانا يتعاقبان السوق بالابل ، وكان مع هدبة أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز

عوجى علينا واربعى يا فاطما ... ما بين أن يُرَى البعير قائما (١)
ألا ترين الدمع منى ساجما ... حذار دار منك لن تلائما
فعرجت مطرداً عراهما ... فَعْما يَبُذ القُلَّص الرواسما (٢)
كأن فى المَثْناة منه عائما ... انك والله لأن تباغما (٣)
خوداً كأن البوص والمآكما ... منها نَقًا مخالط صرائما (٤)
خير من استقبالك السمائما ... ومن مناد تبتغى مُعَاكِما (٥)

فغضب هُدْبة حين سمع زياداً يرتجز بأخته فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعى أم خازم أو أم قاسم

لقد أرانى والغلام الخازما ... نزجى المطى ضُمَّراً سَوَاهما
متى تقول (٦) القُلَّص الرواسما ... والجِلَّة الناجيـة العياهما
يبلغن أم خازم وخازما ... اذا هبطن مستحيراً قاتما (٧)
ورفّع الحـادى لها اتهامها ... ألا ترَيْن الحزن منى دائما
حذار دار منك أن تلائما ... والله لا يشفى الفؤاد الهائما
تَمْساحك اللبّات والمآكما ... ولا اللمام دون أن تلازما

---

(١) أى مابين مناخ البعير الى قيامه (٢) مطرداً متتابع السير وعراهم شديد وفعم ضخم ولرسيم سير فوق العنق والرواسم التى تسير هذا السير (٣) المثناة الزمام وعائم سابح وتباغم تكلم (٤) البوص العجز والمآكم ما عن يمين العجز وشماله والنقا ماعظم من الرمل والصرائم دونه (٥) معاكم أى يعينك على عكمك حتى تشده (٦) تقول تظن والجلة المسان من الابل والعيهم الناقة السريعة (٧) المستحير الطريق الذى يأخذ فى عرض مفازة ولا يدرى أين منفذه

ولا اللزام دون أن تفاقا ولا الفقام دون أن تباغما

فشتمه زيادة وشتمه هدبة وتسابّا طويلاً ، ثم صاح بهما القوم اركبا لاحملكما الله فانا قوم حجاج ، وخشُوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه ، وهدبة أشدهما حنقاً لأنه رأى ان زيادة قد ضامه اذ رجز بأخته وهى تسمع قوله ورجز هو بأخته وهى غائبة لا تسمع قوله ، فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ورجعا الى عشائرهما ، وجعلا يتهاديان الأشعار ويتفاخران ويطلب كل منهما العلو على صاحبه فى شعره ، فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها

أراك خليلاً قد عزمت التجنبا وقطعت حاجات الفؤاد فأصحبا

اختار منها أبو الفرج قوله

وانك كالناس الخليلُ اذا دنت به الدارُ والباكي اذا ما تغيبا
وقد أعذرَتْ صرف الليالي بأهلها وشَحْطُ النوَى بيني وبينك مطلَبا
فلا هى تألُو ما نأَتْ وتباعدت ولا هو يألو ما دنا وتقربا
أطعت بها قول الوشاة فلا أرى الـــوُشَاةَ انتهَوْا عنه ولا الدهر أعْتَبَا
فهلا صَرَمْتِ والحبال متينةٌ أُمَيْمَةُ ان واش وَشَى وتكذبا
اذا خفت شك الأمر فارم بعزمة غَيَابَتَهُ يركب بك الحزم مركبا
وأن وجهة سُدَّت عليك فروجُها فانك لاق لا محالة مذهبا
يلام رجال قبل تجريب غيبهم وكيفَ يلامُ المرء حتى يجربا
وانى لمِعْرَاض قليـل تعرضى لوجه امرىء يوماً اذا ما تجنبا
قليل عثارى حين أُذْعَرُ ساكن جَنَانى اذا ما الحرب هرَّت لتكلبا
بحسبك ما يأتيك فاجمع لنازل قِرَاه ونَوِّبْه اذا ما تنوبا
ولا تنتجع شراً اذا حيل دونه بستر وهب أســـبابه ما تهيَّبا

أنا ابن رَقاش وابن ثعلبة الذى ... بني هادياً يعلو الهَوَادىَ أغلبا
بنى العز بنياناً لقومى فما صعوا ... بأسيافهم عنه فأصبح مُصْعَبا
فما ان ترى فى الناس أُمّاً كامنا ... ولا كأبينا حين تنسبه أبا
أتَمَّ وأنمَى بالبنين الى العلا ... وأكرم منا فى المناصب منصبا
ملكنا ولم نُمْلَكْ وَقُدْنا ولم نُقَدْ ... كأن لنا حقاً على الناس تُرْتَبا
بآية انا لا نرى متوجهاً ... من الناس يعلونا اذا ما تعصبا
ولا ملكاً الا اتقانا بملكه ... ولا سُوقة الا على الخَرْج أتعبا
ملكنا الملوك واستبحنا حماهم ... وكنا لهم فى الجاهلية موكبا
نَدَامَى وأرْدافاً فلم تر سُوقة ... توازننا فاسأل إيادًا وتَغْلِبا

فأجابه هدبة وهذا مختار ما فيها

تذكر شجواً من أُمَيْمَةَ مُنْصِبا ... تليداً ومنتاباً من الشوق مجلبا
تذكر حباً كان فى مَيْعَةَ الصبا ... ووجداً بها بعد المشيب معتبا
اذا كاد ينساه الفؤاد ذكرتها ... فيالك ما عَنّى الفؤاد وعذبا
غدا فى هواها مستكيناً كأنه ... خليعُ قِدَاح لم يجد مُتَنَشَّبا
وقد طال ما عُلِّقْتَ ليلى معمداً ... وليداً الى أن صار رأسك أشيبا
رأيتك فى ليلى كذى الداء لم يجد ... طبيباً يداوى ما به فتطببا
فلما اشتفى مما به كر طبه ... على نفسه من طول ما كان جَرَّبا

فلم يزل هدبة يطلب غِرّة زيادة حتى أصابها فبيته فقتله وتنحى مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص، فأرسل الى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة الى معاوية فأورد كتابه الى سعيد بأن

يقيد منه اذا قامت البينة فأقامها ، فمشت عذرة الى عبد الرحمن فسألوه قبول الدية فامتنع وقال وفيه غناء

أتخم علينا كلكل الحرب مرة ... فنحن منيخوها عليكم بكلكل
فلا تدعني قومي لزيد بن مالك ... لئن لم أعجل ضربة أو أعجل
أبعد الذي بالنعف نعف كويكب ... رهينة رمس ذي تراب وجندل
أذكر بالبقيا على من أصابني ... وبقياي اني جاهد غير مؤتل

ومن قول هدبة وقد سأله معاوية أن يقص عليه القصة

ألا يا لقومي للنوائب والدهر ... وللمرء يردي نفسه وهو لا يدري
والأرض كم من صالح قد تأكمت[1] ... عليه فوارته بلماعة قفر
فلا تتقي ذا هيبة لجلاله ... ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

حتى قال

رمينا فرامينا فصادف رمينا ... منايا رجال في كتاب وفي قدر
رأت أمير المؤمنين فما لنا ... وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فان تك في أموالنا لم نضق بها ... ذراعاً وان صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية أراك قد أقررت بقتل صاحبهم ، ثم قال لعبد الرحمن هل لزيادة ولد قال نعم المسور وهو غلام صغير لم يبلغ وأنا عمه وولي دم أبيه ، قال انك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق والمسور أحق بدم أبيه ، فرده الى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور ، وقالت أم هدبة لما حبس بالمدينة

أيا اخوتي أهل المدينة أكرموا ... أسيركم ان الأسير كريم
فرب كريم قد قراه وضافه ... ورب أمور كاهن عظيم
عصا جلها يوماً عليه فراضه ... من القوم عياف أشم حليم

(١) صارت أكمة

ولما أخرج ليقتل اذا هو بأبويه يتوقعان الثكل وهما بسوء حال فأقبل عليهما وقال

أبليا فى اليومَ صبراً منكما ... ان حزنا ان بدا بادىء شر
لا أرانى اليوم الا ميتاً ... ان بعد الموت دار المستقر
اصبرا اليوم فانى صابر ... كل حى لقضاء وقدر

ولما قتل قال واسع بن خشرم يرثيه

يا هدبَ يا خير فتيان العشيرة من ... يُفْجَعْ بمثلك فى الدنيا فقد فُجِعا
الله يعلم انى لو خشيتهمُ ... أو أوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخى لهمُ ... حتى نعيش جميعاً أو نموت معا

نائلة

هى نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية، زوج عثمان بن عفان رضى الله عنه

لما تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هند بنت الفرافصة بلغ ذلك عثمان فكتب اليه ؟ أما بعد فانه قد بلغني انك تزوجت امرأة من كلب فاكتب اليَّ بنسبها وجمالها ، فكتب اليه ، أما بعد فان نسبها انها بنت الفرافصة بن الأحوص وجمالها أنها بيضاء مديدة ، فكتب اليه ان كانت لها أخت فزوجنيها ، فبعث سعيد الى الفرافصة يخطب احدى بناته على عثمان ، فأمر الفرافصة ابنه ضَبًّا فزوجها إياه ، وكان ضب مسلماً وكان الفرافصة نصرانياً ، فلما أرادوا حملها اليه قال لها أبوها يا بُنَيَّة انك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطِّيب منك ، فاحفظى عني خصلتين فتكحلى وتطيبى بالماء حتى يكون ريحك ريح شَنّ أصابه مطر ، فلما حملت كرهت الغربة وحزنت لفراق أهلها فأنشأت تقول

ألست ترى يا ضَبّ بالله أنني مصاحبة نحو المدينة أركبا
اذا قطعوا حزناً تحث ركابهم كما ذعذعت[1] ريح يراعا مثقبا
لقد كان في أبناء حصن بن ضَمْضَم لك الويل ما يغني الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان رضى الله عنه قعد على سريره ووضع لها سريراً حياله ، فجلست عليه ، فوضع عثمان قُلَنْسِيته فبدا الصَّلَع ، فقال يا ابنة الفرافصة لا يهولنّك ما ترين من صَلَعي فان وراءه ما تحبين ، فسكتت ، فقال اما أن تقومي اليَّ واما أن أقوم اليك ، فقالت أما ما ذكرت من الصَّلَع فاني من نساء أحب بعولتهن اليهن السادة الصُّلْع ، وأما قولك اما أن تقومي اليَّ واما أن أقوم اليك فوالله ما تجشمت من جَنَبات السَّماوة[2] أبعد مما بيني وبينك بل أقوم اليك ، فقامت فجلست الى جنبه ، فمسح رأسها ودعا لها بالبركة وكانت من أحظى نسائه عنده

قال أبو الجراح مولي أم حبيبة كنت مع عثمان رضى الله عنه في الدار فما شعرت وقد خرج محمد بن أبي بكر ونحن نقول هم في الصلح الا بالناس قد دخلوا من الخوخة ونزلوا بأمراس الحبال من سور الدار معهم السيوف ، فرميت بنفسي وجلست وسمعت صياحهم ، فكأني أنظر الى مصحف في يد عثمان والى حمرة أديمه ، فنشرت نائلة شعرها ، فقال لها عثمان خذي خمارك فلعمري لدخولهم عليَّ أهون من حرمة شعرك ، وأهوى رجل اليه رضى الله عنه بالسيف فقطع أصبعين من أصابعها ، ثم قتلوه وخرجوا يكبرون

ولما قتل عثمان رثته بقولها

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة قتيل التُّجيبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غيبت عنا فضول أبي عمرو

وكتبت الى معاوية وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير ، من نائلة بنت

(١) ذعذعت الريح الشجر حركته تحريكا شديدا (٢) السماوة مفازة مشهورة بين الشام والعراق

الفرافصة الى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد فاني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر ونصركم على العدو وأسبغ النعمة ، وأنشدكم الله وأذكركم حقه وحق خليفته الذي لم تنصروه وبعزمة الله عليكم فانه قال « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » وان أمير المؤمنين بغى عليه ، ولو لم يكن له عليكم الا حق الولاية ثم أتى عليه ما أتى لحق على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره لقدمه في الاسلام وحسن بلائه وأنه أجاب داعي الله وصدق رسوله والله أعلم به اذ انتخبه ، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة ، واني أقص عليكم خبره لاني كنت مشاهدة أمره كله حتى قضى الله عليه ، ان أهل المدينة حصروه في داره ، يحرسونه ليلهم ونهارهم قياماً على أبوابه بسلاحهم ، يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء ، يحضرونه الأذى ويقولون له الافك ، فسكت هو ومن معه خمسين ليلة وأهل مصر قد أسندوا أمرهم الى محمد بن أبي بكر وعمار ابن ياسر ، وكان علي مع الحضريين من أهل المدينة ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى به ، فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهذيل وطوائف من مزينة وجهينة وأنباط يثرب ولا أرى سائرهم ولكني سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه في أول أمره وآخره ، ثم انه رمى بالنبل والحجارة ، فقتل ممن كان في الدار ثلاثة نفر فأتوه يصرخون اليه ليأذن لهم في القتال ، فنهاهم وأمرهم أن يردوا عليهم نبلهم ، فردوها اليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال الاجراءة وفي الأمر الا اغراء ، ثم أحرقوا باب الدار ، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه فقالوا ان في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج الى المسجد حتى يأتوك فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مطلة عليه من كل ناحية ، وما أرى أحداً يعدل ، فدخل الدار وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح فلبس درعه

وقال لأصحابه لولا أنتم ما لبست درعاً فوثب عليه القوم، فكلمهم ابن الزبير وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة وبعث بها الى عثمان ان عليكم عهدَ الله وميثاقه ألا تعرّوه بشيء، فكلموه وتحرجوا، فوضع السلاح، فلم يكن الا وضعه حتى دخل عليه القوم يقدُمهم ابن أبي بكر حتى أخذوا بلحيته ودعَوْه باللقب، فقال أنا عبد الله وخليفته، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات وطعنوه في صدره ثلاث طعنات وقد أثخنوه وبه حياة وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به، فأتتني بنت شَيْبَة بن ربيعة فألقت نفسها معي عليه، فتواطأنا وطأ شديداً وعرينا من ثيابنا، وحرمة أمير المؤمنين أعظم، فقتلوه رحمة الله عليه في بيته وعلى فراشه، وقد أرسلت اليكم بثوبه وعليه دمه، وانه والله لئن كان أثم من قتله لما سلم من خذله، فانظروا أين أنتم من الله عزوجل، فانا نشكو ما مسنا اليه ونستنصر وليه وصالح عباده ورحمة الله على عثمان ولعن الله من قتله وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة وشفى منهم الصدر

بيهس

هو بَيْهَس بن صهيب بن عامر الجَرْمي من جرم ثم من قضاعة يكني أبا المقدام شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية، وكان يَبْدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكَلْب وعُذْرة ويَحْضُر اذا حضروا فيكون بأجناد الشام، وكان مع المهلب بن أبي صفرة في حروبه للازارقة، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن، وكان يهوى ابنة عمه صَفْراء بنت عبدالله بن عامر، وكان يتحدث اليها ويجلس في بيتها ويكتم وَجْده بها ولا يظهره لأحد ولا يخطبها لابيها لأنه كان مُعْلوكا لا مال له فكان ينتظر أن يُثْرى، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارة وحديثاً وشعراً، فكان نساء الحي يتعرضن له ويجلسن اليه ويتحدثن معه، فمرت به صفراء فرأته جالساً مع فتاة منهن فهجرته زماناً لا تجيبه اذا دعاها ولا تخرج اليه اذا زارها،

وعرض له سفر فخرج اليه ، ثم عاد وقد زوجها أبوها رجلاً من بني أسد فأخرجها وانتقل عن دارهم ، فقال بيهس

سقى دمنة صفراء كانت تحلها ... بنوء الثريا طلّها وذهابها
وصاب عليها كل أسحم هاطل ... ولا زال مخضراً مريعاً جنابها
أحب ثرى أرض اليّ وان نأت ... محلك منها نبتها وترابها
على أنها غضبى عليّ وحبذا ... رضاها اذا ما أرضيت وعتابها
وقد هاج لي حينا فراقك غدوة ... وسعيك فى فيفاء تعوى ذئابها
نظرت وقد زال الحمول ووازنوا ... بركوة والوادى وخفت ركابها
فقلت لأصحابى أبا لقرب منهم ... جرى الطير أم نادى ببين غرابها

ولما ماتت صفراء رثاها بيهس فقال

هل بالديار التى بالقاع من أحد ... بلق فيسمع صوت المدلج السارى
تلك المنازل من صفراء ليس بها ... نار تضيء ولا أصوات سمّار
عفّت معارفها هوجاء مغبرة ... تسفى عليها تراب الأبطح الهارى
حتى تنكرت منها كل معرفة ... الا الرماد نخيلاً بين أحجار
طال الوقوف بها والعين تسبقني ... فوق الرداء بوادي دمعها الجارى
إن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف ... ألهو لديهم ولا صفراء فى الدار
أرعى بعينى نجوم الليل مرتقبا ... يا طول ذلك من هم واسهار
فقد يكون لي الأهل الكرام وقد ... ألهو بصفراء ذات المنظر الوارى
من الماجد أعراقاً اذا نسبت ... لا تحرم المال عن ضيف وعن جار
لم تلق بؤساً ولم يضرر بها عوز ... ولم ترجف مع الصالي الى النار
كذلك الدهر ان الدهر ذو غير ... على الأنام وذو نقض وامرار

قد كان يعتادنى من ذكرها جزع ... لولا الحياء ولولا رهبة العار
سقى الاله قبوواً فى بني أسد ... حول الربيعة غوثاً صوب مِدْرار
مَنِ الذى بعدكم أرضى به بدلا ... أو مَنْ أحدث حاجاتى وأسرارى

اجتاز بيهس في بلاد بني أسد فمر بقبر صفراء وهو فى موضع يقال له الأحص، ومعه ركب من قومه وكانوا قد انتجعوا بلاد بنى أسد فأوسعوا لهم ، وكان بينهم صهر وحِلْف ، فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه ألا ترحل ؟ فقال أما والله حتى أظل نهارى كله عنده وأقضى وطراً فلا تنزلوا وأنشأ يقول

ألِمَّا على قبر لصفراء فاقرآ السلام وقولا حَيِّنا أيها القبر
وما كان شيئاً غير ان لست صابرا ... دعاك قبرا دونه حجج عشر
برابية فيها كرام أحبة ... على أنها الا مضاجعهم قفر
عشية قال الركب من غرض بنا ... تروح أبا المقدام قد جنح العصر
فقلت لهم يوم قليل وليلة ... لصفراء قد طال التجنب والهجر
وبت وبات الناس حولي هجرا ... كأن علىّ الليل من طوله شبر
اذا قلت هذا حين أهجع ساعة ... تطاول بى ليل كواكبه زُهْر
أقول اذا ما الجنب مَلّ مكانه ... أشوك يجافى الجنب أم تحته جمر
فلو أن صخراً من عَماية راسيا ... يقاسى الذى ألقى لقد مله الصخر

مرَّ غلامٌ من قيس بطوائف من جَرْم وعُذْرة وكلب متجاورين على ماء لهم ، فيقال ان بعض احداثهم نخس به ناقته فألقته فاندق عنقه فمات ، واستعدى قومه عليهم عبد الملك فبعث الى تلك البطون من جاء بوجوههم وذوى الأخطار منهم فحبسهم وهرب بيهس فنزل على محمد بن مَرْوان فعاذ به واستجاره فأجاره الا من حد توجبه عليه شهادة ، فرضى بذلك وقال وهو متوار عند محمد

لقد كانت حوادث معضلات وأيام أغصّت بالشراب
وما ذنب المعاشر فى غلام تقطر بين أحواض الجباب (١)
على قوداء أفرطها جلال وعُض فهى باقية الهباب (٢)
ترامت باليدين فأرهقته كما زل النطيح من الحقاب (٣)
فانى والعقابَ وما أرجى لكالساعى الى وضح السراب
فلما أن دنا فرج بربى يكشف عن مخفقة يَباب
من البلدان ليس بها غريب تَخُبّ بأرضها زُلّ الذئاب
فظنى بالخليفة أن فيه أماناً للبرىء وللمصاب
وأن محمداً سيعود يوماً ويرجع عن مراجعة العتاب
فيجبر صبيتي ويحوط جارى ويؤمن بعدها أبداً صحابى
هو الفرع الذى بنيت عليه بيوت الأطيبين ذوى الحجاب

فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً فى أمرهم مع أخيه حتى أمن بيهس وعشيرته واحتمل دية المقتول وأرضاهم

(١) الجباب جمع جب وهو البئر وتقطر سقط (٢) الاقود من الخيل والابل الذليل المنقاد والانثى قوداء وافرطها افزعها والجلال جمع جل وهو ما تلبسه لتصان به والعض النوى المرضوخ والكسب تعلفه الابل والهباب النشاط (٣) الحقاب جبل بعينه

شعراء كندة

شريح القاضي

هو شُريح بن الحرث بن قيس الكندى ولاه عمر بن الخطاب قضاء الكوفة تزوج شريح زينب بنت حُدير التميمية فأحمدها ، ومن قوله وقد رأى رجلا يضرب امرأته

رأيت رجالاً يضربون نساءهم ... فشلت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أتت به ... إليَّ فما عذري اذا كنت مذنبا
فتاة تزين الحلى ان هى حليت ... كأن بفيها المسك خالط محلبا

ومن قوله فيها

اذا زينب زارها أهلها ... حشدتُ وأكرمت زوارها
وان هى زارتهمُ زرتهم ... وان لم أجد لي هوى دارها
فسلمى لمن سالمت زينب ... وحربى لمن أشعلت نارها
وما زلت أرعى لها عهدها ... ولم أتَّبع ساعة عارها

قال الشَّعبى قال لي شُريح يا شعبى عليكم بنساء بني تميم فانهن النساء ، قلت وكيف ذاك ؟ قال انصرفت من جنازة ذات يوم مظهرا ، فمررت بدور بنى تميم فاذا امرأة جالسة فى سقيفة على وسادة وتجاهها جارية رُؤد ، يعني التي قد بلغت ، ولها ذؤابة على ظهرها جالسة على وسادة ، فاستسقيت ، فقالت لى أى الشراب أعجب اليك ؟ النبيذ أم اللبن أم الماء ؟ قلت أى ذلك تيسر عليكم ، قالت اسقوا الرجل لبناً فانى أخاله عربياً ، فلما شربت نظرت الى الجارية فأعجبتني ، فقلت من هذه ؟ قالت ابنتي ، قلت وممن ؟ قالت زينب بنت حُدَير احدى نساء بني تميم ثم احدى نساء بني حنظلة ثم احدى نساء بني طُهَيَّة ، قلت أفارغة أم مشغولة ؟ قالت بل

فارغة ؟ قلت أتزوجينيها ؟ قالت نعم ان كنت كفياً ، ولها ثم فاقصده ، فانصرفت فامتنعت من القائلة ، فأرسلت الى إخواني القراء فوافيت معهم صلاة العصر فاذا عمها جالس ، فقال أبا أُمية حاجتك ، قلت اليك ، قال وما هي ؟ قلت ذكرت لي بنت أخيك زينب بنت حُدَير ، قال ما بها عنك رغبة ولا بها عنك مقصر وانك لنُهْزة ، فتكلمت فحمدت الله جل ذكره وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت حاجتي ، فرد الرجل عليَّ وزوجني وبارك القوم لي ، ثم نهضنا ، فما بلغت منزلي حتى ندمت ، فقلت تزوجت الى أغلظ العرب وأجفاها ، فهممت بطلاقها ، ثم قلت أجمعها إليَّ فان رأيت ما أحب والا طلقتها ، فأقمت أياماً ، ثم أقبل نساؤها يهادينها ، فلما أجلست في البيت أخذت بناصيتها فبَرَّكت ، وأخلي لي البيت ، فقلت يا هذه ان من السنة اذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين ويسألا الله خير ليلتهما ويتعوذا بالله من شرها ، فقمت أُصلي ثم التفت فاذا هي خلفي ، فصليت ثم التفت فاذا هي على فراشها ، فمددت يدي ، فقالت على رسلك ، فقلت احدى الدواهي مُنيت بها ، فقالت ان الحمد لله أحمده وأستعينه ، إني امرأة عربية ، لا والله ما مرت مسيراً قط أشد على منه ، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك ، فحدثني بما تحب فآتيه وما تكره فأنزجر عنه ، فقلت الحمد لله وصلى الله على محمد ، قدِمت خير مَقْدَم ، قدمت على أهل دار زوجك سيد رجالهم وأنت سيدة نسائهم ، أحب كذا وأكره كذا ، قالت أخبرني عن أختاك أتحب أن يزوروك ؟ فقلت انى رجل قاض وما أحب أن تَملّوني ، قال فبتّ بأنعم ليلة وأقمت عندها ثلاثاً ، ثم خرجت الى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوماً الا وهو أفضل من الذى قبله ، حتى اذا كان عند رأس الحول دخلت منزلي فاذا عجوز تأمر وتنهي ، قلت يا زينب من هذه ؟ قالت أُمي فلانة ، قلت حياكِ الله بالسلام ، قالت أبا أُمية كيف أنت وحالك ؟ قلت بخير أحمد الله ،

قالت أبا أُمية كيف زوجك ؟ قلت كخير امرأة قالت ان المرأة لا ترى فى حال أسوأ خلقاً منها فى حالين ، اذا حظيت عند زوجها ، واذا ولدت غلاماً ، فان رابك منها ريب فالسوط ، فان الرجال والله ما حازت الى بيوتها شراً من الورهاء المتدللة ، قلت أشهد أنها ابنتك ، قد كفيتنا الرياضة وأحسنت الأدب ، فكانت كل حول تأتينا فتذكر هذا ثم تنصرف ، فما غضبت عليها قط الا مرة كنت لها ظالماً فيها ، وذاك أنى كنت أمام قومى فسمعت الاقامة وقد ركعت ركعتى الفجر فأبصرت عقرباً فعجلت عن قتلها فأكفأت عليها الاناء ، فلما كنت عند الباب قلت يا زينب لا تحركي الاناء حتى أجيء ، فحركت الاناء فضربتها العقرب ، فجئت فاذا هى تلوّى ، فقلت مالك ؟ قالت لسعتني العقرب ، فلو رأيتني يا شعبي وأنا أعرك أصبعها بالماء والملح وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب

المقنع الكندى

هو محمد بن ظفر بن عمير الكِنْدى والمقنّع لقب غلب عليه لأنه كان أجمل الناس وجهاً ، وأمدهم قامة وأكملهم خلقاً ، وكان اذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين فيمرض ويلحقه ضنت فكان لا يمشى الا مقنعاً

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له محل كبير وشرف ومُروءة وسودَد فى عشيرته ، وكان متخرقاً فى عطاياه سَمْح اليد بماله لا يرد سائلاً عن شيء حتى أتلف كل ما خلفه أبوه من مال فاستعلاه بنو عمه بأموالهم وجاههم وهَوِى بنت عمه عمرو فخطبها الى اخوتها فردوه وعيروه بتخرقه وفقره وما عليه من الدين فقال

يعاتبنى فى الدين قومى وانما ... ديونى فى أشياء تَكسبهم حمدا
أسدّ به ما قد أخلوا وضيعوا ... ثُغور حقوق ما أطاقوا لها سدا
وفي جَفْنة ما يغلق الباب دونها ... مكلّلة لحماً مدفقة ثُرْدا
وفى فرس نَهْد عتيق جعلته ... حجاباً لبيتى ثم أخدمته عبدا

وان الذى بينى وبين بنى أبى ... وبين بنى عمى لمختلف جدا
فان أكلوا لحمى وفَرْت لحومهم ... وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم ... وانهم هَوُوا غيى هَويت لهم رشدا
وان زجروا طيراً بنحْس تمر بى ... زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحِقْد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نصرى سراعاً وانهمُ ... دعَونى الى نصر أتيتهم شدا
لهم جل مالي ان تتابع لي غنى ... وان قل مالي لم أكلفهمُ رِفْدا
وانى لعبد الضيف ما دام نازلا ... وما شِيمة لي غيرها تشبه العبدا

وقال عبد الملك بن مروان ، وكان أول خليفة ظهر منه بخل ، أى الشعراء أفضل ؟ فقال له كثير بن هراسة ، يعرض ببخل عبد الملك ، أفضلهم المقنع الكندى حيث يقول

انى أُحرض أهل البخل كلهم ... لو كان ينفع أهل البخل تحريضى
ما قل مالي الا زادنى كرماً ... حتى يكون برزق الله تعويضى
والمال يرفع من لولا دراهمه ... أمسى يقلب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البِيض عفواً من أكفهمُ ... الا على وجع منهم وتمريض

حجية بن المضرب

شاعر نصرانى كندي كان فى مدة عمر رضى الله عنه

حدث القاسم بن محمد بن أبى بكر ، قال لما قتل أبى بمصر جاء عمى عبدالرحمن ابن أبى بكر فاحتملني وأختا لي من مصر فقدم بنا المدينة ، فبعثت الينا عائشة فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن اليها ، فما رأيت والدة قط ولا والداً أبرّ منها ، فلم نزل فى حجرها على نخذها ، ثم بعثت الى عمى عبد الرحمن ، فلما دخل عليها تكلمت

فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه فما رأيت متكلما ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أفصح منها ، ثم قالت يا أخى انى لم أزل أراك مُعْرِضاً عني منذ قبضت هذين الصبيين منك ، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ولا تُهَمَة لك فيهما ولا لشيء تكرهه ولكنك كنت رجلاً ذا نساء ، وكانا صبيين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان فكنت أَلْطف لذلك وأحق لولايته ، فقد قويا على أنفسهما وشبا وعرفا ما يأتيان فهاهما هذان فضمهما اليك وكن لها كحُجَيَّةَ بن المُضَرَّب أخى كِندة ، فانه كان له أخ يقال له مَعدان فمات وترك أُصَيبية صغاراً فى حجر أخيه فكان أبرّ الناس بهم وأعطفهم عليهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه فمكث بذلك ما شاء الله ، ثم انه عرض له سفر لم يجد بُدًّا من الخروج فيه ، فخرج وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمه ، وكان يقال لها زينب ، فقال اصنعى ببني أخى ما كنت أصنع بهم ، ثم مضى لوجهه فغاب أشهراً ، ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيرت ، فقال لامرأته ويلك مالي أرى بنى معدان مهازيل وأرى بَنِيّ سمانا ؟ قالت قد كنت أواسى بينهم ولكنهم كانوا يعبثون ويلعبون ، فخلا بالصبيان ، فقال كيف كانت زينب لكم ؟ قالوا سيئة ما كانت تعطينا من القوت الا ملء هذا القدح من لبن وأَرَوْه قدحاً صغيراً ، فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها حتى اذا أراح عليه راعياه إبله ، قال لهما اذهبا فأنتما وإبلكما لبنى معدان ، فغضبت من ذلك زينب وهجرته وضربت بينه وبينها حجاباً ، فقال والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غَبوقاً أبداً ، وقال فى ذلك

لَجِجْنا ولجت هذه فى التغضب ... ولَطّ الحجاب بيننا والتجنب
وخطت بفَرْدَىْ إثمد جفن عينها ... لتقتلنى وشد ما حب زينب
تلوم على مال شفانى مكانه ... فلومى حياتى ما بدالك واغضبى

رحمت بنى معدان أنْ قل مالهم ... وحق لهم مني ورب المُحَصَّب
وكان اليتامى لا يسد اختلالهم ... هدايا لهم فى كل قَعْب مُشَعَّب
فقلت لعبدينا أريحا عليهمُ ... سأجعل بيتى بيت آخر مُعْزِب
وقلت خذوها واعلموا أن عمكم ... هو اليوم أولى منكم بالتكسب
عيالى أحق أن ينالوا خَصاصة ... وأن يشربوا رَنْقاً الى حين مكسبى
أحابى بها من لو قصدت لماله ... حريباً لآسانى على كل مركب
أخى والذى ان أَدْعُهُ لعظيمة ... يجبنى وان أَغضب الى السيف يغضب

قيل فلما بلغ زينب هـذا الشعر وما وهب زوجها خرجت حتى أتت المدينة فأسلمت ، وذلك فى ولاية عمر ، فقدم حُجَيَّة المدينة فطلب زينب أن ترد عليه ، وكان نصرانياً ، فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته ، فقال له إياك وأن يبلغ عنك هذا عمر فتلقى منه أذًى ، وانتشر خبر حُجَيَّة وعلم فيم كان مَقْدَمه ، فبلغ ذلك عمر ، فقال للزبير قد بلغني قصة ضيفك ولقد هممت به لولا تحرمه بالنزول عليك ، فرجع الزبير الى حُجَيَّة فأعلمه قول عمر ، فقال حجية فى ذلك

ان الزُّبير بن عَوّام تداركنى ... منه بسَيْب كريم سيبه عِصَم
نفسى فداؤك مأخوذاً بحجزتها ... اذ شاط لحمى واذ زلت بىَ القدم
اذ لا يقوم بها الا فتى أنف ... عارى الأشاجع فى عِرنينه شمم

ثم انصرف من عنده متوجهاً الى بلده آيساً من زينب كئيباً حزيناً فقال فى ذلك

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب ... وكيف تصابى المرء والرأس أشيب
اذا قربت زادتك شوقاً بقربها ... وان جانبت لم يُسْلُ عنها التجنب
فلا اليأس ان ألممت يبدو فترعوى ... ولا أنت مردود بما جئت تطلب
وفى اليأس لو يبدو لك اليأس راحة ... وفى الارض عمن لا يؤاتيك مذهب

شعراء مذحج

جعفر بن علبة الحارثى

هو جعفر بن عُلْبة بن ربيعة بن عبد يغوث الشاعر أسير يوم الكُلاب (أنظر صفحة ٤٩ جزء ١)، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، شاعرٌ مُقِلّ غزِل فارس مذكور فى قومه، وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعراً أيضاً

شرب جعفر حتى سكر، فأخذه السلطان فحبسه، فأنشأ يقول

لقد زعموا أني سكرت وربما ... يكون الفتى سكرانَ وهو حليم
لَعَمْرُكَ ما بالسكر عار على الفتى ... ولكن عاراً أن يقال لئيم
وان فتى دامت مواثيق عهده ... على دون ما لاقيته لكريم

ثم حبس معه رجل من قومه من بني الحرث بن كعب فى ذلك الحبس وكان يقال له دوران فقال جعفر

اذا باب دوران ترنَّم فى الدُّجَى ... وشُد بأغلاق علينا وأقفال
وأظلم ليل قام عِلج بجُلْجُل ... يدور به حتى الصباح بأعمال
وحراس سوء ما ينامون حوله ... فكيف لمظلوم بحيلة محتال
ويصبر فيه ذو الشجاعة والندى ... على الذل للمأمور والعلج والوالى

خرج جعفر وعصبة معه فأغاروا على بنى عقيل، فخرج بنو عقيل فى طلبهم وافترقوا عليهم فى الطريق ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى حتى انتهوا الى بلاد نَهْد فرجعت عنهم بنو عقيل وقد كانوا قتلوا فيهم ففى ذلك يقول جعفر

ألا لا أبالي بعد يوم بسَحْبل ... اذا لم أُعَذَّب أن يجيء حِمَاميا
تركت بأعلى سَحْبل ومضيقه ... مُرَاقَ دم لا يبرح الدهر ثاويا

شفيت به غيظى وحرب مواطنى ... وكان شفاء آخر الدهر باقيا
أرادوا ليثنونى فقلت تجنبوا ... طريق فمالي حاجة من ورائيا
فِدًى لبنى عم أجابوا لدعوتى ... شفَوْا من بنى القرعاء عمى وخاليا
كأن بنى القرعاء يوم لقيتهم ... فراخ القطا لاقين صقراً يمانيا
تركناهمُ صَرْعى كأن ضجيجهم ... ضجيج دبارى النيب لاقت مداويا
أقول وقد أجلت من القوم عركة ... ليبك العقيليين من كان باكيا
فان يترَّى سَحْبل لإمارة ... ونضح دماء منهم ومَحانيا (١)
ولم أترك لي ريبة غير أنني ... وَدِدْت معاذاً كان فيمن أتانيا (٢)
شفيت غليلي من حُشينة بعد ما ... كسوت الهُذَيل المشْرَفى اليمانيا
احقاً عباد الله أن لست رائياً ... صَحارى نجد والرياح الذَّواريا
ولا زائراً ثُمّ العَرَانين تنتمى ... الى عامر يحلان رملا معاليا
اذا ما أتيت الحارثيات فاعْنَنى ... لهن وخبرهن ألاَّ تلاقيا
وقوِّد قلوصي بينهن فانها ... ستَبْرُدُ أكباداً وتُبْكِى بواكيا
أوصيكم ان مت يوماً بعارم (٣) ... ليغنى غنائى أو يكون مكانيا

وقال فى ذلك جعفر أيضاً

وسائلة عنا بغيب وسائل ... بمَصْدقنا فى الحرب كيف نحاول
عشية قُرَّى سَحْبل اذ تعطفت ... علينا السَّرَايا والعدو المباسل
ففرج عنا الله مرحا عدونا ... وضرب ببيض المشْرَفيّة خابل
اذا ما قرى هامَ الرؤوس اعترامُها ... تعاورها منا أكف وكاهل
اذا ما رصدنا مرصداً فرجت لنا ... بأيماننا بيض جلَتْها الصَّياقل
ولما أبَوْا الا المضى وقد رأوْا ... بأن ليس منا خشية الموت ناكل

(١) آثار المحانى آثارهم حنوا من الضعف للجراح التى بهم (٢) أراوددت ان معاذا كان أتانى معهم فاقتله (٣) عارم ابنه وبه كان يكنى

حلفت يميناً برّة لم أرد بها ... مقالة تسميع ولا قول باطل
ليختصمن الهُنْدُوانى منهم ... معاقد يخشاها الطبيب المزاول
وقالوا لنا ثنتان لابد منهما ... صدور رماح أشرعت أوسلاسل
فقلنا لهم تلكم اذاً بعد كرّة ... تغادر صَرْعَى نهضها متخاذل
وقتلى نفوس فى الحياة زهيدة ... اذا اشتجر الخَطّي والموت نازل
نراجعهم فى قالة بدؤا بها ... كما راجع الخصمَ البذىّ المناقل
لهم صدر سبنى يوم بَطْحاء سَحْبل ... ولى منه ما ضُمّت عليه الأنامل

فاستعدت عليهم بنو عقيل السَّرِىّ بن عبد الله الهاشمى عامل مكة لأبى جعفر، فأعداهم وحبس جعفراً وقتله، ومن قوله وهو محبوس قبل أن يقتل

عجبت لمسراها وأنّى تخلصت ... اليّ وباب السجن بالقفل مغلق
ألمت فحيّت ثم قامت فودّعت ... فلما تولت كادت النفس تزهق
فلا تحسبى أنى تخشعت بعدكم ... لشىء ولا أنى من الموت أفرق
وكيف وفى كفى حسام مذلّق ... يَعَضّ بهامات الرجال ويَعْلَق
ولا أن قلبى يزدهيه وعيدهم ... ولا أننى بالمشى فى القيد أخرق
ولكن عرتنى من هواك صبابة ... كما كنت ألقى منك اذ أنا مطلق
فأما الهوى والود منى فطامح ... اليك وجثمانى بمكة موثق

وقال لأخيه يحرضه

وقل لأبى عون اذا ما لقيته ... ومن دونه عُرْض الفلاة يحول
تعلّمْ وعد الشك انى يشفنى ... ثلاثة أحراس معاً وكبول
اذا رمت مشياً أوتبوأت مضجعاً ... يبيت لها فوق الكعاب صليل
ولو بك كانت لابتعثتُ مطيتى ... يعود الحفا أخفافها وتجول
الى العدل حتى يصدر الأمر مصدراً ... وتبرأ منكم قالة وعدول

ولما قتل قال عُلْبة يرثيه

لَعَمْرك انى يوم أسلمت جعفراً وأصحابه للموت لمَّا أقاتلِ
لمجتنب حب المنايا وانما يَهيج المنايا كل حق وباطل
فراح بهم قوم ولا قوم عندهم مُغَلَّلة أيديهمُ بالسلاسل
وربَّ أخ لي غاب لو كان شاهداً رآه التَّباليون لي غير خاذل

وقال لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر

لعمرك ان الليل يا أم جعفر عليَّ وان علاتنى لطويل
أحاذر أخباراً من القوم قد دنت ورجعة أنقاض لهن دليل

فأجابته فقالت

أبا جعفر أسلمت للقوم جعفراً فمت كمداً أو عش وأنت ذليل

ومن قول جعفر

ألا هل الى فتيان لهو ولذة سبيل وتَهْتاف الحمام المطوق
وشربة ماء من حَدوداء[1] بارد جرى تحت أظلال الأراك المسوق
وسيرى مع الفتيان كل عشية أباري نداماهم بصهباء سيلق[2]
اذا كلحت عن نابها مج شدقها لُغاماً كمُجّ البيضة المترقرق
وأصهب جَوْنى كأن بُغامه تبغم مطرود من الوحش مُرْهق
برى لحم دَفيه وأدمى أظَلَّه اجتيابى الفيافى سملقاً بعد سملق[3]

ولما قتل قام نساء الحى يبكين عليه ، وقام أبوه الى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين يديه وقال ابكين معنا على جعفر ، فما زالت النوق ترغو والشاة تثغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكي معهن ، فما رؤى يوم كان أوجع وأحرق مأتماً فى العرب من يومئذ

(١) موضع فى بلاد عذرة (٢) السيلق الناقة السريعة (٣) دفيه جانبيه والاظل باطن المنسم والسملق القاع الصفصف

شعراء أنمار

ابن الدمينة

هو عبيدالله بن عبد الله الخثعمي من خثعم بن أنمار ثم من كهلان ، والدمينة امه وهي بنت حذيفة السلولية ، ويكنى أبا السري

هوى ابن الدمينة امرأة من قومه يقال لها أُميمة فهام بها مدة ، فلما وصلته تجنّى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلاً ، ثم أقبلت عليه فقالت له

وأنتَ الذى أخلفتنى ما وعدتنى ... وأشمتّ بى من كان فيك يلوم
وأبرزتنى للناس ثم تركتنى ... لهم غرضاً أُرمَى وأنت سليم
فلو أن قولاً يكلِم الجسم قد بدا ... بجسمى من قول الوشاة كلوم

فأجابها ابن الدمينة فقال

وأنت التي قطعت قلبي حرارة ... ومزقت قَرْح القلب فهو كليم
وأنت التي كلفتني دَلجَ السُّرى ... وجُون القطا بالجلهتين جثُوم (١)
وأنتِ التي أحفظت قومى فكلهم ... بعيد الرضا دامى الصدور كليم

ومن قوله فيها

أقمت على زِمّان يوماً وليلة ... لأنظر ما واشى أُميمة صانع
فقصّرك مني كل يوم قصيدة ... تَخُبّ بها خُوص المطى النزائع (٢)
أقضي نهاري بالحديث وبالمني ... ويجمعني والهمّ بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى اذا بدا ... لي الليل هزتني اليك المضاجع

(١) الجلهتان مكان بالحمى حمى ضرية (٢) النزائع من النجائب التى تجلب الى غير بلادها

لقد ثبتت فى القلب منك محبة كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

ومن قوله قصيدته التى مطلعها

ألا هل من البين المفرق من بُدّ وهل لليال قد تسلفن من رد

يقول فيها

وقد زعموا أن المحب اذا دنا يُمَلّ وأن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يُشْفَ ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
ولكن قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذى ود
هواى بهذا الغَوْر غور تهامة وليس بهذا الحى من مستوى نجد
فوالله رب البيت لا تجدينى تطلبت قطع الحبل منكم على عمد
ولا أشترى أمراً يكون قطيعة لما بيننا حتى أُغيَّب فى اللحد
فمن حبها أحببت من لا يحبنى وصانعت من قد كنت أبعده جهدى
ألا ربما أهدى لي الشوق والجَوَى على النأى منها ذُكْرَة قلما تُجْدِى
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد فقد زادنى مسراك وجداً على وجد
أأن هتفت ورقاء فى رَوْنق الضحى على فَنَنَ غَضّ النبات من الرَّنْد
بكيت كما يبكى الوليد ولم تكن جليداً وأبديت الذى لم تكن تبدى

قال اسحق الموصلي كان العباس بن الأحنف اذا سمع شيئاً يستحسنه أطرفنى به وأفعل مثل ذلك فجاءنى يوماً فوقف بين البابين وأنشد لابن الدمينة (الأبيات السابقة) ثم ترنح ساعة وديخ[1] أخرى ثم قال أأنطح العمود برأسي من حسن هذا؟ فقلت لا ارفق بنفسك

لقى ابن هَرْمة بعض أصدقائه فقال له من أين أقبلت؟ قال من المسجد، قال فأى شيء صنعت هناك؟ قال كنت جالساً مع ابراهيم بن الوليد المخزومى، قال فأى

(١) ديخ قبب ظهره وطأطأ رأسه كديخ

شيء قال لك ؟ قال أمرني أن أُطلق امرأتي ، قال فأيَّ شيء قلت له ؟ قال ما قلت له شيئاً ، قال فوالله ما قال لك ذلك الا لأمر أظهرته عليه وكتمتنيه ، أفرأيت ان أمرته بطلاق امرأته أيطلقها ؟ قال لا والله ، قال فابن الدمينة كان أنصف منك ، كان يَهْوَى امرأة من قومه فأرسلت اليه ان أهلي قد نَهَوْني عن لقائك ومراسلتك ، فأرسل اليها

أطعت الآمريك بقطع حبلي ... مُريهم فى أحبتهم بذاك
فان هم طاوعوك فطاوعيهم ... وان عاصَوْك فاعصِي من عصاك
أما والراقصات بكل فَجّ ... ومن صلى بنَعمان الأراك
لقد أضمرت حبك فى فؤادي ... وما أضمرت حباً من سواك

ومن شعر ابن الدمينة

قفى يا أُمَيم القلب نقض لبانة ... ونشكُ الهوى ثم افعلي ما بدالك
سلي البانة الغناء بالأبطح الذى ... به الماء هل حييت أطلال دارك
وهل قمت بعد الرائحين عشية ... مقام أخى البغضاء واخترت ذلك
وهل كفكفت عيناى فى الدار عَبرة ... فرادَى كنظم اللؤلؤ المتهالك
فيا بانة الوادى أليست مصيبة ... من الله أن تُحْمَى علينا ظلالُك
ويا بانة الوادى أبينى متيماً ... أخا سَقَم أنشبته فى حبالك
وكلفتِنى من لا أطيق كلامه ... نهاراً ولا ليلاً ولا بين ذلك

يقول فيها

ليَهْنِك امساكى بكفى على الحَشَى ... وإذ راء عينى دمعةً من زِيالك
ولو قلت طَأْفي النار أعلم أنه ... هوى منك أو مُدْنٍ لنا من وصالك
لقدمت رجلى نحوها فوطئتها ... هدى منك لي أو غَيّة من ضلالك

ويسقى محب من شرابك شربة يعيش بها أو حيل دون حلالك
أرى الناس يرجون الربيع وانما رجائى الذى أرجو جدًا من نوالك
أبينى أفي يمنى يديك جعلتنى فأفرح أم صيرتني فى شمالك
لئن ساءنى أن نلتني بمساءة لقد سرنى أنى خطرت ببالك
أبيت كأنى بين شقين من عصا حِذارَ الردى أو خيفة من زِيالك
تعاللتِ كي أشْجَى وما بك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

كان له امرأة يقال لها حماء ، وكان مزاحم بن عمرو السَّلولى يرمى بها ، فكان يأتيها ويتحدث اليها حتى اشتهر ذلك ، فمنعه ابن الدمينة من اتيانها واشتد عليها وقال مزاحم فى ذلك شعراً يهجوه ويصرح بما تحدث الناس به ، فلما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم أتى امرأته ، فقال لها قد قال فيك هـذا الرجل ما قال وقد بلغك ، قالت والله ما رأى منى ذلك قط ، قال فمن أين العلامات ؟ قالت وصفهن له النساء ، قال هيهات والله أن يكون ذلك كذلك ، ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاحماً قد نسى القصة ، ثم أعاد عليها القول وأعادت الحلف ان ذلك مما وصفه له النساء ، فقال لها والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك ، فعلمت أنه سيفعل ذلك ، فبعثت اليه وواعدته ليلاً ، وقعد له ابن الدمينة وصاحب له ، فجاءها للموعد ، فجعل يكلمها وهى مكانها ، فلم تكلمه ، فقال لها يا حماء ما هـذا الجفاء الليلة ؟ فتقول له هى بصوت خفيف ادخل ، فدخل فأهوى بيده ليضعها عليها فوضعها على ابن الدمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصى فى ثوب فضرب بها كبده حتى قتله ، وأخرجه فطرحه ميتاً ، فجاء أهله فاحتملوه ولم يجدوا به أثر السلاح ، فعلموا أن ابن الدمينة قتله ، وقد قال ابن الدمينة فى تحقيق ذلك

قالوا هجتك سَلول اللؤم مخفية فاليوم أهجو سَلولاً لا أخافيها
قالوا هجاك سَلولىّ فقلت لهم قد أنصف الصخرة الصَّماء راميها

وقال أيضاً يذكر دخول مزاحم ووضعه يده عليه

لك الخير ان واعدت حماء فالقها نهاراً ولا تُدلج اذا الليل أظلما
فانك لا تدري أبيضاء طفلة تعانق أم ليثاً من القوم قَشْعما
فلما سرى عن ساعدي ولحيتي وأيقن انى لست حمّاء جمجما

ثم أتى ابن الدمينة امرأته فطرح على وجهها قطيفة ، ثم جلس عليها حتى قتلها فلما ماتت قال

اذا قعدت على عِرْنين جارية فوق القطيفة فادعوا لى بحفار

فبكت بنية له منها فضرب بها الأرض فقتلها وقال متمثلاً ،، لا تتخذن من كلب سَوْء جَرْوا ،، فخرج جناح أخو مزاحم الى أحمد بن اسمعيل فاستعداه على ابن الدمينة ، فبعث اليه فحبسه ، وقالت أم مزاحم ترثى ابنها وتحضض مُصْعَبا وجناحا أخويه

بأهلى ومالي بل بجُلّ عشيرتى قتيل بنى تَيْم بغير سلاح
فهلا قتلتم بالسلاح ابن أختكم فتظهر فيه للشهود جراح
فلا تطمعوا في الصلح مادمت حية وما دام حياً مُصْعَب وجَاح
ألم تعلموا أن الدوائر بيننا تدور وأن الطالبين شِحاح

فلما طال حبسه ولم يجد عليه أحمد بن اسمعيل سبيلاً ولا حجة خلاه ، وأقبل ابن الدمينة حاجاً بعد مدة طويلة فنزل بتَبالة ، فعدا عليه مُصْعَب لما رآه ، وقد كانت أُمه حرضته عليه وقالت اقتل ابن الدمينة فانه قتل أخاك وهجا قومك وذم أختك وقد كنت أعذرك قبل هذا لأنك كنت صغيراً وقد كبِرْت الآن ، فلما أكثرت عليه خرج من عندها وبَصُر بابن الدمينة واقفاً يُنْشد الناس ، فغدا الى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينة فجرحه جراحتين ، فمكث جريحاً ليلته ومات فى غد ، فقال في تلك الليلة يحرض قومه ويوبخهم

هتفت بأكلب ودعوت قيساً فلا خذلاً دعوت ولا قليلا
ثأرت مزاحماً وسررت قيساً وكنت لما هممت به فعولا
فلا تشلل يداك ولا تزالا تفيدان الغنائم والجزيلا
فلو كان ابن عبدالله حياً لصبح في منازلها سلولا

خالد بن عبد الله القسرى

هو خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كُرْز القَسْرى، ثم البَجَلى من قَسْر بن عَبْقر بن أنمار وبجيلة هى زوج أنمار وأم أولاده، وبيت خالد بيت شرف فى بجيلة لولا ما يقال في عبدالله فان أصحاب المثالب ينفونه عن أبيه، وعلى ما قيل فيه فقد كان له ولابنه خالد سودد وشرف وجود، وكان يقال لكرز كُرْز الأعنة واياه عنى ليس بن الخَطيم بقوله لما خرج يطلب النصر على الخزرج

وان نزل بذى النجدات كُرْز تلاق لديه شرباً غير نزر
له سَجْلان سَجْل من صريح وسَجْل رَثيئة[1] بعتيق خمر
ويمنع من أراد ولا يعايا مقيم فى المحلة وسط قَسْر

وكان أسد بن كرز يدعى في الجاهلية رب بجيلة، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية تنزهاً عنها وله يقول القتال السّحيمى

فأبلغ ربنا أسد بن كُرْز بأن النأى لم يك عن تقالى

وله يقول القتال يعتذر

فأبلغ ربنا أسد بن كرز بأنى قد ضَلَلت وما اهتديت

وله يقول تأبط شراً

وجدت ابن كرز تستهلّ يمينه ويطلق أغلال الأسير المكبل

(١) الرثيئة اللبن الحامض يخلط بالحلو

وكان قوم من سَحْمة عرضوا لجار لأسد بن كرز فأطردوا إبلاله ، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة فى الجاهلية وتتبعهم حتى عاذوا به ، فقال القتال فيه عدة قصائد يعتذر اليه لقومه و يستقيله فعلهم بجاره ، ولبني سحمة يقول أسد بن كرز فى هذه القصة ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً

ألا أبلغا أبناء سحمة كلها ... بنى خثعم عني وذل لخثعم
فما أنتمُ ومني ولا أنا منكمُ ... فراش حريق العرفج المتضرم
فلست كمن تذرى المقالة عرضه ... دنياً كعود الدَّوحة المترنم
وما جار بيتى بالذليل فترتجى ... ظُلامته يوماً ولا المتهضَّم
وأقزل آبائى وقَسْر عمارتى ... هما رَدَّيانى عزتى وتكرمى
وأحمس يوماً ان دعوت أجابني ... عرانين منهم أهل أيدٍ وأنعم
فمن جار مولى يدفع الضيم جاره ... مع الشمس ما ان يستطاع بسُلَّم
وكيف يخاف الضيم من كان جاره ... اذا ضاع جارى يا أميمة أو دمى

وأدرك أسد الاسلام هو وابنه يزيد ، فأما أسد فلا أعلمه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله رواية كثيرة بل ما روى شيئاً ، وأما يزيد ابنه فروى عنه رواية يسيرة ، ولما أسلم أسد أهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم قوساً فقال له يا أسد من أين لك هذه النبعة ؟ فقال يارسول الله تنبت بجبلنا السَّراة ، فقال ثقفى كان أسلم معه يارسول الجبل لنا أم لهم ؟ فقال بل الجبل جبل قَسْر به سمى ابراهيم قَسْر عَبْقَر ، فقال أسد يارسول الله ادع لي ، فقال اللهم اجعل نصرك ونصر دينك فى عقب أسد بن كُرْز ، وما أدري ما أقول في هذا الحديث وأكره أن أكذب بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفِّين على أمير المؤمنين علي بن أبى طالب صلوات الله عليه ولا كان ابنه خالد يلعنه على المنبر ويتجاوز ذلك الى ما ساء ذكره من شنيع أخباره ، وكان

جرير بن عبد الله قد نافر قضاعة ، فبلغ ذلك أسداً وكان بينهما تباعد ، فأقبل فى فوارس من قومه ناصرا لجرير ومعاوناً له ومنجداً ، فزعموا أن أسداً لما أقبل فى أصحابه فرآه جرير ورأى أصحابه فى السلاح ارتاع وخافه ، فقيل له هذا أسد جاءك ناصراً لك ، فقال ليت لي بكل بلد ابن عم عاقاً مثل أسد ، فقال جعدة بن عبدالله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد

تدارك ركض المرء من آل عبقر ... جريراً وقد رانت عليه حلائبه
فنفس واسترخى به العقد بعد ما ... تغشاه يوم لا توارى كواكبه
وقلك ابن كرز ذو الفعال بنفسه ... وما كنت وصالا له اذ تحاربه
الى أسد يأوى الذليل ببيته ... ويلجأ اذ أعيت عليه مذاهبه
فتى لا يزال الدهر يحمل معظماً ... اذا المجتدى المجدول ضنت رواحبه

وأما يزيد فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله يا يزيد أحبب للناس ما تحبه لنفسك ، وخرج فى أيام عمر فى بعوث المسلمين الى الشام فكان بها ، وكان مطاعاً فى اليمن عظيم الشأن ، ولما كتب عثمان الى معاوية حين حصر يستنجده بعث معاوية اليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام فوجد عثمان قد قتل فانصرف الى معاوية ولم يحدث شيئاً ، ولما كان يوم صفين قام فى الناس فخطب فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم «وقد كان من قضاء الله عز وجل أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض والله يعلم انى كنت لذلك كارهاً ولكنهم لم يبلغونا ريقنا ولم يدعونا نرتاد لديننا وننظر لمعادنا حتى نزلوا فى حريمنا وبيضتنا ، وقد علمنا أن بالقوم حلماء وطغاماً فلسنا نأمن طغامهم على ذرارينا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهل ديننا فأحرجونا حتى صارت الأمور الى أن يصير غداً قتالنا حجية ، فانا لله وانا اليه راجعون والحمد لله رب العالمين ، والذي بعث محمداً بالحق لوددت أني مت قبل هذا ، ولكن الله تعالى اذا أراد أمراً لم يستطع العباد رده فنستعين بالله العظيم » ثم انكفأ

ولم تكن لعبد الله بن يزيد نباهة من ذكرت من آبائه ، وأهل المثالب يقولون انه دَعِيّ ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شُرْطته أيام خلافه على عبد الملك ابن مَرْوان ، فلما قتل سعيد هرب حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمن الناس عام الجماعة فأمنه ، ونشأ ابنه خالد ومات هو فكان خالد فى مرتبته ، ثم ولي العراق ، قيل كان خالد من أجبن الناس فلما خرج عليه عرف بذلك وهو على المنبر فدَهِشَ وتحير ، فقال أطعموني ماء ، فقال الكُمَيت فى ذلك ومدح يوسف بن عمر

خرجت لهم تمشي البَراح ولم تكن ... كمن حصنه فيه الرماح المضَبَّب

وما خالد يستطعم الماء فاغراً ... بعِدْلك والداعى الى الموت ينعب

وكانت أُم خالد رومية نصرانية فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة وكان شديد العصبية على مُضَر ، وبلغ هشاماً أنه قال ما ابنى يزيد بن خالد بدون مَسْلمة بن هشام ، وقد كان خالد قريباً من هشام بن عبد الملك مكيناً عنده فأدلّ وتمرغ عليه حتى انه التفت يوماً الى ابنه يزيد فقال له كيف بك يا بنيّ اذا احتاج اليك أمير المؤمنين ؟ قال أواسيهم ولو فى قميصي ، فتبين الغضب فى وجه هشام واحتملها ، وكان اذا ذكر هشام قال ابن الحَمْقاء ، فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام ان هذا البَطِر الأشِر الكافر بنعمتك ونعمة أبيك واخوتك يذكرك بأسوإ حال ، فقال ماذا يقول ؟ آلأحول ؟ قال لا والله ولكن ما تنشق به الشفتان ، قال فلعله قال ابن الحمقاء فأمسك الشامى ، فقال قد بلغني كل ذلك عنه ، واتخذ ضياعاً كثيرة حتى بلغت غلته عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دِهقان كان يأنس به ، فقال له ان الناس يحبون جسمك وأنا أحب جسمك وروحك ، قد بلغت غلة ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلتك وان الخلفاء لا يصبرون على مثل هذا فاحذر ، فقال له ان أخى أسد بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا أفأنت أمرته ؟ قال نعم ، قال ويحك دعه فرب يوم كان يطلب

فيه الدرهم ولا يجده ، وقال فى خطبة له ، والله ما امارة العراق مما يشرفني ، فبلغ ذلك هشاماً فغاظه جداً وكتب اليه ، بلغني أنك تقول ان امارة العراق ليست مما يشرفك ، صدقت والله ما شيء يشرفك ، وكيف تشرف وأنت دَعِيّ الى بَجِيلة القبيلة القليلة الذليلة ، أما والله انى لأظن أن أول مايأتيك ضِفَنَ[1] من قيس فيشد يديك الى عنقك ، ثم قال خالد بن صَفْوَان لم تزل أفعال خالد به حتى عزله هشام وعذبه وقتل ابنه يزيد ، فرأيت فى رجله شريطاً قد شد به والصبيان يجرونه ، فدخلت الى هشام يوماً فحدثته وأطلت ، فتنفس ثم قال يا خالد ، ورب خالد كان أحبّ إليّ قرباً وألذّ عندي حديثاً منك ، قال فانتهزتها ورجوت أن أشفع فتكون لي عند خالد يد ، فقلت يا أمير المؤمنين فما يمنعك من استئناف الصنيعة فقد أدبته مما فرط منه ، فقال هيهات ان خالداً أوجف فأعجف وأدَلّ فأملّ ، وأفرط في الإساءة فأفرطنا فى المكافأة فحلم الأديم ونغل الجرح وبلغ السيل الزُّبى والحزام الطُّبْيَين ، فلم يبق فيه مستصلح ولا للصنيعة عنده موضع ، عُدْ إلى حديثك

ومن شعر خالد والناس ينسبونه الى عمر بن أبى ربيعة

يا صاحبيَّ قفا نقضِّ لُبانة ... وعلى الظعائن قبل بينكما اعرضا
لا تعجلانى أن أقول لحاجة ... رفقاً فقد زودت زادا ممرضا
ومقالها بالنَّعف نعف مُحَسِّر ... لقناتها هل تعرفين المعرضا
ذاك الذى أعطى مواثق عهده ... ألاَّ يخون وخلت أن لن ينقضا
فلئن ظفرت بمثلها من مثله ... يوماً ليعترفن ما قد أقرضا

---

(١) تصير ضئيل

شعراء عاملة

عدي بن الرقاع

هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع من عاملة وهي أم معاوية بن الحرث ثم من كهلان ، ونسبه الناس الى الرقاع وهو جد جده لشهرته

كان شاعراً مقدماً عند بني أُمَيّة مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، وله بنت شاعرة يقال لها سلمى ، وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام ، وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك ، ثم لم تتم بينهما مهاجاة الا أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته (حيّ الهدملة من ذات المواعيس) ولم يصرح لأن الوليد حلف ان هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره فلم يصرح بهجائه قال

انى اذا الشاعر المغرور جربنى ... جار لقبر على مرّان (١) مرموس
قد كان أشوَس آباء فورثنا ... شغباً على الناس في أبنائه الشوس
أقصر فان نزاراً لن يفاخرهم ... فرع لئيم وأصل غير مغروس
قد جربت عَرَكى في كل معترك ... غُلْب الرجال فما بال الضغابيس (٢)
وابن اللبون اذا ما لُزّ في قَرَن ... لم يستطع صولة البُزْل القناعيس (٣)

ومن قول عدي وفيه غناء

ألمم على طلل عفا متقادم ... بين الذُّوَيْب وبين غَيْب الناعم

(١) موضع فيه قبر تميم بن مر (٢) الضغبوس الرجل الضعيف (٣) القناعس من الابل العظيم والبازل من الابل ما دخل في السنة التاسعة

بمجر غزلان الكناس تلفعت بعدى بمنكر تربها المتقادم
لولا الحياء وان رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها وسط النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسْنان أقصده النعاس فرنقت[1] في عينه سِنَة وليس بنائم

عزل الوليد بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردن وضربه وحلقه وأقامه للناس ، وقال للمتوكلين به من أتاه متوجعاً وأثنى عليه فأتوني به ، فأتى عدى ابن الرقاع وكان عبيدة اليه محسناً فوقف عليه وأنشأ يقول

فما عزلوك مسبوقاً ولكن الى الخيرات سبّاقاً جوادا
وكنت أخي وما ولدتك أمي وَصولاً باذلا لي مستزادا
وقد هِيضت لنكبتك القُدَامَى كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب المتوكلون به اليه فأدخلوه الى الوليد وأخبروه بما جرى ، فتغيظ عليه الوليد وقال له أتمدح رجلاً قد فعلت به ما فعلت ؟ فقال يا أمير المؤمنين انه كان اليَّ محسناً ولي مؤثراً وبي برًّا فمتى أى وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم ؟ فقال صدقت وكرمت فقد عفوت عنك وعنه لك ، فخذه وانصرف فانصرف به الى منزله

قال رَوْح بن زِنْباع الجُذامى ليزيد بن معاوية ألحقنا باخوتنا من مَعَدّ فانا مَعَدِّيون والله ما نحن من الشام ولا من زعاف اليمن ، فقال يزيد ان أجمع قومك على ذلك جعلناك حيث شئت ، فبلغ ذلك عدي بن الرقاع فقال له

انا رضينا وان غابت جماعتنا ما قال سيدنا رَوْح بن زِنْباع
يرعى ثمانين ألفاً كان مثلهم مما يخالف أحياناً على الراعى

فجاء نائل بن قيس الجذامى ، وقال يا أمير المؤمنين قد بلغني ما قال لك هذا

---

(١) الترنيق الدنو من الشيء يريد ان يفعله

وما نعرف منه شيئاً ولا نقربه ولكنا قوم من قَحْطان يَسَعُنا ما يسعهم ويعجز عنا ما يعجز عنهم ، فأمسك رَوْح ورجع عن رأيه ، فقال عدي في ذلك

أضلال ليل ساقطٍ أكنافُه ... في الناس أعذر أم ضلال نهار
قَحْطان والدنا الذي ندعو له ... وأبو خُزَيمة خِنْدِف بن نزار
أنبيع والدنا الذي ندعى له ... بأبي معاشر غائب متوار
تلك التجارة لا زكاء لمثلها ... ذهب يباع بآنك وإبار[1]

ومن شعر عدي قصيدته المشهورة يمدح بها الوليد بن عبد الملك وأولها

عرف الديار توهماً فاعتادها ... من بعد ما شمل البلى أبلادها
الا رواكد كلهن قد اصطلى ... حمراء أشعل أهلها ايقادها
ولرب واضحة العوارض طفلة ... كالريم قد ضربت بها أوتادها
اني اذا ما لم تصلني خلتي ... وتباعدت مني اغتفرت بعادها
صلى الاله على امرىء ودعته ... وأتم نعمته عليه وزادها
واذا الربيع تتابعت أنواؤه ... فسقى خُنَاصرة الأحص فجادها
نزل الوليد بها فكان لأهلها ... غيثاً أغاث أنيسها وبلادها
أو لا ترى أن البرية كلها ... ألقت خزائمها اليه فقادها
ولقد أراد الله اذ ولاكها ... من أمة اصلاحها ورشادها
أعمرت أرض المسلمين وأقبلت ... وكففت عنها من يروم فسادها
وأصبت في أرض العدو مصيبة ... عمت أقاصيَ غورها ونجادها
ظفراً ونصراً ما تناول مثله ... أحد من الخلفاء كان أرادها
فاذا نشرت له الثناء وجدته ... جمع المكارم طرفها وتلادها

(١) جمع ابرة والآنك الرصاص

أنشد عدي هذه القصيدة الوليد بن عبد الملك وعنده كثير ، وكان يبلغه عن عدي انه يطعن على شعره ويقول هذا شعر حجازى مقرور اذا أصابه قر الشام جمد وهلك ، فلما أتى على قوله

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوّم ميلها وسنادها

فقال له كثير لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأتِ فيها بميل ولا سناد فتحتاج الى أن تقومها ثم أنشد

نظر المثقف فى كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

فقال كثير لا جرم ان الأيام اذا تطاولت عليها عادت عوجاء ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج الى ثقاف أجود لها ثم أنشد

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي ازدادها

فقال كثير كذبت ورب البيت الحرام فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك وما كنت قط أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك ، فضحك الوليد ومن حضر وقطع بعدي حتى ما نطق

ومن قوله يمدح الوليد بن عبد الملك

طار الكرى فألم الهم فاكتنعا وحيل بيني وبين النوم فامتنعا
كان الشباب قناعاً أستكن به وأستظل زماناً ثمت انقشعا
فاستبدل الرأس شيباً بعد داجية فَينانة ما ترى فى صدغها نزعا
فان تكن ميعة من باطل ذهبت وأعقب الله بعد الصبوة الورعا
فقد أبيت أراعى الخود راقدة على الوسائد مسروراً بها ولعا
براقة الثغر يشفى القلب لذتها اذا مقبلها فى ريقها كرعا

كالأقحوان بضاحي الروض صبحه غيث أرش بتنضاح وما نقعا
صلى الذى الصلوات الطيبات له والمؤمنون اذا ما جمعوا الجمعا
على الذى سبق الأقوام ضاحية بالأجر والحمد حتى صاحباه معا
هو الذى جمع الرحمن أمته على يديه وكانوا قبله شيعا
عذنا بذى العرش أن نحيا ونفقده وأن نكون لراع بعده تبعا
ان الوليد أمير المؤمنين له ملك عليه أعان الله فارتفعا
لا يمنع الناس ما أعطى الذين هم له عتاد ولا يعطون ما منعا

ومن شعره في الواقعة التى كانت بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير بمسكن فقتل فيها مصعب بقرية من مسكن يقال لها دير الجاثليق

لعمرى لقد أصحرت خيلنا بأكناف دجلة للمصعب
يهززن كل طويل القنا ة لدن ومعتدل الثعلب
فداؤك أمى وأبناؤها وان شئت زدت عليها أبى
وما قتلها رهبة انما يحل العقاب على المذنب
اذا شئت نازلت مستقتلاً أزاحم كالجمل الأجرب
فمن يك منا يبت آمناً ومن يك من غيرنا يهرب

شعراء طيء

الطرماح

هو الطِّرِمَّاح بن حكيم بن الحكم الطائى يكنى أبا نفر وأبا ضبيبة ، وقيل إن الطرماح لقب لقب به لقوله

ألا أيها الليـل الطويل ألا ارتح بصبح وما الاصباح منك بأروح
بلى ان للعينين فى الصبح راحةً بطرحهما طرفيهما كل مَطْرح

من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم ، ومنشؤه بالشام وانتقل الى الكوفة بعد ذلك مع من وردها من جيوش أهل الشام ، واعتقد مذهب الشُّرَاة الأَزارقة ، كان يجالس شيخاً منهم له سَمْت وهيئة ويسمع منه فرسخ كلامه فى قلبه ، ودعاه الشيخ الى مذهبه فقبله واعتقده أشد اعتقاد وأصحه حتى مات عليه

قال رُؤْبة كان الطِّرِمَّاح والكُمَيْت يصيران إليَّ فيسألاني عن الغريب فأخبرهما به فأراه بعد فى أشعارهما ، وقال محمد بن حَبيبَ سألت ابن الأعرابى عن ثمان عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف منها واحدة يقول فى جميعها لا أدري لا أدري

أنشد الكميت قول الطرماح

اذا قبضت نفس الطرماح أخلقت عُرَى المجد واسترخى عِنان القصائد

فقال إىْ والله وعِنان الخطابة والرواية والفصاحة والشجاعة

وفد الطِّرِمَّاح والكُمَيْت بن زيد على مُخَلَّد بن يزيد المهلَّبي ، فجلس لهما ودعاهما ، فتقدم الطرماح لينشد ، فقال له أنشدنا قائماً ، فقال كلا والله ، ما قَدْرُ الشعر أن

أقوم له فيحطّ من مقامى وأحط منه بضراعتي وهو عمود الفخر وبيت الذكر لمآثر العرب ، فقيل له فتنح ، ودعى بالكميت فأنشد قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، فلما خرج الكميت شاطرها الطرماح وقال له أنت أبا ضُبَيْبَة أبعد همة وأنا ألطف حيلة

مرَّ الطرماح فى مسجد البصرة وهو يخطِر فى مشيته ، فقال رجل مَنْ هذا المخطار ؟ فسمعه ، فقال أنا الذى أقول

لقد زادني حباً لنفسي أنني ... بغيض الى كل امرىء غير طائل
وأني شقي باللئام ولا ترى ... شقياً بهم الا كريم الشمائل
اذا ما رآني قطع الطَّرْف بينه ... وبيني فعل العارف المتجاهل

كان أبو عبيدة والأصمعى يفضلان الطرماح فى هذين البيتين ويزعمان أنه فيهما أشعر الخلق

مجتاب حلة بُرْجُد لسراته ... قِدداً وأخلق ماسواه البرجد (١)
يبدو وتُضْمره البلاد كأنه ... سيف على شَرَف يُسَلُّ ويُغْمَد

قال خلف كان الطرماح يرى رأى الشراة ثم أنشد له

لله در الشراة انهمُ ... اذا الكرى مال بالطُّلا أرِقوا
يُرَجِّعون الحنين آونة ... وان علا ساعة بهم شَهِقوا
خوفاً تبيت القلوب واجفةً ... تكاد عنها الصدورُ تنفلق
كيف ارَجِّى الحياة بعدهمُ ... وقد مضى مؤنسيَّ فانطلقوا
قوم شِحاح على اعتقادهمُ ... بالفوز مما يخاف قد وثقوا

دخل الطرماح على عبد الله القَسْرى فأنشده قوله

وشيبنى مالا أزال مناهضاً ... بغير غنى أسمو به وأبوع

(١) البرجد كساء من صوف احمر وقيل كساء مخطط ضخم وسراته ظهره وقددا فرقا

وان رجال المال أضحوا ومالهم ... لهم عند أبواب الملوك شفيع
أمخترمي ريب المنون ولم أنل ... من المال ما أعصي به وأطيع

فأمر له بعشرين ألف درهم وقال امض الآن فاعص وأطع

قال الفضل اذا ركب الطرماح الهجاء فكأنما يوحى اليه ، ثم أنشد له قوله

لو حان ورد تميم ثم قيل لها ... حوض الرسول عليه الأزد لم ترد
أو أنزل الله وحياً أن يعذبها ... ان لم تعد لقتال الأزد لم تعد
لاعز نصر امرىء أضحى له فرس ... على تميم يريد النصر من أحد
لو كان يخفى على الرحمن خافية ... من خلقه خفيت عنه بنو أسد

ومن قوله

أصاح ألا هل من سبيل الى نجد ... وريح الخزامى غضة من ثرى جعد
وهل لليالينا بذى الرمث مرجع ... فتشفى جوى الاحزان من لاعج الوجد

ومن قوله

وانى لمقتاد جوادى وقاذف ... به وبنفسي العام احدى المقاذف
لأكسب مالاً أو أؤول الى غنى ... من الله يكفيني عدات الخلائف
فيارب ان حانت وفاتى فلا تكن ... على شرجع[1] يعلى بخضر المطارف
ولكن قبرى بطن نسر مقيله ... بجو السماء فى نسور عوا كف
وامسي شهيداً ثاويا في عصابة ... يصابون فى فج من الأرض جائف
فوارس من شيبان ألف بينهم ... تقى الله نزالون عند التزاحف
اذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى ... وصاروا الى ميعاد ما فى المصاحف

كان الكميت بن زيد صديقاً للطرماح لا يكادان يفترقان فى حال من أحوالها ، فقيل للكميت لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على

(١) نعش

تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلاد ، هو شامى قحطانى أزرقى وأنت كوفى نزارى شيعى فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ فقال اتفقنا على بغض العامة

حريث

هو حُرَيث بن عناب بن مطر النَّبْهانى الطائى ، شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وليس بمذكور من الشعراء لانه كان بدوياً مُقِلاً غير متصدّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ، لا يعدو شعره أمراً يخصه

ومن قوله فى حُبّى بنت الأسود وكان يهواها ويتحدث اليها ، ثم خطبها فوعده أهلها أن يزوجوه ووعدته ألا تجيب الى تزويج الا به ، فخطبها رجل من بني ثعل كان موسراً فمالت اليه وتركت حريثا

هل قلبك اليوم عن شَنْباء منصرف ... وأنت ما عشت مجنون بها كلف
ما تذكر الدهر الا صدعت كبدا ... حرّى عليك وأجرت دمعة تكف
يدوم ودى لمن دامت مودته ... وأصرف النأى أحياناً فينصرف
يا ويح كل محب كيف أرحمه ... لأنني عارف صدق الذى يصف
لا تأمنن بعد حُبّى خُلّة أبدا ... على الخيانة ان الخائن الطَّرِف
كأنها ريشة فى أرض بَلْقَعة ... من حيثما واجهتها الريح تنصرف
يُنْسى الخليلين طولُ النأى بينهما ... وتلتقى طُرَف شتى فتأتلف

مر حريث بعد ما أسن بنسوة من بني قليع وهو يتوكأ على عصاه ، فضحكن منه ، فوقف عليهن وأنشأ يقول

هزئت نساء بني قليع أن رأت ... خَلَقِ القميص على العصا يتركع

وجعلتني هزؤاً ولو يعرفتني لعلمن انى عند ضيمى أروع

أغار حريث على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم ، فطلبه السلطان فهرب من نواحى المدينة وخيبر الى جبلين فى بني طيء يقال لهما مرى والشموس حتى غرم عنه قومه ما طلب منه ، ثم عاود وقال فى ذلك

اذا الدين أودى بالفساد فقل له يدعنا وركناً من معدّ نصادمه

ببيض خفاف مرهفات قواطع لداود فيها أثره وخواتمه

وزرق كستها ريشها مضرحية أثيث خوافى ريشها وقوادمه (١)

اذا ما خرجنا خرت الأكم سجدا لعز علا حيزومه وعلاجمه

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب تحرك يقظان التراب ونائمه

وتفزع منا الانس والجن كلها ويشرب مهجور المياه وعافمه

سيمنع مرى والشموس أخاها اذا حكم السلطان حكماً يضاجمه

---

(١) المضرحى الصقر والنسر الطويل الجناح والاثيث الكثير العظيم والخوافى ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت والقوادم عشر ريشات فى مقدم الجناح وهى كبار الريش

شعراء همدان

أعشى همدان

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحرث الهمدانى من همْدان بن مالك ثم من كهلان

شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الشعبي الفقيه والشعبي زوج أخته ، وكان أحد الفقهاء القُرَّاء ثم ترك ذلك وقال الشعر وآخى احمد النَّصِيبي بالعشيرية والبلدية ، فكان اذا قال شعراً غنى فيه احمد ، وخرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج أسيراً فى الأسرى فقتله ، قال يذكر أسر الديلم له فى غزوة غزاها

لمن الظعائنُ سيرهن تزَحّف ... عَوْمَ السَّفين اذا تقاعس تُجْدَف (١)

مرت بذى خُشُب كأن حمولها ... نخل بيثرب طلعه متعسف

عُولين ديباجاً وفاخر سُنْدُس ... وبخزّ أكسية العراق تحفف

وغدت بهم يوم الفراق عَرَامِس (٢) ... فُتُلُ المرافق بالهوادج دُلَّفُ

بان الخليط وفاتني برحيله ... خَوْد اذا ذكرت لقلبك يَشْغَف

تجلو بمسواك الأراك منظما ... عَذْباً اذا ضحكت تهلّلَ يَنْطِف

وكأن ريقتها على علل الكرى ... عسل مُصَفى فى القلال وقَرْقَف

وكأنما نظرت بعيني ظبية ... تحنو على خِشْف لها وتعطّف

واذا تنوء الى القيام تدافعت ... مثل النّزيف ينوء ثم يضعُف

ثقلت روادفها ومال بخصرها ... كفل كما مال النَّقَى المُتَقَصِّف

(١) التزحف المشى قليلا قليلا ويجدف تدفع بالمجداف (٢) العرمس الناقة الصلبة

ولها ذراعا بكرة رحبية ... ولها بنان بالخضاب مطرف
وعوارض مصقولة وترائب ... بيض وبطن كالسبيكة مُخْطف
ولها بهاء في النساء وبهجة ... وبها تحل الشمس حين تشرف
تلك التي كانت هواي وحاجتي ... لو أن داراً بالأحبة تُسْعف
واذا تصبك من الحوادث نكبة ... فاصبر فكل مصيبة ستكشف
ولئن بكيت من الفراق صبابة ... ان الكبير اذا بكى ليُعنّف
عجباً من الأيام كيف تصرفت ... والدار تدنو مرة وتقذّف
أصبحت رهناً للعداة مكبّلا ... أُمسي وأُصبح في الادامم أُرسف
بين القليّسم فالقيول فحامن ... فاللهزمين ومضجعي متكنف
فجبال وَيْمة[1] ما تزال منيفة ... يا ليت أن جبال وَيْمة تنسف
ولقد أُراني قبل ذلك ناعما ... جذلان آبى أن أُضام وآنف
واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي ... وأنا امرؤ بادي الأشاجع أعجف
ولقد تُضَرّسني الحروب واني ... أُلْفى بكل مخافة أتعسف
أتسربل الليل البهيم واشتدى[2] ... في الخَبْت اذ لا يشتدون وأُوجف
ما ان أزال مقنّعاً أو حاسراً ... سلف الكتيبة والكتيبةُ وُقّف
فأصابني قوم فكنت أصيبهم ... فالآن أصبر للزمان وأعرف
اني لطلاب التراث مُطَلَّب ... وبكل أسباب المنية أشْرُف
باق على الحدثان غير مكذب ... لا كاسف بالي ولا متأسف
ان نلت لم أفرح بشيء نلته ... واذا سبقت به فلا أتلهف
اني لأحمي في المضيق فوارسي ... وأكرّ خلف المستضاف وأعطف
وأشد اذ يكبو الجواد وأصطلي ... حرّ الأسنة والأسنة تَرْعُف

(١) ديمة بليدة في الجبال بين الري وطبرستان (٢) اسوق حاديا

فلئن أصابتني الحروب فربما أُدعى اذا منع الرِّداف فأُرْدَف
ولربما يُرْوَى بكفى لَهْذَم ماض ومُطَّرد الكعوب مثقف
وأُغير غارات وأشهد مشهدا قلب الجبان به يطير ويَرْجُف
وأرى مغانم لو أشاء حويتها فيصدنى عنها غنى وتعفف

أخرجه الحجاج الى جيش مُكْران ، فطال مقامه بها ومرض فاجتواها وقال فى ذلك

طلبتَ الصِّبا اذ علا المكبر وشاب القَذَال وما تُقْصِر
وبان الشباب ولذاته ومثلك فى الجهل لا يُعْذَر
وقال العواذل هل ينتهي فيَقْدَعه الشيب، أو يُقصر
وفى أربعين توفيتها وعشر مضت لي مستبصر
وموعظة لامرىء حازم اذا كان يسمع أو يُبصر
فلا تأسفن على ما مضى ولا يَحْزُنك ما يُدبر
فان الحوادث تُبْلِى الفتى وان الزمان به يَعْثُر
فيوماً يساء بما نابه ويوماً يسر فيستبشر
ومن كل ذلك يلقى الفتى ويُمْنَى له منه ما يُقْدَر
كأنى لم أرتحل جَسْرَة ولم أجفها بعد ما أضْمَر
فأجشمها كل دَيْمومة[1] ويعرفها البلد المقفر
ولم أشهد البأس يوم الوغى علَيَّ التقاضة والمغفر
ولم أخْرُق الصف حتى تميل، دارعة القوم والحُسَّر
وتحتي جرداء خَفْقانة من الخيل أو سابح مُجْفِر[2]
أطاعن بالرمح حتى اللبا ن يجرى به العلق الأحمر

(١) الديمومة المفازة لا ماء فيها (٢) واسع الجفرة أى الوسط

وما كنت في الحرب اذ شمّرت كمن لا يذيب ولا يُخثر[1]
ولكنني كنت ذا مرّة عطوفاً اذا هتف المُجحَر[2]
اجيب الصريخ اذا ما دعا وعند الهياج أنا المِسعَر
فان أمس قد لاح فيَّ المشيـ ـب أمَّ البنين فقد أذكر
رخاء من العيش كنا به اذ الدهر خال لنا مُصحر
واذ أنا فى عنفوان الشبا ب يعجبني اللهو والسُّمَّر
أصيد الحسان ويصطدنني وتُعجبني الكاعب المُعصِر
وبيضاء مثل مَهاة الكثيـ ـب لا عيب فيها لمن ينظر
كأن مُقلَّدَها اذ بدا به الدر والشَّذر والجوهر
مُقلَّد أدماء نجدية يَعِنّ لها شادن أحور
كأن جنى النحل والزنجبيـ ـل والفارسية اذ تُعصر
يُصَبّ على بَرْد أنيابها مخالطه المسك والعنبر
اذا انصرفت وتلوّت بها رقاق المجاسد[3] والمئزر
وغصّ السوار وجال الوشاح على عُكَن خصرها مُضمر
وضاق عن الساق خلخالها فكاد مُخدَّمها[4] يندُر
فتور القيام رخيم الكلا م يُفزعها الصوت اذ تزجر
وتنمى إلى حسب شامخ فليست تكذّب اذ تفخر
فتلك التى شغفَتني حبها وحملني فوق ما أقدر
فلا تعذُلانيَ فى حبها فانى بعذرة أجدر

(١) يخثر الزبد يتركه خاثرا اذا لم يذبه وفى المثل ما يدرى ايخثر ام يذيب
(٢) المضطر الملجأ (٣) المجسد بالكسر القميص يلى البدن (٤) المخدم موضع الخلخال وتذر العظم من موضعه زال

وقولا لذى طرب عاشق أشطّ المزار بمن تذكر
بكوفية أصلها بالقرا ت تبدو هنالك أو تحضُر
وأنت تسير الى مُكرَانَ فقد شحَطَ الوِرْد والمصدر
ولم تك من حاجتى مُكرَان ولا الغزو فيها ولا المتجر
وخبرت عنها ولم آتها فما زلت من ذكرها أُذعَر
بأن الكثير بها جائع وأن القليل بها مُقتِر
وأن لحِى الناس من حرها تطول فتُجلَم[1] أو تُضفَر
ويزعم من جاءها قبلنا بأنا سنُسهم[2] أو نحر
أعوذ بربى من المخزيا ت فيما أُسِرّ وما أُجهَر
وحدثت أنْ مالنا رجمةٌ سنين ومن بعدها أشهر
الى ذاك ماشاب أبناؤنا وباد الأخلاء والمعشر
وما كان بى من نشاط لها وانى لذو عُدّة يؤسر[3]
ولكن بُعثت لها كارهاً وقيل انطلق كالذى يؤمر
فكان النجاء ولم ألتفت اليهم وشرهمُ منكر
هو السيف جُرِّد من غمده فليس عن السيف مستأخر
وكم من أخ لي مستأنس يَظَلّ به الدمع يستحسر
يودعني وانتحت عَبْرة له كالجداول أو أغزر
فلست بلاقيه من بعدها يَدَ الدهر ما هبت الصَّرْصَر
وقد قيل انكمُ عابرو ن بحراً لها لم يكن يُعْبَر
الى السِّند والهند فى أرضهم هم الجن لكنهم أنكر

(١) تجلم تقص بالجلم وهو المقراض (٢) سهم أصابه السهام وهو الضمور والتغير
(٣) رجل مأسور شديد عقد المفاصل والاوصال

وما رام غزواً لها قبلنا أكابر عاد ولا جِميَر
ولا رام سابور غزواً لها ولا الشيخ كسرى ولا قيصر
ومن دونها مَعْبَرَ واسع وأجر عظيم لمن يؤجر

ومن قوله

مررت بنسوة متعطرات كضوء الصبح أو بَيْض الأداحى (١)
على شُقُر البغال فصدْن قلبي بحسن الدَّلّ والحَدَق الملاح
فقلت من الظباء ؟ فقلن سرب بدا لك من ظباء بني رياح

كان خالد بن عتّاب بن وَرْقاء الرِّياحى التميمى يقول للأعشى فى بعض ما يمنيه إياه ويعده به ان وليت عملاً كان لك دون الناس جميعاً . فاستُعمل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى ، فلما وصل الى عمله جفاه وتناساه ففارقه الأعشى ورجع الى الكوفة وقال فيه

تمنيني امارتها تميم وما أُمى بأُم بني تميم
وكان أبو سليمان أخاً لي ولكن الشراك من الأديم
أتينا أصبهان فهزلتنا وكنا قبل ذلك فى نعيم
أتذكرنا ومُرَّة اذ غزونا وأنت على بغيلك ذى الوشوم
ويركب رأسه فى كل دَحْل ويعثر في الطريق المستقيم
وليس عليك الا طَيْلسان نَصيبيّ والا سَحْق نيم (٢)
فقد اصبحت فى حزّ وقَزّ تبختر ما ترى لك من حميم
ونحسب أن تلقاها زماناً كذبت ورب مكة والحَطيم
وكنت أصبهان كخير أرض لمغترب وصُعلوك عديم
ولكنا أتيناها وفيها ذوو الأضغان والحقد القديم
فأنكرت الوجوه وأنكرتني وجوه ما تخبر عن كريم

(١) الادحية مبيض النعام فى الرمل وجمعه أداحى (٢) النيم ثوب ينام فيه والسحق الثوب البالى

وكان سَفاهة مني وجهلاً مسيري لا أسير الى حميم
فلو كان ابن عتاب كريماً سما لرواية الأمر الجسيم
وكيف رجاء من غلبت عليه تناء[1] الدار كالرحم العقيم

فبعث اليه خالد مَنْ مُرّة هذا الذى ادعيت أنى وأنت غزونا معه على بغل ذى وشوم ؟ ومتى كان ذلك ؟ ومتى رأيت على الطيلسان والنِّيم اللذين وصفتهما ؟ فأرسل اليه هذا كلام أردت وصفك بظاهره ، فأما تفسيره فان مُرّة مرارة ثمرة ما غرست من القبيح ، والبغل المركب الذى ارتكبته منى لا يزال يَعْثُر بك فى كل وَعْث وجَدَد ووَعْر وسهل ، وأما الطيلسان فما ألبسك إياه من العار والذم ، وان شئت راجعت الجميل فراجعته لك ، فقال لا بل أراجع الجميل وتراجعه فوصله وترضاه . وكان مما فعله خالد معه انه أعطى الناس عطايا فجعله في أقلها وفضل عليه آل عُطارد فبلغه انه ذمه ، فحبسه مدة ثم أطلقه فقال يهجوه

وما كنت ممن ألجأته خَصاصة اليك ولا ممن تَغُرّ المواعد
ولكنها الأطماع وهى مُذِلة دنت بى وأنت النازح المتباعد
أتحبسني في غير شيء وتارة تلاحظنى شَزْراً وأنفك عاقد
فانك لا كابنى فَزارة فاعلماً خلقت ولم يشبهها لك والد
ولا مُدرك ما قد خلا من نَداهما أبوك ولاحوضيهما أنت وارد
وانك لو سامیت آل عُطارد لبَذَّتك أعناق لهم وسواعد
ومأثُرة عادِيّة لن تنالها وبيت رفيع لم تَخُنه القواعد
وهل أنت الا ثعلب فى ديارهم تُشَلّ فتعشَى أو يقودك قائد
أرى خالداً يختال مشياً كأنه من الكبرياء نَهْشَل أو عُطارد
وما كان يَربوع شبيهاً لدارم وماعدلت شمسَ النهار الفراقدُ

(١) جمع ثانى، تنأ بالمكان أقام وقطن

ولما خرج ابن الأشعث على الحجاج خرج معه الأعشى وجعل يقول الشعر فى ابن الأشعث يمدحه فمن ذلك قوله :

يأبى الإله وعزة ابن محمد ... وجدود ملك قبل آل ثمود
أن تأنسوا بمذممين عروقهم ... فى الناس ان نسبوا عروق عبيد
كم من أب لك كان يعقِد تاجه ... بجبين أبلج مِقْول صِنديد
واذا سألت المجد أين محله ... فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأشَجّ و بين قيس باذخ ... بَخْ بَخْ لوالده وللمولود
ماقصرت بك أن تنال مدى العلا ... أخلاق مكرمة وارث جدود
قَرْم اذا سامى القروم ترى له ... أعراق مجد طارف وتَليد
واذا دعا لعظيمة حشدت له ... هَمْدان تحت لوائه المعقود
يمشون في حلَق الحديد كأنهم ... أُسْدُ الأَباء سمعن زَأْرَ أُسود
واذا دعوت بآل كِنْدة أجفلوا ... بكهول صدق سيد ومسود
وشباب مأسَدة كأن سيوفهم ... فى كل مَلْحَمة بروق رعود
ما ان ترى قيساً يقارب قيسكم ... في المكرمات ولا ترى كسعيد

وقال لابن الأشعث وكان منعه أن يزيده على عطائه

هل تعرف الدار عفا رسمها ... بالحَضْر فالروضة من آمد
دار لخَوْد طفلة رُودة ... بانت فأمسى حبها عامدى
بيضاء مثل الشمس رَقراقة ... تَبْسِم عن ذى أُشُر بارد
لم يُخْطِ قلبى سهمها اذ رمت ... يا عجباً من سهمها القاصد
يأيها القَرْم الهِجان الذى ... يبطِش بطش الأسد اللابد
والفاعل الفعل الشريف الذى ... ينمى الى الغائب والشاهد
كم قد أُسدِّى لك من مدحة ... تُرْوى مع الصادر والوارد

وكم أجبنا لك من دعوة ... فاعرف فما العارف كالجاحد
نحن حميناك وما نحتمى ... في الروع من مثنى ولا واحد
يوم انتصرنا لك من عابد ... ويوم أنجيناك من خالد
ووقعة الرَّىّ التي نلتها ... بجحفل من جمعنا عاقد
وكم لقينا لك من واتر ... يصرف نابى حنق حارد
ثم وطئناه بأقدامنا ... وكان مثل الحية الراصد
الى بلاء حسن قد مضى ... وأنت فى ذلك كالزاهد
فاذكر أيادينا وآلاءنا ... بعودة من حلمك الراشد
ويوم الأهواز فلا تنسه ... ليس الثنا والقول بالبائد
انا لنرجوك كما يُرتجى ... صَوْب الغمام المبرق الراعد
فافتح بكفيك وما ضمتا ... وافعل فعال السيد الماجد
ما لك لا تعطى وأنت امرؤ ... مُثْرٍ من الطارف والتالد
تجبى سجستان وما حولها ... متكئاً فى عيشك الراغد
لا ترهب الدهر وأيامه ... وتجرِد الأرض مع الجارد
ان يك مكروه نهجنا له ... وأنت فى المعروف كالراقد
ثم ترى انا سنرضى بذا ... كلا ورب الراكع الساجد
وحرمة البيت وأستاره ... ومن به من ناسك عابد
تلك لكم أُمْنية باطل ... وغفوة من حُلُم الراقد
ما أنا ان هاجك من بعدها ... هَيْج بآتيك ولا كابد
ولا اذا ناطوك فى حلقة ... بجامل عنك ولا ناقد
فأعط ما أعطيته طيبا ... لا خير فى المنكود والناكد
نحن ولدناك فلا تجفُنا ... والله قد وصاك بالوالد

ان تك من كِندة فى بيتها فان أخوالك من حاشد
شُمّ العرانين وأهل الندى ومنتهى الضيفان والرائد
كم فيهمُ من فارس مُعْلَم وسائس للجيش أو قائد
وراكب للهول يجتابه مثل شهاب القبس الواقد
أو ملأ يشفى بأحلامهم من سفه الجاهل والمارد
لم يجعل الله بأحسابنا نقصاً وما الناقص كالزائد
وربَّ خال لك فى قومه فرع طويل الباع والساعد
يحتضر البأس وما يبتغى سوى إسار البطل الماجد
والطعن بالراية مستمكنا في الصف ذى العادية الناهد
فارتح لأخوالك واذكرهمُ وارحمهمُ للسلف العائد
فان أخوالك لم يبرحوا يُربون بالرِّفد على الرفد
لم يبخلوا يوماً ولم يجبنوا فى السلف الغازى ولا القاعد
وربَّ خال لك في قومه حمال أثقال لها واجد
معترف للرزء في ماله والحق للسائل والعامد

خرج الأعشى الى الشام فى ولاية مَرْوان بن الحكم ، فلم ينل فيها حظاً، فجاء الى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص ، فشكا اليه حاله ، فكلم له النعمان اليمانية وقال لهم هذا شاعر اليمن ولسانها واستماحهم له ، فقالوا نعم يعطيه كل رجل منا دينارين من عطائه ، فقال لا بل أعطوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك معجلا ، فقالوا أعطه إياه من بيت المال واحتسبها على كل رجل من عطائه، ففعل النعمان وكانوا عشرين ألفاً فأعطاه عشرين ألف دينار وارتجعها منهم عند العطاء ، فقال يمدح النعمان

ولم أرَ للحاجات عند التماسها كنُعمان نعمان النَّدَى ابن بَشير
اذا قال أوفى ما يقول ولم يكن كمُدْل الى الأقوام حبل غرور

متى أكفر النعمان لم ألف شاكرا وما خير من لا يقتدى بشكور
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل ثوى ما ثوى لم ينقلب بنقير

خطب الأعشى امرأة من قومه يقال لها جزلة ، فأبت أن تتزوجه الا أن يطلق زوجه أم الجلال ، فطلقها وقال فى ذلك

تقادم وُدك أم الجلال فطاشت نبالك عند النضال
وطال لزومك لي حقبة فرثت قوى الحبل بعد الوصال
وكان الفؤاد بها معجبا فقد أصبح اليوم عن ذاك سالى
صحا لا مسيئاً ولا ظالماً ولكن سلا سلوة فى جمال
ورُضتِ خلائقنا كلها ورضنا خلائقكم كل حال
فأعييتنا فى الذى بيننا تسومينني كل أمر عُضال
وقد تأمرين بقطع الصديق وكان الصديق لنا غير قالى
واتيان ما قد تجنبته وليدا ولُمت عليه رجالى
أفاليوم أركبه بعد ما علا الشيب مني صميم القذال
لعمر أبيك لقد خلتنى ضعيف القوى أو شديد المحال
هلمّى اسألي نائلاً فانظرى أأحرمك الخير عند السؤال
ألم تعلمى انني مُعْرِق نمانى الى المجد عمى وخالى
وأنى اذا ساءنى منزل عزمت فأوثكت منه ارتحالى
فبعضَ العتاب فلا تهلكى فلا لك فى ذاك خير ولا لى
فلما بدا لي منها البذا ء صبَّحتها بثلاث عجال
ثلاثاً خرجن جميعاً بها نخلينها ذات بيت ومال
الى أهلها غير مخلوعة وما مسها عندنا من نكال
فأمست تَحِنّ حنين اللقا ح من جزَع اثر من لا يبالى

فخنِّي حنينـك واستيقني بأنا اطرحناك ذات الشمال
وألّا رجوع فلا تكذبن ما حنَّت النِّيب اثر الفصال
ولا تحسبيني بأني ندمـت كلا وخالقنا ذى الجلال

فقالت له أُم الجُلال بئس والله بعل الحرة وقرين الزوجة المسلمة أنت ، ويحك أأعددت طول الصحبة والحرمة ذنباً تسبني وتهجوني به ؟ ثم دعت عليه أن يبغضه الله الى زوجته التى اختارها ، وفارقته ، فلما انتقلت الى أهلها وصارت اليه جزْلة ودخل بها لم يَحْظَ عندها ففركته وتنكرت له واشتد شغَفه بها ، ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها

حييا جزْلة مني بالسلام دُرَّة البحر ومصباح الظلامِ
لا تَصِدِّي بعد ود ثابت واسمعي يا أُم عيسى من كلامي
ان تدومي لي فوصل دائم أو تهمي لي بهجر أو صِرَامِ
أو تكوني مثل برق خُلَّب خدع يلمع فى عُرْض الغمام
أو كتخييل سَرَاب معرض بفَلاة أو طروق في المنام
فاعلمي ان كنت لما تعلمي ومتى ما تفعلي ذاك تلامي
بعد ما كان الذى كان فلا تتبعي الإحسان الا بالتمامِ
لا تناسَيْ كل ما أعطيتني من عهود ومواثيق عظام
واذكرى الوعد الذى واعدتنى ليلة النصف من الشهر الحرامِ
فلئن بدلت أو خِسْتِ بنا وتجرأت على أُم صِمام (١)
لا تبالين إذاً من بعدها أبداً تركَ صلاة أو صيام
راجعي الوصل وردى نظرة لا تلجِّي في طِماح وأثام

(١) الغدر والحنث

واذا أنكرت مني شيمة ... ولقد ينكر ما ليس بذام
فاذكريها لي أزُل عنها ولا ... تسفحي عينيك بالدمع السِّجام
وأرى حبلك رثّا خلَقا ... وحبالى جدداً غير رمام
عجبت جزْلة منى أن رأت ... لِمتى حفَّت بشيب كالثغام
ورأت جسمي علاه كِبْرة ... وصروف الدهر قد أبلت عظامى
وصَلِيت الحرب حتى تركت ... جسدى نِضْوًا كأشلاء اللجام
وهى بيضاء على منكبها ... قطَط جعْد ومَيَّال سُخام
واذا تضحك تبدى حبَبا ... كرُضاب المسك فى الراح المدام
كملت ما بين قَرْن فالى ... موضع الخَلْخال منها والخزام
فأراها اليوم لي قد أحدثت ... خلقاً ليس على العهد القدام

جلس الشعبي فى مسجد البصرة الى قوم من تَميم فيهم الأَحْنف بن قيس ، فتذاكروا أهل الكوفة وأهل البصرة وفاخروا بينهم ، الى أن قال قائل من أهل البصرة وهل أهل الكوفة ألا خوَلنا استنقذناهم من عبيدهم ، قال الشعبي فهجس فى صدرى أن تمثلت قول أعشى همدان

أفخرتم ان قتلتم أعبدا ... وهزمتم مرة آل عزل
نحن سقناهم اليكم عنوة ... وجمعنا أمركم بعد فشل
فاذا فاخرتمونا فاذكروا ... ما فعلنا بكُمُ يوم الجمل
بين شيخ خاضب عُثْنُونه ... وفتى أبيض وَضَّاح رفَل
جاءنا يرفُل فى سابغة ... فذبحناه ضُحَى ذبح الجمل
وعفونا فنسيتم عفونا ... وكفرتم نعمة الله الأَجل

فضحك الأحنف ، ثم قال يا أهل البصرة قد فخر عليكم الشعبي وصدق وانتصف فأحسنوا مجالسته

أملق الأعشى فأتى خالد بن عتاب بن ورقاء فأنشده

رأيت ثناء الناس بالقول طيباً ... عليك وقالوا ماجد وابن ماجد
بنى الحارث السامين للمجد انكم ... بنيتم بناء ذكره غير بائد
هنيئاً لما أعطاكم الله واعلموا ... بأنى سأطرى خالداً فى القصائد
فان يك عتاب مضى لسبيله ... فما مات من يبقى له مثل خالد

فأمر له بخمسة آلاف درهم

ومن شعر الأعشى

وبينما المرء أمسى ناعماً جذلاً ... فى أهله معجباً بالعيش ذا أنق
غرًا أتيح له من حينه عرض ... فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمت أضحى ضحى من غب ثالثة ... مقنعاً غير ذي روح ولا رمق
يبكي عليه وأدنوه لمظلمة ... تعلى جوانبها بالترب والقلق
فما تزود مما كان يجمعه ... الا حنوطاً وما واراه من خرق
وغير نفحة أعواد تشب له ... وقل ذلك من زاد لمنطلق

لما أتى الحجاج بأعشى همدان أسيراً قال الحمدلله الذى أمكن منك ألست القائل؟

لما سمونا للكفور الفتان ... بالسيد الغطريف عبدالرحمن
سار بجمع كالقطا من قحطان ... ومن معد قد أتى وعدنان
أمكن ربى من ثقيف همدان ... يوماً الى الليل يسلى ما كان
ان ثقيفاً منهم الكذابان ... كذابها الماضى وكذاب ثان

أو لست القائل

يا ابن الأشج قريع كندة لا أبالي فيك عتبا
أنت الرئيس ابن الرئيس وأنت أعلى الناس كعبا
نبئت حجاج بن يو ... سف خر من زلق فتبا

فانهض فُديت لعله يجلو بك الرحمن كربا
وابعث عطية فى الجيو ش يكبُّهن عليه كبا

كلا يا عدو الله ، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذى خر من زَلَق فتب وحار وانكب وما لقى ما أحب ، ورفع بها صوته واربدَّ وجهه واهتز منكباه ، فلم يبق أحد فى المجلس الا أهمته نفسه وارتعدت فرائصه ، فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير

أبى الله الا أن يتم نوره ويطفىء نار الفاسقين فتخمدا
وينزل ذلاً بالعراق وأهله كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما لبث الحجاج ان سلَّ سيفه علينا فولى جمعنا وتبددا
وما زاحف الحجاج الا رأيته حساماً مُلقّى للحروب معودا
فكيف رأيت الله فرق جمعهم ومزقهم عرض البلاد وشردا
بما نكثوا من بيعة بعد بيعة اذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة من القول لم تصعد الى الله مصعدا
ولما دلفنا لابن يوسف ضلة وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا اليه الخندقين وانما قطعنا وأفضينا الى الموت مُرْصَدا
فصادمنا الحجاج دون صفوفنا كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
بجند أمير المؤمنين وخيله وسلطانه أمسى مُعانا مؤيدا
ليهنىء أمير المؤمنين ظهوره على أمة كانوا بغاة وحسدا
وجدنا بنى مَرْوان خير أئمة وأعظم هذا الخلق حلماً وسُوْدَدا
وخير قريش فى قريش أرومة وأكرمهم الا النبى محمدا
اذا ما تدبرنا عواقب أمرنا وجدنا أمير المؤمنين المسددا

سيغلب قوم غالبوا الله جهلة وان كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذاك يُضِلّ الله من كان قلبه ضعيفاً ومن والى النفاق وألحدا
فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم وبيضاً عليهن الجلابيب خُرَّدا
يناديهم مستعبرات اليهمُ ويُذرين دمعاً في الخدود وإثمِدا
والا تَناولهن منك برحمة يكنَّ سبايا والبعولة أعبدا
تعطف أمير المؤمنين عليهمُ فقد تركوا أمر السفاهة والرَّدى
لعلهمُ أن يحدثوا العام توبة وتعرف نصحاً منهمُ وتودّدا
لقد شمت يا ابن الأشعث العام مصرنا فظلوا ومالا قوّا من الطير أسعَدا
كما شاءم الله النَّجير وأهله بجدك من قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام قد أحسن أيها الامير نخل سبيله ، فقال أتظنون أنه أراد المدح ؟ لا والله ولكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرض أصحابه ، ثم أقبل عليه فقال أظننت يا عدو الله انك تخدعني بهذا الشعر وتنفلت من يدى حتى تنجو ألست القائل ؟

واذا سألت المجد أين محله فالمجد بين محمد وسعيد
بين الأغر وبين قيس باذخ بَخْ بَخْ لوالده وللمولود

والله لا تُبخبخ بعدها أبداً أو لست القائل ؟

وأصابني قوم وكنت أصيبهم فاليوم أصبر للزمان وأعرف

كذبت والله ما كنت صبوراً ولا عروفاً ، ثم قلت بعده

واذا تصبك من الحوادث نكبة فاصبر فكل غيابة ستكشف

أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيابتها عنك أبداً ، يا حرَسي اضرب عنقه ، فضرب عنقه

ومن شعر الأعشى يمدح سليم بن صالح بن سعد العنبرى

يأيها القلب المطيع الهوى ... أنّى اعتراك الطرب النازح
تذكرُ جُمْلا فاذا ما نأت ... طار شعاعا قلبك الطامح
هلا تناهيت وكنت امرأ ... يزجرك المرشد والناصح
مالك لا تترك جهل الصبا ... وقد علاك الشمط الواضح
فصار من ينهاك عن حبها ... لم ترَ الا أنه كاشح
يا جمل ما حبى لكم زائل ... عني ولا عن كبدى نازح
حُمّلت وداً لكمُ خالصاً ... جداً اذا ما هزَل المازح
ثم لقد طال طلابيكمُ ... أسعى وخير العمل الناجح
انى توسمت امرأ ماجداً ... يصدق فى مدحته المادح
ذؤابة العنبر فاخترته ... والمرء قد ينعشه الصالح
أبلج بهلولا وظنى به ... أن ثنائى عنده رابح
سُلَيم ما أنت بنكس ولا ... ذمك لي غادٍ ولا رائح
أعطيت ودى وثنائى معاً ... وخلة ميزانها راجح
أرعاك بالغيب وأهوى لكال ... رشد وحبى فاعلمن ناصح
انى لمن سالمت سلم ومن ... عاديت أمسى وله ناطح
فى الرأس منه وعلى أنفه ... من نقماتى ميسَم لائح
نعم فتى الحى اذا ليلة ... لم يُورِ فيها زَنْده القادح
وراح بالشَّوْل الى أهلها ... مُغْبَرّة اذقانها كالح
وهبّت الريح شآمية ... فانجحر القابس والنابح
قد علم الحى اذا أمحلوا ... انك رفّاد لهم مانح

فى الليلة الغالى قراها التى لا غابق فيها ولا صايح
فالضيف معروف له حقه له على أبوابكم فاتح
والخيل قد تعلم يوم الوغى انك من جمرتها ناضح

عمار ذى كناز

هو عمار بن عمرو بن عبد الأكبر، يلقب ذا كناز، همذانى صلبية كوفي، وكان لين الشعر ماجناً خِمِّيراً معاقراً للشراب وقد حد فيه مرات، وكان يقول شعراً ظريفاً يضحك من أكثره، شديد التهافت جَمَّ السُّخف، وله أشياء صالحة، وكان هو وحَمَّاد الراوية ومطيع بن اياس يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون، وكان متهماً بالزندقة، وعمار ممن نشأ فى دولة بني أُمية ولم أسمع له بخبر فى الدولة العباسية ولا كان مع شهوة الناس لشعره واستطابتهم إياه يذنجع أحداً ولا يبرح الكوفة لعشاء بصره وضعف نظره

خرج عمار فى بعض أسفاره ومعه رجل يعرف بدندان، فلما بلغا الفُرات نزلا على قرية يقال لها ناباذ، وأرادا العبور فلم يجدا معبراً، فسبحا وأعانه دندان فلما توسطا الفرات خلى عنه فبعد جهد ما نجا فقال فى ذلك

كاد دندان بأن يجعلنى يوم نابذَ طعاماً للسمك
قلت دندان أغثنى فمضى وأنا أعلو وأهوى فى الـرَّكَ
ولقد أوقعنى فى وَرْطة شيبت رأسى وعاينت الملك
ليت دندان بكفى أسـد أو قتيلاً ثاوياً فيمن هلك

دخل على خالد القَسْرى بالكوفة، فلما مَثَلَ بين يديه صاح به أيها الأمير

أخْلَقت رَيْطتى وأودى القميص وازارى والبطن طاو خميص

قال خالد فنصنع ماذا ؟ ما كل من أخلقت ثيابه كسوناه فقال

وخلا منزلي فلا شيء فيه لست ممن تنحى عليه اللصوص

قال خالد ذلك من سوء فعلك وشربك الخمر بما تعطاه ، فقال

واستحل الأمير حبس عطائى خالد ان خالدا لحريص

فقال خالد وقد غضب على ماذا ثكلتك أمك ؟ فقال

ذو اجتهاد على العبادة والخـــير ولكن فى رزقنا تعويص

فقال علام تقبض العطاء ولا غناء فيك عن المسلمين ؟ فقال

رخص الله فى الكتاب لذى العذ ر وما عند خالد ترخيص

فقال أو لم نرخص لذى العذر أن يقيم ويبعث مكانه رسولاً ؟ فقال

كُلِّف البائس الفقير رسولا هل له عنه معدل أو محيص

العليل الكبير ذا العَرَج الظا لع أعشى بعينه تبخيص

يا أبا الهَيْثم المبارك جُدْ لي بعطاء ما شأنه تنغيص

وبرزقى فاننا قد رَزَحْنا من ضياع وللعيال بصيص

كبصيص الفَرْخين ضمهما العُشّ وغاديهما أسير قنيص

فدمعت عينا خالد وأمر له بعطائه

وقف عمارة على عاصم بن عقيل بن جَعْدَة بن هُبَيْرَة المخزومى فقال له

عاصم يا ابن عقيل أفسح العالم باعا

وارث المجد قديماً ساميا يَنْمِى ارتفاعا

عن هُبَيْرٍ وابنه جعـــدة فاحتل التِّلاعا

اكْسُنِي أصلحك اللّـــه قميصاً وصِقاعا (١)

(١) الصقاع رداء المكدى خاصة

وأرحنى من ثياب باليات تتداعى
طال ترقيعي لها حتى لقد صارت رقاعا
كلها لا شيء فيها غير قل تتساعى
لم تزل تُولي الذى يرجوك براً واصطناعا

فنزع عاصم جبة كانت عليه وأمر غلامه فجعل تحتها قميصاً ودفعها اليه وأمر له بمائتي درهم

كان قد اشترى جارية حسناء فآذته زوجه دومة وضربته غيرة عليه، فقال فى ذلك

ان عرسى لاهداها الله بنت لرباح
كل يوم تفزع الجلا س منها بالصياح
ولها لون كداجى الليل من غير صباح
ولسان صارم كالسيف مشحوذ النواحى
يقطع الصخر ويفريه كما تفرى المساحى
عجل الله خلاصى من يديها وسراحى
تتعب الصاحب والجا ر وتبغى مَنْ تُلاحى
زعمت أنى بخيل وقدَ أضنى بى سماحى
ورأت كفى صفرا من تِلادى ولقاحى
كذبت بنت رباح حين همت باطراحى
حاتم لو كان حياً عاش في ظل جناحى
ولقد أهلكت مالى فى ارتياحى وسماحى
ثم ما أبقيت شيئاً غير زادى وسلاحى

وكُمَيت بين أشطا ن جواد ذى مراح
يسبق الخيل بتقريـــب وشَدّ كالرياح
ثم غارت وتجنت وأجدت فى الصياح
لا بتياعى أملح النســـوان من قنى الرماح
دُمْية المحراب حسنا وحكت بيض الأداحى
هى أشهى لصدَى الظمآ ن من برد القداح
قلت يا دومة بينى ان فى البين صلاحى
فأنا اليوم طليق من إسار ذو ارتياح
لست عمن ظفرت كفـــى بها اليوم بصاح
أنا مجنون بريم مُخْطَف الخصر رَداح
مشبع الدَّمْلُج والخلـــخال جوّال الوشاح
ان عمّار بن عمرو ذا كناز ذو امتداح
وهجاء سائر فى النـــاس لا يمحوه ماح
أبداً ما عاش ذو رو ح ونودى بالفلاح

ومن شعره وفيه غناء

أصبح القلب من سـلا مة ريّا مُجَـــذَّذا
حبذا أنت يا سـلا مة ألفين حبـــذا
ثم ألفين مضعفيـــن وألفين هكذا
فى صميم الأحشاء منـــى وفى القلب قد حذا
حذوة من صبابة تركتـــه مُفَلَّذا

وهو من قصيدة له كثيرة المرذول ولكنها مضحكة طيبة من الشعر المرذول

ومنها وقد أنشده حماد الراوية الوليد بن عبد الملك

اصبح القوم قهوة فى أباريق تحتذى
من كميت مدامة حبذا تلك حبذا
تترك الأذن شرّعاً أرجواناً بها خذا (١)

ومن صالح شعره قوله

شجا قلبي غزال ذو دلال واضح السنة
أسيل الخد مربوب وفى منطقه غنّة
ألا ان الغوانى قد برى جسمي هوا هنّه
وقالوا شفّك الحُور هوًى قلت لهم انّه (٢)
ولكني على ذاك معنّى باذا كنّه
أراح الله عماراً من الدنيا ومنهنه
بعيدات قريبات فلا كان ولا كنه
فقد أذهل مني العقل والقلب شجا هنه
يمنين الأباطيل ويجحدن الذى قلنه

(١) الخذا الاسترخاء (٢) نعم

شعراء الأزد

ثابت قطنة

هو ثابت بن كعب العتكى ، من بنى العتيك ثم من الأزد ، ويكنى أبا العلاء ، ولقب قُطْنَة لان سهماً أصابه فى إحدى عينيه ، فذهب بها فى بعض حروب الترك فكان يجعل عليها قطنة ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى صحابة يزيد بن المهلَّب ، وكان يوليه أعمالاً من أعمال الثغور فيَحْمَد فيها مكانه لكفايته وشجاعته

صعد المنبر يوم الجمعة فرام الكلام فتعذر عليه وحُصِر ، فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عِىٍّ بياناً ، وأنتم الى أمير فمال أحوج منكم الى أمير قوال

وإلاَّ أكن فيكم خطيباً فانني بسيفى إذا جدَّ الوغَى لخطيب

فبلغت كلماته خالد بن صَفْوَان فقال ، والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه فى كلماته هذه ، ولو أن كلاماً استَخَفَّني فأخرجني من بلادى الى قائله استحساناً له لأخرجتني هذه الكلمات الى قائلها ، وكان ثابت يهاجى حاجب بن ذبيان المازنى وهو حاجب الفيل

وسبب التهاجى بينهما أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب ، فلما مَثَل بين يديه أنشده

اليك امتطيت العِيسَ تسعين ليلة أرجى نَدَى كفيك يا ابن المهلَّب

وأنت امرؤ جادت سماء يمينه على كل حى بين شرق ومغرب

فجد لي بطرف أعوجيّ مُشهَّر ... سليم الشظى عبل القوائم سلهب (١)
سبوح طموح الطرف يستنّ مرجم ... أمرّ كإمرار الرشاء المشذّب (٢)
طوى الضمّر منه البطن حتى كأنه ... عقاب تدلّت من شماريخ كبكب (٣)
تبادر جنح الليل فرخين أقويا (٤) ... من الزاد في قفر من الأرض مجدب
فلما رأت صيداً تدلّت كأنها ... دلاة (٥) تهاوى مرقباً بعد مرقب
فشكّت سواد القلب من ذئب قفرة ... طويل القرا (٦) عاري العظام معصّب
وسابغة قد أتقن القين صنعها ... وأسمر خطّيّ طويل مجرب
وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهاب متى يلق الضريبة يقضب
وقل لي اذا ماشئت في حومة الوغى ... تقدم أو اركب حومة الموت أركب
فاني امرؤ من عصبة مازنية ... نمانى أب ضخم كريم المركب

فأمر له بدرع وسيف ورمح وفرس وقال له قد عرفت ما شرطت لنا على نفسك ، فقال أصلح الله الأمير حجتي بينة وهي قول الله عز وجل ,, والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ،، فقال ثابت قطنة ما أعجب ما وفدت به من بلدك في تسعين ليلة ، مدحت الأمير ببيتين ، وسألته حوائجك في عشرة أبيات ، وختمت شعرك ببيت تفخر فيه عليه حتى اذا أعطاك ما أردت حدّثت عما شرطت له على نفسك فأكذبتها كأنك تخدعه ، فقال له يزيد مَهْ يا ثابت فانا لا نُخدع ولكن نتخادع ، وسوغه ما أعطاه وأمر له بألفي درهم

---

(١) أعوجي منسوب الى أعوج فرس لبني هلال ولبس في العرب فحل أشهر ولا اكثر نسلا منه والشظى عظم مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف والسلهب الطويل
(٢) فرس سبوح غير مضطرب في جريه واستن الفرس قمص وعدا اقبالا وادباراً من النشاط والمرجم من الخيل الشديد الوطء وأمر فتل فتلا شديداً (٣) جبل مشرف على عرفات (٤) في زادهما (٥) الدلاة الدلو الصغير (٦) القرا الظهر

ودخل حاجب يوماً على يزيد وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقرى ، وكانا لا يفارقان مجلسه ، فوقف بين يديه ، فقال له تكلم يا حاجب ، فقال يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً ، قال لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك ، فقال أيها الأمير انه ليس أحد ولو أطنب فى وصفك موفيك حقك ولكن المجتهد محسن فلا تهيجنى بمنعى عن الانشاد وتأذن لي فيه فاذا سمعت فجودك أوسع من مسألتى ، فقال له يزيد هات فما زلت مجيداً محسناً مُجملاً ، فأنشده

كم من كمىّ في الهياج تركته ... يَهْوِى لفيه مجندلاً مقتولا
جلّلت مَفْرق رأسه ذا رَوْنَق ... عَضْب المهزَّة صارماً مصقولا
قُدتَ الجياد وأنت غرّ يافع ... حتى اكتهلت ولم تزل مأمولا
كم قد حَرَبْت[1] وقد جبرت معاشراً ... وكم امتننت وكم شفيت غليلا

فقال له يزيد سل حاجتك ، فقال ما على الأمير بها خفاء ، فقال قل ، قال اذاً لا أقصر ولا استعظم عظيماً أسأ له الأمير أعزه الله مع عظم قدره ، قال أجَلْ فقل يفعل ، فلست بما تصير اليه أغْبطَ منا ، قال تحملنى وتُخدمنى وتجزل جائزتى ، فأمر له بخمسة تخوت ثياباً وغلامين وجاريتين وفرس وبغل ويرْذَون وخمسة آلاف درهم ، فقال حاجب

شِم الغيث وانظر ويك أين تبعجت[2] ... كُلاه تجدها فى يد ابن المهلب
يداه يد يُخزى بها الله من عصى ... وفى يده الأخرى حياة المعصب

فحسده ثابت وقال والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت بملء كفيك نَوى ولكنه أعطاك على قدره ، وقام مغضباً ، وقال لحاجب يزيد انما فعل الأمير

(١) حربه أخذ ماله وتركه بلا شيء
(٢) تبعج السحاب بالمطر انفرج من الودق وشام البرق نظر اليه أين يقصد وأين يمطر

هذا ليضع منا باجزاله العطية لمثل هـذا والا فلو اجتهدنا فى مديحه ما زدنا على هذا ، ولج الهجاء بين ثابت وحاجب ، فمما قال حاجب

لا يعرف الناس منـه غير قطنته ... وما سواها من الانساب مجهول

وقال ثابت يهجو حاجباً

أحاجب لولا أن أصلك زَيِّن ... وانك مطبوع على اللؤم والكفر
وانى لو أكثرت فيك مقصر ... رميتك رمياً لا يَبيد يَدَ الدهر
فقل لي ولا تكذب فانك عالم ... بمثلك هل في مازن لك من ظهر
فانك منهم غير شك ولم يكن ... أبوك من الغُرّ الجحاجحة [1] الزهر
فلست بهاجٍ لابن ذبيان انني ... سأكرم نفسى من سباب ذوب الهُجْر

كان ثابت قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المُرْجِئة [2] كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان فمال الى قول المرجئة وأحبه فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدة قالها فى الارجاء

يا هند إنى أظن العيش قد نَفِدَا ... ولا أرى الأمر الامدبراً نَكِدَا
إنى رهينـة يوم لست سابقه ... إلاَّ يكن يومنا هذا فقد أُفِدَا
بايعت ربى بيعاً إن وفيت به ... جاورت قتلى كراماً جاوروا أُحُدَا
يا هند فاستمعي لي إن سيرتنا ... أن نعبد الله لم نشرك به أحدا
نُرْجى الأمور اذا كانت مشبَّهة ... ونَصْدُق القول فيمن حار أو عَنَدا [3]
المسلمون على الاسلام كلهم ... والمشركون استَوَوْا في دينهم قِدَدا [4]

---

(١) الجحجاح السيد المسارع فى المكارم
(٢) الشراة الخوارج والمرجئة فرقة من الفرق الاسلامية مبينة قواعدها فى شعر ثابت
(٣) عند عن الطريق والقصد مال وعدل (٤) القد بالكسر الفرقة من الناس هوى كل واحد على حدته جمعه قدد

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً ... من الناس شركاً إذا ماوحدوا الصمدا
لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا ... سفك الدماء طريقاً واحداً جَدَدا[1]
من يتق الله فى الدنيا فان له ... أجرَ التقيِّ اذا وفى الحساب غدا
وما قضى الله من أمر فليس له ... ردّ وما يقض من شيء يكن رشدا
كل الخوارج مُخْطٍ فى مقالته ... ولو تعبد فيما قال واجتهدا
أما عليّ وعثمان فانهما ... عبدان لم يشركا بالله مذ عبَدَا
وكان بينهما شَغْب وقد شهدا ... شقّ العصا وبعين الله ما شهدا
يُجزَى عليّ وعثمان بسعيهما ... ولست أدرى بحق أية وردا
الله يعلم ما ذا يحضران به ... وكل عبد سيلقى الله منفردا

لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت على هند بنت المهلب والناس حولها جلوس يعزونها فأنشدها

يا هند كيف بنُصْب[2] بات يُبْكيني ... وعائر فى سواد الليل يؤذيني
كأن ليلىَ والأصداء هاجدة ... ليلُ السَّليم وأعيا من يداويني
لما حنى الدهر من قوسي وعذَّرني ... قاسيت منه أمر الغلظ واللين
اذا ذكرت أبا غسَّان أرقني ... هم اذا عرَّس السارون يُشْجيني
كان المفضل عزاً في ذوى يَمَن ... وعصمة وثمالاً[3] في المساكين
مازلت بعدك فى هم تحيش به ... نفسي وفى نَصَب قد كاد يُسْليني
أني تذكرت قتلي لو شهدتهم ... فى حومة الموت لم يَصْلَوْا بها دوني
لاخير فى العيش إن لم أجن بعدهم ... حرباً تُبيء[4] لهم قتلى فتَشْفيني

فقالت له هند اجلس يا ثابت فقد قضيت الحق وما من المرزئة بُدّ ، وكم من

(١) الجدد الارض الغليظة المستوية (٢) النصب بالضم البلاء والعائر الرمد
(٣) الثمال الغياث الذى يقوم بأمر قومه (٤) أباء القتل بالقتيل قتله به

ميتة ميت أشرف من حياة حى ، وليست المصيبة فى قتل من استشهد ذاباً عن دينه مطيعاً لربه ، وانما المصيبة فيمن قلت بصيرته وخمل ذكره بعد موته ، وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملا ، يقال انه ما عزى يومئذ بأحسن من كلامها

وكتب ثابت الى يزيد بن المهلب يحرضه

ان امرأ حدبت ربيعة حوله ... والحى من يمن وهاب كؤدا (١)
لضعيف ما ضمّت جوانح صدره ... ان لم يلُفّ الى الجنود جنودا
أيزيدكن فى الحرب اذ هيجتها ... كأبيك لا رعشاً ولا رعديدا
شاورت أكرم من تناول ماجدا ... فرأيت همك فى الهموم بعيدا
ما كان في أبويك قادح هُجْنة ... فيكون زَنْدك فى الزناد صَلودا (٢)
انا لضرابون فى حمَس الوغى ... رأس المتوج اذ أراد صدودا
وترى اذا كفر العجاج ترى لنا ... فى كل معركة فوارس صيدا
يا ليت أمرتك الذين تغيبوا ... كانوا ليومك بالعراق شهودا
وترى مواطنهم اذا اختلف القنا ... والمشرفيّة يلتقين وقودا

فلما قرأ يزيد الكتاب قال ان ثابتاً لغافل عما نحن فيه ولعمرى لأطيعنه وسيرى ما يكون ، ولما قتل يزيد رثاه ثابت بقوله

كل القبائل تابعوك على الذى ... تدعو اليه وبايعوك وساروا
حتى اذا حمِيَ الوغى وجعلتهم ... نُصُب الأسنة أسلموك وطاروا
ان يقتلوك فان قتلك لم يكن ... عاراً عليك وبعض قتل عار

دخل ثابت على قُتَيبة بن مسلم الباهلى فمدحه وسأله حاجته فلم يقضها له فخرج

(١) العقبة الكؤود الصعبة الشاقة المصعد
(٢) الزند الصلود الذى لا يورى اذا قدح

من بين يديه ، وقال لاصحابه لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردنى عنه وأنشأ يقول

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة ... ولا ملك ممن يعين على الرفد
ولا فاعل يرجو المقلون فضله ... ولا قائل ينكى العدو على حقد
لو ان المنايا سامحت ذا حفيظة ... لأكرمنه أو عجن عنه على عمد

عتب ثابت على قومه من الأزد فى حال استنصر بهم فيها فلم ينصروه فقال في ذلك

تعففت عن شتم العشيرة انني ... وجدت أبى قد كف عن شتمها قبلى
حليماً اذا ما الحلم كان مروءة ... وأجهل أحياناً ان التمسوا جهلى

لما ولي سعيد بن عبد العزيز خُراسان جلس يعرض الناس ، فلما دعى بثابت تقدم ، وكان تام السلاح جواد الفرس فارساً من الفرسان ، فسأل عنه فقيل هذا ثابت قُطْنة وهو أحد فرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قال له حُميد الرُّواسى وعبادة المحاربى هذا أصلحك الله الذى يقول

انا لضرابون فى حمس الوغى ... رأس الخليفة ان أراد صدودا

فقال سعيد علىّ به ، فردوه ، وهو يريد قتله ، فلما أتاه قال أأنت القائل « انا لضرابون فى حمس الوغى ؟ قال نعم أنا القائل

انا لضرابون فى حمس الوغى ... رأس المتوّج ان أراد صدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائه ... ان رام افساداً وكرّ عنُودا

فقال سعيد أولى لك ، لولا أن خرجت منها لضربت عنقك ، وبلغ ثابتاً ما قاله حميد وعبادة ، فأتاه عبادة معتذراً ، فقال قد قبلت عذرك ، ولم يأته حميد فقال يهجوه

وما كان الجنيد ولا أخوه ... حُمَيد من رؤوس فى المعالى

فان يك دَغْفَل [١] أمسى رهيناً وزيد والمقيم الى زوال
فعندكمُ ابن بشر فاسألوه بمَرْو الرُّوذ يصدق فى المقال
ويخبر انه عبد زنيم لئيم الجد من عم وخال

اجتاز ثابت فى بعض أسفاره بمدينة كان أميرها محمد بن مالك بن بدر الهمدانى ، وكان يغمز فى نسبه وخطب الي قوم من كِنْدة فردوه ، فعرف خبر ثابت فى نزوله فلم يكرمه ولا أمر له بقِرًى ولا تفقده بنُزُل ولا غيره ، فلما رحل عنه قال يهجوه ويعيره برد من خطب اليه

لو أن بَكِيلا [٢] همُ قومه وكان أبوه أبا العاقب
لأكرمنا اذ مررنا به كرامة ذى الحسب الثاقب
ولكن خَيْوان [٣] همُ قومه فبئس همُ القوم للصاحب
وأنت سَنِيد بهم مُلْصَق كما أُلصقت رُقعة الشاعب [٤]
وحسبك حسبك عند الثنا بأفعال كِنْدة من عائب
خطبت فجازَوْك لما خطبـ جزاء يَسار من الكاعب
كذبت فزُيِّفت عند النكاح لمَتِّك [٥] بالنسب الكاذب
فلا تخطبَنْ بعدها حرة فتثنى بوَسْم على الشارب

كعب الاشقرى

هو كعب بن مَعْدان الأَشْقَرى من الأَشاقِر وهى قبيلة من الأَزْد وأُمه من عبد القيس

شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان من أصحاب المهلَّب والمذكورين في

---

(١) هو دغفل النسابة المشهور (٢) من قبائل اليمن (٣) من قبائل اليمن
(٤) الشاعب مصلح الشعب أى الصدع (٥) لتوسلك

حروبه الأزارقة ، وأوفده المهلب الى الحجاج وأوفده الحجاج الى عبد الملك ، قال الفرزدق شعراء الاسلام أربعة أنا وجرير والأخطل وكعب الأشقرى

أوفد المهلب كعباً الى الحجاج يخبره بوقعة كانت له مع الأزارقة فأنشده قوله

يا حفصَ إنى عدَانى عنكم السفَرُ ... وقد سهِرْت فآذى عينيَ السهر
عُلِّقْت يا كعب بعد الشيب غانية ... والشيب فيه عن الأهواء مُزْدَجَر
أمُمْسِكٌ أنت منها بالذى عهِدت ... أم حبلها اذ نأتك اليوم مُنْبَتِر
ذكرت خَوْدًا[1] بأعلى الطَّفّ منزلها ... فى غُرْفة دونها الأبواب والحُجَر
وقد تركت بشطّ الزابيَيْن[2] لها ... داراً بها يسعَد البادون والحَضَر
واخترت داراً بها قوم اسرّ بهم ... ما زال فيها لمن تختارهم خيَر
لما نبت بى بلادى سرت منتجِعاً ... وطالب الخير مُرْتاد ومنتظِر
أبا سعيد فانى جئت منتجِعاً ... أرجو نوالك لما مسَّنى الضرر
لولا المهلب ما زرنا بلادهمُ ... ما دامت الأرض فيها الماء والشجر
وما من الناس من حىّ علمتهمُ ... الا يُرَى فيهمُ من سَيْبكم أثر
أحييتهم بسِجال منك كما ... تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
إنى لأرجو اذا ما فاقة نزلت ... فضلاً من الله فى كفيك يُبْتَدَر
فاجبر أخاً لك أوْهَى الفقر قوته ... لعله بعد وَهْى العظم ينجبر
جفا ذوو نسبى عني وأخلفنى ... ظني فلله دَرِّى كيف آتمر
نماك للمجد أملاك ورثتهم ... شُمُّ العرانين في أخلاقهم يَسَر
ثاروا بقتلي وأوتار تعددها ... فى حين لاحدث فى الحرب يتَّئِر[3]

(١) الخود المرأة الشابة ماتصير نصفاً والجمع خود بضم الخاء (٢) الزابيان هما الزاب الاعلى بين الموصل واربل والزاب الاسفل مخرجه من جبال السلق وكلاهما من روافد دجلة
(٣) يتئر يدرك بثأره وأصله الثاء

واستسلم الناس اذ حل العدو بهم ... فما لأمرهمُ وِرْد ولا صَدَر
فما يجاوز باب الجسر من أحد ... وعضّت الحرب أهل المصر فانجحروا
وأُدخل الخوف أجواف البيوت على ... مثل النساء رجال ما بهم غِيَر (١)
واشتدت الحرب والبلوى وحل بنا ... أمر تُشمّر في أمثاله الأُزُر
نظلّ من دون خوف مُعْصمين (٢) بهم ... فشمّر الشيخ لما أعظم الخطر
كنا نُهوّن قبل اليوم شأنهمُ ... حتى تفاقم أمر كان يُحْتقر
لما وَهَنّا وقد حلوا بساحتنا ... واستُنفر الناس تارات فما نفَروا
نادى امرؤ لاخلاف فى عشيرته (٣) ... عنه وليس به فى مثله قِصَر
أفشى هنالك مما كان مذ عصروا ... فيهم صنائعَ مما كان يُدّخر
تلبّسوا لقراع الحرب بزّتها ... فأصبحوا من وراء الجسر قد عبروا
ساروا بألوية للمجد قد رفعت ... وتحتهن ليوث في الوَغَى وُقُر
حتى اذا خلّفوا الأهواز (٤) واجتمعوا ... برامَ هُرْمُزَ وافاهم بها الخبر
نَعِيّ بشر فجال القوم وانصدعوا ... الا بقايا اذا ما ذُكّروا ذكروا
ثم استمر بنا راض ببيعته ... ينوى الوفاء ولم نغدُر كما غدروا
حتى اجتمعنا بسابور (٥) الجنود وقد ... شبّتْ لنا ولهم نار لها شرَر
نلقى مساعيرَ أبطالاً كأنهمُ ... جن نقارعهم ما مثلهم بشر
نُسقى ونسقيهمُ سَمّاً على حنَق ... مستأنفى الليل حتى أسفر السَّحَر
قتلى هنالك لا عقل ولا قَوَد ... منا ومنهم دماء سفكها هدَر

---

(١) الغيرة النخوة وجمعها غير (٢) أعصم به اعتصم
(٣) يريد انهم مجتمعون عليه (٤) الأهواز اقليم من أقاليم فارس فيه سبع كور بين البصرة وفارس ورام هرمز احدى مدن خوزستان (٥) سابور الجنود بلدة ولاية بين خوزستان واصبهان

حتى تنحّوا لنا عنها تسوقهمُ ... منا ليوث اذا ما أقدموا جسَرُوا
لم يُغْنِ عنهم غداةَ التلّ كيدُهمُ ... عند الطعان ولا المكر الذي مكروا
باتت كتائبُنا تَرْدِي مسوَّمة ... حول المهلّب حتى نوّر القمر
هناك ولّوا حزانا بعد ما فرحوا ... وحال دونهمُ الأنهار والجُدُر
عبّوا جنودهمُ بالسفح اذ نزلوا ... بكازرُونَ (١) فما عزوا ولا ظفِروا
وقد لقُوا مَصْدَقاً منا بمنزلة ... ظنوا بأن يُنْصروا فيها فما نُصروا
بدَشْتَ (٢) بارينَ يوم الشِّعب اذ لحقت ... أُسد بسفك دماء الناس قد زَئِروا
لاقَوْا كتائب لا يُخلون ثغرهمُ ... فيهم على من يقاسى حربهم صعَر
المقدمين اذا ما خيلهم وردت ... والعاطفين اذا ما ضُيّع الدُّبر
وفي جُبَيْرين اذ صفوا بزحفهم ... ولّوا خزايا وقد فُلوا وقد قُهروا
والله ما نزلوا يوماً بساحتنا ... الا أصابهمُ من حربنا ظَفَر
ننفيهمُ بالقنا عن كل منزلة ... تروح منا مساعير وتبتكر
ولّوا حذاراً وقد هرّوا أسنتنا ... نحو الحروب فما نجاهمُ الحذر
صلْت (٣) الجبين طويل الباع ذو فُرَح ... ضَخْم الدّسيعة لا وانٍ ولا غمر
مجرب الحرب ميمون نقيبته ... لا يُستخف ولا من رأيه البطَر
وفي ثلاث سنين يستديم بنا ... يقارع الحرب أحياناً ويأتمر
يقول انّ غداً مُبدٍ لناظره ... وفى الليالي وفى الأيام معتبَر
دعوا التتابع (٤) والامراع وارتقبوا ... ان المحارب يستأنى وينتظر
حتى أتته أمور عندها فرَج ... وقد تبين ما يأتى وما يذَر

(١) كازرون مدينة بفارس بين البحرين وشيراز (٣) دشت بارين مدينة من أعمال فارس
(٢) الصلت الجبين الواضح والدسيعة العطية الجزيلة والجفنة الكبيرة والغمر من لم يجرب لامور (٤) يتتابع فى الامور يرمى بنفسه فيها من غير تثبت

لما زواهم الى كرمانَ[1] وانصدعوا ... وقد تقاربت الآجال والقدر
سرنا اليهم بمثل الموج وازدلفوا ... وقبل ذلك كانت بيننا مِئَر[2]
وزادنا حنقاً قتلى نذكرها ... لا تستفيق عيون كلما ذُكروا
اذا ذكرنا جَروز[3] أو الذين بها ... قتلى مضى لهمُ حولان ما قبروا
تأتى علينا حزازات النفوس فما ... نبقى عليهم وما يبقون ان قدروا
ولا يقيلوننا فى الحرب عثرتنا ... ولا نُقيلهمُ يوماً اذا عثروا
لا عذر يقبل منا دون أنفسنا ... ولا لهمْ عندنا عذر لو اعتذروا
صفّان بالقاع كالطَّودين بينهما ... كالبرق يلمع حتى يشخص البصر
على بصائرَ كلٌّ غير تاركها ... كلا الفريقين تتلى فيهمُ السور
يمشون في البَيْض والابدان اذوردوا ... مشى الزَّواملِ تَهْدى صفهم زُمَر
وشيخنا حوله منا مُلَمْلَمة ... حى من الأَزْد فيما نابهم صُبُر
في موطن يقطع الأبطالَ منظره ... تُشاط[4] فيه نفوس حين تبتكر
ما زال منا رجال ثَمَّ نضربهم ... بالمَشْرَفيّ ونار الحرب تستعر
وباد كل سلاح يستعان به ... فى حَوْمة الموت الا الصارم الذكر
ندوسهم بعناجيج[5] مُجَفَّفة ... وبيننا ثَمّ من صُمّ القنا كِسَر
يغشَيْن قتلى وعَقْرَى ما بها رَمَق ... كأنما فوقها الجادىّ يُعتصَر
قتلى بقتلى قصاص يستقاد بها ... تشفى صدور رجال طالما وَتَروا
مجاورين بها خيلاً مُعَقَّرة ... للطير فيها وفى أجسادهم جزَر

(١) كرمان بالفتح وربما كسر ولاية بين فارس ومكران وسجستان
(٢) جمع مئرة وهى العداوة (٣) موضع بفارس كانت به وقعة بين الأزارقة وأهل البصرة وكانت مصيبة عمت على أهل البصرة
(٤) تهلك (٥) العناجيج جياد الخيل والابل

في معركٍ تحسب القتلى بساحته ... أعجاز نخلٍ زفتهُ[1] الريح ينقعر
وفي مواطن قبل اليوم قد سلفت ... قد كان للأزد فيها الحمد والظفر
في كل يوم تلاقي الأزد مُفظعة ... يشيب في ساعة من هولها الشعر
والأزد قومي خيار القوم قد علموا ... اذا قرومهمُ يوم الوغى خطروا
فيهم معاقل من عز يلاذ بها ... يوماً اذا شمرت حرب لها درر
حي بأسيافهم يبغون مجدهمُ ... ان المكارم في المكروه تبتدر
لولا المهلب للجيش الذي وردوا ... أنهار كرمان بعد الله ما صدروا
اذا اعتصمنا بحبل الله اذ جحدوا ... بالمحكمات ولم نكفر كما كفروا
جاروا عن القصد والاسلام واتبعوا ... ديناً يخالف ما جاءت به النذر

فقال له الحجاج انك لمصنف يا كعيب ، ثم قال له الحجاج كيف كان بنو المهلب ؟ قال حُماة للحريم نهاراً وفرساناً بالليل أيقاظاً ، قال فأين السماع من العيان ؟ قال السماع دون العيان ، قال صفهم رجلاً رجلاً قال المغيرة فارسهم وسيدهم نار ذا كية وصمدة عالية ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ليث غاب وبحر جمّ عُباب ، وجوادهم قبيضة ليث المغار وحامي الذمار ولا يستحيي الشجاع أن يفرّ من مُدرك فكيف لا يفر من الموت الحاضر والأسد الخادر ؟ وعبد الملك سم ناقع وسيف قاطع ، وحبيبٌ الموت الذعاف انما هو طَوْد شامخ ونخر باذخ ، وأبو عينية البطل الهمام والسيف الحسام ، وكفاك بالمفضّل نجدة ليث هدّار وبحر موّار ، ومحمد ليث غاب وحسامُ ضرّاب ، قال فأيهم أفضل ؟ قال هم كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفاها ، قال فكيف جماعة الناس ؟ قال على أحسن حال ، أدركوا ما رجوا وأمنوا مما خافوا وأرضاهم العدل وأغناهم النفل ، قال فكيف رضاهم عن المهلب ؟ قال أحسن رضا ،

---

(١) استخفته

وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يَعْدَمون منه رضا الوالد ولا يعدم منهم بر الولد ، قال فكيف فاتكم قَطَرِيّ ؟ قال كِدْناه فتحول عن منزله وظن أنه قد كادنا ، قال فهلا تبعتموه ؟ قال حال الليل بيننا وبينه فكان التحرى الى أن يقع العيان ويعلم الأمر وما يصنع أحزم وكان الجِدّ عندنا آثر من الفَلّ ، فقال له المهلب أعلم بك حين بعثك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وحمله على فرس وأوفده على عبد الملك فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى

كان عبد الملك يقول للشعراء تشبهونني مرة بالأسد ومرة بالبازى ومرة بالصقر ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى في المهلب وولده ؟

براك الله حين براك بحراً ... وفجّر منك أنهاراً غزارا
بنوك السابقون الى المعالى ... اذا ما أعظم الناس الخطارا
كأنهمُ نجوم حول بدر ... دَرَارِىّ تكمل فاستدارا
ملوك ينزلون بكل ثغر ... اذا ما الهام يوم الرَّوع طارا
رزان في الأمور ترى عليهم ... من الشيخ الشمائل والنِّجارا
نجوم يهتدى بهمُ اذا ما ... أخو الظلماء فى الغمَرَات حارا

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها

طربت وهاج لي ذاك ادّ كارا ... بكبش قد أطلت به الحصارا
وكنت ألذّ بعض العيش حتى ... كبرت وصار لي همي شعارا
رأيت الغانيات كرهن وصلي ... وأبْدَيْن الصَّريمة لي جهارا
عرضن بمجلسى وكرِهْن وصلي ... أوانَ كُسيت من شمَط عِذَارا
نزَيْن عليَّ حين بدا مَشيبي ... وصارت ساحتي للهمِّ دارا
أتاني والحديث له نَماء ... مقالةُ جائر أحْفَى وجارا

سلوا أهل الأباطح من قريش عن العز المؤبد أين سارا
ومن يحمى الثغور اذا استدرت حروب لا يَنُون لها غِرارا
لقومى الأزْدُ فى الغَمَرات أمضى وأوفى ذمةً وأعز جارا
هم قادوا الجياد عُلاً وجاهاً من الأمصار يَقْذِفْن المهارا
بكل مفازة وبكل سَهْب بَسابِس لا تَرَوْنَ لها مَنارا
الى كِرْمان يحملن المنايا بكل ثَنِيَّة يوقِدْن نارا
شوازب[1] لم يثبن النار حتى ترى فيها عن الأسَل ازورارا
غداة تركن مَصْرَع عبدرب[2] يُثِرْنَ عليه من رَهَج عصارا
ويوم الزَّحف بالأهواز ظَلْنا نُرَوِّى منهمُ الأسَلَ الحِرارا
فقرت أعين كانت حديثاً ولم يك نومها الا غِرارا
صنائعنا السوابغ والمذاكى ومن بالمصر يحتلب العِشارا
فهن يُبِحْن كل حِمًى عزيز ويَحْمِين الحقائق والذِّمارا
طوالات المتون يصبن الا اذا سار المهلب حيث سارا
فلولا الشيخ بالمصرين يَنْفى عدوهمُ لقد تركوا الديارا
ولكن قارع الأبطال حتى أصابوا الأمن واجتنبوا الفِرارا
اذا وهنوا وحل بهم عظيم يَدُقّ العظم كان لهم جبارا
ومُبْهَمة تحيد الناس عنها تشب الموت شد لها الازارا
شهاب تنجلي الظلماء عنه يرى في كل مُبْهَمة مَنارا
بل الرحمن جارك اذ وَهَنّا بدفعك عن محارمنا اختيارا

وبعده الأبيات التي ذكر عبد الملك

(١) الشازب الضامر اليابس جمعه شوازب (٢) قائد من قواد الخوارج

ومن قول كعب يهجو

لقد خاب أقوام سَرَوْا ظلم الدجى ... يؤمون عمراً ذا الشعير وذا البر
يؤمون من نال الغنى بعد شيبه ... وقامى وليداً ما يقامى ذوو الفقر
فقل للجَبَيْم يال بكر بن وائل ... مقالة من يلحَى أخاه ومن يُزْرى
فلو كنتمُ حياً صحيحاً نقيتم ... بخيلكمُ بالرغم منه وبالصغر
ولكنكم يا آل بكر بن وائل ... يسودكمُ من كان فى المال ذا وفر
هو المانع الكلب النُّباح وضيفه ... خميص الحشى يرعى النجوم التي تسرى

كتب الحجاج الى المهلَّب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويُضعِّفه ويُعَجِّزه فى تأخيره أمرهم ومطالبتهم ، فقال المهلب لرسوله قل له انما البلاء أن الأمر الى من يملكه لا الى من يعرفه ، فان كنت نصبتنى لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرها كما أرى فان أمكنتنى الفرصة انتهزتها وان لم تمكنى فأنا أدبر ذلك بما يصلحه فنعم ، وان أردت منى أن أعمل برأيك فان كان صواباً فلك وان كان خطأ فعلىَّ ، فابعث من رأيت مكانى ، وكتب من فوره الى عبد الملك ، فكتب اليه عبد الملك لا تعارض المهلب فيما يراه ولا تُعْجله ودَعْه يدبر أمره ، وقام كعب الأشقرى الى المهلب فأنشده بحضور رسول الحجاج

ان ابن يوسف غره من غزوكم ... خَفْضُ المقام بجانب الأمصار
لو شاهد الصفين حين تلاقيا ... ضاقت عليه رحيبة الأقطار
من أرض سابورِ الجنود وخيلنا ... مثل القِدَاح بَرَيْتَها بشفار
من كل جندىّ غذى بلبانه ... وقع الطباق مع القَنَا الخطَّار
ورأى معاودة الرباع غنيمة ... أزمان كان محالف الاقتار
فدع الحروب لشيبها وشبابها ... وعليك كل خريدة معْطار

فبلغت أبياته الحجاج فكتب الى المهلب يأمره بأشخاص كعب اليه ، فأعلم

المهلب كعباً بذلك وأوفده الى عبد الملك من تحت ليلته وكتب اليه يستوهبه منه ، فقدم كعب على عبد الملك واستنشده فأعجبه ما سمع منه فأوفده الى الحجاج وكتب اليه يُقْسم عليه أن يعفو عنه ويُعْرض عما بلغه من شعره ، فلما وصل اليه ودخل اليه قال إيه يا كعب — ورأى معاودة الرباع غنيمة — فقال له أيها الأمير والله لقد وَدِدْت في بعض ما شاهدته فى تلك الحروب وأزَماتها وما يوردناه المهلب من خطرها ان أنجو منها وأكون حجاماً أو حائكا ، فقال له الحجاج أولى لك ، لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع ، فالحق بصاحبك ، ورده من وقته

لما عزل يزيد بن المهلب عن خُراسان ووليها قُتَيْبة بن مُسْلم مدحه كعب ونال من يزيد وثلبه ثم بلغته ولاية يزيد على خُراسان فهرب الى عُمان على طريق الطُّبْسَين وقال

وانى تارك مَرْوًا ورائى ... الى الطُّبْسين معتاماً عُمانا
لآوى معقلاً فيها وحرزاً ... فكنا أهل ثروتنا زمانا

فأقام بعُمان مدة ثم اجتواها فكتب الى يزيد بن المهلب معتذراً

بئس التبدل من مَرْو وساكنها ... أرضُ عُمانَ وسُكْنَى تحت أطواد
يُضْحى السحاب مطيراً دون منصفها ... كأن أجبالها عُلت بفِرصاد
يا لهف نفسى على أمر خطِلت به ... وما شفيت به غمرى وأحقادى
أفنيت خمسين عاماً في مديحكم ... ثم اغتررت بقول الظالم العادى
أبلغ يزيد قرين الجود مألُكَة ... بأن كعباً أسير بين أصفاد
فان عفوت فبيت الجود بيتكمُ ... والدهر طَوْرانِ من غَيّ وارشاد
وان مننت بصفح أو سمحت به ... نزعت نحوك أطنابى وأوتادى

هاجى زياد الأعجم كعباً واتصل الهجاء بينهما ثم غلبه زياد ، وكان سبب

ذلك ان شراً وقع بين الأزد وبين عبد القيس وحرباً سكنها المهلب وأصلح بينهم وتحمل ما أحدثه كل فريق على الآخر وأدى دياتِه فقال كعب يهجو عبد القَيْس

انى وان كنت فرع الأزد قد علموا ... أخزَى اذا قيل عبد القيس أخوالي
فيهم أبو مالك بالمجد شرفنى ... ودَنّس العبد عبد القيس سربالي

فبلغ قوله زياداً فغضب وقال يا عجباً للعبد ابن العبد يقول هذا فى عبد القيس وهو يعلم موضعى فيهم ، والله لأدَعَنّه وقومه غرضاً لكل لسان ، ثم قال يهجوه

نبئت أشقر تهجونا فقلت لهم ... ما كنت أحسبهم كانوا ولا خُلقوا
لا يكثُرون وان طالت حياتهمُ ... ولو يبول عليهم ثعلب غرِقوا
قوم من الحسب الأدنى بمنزلة ... كالفقْع بالقاع لا أصل ولا وَرَق
ان الأشاقر قد أضحَوْا بمنزلة ... لو يُرْهنون بنعلَيْ عبدنا غلِقوا

وقال فيه أيضاً

هل تسمع الأزْد ما يقال لها ... فى ساحة الدار أم بها صَمَم
اختتن القوم بعد ما هرِموا ... واستعربوا ضلّة وهم عجم

فشكاه كعب الى المهلب وأنشده هذين البيتين وقال والله ما عنَى بهما غيرك ولقد عَمّ بالهجاء قومك ، فقال له المهلب أنت أسمعتنا هذا وأطلقت لسانه فينا به وقد كنت غنياً عن هجاء عبد القيس وفيهم مثل زياد فاكفف عن ذكره فانك أنت بدأته ، ثم دعا بزياد فعاتبه ، فقال أيها الأمير اسمع ما قال فيّ وفى قومى فان كنت ظلمته فانتصر والا فالحجة عليه ولا حجة على امرئ انتصر لنفسه وحَسَبه وعشيرته وأنشده قول كعب فيهم

لعل عبيد القيس تحسب أنها ... كتغلِب فى يوم الحفيظة أو بكْر
تضعضع عبد القيس فى الناس منصب ... دَنِىء وأحْساب جُبِرْن على كسر

اذا شاع أمر الناس وانشقت العصا فان لُكَيْزًا لا تَرِيش ولا تَبْرِى

فقال المهلب قد قلت له أيضاً ، قال لا والله ما انتصرت ولولاك لما قصرت وأى انتصار فى قولي له

يأيها الجاهل الجارى ليدركني أقصر فانك ان أدركت مصروع
يا كعب لا تك كالعَنْز التي بحثت عن حَتْفها وجناب الأرض مربوع

وقولي

لئن نصبت لي الزَّوْقين معترضاً لأرمينَّكَ رميـــاً غير ترفيع
ان المآثر والأحساب أورثني منها المجاجيع ذكراً غير موضوع

يعنى مُجَّاعة بن مرة الحَنَفى ومُجَّاعة بن عمرو بن عبد القيس ، فأقسم عليهما المهلب أن يصطلحا ، فاصطلحا وتكافأ

ولى يزيد بن المهلب رجلاً من اليحمد يقال له عمرو بن عمير زَمّ ، فلقيه كعب ، فقال له أنت شيخ من الأزد يوليك زَمّ ويولي ربيعة الأعمال السنية وأنشده

لقد فازت ربيعة بالمعالي وفاز اليحمدى بعهد زَمّ
فان تك راضياً منهم بهذا فزادك ربنـا غماً بغم
اذا الأزدى وضح عارضاه وكانت امه من حىّ جَرْم
فثَمّ حماقة لا شك فيهـا مقابلة فمن خال وعم

فرد اليحمدى عهد يزيد عليه ، فحلف لا يستعمله سنة، فلما أجحفت به قال

لو كنت خليتني يا كعب متكئاً فى دور زَمّ لما أقفرت من خلف
ومن نبيذ ومن لحم أُعَلّ به لكن شعرك أمر كان من خَرَفي
ان الشـــقى بمرْو من أقام بها يقارع السوق من بيع ومن حلف

كان بين كعب وبين ابن أخيه تباعد وعداوة وكانت أمه سوداء فقال يهجوه

ان السواد الذى سُرْبلت تعرفه ... ميراث جدك عن آبائه النُّوب
أشبهت خالك خال اللؤم مؤتسياً ... بهَدْيه سالكاً فى شر أسلوب

فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة فضرب رأسه بفأس فقتله ، وذلك فى فتنة يزيد بن المهلب ، وهو بعُمان يومئذ ، فلما مات يزيد قدَّم أخ لكعب قاتله إلى محمد بن جابر الراسبي عامل عمان وطلب القود منه بكعب ، فقيل له قتل أخوك بالأمس ويقتل قاتله وهو ابن أخيك اليوم ، وقد مضى أخوك وانقضى فتبقى فرداً كقَرْن الأعْضَب ، فقال ان أخى كعباً كان سيدنا وعظيمنا ووجهنا فقتله هذا وليس فيه خير ولا في بقائه عزٌّ ولا هو خلف من كعب فأنا أقتله به فلا خير فى بقائه بعد كعب ، فقدمه محمد بن جابر فضرب عنقه

يعلى بن مسلم الازدى

شاعر اسلامى لص من شعراء الدولة الأموية ، كان يجمع صعاليك الأزد وحلفاءها فيُغير بهم على أحياء العرب ويقطع الطريق على السابلة ، فشكي الى نافع ابن علْقَمة الكِنانى والى مكة ، فأخذ به عشيرته الأدْنين فلم ينفعه ذلك واجتمع اليه شيوخ الحى فعرفوه أنه خليع قد تبرَّؤا من جرائره الى العرب وأنه لو أخذ به سائر الأزد ما وضع يده فى أيديهم ، فلم يقبل ذلك منهم وألزَمهم احضاره فأتَوْا به وأودعه السجن ، فقال فى محبسه

أرِقت لبرْق دونه شدَوان (١) ... يمانٍ وأهوَى البرْق كلَّ يمان
فبت لدى البيت الحرام أخيله ... ومطْوَاى من شوق له أرِقان
اذا قلت شيماه يقولان والهوى ... يصادف منا بعض ما تريان

(١) جبلان باليمن

جرى منه أطراف الشَّرَى فمشيع ... فأبيان فالحيان من زمران
فمَرَّان فالأقباص أقباص أملج ... فما وان من واديهما شطنان
هنالك لو طوَّفتما لوجدتما ... صديقاً من الخوان بها وغوَان
وعزْف الحمام الوُرْق فى ظل أيْكة ... وبالحى ذى الرودين عزْف قيان
ألا ليت حاجاتى اللواتى حبسنني ... لدى نافع قُضِّينَ منذ زمان
وما بى بغض للبلاد ولا قِلًى ... ولكنَّ شوقاً فى سواه دعانى
فليت القلاص الأُدْم قد وَخَدَت بنا ... بواد يمان ذى رُبًا ومَحان (١)
بواد يمان يُنْبِت السِّدْر صدره ... وأسفله بالمَرْخ والشَّبَهان (٢)
يدافعنا من جانبيه كليهما ... عزيفان من طرْفائه هَذِيان
وليت لنا بالجوز واللوز غيلة (٣) ... جناها لنا من بطن حَلْيَةَ جان
وليت لنا من ماء حَنَّان (٤) شربة ... مبردة باتت على الطَّهيان

مسعدة الازدى

هو مَسْعَدة بن البَخْتَرِى بن المعيرة بن أبى صُفْرة وهو ابن أخى المهلب ، كان يشبب بنائلة بنت عمرو بن يزيد الأُسيدي أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم ، وكان أبوها سيداً شريفاً وكان على شرط العراق من قبل الحجاج وفيها يقول

أنائل انني سـلم ... لأهلك فاقبلي سلمى

ومن قوله فيها وفيه غناء

قولا لنائل ما تقضين فى رجل ... يهوى هواك وما جنبته اجتنبا
يمشي معي جسدي والقلب عندكمُ ... فما يعيش اذا ما قلبه ذهبا

(١) المحانى معاطف الاودية (٢) الشبهان نبت شائك له ورد لطيف أحمر وحب كالشدانج والمرخ شجر سريع الورى يقتدح به
(٣) شجر الاراك اذا كانت رطبة وحلية واد بتهامة أعلاه وأسفله لكنانة
(٤) حنان مكة والطهيان خشبة يبرد عليها الماء هكذا فى اللسان وقال ياقوت اسم قلة جبل بعينه

كثير

هو أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخُزاعى من عمرو بن خزاعة ، ثم من الأزد وأُمه جُمعة بنت الأشيم ، وكانت كنية الأشيم جده أبى أُمه أبا جمعة ولذلك قيل لكثير ابن أبى جمعة ، من فحول شعراء الاسلام ، وجعله ابن سلام فى الطبقة الأولى منهم وقرن به جريرا والفرزدق والأخطل والراعى ، وكان غالياً فى التشيع يذهب مذهب الكَيْسانية ويقول بالرَّجْعة والتناسخ ، وكان مُحَمَّقاً مشهوراً بذلك ، وكان آل مَرْوان يعلمون بمذهبه فلا يغيرهم ذلك له لجلالته فى أعينهم ولطف محله فى أنفسهم وعندهم ، وكان من أتيه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد .

قال محمد بن عبد العزيز ما قَصَّد القصيد ولا نعت الملوك مثل كثير ، وقال ابراهيم بن سعد انى لأروى لكثير ثلاثين قصيدة لو رُقِى بها مجنون لأفاق ، وكان بعض أصحاب الحديث يأتونه وهو خبيث النفس فيسألونه عن شعر كثير فتطيب نفسه ويحدثهم ، وقال عبدالله بن أبى عبيدة من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره ، وكان ابن أبى عبيدة يُملى شعره بثلاثين ديناراً ، وسئل مُصْعَب من أشعر الناس؟ فقال كثير ابن أبى جُمعة ، وقال هو أشعر من جرير والفرزدق والراعى وعامتهم يعنى الشعراء ، ولم يدرك أحد فى مديح الملوك ما أدرك كثير ، وقال محمد بن سلّام كان كثير شاعر أهل الحجاز وهو شاعر فحل ولكنه منقوص حظه بالعراق ، وقال يونس النحوى كثير أشعر أهل الاسلام ، وكان ابن أبى حَفْصة يعجبه مذهبه فى المديح جداً ويقول كان يستقصى المديح ، وكان فيه مع جودة شعره خَطَل وعجب ، وقال المِسْوَر بن عبد الملك ما ضَرَّ من يروى شعر كثير وجميل ألا تكون عنده مغنيتان مطربتان

وكان قصيراً قال الوَقاصى رأيت كثيراً يطوف بالبيت فمن حدثك انه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه ، وكان اذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول طأطىء رأسك لا يصبه السقف ، وقال كثير في أي شيء أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار ؟ قالوا في قوله فيهم

وما كان مالى طارفاً من تجارة ... وما كان ميراثاً من المال مُتْلَدا
ولكن عطايا من امام مبارك ... ملا الارض معروفاً وجوداوسوددا

فقال كثير انه لضَرِع قبحه الله ألا قال كما قلت

دع عنك سَلْمى اذ فات مَطْلبها ... واذكر خليليك من بنى الحكم
ما أعطيانى ولا سألتهما ... ألاَ وإنى لحاجزى كرمى
انى متى لا يكن نوالهما ... عندى بما قد فعلت أحتشم
مُبْدٍ الرضا عنهما ومنصرف ... عن بعض ما لو فعلت لم أُلَم
لا أَنْزُر (١) النائل الخليل اذا ... ما اعتلَّ نزر الظُّؤور لم تَرِم

وطلب من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أرضاً له يقال لها غُرَّب وقدم بين يدى طلبه تلك الابيات

جزتك الجوازى عن صديقك نَضْرة ... وأدناك ربى فى الرفيق المقرب
فانك لا يُعْطَى عليك ظُلامة ... عدو ولا تنأى عن المتقرب
وانك ما تَمنعْ فانك مانع ... بحق وما أعطيت لم تتعقب

فقال له أترغب غرباً قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال اكتبوها له ففعلوا

قال عبد الملك لكثير ويحك الحق بقومك خزاعة فأخبره أنه من كنانة قريش وأنشده قوله

---

(١) يقول لا ألح عليه بالمسألة يقال نزرته أنزره اذا ألححت عليه . والظؤور المنعطفة على أولادها ولم ترم لم ترأم

أليس أبي بالصلت[1] أم ليس اخوتي ... بكل هجان من بني النضر أزهرا
فان لم تكونوا من بني النضر فاتركوا ... أراكا بأذناب القوابل أخضرا
أبيت التي قد سمتني ونكرتها ... ولو سمتها قبلي قبيصة أنكرا
لبسنا ثياب العطف فاختاط السدى ... بنا وبهم والخضرمي المخصرا[2]

فقال له عبد الملك لا بد أن تنشد هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة وحمله وكتب به الى العراق ، فأجابته خزانة الحجاز الى ذلك ، وقال فيه الأحوص ويقال بل قاله سراقة البارقي

لعمرى لقد جاء العراقَ كُثَيِّرٌ ... بأحدوثة من وحيه المتكذب
أيزعم اني من كنانة أولى ... ومالي من أم هناك ولا أب
فان كنت حراً أو تخاف معرَّة ... فخذ ما أخذت من أميرك واذهب

فقال كثير يجيبه

أبا خبث أكرم كنانة انهم ... مواليك ان أمر سما بك معلق
بنو النضر ترمى من ورائك بالحصى ... أولو حسب فيهم وفاء ومصدق
يفيدونك المال الكثير ولم تجد ... لملكهم شبهاً لو انك تصدق
اذا ركبوا ثارت عليك عجاجة ... وفي الأرض من وقع الأسنة أولق[3]

فخرج كثير فأتى الكوفة فرمى به الى مسجد بارق ، فقالوا له أأنت من أهل الحجاز؟ قال نعم، قالوا فأخبرنا عن رجل شاعر دعيّ يدعى كثيراً ، قال سبحان الله أما تسمعون أيها المشايخ ما تقول الفتيان ؟ قالوا هو ما قاله لنفسه ، فانسلّ منهم وجاء الى والي الكوفة حسان بن كيسان فطيره على البريد

وقال كثير يذكر ابن الحنفية وقد حبسه ابن الزبير في سجن يقال له سجن عارم

(١) هو الصلت بن النضر بن كنانة (٢) بريد نعلا ونعل مخصرة مستدقة الوسط
(٣) الأولق الجنون أو شبهه

من يرَ هذا الشيخ بالخَيْف من مِنًى ... من الناس يعلمْ أنه غير ظالم
سَمِيّ النبي المصطفى وابن عمه ... وفكّاك أغلال وقَرّاع غارم
أبى فهو لا يَشْرى هدى بضلالة ... ولا يتقى فى الله لومة لائم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه ... حلولاً بهذا الخَيْف خَيْف المحارم
بحيث الحمام آمن الرَّوْع ساكن ... وحيث العدو كالصديق المسالم
فما فَرَحُ الدنيا بباق لأهله ... ولا شدة البلوى بضربة لازم
تخبر من لاقيت انك عائذ ... بل العائذ المظلوم فى سجن عارم

وأنشد كثير علي بن عبدالله بن جعفر قوله فى محمد ابن الحنفية

أقر الله عينى اذ دعانى ... أمينُ الله يُلْطف فى السؤال
وأثنى في هواى عليَّ خيرا ... ويسأل عن بَنِيَّ وكيف حالي
وكيف ذكرت حال أبى خُبَيْب ... وزلة فعله عند السؤال
هو المهديّ خبرناه كعب ... أخو الأحبار فى الحِقَب الخوالي

فقال له علي بن عبدالله يا أبا صخر ما يُثْنى عليك فى هواك خيراً الا من كان على مثل مذهبك ، قال أَجَلْ بأبى أنت وأمى ، قال وكان كثير كيسانياً يرى الرَّجعة وكان شيعياً غالياً يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقوله تعالى «فى أى صورة ما شاء ركّبك» ويقول ألا ترى انه حوله من صورة الى صورة ؟ قال عبدالله بن مُسْلم بن قُتَيْبة بلغني أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان فسأله عن شىء فأخبره به ، فقال وحق علي بن أبى طالب انه كما ذكرت ، قال كثير يا أمير المؤمنين لو سألتنى بحقك لصدقتك ، قال لا أسألك الا بحق أبى تراب فحلف له به فرضى

لما أراد عبد الملك الخروج الى مُصْعَب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وقالت يا أمير المؤمنين لا تخرج السنة لحرب مُصْعَب فان آل الزبير ذكروا

خروجك وابعث اليه الجيوش وبكت وبكى جواريها معها ، فجلس وقال قاتل الله ابن أبي جمعة فأين قوله

اذا ما أراد الغزو لم يثنِ همه حصان عليها عقد دُرّ يزينها
تهتـه فلما لم ترَ النهي عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها

والله لكأنه يراني ويراكِ يا عانكة ، وبعد هذين البيتين

ولم يثنه يوم الصبابة بثّها غداة استهلّت بالدموع شؤونها
ولكن مضى ذو مِرّة متثبت بسُنّة حق واضح مستبينها

فلما خرج عبد الملك نظر الى كثير في عسكره يسير مطرقاً ، فدعا به وقال لا أعلم ما أسكتك وألقى عليك بثك فان أخبرتك عنه أتصدقني ؟ قال نعم ، قال قل وحق أبي تراب لتصدقني ، قال والله لأصدقنك ، قال لا أو تحلف به ، فحلف به ، فقال تقول رجلان من قريش يلقى أحدهما صاحبه فيحاربه ، القاتل والمقتول في النار فما معنى سيري مع أحدهما الى الآخر ولا آمن سهماً عائراً لعله يصيبني فيقتلني فأكون معهما ؟ قال والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت ، قال فارجع من قريب وأمر له بجائزة

قال حفص الأموي كنت أختلف الى كثير أروي شعره ، فوالله إني لعنده يوماً اذ وقف عليه واقف فقال قتل آل المهلب بالعقر (١) ، فقال ما أجل الخطب ضحّى آل أبي سفيان بالدين يوم الطفّ (٢) وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ، ثم انتضحت عيناه باكياً ، فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فدعا به فلما دخل عليه قال عليك لعنة الله أترابية وعصبية ؟ وجعل يضحك منه

قال عبد الملك لكثير من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر ؟ قال من يَرْوِي أمير

---

(١) هي عقر بابل قرب كربلاء الكوفة (٢) الطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

المؤمنين شعره ، فقال عبد الملك أما انك لمنهم ، وقال كثير لعبد الملك كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين ؟ قال أراه يسبق السحر ويغلب الشعر ، وكان عبد الملك يخرج شعر كثير الى مؤدب ولده مختوماً يرويهم إياه ويرده .

وأول شعر قاله كثير لبني مالك بن أفصى لما ضيقوا عليه وأساؤا جواره

أبت إبلي ماء الرداةِ وشفّها ... بنو العم يحمون النصيح المبردا
وما يمنعون الماء الا ضنانة ... بأصلاب عسرى شوكها قد تخددا
فعادت فلم تجهد على فضل مائه ... رياحاً ولاسقيا ابن طلق بن أسعدا

ونُسب كثير لكثرة نسيبه بعزة الضمّرية اليها وعرف بها فقيل كثير عزة وهي عزّة ابنة حميد بن وقاص ، وكان ابتداء عشقه إياها أنه مرّ بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم فأرسلن اليه عزّة وهي صغيرة فقالت يقلن لك النسوة بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسئنا بثمنه الى أن ترجع ، فأعطاها كبشاً ، وأعجبته ، فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ، فقال وأين الصبية التي أخذت مني الكبش ؟ قالت وما تصنع بها ؟ وهذه دراهمك ، قال لا آخذ دراهمي الا ممن دفعت الكبش اليها وخرج وهو يقول

قضى كل ذي دين فوفّى غريمه ... وعزّة ممطول مُعنًّى غريمها

فكان أول لقائه إياها ، ثم قال فيها

نظرت اليها نظرة وهي عاتق ... على حين أن شبّتْ وبان نهودها
وقد درّعوها وهي ذات مؤصّد[1] ... نجوب ولما يلبس الدرع ريدها
من الخفرات البيض ودّ جليسها ... اذا ما انتضت أحدوثة لو تعيدها
نظرت اليها نظرة ما يسرني ... بها حُمْر أنعام البلاد وسودها
وكنت اذا ماجئت سعدى بأرضها ... أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

(١) أصده ألبسه الاصدة بالضم وهي قميص صغير يلبس تحت الثوب والمجوب القميص ذو الجيب والريد الترب ويقال الريد

ثم أحبته بعد ذلك عزة أشد من حبه إياها

قال محمد بن صالح الأسلمي دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزت فقال لها أأنت عزة كثير ؟ فقالت أنا عزة بنت حميد ، قال أنت التي يقول لك كثير

لعزة نار ما تبوخ كأنها اذا مارمقناها من البعد كوكب

فما الذى أعجبه منك ؟ قالت كلا يا أمير المؤمنين لقد كنت فى عهده أحسن من النار فى الليلة القرة ، ويروى أنها قالت له أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة ، وكانت له سن سوداء يخفيها ، فضحك حتى بدت ، فقالت له هذا الذى أردت أن أبديه ، فقال لها هل تروين قوله

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
تغير جسمي والخليقة كالتي عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت ولكني أروي قوله

كأني أنادي صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوحاً فما تلقاك الا بخيلة فمن ملّ منها ذلك الوصل ملت

فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد فقالت لها أرأيت قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

ما هذا الذى ذكره ؟ قالت قبلة وعدته إياها ، قالت أنجزيها وعليّ اثمها

قالت قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلمية سارت علينا عزة فى جماعة من قومها فسمعنا بها ، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن ، فجئناها فرأينا امرأة حلوة حميراء نظيفة فتضاءلنا لها ، ومعها نسوة كأنهن لها عليهن فضل من الجمال والخلق الى أن تحدثت ساعة فاذا هى أبرع الناس وأحلاهم حديثاً ، فما فارقناها الا ولها علينا الفضل فى أعيننا وما رأينا فى الدنيا امرأة تروقها جمالاً وحسناً وحلاوة

ومما قال فيها

خليليَّ هذا رسم عزَّة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلَّت
وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا ... ولا موجعاتُ القلب حتى تولَّت
فقد حلفتْ جهداً بما نحرت له ... قريش غداة المأزمين[1] وصلت
أُناديك ما حج الحجيج وكبرت ... بفَيْفا[2] غزال رُفقة وأهلَّت
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها ... كناذرة نذراً وفَتْ فأحلَّت
فقلت لها يا عزَّ كل مصيبة ... اذا وُطِّنت يوماً لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميْعة[3] ... تعُمّ ولا غمّاء الا تجلَّت
كأني أُنادى صخرة حين أعرضت ... من الصُمّ لو تمشي بها العُصْم زلَّت
صفوحاً[4] فما تلقاك الا بخيلة ... فمن مَلَّ منها ذلك الوصل ملت
أباحت حِمىً لم يَرْعَه الناس قبلها ... وحلت تلاعاً لم تكن قبل حُلَّت
فليت قلوصي عند عزة قيدت ... بحبلٍ ضعيف غرَّ منها فضلت
وغودر في الحي المقيمين رحلُها ... وكان لها باغٍ سواى فبلَّت[5]
وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلَّت
وكنت كذات الظِّلْع لما تحاملت ... على ظَلْعها بعد العِثار استقلت
اريد الثواء عندها وأظنها ... اذا ما أطلنا عندها المكث ملّت
فما أنصفت أما النساء فبَغَّضَت ... إليَّ وأما بالنوال فضَنَّت
يكلفها الغيران شتمي وما بها ... هوانى ولكن للمليك استذلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

---

(١) المأزمان بين عرفة والمزدلفة (٢) فيفا غزال بمكة حيث ينزل الناس فيها الى الأبطح وأناديك أجالسك مأخوذ من الندى والنادى جميعاً وهما المجلس (٣) ميعة كل شيء وله (٤) الصفوح المعرضة (٥) ذهبت

فوالله ما قاربتُ الا تباعدتْ ... بصَرْم ولا أكثرتُ الا أقلت

فان تكن العُتْبَى (١) فأهلاً ومرحباً ... وحقَّت لها العتبى لدينا وقلت

وان تكن الأُخرى فان وراءنا ... مَناوحَ (٢) لو سارت بها العيس كَلَّت

خليليَّ ان الحاجبية طَلَّحت (٣) ... قَلوصيكما وناقتي قد أكَلَّت

فلا يَبْعَدَنْ وصل لعزة أصبحت ... بعاقبة أســـبابه قد تولت

أسيئي بنا أو أحسني لا مَلومةً ... لدينا ولا مَقْلية ان تَقَلَّت

ولكن أنيلي واذكري من مودة ... لنا خُلَّة كانت لديكم فَطُلَّت (٤)

فاني وان صدَّت لَمُثْنٍ وصادق ... عليها بما كانت الينا أزلّت (٥)

فما أنا بالداعي لعزة بالجَوَى ... ولا شامت ان نعلُ عزة زلت

فلا يحسب الواشون أن صبابتي ... بعزة كانت غَمرة فتجلت

فأصبحت قد أبلتْ (٦) من دَنَف بها ... كما أُدنفت هَيْماء ثم استبلت

فوالله ثم الله ما حل قبلها ... ولا بعدها من خُلة حيث حلت

وما مر من يوم على كيومها ... وان عظُمت أيام أخرى وجلَّت

وأضحت بأعلى شاهق من فؤاده ... فلا القلب يَسلاها ولا العين مَلَّت

فيا عجباً للقلب كيف اعترافه (٧) ... وللنفس لما وُطنت كيف ذلت

وانى وتَهْيامي بعزة بعد ما ... تخليت مما بيننا وتخلت

لكالمرتجي ظلَّ الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت

---

(١) العتبى الاعتاب يقال عاتبني فلان فأعتبته اذا نزعت عما عاتبك عليه والعتبى الاسم والاعتاب المصدر (٢) المناوح المفاوز (٣) الطليح المعيي الذى سقط من الاعياء (٤) طلت هدرت (٥) أزلت اصطنعت

(٦) بل من مرضه وأبل واستبل اذا برأ والهيام التى أصابها داء الهيام وهو داء يصيب الابل من ماء تشربه مستنقعاً فتهيم فى الارض لاترعى (٧) اعترافه اصطباره يقال نزلت به مصيبة فوجد عروفا أى صبوراً

كأنى وإياها سحابة مُمْحل رجاها فلما جاوزته استهلت
فان سأل الواشون فيم هجرتها فقل نفس حر سُلِّيت فتسلت

قال ابن سلام كان كثير مدعياً ولم يكن عاشقاً ، وكان جميل صادق الصبابة والعشق واختبرته عزة ذات مرة فوجدت خلامة ذلك وكانت منتقبة فأسفرت فأبلس ولم ينطق وبهت ، فلما مضت أنشأ يقول

ألا ليتنى قبل الذى قلت شيب لي من السم خضخاض بماء الذَّرارح[1]
فمت ولم تعلم على خيانة وكم طالب للربح ليس برابح
أبُوء بذنبى انني قد ظلمتها وانى ببـاقى سرها غير بائح

وقال سائب راوية كثير خرجت معه نريد مصر فمررنا بالماء الذى فيه عزة فاذا هى فى خباء ، فسلمنا جميعاً ، فقالت عزة وعليك السلام يا سائب ، ثم أقبلت على كثير فقالت ويحك ألا تتقى الله أرأيت قولك؟

بآية ما أتيتك أمَّ عمرو فقمت لحاجتى والبيت خالى

أخلوت معك فى بيت أو فى غير بيت ؟ قال لم أقله ولكنني قلت

فأقسم لو أتيت البحر يوماً لأشرب ما سقتنى من بَلال
وأقسم أن حبك أم عمرو لَداء غير منقطع السؤال

قالت أما هذا فنعم ، فأتينا عبد العزيز ثم عدنا ، فقال كثير السلام عليك يا عزة ، فقالت عليك السلام يا جَمل فقال كثير

حيتك عزة بعد الهجر فانصرفت فحىٍّ ويحك من حياك يا جَملُ
لو كنتَ حبيتها ما زلت ذا مِقَةٍ عندى ومامَسَّك الإدلاج والعمل
ليت التحية كانت لي فأشكرَها مكان يا جَمل حُيِّيت يا رجل

(١) الذراح دوبية حمراء منقطة بسواد تطير وهى من السموم القاتلة والذرارح جمعه والخضخاض نقط أسود لا خثورة فيه تهنأ به الابل الجربى

تعشق كثير امرأة من خزاعة يقال لها أم الحويرث فنسب بها وكرهت أن يُسمِّع بها ويفضحها كما سمَّع بعزة ، فقالت له انك رجل فقير لا مال لك فابتغ ما لا يعفى عليك ، ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام ، وبعد أن وثقت له أنها لا تتزوج حتى يقدم عليها خرج فلقيته ظباء سوانح ولقى غُراباً يفحص التراب بوجهه ، فتطير من ذلك ، وأتى لِهْبِياً فقص عليه القصة فكره ذلك له وقال قد توفيت أو تزوجت رجلاً من بني عمها فقال كثير

تيممت لِهْباً ابتغى العلم عندها ... وقد رُدّ علم العائفين (١) الى لِهْب
تيممت شيخاً منهم ذا بَجالة (٢) ... بصيراً بزَجْرِ الطير منحنى الصُّلب
فقلت له ماذا ترى فى سوانح ... وصوت غراب يَفْحَص الوجه بالترب
فقال جرى الطير السَّنيح ببينها ... وقال غراب جد منهمر السَّكب
فإلاّ تكن ماتت فقد حال دونها ... سواك خليل باطن من بنى كعب

ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت رجلاً من بنى كعب فأخذه الهُلاس (٣) فكشِحَ جنباه بالنار ، فلما اندمل من علته وضع يده على ظهره فاذا هو برَقْمَتين ، فقال ما هـذا ؟ قال انه قد أخذك الهُلاس وزعم الاطباء انه لا علاج لك الا الكشح بالنار فأنشأ يقول

عفا الله من أُم الحويرث ذنبها ... علام تُعنِّينى وتُكْمِي (٤) دوائيا
فلولا ذنوبى قبل أن يرقُموا (٥) بها ... لقلت لهم أُم الحويرث دائيا

قالت عزة لبُثَيْنة تَصدَّيْ لكثير وأطمعيه فى نفسك حتى أسمع ما يجيبك به ، فأقبلت عليه وعزة تمشى وراءها مختفية فعرضت عليه الوصل فقاربها ثم قال

رمتني على عمد بُثَيْنة بعد ما ... تولى شبابى وارْجَحَنَّ شبابها

---

(١) العائف من يزجر الطير وهو ان تعتبر بأسمائها ومساقطها واصواتها فتتسعد او تتشاءم
(٢) البجالة حسن الحال (٣) الهلاس مرض السل (٤) تستره (٥) الرقم الكى

فكشفت عزة عن وجهها فبادرها الكلام ثم قال

ولكنما ترمين نفساً مريضة لعزة منها صفوها ولُبابها

فضحكت ثم قالت أولى لك ، بها قد نجوت وانصرفتا تتضاحكان

ومما غنى فيه من شعر كثير

توهمتُ بالخَيْف رسماً مُحيلا لعزَّة تعرف منه الطُّلولا

تبدل بالحى صوت الصَّدَى ونوحَ الحمامة تدعو هَديلا

ومن شعره وفيه غناء

فما روضة بالحَزْن طيبة الثرى يَمُجّ الندى جَثْجاثها (١) وعرارُها

بأطيب من أَرْدان عزّة مَوْهِناً وقد أُوقدت بالمَنْدَل الرَّطب نارها

فان خفيت كانت لعينيك قُرّة وان تَبْدُ يوماً لم يَعُمَّك عارها

من الخفرات البيض لم تَرَ شقوة وفى الحسب المكنون صافٍ نجارها

ومن قوله يمدح عمر بن عبد العزيز

وَليت فلم تشتم عليا ولم تُخِف بَرِيًّا ولم تتبع مقالة مجرم

وقلت فصدقت الذى قلت بالذى فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

ألا انما يكفى الفتى بعد زَيْغه من الأَوَد الباقى ثِقاف المقوَّم

لقد لبست لبس الملوك بيابها وأبدت لك الدنيا بكف ومِعْصَم

وتومض أحياناً بعين مريضة وتَبْسِم عن مثل الجُمان المنظَّم

فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما سقتك مَدُوفاً (٢) من سمام وعلقم

وقد كنت من أجبالها فى مُمَنَّع ومن بحرها فى مُزْبِد الجود مُفْعَم

---

(١) الجثجاث نبت وهو من أمرار الشجر والعرار بهار ناعم أصفر طيب الريح

(٢) مدوفا مخلوطاً داف الدواء والزعفران يدوفه خلطه

وما زلتَ سبَّاقاً الى كل غاية صعدت بها أعلى البناء المقدم
فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن لطالب دنيا بعده من تكلم
تركت الذى يَفْنَى وان كان مُوبِقاً وآثرت ما يبقى برأى مصمم
فأضررت بالفانى وشمرت للذى أمامك فى يوم من الهول مظلم
ومالك أن كنت الخليفة مانع سوى الله من مال رغيب ولادم
سمالك هم فى الفؤاد مُؤَرِّق صعدت به أعلى المعالى بسُلَّم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها منادٍ ينادي من فصيح وأعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمتني بأخذ لدينار وأخذ لدرهم
ولا بسطِ كف لامرىء ظالم له ولا السفك منه ظالماً ملء مِحْجَم
فلو يستطيع المسلمون تقسموا لك الشَّطْرَ من أعمارهم غير ندَّم
فعشت به ما حج لله راكب مُغِذٌّ [1] مطيف بالمقام وزمزم
فأَرْبِحْ بها من صفقة لمبايع وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

كان خَنْدَق بن مُرَّة الأسدى صديقاً لكثير وكانا يقولان بالرَّجعة، فاجتمعا بالموسم، فتذاكرا التشيع، فقال خندق لو وجدت من يضمن لي عيالى بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد صلى الله عليه وسلم وظلم الناس لهم وغصبهم إياهم على حقهم ودعوت اليهم وتبرأت من أبى بكر وعمر« رضى الله تعالى عنهما » فضمن كثير عياله، فقال أيها الناس انكم على غير حق قد تركتم أهل بيت نبيكم والحق لهم وهم الأئمة، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه، ودفن خندق بقَنَوْنَى، فقال اذ ذاك كثير يرثيه

أصادرةُ حجاجُ كعب ومالك على كل عَجْلَى ضامر البطن مُخنِق [2]
بمَرْثِيَةٍ فيها ثنـــاء مُحَبَّر لأزهر من أولاد مُرَّة مُعْرِق

(١) مسرع (٢) المخنق الضامر

كأن أخاه فى النوائب ملجأ ... الى علم من ركن قدس[1] المنطق
ينال رجالاً نفعه وهو منهم ... بعيد كعيوق الثريا المعلق
تقول ابنة الضمري مالك شاحباً ... ولونك مصفر وان لم تخلق[2]
فقلت لها لا تعجبي من يمت له ... أخ كأبى بدر وجدك يشفق
وأمر يهم الناس غب نتاجه ... كفيت وكرب بالدواهى مطرق
كشفت أبابدر اذا القوم أحجموا ... وعضت ملاق أمرهم بالخنق
وخصم أبا بدر ألد أبته ... على مثل طعم الحنظل المتفلق
جزى الله خيراً خندقاً من مكافىء ... وصاحب صدق ذى حفاظ ومصدق
أقام قناة الود بيني وبينه ... وفارقني عن شيمة لم ترنق
حلفت على أن قد أجنتك حفرة ... ببطن قنوني لو نعيش فنلتقى
لألفيتني بالود بعدك دائماً ... على عهدنا اذ نحن لم نتفرق
اذا ما غدا يهتز للمجد والندى ... أشم كغصن البانة المتورق
وإني لجار بالذى كان بيننا ... بني أسد رهط ابن مرة خندق

ومما رثاه به أيضاً

شجا أظعانُ غاضرة الغوادى ... بغير مشورة عرضاً فؤادى
أغاضر لو شهدت غداة بنتم ... حنوّ العائدات على وسادى
أويت[3] لعاشق لم تشكميه ... بواقدة تلذع بالزناد
ويوم الخيل قد سرفت وكمت ... رداء العصب عن رتل[4] براد
وعن نجلاء تدمع فى بياض ... اذا دمعت وتنظر فى سواد

(١) قدس جبل بالحجاز (٢) خلقه طيبه بالخلوق وهو ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لان أعظم أجزائه من الزعفران (٣) أوى له رحمه ورق عليه وشكمه جازاه (٤) الرتل الثغر المستوى

وعن متكاوس [١] فى العقص جزْل أثيث النَّبْت ذى غُدر جِعاد
وغاضرة الغداةَ وان نأينا وأصبح دونها قطر البلاد
أحب ظعينة وبَناتُ نفسى اليها لو بلان لها صوَاد
ومن دون الذى أملت وُدّاً ولو طالبتها خرْط القتَاد
وقال الناصحون تَحلّ [٢] منها ببذل قبل شيمتها الجَماد
فقد وعدتك لو أقبلت وداً فلَجَّ بك التدلل فى تعاد
فأسررت الندامة يوم نادى برد جِمال غاضرة المنادى
تمادى البعد دونهمُ فأمسى دموع العين لَجَّ بها التمادى
لقد منع الرقاد فبت ليلى تجافيني الهموم عن الوِساد
عدانى أن أزورك غير بغض مُقامك بين مُصْفَحة شداد
وانى قائل ان لم أزره سقت دِيَمُ السوارى والغوادى
تَحلَّ أخى بني أسد قَنَوْنَى فما والى الى بِرْك الغِماد [٣]
مقيم بالمجازة من قَنَوْنَى وأهلك بالأُجَيْفِر [٤] والثماد
فلا تبعد فكل فتى سيأتى عليه الموت يطْرُق أو يغادى
وكل ذخيرة لابد يوماً ولو بقيت تصير الى نفاد
يعزّ علىَّ ان نغدو جميعاً وتصبح ثاوياً رهناً بواد
فلو فوديت من حدث المنايا وقيتك بالطَّرِيف وبالتِّلَاد

ومن نسيبه بعزة لما أخرجت الى مصر

لعزة من أيام ذى الغصن شاقنى بضاحى قرار الرَّوضتين رسوم

---

(١) تكاوس كثر والتف والجزل الكثير وأثيث كثير عظيم وجعاد جمع جعد وهو ما فيه التواء وتقبض (٢) تحل أصب يقال ما حليت من فلان بشىء ولا تحليت منه بشىء ومنه حلوان الكاهن والراق وما أشبه ذلك والجماد البخيلة (٣) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر (٤) الأجيفر موضع فى أسفل السبعان من بلاد قيس والثماد موضع فى ديار بنى تميم

هى الدار وحشاً غير أن قد يحلها ... ويغنى بها شخص على كريم
فما برسوم الدار لو كنت عالماً ... ولا بالتلاع المقويات [1] أهيم
سألت حكيما [2] أين شطّت بها النوى ... فخبرنى ما لا أحب حكيم
أجدوا فأما آل عزة غدوة ... فبانوا وأما واسط فمقيم
لعمرى لئن كان الفؤاد من الهوى ... بغى سقما انى إذاً لسقيم

ومنها

ولست براء نحو مصر سحابة ... وان بعدت الا قعدت أشيم
فقد يقعد النكس الدنى عن الهوى ... عزوفا ويصبو المرء وهو كريم
وقال خليلى مالها اذ لقيتها ... غداة السنا فيها عليك وجوم [3]
فقلت له ان المودة بيننا ... على غير فحش والصفاء قديم
وانى وان أعرضت عنها تجلدا ... على العهد فيما بيننا لمقيم
وان زماناً فرق الدهر بيننا ... وبينكمُ فى صرفه لمشوم
أفى الحق هذا أن قلبكِ سالم ... صحيح وقلبي فى هواكِ سقيم
وأن بجسمى منك داء مخامرا ... وجسمك موفور عليك سليم
لعمرك ما أنصفتنى فى مودتى ... ولكننى ياعز عنك حليم
فاما تريْنى اليوم أبدى جلادة ... فانى لعمرى تحت ذاك كليم
ولستُ ابنةَ الضمْرى منك بناقم ... ذنوب العدى انى اذاً لظلوم
وانى لذو وجد اذا عاد وصلها ... وانى على ربى اذاً لكريم

ومما يغنى فيه من نسيبه بها

لعزة أطلال أبت أن تكلما ... تهيج مغانيها الفؤاد المكلّما

(١) أقوت الدار خلت من ساكنها (٢) هو أبو السائب بن حكيم (٣) وجم سكت على غيظ

وكنت اذا ما جئت أجلان مجلسى وأظهرن منى هيبة لا تجهما
يحاذرن مني غيرة قد عرفنها قديماً فما يضحكن الا تبسما

ومنه

خليليَّ عوجا منكما ساعة معى على الربع نقضى ساعة ونودع
ولا تعجلانى أن ألِمَّ بدمنة لعزة لاحت لي ببيداء بلقع
وقولا لقلب قد سلا راجع الهوى وللعين أذرى من دموعك أو دعى
فلا عيش الا مثل عيش مضى لنا مصيفا أقمنا فيه من بعد مربع

ومنه

بليلى وجارات لليلى كأنها نعاج الفلا تحدى بهن الأباعر
أمنقطع ياعز ما كان بيننا وشاجرنى ياعز فيك الشواجر
اذا قيل هذا بيت عزة قادنى اليه الهوي واستعجلتنى البوادر
أصد وبى ومثل الجنون لكي يرى رواة الخنا أنى لبيتك هاجر
ألا ليت حظي منك ياعز أننى اذا بنت باع الصبر لى عنك تاجر

ومنه

وما زلت من ليلى لدن طرّ شاربى الى اليوم أخفى حبها وأداجن
وأحمل في ليلى ضغائن معشر وتحمل فى ليلى علىّ الضغائن

ومنه

وانى لأرعى قومها من جلالها وان أظهروا غشاً نصحت لهم جهدى
ولو حاربوا قومى لكنت لقومها صديقاً ولم أحمل على حربها حقدا

ومنه

هلا سألت معالم الأطلال بالجزع من حرض[1] وهن بوال

(١) واد من وادى قناة من المدينة على ميلين

سقيا لعزة خلة سقـــيا لها ... اذ نحن بالهضبات من أملال (١)
اذ لا تكاتمنا وكان كلامها ... نَفَلاً نؤمله من الأنفال

ومنـه

ألا حييا ليلى أجدّ رحيلى ... وآذن أصحابى غدا بقفول (٢)
تبدت له ليلى لتذهب عقله ... وشاقتك أم الصّلت بعد ذهول
أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل
اذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة ... تُعَلّ بها العينان بعد نُهُول
وكم من خليل قل لي هل سألتها ... فقلت له ليلي أضَنُّ خليل
وأبعده نيلاً وأوشكه (٣) قِلًى ... وان سُئلت عُرْفاً فشر مسـول
حلفت برب الراقصات (٤) الى منًى ... خِلال الملا يَمْدُدن كل جديل
تراها رفاقاً بينهن تفاوت ... ويَمْدُدن بالاهلال كل أصيل (٥)
تواهقن (٦) بالحُجاج من بطن نخلة ... ومن عَزْوَر والخَبْت خبت طفيل
بكل حرام خاشع متوجه ... الى الله يدعوه بكل نقيل (٧)
على كل مِذْعان (٨) الرواح معيدة ... ومَخْشِـــيّة ألاّ تُعيد هزيل
شَوامِذَ (٩) قد أرْتجن دون أجنّة ... وهُوج تبارى فى الأزمّة حُول
يمين امرىء مستغلظ من أليّة (١٠) ... ليُكْذب قيلاً قد ألحّ بقيل
لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بليلى ولا أرسـلتهم برسول

---

(١) أراد ملل وهو منزل على طريق المدينة من مكة (٢) رجوع
(٣) أوشكه أسرعه والقلى البغض (٤) الراقصات الابل والملا الفضاء والجديل زمام مجدول أى مضفور (٥) الأصيل العشى (٦) تواهقن تبارين وبطن نخلة بستان بنى عامر وعزور ثنية الجحفة والخبت المطمئن من الارض وطفيل موضع (٧) النقيل الطريق
(٨) المذعان المذللة ومعيدة قد عاودت السفر (٩) الشوامذ الشمائلات الاذناب وأرتجن أغلقن أرحامهن على أولادهن والحول جمع حائل وهى التى لا تلقح (١٠) الأليّة اليمين

فان جاءك الواشون عني بكَذْبة ... فَرُوْها [١] ولم يأتوا لها بحَويل
فلا تعجلي يا ليلَ أن تتفهمي ... بنصح أتى الواشون أم بحُبول [٢]
فان طبت نفساً بالعطاء فأجز لي ... وخير العطايا ليلَ كل جزيل
والا فاجمال إليَّ فانني ... أحب من الأخلاق كل جميل
وان تبذُلي لي منك يوماً مودة ... فقِدْماً تَخِذت القرض عند بَذُول
وان تبخلي يا ليل عني فانني ... توكاني نفسي بكل بخيل
ولست براض من خليل بنائل ... قليل ولا راض له بقليل
وليس خليلي بالملول ولا الذى ... اذا غبت عنه باعني بخليل
ولكن خليلي من يديم وصاله ... ويحفظ سرى عند كل دخيل [٣]
ولم أرَ من ليلى نوَالا أعُدّه ... ألا ربما طالبت غير مُنيل
يلومك فى ليلى وعقلُكَ عندها ... رجال ولم تذهب لهم بعقول
يقولون وَدِّع عنك ليلى ولا تَهِم ... بقاطعة الأقران ذات حليل
فما نَقَعَتْ [٤] نفسي بما أمروا به ... ولا عُجْت من أقوالهم بفتيل
تذكرت أتراباً [٥] لعزّة كلّها ... حُبين بلَيط ناعم وقبول
وكنت اذا لاقيتهن كأنني ... مخالطةٌ عقلى سُلاف شَمول
تأطَّرن [٦] حتى قلت لسن بَوارحاً ... رجاء الأمانى ان يقِلن مقيلى
فأبدين لي من بينهن تجهُّماً ... وأخلفن ظني ان ظننت وقيلى
فلأيا [٧] بلأى ما قضيت لُبانة ... من الدار واستَقْلَلن بعد طويل
فلما رأى واستيقن البين صاحبي ... دعا دعوة يا حَبْترَ بن سَلول

(١) فروها من القرية يقال فرى يفرى والحويل المحاولة (٢) الحبول الدواهى
(٣) الدخيل العالم بأمرك (٤) أى ماروّيت
(٥) الاتراب الاقران والليط اللون وهو الجلد أيضاً (٦) تأطرن تلوين وأصل التأطر التعطف
(٧) اللأى البطء واللبانة الحاجة

فقلت وأسررت الندامة ليتنى ... وكنت امرأً أغتشُّ كل عذول
سلكت سبيل الرائحات عشية ... مخارم[1] نِصْع أو سلكن سبيلى
فأسعدت نفساً بالهوى قبل أن أري ... عوادى[2] نأى بيننا وشغُول
ندمت على ما فاتني يوم بنتمُ ... فيا حسرتا ألاّ يرَين عويلى
كأن دموع العين واهية الكُلى[3] ... وَعَتْ ماء غَرْب يوم ذاك سَجيل
تكنفها خُرْق[4] تواكلن خرْزها ... فأبجلنهُ والسير غير بَجيل
أقيمى فان الغوَر يا عز بعدكم ... الىّ اذا ما بنْت غير جميل
كفى حزناً للعين أن رد طرفَها ... لعزة عِير آذنت برحيل
وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكا ... فقلت البكا أشفَى اذاً لغليلى
توليت محزوناً وقلت لصاحبي ... أقاتلتى ليلى بغير قتيل
لعزة اذ يحتلّ بالخَيف اهلها ... فأوحش منها الخَيف بعد حُلول
و بُدِّل منها بعد طول اقامة ... تبَعُّث نكباء[5] العشى جَفول
لقد أكثر الواشون فينا وفيكمُ ... ومال بنا الواشون كل مَميل
ومازلت من ليلى لدن طَرّ[6] شاربى ... الي اليوم كالمقصَى بكل سبيل

مات كثير سنة ١٠٥ وكان موته وموت عكرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد فقال الناس مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس وغلب الناس على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة في ندبهن له

(١) المخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل ونصع جبل أسود بين الصفراء وينبع
(٢) العوادى الصوارف
(٣) الكلى جمع كلية وهى الرقعة تكون فى أصل عروة المزادة والغرب الدلو العظيمة والسجيل الغرب الضخم
(٤) جمع خرقاء وهى التى لا تحسن العمل وأبجلنه أوسعنه والبجيل الغليظ يريد أنهن أغلظن الأشفى وأدققن السير
(٥) النكباء الريح التى تهب بين مهبى ريحين والجفول التى تذهب التراب
(٦) طرور الشارب نباته

ابن أبي معقل

هو عبد الله بن أبي مَعْقِل بن نُهَيْك الأَوسي ثم الأَزْدي ، شاعر مقلّ حجازى من شعراء الدولة الأموية، وكان محسوداً فى قومه يجاهرونه بالعداوة ليساره وسعة ماله ويحسدونه ، وكان كثير الأسفار فى طلب الرزق فلامته امرأته أم نُهَيك وهى ابنة عمه على ذلك وقد قدم من مصر فلم يلبث ان قال لها جهزيني الى الكوفة الى المغيرة بن شُعْبة فانه صديقي وقد وليها ، فجهزته ثم قالت لن تزال فى أسفارك هذه حتى تموت فقال لها أو أُتْرى ثم أنشأ يقول

أأُمَّ نُهَيك ارفعي الطَّرْف صاعدا ... ولا تيأسي أن يُثْرِى الدهر بائس
سيُغْنيك سيري فى البلاد ومطلبي ... وبَعْل التى لم تَحْظَ فى الحى جالس
سأكسِب مالا أو تبيتين ليلة ... بصدرك من وَجْد على وساوس
ومن يطلب المال الممنَّع بالقنا ... يَعِش مثرياً أو يَرْدَ فيما يمارس

ومما يغني فيه من هذه القصيدة

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم أحفِل متى قام رامس
فمنهن تحريك الكُمَيْت عنانه ... اذا ابتدر النَّهب البعيد الفوارس
ومنهن سبق العاذلات بشربة ... كأن أخاها وهو يقظان ناعس
ومنهن تجريد الأوانس كالدُّمى ... اذا ابتُزّ عن أكفالهن الملابس

ثم وفد الى مُصْعَب بن الزبير وهو والى العراق فندبه الى غزوة زَرَنْج وفى هذه الغزاة يقول عبد الله بن قيس الرقيّات وتروى لابن أبي معقل

ان يعش مُصْعَب فنحن بخير ... قد أتانا من عيشنا ما نُرَجّى
ملك يطعم الطعام ويَسْقى ... لبن البُخْت فى عِساس الخَلَنْج (١)
جلب الخيل من تِهامةَ حتى ... بلغت خيله قصور زَرَنْج (٢)

(١) الخلنج ثمر كالطرفاء وزهره أصفر وأحمر وأبيض وحبه كالخردل وخشبه تصنع منها القصاع وهى العساس (٢) قصبة سجستان

الاحوص

هو أبو محمد الأحوص بن عبد الله بن ثابت بن أبي الأقلح من بني ضُبَيْعة ابن زيد ثم من الأوس

كان جده عاصم يقال له حَمِيّ الدَّبْر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه بعثاً فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه فحمته الدَّبْر، وهي النحل، فلم يقدروا عليه حتى بعث الله الوادي في الليل فاحتمله فذهب به، وفي ذلك يقول الأحوص مفتخراً

فخرت وانتمت فقلت ذريني ليس جهل أتيته ببديع
فأنا ابن الذي حَمَت لحمَه الدَّبْـــر قتيل اللِّحيان يوم الرَّجيع
غسلت خالي الملائكة الأبـــرار ميتاً طُوبَى له من صريع

جعل محمد بن سلام الأحوص وابن قيس الرُّقَيّات ونصيباً وجميل بن مَعْمَر طبقة سادسة من شعراء الاسلام، وجعله بعد ابن قيس وبعد نُصَيْب، والأحوص لولا ماوضع به نفسه من دنيء الأخلاق والأفعال أشد تقدماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرواة، وهو أسمح طبعاً وأسهل كلاماً وأصح معنى منهم، ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة الفاظ ليست لواحد منهم، وكان قليل المروءة والدين هجاء للناس

كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صَفْوان الجُمَحي قد اتخذ بيتاً، فجعل فيه شِطْرَنجات ونَرْدات وقِرْقات[1] ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتاداً، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقرأه أو بعض ما يلعب به

(١) القرق لعب السدر بضم السين وتشديد الدال المفتوحة وهو لعبة يخطون بها أربعة وعشرين خطا مربعات كل مربع منها داخل الآخر ويضعون بين تلك المربعات حصيات صغيرة على طريقة مخصوصة

نلعب به مع بعضهم ، فان عبد الحكم يوماً فى المسجد الحرام اذا فتى داخل من باب الحنّاطين ، باب بني جُمَح ، عليه ثوبان مُعَصْفَران مدلوكان ، وعلى أذنه ضِمْثُ رَيْحان وعليه رَدْع[1] الخلوق ، فأقبل يشق الناس حتى جلس الى عبد الحكم ، فجعل من رآه يقول ماذا صُبَّ عليه من هذا ؟ ألم يجد أحداً يجلس اليه غيره ؟ ويقول بعضهم ذأى شيء يقوله له عبد الحكم ؟ هو أكرم من أن يَجْبَه من يقعد اليه ، فتحدث اليه ساعة ، ثم أهوى فشبك يده في يد عبد الحكم وقام يشق المسجد حتى خرج من باب الحنّاطين ، قال عبد الحكم فقلت فى نفسى ماذا سلط الله عليّ منك ؟ رآنى معك نصف الناس في المسجد ونصفهم فى الحناطين ، حتى دخل مع عبد الحكم بيته ، فعلق رداءه على وتد وحل أزراره واجترّ الشِّطْرَنج وقال من يلعب ؟ فبينا هو كذلك اذ دخل الأبجر المغني فقال له أيْ زنديق ما جاء بك ههنا ، وجعل يشتُمه ويمازحه ، فقال له عبد الحكم أتشتم رجلا في منزلي ؟ فقال أتعرفه ؟ هذا الأحوص ، فاعتنقه عبد الحكم وحياه ، وقال أما اذ كنت الأحوص فقد هان على ما فعلت

بعث يزيد بن عبد الملك حين قتل يزيد بن المهلب في الشعراء فأمر بهجاء يزيد بن المهلب ، منهم الفرزدق وكثير والأحوص ، فقال الفرزدق لقد امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحداً ، وانه لقبيح بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن فليُعْفِني أمير المؤمنين ، فأعفاه ، وقال كثير إني أكره أن أعرض نفسي لشعراء أهل العراق ان هجوت بني المهلب ، وأما الأحوص فانه هجاهم ، ثم بعث به يزيد بن عبد الملك الى الجَرّاح بن عبد الله الحَكَمِي وهو بأذربيجان ، وكان قد بلغ الجراح هجاء الأحوص بني المهلب ، فبعث اليه بزق من خمر فأدخل منزل الأحوص ، ثم بعث اليه خيلاً فدخلت منزله ، فصبوا الخمر على رأسه ، ثم

(١) الردع اثر الطيب فى الجسد

أخرجوه على رؤوس الناس فأتوا به الجراح ، فأمر بحلق رأسه ولحيته وضربه الحد بين أوجه الرجال وهو يقول ليس هكذا تضرب الحدود ، فجعل الجراح يقول أجَلْ ولكن لما تعلم ، ثم كتب الى يزيد بن عبد الملك يعتذر ، فأغضى له عنها ، قال أبو الفرج وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادة للغض منه في شعره ولكنا ذكرنا من كل ما يؤثر عنه ما تعرف به حاله من تقدم وتأخر وفضيلة ونقص ، وأما تقدمه في الشعر فمتعالم مشهور وشعره ينبيء عن نفسه ويدل على فضله فيه وتقدمه وحسن رونقه وتهذيبه وصفائه

مرّ الأحوص بعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مُصْعَب بن الزبير بخيمتي أُم معبد ، وهما يريدان الحج ، مرجعه من عند يزيد بن عبد الملك وهو على نجيب له فاره ورحل فاخر وبزة مرتفعة ، فحدثهما أنه قدم على يزيد بن عبد الملك فأجازه وكساه وأخدمه ، فلم يرهما يَهشّان لذلك ، فجعل يقول « خيمتي أُم معبد » « عباد ومحمد » كأنه يروض القوافي للشعر يريد قوله ، فقال له محمد بن مُصْعَب إني أراك في تهيئة شعر وقوافٍ وأراك تريد أن تهجونا وكل مملوك لي حر لئن هجوتنا بشيء ان لم أضربك بالسيف مجتهداً على نفسك ، فقال الأحوص جعلني الله فداك إني أخاف أن تُسمع هذا فيَّ عدواً فيقول شعراً يهجوكما به فيَنْحَانيه ، وأنا أبريكما الساعة ، كل مملوك لي حر ان هجوتكما ببيت شعر أبدا

كانت أمة الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزبير تحت سعد بن مُصْعَب بن الزبير ، وكان فيهم مأتَم ، فاتهمته بامرأة فغارت عليه وفضحته فقال الأحوص يمازحه

وليس بسعد[1] النار من تزعمونه ولكن سعد النار سعد بن مُصْعَب

(١) سعد النار رجل يقال له سعد حضنة وهو الذي جدد لزياد بن عبد الله الحارثي الكتاب الذي في جدار المسجد وهو آيات من القرآن أحسب أن منها « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » فلما فرغ منه قال لزياد اعطني أجري ، فقال له زياد انتظر فاذا رأيتنا نعمل بما كتبت فتعال فخذ أجرك

ألم تر أن القوم ليلة نوحهم بغَوْه فألفوْه على شر مركب
فما يبتغي بالغيِّ لا دَرَّ دَرُّه وفي بيته مثل الغزال المربَّب

فعمل سعد بن مصعب سفرة، وقال للأحوص اذهب بنا الى سدّ عبد الله بن عمر نتغدّ عليه ونشرب من مائه ونستنقع فيه، فذهب معه، فلما صار الى الماء أمر غلمانه أن يربطوه، وأراد ضربه، وقال ما جزعت من هجائك إياي ولكن ما ذكرك زوجتي؟ فقال له يا سعد انك لتعلم أنك ان ضربتني لم أكفف عن الهجاء ولكن خيرٌ لك من ذلك أن أحلف لك بما يرضيك ألاّ أهجوك ولا أحداً من آل الزبير أبداً، فأحلفه وتركه

كانت امرأة يقال لها أُم ليث امرأة صدق، فكانت قد فتحت بينها وبين جارة لها من الأنصار خوخة، وكانت الأنصارية من أجل أنصارية خلقت، فكلم الأحوص أُم ليث أن تدخله في بيتها ليكلم الأنصارية من الخوخة التي فتحت بينها وبينها، فأبت، فقال أما لأُكافئنك، ثم قال

هيهات منك بنو عمرو ومسكنهم اذا تشتيت قِنَّسْرين أو حلَبا
قامت تراءى وقد جدّ الرحيل بنا بين السقيفة والباب الذي نقبا
إني لمانحها ودي ومتخذ بأُم ليث الى معروفها سببا

فلما بلغت الأبيات زوج المرأة سد الخوخة، فاعتذرت اليه أُم ليث، فأبى أن يقبل ويصدقها، فكانت أُم ليث تدعو على الأحوص

ووقف الأحوص على مَعْن بن حُمَيد الأنصاري أحد بني عمرو بن عوف بن جَحْجَبَى فقال

رأيتك مَزْهُوًّا كأن أباكم صُهَيْبَةَ أمسى خير عوف مركبا
تقرّبكم كُوثى اذا ما نسبتم وتنكركم عمرو بن عوف بن جَحْجَبَى
عليك بأدنى الخطب ان أنت نلته وأقصر فلا يذهب بك التيه مذهبا

فقام اليه بنوه ومواليه ، فقال دعوا الكلب خلوا عنه لا يَمَسَّه أحد منكم ، فانصرف حتى اذا كان عند أحجار المراء لقيه ابن أبي جرير أحد بني العجلان ، وكان شديداً ضابطاً ، فقال له الأحوص

وان بقوم سودوك لحاجة الى سيد لو يظفرون بسيد

فألقى ثيابه وأخذ بحلق الأحوص ، ومع الأحوص راويته ، وجاء الناس فحلف لئن خلصه أحد من يديه ليأخذنه وليَدَعَنَّ الأحوص ، فخنقه حتى استرخى وتركه حتى أفاق ، ثم قال كل مملوك لي حر ان سمع هذا البيت منك أحد لأضربنك ضربة بسيفي أريد بها نفسك ولو كنت تحت أستار الكعبة ، فأقبل الأحوص على راويته ، فقال ان هذا مجنون ولم يسمع هذا البيت غيرك فاياك أن يسمعه منك خلق

قال مُصْعَب بن عثمان كان الأحوص ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى في شعره مَعْبَد ومالك ويشيع ذلك في الناس ، فنهي ، فلم ينته ، فشكى الى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة ، وهو ابن حزم وسألوه الكتاب فيه اليه ، ففعل ذلك ، فكتب سليمان الى ابن حزم أن يضربه مائة سوط ويقيمه على البُلُس[1] للناس ثم يصيره الى دَهْلَك ، ففعل ذلك

وفي ذلك يقول الأحوص

ما من مصيبة نكبة أُمْنَى بها ألا تعظمني وترفع شأني
وتزول حين تزول عن متخمط[2] تخشى بوادره على الأقران
اني اذا خفي اللئام رأيتني كالشمس لا تخفى بكل مكان
اني على ما قد ترَوْن مُحَسَّد أُنْمى على البغضاء والشَّنآن

(١) البلس غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن يشهر عليها من ينكل به وينادى عليه واحدها بلاس بفتح الباء (٢) المتخمط القهار الغلاب

أصبحت للأنصار فيما نابهم خلفاً وللشعراء من حسان

وهجا ابن حزم بشعر كثير منه

أقول وأبصرت ابن حزم ابن فرتنى[1] وقوفاً له بالمأزمين القبائل
ترى فرتنى كانت بما بلغ ابنها مصدقةً لو قال ذلك قائل

وقال له

لعمرى لقد أجرى ابن حزم ابن فرتنى الى غاية فيها السمام المثمل[2]
وقد قلت مهلاً آل حزم ابن فرتنى ففى ظلمنا صاب ممرّ وحنظل

وقال

أهوى أمية ان شطّت وان قربت يوماً وأهدي لها نصحي وأشعاري
ولو وردت عليها الفيض ما حفلت ولا سقت عطشى من مائه الجارى
لا ترثين لحزمى رأيت به ضراً ولو ألقى الحزمى فى النار
الناخسين بمروان بذى خشب[3] والمقحمين على عثمان في الدار

وقال وهو موقوف على البلس وقد دفع عنه بنو زريق واحتملوه من أعلى البلس

إمّا تصبني المنايا وهى لاحقة وكل جنب له قد حمّ مضطجع
فقد جزيت بني حزم بظلمهمُ وقد جزيت زريقا بالذى صنعوا
قوم أبى طبع الأخلاق أولهم فهم على ذاك من أخلاقهم طبعوا
وأن أناس ونوا عن كل مكرمة وضاق باعهمُ عن وسعهم وسعوا
انى رأيت غداة السوق محضرهم اذ نحن ننظر ما يتلى ونستمع

---

(١) الفرتنى الامة بنت الامة
(٢) المثمل السم المنقع أى الذى أنقع أياما حتى اختمر
(٣) واد على مسيرة ليلة من المدينة

وقال

شر الحزاميين ذو السن منهم ... وخير الحزاميين يعدله الكلب
فان جئت شيخاً من حزام وجدته ... من النوك والتقصير ليس له قلب
فلو سبني عون (١) اذاً لسببته ... بشعري أو بعض الأولى جدهم كعب
أولئك أكفاء لبيتي بيوتهم ... ولا تستوى الأعلاث والأقدح القضب (٢)

ثوى فى دهلك سلطان سليمان ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب اليه يستأذنه فى القدوم عليه ويمدحه فأبى أن يأذن وكان مما كتب له

أيا راكباً إما عرضت فبلغاً ... هديت أميرَ المؤمنين رسائلي
وقل لأبي حفص اذا ما لقيته ... لقد كنت نفاعاً قليل الغوائل
أفي الله أن تدنوا ابن حزم وتقطعوا ... قوى حرمات بيننا ووصائل
فكيف ترى للعيش طيباً ولذة ... وخالك أمسى موثقاً فى الحبائل
وما طمع الخزمي فى الجاه قبلها ... الى أحد من آل مَرْوان عادل
وَشَى وأطاعوه بنا وأعانه ... على أمرنا من ليس عنا بغافل
وكنت أرى أن القرابة لم تدع ... ولا الحرمات فى العصور الأوائل
الى احد من آل مَرْوان ذى حِجًى ... بأمر كرهناه مقالا لقائل
يسر بما أنهى العدو وانه ... كناقلة لى من خيار النوافل
فهل ينقصنّ القوم ان كنت مسلماً ... بريأً بلائى فى ليال قلائل
ألا رب مسرور بنا سيغيظه ... لدى غِبّ أمر عضّه بالأنامل
رجا الصلح مني آل حزم ابن فَرْتَنَى ... على دينهم جهلا ولست بفاعل

---

(١) يعني عون بن محمد بن على بن أبى طالب وكعب يعنى كعب بن لؤى
(٢) الأعلاث من الشجر القطع المختلفة مما يقدح به من المرخ والبيس الواحد علث والقضب ما قطع من الأغصان للسهام أو القسي

ألا قد يُرَجُّون الهوان فانهم بنو حُبَق[1] ناء عن الخير فائل
على حين حل القول بى وتنظرت عقوبتهم مني رءوس القبائل
فمن يك أمسى سائلا بشماتة بما حلّ بى أو شامتاً غير سائل
فقد عجمت مني العواجم ماجداً صبوراً على عَضّات تلك التَّلاتل
اذا نال لم يفرح وليس لنكبة اذا حدثت بالخاضع المتضائل

وقال له فى ذلك

هل أنت أميرَ المؤمنين فانني بودك من ود العباد لقانع
متمم أجر قد مضى وصنيعة لكم عندنا أو ما تعد الصنائع
فكم من عدو سائل ذى كشاحة ومنتظر بالغيب ما أنت صانع

ومما قاله لعمر وكان قد أدنى زيد بن أسلم

ألست أبا حفص هُديت مخبرى أفى الحق أن أُقصى ويُدْنى ابن أسلما
الا صلةُ الأرحام أدنى إلى التقى وأظهر فى اكفائه لو تكرما
فما ترك الصنع الذى قد صنعته ولا الغيظ مني ليس جلداً وأعظما
وكنا ذوى قُربى لديك فأصبحت قرابتنا نَدياً أحَذَّ[2] مصرَّما
وكنت وما أملت منك كبارق لَوَى قَطْرُه من بعد ما كان غيَّما
وقدكنت أرجى الناس عندى مودة ليالى كان الظن غيباً مرجّما
أعُدُّك حرزاً ان جَنَيت ظُلامة ومالاً ثَرِيًّا حين أحمِل مَغْرَما
تدارك بعُتْبَى عاتباً ذا قرابة طوي الغيظ لم يفتح بسخط له فما

فلما ولي يزيد بن الوليد غنته حبابة بشعر للأحوص يقول فيه

أيهذا المخبرى عن يزيد بصلاح فداك أهلى ومالي

(١) الحبق القليل العقل (٢) منقطع عن الخير لا يتعلق به منه شيء

ما أُبالي إذا يزيد بَقِي لي من تولت به صروف الليالى

فعفا عنه وأقدمه من دَهْلَكَ فلما دخل عليه قال له يزيد لو لم تَمُتَّ الينا بحرمة ولم تضر بنا بدالّة ولم تجدد لنا مديحة غير أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا لكنت مستوجباً لجزيل الصلة حيث تقول

وانى لأستحييكمُ أن يقودنى الى غيركم من سائر الناس مَطْمَع
وأن اجتدى للنفع غيرك منهم وأنت امام للرعيـــة مقنع

وقال يمدح يزيد بقصيدة أولها

صَرَمت حبلك الغداة نَوار ان صَرْما لكل حبل قصار

ومنها

من يكن سائلاً فان يزيداً ملك من عطائه الاكثار
عَمَّ معروفُه فعَزَّ به الديـــن وذلت لملكه الكفار
وأقام الصراط فابتهج الحق منيراً كما أنار النهـار

ومما يغني فيه منها

بشر لو يَدِبّ ذَرّ عليه كان فيه من مشيه آثار
ان أرْوَى اذا تذكر أرْوَى قلبُه كاد قلبُه يستطار

حج عبد الملك سنة خمس وسبعين فقام على منبر المدينة وقال إني والله يا أهل المدينة قد بلوتكم فوجدتكم تنفِسون القليل وتحسُدون على الكثير وما وجدت لكم مثلاً الا ما قال أخوكم الأحوص

وكم نزلت بي من خطوب مهمة خذلتم عليهـا ثم لم أتخشع
فأدبر عني شرها لم أُبَلْ بها ولم أدْعُكم فى كربها المتطلع

فقام اليه نوفل بن مُساحق فقال يا أمير المؤمنين أقررنا بالذنب وطلبنا المعذرة

فعد بحلمك فذلك ما يشبهنا منك ويشبهك منا فقد قال من ذكرت من بعد للبيتين الأولين

واني لمستأن ومنتظر بكم ... وان لم تقولوا فى الملات دَعْ دَعِ (١)
أؤمل منكم أن تَرَوْا غير رأيكم ... وَشيكا وكيما تنزعوا خير مَنْزَع

سئل الفرزدق من أنسب الناس ؟ فقال الذى يقول

لي ليلتان فليلة مَعْسولة ... ألقى الحبيب بها بنجم الأسعد
ومريحة همَّي عليَّ كأنني ... حتى الصباح معلَّق بالفَرْقد

وهما للأحوص من كلمة يقول فيها

يا للرجال لوجدك المتجدد ... ولما تؤمل من عَقيلة فى غد
ترجو مواعدَ بعثُ آدم دونها ... كانت خبالا للفؤاد المقْصَد
هل تذكرين عقيلَ أو انساكه ... بعدى تقلبُ ذا الزمان المفسد
يومي ويومك بالعقيق اذ الهوى ... منا جميع الشمل لم يتبدد

وبعدهما البيتان

وقيل لجرير من أنسب الناس ؟ قال الذى يقول

ياليت شعرى عمن كافت به ... من خَثْعَم اذ نأيت ما صنعوا
قوم يحلون بالسَّدير وبالحِـ ... ـيرة منهم مَرْأًى ومستمع
ان شطت الدار عن ديارهم ... أأمسكوا بالوصال أم قطعوا
بل هم على خير ما عهدت وما ... ذلك الا التأميل والطمع

وهي للأحوص

أنشد انسان عند ابراهيم بن هشام وهو والي المدينة قول الاحوص

(١) كلمة تقال للعاثر ومعناها قم وانتعش.

سقياً لربعك من ربع بذي سَلَم وللزمان به اذ ذاك من زمن
اذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية واذ أَجُرُ اليكم سادراً رَسَني (١)

فوثب أبو عبيدة بن عمار بن ياسر قائماً ، ثم أرخى رداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويجره حتى بلغ العرض ثم رجع ، فقال له ابراهيم بن هشام حين جلس ما شأنك ؟ فقال أيها الأمير انى سمعت هذا مرة فحلفت لا أسمعه الا جررت رسني

ومن قوله وفيه غناء

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما فقد هاج أحزاني وذكرني نُعْمَى
فبتُّ كأني شارب من مدامة اذا أذهبت هماً أتاحت له هما

ومن قوله

قالت وقلت تحرَّجي وصِلي حبلَ امرئ بوصالكم صَبّ
واصل اذا بعلى فقلت لها الغدر شيء ليس من شعبي
ثنتان لا دَنَوا بوصلهما عِرْس الخليل وجارة الجَنْب
أما الخليل فلست فاجعه والجار أوصاني به ربي
عوجوا كذا نذكر لغانية بعضَ الحديث مطيَّكم صحبي
ونقل لها فيم الصدود ولم نذنب بل أنت بدأت بالذنب
ان تقبلي نُقْبِل وننزلكم منا بدار السهل والرحب
أو تدبري تَكْدَر معيشتنا وتصدعي متلائم الشعب

ولما سمع ذلك أبو السائب المخزومي قال هذا هو المحب عيناً لا الذي يقول

وكنت اذا خليل رام صَرْمي وجدت وراى منفسحاً عريضا

اذهب فلا صحبك الله ، يعني قائل هذا البيت

(١) الرسن ما كان من زمام على أنف والسادر الذي لا يهتم ولا يبالي بما صنع

قيل لمحرز بن جعفر أنت صاحب شعر ونراك تلزم الأنصار وليس هناك منه شيء ، قال بلى والله ان هناك للشعر عين الشعر ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذى يقول

يقولون لو ماتت لقد غاض حبه ... وذلك حين الفاجعات وحيني
لعمرك انى ان تحتم وفاتها ... بصحبة من يبقى لغير ضنين

وهو الذى يقول

وانى لمكرام لسادات مالك ... وانى لنوكى مالك لسبوب
وانى على الحلم الذى من سجيتى ... لحمال أضغان لهن طلوب

وقال فى مرضه الذى مات فيه

يا بشرَ يا ربَّ محزون بمصرعنا ... وشامت جذِل ما مسه الحزن
وما شمات امرىء ان مات صاحبه ... وقد يرى أنه بالموت مرتهن
يا بشر هُبّى فان النوم أرّقه ... نأى مُشِتٌّ وأرض غيرها الوطن

ومن شعره

طاف الخيال وطاف الهم واعتكرا ... عند الفراش فبات الهم محتضرا
أراقب النجم كالحيران مرتقبا ... وقلّص النوم عن عينىّ فانشمرا
من لوعة أورثت قرحاً على كبدى ... يوماً فأصبح منها القلب منفطرا
ومن يَبِت مضمِراً همّا كما ضَمِنت ... منى الضلوع يبت مستبطناً غيرا

ومن شعره

يا دين قلبك منها لست ذاكرها ... الا ترقرق ماء العين أو دَمَعا
يلومنى فيك أقوام أجالسهم ... فما أُبالي أطار النوم أم وقعا
أدعو الى هجرها قلبى فيتبعني ... حتى اذا قلت هـذا صادق نزعا

لا أستطيع نزوعاً عن محبتها أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
كم من دنى لها قد صرت أتبعه ولو سلا القلب عنها صار لي تبعا

ومن قوله في أم جعفر المدنية مولاة عبدالله بن جعفر

أرسلت أم جعفر لا تزرنا ليت شعرى بالغيب ماذا دهاها
أأتاها محرِّش بنميم كاذب ما أراد الا رداها

ومنه

لقد منعت معروفها أم جعفر وانى الى معروفها لفقير
وقد أنكرت بعد اعتراف زيارتى وقد وَغِرت فيها على صدور
أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
أزور البيوت اللاصقات ببيتها وقلبى الى البيت الذى لا أزور
وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى اذا لم يُزَرْ يوماً لا بد أن سيزور
أزور على أن لست أنفكّ كلما أتيت عدواً بالبنان أشير

وقال فيها

وانى ليدعونى هوى أم جعفر وجاراتها من ساعة فأجيب
وانى لآتى البيت ما ان أحبه وأكثر هجر البيت وهو حبيب
وأُغْضِى على أشياء منكم تسوءنى وأُدْعَى الى ما سركم فأجيب
وما زلت من ذكراك حتى كأننى أُميم بأفناء الديار سليب
أبثك ما ألقى وفى النفس حاجة لها بين جلدى والعظام دبيب
هَبِينى امرأ اما بريئاً ظلمتِه واما مسيئاً مذنباً فيتوب
فلا تتركي نفسى شعاعاً فانها من الحزن قد كادت عليك تذوب
لك الله انى واصل ما وصلتنى ومُثْنٍ بما أوليتِنى ومثيب

وآخذ ما أعطيت عفواً وانني لأزور عما تكرهين هيوب

ومن شعره يمدح عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة

يا بيتَ عاتكة الذى أتعزَّل حذر العدى وبه الفؤاد موكل
أصبحت أمنحكَ الصدود وانني قسماً اليك مع الصدود لأميَل
فصددت عنك وما صددت لبغضة أخشى مقالة كاشح لا يعقل
هل عيشنا بك فى زمانك راجع فلقد تفاحش بعدك المتعلل
بأبى اذا قلت استقام يحطه خُلُف كما نظر الخِلافَ الأحول
لو بالذى عالجت لين فؤاده فأبى يلان به للان الأجدل
وتجنبى بيت الحبيب أوَدّه أرضى البغيضَ به حديث معضِل
ولئن صددت لأنت لولا رقبتى أهوى من اللائى أزور وأدخل
ان الشباب وعيشنا اللذَّ الذى كنا به زمناً نسر ونجذل
ذهبت بشاشته وأصبح ذكره حزناً يُعَلّ به الفؤاد ويُنهَل
الا تذكر ما مضى وصبابة مُنِيَت لقلب متيم لا يَذْهَل
أودى الشباب وأخلقت لذاته وأنا الحزين على الشباب المعوِل
يبكى لما قلب الزمان جديده خَلَقاً وليس على الزمان مُعَوَّل
والرأس شاملة البياض كأنه بعد السواد به الثَّغام (١) المحول
وسفيهةٍ هبَّت على بسُحْرة جهلاً تلوم على الثراء وتعذُل
فأجبتها أن قلت لستِ مطاعة فذَرِى تنصحك الذى لا يقبل
انى كفانى أن أعالج رحلة عُمَر تبوأ من يَضَنّ ويبخل
بنوال ذى فجر تكون سِجاله عصماً اذا نزل الزمان المُمْحِل

(١) الثغام شجر أبيض الزهر والثمر كأن جماعها هامة شيخ

ماض على حدث الأمور كأنه ذو رَوْنَق عَضْب جلاه الصَّيقل
تُبْدى الرجال اذا بدا اعظامه حذر البَغاث هوى لهن الأجدل
فيرَوْن أن له عليهم سَوْرة وفضيلة سبقت له لا تجهل
متحمل ثقل الأمور حوى له سبقَ المكارم سابق متمهل
وله اذا نُسِبت قريش منهم مجد الأرومة والفعال الأفضل
وله بمكة اذ أُميَّة أهلها ارث اذا عد القديم مُؤثَّل
أعيت قرائنه وكان لزومه أثراً أبان وشاده من يعقل
وسموت عن أخلاقهم فتركتهم لنَداك ان الحازم المتحول
ولقد بدأت أريد وُدّ معاشر وعدوا مواعد أُخلفت ان حصلوا
حتى اذا رجع اليقين مطامعى يأساً وأخلفنى الذين أؤمل
زايلت ما صنعوا اليك برحلة عَجْلَى وعندك عنهم متحول
ووعدتنى في حاجة فصدقتنى ووفيت اذ كذبوا الحديث وبدَّلوا
وشكوت غُرْماً فادحاً فحملته عني وأنت لمثله متحمل
فلأشكرن لك الذى أوليتنى شكراً تُحلَّ به المطىُّ وترْحل
مدحاً تكون لكم غرائب شعرها مبذولة ولغيركم لا تبذل
فاذا تنخلت القريض فانه لكمُ يكون خيار ما أتنخل
ولعَمْرُ من حج الحجيج لبيته تَهْوِى به قُلُص المطى المرمل
ان امرأ قد نال منك قرابة يبغى منافع غيرها لمضلل
تعفو اذا جهلوا بحلمك عنهم وتُنيل ان طلبوا النَّوال فتُجزل
وتكون معقِلهم اذا لم ينجهم من شر ما يخشَوْن الا المعقل
حتى كأنك يتقى بك دونهم من أسد بيشة خادر متبسل

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مَذِق الحديث يقول ما لا يفعل
وأرى المدينه حين صرت أميرها ... أمن البرىء بها ونام الأعزل

ومن شعره

أمنزلتَيْ مَيّ على القِدَمِ اسْلَما ... فقد هجتما للشوق قلباً متيما
وذكرتما عصر الشباب الذى مضى ... وجدة وصل حبلُه قد تَجَذَّما
وانى اذا حلت ببيش (١) مقيمة ... وحل بوَجّ جالساً أوَيتهما
يمانية شطت فأصبح نفعها ... رجاء وظناً بالمغيب مُرَجَّما
أحب دنو الدار منها وقد أبى ... بها صَدْع شعب الدار الا تثلما
يكاها ومايدري سوى الظن ما بكى ... أحياً يُبَكي أم تراباً وأعظما
فدعها وأخلف للخليفة مِدْحة ... تُزِل عنك بُؤسَى أو تُفيدك أنعما
فان بكفيه مفاتيحَ رحمة ... وغيثَ حَيًا يحيا به الناس مُرْهما (٢)
إمام أتاه الملك عفواً ولم يثب ... على ملكه مالاً حراماً ولا دما
تخيره رب العباد لخلقه ... ولياً وكان الله بالناس أعلما
فلما قضاه الله لم يَدْعُ مسلماً ... لبيعته الا أجاب وسلما
ينال الغنى والعز من نال وده ... ويرهب موتاً عاجلاً من تشأما

ومنه

نقد شاقك الحى اذ ودعوا ... فعينك فى أثرهم تدمع
وناداك للبين غِرْبانه ... فظَلْت كأنك لا تسمع

ومنه

صاح هل أبصرت بالخَبْتين من أسماء نارا

(١) بيش من بلاد اليمن قرب دهلك ووج هو الطائف
(٢) أرهمت السماء أتت بالرهمة بكسر الراء وهى المطر الضعيف الدائم

موهِناً شبت لعينيك ولم توقَد نهارا
كتلالى البرق فى المز ن اذا البرق استطارا
أذكرتني الوصل من سعدى وأياماً قصارا

ومنه وفيه غناء

يا أُم طلحة ان البين قد أفِدَا قل الثَّواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراقيّ لايدرى اذابرزت من ذا تطوَّف بالأركان أوسجدا

ومنه وفيه غناء

أسلامَ انك قد ملكت فأسْجِحِي قد يملك الحر الكريم فيُسْجِح
مُنِّي على عانٍ أطلت عَناءه فى الغُلِّ عندك والعُناة تسرح
انى لأنصحكم وأعلم أنه سيان عندك من يَغُشُ وينصح
واذا شكوت الى سلامة حبها قالت أَجِدّ منك ذا أم تمزح

ومنه

عفت عَرَفات فالمصايف من هند فأوحش ما بين الحريبين فالنهد
وغيرها طول التقادم والبلى فليست كما كانت تكون على العهد

ومنه

لاح بالدَّير من أُمامة نار لمحب له بيثرب دار
قد تراها ولو تشاء من القر ب لأغناك عن زِدَاها السِّرار

ومنه

طربتَ وأنت معنيٌّ كئيب وقد يشتاق ذو الحَزَن الغريب
وشاقك بالمُوقر[1] أهل خاخ فلا أَمَمَ هناك ولا قريب

(١) الموقر موضع بنواحى البلقاء من نواحى دمشق وكان يزيد بن عبد الملك ينزله وخاخ موضع بين الحرمين

وكم لك دونها من عُرْض أرض كأن سَرَابها الجارى سَيب
لعمرك انني برَقيم قيس وجارة أهلهـا لأنا الحريب

ومنـه

سرى ذا الهمُّ بل طرَقا فبتُّ مسهَّداً قَلِقا
كذاك الحب مما يُحـدث التسهيد والأرقا
قَطُوف المشى اذ تمشى ترى فى مشيها خرَقا (١)
وتثقلهـا عجيزتها اذا ولت لتنطلقا

ومنـه

شأتك (٢) المنازل بالأبرق دَوارس فى العيش كالمهرق (٣)
لآل جميلة قد أخلقت ومهما يَطُلْ عهده يُخْلق
فان تقل الناس لي عاشق فأين الذي هو لم يعشق
ولم يبك نُؤياً على عَبْرة بداء الصبابة والمعلق

ومنـه

انما الذَّلْفاء همِّي فليَدَعْني من يلوم
أحسن الناس جميعاً حين تمشي وتقوم
حبب الذَّلْفاء عندى منطق منها رخيم
أصِل الحبل لترضى وهى للحبل صَرُوم
حبها فى القلب داء مستكن لا يريم

ومن قوله

قد لعمرى بِتُّ ليلي كأخى الداء الوجيع

(١) الخرق من خوف أو حياء (٢) بعدت عنك (٣) الصحيفة

وشَـجِيّ الهم مني بات أدنى من ضجيعى
كلما أبصرت ربعاً خالياً فاضت دموعى
قد خلا من سيد كا ن لنا غير مضيع
لا تلمنا ان خشعنا أو همنا بخشوع
وهو كالليث اذا ما عد أصحاب الدروع
يقنص الأبطال ضرباً فى مضي ورجوع

ومنه

بتّ الخليط قُوَى الحبل الذى قطعوا اذ ودعوك فولّوا ثم ما رجعوا
وآذنوك ببَيْن من وصالهمُ فما سلوت ولا يُسليك ما صنعوا
يا ابن الطويل وكم آثرت من حسن فينا وأنت بما حملت مضطلِع
نحظَى ونبقى بخير ما بقيت لنا فان هلكت فما فى ملجأ طمع

ومنه

دعى القلب لا يزدد خبالا مع الذى به منك أوداوى جَوَاه المكتما
ومن كان لا يعدو هواه لسانَه فقد حل فى قلبي هواك وخيما
وليس بتزويق اللسان وصوغه ولكنه قد خالط اللحم والدما

ومنها

أكرع الكَرْعة الرَّوِيَّة منها ثم أصحو وما شفيت غليلي
كم أتى دون عهد أم جميل من إِنَى[1] حاجة ولبث طويل
وصياح الغراب أن سر فأسرع سوف تحظى بنائل وقبول

ومنه

أسلامَ هل لمتيم تنويل أم هل صَرمتِ وغال ودَّك غُول

(١) الانى الادراك مصدر أنى يأنى

لا تصرفي عني دَلالك انه حسن لديَّ وان بخلت جميل
أزعمت أن صبابتي أُكذوبة يوماً وان زيارتي تعليل

ومنه

ألا هاج التذكر لي سقاماً ونُكْسَ الداء والوجع الغَرَاما
سلامةُ انها همي ودائي وشر الداء ما بطن العظاما
فقلت له ودمع العين يجري على الخدين أربعة سِجاما
عليك لها السلام فمن لصب يبيت الليل يَهْذِي مستهاما

ومن قوله فى ابتداء قصيدة يمدح فيها يزيد بن عبد الملك

ألا لا تَلُمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزونَ أن يتجلدا
نظرت رجاء بالمُوَقَّر أن أرى أكاريس[1] يحتلون خاخاً فمنشدا
فأوفيت فى نشز من الأرض يافع وقد ينفع الأيفاع من كان مقصدا
فقلت ألا يا ليت أسماء أصغيت وهل قول ليتٍ جامع ما تبددا
وانى لأهواها وأهوى لقاءها كما يشتهى الصادى الشراب المبردا
علاقة حب لج في سنن الصبا فأبلى وما يزداد الا تجلدا
سُهُوب وأعلام تخال سرابها اذا استنَّ فى القيظ المُلاء المعمدا
وعهدى بها صفراء رُودا كأنها نضا عرق منها على اللون مجسدا
مُهَفْهَفَة الأعلى وأسفل خلقها جرى لحمه مادون أن يتخددا
من المدمجات اللحم جَدْلَى كأنها عِنان صَناع مُجْدَل الفتل محصدا
كأن ذَكيَّ المسك باد وقد بدت وريحُ خُزَامى طَلَّه ينفح الندى
وما العيش الا ما تَلَذّ وتشتهى وان لام فيه ذو الشنان وفَنَّدَا

(١) الكرس أبيات من الناس مجتمعة ج اكراس وجمع الجمع أكاريس ومنشد جبل من حمراء المدينة على ثمانية أميال من طريق الفرع

بكيت الصبا جهدى فمن شاء لامني ... ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
واني وان أغرقت فى طلب الصبا ... لأعلم أني لست في الحب أوحدا
اذا كنت عِزْهاة[1] عن اللهو والصبا ... فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

ومن مديحه فيها

كريم قريش حين ينسب والذى ... أقرت له بالملك كهلاً وأمردا
وليس عطاء منه الآن بمانع ... وان جلّ من أضعاف أضعافه غدا
أهان تلاد المال فى الحمد انه ... امام هدى يجرى على ما تعودا
تردّى بمجد من أبيه وأمه ... وقد أورثا بنيان مجد مشيدا
ولو كان بذل المال والجود مخلداً ... من الناس انساناً لكنت المخلدا
فأقسم لا أنفك ما عشت شاكراً ... لنعماك ما طار الحمام وغردا

ومن قوله

جعل الله جعفراً لك بعلا ... وشفاء من حادث الأوصاب
اذ تقولين للوليدة قومى ... فانظرى من تَرَيْن بالأبواب

وقوله

ضوء نار بدا لعينيك أم شبت بذى الأثل من سَلَامة نار
تلك بين الرياض والأثل والبا ... نات منا ومن سلامة دار
وكذاك الزمان يذهب بالنا ... س وتبقى الرسوم والآثار

ومن قوله وبعث به الى سلامة لما اشتريت ليزيد بن عبد الملك وفارقت المدينة

سلامَ ذكرك مُلْصَق بلسانى ... وعلى هواك تعودنى أحزانى
مالى رأيتك فى المنام مطيعة ... واذا انتبهت لَجَجْت فى العصيان

(١) هو البعيد عن اللهو والنساء لايطرب اليهن

أبدًا محبك ممسك بفؤاده يخشى اللجاجة منك فى الهجران
ان كنت عاتبة فانى مُعْتِب بعد الاساءة فاقبلى احسانى
لا تقتلى رجلاً يراك لما به مثل الشراب لغُلَّة الظمآن
ولقد أقول لقاطنَيْن من أهلنا كانا على خلق من الاخوان
يا صاحبي على فؤادى جمرة وبرَى الهوى جسمى كما تريان
أمرقيان الى سلامة أنتما ما قد لقيت بها وتحتسبان
لا أستطيع الصبر عنها انها من مهجتى نزلت بكل مكان

ومن قوله يمدح عمر بن عبد العزيز

وما الشعر الا خطبة من مؤلف بمنطق حق أو بمنطق باطل
فلا تقبلن الا الذى وافق الرضا ولا تَرْجِعَنّا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يَمْنة ولا يَسْرة فعل الظلوم المجادل
ولكن أخذت القصد جهدك كله وتقفو مثال الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا ومن ذا يرد الحق من قول عاذل
ومن ذا يرد السهم بعد صدوفه على فُوقه[1] ان عاد من نزع نابل
ولولا الذى قد عودتنا خلائف غطاريفُ كانت كالليوث البواسل
لما وَخَدَت شهراً برحلى جَسْرة تُقِلّ متون البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذى به صرفنا قديماً من ذويك الأفاضل
فان لم يكن للشعر عندك موضع وان كان مثل الدر من قول قائل
وكان مصيباً صادقاً لا يَعيبه سوى انه يبني بناء المنازل
فان لنا قُرْبَى ومحض مودة وميراث آباء مشَوْا بالمناصل
فذادوا عدو السلم عن عُقْر دارهم وأرسَوْا عمود الدين بعد تمايل

(١) الفوق موضع الوتر من السهم

فقبلك ما أعطى الهُنَيْدة [1] جِلَّة ... على الشعر كبّاً من سَدِيس وبازل
رسول الإله المصطفى بنبوة ... عليه سلام بالضحى والأصائل
فكل الذى عددت يكفيك بعضه ... ونيلك خير من بحور السوائل

ومن قوله

رام قلبى السلو عن أسماء ... وتعزّى وما به من عزاء
سخنة فى الشتاء باردة الصـ ... ـيف سراج فى الليلة الظلماء
كفنانى ان مت فى درع أرْوَى ... وامْتَحالى من بئر عروة مائى
إنني والذي نحج قريش ... بيته سالكين نَقب كُداء
لمَلِمّ بها وان أبت منها ... صادراً كالذى وردت بداء
ولها مَرْبَع ببُرْقة خاخ ... ومصيف بالقصر قصر قُباء
قلبت لي ظهر المِجَنّ فأمست ... قد أطاعت مقالة الأعداء

ومن قوله

يأيها اللائمى فيها لأضرِمها ... أكثرت لو كان يغني منك اكثار
ارجع فلست مطاعاً اذ وشيت بها ... لا القلب سالٍ ولا فى حبها عار

ومن قوله

يا موقد النار بالعلياء من إضَم ... أوقد فقد هجت شوقاً غير منصرم
يا موقد النار أوقدها فان لها ... شَبَاً يَهِيج فؤاد العاشق السَّدِم

ومن قوله

أأن نادى هَدِيلاً يوم فَلْج ... مع الاشراق فى فَنَن حمام
ظَلِلتَ كأن دمعك دُرُّ رسلك ... وَهَى خيطاً وأسلمه النظام

(١) الهنيدة اسم لمائة من الابل والجلة المسان منها

تموت تشوقاً طوراً وتحيا وأنت جدير أنك مستهام
كأنك من تذكر أم عمرو وحبل وصالها خلق رمام
صريع مدامة غلبت عليه تموت لها المفاصل والعظام
وأنى من بلادك أم عمرو سقى داراً تحل بها الغمام
تحل الهند من أحد وأدنى مساكنها السكينة أو سنام
سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام
فان يكن النكاح أحلُّ شيء فان نكاحها مطراً حرام
ولا غفر الاله لمنكحيها ذنوبهمُ وان صلوا وصاموا
فطلقها فلست لها بكفء والا عضَّ مفرقك الحسام
فلو لم ينكحوا الا كفياً لكان كفيها الملك الهمام

ومن قوله

من عاشقين تزايلا وتواعدا بلقى اذا نجم الثريا حلقا
فعثا أمامهما مخافة رقبة رصد فمزق عنهما ما مزقا
باتا بأنعم ليلة وألذها حتى اذا برق الصباح تفرقا

ومن قوله يصف حادثا

خمس دسسن الىّ فى لطف حور العيون نواعمٌ زُهرُ
فطرقنهن مع الجرى وقد نام الرقيب وحلّق النسر
مستبطئا للحى اذ قرعوا عضباً يلوح بمتنه أثر
فعكفن ليلتهن ناعمة ثم استفقن وقد بدا الفجر
بأشمَّ معسول فكاهته غض الشباب رداؤه غمر
رزن بعيد الصوت مشتهر جيبت له جيب الرَّحا عمرو

قامت تخاصره لكلتها تمشى تأوُّدَ غادة بكر
فتنازعا من دون نسوتها كلماً يسر كأنه سحر
كلٌّ يرى ان الشباب له فى كل غاية صبوة عذر
سيفانة أمر الشباب بها رَقْراقة لم يُبْلِها الدهر
حتى اذا أبدى هواه لها وبدا هواها ماله ستر
سفرت وما سفرت لمعرفة وجهاً أغرَّ كأنه البدر

ومن قوله

لا تأمنى الصَّرم منى أن ترَىْ كَلَفى وان مضى لصفاء الود أعصار
ما سمى القلب الا من تقلبه والرأى يصرف والأهواء أطوار
كم من ذوى مِقَة قبلى وقبلكمُ خانوا فأضحوا الى الهجران قد صاروا

ومن قوله

أقول التماس العذر لما ظلمتني وحملتني ذنباً وما كنت مذنبا
هبيني امرأ اما بريئاً ظلمته واما مسيئا قد أناب وأعتبا

النعمان بن بشير

هو النعمان بن بَشير بن سعد الخزرجى ، وأُمه عمرة بنت رَوَاحة أخت عبدالله ابن رواحة التى نَسَب بها قيس بن الخَطِيم ، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه رجل آخر ليشهد معه غزوة له ، فيما قيل ، فاستصغرهما فردهما ، ولأبيه بشير بن سعد صحبة ، وهو أول من قام يوم السقيفة من الأنصار الى أبى بكر رضى الله عنه فبايعه ، ثم توالت الأنصار فبايعته ، وشهد بيعة العَقَبة و بدراً وأُحُداً والخَنْدَق والمشاهد كلها ، واستشهد يوم عين التمر مع خالد بن الوليد

وكان النعمان عثمانياً ، وشهد مع معاوية صفِّين ولم يكن معه من الأنصار غيره ، وكان كريماً عليه رفيقاً عنده وعند يزيد ابنه بعده ، وعمر الى خلافة مَرْوان بن الحكَم ، وكان يتولى حِمْص ، فلما بويع لمروان دعا الى ابن الزبير وخالف على مَرْوان وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمَرْج راهط ، فلم يجبه أهل حِمْص الى ذلك ، فهرب منهم وتبعوه فأدركوه فقتلوه وذلك فى سنة خمس وستين ، ويقال ان النعمان أول مولود ولد بالمدينة من الأنصار بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً كثيراً

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير فى أعطيتهم ، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان بن بشير ، وكان عثمانياً ، وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم فى علي عليه السلام ، فأبى النعمان أن يُنفذها لهم ، فكلموه وسألوه بالله فأبى أن يفعل ، وكان اذا خطب أكثر من قراءة القرآن ، وكان يقول لا تَرَوْن على منبركم هذا بعدى أحداً يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد المنبر يوماً فقام اليه أهل الكوفة فقالوا نَنْشُدك الله والزيادة ، فقال اسكتوا ، فلما أكثروا قال تدرون ما مثلى ومثلكم الا مثل الضَّبُع والضب والثعلب ، فان الضبع والثعلب أتيا الضب فى وِجاره ، فناداياه أبا الحِسْل ، فقال سميعاً دعوتما ، قالا أتيناك لتحكم بيننا ، قال فى بيته يؤتى الحكم ، قالت الضبع انى حلت عينى ، قال فعل الحرة فعلت ، قالت فلقطت تمرة ، قال طيباً لقطت ، قالت فأكلها الثعلب ، قال لنفسه نظر ، قالت فلطمته ، قال بجُرمه ، قالت فلطمني ، قال حر انتصر ، قالت فاقض بيننا ، قال حدث امرأة حديثين فان أبت فعشرة ، فقال عبدالله بن همام السلولي

زيادتنا نُعْمانُ لا تحرمنَّنا خَفِ الله فينا والكتاب الذى تتلو

فاتك قد حملت منا أمانة بما عجزت عنه الصلاخمة[1] البُزْل
وان يك باب الشر تحسن فتحه فلا يك باب الخير ليس له قُفْل
فقد نلت سلطاناً عظيماً فلا يكن لغيرك جَمَّات[2] الندى ولك البخل
وأنت امرؤ حلو اللسان بليغه فما باله عند الزيادة لا يحلو
وقبلك قد كانوا علينا أئمة يهمهمُ تقويمنا وهمُ عُصْل
اذا أنصتوا للقول قالوا فأحسنوا ولكن حسن القول خالفه الفعل
يذمون دنيانا وهم يَرْضَعونها أفاويق حتى ما يَدِرّ لها ثَعْل[3]
فيا معشر الأنصار اني أخوكم واني لمعروف أتى منكمُ أهل
ومن أجل إيواء النبي ونصره يحبكمُ قلبي وغيركمُ الأصل

فقال النعمان لا عليه ألا يقترب والله لا أجيزها ولا أنفذها أبداً

نظر معاوية الى رجل فى مجلسه فراقه حسناً وشارة وجسماً ، فاستنطقه فوجده سديداً ، فقال له ممن أنت ؟ قال ممن أنعم الله عليه بالاسلام فاجعلني حيث شئت يا أمير المؤمنين ، قال عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة الكثير عددها التى لا تمنع من دخل فيها ولا تبالي من خرج منها ، فغضب النعمان ووثب من بين يديه وقال أما والله انك ما علمت لسيء المجالسة لجليسك ، عاق لزَوْرك ، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك ، فأقسم عليه الاجلس ، فضاحكه معاوية طويلاً ثم قال له ان قوماً أولهم غَسَّان وآخرهم الأنصار لكرام ، وسأله عن حوائجه فقضاها حتى رضى

كان النعمان من المعرقين في الشعر سلفاً وخلفاً جده شاعر وأبوه وعمه شاعران وهو شاعر وأولاده وأولاد أولاده شعراء ، فأما جده سعد فهو القائل

ان كنت سائلة والحق معتبة فالأزد نسبتنا والماء غَسَّان
ثُمَّ الأنوف لهم عز ومكرمة كانت لهم من جبال الطَّوْد أركان

(١) بعير صلخام صلب شديد (٢) الجمة البئر الكثيرة الماء (٣) الثعل ضرع الشاة

وعمه الحسين بن سعد القائل

اذا لم أزر الا لآكل أكلة فلا رفعت كفى إليَّ طعامى
فما أكلة ان نلتها بغنيمة ولا جوعة ان جعتها بغرام

وأبوه بشير الذى يقول

لعَمْرة بالبَطْحاء بيت معرف وبين البِطاح مسكن ومَحاضر
لعمرى لَحَيّ بين دار مُزاحم وبين الحمى لايحسم الستر حاضر
وحَيّ حلال لا يكثر سربهم لهم من وراء العاصيات زوافر
أحق بها من فتية وركائب يقطع عنها الليل عُوج ضوامر
تقول وتُذْرى الدمع عن حُرّ وجهها لعلك نفسى قبل نفسك باكر
أباح لها بطريق فارس عائطاً له من ذرى الجوْلان قُفْل وزاهر (١)
فقربتها للرحل وهى كأنّها ظَليم نَعام بالسَّماوة نافر
فأوردتها ماء فما شربت به سوى أنه قد بُلَّ منها المشافر
فباتت سُراها ليلة ثم عرَّست بيثرب والأعراب باد وحاضر

دخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار ، فلما مَثَلَ بين يديه أنشأ يقول

معاوىَ إلاَّ تعطنا الحق تعترف لِحَى الأَزْد مشدوداً عليها العمائم
أيشتُمنا عبـــد الأراقم ضلة وماذا الذى تجزى عليه الأراقم
فما لي ثار دون قطع لسانه فدونك من يرضيه عنك الدراهم
وراعٍ رُوَيداً لا تَسُمْنا دَنيَّة لعلك فى غِبّ الحوادث نادم
متى تلق منا عصبة خَزْرَجية أو الأوس يوْماً تخترمك المخارم

(١) القفل شجر حجازى

وتلقاك خيل كالقطا مستطيرة شماطيط[1] أرسال عليها الشكائم
يسومها العمران عمرو بن عامر وعمران حتى تستباح المحارم
وتبدو من الخدر العزيزة حجلها وتبيض من هول السيوف المقادم
فتطلب شعب الصدع بعد التئامه فتعريه فالآن والأمر سالم
والا فثوى لأمة تبعية تواريث آبائى وأبيض صارم
وأسمر خطي كأن كعوبه سوى القسب[2] فيها لهذمى وصارم
فان كنت لم تشهد ببدر وقيعة أذلت قريشاً والأنوف رواغم
فسائل بنا حي لؤى بن غالب وأنت بما تخفى من الأمر عالم
ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليلك عما ناب قومك قاتم
خر بنا كم حتى تفرق جمعكم وطارت أكف منكم وجماجم
وعادت على البيت الحرام عرائس وأنت على خوف عليك التمائم
وعضت قريش بالأنامل بغضة ومن قبل ما عضت عليك الأداهم
فكنا لها فى كل أمر نكيدة مكان الشجا والأمر فيه تفاقم
فما ان رمى رام فأوهى صفاتنا ولا ضامنا يوماً من الدهر ضائم
واني لأغضى عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً اليك السلالم
أصانع فيها عبد شمس وانني لتلك التى فى النفس منى أكاتم
فما أنت والأمر الذى لست أهله ولكن ولى الحق والأمر هاشم
اليهم يصير الأمر بعد شتاته فمن لك بالأمر الذى هو لازم
بهم شرع الله الهدى فاهتدى بهم ومنهم له هادٍ امام وخاتم

فلما بلغت الابيات معاوية أمر بدفع الأخطل اليه ليقطع لسانه فاستجار بيزيد ابن معاوية فمنع منه وأرضوا النعمان حتى كف عنه (راجع ترجمة الأخطل)

(١) جاءت الخيل شماطيط أى متفرقة ارسالا (٢) القسب الصلب الشديد

لما ضرب مروان بن الحكم عبدالرحمن بن حسان الحد ولم يضرب أخاه حين تهاجيا وتقاذفا كتب عبد الرحمن الى النعمان بن بشير يشكو اليه فدخل الى معاوية وأنشأ يقول

يا ابن أبي سفيان ما مثلنا ... جار عليه ملك أو أمير
اذكر بنا مُقْدَمَ أفراسنا ... بالحِنْو اذ أنت الينا فقير
واذكر غداة الساعديّ الذى ... آثركم بالأمر فيها بشير
فاحذر عليهم مثل بدر وقد ... مر بكم يوم ببدر عسير
ان ابن حسان له ثائر ... فأعطه الحق تصحّ الصدور
ومثل أيام لنا شتتت ... ملكا لكم أمرك فيها صغير
إما ترى الأزْد وأشياعها ... تجول خُزْراً كاظمات تزير
يصول حولى منهمُ معشر ... ان صُلْت صالوا وهمُ لى نصير
يأبى لنا الضيم فلا نُعتلى ... عز منيع وعديد كثير
وعنصُر فى عز جُرْثومة ... عادية تنقل عنها الصخور

ومن مختار شعره قوله

اذا ذكرت أم الحويرث أخْضَلت ... دموعى على السِّربال أربعة سَكْبا
كأنى لما فرقت بيننا النوى ... أجاور في الأغلال تَغْلِب أو كلبا
وكنا كماء العين والخد لا ترى ... لواش بغى نقض الهوى بيننا إرْبا
فأمسى الوشاة غيروا وُدّ بيننا ... فلا صلة ترعى لدىّ ولا قربا
جرى بيننا سعى الوشاة فأصبحت ... كأنى ولم أذنب جَنَيت لها ذنبا
فان تصرميني تصرمى بى واصلا ... لدى الود معْراضاً اذا ما التوى صعبا
عَزوفاً اذا خاف الهوان عن الهوى ... ويأبى فلا يعطى مودته غصبا
فان أستطع أصبر وان يغلب الهوى ... فمثل الذى لاقيت كلفنى نصبا

ومن قصيدة أخرى

أهيَّج دمعك رسمُ الطلل عفا غيرَ مُطَّرد كالخلل
نعم فاستهل لعرفانه يسيح ويَهمى كفيض سَبَل
ديار الألوف وأقرابها وأنت من الحب كالمختبل
ليالى تَسْبى قلوب الرجا ل تحت الخدور بحسن الغزل
من الناهضات بأعجازهن حين يقوم جزيل الكفل
كأن الرُّضاب وصوب السحا ب بات يشاب بذوب العسل
من الليل خالط أنيابها بعيد الكرى واختلاف العلل

وفيها يقول

وأروَعَ ذى شرف حازم صروم وصال الخيال الحلل
كريم البلاء صبور اللقا ء صافى الثناء قليل العذَل
عظيم الرماد طويل العما د وارى الزناد بعيد العقل
أقمت له ولأصحابه عمود السرىّ بذول الرمل
بذِعْلبة (١) سَرْحة جَسْرَة على الأين دَوْسَرة كالجمل

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير — عبد الله بن النعمان وهو القائل

ما ذا رجاؤك غائباً من لا يسرك شاهدا
واذا دنوت يزيده منك الدنو تباعدا

ومنهم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشير ، شاعر مكثر وهو القائل فى قصيدة طويلة

وكان أبونا الشيخ عمرو بن عامر بأعلى ذُرَى العلياء ركناً تأثَّلا
وخط حياض المجد مُتْرَعة لنا مِلاء فعلَّ الصفو منها وأنهلا

(١) الذعلبة الناقة السريعة والجسرة العظيمة شبهها بالجسر الذى يعبر عليه والدوسرة الناقة الضخمة.

وأشرع فيها الناس بعد قتالهم من المجد الا سؤره حين أفضلا
وفى غيرنا مجد من الناس كلهم فأما كمثل العشر من مجدنا فلا

وله أشعار كثيرة لا أحب الاطالة بذكرها

ومنهم شبيب بن زيد بن النعمان بن بشير ، شاعر مكثر مجيد وهو القائل من قصيدة يعاتب فيها بنى أمية عند اختلاف أمرهم أيام الوليد بن يزيد وبعده وأولها

يا قلب صبراً جميلاً لا تمت حزَنا قد كنت من أن ترى جَلْد القوى قمِنا

يقول فيها

يأيها الراكب المُزْجى مطيته لقيت حيث توجهت السنا الحسنا
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها قولاً ينفر عن نُوَّامها الوَسَنا
ان الخلافة أمر كان يُعظمه خيار أولكم قِدْماً وأوَّلنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم وقد وعظتم فما أحسنتم الأَدَنا
لما سفكتم بأيديكم دماءكم بغياً وغشيتم أبوابكم دَرَنا

ومنهم ابراهيم بن بشير أخو النعمان بن بشير ، شاعر مكثر وهو القائل فى قصيدة أولها

أشاقك أظعان الحدوج البواكر كنجل الحجور السابحات المواقر
على كل فَتْلاء الذراعين مهجر وأعيس نضاخ المهدّ عُذَافر
نعم فاستدرت عَبْرة العين لوعة وما أنت عن ذكرى سليمى بصابر
ولم أر سلمى اذ تحير جيرة من الدهر الا وقفة بالمشاعر
ألا رب ليل قد سريت سواده الى رُدُح الأكفال غُرّ المحاجر
ليالى يدعونى الصبا فأجيبه أجرُّ إزارى عاصياً أمر زاجرى
وأذلِلتى مثل الجناح أثيثة أُمشّى الهوينا لا يُرَوَّع طائرى
فأصبحت قد ودعت ذاكم بعبرة مخافة ربى يوم تُبْلَى سرائرى

وحميدة بنت النعمان بن بشير كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر فكانت تهجو أزواجها وهى القائلة فى الفيض بن أبى عقيل الثقفى

وهل أنا الا مُهْرة عربيـة ... سليلة أفراس تحللها بغل
فان نتجت مهراً كريماً فبالحرَى ... وان كان اقرافاً فمن قبل الفحل

وهى القائلة لما تزوج الحجاج أختها أم أبان

قد كنت أرجو بعض مايرجو الراج ... أن تنكحيه ملكاً أو ذا تاج
اذا ما تذكرت نكاح الحَجّاج ... تصرم القلب بحزن وهّاج
وفاضت العين بماء ثَجاج ... لو كان من عُمان قَيْل الأعلاج
مستوى الشخص قليل الأوداج ... ما نلت ما نلت بحبل الدراج

فأخرجها الحجاج من العراق الى الشام

السرى بن عبد الرحمن

هو السَّرِيّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عُوَيْم بن ساعدة الانصارى ، شاعر من شعراء أهل المدينة ، وليس بمكثر ولا فحل الا أنه كان أحد الغزلين والفتيان والمنادمين على الشراب ، كان هو وعُتَيْز بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف وجُبَيْر ابن أيمن وخالد بن أبى أيوب الانصارى يتنادمون ، وكلهم كان على ذلك مقبول الشهادة جليل القدر مستوراً ، وفيهم يقول السرى

اذا أنا نادمت العُتَيْر وذا الندى ... جُبَيْرًا ونازعت الزجاجة خالدا
أمنت باذن الله أن تُقْرَع العصا ... وان يُنْبهوا من نومة السكر راقدا

فقالوا قبحك الله ماذا أردت الى التنبيه علينا والاذاعة لسرنا ؟ انك لحقيق ألا ننادمك قال والله ما أردت بكم سوءاً ولكنه شعر طفح فنفثته عن صدرى ، وخالد بن أبى أيوب الذى يقول

ألا سقّنى كأسى ودع قول من لحا ... وروّ عظاماً قصّرهن الى بلى
فان بطوء الكأس موت وحبسها ... وازدراك الكأس عندى هو الحيا

وكان السرى هجا الاحوص وهجا نصيبا فلم يجيباه

كان السرى قصيراً دميماً أزرق وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويشبب بها فخرج الى البادية فرآها فى نسوة ، فصار الى راع هناك وأعطاه ثيابه وأخذ منه جبته وعصاه ، وأقبل يسوق الغنم حتى صار الى النسوة فلم يحفلن به وظنن أنه اعرابى ، فأقبل يقلب بعصاه الأرض وينظر اليهن ، فقلن له أذهب منك يا راعى الغنم شىء فأنت تطلبه ؟ فضربت زينب بكمها على وجهها وقالت السرى والله أخزاه الله فأنشأ يقول

ما زال فينا سقيم يُستَطَبّ له ... من ريح زينب فينا ليلة الأحد
حزتِ الجمال ونشراً طيباً أَرِجا ... فما تُسمَّيْن الا مسكة البلد
أما فؤادي فشىء قد ذهبت به ... فما يضرك الاّ تحربى جسدى

ومن قوله فى أمة الحميد بنت عبدالله بن عباس وفي ابنتها أمة الواحد

أَمَةُ الحميد وبنتها ... ظبيان فى ظل الأراك
يتتبعان ببَرِيره ... وظلاله فهما كذاك
حذى الجمال عليهما ... حذو الشراك على الشراك

وقف على عمر بن عمرو بن عثمان وهو جالس على بابه والناس حوله فقال

يا ابن عثمان يا ابن خير قريش ... ابغنى ما يكفنى بقُباء
ربما بلّغنى نداك وجلّى ... عن جبيني عَجاجة الغرماء

فأعمره أرضاً بقباء وجعله طعمة له أيام حياته فلم تزل فى يده حتى مات

ومن قوله

ليتنى في المؤذنين نهارا انهم يبصرون من فى السطوح
فيشيرون أو يشار اليهم حبذا كل ذات جيد مليح

سعيد بن عبد الرحمن

هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، شاعر من شعراء الدولة الأموية متوسط فى طبقته ليس معدوداً فى الفحول ، وقد وفد الى الخلفاء من بنى أمية فمدحهم ووصلوه ولم تكن له نباهة أبيه وجده ومن قوله

أبائنة سُعْدى ولم توف بالعهد ولم تَشْفِ قلباً تيمته على عمد
نعم أفمودٍ أنت ان شطَّت النوى بسُعْدَى وما من فرقة الدهر من رد
كأن قد رأيت البين لاشىء دونه قم الآن أعلن ما تُسِر من الوجد
لعلك منها بعد أن تَشْحَط النوى ملاقٍ كما لاقى ابن عَجْلان من هند
فويل ابن سلمى خلة غير أنها تبلغ منى وهى مازحة جدى
وتدنو لنا فى القول وهى بعيدة فما ان تُسَلِّى من دنو ولا بعد
ومهما أكن جَلْداً عليه فاننى على هجرها غير الصبور ولا الجلد
اذا سُمْت نفسى هجرها قطعت به فجانبته فيما أُسر وما أُبدى
كأنى أرى فى هجرها أى ساعة همت به موتى وفى وصلها خُلْدى
ومن أجلها صافيت من لا تردنى عليه له قربى ولا نعمة عندى
وأغضيت عينى من رجال على القذَى يقولون أقوالاً أمضُّوا بها جلدى
وأقصيت من قد كنت أُدنى مكانه وأدنيت من قد كنت أقصيته جهدى
فان يك أمسى وصل سلمى خلابة فما أنا بالمفتون فى مثلها وحدى
فأصبح ما منتك ديناً مُسَوَّفاً لَواه غريم ذو اعتلال وذو جحد

تجود بتقريب الذى هو آجل ... من الوعد ممطول وتبخل بالنقد
وقد قلت اذ أهدت الينا تحية ... عليها سلام الله من نازح مُهْد
سقى الغيث ذاك الغَوْر ما سكنت به ... ونجداً اذا صارت نواها الى نجد

سأل سعيد أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حاجة يكلم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يقضها له ففزع فيها الى غيره فقضاها فقال

سئلت فلم تفعل وأدركت حاجتى ... تولى سواكم حمدها واصطناعها
أبى لك كسبَ الحمد رأىٌ مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا ما أرادته على الخير مرة ... عصاها وان همت بشر أطاعها

ومن شعره

بَرِح الخفاء فأى ما بك تكتُم ... ولسوف يظهر ما تُسِرُّ فيعلم
وحملت سقماً من علائق حبها ... والحب يَعْلَقه الصحيح فيسقم

وفى هذه القصيدة يقول

علوية أمست ودون وصالها ... مِضمار مصر وعائذ والقُلْزُم
خَوْد تُطيف بها نواعم كالدُّمَى ... مما اصطفى ذو النِّيقة المتوسم
حُلِّين مَرْجان البحور وجوهراً ... كالجمر فيه على النحور ينظم
قالت وماء العين يغسل وجهها ... عند الفراق بمستهل يسجم
يا ليت انك يا سعيد بأرضنا ... تُلْقِى المراسى ثاوياً وتخيم
فنُصيب لذة عيشنا ورخاءه ... فتكون مأجوراً فماذا تَنْقِم
لا ترجعن الى الحجاز فانه ... بلد به عيش الكريم مذمم
وهَلُمَّ جاورنا فقلت لها اقصرى ... عيش بطَيْبَة وَيْحَ غيرك أنعم
أيفارق الوطن الحبيب لمنزل ... ناء ويثرى بالحديث الأقدم

ان الحمام الى الحجاز يهيج لي ... طرباً ترنمه اذا يترنم
والبرق حين أشيمه متيامناً ... وجنائب الأرواح حين تنسّم
لو لجّ ذو قسم على أن لم يكن ... في الناس مشبهها لبرّ المقسم
من أجلها تركى القرار وخفضه ... وتجشمي ما لم أكن أتجشم
ولقد كتمت غداة بانت حاجتي ... في الصدر لم يعلم بها متكلم
تشفي برؤيتها السقيم وترتمي ... حب القلوب رميُّها لا يسلم
رقراقة في عنفوان شبابها ... فيها عن الخلق الدنيّ تكرم
ضنت على مغرًى بطول سؤالها ... صبّ كما يسأل البخيلَ المعدمُ

خرج سعيد الى عسكر يزيد بن عبد الملك فأتى عنبسة بن سعيد بن العاصي وكان أبوه صديقاً لأبيه، فسأله أن يرفع أمره الى الخليفة، فوعده أن يفعل، فلم يمكث الا يسيراً حتى طرقه لص فسرق متاعه وكل شيء كان معه، فأتى عنبسة فتنجزه ما وعده فاعتل عليه ودافعه، فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال

أعنبسَ قد كنت لا تعتزي ... الي عِدَة منك كانت ضلالا
وعدت عِدَاتٍ لو انجزتها ... اذاً لحمدت ولم تُزرَ مالا
وما كان ضرّك لو قد شفعت ... فأعطى الخليفة عفواً نوالا
وقد ينجز الحر موعوده ... ويفعل ما كان بالأمس قالا
فيا ليتني والمنى كاسمها ... وقد يصرف الدهر حالاً فحالا
قعدت ولم ألتمس ما وعدت ... ويا ليت وعدك كان اعتلالا
وكانت نعم منك مخزونة ... وقلت من أول يوم ألالا
أرى كذب القول من شر ما ... يعد اذا الناس عدوا الخصالا
فأبقيت لي عندك مُدّخرة ... ونفساً عزوفاً تُمِلُّ السؤالا

فان عدت أرجوكمُ بعدها فبدلت بعد العلاء السفالا
أأرجوك من بعد ما قد عرفت لعمرى لقد جئت شيئاً عُضالا

كان سعيد اذا وفد الى الشام نزل على الوليد بن يزيد فأحسن نُزُله وأعطاه وكساه وشفع له ، فلما حج الوليد لقيه سعيد فى أول من لقيه ، فسلم عليه ، فرد الوليد عليه السلام وحياه وقربه وأمر بانزاله معه وبسطه ولم يأنس بأحد أنسه به وأنشده سعيد قوله فيه

يا لقومى للهجر بعد التصافى وتنائى الجميع بعد ائتلاف
ماشجا القلب بعد طول اندمال غير هاب كالفرخ بين أثاف
ونعيب الغراب فى عرصة الدا رونؤى تسفى عليه السوافى

ابن المولى

هو محمد بن عبدالله بن مسلم ابن المولي مولي الأنصار ثم بنى عمرو بن عوف ، شاعر متقدم مجيد من مخضرمى الدولتين ومداحى أهلهما ، وقدم على المهدى وامتدحه بعدة قصائد فوصله بصلات سنية ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيف الثياب حسن الهيئة ، قدم على المهدى فمدحه بقوله

سلا دار ليلى هل تُبين فتنطق وأنّى ترد القول بيداء سَمْلَق (١)
وأنّى ترد القول دار كأنها لطول بلاها والتقادم مُهْرَق (٢)
عفتها الرياح الراسمات (٣) مع البِلى بأذيالها والرائح المتبعّق
بكل شآبيب (٤) من الماء خلفها شآبيبُ ماء مُزْنها متألق
اذا ريِّق منها هُريقت سِجاله أعيد لها كِرْفِيه (٥) ماء وريِّق

(١) قاع صفصف (٢) صحيفة (٣) الرياح الدافنات للآثار ، والمتبعق المنفرج من الودق (٤) الشؤبوب الدفعة من المطر (٥) الكرفيء السحاب المرتفع الذى بعضه فوق بعض

فأصبح يرمى بالرَّباب كأنما ... بأرجله منها نَعام معلَّق
فلا تبك أطلال الديار فانها ... خيال لمن لا يرفع الشوق عَوْلَق (١)
وان سفاها أن تُرَى متفجعا ... بأطلال دار أو يقودك مَعْلَق (٢)
فلا تجزعن للبين كلُّ جماعة ... وجدك مكتوب عليها التفرق
وخذ بالتعزى كل ما أنت لابس ... جِدًّا على الأيام بالٍ ومُخْلَق
فصبر الفتى عما تولى فانه ... من الأمر أولى بالسداد وأوفق
وانك بالاشفاق لا ترفع الرَّدَى ... ولا الحين مجلوب فما لك تُشْفِق
كأن لم يَرُعْك الدهر أو أنت آمن ... لأحدائه فيما يُغادى ويَطْرُق
وقال خليلي والبكا لي غالب ... أقاض عليك ذا الأسَى والتشوق
وقد طال تَوْقافي أكفكف عَبرة ... على دِمْنة كادت لها النفس تَزْهَق
وانسان عيني في دوائر لُجّة ... من الماء يبدو تارة ثم يغرق
وللدمع من عيني شَرِيجا صبابة ... مُرِشّ الرجا والجائل المترقرق
وكنت أخا عشق ولم يك صاحبي ... فيعذرني مما يصب ويعشق
وقد يَعذر الصبَّ السقيم ذوو الهوى ... ويَلْحَى المحبين الصديق فيخْرَق
وعاب رجال أن عَلِقْت وقد بدا ... لهم بعض ما أهوى وذو الحلم يَعْلَق

يقول فيها

الى القائم المهدى أعملت ناقتى ... بكل فَلاة آلُها يترقرق
اذا غال منها الركب صحراء بَرَّحت ... بهم بعدها في السير صحراء دَرْدَق
رميت قَراها بين يوم وليلة ... بفتلاء لم يَنْكُب لها الزَّور مرفق

(١) العولق الغول ويقال هذا حديث طويل العولق أى طويل الذنب
(٢) شدة الحب

موكلة بالفادحات كأنها وقد جعلت منها الثميلة (١) تخلق
فتى الملا هيق امام رثاله أصم هجف أقرع الرأس نقنق (٢)
تراها اذا استعجلتها وكأنها على الأين يعروها من الروع أولق (٣)
مورّكة أرض العذيب وقد بدا فسر به للآئبين الخورنق

قال أبو السائب المخزومى لابن المولى وقد أنشد لنفسه

وأبكى فلا ليلى بكت من صبابة اليّ ولا ليلى لذى الود تبذل
وأخنع بالعتبى اذا كنت مذنبا وان أذنبت كنت الذى أتنصل

من ليلى هذه حتى نقودها اليك ؟ فقال ابن المولى ما هى والله الا قوسى هذه سميتها ليلى

وفد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التى يقول فيها

يا واحد العرب الذى أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخرا ما كان فى الدنيا فقير

فدعا بخازنه وقال كم في بيت مالى ؟ فقال له من الورق والعين عشرون ألف دينار ، فقال ادفعها اليه ثم قال يا أخى المعذرة الى الله واليك ، والله لو أن فى ملكى أكثر لما احتجتها عنك ، ومما قال فيه وهو أمير مصر

يا واحد العرب الذى دانت له قحطان قاطبة وسادا نزارا
انى لأرجو ان لقيتك سالما ألاّ أعالج بعدك الأسفار
رشت الندى ولقد تكسر ريشه فعلا الندى فوق البلاد وطارا

ثم قصده بها الى مصر وأنشده إياها ، فأعطاه حتى رضى ، ومرض عنده ابن

(١) الثميلة البقية من الشيء (٢) الهيق الظليم لطوله النقنق الظليم والهجف الظليم الجافى الكثير الزف والرأل النعام (٣) الاولق الجنون

المولى مرضاً طويلاً وثقل حتى أشفى ، فلما أفاق من علته دخل عليه يزيد متعرفاً خبره ، فقال لوددت والله يا أبا عبدالله ألا تعالج بعدى الأسفار حقاً ، ثم أضعف صلته.

قدم ابن المولى العراق فى بعض سنيه فأخفق وطال مقامه ومرض ونشوق الى المدينة فقال فى ذلك

ذهب الرجال فلا أُحِسُّ رجالا ... وأرى الاقامة بالعراق ضلالا
وطَرِبت اذ ذكر المدينة ذاكر ... يوم الخميس وهاج لي بلبالا
فظَلِلت أنظر فى السماء كأنني ... أبغى بناحية السماء هلالا
طرباً الى أهل الحجاز وتارة ... أبكى بدمع مُسْبَل اسبالا
فيقال قد أضحى يحدث نفسه ... والعين تَذْرِف فى الرداء سِجالا
ان الغريب اذا تذكر أوشكت ... منه المدامع أن تَفيض علالا
ولقد أقول لصاحبى وكأنه ... مما يعالج ضُمِّن الأغلالا
خفض عليك فما يُرَدُّ بك تَلْفَه ... لا تكثرنّ وان جزعت مقالا
قد كنت اذ تَدَع المدينة كالذى ... ترك البحار ويَمّم الأوشالا
فأجابني خاطر بنفسك لا تكن ... أبداً تعد مع العيال عيالا
واعلم بأنك لن تنال جسيمة ... حتى تُجَشِّم نفسك الأهوالا
انى وجدك يوم أترك زاخرا ... بحراً ينفل سَيْبُه الأنفالا
لأضل من جلب القوافى ضيعة ... حتى أذل متونها اذلالا

وقدم على المهدى فمدحه بقصيدته التى يقول فيها

وما قارع الأعداء مثل محمد ... اذ الحرب أبدت عن حُجول الكواعب
فتى ماجد الأعراق من آل هاشم ... تبحبح منها فى الذُّرى والذوائب
أشَمّ من الرهط الذين كأنهم ... لدى حِنْدِس الظلماء زُهْرُ الكواكب

اذا ذكرت يوماً مناقب هاشم فانكمُ منها بخير المناصب
ومَنْ عِيبَ فى أخلاقه ونصابه فما فى بنى العباس عيب لعائب
وان أمير المؤمنين ورهطه لأهل المعالى من لؤى وغالب
أولئك أوتاد البلاد ووارثو النبى بأمر الحق غير التكاذب

ثم ذكر فيها آل أبى طالب

وما نقموا الا المودة منهمُ وان غادروا فيهم جزيل المواهب
وأنهمُ نالوا لهم بدمائهم شفاء نفوس من قتيل وهارب
وقاموا لهم دون العدا وكفَوْهمُ بسُمْر القَنَا والرهفات القواضب
وحامَوْا على أحسابهم وكرائم حسان الوجوه واضحات الترائب
وان أمير المؤمنين لعائد بانعامه فيهم على كل تائب
اذا ما دنَوْا أدناهمُ واذا هفَوا تجاوز عنهم ناظراً فى العواقب
شفيق على الأقصَيْن أن يركبوا الردى فكيف به فى واشجات الأقارب

ثم دخل بعد ذلك على الحسن بن زيد، وكانت له عليه وظيفة كل سنة فقال يمدحه

هاج شوقى تفرق الجيران واعترتني طوارق الأحزان
وتذكرت ما مضى من زمانى حين صار الزمان شر زمان

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد

ولو ان امرأً ينال خلوداً بمحل ومنصب ومكان
أو ببيت ذُراه تلصق بالنجـ ـم قِرَاناً في غير بُرْج قران
أو بمجد الحياة أو بسماح أو بحلم أو في علا ثهلان
أو بفضل لناله حسن الخيـ ـر بفضل الرسول ذي البرهان
فضله واضح برهط أبى القا سم رهط اليقين والايمان

هم ذوو النور والهدى ومدى الأعـــــر وأهل البر والعرفان
معدن الحق والنبوة والعد ل اذا ما تنازع الخصمان
وابن زيد اذا الرجال تجارَوْا يوم حفْل وغاية ورهان
سابق مُفْلق مجيز رهان ورث السبق من أبيه الهجان

فقال حسن أما اذا جئت الى الحجاز فتقول لي هذا ، وأما اذا مضيت الى العراق فتقول « وان أمير المؤمنين ورهطه » الأبيات ، فقال له أتنصفني يا ابن الرسول أم لا ؟ فقال نعم ، فقال ألم أقل « وان أمير المؤمنين ورهطه » ؟ ألستم رهطه ؟ فقال دع هذا ، ألم تقدر أن ينفق شعرك ومديحك الا بتهجين أهلي والطعن عليهم والاغراء بهم حيث تقول « وما نقموا الا المودة منهم » البيتين ، فوجم ابن المولى وأطرق ، ثم قال يا ابن الرسول ان الشاعر يقول ويتقرب بجهده ، ثم خرج من عنده مفكراً فأمر الحسن أن تحمل اليه وظيفته ويزاد فيها ، فقال ابن المولى والله لا أقبلها وهو عليَّ ساخط فاما ان قرنها بالرضا فقبلتها واما أن أقام وهو عليَّ ساخط البتة فلا ، فقال قل له قد رضيت فاقبلها ، فقبلها ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه

سألت فأعطاني وأعطى ولم أسل وجاد كما جادت غوادٍ رواعد
فأقسم لا أنفكّ أنشد مدحه اذا جمعتني فى الحجيج المشاهد
اذا قلت يوماً فى ثنائى قصيدة ثنيت بأخرى حيث تجزى القصائد

ومدح يزيد بن حاتم بعقب ظفره فى حرب الأزارقة وتوليته على كُوَر الاهواز وسائر ما افتتحه فقال

ألا يا لقومى هل لما فات مطلب وهل يُعْذَرْن ذو صَبوة وهو أشيب
يحن الى ليلى وقد شطّت النوى بليلى كما حن الرَاع المثقّب
تقربت ليلى كى تُذيب فزادني بعاداً على بعد اليها التقرب
فداويت وجدى باجتناب فلم يكن دواء لما أبقاه منها التجنب

فلا أنا عند النأي سالٍ لحبها ولا أنا منها مشتفٍ حين تصقب (١)
وما كنت بالراضي بما غيره الرضا ولكنني أنوي العزاء فأغلب
وليل خُدارىّ (٢) الرواق جشمته اذا هابه السارون لا أتهيب
لأظفر يوماً من يزيد بن حاتم بحبل جوار ذاك ما كنت أطلب
بلوت وقلبت الرجال كما بلا بكفيه أوساطَ القِداح مقلّب
وصعّدني همي وصوّب مرة وذو الهم يوماً مُصعد ومُصوّب
لأعرف ما آتي فلم أر مثله من الناس فيما حاز شرق ومغرب
أكرّ على جيش وأعظم هيبةً وأوهب في جُود لما ليس يوهب
تصدى رجال في المعالي ليلحقوا مداك وما أدركته فتذبذبوا
ورمت الذى راموا فأذللت صعبه ورامُوا الذى أذللت منه فأصعبوا
ومهما تنال من منال سنية يساعدك فيها المنتهى والمركب
ومنصب آباء كرام نماهمُ الى المجد آباء كرام ومنصِب
كواكب دَجْن كلما انقض كوكب بدا منهمُ بدر منير وكوكب
أنار به آل المهلب بعد ما هوى منكب منهم بليل ومنكب
وما زال الحاح الزمان عليهمُ بنائبة كادت لها الأرض تجرب
فلو أبقت الأيام حياً نفاسة لأبقاهمُ للجود ناب ومِخلب
وكنتَ ليومى نعمة وتكاية كما فيهما للناس كان المهلب
ألا حبذا الأحياء منكم وحبذا قبور بها موتاكمُ حين غيبوا

فأمر له يزيد بعشرة آلاف درهم وفرس بسرجه ولجامه وخلعة وأقسم على كل من كان بحضرته أن يجيزوه كل واحد بما يمكنه فانصرف بملء يده

(١) تقرب (٢) الخدارى الليل المظلم

وأنشد له عمرو بن أبى عمرو وكان يستحسنها

حى المنازل قد بَلِينا أقْوَيْنَ عن مر السنينا
وسـل الديار لعلها تخبرك عن أم البنينا
بانت وكل قرينة يوماً مفارقة قرينا
وأخو الحياة من الحيا ة معالج غلظاً ولينا
وترى الموكل بالغوا نى راكباً أبداً فنونا
ومن البلية أن تُدَا ن بما كرهت ولن تَدِينا
والمرء تُحرم نفسه ما لا يزال به حزينا
وتراه يجمع ماله جمع الحريص لوارثينا
يسعى بأفضل سعيه فيصير ذاك لقاعدينا
لم يعطِ ذا النسب القريب، ولم يَجُدْ للأبعدينا
قد حل منزله الذميم وفارق المتنصحينا

لما ولي المهدي الخلافة وحج فرَّق في قريش والأنصار وسائر الناس أموالاً عظيمة ووصلهم صِلات سنيّة ، فحسنت أحوالهم بعد جهد أصاب الناس فى أيام أبيه ، وكانت سنة ولايته سنة خِصْب ورخص ، فأحبه الناس وتبركوا به ، فدعوا له وأثنوا عليه ، ومدحته الشعراء ، فمد عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه ، فقرب منه ، فقال له هات يا مولى الأنصار ما عندك ، فأنشده

يا ليلَ لا تبخلى يا ليلَ بالزاد واشفى بذلك داء الحائم الصادى
وأنجزي عِدَة كانت لنا أملا قد جاء ميعادها من بعد ميعاد
ما ضره غير أن أبدى مودته ان المحب هواه ظاهر باد
تطوى البلاد الى جَمّ منافعه فعّال خير لفعل الخير عواد

للمهتدين اليه من منافعه خير يروح وخير باكر غاد
أغني قريشاً وأنصار النبي ومن بالمسجدين باسعاد وإصفاد
كانت منافعه فى الارض شائعة تَتْرَى وسيرته كالماء للصادى
خليفة الله عبد الله والده وأُمه حرة تَنْمِي لأَمجاد
من خير ذى يَمَن في خير رابية من القبول اليها معقد النادى

حتى أتى على آخرها فأمر له بعشرة آلاف درهم وكسوة وأمر صاحب الجارى بأن يجرى له ولعياله فى كل سنة ما يكفيهم وألحقهم فى شرف العطاء

وأنشد المهدى فى وفادة له

نادى الاحبة باحتمالِ ان المقيم الى زوالِ
رد القيان عليهمُ ذُلُل المطى من الجمال
فتحملوا بعقيلة زهراء آنسة الدلال
كالشمس راق جمالها بين النساء على الجمال
لما رأيت جمالهم في الآل تفرق باللآل
يا ليت ذلك بعد أن أظهرت انك لا تبالى
ولمثلُ ما جربت من اخلافهن لذى الوصال
أسلاك عن طلب الصبا وأخو الصبا لابد سال
يا ابن الأطايب للأطا يب ذا المكارم والمعالى
وابن الهداة بنى الهداة وكاشفى ظلم الضلال
أصبحت أكرم غالب عند التفاخر والنضال
واذا تحصل هاشم يعلو بمجدك كل عال
ويكون بيتك منهم فى الشاهقات من القلال

هـذا وأنتِ شمالها وابن الشمال أخو الشمال
وما آلها بأمورها ان الأمور الى مآل

فأمر له خاصة بعشرة آلاف درهم معجلة ، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم وقال ذلك بحق المديح وهذا بحق الوفادة

قدم ابن المولى البصرة فأتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه ، وقد ركب فناداه

كم صارخ يدعو وذى فاقة يا جعفر الخيرات يا جعفر
أنت الذى أحييت بذل الندى وكان قد مات فلا يذكر
سليل عباس ولي الهدى ومن به فى المَحْل يستمطر
هـذا امتداحيك عقيد الندى أشهد بالمجد لك الاشقر

شعراء ربيعة

شعراء بكر

أبو النجم

هو الفضل بن قُدامة بن عبيد الله العِجْلى من عجل بن لُجَيم ثم من بكر من رُجَّاز الاسلام الفحول المقدمين وفي الطبقة الأولى منهم ، قال أبو عمرو بن العلاء كان أبلغ فى النعت من العَجَّاج ، وقال أبو عبيدة ما زالت الشعراء تقصر بالرُّجَّاز حتى قال أبو النجم — الحمد لله الوَهوب المجزل — وقال العَجَّاج — قد جبر الدينَ الاِله فجبر — وقال رؤبة — وقاتم الاعماق خاوى المُخْتَرَق — فانتصفوا منهم — وكان أبو النجم من أحسن الناس انشاداً — وقيل لبعض رواة العرب من أرْجَزُ الناس ؟ قال بنو عجل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد يريد الأغلب ثم العجاج — ثم أبو النجم ثم رُؤبة

قال له هشام مرة مالك من الولد والمال ؟ قال أما المال فلا مال وأما الولد فلى ثلاث بنات و بنى يقال له شيبان ، فقال هل أخرجت من بناتك أحداً ؟ قال نعم زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز فى أبياتنا كأنها نعامة ، قال وما وصيت به الأولى ؟ فقال

أوصيت من برة قلباً حرا ... بالكلب خيراً والحماة شرا
لا تسأمى ضرباً لها وجرا ... حتى ترى حلو الحياة مرا
وان كستك ذهباً ودرا ... والحى عمِّيهم بشر طرا

فضحك هشام وقال ما قلت للأخرى ؟ قال قلت

سبى الحماة وابهتى عليها ... وان دنت فازدلفى اليها

وأوجعي بالقهر ركبتيها ومرفقيها واضربي جنبيها
وظاهري النذر لها عليها لا تخبر الدهر به ابنتيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه وقال ويحك ما هذه وصية يعقوب ولده فقال وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين ، قال فما قلت للثالثة ؟ قال قلت

أوصيك يا ابنتي فاني ذاهب أوصيك أن تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب لا ترجعي المسكين وهو خائب
ولاتني أظفارك السلاهب منهن في وجه الحماة كاتب

وللزوج ان الزوج بئس الصاحب

قال فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأي شيء قلت في تأخير زواجها ؟ قال قلت فيها

كأن ظلامة أخت شيبان يتيمة ووالدها حيان
الرأس قمل كله وصئبان وليس في الساقين إلا خيطان

تلك التي يفزع منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه وأعطى أبا النجم ثلاثمائة دينار ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين

أتت مولاة لبني قيس بن ثعلبة أبا النجم فذكرت له أن بنتاً لها قد أدركت منذ سنتين وهي من أجمل النساء وأمدهن قامة ولم يخطبها أحد فلو ذكرتها في الشعر ، فقال أفعل ، فما اسمها ؟ قالت نفيسة فقال

نفيس يا قتالة الأقوام أقصدت قلبي منك بالسهام
وما يصيب القلب الارام لو يعلم العلم أبو هشام
ساق اليها حاصل الشآم وجزية الأهواز كل عام
وما سقى النيل من الطعام

ووفد الى الشام فلما رجع سمع الزمر والجلبة فقال ماهذا؟ فقالوا نفيسة تزوجت، قال عبد الملك بن بشر بن مروان لأبي النجم صف لي فهودى هذه فقال

انا نزلنا خير منزلات بين الحميرات المباركات
فى لحم وحش وحُباريات وان أردنا الصيد ذا اللذات
جاء مطيعاً لمطاوعات علمن أو قد كن عالمات
فسكن الطرف بطرفات تريك آماقاً مخططات

ومما غنى فيه من رجزه

تضحك عما لو سقت منه شفى من أقحوان بلّه قطر الندى
أغر يجلو عن غشا العين العَشا حلو بعينى كل كحل وفتى
ان فؤادى لا تسليه الرقى لو كان منها صاحياً لقد صحا

قال الأصمعى أخطأ أبو النجم فى أشياء أخذت عليه منها قوله

وهى على عذب روىّ المنهل دَحْل أبى المرقال خير الأدْحُل
من نحت عاد في الزمان الأول

قال الأصمعى الدحل لا تورَده الابل إنما تورده الرَّكايا، وقد عيب بهذا وعيب بقوله فى البيت الذى يليه ان هذا الدَّحل من نحت عاد والدحلان لا تحفر ولا تنحت إنما هى خروق وشعاب فى الأرض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها المياه وهى هوّة في الأرض يضيق فمها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء، وقال يصف فرسه وقد أجراه فى حلبة « تَسْبَح أخراه ويطفو أوله » قال الأصمعى أخطأ فى هذا لأنه اذا سبح أخراه كان حمار الكساح أسرع منه وانما يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه، وخير عَدْو الذكور أن تشرف وخير عدو الاناث أن تنبسط وتصغى كعدو الذئب

قال أبو النجم لما كبرت عرض لي البول فوضعت عند رجلي شيئاً أبول فيه، فقمت من الليل أبول فخرج مني صوت، فتشددت ثم عدت فخرج مني صوت آخر، فأويت الى فراشي فقلت يا أم الخيار هل سمعت شيئاً؟ فقالت لا والله ولا واحدة منهما، وأم الخيار التي يعني بقوله

قد أصبحت أم الخيار (١) تدَّعى ... عليَّ ذنباً كله لم أصنع
من أن رأت رأسي كرأس الأصلع ... ميز عنه قُنْزُعاً عن قنزع (٢)
جذبُ الليالي أبطئي أو أسرعي ... قرنا أشيبه وقرنا فانزعي (٣)
أفناه قيل الله للشمس اطلُعي ... حتى اذا واراك أفق فارجعي
حتى بدا بعد السُّخام الأفرع (٤) ... يمشي كمشي الأهدأ المكنع (٥)
يا ابنة عما لا تلومي واهجعي ... لا يخرق اللوم حجاب مسمعي
ألم يكن يبيض ان لم يَصْلَعِ ... ان لم يصبني قبل ذاك مصرعي
أفناه ما أفنى اياداً فاربَعى ... وقوم عاد قبلهم وتُبَّع
لا تسمعيني منك لوماً واسمعي ... أيهات أيهات فلا تَطْلَعي

هي المقادير فلومي أو دعي

قال فتيان لأبي النجم هذا رُؤْبة بالمِرْبد يجلس فيسمع شعره وينشد الناس ويجتمع اليه فتيان من بني تميم فما يمنعك من ذلك؟ قال أو تحبون هذا؟ قالوا نعم، قال فأتوني بعُسّ من نبيذ فشربه ثم نهض وقال

اذا اصطبحت أربعاً عرفنني ... ثم تجشمت الذى جشمنني

---

(١) أم الخيار هي زوجته (٢) القنزع الشعر حوالى الرأس والخصلة من الشعر تنزل على رأس الصبي أو هي ما ارتفع من الشعر وطال (٣) القرن الخصلة من الشعر وانزعي من النزع وهو انحسار الشعر عن جانبي الجبهة من الرأس (٤) السخام اللبن والأفرع التام الشعر (٥) الأهدأ الأحدب والمكنع المنقبض الكف من الكبر

فلما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه وقال هذا رجّاز العرب وسألوه أن ينشدهم فأنشدهم « الحمد لله الوهوب المجزل » وكان اذا أنشد أزبد ووحش بثيابه (رمى بها) فلما فرغ منها قال رؤبة هذه أم الرجز ، ثم قال يا أبا النجم قد قربت مرعاها اذ جعلتها بين رجل وابنه ، يوهم عليه رؤبة أنه حيث قال

تبقلت من أول التبقل بين رماحي مالك ونهشل

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة ، فقال له أبو النجم هيهات ، الكمر تتشابه ، أى انى انما أريد مالك بن ضبيعة ، ونهشل قبيلة من ربيعة ، وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين يعني بني مالك ونهشل أن دماء كانت بين بني دارم وبني نهشل وحروباً فى بلادهم فتحامى جميعهم الرعى فيما بين فلج والصمان مخافة أن يُغَرُّوا بشىء حتى عفّى كلؤه وطال ، فذكر أن بني عجل جاءت لغزوها الى ذلك الموضع فرعته ولم تخف من هذين الحيين ففخر به أبو النجم

كان أبو النجم عند عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس عبد الملك تذب عنه ، فقال من صبّحني بقصيدة يفتخر فيها وصدق فى فخره فله هذه الجارية ، فقاموا على ذلك ، ثم قالوا ان أبا النجم يغلبنا بمقطعاته « يعنون الرجز » ، قال انى لا أقول الا قصيدة ، فقال من ليلته قصيدته التى فخر فيها وهى « علق الهوى بحبائل الشعثاء » ، ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء حتى اذا بلغ الى قوله

منا الذى رَبَعَ الجيوش لظهره عشرون وهو يُعَدُّ في الأحياء

فقال له عبد الملك قف ان كنت صدقت في هذا البيت فلا تريد ما وراءه ، فقال الفرزدق أنا أعرف من ولده ستة عشر ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربع ، فقال عبد الملك ولد ولده هم ولده ادفع اليه الجارية يا غلام ، فغلبهم يومئذ وقال

أنا أبو النجم وشعري شعري لله دَرِّي ما أجَنَّ صدري

من كلمات باقيات الخر تنام عيني وفؤادي يسري
مع العفاريت بأرض قفر

العديل العجلي

هو العُدَيل بن الفَرْخ العجلي من عِجْل بن لُجَيم ثم من بكر بن وائل شاعر فارس مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له ثمانية اخوة أمهم جميعاً امرأة من بني شيبان منهم ، وكان للعديل ابن عم يسمى عمرا فتزوج بنت عم لهم بغير أمرهم فغضبوا ورصدوه ليضربوه ، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغاً ، فوثب العديل واخوته فأخذوا سيوفهم ، فقالت أمهم انى أعوذ بالله من شركم ، فقال لها ابنها الاسود وأى شيء تخافين علينا ؟ فو الله لو حملنا بأسيافنا على هذا الحنو حنو قُراقر لما قاموا لنا ، فانطلقوا حتى لقوا عمراً فلما رآهم ذُعِرَ منهم وناشدهم ، فأبَوْا فحمل عليه سوادة ، فضرب عمراً ضربة بالسيف وضربه عمرو فقطع رجله ، فقال سوادة

ألا من يشتري رجلاً برجل تأنى للقيام فلا تقوم

وقال عمرو لدابغ اضرب وأنت حر ، فحمل دابغ فقتل منهم رجلاً وحمل عمرو فقتل آخر وتداولاهم فقتلا منهم أربعة وضرب العديل على رأسه ، ثم تفرقوا وهرب دابغ حتى أتى الشام ، فداوى ربضة بن النعمان الشيبانى للعديل ضربته ، ومكث مدة ، ثم خرج العديل بعد ذلك حاجاً فقيل له ان دابغاً قد جاء حاجاً وهو يرتحل فيأخذ طريق الشام وقد اكترى ، فجعل العديل عليه الرصد حتى اذا خرج دابغ ركب العديل راحلته وهو متلثم وانطلق يتبعه حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العديل ويقول

يا دار سلمى أقفرت من ذى قار وهل بأقفار الديار من عار

وقد كُسِين عرقاً مثل القار يخرجن من تحت خلال الأوبار

فلحقه العديل فحبس عليه بعيره وهو لا يعرفه ويسير رُوَيدا ودابغ يمشى رويدا ، وتقدمت إبله فذهبت ، وانما يريد أن يباعده منها بوادي حُنَين ، ثم قال العديل والله لقد استرخى حقَب رحلى ، أنزل فأغير الرحل وتعينني ، فنزل فغير الرحل وجعل دابغ يعينه ، حتى اذا شد الرحل أخرج العديل السيف فضربه حتى برد ثم ركب راحلته فنجا وأنشأ يقول

ألم ترنى جللت بالسيف دابغا وان كان ثاراً لم يصبه غليلى
بوادى حنين ليلة البدر رُعتُه بأبيض من ماء الحديد صقيل
وقلت لهم هذا الطريقَ أمامكم ولم أك إذ صاروا لهم بدليل

فاستعدى مولى دابغ عليه الحجاج فهرب الى بلد الروم فلما صار الى بلد الروم لجأ الى قيصر فأمنه ، فقال فى الحجاج

أخوف بالحجاج حتى كأنما يحرك عظم فى الفؤاد مهيض
ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات عريض
مهامهُ أشباه كأن سَرابها مُلاء بأيدى الراحضين رحيض

فكتب الحجاج الى قيصر يطلبه منه فأرسله اليه فلما أدخل عليه قال أأنت القائل « ودون يد الحجاج من أن تنالنى » فكيف رأيت الله أمكن منك ؟ قال بل أنا القائل أيها الأمير

فلو كنت فى سلمى أجا وشِعابها لكان لحجاج علىَّ سبيل

فخلى سبيله وتحمل دية دابغ فى ماله

خرج يزيد الحجاج فلما صار ببابه حجبه الحاجب فوثب عليه العديل وقال انه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر مني ولا أولى بهذا الباب

فنازعه الحاجب الكلام فأحفظه وانصرف العديل عن باب الحجاج الى يزيد بن المهلب فلما دخل عليه أنشأ يقول

لئن أرتج الحجاج بالبخل بابه ... فباب الفتى الأزدى بالعرف يفتح
فتى لا يبالي الدهر ما قل ماله ... اذا جعلت أيدي المكارم تسنح
يداه يد بالعرف تُنهِب ما حوت ... وأخرى على الاعداء تسطو وتجرح
اذا ما أتاه المُرمِلون تيقنوا ... بأن الغنى فيهم وشيكا سيسرح
أقام على العافين حراس بابه ... ينادونهم والحر بالحر يفرح
هلموا الى سيب الأمير وعرفه ... فان عطاياه على الناس تنفح
وليس كعلج من ثمود بكفه ... من الجود والمعروف حزم مطرح

فقال له يزيد عرضت بنا وخاطرت بدمك ، وبالله لا يصل اليك وأنت فى حيزي فأمر له بخمسين ألف درهم وأمر له بأفراس وقال له الحق بعلياء نجد حذر أن تعلقك حبائل الحجاج أو تحتجنك محاجته وابعث اليَّ فى كل عام فلك عليَّ مثل هذا

قال ابو عمرو الشيبانى لما ألحّ الحجاج فى طلب العديل لفظته الارض ونبا به كل مكان هرب اليه ، فأتى بكر بن وائل وهم يومئذ بادون فشكا اليهم أمره وقال لهم أنا مقتول أفتسلمونني هكذا وأنتم أعز العرب ؟ قالوا لا والله ولكن الحجاج لا يراغم ونحن نستوهبك منه فان أجابنا فقد كفيت وان حادّنا فى أمرك منعناك وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا ، فأقام فيهم ، واجتمعت وجوه بكر بن وائل الى الحجاج فقالوا له أيها الامير انا قد جنينا جميعاً عليك جناية لا يغتفر مثلها وها نحن قد استسلمنا وألقينا بأيدينا اليك ، فاما وهبت فأهل ذلك أنت واما عاقبت فكنت المسلط المالك العادل ، فتبسم وقال قد عفوت عن كل جُرْم إلا جرم القاسق العديل ، فقاموا على أرجلهم فقالوا مثلك أيها الأمير لا يستثنى على أهل

طاعته وأوليائه فى شىء فان رأيت ألا تكدر منتك باستثناء وان تهب العديل فى أول من تهب ، قال قد فعلت فهاتوه قبحه الله ، فأتوه به ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول

فلو كنت فى سلمى أجا وشعابها ... لكان لحجاج على سبيل
بنى قبة الاسلام حتى كأنما ... هدى الناس من بعد الضلال رسول
اذا جار حكم الناس ألجأ حكمه ... الى الله قاض بالكتاب عقول
خليل أمير المؤمنين وسيفه ... لكل امام صاحب وخليل
به نصر الله الخليفة منهم ... وثبت ملكا كاد عنه يزول
فأنت كسيف الله فى الارض خالد ... تصول بعون الله حين تصول
وجازيت أصحاب البلاء بلاءهم ... فما منهم عما تحب نكول
وصلت بمرّاق العراق فأصبحت ... منا كبها للوطء وهى ذلول
أذقت الحمام ابنى عباد فأصبحوا ... بمنزل موهون الجناح ثكول
ومن قطرى نلت ذاك وحوله ... كتائب من رجالة وخيول
اذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتى ... أتت خير منزول به ونزيل
وما خفت شيئاً غير ربى وحده ... اذا ما انتحيت النفس كيف أقول
ترى الثقلين الجن والانس أصبحا ... على طاعة الحجاج حين يصول

وقال له

ها أنا ذا ضاقت بى الأرض كلها ... اليك وقد جوّلت كل مكان
فلو كنت فى نهلان أو شعبتى أجا ... لخلتك إلا أن تصدّ ترانى

فقال له الحجاج أولى لك ، قد نجوت ، وفرض له وأعطاه عطاءه ، فقال يمدح قبائل وائل ويذكر دفعها عنه ويفتخر بها

صرم الغوانى واستراح عواذلي ... وصحوت بعد صبابة وتمايل
وذكرت يوم لِوَى عتيق نسوة ... يخطِرنَ بين أكِلّة ومراجل
لعب النعيم بهن فى أظلاله ... حتى لبسن زمان عيش غافل
يأخذن زينتهن أحسن ما ترى ... واذا عَطِلْن فهن غير عواطل
واذا جنأن خدودهن أرينا ... حَدَق المَها وأخذن سهم القاتل
ورمينني لا يستترن بجُنَّة ... الا الصبا وعلمن أين مقاتلى
يلبَسن أَرْدية الشباب لأهلها ... ويجر باطلهن حبل الباطل
بيض الأنوق بكسرهن ومن يرد ... بيض الأنوق فوكرها بمعاقل
زعم الغوانى أن جهلك قد صحا ... وسواد رأسك فضل شيب شامل
ورآك أهلك منهمُ ورأيتهم ... ولقد تكون مع الشباب الخاذل
واذا تطاولت الجبال رأيتنا ... بفروع أَرْعَن فوقها متطاول
واذا سألت ابني نزار بَيْنَنا ... مجدي ومنزلتى من ابني وائل
حَدِبت بنو بكر عليَّ وفيهمُ ... لهم المكارم والعديد الكامل
خطروا ورأَى بالقنا وتجمعت ... منهم قبائل أُردفوا بقبائل
ان الفوارس من لُجَيم لم تزل ... فيهم مهابة كل أبيض ناعل
متعمم بالتاج يسجد حوله ... من آل هَوْذة للمكارم حامل
أو رهط حنظلة الذين رماحهم ... سم الفوارس حتف موت عاجل
قوم اذا شهروا السيوف رأَوْا لها ... حقاً ولم يك سَلُّها للباطل
ولئن فخرت بهم لمثل قديمهم ... بَسَط المفاخر للسان القائل
أولاد ثعلبة الذين لمثلهم ... حلم الحليم ورد جهل الجاهل
ولمجد يَشْكُرَ سورة عادية ... وأب اذا ذكروه ليس بخامل
وبنو الفزار اذا أعدت صنيعهم ... وضح القديم لهم بكل محافل

واذا فخرت بتغلب ابنة وائل فاذكر مكارم من ندى وأوائل
وتغلب الغلبـــاء عز بين عادية ويزيد فوق الكاهل
تسطو على النعمان وابن محرّق وابني قطام بعزة وتناول
بالمقربات يبتن حول رحالهم كالقد بعد أجلة وصواهل
أولاد أعوج والصريح كأنها عقبان يوم دجنّة وتخايل
قوم هم قتلوا ابن هند عنوة وقنا الرماح تذود ورد الناهل
منهم أبو حنش وكان بكفه رى السنان ورى صدر العامل
ومهلهل الشعراء ان فخروا به وندى كليب عند فضل النائل
حجب المنية دون واحد أمه من أن تبيت وصدرها ببلابل
وأبى مجالسة الشباب فلم يكن يستبّ مجلسه وحق النازل
حتى أجار على الملوك فلم يدَعْ حرباً ولا صعَرا لرأس مائل
فى كل حى للهذيل ورهطه نعم وأخذ كريمة بتناول
بيض كرائم ردهن لعنوة أسل القنا وأخذن غير أرامل
أبناؤهن من الهذيل ورهطه مثل الملوك وعشن غير عوامل

قال العديل لرجل من موالى الحجاج وكان وجهه فى جيش الى بني عجل يطلب العديل حين هرب منه فلم يقدر عليه ، فاستاق ابله وأحرق بيته وسلب امرأته وبناته وأخذ حليهن ، فدخل العديل يوماً على الحجاج ومولاه هذا بين يديه واقف فعلق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول

سلبت بناتي حليهن فلم تدَعْ سِواراً ولا طوقاً على النحر مُذْهبا
وما عزّ فى الآذان حتى كأنما تعطل بالبيض الأوانس رَبْرَبا

عواطل الا أن ترى بخدودها قسامة عتق أو بناناً مخضبا
فككت البرين عن خدال كأنها براديٌ غيل ماؤه قد تنضبا
من الدر والياقوت عن كل حرة ترى سمطها بين الجمان مثقبا
دعون أمير المؤمنين فلم يجب دعاء ولم يسمعن أماً ولا أبا

حمل زياد الى معاوية مالاً من البصرة ، ففزعت تميم والأزد وربيعة الى مالك بن مسمع وكانت ربيعة مجتمعة عليه كاجتماعها على كليب فى حياته ، واستغاثوا به وقالوا يحمل المال ونبقى بلا عطاء ، فركب مالك فى ربيعة واجتمع الناس اليه فلحق بالمال فرده وضرب فسطاطاً بالمربد وأنفق المال في الناس حتى وفاهم عطاءهم ثم قال ان شئتم الآن فاحملوا ، فما راجعه زياد فى ذلك بحرف ، فلما ولي حمزة بن عبدالله بن الزبير البصرة جمع ما لا يحمله الى أبيه فاجتمع الناس الى مالك واستغاثوا به ففعل مثل فعله بزياد ، فقال العديل في ذلك قصيدته التى أولها

أمن منزل من أم سكن عشية ظلمت بها أبكي حزيناً مفكرا
معى كل مسترخى الازار كأنه اذا ما مشى من جن غيل وعبقرا
منيخى المطايا لا يبالي كلاهما مقلصة[1] خوصاً من الأين ضمرا

يقول فيها

اذا ما خشينا من أمير ظلامة دعونا أبا غسان يوماً فعسكرا
ترى الناس أفواجاً الى باب داره اذا شاء جاؤا دارعين وحسرا

لما قدم الحجاج العراق قال العديل

دعوا الجبن يا أهل العراق فانما يهان ويسبى كل من لا يقاتل
لقد جرد الحجاج للحق سيفه ألا فاستقيموا لا يميلنّ مائل
وخافوه حتى القوم يبن ضلوعهم كنزو القطا ضمت عليه الحبائل

(١) فرس مقلص مشرف مشمر طويل القوائم والأين الاعياء

وأصبح كالبازى يقلب طرفه على مَرْقَب والطير منه رواحل

فقال الحجاج وقد بلغته لأصحابه ما تقولون ؟ قالوا انه مدحك ، فقال كلا ولكنه حرض عليّ أهل العراق وأمر بطلبه فهرب ،

ومن قوله يمدح حوشب بن يزيد الشيبانى وعكرمة بن ربعى

وعكرمة الفياض فينا وحَوْشَب هما فتيا الناس اللذا لم يغمرا

هما فتيا الناس اللذا لم ينلهما رئيس ولا الأقيال من آل حميرا

قال الأصمعى دخلت على الرشيد يوماً وهو محموم فقال أنشدنى يا أصمعى شعراً مليحاً ، فقلت أرَصينا فحلاً يريده أمير المؤمنين أم شجياً سهلا ؟ فقال بل غزلاً بين الفحل والسهل ، فأنشدته للعديل

صحا عن طِلاب البيض قبل مشيبه وراجع غضّ الطرف فهو خفيض

كأنى لم أرع الصبا ويروقنى من الحى أحوى المقلتين غضيض

دعانى له يوماً هوًى فأجابه فؤاد اذا يلقى المراض مريض

لمستأنسات بالحديث كأنه تهلل غُرّ برقهن وميض

فقال لي أعدها ، فما زلت أكررها عليه حتى حفظها

قال علي بن شفيع لقيت الفرزدق منصرفه عن بكر بن وائل فقلت له يا أبا فراس من شاعرُ بكر بن وائل ممن خلفته خلفك ؟ قال أميم بني عجل ، يعني العديل ، على أنه ضائع الشعر سروق للبيوت

قدم العديل البصرة ومدح مالك بن مسمع فوصله فأقام بالبصرة واستطابها وكان مقيماً عند مالك ، فلم يزل بها الى أن مات ، وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه

وما ولدت مثل العديل حليلة قديماً ولا مستحدثات الحلائل

وما زال مذ شدت يداه ازاره به تفتح الأبواب بكر بن وائل

حمزة بن بيض الحنفي

شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية كوفي خليع ماجن من فحول طبقته، وكان منقطعاً الى المهلب بن أبي صفرة وولده، ثم الى أبان بن الوليد و بلال بن أبي بُرْدة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً ولم يدرك الدولة العباسية

قدم على مخلد بن يزيد المهلب وعنده الكُمَيْت فأنشده قوله فيه

أتيناك فى حاجة فاقضها ... وقل مَرْحَباً يجب المرحب
ولا تُتْكِلَنَّا الى معشر ... متى يَعِدُوا عِدَة يكذبوا
فانك فى الفرع من أُسْرَة ... لهم خَضَعَ الشرق والمغرب
وفى أدب منهم ما نشأت ... ونعم لعمرك ما أدبوا
بلغت لعشر مضت من سنيـ ... ـك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمور ... وهم لِداتك أن يلعبوا
وجُدْتَ فقلت الا سائل ... فيعطَى ولا راغب يرغب

فأمر له بمائة الف درهم، فحسده الكميت فقال يا حمزة أنت كمن يُهْدى التمر الى هَجَر، فقال نعم ولكن تمرنا أطيب من تمر هَجَر

كان لحمزة صديق من عمال ابن هبيرة، فاستودع رجلاً ناسكاً ثلاثين الف درهم، واستودع مثلها رجلاً نبيذياً، فأما الناسك فبنى داره وتزوج النساء وأنفقها وجحدها، وأما النبيذيّ فأدى الأمانة فقال حمزة فيهما

ألا لا يغرنك ذو سجدة ... يَظَلُّ بها دائباً يخدع
كأن بجبهته جلبة ... يُسَبِّحُ طوراً ويسترجع
وما للتقى لزمت وجهه ... ولكن ليغتَرَّ مستودع

فلا تنفرنّ من آهل النبيذ وان قيل يشرب لا يُقلع
فعندك علم بما قد خبر ت ان كان علم بها ينفع
ثلاثون الفاً حواها السجود فليست الى أهلها ترجع
بنى الدار من غير ما ماله يقاتون أرزاقهم جوع
وأدي أبو العكاس ماعنده وما كنت فى ردها أطمع

دخل حمزة على يزيد بن المهلب السجن فأنشده

اغلقَ دون السماحة والجود والنجدة بابٌ حديدهُ أشبُ[1]
ابن ثلاث وأربعين مضت لا ضَرِع واهن ولا نكب
لا بَطِر ان تتابعت نعم وصابر فى البلاء محتسب
برَّزت سبق الجواد فى مَهَل وقصرت دون سعيك العرب

فقال والله يا حمزة لقد أسأت نوهت باسمى فى غير وقت تنويه ولا منزل لك ، ثم رفع مقعداً تحته ، فرمى اليه بخرقة مصرورة وعليه صاحب خبر واقف ، فقال خذ هذا الدينار والله ما أملك ذهباً غيره ، فأخذه حمزة وأراد أن يرده ، فقال له سراً خذه ولا تخدع عنه ، قل حمزة فلما قال لي لا تخدع عنه قلت والله ما هذا بدينار ، فقال له صاحب الخبر ما أعطاك يزيد ؟ قلت أعطانى ديناراً فأردت أن أرده فانتهيت ، فلما صرت الى منزلي حللت الصرة فاذا فيها فص ياقوت أحمر كأنه سقط زند ، فقلت والله لئن عرضت هذا بالعراق ليعلمن أنى أخذته من يزيد فيؤخذ مني ، فخرجت به الى خُراسان فبعته على رجل يهودي بثلاثين الفاً ، فلما قبضت المال وصار الفص فى يده قال والله لو أبيت الاخمسين الف درهم لأخذته ، فكأنما قذف في قلبي جمرة ، فلما رأى تغير وجهى قال انى رجل تاجر ولست

(١) ملتف

أشك أني قد غممتك ، قلت بلى والله قتلتني ، فأخرج إليَّ مائة دينار وقال انفق هذه في طريقك لتتوفر عليك تلك

قدم حمزة على يزيد وهو عند سليمان بن عبد الملك فأدخله عليه ، فأنشده قوله

ساس الخلافة والداك كلاهما ... من بين سُخطة ساخط أو طائع
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً ... وعلى جبينك نور ملك الرابع
سَرَّيت خوف بني المهلب بعد ما ... نظروا اليك بسم صوت ناقع
ليس الذى ولاك ربك منهم ... عند الاله وعندهم بالضائع

ومن قوله

تقول لي والعيون هاجعة ... أقِم علينا يوْماً فلم اقِم
أيَّ الوجوه انتجعت قلت لها ... لأى وجه الا الى الحكم
متى يقل حاجبا سرادقه ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم
قد كنت أسلمت فيك مقتبلا ... هات ادخلن ذا وأعطنى سَلَمى

دخل على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ثم شغل عنه فاختلف عليه مراراً ثم لم يصل اليه وأبطأت عليه عدته فقال

أمَخْلَدُ ان الله ماشاء يصنع ... يجود فيعطي ما يشاء ويمنع
وانى قد أملت منك سحابة ... فجادت سَراباً فوق بَيْداء تلمع
فأجمعت صَرْماً ثم قلت لعله ... يثوب الى أمر جميع ويرجع
فأيأسنى من خير مخلد انه ... على كل حال ليس لى فيه مطمع
يجود لأقوام يَوَدُّون أنه ... من البغض والشَّنآن أمسى يقطع
ويبخل بالمعروف عمن يَوَدُّه ... فوالله ما أدرى به كيف أصنع
أأصرِمه فالصَّرم شر مَغَبَّةً ... وتفسى اليه بالوصال تطلع

وشتان بيني والوصال وبينه ... على كل حال أستقيم ويظلع
وقد كان دهراً واصلاً لي بوده ... ومعروفه يعدو يزيد المفزع
وأعقبني صرماً على غير إحنة ... وبخلاً وقدماً كان لي يتبرع
وغيره ما غير الناس قبله ... فنفسي بما يأتي به ليس تقنع

فأمر له بخمسة آلاف دينار وخمسة أثواب ثم قال

وأبيض بهلول اذا جئت داره ... كفاني وأعطاني الذى جئت أسأل
ويعتبني يوماً اذا كنت عاتباً ... وان قلت زدني قال حقاً سأفعل
تراه اذا ما جئته تطلب الندى ... كأنك تعطيه الذى جئت تسأل
فلله أبناء المهلب فتية ... اذا لقحت حرب عوان تأكلوا
هم يصطلون الحرب والموت كانع ... بسمر القنا والمشرفية عسل
ترى الموت تحت الخافقات أمامهم ... اذا وردوا علو الرماح وأنهلوا
يجودون حتى يحسب الناس أنهم ... لجودهم نذر عليهم يحلل
غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم ... سهام لأقوام صحاة وثمل
كفاك من أبناء المهلب أنهم ... اذا سئلوا المعروف لم يتسعلوا
فذلك ميراث المهلب انه ... كريم نماه للمكارم أول
جرى وجرت آباؤه فتمجدوا ... من أقدم فى عيظاء لا يتوقل

فلما أنشده هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، وقال نزيدك ما زدتنا ونضعف فقال

أمخلد لم تترك لنفسي بقية ... وزدت على ما كنت أرجو وآمل
فكنت كما قد قال معن فانه ... بصير كما قد قال اذ يتمثل
وجدت كثير المال اذ ضن معدماً ... يذم ويلحاه الصديق المؤمل

وان أحق الناس بالجود من رأى ... أباه جواداً للمكارم يُجْزِل
يموت الذي قد كان قَدَّم والد ... أغرُّ اذا ما جئتـــه يتهلل
وجدتَ يزيد والمهلب بَرَّزا ... فقلتَ فانى مثلَ ذلك أفعل
ففزت كما فازا وجاوزت غاية ... يقصر عنها السابق المتمهل
فأنت غياث لليتامى وعصمة ... اليك رجه الطالبى الخير يرحل
أصاب الذى رَجَّى نداك مخيلة ... تَصُبُّ عزاليها عليك وتَهْطِل
ولم تُلْفَ اذ رجَّوْا نوالك باخلاً ... يَظَلُّ على المعروف والمال يعقل
وموت الفتى خير له من حياته ... اذا كان ذا مال يضن ويبخل

فأعطاه الفى دينار وجارية وبرذونا

قدم حمزة البصرة زائرا لبلال بن أبى بردة فطال مقامه عنده فاشتاق الى أهله وولده فكتب الى بلال

كَلَّتْ رحالي وأعواني وأحراسي ... الى الأمير وادلاجى وأمراسى
الى امرىء مُشْبَع مجداً ومكْرُمة ... عاديَّةً فهو حالٍ منهما كاسى
فلست منك ولا مما منيت به ... من فضل ودك كالمَدْهِيّ فى الراس
إنى وإياك والاخوان كلهم ... فى العسر واليسر لو قيسوا بمقياس
وذاك مما ينوب الدهر من حدث ... كالحبل فى المثل المضروب والآسى
يبيد هـذا فيَبْلَى بعد جِدَّته ... غَضًّا وغابره رهن بايناس
وأنت لي دائم باقٍ بشاشتُه ... يهتز لاعوده عسر ولا عاسي[1]

فعجل له بلال صلته وسرحه الى الكوفة

مَرَّ عبد الرحمن بن عَنْبَسَة فاذا بغلام أصبح الغلمان وأحسنهم ، ولم يكن لعبد الرحمن ولد ، فسأل عنه فقيل له يتيم من أهل الشام قدم أبوه العراق فى بعث

(١) عسى النبات من باب فرح غلظ وصلب

فقتل وبقي الغلام ههنا ، فضمه اليه وتبناه ، فوقع الغلام فيما شاء من الدنيا ، فمر يوماً على برذَوْن ومعه خدم على ابن بيض وحول ابن بيض عياله في يوم شات وهم شُعْث غُبْر ، فقال ابن بيض من هذا ؟ فقيل صدقة يتيم ابن عنبسة ، فقال

يشْعَث صبياننا وما يتموا ... وأنت صافى الأديم والحدقة
فليت صبيانا اذا يتموا ... يلقَوْن ما لقيت يا صدقة
عوضك الله من أبيك ومن ... أُمك فى الشام والعراق مقة
كفاك عبد الرحمن همهما ... فأنت فى كسوة وفى نفقة
تظل فى دَرْمَك[1] وفاكهة ... ولحم طير ما شئت أو مرقة
تأوى الى حاضن وحاضنة ... زادا على والديك فى الشفقة
فكل هنيئاً ما عاش ثم اذا ... مات فلَغْ فى الدماء والسرقة
وخالف المسلمين قبلتهم ... وضِلَّ عنهم وخادن الفسقة
واسبِ بهذا التَّليد ذا خُصَل ... لصوته فى الصهيل صَهْصَلقة[2]
فاقطع عليه الطريق تلق غدا ... ربَّ دنانيرَ جَمَّة ورِقَة

فلما مات عبد الرحمن أصابه ما قال ابن بيض أجمع من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص له ، فكان آخر ذلك انه قطع الطريق فأخذ وصلب ،

خرج ابن بيض يريد سفراً فاضطره الليل الى قرية عامرة كثيرة الأهل والمواشي من الشاء والبقر كثيرة الزرع فلم يصنعوا به خيراً ، فغدا عليهم فقال

لعمر الإله قُرَيّة يممتها ... فأضافنى ليلاً اليها المغرب
الزارعين وليس لي زرع بها ... والحالبين وليس لي ما أحلب
فلعل ذاك الزرع يؤذى أهله ... ولعل ذاك الشاء يوماً يَجْرَب
ولعل طاعوناً يصيب علوجها ... ويصيب ساكنها الزمانُ فتخرب

(١) الدرمك دقيق الحوارى (٢) شده

فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون فأباد أهلها وخربت ، فمر بها ابن بيض فقال كلا زعمتم انى لم أُعْطَ أُمْنِيَّتى ، قالوا وأبيك لقد أعطيتها فلو كنت تمنيت الجنة الحسنة كان خيراً لك ، قال أنا أعلم بنفسى لا أتمنى ما لست له بأهل ولكن أرجو رحمة ربى عز وجل ،

اختصم أبو الجون السُّحيمى وحمزة بن بيض الى المهاجر بن عبد الله الكلابى وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة فأنشأ يقول

غَمَّضتُ فى حاجة كانت تؤرقنى ... لولا الذى قلت فيها قبل تغميضى

قال وما قلت لك ؟ قال

حلفتَ بالله لي أنْ سوف تُنْصفنى ... فساغ فى الحلق ريقى بعد تحريضى

قال وأنا أحلف لأنصفنك ، قال

سل هؤلاء عن أولى ما شهادتهم ... أم كيف أنت وأصحاب المعاريض

قال أوجعهم ضرباً ، فقال

وسل سحيما اذا وافاك جمعهمُ ... هل كان بالشرخوفي قبل تحريضى

فقضى له ، فأنشأ السحيمى يقول

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره ... حقاً يقيناً ولكن مَنْ أبو بيض

ان كنت أنبضت[1] لي قوساً لترميني ... فقد رميتك رمياً غير تنبيض

أوكنت خضخضت لي وَطْباً لتسقيني ... فقد سقيتك مخضاً غير ممخوض

فوجم حمزة وقطع به ، فقيل له ويلك ما لا تجيبه ، قال وبم أجيبه ؟ والله لو قلت عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما نفعنى ذلك بعد قوله « ولكن من أبو بيض »

حج ابن بيض فقال له ابن عم له احْجُج بى معك ، فأخرجه معه فحَوْقل[2] عليه بعد نشاطه ، فقال ابن بيض فيه

(١) انبض القوس جذب وترها لتصوت (٢) حوقل مشي فأعيا وضعف

وذى سنّة لم يدر ما السير قبلها ... ولم يعتسف خرقاً[1] من الأرض مجهلا
ولم يدر ما حلّ الجبال وعقدها ... اذا البرد لم يترك لكفيه معملا
ولم يقرَ مأجوراً ولا حج حجة ... فيضرب سهماً أو يصاحب أكتلا[2]
عدونا به كالبغل ينفض رأسه ... نشاطاً ثناه الحر حتى تقيلا[3]
ترى المحمل المحشوفاه عرامة ... ويأبى اذا أمسى من الشر مقبلا
وان قلت ليلا أين أنت لحاجة ... أجاب بأن لبّيك عشراً وأقبلا
يسوق مطيّ القوم طرّاً وتارة ... يقود وان شئنا جرى ثم حلحلا[4]
فأجلته خمساً وقلت له انتظر ... رويداً وأجلنا المطى ليذبلا
فلما صدرنا عن زُبالة وارتمت ... بنا العيس فيها منقلا ثم منقلا
ترامت به المرماة حتى كأنما ... يشف بمعسول الحديدة حنظلا
وأحنى بنا عن مزود القوم ضرسه ... وعاد من الجهد الثريدَ المذبلا
وحتى لو ان الليث ليث خفيّة ... يحاوله عن نفسه ما تحلحلا
وحتى لو ان الله أعطاه سؤله ... وقال له ما تشتهى قال محملا
فقلت له لما رأيت الذى به ... وقد خفت أن يمضى لدينا ويُهزَلا
أطعنى وكل شيئاً فقال معذّرا ... من الجهد أطعمنى تراباً وجندلا
فلَلموت خير منك جاراً وصاحبا ... فدعنى فلا لبيك ثم تحولا
وقال أقلني عثرتى وارع حرمتي ... وقد فر منى مرتين ليفعلا
فقلت له لا والذى أنا عبده ... أقيلك حتى يمسح الركن أولا

دخل يوماً على مخلد بن يزيد فقال

ليت المشارق والمغارب أصبحت ... تحيا وأنت أميرها وامامها

(١) الخرق الارض الواسعة تتخرق فيها الرياح (٢) أكتل لص من لصوص البادية
(٣) شرب الماء فى القائلة (٤) حلحل بالابل قال لها حل حل وهو زجر للناقة

فضحك وقال مه ، فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مُسهَّد ... فى ساعة ما كنت قبل أنامها

فقال ماذا يكون ؟ فقال

فرأيت أنك جدت لي بوصيفة ... موسومة حسنٍ عليَّ قيامها

قال قد فعلت ، فقال

وببَدْرة حملت اليّ وبغلة ... صفراء ناجيةٍ يَضِلّ لجامها

قال قد حقق الله رؤياك ثم أمر له بذلك كله ، قال ابن بيض وما علم الله أنى رأيت من ذلك شيئاً . ومما فيه غناء من شعره

أقفر بعد الأحبة البلد ... فهو كأن لم يكن به أحد

شجاك نُؤْى عفت معالمه ... وهامد فى العراص مُلْتَبَد

أُمك عَنْسيّة مهذبة ... كانت لها الأُمهات والنجد

تدعى زهيدية اذا انتسبت ... حيث تلاقى الأحساب والعدد

أعشى بنى أبى ربيعة

اسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب من بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان شاعر اسلامي من ساكنى الكوفة ، وكان مَرْوَانى المذهب شديد التعصب لبني أُمية

قدم على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك ما الذى بقى منك ؟ قال أنا الذى أقول

وما أنا فى أمرى ولا فى خصومتى ... بمهتضَم حقى ولا قارع سني

ولا مسلِم مولاى عند جناية ... ولا خائف مولاى من شر ما أجني

وان فؤادي بين جنبيَّ عالم بما أبصرت عيني وما سمعت أُذني
وفضلني في الشعر واللب أنني أقول على علم وأعرف من أعني
فأصبحت اذ فضلت مَرْوَان وابنه على الناس قد فضلت خير أبٍ وابن

فقال عبد الملك من يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة نخوت ثياب وعشر فرائض من الابل وأقطعه الف جريب وقال له امض الى زيد الكاتب يكتب لك بها وأجرى له على ثلاثين عيلاً ، فأتى زيداً ، فقال له ائتني غداً ، فجعل يردده فقال

يازيد يافداكَ كل كاتب في الناس بين حاضر وغائب
هل لك في حق عليك واجب في مثله يَرْغب كل راغب
وأنت عفٌّ طيب المكاسب مبرأ من عيب كل عائب
ولست ان كفيتني وصاحبي طول غدو ورواح دائب
وسُدَّة الباب وعُنْف الحاجب من نعمة أسديتها بخائب

فأبطأ عليه زيد ، فأتى سفيان بن الأبْرَد الكلبي ، فكلمه سفيان ، فأبطأ عليه ، فعاد الى سفيان فقال له

عُدْ اذ بدأت بحاجاتي فأنت لها ولا تكن من كلام الناس هيابا
واشفع شفاعة أنف لم يكن ذنباً فان من شفعاء الناس أذنابا

فأتى سفيان زيداً فلم يفارقه حتى قضى حاجته

دخل على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يَجِدّ ، فقال له يا أمير المؤمنين مالي أراك مُتلوِّماً ؟ يُنْهِضك الحزم ، ويقعدك العزم ، وتهمُّ بالاقدام ، وتجنح الى الاحجام ، أنفذ لبَصيرتك ، وأمض رأيك ، وتوجه الى عدوك ، فجدك مقبل ، وجده مدبر ، وأصحابه له ماقتون ، ونحن لك محبون ، وكلمتهم مفترقة ، وكلمتنا عليك مجتمعة ، والله ما تُؤتَى من ضعف جَنان ، ولا قلة

أعوان ، ولا يثبطك عنه ناصح ، ولا يحرضك عليه غاشٌّ ، وقد قلت في ذلك أبياتاً ، فقال هاتها فانك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح ، فقال

آل الزبير من الخلافة كالتي ... عجل النتاج بحملها فأحالها
أو كالضعاف من الحمولة حُمِّلت ... ما لا تطيق فضيعت أحمالها
قوموا اليهم لا تناموا عنهمُ ... كم للغواة أطلتمُ إمهالها
ان الخلافة فيكمُ لا فيهمُ ... ما زلتمُ أركانها وعمالها
أمسوا على الخيرات قفلاً مغلقاً ... فانهض بيمنكَ فافتتح أقفالها

فضحك عبد الملك وقال صدقت يا أبا عبد الله ان أبا خُبَيْب لقفل دون كل خير ، ولا نتأخر عن مناجزته ان شاء الله ، ونستعين الله عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل

بلغ الحجاج أن أعشى بني أبي ربيعة رثى عبد الله بن الجارود ، فغضب عليه ، فقال يعتذر اليه

أبيت كأني من حذار ابن يوسف ... طريد دم ضاقت عليه المسالك
ولو غير حجاج أراد ظلامتي ... حميتني من الضيم السيوف الفواتك
وفتيان صدق من ربيعة قصرة ... اذا اختلفت يوم اللقاء النيازك
يحامون عن أحسابهم بسيوفهم ... وأرماحهم واليوم أسود حالك

دخل على عبد الملك فأنشده

رأيتك أمس خير بني معدّ ... وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غداً تزيد الضعف ضعفاً ... كذاك تزيد سادة عبد شمس

أتى أسماء بن خارجة فامتدحه فأعطاه وكساه فقال

لأسماء بن خارجة بن حصن ... على عِبْء النوائب والغرامة
أقل تعللاً يوماً وبخلاً ... على السؤال من كعب بن مامة

ومصقلة الذي يتباع بيعاً ربيحاً فوق ناجية بن سامة

جعل ناجية رجلاً وهي امرأه لضرورة الشعر

دخل على سليمان بن عبد الملك وهو ولي عهد فقال

أتينا سليمان الأمير نزوره وكان امرأً يحيا ويكرم زائره

اذا كنت في النجوى به متفرداً فلا الجود مخليه ولا البخل حاضره

فلا شافعي سؤاله من ضميره عن البخل ناهيه وبالجود آمره

كان الحجاج قد جفا الأعشى واطرحه لخالة كانت عند بشر بن مروان ، فلما فرغ الحجاج من حرب الجماجم ذكر فتنة ابن الأشعث وجعل يوبخ أهل العراق ويؤنبهم ، فقال من حضر من أهل البصرة ان الريب والفتنة بدآ من أهل الكوفة وهم أول من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية ، فقال أهل الكوفة لا بل أهل البصرة أول من أظهر المعصية مع جرير بن همبان السدوسي اذ جاء من الهند ، وأكثروا من ذلك ، فقام الأعشي فقال أصلح الله الأمير لا براء من ذنب ولا ادعاء على الله في عصمة لأحد من المصرين ، قد والله اجتهدوا جميعاً في قتالك فأبى الله الا نصرك ، وذلك أنهم جزعوا وصبرت ، وكفروا وشكرت ، وغفرت اذ قدرت فوسعهم عفو الله وعفوك فنجوا فلولا ذلك لبادوا وهلكوا ، فسر الحجاج بكلامه ، وقال له جميلاً ، وقال تهيأ للوفادة الى أمير المؤمنين حتى يسمع هذا منك كفاحاً

نابغة بني شيبان

هو عبدالله بن المخارق بن سليم من شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر

شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية ، وكان يفد الى الشام الى خلفاء بني

أمية فيمدحهم ويجزلون عطاءه ، وكان فيما أرى نصرانياً لأنى وجدته في شعره يحلف بالانجيل وبالرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصارى ، « يقول مهذب الأغانى رأيت بخط شيخنا محمد محمود بن التلاميد الشنقيطى على أول ورقة من ديوانه هذا ديوان نابغة بنى شيبان رحمه الله تعالى ورضى عنه » ، ومدح عبد الملك ابن مروان ومن بعده من ولده ، وله فى الوليد مدائح كثيرة

لما همّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتولية الوليد ابنه العهد وكان نابغة بني شيبان منقطعاً الى عبد الملك مداحاً له فدخل اليه فى يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه ، فمثل بين يديه وأنشده قوله

أشتقت وانهلّ دمعك أن أضحى قفاراً من أهله طَلَحُ

حتى انتهى الى قوله

أزحت عنا آل الزبير ولو كانوا هم المالكين ما صلَحوا
ان تلق بلْوَى فأنت مصطبر وان تلاق النعمى فلا فَرِح
ترعى بعيني اقنى على شرف لم يؤذه عائر ولا لَحَح (١)
آل أبى العاص آل مأثُرة غُرّ عتاق باخير قد نفحوا
خير قريش وهم أفاضلها فى الجد جد وان همُ مزحوا
أرْحَبها أذرعاً وأصبرها صبراً اذا القوم فى الوغى كلَحوا (٢)
أما قريش فأنت وارثها تكُف من غرْبهم اذا طَمَحوا
حفظت ما ضيعوا وزَندهمُ أوْرَيت ان أصْلَدوا وقد قدحوا
آليت جُهداً وصادق قسمى برب عبد تجنّه الكُرح (٣)
فهو يتلو الانجيل يدرسه من خشية الله قلبه قفِح (٤)

(١) اللحح فى العين التزاقها من وجع او رمص (٢) تبس فأفرط فى تعبسه
(٣) أراد الاكيراح وهى بيوت ومواضع تخرج اليها النصارى فى بعض أعيادهم (٤) وجع

لَابنك أولى بملك والده ونجم من قد عصاك مُطّرح
داود عدلٌ فاحكم بسنته وآل مروان كانوا الله قد نصحوا
فهم خيار فاعمل بسنتهم واحْنُ بخير وا كدح كما كدحوا

فتبسم عبد الملك ولم يتكلم فى ذلك باقدار ولا دفع فعلم الناس ان رأيه خلع عبد العزيز وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز فقال لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلاً ضيقاً فأوردها مورداً خطراً وبالله علىّ لئن ظفرت به لأخضبن قدمه بدمه

لما قتل يزيد بن المهلب دخل النابغة على يزيد بن عبد الملك فأنشده

ألا طال التنظر والثواء وجاء الصيف وانكشف الغطاء
وليس يقيم ذو شَجَن مقيم ولا يمضى اذا ابتغى المضاء
طوالَ الدهر الا فى كتاب لمقدار يوافقه القضاء
ولا يعطى الحريص غنى لحرص وقد يَنْمِى لذى الجود الثَّراء
وكل شديدة نزلت بحى سيتبعها اذا انتهت الرخاء

يقول فيها

أؤم فتى من الأعياص ملكا أغرّ كأن غرته ضياء
لأسمعه غريب الشعر مدحا وأثنى حيث يتصل الثناء
يزيد الخير فهو يزيد خيرا وينمى كلما ابتغى النماء
فضضت كتائب الأزدى فضا بكبشك حين لقّمها اللقاء
سمكت الملك مقتبلا جديدا كما سمكت على الأرض السماء
نرجى أن تدوم لنا اماما وفى ملك الوليد لنا رجاء
هشام والوليد وكل نفس تريد لك الفناء لك الفداء

ومن قوله

خَلِ قلبي من سليمى نبلُها ... اذ رمتني بسهام لم تَطِش
طَفْلة الأعطاف رُؤْد[1] دُمْية ... وشَواها بَخْتَرِيّ لم يحش
وكأن الدر في أخراصها[2] ... بيضُ كَحْلاء أقرّته بعُش
ولها عينا مَهاة في مَهَى ... ترتعي نبت خُزامى وتَنَش[3]
حرة الوجه رخيم صوتها ... رُطُب تَجْنيه كف المنتقش[4]
وهي من الليل اذا ما عونقت ... مُنْية البعل وهم المفترش
أيها الساقي سقتك مُزْنة ... من ربيع ذي أهاضيبَ وطَشّ
امدح الكأس ومن أعملها ... واهج قوماً قتلونا بالعطش
انما الكأس ربيع باكر ... فاذا ما غاب عنا لم نعش
وكأن الشرب قوم موّتوا ... من يقم منهم لأمر يرتعش
خُرُس الألسن مما صابهم ... بين مصدوع وصاح منتعش
من حُمَيّا قَرْقَف خُصِّيَّة[5] ... قهوة حولية لم تُمْتَحش
فهي صافٍ لونها مبيضة ... آل منها في خَوَابٍ لم تُغَش
ينفع المزكوم منها ريحُها ... ثم تشفي داءه ان لم تُنَش[6]
وتُرَخّي بال من يشربها ... ويُفَدّى كَرْمها عند التَّجَش[7]
وهي من يطعمها يَشْحَذُ لها ... ينفق الأموال فيها كل هش
وبنو شيبان حولي منهمُ ... حِلَق غُلْب وليست بالقَمَش[8]

---

(١) الرؤد الشابة الحسنة والشوى اليدان والرجلان والاطراف وقحف الرأس وصلدته وما كان غير مقتل من الاعضاء والبختري المتبختر في مشيته ولم يحش لم يدق (٢) الخرص بالضم وبكسر حلقة الذهب والفضة وكحلاء طائر نبه (٣) التنش نبت (٤) المنتقش الجاني (٥) الخصي حانوت الخمار وتمتحش لم تحرق يقول لم تصبها النار (٦) تنش من النشوة (٧) التجش من الجشأة (٨) القمش الزعانف

وردوا المجـد وكانوا أهله ... فرَوُوا والمجد عافٍ لم ينَشِ (١)
وترى الخيـل لدى أبياتهم ... كل جرداء وساجيّ هَمِش (٢)
ليس فى الألوان منها هُجْنَة ... بلَقى الغُرّ ولا عيب بَرَش (٣)
يتجاوبن صهيلاً فى الدجى ... أرِنات بين صَلْصال وجُش
فبها يَحْوُون أموال العِدَى ... ويصيدون عليها كل وحش
دَمِيت أكفالها من طعنهم ... بالرُّدَيْنيات والخيل النُّجُش
نُنْهِل الخَطِّيّ من أعدائنا ... ثم نفرى الهام ان لم نفترش (٤)
فاذا العيس من المَحْل غدت ... وهى فى أعينها مثل العمش
حُسَّر الأوبار مما لقيت ... من سحاب حاد عنها لم يُرِش
خُسَّفُ الأعين ترعى جُوفة ... همَدت أوبارها لم تنتفش
تَنْعَش العافى ومن لاذ بنا ... بسِجال جمّ من أيد نُعُش
ذاك قولي وثنـائي وهمُ ... أهل ودي خالصاً فى غير غش
فسلوا شيبان ان فارقتها ... يوم يمشون الى قبرى بنَعْش
هل غَشِينا مَحْرَماً فى قومنا ... أو جزينا جازياً فُحْشاً بفحش

ومما يغني فيه من شعره

ذرفت عيني دموعاً ... من رسوم بحفير
موحشاتٍ طامسات ... مثل آيات الزبور
وزِقاق مُتْرَعات ... من سُلافات العصير
مُجْلخِدّات (٥) مِلاء ... طينوهن بقير

(١) لم ينش لم يقل وينقص منه شيء (٢) همش شهم
(٣) الغُرّ الضباع والبرش فى شعر الفرس نكت صغار تخالف سائر لونه
(٤) لم نمتنق (٥) مجلخد مستلق

فاذا صرن اليهم صرن فى خير مصير
عند شُبَّان وشيب أعملوا كأس المدير
كم ترى فيهم وفينا من رئيس كالأمير

عمران بن حطان

هو عِمْرَان بن حِطَّان بن ظَبْيَان الذُّهلي ، من ذهل بن ثعلبة ، ثم من بكر ويكني أبا سماك

شاعر فصيح من شعراء الشُّرَاة [1] ودعاتهم ، والمقدمين فى مذهبهم ، وكان من القَعَدَة لأن عمره طال ، فضعف عن الحرب وحضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه ، وكان قبل أن يُفْتَن بالشُّراة مشتهراً بطلب العلم والحديث ، ثم بلى بذلك المذهب فضلَّ وهلك ، وقد أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم ، وروى عنه أصحاب الحديث

طلبه الحجاج فلحق بالشام ، فنزل بروْح بن زِنْبَاع الجُذَامى فانتسب له أزديا وكان رَوْح يَسْمُرُ عند عبد الملك ، فقال له ليلة يا أمير المؤمنين ان فى أضيافى رجلا ما سمعت منك حديثاً قط الا حدثني به وزادنى ما ليس عندى ، قال ممن هو ؟ قال من الأزْد ، قال انى لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان لانى سمعتك تذكر لغة نزارية وصلاة وزهداً ورواية وحفظاً وهذه صفته ، فقال وما أنا وعمران ؟ ثم دعا بكتاب الحجاج فاذا فيه — أما بعد — فان رجلاً من أهل الشقاق والنفاق قد كان أفسد عليَّ العراق وخيبهم بالشِّرَاية ، ثم انى طلبته فلما ضاق عليه عمله تحول الى الشام فهو ينتقل فى مدائنها وهو رجل ضَرْب طُوَال أفْوَه أزرق ، قال روح هذه والله صفة الرجل الذى عندى ، ثم أنشد عبد الملك يوماً قول عمران بن حطان يمدح عبد الرحمن بن مُلْجَم بقتله علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

(١) الشراة هم الخوارج لأنهم زعموا أنهم شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله

يا ضربة من كريم ما أراد بها ... الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأفكر فيه ثم أحسبه ... أو فى البرية عند الله ميزانا

ثم قال عبد الملك من يعرف قائلها ؟ فسكت القوم جميعاً ، فقال لروح سل ضيفك عن قائلها ، قال نعم أنا سائله وما أراه يخفى علي ضيفى ولا سألته عن شىء قط فلم أجده الا عالماً به ، وراح روح الى أضيافه ، فقال ان أمير المؤمنين سألنا من الذى يقول (يا ضربة من كريم ما أراد بها) فقال له عمران هذا قول عمران بن حطان فى ابن ملجم ، قال فهل فيها غير هذين البيتين تفيدنيه ؟ قال نعم

لله دَرُّ المُرَادى الذى سفكت ... كفاه مُهْجَةَ شر الخلق انسانا
أمسى عشية غشَّاه بضربته ... مما جناه من الآثام عُريانا

فغدا روح فأخبر عبد الملك ، فقال من أخبرك ؟ قال ضيفى ، قال أظنه عمران ابن حطان فأعلمه أنى قد أمرتك أن تأتينى به ، قال أفعل ، فراح روح الى أضيافه فأقبل على عمران فقال انى ذكرتك لعبد الملك فأمرنى أن آتيك به ، قال كنت أحب ذلك منك ، وما منعني من ذكره الا الحياء منك وأنا متبعك ، فانطلق ، فدخل روح على عبد الملك ، فقال له أين صاحبك ؟ فقال قال أنا متبعك ، قال أظنك سترجع فلا تجده ، فلما رجع روح الى منزله اذا عمران قد مضى ، واذا هو قد خلف رقعة فى كُوَّة عند فراشه ، واذا فيها يقول

يا رَوْح كم من أخى مثْوًى نزلْتُ به ... قد ظن ظنك من لَخْم وغسَّان
حتى اذا خفته فارقت منزله ... من بعد ما قيل عِمران بن حِطَّان
قد كنت ضيفك حولاً لا تروعنى ... فيه الطوارق من انس ومن جان
حتى أردت بى العظمى فأوحشنى ... ما أوحش الناس من خوف ابن مَرْوان
فاعذِر أخاك ابنَ زِنْباع فان له ... فى الحادثات هَنَاتٍ ذاتَ ألوان
يوْماً يمانٍ اذا لاقيت ذا يمن ... وان لقيت مَعَدِّيًّا فعَدْنانى

لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية كنت المقدم فى سرى واعلانى
لكن أبت لى آيات مطهرة عند الولاية فى طه وعمران

ثم أتى عمران الجزيرة ، فنزل بزُفَر بن الحرث الكلابى بقرقيسيا ، فجعل شباب بنى عامر يتعجبون من صلاته وطولها ، وانتسب لزُفر أوزاعياً فقدم على زُفَر رجل من أهل الشام كان رأى عمران بالشام عند روح بن زنباع فصافحه وسلم عليه ، فقال زُفَر للشامى أتعرفه ؟ قال نعم هذا شيخ من الأزد ، فقال له زفر أزدى مرة وأوزاعى أخرى ؟ ان كنت خائفاً آمناك ، وان كنت عائلاً أغنيناك ، فقال ان الله هو المغني وخرج وهو يقول

ان التى أصبحت يَعْيَا بها زُفَر أعيت عَيَاء على رَوْح بن زِنْبَاع
ما زال يسألني حولاً لأُخبره والناس من بين مخدوع وخَدَّاع
حتى اذا انجذمت منى حبائله كَفَّ السؤال ولم يُولَع باهلاعى (١)
فاكفف كما كَفَّ رَوْح إننى رجل إما صميم وإما فَقْعَة القاع (٢)
أما الصلاة فانى غير تاركها كل امرىء للذى يُعْنَى به ساع
فاكْفُفْ لسانك عن لومى ومسئلتي ماذا تريد الى شيخ لأوزاع
أكرم برَوْح بن زِنْباع وأُسْرَته قوماً دعا أوليهم للعلا داع
جاورتهم سنة فيما دعوت به عِرْضى صحيح ونومى غير تَهْجاع
فاعمل فانك منعى بواحدة حسب اللبيب بهذا الشيب من ناع

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يكثرون من ذكر أبى بلال مِرْداس بن أُدَيَّة ويُثْنُون عليه ويذكرون فضله ، فأظهر فضله ويسر أمره عندهم ، وبلغ الحجاج مكانه

(١) بأفزاعى وترويعى

(٢) الصميم الخالص من كل شىء ويقال لمن لا أصل له فقعة القاع والفقعة الكمأة البيضاء وذلك أنها لاعروق لها

فطلبه فهرب فنزل روذميسان «طسوج من طساسيج السواد الى جانب الكوفة» فلم يزل به حتى مات ، وكان نازلاً هناك على رجل من الأزد ، فقال فى ذلك

نزلت بحمد الله في خير أسرة ... أسر بما فيهم من الأنس والخفر[1]
نزلت بقوم يجمع الله شملهم ... وما لهم عود سوى المجد يعتصر
من الأزد ان الأزد أكرم أسرة ... يمانية قربوا[2] اذا نسب البشر
وأصبحت فيهم آمناً لا كمعشر ... أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر
أم الحيّ قحطان وتلك سفاهة ... كما قال لي روح وصاحبه زفر
وما منهما الا يسرّ بنسبة ... تقربني منه وان كان ذا نفر
فنحن بنو الاسلام والله واحد ... وأولى عباد الله بالله من شكر

كتب عيسى الحبطى الى رجل منهم يقال له أبو خالد كان يتخلف عن الخروج مع قطرىّ أو غيره منهم

أبا خالد يا انفر فلست بخالد ... وما ترك الفرقان عذرا لقاعد
أتزعم أن الخارجين على الهدى ... وأنت مقيم بين لص وجاحد

فكتب اليه ما منعني عن الخروج الا بناتى والحدب عليهن حين سمعت عمران بن حطان يقول

لقد زاد الحياة إليّ حباً ... بناتى انهن من الضعاف
مخافة أن يذقن البؤس بعدى ... وأن يشربن رنقاً بعد صاف
وأن يعرين ان كسي الجوارى ... فيبدى الضر عن كرم عجاف
ولولاهن قد سوّمت مهرى ... وفى الرحمن للضعفاء كاف

وكتب الى الحجاج لما طلبه ، وكان قد عجز عن غزالة الحرورية

أسد عليّ وفى الحروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر

(١) أصل الخفر شدة الحياء (٢) يريد قربوا بضم الراء فسكنها وهذا جائز

هلا برزت الى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس تركت مدابره كأس الدابر

ومما ينسب اليه فى تواريه

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الصِّبا وأن أذكر النفس اللجوج عن الهوى
وماعذر من يَعْمَى وقد شاب رأسه ويُبْصِر أبواب الضلالة والهدى
ولو قسم الذنب الذى قد أصبته على الناس خاف الناس كلهم الرَّدَى
وان جَنَّ ليل كان بالليل نائماً وأصبح بطال العشيات والضحى

ويقال انها لمالك المذموم أحد رجال بنى عامر بن ذهل وأحد الخوارج قالها في تواريه من الحجاج

ومما قاله وقد نزل بحَجْر من اليمامة على بنى حكام الحنفيين

طيرونى من البلاد وقالوا مالك النصف من بنى حكام
ناق سيرى قد جد خفا بنا السير وكونى جوَّالة فى الزِّمام
فمتى تلقنى يد الملك الأسود (١) تستيقنى بألاَّ تضامى
قد أرانى ولي من الحاكم النصف بحد السنان أو بالحسام
ومنينا بطمطم حبشى حالك الوجنتين من آل حام
لا يبالي اذا تضلع خمراً أبحل رماك أم بحرام

مرَّ على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه وقل

أيها المادح العباد ليعطى ان لله ما بأيدى العباد
فاسئل الله ما طلبت اليهم وارج فضل المقسم العواد
لا تقل فى الجواد ما ليس فيه وتسمى البخيل باسم الجواد

(١) هو ابراهيم بن عربى والى اليمامة لعبد الملك وكان ابن حكام على شرطته

فقال الفرزدق لولا أن الله شغل عنا هذا برأيه لقينا منه شراً

ومن قوله

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

وقوله

فيوشك يوم أن يقارن ليلة يسوقان حتفاً راح نحوك أو غدا

قالت امرأة لعمران بن حطان ألم تزعم أنك لا تكذب فى شعرك ؟ قال بلى ، قالت أفرأيت قولك

وكذاك مجزأة بن ثو ركان أشجع من أسامه

أيكون رجل أشجع من أسد ؟ قال نعم ان مجزأة بن ثور فتح مدينة كذا والأسد لا يقدر على فتح مدينة

قال مؤرِّج السَّدوى تزوج عمران بن حطان حمزة بنت عمه ليردها عن مذهب الشراة فذهبت به الى رأيهم فجعل يقول فيها الشعر فما قال فيها

يا حمز انى على ما كان من خلقى مُنْنٍ بخلات صدق كلها فيك
الله يعلم انى لم أقل كذباً فيما علمت وانى لا أزكيك

حماد بن ميسرة الراوية مولى تيماء

كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وكانت ملوك بنى أُمية تقدمه وتؤثره وتستزيره فيفد عليهم ويُنادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته ، قال له الوليد بن يزيد بِمَ استحققت لقب الراوية فقال بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروى لأكثر من تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أُنشد شعرا لقديم ولا مُحْدَث الا ميزت القديم منه من المحدث ، فقال ان هذا لعلم وأبيك كبير ، فكم مقدار ما تحفظ

من الشعر ، قال كثيراً ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحنك فى هذا ، وأمره بالانشاد ، فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين وأخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم ، قال أبو عمرو الشيبانى ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية الا قدمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبى عمرو الا قدمه على نفسه

كتب حماد الى بعض الأشراف الرؤساء

ان لي حاجة فرأيك فيها لك نفسى وذي من الأوصاب
وهى ليست مما يبلغه غيرى ولا يستطيعها فى كتاب
غير انى أقولها حين ألقا ك رويداً أسرها في حجاب

فكتب اليه الرجل اكتب إلىَّ بحاجتك ولا تشهرنى بشعرك فكتب اليه حماد

اننى عاشق لجبتك الدكناء عشقاً قد حال دون الشراب
فاكسنيها فدتك نفسى وأهلى أتباهى بها على الأصحاب
ولك الله والأمانة أن أجعلها عمرها أمير ثيابى

فبعث بها اليه

قال المفضل الضبى قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ، فقيل له وكيف ذلك ؟ أيخطىء فى روايته أم يلحن ؟ قال ليته كان كذلك فان أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله فى شعره ويحمل ذلك عنه فى الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

اجتمع فى دار أمير المؤمنين المهدى بعيسابأذ عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، اذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية ، فدخل فمكث مليًا ، ثم خرج ومعه حماد والمفضل جميعاً ، وقد بان فى وجه حماد الانكسار والغم ، وفى وجه المفضل السرور والنشاط ، ثم خرج حسين الخادم معهما ، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم ان أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين الف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين الفاً لصدقه وصحة روايته ، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل ، فسألنا عن السبب ، فأخبرنا أن المهدى قال للمفضل لما دعا به وحده انى رأيت زهير بن أبى سُلمى افتتح قصيدته بأن قال «دع ذا وعد القول فى هَرِم» ولم يتقدم له قبل ذلك قول فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئاً الا أنى توهمته كان يفكر في قول يقوله أو يُرَوِّى فى أن يقول شعراً فعدل عنه الى مدح هَرِم وقال دع ذا ، أو كان مفكراً في شأن من شأنه فتركه وقال دع ذا أى دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم ، فأمسك عنه ، ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل ، فقال ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين ، قال فكيف قال ؟ فأنشده

لمن الديار بقُنَّة الحَجْر ... أقْوَيْن مذ حِجج ومذ دهر
قَفْراً بمندفع النَّحائِث من ... ضَفْوَى أُولات الضال والسِّدْر
دع ذا وعد القول فى هَرِم ... خير الكهول وسيد الحَضْر

فأطرق المهدى ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبر لابد من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بإيمان البيعة وكل يمين مُحَرِّجة ليصدقنه عن كل ما يسأل عنه ، فحلف له بما توثق منه ، فقال له اصْدُقْنى عن حال

هذه الأبيات ومن أضافها الى زهير ، فأقرَّ له حينئذ أنه قائلها ، فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه

روى أبو عبيدة عن خلف قال كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبل ذلك مني ويدخله فى أشعارها وكان فيه حمق

قال الطِّرِمَّاح أنشدت حمادا الراوية فى مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناس وأحفظهم قولى « بان الخليط بسُحْرة فتبددوا » وهى ستون بيتاً ، فسكت ساعة ، ولا أدرى ما يريد ، ثم أقبل عليَّ فقال أهذه لك ؟ قلت نعم ، قال ليس الأمر كما تقول ، ثم ردها عليَّ كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها فى وقته ، فقلت له ويحك ان هذا الشعر قلته منذ أيام ما اطلع عليه أحد ، قال قد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة والا فعلىَّ وعلىَّ ، فقلت لله علىَّ حجة حافياً راجلاً ان جالستك بعد هذا أبداً ، فأخذ قبضة من حصى المسجد وقال لله علىَّ بكل حصاة من هذا الحصى مائة حجة ان كنت أبالى ، فقلت أنت رجل ماجن والكلام معك ضائع ، ثم انصرفت

قال مروان بن أبى حفصة دخلت أنا وطريح بن اسمعيل الثقفى والحسين بن مُطَير الأسدى فى جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو فى قُرُش قد غاب فيها ، واذا رجل عنده كلما أنشد شاعر شعراً وَقَفَ الوليدَ على بيت بيت من شعره حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت من هذا ؟ فقالوا حماد الراوية ، فلما وقفت بين يدى الوليد أنشده قلت ما كلام هذا فى مجلس أمير المؤمنين وهو لُحَنَة لَحَّانة ، فأقبل الشيخ علىَّ وقال يا ابن أخى انى رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروى من أشعار العرب شيئاً ، فذهب عنى الشعر كله الا شعر ابن مُقْبِل ، فقلت له نعم شعر ابن مقبل ، قال أنشد ، فأنشدته قوله

سل الدار من جَنْبَى حبير[1] فواحف ... الى ما رأى هَضْبَ القَلِيب المصَبَّح

(١) حبير موضع بالحجاز وواحف موضع آخر

ثم جزت فقال لى قف ، فوقفت ، فقال لى ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ، فقال له يا ابن أخى أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال تراءى الموضعان اذا تقابلا

قال الهيثم بن عدى قلت لحماد الراوية يوماً ألقِ علىَّ ما شئت من الشعر أفسره لك ، فضحك وقال له ما معنى قول مزاحم العُقَيلى ؟

تخوَّف السير منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النَّبعة السَّفِن

فلم أدر ما أقول ، فقال تخوف تنقص قال الله تعالى « أو يأخذهم على تَخَوُّف » . أى على تنقص

قال الهيثم ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد

قال هشام أنشدنى الفرزدق وحماد الراوية حاضر

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

فقال حماد أأنت تقوله ؟ قال نعم ، قال ليس الأمر كذلك هذا لرجل من أهل اليمن ، قال ومن يعلم هذا غيرك فأردت أن أتركه وقد تحلبه الناس وَرَوَوْه لى لأنك تعلمه وحدك ويجهله الناس جميعاً غيرك ؟

قال حماد كان انقطاعى الى يزيد بن عبد الملك فكان هشام يجفونى لذلك دون سائر أهله من بنى أُمية فى أيام يزيد ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام خفته ، فمكثت فى بيتى سنة لا أخرج الا لمن أثق به من اخوانى سراً ، فلما لم أسمع أحداً يذكرنى سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل فاذا شُرْطيان قد وقفا علىَّ فقالا لى يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر ، فقلت فى نفسى من هذا كنت أحذر ، ثم قلت للشُّرْطيين هل لكما أن تدَعانى آتى أهلى فأودعهم وداع من لا ينصرف اليهم أبداً ثم أصير معكما اليه ؟ فقالا ما الى ذلك من سبيل ، فاستسلمت فى أيديهما وصرت الى يوسف بن عمر وهو فى الديوان الأحمر فسلمت عليه فرد علىَّ السلام ورمى إلىَّ كتاباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله هشام أمير المؤمنين الى يوسف بن عمر ، أما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فابعث الى حماد الراوية من يأتيك به غير مُرَوَّع ولا مُتَعْتَع وادفع اليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيًّا يسير عليه اثنتى عشرة ليلة الى دمشق ، فأخذت خمسمائة الدينار ونظرت فاذا جمل مرحول ، فوضعت رجلى فى الغَرْز وسرت اثنتى عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنت ، فأذن لى ، فدخلت عليه فى دار قَوْرَاء مفروشة بالرخام ، وهو فى مجلس مفروش بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك وهشام جالس على طِنْفِسة حمراء وعليه ثياب خَزّ حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر وبين يديه مسك مفتوت فى أوانى ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه ، فسلمت ، فرد علىَّ واستدنانى ، فدنوت حتى قبلت رجله ، واذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلهما ، فى أذنى كل واحدة منهما حَلْقَتان من ذهب ، فيهما لؤلؤلتان تتوقدان ، فقال لى كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ، قال أتدرى فيم بعثت اليك ؟ قلت لا ، قال بعثت اليك لبيت خطر ببالى لم أدر من قاله ، قلت وما هو ؟ فقال

فدعوا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنَة فى يمينها ابريق

قلت هذا يقوله عدىّ بن زيد فى قصيدة له ، قال فأنشدنيها ، فأنشدته إياها ، (انظرها فى شعر عدىّ بن زيد جزء ١ صفحة ١٥٥)

فطرب ثم قال أحسنت والله ياحماد ، سل حوائجك ، فقلت كائنة ما كانت ، قال نعم قلت احدى الجاريتين ، فقال هما لك جميعاً بمالهما وما عليهما ، ثم نقله من غد الى منزل أعده له فانتقل اليه فوجد الجاريتين ومالهما وكل ما يحتاج اليه ، وأقام عنده مدة فوصل اليه مائة الف درهم ، ويروى أنه سقى نبيذاً فى مجلسه وهذا غير صحيح لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقى أحد بحضرته مسكراً وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب اليه

طلب المنصور حماداً ، فطلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه اخوانه ، فعرفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة ، فوجهوا اليه برسول يُشْخصه ، قال الرسول فوجدته فى حانة وهو عريان يشرب نبيذاً من إجَّانة ، وعلى سوءته رأس دستيجة ، فقلت أجب أمير المؤمنين ، فما رأيت رسالة أرفع ولا حالة أوضع من تلك ، فأجاب ، فأشخصته اليه ، فلما مثل بين يديه قال له أنشدنى شعر هفَّان بن همام بن نضلة يرثى أباه فأنشده

خليلىَّ عوجاً انها حاجة لنا ... على قبر همَّام سقته الرواعد
على قبر من يُرْجَى نَدَاه ويبتغى ... جَدَاه اذا لم يَحْمَد الأرض رائد
كريم الثنا حلو الشمائل بينه ... وبين المُزَجَّى نَفْنَف[1] متباعد
اذا نازع القوم الأحاديث لم يكن ... عَيِيًّا ولا ثقلاً على من يقاعد
صَبُور على العِلَّات[2] يصبح بطنه ... خَمِيصاً وآتيه على الزاد حامد
وضعنا الفتى كل الفتى فى حفيرة ... بحُرِّين[3] قد راحت عليه العوائد
صريعاً كنصل السيف تضرب حوله ... ترائبهن المُعْوِلات الفواقد

فبكى أبو جعفر حتى أخضل لحيته ، ثم قال هكذا كان أخى أبو العباس رضى الله عنه

عاب حماد شعراً لأبى الغول ، فقال يهجوه

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ... ويقيم وقت صلاته حماد
هَدَلت مَشافره الدِّنانُ فأنفه ... مثل القَدُوم يَسُنُّها الحداد
وابيضَّ من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبنك بَزُّه وثيابه ... ان اليهود ترى لها أجلاد

(١) النفنف مهواة بين جبلين والمزجى الضعيف (٢) أى على كل حال
(٣) بلد قرب آمد

قدم حماد على بلال بن أبي بُرْدة البصرة وعند بلال ذوالرُّمة ، فأنشده حماد شعراً مدحه به ؛ فقال بلال لذى الرمة كيف ترى هذا الشعر ؟ قال جيداً وليس له ، قال فمن يقوله ؟ قال لا أدرى الا أنه لم يقله ، فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه قال له ان لى اليك حاجة ، قال هى مقضية ، قال أأنت قلت ذلك الشعر ؟ قال لا ، قال فمن يقوله ؟ قال بعض شعراء الجاهلية وهو شعر قديم وما يرويه غيرى ، قال فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك ؟ قال عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الاسلام ، وأنشد بلالاً ذات يوم قصيدة قالها ونحلها الحطيئة يمدح بها أبا موسى الأشعرى أولها

هل تعرف الدار من عامين أو عام ... دار لهند بجزع الخَرْج[1] فالدام
تحنو لأطلائها عين مُلَمَّعَة ... سُفْع الخدود بعيدات من الذام

يقول فيها

وجَحْفَل كسواد الليل منتجع ... أرض العدو ببؤس بعد انعام
جمعت من عامر فيه ومن أسد ... ومن تميم ومن حاء ومن حام[2]
وما رضيت لهم حتى رفدتهم ... من وائل رهط بسطام بأصرام[3]
فيه الرماح وفيه كل سابغة ... جَدْلاء مبهمة من نسج سَلاَّم[4]
وكل أجرد كالسِّرحان أضمره ... مسح الأكف وسقى بعد اطعام
وكل شوهاء طوع غير آبية ... عند الصياح اذا هموا بالجام
مستحقبات رَوَاياها[5] جحافلها ... يسمو بها أشعرى طرفه سام
لا يزجر الطيران مرت به سُنُحاً ... ولا يفيض على قِدْح بأزلام

(١) واد فيه قرى من أرض اليمامة والدام من بلاد بنى سعد (٢) حاء من مذحج وحام من أنمار (٣) الاصرام البيوت المجتمعة (٤) جدلاء مجدولة رقيقة وسلام هو سليمان ابن داوود عليهما السلام وانما أراد داوود (٥) الروايا الابل التى تحمل أزوادهم وأثقالهم فالخيل تجنب اليها فتضع جحافلها على أعجاز الابل

فقال له بلال قد علمت أن هذا شيء قلته أنت ونسبته الى الحطيئة والا فهل كان يجوز أن يمدح الحطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ولكن دعها تذهب فى الناس وسيرها حتى تشهر ، ووصله

ومما غنى فيه من شعر حماد

تنكر من سعدى وأقفر من هند ... مقامهما بين الرغامين فالفرد
محل لسعدى طالما سكنت به ... فأوحش ممن كان يسكنه بعدى

ومنها

عفت دار سلمى بمفضى الرغام ... رياح تعاقبها كل عام
خلال الحلول بتلك الطلول ... وسحب الذيول بذاك المقام
وأنس الديار وقرب الجوار ... وطيب المزار ورد السلام
ودهر عزيز وعيش السرور ... ونأى الغيور وحسن الكلام

تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله أبو كلدة

رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	الطبقة الثانية
٢	الشعراء الاسلاميون ومخضرمو الدولتين
٢	شعراء قحطان
٢	شعراء حمير
٢	ابن مفرغ الحميرى
١٤	السيد الحميرى
٢٤	وضاح اليمن
٣٨	شعراء قضاعة
٣٨	مرة بن عبد الله النهدى
٣٩	جواس بن قطبة العذرى
٤٠	عروة بن حزام
٤٥	جميل
٦٨	هدبة وزيادة
٧٢	نائلة
٧٦	بيهس
٨٠	شعراء كندة
٨٠	شريح القاضى
٨٢	المقنع الكندى
٨٣	حجية بن المضرب
٨٦	شعراء مذحج
٨٦	جعفر بن علبة الحارثى
٩٠	شعراء أنمار
٩٠	ابن الدمينة
٩٥	خالد بن عبد الله القسرى
١٠٠	شعراء عاملة
١٠٠	عدى بن الرقاع
١٠٥	شعراء طيء
١٠٥	الطرماح
١٠٨	حريث
١١٠	شعراء همدان
١١٠	أعشى همدان
١٢٧	عمار ذى كناز
١٣٢	شعراء الأزد
١٣٢	ثابت قطنة
١٣٩	كعب الأشقرى
١٥١	يعلى بن مسلم الأزدى
١٥٢	مسعدة الأردى
١٥٣	كثير
١٧٣	ابن أبى معقل
١٧٤	الأحوص
١٩٨	النعمان بن بشير
٢٠٦	السرى بن عبد الرحمن
٢٠٨	سعيد بن عبد الرحمن

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢١١	ابن المولى	٢٣٤	حمزة بن بيض الحنفى
٢٢١	شعراء ربيعة	٢٤٢	أعشى بنى أبى ربيعة
٢٢١	شعراء بكر	٢٤٥	نابغة بني شيبان
٢٢١	أبو النجم	٢٥٠	عمران بن حطان
٢٢٦	العديل العجلى	٢٥٥	حماد الراوية

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

C
40

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الرابع

فى الشعراء الاسلاميين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

م . مصر شركة مساهمة مصرية
٢٠٠٠/٢٥/١٠٤٣

893.7Is1
033
v.4-6

بسم الله الرحمن الرحيم

45-39141

أبو كلدة

هو عبيد بن منقذ بن حجر الجشمي من جُشم بن غَنْم ثم من بكر

شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأُمرية ومن ساكني الكوفة، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث، فقتله الحجاج، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج، ومن قوله في بعض مواقفه

أيا لَهفي ويا حزني جميعاً ... ويا غم الفؤاد لما لقينا
تركنا الدين والدنيا جميعاً ... وخلينا الحلائل والبنينا
فما كنا أُناساً أهل دين ... فنصبرَ للبلاء اذا بُلينا
ولا كنا أُناساً أهل دنيا ... فنمنعها وان لم نرجُ دينا
تركنا دورنا لطغام عك ... وأنماط القُرى والأشعَرِينا

وكان من أخص الناس بالحجاج حتى انه بعثه وبعث معه عبد الله بن شداد الليثي الى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فخطب الحجاج منه ابنته أُم كلثوم، ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج فلما أتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه مكث ينظر اليه طويلاً ثم قال. كم من سر أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به مقطوعاً، فلما كان يوم الزاوية خرج ابن كلدة بين الصفين، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها

فقل للجُوَيْرِيات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا الا الكلاب النوابح
بكين علينا خشية أن تبيحها ... رماح النصارى والسيوف الجوارح

بكين لكيما يمنعوهن منهمُ وتأبى قلوب أضمرتها الجوانح
ونادينا أين الفرار وكنتمُ تغارون أن تبدو البُرَى والوشائح(١)
أأسلمتمونا للعدو على القنا اذا انتزعت منها القرون النواطح
فما غار منكم غائر لحليلة ولا عزّب عزّت عليه المناكح

فلما أنشدهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا ، فشدوا شدة تضعضع لها عسكر الحجاج ، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا فكانت الدائرة له فجعل يقتل الناس بقية يومه حتى صاح به رجل والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت فى العفو ، وقد خالفت الله فينا وما أطعته ، فقال له وكيف ؟ ويلك ، قال لأن الله تعالى يقول « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل ثم قال أو امنن ، فقال أولى لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت ؟ ثم نادى برفع السيف وأمن الناس جميعاً

كان سليمان بن عمرو بن مرثد البكري صديقاً لأبى كلدة وكان فارساً شجاعاً وقتله ابن خازم لشىء بلغه فأنكره ، وفيه يقول أبو كلدة

اذا كنت مرتاداً كريماً مكرما نماه سَرَاة من سَرَاة بنى بكر
فلا تعدُ ذا العليا سليمان عامراً تجد ما جدا بالجود منشرح الصدر
كريماً على علّاته يبذُل الندى ويشربها صهباء طيبة النَّشْر
معتقة كالمسك يذهب ريحها الـــزُّكام وتدعو المرء للجود بالوفر

(١) الوشاح بضم الواو وكسرها شبه قلادة ينسج من أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها جمعه وشح وأوشحة ووشائح والبرة بضم الباء وفتح الراء كل حلقة من سوار وقرط وخلخال جمعه برى

وتترك حاسي الكأس منها مرنّحا يميد كما ماد الأثيم من السكر
تلوح كعين الديك ينزو حبابها اذا مزجت بالماء مثل لظى الجمر
فتلك اذا نادمت من آل مرثد عليها نديماً ظل يهرف بالشعر
يغنّيك تارات وطوراً يكرها عليك بحيّاك الاله ولا يدرى
تعود ألاّ يجهل الدهر عندها وأن يبذل المعروف فى العسر واليسر
وان سليمان بن عمرو بن مرثد تألّى يميناً أن يريش ولا يبرى
فهمته بذل الندى وابتنا العلا وضرب طُلَى الأبطال فى الحرب بالبتر
وفى الأمن لا ينفك نحو مدامة اذا ما دجا ليل الى وضح الفجر

فلما بلغت سليمان هذه الأبيات ، قال هجاني أخي وما تعمد ، لكنه يرى أن أن الناس جميعاً يؤثرون الصهباء كما يؤثرها هو ويشربونها كما يشربها ، وبلغ قوله أبا كلدة فأتاه فاعتذر اليه وحلف أنه لم يتعمد بذلك ما يكرهه وينكره ، قال قد علمت بذلك وشهدت لك به قبل أن تعتذر وقبل عذره

عشق دِهقانة ببُسْت وكان يختلف اليها ويكون عندها دائماً وقال فيها

وكأس كأن المسك فيها حَسوتها ونازعنيها صاحب لى ملوَّم
أغرَّ كأن البدر سنة وجهه له كَفَل وافٍ وفَرْع ومبسم
يضيء دُجا الظلماء رَوْنَقُ خده وينجاب عنه الليل والليل مظلم
وثديان كالحُقَّين والمتن مُدْمَج وجيد عليه نسق در منظم
وبطن طواه الله طياً ومنطق رخيم ورِدْف نيط بالخِتْوِ نُمْأَم (١)
به تبلتني واستبتني وغادرت لظى فى فؤادي نارها تتضرم
أبيت بها أهذي اذا الليل جنني وأُصبح مبهوتاً فما أتكلم

(١) مفأم ممتلىء شحماً

فمن مبلغ قومى الدُّنَى أن مهجتي تَبين لئن بانت، ألا تنلوم ؟
وعهدى بها والله يصلح حالها تجود على من يشتهيها وتنعم
فما بالها ضنت على بودها وقلبي لها ياقوم عانٍ متيم

دعا رجلاً من قومه الى الشراب وكان ينادمه قبلاً بتُسْتَرَ فامتنع وقال انى قد تركتها لله ، فقال أبو كلدة

ألا رب يوم لي بِتُسْتَ وليلة ولا مثل أيامى المواضى بتُسْتَرَ
غَنِيت بها أُسْقِي سُلَاف مُدَامة كريم المحيَّا من سَرَانين يَشْكُرِ
نبادر شرب الراح حتى نهرها وتتركنا مثل الصريع المعفَّر
فذلك دهر قد تولى نعيمه فأصبحت قد بُدِّلت طول التوقر
فراجعني حلماً وأصبحت منهج الشـــراب وقد كنت كالمتحير
وكل أوان الحق أبصرت قصده فلست وان نبهت عنه بمقصر
سأركض فى التقوي وفى العلم بعد ما ركضت الى أمر الغَوِىّ المشهر
وبالله حولى واحتيالى وقوتى ومن عنده عرفي الكثير ومنكرى

ولي مِسْمَع بن مالك سجستان وكان مكث أبى كلدة بها ، فخرج اليه وتلقاه ومدحه بقصيدته التي أولها

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا وليت وصلاً لها من حبلها رجعا
شَطَّتْ بها غربة زَوْرَاء نازحة فطارت النفس من وجد بها قِطعا
ما قرت العين اذ ذلت فينفعها طعم الرُّقاد اذا ما هاجع هجعا
منعت نفسى من روح تعيش به وقد أكون صحيح القَدْر فانصدعا
غدت تلوم على ما فات عاذلتى وقبل لومك ما أغنيت من منعا
مهلاً ذريني فانى غالنى خُلُقى وقد أرى فى بلاد الله متسعا

مجدى تليد وما أنفقت أخلفه سيب الاله وخير المال ما نفعا
ما عضنى الدهر الا زادنى كرماً ولا استكنت له ان خان أوخدعا
ولا تلين على العلات معجمتى فى النائبات اذا ما مسنى طبعا
ولا تلين من عودي غمائزه اذا المغمز منها لان أو خضعا
ولا أخاتل رب البيت غفلته ولا أقول لشيء فات ما صنعا
انى لأمدح أقواماً ذوى حسب لم يجعل الله فى أقوالهم جزعا
الطيبين على العلات معجمة لو يعصر المسك من أطرافهم نبعا
بنى شهاب بها أعنى وانهم لأكرم الناس أخلاقاً ومصطنعا

فوصله مسمع وحمله وكساه وولاه ناشتكين وكان مكتبه، ثم توفى مسمع بسجستان، فقال يرثيه

أقول للنفس تأساء وتعزية قد كان من مسمع فى مالك خلف
يا مسمع الخير من ندعو اذا نزلت احدى النوائب بالأقوام واختلفوا
يا مسمعاً لعراق لا زعيم لها بمن ترى يأمن المستشرف النطف[1]
تلك العيون بحيث المصر سادمة تبكيك اذ غالك الأكفان والجرف
قد وسدوك يميناً غير موسدة وبذل جود لما أودى بك التلف
كنت الشهاب الذى يرمى العدو به والبحر منه سجال الجود تغترف

فرّق مسمع بن مالك فى عشيرته بنى قيس بن ثعلبة عطايا كثيرة وقربهم وجفا سائر بطون بكر بن وائل، فقال أبو كلدة

اذا نلت مالاً قلت قيس عشيرتى تجور علينا عامداً فى قضائكا
وان كانت الأخرى فبكر بن وائل بزعمك يخشى داؤها بدوائكا
هنالك لا نمشي الضراء[2] اليكم بنى مسمع انا هناك أولئكا

(١) النطف الرجل المريب (٢) الضراء الاستخفاء

عسى دولة الذُّهْلَيْن[1] يوماً ويشكر تكر علينا صبغة من عطائكا

ثم مدح مقاتل بن مسمع طمعاً فى مثل ما كان مسمع يعطيه ، فلم يلتفت اليه وأمر أن يحجب عنه ، فقيل له تعرضت للسان أبى كلدة وخبثه ، فقال ومن هو الكلب ؟ وما عسى أن يقول ؟ قبحه الله وقبح من كان منه فليجهد جهده ، فبلغ ذلك من قوله أبا كلدة ، فقال يهجوه

قَرَى ضيفه الماء القَرَاح ابنُ مِسْمَعٍ وكان لئيماً جاره يتذلل
فلما رأى الضيفُ القِرى غير راهن[2] لديه تولى هارباً يتململ
ينادى بأعلى الصوت بكرَ بن وائل ألا كل من يرجو قِرَاكم مضلل
عميدكمُ هرٌّ[3] الضيوف فما لكم ربيعةُ أمسى ضيفكم يتحول
وخفتم بأن تَقْرُوا الضيوف وكنتمُ زماناً بكم يحيا الضَّرِيك[4] المقيَّل
فما بالكم بالله أنتم بخلتمُ وقصرتمُ والضيف يُقْرَى ويُنْزَل
ويكرم حتى يقترى حين يُقْتَرَى[5] يقول اذا ولى جميلاً فيجمل
فهلا بنى بكر دعوا آل مِسْمَعٍ ورأيهم لا يسبق الخيل مُخْتَل[6]
ودونكمُ أضيافكم فتحدبوا عليهم وواسوهم فذلك أجمل
ولا تصبحوا أُحدوثة مثل قائل به يضرب الأمثال من يتمثل
اذا ما التقى الركبان يوماً تذاكروا بنى مسمع حتى يُحَمَّوْا ويُثْقَلوا
فلا تقربوا أبياتهم ان جارهم وضيفهم سِيَّان أنّى توسلوا
هم القوم غرَّ الضيفَ منهم رُوَاؤهم وما فيهمُ الا لئيم مُبَخَّل

---

(١) الذهلان من بكر بنو شيبان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل وبنو ضبيعة بن ربيعة
(٢) رهن الشيء بالمكان ثبت ودام (٣) هر فى وجه السائل تجهمه (٤) الضريك الضرير والفقير السيء الحال والمقيل الضعيف الرأى (٥) يقترى يضاف
(٦) المختل السيء الغذاء

فلو ببنى شيبان حلت ركائبى ... لكان قراهم راهناً حين أنزل
أولئك أولى بالمكارم كلها ... وأجدر يوماً أن يواسوا ويفضلوا
بنى مسمع لا قرب الله داركم ... ولا زال واديكم من الماء يمحل
فإن تردعوا الأبطال بالبيض والقنا ... اذا جعلت نار الحروب تأكل

قال رجل للبعيث أى رجل هو أبو كلدة ؟ فقال قتادة بن معرب أعرف به حيث يقول

ان أبا كلدة من سكره ... لا يعرف الحق من الباطل
يزداد غياً وانهما كا ولا ... يسمع قول الناصح العاذل
أعيا أبوه وبنو عمه ... وكان فى الذروة من وائل
فليته لم يك من يشكر ... فبئس خدن الرجل العاقل
أعمى عن الحق بصير بما ... يعرفه كل فتى جاهل
يصبح سكران ويمسى كما ... أصبح لا أسقى من الوابل
شد ركاب الغى ثم اغتدى ... الى التى تجلب من بابل
فالسجن ان عاش له منزل ... والسجن دار العاجز الخامل

وقال أبو كلدة يجيبه

قبحت لو كنت امرأً صالحاً ... تعرف ما الحق من الباطل
كففت عن شتمي بلا إحنة ... ولم تورط كفة الحابل
لكن أبت نفسك فعل النهى ... والحزم والنجدة والنائل
فتحت لى بالشتم حتى بدا ... مكنون غش فى الحشى داخل
فاجهد وقل لا تتركك جاهداً ... شتم امرىء ذى نجدة عاقل
تعذلنى فى قهوة مزة ... درياقة تجلب من بابل

ولو رآها خرَّ من حبها يسجد للشيطان بالباطل
ياشر بكر كلها مختبراً ونُهزة المختلس الآكل
عرضك وفّه ودعني وما أهواه يا أحمق من باقل

ومن قوله يشبب بابنة أحد الدهاقين

ان في القصر ذي الخبا بدر تمّ حسن الدلّ للفواد مصيبا
ولعاً بالخلوق يأرج منه ريح رند اذا استقل منيبا
يلبس الخزّ والمطارف والقزّ وعصباً من اليماني قشيبا
ورأيت الحبيب يبرز كفاً ما رآه المحب الا خضيبا

فبلغ ذلك من قوله الدهقان فأهدى له وبره ، وسأله ألاّ يذكر ابنته في شعر بعد ذلك

لحق أبا كلدة ضيم من بعض الولاة فهتف بقومه فلم يقدروا على منعه منه ولا معونته رهبة للسلطان ، فهتف بأعلى صوته يا مسمع بن مالك يا أمير بن أحمر[1] ، ثم أنشأ يقول

ولما أن رأيت سراة قومي سكوتاً لا يثوب لهم زعيم
هتفت بمسمع وصدى أمير وقبر معمّر[2] تلك القروم

فأبكى جميع من حضر وقاموا جميعاً الى الوالي فسألوه في أمره حتى كف عنه

خطب أبو كلدة امرأة من بني عجل يقال لها خليعة بنت صعب ، فأبت أن تتزوجه ، وقالت أنت صعلوك فقير لا تحفظ مالك ولا تُلفي شيئاً الا أنفقته في الخمر وتزوجت غيره ، فقال

لما خطبت الى خليعة نفسها قالت خليعة ما أرى لك مالا

(١) رجل من بني يشكر وكان سيداً جواداً وكان والياً على خراسان في أيام معاوية
(٢) هو معمر بن سمير كان أمير خراسان وكان سيداً شريفاً

أودى بمالى يا خليعَ تكرمى ... وتخرّقى وتحملى الأثقالا
انى وجدّك لو شهدت مواقفى ... بالسفح يوم أُجلل الأبطالا
سيفى لسرك أن تكونى خادماً ... عندى اذا كره الكماة نزالا

بلغ أبا كلدة أن زياداً الأعجم هجا بنى يشكر ، فقال فيه

لا تهجُ يَشْكُرَ يا زياد ولا تكن ... غرَضاً وأنت عن الأذى فى معزل
واعلم بأنهمُ اذا ما حصلوا ... خير وأكرم من أبيك الأعزل
لولا زعيم بنى المعلّى لم تَئُب ... حتى نصبحكم بجيش جحفل
تمشى الضرّاء رجالهم وكأنهم ... أسد القرين بكل عَضْبَ مفْصَل
فاحذر زياد ولا تكن ذا تُنرَا[1] ... عند الرجال ونُهزَة للمختَل

ومن قوله فى الحضين بن المنذر الرّقاشى وقد سأله شيئاً فلم يعطه إياه ، وقال لا أعطيه ما يشرب به الخمر

لعمرك انى يوم أُسند حاجتى ... اليك أبا ساسان غير مُسدَّد
فلا عالم بالغيب من أين ضره ... ولا خائف نَثَّ الأحاديث فى غد
فليت المنايا حلّقت بى صروفها ... فلم أطلب المعروف عند المُصرَّد[2]
فلو كنت حراً يا حضين بن منذر ... لقمت بحاجاتى ولم تتبلد
تجهمتنى خوف القرى واطّرحتنى ... وكنت قصير الباع غير المقلد
ولم تَعْدُ ما قد كنت أهلا لمثله ... من اللوم يا ابن المستذلّ المعبّد

ومن قوله

صحا قلبى وأقصر بعد غىّ ... طويل كان فيه من النوانى
بأن قصد السبيل فباع جهلاً ... برشد وارتجى عقب الزمان

(١) التدرأ المدافع ذو العز والمنعة (٢) البخيل

وَخَاف الموت واعتصم ابن حجر ... من الحب المبرح بالجنان
وقدماً كان معتزماً جموحاً ... الى لذاته سَلِس العنان
وأقلع بعد صبوته وأضحى ... طويل الليل يَهْرِف بالقران
ويدعو الله مجتهداً لكيما ... ينال الفوز من غرف الجنان

ومن قوله يعتذر الى يزيد بن المهلب من قول بلغه عنه

أبا خالد ركنى ومن أنا عبده ... لقد غالني الأعداء عمدا لتغضبا
فان كنتُ قلت الآذ أتاك به العدى ... فَشلت يدي اليمنى وأصبحت أعضبا
ولا زلت محمولاً عليَّ بليـــة ... وأمسيت شِلْواً للسباع متربا
فلا تسمعا قول العدى وتبيناً ... أبا خالد عذراً وان كنت مُغْضَبا

كان أبو كلدة يشرب مع ابن عم له ، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه ، فاحتمله أبو كلدة وقال

أبى لى أن ألْحَى نديمى اذا انتشى ... وقال كلاماً سيئاً لى على السكر
وقارى وعلمى بالشراب وأهله ... وما نادم القوم الكرام كذى الحِجر[1]
فلست بلاح لي نديماً بزَلة ... ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عركت بجنبى قول خدنى وصاحبى ... ونحن على صهباء طيبة النشر
فلما تمادى قلت خذها عريقة ... فانك من قوم جحاجحة زهر
فما زلت أسقيه وأشرب مثل ما ... سقيت أخى حتى بدا واضح الفجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه ... فأغرق فى شتمى وقال وما يدرى
ولاك لساناً كان اذ كان صاحياً ... يقلبه فى كل فن من الشعر

ومن قوله يمدح مالك بن مِسْمَع

يسعى أُناس لكي يدركوك ولو ... خاضوا بحارك أوضَحْضاحها غرقوا[2]

(١) الحجر العقل (٢) الضحضاح الماء القريب القعر

وأنت فى الحرب لا رَثّ القوى بَرِم عند اللقاء ولا رِعْدِيدة فَرِق
كل الخلال التى يسعى الكرام لها ليمدحوك بها يوماً فقد صدقوا
ساد العراق وحال الناس صالحة وسادهم وزمان الناس منخرق
لا خارجى ولا مستحدث شرفاً بل مجد آل شهاب كان مذ خلقوا

كان لأبى كلدة بسجستان جار يقال له سيف من بنى سعد ، وكان يشرب الخمر ويعربد على أبى كلدة فقال يهجوه

قل لذوى سيف وسيف ألستمُ أقل بني سعد حَصاداً ومزرعا
كأنكمُ جُعلان دار مَضامة على عذِرات الحى أصبحن وُقَّعا
لقد نال سيف فى سجستان نُهزَة تطاول منها فوق ما كان أصبعا
أصاب الزنا والخمر حتى لقد نمت له مرة تسقى الشراب المشعشعا
فلولا هوان الخمر ما ذقت طعمها ولا سقت ابريقاً بكفك مُتْرَعا
كما لم يذقها أن تكون عزيزة أبوك ولم يُعْرَض عليها فيطمعا
وكان مكان الكاب أو من ورائه اذا ما المغنى للأذاذة أسمعا

وكان أبو كلدة قد استعمله القَعْقاع بن شور حين تَوَلى سجستان على بُسْت والرُّخَّج فأرجف الناس بالقعقاع ، وأرجف به أبو كلدة معهم ، وكتب القعقاع اليه يتهدده ، فكتب اليه أبو كلدة

يهددني القعقاع فى غير كنهه فقلت له بَكْر اذار مُتَنِي تُرْسى
كأنا وإياكم اذا الحرب بيننا أُسود عليها الزَّعفران مع الوَرْس
تُرَى كمصابيح الدَّياجى وجوهنا اذا ما لقينا والهِرَقْلِيَّة المُلْس
هناك السعود السانحات جرت انا وتجرى لكم طير البوارح بالنحس
وما أنت ياقعقاع الا كمن مضى كأنك يوماً قد نقلت الى الرَّمْس

أظن بغال البُرْد تسرى اليكمُ به غَطَفانياً والا فمن عَبْس
والا فبالبسال يالك ان سرت به غير مغموز القَناة ولا نِكْس
فعالنا أوفى وخير بقيـــــةً وعمالكم أهـل الخيانة واللبس
وما لبنى عمرو علىّ هَوَادة ولا لرَباب غير تعس من التعس

فلما انتهت هذه القصيدة الى القعقاع وجه برسول الى أبى كلدة وقال انظر فان كان كتب هذا الكتاب بالغداة فاعزله ، وان كتبه بالليل فأقره على عمله ولا تعزله ولا تضربه ، وكان أبو كلدة صاحب شراب ، فقال للرسول والله ما كتبته الا بالعشى ، فسأله البينة على ذلك ، فأتاه بأقوام شهدوا له بما قال ، فأقره على عمله وانصرف عنه

زياد الأعجم

هو زياد بن سليمان مولى عبد القيس ، وكان ينزل إصْطَخْر فغلبت العُجْمة على لسانه فقيل له الأعجم ، كان شاعراً جَزْل الشعر فصيح الألفاظ على لُكْنة فى فى لسانه وجريه على لفظ أهل بلده

ومن قوله يرثى المغيرة بن المهلب وهي من نادر الكلام ونقى المعانى ومختار القصائد وهى معدودة من مراثى الشعراء فى عصر زياد ومُقَدَّمها

يا من بغَدْى الشمس أو بمَراحها أو من يكون بقَرْنها المتنازح
قل للقوافل والغَزِىّ اذا غزوا للبـاكرين وللمُجِدّ الرائح
ان السماحـة والمروءة ضُمِّنا قبراً بمَرْو[1] على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقِر به كُومَ الجِلاَد[2] وكل طِرْف سابح

(١) أشهر مدن خراسان وقصبتها وتعرف بمرو الشاهجان
(٢) الجلاد الكبار من الابل التى لاصغار فيها وأحدها جلد بفتح الجيم واللام

وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح
واظهر بزّته وعقد لوائه واهتف بدعوة مصلتين شرامح (١)
آب الجنود معقّلاً أو قافلاً وأقام رهن حفيرة وضرائح
وأرى المكارم يوم زيلَ بنعشه زالت بفضل فواضل ومدائح
رجفت لمصرعه البلاد وأصبحت منا القلوب لذاك غير صحائح
ألآن لما كنت أكرم من مشى وافترّ نابك عن شباة القارح (٢)
وتكاملت فيك المروءة كلها وأعنتَ ذلك بالفعال الصالح
فكفى لنا حزناً ببيت حلّه احدى المنون فليس عنه ببارح
فعفت منابره وحطّ سروجه عن كل طامحة وطرف طامح
واذا يناح على امرىء فتعلمنْ ان المغيرة فوق نوح النائح
تبكى المغيرةَ خيلُنا ورماحنا والباكيات برنّة وتصايح
مات المغيرة بعد طول تعرّض للموت بين أسنّة وصفائح
والقتل ليس الى القتال ولا أرى موتاً يؤخر للشفيق الناصح
لله درُّ منيـــة فاتت به فلقد أراه يردّ غرّب الجامح
ولقد أراه مُجفّفاً (٣) أفراسه يغشى الأسنة فوق نهد قارح
فى جحفل لجب ترى أبطاله منه تعضّل (٤) بالقضاء الفاسح
يقص (٥) الحزونة والسهولة اذ غدا بزُهاء أرعن مثل ليل جانح
ولقد أراه مقدماً أفراســـه يُدْنى مراجح فى الوغى لمراجح
فتيان عادية لدى مُرْسَى الوغى سنّوا بسنة مُعْلمين جحاجح

(١) مصلتين يعنى أنهم أصلتوا سيوفهم وسلوها والشرامخ الطوال (٢) القارح من ذوات الحافر الذى شق نابه وطلع والشباة الفرس العاطية فى العنان (٣) جفف الفرس ألبسه التجفاف وهو آلة للحرب تلبسها الفرس والانسان يتقى بها كأنها درع (٤) تعضل تنشب (٥) يقصها

لبسوا السوابغ فى الحروب كأنها غُدُرٌ تَحَيَّرُ[1] فى بطون أباطح
واذا الضِّراب عن الطِّعان بدالهم ضربوا بمُرْهفة الصدور جوارح
لو عند ذلك قارعته منية قَرَعَ الحِواءَ[2] وضُمَّ سَرْحَ السارح
كنت الغياث لأرضنا فتركتنا فاليوم نصبر للزمان الكالح
فانْعَ المغيرة للمغيرة اذ غدت شَعْواءَ[3] مُخْجِرة لنبح النابح
صفان مختلفان حين تلاقيا آبوا بوجه مُطْلَقٍ أو ناكح
ومُدَجَّج كره الكماة نزاله شاكى السلاح مُسايف أو رامح
قد زار كبش كتيبة بكتيبة يُودى لكوكبها برأس طامح
غيرْ ان دون نسائه وبناته حامى الحقيقة للحروب مُكاوح[4]
سبقت يداك له بعاجل طعنة شَهِقت لمنفذها أصول جوانح
والخيل تَضْبَحُ بالكماة وقد جرت فوق النحور دماؤها بسرائح[5]
يالَهْفَتَا يالهفتا لك كلما خيف الغرار على المُدِرِّ[6] الماسح
تشفى بحلمك لابن عمك جهله وتَذُبّ عنه كِفاح كل مكافح
واذا يصول بك ابن عمك لم يَصُل بمواكل وكِلِ غداة تَجالُح[7]
صِلّ يموت سليمه قبل الرُّقَى ومخاتل لعدوه بتصافح
واذا الأمور على الرجال تشابهت وتنوزعت بمَغالق ومَفاتح
قتل السَّحيل بمِبْرَم ذى مِرّة دون الرجال بفضل عقل راجح
وأرى الصعالك للمغيرة أصبحت تبكى على طَلْقِ اليدين مسامح
كان الربيع لهم اذا انتجعوا الندى وخبتْ لوامع كل برق لامح

---

(١) تحير تدافع (٢) الحواء البيوت المتدانية (٣) غارة شعواء متفرقة وأجحره الجأه الى أن يدخل فى جحره (٤) مماوس (٥) السرائح السيور وهى سيور نعال الابل.
(٦) المدر من كثر عرقه (٧) التجالح التكاشف والوكل الذى يتكل على غيره

كل المهلب بالمغيرة كالذى ... ألقى الدلاء الى قليب المائح
فأصاب جمّة ما استقى فسقى له ... فى حوضه بنوازع وموائح
أيام لو يحتلّ وسط مفازة ... فاضت معاطشها بشرب سائح
ان المهالب لن يزال لها فتى ... يمرى قوادم كل حرب لاقح
بالمقربات لواحقا آطالها ... تجناب سهل سباسب وصحاصح
متلببا تهفو الكتائب حوله ... مُلْح المتون من النضيح الراشح
ملك أغرّ متوج يسمو له ... طرف الصديق بغضّ طرف الكاشح
رفّاع ألوية الحروب الى العدى ... بسعود طير سانح وبوارح

قال أبو العباس ولقد أنشدت لبعض المحدثين فى نحو هذا المعنى أبياتاً حسنة ثم أنشد

أيها الناعيان من تنعيان ... وعلى من أراكما تبكيان
اندبا الماجد الكريم أبا اسـ ... ـحاق رب المعروف والاحسان
واذهبا بى ان لم يكن لكما مقـ ... ـبر الى جنب قبره فاعقرانى
وانضحا من دمى عليه فقد كا ... ن دمى من نداه لو تعلمان

كان المهلب بخراسان فخرج اليه زياد فمدحه ، فأمر له بجائزة ، فأقام عنده أياماً قال فأنا لعشيّة نشرب مع حبيب بن المهلب فى دار له وفيها حمامة اذ سجعت الحمامة فقال زياد

تغنّى أنت فى ذمّى وعهدى ... وذمة والدى ان لم تطاري
وبيتك أصلحيه ولا تخافى ... على صعر مزغبة صغار
فانك كلما غنيت صوتاً ... ذكرت أحبتى وذكرت دارى
فاما يقتلوك طلبت ثاراً ... له نبأ لأنك فى جوارى

فنزع حبيب لها سهماً فقتلها ، فوثب زياد على المهلب فحدثه الحديث ، فقال المهلب لحبيب أعط ابا أمامة دية جارته ألف دينار فأنشأ زياد يقول

فلله عينا من رأى كقضية ... قضى لحبها قَرْم العراق المهلب
رماها حبيب بن المهلب رمية ... فأثبتها بالسهم والسهم يقرب
فألزمه عقل القتيل ابن حرة ... وقال حبيب انما كنت ألعب
فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب

فحمل حبيب له ألف دينار على كره منه ، فانه ليشرب مع حبيب يوماً اذ عربد عليه حبيب وقد كان حبيب ضَغِن عليه مما جرى فأمر بشق قَباء ديباج كان عليه فقال

لعمرك ما الديباج خرقت وحده ... ولكنما خرقت جلد المهلب

فبعث المهلب الى حبيب وقال له صدق زياد ما خرقت الا جلدي تبعث عليّ هذا يهجوني ، ثم أبعث اليه فأحضر فاستل سخيمته من صدره وأمر له بمال وصرفه

ومن قوله يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر

سألناه الجزيل فما تأبى ... فأعطى فوق مُنْيتنا وزادا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا
مراراً ما دنوت اليه الا ... تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا
أخ لك لا تراه الدهر الا ... على العلّات مبتسماً جوادا

ومن قوله يمدحه

أبلغ أبا حفص رسالة ناصح ... أتت من زياد مستبينا كلامها
فانك مثل الشمس لا ستردونها ... فكيف أبا حفص عليّ ظلامها
لقد كنت أدعو الله في السر أن أرى ... أمور مَعَدّ في يديك نظامها
فلما أتاني ما أردت تباشرت ... بناتي وقلن العام لا شك عامها

فانى وأرضاً أنت فيها ابن مَعْمَر ... كمكة لم يَطْرَب لأرض حمامها
اذا اخترت أرضاً للمقام رضيتها ... لنفسى ولم يثقل علىّ مقامها
وكنت امنّى النفس عنك ابن معمر ... أمانىّ أرجو أن يتم تمامها
فلا أك كالمُجْرِى الى رأس غاية ... بُرجَّى سماء لم يُصبه غمامها

فأسنى له جائزته فخرج من عنده حتى قدم على عبد الله بن الحَشْرَج وهو بسابور فأنزله وألطفه فقال فى ذلك

ان السماحة والمروءة والندى ... فى قُبّة ضربت على ابن الحَشْرَج
ملك أغرّ متوج ذو نائل ... للمعتفين يمينه لم تَشْنَج
ياخير من صعد المنابر بالتقى ... بعد النبى المصطفى المتحرج
لما أتيتك راجياً لنوالكم ... الفيت باب نوالكم لم يُرتَج

فأمر له بعشرة آلاف درهم

استبطأ زياد عمر بن عبيد الله فى بعض زياراته اياه فقال

أصابت علينا جودك العين يا عمر ... فنحن لها نبغى التمائم والنُّشَر (١)
أصابتك عين فى سماحك صُلْبة ... ويارب عين صلبة تفلق الحجر
سنرقيك بالأشعار حتى تملها ... فان لم تفق يوماً رقيناك بالسور

فبلغته الأبيات فأرضاه وسرحه

مر يزيد بن حبناء الضبّى بزياد وهو ينشد شعراً قد هجا به قتادة بن مغرب. فأفحش فيه، فقال له يزيد ألم يأن لك أن ترعوى وتترك تمزيق أعراض قومك. ويحك؟ حتى متى تتمادى فى الضلال فكأنك بالموت قد صبحك أو مساك، فقال فيه زياد.

يحذرنى الموت ابنُ حَبْناء والفتى ... الى الموت يغدو جاهداً ويروح
وكل امرئ لا بد للموت صائر ... وان عاش دهراً فى البلاد يسيح

(١) النشر الرق

فقل ليزيد يا ابن حَبْناء لا تَعِظ أخاك وعظْ نفساً فأنت جنوح
تركت التقى والدين دين محمد لأهل التقى والمسلمين يلوح
وتابعت مُرَّاق العراقين سادرا وأنت غَليظ القُصْرَيَيْن (١) صحيح

فقال له يزيد بن عاصم الليثي قبحك الله أتهجو رجلا وعظك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء ؟ هلا كففت اذ لم تقبل، أراه والله سيأتي على نفسك ، ثم لا يحيق فيك اذهب ويحك فأته واعتذر اليه لعله يقبل عذرك ، فمشى اليه بجماعة من عبد القيس فشفعوا اليه فيه ، فقال لا تثريب لست واجداً عليك بعد يومي هذا

أراد الفرزدق أن يهجو عبد القيس فقال له

وما ترك الهاجون لى ان هجوته مصَحّاً أراه فى أديم الفرزدق
وما تركوا لحماً يدقون عظمه لآكله ألقـــوه للمتعرق
سأحطم ما أبقوا له من عظامه فأنكب عظم الساق منه وأنتقي
فانا وما تهدى لنا ان هجوتنا لكالبحر مهما يُلْقَ فى البحر يَغْرَق

فقال له الفرزدق حسبك هلم نتشارك: قال ذاك اليك وما عاوده بشئ

دخل أبو قُلابة الجَرْمى مسجد البصرة واذا زياد الأعجم ، فقال زياد من هذا ؟ قال أبو قلابة ، فقام على رأسه فقال .

قم صاغراً يا كهل جَرْم فانما يقال لكهل الصدق قم غير صاغر
فانك شيخ ميت ومورث قُضاعة ميراث البَسُوس وناشر
قضى الله خلق الناس ثم خلقتم بقيـة خلق الله آخر آخر
فلم تسمعوا الا بما كان قبلكم ولم تدركوا الا بدق الحوافر
فلو رد أهل الحق من مات منكم الى حقه لم تدفنوا فى المقابر

فقيل له فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة ؟ قال فى النواويس

---

(١) القصريان ضلعان يليان الترقوتين

شعراء تغلب

الأخطل

هو غياث بن غوث بن الصَّلْتْ من جُشَم بن بكر ثم من تَغْلِبْ ، ويكني أبا مالك ، والأَخْطَلْ لقب غلب عليه لأنه هجا رجلاً من قومه فقال له يا غلام انك لأخطل فغلبت عليه ، ومحله فى الشعر أكبر من أن يحتاج الى وصف ، وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة جعلها ابن سلام أول طبقات الاسلام ، ولم يقع اجماع على أحدهم أنه أفضل ولكل واحد منهم طبقة تفضله

جاء رجل الى يونس فقال له من أشعر الثلاثة ؟ قال الأخطل ، قال أبو عبيدة من الثلاثة ؟ قال أى ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم ، قال عمن ترْوى هذا ؟ قال عن عيسى بن عمر ، وابن أبى اسحق الحضرمى ، وأبى عمرو بن العلاء ، وعنبسة الفيل ، وميمون الأقرن الذين ماثوا [1] الكلام وطرَّقوه ، لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون ، فسأله الرجل وبأى شىء فضَّلوه ؟ قال بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياد ليس فيها سَقَط ولا فُحْش وأشدهم تهذيباً للشعر ، وقال الأصمعى ان الأخطل كان يختار تسعين بيتاً ، ثم يختار منها ثلاثين فيُطيرها ، وكان سَلَمة بن عياش اذا ذكر الأخطل يقول ومن مثل الأخطل وله فى كل شعر بيتان ؟ ثم ينشد قوله

ولقد علمت اذا الرياح تناوحت هُوج الرئال تكبُّهن شمالا
أنا نعجل بالغبيط لضيفنا قبل العيال ونضرب الأبطالا

ثم يقول ولو قال

ولقد علمت اذا الريا ح تناوحت هُوج الرئال

(١) ماث الشيء ميثاً مرسه بيده وطرق الصائغ الذهب مدده ورققه

كان شعراً ، واذا زدت فيه تكبهن شمالا كان أيضاً شعراً من روى آخر ، وقال نوح بن جرير لأبيه وكان يأكل وفى فيه لقمة وفى يده أخرى يا أبت أنت أشعر أم الأخطل ؟ فجرض باللقمة التى فى فيه ورمى بالتى فى يده وقال يا بنى لقد سررتنى وسؤتنى ، فأما سرورك إياى فتعاهدك مثل هذا وسؤالك عنه ، وأما ما سؤتنى به فلذكرك رجلاً قد مات ، يا بنى أدركت الأخطل وله ناب واحد ولو أدركته وله ناب آخر لأكفانى به ولكننى أعانتنى عليه خصلتان كبر سن وخبث دين ، وسئل حماد الراوية عن الأخطل فقال ما تسألونى عن رجل قد حبب شعره الى شعر النصرانية ، وقال أبو عمرو لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من أيام الجاهلية ما قدمت عليه أحداً ، وأنشد بيت شعر فاستجاده وقال لو كان للأخطل مازاد ، وسئل جرير أى الثلاثة أشعر ؟ فقال أما الفرزدق فتكلف منى ما لا يطيق وأما الأخطل فأشدنا اجتزاء بالقليل وأرمانا للفرائص وأنعتنا للحمر والخمر ، وأما أنا فمدينة الشعر ، وقال العلاء ابن جرير اذا لم يجىء الأخطل سابقاً فهو سكيت ، والفرزدق لا سابقاً ولا سكيتاً فهو بمنزلة المصلى ، وجرير يجىء سابقاً وسكيتاً ومصلياً ، وقيل للفرزدق من أمدح أهل الاسلام ؟ فقال الأخطل أمدح العرب ، وكان أبو عبيدة يقول شعراء الاسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق ، وكان أبو عمرو يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره ، وكان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق ، فقال له الفرزدق انما تفضله لانه فاسق مثلك ، فقال لو فضلته بالفسق لفضلتك ، وقال اسحق بن مرار الشيبانى الأخطل عندنا أشعر الثلاثة ، فقيل يقال انه أمدحهم ، فقال لا والله ولكن أهجاهم من منهما يحسن أن يقول ؟

ونحن رفعنا عن سلول رماحنا وعمداً رغبنا عن دماء بنى نصر

وقال الأخطل أشعر الناس قبيلة بنو قيس بن ثعلبة ، وأشعر الناس بيتاً آل أبى سلمى وأشعر الناس رجل فى قميص

وقال الأخطل لعبد الملك يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة (جرير) أنه ليبلغ

مدحتك فى ثلاثة أيام وقد أقمت فى مدحتك « خف القطين فراحوا منك أو بكروا » سنة فما بلغت كل ما أردت، فقال عبد الملك ما سمعناها يا أخطل ، فأنشده إياها ، فجعل عبد الملك يتطاول لها ، ثم قال له ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب الى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال أكتفى بقول أمير المؤمنين ، وأمر له بحفنة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعاً وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول هذا شاعر أمير المؤمنين هذا شاعر العرب

أنشد عبد الملك قول كُثَيِّر فيه

فما تركوها عَنْوَة عن مودة ولكن بحَدِّ المَشْرَفِيِّ استقالها

فأعجِبَ به ، فقال له الأخطل ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه ، قال وما قلت ؟ قال قلت

أهَلُّوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى ملك لا طَرِيف ولا غَصْب

جعلته لك حقاً وجعلك أخذته غصباً ، قال صدقت

قال شيخ من قريش رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك ، فلما انحدر دنوت منه فقلت يا أبا مالك من أشعر العرب ؟ قال هذان الكلبان المتعاقران من بنى تميم (جرير والفرزدق) فقلت أين أنت منهما ، قال أنا واللات أشعر منهما ، قال فحلف باللات هزؤاً واستخفافاً بدينه

قال رجل شيبانى للأخطل يا أبا مالك انا وان كنا بحيث تعلم من افتراق العشرة واتصال الحرب والعداوة تجمعنا ربيعة وان لك عندى نصحاً ، فقال هانه فما كذبت ، فقال انك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غنى عن ذلك ، ولا سيما أنه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويَسُبُّ ربيعة سباً لا تقدر على سب مُضَر بمثله والملك فيهم والنبوة قبله ، فلو شئت أمسكت عن مُشارَّته ومهارَّته ، فقال صدقت فى نصحك وعرفت مرادك وصلتك رحم ، فوالصليب

والقربان لا تخلصن الى كُليب خاصة دون مضَر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره ، ثم اعلم أن العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب اذا مرَّ به البيت العائر[١] السائر الجيد أمسلم قاله أم نصرانى

أصبح عبد الملك فى غداة باردة ، فتمثل قول الأخطل

اذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشيةً لا شك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

ثم قال كأنى أنظر اليه الساعة محلل الازار مستقبل الشمس فى حانوت من حوانيت دِمَشْق ، ثم بعث رجلاً يطلبه فوجد كما ذكره

قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان فنزل على ابن سرحون كاتبه ، فقال عبد الملك على من نزلت ؟ قال على فلان ، قال قاتلك الله ما أعلمك بصالح المنازل فماذا تريد أن يُنْزِلك ؟ قال دَرْمَك[٢] من درمككم هذا ولحم وخمر من بيت رأس ، فضحك عبد الملك ثم قال له ويلك وعلى أى شىء اقتتلنا الا على هذا ؟ ثم قال ألا تُسلم فنفرض لك فى الفىء ونعطيك عشرة آلاف ؟ قال فكيف بالخمر ؟ قال وما تصنع بها ؟ وان أولها لمرّ وان آخرها لسكر ، فقال أما اذ قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة ماملكك فيها الا كعُقْة ماء من الفرات بالأصبع ، فضحك ثم قال ألا تزُور الحجاج ؟ فانه كتب يستزيرك ، فقال أطائع أم كاره ؟ قال بل طائع ، قال ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك ، انني إذاً لكما قال الشاعر

كمبتاع ليركبه حماراً تخيره عن الفرس الكبير

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجاج ، فمدحه بقوله

صرمت حبالك زينب وزَعُوم وبدا المجمجم منهما المكتوم

(١) العائر من السهام ما لا يدرى راميه (٢) الدرمك دقيق الحوارى

ووجّه بالقصيدة مع ابنه اليه وليست من جيد شعره

قال أبو غسّان ذكروا الفرزدق وجريراً فى حلْقة المدائني فقلت لصباح ابن خاقان أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما ، قال هات ، فأنشدته

ألم يأتها أن الأراقم فلّقت ... جَماجم قيس بين راذان[1] والحَضْر
جماجم قوم لم يعافوا ظُلامة ... ولم يعرفوا أين الوفاء من الغدر

فسكت

وللأخطل قصائد طوال جياد ليس فيها فحش ولا سقط ، وقد وجدوا من ذلك عشراً منها

تأبّد[2] الرَّبع من سَلْمى بأجفار ... وأقفرت من سليمى دِمْنة الدار
وقد تكون بها سلمى تحدثنى ... تساقُطَ الحَلْى حاجاتى وأسرارى
ثم استبدّ بسَلْمَى نيّة قَذَفٌ[3] ... وسير منقضب الأقران مِغيار
كأن قلبي غداة البين مقتسَم ... طارت به عُصَب شتى لأمصار
ولو تلفّ النوى من قد تشوقه ... إذاً قضيت لُباناتى وأوطارى
ظلت ظباء بنى البكّاء ترصده ... حتى اقتُنِصْنَ على بعد وإضرار
ومَهْمه طامس[4] تُخْشى غوائله ... قطعته بكَلوء العين مِسْهار

وبعد ان وصف ناقته قال

وشارب مُرْبِح بالكأس نادمنى ... لا بالحَصور ولا فيها بسوّار[5]
نازعته طيّبَ الراح الشَّمول وقد ... صاح الدجاج وحانت وقفة السارى

(١) راذان كورتان بسواد بغداد (٢) تأبد المنزل اقفر والفته الوحوش (٣) نية قذف تتقاذف بصاحبها (٤) أى ذهبت أعلامه وانمحت (٥) مربح بالكأس يعطى فيها ربحاً والحصور البخيل والسوار من تسور الخمر فى رأسه سريعاً والذى يواثب نديمه اذا شرب

من خمر عانة[١] ينصاع الفرات لها ... بجدول صخب الآذيّ جرّار
كُمّت ثلاثة أحوال بطينتها ... حتى اذا صرحت من بعد تهدار
آلت الى النصف من كلفاء[٢] أترعها ... علج ولثمها بالجفن والغار
ليست بسوداء من ميثاء[٣] مظلمة ... ولم تعذب بادناء من النار
لها رداء ان نسج العنكبوت وقد ... حفّت بآخر من ليف ومن قار
صهباء قد كلفت من طول ما حبست ... فى مخدع بين جنات وأنهار
عذراء لم يجتل الخطّاب بهجتها ... حتى اجتلاها عبادىٌّ بدينار
فى بيت منخرق السربال معتمل ... ما ان عليه ثياب غير أطمار
اذا أقول تراضينا على ثمن ... ضنّت بها نفس خبّ البيع مكار
كأنما العلج اذ أوجبت صفقتها ... خليع خصل[٤] نكيت بين أقمار
لما أتوها بمصباح ومبزلهم ... سارت اليهم سؤور الأبجل[٥] الضارى
تدمى اذا طعنوا فيها بجائفة[٦] ... فوق الزجاج عتيق غير مسطار
كأنما المسك نهبى بين أرحلنا ... مما تضوع من ناجودها الجارى
انى حلفت برب الراقصات وما ... أضحى بمكة من حجب وأستار
وبالهدىّ اذا احمرت مذارعها ... فى يوم نسك وتشريق وتنحار
وما بزمزم من شمط محلقة ... وما بيثرب من عون وأبكار
لأجأتنى قريش خائفاً وجلا ... وموّلتنى قريش بعد اقتار
المنعمون بنو حرب وقد حدقت ... بى المنية واستبطأت أنصارى

(١) عانة بلد بين الرقة وهيت يمد فى أعمال الجزيرة وينصاع ينتقل راجعاً مسرعاً
(٢) الكلفاء التى تشتد حمرتها حتى تضرب الى السواد والجفن شجر طيب الريح وكذلك الغار
(٣) الميثاء الارض السهلة (٤) الخصل فى النضال أن يقع السهم بلزق القرطاس والنكيت المطعون فيه (٥) الابجل عرق فى باطن الذراع (٦) الجائفة الطعنة التى تصل الى الجوف والمسطار الخمرة الصارعة لشاربها

بهم تكشّف عن أحيائها ظلم ... حتى ترفّع عن سمع وأبصار
قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار

ومن طواله الجياد

خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا ... وأزعجتهم نوًى فى صرفها غِيَرِ
كأننى شارب يوم استُبِدّ بهم ... من قرقف ضمنتها حمص أوجدر (١)
جادت بها من ذوات القار مترعة ... كلفاء يمّحتّ عن خرطومها المدر
لذّ أصابت حُماتها مقاتلَه ... فلم تكدْ تنجلي عن قلبه الخُمَر
كأننى ذاك أو ذو لوعة خبلت ... أوصاله أو أصابت قلبه النُّشَر (٢)
شوقاً اليهم ووجداً يوم أتبعهم ... طرفى ومنهم بجنبى كوكبى (٣) زُمَر
حثّوا المطى فولتنا منا كبها ... وفى الخدور اذا باغمتها (٤) الصُّوَر
يُبرِقْن (٥) بالقوم حتى يحتبلنهمُ ... ورأيهن ضعيف حين يختبر
يا قاتل الله وصل الغانيات اذا ... أيقنّ أنك ممن قد زها الكِبَر
أعرضن لما حنى قوسى موتّرُها ... وابيض بعد سواد اللِّمّة الشعر
ما يرعوين الى داع لحاجته ... ولا لهن الى ذى شيبة وَطَر
شرّقن اذ عصر العيدانَ بارحها ... وأيبست غير مجرى السنّة الخُضَر
فالعين عانية بالماء تسفحه ... من نيّة فى تلاقى أهلها ضرر
منقضبين انقضاب الحبل يتبعهم ... من الشهيق وعين المقسم الوطر
حتى هبطن من الوادى لغضبته ... أرضاً تحلّ بها شيبان أو غبر
حتى اذا هن ورّكن القضيم وقد ... أشرفن أو قلن هذا الخندق الحفر
وقعن أصلا وعجنا من نجائبنا ... وقد تحيّن من ذى حاجة سفر

---

(١) القرقف الخمر وجدر قرية بين حمص وسلمية (٢) النشر جمع نشرة وهى من السحر
(٣) كوكبى موضع (٤) باغمه حادثه بصوت رخيم (٥) أبرق هدد وأوعد

الى امرىء لا تُعَرِّينا نوافله أظفره الله فليهنأْ له الظفر
الخائض الغمْرَ والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر
والهمُّ بعد نَجِيّ النفس يبعثه بالحزم والأَصْمَعان القلب والحَذَر
والمستمر به أمر الجميع فما يغترّه بعد توكيد له غَرَر
وما الفرات اذا جاشت حوالبه فى حافتيه وفي أوساطه العُشَر
وذعذعته[1] رياح الصيف واضطربت فوق الجآجئ من آذيّة غُدُر
مُسْحَنفِرا من جبال الروم يستره منها أكافيف[2] فيما دونها زَوَر
يوما بأجود منه حين تسأله ولا بأجهرَ منه حين يجتهر
ولم يزل بك واشيهم ومكرهمُ حتى أشاطوا[3] بغيب لحم من يَسَروا
فلم يكن طاويا عنا نصيحته وفى يديه بدنيا دوننا حَصَر
فهو فداء أمير المؤمنين اذا أبدى النواجذَ يوم باسل ذكر
مفترشا كافتراش الليث كلكله لوقعة كائن فيها له جزَر
مقدّما مائتى الف لمنزله ما ان رأى مثلهم جن ولا بشر
يغشَى القناطرَ بينيها ويهدمها مُسَوَّم فوقه الرايات والقَتَر
حتى يكون لهم بالطَّفّ[4] ملحمة وبالثُّوَيَّة لم ينبِض بها وتر
وتستبين لأقوام ضلالتهم ويستقيم الذى فى خده صعَر
ثم استقل بأثقال العراق وقد كانت له نقمة فيهم ومدَّخر
في نَبْعة من قريش يعصبون بها ما ان يوازَى بأعلى نبتها الشجر
تعلو الهِضاب وحلُّوا فى أرومتها أهل الرياء وأهل الفخر ان فخروا
حُشْد على الحق عيّافو الخنا أُنُف اذا ألمّت بهم مكروهة صبروا

---

(١) حركته تحريكا شديداً والجؤجؤ صدر السفينة والآذى الموج (٢) أكافيف الجبل جيوده (٣) أشاط اللحم عن القوم فرقه (١) الطف ارض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية والثوية موضع قريب من الكوفة

وان تدجّت على الآفاق مظلمة ... كان لهم مخرج منها ومعتصر
أعطاهم الله جداً ينصرون به ... لا جدّ الا صغير بعد محتضر
لم يأشروا فيه اذا كانوا مواليه ... ولو يكون لقوم غيرهم أشروا
شُمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ... ولا يبين فى عيد انهم خوَر
هم الذين يبارُون الرياح اذا ... قل الطعام على العافين أو قتَروا
بنى أُمية نعماكم مُجلّلة ... تمت فلا منّة فيها ولا كدر
بنى أمية قد ناضلت دونكم ... أبناء قوم هم آووا وهم نصروا
أخمت عنكم بنى النجار قد علمت ... عليا معَدّ وكانوا طالما هدَروا
حتى استكانوا وهم منى على مضَض ... والقول يُنفذ مالا تنفذ الابر
بنى أمية انى ناصح لكم ... فلا يبيتن فيكم آمناً زُفَر
واتخذوه عدوا ان شاهده ... وما تغيب من أخلاقه دَعَر
ان الضغينة تلقاها وان قدمت ... كالعرّ يكمن حينا ثم ينتشر
وقد نصرت أمير المؤمنين بنا ... لما أتاك ببطن الغوطة الخبر

وقد ذكر بعد ذلك فيها حديث عمير بن الحباب وهجا قيساً

وكان السبب فى هجائه الأنصار أنه لما شبب عبد الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية أرسل يزيد الى كعب بن جُعيل فقال اهج الأنصار، فقال أفرق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر، قال ومن هو؟ قال الأخطل، فدعابه فقال اهج الأنصار، فقال أفرق من أمير المؤمنين، فقال لا تخف شيئاً أنا لك بذلك، فهجاهم فقال

واذا نسبت ابن القُريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الاله من اليهود عصابة ... بالجزع بين صُلَيصِل وصِرار
قوم اذا هدَر العصير رأيتهم ... حمرا عيونهم من المسطار
خلوا المكارم لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بنى النجار

ان الفوارس يعلمون ظهوركم أولاد كل مقبح أكّار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية فحسر عن رأسه عمامته وقال يا أمير المؤمنين أترى لؤماً؟ قال لا بل أرى كرماً وخيرا ما ذاك؟ قال زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائمنا، قال أو فعل؟ قال نعم، قال لك لسانه، وكتب فيه أن يؤتى به، فلما أتى سأل الرسول ليدخل الى يزيد أولا، فأدخله عليه، فقال هذا الذى كنت أخاف، قال لا تخف شيئاً ودخل على معاوية فقال علام أرسل الى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتنا؟ قال هجا الأنصار، قال ومن زعم ذلك؟ قال النعمان بن بشير، قال لا يقبل عليه وهو يدّعى لنفسه ولكن تدعوه بالبينة فان أثبت شيئاً أخذته به له، فدعاه بالبينة فلم يأت بها فخلى سبيله فقال الأخطل يمدح يزيد من قصيدة أولها

صحا القلب الا من ظعائن فاتنى بهن أمير مستبد فأصعدا

يقول فيها

وانى غداة استعبرت أم مالك لراض من السلطان أن يتهددا
ولولا يزيد ابن الملوك وسَيْبُه تجللت حِدْبارا[1] من الشر أنكدا
فكم أنقذتنى من جَرور[2] حبالكم وخَرْساء لو يُرمَى بها الفيل بَلَّدَا
ودافع عنى يوم جِلَّقَ غمْرة وهمّا ينسينى السُّلاف المهوَّدا[3]
وبات نَجِيّا فى دِمَشق لحيـة اذا عض لم يُنْمِ[4] السَّليم وأقْصدا
يخفّته طورا وطورا اذا رأى من الوجه اقبالا ألحّ وأجهدا
أبا خالد دافعت عنى عظيمة وأدركت لحمى قبل أن يتبددا

(١) الحدبار السنة الجدبة المقحطة ويستعار للامر الصعب (٢) بئر جرور بعيدة القعر والخرساء الداهية (٣) هوده الشراب أسكره (٤) أنمى الصيد غاب عنك ومات بحيث لا تراه والسليم الملدوغ (٥) أغذ أسرع

وأطفأت عنى نار نعمان بعد ما ... أغذَّ [١] لأمر عاجز وتجردا
ولما رأى النعمان دونى ابن حرة ... طوى الكشح إذ لم يستطعنى وعرَّدا
ولاقى امرأً لا ينقض القوم عهده ... أمرَّ القُوَى دون الوشاة وأحصدا
أخائفة لا يجتويه ثويُّه ... ولا نائياً عنه اذا ما توردا

ومن طواله يمدح ابن ربعىّ

لمن الديار بحائل فوُعال [١] ... درَست وغيرها سنونَ خوالِ
درَج البوارح فوقها فتنكرت ... بعد الأنيس معارفُ الأطلال
فكأنما هى من تقادم عهدها ... ورق نُشِرْن من الكتاب بَوَالِ
دِمَن تذعذعها الرياح وتارة ... تُسقى بمرتجز [٢] السحاب ثقال
باتت يمانيةُ الرياح تقوده ... حتى استقاد لها بغير حبال
فى مظلم غدق الرَّباب كأنما ... يسقى الأشقّ وعالجاً بدوَال [٣]
وعلى زُبالة بات منه كَلْكَل ... وعلى الكثيب وقُلَّة الأدحال
دار تبدلت النَّعام بأهلها ... وصوَار كل ملمع ذيَّال [٤]
وعلا البَسيطةَ فالشقيق برَيِّق ... فالضَّوْج بين رُوَيَّة فطحال
أُدم مخدَّمة [٥] السواد كأنها ... خيل هوامل بتْن فى أجلال
ترعى بحازِجُها [٦] خلال رياضها ... وتميس بين سباسب ورمال
ولقد تكون بها الرَّباب لذيذة ... بفم الضجيع ثقيلة الأوصال
يجرى ذَكىّ المسك فى أردانها ... وتصيد بعد تفتل ودلال

(١) وعال جبل بسماوة كلب بين الكوفة والشام وحائل من ارض اليمامة (٢) ارتجز الرعد تدارك صوته كارتجاز الراجز (٣) الرباب السحاب الأبيض والأشق وعالج موضعان والدالية الساقية وجمعها دوال (٤) الذيال الثور الوحشى والملمع الذى يكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه (٥) خدم الفرس على المجهول قصر بياض تحجيله عن الوظيف فاستدار بأرساغ رجليه دون يديه فوق الأشاعر فهو مخدم (١) البحزج ولد البقرة الوحشية

قلبَ الغَوِيّ اذا اتنبه بعد ما تعتـلّ كل مُذَالة متفال
عشنا بذلك حِقبة من عيشنا وَتَراً من الشهوات والأموال
ولقد أكون فمن صاحب لذة حتى تغير حالهن وحالى
فتنكرت لما علتني كِبْرة عند المشيب وآذنت بزيال
لما رأت بدل الشباب بكت له والشيب أرذل هذه الأبدال
والناس همهم الحياة وما أرى طول الحياة يزيد غير خَبال
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذُخْراً يكون كصالح الأعمال
ولئن نجوت من الحوادث سالماً والنفس مُشْرِفة على الآجال
لأُغَلْغِلن الى كريم مِدْحة ولأُثنينّ بنائـل وفعال
ان ابن رِبْعِيّ كفانى سَيْبُه ضِغْن العدو ونَبْوة البُخَّال
أغليتَ حين تواكلتني وائل ان المكارم عند ذاك غوال
ولقد شفيت مليلتي من معشر نَزَلوا بعَقْوة (١) حيـة قتال
بَعُدَت قعور دِلائهم فرأيتهم عنـد الحَمالة مُغْلَقِي الأقفال
ولقد منَنْتَ على ربيعةَ كلها وكفَفْتَ كل مُوَاكل خَذَّال
كَزَم (٢) اليدين عن العطية ممسك ليست تَبِضّ صفاته ببلال
مثل ابن بَزْعة أو كآخر مثله أولى لك ابنَ مُسيمة الأجمال
ان اللئيم اذا سألت بهَرْته وترى الكريم يَراح كالمختال
واذا عدلت به رجالا لم تجـد فيض الفُرات كرائح الأوشال (٣)
واذا تَبَوَّع (٤) للحَمالة لم يكن عنها بمنبهر ولا سَـعَّال
واذا أتى باب الأمير لحاجة سَمَت العيون الى أغرّ طُوَال

(١) العقوة الساحة والمحلة (٢) لا يبسطها بالمعروف (٣) الوشل الماء القليل يتحلب من صخر او جبل ولا يتصل قطره (٤) تبوع المساعى مدباعه

ضخم سُرَادقه يعارض سَيْبُه نفحاتِ كل صبا وكل شَمال
واذا المئون تؤوكلت أعناقها فاحمل هناك على فتى حَمَّال
ليست عطيته اذا ما جئته نَزْراً وليس سِجاله كسِجال
فهو الجواد لمن تعرض سَيْبُه وابن الجواد وحامل الأثقال
ومسوَّم خرِق الحتوف تقوده للطعن يوم كريهة وقتال
أقصدت قائدها بعامل صَعْدَة ونزلت عند توا كل الأبطال
والخيل عابسة كأن فروجها ونحورها ينضحن بالجِرْيال (١)
والقوم تختلف الأسنة بينهم يَكْبُون بين سوافل وعَوَال
ولقد ترد الخيل عن أهوائها وتَكُفُّ حد رجالها برجال

ثم وصف الخمر وهجا جريراً وقومه

دخل الأخطل على بشر بن مَرْوَان وعنده الراعى ، فقال له بشر أأنت أشعر أم هذا ؟ قال أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعى ما تقول ؟ قال أما أشعر فعسى ، وأما أكرم فان كان فى أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم ، فلما خرج الأخطل قال له رجل أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ قال ويلك ان أبا نسطوس وضع في رأسى اكؤساً ثلاثا فو الله ما أعقل معها

دخل على عبد الملك فاستنشده فقال قد يبس حلقى فمر من يسقينى ، فقال اسقوه ماء ، فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير ، قال فاسقوه لبنا ، قال عن اللبن فطمت ، قال فاسقوه عسلا ، قال شراب المريض ، قال فتريد ماذا ؟ قال خمراً يا أمير المؤمنين ، قال أو عهدتنى أسقى الخمر لا أم لك ؟ لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت ، فخرج فلقى فراشا لعبد الملك فقال ويلك ان أمير المؤمنين استنشدنى وقد صَحِل صوتى فاسقنى شربة خمر ، فسقاه ، فقال اعده بآخر ، فسقاه آخر ،

(١) الجريال صبغ احمر

فقال تركتهما يعتركان في بطني اسقني ثالثاً ، فسقاه ثالثاً ، فقال تركتني أمشي على واحدة اعدل ميلي برابع ، فسقاه رابعاً ، فدخل على عبد الملك فأنشده « خفّ القطين » فقال عبد الملك خذ بيده يا غلام فأخرجه ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره وأحسن جائزته وقال ان لكل قوم شاعراً وان شاعر بني أُمية الأخطل

لما استنزل عبد الملك زُفَر بن الحرث الكلابي من قَرْقيسيا أقعده معه على سريره ، فدخل عليه ابن ذي الكُلاع ، فلما نظر اليه مع عبد الملك على السرير بكى ، فقال له ما يُبْكيك ؟ فقال يا أمير المؤمنين وكيف لا أبكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك ؟ ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض ، قال اني لم أجلسه معك أن يكون أكرم عليَّ منك ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني ، فبلغت الأخطل وهو يشرب ، فقال أما والله لأقومن في ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذي الكُلاع ، ثم خرج حتى دخل على عبد الملك ، فلما ملأ عينيه منه قال

وكأس مثل عين الديك صِرْف تُنَسّي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشية لا شك فيها وأرخى من مآزره الفُضُولا

فقال له عبد الملك ما أخرج هذا منك يا أبا مالك الا خُطَّة في رأسك ، قال أَجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدوّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زُفَر فقلبه عن السرير وقال أذهب الله حزازات تلك الصدور ، فقال أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذي أعطيتني ، فكان زفر يقول ما أيقنت بالموت قط الا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال

قال الأخطل فضلت الشعراء فى المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بى ، فأما النسيب فقولي

ألا يا اسلمى يا هندُ هندَ بنى بدر ... وان كان حيَّانا عدِّى آخر الدهر
من الخَفِرات البيض أما وشاحها ... فيجرى وأما القُلْب[1] منها فلا يجرى
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوى ... بمطَّرِد المتنين منبتر الخصر

وقولي فى المديح

نفسي فداء أمير المؤمنين اذا ... أبدى النواجذ يوم عارم ذكر
الخائض الغمر والميمون طائره ... خليفة الله يستسقى به المطر

وقولى فى الهجاء

وكنت اذا لقيت عبيد تَيْم ... وتيما قلت أيهما العبيد
لئيم العالمين يسود تيما ... وسيدهم وان كرهوا مَسود

طلق اعرابى امرأته فتزوجها الأخطل وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك ، فبينا هى معه اذ ذكرت زوجها الأول فتنفست ، فقال الاخطل

كلانا على هم يبيت كأنما ... بجنبيه من مَسَّ الفراش قروح
على زوجها الماضى تنوح وانني ... على زوجتى الأخرى كذاك أنوح

قال الأخطل لعبد الملك بن المهلَّب ما نازعتنى نفسى قط الى مدح أحد ما نازعتنى الى مدحكم فأعطنى عطية تبسط بها لسانى فوالله لأُرَدِّينكم أَرْدِيَة لا يذهب صِقالها الى يوم القيامة ، فقال أعلم والله يا أبا مالك أنك بذلك ملئ ولكنى أخاف ان يبلغ أمير المؤمنين أنى أسأل فى غُرْم وأعطى الشعراء فأهلك ويظن ذلك منى حيلة ، فلما قدم على اخوته لاموه كل اللوم فيما فعله ، فقال قد أخبرته بعذرى

(١) القلب سوار المرأة غير ملوى

نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه ، فجاءه بعشاء ، ثم قال له انى نصرانى وأنت حنيف فأى الشراب أحب اليك ؟ قال شرابك ، ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتاً الا أتم الفرزدق القصيدة ، فقال الأخطل لقد نزل بى الليلة شر من أنت ؟ قال الفرزدق بن غالب ، فسجد لى وسجدت له ، فقيل للفرزدق فى ذلك فقال كرهت أن يفضلنى ، فنادى الاخطل يا بنى تغلب هذا الفرزدق ، فجمعوا له ابلاً كثيرة ، فلما أصبح فرّقها ثم شخص .

قال عمر بن شبّة مما يقدم به الأخطل انه كان أخبثهم هجاء فى عفاف من الفحش وقال الأخطل ما هجوت أحداً قط بما تستحيي العذراء أن تنشده أبها

خرج يزيد بن معاوية عام حج بالأخطل فاشتاق يزيد الى أهله فقال

بكى كل ذى شجو من الشام شاقه تهام فأنّى يلتقى الشّجيان

أجز يا أخطل ، فقال

يغور الذى بالشأم أو ينجد الذى بغور تهامات فيلتقيان

قيل لأبى العباس أمير المؤمنين ان رجلا شاعراً قد مدحك أفتسمع شعره ؟ قال وما عسى أن يقول فىّ بعد قول ابن النصرانية فى بني أمية

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

قال أبو عبدالملك كانت بكر بن وائل اذا تشاجرت فى شئ رضيت بالأخطل ، وكان يدخل المسجد فيقومون اليه ، قال فرأيته بالجزيرة وقد شكى الى القسّ وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يَصِى كما يصى الفرخ ، فقلت له أين هذا مما كنت فيه بالكوفة ؟ فقال يا ابن أخى اذا جاء الدين ذَلّلنا ، وقال اسحق بن عبد الله الهاشمى قدمت دمشق وأنا شاب مع أبى فكنت أطوف فى كنائسها ومساجدها ، فدخلت كنيسة دمشق واذا الأخطل فيها محبوس ، فجعلت أنظر اليه ، فسأل عنى فأخبر بنسبى ، فقال يا فتى انك لرجل شريف وانى أسألك حاجة ، فقلت حاجتك

مقضية ، قال ان القسَّ حبسنى هنا فتكلمه ليخلى عنى ، فأتيت القس فانتسبت له فرحَّب بى وعظّم ، قلت ان لى اليك حاجة ، قال ما حاجتك ؟ قلت الأخطل تخلى عنه ، قال أعيذك بالله من هذا ، مثلك لا يتكلم فيه ، فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم ، فلم أزل أطلب اليه حتى مضى معى متكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال ياعدو الله أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات ؟ وهو يقول لست بعائد ولا أفعل و يستخذى له ، فقلت له يا أبا مالك ، الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك فى الناس قدرك وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذى له ، فجعل يقول انه الدين انه الدين ، وقال الهيثم بن عدى كانت امرأة الأخطل حاملاً وكان متمسكا بدينه ، فمر به الأسقف يوماً فقال لها الحقيه فتمسحى به ، فغدت فلم تلحق الا ذَنَب حماره فتمسحت به ورجعت ، فقال لها هو وذنب حماره سواء

قال معاوية بن أبى عمرو بن العلاء لمحمد بن سلام أى البيتين عندك أجود ؟ قول جرير

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راح

أم قول الأخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً اذا قدروا

فقلت بيت جرير أحلى وأسير وبيت الأخطل أجزل وأرزَن ، فقال صدقت وهكذا كانا فى أنفسهما عند الخاصة والعامة

سمع هشام بن عبد الملك الأخطل يقول

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ذُخْرا يكون كصالح الأعمال

فقال هنيئاً لك أبا مالك ، هذا الاسلام ، فقال له يا أمير المؤمنين مازلت مسلما فى دينى

أتى الأخطل الكوفة فأتى الغضبان بن القَبعثرَى الشيبانى فسأله فى حَاجته ، فقال ان شئت أعطيتك ألفين لم يعطكها الا قليل وان أعطيتك درهمين لم يبق فى الكوفة بكرى الا أعطاك درهمين وكتبنا الى اخواننا بالبصرة فلم يبق بكرى بها الا أعطاك درهمين فخفت عليهم المؤنة وكثر لك النيل ، فقال فهذه اذاً ، قال نقسمها لك على ان ترد علينا ، فكتب بالبصرة الى سُوَيد بن منجوف السَّدوسى ، فقدم البصرة فأتى سويدا فأخبره بحاجته ، فقال نعم ، وأقبل على قومه فقال هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له وهو الذى يقول

اذا ما قلت قد صالحت بكرا ... أبى الأضغان والنسب البعيد
ومُهْراق الدماء بواردات ... تَبيد المخزيات ولا تَبيد
وأيام لنا ولهم طوال ... يعَضُّ الهامَ فيهن الحديدُ
هما أخوان يصطليان نارا ... رداء الموت بينهما جديد

فقالوا فلا والله لا نعطيه شيئاً ، فقال الأخطل

ألا أبلغ بنى شيبان عنى ... فما بينى وبينكمُ ذُحول
وكنتم اخوتى فخذلتمونى ... غداة تخاطرت تلك الفحول
توا كلنى بنو العلّات منكم ... وغالت مالكاً ويزيد غُول
قريعا وائل هلكا جميعاً ... كأن الأرض بعدهما مُحُول
فان تمنع سَدُوس درهميها ... فان الريح طيبة قَبُول
متى آتى الأراقم لا يَضِرنى ... نَبيب الأسعديّ وما يقول
رَوَابٍ من بني جُشَم بن بكر ... تصدعُ عن منا كبها السيول

وقال فى سويد بن منجوف

وما جِذْع سوء خرب السُّوس أصله ... لما حملته وائل بمطيق
تُطيف سَدُوس حوله وكأنها ... عِصِىّ أشاء لُوِّحت بحريق

جَماد الصفَا ما ان يَبِضُّ بقَطْرَة ولو كان ذا زَرَّاعة ورقيق
فان نعف عن حمران بكر بن وائل فما ان لنا سودانهم بصديق

فقال له سويد والله يا أبا مالك ما تحسن تهجو ولا تمدح ، لقد أردت مدح الأسديّ فهجوته ، يعنى قوله يمدح سماكاً الهالكيّ من بنى عمرو بن أسد وبنو عمرو يلقبون القيون

نعم المجير سِماك من بنى أسد بالقاع اذ قتلت جيرانها مُضَر
قد كنت أحسبه قيناً وأخبره فاليوم طَيَّرَ عن أثوابه الشرر
ان سماكاً بنى مجداً لأسرته حتى المات وفعل الخير يَبْتَدِر

فقال سماك يا أخطل أردت مدحي فهجوتنى ، كان الناس يقولون قولاً فحققته ، قال سويد وأردت هجائي فمدحتني جعلت وائلاً حملتنى أمورها وما طمعت فى بني ثعلبة فضلاً عن بكر فزدتنى تَغْلِب ، ولذلك قال محمد بن سلام كان الأخطل مع مهارته وشعره يسقط أحياناً

بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه ، وكان أهل البدو اذ ذاك يتحدث رجالهم الى النساء لا يرون بذلك بأسا وبين يديه باطية شراب والمرأة تحدثه ، اذ دخل رجل فجلس ، فثقل على الأخطل وكره أن يقول له قم استحياء منه ، وأطال الرجل الجلوس الى أن أقبل ذباب فوقع فى الباطية فى شرابه ، فقال الرجل يا أبا مالك الذباب فى شرابك ، فقال

وليس القَذَى بالعود يسقط فى الخمر ولا بذباب نزعه أيسر الأمر
ولكن قَذَاها زائر لا نُحبه رمتنابه الغيطان من حيث لا ندرى

دعا الأخطل شاب من شباب أهل الكوفة الى منزله ، فقال له يا ابن أخى أنت لا تحتمل المؤونة وليس عندك معتمد ، فلم يزل به حتى انتجعه ، فأتى الباب فقال يا شقراء ، فخرجت اليه امرأة ، فقال لأمه هذا أبو مالك قد أتانى ، فباعت

غزلاً لها ، واشترت لحماً ونبيذاً وريحاناً ، فدخل خُصاً لها فأكل معه وشرب ، فقال

نعمرك ما لاقيت يوم معيشة ... من الدهر الا يوم شقراء أقصر
حُوارية لا يقرُب الذم بيتها ... مطهرة يأوي اليها المطهر
وبيت كظهر الفيل أكثر حشوه ... أباريقه والشادن المتقطر (١)
ترى فيه أثلام الأصيص كأنه ... اذا بال فيه الشيخ جفر مُعور (٢)

اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان ، وكان بشر يُغْرِي بين الشعراء ، فقال للأخطل احكم بين الفرزدق وجرير ، فقال أعفني أيها الأمير ، قال احكم بينهما ، فاستعفاه بجهده ، فأبى الا أن يقول ، فقال هذا حكم مشئوم ، ثم قال الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر ، فلم يرض بذلك جرير وكان سبب الهجاء بينهما ، فقال جرير فى حكومته

ياذا الغباوة ان بشراً قد قضى ... ألاَّ تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها ... ان الحكومة فى بني شيبان
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم ... ياخزْر ثغلب لستم بهجان

فقال الأخطل

ولقد تناسبتم الى أحسابكم ... وجعلتم حكماً من السلطان
فاذا كليب لا تساوى درماً ... حتى يساوى حرزَم بأبان
واذا جعلت أباك فى ميزانهم ... رجحوا وشال أبوك فى الميزان
واذا وردت الماء كان لدارم ... عفواته وسهولة الأعطان

ثم استطار الهجاء بينهما

---

(١) المتقطر المتبخر بالقطر بضم القاف وهو العود (٢) عور عين الركية كبسها بالتراب حتى نضب الماء ، والجفر البئر الواسعة لم تطو والاصمص باطية يبال فيها

أعشى بنى تغلب

هو ربيعة بن يحيى بن معاوية من جُشَم بن بكر ثم من تغلب

شاعر من شعراء الدولة الأموية وساكنى الشام اذا حضَر واذا بدا نزل فى بلاد قومه بنواحى الموصل وديار ربيعة ، وكان نصرانياً وعلى ذلك مات.

كان ينادم الحُرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم ، فشربا يوماً في بستان له بالموصل ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه قبته واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة فمانعه الخدم وواقعهم حتى كاد يهجم على الحر مع جواريه ، فلطمه خصيّ منهم فخرج الى قومه فقال لهم لطمنى الحر ، فوثب معه رجل من بنى تغلب يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة فاقتحما الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا فقال الأعشى

كأنى وابن أدعج اذ دخلنا ... على قرشيك الورِع [1] الجبان
هزَبْرَا غابة وقَصَا حمارا ... فظلا حوله يتناوشان
أنا الجُشَمى من جُشِم بن بكر ... عشية رُعْتُ طرفك بالبنان
فما يستطيع ذو مُلْك عقابى ... اذا اجترمت يدى وجنى لسانى

مدح أعشى تغلب مُدْرِك بن عبد الله الكنانى فأساء ثوابه فقال الأعشى

لعَمْرُك انى يوم أمدح مُدْرِكا ... لكالمبتنى حوضاً على غير مَنْهَل
أمر الهوى دونى وفيَّل مدحتى ... ولو لكريم قلتها لم تَفيَّل

ومن قوله فى الوليد بن عبد الملك

لعمرى لقد عاش الوليد حياته ... امام هدى لا مستزاد ولا نزر
كأن بنى مروان بعد وفاته ... جلاميد لا تَنْدَى وان بلَّها القطر

(١) ورع الرجل فهو ورع جبن وصغر

كانت بين بنى شيبان وبين تغلب حروب فعاون مالك بن مِسْمَع بني شيبان فى بعضها ثم قعد عنهم فقال أعشى تغلب فى ذلك

بني أمنا مهلا فان نفوسنا تميت عليكم عتبها ومصالها
وترعى بلا جهل قرابة بيننا وبينكمُ لما قطعتم وصالها
جزى الله شيبانا وتيما ملامة جزاء المسيء سعيها وفعالها
أبا مِسْمَع من تُنكر الحقَّ نفسُه وتعجِزْ عن المعروف يَعْرِفْ ضلالها
أأوقدتَ نارالحرب حتى اذا بدا لنفسك ما تَجْني الحروبُ فهالها
نزعت وقد جردتها ذات منظَر قبيح مهين حيث ألقت حلالها
ألسنا اذا ما الحرب شبَّ سعيرها وكان سفيحُ المشرَفيَّ صلالها
أجارتنا حِلٌّ لكم أن تنازلوا محارمَها وان تميزوا حلالها
كذبتم يمين الله حتى تعاوروا صدور العوالى بيننا ونِصالها
وحتى ترى عين الذى كان شامتاً مُزاحفُ عقْرَى بيننا ومجالها

ومن قوله وفيه غناء

دار لقانصة الغرانق [1] ما بها غير الوحوش خلت له وخلا لها
ظلت تسائل بالمتيم ما به وهى التى فعلت به أفعالها

القطامى

هو عُمَير بن شُيَيم بن عمرو من بنى غنم بن تَغْلِب ، والقطامىّ لقب غلب عليه ، وهو أول من لقب صَريع الغوانى بقوله

صريع غوانٍ راقهن ورُقْنه لَدُنْ شبّ حتى شاب سود الذوائب

(١) الغرنوق الشاب الابيض الجميل وجمعه غرانق

نزل فى بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس ، فنسبها ، فقالت أنا من قوم يَشْتَوُون القِدّ من الجوع ، قال ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت محارب ، ولم تَقْرِه ، فبات بأسوأ ليلة ، فقال فيها قصيدة أولها

نأتك بليلى نيَّةٌ لم تقارب (١) وما حب ليلى من فؤادى بذاهب
منعَّمة تجلو بعود أراكة ذُرَوبَرد عَذْب شتيت المناصب (٢)
كأن فضيضاً من غريض غمامة على ظمأ جادت به أم غالب (٣)
لمستهلك قد كاد من شدة الهوى يموت ومن طول العِدَات الكواذب
صريع غوَان راقهن ورُقْنَه لدن شبَّ حتى شاب سود الذوائب

يقول فيها

ولا بد أن الضيف مخبر ما رأى مخبِّر أهل أو مخبِّر صاحب
سأخبر بالانباء عن أم منزل تَضيَّفتها بين العُذَيب فراسب
تلفعت فى طَلّ وريح تلفُّفى وفى طِرِمساء غيرذات كواكب (٤)
الى حيْزَبون (٥) توقد النار بعد ما تلفعت الظلماء من كل جانب
تصلَّى بها بَرْدَ العشاء ولم تكن تخال وَبيص (٦) النار يبدو لراكب
فما راعها الا بُغَام مطيَّة تُريح بمحسور من الصوت لاغب (٧)
تقول وقد قربت كُورى وناقتى اليك فلا تذعر علىَّ ركائبي
وجُنَّتْ جنوناً من دِلاث مُناخة ومن رجل عارى الأشاجع شاحب (٨)
سرى فى جليد الليل حتى كأنما تخزَّم بالأطراف شوكُ العقارب (٩)

(١) يريد لم تقارب نيتنا (٢) المناصب مراكز الاسنان (٣) فضيض ماء سائل وغريض طرى (٤) طرمساء ليلة مظلمة (٥) عجوز (٦) ضوء
(٧) محسور ضعيف (٨) دلاث ناقة ماضية وشاحب متغير
(٩) يقول أصاب أطرافه الجليد فكأن شوك العقارب تخزمت أطرافه أو دخلت فيها

فسلمتُ والتسليم ليس يسرها ولكنه حق على كل جانب[1]
فردت سلاماً كارهاً ثم أعرضت كما انحاشت الأنعى مخافة ضارب[2]
فقلت لها لا تفعلى ذا براكب أتاك مصيبٍ ما أصاب فذاهب
فلما تنازعنا الحديث سألتها مَنِ الحى ؟ قالت معشر من مُحارب
من المشتوين القِدّ مما تراهم جياعاً وريف الناس ليس بناضب[3]
فلما بدا حرمانها الضيفَ لم يكن عليَّ مُناخ السوء ضربة لازب

قال أبو عمرو بن العلاء أول ما حرك من القطامى ورفع من ذكره أنه قدم فى خلافة عمر بن عبد العزيز دِمَشْق ليمدحه ، فقيل له ان الشعر لا ينفق عند هذا ولا يعطى شيئاً وهذا عبد الواحد بن الحارث فامدحه ، فمدحه بقصيدة ، قال

انا مُحَيُّوك فاسلم أيها الطَّلل وان بَليتَ وان طالت بك الطِّيَل[4]
أنّى اهتديت لتسليم على دِمَن بالغمْر غيرهن الأعصر الأول
صافت تعمَّج أعناق السيول به من باكر سَبِط أو رائح يَبِل[5]
فهن كالخِلَل[6] الموشىّ ظاهرها أو كالكتاب الذى قد مسَّه البَلل
كانت منازلَ منا قد نَحُل بها حتى تغير دهر خائن خَبِل[7]
ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خُلَّة يصل
والعيش لا عيش الا ما تقرُّ به عين ولا حال الا سوف تنتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهى ولأمّ المخطئ الهَبَل[8]
قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّلل

(١) غريب (٢) انحاشت حادت وعدلت ومالت (٣) أى ليس لهم من العز ما يوجهون الى الريف فيمتاروا (٤) الطيل الدهور (٥) أصل التعمج للحية تلويها وصافت من الصيف ويبل من الوبل وهو المطر الشديد وسبط كثير الصب
(٦) الخلل النقش الذى يكون على جفن السيف (٧) مفسد (٨) الثكل

أمست عُلَيَة يرتاح الفؤاد لها ... وللراسم فيما دونها عمل
بكل منخرق[1] يجرى السَّراب به ... يُمسى وراكبه من خوفه وَجِل
يُنضى الهِجان التى كانت تكون بها ... عُرْضيّة وهِباب حين ترتحل[2]
حتى ترى الحُرَّة الوَجْناء لاغبة ... والأَرْحبيّ الذى فى خطوه خَطَل[3]
خُوصاً[4] تدير عيوناً ماؤها سَرِب ... على الخدود اذا ما اغرورق المقل
لواغب الطرف منقوباً حواجبها ... كأنها قُلُب عاديّة مُكُل[5]
يرمى الفِجاج بها الركبان معترضاً ... أعناق بُزّ لها مُرخى لها الجُدُل[6]
يمشين رَهْواً[7] فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجاز تتكل
فهن معترضات والحصى رَمِض ... والريح ساكنة والظل معتدل[8]
يتبعن سامية[9] العينين تحسبها ... مجنونة أو ترى ما لا ترى الابل
لما وردن نَبِيّاً واستتب بنا ... مسحنفر كخطوط السيح منسحل[10]
على مكان غِشاش ما يقيم به ... الا مغيرنا والمستقى العَجِل[11]
ثم استمر بها الحادى وجنّبها ... بطن التى نبتها الحَوْذان والنَّفَل[12]
حتى وردن رَكِيّات[13] العَوِير وقد ... كاد المُلاء من الكتان يشتعل
وقد تعرجت لما وَرَّكت أَرَكا ... ذات الشمال وعن أيماننا الرِّجَل[14]

---

(١) منخرق متسع (٢) ينضى يجعلها انضاء والهجان الكرام وعرضية اعتراض فى سيرها وهباب نشاط (٣) حرة عتيقة كريمة ووجناء غليظه الوجنات كثيرة لحمها ولاغبة معيبة وخطل سعة فى الخطو (٤) غائرة الاعين (٥) منقوباً حواجبها غارت عيونها وقلب جمع قليب وعادية قديمة ومكل قليلة الماء (٦) الجدل جمع جديل وهو الزمام (٧) رهواً ساكناً يتبع بعضها بعضاً (٨) معترضات من العرضية وهى المرح (٩) سامية رافعة
(١٠) نبى مكان ومسحنفر ممتد والسيح ضرب من البرود ومنسحل ذاهب
(١١) غشاش عجلة والمغير الذى يغير عن بعيره رحله اذا خاف أن يكون الرحل قد عقره
(١٢) الحوذان بقلة طيبة الريح والنفل أشبه شىء بها (١٣) الركيات الآبار والعوير بلد
(١٤) تعرجت تمكثت ووركت عدلت عنها والرجل مسايل الماء وأرك موضع

على مُناد دعانا دعوة كشفت عنا النعاس وفي أعناقنا مَيَل
سمعتها ورعان الطود معرضة من دونها وكثيب العَيْثة السَّهل (١)
فقلت للركب لما أن علا بهم من عن يمين الحُبَيّا نظرة قبل (٢)
ألمحةً من سَنا برق رأى بصري أم وجه عالية اختالت به الكَلل
تُهدى لنا كلما كانت عُلاوتنا (٣) ريح الخُزامى جرى فيها النَّدَى الخضل
وقد أبيت اذا ما شئت مال معى على الفراش الضجيع الأغيد الرَّتِل (٤)
وقد تباكرني الصهباء يرفعها اليّ لينة أعطافها ثمل
أقول للحَرْف لما أن شكت أُصُلا مَتَّ السِّفار وأفنى نِيّها الرَّحل (٥)
ان ترجعي من أبي عثمان مُنجحة فقد يهون على المستنجح العمل
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم اذا تخاطأ عبد الواحد الأجل
أما قريش فلن تلقاهمُ أبدا الا وهم خير من يحفى وينتعل
ألا وهم جبل الله الذى قَصُرت عنه الجبال فما ساوى به جبل
قوم همُ ثبتوا الاسلام فامتنعوا قوم الرسول الذى ما بعده رسل
من صالحوه رأى فى عيشه سعة ولا يرى من أرادوا ضره يَئِل (٦)
كم نالني منهمُ فضل على عدَم اذ لا أكاد من الاقتار أحتمل
وكم من الدهر ما قد ثبتوا قدمى اذ لا أزال مع الأعداء أنتضل
فلا همُ صالحوا من يبتغى عَنَتى ولا هم كدروا الخير الذى فعلوا
همُ الملوك وأبناء الملوك لهم والآخذون به والسّاسة الأول

قال أبو عمرو الشيبانى لو قال القطامى بيته

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل

(١) رعان أنوف جبال والطود جبل والعين موضع بالشام (٢) قبل أي مقابلة
(٣) العلاوة الموضع المرتفع (٤) الرتل المتفرق الاسنان التى لم يركب بعضها بعضاً
(٥) الحرف الناقة الضامرة ومت جذب السير ونيها شحمها (٦) يئل ينجو

فى صفة الناس لكان أشعر الناس ، ولو قال كثير قوله

فقلت لها ياعز كل مصيبة اذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

فى مرثية أو صفة حرب لكان أشعر الناس

حارب عمير بن الحُباب السلمى بني تغلب وأسر القطامى ، فأتى زُفر بن الحارث الكلابى بقرقيسيا فخلى سبيله ورد عليه مائة ناقة فقال القطامى يمدحه

قفى قبل التفرق يا ضُباعا (١) ولا يك موقف منك الوَداعا

قفى فادى أسيرك ان قومى وقومك (٢) لا أرى لهم اجتماعا

وكيف تجامع مع ما استحلا من الحُرَم العظام وما أضاعا

ألم يحزُنك ان جبال قيس وتَغْلِب قد تباينت انقطاعا

يطيعون الغواة وكان شرا لمؤتمر الغواية ان يطاعا

ألم يحزُنك ان ابني نزار أسالا من دمائهما التِّلاعا (٣)

وصارا ما تُغِبُّهما (٤) أمور تزيد سَنَا حريقهما ارتفاعا

كما العظم الكثير يهاض حتى يَئِتّ وانما بدأ انصداعا

فأصبح سيل ذلك قد ترقى الى من كان منزله يَفاعا (٥)

وكنت أظن ان لذاك يوماً يَبُزّ (٦) عن المخبأة القِناعا

ويوم تلاقت الفئتان ضربا وطعناً يبطح البطل الشجاعا

ترى منه صدور الخيل زُورا كأن بها نحازا أو دُكاعا (٧)

وظلت تعبط الايدى كُلوماً تمجّ عروقها عَلَقا مُتاعا (٨)

---

(١) ضباعة ابنة زفر (٢) يريد قيساً وتغلب (٣) التلعة مسيل من مكان مشرف الى الوادى (٤) يقال غب وأغب اذا أتى يوماً ولم يأت يوماً يقول تأتيهم كل يوم لا تأتى غباً (٥) أى من كان منه فى مكان بعيد المرتقى (٦) يبز يسلب (٧) النحاز داء يأخذ البعير منه السعال والدكاع السعال (٨) تعبط تخرجه طرياً والعبط أن تذبحه من غير علة

قوارش [١] بالرماح كأن فيها ... شواطن ينتزعن بها انتزاعا
كأن الناس كلهم لأم ... ونحن لعلة [٢] علت ارتفاعا
فكل قبيلة نظروا الينا ... وحلوا بيننا كرهوا الوقاعا
فهم يتبينون سنا سيوف ... شهرناهن أياماً تباعا
ثبتنا ما من الحيين الا ... يظل ترى لكوكبه شعاعا
وكنا كالحريق أصاب غابا ... فيخبو ساعة ويهب ساعا
فلا تبعد دماء ابني نزار ... ولا تقرر عيونك يا قضاعا
أمور لو تلافاها حليم ... اذا لنهى وهب ما استطاعا
ولكن الأديم اذا تفرى [٣] ... بلى وتغيباً غلب الصناعا
ومعصية الشفيق عليك مما ... يزيدك مرة منه استماعا
وخير الأمر ما استقبلت منه ... وليس بأن تتبعه اتباعا
كذاك وما رأيت الناس الا ... الى ما جر غاويهم سراعا
تراهم يغمزون [٤] من استركوا ... ويجتنبون من صدق المصاعا
وأما يوم قلت لعبد قيس [٥] ... كلاماً ما أردت به خداعا
تعلم أن بعد الغي رشدا ... وان لهذه الغمر انقشاعا
ولو نستخبر العلماء عنا ... ومن شهد الملاحم والوقاعا
بتغلب فى الحروب ألم يكونوا ... أشد قبائل العرب امتناعا
زمان الجاهلية كل حي ... أبرنا من فصيلتهم لماعا [٦]

---

(١) القرش صوت الرماح ووقع بعضها على بعض والشاطن الذى يمد الدلو
(٢) بنو العلات لاب واحد وامهات شتى وعلت ارتفاعاً فى العداوة وبعد النسب
(٣) تفرى تقطع والمعنى أن الاديم يدبغ على فساد فيرى فيه مثل العيون
(٤) يغمزون يضيمون واستركوا استضعفوا (٥) عبد قيس أخو القطامى
(٦) لماعا سيداً مشهوراً بمنزلة الشمس لا مع مشهور وأبرنا أهلكنا

أليسوا بالألى قسطوا علينا ... على النعمان وابتدروا السطاعا[1]
وهم وردوا الكلاب على تميم ... بموج يبلع الناس ابتلاعا
فما جبنوا ولكنا أناس ... نديم لمن يقارعنا القراعا
فأما طيئ فاذا أتاها ... نذائر جيشنا ولجوا القلاعا
وأما الحى من كلب فانا ... نحلهم السواحل والبقاعا
ومن يكن استلام[2] الى ثوى ... فقد أكرمت يا زفر المتاعا
أكفرا بعد رد الموت عني ... وبعد عطائك المائة الرتاعا[3]
فلو بيدى سواك غداة زلت ... بى القدمان لم أرج اطلاعا
اذا لهلكت لو كانت صغارا ... من الأخلاق تبتدع ابتداعا
فلم أر منعمين أقل منا ... وأكرم عندما اصطنعوا اصطناعا
من البيض الوجوه بنى نفيل ... أبت أخلاقهم الا اتساعا
بنى القرم الذى علمت معد ... تفرع قومها سعة وباعا

وقال أيضاً

يا ناق خبى خبيا زورا[4] ... وقلبى منسمك المغبرا
وعارضى الليل اذا ما اخضرا ... أخبرك البارح حين مرا
سوف تلاقين جواداً حرا ... سيد قيس زفر الأغرا
ذاك الذى بايع ثم برا ... ونقض الأقوام واستمرا
قد نفع الله به وضرا ... وكان فى الحرب شهاباً مرا

(١) السطاع عمود البيت الذى فى وسطه فاذا نزع عموده سقط أراد قتل عمرو بن كلثوم عمرو بن هند (٢) استلام فعل ما يلام عليه والثوى الضيف المقيم (٣) الرتاع التى ترتع وترعى (٤) الزور السير الشديد

وقال أيضاً

قد صبحت قُباقباً (١) صباحا ... مَهْرِيَّة قد غلبت مِرَاحا
تحمل من قيس فتى وَضَّاحا ... سَمْح اليدين بالندى نفَّاحا
كأن فى الموكب حين لاحا ... بدراً يزيد النظر انقساحا
أفلح ساقٍ بيديك امتاحا ... وقر عيناً ورجا الرَّباحا
ألا ترى ما غشِى الأركاحا (٢) ... وغشِى الخابور والأملاحا
يصفقون بالأكف الراحا (٣) ... لم يدع الثلج بها وَجاحا (٤)
بالله ترجو أو بك النجاحا

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة أولها

ما اعتاد حُبُّ سليمى حين معتاد ... وما تقضى بواقى دينها الطادى (٥)
الا كما كنت تلقى من صواحبها ... ولا كيومك من غراء وَرَّاد (٦)
بيضاء محطوطة المتنين بَهْكَنة ... رَيَّا الرَّوادف لم تُمْغِل بأولاد (٧)
ما للكواعب وَدَّعن (٨) الحياة كما ... ودعنني واتخذن الشيب ميعادى
أبصارهن الى الشبان مائلة ... وقد أراهن عني غير صُدَّاد
اذ باطلي لم تَقَشَّع جاهليته ... عني ولم يترك الخُلاَّن تَقْوَادى (٩)
كنيَّة الحى من ذى الغضبَة احتملوا ... مستحقبين أسيراً ماله فادى (١٠)
بانوا وكانت حياتى فى اجتماعهمُ ... وفى تفرقهم قتلى و إقصادى (١١)

(١) ماء لبنى تغلب خلف البشر من أرض الجزيرة (٢) الركح ساحة البيت والجمع أركاح والخابور نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة والاملاح موضع
(٣) أى يفعلون ذلك من الاسف والحزن مما أصاب من القحط (٤) الوجاح السترة أى لم يدع سترة الا هتكها (٥) الطادى الثابت القديم (٦) أراد وراد أبوها أو قيمها
(٧) محطوطة لطيفة وأمغلت الشاة اذا ولدت فى السنة مرتين (٨) يدعو عليهن
(٩) أى تقوادى الى اللهو (١٠) ما للكواعب ودعنى كما ودعنى حى كنت كلفاً بهم فظعنوا واستحقبوا فؤادى وهو الاسير الذى لا يفديه أحد (١١) قتلى

أرمى قصيدَهمُ طَرْفى وقد سلكوا بطن المجَيْمِرِ فالروحاء فالوادى (١)
محدّدين لبرق صاب فى خيَمٍ وبالقُرَيَّة رادوه برُوَّاد (٢)
يَخْفَوْن طوراً وأحياناً اذا اطلعوا نجداً بدا لي من أجمالهم بادى
وفى الخدور غمامات بَرقنَ لنا حتى تصيدننا من كل مصطاد
يقتلننا بحديث ليس يعلمه من يتقين ولا مكتومه بادى
فهن ينبذن من قول يُصبْن به مواقع الماء من ذى الغُلة الصادى

ثم قال

مالي أرى الناس مُزْورّا محولهمُ عنى اذا سمعوا صوتى وانشادى
الا أُخىّ بني الجَوّال يُوعدنى ما ذا يريد ابن جَوّال (٣) بايعادى
وطال ما ذبّ عني سُيّر (٤) شُرُد يصبحن فوق لسان الراكب الغادى
واسأل نِزارا وقد كانت تنازلني بالنِّصف (٥) من بين اسخان وابراد
واسأل إيادا وكانوا طالما حضروا منى مواطن ادناء وابعاد
عني وعن قُرّح كانت تُضَم معي حتى تقطعن من مَثْنى وفُرّاد
فلا يُطيقون حملى ان هجوتهمُ وان مدحتهمُ لم يبلغوا آدى (٦)
مَنْ مبلغ زُفَرَ القيسى مدحته من القَطامىّ قولا غير افناد (٧)
انى وان كان قومى ليس بينهمُ وبين قومك الا ضربة الهادى
مُنّ عليك بما استبقيت معرفتي وقد تعرض منى مقتل بادى
فلن أُثيبك بالنعماء مَشْتِمة ولن أبدل احساناً بافساد
فان هجوتك ماتمت مكارمتي وان مدحت لقد أحسنت إصفادى (٨)

(١) قصيدهم ناحيتهم والمجيمر أرض لبنى فزارة (٢) محددين قاصدين ورادوه طلبوه.
(٣) ابن جوال من تغلب (٤) سير قواف وشرد قد شردت (٥) النصف مكان واسخان وابراد صيف وشتاء (٦) قوتى (٧) كذب (٨) اعطائى

وما نسيت مقام الوَرْد تحبسه ... بينى وبين حَفِيف الغابة (١) الغادى
قتلت بكرا وكلبا واشتليت بنا ... وقد أردت (٢) بأن يستجمع الوادى
لولا كتائب من عمرو تصول بها ... أُرديتُ ياخير من يندو (٣) له النادى
اذ لا ترى العين الا كل سَلْهَبَة ... وسابح مثل سيد الرَّذْهة العادى (٤)
اذ الفوارس من قيس بشِكَّتهم ... حولي شهود وما قومى بشهاد
اذ يعتريك رجال يسألون دمى ... ولو أطعتهمُ أبكيت عُوَّادى
فقد عصيتهمُ والحرب مقبلة ... لا بل قدحت زنادا غير صَلَّاد (٥)
والصِّيد آل نُفيل خير قومهم ... عند الشتاء اذا ماضُنَّ بالزاد
المانعون غداة الروع جارهمُ ... بالمَشْرَفيَّة من ماض ومنّاد (٦)
أيام قومى مكانى منْصِب لهمُ ... ولا يظنون الا اننى رادى
فانتاشنى (٧) لك من غبراء مظلمة ... حبل تضمن اصدارى وايرادى
ولا كردك عني بعد ما كَرَبت ... تُبدى الشناءة أعدائى وحسادى
فان قدرتُ على يوم جزيتُ به ... والله يجعل أقواماً بمِرْصاد

فلما سمع زفر هذا البيت قال لا أقدرك الله على ذلك

ويقول فى ختامها

ودعوةٍ قد سمعنا لا يقوم لها ... الا الحِفاظ والا المِتْئَب الآدي (٨)
حتى اذا ذكت النيران بينهم ... للحرب يوقَدْن لا يوقَدْن للزاد
فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا ... كما تعجل فُرَّاط (٩) لوُرَّاد

(١) الغابة الرماح (٢) أى أردت أن يستجمع لك الامر قبلنا واشتليت بنا أى أتبعتنا من قتلت (٣) يندو يجتمعون اليه والنادى متحدث القوم (٤) سهلبة طويلة من الخيل وسيد ذئب والردهة نقرة فى جبل أو صخرة فيها ماء (٥) زند صلاد لا تورى ومثله صلد وصالد (٦) ماض مستقيم ومناد معوج (٧) تداركنى (٨) الآدى الجامع للسلاح (٩) الفراط الذين يتقدمون الواردة فيصلحون الارشية حتى يأتى أولئك بعدهم

نقريهم لهذميات تقدُّ بها ... ما كان خاط عليهم كل زرَّاد
أبلغ ربيعة أعلاها وأسفلها ... أنا وقيساً تواعدنا لميعاد
فكان قومى ولم تغدر لهم ذمم ... كطالب الوتر مستوف ومزداد
ولو تبينتَ قومى ما رأيتهمُ ... فى طالعين من النَّزْار نُدَّاد (١)

قال عبد الملك بن مروان للأخطل وعنده عامر الشَّعْبي أنحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب تحب أنك قلته ، قال لا والله يا أمير المؤمنين الا انى وددت أنى قلت أبياتاً قالها رجل منا مغدف (٢) القِناع قليل السماع قصير الذراع ، قال وما قال ؟ فأنشده قول القطامى « انا محيوك فاسلم أيها الطلل » حتى أتى على آخرها ، قال الشعبي فقلت له قد قال القطامى أفضل من هذا ، قال وما قال؟ فأنشده

طرقت جَنُوب رحالنا من مَطْرَق ... ما كنت أحسبها قريب المُعْنَق (٣)
قطعت اليك بمثل جيد جدَاية (٤) ... حسن مُعَلَّقُ تُومتيه مطوَّق
هلا طرقت اذ الحياة لذيذة ... واذا الشباب قميصه لم يُخْلَق
طرقت نواحلَ حُلِّلت (٥) بمُعَرَّس ... ونُسُوعها برحالها لم تطلق
ومصرَّعين من الكلال كأنما ... شربوا الغَبُوق من الطِّلاء المعرق (٦)
متوسدين ذراع كل نجيبة ... ومفرَّج عَرِق المَقَدِّ مُنَوَّق (٧)
بركت على رُكَب تُهَدّ بها الصفا ... وعلى كلا كل كالنَّقيل المُطْرَق (٨)
فاقِرِ الهموم قلائصاً عيدية ... تطوى الفيافى بالوَجيف المُعْنِق
فاذا سمعن هَمَا هما من رفقة ... ومن النجوم غوابر لم تَخْفِق (٩)

(١) متفرقون (٢) أغدفت المرأة القناع على وجهها أرسلته
(٣) المعنق المكان الذى أعنقت منه يعنى لم أظن أنها تقدر على أن تعنق وتسرع من هذا المكان
(٤) الجداية الظبية والتومتان القرطان (٥) حللت أنيخت قدر تحلة اليمين أى قليلا
(٦) المعرق الذى أقل ماؤه (٧) مفرج بائن اليدين والمقد ما بين الأذنين من خلف والمنوق الذى اختير وتنوق فيه (٨) النقيل رقاع النعال ومطرق بعضه على بعض
(٩) غوابر أى بقية لم تغب

جعلت تُميل خدودَها آذانُها ... طرباً بهن الى حُدَاة السُّوَّق

كالمنصتات الى الحديث سمعنه ... من رائع لقلوبهن مشوِّق

وترى لجيضتهن (١) عند رحيلنا ... وَهَلاً كأن بهن جِنَّة أَوْلق

واذا لحظن الى الطريق رأينه ... لَهَقاً كشاكلة الحِصان الأَبلق (٢)

واذا تخلف بعدهن لحاجة ... حادٍ يُشَيِّع نعله لم يلحق

لُعِن الكواعب بعد يوم صرمني ... بشَرَى (٣) الفرات وبعد يوم الجَوْسق

عدَّين كل تحيـــة يعلمنها ... ونفرن من شَمَط تغشَّى مفرِق

وأبين شيمتهن أول مرة ... وأبى تقلب دهرك المتصفق (٤)

ولقد يروع قلوبهن تكلمي ... وتروعني مُقَل الصَّوار المُرْشِق (٥)

لئن الهموم عن الفؤاد تفرجت ... وخلا التكلم للِّسان المطلَق

لأعلقن على المطيّ قصائداً ... أذَر الرواة بها طويلي المنطق

انى حلفت برب من عملت له ... بُزُل الجمال بكل خَبْت سَمْلَق (٦)

أُدُم تُصان وكان أصل نِجارها ... من سِرِّ قِنْيـة مُنْذِر ومُحَرِّق

لئن الجزيرة أصبحت ممنوعة ... لوددت أن بَرِيَّة لم تخلق

وبنو أُمية من أرادوا نفعـه ... نفعوا ومن نصبوا له لم يَسبق

حلَّتْ جَنوب قُميقماً برَهينها (٧) ... فمتى الخلاص لذا الرهين المغلَق

ونأت بحاجتنا ورُبَّت عَنْوَة (٨) ... لك من مواعدها التى لم تصدق

كعناء ليلتنا التى جعلت لنا ... بالقريتين وليلة بالخندق

أو قبل ذاك اذ الحياة لذيذة ... واذ الزَّمان بصفوه لم يَرْنَق (٩)

---

(١) جيضتهن ميلهن والوهل الفزع وأولق جنون (٢) لهق أبيض وشاكلة خاصرة
(٣) شرى الفرات ما دنا منه (٤) المتصفق المتقلب (٥) أرشق أدام النظر والصوار القطيع من البقر (٦) خبت مستو من الارض وسملق مستو لا نبات فيه
(٧) يريد برهينها قلبه (٨) عنوة أسار عناء (٩) رنق الماء كدر

بخلت عليك فما تجود بنائل ... الا اختلاس حديثها المتسرَّق
طرقت بأطيب ما يحل لمسلم ... بالقريتين وليلةً بالأبرق
مما يفرَّغ بالأباطح سيلُه ... أو بالقلات[1] من الصفا لم يُطرق
تعطى الضجيع اذا تنبه موْهناً ... منها وقد أمنت له من تتقى
عذبَ المذاق مفلَّجاً أطرافه ... كالأُقحوان من الرَّشاش المستق
نَفَضت أعاليه الشمالُ نَهزُّه ... وغدت عليه غداة يوم مشرق
وكأنما جادت بماء غمامة ... خَصِر تنزل من متون العِشْرِق[2]
فأرى المعيشة انما هى ساعةً ... فرحٌ وساعةُ كربة وتَحنُّق
وأرى المنية للرجال حبائلاً ... شَرَكاً يعاد به لمن لم يَعْلَق
واذا أصابك والحوادث جمة ... حدث حداك الى أخيك الأوثق
فهمُ الرجال وكلّ ذلك منهم ... تجدَنَّ فى رُحْب وفى متضيق
ان الرجال اذا طلبت نوالهم ... منهم خليل ملاذة وتملق
وأخو مكارمة على عِلاَّته ... فوجدت خيرهمُ خليل المصدق
ولما رُزِقت ليأتينك سَيْبه ... جَلَباً[3] وليس اليك مالم ترزق

فقال عبد الملك ثكلت القطامى أُمه هذا والله الشعر ، فالتفت الأخطل الى الشعبي فقال له يا شعبى ان لك فنوناً فى الاحاديث وانما لنا فن واحد ، فان رأيت ألاّ تحملني على اكتاف قومك فأدعهم حرباً ، فقال وكرامة لا أعرض لك فى شعر أبداً وأقلنى هذه المرة ، ثم التفت الى عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين أسألك أن تستغفر لي الأخطل فانى لا أعاود ما يكره ، فضحك عبد الملك وقال يا أخطل ان الشعبي فى جواري ، فقال يا أمير المؤمنين قد بدأته بالتحذير واذا ترك ما نكره

(١) القلت نقرة فى الجبل فيها ماء والطرق بالفتح الذى بالت فيه الدواب وراثت
(٢) العشرق شجر (٣) عفواً يساق اليك

لم نَعْرض له الا بما يحب ، فقال عبد الملك للأخطل فعليَّ ألاَّ يعرض لك الا بما تحب أبداً ، فقال له الأخطل أنت تتكفل بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال أنا أكفل به ان شاء الله تعالى

قال علي بن يحيى المنجم أحسن الناس ابتداء قصيد في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول « ألا عِمْ صباحاً أيها الطَّلل البالى » وحيث يقول « قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل » وفى الإسلاميين القطامي حيث يقول « انا محيوك فاسلم أيها الطلل » وفى المحدثين بشار حيث يقول

أبى طَلَل بالجِزْع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيما

شعراء قيس

شعراء عدوان

محمد بن بشير

هو محمد بن بشير بن عبد الله الخارجي من بني خارجة بن عَدْوَان بن عمرو ابن قيس عَيْلَان

شاعر فصيح حجازي مطبوع من شعراء الدولة الأموية وكان منقطعاً الى أبي عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشي أحد بني أسد بن عبد العُزَّى ، ولابن بشير فيه مدائح ومراثٍ مختارة هي عيون شعره ، وكان يبدو في أكثر زمانه ويقيم في بوادي المدينة فلا يكاد يحضر مع الناس

قدم البصرة في طلب ميراث له ، فخطب عائشة بنت يَعْمُر الخارجية ، فأبت أن تتزوجه الا بعد أن يقيم معها بالبصرة ويترك الحجاز ويكون أمرها في الفرقة اليها ، فأبى أن يفعل ذلك وقال

أَرِق الحزين وعاده سُهُده ... لطوارق الهم الذي يَرِدُه
وذكرت من لانت له كبدي ... فأبى فليس تلين لي كبده
وأبى فليس بنازل بلدي ... أبدا وليس بمصلحي بلده
فصُدِعت حين أبى مودته ... صَدْعُ الزجاجة دائم أَبَده
وعرفت أن الطير قد صدقت ... يوم الكدانة شر ما تَعِده
فاصبر فان لكل ذي أجل ... يوماً يجيء فينقضي عدده
ماذا تعاتب من زمانك ان ... ظعن الحبيب وحل بي كَمَده

وخاطب أباها يحيى بن يَعْمُر فى ذلك ، فقال له انها امرأة بَرَزة عاقلة ولا يُفتات على مثلها بأمرها وما عنك من رغبة ولكنها امرأة فى خلقها شدة ولها غَيْرَة ، وقد بلغني أن لك زوجتين وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ، فانظر فى أمرك وشاور فيه ، فاما إن أقمت بالبصرة معها فعفت لك عن صاحبتيك اذ لا مجاورة بينهما وبينها ولا عشرة ، وان شئت مفارقتهما واخراجها معك ، فصار الى رحله مغموماً وشاور ابن عم له يقال له وراد بن عمرو فى ذلك ، فقال له ان فى يحيى بن يَعْمُرَ لرغبة لثروته وكثرة ماله وما ذكر من جمال ابنته وما نحب أن تفارق زوجتيك « وكانت احداهما ابنة عمه والأُخرى من أشجع » فتقيم معها السنة بالبصرة وتمضى بخير ، فان رغبت فيها تمسكت بها وأقمت بمكانك وان رغبت فى العودة الى بلدك كتبت الينا فجئناك حتى تنصرف معنا ، ففكر ليلته أجمع ثم غدا عازماً على الرجوع الى الحجاز فقال

لقد أقمت بجنب الفَيْض[1] فى رجب ... حتى أُهِلّ به من قابل رجبا
وراح فى السَّفْر وَرَّاد[2] وهيجني ... ان الغريب اذا هيجته طَرِبا
ان الغريب تهيج الحزنُ صَبوته ... اذا المصاحب حياه وقد ركبا
قد قلت أمسِ لورَّاد وصاحبه ... عوجا على الخارجيِّ اليوم واحتسبا
وبلغا أم سعد أن عانيَها ... أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا
لما رأيت نَجيّ القوم قلت له ... هل يقدرَنَّ نَجيُّ القوم ما كتبا
وقلت انى متى أجلب شفاعتكم ... أندَم وان شقى الغى ما اجتلبا
وان مثلي متى يسمع مقالتكم ... ويعرف العين يندم قبل أن يَجبا
انى وما كبر الحجاج يحملهم ... بُزْل المطايا الى ذى نَخْلَة عُصُبا
وما أَهَلَّ به الداعي وما وقفت ... عُلْيا ربيعةَ ترمى بالحصا الحصبا

(١) الفيض نهر بالبصرة (٢) وراد هو ابن عمه

جهداً لمن ظن أنى سوف أظعنها ... عن دفع غانية أخرى لقد كذبا
أأبتغي الحسن فى أخرى وأتركها ... فذاك حين تركت الدين والحسبا
وما انقضى الهم من سُعْدى وما علقت ... مني الحبائل حتى رمتها حِقَبا
وما خلوت بها يوماً فتعجبني ... الا غدا أكثر اليومين لي عجبا
بل أيها السائلي ما ليس يدركه ... مهلاً فانك قد كلفتني تعبا
كم من شفيع أتانى وهو يحسب لي ... حسناً فأقصره من دون ما حسبا
فان يكن لهواها أو قرابتها ... حب قديم فما عانى ولا ذهبا
هما عليَّ فان أرضيتها رضيا ... عني وان غضبت فى باطل غضبا
كائن دهيت فردّانى بكيدهما ... عما طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أُصبح بمنزلة ... الا أُنازع من أسبابها سببا
وقلما خلة لو كنت مُسْجِحَة ... أو كنت ترجع من عصريك ماذهبا
ليت الظعينة لا ترمى برميتها ... ولا يعجبها ابن العم ما اصطحبا

قدم أعراب من بني سُلَيم أقْحمتهم السَّنة الى الرَّوْحاء فخطب الى بعضهم رجل من الموالى فزوجه ، فركب ابن بشير الى المدينة ووالبها يومئذ ابراهيم بن هشام المخزومى فاستعداه على المولى ، فأرسل اليه ابراهيم ففرق بين المولى وزوجته وضربه مائتى سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه فقال ابن بشير

شهدت غداة خَصْم بني سليم ... وجوها من قضائك غير سود
قضيت بسنة وحكمت عدلا ... ولم تَرِث الحكومة من بعيد
اذا غُمِز القَنا وُجِدتْ لعمري ... قناتك حين تُغْمز خير عود
حمى حدبا لحوم بنات قوم ... وهم تحت التراب أبو الوليد
وفي المائتين للمولى نَكال ... وفي سلب الحواجب والخدود

اذا كافأتهم بينات كسرى فهل يجد الموالى من مزيد
فأى الحق أنصف للموالى من اصهار العبيد الى العبيد

كان له عبد فكان يتلطف به ويحترمه حتى أعتقه وأعطاه مالا فعمل به وربح فيه ، ثم احتاج ابن بشير بعد ذلك الى معونة أو قرض في نائبة لحقته فبعث الى مولاه فى ذلك فحلف انه لا يملك شيئاً فقال فى ذلك

ويسعى لك المولى ذليلا مُدَقَّعا[1] ويخذُلك المولى اذا اشتد كاهله
فأمسك عليك العبد أول وهلة ولا تنفلت من راحتيك حبائله

وقال أيضاً

اذا افتقر المولى سعى لك جاهدا لترضى وان نال الغنى عنك أدبرا

كان يتحدث الى امرأة من مُزَينة وكان قومها قد جاوروهم ثم جاء الربيع وأخصبت بلاد مزينة فارتحلوا فقال فى ذلك

لو بينت لك قبل يوم فراقها أن التفرق من عشية أو غد
لشكوت إذ عَلَق الفؤاد بهائم غلق حبائل هائم لم يعهد
بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط ليل صيف مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد ان الجمال مَظِنة للحسد
لم يُطْرِها شرف الشباب ولم تضع منها معاهدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبنك بواضح صَلْتٍ[2] وأسود فى النصيف معقد
خَوْد اذا كثر الكلام تعوذت بحمى الحياء وان تكلم تقصد
وكأن طعم سُلافة مشمولة تنصبّ في أثر السواك الأغيد[3]
وترى مدامعها ترقرق مقلة حوراء ترغب عن سواد الإثمد

(١) المدقع الفقير الذليل (٢) جبين صلت أملس براق
(٣) الأغيد من النبات الناعم المثنى

ماذا اذا برزت غداة رحيلها ... من حسن تحت رقاق تلك الأبْرُد
وله بأسعد أنجم فمحلها ... ومسيرها ابدا بطَلْق الأسْعُد
الله يسعدها ويسقي دارها ... خَضِل الرباب سرى ولما يَرْعُد

صحب رفقة من قُضاعة الى مكة وكانت فيهم امرأة جميلة فكان يسايرها ويحادثها ، ثم خطبها الى نفسه فقالت لا سبيل الى ذلك لانك لست لي بعشير ولاجار فى بلدى ولا أنا ممن تطلعه رغبة عن بلده ووطنه ، فلم يزل يحادثها ويسايرها حتى انقضى الحج ففرق بينها نزوعهما الى أوطانهما فقال

أستغفر الله ربى من مُخَدَّرة ... يوماً بدا لي منها الكَشْح والكَتِد[1]
من رفقة صاحبونا فى ندائهم ... كلٌّ حرام فما ذموا ولا حمدوا
حتي اذا البُدْن قاست فى مناخرها ... يعلو المحاسن منها مُزْبِد جَعِدَ
فحلّق القوم واعتموا عمائمهم ... فحل كل حرام رأسه لبد
أقبلت أسألها ما بالُ رفقتها ... وما أبالي أغاب القوم أم شهدوا
تفرقت لي واحلَوْلت مقالتها ... وخوفتني وقالت بعضَ ما تجد
أنّى ينال حجازيٌ بحاجته ... احدى بني القَيْن اذ ما دارها يرد

مات سليمان بن حُصَين وكان خليلا لابن بشير مصافياً له وصديقاً مخلصاً فجزع عليه وحزن حزناً شديداً فقال يرثيه

يأيها المتمني أن يكون فتى ... مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
ان تَرْحَلِ العيس كي تسعى مساعيه ... يُشْفَق عليك وتعمل دون ما عملا
لو سرت فى الناس أقصاهم وأقربهم ... فى شقة الأرض حتى تحسر[2] الابلا
تبغي فتى فوق ظهر الارض ما وجدوا ... مثل الذى غيبوا فى بطنها رجلا

(١) الكتد مجمع الكتفين من الانسان والفرس والكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الاضلاع وآخرها وهو من لدن السرة الى المتن (٢) أحسر البعير ساقه حتى أعياه

اعدد ثلاث خصال قد عرفن له هل سَبَّ من أحد أو سُبَّ أو بخلا

كان يتحدث الى عبدة بنت حسان المزنية ويقيل عندها أحياناً وربما بات عندها ضيفاً لاعجابه بحديثها فنهاها قومها عنه ، فلم تقبله بعد عندها فقال

ظَلَلْتُ لدى أطنابها وكأنني أسير مُعَنًّى في مخلخلة كَبْل
أعبدة أما جلسة عند كاره وأما مزاح لا قريب ولا سهل
فانك لو أكرمت ضيفك لم يعب عليك الذى تأتيه نَحْو ولا بعل
وقد كان يَنْميها الى ذروة العلا أب لا تَخَطَّاه المطية والرحل
فهل أنت الا شعبة كان أصلها نُضارا فلم يفضحك فرع ولا أصل
صددت أمرأ عن ظل بيتك ماله بواديك لولا كم صديق ولا أهل

خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان حتى أتيا امرأة من الأنصار من بني ساعدة فبرزت لهما وتحدثا عندها وقالا لها هل لك فى صاحب لنا ظريف شاعر ؟ فقالت من هو ؟ قالا محمد بن بشير الخارجى قالت لا حاجة لي الى لقائه ولا تجيئاني به معكما فانكما ان أتيتما به لم آذن لكما فجاءا به معهما وأخبراه بما قالت لهما وأجلساه فى بعض الطريق وتقدما اليها فخرجت اليهما وجاءهم الخارجى بعد خروجها اليهما فرحبا به وسلما عليه ، فقالت لهما من هذا ؟ قالا هذا الخارجى الذى كنا نخبرك عنه فقالت والله ما أرى فيه من خير وما أشبهه الا بعبدنا أبي الجون ، فاستحيا الخارجى وجلس هنيهة ثم قام من عندهما وعلقها قلبه فقال فيها

ألا قد رابني وريب غيري عشية حكمها حَيْف مُريب
وأضحت لي المودة عند ليلى منازل ليس لي فيها نصيب
ذهبت وقد بدا لي ذاك منها لأهجرها فيغلبني النسيب
وأنسى غيظ نفسى ان قلبي لمن واددت تبعته قريب
فدعها لست هاجيها وراجع حديثك ان شأنكما عجيب

و بلغ الأشجعية زوج ابن بشير ما قالته فعيرته بذلك وكانت اذا أرادت غيظه كنته أبا الجون فقال فى ذلك

وأيدى الهدايا ما رأيت معاتباً ... من الناس الا الساعدية أجمل
وقد أخطأتنى يوم بطحاء منعم ... لها كنف يصطاد فيه وأحبل
وقد قال أهلى خير كسب كسبته ... أبو الجون فاكسب مثلها حين ترحل
وان مات ابضاعى بأمر مسرة ... لكن فما تسخطن فى العيش أطول

اجتمع ابن بشير وسائب بن ذكوان راوية كثير بمكة فواقفا نسوة من بنى غفار يتحدثن فجلسا اليهن وتحدثا معهن حتى تفرقن و بقيت واحدة منهن تحدث ابن بشير وتستنشده شعره حتى أصبحوا ، فقال لهم رجل مر بهم أما تزدجرون نحن حذاء البيت وأنتم حُرُم ولا تدعون انشاد الشعر وقول الزور فى المسجد ، فقالت المرأة كذبت لعمر الله ماقول الشعر بزور ولا الحديث حرام على محرم ولا مُحِلّ فانصرف الرجل وقال فيها ابن بشير

فما لك اذ تزور وأنت خِلْو ... صحيح القلب اخت بنى غفار
فما برحت تعيرك مقلتيها ... فتعطيك المنية فى استتار
وتسهو فى حديث القوم حتى ... تبَيَّن بعض أهلك ما توارى
فمت يا قلب ما بك من دفاع ... فينجيك الدفاع ولا فرار
فلم أر طالباً بدم كمثلى ... أوَدّ وحسن مطلوب بثار
اذا ذكرا بثارى قلت سعياً ... لثارى ذى الخواتم والسوار
وما عرفت دمى فتبوء منه ... برهن فى حبالي أو ضِمار[1]
وقد زعم العواذل ان يومى ... ويومك بالمحصَّب والجمار
من الأعياد ثم زعمت ألا ... وقلت لذى التنازع والتمارى

(١) الضمار كل ما لا تكون منه على ثقة

كذبتم بالسلام وقول زور وما اليوم الحرام بيوم ثار
فلا تسليمنا حُرُماً بإثم ولا الحب الكريم لنا بعار
فان لم نلقكم فسقى الغوادى بلادك والرَّوِيَّات السَّوارى

وفى هذه المرأة يقول وقد رحلوا عن مكة يودعها

يا أحسن الناس لولا ان قاتلها قدما لمن يبتغى ميسورها عَسِر
وانما دَلَّها سحر لطالبه وانما قلبها للمشتكي حجر
هل تذكرين كما لم أنس عهدكم وقد يدوم لعهد الخُلَّة الذِّكَر
قولي وركبك قد مالت عمائمهم وقد سقاهم بكأس السكرة السفر
ياليت أنى بأثوابى وراحلتي عبد لأهلك هذا العام مؤتجر
فقد أطلت اعتلالا دون حاجتنا بالحج امض فهذا الحِلّ والنفر
ما بال رأيك اذ عهدى وعهدكم الفان ليس لنا فى الود مزدجر
فكان حظك منها نظرة طرقت انسان عينك حتى ما بها نظر
أكنت أبخل من كانت مواعده تأتى الى أجل يرجى وينتظر
وما نظرت وما ألفيت من أحد يعتاده الشوق الا بدؤه النظر
أبقت شجى لك لا ينسى وقارحة فى أسود القلب لم يشعر بها أخر
جنية أولها جن يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وَتَر
تجلو بقادمتى ورقاء عن بَرَد حُمَّ المشاعر فى أطرافها أُشُر(١)
خَوْد مبتلَّة رَيَّا معاصمها قدر النبات فلا طول ولا قصر
اذا محاسنها اغتالت فواصلها منها روادف فعمات ومؤتزر
ان هبت الريح حنَّت فى وشائجها(٢) كما يجاذب عود القَيْنة الوتر
بيضاء تعشولها الابصار ان برزت فى الحج ليلة إحدى عشرة القمر

(١) الأشر حدة ورقة فى أطراف الاسنان (٢) الوشائج عروق الاذنين

ألا رسول اذا بانت يبلغها ... عنا وان تُمس يؤلف بيننا المزر
تقضي عليّ ولا أقضي عليك كما ... يقضي المليك على المملوك يقتسر
ان كان ذا قدر يعطيك نافلة ... منا ويحرمنا، ما أنصف القدر

قدم البصرة فتزوج بها امرأة من عَدْوان كانت موسرة فأقام عندها بالبصرة مدة ثم توخم البصرة وطلبها بأن ترحل معه الى الحجاز فقالت ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع وأمضي معك الى بلد الجدب والفقر والضيق فاما ان أقمت ههنا أو طلقتني فطلقها وخرج الى الحجاز ثم ندم وتذكرها فقال

دامت لعينك عَبْرة وسُجوم ... وثوت بقلبك زَفْرَة وهموم
طَيْف لزينب ما يزال مؤرقي ... بعد الهدو فما يكاد يَرِيم
واذا تعرض في المنام خيالها ... نَكَأَ الفؤادَ خيالُها المحلوم
أجعلت ذنبك ذنبه وظلمته ... عند التحاكم والمدِلّ ظلوم
ولئن تُجُنيت الذنوب فانه ... ذو الداء يعذر والصحيح يلوم
ولقد أراكِ غداة بنتِ وعهدكم ... في الوصل لا حرج ولا مذموم
أضحت تحكمك التجارب والنهى ... عنه ويكفُله بك التحكيم
فترى الأولى عَلِقوا الحبائل قبله ... فنجوا وأصبح في الوثاق يهيم
ولقد أردت الصبر عنك فعاقني ... علق بقلبي من هواكِ قديم
ضَعُفت معاهد حبهن عن الصِّبا ... ومع الشباب فبِنَّ وهو مقيم
يبقى على حَدَث الزمان وَرَيْبه ... وعلى جفائك انه لكريم
وجنيت حين صححت وهو بدائه ... شتان ذاك مصحح وسقيم
وأذيته زمناً فعاذ بحلمه ... ان المحب عن الحبيب حليم
وزعمت أنك تبخلين وشفه ... شوق اليك وان بخلت أليم

ومن قوله يرثي أبا عبيدة بن عبد الله بن ربيعة ، وكان يكفيه مؤنته ويعطيه في كل سنة ما يغنيه ويغني قومه وعياله من البر والتمر والكسوة في الشتاء والصيف ويعطيه القطعة بعد القطعة من ابله وغنمه

ألا أيها الناعي ابن زينب غُدْوة ... نعيت النَّدَى دارت عليك الدوائر
لعمري لقد أمسى قِرى الضيف غائباً ... بذي العرش لما غيبتك المقادر
اذا شرعوا نادوا صَدَاك ودونه ... صفيح وخوَّار من الترب مائر
ينادون من أمسى تَقَطَّع دونه ... من البعد أنفاس الصدور الزوافر
فقومي اضربي عينيك يا هند لن ترَيْ ... أباً مثله تسـمو اليه المفاخر
وكنت اذا فاخرت أنسبت والداً ... يَزِين كما زان اليدين الأساور
فان تُعْوليه يَشْفِ يوْماً عويلُه ... غليلك أو يعذِرك بالنوح عاذر
ويحزنك ليلات طوال وقد مضت ... بذي العرش ليلات تسر قصائر
فلقَّاك رب يغفر الذنب رحمةً ... اذا بليت يوم الحساب السرائر
لقد علم الأقوام أن بناته ... صوادق اذ يندُبنـه وقواصر

وعد رجل محمد بن بشير بقَلوص فمطله فقال فيه يذمه ويمدح زيد بن الحسن ابن علي عليه السلام

لعلك والموعود حق وفاؤه ... بدا لك من تلك القَلوص بَدَاء
فان الذى ألقى اذا قال قائل ... من الناس هل للواعدين وفاء
أقول لمن تبدى الشمات وانها ... على واشمات العدو سواء
دعوت وقد أخلفتني الوعد دعوة ... يزيد فلم يضـلل هناك دعاء

فبلغت الابيات زيد بن الحسن ، فبعث اليه بقَلوص من خيار ابله ، فقال

اذا حل آل المصطفى بطن تَلْعة ... نُفِي جَدْبها واخضر بالغيث عودها
وزيد ربيع الناس في كل شَتْوَة ... اذا أخلفت أنواؤها ورعودها

حمول لأشتات الديات كأنه سراج الدجى اذ قاربته سعودها

نظر ابن بشير الى نعش سليمان بن الحصين وقد أخرج فهتف بهم فقال

ألم تروا أن فتى سيداً راح على نعش بني مالك
لا أنفس العيش لمن بعده وأنفس الهلك على الهالك

وقال فيه أيضاً

ألا أيها الباكي أخاه وانما تفرق يوم القدفد الأخوان.
أخى يوم أحجار الثمام بكيته ولو حم يومى قبله لبكانى.
تداعت به أيامه فاخترمنه وأبقين لي شجواً بكل مكان.
فليت الذى ينعى سليمان غدوة دعا عند قبري مثلها ونعانى.
فلو قسمت فى الجن والانس لوعتي عليه بكى من حرها الثقلان
ولو كانت الأيام تطلب فدية وقاه صروف الدهر بى وفدانى.

تزوج جارية من بني ليث شابة وقد أسن وأسنت زوجته العَدْوَانية فضربت دونه حجاباً، ودعت نسوة من عشيرتها، فجلسن عندها يغنين ويضربن بالدفوف وعرف ذلك فقال

لئن عانس قد شاب ما بين قرنها الى كعبها وامتص عنها شبابها
صبت فى طِلاب اللهو يوماً وعلقت حجاباً لقد كانت يسيراً حجابها
لئن منعت فى العين حتى تشعبت من اللهو اذ لا ينكر اللهو بابها
فبيني برَغم ثم طلى فربما نوى الرغم منها حين سرى نقابها
لبيضاء لم تنسب لجد يعيبها هِجان ولم تنبح لئيماً كلابها
تأوَّدُ فى المشَى كأن قناعها على قَيْنة أدْماء طاب شبابها
مهفهفة الأعطاف خَفاقة الحشى جميل محياها قليل عيابها
اذا ما دعت بابني نزار وقارعت ذوي المجد لم يردد عليها انتسابها

لما ولي ابراهيم بن هشام دخل اليه ابن بشير وكان له قبل ذلك صديقاً فأعرض عنه ولم يظهر له هشاشة ولا أنساً فاستأذنه في الانشاد فأعرض عنه وأخرجه الحاجب من داره وكان ابراهيم تياهاً شديد الذهاب بنفسه فوقف له يوم الجمعة على طريقه الى المسجد فلما حاذاه صاح

يا ابن الهشامين طراً حزت مجدهما ... وما تخونه نقض وامرار
لا تُشْمِتن بي الأعداء انهم ... بيني وبينك سُمّاع ونظار
فاكرر بنائلك المحمود من سعة ... عليّ انك بالمعروف كرار

فقال لحاجبه قل له يرجع إليّ اذا عدت ، فرجع فأدخله عليه وقضى دينه وكساه ووصله وعاد الى ما عهد

كان لابن بشير أخ يقال له بشار وكان يجالس أعداءه ويعاشر من يعلم انه مباين له وفيه يقول

وانى قد نصحت فلم تصدق ... بنصحى واعتذرت فلم تبال
أو آنى قد بدا لي أن نصحى ... لغيبك واعتذارى فى ضلال
فكم هذا أزورك عن قطاع ... لتزويد المخـــلاة النِّهال
فلا تبغ الذنوب عليّ واقصد ... لامرك من قطاع أو وصال
فسوف أرى حلالك من تصافى ... اذا فارقتنى وترى حـلالى
وانك تستريح اذا تولى ... بأن أعصى وأسكت لا أبالي

وقال فيه

كفانى الذى ضيعت مني وانما ... يضيع الحقوق ظالماً من أضاعها
صنيعة من ولاك سوء صنيعة ... وولى سواك أمرها واصطناعها
أبى لك كسب الخير رأى مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة ... عصته وان همت بشر أطاعها

فلولا رجال كاشحون بسرهم أذاك وقربى لا أحب انقطاعها
اذاً كان ان زلت بك النعل زلة عرتك خلال لا تطيق ارتجاعها
وانى متى أحمل على ذاك أطلع اليك عيوباً لا أحب اطلاعها
وان تك أحلام ترد اخاءنا علينا فمن هذا يرد سماعها
سأنهاك نهياً مجملا وقصائداً نواصع تشفى من شؤن صُداعها
ومن يجتلب نحو القصائد يجتلب قِراه ويتبع من يحب اتباعها
اذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد اليه فحل للقوافى رباعها

ومن قوله يرثى زيد بن الحسن

أعينىّ جودا بالدموع واسعدا بنى رَحِم ما كان زيد يهينها
ولا زيد الا أن يجود بعبرة على القبر شاكي بكية يستكينها
وما كنت تلقى وجه زيد ببلدة من الأرض الا وجه زيد يزينها
لعمر أبى الناعى لعمت مصيبة على الناس فابيضت قصيا رصينها
وأنى لنا أمثال زيد وجده مبلغ آيات الهدى وأمينها
وكان حليفيه السماحة والندى فقد فارق الدنيا نداها ولينها
غدت غدوة ترمى لؤى بن غالب بجهد الثرى فوق امرئ ما يشينها
أغرّ بطاحى بكى من فرافه عُكاظ فبطحاء الصفا فحجُونها
فقل للتى يعلو على الناس صوتها به لا أعان الله من لا يعينها
ولو فهمت ما تفقه الناس أصبحت خواشعَ أعلامُ الفلاة وعينها
نعاه لنا الناعي فظلنا كأننا نرى الأرض فينا أنه حان حينها
وزلت بنا أقدامنا وتقلبت ظهور روابيها بنا وبطونها
وآب ذوو الألباب منا كأنما يرون شمالا فارقتها يمينها
سقى الله سقيا رحمة ترب حفرة مقيم على زيد ثراها وطينها
فما رؤى باكياً أكثر من يومئذ

شعراء غطفان

عويف القوافى

هو عُوَيف بن معاوية بن عقبة من بني حذيفة بن بدر من فزارة ، ثم من غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة ، وبيته أحد البيوتات المقدمة الفاخرة فى العرب وهى بعد بيت هاشم بن عبد مناف ثلاثة أولها بيت آل حذيفة بن بدر الفزاري بيت قيس ، وبيت آل زُرَارة بن عُدَس الدارميين بيت تميم ، وبيت آل ذي الجَدَّين بن عبد الله بن همام بيت شيبان ، وبيت بني الدَّيّان من بني الحرث بن كعب بيت اليمن ، وأما كندة فلا يعدون من أهل البيوتات انما كانوا ملوكاً

قال كسرى للنعمان هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة ؟ قال نعم ، قال بأى شئ ؟ قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع والبيت من قبيلته فيه ، قال فاطلب لى ذلك ، فطلب فلم يصبه إلا فى آل حذيفة بن بدر بيت قيس عيلان وآل حاجب بن زُرارة بيت تميم وآل ذى الجدين بيت شيبان وآل الأشعث بن قيس بيت كندة ، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم فأقعد لهم الحكام العدول ، فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم وقال لهم ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه وفعالهم وليقل شاعرهم فيصدق ، فقام حذيفة بن بدر وكان أسن القوم وأجرأهم مقدماً فقال لقد علمت مَعَدّ أن منا الشرفَ الأقدم والعز الأعظم ومأثرة الصنيع الأكرم ، فقال من حوله ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ فقال ألسنا الدعائم التى لا ترام والعز الذى لا يضام ؟ قيل له صدقت ، ثم قام شاعرهم فقال

فزارة بيت العز والعز فيهمُ فزارة قيس حسب قيس نضالها
لها العزة القعساء والحسب الذى بناه لقيس فى القديم رجالها
فمن ذا اذا مد الأكف الى العلا يمد بأخرى مثلها فينالها
فهيهات قد أعيا القرون التى مضت مآثر قيس مجدها وفعالها
وهل أحد ان مد يوماً بكفه الى الشمس فى مجرى النجوم ينالها
وان يصلحوا يصلح لذاك جميعنا وان يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس ، وانما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرابته بالنعمان ، فقال لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وقديم زحفها الأكبر وأنا غياث اللَّزبات[1] ، فقالوا لم يا أخا كندة ؟ قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا بحبوحه الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال

اذا قست أبيات الرجال ببيتنا وجدت له فضلا على من يفاخر
فمن قال كلا أو أتانا بخطة ينافرنا يوماً فنحن نخاطر
تعالَوْا فعُدّوا يعلم الناس أيّنا له الفضل فيما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام بن قيس فقال لقد علمت ربيعة أنا بناة بيتها الذى لا يزول ومغرس عزها الذى لا ينقل ، قالوا ولم يا أخا شيبان ؟ قال لأنا أدركهم للثار وأقتلهم للملك الجبار وأقولهم للحق وأألدهم للخصم ، ثم قام شاعرهم فقال

لعمري لبسطام أحق بفضلها وأولى ببيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومنا اذا جد يوم الفخر كل مناضل
ألسنا أعز الناس قوماً وأسرة وأضربهم للكبش بين القبائل
فيخبرك الأقوام عنها فانها وقائع ليست نُهزَة للقبائل
وقائع عز كلها رَبَعيّة تذل لهم فيها رقاب المحافل

(١) جمع لزبة وهى الشدة

اذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها اذا نزلت بالناس احدى الزلازل

ثم قام حاجب بن زُرارة فقال لقد علمت مَعَدّ أنا فرع دِعامتها وقادة زحفها ، فقيل له بمَ ذاك يا أخا بنى تميم ؟ قال لأنا أكثر الناس اذا نسبنا عدداً وأنجبهم ولداً وأنا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل ، ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناء خِنْدِفَ أننا لنا العز قِدْما فى الخطوب الأوائل
وأنا هِجان أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهمُ من سيد وابن سيد أغرّ نجيب ذى فعال ونائل
فسائل أبيت اللعن عنا فاننا دعائم هذا الناس عند الجلائل

ثم قام قيس بن عاصم فقال لقد علم هؤلاء انا أرفعهم فى المكرمات دعائم وأثبتهم فى النائبات مقاوم ، قالوا ولم ذاك يا أخا بنى سعد ؟ قال لأنا أمنعهم للجار وأدركهم للثار وانا لا ننكُل اذا حملنا ولا نرام اذا حللنا ، ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت قيس وخِنْدِف كلها وجل تميم والجموع التى ترى
بأنا عماد فى الامور وأننا لنا الشرف الضخم المركب فى الندى
وانا ليوث الناس فى كل مأزِق اذا اجتز بالبيض الجماجم والطُّلَى
وانا اذا داع دعانا لنجدة أجبنا سراعاً فى العلائم من دعا
فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصماً وقيساً اذا مد الأكف الى العلا
فهيهات قد أعيا الجميع فعالهم وفاتوا بيوم الفخر مسعاة من سعى

فلما سمع كسرى ذلك منهم قال ليس منهم الا سيد يصلح لموضعه ، فأثنى حباءهم وانما قيل لعويف عُوَيف القوافي ببيت قاله

سأكذب من قد كان يزعم أنني اذا قلت قولاً لا أجيد القوافيا

لم يكن رجل من ولاة أولاد عبد الملك كان أنفس على قومه ولا أعسد لهم

من الوليد بن عبد الملك ، فأذن يوماً للناس فدخلوا عليه وأذن للشعراء ، فكان أول من بدر بين يديه عُوَيف ، فاستأذنه فى الانشاد ، فقال ما أبقيت لي بعد ما قلت لأخي بني زهرة ، قال وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قال ألست الذى يقول فيه ؟

يا طلح أنت أخو الندى وحليفه ... ان الندى من بعد طلحة ماتا
ان الفعال اليك أطلق رحله ... فبحيث بت من المنازل باتا

أولست الذى يقول ؟

اذا ما جاء يومك يا ابن عوف ... فلا مطرت على الأرض السماء
ولا سار البشير بغنم جيش ... ولا حملت على الطهر النساء
تساق الناس بعدك يا ابن عوف ... ذريع الموت ليس له شفاء

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك بنافعة أبداً أخرج عني

اعترض عويف عمر بن عبد العزيز وقد انصرف من جنازة ، فصاح به

أجبني أبا حفص لقيت محمداً ... على حوضه مستبشراً ورآكا

فقال له عمر لبيك ، ثم قال فمه ؟ فقال

فأنت امرؤ كلتا يديك مفيدة ... شمالك خير من يمين سواكا

قال ثم مه ؟ فقال

بلغت مدى المُجْرِين قبلك اذ جروا ... ولم يبلغ المجرون بعد مداكا
فجداك لا جدين أكرم منهما ... هناك تناهى المجد ثم هناكا

فقال له عمر ألا أراك شاعراً ؟ مالك عندي من حق ، قال لا ولكنى سائل وابن سبيل وذو سهم ، فالتفت عمر الى قهرمانه ، فقال إعطه فضل نفقتي

ووفد اليه لما ولي الخلافة فأنشده

لاح سحاب فرأينا برقه ثم تدانى فسمعنا صَعْقه
وراحت الريح تُزَجّى بُلْقه (١) ودُهْمه ثم تُزَجّى وُرْقه (٢)
ذاك سقى ودقاً فروّى وَدْقَه (٣) قبر امرىء أعظم ربى حقه
قبر سليمان الذى من عقه وجحد الخير الذى قد بَقّه (٤)
فى المسلمين جِلّه ودِقّه فارق فى الجحود منه صدقه
لما ابتلى الله بخير خلقه وكادت النفس تساوي حَلْقَه
ألقى الى خير قريش وَسْقَه (٥) يا عمر الخير الملقّى وَفْقه (٦)
سميت بالفاروق فافْرُق فَرْقه وارزق عيال المسلمين رِزْقه
واقصِدْ الى الجود ولا توقه بحرك عذب الماء ما أَعَقّه (٧)
ربك والمحروم من لم يُسْقه

فقال له عمر لسنا من الشعر فى شىء ومالك فى بيت المال حق ، فألحّ عويف فقال يا مزاحم انظر ما بقى من أرزاقنا فشاطره إياه

كانت أخت عويف عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطلقها فكان عويف مراغماً لعيينة ، وقال الحرة لا تطلق بغير ما بأس فلما حبس الحجاج عيينة وقيده قال عويف

مَنَع الرقادَ فما يُحَسّ رقاد خبر أتاك ونامت العواد
خبر أتانى عن عيينة موجع ولمثله تتصدع الأكباد
بلغ النفوس بلاؤها فكأننا موتى وفينا الروح والأجساد

(١) تسوقه وتستحثه (٢) الاورق الذى بين الخضرة والسواد (٣) الودق المطر
(٤) يقال بق فلان فى الناس خيراً كثيراً (٥) الوسق الحمل يريد قلده أمره
(٦) يقال لقى فلان خيراً أى جعل يلقاه والوفق التوفيق (٧) هذا من المقلوب وانما هو ما أقعه ربك يقال ماء قعاع بالضم وهو الشديد الملوحة أى ما أملحه ربك

ساء الأقارب يوم ذاك فأصبحوا بهجين قد سروا به الحساد
يرجون عثرة جدنا ولو أنهم لا يدفعون بنا المكارم بادوا
لما أتاني من عيينة أنه عانٍ تظاهر فوقه الأقياد
نخلت له نفسي النصيحة انه عند الشدائد تذهب الأحقاد
وذكرت أي فتى يسد مكانه بالرفد حين تقاصر الأرفاد
أو من يهين لنا كرائم ماله ولنا اذا عدنا اليه معاد
لو كان من حضن تضاءل ركنه أو من نضاد بكت عليه نضاد

سأل عويف فى حَمالة فمر به عبد الرحمن بن محمد بن مَرْوان وهو حديث السن فقال له لا تسأل أحدا وصر إلى أكنفك فأتاه فاحتملها جمعاء، فقال عويف يمدحه

غلام رماه الله بالخير يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت فى جبينه وفى خده الشِّعْرى وفى جيده القمر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه تردى رداء واسع الذيل واتَّزر
اذا قيلت العوراء ولى كأنه ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر
رآنى فآساني ولو صد لم يُلَم على حين لا بادٍ يُرجَّى ولا حَضَر

وقيل ان هذه الأبيات لابن عنقاء الفزارى يقولها فى ابن أخ له وأولها

رآني على ما بي عُميلة فاشتكى الى ماله حالي أسرِ كما جهر

ومن شعره وفيه غناء

ألمت خَنَاسِ وإلمامها أحاديث نفس وأسقامها
يمانية من بنى مالك تطاولَ فى المجد أعمامها
وإن لنا أصل جرثومة ترد الحوادث أيامها
ترد الكتيبة مفلولة بها أفئها وبها ذامها

وهى أبيات يقولها يوم مَرْج راهط وهى الحرب التي كانت بين قيس وكلب

وكان من قصته أن مروان بن الحكم قدم بعد هلاك يزيد بن معاوية والناس يموجون ، وكان سعيد بن بَحْدَل الكلبي على قِنَّسرين فوثب عليه زفر بن الحرث فأخرجه منها وبايع لابن الزبير ، وكان النعمان بن بشير على حمص فبايع لابن الزبير ، وكان حسان بن بحدل على فِلَسطين والأُرْدُنّ فاستعمل على فلسطين رَوْح بن زِنباع الجذامى ونزل هو الأردن فوثب نابل بن قيس الجذامى على رَوْح فأخرجه من فلسطين وبايع لابن الزبير ، وكان الضحاك بن قيس الفِهرى عاملاً ليزيد بن معاوية على دمشق حتى هلك فجعل يقدم رِجلاً ويؤخر أخرى ، اذا جاءته اليمانية وشيعة بني أُمية أخبرهم أنه أموي واذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو الى ابن الزبير ، فلما قدم مروان قال له الضحاك هل لك أن تَقْدَم على ابن الزبير ببيعة أهل الشام ؟ قال نعم ، وخرج من عنده فلقيه عمرو بن سعيد بن العاصى ومالك بن هبيرة وحصين ابن نمير الكنديان وعبيد الله بن زياد ، فسألوه عما أخبره به الضحاك ، فأخبرهم ، فقالوا له أنت شيخ بنى أُمية وأنت عم الخليفة هلم نبايعك ، فلما فشا ذلك أرسل الضحاك الى بنى أُميـة يعتذر اليهم ويذكر حسن بلائه عندهم وأنه لم يرد شيئاً يكرهونه ، فاجتمع مروان وعمرو بن سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية وقال لهم اكتبوا الى حسان بن بحدل فليسر من الأُردُنّ حتى ينزل الجابية ونسير من هنا حتى نلقاه فنستخلف رجلاً ترضونه ، فكتبوا الى حسان فأقبل فى أهل الأردن ، وسار الضحاك بن قيس وبنو أُمية فى أهل دمشق ، فلما استقلت الرايات من جهة دمشق قالت القيسية للضحاك دعوتنا لبيعة ابن الزبير وهو رجل هذه الأمة ، فلما تابعناك خرجت تابعاً لهذا الأعرابى من كلب تبايع لابن أختـه تابعاً له ، قال فتقولون ماذا ؟ قالوا نقول أن تنصرف وتظهر بيعة ابن الزبير ونظهرها معك ، فأجابهم الى ذلك وسار حتى نزل مَرْج راهط وأقبل حسان حتى لقى مروان فسار حتى دخل دمشق ، فأتته اليمانية تشكر بلاء بنى أُمية فساروا مع مروان حتى نزلوا

المرج على الضحاك وهم نحو سبعة آلاف والضحاك فى نحو ثلاثين الفاً ، فلقوا الضحاك فقتل الضحاك وقتل معه أشراف من قيس ، فأقبل زفر هارباً حتى دخل قرقيسيا وأقام عمير بن الحباب شيئاً على طاعة مروان ثم أقبل حتى دخل قرقيسيا على زفر فأقام معه ، وأقبل زفر يبكي قتلى المرج ويقول

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... لمروان صدعا بينا متنائيا
أريني سلاحى لا أبالك انني ... أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا ... ومقتل همّام أُمَنّى الأمانيا
وتذهب كلب لم تنلها رماحنا ... وتترك قتلى راهط هى ماهيا
فلم تُرَ منى نَبْوة قبل هذه ... فِراري وتركي صاحبى ورائيا
عشية أُجْرى بالقَرِينين لا أرى ... من الناس الا من علىّ ولاليا
أيذهب يوم واحد ان أسأته ... بصالح أيامى وحسن بلائيا
فلا صلح حتى تَنْحط الخيل بالقنا ... وتثأر من نسوان كلب نسائيا
فقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى ... وتبقى حَزازات النفوس كما هيا

فقال ابن المخلاة الكلابى يجيبه

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط ... على زُفَر داء من الداء باقيا
تبكى على قتلى سُلَيم وعامر ... وذُبْيان مغرورا وتبكى البواكيا

فأقبل عمير بن الحباب يغير على بوادي كلب ، فلما رأت كلب مالقى أصحابهم وأنهم لا يمتنعون من خيل الحاضرة اجتمعوا الى حميد بن حريث بن بحدل فسار بهم حتى نزل تَدْمُر وبه بنو نُمير ، وقد كان بين النميريين خاصة وبين الكلبيين الذين بتدمر عقد ، فأرسلت بنو نمير رسلا الى حميد يناشدونه الحرمة فوثب عليهم ابن بعاج الكلابى فذبحهم وأرسلوا اليهم انا قد قطعنا الذى بيننا وبينكم فالحقوا بمن يسعكم من الأرض ، فالتقوا فقتل ابن بعاج وظفر بالنميريين فقتلوا قتلا ذريعاً

وأسروا ، ثم خرج حميد يريد عميرا فقتل من قيس كثيراً وعاد عمير جريحاً الى قرقيسيا ، وبلغ خبر ذلك عبد الملك بن مروان وعنده حسان بن مالك بن بحدل وعبد الله بن مسعدة بن حكم الفزارى وجئ بالطعام فقال عبد الملك لابن مسعدة ادن ، فقال لا والله لقد أوقع حميد بسليم وعامر وقعة لا ينفعنى بعدها طعام حتى يكون لها غيرَ ، فقال له حسان أجزعت ان كان بينى وبينكم فى الحاضرة على الطاعة والمعصية فأصبنا منكم يوم المرج وأغار أهل قرقيسيا على البادية بغير ذنب ، فلما رأى حميد ذلك وطلب بثار قومه فأصاب بعض ما أصابهم فجزعت من ذلك ؟ وبلغ حميداً قول ابن مسعدة فقال والله لأشغلنه بمن هو أقرب اليه من سليم وعامر فخرج فى نحو من مائتى فارس ومعه رجلان من كلب دليلان حتى انتهى الى بني فزارة فقال ان عبد الملك بعثنى مصدقا فابعثوا لى كل من يطيق أن يلقانا ففعلوا فقتلهم وأخذ أموالهم فبلغ قتلاهم نحواً من مائة ونيف فقال عويف القوافى

منى الله أن ألقى حميد بن بَحْدَل ... بمنزلة فيها الى النصف معلما
لكيما نعاطيه ونبلو بيننا ... سُرَيجية يعجمن فى الهام معجما
ألا ليت أنى صادفتنى منيتى ... ولم أر قتلى العام ياأم أسلما
ولم أر قتلى لم تدع لى بعدها ... يدين فما أرجو من العيش أجذما
وأقسم ماليث بخِفان خادر ... بأشجع من جعد[1] جنانا ومقدما

فلما رجع عبد الملك من الكوفة وقتل مصعباً لحقه أسماء بن خارجة الفزاري بالنُّخيلة فكلمه فيما أتى حميد به الى فزارة وقال حدثنا أنه مصدقك وعاملك فأجبناك وبك عذنا فعليك وفى ذمتك ما على الحر فى ذمته ، فأقدنا من قضاعى سكير ، فأبى عبد الملك وقال أنظر فى ذلك وحميد يجحد وليست لهم بينة فوداهم ألف ألف ومائتي ألف وقال انى حاسبها في أعطيات قضاعة

(١) يعنى الجعد بن عمران بن عيينة وقتل يومئذ

فلما أخذوا الدية انطلقت فزارة فاشترت خيلاً وسلاحاً ثم استتبعت سائر قبائل قيس ، ثم أغارت على ماء يدعى بنات قَيْن يجمع بطوناً من بطون كلب كثيرة وأكثر من عليه بنو عبدوَدّ وبنو عُليم بن جَناب فقتلوا من العبديين تسعة عشر رجلاً ، ثم مالوا على العليميين فقتلوا منهم خمسين رجلاً وساقوا أموالاً وبلغ الخبر عبد الملك فأمهل حتى اذا ولى الحجاج العراق كتب اليه أن يبعث اليه سعيد بن عينية وحلحلة بن قيس معهما نفر من الحرس ، فلما قدم بهما عليه قذفهما فى السجن وعرض الدية على العبديين وجعل خالد بن يزيد بن معاوية ومن ولدته كلب يقولون القتل ومن كانت أمه قيسية من بنى أمية يقولون لا بل الدية كما فعل بالقوم حتى ارتفع الكلام بينهم بالمقصورة ، فأخرجهم عبد الملك ودفع حلحلة الى بعض بنى عبد وَدّ ودفع سعيد بن عُيينة الى بعض بنى عليم ، وأقبل عليهما عبد الملك فقال ألم تأتياني تستعديانى فأعديتكما وأعطيتكما الدية ثم انطلقتما فأخفرتما ذمتي وصنعتما ما صنعتما ؟ فكلمه سعيد بكلام يستعطفه به ويرققه فضرب حلحلة فى صدره وقال أترى خضوعك لابن الزرقاء نافعك عنده ؟ فغضب عبد الملك وقال اصبر حلحلة فقال « أصبر من عَوْد بجنبيه جلب » فقتلا وشق ذلك على قيس وأعظمه أهل البادية منهم والحاضرة

مالك بن أسماء

هو مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري

كان الحجاج قد حبسه حبساً طويلا فى خيانة ظهرت عليه ثم خلاه بعد ذلك ، وذلك أنه اختلف الحجاج وهند بنت أسماء زوجته فى وقعة بنات قَيْن ، فبعث الى مالك بن أسماء ، فأخرجه من السجن ، فسأله عن الحديث فحدثه به ، ثم أقبل على هند فقال قومي الى أخيك ، فقالت لا أقوم اليه وأنت ساخط عليه ، فأقبل الحجاج عليه فقال انك والله ما علمت لَلْخائن أمانته اللئيم حسبه ، فقال ان أذن لي

الأمير تكلمت ، قال قل ، قال أما قول الأمير « اللئيم حسبه » فوالله لو علم الأمير مكان رجل أشرف منى لم يصاهرنى ، وأما قوله أنى خؤون فلقد ائتمننى فوفرت فأخذنى بما أخذنى به ، فبعت ما كان وراء ظهري ولو ملكت الدنيا بأسرها لافتديت بها من مثل هذا الكلام ، فنهض الحجاج وقال شأنك يا هند بأخيك ، فوثبت هند الى مالك فأكبت عليه ودعت بالجوارى فنزعن عنه حديده وأمرت به الى الحمام وكسته وانصرف ، فلبث أياماً ثم دخل على الحجاج وبين يديه عهود وفيها عهده على أصبهان ، قال خذ هذا العهد وامض الى عملك فأخذه ونهض ، وطالت أيامه بأصبهان فظهرت عليه خيانة أخرى فحبسه وناله بكل مكروه حتى كان يشاب له الماء الذى يشربه بالرماد والملح ، فاشتاق الحجاج الى حديثه يوماً ، فأرسل اليه فأحضر ، فبينا هو يحدثه اذ استسقى ماء فأتى به ، فلما نظر اليه الحجاج قال لا هات ماء السجن ، فأتى به وقد خلط بالملح والرماد فسقيه ويقال انه هرب من الحبس فلم يزل متوارياً حتى مات الحجاج ، وكتب اليه بعض أهله أن يمضى الى الشام فيستجير ببعض بنى أمية حتى يأمن ثم يعود الى مصره

فكتب مالك الى أبيه يسأله أن يدخل الى الحجاج ويسأله فى أمره ، فقال أسماء في ذلك

أبنى فزارة لا تعنوا شيخكم ... مالي وما لزيارة الحجاج
شبهته شبلاً غداة لقيته ... يلقى الرؤوس شواخب الأوداج[1]
تجرى الدماء على النطاع كأنها ... راح شمول غير ذات مزاج
لا تطلبوا حاجاً اليه فانه ... بئس المؤمل فى طلاب الحاج
ياليت هنداً أصبحت مرموسة ... أو ليتها جلست عن الأزواج

ومالك هو الذى يقول

(١) الودج عرق فى العنق وهما ودجان وشخب الاوداج قطعها فسالت

وحديث ألذه هو مما تشتهيه النفوس يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن أحيا ناً وأحلى الحديث ما كان لحنا

ومن قوله للحجاج

لكل جواد عثرة يستقيلها وعثرة مثلى لا تقال مدى الدهر
فهبني يا حجاج أخطأت مرة وجرت عن المثلى وغنيت بالشعر
فهل لي اذا ما تبت عندك توبة تدارك ما قدمت في سالف العمر

فقال له الحجاج بلى والله لئن تبت لأقبلن توبتك ولأعفين على ما كان من ذنبك ومن لي بذلك يا مالك ؟ قال لك الله ؟ ، قال حسبي الله ونعم الوكيل ، فانظر ما تقول ، قال الحق أصلحك الله لا يخفى على أحد ، فترك مالك الشراب ووفى بعهده وأظهر النسك ثم طما به الشعر وطال عليه ترك اللذات والشراب فقال

ونَدمان صدق قال لي بعد هُدْأة من الليل قم نشرب فقلت له مهلا
فقال أبخلاً يا ابن أسماء ها كها كميتاً كريح المسك تزدهف[1] العقلا
فتابعته فيما أراد ولم أكن بخيلاً على الندمان أو شكسأ وغلا[1]
ولكنني جلد القوى أبذل الندى وأشرب ما أعطى ولا أقبل العذلا
ضحوك اذا ما دبت الكأس في الفتى وغيره سكر وان أكثر الجهلا

فبلغ الحجاج أن مالكاً قد راجع الشراب ، فقال لا يأتي مالك بخير سجيس[3] الأوجس

رأى عمر بن أبي ربيعة مالكاً وهو يطوف بالبيت وقد بهر الناس جماله وكماله ، فأعجب عمر ما رأى منه ، فسأل عنه فعرفه ، فعانقه وسلم عليه وقال أنت أخي حقاً ، فقال له مالك ومن أنا ؟ ومن أنت ؟ فقال أما أنا فستعرفني ، وأما أنت فالذي يقول

(١) تذهب به (٢) الوغل الذئل الساقط المقصر في الاشياء (٣) أبداً

ان لي عند كل نفحة بستاناً من الورد أو من اليما سمينا
نظراً والتفاتة أتمنى أن تكوني حللتِ فيما يلينا

مازلت أحبك مذ سمعت هذا الشعر لك ، فقال له مالك أأنت عمر بن أبي ربيعة ؟ قال نعم

عقيل بن علفة

هو عقيل بن عُلَّفَةَ المرى من مرة بن سعد بن ذُبيان ، يكني أبا العُمَيس وأبا الجرباء شاعر مجيد مُقِلّ من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج جافياً شديد الهوَج والعَجْرَفِيَّة والبَذَخ بنسبه فى بني مرة لا يرى أن له كُفئاً ، وهو فى بيت شرف من قومه فى كلا طرفيه ، وكانت قريش ترغب في مصاهرته ، تزوج اليه خلفاؤها وأشرافها منهم يزيد بن عبدالملك تزوج ابنته الجرباء ، وتزوج بنته عَمْرة سَلَمَة بن عبد الله بن المغيرة ، وتزوج أم عمرو بنته ثلاثة نفر من بنى الحكم بن أبى العاصى يحيى والحارث وخالد

وخطب اليه رجل من مرة كثير المال يُغمز في نسبه فقال

لعمرى لئن زَوجتُ من أجل ماله هَجينا لقد حُبِّبْتَ الى الدراهم
أأُنكح عبداً بعد يحيى وخالد أولئك أكفائى الرجال الأكارم
أبى لي أن أرضَى الدَّنية أنني أمُدُّ عِناناً لم تخنه الشكائم

اقتتل بنو سَهْم بن مرة رهط عقيل واخوتهم بنى جوشن بن مرة فى أمر يهودى خمار كان جاراً لهم وعقيل بالشام فكتب الى قومه يحرضهم

إمَّا هلكت ولم آتكم فأبلغ أماثل سَهْم رسولا
بأن التى سامكم قومكم لقد جعلوها عليكم عدولا
هَوان الحياة وضيم الممات وكل أراه طعاما وَبيلا

فان لم يكن غير إحداهما فسيروا الى الموت سيراً جميلا
ولا تقعدوا وبكم مُنّة كفى بالحوادث للشر غولا

فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب الحصين بن الحُمام المرى أحد بني سهم وقال اليّ كتب وبي نوه خاطب أماثل سهم وأنا من أماثلهم فأبْلَى فى تلك الحروب بلاء شديداً وقال فى ذلك قصيدته الميمية (انظر ص ٣ من الجزء الثانى)

عدت بنو جعفر بن كِلاب على جار لعقيل فأطردت ابله وضربوه فعدا عقيل على جارهم فضربه وأخذ إبله فأطردها فلم يردها حتى ردوا إبلَ جاره وقال فى ذلك

ان يَشْرَق الكلبيّ فيكم بريقه بنى جعفر يعجل لجاركم القتل
فلا تحسبوا الاسلام غيَّر بعدكم رماح مواليكم فذاك بكم جهل
بنى جعفر ان تَرجع الحرب بيننا نُذِقكم كما كنا نذيقكمُ قبل
بدأتم بجاري فانثنيت بجاركم وما منهما الا له عندنا حَبْل

مات ابنه علفة بالشام فقال يرثيه

لعمرى لقد جاءت قوافل خبَّرت بأمر من الدنيا علىّ ثقيل
وقالوا ألا تبكى لمصرع فارس نعته جنود الشام غير ضئيل
فأقسمت لا أبكي على هلك هالك أصاب سبيل الله خير سبيل
كأن المنايا تبتغى فى خيارنا لها نسباً وتهتدى بدليل
تحل المنايا حيث شاءت فانها محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بربْوة فحلّ الموالى بعده بمَسِيل

خرج عقيل وابناه علْقة وجَنّامة وابنته الجرباء حتى أتوا بنتاً له ناكحاً فى بني مَرْوان بالشام فأقاموا ، ثم انهم قفلوا بها حتى كانوا ببعض الطريق فقال عقيل

قضت وَطَرا من دير سعد[1] وطالما على عرض ناطحنه بالجاجم

(١) بين بلاد غطفان والشام

اذا هبطت أرضاً يموت غرابها بها عطشاً أعطينهم بالخزائم

ثم قال أنفذ ياعُلَّفة ، فقال علفة

فأصبحن بالمَوْماة [١] يحملن فتية نَشاوى من الادلاج ميل العمائم

اذا عَلَم غادرنه بتَنُوفة [٢] تذارعْنَ بالأيدى لآخر طاسم

ثم قال أنفذي ياجرباء فقالت

كأن الكَرَى سقّاهم صَرْخَدِيَّة [٣] عُقاراً تَمَشّى فى المَطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة ، لولا الأمان لضربت بالسيف تحت قُرْطك ، أما وجدت من الكلام غير هذا ؟ فقال جثامة وهل أساءت انما أجازت وليس غيرى وغيرك ، فرماه عقيل بسهم فأصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرحل ، ثم شد على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيراً مع ناقته الجرباء ، ثم قال لولا أن تسبني بنو مرة ما ذقت الحياة ، ثم خرج متوجهاً الى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أو قلت لهم انه أصابه غير الطاعون لأقتلنك ، فلما قدموا على أهل أُبَير [٤] وهم بنو القَيْن ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم هل لكم فى جَزور انكسرت ؟ قالوا نعم ، قال فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور ، فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسموا الجزور وأنزلوه عليهم وعالجوه حتى بَرَأ واحتملوه ليلحقوه بقومه حتى اذا كانوا قريباً منهم تغنى جثامة

أيعذر لاحينا ويُلْحَيْن فى الصبا وما هن والفتيان الا شقائق

فقال له القوم انما أفلتَّ من الجراحة التي جرحك أبوك آنفاً وقد عاودت

---

(١) الموماة الفلاة التى لا ماء بها ولا أنيس (٢) التنوفة كالموماة وطاسم لا علم به

(٣) الصرخدية الخمر منسوب الى صرخد وهى بلد بالشام والمطا الظهر

(٤) موضع فى بلاد غطفان وقيل ماء لبنى القين بن جسر

ما يكرهه فأمسك عن هـذا أو نحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شر وعرّ ، فقال انما هى خطرة خطرت والراكب اذا سار تغنى

غدا عقيل على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع فاذا بنوه مع بناته وأمهم مجتمعون فشد على عَمَلَّس فحاد عنه وتغنى علفة فقال

قفى يا ابنة المُرِّىّ أسألك ما الذي ... تريدين فيما كنتِ منيتنا قبل
يخبرك إن لم تُنجزى الوعد أننا ... ذوو خُلَّة لم يبق بينهما وصل
فان شئت كان الصَّرم ماهبت الصَّبا ... وان شئت لا يغنى التكارم والبذل

فقال عقيل متى منتك نفسك هذا وشد عليه بالسيف ، وكان عَمَلَّس أخاه لأمه ، فحال بينه وبينه ، فشد على عملس بالسيف وترك علفة لا يلتفت اليه ، فرماه بسهم فأصاب ركبته فسقط عقيل وجعل يتمعك في دمه ويقول

ان بنىّ سربلونى بالدم ... من يلق أبطال الرجال يُكْلَم
ومن يكن ذا أَوَد يُقَوَّم ... شِنْشِنَةٌ أعرفها من أَخْزَم (١)

وأقسم لا يساكن بنيه فاحتمل وخرج الى الشام ، فلما استوى على ناقته المسماة أطلال بكت ابنته الجرباء وحنت ناقته فقال

ألم تريا أَطلالَ حنت وشاقها ... تفرقُنا يوم الحبيب على ظهر
وأسبل من جَرْباء دمع كأنه ... جُمان أضاع السلك اجرت فى سطر
لعمرُك انى يوم أَغدو عَمَلَّسًا ... لكالمتربى حتفه وهولا يدرى
وانى لأَسقيه غَبوقى وانني ... لغَرْثان منهوك الذراعين والنحر

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل انك تخرج الى أقاصى البلاد وتدع بناتك فى الصحراء لا كالئ لهن والناس ينسبونك الى الغَيْرة وتأبى أن تزوجهن الا

(١) أخزم فحل كان لرجل من العرب وكان منجباً فضرب فى ابل رجل آخر ولم يعلم صاحبه فرأى بعد ذلك من نسله فقال شنشنة أعرفها من أخزم

الأكفاء ، قال انى أستعين عليهن بخلتين تكلآنهن وأستغني عن سواهما ، قال وما هما ؟ قال العُرْى والجوع

ومضى علفة أيضاً فافترض بالشام وكتب الى أبيه

ألا أبلغا عنى عقيلا رسالة فانك من حرب على كريم
أما تذكر الأيام اذ أنت واحد واذ كل ذي قربى اليك ذميم
واذ لا يقيك الناس شيئاً تخافه بأنفسهم الا الذين تضيم
تناول شأو الا بعدين ولم يقم لشأوك بين الأقربين أديم
فأما اذا عضت بك الحرب عضة فانك معطوف عليك رحيم
وأما اذا آنست أمنا ورخوة فانك للقربى ألدُّ ظلوم

فلما سمع عقيل هذه الأبيات رضى عنه وبعث اليه فقدم عليه

عاتب عمر بن عبد العزيز رجلا من قريش أمه أخت عقيل فقال له قبّحك الله أشبهت خالك فى الجفاء ، فبلغت عقيلا فجاء حتى دخل على عمر فقال له ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به الا خؤلتى فقبح الله شركما خالا ، فقال له عمر انك لأعرابى جِلْف جاف أما لو كنت تقدمت اليك لأدبتك والله لا أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً ، قال بلى انى لأقرأ ، قال فاقرأ ، فقرأ « اذا زلزلت الأرض زلزالها » حتى بلغ الى آخرها فقرأ « فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » فقال له عمر ألم أقل لك انك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال أولم أقرأ ؟ قال لا لأن الله جل وعز قدم الخير وانك قدمت الشر ، فقال

خذا بطن هَرْشَى أو قفاها فانه كلا جانبى هَرْشَى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفيته

قدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل يضرب برجليه ، فضحكوا منه ، فقال ما يضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم « وكانت ابنة عقيل تحته »

يضحكون من خفيك وضربك برجليك وشدة جفائك ، قال لا ولكن يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفى ، فجعل يحيى يضحك

دخل عقيل على يحيى بن الحكم وهو يومئذ أمير المدينة فقال له يحيى أنكح ابن خالى (يعنى ابن أوفى) فلانة ابنتك ، فقال ان ابن خالك ليرضى مني بدون ذلك ، قال وما هو ؟ قال ان أكفّ عنه سنن الخيل اذا غشيت سَوَامه ، فقال يحيى لحرسيين بين يديه أخرجاه ، فأخرجاه ، فلما ولى قال أعيداه اليّ ، فأعاداه ، فقال له عقيل مالك تُكرِّني إكرار الناضح ؟ قال أما والله انى لأُكرِّك أعرج جافياً فقال عقيل كذلك قلت

تعجبت اذ رأت رأسى تجلّله ... من الروائع شيب ليس من كبر
ومن أديم تولى بعد جدّته ... والجفن يخلق فيه الصارم الذكر

فقال له يحيى أنشدنى قصيدتك هذه كلها ، قال ما انتهيت الا الى ما سمعت فقال أما والله انك لتقول فتُقصر ، فقال انما يكفى من القلادة ما أحاط بالرقبة ، قال فأنكحني أنا احدى بناتك ، قال أما أنت فنعم ، قال أما والله لأملأنك مالا وشرفا ، قال أما الشرف فقد حملت ركائبي منه ما أطاقت وكلفتها تجشيم مالم تطق ولكن عليك بهذا المال فان فيه صلاح الأيّم ورضا الأبيّ ، فزوجه ثم خرج فأهداها اليه ، فلما قدمت عليه بعث اليها مولاة له لتنظر اليها ، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها فرفعت يدها فدقت أنفها ، فرجعت الى يحيى وقالت بعثتنى الى أعرابية مجنونة صنعت بى ما ترى ، فنهض اليها يحيى فقال لها مالك ؟ قالت ما أردت أن بعثت الى أمة تنظر اليّ ؟ ما أردتُ بما فعلت الا أن يكون نظرك الى قبل كل ناظر فان رأيت حسناً كنت قد سبقت الى بهجته وان رأيت قبيحاً كنت أحق من ستره ، فسر بقولها وحظيت عنده

خطب يزيد بن عبد الملك الى عقيل ابنته الجرباء ، فقال له عقيل قد زوجتكها

على ألا يزفها اليك أعلاجك، أكون أنا الذى أجىء بها اليك، قال ذلك لك، فتزوجها ومكثوا ما شاء الله، ثم دخل الحاجب على يزيد فقال له بالباب أعرابى على بعير معه امرأة فى هودج، قال أراه والله عقيلا، فجاء بها حتى أناخ بعيرها على بابه ثم أخذ بيدها فأذعنت فدخل بها على الخليفة فقال له ان أنتما ودّن بينكما فبارك الله لكما وان كرهت شيئاً فضع يدها فى يدى كما وضعت يدها فى يدك فحملت الجرباء بغلام ففرح به يزيد ونحله وأعطاه ثم مات الصبي فورثت أمه منه الثلث ثم ماتت فورثها زوجها وأبوها فكتب اليه ان ابنك وابنتك هلكا وقد حسبت ميراثك منها فوجدته عشرة آلاف دينار فهلم فاقبضه، فقال ان مصيبتي بابنى وابنتى تشغلني عن المال وطلبه فلا حاجة لي فى ميراثهما، وقد رأيت عندك فرساً سبقت عليه الناس فأعطنيه أجعله فحلا لخيلى، وأبى أن يأخذ المال، فبعث اليه يزيد بالفرس

أرطاة ابن سهية

هو أرطاة بن زُفَر المرّي وسُهَيَّة أُمه

شاعر فصيح معدود فى طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الاسلام فى دولة بني أُمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها، وكان امرأ صدق شريفاً فى قومه جواداً، وكان يهاجى شَبيب ابن البرصاء

دخل على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً مما كان يناقض به شبيباً فأنشده

أبى كان خيراً من أبيك ولم يزل جنيباً لآبائى وأنت جنيب

فقال عبد الملك كذبت، شبيب خير منك أباً، ثم أنشده

ومازلت خيراً منك مذ عَضَّ كارهاً برأسك عاديُّ النِّجاد رَكوب

فقال عبد الملك صدقت، أنت فى نفسك خير من شبيب، فعجب من عبد الملك ممن حضر ومن معرفته مقادير الناس على بعدهم منه فى بواديهم، وكان الأمر

على ما قال ، كان شبيب أشرف أباً من أرطاة وكان أرطاة أشرف فعلاً ونفساً من شبيب ، ودخل عليه مرة أخرى فقال له كيف حالك يا أرطاة ؟ وكان قد أسن ، فقال ضعفت أوصالي وضاع مالي وقلّ مني ما كنت أحب كثرته ، وكثر مني ما كنت أحب قلته قال فكيف أنت فى شعرك ؟ قال يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرهب ، وما يكون الشعر الا من نتائج هذه الأربع ومع أني القائل

رأيت المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي ... على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكرّ حتى ... توفي نذرها بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك ثم قال بل توفي نذرها بك ويلك ، فقال لا ترُعْ يا أمير المؤمنين فانما عنيت نفسي ، وكان أرطاة يكني بأبي الوليد ، فسكن عبد الملك ثم استعبر باكياً وقال أما والله على ذلك لتلمّنّ بي

دخل على مروان بن الحكم لما اجتمع له أمر الخلافة وفرغ من الحرب التى كان بها متشاغلاً فهنأه ، وكان خاصاً به و بأخيه يحيى بن الحكم ، ثم أنشده

تشكّى قلوصي الى الوجى[1] ... تجر السريح وتبلي الخِدَاما
تزور كريماً له عندها ... يدٌ لا تُعَدّ وتُهدى السلاما
وقل ثواباً له أنها ... تجيد القوافي عاماً فعاما
وسادت معَدًّا على رَغْمها ... قريش وسُدْتَ قريشاً غلاما
جُعِلت على الأمر فيه صَغا[2] ... فما زال غَمْزك حتى استقاما

(١) الوجى الحفا وهو أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر وينسحج والخدام جمع خدمة بفتحتين وهى السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشد الى رسغ البعير ثم يشد اليها سرائح نعلها والسرائح جمع سريح وهو السير يخصف به (٢) الصغى الميل

لقيت الزُّحوف فقاتلتها فجردت فيهن عَضْباً حُساما
تشق القوانس حتى ينا لَ ما تحتها ثم تبزى العظاما
نزعت على مَهَل سابقاً فما زادك النزع الا تماما
فزاد لك الله سلطانه وزاد لك الخير منه فداما

بلغه أن شبيباً سبه وتمنى لقاءه فى يوم قتال ليشفى منه غيظه فقال له

أن تلقني لا ترى غيري بناظرة تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد
ماذا أظنك تُغني فى أخي رصد من أُسْد خفّان جابي[1] العين ذي لبد
أبى ضراغمة غُبْر يعوِّدها أكلَ الرجال متى يبدأ لها يَعُد
يأيها المتمني أن يلاقيني ان تَنْأ آتك أو ان تبغني تجد
تقض اللُّبانة من مُرِّ شرائعه صعب القادة تخشاه فلا تَعُد
متى ترِدْني لا تَصْدُر لمصدرة فيها نجاة وان أُصدرك لا ترد
لا تحسبني كقَعْقَع القاع ينقره جانٍ بأصبعه أو بَيْضة البلد
أنا ابن عُفْفان معروفاً له نسبي الا بما شاركت أم على ولد
لاقى الملوك فأثأى[2] فى دمائهم ثم استقر بلا عَقْل ولا قَوَد
من عصبة يطعنون الخيل ضاحية حتى تَبَدَّدَ كالمزؤودة[3] الشُّرُد
ويمنعون نساء الحي ان علمت ويكشفون قَتام الغارة العمد
أنا ابن صِرْمة ان تسأل خيارهم أضربْ برجلى فى سادا تهم ويدى
وفى بني مالك أم وزافرة لا يدفع المجد من قيس الى أحد
ضربت فيهم بأعراقى كما ضربت عروق ناعمة فى أبطح ثَئِد
جدى قُضاعة معروف ويعرفني حيًّا رُفَيْدَة أهل السَّرْو والعدد

(١) جابي العين وجابىء العين شديد النظر (٢) أثأى فى القوم جرح فيهم
(٣) المزؤودة المذعورة

وكان ينسب بوجزة إحدى نساء غنى ومن قوله فيها

وداوية تلزعتها الليل زائرا ... لوجزة تهديني النجوم الطوامس
أعوج بأصحابي عن القصد تعتلي ... بنا عرض كنريها المطي العرامس
فقد تركتني لا أعيج بمشرب ... فأروى ولا ألهو الى من أجالس
ومن عجب الأيام أن كل منزل ... لوجزة من أكناف زمان دارس
وقد جاورت قصر العذيب فمايرى ... بزمان الا ساخط العيش بائس
طلاب بعيد واختلاف من النوى ... اذا ما أتى من دون وجزة قادس[1]
لئن أنجح الواشون بيني وبينها ... وطال التنائي والنفوس النفائس
لقد طال ما عشنا جميعاً وودنا ... جميع اذا ما يبتغي الأنس آنس
كذلك صرف الدهر ليس بتارك ... حبيباً ويبقى عمره المتقاعس

ومن قوله فيها

مررت على حدثي بزمان بعدما ... تقطع أقران الصبا والوسائل
فكنت كظبي مفلت ثم لم يزل ... به الحين حتى أعلقته الحبائل

وكان بينه وبين حيان الأسدي مهاجاة فاعترض بينهما حباشة الاسدي فهجا أرطاة فقال فيه أرطاة

أبلغ حباشة أني غير تاركه ... حتى أذله اذ كان ما كانا
الباعث القول يسديه ويلحمه ... كالمجتدي الثكل اذ حاورت حيانا
أن تدع خندف بغياً أو مكاثرة ... أدع القبائل من قيس بن عيلانا
قد نحبس الحق حتى ما يجاوزنا ... والحق يحبسنا في حيث يلقانا
نبني لآخرنا مجداً نشيده ... انا كذاك ورثنا المجد أولانا

(١) القادس السفينة العظيمة

وفد على عبدالملك بن مروان عام الجماعة وقد هنأه بالظفر ومدحه فأطال المقام عنده وأرجف أعداؤه بموته فلما قدم بالجوائز وقد ملأ يديه بلغه ما كان منهم فقال

اذا ما طلعنا من ثَنِيّة لَفْلَف[1] نخبر رجالا يكرهون إيابى
وخبرهمُ أنى رجعت بغبطة أُحدد أظفارى ويَصْرِف نابى
وأنى ابن حرب لا تزال تَهِرُّنى كلاب عدوى أو تهر كلابى

وقع بينه وبين زُمَّيل قاتل ابن دارة لحاء فتوعده زميل وقال انى لأحسبك ستجرع مثل كأس ابن دارة فقال أرطاة

يازمل انى ان أكن لك سائقا تركض برجليك النَّجاة وألْحق
لا تحسبنى كامرئ صادفته بمضيعة فخدشته بالمرْفق
انى امرؤ أُوفى اذا قارعتكم قَصَب الرِّهان وما أشأْ أتعرق

فقال له زميل

يا أرْطَ إن تك فاعلا ما قلته والمرء يستحيي اذا لم يصدق
فافعل كما فعل ابن دارة سالم ثم امش هَوْنك سادرا لا تتقى
واذا جعلتك بين لَحْيَى شابك ال أنياب فارعُد ما بدا لك وابرُق

وقال أرطاة يرثى ابنه عمراً

وقفت على قبر ابن سلمى فلم يكن وقوفى عليه غير مبْكًى ومَجْزع
هل أنت ابن سَلمى ان نظرتك رائح مع الركب أو غاد غداة غدٍ معى
أأنسى ابن سلمى وهو لم يأت دونه من الدهر الا بعضُ صيف ومَرْبع
وقفت على جُثْمان عمرو فلم أجد سوى جَدَث عافٍ ببيداء بَلْقَع
ضربت عمودى بانة شمرا معا فخزت ولم أتبع قلوصى بدعدع

(١) جبل بين تيماء وجبلى طيء

ولو أنها حادت عن الرَّمْس نلتها ... ببادرة من سيف أشهب موقع
تركتك ان تحيَ تكوسى[1] وان تنؤ ... على الجهد تخذلها توالٍ فتُصْرَع
فدع ذكر من قد حالت الارض دونه ... وفى غير من قد وارت الارض فاطمع

ومنها

وكائن ترى من ذات بَثّ وعولة ... بكت شجوها بعد الحنين المرجَّع
فكانت كذات البَوِّ[2] لما تعطفت ... على قطع من شِلْوه المتمزع
متى لا تجدْها تنصرف لطياتها ... من الارض أو تعمِد لالف فتربَع

خاصمت امرأة من بنى مرة سُهَيَّة أم أرطاة وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه فاستطالت عليها المرأة وسبتها فخرج أرطاة اليها فسبها وضربها ، فلامه قومه وقالوا له مالك تدخل نفسك فى خصومات النساء ؟ فقال

يعيرنى قومى المجاهل والخَنا ... عليهم وقالوا أنت غير حليم
هل الجهل فيكم أن أعاقب بعدما ... تجوز سبِّي[3] واستُحِل حريمى
اذا أنا لم أمنع عجوزىَ منكمُ ... فكانت كأخرى فى النساء عقيم
وقد علمت أبناء مُرَّة أننا ... اذا ما اجتدانا الشر كل حميم
حُماة لأحساب العشيرة كلها ... اذا ذُمَّ يوم الروع كل مُليم

ومن قوله فى قتلى من قومه قتلوا يوم بنات قين[4]

أعاذلتى ألا لا تعذُلينا ... أقلى اللوم ان لم تنفعينا
فقد أكثرت لو أغنيت شيئاً ... ولست بقابل ما تأمرينا

---

(١) كاس البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب (٢) البو جلد الحوار يحشى تماماً أو تبناً أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر (٣) سبك من يسابك

(٤) بنات قين موضع بالشام فى بادية كلب بن وبرة كانت فيه وقعة لبنى فزارة على بنى كلب فى أيام عبد الملك بن مروان ، فأصابت فيهم على غرة وذلك بعد وقعة أوقعتها بهم كلب يوم العام وهو جبل بأرض فزارة (أنظره فى ترجمة عويف القوافى ص٧٨)

فلا وأبيك لا ننفك نبكي على قتلى هنالك ما بقينا
على قتلى هنالك أوجعتنا وأنستنا رجالا آخرينا
سنبكي بالرماح اذا التقينا على اخواننا وعلى بنينا
بطعن تَرْعُدُ الاحشاء منه يرد البيض والابدان جُونا
كأن الخيل اذ آنسن كلباً يَرَيْن وراءهم ما يبتغينا

شبيب ابنه البرصاء

هو شبيب بن يزيد المرى والبَرْصاء أُمه واسمها قرصافة بنت الحرث بن عوف ابن أبي حارثة لقبت بذلك لبياضها

شاعر فصيح إسلامي من شعراء الدولة الأُموية بدوي لم يحضر الا وافداً أو منتجعاً وكان يهاجي عقيل بن عُلَّفَة ويعاديه لشراسة كانت فى عقيل وشر عظيم وكلاهما كان شريفاً سيداً فى قومه فى بيت شرفهم وسوددهم ، وكان شبيب أعور أصاب عينه رجل من طيء في حرب كانت بينهم ، ومما قاله لعقيل

ألسنا بفرع قد علمتم دِعامة ورابية تنشق عنها سيولها
وقد علمت سعد بن ذُبيان أننا رحاها التى تَأْوِي اليها وجُولها(١)
اذا لم نَسُسْكم فى الأُمور ولم تكن لحرب عَوَانٍ لاقح من يؤلها(٢)
فلستم بأهدى فى البلاد من التى تَرَدَّدُ حَيْزَى حين غاب دليلها
دعت جل يَرْبوع عقيلا لحادث من الأَمر فاستخفى وأعيا عقيلها
فقلت له أهلا أجبت عشيرة لطارق ليل حين جاء رسولها
وكائن لنا من رَبوَة لا تنالها مَرَاقيك أو جُرْثومة لا تطولها
فخرت بأيام لغيرك فخرها وغُرِّتَها معروفة وحُجُولها

(١) الجول جدار البئر وجمعه أجوال (٢) آله يؤله ساسه

اذا الناس هابوا سوءة عمدت لها ... بنو جابر شبانها وكهولها
فهلا بني سعد صبحت بغارة ... مُسَوَّمة قد طار عنها نَسيلها
فتدرك وترا عند آلم واتر ... وتدرك قتلى لم تتمم عقولها

وقال له

ألا أبلغ أبا الجرباء عني ... بآيات التباغض والتقالى
فلا تذكر أباك العبدَ وافخر ... بأم لست مكرمها وخال
وهبها مُهْرَة لقِحت ببغل ... فكان جنينها شر البغال
اذا طارت نفوسهم شعاعاً ... حمينا المحصنات لدى الحِجال
بطعن تعثُر الأبطال منه ... وضرب حيث تقتصُّ العوالى
أبى لي أن آبائى كرام ... بنَوْا لي فوق أشراف طوال
بيوتَ المجد ثم وثبت منها ... الى علياء مشرفة القَذَال
تزِلّ حجارة الرامين عنها ... وتقصر دونها نَبْل النِّضال

خطب شبيب الى يزيد بن هاشم المرى ابنته ، فقال هى صغيرة ، فقال شبيب لا ولكنك تبغي أن تردنى ، فقال له يزيد ما أردت ذاك ولكن أنظرنى هذا العام فاذا انصرم فعليَّ أن أزوجك ، فرحل شبيب من عنده مغضباً ، فلام يزيدَ بعض أهله ، فبعث الى شبيب ارجع فقد زوجتك ، فأبى شبيب أن يرجع وقال

لعمرى لقد أشرفت يوم عُنَيْزَة ... على رغبة لو شد نفسى مَرِيرها[1]
ولكنَّ ضَعْف الأمر ألاّ تُمِرَّه ... ولا خير فى ذى مِرَّة[2] لا يغيرها
تبَيَّنُ أدبار الأمور اذا مضت ... وتُقْبل أشباهاً عليك صدورها
تُرَجِّي النفوس الشيء لا تستطيعه ... وتخشى من الأشياء ما لا يَضيرها
ألا انما يكفى النفوسَ اذا اتقت ... تُقَى الله مما حاذرت فيجيرها

(١) المريرعزة النفس والعزيمة (٢) المرة قوة الخلق وشدته

ولا خير فى العيدان الا صلابها ولا ناهضات الطير الا صقُورها
ومستنبح يدعو وقد حال دونه من الليل سَجْفًا ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها زجرت كلابى أن يهرَّ عقورها
فبات وقد أسرى من الليل عقبة بليلة صدق غاب عنها شرورها
وقد علم الأضياف أن قِراهم شِوَاء المتالي[1] عندنا وقدورها
اذا افتخرت سعد بن ذُبْيان لم تجد سوى ما بنينا ما يعد نخورها
وانى لَتَرَّاك الضغينة قد أرى ثَرَاها من المولى فلا أستثيرها
مخافة أن يجني عليَّ وانما يهيج كبيرات الأمور صغيرها
اذا قيلت العوراء ولَّيتُ سمعها سواى ولم أسمع بها ما دَبِيرها
وحاجة نفس قد بلغت وحاجة تركت اذا ما النفس شح ضميرها
حياء وصبراً فى المواطن انني حَيِيّ لدى أمثال تلك ستيرها
وأحبس فى الحق الكريمةَ انما يقوم بحق النائبات صَبُورها
احابى بها الحى الذى لا تهمه وأحساب أموات تعد قبورها
ألم تر أنا نور قوم وانما يبين في الظلماء للناس نورها

ومن نخره

ولقد وقفت النفس عن حاجاتها والنفس حاضرة الشعاع تَطَلع
وغرِمت فى الحسب الرفيع غرامة يَعْيا بها الحَصِر الشحيح ويَظْلَع
انى فتى حر لقدرى عارف أعطى به وعليه مما أمنع

ومن قوله يرثي جماعة من بني عمه

تخرم الدهر اخوانى وغادرنى كما يغادر ثور الطارد الفَأَد[2]
انى لباق قليلا ثم تابعهم ووارد منهلَ القوم الذى وردوا

(١) ناقة متلية تبعها ولدها والجمع متالى (٢) الفأد اصابة الفؤاد

وشكاه رهط أَرْطَاة ابن سُهَيَّة الى عثمان بن حيان المرى وقالوا يعمنا بالهجاء ويشتم أعراضنا فأمر باشخاصه اليه ، ولما قدم قال له أقسم قسماً حقاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعن لسانك ، فقال شبيب

سجنت لسانى يا ابن حيان بعدما ... تولى شبابى ان عقدك محكم
وعيدك أبقى من لسانى قُذاذة (١) ... هيوبا وصمتاً بعد لا يتكلم
رأيتك تحلو لى اذا شئت لامرئ ... ومُرًّا مُراراً فيه صاب وعلقم
وكل طريد هالك متحير ... كما هلك الحيران والليل مظلم
يداك يدا خير وشر فمنهما ... تضر وللأخرى نوال وأنعم

وقد وصف نفسه شبيب فأحسن

وانى لسهل الوجه يعرف مجلسي ... اذا أحزن القاذورةُ المتعبس
يضئ سنا جودى لمن يبتغى القِرَى ... وليل بخيل القوم ظلماء حندس
ألين لذى القربى مراراً وتلتوى ... بأعناق أعدائى حبال فتمرس (٢)

وكان عبد الملك يتمثل بقول شبيب فى بذل النفس عند اللقاء ويُعجَب به

دعانى حصن للفرار فساءنى ... مواطن أن تثني علىَّ فأشتما
فقلت لحصن نَحِّ نفسك انما ... يذود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما
سيكفيك أطراف الأسنة فارس ... اذا ريعَ نادى بالجواد وبالحمى
اذا المرء لم يغش المكاره أوشكت ... حبال الهُوَينى بالفتى أن تَجَذَّما

ومما يغنى فيه من شعره

سلا أم عمرو فيم بات أسيرها ... تنادى الأسارى حوله وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة ... ولا منعم يوماً عليه فطلق

(١) القذاذة ما سقط من قد الريش ونحوه (٢) مرست حبال فلان أى ارتبكت أموره

ابن ميادة

هو الرَّمَّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبان المرى ، ويكنى أبا شر حبيل ، وميّادة أمه وهى أم ولد بربرية وروى أنها كانت صُقْلبية وكان ابن ميادة يزعم أنها فارسية وذكر ذلك فى شعره فقال

أليس غلام بين كسرى وظالم ... بأكرم من نيطت عليه التمائم
لو أن جميع الناس كانوا بتَلْعة ... وجئت بجدى ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

وقال يفتخر بها

أنا ابن ميادة تَهْوى نُجُبي ... صَلْت الجبين حسن مُرَكَّبي
ترفعنى أمى ويَنْميني أبى ... فوق السحاب ودون الكوكب

وهو شاعر مقدم مخضرم من شعراء الدولتين وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة وقرن به عمرو بن لَجَأ والعجيف العقيلى والعُجَير السَّلولى ، وقال ابن الأعرابى كان عرِّيضا للشر طالباً مهاجاة الشعراء ومسابّة الناس ، وقال شيخ من غطفان كان الرماح بن أبرد أشعر غطفان في الجاهلية والاسلام وكان خيراً لقومه من النابغة لم يمدح غير قريش وقيس وكان النابغة انما يَهْذِى باليمن مضللا حتى مات ، وقال القاسم بن جُنْدَب الفزارى ، وكان عالماً لابن ميادة والله لو أصلحت شعرك لذكرت به فانى لأراه كثير السقط ، فقال له ابن ميادة يا ابن جندب انما الشعر كنبل فى جفيرك ترمى به الغرض [1] فطالع وواقع وعاضد وقاصر ، وقال يحيى بن على كان

(١) الطالع من السهام الذى يجاوز الهدف ويعلوه لم يزغ عنه يميناً ولا شمالا وهو يستحب والواقع الذى يقع بالغرض والعاضد الذى يقع عن يمين الغرض وشماله وهو شرها والقاصر الذى يقصر دونه فلا يبلغه وهو قاصد

ابن ميادة فصيحاً يحتج بشعره وقد مدح بني أمية و بني هاشم ومدح من بني أمية الوليد بن يزيد وعبدالواحد بن سليمان ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان.

وكان ابن ميادة أحمر سبطا عظيم الخلق طويل اللحية وكان لباساً عطراً ما دنوت من رجل كان أطيب عرفاً منه

قال موسى بن زهير كان الرماح ينسب بأم جحدر بنت حسان المرية فخلف أبوها ليخرجنها الى رجل من غير عشيرته ولا يزوجها بنجد ، فقدم عليه رجل من الشام فزوجه اياها فلقى عليها ابن ميادة شدة فرأيته وما لقى عليها ، فأتاها نساؤها ينظرن اليها عند خروج الشامى بها فوالله ما ذكرن منها جمالاً بارعاً ولا حسناً مشهوراً ولكنها كانت أكسب الناس لعجب ، فلما خرج بها زوجها الى بلاده اندفع ابن ميادة يقول

ألا حييا رسما بذى العُشّ مقفرا ... وربْعا بذى المدور مستعجماً قفرا

فأعجب دار دارُها غير أنني ... اذا ما أتيت الدار تَرْجعني صِفْرا

عشية أثني بالرداء على الحشى ... كأن الحشى من دونه أُسعرت جمرا

فبهرا لقومى اذ يبيعون مهجتى ... بغانية بَهْرا لهم بعدها بَهْرا

يميل بنا شحط النوى ثم نلتقى ... عداد الثريا صادفت ليلة بدرا

وبالغمْر قد جازت وجاز مطيها ... فأسقى الغوادى بطن تبان فالغمرا

خليلىّ من غيظ بن مرة بلغا ... رسائل مني لا تزيدكما وقْرا

ألا ليت شعرى هل الى أم جحدر ... سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا

فان يك نذر راجعا أم جحدر ... علىّ لقد أوجبت فى عنق نذرا

وانى لأستثني الحديث منَ اجلها ... لأسمع منها وهى نازحة ذكرا

وانى لأستحيي من الله أن أرى ... اذا غدر الخلان أنوى لها غدرا

قال ابن ميادة كانت أم جحدر من عشيرتى فأعجبتني ، وكانت بينى و بينها خلة ، ثم انى عتبت عليها في شئ بلغني عنها فأتيتها فقلت يا أم جحدر ان الوصل عليك مردود ، فقالت ما قضى الله فهو خير ، فلبثت على تلك الحال سنة ، وذهبت بهم نجعة فتباعدوا واشتقت اليها شوقاً شديداً فقلت لامرأة أخ لى والله ان دنت دارنا من أم جحدر لآتينها ولأطلبن اليها أن ترد الوصل بينى و بينها ولئن ردته لانقضته أبداً ، ولم يكن يومان حتى رجعوا فلما أصبحت غدوت عليهم فاذا أنا ببيتين نازلين الى سَنَد أبرق طويل واذا امرأتان جالستان فى كساء واحد بين البيتين ، فجئت فسلمت فردت إحداهما ولم ترد الاخرى ، فقالت ما جاء بك يارماح الينا ؟ ما كنا حسبنا الا أنه قد انقطع ما بيننا و بينك ، فقلت انى جعلت علىّ نذراً لئن دنت بأم جحدر دار لآتينها ولأطلبن منها أن ترد الوصل بيني و بينها ولئن هى فعلت لانقضته أبداً ، واذا التي تكلمني امرأة أخيها واذا الساكتة أم جحدر ، فقالت امرأة أخيها فادخل مقدم البيت ، فدخلت وجاءت فدخلت من مؤخره ، فدنت قليلا ثم اذا هى قد برزت ، فساعة برزت جاء غراب فنعب على رأس الأبرق ، فنظرت اليه وشهقت وتغير وجهها ، فقلت ما شأنك ؟ قالت لا شئ ، قلت بالله ألا أخبرتنى ، قالت أرى هذا الغراب يخبرنى انا لانجتمع بعد هذا اليوم الا ببلد غير هذا البلد ، فتقبضت نفسى ثم قالت جارية والله ما هى فى بيت عِيافة ولا قيافة ، فأقمت عندها ثم تروحت الى أهلى فمكثت عندهم يومين ثم أصبحت غادياً اليها فقالت لي امرأة أخيها ويحك يارماح أين تذهب ؟ فقلت اليكم ، فقالت وما تريد ؟ قد والله زوجت أم جحدر البارحة ، فقلت بمن ويحك ؟ قالت برجل من أهل الشام من أهل بيتها جاءهم من الشام فخطبها فزوجها وقد حملت اليه ، فمضيت اليهم فاذا هو قد ضرب سرادقات ، فجلست اليه فأنشدته وحدثته وعدت اليه أياماً ، ثم انه احتملها فذهب بها فقلت

أجارتنا [١] ان الخطوب تنوب علينا وبعض الآمنين تصيب
أجارتنا لست الغداة ببارح ولكن مقيم ما أقام عَسيب
فان تسأليني هل صبرت فانني صبور على ريب الزمان صليب
جرى بانبتات الحبل مَن أم جحدر ظباء وطير بالفراق نعوب
نظرت فلم أعْنَفْ وعافت فبينت لها الطير قبلي واللبيب لبيب
فقالت حرام أن نرى بعد هذه جميعين الا أن يُلِمّ غريب
أجارتنا صبراً فيارب هالك تَقَطَّعُ من وجد عليه قلوب

ثم انحدرت فى طلبها وطمعت فى كلمتها «الا ان نجتمع فى بلد غير هذا البلد» فجئت فدرت الشام زماناً فتلقانى زوجها فقال مالك لا تغسل ثيابك هذه ؟ أرسل بها الى الدار تغسل ، فأرسلت بها ، ثم انى وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب ، فقالت أم جحدر لجاريتها اذا جاء فأعلميني ، فلما جئت اذا أم جحدر وراء الباب ، فقالت ويحك يا رَمّاح قد كنت أحسب أن لك عقلا ، أما ترى أمراً قد حيل دونه ؟ انصرف الى عشيرتك فانى أستحيي لك من هذا المقام ، فانصرفت وأنا أقول

عسى أن حججنا أن نرى أم جحدر ويجمعنا من نخلتين طريق
وتصطك أعضاد المطىّ وبيننا حديث مُسَرّ دون كل رفيق

قال اسحق الموصلي أنشدني أبو داود لابن ميادة وهو يضحك منذ أنشدنى الى أن سكت

ألم تر أن الصاردية جاورت ليالي بالممدور [٢] غير كثير

(١) هذه الابيات الثلاثة أغار عليها ابن ميادة أعيانها أما البيتان الاولان فهما لامرىء القيس قالهما لما احتضر بأنقرة فى بيت واحد والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية وتمثل به أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى رسالة كتب بها الى أخيه عقيل

(٢) الممدور موضع فى ديار غطفان

ثلاثاً فلما أن أصابت فؤاده بسهمين من كحل دعت بهجير
بأصهب (١) يرمى للزمام برأسه كأن على ذفراه نضخ عبير
جلت اذ جلت عن أهل نجد حميدة جلاء غني لا جلاء فقير
وقالت وما زادت على أن تبسمت عذيرك من ذي شيبة وعذيرى
عدمت الهوى ما يبرح الدهر مقصداً لقلبي بسهم في اليدين طرير (٢)
وقد كان قلبي مات للوجد موته فقد همّ قلبي بعدها بنشور

فقلت ما أضحكك ؟ فقال كذب ابن ميادة والله ما جلت الا على حمار وهو يذكر بعيراً ويصفه وأنها جلت جلاء غني لا جلاء فقير ، فألطقه الشيطان بهذا كله كما سمعت

ومن قوله فيها

ألا يا لقومى للهوى والتذكر وعين قذى انسانها أم جحدر
فلم ترعينى مثل قلبي لم يطر ولا كضلوع فوقه لم تكسر

ومن نسيبه بأم جحدر

يمنونني منك اللقاء وانني لأعلم لا ألقاك من دون قابل
الى ذاك ماحارت أمورك وانجلت غيابة حبيك انجلاء الخايل (٣)
اذا حل أهلى بالجناب وأهلها بحيث التقى الفلان من ذى أرايل
أقل خلة بانت وأدبر وصلها تقطع منها باقيات الحبائل
وحالت شهور الصيف بينى و بينها ورفع الأعادى كل حق وباطل
أقول لعذّ الىّ لما تقابلا على بلوم مثل طعن المعاول
ألا تكثرا عنها السؤال فانها مصلصلة (٤) من بعض تلك الصلاصل

(١) يريد بعيراً لونه الصهبة والذفرى العظم خلف الاذن (٢) طرير محدد وأقصده السهم أصابه فقتله مكانه (٣) جمع مخيلة بالضم والفتح السحابة التى تخيلها ماطرة
(٤) صلصل فلاناً أوعده وتهدده

من الصفر لاوَرْهاء سمنج دلالها وليست من السود القصار الحوائل (١)
ولكنها ريحانة طاب نشرها وردت عليها بالضحى والأصائل
فياليت رثَّ الوصل من أم جحدر لنا بجديد من أولاك البدائل
ولم يبق مما كان بيني وبينها من الود الا مخفيات الرسائل
وأني اذا استنبهت من حلو رقدة رميت بجبيها كرمى المناضل
فما أنس لا الاشياء لا أنس قولها وأدمعها يُذْرين حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فانه رهين بأيام الدهور الأطاول
وكنت امرأ أرمى الزوائل (٢) مرة فأصبحت قد ودعت رمى الزوائل
وعطلت قوس اللهو من شُرُعاتها (٣) وعادت سهامي بين رث وناصل
اذا حل بيتي بين بدر (٤) ومازن ومرة نلت الشمس واشتد كاهلي

لما ماتت أم جحدر ونعيت اليه لم يصدق حتى أتاه رجل من بني زُحْل يقال له عمار فنعاها له فقال

ما كنت أحسب ان القوم قد صدقوا حتى نعاها لى الزحلى عمار

وقال يرثيها

خلت شعب الممدور لست بواجد به غير بال من عِضَاه وحرْمل
تمنيت أن تلقي به أم جحدر وماذا تمني من صَدًى تحت جندل
فللموت خير من حياة ذميمة وللبخل خير من عناء مطول

وشبب ابن ميادة بزينب احدى نساء حُمَيس بن عامر من قضاعة ومن قوله فيها

(١) الحائل المتغير اللون وهى حائلة (٢) الزوائل جمع زائلة وهى كل شيء يتحرك
(٣) الشراع الوتر ما دام مشدوداً على القوس جمعه شرع ونصل السهم فهو ناصل خرج من النصل (٤) يعنى بدر بن عمرو من عدى بن فزارة ومرزنا ومرة ابنى فزارة

نظرنا فهاجتنا على الشوق والهوى لزينب نار أوقدت بجُبار (١)
كأن سناها لاح لى من خصاصة (٢) على غير قصد والمطى سوار
حُمَيسيه بالرملتين محلها تَمُتّ بحِلف بيننا وجوار
نجاور من سَهْم بن مرة نسوة بمجتمع النصفين غير عوار
نواعم أبكاراً كأن عيونها عيون ظباء أو عيون صُوار (٣)
كأنا نراها وهى منا قريبة على مَتن عَصماء اليدين نوار
تتبع من حجر ذُرا متمنع لها معقِل فى رأس كل طَمار (٤)
يدور بها ذو أسهم لا ينالها وذو كلبات كالقسِىّ ضَوار
كأن على المتنين منها وَدِيّة (٥) سقتها السواقى من وَدِىّ دوار
يَظَلّ سَحيق المسك يقطر حولها اذا الماشطات احتفنه بمدارى (٦)
وما روضة خضراء يضربها الندى بها قُنّة (٧) من حَنْوة وعرار
بأطيب من ريح القرَنفُل ساطعاً بما التف من دِرْع لها وخمار
وما ظبية ساقت لها الريح نَغْمة على غفلة فاستسمعت لحوار
بأحسن منها يوم قامت فأتلعت (٨) على شَرَك من روعة ونفار
فليتك يا حسناء يا ابنة مالك يبيع لنا منك المودة شار

رأى ابن ميادة امرأة من بنى جُشَم بن معاوية ثم من بنى حرام يقال لها أم الوليد وكانوا سار وا عليه فأعجب بها وقال فيها

ألا حبذا أم الوليد ومَرْبع لنا ولها نشتو به ونصيف

---

(١) ماء لبنى حميس بن عامر (٢) الخصاص كل خلل وخرق فى باب ومنخل وبرقع ونحوه وفى السحاب الواحدة خصاصة (٣) الصوار بالضم ويكسر القطيع من البقر
(٤) الطمار المكان المرتفع (٥) الودية صغار الفسيل الواحدة ودية سمى به لانه يخرج من النخل ثم يقطع منه فيغرس (٦) المدرى المشط جمعه مدار (٧) القنة الجبل الصغير والعرار بهار ناعم أصفر طيب الريح (٨) أتلع عنقه مده متطاولا

حرامية أما ملاث ازارها فوعث وأما خصرها فلطيف
كأن القرون السود فوق مقذها[1] اذا زل عنها برقع ونصيف
بها زرجونات[2] بقفر تنسمت لها الريح حتى بينهن زفيف

فلما سمع زوجها هذه الأبيات أتاها فحلف بطلاقها لئن وجد ابن ميادة عندها ليدقن فخذها . ثم أعرض عنها واعتزلها حتى وجده يوماً عندها فدق فخذها واحتمل فرحل ورحل بها معه فقال ابن ميادة

أتانا عام سار بنو كلاب حراميون ليس لهم حزام
كأن بيوتهم شجر صغار بقيعان تقيل بها النعام
حراميون لا يقرون ضيفاً ولا يدرون ماخلق الكرام

ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب فأعجب بامرأة منهم يقال لها أم البختري وكان يتحدث اليها مدة مقامهم ثم ارتحلوا فقال فيها

أرقت لبرق لا يفتر لامعه بشهب الربا والليل قد نام هاجعه
أرقت له من بعد مانام صحبتي وأعجبني ايماضه وتتابعه
يضيء صبيراً[3] من سحاب كأنه هجان أرنت للحنين نوازعه
هنيئاً لأم البختري الروى[4] به وان أنهج الحبل الذي النأى قاطعه
لقد جعل المستبضع الغش بيننا ليصرم حبلينا تجوز بضائعه
فما سرحة تجري الجداول تحتها بمطرد القيعان عذب ينابعه
بأحسن منها يوم قالت بذي الغضى أترعى جديد الحبل أم أنت قطعه

خطب ابن ميادة امرأة من بني سلمى بن مالك بن جعفر فأبوا أن يزوجوه وقالوا أنت هجين ونحن أشرف منك فقال

(١) المقذ ما بين الاذنين من خلف (٢) الزرجون شجر العنب وزف النبات اهتز واضطربت أغصانه (٣) الصبير السحابة البيضاء أو السحاب الابيض الذي يصبر بعضه فوق بعض درجا وأرن صوت (٤) الروى الماء الكثير المروى

فلو طاوعتني آل سلمى بن مالك لأعطيت مهراً من مسرة عاليا
وسِرْب كسرب العِين من آل جعفر يغادين بالكحل العيون السواجيا
إذا ما هبطن النيل أو كن دونه بسَرْو الحمَى لقين أنعم المراسيا

ومن نسيبه

يا خليليَّ هَجِّرا كي تروحا هجِّما للرواح قلباً قريحا
أن تريغا لتعلما سر سُعْدَى تجداني بسر سعدى شحيحا
ان سعدى لمنية المتمنى جمعت عفة ووجهاً صبيحا
كلمتني وذاك ما نلت منها ان سعدى ترى الكلام ربيحا

تهاجى ابن ميادة وحكم بن معمر الخُضْرِيّ ، وأول ما بدأ الهجاء بينهما أن ابن ميادة مرَّ بالحكم وهو ينشد في مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الناس قوله

لمن الديار كأنها لم تعمر بين الكناس وبين برق مُحجِّر

حتى انتهى الى قوله

يا صاحبي ألم تشيما بارقاً نُصح الصُّرادبه فهَضْب المنخر
قد بت أرقبه وبات مصعِّدا نهض المقيد في الدَّهاس[1] الموقر

فقال ابن ميادة ارفع إليَّ رأسك أيها المنشد ، فرفع حكم اليه رأسه ، فقال له من أنت ؟ قال أنا حكم بن معمر الخضرى ، قال فوالله ما أنت فى بيت حسب ولا في أرومة شعر ، فقال له حكم وماذا عبت من شعري ؟ قال عبت أنك أدهست وأوقرت ، قال له حكم ومن أنت ؟ قال أنا ابن ميادة ، قال ويحك فلم رغبت عن أبيك وانتسبت الى أمك ؟ قبح الله والدين خيرهما ميادة ، أما والله لو وجدت فى أبيك خيراً ما انتسبت الى أمك راعية الضأن ، وأما ادهامى وايقارى فانى لم آت

(١) الدهاس ما لا ينبت شجراً وتغيب فيه القوائم والموقر وصف للمقيد

خيير الا ممتاراً لا متحاملاً وما عدوت ان حكيت حالك وحال قومك فلو سكت عن هذا كان خيراً لك وأبقى عليك ، فلم يفترقا الا عن هجاء

تواعد ابن ميادة وحكم المدينة ليتواقفا بها ، فتواقفا بها ، وجاء نفر من قريش أمهاتهم من مرة الى ابن ميادة فمنعوه من مواقفة حكم وقالوا أتتعرض له رلست بكفئه فيشتم أمهاتنا وأخوالنا وخالاتنا وهو رجل خبيث اللسان ؟ وكان حكم يسجع سجعاً كثيراً ، فقال والله لئن واقفته لأسجعن به قبل المقارضة سجعاً أفضحه به فلم يلقه ، ورجز به ابن ميادة فقال

يا معدن اللؤم وأنت جبله ... وآخر اللؤم وأنت أوله
جاريت سباقاً بعيداً مَهَله ... كان اذا جارى أباك يفشله
فكيف ترجوه وأنت تأمله ... فأنت شر رجل وأنذله
ألأمه فى مأزق وأجهله ... أدخله بيت المخازى مُدْخله
فاللؤم سربال له يُسربَلُه ... ثوباً اذا أنهجه يبدله

فأجابه حكم

يا ابن التى جيرانها كانت تضر ... وتتبع الشَّوْل وكانت تحتضر
كيف اذا مارست حراً تنتصر

ولها مناقضات كثيرة وأراجيز طوال طويت ذكر أكثرها وألغيته وذكرت منها لمعاً من جيد ما قالاه لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائره فيطول ، فمما قاله حكم فى ابن ميادة قوله

خليلىَّ عوجا حيِّيا الدار بالجَفْر ... وقولا لها سقيا لعصرك من عصر
وماذا تحيى من رسوم تلاعبت ... بها حَرْجَف تذرى بأذيالها الكدر

فمن جيد قوله فيها يفتخر

اذا يبست عيدان قوم وجدتنا ... وعيداننا تغشى على الورق الخضر

اذا الناس ناءوا بالقروم أتيتهم بقَرْم يساوى رأسه غُرّة البدر
لنا الغوْر والأنجاد والخيل والقنا عليكم وأيام المكارم والفخر

ومن جيد هجائه فيها

فيا مُرّ قد أخزاك فى كل موطن من اللؤم خلات يزدن على العشر
فمنهن أن العبد حامى ذماركم وبئس المحامى العبد عن حَوْزة الثَّغْر
ومنهن أن لم تمسحوا وجه سابق جواد ولم تأتوا حصاناً على طهر
ومنهن أن الميت يدفن منكم فيفسو على دَفّانه وهو فى القبر
ومنهن أن الجار يسكن وسطكم بريئاً فيلقى بالخيانة والغدر
ومنهن أن عُدْتم بأرقط كَوْدن(١) وبئس المحامى أنت ياضَرِط الجفر
ومنهن أن الشيخ يوجد منسكمُ يَدِبّ الى الجارات محدودب الظهر
يديت ضباب الضغن يخشى احتراشها(٢) وان هى أمست دونها ساحل البحر

فأجابه ابن ميادة بقصيدة طويلة منها قوله مجيباً له عن هذه الخصال التى سبهم بها

لقد سبقت بالمخزيات محارب وفازت بخلات على قومها عشر
فمنهن أن لم تعقروا ذات ذروة لحق اذا ما احتيج يوماً الى العقْر
ومنهن أن لم تمسحوا عربية من الخيل يوماً تحت جُلّ على مهر
ومنهن أن لم تضربوا بسيوفكم جماجم الا فيشل القُرحُ الحمر
ومنهن أن كانت شيوخ محارب كما قد علمتم لاتريش ولا تبْرِى
ومنهن أخرى سوءة لو ذكرتها لكنتم عبيداً تخْدُمون بنى وبْر
ومنهن أن الضأن كانت نساءكم اذا اخضر أطراف الثُّمام من القطر

(١) الكودن الهجين (٢) احترش الضب صاده

ومنهن أن كانت عجوز محارب تريع الصبى تحت الصفيح من القبر
ومنهن أن لو كان فى البحر بعضكم لخبث ضاحى جلده حومة البحر

ومن جيد قول ابن ميادة فى حكم قصيدته التى أولها

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقة وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه
فوالله ما أدري أيغلبني الهوى اذا جد جد البين أم أنا غالبه
فان أستطع أغلب وان يغلب الهوى فمثل الذى لاقيت يغلب صاحبه

يقول فيها فى هجاء حكم

لقد طال حبس الوفد وفد محارب عن المجد لم يأذن له بعد حاجبه
وقال لهم كرّوا فلست بآذن لكم أبداً أو يحصى الترب حاسبه

اجتمع ابن ميادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ، وكان عقال شديد الرأى فى اليمن ، فغمز عقال ابن ميادة واعتلاه ، فقال ابن ميادة

فجرنا ينابيع الكلام وبحره فأصبح فيه ذو الرواية يسبح
وما الشعر الا شعر قيس وخندف وقول سواهم كلفة وتملح

فقال عقال يجيبه

ألا أبلغ الرماح نقض مقالة بها خطل الرماح أو كان يمزح
لئن كان في قيس وخِنْدِف ألسن طوال وشعر سائر ليس يقدح
لقد خرق الحى اليمانون قبلهم بحور الكلام تستقى وهى تطفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فللسابقين الفضل لا يجحدونه وليس لمخلوق عليهم تبجح

ومن جيد شعره قوله يمتدح الوليد بن يزيد

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها سافى الرياح ومُسْتَنّ له طنب

دار لبيضاء مسودّ مسائحها (١) كأنها ظبية ترعى وتنتصب
تحنو لأكحل ألقته بمضيعة فقلبها شفقاً من حوله يجب

يقول فيها

يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها وأملح الناس عيناً حين تنتقب
ليست تجود بنيل حين أسألها ولست عند خلاء اللهو أغتصب
في مرفقيها اذا ماعونقت جمم (٢) على الضجيع وفي أنيابها شنب
وليلة ذات أهوال كواكبها مثل القناديل فيها الزيت والعطب (٣)
قد جبتها جوب ذي القراض ممطرة اذا استوى مغفلات البيد والحدب
بعنتريس (٤) كأن الدبر يلسعها اذا ترنم حاد خلفها طرب
الي الوليد ابي العباس ماعجلت ودونه المعط (٥) من لبنان والكثب
أعطيتني مائة صفرا مدامعها كالنخل زين أعلى نبته الشرب
يسوقها يافع جعد مفارقه مثل الغراب غذاه الصرّ والحلب
وذا سبيب صهيبيا له عرف وهامة ذات فرق نابها صخب
لما أتيتك من نجد وساكنه نفحت لي نفحة طارت بها العرب
اني امرؤ أعتفي الحاجات أطلبها كما اعتفى سرق (٦) يلقى له العشب
ولا ألح على الخلان أسألهم كما يلح بعظم الغارب القتب
ولا أخادع ندماني لأخدعه عن ماله حين يسترخي به اللبب
وأنت وابناك لم يوجد لكم مثل ثلاثة كلهم بالتاج معتصب
الطيبون اذا طابت نفوسهم شوس الحواجب والأبصار ان غضبوا

(١) المسائح ما بين الاذن الى الحاجب من الشعر وتنتصب تقف اذا ارتاعت منتصبه تتوحش (٢) الجمم كثرة اللحم (٣) العطب القطن (٤) العنتريس الناقه الغليظه الصلبة الوثيقه الشديدة الكثيرة اللحم (٥) المعط جمع المعطاء وهي أرض لا نبات بها (٦) السنق للحيوان كالتخم للانسان

قسني الى شعراء الناس كلهمُ وادع الرواة اذا ماغب ماحتلبوا
انى وان قال أقوام مديحهمُ فأحسنوه وما خابوا وما كذبوا
أجرى أمامهم جرى امرىء فَلِج عِنانه حين يجرى ليس يضطرب

وكان مع الوليد بأبابين وهو موضع كان الوليد ينزله فى الربيع فقال

لعمرك إنى نازل بأبابين لصَوْءر مشتاق وان كنت مكرما
أبيت كأنى أرمد العين ساهر اذا بات أصحابى من الليل نُوَّما

فقال له الوليد كأنك غَرِضت (١) من قربنا فقال مامثلك يا أمير المؤمنين يُغْرَض من قربه ولكن

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بحَرَّةِ ليلى حيث رَبَّتنى (٢) أهلى
وهل أسمعن الدهر أصوات هَجْمة تطالع من هَجْل ٣ خصيب الى هجل
بلاد بها نيطت علىّ تمائمى وقطعن عنى حين أدركنى عقلى
فان كنت عن تلك المواطن حابسى فأيسر على الرزق واجمع اذاً شملى

فأعطاه الهجمة وهي مائة ناقة وأجازه جوائز سنية ولما مات الوليد قال يرثيه

ألا ياللفتيّ على وليد غداة أصابه القَدَرُ المتاح
ألا بَكّى الوليد فتى قريش وأسمحها اذا عد السماح
وأجبرها لذى عظم مَهِيض اذا دَرّت بدِرّتها اللِّقاح
لقد فعلت بنو مروان فعلا وأمراً ما يسوغ به القراح

ومدح ابن ميادة أبا جعفر المنصور بقصيدة من جيد شعره أولها

وكواعب قد قلن يوم تواعدوا قول المجدّ وهن كالمُزّاح
يا ليتنا فى غير أمر بئر طلعت علينا العيس بالرَّماح

(١) غرض ضجر وملّ (٢) ربته رباه (٣) الهجل المطمئن من الارض

بينا كذاك رأيتني متعصباً بالخز فوق جلالة سِرْداح[1]
فيهن صفراء المعاصم طفلة بيضاء مثل غريضة التفاح
فنظرن من خلل الحجال بأعين مرضى مخالطها السقام صحاح
وارتشن حين أردن أن يرمينني نَبْلا بلا ريش ولا بقداح

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم

فلئن بقيت لألحقن بأبحر يَنْمِين لا قطع ولا أنزاح[2]
ولآتين بني على انهم من يأتيهمُ يتلق بالأفلاح
قوم اذا جلب الثناء اليهم بيع الثناء هناك بالأرباح
ولأجلسن الى الخليفة انه رَحْب الفِناء بواسع بَحْباح

وهي قصيدة طويلة

وقال يصف الغيث

سحائب لا من صَيِّب ذي صواعق ولا محرقات ماؤهن حميم
اذا ما هبطن الأرض قدمات عودها بكين بها حتى يعيش هَشيم

ومما مدح به عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أمير المدينة

من كان أخطأه الربيع فانما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد
ان المدينة أصبحت معمورة بمتوج حُلْو الشمائل ماجد
ولقد بلغت بغير أمر تكلف أعلى الحظوظ برغم أنف الحاسد
وملكت ما بين العراق ويثرب ملكا أجار لمسلم ومعاهد
ماليهما ودميهما من بعد ما غشي الضعيفَ شعاع سيف المارد

ومدح جعفر بن سليمان بن علي، وكان على المدينة

لعمرك ما سيوف بني علي بنابية الظُّبات ولا كِلال

(١) السرداح الناقة الكريمة (٢) النزح بالفتح البئر نزح أكثر ماءها وجمعه أنزاح

هُمُ القوم الأولى ورثوا أباهم تُرَاث مجد غير انتحال
وهم تركوا المقال لهم رفيعاً وما تركوا عليهم من مقال
حذوتم قومكم ما قد حذوتم كما يُحذَى المثال على المثال
فردوا فى جراحكمُ أُسَاكم فقد أبلغتمُ مر النكال

يشير عليه بالعفو عن بنى أمية ويذكره بأرحامهم

وله من قصيدة يهجو بها بني أسد وبني تميم

بني أسد أن تغضبوا ثم تغضبوا وتَعْدِلْ قريش تحتكم قيسا غِضابها
وأحقرُ محقورٍ تميم أخوكمُ وان غضبت يَرْبوعها و رَبابها
ألا ما أبالي أن تخندف خِنْدِف ولست أبالي أن يَطِنّ ذبابها
ولو أن قيساً قيس عَيْلان أقسمت على الشمس لم يطلُع عليكم حجابها
ولو حاربتنا الجن لم نرفع القَنا عن الجن حتى لا تَهِرّ كلابها
لنا الملك الا أن شيئاً تعده قريش ولو شئنا لذلت رقابها
وان غضبت من ذا قريش فقل لها معاذَ الاله أن أكون أهابها
وانى لقوال الجواب وانني لمفتخر أشياء يَعْيا جوابها
اذا غضبت قيس عليك تقاصرت يداكَ وفات الرِّجلَ منك ركابها

ومن قوله

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء سَوْء يلقهم حيث سيرا
فما العود الا نابت فى أُرومة أبى شجر العيدان أن يتغيرا

ضاف ابن ميادة أيوب بن سلمة فلم يقِرِه وابن ميادة من أخوال أيوب فقال فيه

ظَلِلْنا وقوفاً عند باب ابن أختنا وظل عن المعروف والمجد فى شغل
صفا صلد عند النَّدَى ونعامة اذا الحرب أبدت عن نواجذها العُصُل

مات ابن ميادة في صدر خلافة المنصور

عبد الله بن الحجاج

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن الثَّعْلبي من ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، ويكني أبا الأقرع

شاعر فاتك من معدودي فرسان مُضَر ذوي البأس والنجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً خرج مع نَجْدة بن عامر الحنفي ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزُّبير فكان معه الى أن قتل ، ثم جاء الى عبد الملك متنكراً واحتال عليه حتى أمنه ، دخل عليه وهو يطعم الناس فدخل حُجْزَة ، فقال مالك يا هذا لا تأكل ؟ قال لا أستحل ان آكل حتى تأذن لي ، قال إني قد أذنت للناس جميعاً ، قال لم أعلم أفآكل بأمرك ؟ قال كل ، فأكل وعبد الملك ينظر اليه ويعْجَبُ من مقاله ، فلما أكل الناس جلس عبد الملك فى مجلسه وجلس خواصه بين يديه وتفرق الناس ، فجاء الحجاج فوقف بين يديه ، ثم استأذنه فى الانشاد فأذن له ، فأنشده

أبلغ أمير المؤمنين فانني ... مما لقيت من الحوادث مُوجَع
منع القرار فجئت نحوك هارباً ... جيش يُجَرّ ومِقْنَب[1] يتلمع

فقال عبد الملك وما خوفك لا أُم لك لولا انك مُرِيب ؟ فقال عبد الله

ان البلاد علي وهى عريضة ... وَعِرَت مذاهبها وسُدَّ المطلع

فقال عبد الملك ذلك بما كسبت يداك وما الله بظلام للعبيد ، فقال عبد الله

كنا تنحلنا البصائر مرة ... واليك اذ عَمِى البصائر ترجع
ان الذى يعصيك منا بعدها ... من دينه وحياته متودع

(١) المقنب جماعة من الخيل تجتمع للغارة ويتلمع يضيء

آتى رضاك ولا أعود لمثلها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع
أعطى نصيحتك الخليفة ناجعاً وخزامة الأنف المقود فأتبع

فقال عبد الملك هذا لا نقبله منك الا بعد المعرفة بك وبذنبك فاذا عرفت الحوبة قبلنا التوبة ، فقال عبد الله

ولقد وطئت بني سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعضع

فقال عبد الملك لله الحمد والمنة على ذلك ، فقال عبد الله

ما زلت تضرب منكباً عن منكب تعلو ويسفل غيركم ما يرفع
ووطئتهم فى الحرب حتى أصبحوا حدثاً يؤس وغابر يتجمجع (١)
فخوى خلافتهم ولم يظلم بها القرم قرم بنى قصى الأنزع
لا يستوى خاوى (٢) نجوم آفل والبدر منبلجاً اذا ما يطلع
وصفت أمية واسطين لقومهم ووصفت وسطهم فنعم الموضع
بيت أبو العاصى بناه بربوة عالي المشارف عزه ما يدفع

فقال عبد الملك ان توريتك عن نفسك لتريبنى ، فأى الفسقة أنت ؟ وماذا تريد ؟ فقال

حربت (٣) أصيبتى يد أرسلتها واليك بعد معادها ما ترجع
وأرى الذى يرجو تراث محمد أفلت نجومهم ونجمك يسطع

فقال عبد الملك ذلك جزاء أعداء الله ، فقال عبد الله

فانعش أصيبتى الأولاء كأنهم حجل (٤) تدرج بالشربة جوع

(١) تجمجع الرجل ضرب بنفسه الارض من وجع أصابه (٢) خوت النجوم أمحلت فلم تمطر (٣) حربه أخذ ماله وتركه بلا شيء (٤) الحجل صغار أولاد الابل وحشوها والشربة موضع بنجد

فقال عبد الملك لا أنعشهم الله وأجاع أكبادهم ولا أبقى وليداً من نسلهم فانهم نسل كافر فاجر لا يبالي ما صنع ، فقال عبد الله

مال لهم مما يُضَنّ جمعته يوم القَلِيب فحِيزَ عنهم أجمع

فقال عبد الملك لعلك أخذته من غير حله وأنفقته فى غير حقه وأرصدته لمشاقة أولياء الله وأعددته لمعاونة أعدائه فنزعه منك اذ استظهرت به على معصية الله ، فقال عبد الله

أدنو لترحمني وتجبر فاقتي فأراك تدفعني فأين المدفع

فتبسم عبد الملك وقال له الى النار فمن أنت الآن ؟ قال أنا عبد الله بن الحجاج الثعلبي وقد وطئت دارك وأكلت طعامك ، فان قتلتني بعد ذلك فأنت وما تراه وأنت بما عليك فى هذا عارف ، ثم عاد الى إنشاده فقال

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم عنى فألبسني فثوبك أوسع

فنبذ عبد الملك اليه رداء كان على كتفه وقال البَسْهُ لا لَبِست ، فالتحف به ثم قال له عبد الملك أولى لك والله لقد طاولتك طمعاً فى أن يقوم بعض هؤلاء فيقتلك فأبى الله ذلك فلا تجاورنى فى بلد وانصرف آمناً وأقم حيث شئت

ومن قوله لما ضاقت عليه الأرض من شدة الطلب

رأيت بلاد الله وهى عريضة على الخائض المطرود كفة حابل

تؤدى اليه أن كل ثَنِيَّة تيممها ترمى اليه بقاتل

ولي كثير بن شهاب الحارثى على ثغر الرَّىّ ولاه إياه المغيرة بن شُعْبة ، وكان ابن الحجاج معه ، فأغار الناس على الدَّيلم ، فأصاب ابن الحجاج رجلاً منهم فأخذ سلبه فانتزعه منه كثير وأمر بضربه فضرب مائة سوط وحبس ، فقال فى ذلك وهو محبوس

تسائل سلمى عن أبيها صحابه وقد عَلِقَته من كثير حبائل

فلا تسألي عني الرفاق فانه بأبهر [1] لا غاز ولا هو قافل
ألست ضربت الديلمي أمامهم فجدلته فيه سِـــنان وعامل

فمكث فى الحبس مدة ثم خلي سبيله فقال

سأترك ثغر الرّيّ ما كنتَ والياً عليه لأمر غالني وشـــجانى
فان أنا لم أدرك بثأرى واتئد فلا تَدْعُني للصيد من غَطَفان
تمنيتني يا ابن الحصين سفاهة ومالك بى يا ابن الحصين يدان
فانى زعيم أن أُجلل عاجلا بسبق كِفاحاً هامة ابن كنان

فلما عزل كثير وقدم الكوفة كمن له ابن الحجاج فضربه بعمود على وجهه فهتم مقاديم أسنانه كلها وقال

من مبلغٌ قيساً وخِنْدِف أننى ضربت كثيراً مضرب الظَّرِبان
فأقسم لا ينفك ضربة وجهه بذل ويُخزى الدهر كل يمان
فان تلقنى تلق امرأً قد لقيته سريعاً الى الهيجاء غير جبان
وتلق امرأً لم تلق أمك بره على سابح غَوْج [2] اللَّبان حَصان
وحولي من قيس وخِنْدِف عصبة كرام على البأساء والحدثان
وان تك للشيخ الذى غَصَّ بالحصى فانى لقَرْم يا كثير هِجان
أنا ابن بني قيس عليَّ تعطفت بَغيض بن رَيْث بعد آل دجان

وقال فى ذلك أيضاً

من مبلغٌ قيساً وَخِنْدِفَ أنني أدركت مظلمتى مِنِ ابن شهاب
أدركته أجرى على محبوكة [3] مَرِح الجِراء طويلة الأقراب

(١) أبهر مدينة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحى الجبل
(٢) غوج اللبان واسع جلد الصدر ولا يكون كذلك الا وهو سهل المعطف
(٣) المحبوكة الشديدة الخلق من الفرس وغيره والاقراب جمع قرب وهو الخاصرة

جرداء سُرْحوب[1] كأن هُبُوبها تعلو بجؤجؤها هُوِيّ عُقاب
خضت الظلام وقد بدت لي عورة منه فأضربه على الأنياب
فتركته يكبو لفيه وأنفه ذهل الجنان مُضَرَّج الأثواب
هلا خشيت وأنت عادٍ ظالم بقصور أَبْهَرَ ثُؤْرَتي[2] وعقابي
اذ تستحل وكان ذاك محرماً جلدي وتنزع ظالماً أثوابي
باءت عَرَارِ[3] بكَحْلَ فيما بيننا والحق يعرفه أولو الألباب

فكتب ناس من اليمانية من أهل الكوفة الى معاوية ان سيدنا ضربه خسيس من غَطَفان فان رأيت أن تُقيدنا من أسماء بن خارجة ، فلما قرأ معاوية الكتاب قال ما رأيت كاليوم كتاب قوم أحمق من هؤلاء وحبس عبد الله بن الحجاج وكتب اليهم ان القود ممن لم يَجْنِ محظور والجانى محبوس فليقتص منه المجني عليه ، فقال كثير بن شهاب لا أستقيدها الا من سيد مضر ، فبلغ قوله معاوية فغضب وقال أنا سيد مضر فليستقدها مني وأمن عبد الله بن الحجاج وأطلقه وبطل ما فعله بابن شهاب فلم يقتص ولا أخذ له عقلا

مات جُنْدَب بن عبد الله فدفنه بظهر الكوفة فمَرَّ أخوه عُوَين بحراث الى جانب قبر جندب فنهاه أن يقربه وحذره ذلك ، فلما كان من الغد وجده قد حرث جانبه وقد نبشه وأخربه ، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدَّانه وقال

أقول لحراث حريمي جَنَّبا فديتكما لا تحرثا قبر جُنْدَب
فانكما ان تحرثاه تُشَرَّدا ويذهبَ كل منكما كل مذهب

فأخذ عوين فاعتقله السجان فضربه حتى شغله بنفسه ثم هرب ، فوفد أبوه

(١) فرس سرحوب طويلة توصف به الاناث دون الذكور والجؤجؤ الصدر
(٢) الثؤرة الذحل وهو طلب المكافأة بجناية جنيت عليك
(٣) عرار وكحل بقرنان انتطحتا فماتتا جميعاً فضرب بهما المثل

الى عبد الملك ، فاستوهبه جرمه ، فوهبه وأمر ألاَّ يُتعقَّب ، ولما مَثَلَ بين يدي عبد الملك أنشده

يا ابن أبي العاصي ويا خير فتى ... أنت النجيب والخيار المصطفى
أنت الذي لم تَدَع الأمر سُدَى ... حين كشفت الظلمات بالهدى
ما زلت ان نازٍ على الأمر انتزى ... قضيته ان القضاء قد مضى
كما أذقت ابن سعيد اذ عصى ... وابن الزُّبير اذ تَسَمَّى وطغى
وأنت ان عُدَّ قديم وبنى ... من عبد شمس في الثَّماريخ العلى
حِيبَتْ قريش عنكم حَوْبَ الرحا ... هل أنت عافٍ عن طريد قد غَوَى
أهوى على مَهْوَاة بئر فهوى ... رمى به جُول الى جُول الرّجا[1]
فتجبر اليوم به شيخاً ذَوَى ... يَغْوِي مع الذئب اذا الذئب عوى
وان أراد النوم لم يقض الكرى ... من هول ما لاقى وأهوال الردى
يشكر ذاك ما نفت عين قَذَى ... نفسي وآبائي لك اليوم فدى

فأمر عبد الملك بتحمل ما بلزم ابنه من غرم وعقل وأمنه

وفد ابن الحجاج الى عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجزل صلته وأمره بأن يقيم عنده ، ففعل ، فلما طال مقامه اشتاق الى الكوفة والى أهله ، فاستأذن عبد العزيز فلم يأذن له ، فخرج من عنده عاصياً ، فكتب عبد العزيز الى أخيه بشر أن يمنعه عطاءه ، فمنعه ورجع عبد الله لما أضر به ذلك الى عبد العزيز وقال

تركت ابن ليلى ضُلَّة وحريمه ... وعند ابن ليلى مَعْقِل ومُعَوَّل
ألم يهدني أن المراغم واسع ... وأن الديار بالمقيم تنقل
سأحكم أمري أو بدا لي رشده ... وأختار أهل الخير ان كنت أعقل
وأترك أوطاري وألحق بامرىء ... تحلب كفاه النَّدَى حين يسأل

(١) الرجا ناحية البئر والجول جدار البئر

أبت لك يا عبد العزيز مآثر وجرى شأى جرىَ الجياد وأول
أبى لك اذ أكدوا وقل عطاؤهم مواهبُ فياض ومجد مؤثل
أبوك الذى ينميك مروان للعلى وسعد القناة الخال لا من يخول

فقال له عبد العزيز أما اذا عرفت موضع خطئك واعترفت به فقد صفحت عنك ، وأمر باطلاق عطائه ووصله ، وقال له أقم ما شئت عندنا وانصرف مأذوناً لك اذا شئت

ومن شعر ابن الحجاج

نأتك ولم تخش الفراق جنُوب وشطَّتْ نوى بالظاعنين شعُوب
طربت الى الحى الذين تحملوا ببُرْقة أحواذ (١) وأنت طروب
فظلْتَ كأنى ساورتني مُدَامة لها فى عظام الشاربين دبيب
تمر وتستحلى على ذاك شربها لوجه أخيها فى الإناء قُطُوب
كُميت اذا صبت وفى الكأس وردة لها فى عظام الشاربين دبيب
تذكرت ذكرى من جنُوب مصيبة ومالك من ذكرى جنوبَ نصيب
وأنّى ترجى الوصل منها وقد نأت وتبخل بالموجود وهى قريب
فما فوق وجدي اذ نأت وجد واحد من الناس لو كانت بذاك تثيب
برَهْرَهة (٢) خَوْد كأن ثيابها على الشمس تبدو تارة وتغيب

كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يعرفه آثار عبد الله بن الحجاج وبلاءه من محاربته وأنه بلغه أنه أمنه ويحرضه ويسأله أن يوفده اليه ليتولى قتله ، وبلغ ذلك عبد الله بن الحجاج فجاء حتى وقف بين يدي عبد الملك ثم أنشده

أعوذ بثوبيك اللذين ارتداهما كريم الثنا من جيبه المسك ينضح
فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى وان كنت مذبوحاً فكن أنت تذبح

(١) الاحواذ جمع حاذ وهو شجر تألفه بقر الوحش (٢) امرأة برهرهة بيضاء

فقال عبد الملك ماصنعت شيئاً ، فقال عبدالله

لأنت وخير الظافرين كرامهم ... عن المذنب الخاشي العقاب صفوح
ولو زلقت من قبل عفوك نعلُه ... ترامى به دَحْض[1] المقام بريح
نمى بك ان خانت رجالا عقولهم ... أروم[2] ودين لم يخنك صحيح
وعُرف سرى لم يسر فى الناس مثله ... وشأو على شأو الرجال منوح
تداركني عفوا ابن مروان بعد ما ... جرى لى من بعد الحياة سنيح
رفعت مريحاً ناظرىّ ولم أكد ... من الهم والكرب الشديد أريح

فكتب عبد الملك الى الحجاج ، انى قد عرفت من خبث عبدالله وفسقه مالا يزيدنى علماً به الا أنه اغتفلنى متنكراً فدخل دارى وتحرم بطعامى واستكسانى فكسوته ثوباً من ثيابى وأعاذنى فأعذته وفى دون هذا ما حظر على دمه ، وعبدالله أقل وأذل من أن يوقع أمر أو يُشكك عهد فى قتله خوفاً من شره ، فان شكر النعمة وأقام على الطاعة فلا سبيل عليه وان كفر ما أوتى وشاق الله ورسوله وأولياءه فالله قاتله بسيف البغى الذي قتل به نظراؤه ومن هو أشد بأساً وشكيمة منه من الملحدين فلا تعرض له ولا لأحد من أهله بسيئة والسلام

ابن دارة

هو عبد الرحمن بن مسافع بن شريح بن يربوع الملقب بدارة من عبدالله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان شاعر اسلامى .

لما أخذ السَّمَهْرى العُكْلى وحبس وقتل وكانت بنو أسد أخذته وبعثت به الى السلطان وكان نديماً لعبد الرحمن فقتل بعد طول حبس فقال عبد الرحمن يهجو بني أسد ويحرض عليهم عُكْلا

(١) الدحض الزلق والبريح التعب (٢) الاروم جمع الارومة بالفتح أصل الشجرة ويستعار للحب

أن يُمْسِ بالعينين سُقْم فقد أتى ... لعينيك من طول البكاء على جُمْل
تهيم بها لا الدهر فانٍ ولا المنى ... سواها ولا تَسْلَى بنأى ولا شغل
كبيضة أُدْحِى بِمَيْثٍ (١) خميلة ... يُحَفِّفُها جَوْنٌ بجُؤْجُئِه الصَّعْل
وما الشمس تبدو يوم غيم فأشرقت ... على الشامة العَنْقاء فالنِّير فالذبل
بدا حاجب منها وضنَّت بحاجب ... بأحسن منها يوم زالت على الحمل
يقولون أَزْل (٢) حب جمل وقربها ... وقد كذبوا ما فى المودة من أَزْل
اذا شَحَطَت عنى وجدت حرارة ... على كبدى كادت بها كمداً تغلى
ولم أر محزونين أجملَ لوعة ... على نائبات الدهر مني ومن جمل
كلانا يذود النفس وهى حزينة ... ويُضْمر وجداً كالنوافذ بالنبْل
وانى لمُبْلِى اليأس من حب غيرها ... فأما على جمل فانى لا أُبْلِي
وان شفاء النفس لو تسعف المني ... ذوات الثنايا الغُر والحدق النُّجْل
أولئك ان يمنعن فالمنع شيمة ... لهن وان يُعطين يُحمدن بالبذل
سامسك بالوصل الذى كان بيننا ... وهل ترك الواشون والنأى من وصل
ألا فاسقيانى قهوة فارسية ... من الأَول المختوم ليس من الفضل
تُنَسِّى ذوى الاحلام واللب حلمهم ... اذا ان بدت فى دنها زَبَد الفحل
ويارا كباً إما عَرَضت فبلغن ... على نأيهم مني القبائل من عُكْل
بأن الذي أمست تُجمجم قَعْسَ ... إسار بلا أسر وقتل بلا قتل
وكيف تنام الليل عُكْل ولم تنل ... رضى قَوَد بالسَّمْهَرِىّ ولا عَقْل
فلا صلح حتى تَنْحِطَ الخيل فى القنا ... وتوقد نار الحرب بالحطب الجزْل
وجُرْد تعادَى بالكُماة كأنها ... تلاحظ من غيظ بأعينها القُبْل (٣)

(١) الميثاء الرملة السهلة جمعه مث والخميلة الشجر الكثير الملتف ويحففها يحدق بها والجون الابيض والاسود والصعل النعامة الدقيقة الرأس (٢) الازل الضيق
(٣) رجل أقيل كأنه ينظر الى طرف أنفه وهى قبلاء والجمع قبل

عليها رجال جالدوا يوم منعج ذوى التاج ضرابو الملوك على الوهل
بضرب يزيل الهام عن مستقره وطعن كأفواه المفرّجة الهُدْل[1]
علامَ تمشى فقعس بدمائكم وما هى بالقرع المنيف ولا الأصل
وكنا حسبنا فقعسا قبل هذه أذل على وقع الهوان من النعل
فقد نظرت نحو السماء وسلمت على الناس واعتاضت بخصب من المحل
رمى الله فى أكبادهم ان نجت بها شعاب القنان من ضعيف ومن وغل
وان أنتمُ لم تثأروا بأخيكمُ فكونوا نساء للخلوق وللكحل
وبيعوا الرُّدَيْنيات بالحلي واقعدوا على الذل وابتاعوا المغازل بالنبل
ألا حبذا من عنده القلب فى كبْل ومن حبه داء وخبْل من الخبل
ومن هو لا ينسى ومن كلُّ قوله لدينا كطعم الراح أو كجنى النحل
ومن ان نأى لم يُحدث النأى بغضه ومن ان دنا فى الدار أرصد بالبذل

فلما بلغ مالكا أخا السمهرى بخراسان انحطّ من خراسان حتى قدم بلاد عُكْل فاستجاش نفراً من قومه فعاقوا فى أرض بنى أسد يطلبون الغرّة فوجدوا بثادق[2] رجلا من فقعس يعرف بابن سعدة وامرأة هى أمه فقتلوه وحزوا رأسه وذهبوا بالرأس وتركوا جسده وقتلوها أيضاً فقال عبد الرحمن فى ذلك

ما لقتيل فقعس لا رأس له هلا سألت فقعسا من جدّله
لا يتبعن فقعسىّ جمله فردا اذا ما الفقعسى أعمله
لا يلقينّ قاتلا فيقتله بسيفه قد سمّه وصقله

وقال أيضاً

لما تمالى القوم فى رأد الضحى نظراً وقد لمع السراب فخالا

(١) الاهدل الجمل المسترخى المشفر والجمع هدل
(٢) واد بنجد أسفله لبنى عبس وأعلاه لبنى أسد

نظر ابن سعد نظرة و بلا بها كانت لصعبك والمطى خبالا
لما رأى من فوق طَوْد يافع بعض المعداة وجنة وظلالا
عيرتنى طلب الحمول وقد أرى طَبًا بهن مكلفاً بطالا
فانظر لنفسك يا ابن سعدة هل ترى ضَبُعًا تجر بثادق أوصالا
أوصال سعدة والكميت وانما كان الكميت على الكميت عيالا

وقال

أصبحتُم نُكُلَى لئاماً وأصبحت شياطين عُكْل قد عراهن فَقْعس
قضى مالك ماقد قضى ثم قلصت به فى سواد الليل وَجْناء عِرْمِس
فأضحت بأعلى ثادق وكأنها مَحالة غَرْب تستمر وتَمْرَس

وقد ظفرت بنو أسد بعبد الرحمن بالجزيرة بعد ما أكثر من سبهم وهجائهم وتآمروا فى قتله فقال بعضهم لا تقتلوه ولتأخذوا عليه أن يمدحنا ونحسن اليه فيمحو بمدحه ماسلف من هجائه ، فعزموا على ذلك ثم ان رجلا منهم قد عضه بهجائه اغتفله فضربه بسيفه فقتله وقيل فى ذلك

فلا تكثروا فيه الضجاج فانه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

جبها

هو يزيد بن عبيد بن عقيلة الأشجعى من أشجع بن ريث بن غطفان وجبها لقب له وقد يقال جبيها ، شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ، نشأ وتوفى فى أيام بنى أمية ، وليس ممن انتجع الخلفاء بشعره ومدحهم فاشتهر ، وهو مقل وليس من معدودى الفحول ، ومما يغنى فيه من شعره

ألا لا أبالى بعد رَيَّا أوافقت نوانا نوى الجيران أم لم توافق
هجان المحيَّا حرة الوجه سُربلت من الحسن سربالا عتيق البنائق (١)

(١) جمع بنيقة وهى لبنة القميص أى زيقه الذى ينفتح على النحر

ومن قوله من قصيدة أولها

أمن الجميع بذى البقاع ربوع ... هاجت فؤادك والربوع تروع
من بعد ما نَسكِرت وغير آيها ... قَطْر ومسبلة الدموع خَرِيع[1]
يا صاحبي ألا ارفعا لي آية ... تَشفى الصُّداع فيذهل المرفوع
ألواح ناجية كأن تليلها[2] ... صدَع تُطيف به الرُّقاة منيع

قالت له زوجته لو هاجرت بنا الى المدينة وبعت ابلك وافترضت فى العطاء كان خيراً لك ، قال أفعل ، فأقبل بها وبابله حتى اذا كان بحَرّة واقم من شرقى المدينة شَرَعها بحوض وأقسم ليسقينها فحنّت ناقة منها ثم نزعت وتبعتها الابل ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته هذه ابل لاتعقل تحن الى أوطانها ونحن أحق بالحنين منها أنت طالق ان لم ترجعى وفعل الله بك ، وردها وقال

قالت أُنَيسة دع بلادك والتمس ... داراً بطَيْبة رَبَّة الآطام
تكتب عيالك في العطاء وتفترض ... وكذاك يفعل حازم الأقوام
فهَمَمْت ثم ذكرت ليل لقاحنا ... بذوى عنيزة أو بقُفّ بَشام
اذ هُنّ عن حَسَبى مَذَاود كلما ... نزل الظلام بعصبة أغتام
ان المدينة لا مدينة فالزمى ... حقف السناد وقبة الأرحام
يُجلب لكِ اللبن الغَريض وينتزع ... بالعيس من يمن اليك وشام
وتجاورى النفر الذين بنبلهم ... أرمي العدو اذا نهضت مرام
الباذلين اذا طلبت بلادهم ... والمانعى ظَهرى من الغُرّام

استطرق جبها موسى بن زياد الأشجعى فوعده ثم مطله فقال جبها

واعدنى الكبش موسى ثم أخلفني ... وما لمثلى تعتلّ الأكاذيب
ياليت كبشك يا موسي يصادفه ... بين الكراع وبين الوجنة الذيب
أمسى بذى الغصن أو أمسى بذي سلم ... تقحمته الى أبياتك اللوب[3]

(١) الذاهبة العقل شبه السحابة بها لانها لا تمالك من المطر (٢) التليل العنق (٣) العطش

شعراء محارب

ابن أرطاة

هو عبد الرحمن بن أرطاة بن سَيْحان المحاربي من محارب بن خَصَفَة بن قيس عيلان ، وآل سيحان حلفاء حرب بن أمية وبمنزلة بعضهم عندهم خاصة وعند سائر بني أمية عامة ، وابن أرطاة شاعر مقل اسلامي ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول في الشراب والغزل والفخر ومدح أحلافه من بني أمية ، وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بني أمية كواحد منهم الا أن اختصاصه بآل أبي سفيان وآل عثمان خاصة كان أكثر وخصوصه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إياه أزيد من خصوصه بسائرهم لأنهما كانا يتنادمان على الشراب ، ومما قاله وقد رأى اداوة الشراب قد يبست وتقبضت

لا تبعدنَّ إداوة مطروحة ... كانت حديثاً للشراب العاتق
ان تُصْبحي لا شيءَ فيك فربما ... أُتْرِعت من كأس تَلَذّ لذائق
بأبي الوليد وام نفسي كلما ... بدت النجوم وذرّ[1] قرن الشارق
كم عنده من نائل وسماحة ... وشمائل ميمونة وخلائق
وكرامة للمعتفين اذا اعتفوا ... في ماله حقاً وقول صادق
أثْوِي فاكرَمَ في الثواء وقضيت ... حاجاتنا من عند أروعَ باسق[2]
لما أتيناه أتينا ماجدال ... أخلاقِ سبّاقاً لقوم سابق
قال الوليد يدى لكم رهن بما ... حاولتمُ من صامت أو ناطق
فالى الوليد اليه حنت ناقتي ... تَهْوِي بمُغْبَرّ المتون سمالق[3]

(١) أي طلع قرن الشمس يريد بأبي الوليد وأمي في كل ليل ونهار أبداً
(٢) طويل (٣) السمالق القاع الصفصف وجمعه سمالق . وقد وضع الجمع موضع المفرد

حنت الى برق فقلت لها قِرِى[1] بعض الحنين فان شجوك شائق

وكان عبد الرحمن مع شعره حلو الأحاديث عنده أحاديث حسنة غريبة من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ومن شعره فى حلفه

وانى امرؤ أنمى الى أفضل الورى عديدا اذا ارفضت عصا المتحلف
الى نضد من عبد شمس كأنهم هضاب أجا أركانها لم تقصف
ميامين يرضون الكفاية ان كفوا ويكتفون ماولوا بغير تكلف
غطارفة ساسوا البلاد فأحسنوا سياستها حتى أقرت لمردف
فمن يك منهم موسراً يغش فضله ومن يك منهم معسراً يتعفف
وان تبسط النعمى لهم بسطوا بها اكفا سباطا نفعها غير مقرف
وان تزو عنهم لا يضجوا وتلفهم قليلى التشكى عندها والتكلف
اذا انصرفوا للحق يوماً تصرفوا اذا الجاهل الحيران لم يتصرف
سموا فعلوا فوق البرية كلها ببنيان عال من منيف ومشرف

وفيهم يقول

سموت بحلفى للطوال من الربا ولم تلقني كالنسر فى ملتقى جدب
اذا ماحليف الذل أقأ شخصه ودب دبيب الحسير على نقب
وهصت[1] الحصالا أخنس الأنف قابعا اذا انا راخى لى خناق بنو حرب

قتل سعيد بن عثمان غلمان له من الصغد وكان معه عبد الرحمن فهرب عنه فقال خالد بن عقبة يرثيه

يا عين جودى بدمع منك تهتانا وابكى سعيد بن عثمان بن عفانا
ان ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سيحانا

(١) من الوقار كأنها طاحنت ونازعت الى الوطن أو المقصد فقال يخاطبها قرى
(٢) وطئته وطأ شديداً وقبع القنفذ أدخل رأسه في جلده والرجل فى قميصه

فقال عبد الرحمن يجيبه

يقول رجال قد دعاك فلم تجب ... وذلك من تلقاء مثلك رائع
فان كان نادى دعوة فسمعتها ... فشلّت يدى واستكّ مني المسامع
والا فكانت بالذى قال باطلا ... ودارت عليه الدائرات القوارع
يلومونني ان كنت فى الدار حاسراً ... وقد فر عنه خالد وهو دارع

فقال بعض الشعراء يجيبه

فانك لم تسمع ولكن رأيته ... بعينيك اذ مجراك فى الدار واسع
وأسلمته للصغد تدمى كلومه ... وفارقته والصوت فى الدار شائع
وما كان فيها خالد بمعذر ... سواء عليه صم أو هو سامع
فلا زلتما فى غل سوء بعبرة ... ودارت عليكم بالشمات القوارع

ولما قتل سعيد قالت أمه اشتهى ان يرثيه شاعر كما فى نفسى حتى أعطيه ما يحتكم فقال ابن سيحان

ان كنت باكية فتى ... فابكى هُبِلْت على سعيد
فارقت أهلك بغتة ... وجلبت حتفك من بعيد
أذرى دموعك والدما ... ء على الشهيد بن الشهيد

فقالت هكذا كنت اشتهى أن يقال فيه ووصلت ابن سيحان وكانت تندبه بهذا الشعر

ألا ان خير الناس ان كنت سائلا ... سعيد بن عثمان القتيل بلا ذَحْل
تداعت عليه عصبة فارسية ... فأضحى سعيد لا يُمِرّ ولا يُحْلِي

ومن نسيبه

رحم الله صاحبىّ بنى الحا ... رث اذ ينهيانني أن أبوحا
بالتى تيمت فؤادى وأن أذ ... رى دموعى على ردائى سفوحا

فى مغانى منازل من حبيب باشرت بعده قطاراً وريحا
ولقد قلت للفؤاد ولكن كان قدماً الى هواه جموحا
قلت أقصر عن بعض حبك أروى ان بعض الحباب كان فضوحا
فعصانى فليس يسمع قولا من حمام على الاراك جنوحا
أم يحيى تقبل الله يحيى بقبول كما تقبل نوحا
أم يحيى لولا طلابك قد سحـــت مع الوحش أو لبست المسوحا
ولقد قلت لا أحدث سراً سر أخرى مادمت أمشى صحيحا

وقال للوليد بن عقبة بن ابى معيط وكان ينادمه

اصبح نديمك من صهباء صافية حتى يروح كريماً ناعم البال
واشرب هديت أبا وهب مجاهرة واختل فانك من قوم أولي خال
أنت الجواد أبا وهب اذا جمدت ايدى الرجال بما تحويه من مال
لولا رجاؤك قد شمرت مرتحلا عنسا تعاقب تخويداً بإرقال
لما تواصوا بقتلى قمت معتزما حتى حميت من الاعداء أوصالى

وقال فيه

بات الوليد يعاطيني مشعشعة حتى هويت صريعاً بين أصحابى
لا أستطيع نهوضاً ان هممت به وما أنهنه من حسو وتشراب
حتى اذا الصبح لاحت لى جوانبه وليت أسحب نحو القوم أثوابى
كأنني من حميا كأسه ظلع صحت قوائمه من بعد أوصاب

ومن قوله فى الشراب

لا تعدميني نديماً ماجداً أنفاً لا قائلا خالطا زوراً بهتان
أمسى أعاطيه كأساً لذ مشربها كالمسك حفت بنسرين وريحان

سبيئةً من قرى بَيْرُوت صافية أو التى سبئت من أرض بِيسان
انا لنشربها حتى تميل بنا كما تمايل وسنان بوسنان

كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مروان بن الحكم أيام كان معاوية يعاقب بينه وبين سعيد بن العاص فى ولاية الحرمين وأنكر عليه أشياء بلغته ، فغاظته من مدحته سعيداً وانقطاعه اليه وسروره بولايته ، فرصده حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران ، فضربه الحد ثمانين سوطاً ، وقدم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس ، فجعل يخبره بها حتى انتهى به الحديث الى ابن سيحان ، فأخبره أن مروان ضربه الحد ثمانين ، فغضب معاوية وقال والله لو كان حليف أبى العاصى لما ضربه لانه حليف حرب ، أليس هوالذى يقول ؟

وانى امرؤ حلف الى أفضل الورى عديداً اذا ارفضت عصا المتخلف

كذب والله مروان لا يضربه فى نبيذ أهل المدينة وشكهم وحمقهم ، ثم قال لكاتبه اكتب الى مروان فليبطل الحد عن ابن سيحان وليخطب بذلك على المنبر وليقل انه كان ضربه على شبهة ، ثم بان له أنه لم يشرب مسكراً وليعطه ألفى درهم ، فلما ورد الكتاب على مروان عظم ذلك عليه ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه ، فقال له عبد الملك راجعه ولا تكذب نفسك ولا تبطل حكمك ، فقال مروان أنا أعلم بمعاوية اذا عزم على شىء أو أراده لا والله لا أراجعه ، فلما كان يوم الجمعة وفرغ من الخطبة قال وابن سيحان فانا كشفنا أمره فاذا هو لم يشرب مسكراً واذ نحن قد عجلنا عليه وقد أبطلت عنه الحد ، ثم نزل فأرسل اليه بألفى درهم

قال ابن سيحان كنت آلف من قريش أهل بيتين سوى من كنت منقطعاً اليه من بنى أمية ، بني عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وبنى مطيع ، فلما ضربني الحد جئت فجلست الى بني مطيع كما كنت أجلس ، فلما رأونى عرفت الكراهة

فى وجوههم والله ما أقبلوا عليَّ بحديثهم ولا أوسعوا لي ، فانصرفت ورحت الى بنى عبد الرحمن ، فلما رأونى أقبلوا بوجوههم عليَّ وحيَّوا ورحَّبوا وسهَّلوا ووسعوا ورفعونى الى حيث لم أكن أجلس ، وأقبلوا عليَّ بوجوههم يحدثونني وقالوا لعلك خشعت للذى لحقك أما والله لقد علم الناس أنك مظلوم وظَلَمُوا مروان فى فعله ورأوا أنه قد أساء وأخطأ فى شأنى ، وقالوا ما ضرك ذلك ولا نقصك ولا زادك الا خيراً ولم يزالوا حتى بسطونى ، فقلت أمدحهم وأذم بنى مطيع

لقد حرَّمت ودّ بنى مطيع ... حرام الدهن للرجل الحرام
وان جنف الزمان مددت حبلاً ... متيناً من حبال بنى هشام
رطيب عودهم أبداً وريق ... اذا ما اغبر عيدان اللئام

دخل ابن سيحان على ابن عم له يقال له الحرث بن سريع ، فوجده يشرب نبيذ زبيب ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر وقال له يا ابن سريع ان كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلال فانك أحمق ، وان كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوده فان الوزر واحد ، ثم قال

دع ابنَ سريع شرب ما مات مرة ... وخذها سلافاً حية مُزَّة الطعم
تدعك على ملك ابن ساسان قادراً ... اذا حرمت قراؤنا حلَب الكَرْم
فشتان بين الحي والميت فاعتزم ... على مُزَّة صفراء راووقها يَهْمِي
فان سريعاً كان أوصى بحبها ... بنيه وعمى جاوز الله عن عمى
ويا رب يوم قد شهدت بنى أبى ... عليها الى أن غاب تالية النجم
حَسَوْها صلاة العصر والشمس حية ... تدار عليهم بالصغير وبالضخم
فماتوا وعاشوا والمدامة بينهم ... مشعشعة كالنجم توصف بالوهم

صخر بن الجعد الخضرى

هو صخر بن الجعد الخُضْرِي من الخُضْرِ وهم ولد مالك بن طريف بن محارب سموا الخضر لسوادهم وكان مالك شديد الأُدْمة وخرج ولده اليه فقيل لهم الخضر والعرب تسمى الأسود الأخضر

شاعر فصيح من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وكان يعرض لابن ميادة لما انقضى ما بينه وبين حكم الخُضْرِي من المهاجاة ورام أن يهاجيه فترفع ابن ميادة عنه

كان صخر مغرماً بكأس بنت بجير بن جندب وكان يشبب بها فلقيه أخوها وقاص وكان شجاعاً ، فقال له ياصخر انك تشبب بابنة عمك وشهرتها ولعمرى ما بها عنك مذهب ولا لنا عنك مرغب ، فان كانت لك فيها حاجة فهلم أزوجكها وان لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ولا أسمعنه منك فأقسم بالله لئن فعلت ذلك ليخالطنك سيفى ، فقال له بلى والله ان لي لأشد الحاجة اليها ، فوعده موعداً وخرج صخر لوعده حتى نزل بأبيات القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقاص فذبح وجمع أصحابه ، وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقاص بعث اليه أن هلم لحاجتك ، فأبطأ الرسول فقال مثل قوله فغضب وعَمَدَ الى رجل من الحى ليس يُعْدل بصخر يقال له حصن « وهو مغضب لما صنع » فحمد الله وأثنى عليه وزوجه كأس وافترق القوم ومروا بصخر ، فأعلموه تزويج كأس بحصن ، فرحل عنهم من تحت الليل واندفع يهجوها بالأبيات التى قذفها فيها فيما قذفها ، وترافع القوم الى المدينة « وأميرها يومئذ طارق مولى عثمان » فتنازعوا اليه ومعهم يومئذ رجل يقال له حزم ، وكان من أشد الناس على صخر شراً ، فأقاموا عليه البينة بقذف كأس ، فضرب الحد وعاد الى قومه وأسف على ما فاته من تزويج كأس فطفق يقول فيها الشعر ، فمنه قوله

لقد عاود النفسَ الشقية عيدُها ... نعم انه قد عاد نحساً سعودُها
وعاوده من حب كأس ضمانة[1] ... على النأى كانت هيضة تستقيدها
وأنّى ترجيها وأصبح وصلها ... ضعيفاً وأمست همّه لا يكيدها
وقد مر عصر وهى لا تستزيدنى ... لما استودعت عندى ولا استزيدها
فما زلت حتى زلت النعل زلّة ... برجلك في زَوْراء وَعْث صدودها
ألا قل لكأس ان عرضت لبيتها ... فاين بكا عيني وأين قصيدها
لعل البكا يا كأس ان نفع البكا ... يقرب دنيانا لها فيعيدها
وكانت تناهت لوعة الود بيننا ... فقد أصبحت يَبْسا وأذبل عودها
ليالى ذات الرَّمث لا زال هيجها ... جنوباً ولا زالت سحاب تجودها
وعيش لنا فى الدهر ان كان فلتة ... يطيب لديه بخل كأس وجودها
تذكرت كأساً اذ سمعت حمامة ... بكت فى ذرا نخل طُوال جريدها
دعت ساق حرّ فاستحث لصوتها ... مولهة لم يبق الا شَريدها
فيانفس صبراً كل أسباب واصل ... ستنمى لها أسباب هجر تُبيدها
وليل بدت للعين نار كأنها ... سَنا كوكب للمستبين خمودها
فقلت عساها نار كأس وعلها ... تشكي فأمضى نحوها وأعودها
فتسمع قولي قبل حتف يصيدنى ... تُسَرّ به أو قبل حتف يصيدها
كأن لم نكن يا كأس ألفَ مودة ... اذ الناس والأيام ترعى عهودها

ولما ضرب الحد لكأس وصارت الى زوجها ندم على مافرط منه واستحيا من الناس للحد الذى ضربه فلحق بالشام فطالت غيبته بها ثم عاد فمر بنخل كان لأهله ولأهل كأس فباعوه وانتقلوا الى الشام فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها فبكى عند ذلك بكاء شديداً وانشأ يقول

(١) الضمانة الزمانة

مررت على خيمات كأس فأسبلت مدامع عيني والرياح تميلها
وفي دارهم قوم سواهم فأسبلت دموع من الاجفان فاض مسيلها
كذاك الليالي ليس فيها بسالم صديق ولا يبقى عليها خليلها

وقال وهو بالشام

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا عن العهد أم أمسى على حاله نجد
وعهدي بنجد منذ عشرين حجة ونحن بدنيا ثم لم نُلفها بعد
به الخوصة الدهماء تحت ظلالها رياض من الحوذان والبقل الجعد

وقال وقد مر على غدير كانت كأس تشرب منه وكان يقال لذلك الغدير جناب

بَلِيت كما يبلى الرداء ولا أرى جنابا ولا اكناف ذروة تخلق
أُلَوِّي حيازيمي بهن صبابة كما تتلوّى الحية المتشرق

وقال يرثيها

على ام داود السلام ورحمة من الله يجرى كل يوم بشيرها
غداة غدا العادون عنها وغودرت بلمّاعة القيعان يستنّ مُورها
وغيبت عنها يوم ذاك وليتني شهدت فيحوى منكبي سريرها
نزَت كبدي لما أتاني نعيها فقلت أدان صدْعها فمطيرها

ومن قوله فيها

ألا يا كأس قد افنيت شعري فلست بنائل بلا رجيعا
تُرجّي أن تلاقي آل كأس كما يرجو أخو السَّنة الربيعا
فلست بنائم الا بحزن ولا مستيقظا الا مَروعا
فانك لو نظرت اذ التقينا الى كبدي رأيت بها صدوعا

وقوله

هنيئاً لكأس قطعها الحبلَ بعدما عقدنا لكأس موثقاً لا نخونها

واشمتها الأعداء لما تألّبوا حوالَيَّ واشتدت على ضغونها
فان حراما ان أخونك ما دعا بليلى قُمْرِيّ الحمام وجونها
وقد أيقنت نفسي لقد حيل دونها ودونك لو يأتي بيأس يقينها
ولكن أبت لا تستفيق ولا ترى عزاء ولا مجلود صبر يعينها
لوانا اذ الدنيا لنا مطمئنة دجا ظلها ثم ارجحنّت غصونها
لهونا ولكنا بعزة عيشنا عجبنا لدنيانا فكدنا نعينها
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وأوساطها حتى تملّ فنونها

أرسلت كأس بعد أن زوجت الى صخر تخبره أنه رأته فيما يرى النائم كأنه يلبسها خمارا وان ذلك جدد شوقاً اليه وصبابة فقال

أنائلَ ما رؤيا زعمتِ رأيتها لنا عجب لو ان رؤياك تصدق
أنائل ما للعيش بعدك لذة ولا مشرب نلقاه الا مُرَنَّق
أنائل انى والذى أنا عبده لقد جعلت نفسى من البين تُشْفِق
لعمرك ان البين منك يشوقني وبعض بعاد البين والنأى أشوق

وكان الجعد ابو صخر يكنى أبا الصموت وهو القائل لامرأته

تعالجنى أم الصَّموت كانما تداوى حصانا أوهن العظم كاسره
فلا تعجبى أم الصموت فانه لكل جواد مَعْثَر هو عاثره
وقد كنت أصطاد الظباء موطئاً وأضرب رأس القِرن والرمح شاجره
فأصبحت مثل الطير طار فراخه وغودر فى رأس الهشيمة سائره

ولما كبر حمله بنوه فأتوا به مكة وقالوا له تعبد ههنا ثم اقتسموا المال وتركوا له منه ما يصلحه فقال

الا أبلغ بنى جعد رسولا وان حالت جبال الغَوْرِ دونى

فلم أر معشراً تركوا أباهم من الآفاق حيث تركتموني
فاني والرواقصِ حول جمع ومَخطَمهن من حَصَبا الحَجُون
لو اني ذو مدافعة وحولى كما قد كنت أحيانا كمونى
اذا لمنعتكم مالى ونفسى بنصل السيف أو لقتلتمونى

المؤمل بن اميل المحاربى

شاعر كوفى من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وكانت شهرته فى العباسية أكثر لانه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصهم ويخدمهم من أوليائهم وانقطع الى المهدى فى حياة أبيه وبعده ، وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرزين الفحول ولا المرذولين وفى شعره لين وله طبع صالح ومن شعره يمدح المهدى

هو المهدى الا ان فيه مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما اذا ما انارا مشكلان على البصير
فهذا فى الظلام سراج ليل وهذا فى النهار ضياء نور
ولكن فضل الرحمن هذا على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أمير وما ذا بالأمير ولا الوزير
ونقص الشهر ينقص ذا وهذا أمير عند نقصان الشهور
فيا ابن خليفة الله المصفَّى به تعلو مفاخرة الفخور
لئن فُتَّ الملوك وقد توافَوْا اليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى بقُوا من بين كاب أو حسير
وجئت مصلياً تجري حثيثاً وما بك حين تجرى من فتور
فقال الناس ما هذان الا كما بين الخليق الى الجدير
لئن سبق الكبير فأهل سبق له فضل الكبير على الصغير

وان بلغ الصغير مدى كبير فقد خلق الصغير من الكبير

وقال للمهدى وقد بايع ابنيه الهادى والرشيد

هاك بياعنا يا خير وال فقد جدنا به لك طائعينا
فان تفعل فانت لذاك أهل ففضلك يا ابن خير الناس فينا
وعدلك يا ابن خير الناس فينا نبي الله خير المرسلينا
فان أبا أبيك وأنت منه هو العباس وارثه يقينا
أبان به الكتاب وذاك حق ولسنا للكتاب مكذبينا
بكم فتحت وأنتم غير شك لها بالعدل أكرم خاتمينا
فدونكها فانت لها محل حباك بها اله العالمينا
ولو قيدت لغيركم اشمأزت وأعيت أن تطيع القائدينا

وقال للمهدى

تعز ودع عنك سلمى وسر حثيثاً على سائرات البغال
وكل جواد له ميعة يَخُبّ بسرجك بعد الكلال
الى الشمس شمس بنى هاشم وما الشمس كالبدر أو كالهلال
ويضحك أن يديم السؤال ويتلف في ضحكه كل مال

ومن قوله

حلمت بكم فى نومتى فغضبتمُ ولا ذنب لى ان كنت في النوم أحلَم
سأطرد غنى النوم كيلا أراكمُ اذا ما أتانى النوم والناس نوم
تصارمنى والله يعلم انى أبَرّ بها من والديها وأرحم
وقد زعموا لى انها نذرت دمى وما لى بحمد الله لحم ولا دم
برى حبها لحمى ولم يُبْقِ لي دما وان زعموا انى صحيح مسلم
فلم أر مثل الحب صح سقيمه ولا مثل من لم يعرف الحب يسقم
ستقتل جلداً بالياً فوق أعظم وليس يبالى القتل جلد وأعظم

شعراء ثقيف

يزيد بن الحكم

هو يزيد بن الحكم بن أبي العاصي الثقفي من ثقيف بن بكر بن هوازن بن منصور صاحب رسول الله عليه وسلم ، وعمه عثمان بن أبي العاصي أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح مكة هو وأبو بَكْرَة ، وشط عثمان بالبصرة منسوب اليه كانت له هناك أرض أقطعها وابتاعها ، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث. وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين ، ومما روي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أُمَّ قومك وأقدرهم بأضعفهم فان منهم الضعيف والكبير وذا الحاجة ، ومنه أنه قال له اتخذوا مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً

مرَّ الفرزدق بيزيد بن الحكم وهو ينشد في المجلس شعراً ، فقال من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا يزيد بن الحكم ، فقال نعم أشهد بالله أن عمتي ولدته ، وأم يزيد بكرة بنت الزِّبرقان بن بدر وأمها هنيدة بنت صَعْصَعَة ابن ناجية وكانت بكرة أول عربية ركبت البحر ، فأخرج بها الى الحكم وهو يتوجّ

دعا الحجاج بيزيد بن الحكم فولاه كورة فارس ودفع اليه عهده بها ، فلما دخل عليه ليودعه قال له الحجاج أنشدني بعض شعرك ، وانما أراد أن يُنشده مديحاً له ، فأنشده قصيدة يفخر فيها ويقول

وأبي الذي سلب ابن كسرى رايةً بيضاء تخفق كالعُقاب الطائر

فلما سمع الحجاج فخره نهض مُغضَباً وخرج يزيد من غير أن يودعه ، فقال الحجاج لحاجبه ارتجع منه العهد فاذا رده فقل له أيهما خير لك ؟ أما ورثك أبوك أم هذا ؟ فرد على الحاجب العهد وقال قل له

ورثت جدي مجده وفعاله ... وورثت جدك أعنزاً بالطائف

خرج عنه مغضباً فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أولها

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا ... اذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذي بقر ... أهدى لها شبه العينين والجيدا

أجزي على موعد منها فتخلفني ... فلا أملّ ولا توفى المواعيدا

كأنني يوم أمسي لا تكلمني ... ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

يقول فيها

سميت باسم امرىء أشبهت شيمته ... عدلاً وفضلاً سليمان بن داودا

أخذ به في الورى الماضين من ملك ... وأنت أصبحت في الباقين محمودا

لا يبرأ الناس من أن يحمدوا ملكاً ... أولاهم في الأمور الحلم والجودا

فقال له سليمان وكم كان أجرى لك لعمالة فارس ؟ قال عشرين ألفاً ، قال فهي لك عليَّ ما دمت حياً

كان ليزيد ابن اسمه عنبس فمات ، فجزع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه

جزى الله عني عنبساً كل صالح ... اذا كانت الأولاد سيئاً جزاؤها

هو ابني وأمسى أجره لي وعزني ... على نفسه رب اليه ولاؤها

جهول اذا جهل العشيرة يبتغي ... حليم ويرضى حلمه حلماؤها

ويأمن ذو حلم العشيرة جهله ... عليه ويخشى جهله جهلاؤها

وقال ليزيد بن المهلب لما خرج على يزيد بن عبد الملك

أبا خالد قد هجت حرباً مريرة ... وقد شمرت حرب عوان فشمر

فان بني مروان قد زال ملكهم ... فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر

فمت ماجداً أو عش كريماً فان تمت ... وسيفك مشهور بكفك تعذر

فوقع يزيد بن المهلب تحت البيت الأول أستعين بالله، وتحت الثانى ماشعرت، وتحت الثالث أما هذه فنعم

ومن قوله

ألا لا مرحباً بفراق ليلى ولا بالشيب اذ طرق الشبابا
شباب بان محموداً وشيب ذميم لم نجد لهما اصطحابا

وقال يعاتب ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان

ومولى كذئب السوء لو يستطعني أصاب دمي يوماً بغير قتيل
وأعرض عما ساءه وكأنه يقاد الى ما ساءنى بدليل
مجاملة مني واكرام غيره بلا حسن منه ولا بجميل
ولو شئت لولا الحلم جدَّعت أنفه بايعاب جدع بادىء وعليل
حفاظاً على أحلام قوم رُزِئتهم رزان يزينون النَّدِيَّ كهول

وقال فى أخيه عبد ربه

أخى يُسِرّ لي الشَّحْناء يُضْمِرها حتى وَرَى[1] جوفَه من غمره الداء
حرَّان ذو غُصَّة جرَّعت غُصَّته وقد تعرض دون الغصة الماء
حتى اذا ما أساغ الريق أنزلنى منه كما ينزل الأعداء أعداء
أسعى فيكفر سعيى ما سعيت له انى كذاك من الاخوان لقَّاء
وكم يد ويد لي عنده ويد يعدهن ترَاتٍ وهى آلاء

وقال له

تكاشرنى كُرْهاً كأنك ناصح وعينك تُبْدِي أن صدرك لي دَوِى[2]
لسانك لي حلو وغَيْبُك علقم وشرك مبسوط وخيرك منطوى

(١) ورى القيح جوفه أفسده والغمر بالكسر الحقد والغل
(٢) دوى صدره فهو دو ضغن

فليت كفافاً كان خيرك كله ... وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوى
عدوك يخشى صولتي ان لقيته ... وأنت عدوي ليس ذاك بمستوى
تصافح من لاقيت لي ذا عداوة ... صفاحاً وغيّي بين عينيك مُنْزَوى
أراك اذا لم أهْوَ أمراً هويته ... ولست لما أهْوَى من الأمر بالهوى
أراك اجتويت[1] الخير مني واجتوى ... أذاك فكل يجتوي قرب مجتوى
وكم موطن لولاي طحت كما هوى ... بأجرامه من قُلّة النِّيق[2] منهوى
اذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمك لم تُعن ... وقلت ألا يا ليت بنيانه خوى[3]
كأنك ان نال ابن عمك مغنما ... شَجٍ أو عميد أو أخو مَغْلَة[4] لوى
تملأت من غيظ عليّ فلم يزل ... بك الغيظ حتى كدت بالغيظ تنشوى
وما بَرِحت نفس حسود حسبتها ... تُذيبك حتى قيل هل أنت مُكْتوى
وقال النَّطاسيون أنك مُشْعَر ... سُلالا ألا بل أنت من حسد ذَوِى
جمعت وفحشاً غيبة ونميمة ... ثلاثَ خصال لست عنهن ترعوى
ويدعو بك الداعي الى كل سَوْءة ... فياشر من يدعو الى شر من دُعى
بدا منك غش طالما قد كتمته ... كما كتمت داء ابنها أم مُدَّوى[5]

وهذه الأبيات أنشدها أبو الزعراء لطرفة

قال أبو الفرج ما أظن أبا الزعراء صادقاً فيما حكاه لان العلماء من رواة الشعر رووها ليزيد بن الحكم وهذا أعرابي لا يحصل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنه ليزيد، وليس كذلك، لكان معلوماً أنه ليس لطرفة ولا موجوداً

(١) اجتوى كره والمجتوى الكاره (٢) النيق أرفع موضع في الجبل
(٣) خوى البنيان فهو خو أقوى وسقط وتهدم (٤) المغلة الفساد
(٥) المدوى الذى يأخذ الدواية بالفم وهى جلدة رقيقة تركب اللبن وجاء غلام من العرب الى أمه وعندها أم خطبه ، فقال يا أماه أدوى ، فقالت اللجام معلق بعمود البيت ، توري بذلك وترى القوم أنه انما سألها عن اللجام وأنه صاحب خيل وركوب

في شعره على سائر الروايات ولا هو أيضاً مشبها لمذهب طَرَفة ونَمَطه وهو بيزيد أشبه وله في معناه عدة قصائد (تقدمت)، واذا تأمل هذا الشعر من له فى العلم أدنى سهم عرف أنه لايدخل فى مذهب طرفة ولا يقاربه، وأن مرذول كلام طرفة فوقه

كان يزيد قد هوى جارية مغنية وكانت غير مطاوعة له فكان يهيم بها، ثم قدم رجل من أهل الكوفة فاشتراها، فمرت بيزيد مع غلمة لمولاها راحلة، فلما علم بذلك رفع صوته فقال

يأيها النازح الشَّسوع ودائع القلب لا تضيع
أستودع الله من اليه قلبي على نأيه نزوع
اذا تذكرته استهلت شوقاً الى وجهه الدموع

طريح الثقفى

هو طُرَيح بن اسمعيل بن عبيد الثَّقَفى، يكني أبا الصَّلْت بابن كان له اسمه الصلت وله يقول

ياصَلْت ان أباك رَهْن منية مكتوبة لابد أن يلقاها
سَلَفَت سوالفها بأَنْفُس من مضى وكذاك يتبع باقيـاً أخراها
والدهر يُوشِك أن يفرق رَيْنَه بالموت أو رِحَل تشب نواها
لابد بينكما فتُسْمع دعوة أو تستجيب لدعوة تُدْعاها

ماتت أمه وهو صغير فطرحه طريح الى أخواله بعد موت أمه وهو يقول

بات الخيال من الصُّلَيت مُؤَرِّقى يقرى السراة مع الرباب الملثق
ما راعني الا بياض وجيهه تحت الدُّجَنَّة كالسراج المشرق

نشأ طريح فى دولة بني أمية واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد وأدرك دولة بني العباس، ومات فى أيام المهدي، وكان الوليد له مكرماً مقدماً لانقطاعه إياه

ونخوّلته من ثقيف ، قال طريح خصصت بالوليد حتى صرت أخلو معه ، فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربة يا أمير المؤمنين خالك يحب أن تعلم شيئاً من خلقه ، قال وما هو ؟ قلت لم أشرب شراباً قط ممزوجاً الا من لبن أو عسل ، قال قد عرفت ذلك ولم يباعدك من قلبي ، فدخلت يوماً اليه وعنده الأمويون ، فقال لي إليَّ يا خالي وأقعدني الى جانبه ، ثم أتى بشراب فشرب ، ثم ناولني القدح ، فقلت يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب ، قال ليس لذلك أعطيتك انما دفعته اليك لتناوله الغلام ، وغضب فرفع القوم أيديهم كأن صاعقة نزلت على الخوان ، فذهبت أقوم فقال اقعد ، فلما خلا البيت افترى عليَّ ثم قال أردت أن تفضحني ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط ، ثم نهى الحاجب عن إدخالي وقطع أرزاقي ، فمكثت ما شاء الله ، ثم دخلت عليه يوماً متنكراً فلم يشعر الا وأنا بين يديه وأنا أقول

يا ابن الخلائف مالي بعد تقربة ... اليك أقصى وفي حاليك لي عجب
مالي أُذاد وأنهى حين أقصدكم ... كما توقى من ذي العرة[1] الجرب
كأنني لم يكن بيني وبينكم ... إلٌّ ولا خُلة ترعى ولا نسب
لو كان بالود يُدْنى منك أزلفني ... بقربك الود والاشفاق والحدب
وكنت دونَ رجال قد جعلتهم ... دوني اذا ما رأوني مقبلا قطبوا
ان يسمعوا الخير يُخفوه وان سمعوا ... شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا
رأوا صدودك عني في اللقاء فقد ... تحدثوا ان حبلي منك منقضب
فذو الشماتة مسرور ببهيضتنا ... وذو النصيحة والاشفاق مكتئب
أين الذمامة والحق الذي نزلت ... بحفظه وبتعظيم له الكتب
وحَوْكي الشعر أصفيه وأنظمه ... نظم القلائد فيها الدر والذهب
وان سخطك عني شيء لم أناج به ... نفسي ولم يك مما كنت أكتسب

(١) العرة الجرب

لكن أتاك بقول كاذب أثم قوم بغَوْني فنالوا فيَّ ما طلبوا
وما عهدتك فيما زل تقطع ذا قربى ولا تدفع الحق الذي يجب
ولا تَوجَّع من حق تَحمَّلُه ولا تتبع بالتكدير ما تَهَب
فقد تقربت جهداً من رضاك بما كانت تنال به من مثلك القُرَب
فغير دفعك حقي وارتفاضك لي وطيُّك الكشح عني كنت أحتسب
أمُشمت بي أقواماً صدورهم عليَّ فيك الى الأذقان تلتهب
قد كنت أحسب أني قد لجأت الى حرز وألاَّ يضروني وان أَلَبوا
ان التي صنتها عن معشر طلبوا مني الى الذي لم ينجح الطلب
أخلصتها لك اخلاص امرىء علم الـــأقوام أن ليس الا فيك يرتغب
أصبحت تدفعها مني وأعطِفها عليك وهي لم يخبأ بها رغب
فان وصلت فأهل العرف أنت وان تدفع يديَّ فلي بقيا ومنقلب
اني كريم كرام عشت في أدب نَفَي العيوب وملك الشيمة الأدب
قد يعلمون بان العسر منقطع يوماً وان الغنى لا بد منقلب
فمالهم حُبُس[1] في الحق مرتهن مثل الغنائم تحوى ثم تنتهب
وما على جارهم ألاَّ يكون له اذا تكنفه أبياتهم نَشَب
لا يفرحون اذا ما الدهر طاوعهم يوما بيسر ولا يشكون ان نُكِبوا
فارقت قومي فلم أعتض بهم عوضاً والدهر يحدث أحداثا لها نُوب

فتبسم وأمرني بالجلوس ورجع إليَّ وقال إيك أن تعاود

وقال له

نام الخلي من الهموم وبات لي ليل أكابده وهم مُضْلِع
وسهرت لا أَسْرِي ولا في لذة أَرَقي وأَعفل ما لقيت الهُجَّع

(١) الحبس كل شيء وقفه صاحبه لوجه الله

أبغى وجوه مخارجى من تهمة ... أزمت على وسُدّ منها المطلع
جزعا لمعتبة الوليد ولم أكن ... من قبل ذاك من الحوادث أجزع
يا ابن الخلائف ان سخطك لامرىء ... أمسيت عصمته بلاء مُفْظِع
فلأنزعن عن الذى لم تَهْوَه ... ان كان لى ورأيتَ ذلك منزع
فاعطف فداك أبى على توسعا ... وفضيلة فعلى الفضيلة تتبع
فلقد كفاك وزاد ما قد نالني ... ان كنت لي ببلاء ضر تقنع
سِمَة لذاك علىّ جسم شاحب ... بادٍ تحسره ولون أسفع
ان كنت فى ذنب عتبت فانني ... عما كرهت لنازع متضرع
ويئست منك فكل عسر باسط ... كفًّا الىّ وكل يُسْر أقطع
من بعد أخذى من حبالك بالذى ... قد كنت أحسب أنه لا يُقْطع
فَارْبُبْ صنيعك بى فان بأعين ... للكاشحين وسمها ما تصنع
أدفعتنى حتى انقطعت وسددت ... عنى الوجوه ولم يكن لى مَدْفَع
ورُجيت واتقيت يداى وقيل قد ... أمسى يضر اذا أحب وينفع
ودخلت فى حرم الذِّمام وحاطنى ... خفر أخذت به وعهد مولع
أفهادم ما قد بنيتَ وخافض ... شرفى وأنت لغير ذلك أوسع
أفلا خشيت شَمَات قوم فُتُّهم ... سبقًا وأنفسهم عليك تقطع
وفضلت فى الحسب الأشَم عليهم ... وصنعت فى الأقوام مالم يصنعوا
فكأن آنُفَهم بكل صنيعة ... أسديتها وجميل فعلك يُجْدَع
ودوا لو انهمُ ينال اكنفَّهم ... شَلَل وانك عن صنيعك تنزع
أو تستليم فيجعلونك أسوة ... وأبى الملامَ لك الندى والموضع

فقربه وأدناه وعاد له الى ما كان عليه

ومن قوله يمدحه

أنت ابن مُسْلَنْطَحَ[١] البطاح ولم تطرق عليك الحِنِيُّ والوُلُجُ
طوبى لفرعيك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التى تشِجُ[٢]
لو قلت للسيل دَعْ طريقك والمو ج عليه كالهَضْب يعتلج
لساخ[٣] وارتدّ أو لكان له فى سائر الأرض عنك مُنْعَرَج

ومن قوله فيه

واعتام أهلك من ثقيف كفاه فتنازعاك وأنت جوهر جوهر
فنمت فروع القريتين[٤] قُصَيُّها وقَسِيُّها بك فى الأنام الأكبر

ومن قوله

أقفر ممن يحله السَّنَدَ فالمنحنى فالعقيق فالجُمُدُ[٥]
لم يبق فيها من المعارف بعـــد الحى الا الرمال والوتد
وعَرْصة نَكَرت معالمها الريـــح بها مسجد ومنتضَد

يقول فيها

لم أنس سلمى ولا لياليها بالحَزْن اذ عيشنا بها رغد

---

(١) المسلنطح من البطاح ما اتسع واستوى سطحه منها وتطرق عليك تطبق عليك وتضيق مكانك يقال طرقت الحادثة بكذا وكذا اذا أتت بأمر ضيق معضل ، والحنى ما انخفض من الارض والواحدة حنا والولج كل متسع فى الوادى والواحدة ولجة أى لم تكن بين الحنى والولج فيخفى مكانك أى لست فى موضع خفى من الحسب

(٢) تشج تنبت والوشيج أصول النبت يقال أعراقك واشجة في الكرم أى نابتة فيه ويريد أنه كريم الابوين من قريش وثقيف

(٣) أى لغاص في الارض وارتد أى عدل عن طريقه وان لم يجد الى ذلك سبيلا كان له منعرج عنك الى سائر الارض يقول أنت ملك هذا الابطح والمطاع فيه فكل من تأمره يطيعك فيه حتى لو أمرت السيل بالانصراف عنه لفعل لنفوذ أمرك وانما ضرب هذا مثلا وجعله مبالغة لأنه لاشيء أشد تعذراً من هذا وشبهه فاذا صرفه كان على كل شيء سواه أقدر

(٤) مكة والطائف وقصي أبو قريش وقسي هو ثقيف (٥) جبل لبنى نصر بنجد

اذ نحن في مَيْعة الشباب واذ أيامنا تلك غضّة جدد
في عيشة كالفِرِند عازبة الشقـــوة خضراء غصنها خضد
نحسد فيها على النعيم وما يُولع الا بالنعمة الحسد
أيامَ سلمى غريرة أنف كأنها خَوْط بانة رُؤُد
ويحي غدا ان غدا علىّ بما أكره من لوعة الفراق غد
قد كنت أبكى من الفراق وحيا نا جميع ودارنا صَدَد
فكيف صبري وقد نجاوب بالـــفرقة منها الغراب والصُّرَد
دع عنك سلمى لغير مَقْلِية وعد مدحا بيوته شُرُد
للأفضل الأفضل الخليفة عبـــد الله من دون شأوه صعد
فى وجهه النور يستبان كما لاح سراج النهار أذ يقِد
يمضى على خير ما يقول ولا يُخْلف ميعاده اذا يَعِد
من معشر لا يَشَمُّ من خذَلوا عزا ولا يستذل من رَفَدوا
بيض عظام الحلوم حدهمُ ماض حسام وخيرهم عَتَد
أنت امام الهدى الذى أصلح اللّـــه به الناس بعد ما فسدوا
لما أتى النـاس أن ملكهم اليك قد صار أمره سجدوا
واستبشروا بالرضا تباشرهم بالخلد لو قيل انكم خلد
وعَجَّ بالحمد أهل أرضك حتـــى كاد يهتز فرحة أُحُد
واستقبل الناس عيشه أُنُفا ان تبق فيها لهم سعدوا
رزقت من ودهم وطاعتهم مالم يجده لوالد ولد
أثلجهم منك أنهم علموا أنك فيما وَلِيت مجتهد
وان ما قد صنعت من حســـن مصداق ما كنت مرة تعِد
ألفت أهواءهم فأصبحت الأضـــغان سِلْما وماتت الحقد

كنت أرى أن ماوجدت من الفـــرحة لم يلق مثله أحـد
حتى رأيت العباد كلهم قد وجدوا من هواك ما أجد
قد طلب الناس ما بلغت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفعك الله بالتكرم والتقـــوى فتعلو وأنت مقتصد
حسب امرىء من غنى تقربه منك وان لم يكن له سند
فأنت أمن لمن يخاف وللمخذو ل أودى نصيرُه عَضُد
كل امرىء ذى يد تعد عليـــه منك معلومة يد ويد
فهم ملوك مالم يَرَوْك فان دَانَاهمُ منك منزل خَمَدوا
تعروهم رِعْدة لديك كما قَفْقَف تحت الدُّجنة الصُّرَد
لاخوف ظلم ولا قِلَى خلق الاجلالا كساكَهُ الصمد
وانت غَمْرُ الندى اذا هبط الـــزوار أرضا تحلها حَمِدوا
فهم رفاق فرفقة صدرت عنك بغُنْم ورفقة تَرِد
ان حال دهر بهم فذلك لا تنفك عن حالك التى عهدوا
قد صدق الله مادحيك فما فى قولهم فِرْية ولا فَنَد

ومما غنى فيه من شعره

كالبَيْض بالأُدْحِيّ يلمع فى الضحى فالحسن حسن والنعيم نعيم
حُلِّين من درر البحور كأنه فوق النحور اذا يلوح نجوم

النميرى

هو محمد بن عبد الله بن نُمَيْر النُّمَيْرِي ثم الثقفى

شاعر غَزِل مولده ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة

يتشبب بها ، كان يوسف بن الحكم اعتلَّ علة فطالت عليه فنذرت زينب ان عوفي أن تمشي الى البيت ، فعوفي ، فخرجت فى نسوة فقطعن بطن وَجّ وهو ثلثمائة ذراع فى يوم جعلته مرحلة لثقل بدنها ، ولم تقطع مابين مكة والطائف الا فى شهر ، فبينما هى تسير لقيها ابراهيم بن عبد الله النميري أخو محمد منصرفاً من العُمْرَة ، فلما قدم الطائف أتى محمداً يسلم عليه ، فقال له ألك علم بزينب ؟ قال نعم لقيتها بالهَمَّاء (١) فى بطن نَعْمان ، فقال ما أحسبك الا وقد قلت شيئاً ، قال نعم قلت بيتاً واحداً وتناسيته كراهة أن يَنْشَب بيننا وبين اخوتنا شر ، فقال محمد هذه القصيدة وهى أول ما قاله

تضوع مسكاً بطن نَعْمان اذ مشت ... به زينب فى نسوة عطِرات
فأصبح ما بين الهَمَاء فصاعداً ... الى الجزع جزع الماء ذى العُشَرات
له أَرَج من مُجْمَر الهند ساطع ... تطلع رياه من الكَفَرات
تهادَيْن ما بين المحَصَّب من مِنًى ... وأقبلن لا شُعْثاً ولا غبرات
أعان الذى فوق السموات عرشه ... أوانس بالبطحاء مؤتجرات
مررن بفَخّ (٢) ثم رُحْن عشية ... يُلَبِّين للرحمن معتمرات
يُخَبِّئن أطراف البَنان من التقى ... ويقتلن بالألحاظ مقتدرات
تقسَّمن قلبي يوم نَعْمان انني ... رأيت فؤادي عارم (٣) النظرات
جلَوْن وجوهاً لم تَلُحْها سمائم ... حَرور ولم يُسْفَعن بالسَّبَرات (٤)
فقلت يَعافير الظباء تناولت ... يَناع غصون الورد مُهْتَصرات
ولما رأت ركْب النُّمَيْرَى راعها ... وكن من أن يلقَيْنه حذِرات
فأدنين حتى جاوز الركب دونها ... حجابا من القَسِّيّ والحِبَرات

(١) الهماء موضع بنعمان بين الطائف ومكة (٢) واد بمكة (٣) شديد
(٤) السبرة الغداة الباردة

فكدت اشتياقاً نحوها وصبابة تقطّع نفسي اثرها حسَرات
فراجعت نفسي والحفيظةَ بعد ما بَلَلْتَ رداء العَصْب بالعبرات

فبلغت هذه القصيدة عبد الملك بن مروان ، فكتب الى الحجاج قد بلغني قول الخبيث فى زينب فالهُ عنه وأعرض عن ذكره فانك ان أدنيته أو عاتبته أطمعته وان عاقبته صدقته

ومن قوله فيها

طربت وشاقتك المنازل من جَفْن[1] ألا ربما يعتادك الشوق بالحزن
نظرت الى أظغان زينب باللِّوى فأعولتها لو كان أعوالها يُغْنى
فوالله لا أنساك زينبُ ما دعت مطوَّقة وَرْقاء شجواً على غصن
فان احتمال الحى يوم تحملوا عناك وهل يَعْنيك الا الذى يعنى
ومرسلةٍ فى السر أن قد فضحتنى وصرحت باسمي فى النسيب وما تكنى
وأشمتَّ بى أهلى وجُلَّ عشيرتى ليَهْنِك ما تهواه ان كان ذا يهنى
وقد لامني فيها ابن عمى ناصحاً فقلت له خذ لي فؤادي أو دعني

فيقال انه بلغ زينت قوله هذا فبكت ، فقالت لها خادمتها ما يبكيك ؟ فقالت أخشى أن يسمع بقوله هذا جاهل بى لا يعرفنى ولا يعلم مذهبي فيراه حقاً

وقال فيها

أهاجتك الظعائن يوم بانوا بذي الزِّيّ الجميل من الأثاث
ظعائن أسلكت نقب المُنَقَّى[2] تَحُثّ اذا وَنَتْ أىَّ احتثاث
تؤمل أن تلاقى أهل بُصْرَى فيالك مستزارٍ مستراث
كأن على الحدائج يوم بانوا نعاجاً ترتعى بَقْل البِرَاث[3]

(١) ناحية بالطائف (٢) بين أحد والمدينة (٣) البراث جمع البرث بالفتح وهى لارض السهلة اللينة والحدائج مراكب النساء

يهيجني الحمام اذا تداعى كما سجع النوائح بالمراثى
كأن عيونهن من التبكى فصوص الجزع أو ينع الكباث[1]
ألاقٍ أنت فى الحجج البواقى كما لاقيت فى الحجج الثلاث

وكان الحجاج يتهدده ويقول لولا أن يقول قائل صدق لقطعت لسانه ، فهرب باليمن ، ثم ركب بحر عدن وقال فى هربه

أتتني عن الحجاج والبحر بيننا عقارب تسرى والعيون هواجع
فضقت بها ذرعاً وأجهشت خيفة ولم آمن الحجاج والأمر فاظع
وحل بى الخطب الذى جاءنى به سميع فليست تستقر الأضالع
فبت أدير الأمر والرأى ليلتي وقد أخضلت خدي الدموع التوابع
ولم أرَ خيراً لي من الصبر انه أعفُّ وخير اذ أتتني النواجع
وما أمنت نفسى الذى خفت شره ولا طاب لي مما خشيت المضاجع
الى أن بدا لي رأس إسْبِيل طالعاً وإسْبِيل حصن لم تنله الأصابع
فلي عن ثقيف ان هممت بنجوة مهامهُ تهوي بينهن الهجارع[2]
وفى الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف اذا شئت منأى لا أبالك واسع
فان نلتني حجاج فاشتف جاهداً فان الذى لا يحفظ الله ضائع

فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ، وطال على النميرى مقامه هارباً واشتاق الى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحجاج ، فقال له إيه يا نميرى أنت القائل « فان نلتنى حجاج فاشتف جاهداً » ، فقال بل أنا الذى أقول

أخاف من الحجاج ما لست خائفاً من الأسد العِرْباض[3] لم يَثْنِهِ ذُعْر
أخاف يديه أن تنالا مقاتلى بأبيض عَضْب ليس من دونه ستر

(١) الكباث النضيج من ثمر الاراك (٢) الهجارع جمع هجرع كدرهم الكلب السلوق الخفيف
(٣) العرباض الاسد الثقيل العظيم

وأنا الذى أقول

فها أنذا طوفت شرقاً ومغرباً ... وأُبتُ وقد دوَّخت كل مكان
فلو كانت المَنْقاء منك تطير بى ... لخلتُكَ الا أن تَصُدَّ ترانى

فتبسم الحجاج وأمنه وقال لا تعاود ما تعلم ، وخلى سبيله

وكان الحجاج وجه بزينب مع حرمه الى الشام لما خرج ابن الأشعث خوفاً عليهن ، فلما قتل ابن الأشعث كتب الى عبد الملك بالفتح ، وكتب مع الرسول كتاباً الى زينب يخبرها الخبر ، فأعطاها الكتاب وهى راكبة على بغلة في هودج فنشرته تقرؤه وسمعت البغلة قعقعة الكتاب فنفرت وسقطت زينب عنها فاندق عضداها وتهرَّى جوفها فماتت ، وعاد اليه الرسول الذى نفذ بالفتح بوفاة زينب

فقال النميرى يرثيها

لزينب طَيْف تعترينى طوارقه ... هُدُوًّا اذا النجم ارْجَحَنَّت لواحقه
سيبكيكِ مِرْنان العشى نجيبه ... لَطيف بَنان الكف دُرْم مَرَافقه
اذا ما بساط اللهو مُدَّ وألقيت ... للذاته أنماطـــه ونَمارقه

ومما غنى فيه من شعره فى زينب

تشتو بمكة نعمة ... ومَصيفها بالطائف
أحبب بتلك موافقاً ... وبزينب من واقف
وعزيزة لم يَغْذُها ... بؤس وجفوة حائف
غراء يحكيها الغزا ... ل بمقلة وسوالف

ومنه

ألا من لقلب مُعَنًّى غَزِل ... بحب المحلَّة أخت المُحِل[1]

(١) يريد به الحجاج سمى بذلك لاحلاله الكعبة وكان أهل الحجاز يسمونه بذلك ويسمى أهل الشام عبد الله بن الزبير المحل لانه أحل الكعبة زعموا أنه بمقامه فيها وكان أصحابه أحرقوها بنار استصاؤا بها

تراءت لنا يوم فرع الأرا ك بين العشاء وبين الأصل
كأن القرنفل والزنجبيل وريح الخزامى وذوب العسل
يعل به برد أنيابها اذا ما صفا الكوكب المعتدل
وقالت لجارتها هل رأيت اذا عرض الركب فعل الرجل
وأن تبسمه ضاحكاً أجدّ اشتياقاً لقلب غزل

يزيد بن ضبة

مولى ثقيف ، وكان منقطعاً الى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه متصلا به لا يفارقه ، فلما أفضت الخلافة الى هشام أتاه يزيد مهنئاً بالخلافة ، فلما استقر به المجلس ووصلت اليه الوفود وقامت الخطباء تثنى عليه والشعراء تمدحه مثل يزيد بين السماطين فاستأذنه فى الانشاد فلم يأذن له وقال عليك بالوليد فامدحه وأنشده وأمر باخراجه وبلغ الوليد خبره فبعث اليه بخمسمائة دينار وقال له لو أمنت عليك هشاماً لما فارقتنى ولكن اخرج الى الطائف وعليك بمالي هناك فقد سوغتك جميع غلته ومهما احتجت اليه من شىء بعد ذلك فالتمسه مني ، فخرج الى الطائف وقال يذكر مافعله هشام

أرى سلمى تصدّ وما صددنا وغير صدودها كنا أردنا
لقد بخلت بنائلها علينا ولو جادت بنائلها حمدنا
وقد ضنّت بما وعدت وأمست تغير عهدها عما عهدنا
ولو علمت بما لاقيت سلمى فتخبرنى وتعلم ما وجدنا
تلمّ على تنائى الدار منا فيسهرنا الخيال اذا رقدنا
ألم تر أننا لما وَلِينا أمورا خرقت فوهت سددنا
رأينا الفتق حين وهى علينا وكم من مثله صدع رفأنا

اذا هاب الكريهة من يليها ... وأعظمها الهيوبُ لها عمدنا
وجبار تركناه كليلا ... وقائد فتنة طاغٍ أزلنا
فلا تنسَوْا مواطننا فانا ... اذا ما عد أهل الحزم عدنا
وماهيضت مكاسر من جبرنا ... ولا جبرت مصيبة من هددنا
ألا مَنْ مبلغٌ عنى هشاما ... فما منا البلاء وما بعدنا
وما كنا الى الخلفاء نقضى ... ولا كنا نؤخَّر ان شهدنا
ألم يك بالبلاء لنا جزاء ... فنجزى بالمحاسد ام حسدنا
وقد كان الملوك يَرَوْن حقا ... لوافدنا فنكرم ان وفدنا
ولينا الناس أزمانا طوالا ... وسُسْناهم وسسناهم وقُدْنا
ألم ترَ من ولدنا كيف أشبَوْا ... وأشبينا وما بهم قعدنا
نكون لمن ولدناه سماء ... اذا شيمت مخايلنا رعدنا
وكان أبوك قد أسدى الينا ... جسيمة أمره وبه سعدنا
كذلك أول الخلفاء كانوا ... بنا جَدّوا كما بهمُ جددنا
همُ آباؤنا وهمُ بنونا ... لنا جُبلوا كما لهمُ جُبلنا
ونَكْوى بالعداوة من بغانا ... ونُسْعد بالمودة من وددْنا
نرى حقاً لسائلنا علينا ... فنحبوه ونُجْزل ان وعدنا
ونضمن جارنا ونراه منا ... فنَرْفِده فنُجزل ان رَفَدْنا
وما نعتد دون المجد مالا ... اذا يغلى بمكرمة أفدنا
وأتْلَدُ مجدنا أنا كرام ... بمجد المشرفية عنه ذدنا

فلم يزل مقيما بالطائف الى أن ولى الوليد الخلافة فوفد اليه فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هناه بالخلافة فأدناه الوليد وضمه اليه وقبل يزيد بن ضبة رجليه والأرض بين يديه ، فقال الوليد لأصحابه هذا طريد الأحول

لصحبته ايلى وانقطاعه الى فاستأذنه يزيد فى الانشاد وقال له يا أمير المؤمنين هذا اليوم الذى نهانى عمك هشام عن الانشاد فيه قد بلغته بعد يأس والحمد لله على ذلك فأذن له فأنشده

سُلَيمى تلك فى العير ... قفى أسألك أو سيرى
اذا مابنت لم تأوِى ... لصب القلب مغمور
وقد بانت ولم تعهد ... مَهاة فى مَهـاً حور
وفي الآل حمول الحـى تزهى كالقـوارير
يواريهـا وتبدو منـه آل كالسمادير(١)
وتطفو حين تطفو فيـه كالنخل المواقير(٢)
لقد لاقيت من سلمى ... تَباريح التناكير
دعت عينى لهـا قلبى ... وأسباب المقـادير
وما ان مَنْ به شيب ... اذا يصبو بمعذور
لسلمى رسم أظلال ... عَفَتْه الريح بالمور(٣)
خريق تَنْخُل التربَ ... بأذيال الأعاصير
فأَوْحِشْ اذ نأت سلمى ... بتلك الدور من دور
سأرمى قانصات البيـد ان عشت بعسبور(٤)
من العيس شجوجات ... طواها النِّسع بالكور(٥)
اذا ما حقَب جال ... قَرَنَّاه بتصدير(٦)

(١) السمادير شىء يتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر (٢) نخل مواقير جمع ميقار وهى الكثيرة الحمل (٣) المور التراب تثيره الريح (٤) العسبور ولد الكلب من الذئبة وناقة عسبور سريعة نجيبة (٥) تشج المفاوز والنسع حبل تشد به الرحال
(٦) الحقب بالتحريك الحزام الذى يلى حقو البعير وقيل هو حبل يشد به الرحل فى بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير أو يجتذبه التصدير فيقدمه والتصدير حزام الرحل والهودج

زجرنا العيس فارتدت باعصاف[١] وتشمير
نقاسيها على أين بادلاج وتهجير
اذا ما اعصوصب الآل ومال الظل بالقور[٢]
وراحت تتقى الشمس مطايا القوم كالعور
الى أن يفضح الصبح بأصوات العصافير
لنعتام الوليد القرْ م أهل الجود والخير
كريم يهب البُزْل مع الحور الجراجير[٣]
تراعى حين نُزْجيها هوياً كالمزامير
كما جاوبت النيب رباع الخُلُج الخور[٤]
ويهب الذهب الأحمر وزنا بالقناطير
بلوناه فأحمدنا ه فى عسر وميسور
كريم العود والعنصر غمْر غير منزور
له السبق الى الغايا ت فى ضم المضامير
امام يوضح الحق له نور على نور
مقال من أخى ود بحفظ الصدق مأثور
باحكام واخلاص وتفهيم وتحبير

فأمر الوليد بأن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت الف درهم فكانت خمسين بيتاً فأعطى خمسين الفاً فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على

---

(١) أعصفت الناقة فى السير أسرعت والتشمير الجد
(٢) القور جمع القارة وهى الاصاغر من الجبال والاعاظم من الآكام وهى مفرقة خشنة كثيرة الحجارة
(٣) فحل جراجر بالضم كثير الجرجرة وهو بعير جرجار والجرجرة الضجيج والصياح
(٤) الخور الابل الحمر الى الغبرة رقيقات الجلود طوال الاوبار لها شعر يتنفذ وبرها وهى أطول من سائر الوبر والخلج جمع خلوج وهى التى تخالج السير من سرعتها أى تجذبه

عددها لكل بيت الف درهم ثم لم يفعل ذلك الا هرون الرشيد فانه بلغه خبر يزيد مع الوليد فأعطى مَرْوان بن ابى حفصة ومنصورا النمرى لما مدحاه وهجوا آل أبى طالب لكل بيت الف درهم

خرج الوليد الى الصيد ومعه يزيد بن ضبة فاصطاد على فرسه السندى صيداً حسنا ولحق عليه حماراً فصرعه فقال ليزيد صف فرسى هذا وصيدنا اليوم فقال فى ذلك

وأَحْوَى سَلِس المِرْسَـــن مثل الصَّدَع الشَّعْب (١)
سما فوق مُنيفات طوال كالقنا سَلْب (٢)
طويل الساق عُنْجوج أَشَقَّ أَصْمَع الكعب (٣)
على لام أَصَمَّ مُضْـــمَر الأَشْعَر كالعقب (٤)
ترى بين حواميـــه نُسوراً كنوى القَسْب (٥)
معالي شَنَج الأَنسا ء سامٍ جُرْشُع الجنب (٦)
طوى بين الشراسيف الى المَنْقَب فالقُنْب (٧)
يغوص الملحم القائـــم ذو حَدّ وذو شَغْب (٨)

(١) المرسن من أنف الفرس موضع الرسن والصدع من الاوعال والظباء والحمير والابل الفتى الشاب القوى والاشعب من التيوس ذو الشعب وهو ما كان بين قرنيه بعيداً جداً وجمعه شعب

(٢) فرس سلب القوائم أى خفيفها والمنيفات الطويلة ويريد بها القوائم

(٣) العناجيج جياد الخيل والابل والاشق من الخيل الذى يشتق فى عدوه يميناً وشمالا والأصمع الكعب اللطيف المستوى (٤) لام الانسان وغيره شخصه والاصم الذى لا يطمع فيه

(٥) الحوامى ميامن الفرس وميامره والنسر لحمة فى باطن حافر الفرس من أعلاه والقسب تمر يابس يتفتت فى الفم صلب النواة (٦) الجرشع العظيم الصدر المنتفخ الجنبين وسام رافع رأسه والانساء جمع النسا بالفتح وهو عرق من الورك الى الكعب وشنج النسا أى متقبضه واذا شنج نساه لم تسترخ رجلاه (٧) الشرسوف غضروف معلق بكل ضلع والمنقب السرة والقنب وعاء من كل ذى حافر

(٨) الشغب الهياج والحد الحدة

عتيد الشَّـدّ والتقريـــب والاحضار والعَقَب[١]
صليب الأذن والـكاهـــل والموقف والعَجْب[٢]
عريض الخد والجبهـــة والبركة واللهب
اذا ما حثـــه حاث يبارى الريح فى غرب
وان وجهته أسر ع كالخُذْروف فى الثقب
وقفاهن كالأجد ل لما انضم للضرب
ووالى الطعن يختار جواشن بدن قُبّ
ترى كل مدلّ قا ئماً يلهث كالكلب
كأن الماء فى الأعطا ف منه قطع العُطْب[٣]
كأن الدم فى النحر قَذَال علّ بالخضب
يزين الدار موقوفاً ويشفى قدم الركب

فقال له الوليد أحسنت الوصف وأجدته فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأعطه الغزيل وعمر الوادى حتى يغنيا فيه ، فقال

الى هند صبا قلبي وهنـد مثلها يصبى
وهند غادة غيـدا ء من جرثومة غُلْب
وما ان وجد الناس من الأدواء كالحب
لقد لج بها الاعرا ض والهجر بلا ذنب
ولما أقض من هند ومن جاراتها نحبى
أرى وجدى بهند دا ئماً يزداد عن غب

(١) هذه أنواع من عدو الفرس العقب الجرى يجىء بعد الجرى الاول والتقريب أن يرجم الارض بيديه وهما ضربان التقريب الادنى وهو الارخاء والتقريب الاعلى وهو الثعلبية والاحضار ارتفاع الفرس فى عدوه عن الثعلبية
(٢) العجب أصل الذنب (٣) العطب القطن

وقد أطولت اعراضاً وما بغضهمُ طبي
ولكن رقية الأعين قد تحجز ذا اللب
ورغم الكاشح الراغم فيها أيسر الخطب

ودفع هذه الأبيات الى المغنين فغنوه فيها

قال الأصمعي كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف ولكنه كان فصيحاً وقد أدركته بالطائف وقد كان يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر ، وروى أبو حاتم عن مشايخ الطائفيين وعلمائهم قالوا قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة فاقتسمها شعراء العرب واتحلتها فدخلت فى أشعارها

شعراء سعد

ابن أبي الزوائد

هو سليمان بن يحيى بن يزيد السعدي من سعد بن بكر بن هوازن ثم من قيس عيلان

شاعر مقل من مخضرمي الدولتين ، وكان يؤم الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قوله وفيه غناء

هل نفسك المستهامة السَّدِمة[1] سالية مرة ومعتزمة
عن ذكر خَوْد قضى لها الملك الخالق ألاّ تُكِنّها ظلمة
كالشمس فى شرقها اذا سفَرت عنها ومثل المَهاة ملتثمة

(١) السدمة شديدة العشق

ما صور الله حين صورها ... فى سائر الناس مثلها نَسَمة
كل بلاد الاله جئت فما ... أبصرت شبهاً لها وقد علمه
أنثى من العالمين تشبهها ... عابسة هكذا ومبتسمة
فتّانة المقلتين مُخْطَفة الـ ... ـأحشاء منها البنان كالعَنَمة
اذا تعاطت شيئاً لتأخذه ... قلت غزال يعطو الى بَرَمة(١)
ياطيب فيها وطيب قُبلتها ... والقرب منها فى الليلة الشَّبِمة(٢)
ان من اللذة التى بقيت ... غشيانك الخَوْد من بنى سَلِمة
لا تهجر الخَوْد أن يقال بعـ ... ـد سلو وقبل ذاك فمه
آتى مُعِدًّا لها الكلام فما ... أنطق من هيبة ولا كلمة
أحب والله أن أزوركمُ ... وحدى كذا أوأزوركم بلُمَة(٣)
هذا الجمال الذى سمعت به ... سبحان ذى الكبرياء والعظمة
من أبصرت عينه لها شبهاً ... حلّ عليه العذاب والنقمة
يا هند يا هند تولى رجلاً ... وكيف تنويل من سفكت دمه
أو تدركى نفسى فقد هلكت ... أو ترحميه فمثلك رحمه

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبى الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما لشىء بلغ أبا عبيدة عنه فهجره من أجله ، فهجاه فقال

قطع الصفاء ولم أكن ... أهلاً لذاك أبو عبيدة
لا تحسبنك عاقلا ... فلأنت أحمق من حميدة

وهى امرأة بالمدينة رعناء يضرب بها المثل فى الحمق

(١) البرمة ثمر العضاة وحب العنب اذا كان مثل رءوس الذر (٢) الشبمة الباردة
(٣) اللمة الجماعة

وفد الى بغداد أيام المهدى فاستوخمها ، فقال يتشوق الى المدينة ويخاطب أبا غسان محمد بن يحيى وكان معه نازلا

يا ابن يحيى ماذا بدا لك ماذا ... أمقاما أم قد عزمت الملياذا (١)
فالبراغيث قد تثوَّر منهـا ... سامر ما نلوذ منـــه ملاذا
فنحك الجلود طوراً فتدمى ... ونحك الصـدور والأفخاذا
فسقى الله طيبة الوَبْل سحّا ... وسقى الكَرْخ والصَّراة الرَّذاذا
بلدة لا ترى بها العين يوماً ... شارباً للنبيـــذ أو نباذا
أو فتى ماجناً يرى اللهو والبا ... طل مجداً أو صاحباً كوّاذا (٢)
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا ... شاعراً قال فى الرَّوِيّ على ذا
قالها شاعر لو آن القوافى ... كن صخراً أطارهن جُذَاذا

قال ابن داب خرجت أنا وأخى يحيى وابن أبى العلاء ومعنا مصعَب بن عبد الله النَّوْفَلى وثابت والزبير ابنا خُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابن أبى الزوائد وابن أبى ذئب متنزهين الى العقيق وقد سال يومئذ اذ أتانا آت ونحن جلوس ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ، فقال ورد كتاب أمير المؤمنين المنصور ألاّ تتزوج منافيّة الا منافياً ، قال ابن أبى ذئب إذاً والله لا يخطب قرشى الا من لا يحبها ولا يَرغب الا فيمن لا يُرغب فيها ممن لا فضل له عليها « وكان غير حسن الرأى فى بنى هاشم » وتكلم ابنا خُبَيْب بمثل ذلك ، وقال أحدهما ان نسبنا من بنى عبد مناف قد طال فأدالنا الله منهم ، فغضب مُصْعَب النوفلى ، وكان أحول ، فازدادت عيناه انقلاباً ، فقال أما أنت يا ابن أبى ذئب فوالله ما شرفتك جاهلية ولا رفعك اسلام فيقع فى بال أحد أنك عُنيت بما جرى ، وأما أنتما يا ابنى خُبَيْب فبغضكما لبنى عبد مناف تالد موروث ولا يزال يتجدد كلما ذكرتم قتل الزبير ، وانكم لمن طينتين مختلفتين ، أما

(١) الخياذ التنحى (٢) كوذ فلانا ضربه بالعصا فى دبره

إحداهما فمن صَفِيَّة «بنت عبدالمطلب وزوج الزُّبير» وهي الطينة الأبطحية السنية تنزعان اليها اذا نافرتما وتفخران بها اذا افتخرتما، والأخرى الطينة العوَّامية التي تعرفانها، ولو شئت أن أقول لقلت ولكن صفية تَحْجُزُني، فأحسنا الشكر لمن رفعكما ولا تميلا عليه بمن وضعكما، فقالا له مَهْلاً فوالله لقد بِنا في الاسلام أفضل من قديمك ولَحَظُّنا فيه بالزُّبير أفضل من حظك، فقال مُصْعَب والله ما تفخران في نسبكما الا بعمتي ولا تفضلان في دينكما الا بابن عمي صلى الله عليه وسلم ففاخره لي دونكما، ثم تفرقوا، فقال ابن أبي الزوائد

لعمركما يا ابني خُبَيْب بن ثابت ... تجاوزتما في الفخر جَهْلاً مَدَاكما
وأنكرتما فضل الذين بفضلهم ... سمت بين أيدي الأكرمين يداكما
فانكما لم تعرفا اذ سموتما ... الى العز من آل النبي أباكما
ولم تعرفا الفضل الذي قد فخرتما ... فليس من العوَّام حقاً أتاكما
فلولا الكرام الغُرّ من آل هاشم ... فلا تجهلا لم تدفعا من رماكما

شعراء سلول

العجير السلولي

هو العُجَير بن عبيدالله بن عبيدة السَّلولي من سَلول بن مرة بن صَعْصَعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة

شاعر مقل اسلامي وجعله محمد بن سلام في طبقة أبي زبيد الطائي وهي الخامسة من طبقات شعراء الاسلام

كان العُجَير دل عبد الملك بن مروان علي ماء يقال له مطلوب وكان لناس من خَثْعَم فأنشأ يقول

لا نوم الا غِرَار العين ساهرة ... ان لم أروع بغيظ أهل مَطْلوب (١)

ان تشتموني فقد بدلت أيكتكم ... ذَرْق الدجاج بِحَفان اليعاقيب (٢)

قد كنت أخبركم أن سوف تعْمِرها ... بنو أمية وعدا غير مكذوب

فركب رجل من خَثْعَم يقال له أمية الى عبد الملك حتى دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين انما أراد العُجَير أن يصل اليك وهو شويعر سآل وحربه عليك فكتب الى عامله بأن يشد يدى العجير الى عنقه ثم يبعثه في الحديد ، فبلغ العجير الخبر فركب في الليل حتى أتى عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين أنا عندك فاحتبسني وابعث من يُبْصر الأرضين والضياع فان لم يكن الأمر على ما أخبرتك فلك دمي حِلٌّ فبعث فاتخذ ذلك الماء فكان من خير ضياع بني أمية

هجا العجير قوماً من بني حَنيفة وشتمهم فأقاموا عليه البينة عند نافع بن علقمة الكناني فأمرهم باحضاره ليقيم عليه الحد وقال لهم ان وجدتموه أنتم فأقيموا عليه

(١) موضع بوادي بيشة (٢) اليعاقيب الحجل وحفانه صغاره

الحد وليكن ذلك فى ملأ يشهدون به لئلا يدعى عليكم تجاوز الحد ، فهرب منهم حتى أتى نافعاً فوقف له متنكراً حتى خرج من المسجد ثم تعلق بثوبه فقال

اليك سبقنا السوط والسجن تحتنا ... حيال[1] يُسامين الظلام ولُتَّح
الى نافع لا نرتجي ما أصابنا ... تحوم علينا السانحات وتَبْرُح
فان أك مجلوداً فكن أنت جالدى ... وان أك مذبوحاً فكن أنت تذبح

فسأله عن المطر وكيف كان أثره فقال

يانافع يا أكرم البرية ... والله لا أكذبك العشية
انا لقينا سنة قَسِيَّة[2] ... ثم مُطرنا مطرة رَوِيَة
فنبت البقل ولا رَعِيَّة

يعنى ان المواشى هلكت قبل نبات البقل ، فقال له انجُ بنفسك فانى سأرضى خصومك ، ثم بعث اليهم فسألهم الصفح عن حقهم وضمن لهم ألا يعاود هجاءهم

قال هشام بن عبد الملك للعجير أصدقت فيما قلته لابن عمك ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين الا أنى قلت

فتى قُدَّ قَدَّ السيف لامتضائل ... ولا رَهِل لَبَّاته وبآدله[3]
جميل اذا استقبلته من أمامه ... وان هوولى أشعث الرأس جافله[4]
اذا نزل الأضياف كان عَذَوَّرا[5] ... على الحى حتى تستقل مراجله
ترى جازريه يُرْعَدان وناره ... عليها عَدَاميل الهشيم وصامله[6]
يَجُرَّان ثِنْيا[7] خيرها عظم جارة ... على عينه لم تَعْدُ عنها مشاغله
تركنا أبا الأضياف فى كل شَتْوَة ... بمر ومِرْزَى كل خصم يجادله
مقيما سلبناه دَرِيس[8] مُفَاضة ... وأبيض هنديا طُوالا حمائله

(١) جمع حائل وهى كل أنثى لا تلقح ولقح جمع لاقح (٢) شديدة (٣) البأدلة اللحمة بين المنكب والعنق والرهل المسترخى (٤) جفل الشعر ثار شعثاً (٥) العذور السوء الخلق (٦) العداميل القديمة والصامل اليابس (٧) الثنى الولد بعد الولد الاول فالاول بكر والثانى ثنى (٨) الدريس الثوب الخلق والمفاضة الواسعة

فقال هشام هلك والله الرجل

اصطحب العُجَير وشاعر من خُزاعة الى المدينة ، فقصد الخزاعى الحسن بن الحسن بن على عليهم السلام وقصد العجير رجلا من بني عامر بن صَعْصعة كان قد نال سلطانا ، فأعطى الحسن بن الحسن الخزاعى وكساه ولم يعط العامرى العجير شيئاً فقال العجير

يا ليتنى يوم حزَّمت التَلوص له ... يمّمتها هاشمياً غير ممذوق (٢)
محض النِّجار من البيت الذى جعلت ... فيه النبوة يجرى غير مسبوق
لا يُمسك الخير الأَرَيْث يُسأله ... ولا يطاعم عند اللحم فى السوق

فبلغت أبياته الحسن فبعث اليه بصلة الى محلة قومه وقال له قد أتاك حظك وان لم تتصدَّ له

مرّ العجير بقوم يشربون فسقَوه فلما انتشى قل انحروا جملى وأطعمونا منه فنحروا وجعلوا يطعمونه ويسقونه ويغنونه بشعر قاله يومئذ وهو

عللانى انما الدنيا عَلَل ... واسقيانى عَلَلا بعد نَهَل
وانشُلا ما اغبرّ من قِدْر يكما ... واصبَحانى أبعد الله الجمل
أَصْحَب الصاحب ما صاحبني ... وأَكُفُّ اللوم عنه والعَذَل
واذا أتلف شيئاً لم أقل ... ابدايا صاح ما كان فعل

حج العجير فنظر الى امرأته وكان قد حج بها معه وهى تَلْحَظ فتى من بعد وتكلمه فقال فيها

أيا رب لا تغفر لعَشْمة ذنبها ... وان لم يعاقبها العُجَير فعاقب
أشارت وعقد الله بينى وبينها ... الى راكب من دونه ألف راكب
حرام عليك الحج لا تقربنّه ... اذا حان حج المسلمات التوائب

(٢) أى غير مشوب وده بكدر

كان للعجير رفيق يقال له أصبح وكانا يُصيبان الطريق وفيه يقول العجير

ومنخرقٍ عن منكبيه قميصه ... وعن ساعديه للأخلاء واصل
اذا طال بالقوم المطا فى تَنُوفة ... وطول السُّري ألفيته غير ناكل
دعوتُ وقد دَبَّ الكرى فى عظامه ... وفى رأسه حتى جرى فى المفاصل
كما دَبَّ صافى الخمر فى مخ شارب ... يَميل بعِطفيه عن اللب ذاهل
فلبى ليثنينى بثنيى لسانه ... ثقيلين من نوم غَلوب غياطل (١)
فقلت له قم فارتحِل ليس ههنا ... سوى وقفة السارى مناخا لنازل
فقام اهتزاز الرمح يسرو قميصه ... ويحسر عن عارى الذراعين ناحل

كانت للعجير امرأة يقال لها أم خالد فأسرع فى ماله فأتلفه وكان جواداً ثم جعل يَدَّان حتى أثقل بالدين ومد يده الى مالها فمنعته منه وعاتبته على فعله فقال في ذلك

تقول وقد غالبتها أم جعفر ... على مالها أغرقت دَيْناً فأقصر
أبى القصر من يَأْوِى اذا الليل جننى ... الى ضوء نارى من فقير ومُقْتِر
أيا موقدَىْ نارى ارفعاها لعلها ... تشب لمُقْوٍ آخر الليل مقفر
أمِنْ راكب أمسى بظهر تَنُوفة ... أواريك أم من جارى المتنظر
ولا قِدْر دون الجار الا ذميمة ... وهذا المقاسى ليلةً ذاتَ منكر
تكاد الصَّبا تبتزُّه من ثيابه ... على الرجل الا من قميص ومِئْزر
وماذا علينا أن يخالس ضوءها ... كريم ثناه شاحب المتحسَّر (٢)
فيخبرنا عما قليل ولو خلت ... له القِدْر لم نعجب ولم نتخبر
سلى (٣) الطارق المعْتَرَّ يا أم مالك ... اذا ما أتانى بين قِدْرى ومَجْزَرى
أأبسط وجهى انه أول القرى ... وأبذُل معروفى له دون منكرى
فلا قصر حتى يفرُجَ الغيث من أوى ... الى جنب رحلى كل أشعث أغبر

(١) الغيطلة غلبة النعاس (٢) ما انكشف وتجرد من جسمه (٣) يرويها بعض الناس لعروة بن الورد وهى للعجير

أقى العرض بالمال التِّلاد وما عسى ... أخوك اذا ماضيع العرض يشترى
يؤدى الىَّ النيل قُنيان[1] ماجد ... كريم ومالى سارحا مالُ مقتر
اذا مت يوماً فاحضُرى أم خالد ... تُراثَك من طرْف وسيف وأقْتُر

وفد العجير على عبد الملك بن مروان فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه لشغل عرض لعبد الملك ثم وصل اليه فلما مَثَل بين يديه أنشد

ألا تلك أم الهِبْرِزِىّ تبينت ... عظامى ومنها ناصل وكسير
وقالت تضاءلت الغداة ومن يكن ... فتى قبل عام الماء فهو كبير
فقلت لها ان العُجَير تقلبت ... به أبطن أبْلَينه وظهور
فمنهن ادلاجى على كل كوكب ... له من عُمانى النجوم نظير
وقَرْعى بكفى باب مَلْك كأنما ... به القوم يرجُون الأذين نسور
ويومَ تبازي ألسن القوم فيهمُ ... وللموت أرْحاء بهن تدور
لو ان الجبال الصُّمَّ يسمعن وقعها ... لعدن وقد بانت بهن فُطور[2]
فَرُحت جواداً والجواد مثابر ... على جريه ذو علة ويسير

فقال له يا عُجَير ما مدحت الا نفسك ولكنا نعطيك لطول مقامك وأمر له بمائة من الابل يُعطاها من صدقات بني عامر فكتب له بها

ومن قول العجير

وما لبس الناس من حلة ... جديد ولا خلَقا يرتدَى
كمثل المروءة للابسين ... فدَعْنى من المُطْرف المستدَى
فليس يغير فضل الكريم ... خلوقات أثوابه والبِلَى
وليس يغير طبع اللئيم ... مطارف خزّ رِقاق السّدى
يجود الكريم على كل حال ... ويكبو اللئيم اذا ما جرى

(١) ما اقتنى من المال يقول انه لبدله القرى كأنه موسر واذا سرح ماله علم أنه مقتر
(٢) شقوق

كان للعجير ولد اسمه القرزدق وله يقول

ولقد وضعتك غير مُتَّرَك ... من جابر فى بيتها الضَّخْم
واخترت أمك من نسائهمُ ... وأبوك كل عَذَوَّر شَهْم
فلئن كذبت المنح من مائة ... فلتقتلن بسائغ وخم
ان النَّدى والفضـل غايتنا ... ونجاتنا وطريق من يَحْمِي

وقف العجير لبعض الأُمراء وقد علق به غريم من أهله فقال له

أتيتك ان الباهلى يسوقني ... بدَيْن ومطلوب الديون رقيق
ثلاثتنا ان يسر الله فائزٌ ... بأجر ومعطَى حقَّه وعتيق

فأمر بقضاء دينه

هوى العجير بنت عم له ، فخطبها الى أبيها ، فوعده وقاربه ، ثم خطبها رجل من بنى عامر موسر ، فخيرها أبوها بينه وبين العجير ، فاختارت العامرى ليساره ، فقال العجير فى ذلك

ألما على دار لزينب قد أتى ... لها بالوى ذى المرج صَيْف ومَرْبَع
وقولا لها قد طال ما لم تكلمى ... وراعك بالغيب الفؤاد المروع
وقولا لها قال العجير وخصني ... اليك وارسال الخليلين ينفع
أأنت الذى استودعتك السر فانتحى ... بك الخَوْن(١) مَزَّاح من القوم أفْرَع
اذا مت كان الناس نصفين شامت ... ومثن بما قد كنت أُسْدِي وأصنع
ولـكن ستبكيني خطوب ومجلس ... وشُعْث اهينوا فى المجالس جُوَّع
ومستلحم(٢) قد صكه القوم صَكَّةً ... بعيدَ الموالي نيلَ ما كان يمنع
رددت له ما فرَّط القَيْل بالضحى ... وبالأَمس حتى آبنا وهو أَصْلَع(٣)

(١) الخون الخيانة والافرع ضد الاصلع (٢) المستلحم المستلحق فى القرابة والجوار وصكه ضربه (٣) الاصلع المطيق للشىء القائم به وآبنا رجع الينا

ولست بمولاه ولا بابن عمه ولكن متى ما أملك النفع أنفع

كان العجير يتحدث الى امرأة من بني عامر يقال لها جُمل فألفها وعلقها ثم انتجع أهلها نواحي نَصيبين ، فتبعتها نفسه ، فسار اليهم فنزل فيهم مجاوراً ، ثم رأوه ملازماً محادثة تلك المرأة ، فنهوه عنها وقالوا قد رابنا أمرك فاما ان انقطعت عنها أو ارتحلت عنا أو فأذن بحرب ، فقال ما بيني وبينها ما ينكر ، وانما كنت أتحدث اليها كما يتحدث الرجل الكريم الى المرأة الحرة الكريمة فأما الريبة فحاش لله منها ، ثم عاود محادثتها ، فانتهبوا ماله وطردوه ، فأتى محمد بن مروان وهو يومئذ يتولى الجزيرة لأخيه عبد الملك ، فأتاه مستعدياً على بني عامر وعلى الذي أخذ ماله خصوصية وهو رجل من بني كلاب يقال له ابن عامر فأنشده

عفا يافع من أهله فطَلوب وأقفر لو كان الفؤاد يثوب
وقفت بها من بعد ما حل أهلها نصيبين والراقى الدموع طبيب
وقد لاح معروف القتير[1] وقد بدت بك اليوم من ريب الزمان نُدُوب
وسالمتَ رَوْحاتِ المطى وأحمدت مناسم منها تشتكى وصُلُوب
وما القلب أم ما ذكره أم صبية أُرَيكة منها مسكن فهَرُوب
حَصان الحميا حُرَّة حال دونها حليلٌ لها شاكي السلاح غضوب
شَموس دنو الفَرْقدين اقترابها لغَيّ مقاريف[2] الرجال سَبوب
أحقاً عباد الله أن لست ناظراً الى وجهها الا عليَّ رقيب
عدتني العدى عنها بعيد تساعف وما أرتجى منها إليَّ قريب
لقد أحسنت جُمل لو آن تَبيعها اذا ما أرادت أن تُثيب تثيب
تَصُدِّين حتى يذهب اليأس بالمنى وحتى تكادَ النفس عنك تطيب

(١) القتير أول ما يظهر من الشيب
(٢) جمع مقرف وهو الذليل

هذا البيت يروى لابن الدمينة وهو بشعره أشبه ولا يشكل هذا المعنى ولا هو من طريقه لأنه تشكى في سائر الشعر قومها دونها ، وهذا بيت يصف فيه الصد منها

وأنت التي لو كنت تستأنفيننا ... بخير ولكن معتفاك جديب
أيؤكل مالي وابن مروان شاهد ... ولم يقض لي وابن الحسام قريب
فتى محض أطراف العروق مساور ... حبال العلى طلق اليدين وهوب

فأمر محمد بن مروان باحضار ابن الحسام الكلابي فأحضر ، فحبسه حتى رد مال العجير ، وأمر العجير بالانصراف الى حيه وترك النزول على المرأة أو في قومها

وقال العجير فيها أيضاً

هاتيك جملٌ بأرض لا يقربها ... الا هبلٌ (١) من العيدي معتقد
ودونها معشر خزر عيونهمُ ... لو تخمد النار من حر لما خمدوا
عدوا علينا ذنوباً في زيارتها ... ليحجبوها وفي أخلاقهم نكد
وحال من دونها شكس خلائقه ... كأنه نمر في جلده الربد (٢)
فليس الا عويل كلما ذكرت ... أو زفرة طالما أنّت بها الكبد
وتيمتني جملٌ فاستمر بها ... شحط من الدار لا أيم ولا صدد
قالوا غداة استقلّت ما لمقلته ... أمن قذى حملت أم عارها رمدُ
فقلت لا بل غدت سلمى لطيتها ... فليتهم مثل وجدي بكرة وجدوا
ان كان وصلك أبلى الدهر جدّته ... وكل شيء جديدٍ هالكٌ نفد
فقد أراني ووجدي اذ تفارقني ... يوماً كوجد عجوز درعها قدد
تبكي على بطل حُمّت منيته ... وكان واتر أعداء به ابتردوا

(١) الهبل الضخم المسن من الابل والمعتقد الشديد الصلب والعيدي نسبة الى العيد وهو فحل معروف تنسب اليه النجائب الجيدة (٢) الربدة الغبرة والجمع ربد

وقد خلا زمن لو تَصْرِمين له ... وصلى لأيقنت أنى ميت كَمِدِ
أزمان تعجبنى جُمْل وأكتمه ... جملا حياء وما وجد كما أجد
فقد برئت على أنى اذا ذكرت ... ينهلُّ دمعى وتحيا غُصَّة تلَدُ
من عهد سلمى التى هام الفؤاد بها ... أزمانَ أزمان سلمى طفله رُؤُد
قد قلت للكاشح المبدى عداوته ... قد طالما كان منك الغش والحسد
الا تبين لي لا زلت تبغضنى ... حتَّامَ أنت اذا ماساعفت ضَمِدِ[1]
وقد ترى غير ذى شك وتعلمه ... أن ليس لى اذ نأت صبر ولا جَلَدُ

قال عبد الملك لمؤدب ولده اذا رويتهم شعراً فلا تُرَوهم الا مثل قول العجير السلولي

يَبِين الجارُ حين يبين عنى ... ولم تأنس إليَّ كلاب جارى
وتَطْعُن جارتى من جنب بيتي ... ولم تستر بستر من جدار
وتأمن أن أطالع حين آتى ... عليها وهى واضعة لخمار
كذلك هَدْىُ آبائى قديماً ... توارثه النِّجار عن النجار
فهَدْنِى هديهم وهم افتلونى ... كما افتُلي[2] العتيق من المهار

كان ابن عم للعجير اذا سمع بأضياف عند العجير لم يدعهم حتى يأتى بجزور كوماء فيطعن فى لبتها عند بيته فيبيتون في شواء وقدر ثم مات ، فقال العجير يرثيه

تركنا أبا الأضياف فى ليلة الصَّبا ... بمر ومِرْدَى كل خصم يجادله
وأُرعيه سمعى كلما ذكر الأسى ... وفى الصدر منى لوعة ما تزايله
وكنت أعير الدمعَ قبلك من بكى ... فأنت على من مات بعدك شاغله

(١) ضمد على فلان حقد (٢) فلا الغلام وافتلاه ربه

شعراء سليم

الجحاف بن حكيم

هو الجحّاف بن حكيم بن عاصم من بُهْثة بن سليم بن منصور

يوم البِشْر[١]

لما قتلت بنو تغلبُ عُمير بن الحُباب السلمى بالحَشّاك[٢] أتى أخوه تميم بن الحباب زُفَر بن الحرث فأخبره بمقتل عمير وسأله الطلب له بثاره ، فكره ذلك زفر ، فسار تميم بمن تبعه من قيس وتابعه على ذلك مسلم بن أبى ربيعة العقيلى ، فلما توجهوا نحو تغلب لقيهم الهذيل ، فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ، فقال أمهلونى ألقَ الشيخ ، فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفر فقال ما صنعت ؟ والله لئن ظُفِر بهذه العصابة انه لعار ولئن ظَفِرُوا انه لأشد ، قال زفر فاحبس علىَّ القوم ، وقام زفر فى أصحابه فحرضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوْساً ، وسار حتى انتهى الى الثَّرْثار[٣] فدفعوا أصحابه ، ثم وجه زفر يزيد بن حُمران فى خيل فأساء الى بنى فَدَوْكَس من تغلب فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق فى ذلك الجو غير امرأة واحدة يقال لها حميدة بنت امرئ القيس ، عاذت بابن حمران فأعاذها ، وبعث الهذيل الى بنى كعب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، وبعث مسلم بن أبى ربيعة الى ناحية أخرى فأسرع فى القتل ، وبلغ ذلك بنى تغلب واليمن ، فارتحلوا يريدون عبور دِجْلة ، فلحقهم زُفر بالكُحَيْل[٤] مع المغرب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً

---

(١) هو جبل يمتد من عرض الى الفرات من أرض الشام من جهة البادية
(٢) واد بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات (٣) واد عظيم بالجزيرة
(٤) نهر أسفل الموصل

وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقى زفر على بغل له ، فقتلوهم ليلتهم وبقروا ما وجدوا من النساء ، وذكر أن من غرق فى دجلة أكثر ممن قتل بالسيف وأن الدم كان فى دجلة قريباً من رَمْية سهم ، فلم يزالوا يقتلون من وجدوا حتى أصبحوا فذكروا أن زفر دخل معهم دجلة وكانت فيه بحة ، فجعل ينادى ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قتل ، فتذامروا وقالوا لئن قتل شيخنا لما صنعنا شيئاً ، فاتبعوه فاذا هو فى دجلة يصيح بالناس وتغلب قد رمت بأنفسها تعبُر بالماء ، فخرج من الماء وأقام فى موضعه ، فهذه الواقعة الحرَجِيَّة لانهم أحرجوا فألقوا أنفسهم فى الماء ، ثم وجه يزيد بن خُزران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهُذَيل بن زفر فى أصحابه وأمرهم ألاَّ يلقَوْا أحداً الا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبل الشمال حتى أتى رأس الأثيل ولم يخل بالكُحَيْل أحداً ، فصعد قبل رأس الأثيل فوجد به عسكراً من اليمن وتغلب فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلب وصبرت اليمن « وهذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهرير » فى ذلك يقول زفر

ولما أن نعى الناعى عميراً ... حسبت سماءهم دهيت بليل[1]
وكان النجم يطلع في قَتام ... وخاف الذل من يمنى سُهَيل
وكنت قبيلها يا أم عمرو ... أُرَجِّل لمتى وأجُرّ ذيلى
فلو نُبِش المقابر عن عمير ... فيخبر عن بلاء أبى الهُذَيل
غداة يقارع الأبطال حتى ... جرى منهم دماً مَزْج الكُحَيل
قبيل ينهدون الى قبيل ... تَساقَى الموت كيلاً بعد كيل

فلما أن كانت سنة ثلاث وسبعين وقتل عبد الله بن الزُّبير هدأت الفتنة واجتمع على عبد الملك بن مَرْوان وتكافَّتْ قيس وتغلب عن المغازى بالشام والجزيرة وظن

(١) أى أظلمت نهاراً كأن ليلا دهاها

كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه وتكلم عبد الملك فى ذلك ولم يُحكم الصلح ، فبينا هم على تلك الحال اذ أنشـد الأخطل عبد الملك بن مَرْوَان وعنده وجوه قيس قوله

ألا سائل الجحَّاف هل هو ثائر بقتلي أُصيبت من سُلَيم وعامر
أجحَّافُ أن تَهبط عليك فتلتقى عليك بحور طاميات زواخر
تكن مثل أبداء الحباب الذى جرى به البحر تَزْهاه الرياح الصراصر

فوثب الجحاف يجر مطرفه وما يعلم من الغضب وهو يقول

نعم سوف نبكيهم بكل مُهَنَّد ونبكى عميرا بالرماح الخواطر

وقام فجمع جموعاً من قيس فأغاروا على تغلب فى مساكنهم فقتلوهم ومثلوا بهم وذلك يوم البشر الذى يقول فيه الأخطل

لقد أوقع الجحَّاف بالبشر وقعة الى الله منها المشتكى والمعول

ثم ان الجحاف هرب بعد فعلته ولحق بالروم وقال فى ذلك

فان تطردونى تطردونى وقد مضى من الوِرْد يوم فى دماء الأراقم
لدن ذرّ قَرْن الشمس حتى تلبست ظلاماً بركض المُقْربات الصَّلادم

ثم كلمت القيسية عبد الملك فى الجحاف فأمنه فلما قدم لقيه الأخطل فقال له الجحاف

أبا مالك هل لمتنى اذ حضضتنى على القتل أم هل لامنى لك لائم
أبا مالك انى أطعتك فى التى حضضت عليها فعل حرَّان حازم
فان تَدْعني أخرى أجبك بمثلها وانى لطَبّ بلوغى جدُّ عالم

ولما دخل على عبد الملك قال له أنشـدنى بعض ما قلت فى غزوتك هذه وفجرتك فأنشده

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا يوم اللقاء وان عُلُوا لم يضجروا

فقال عبد الملك صدقت

ورأى عبد الملك أنه ان تركهم على حالهم لم يحكم الأمر ، فأمر الوليد ابنه فحمل الدماء التى كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب وضَمَّن الجحاف قتلى البِشْر وألزمه إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الحمالات ولم يكن عند الجحاف ما حُمِّل ، فلحق بالحجاج بالعراق يسأله ما حمل لأنه من هوازن ، فسأل الاذن على الحجاج فمنعه فلقى أسماء بن خارجة فعصب حاجته به ، فقال انى لا أقدر لك على منفعة قد علم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك ، فقال لا والله لا ألزمها غيرك أنجحت أو أكديت ، فلما بلغ ذلك الحجاج قال ماله عندى شيء ، فأبلغه ذلك ، قال وما علمك أن تكون أنت الذى تؤيسه فانه قد أبى ، فأذن له ، فلما رآه قال أعهدتني خائناً لا أبالك ؟ قال أنت سيد هوازن وقد بدأنا بك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وعُمالتك في كل سنة خمسمائة الف درهم وما بك بعدها الى خيانة فقر ، فقال أشهد أن الله تعالى وفقك انك نظرت بنور الله ، فاذا صدقت فلك نصفها العام ، فأعطاه وأدَّوا البقية ، ثم تأله الجحاف بعد ذلك واستأذن فى الحج فأذن له فخرج فى المشيخة الذين شهدوا معه قد لبسوا الصوف وأحرموا وأبْرَوا[1] أنوفهم ومشوا الي مكة ، فلما قدموا المدينة ومكة جعل الناس يخرجون فينظرون اليهم ويعجبون منهم ، وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلق بأستار الكعبة وهو يقول « اللهم اغفرلى وما أراك تفعل » فقال له ابن عمر يا هذا لو كنت الجحاف مازدت على هذا القول ، قال فانا الجحاف ، فسكت ، وسمعه محمد بن على بن ابى طالب عليه السلام وهو يقول ذلك فقال ياعبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك

(١) خرموها وجعلوا فيها البرى جمع برة وهى الحلقة فى أنف البعير

ومن شعره وفيه غناء

لله دَرّ عصابة صاحبتهم يوم الرصافة مثلهم لم يوجد
متقلدين صفائحا هندية يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وغدا الرجال الثائرون كأنما أبصارهم قِطَع الحديد الموقد

أبو وجزة السعدى

هو يزيد بن عبيد من بهثة بن سُلَيم بن منصور ونسب الى بنى سعد بن بكر ابن هوازن لولائه فيهم ، لحق أباه وهو صبي سِباء فى الجاهلية فبيع بسوق ذى المجاز ابتاعه رجل من بني سعد واستعبده فلما كبر استعدى عمر رضى الله عنه وأعلمه قصته فقال انه لا سِباء على عربى وهذا الرجل قد امتنَّ عليك فان شئت فأقم عنده وان شئت فالحق بقومك ، فأقام في بني سعد وانتسب اليهم وتزوج زينب بنت عرفطة المزنية فولدت له أبا وَجْزَة وأخاه عبيدة ، فلما بلغ ابناه طالباه بأن يلحق بأصله وينتمي الى قومه من بني سليم ، فقال لا أفعل ولا ألحق بهم فيعيرونى كل يوم ويدفعونى وأترك قوماً يكرمونى ويشرفونى فوالله لئن ذهبت الي بني ظَفَر لأرعى طُمّة ولا أرد جُمّة الا قالوا لي يا عبد بنى سعد

وكان أبو وجزة من التابعين وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولم يسند اليه حديثاً ولكنه حدث عن أبيه بحديث الاستسقاء ، قال شهدت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسق عام الرَّمادة فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفر الله رافعاً صوته لا يزيد على ذلك ، فقلت فى نفسى ماله لا يأخذ فيما جاء له ؟ ولم أعلم ان الاستغفار هو الاستسقاء ، فما برحنا حتى نشأت سحابة وأظلتنا ، فسقى الناس وقلدتنا السماء قلداً كل خمس عشرة ليلة حتى رأينا الارنبة تأكلها صغار الابل

من وراء حقاق العرفط[١] وفى رواية ان عمر قال فى آخر كلامه اللهم انى عجزت وما عندك أوسع لهم ، ثم أخذ بيد العباس رضى الله عنه ثم قال وهذا عم نبيك ونحن نتوسل اليك به ، وهو أحد من شبب بعجوز حيث يقول

يأيها الرجل الموكل بالصبا ... فيم ابن سبعين المعمر من ذد[٢]
حتّام أنت موكل بقديمة ... أمست تجدد كليمانى الجيد
زان الجلال كمالها ورسا بها ... عقل وفضلة وشيمة سيد
ضنّت بنائلها عليك وأنتما ... غرّان فى طلب الشباب الأغيد
فالآن ترجو أن تثيبك نائلا ... هيهات نائلها مكان الفرقد

خرج أبو وجزة وأبو زيد الأسلمى يريدان المدينة وقد امتدح أبو وجزة آل الزبير وامتدح ابو زيد ابراهيم بن هشام المخزومى ، فقال له أبو وجزة هل لك فى أن أشاركك فيما أصيب من آل الزبير وتشاركنى فيما تصيب من ابراهيم ، فقال كلا والله لرجائى فى الأمير أعظم من رجائك فى آل الزبير فقدما المدينة فأتى ابو زيد دار ابراهيم فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجاب فأمر به ابراهيم فأخرج وضرب وأتى أبو وجزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم فكتبوا له الى مال لهم بالقُرْع[٣] أن يعطى منه ستين رُسْقا من التمر فقال أبو وجزة

راحت قلوصى رواحا وهى حامدة ... آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وُسقا فى حقيبتها ... ماحملت حملها الأدنى ولا السددا[٤]
ذاك القرى لا كأقوام عهدتهم ... يقرون ضيفهم الملوية الجددا

كان أبو وجزة قد جاور مزينة وانتجع بلادهم لصهره فيهم فنزل على عمرو ابن زياد المزنى فأحسن جواره وأكرم مثواه فقال يمدحه

---

(١) حقاق العرفط نبات ستين وثلاث
(٢) الدد اللهو (٣) قرية من نواحى الربذة عن يسار السقيا بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة (٤) أعى أنه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستين وسقا فلم تتعب ناقته فى حملها

لمن دِمْنة بالنَّعْف عافٍ صعيدها تغير باقيها ومَحَّ[1] جديدها
لسُعْدة من عام الهزيمة اذ بنا تصافٍ واذ لما يَرُعْنا صدودها
واذ هى أما نفسها فأريبة للهو وأما عن صِباً فنذودها
تَصيد ألباب الرجال بدَلِّها وشيمتها وحشية لا نصيدها
كباسقة الوَسْمِيّ ساعة أسبلت تلألأ فيها البرق وابيض جيدها
كبكر تراعى فرْقَدين بقفرة من الرمل أو فيحان لم يَعْسِ[2] عودها
لعمرو الندى عمرو بن آل مُكَدَّم وعمرو فتى عثمان طُرًّا وسيدها
حليم اذا ما الجهل أفرط ذا النهى على أمره حامى الحصاة شديدها
وما زال ينحو فعل من كان قبله منَ آبائه يجنى العلا ويُفيدها
فكم من خليل قد وصلت وطارق وقربت من أدماء وارٍ قصيدها
وذى كربة فرجت كربة همه وقد ظل مُسْتَدًا عليه وَصِيدها

قدم أبو وجزة على عبدالله بن الحسن واخوته وقد أصابت قومه سَنَة مُجْدِبة فأنشده قوله يمدحه

أثني على ابني رسول الله أفضل ما أثني به أحد يوماً على أحد
السيدين الكريمى كل منصرف من والدين ومن صهر ومن ولد
ذريةٌ بعضها من بعضها عمرت فى أصل مجد رفيع السَّمْك والعمَد
ماذا بني لهمُ من صالح حَسَنٌ وَحَسَنٌ وعلى وابتنوا لغد
فكرم الله ذاك البيت تكرمة تبقى وتخلد فيه آخر الأبد
ثم السدى والندى مافى قناتهم اذا تعوجت العيدان من أودَ
مهذبون هِجان امهاتهمُ اذا نسبن زُلال البارق البَرِد
بين الفواطم ماذا تم من كرم الى العواتك مجد غير منتقد
ما ينتهى المجد الا في بني حسن وما لهم دونه من دار ملتحد

(١) مح بلى (٢) عسى النبات غلظ وصلب وفيحان واد فى بلاد بنى أسد والفرقد ولد البقرة

فأمروا له بمائة وخمسين ديناراً وأوقروا له رواحله براً وتمراً وكسوه ثوبين

ندب مروان بن محمد عبد الملك بن يزيد السعدى لقتال ابى حمزة الأزدى الشارى وكان فيمن فرض له عبد الملك أبو وجزة فخرج معترضاً للعسكر على فرس وهو يرتجز

قل لأبى حمزة هيد هيد[1] أتاك بالعادية الشديد
بالبطل القرم أبى الوليد فارس قيس نجدها[2] المعدود
فى خيل قيس والكماة الصيد كالسيف قد سُلَّ من الغمود
محض هجان ماجد الجدود فى الفرع من قيس وفى العمود
فدّى لعبد الملك الحميد مالي من الطارف والتليد
يوم تنادى الخيلُ بالصعيد كأنه فى جُنَن الحديد
سيدٌ مُذِلٌّ عزّ كل سيد

وفى عبد الملك يقول أبو وجزة

حن الفؤاد الى سُعْدَى ولم تُنِب فيم الكثير من التحنان والعرب
قالت سعاد أرى من شيبه عجباً مهلا سُعاد فما فى الشيب من عجب
إمّا تَرَيْنى كسانى الدهر شيبته فان ما مر منه عنك لم يغب
سقيا لسعدى على شيب ألم بنا وقبل ذلك حين الرأس لم يشب
كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت صوب الثريا بماء الكرم من حلب

يقول فيها

أهدى قلاصا تناجيجا أضرّ بها نَصُّ الوَجيف وتقحيم من العَقَب
يقصدن سيد قيس وابن سيدها والفارس العدّ منهاغ ذى الكذب
محمد وأبوه وابنه صنعوا له صنائع من مجد ومن حسب

(١) اذا أراد الحادى الحداء قال هيد هيد ثم زجل بصوته (٢) رجل نجد فى الحاجة اذا كان ناجياً فيها سريعاً

انى مدحتهمُ لما رأيت لهم فضلا على غيرهم من سائر العرب
الا تُثبنى به لا يَجزنى أحد ومن يثيب اذا ما أنت لم تثب

ومن مختار مقصورته في مدح عبد الملك

حتى اذا هجدوا ألم خيالها سراً ألا بلمامه كان المنى
طرقت برَيّا روضة من عالج وسَمِيَّة عَذُبت وبيتها النَّدى
يا أم شيبة أى ساعة مطْرَق نهتنا أبن المدينة من بَدَا[1]
انى متى أقض اللُّبانة أجتهد عَنَق العِتاق الناجيات على الوجا
حتى أزورك ان تيسر طائرى وسلمت من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول

فلا مدحن بني عطية كلَّهم مدحاً يوافى فى المواسم والقُرى
الأكرمين أوائلا وأواخرا والأحلمين اذا تخوجت الحُبَى
والمانعين من الهضيمة جارهم والجامعين الراقعين لما وهى
والعاطفين على الضريك بفضلهم والسابقين الى المكارم من سعى

وكان عبدالله بن عروة بن الزبير يُفضِل على أبى وجزة ويقوم بأمره ثم اطّرحه لأمر بلغه عنه ولم يزل مطرحا له حتى قال

آل الزبير بنو حرة مَرَّوا بلسبوف صدوراً حنافا
سل الجُرْد عنهم وأيامها اذا امتعطوا[2] المرهفات الخفافا
يموتون والقتل داء لهم ويَصْلَوْن يوم السِّياف السيافا
اذا فرج القتل عن عيصهم أبى ذلك العيص الا انتفافا
مطاعيم تحمد أبياتهم اذا قنع الشاهقات الضحاء[3]
وأجبن من صافر كلبه اذا فرعته حصاة أصاخا

فلما أنشد هذا الشعر رضى عنه وعاد الي ما كان عليه

(١) بدا بوادى عذرة قرب الشام (٢) امتعطوا سلوا (٣) الضحاء قطع من الغيم

شعراء عامر

حميد بن ثور

هو حميد بن ثور بن عبد الله الهلالي من هلال بن عامر بن صَعْصَعة، من شعراء الاسلام وقرنه ابن سلام بنهشَل بن جرى وأوس بن مغراء، وقد أدرك حميد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال الشعر فى أيامه، وقد أدرك الجاهلية أيضاً

ومن شعره

وما هاج هذا الشوقَ الا حمامة ... دعت ساق[1] حُرّ ترْحة وترنما

اذا شئت غنتنى بأجزاع بيشةَ ... أوالنخل من تثليث أو بيلَمْلَما

مطوَّقة خطْباء تسجع كلما ... دنا الصيف وانجال[2] الربيع فأنجما

مُحَلَّاة طوق لم يكن من تميمة[3] ... ولا ضرب صوّاغ بكفيه درهما

تغنت على غصن عِشاء فلم تدَع ... لنائحة فى شجوها متلوما

اذا حركته الريح أو مال ميلة ... تغنت عليه مائلاً ومقوَّما

عجبت لها أنّى يكون غناؤها ... فصيحاً ولم تفغَرْ[4] بمنطقها فما

فلم أرَ مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربياً شاقه صوت أعجما[5]

تقدم عمر بن الخطاب الى الشعراء ألا يشبب احد بامرأة الا جلده فقال حميد

أبى الله الا أن سَرْحة مالك ... على كل أفنان العِضاه تروق

فقد ذهبت عَرْضاً وما فوق طولها ... من السَّرْح الا عشة وسحوق

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من بعد العشى تذوق

---

(١) يحكي صوتها (٢) انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجم (٣) التميمة المعاذة
(٤) لم تفتح (٥) يقول لم أفهم ما قالت ولكن استحسنت صوتها واستجزته فحنت له

وهى قصيدة طويلة أولها

نأت أمّ عمرو فالفؤاد مشوق يحن اليها والهاً ويتوق

وفيها مما يغني فيه

سقى السَّرحة المحلال والأبرق الذى به السَّرح غيث دائم وبروق

فهل أنا ان عللت نفسى بسرحة من السرح موجود على طريق

وفد حميد على بعض خلفاء بني أمية فقال له ما جاء بك ؟ فقال

أتانى بك الله الذى فوق من ترى وخير ومعروف عليك دليل

ومطوية الأقراب أما نهارها فنَصّ وأما ليلها فذَميـــل

ويطوي عليَّ الليل حضينه انني لذاك اذا هاب الرجال فعول

وصف القطاة

اجتمع العُجَيز السلولي وأوس بن غَلْفاء الهُجَيْمى ومزاحم العقيلى والعباس بن يزيد بن الأسود الكندى وحميد بن ثور الهلالي فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه ومرَّ بهم سرب قطا ، فقال أحدهم تعالَوْا حتى نصف القطا ثم نتحاكم الى من نتراضى به فأينا كان أحسن وصفاً لها غلب أصحابه ، فتراهنوا على ذلك

فقال عُلَيل بن الحجاج الهُجَيمى

أما القَطاة فانى سوف أنعتها نعتاً يوافق منها بعض ما فيها

سَكّاء مخطومة فى ريشها طَرَق سود قوادمها صُفر خوافيها (١)

تتناش صفراً بأخوص بقنَّتها يكادياً زي على الدُّعموص آزيها (٢)

(١) السكك قصر الاذن وصغرها وهو أسك وهى سكاء والطرق فى الريش أن يكون بعضها فوق بعض (٢) تتناش تتناول بقية الماء والاخوص مجثم القطاة وهو الموضع الذى تفحص التراب عنه لتبيض فيه ويأزى يقل والدعموص الصغير من الضفادع

تسق رَذِيَّين بالموماة قوتهما ... فى ثغرة النحر من أعلى تَرَاقيها (١)
كأن مجلوزة قدام جؤجؤها ... أو جرو حنظلة لم يَغْدُ واعيها (٢)
تشتقُّ فى حيث لم تَنْفُذ مُصعَّدة ... ولم تُصوِّب الى أدنى مهاويها (٣)
حتى اذا استأنسا للوقت واحتضرت ... توجسا الوحى منها عند غاشيها (٤)
فرفعا من شئون غير ذاكية ... على لَدِيدَيْ أعالي المهد أَلْحِيها (٥)
مدا اليها بأفواه مزينة ... صُعْراً ليستنزلاها الرزق من فيها (٦)
كأنها حين مداها لجأنها ... طَلَى بوَاطنها بالوَرْس طاليها (٧)
حَثْلين رَضَّار فاض القَيْض عن زَغَب ... وُرْق أسافلها بيض أعاليها (٨)
تراًّدا حين قاما ثمت اختطيا ... على نحائف مُنآد محانيها (٩)
تكاد من لينها تنآد أسوُقها ... تأوُّد الرَّبْل لم تَعْرَم نوَاميها (١٠)
لا أشتكي نَوْشة (١١) الأيام من وَرَق ... الا الى من أرى أن سوف يُشكيها
ادلهم (١٢) مأثُرات قد عددن له ... ان المآثر معدود مساعيها
تَنمى به من بني لأى دعائمها ... ومن جُمانة (١٣) لم تخضع سواريها
بنى له فى بيوت المجد والده ... وليس من ليس يبنيها كبانيها

(١) الردى الساقط من الضعف يريد فرخيها (٢) الجؤجؤ الصدر وجرو الحنظل صغاره ولم يعد من العداء أى لم يعد عليها فيكسرها (٣) اشتق الطريق فى الفلاة مضى فيها
(٤) توجسا تسمعا وحيها وسرعة طيرانها وغاشيها أى حين تغشاهما وتنتهى اليهما
(٥) الذاكية الشديدة الحركة ولديداه جانباه والالحى جمع اللحى بالفتح وهو عظم الحنك الذى عليه الاسنان (٦) الصعر جمع الاصعر وهو ما فيه صعر أى ميل الى أحد الجانبين
(٧) لجأنها أى جنأت عليها بصدرها لتزقها ومعنى جنأت أكبت (٨) حثلين دقيقين ضاويين ورصا كسرا والرفاض ما ارفض وتفرق والقيض القشرة العليا اليابسة على البيضة
(٩) تراًدا تثنيا واختطيا دنوا ومنآد منعطف ومحانيها حيث انحنت (١٠) الربل ضرب من الشجر ينفطر آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر، وتعرم تشتد ونواميها أعاليها
(١١) النوشة التناول (١٢) هو ممدوحه من بنى لأى ثم من بنى الهجيم
(١٣) هو جمانة بن جرير وهو أخ لدلهم

وقال حميد أبياتاً وصف ناقته فيها ، ثم خرج الى صفة القطاة فقال

كما انقبضت كدراء تسقى فراخها ... بشمْطة رِفْها والمياهُ شُعوب (١)
غدت لم تصَعَّد فى السماء ودونها ... اذا ما علت أُهْوِيَّة ولُهوب (٢)
قرينة سبع أن تواترن مرة ... ضربن فصفَّت أرؤس وجنُوب (٣)
فجاءت وما جاء القطا ثم قلَّصَت (٤) ... بمفْحصها والواردات تنوب
وجاءت ومسقاها الذى وردت به ... الى الصدر مسرود العظام كتيب (٥)
تبادر أطفالا مساكين دونها ... بلالا تخطاه العيون رغيب
وصفن لها مُزْناً بأرض تنوفة ... فما هى الا نَهْلة وتؤب

وقال العباس بن يزيد بن الأسود

حذَّاء مدبرة سكَّاء مقبلة ... للماء فى النحر منها نَوْطة عجب (٦)
تسقى أُزيغب تُرْويه مُجاجتها ... وذاك من ظمأة من ظِمْئها شَرَب (٧)
منْهَرت الشدق لم تنبت قوادمه ... فى حاجب العين من تسبيده زَبَب (٨)
تدعو القطا بقصير الخطو ليس له ... قدام منحرها ريش ولا زَغَب
تدعو القطا وبه تدعى اذا انتسبت ... يا صدقها حين تدعوه وتنتسب

وقال مزاحم العقيلى

اذاك أم كُدْرية هاج وِرْدَها ... من القيظ يوم واقد (٩) وسَموم

---

(١) انقبضت انقضت وشمظة موضع والرفه بالكسر أقصر الورد وأسرعه
(٢) الاهوية الوهدة العميقة واللهوب جمع لهب وهو مهواة ما بين كل جبلين
(٣) تواترت القطا جاءت بعضها خلف بعض ولم يجئن مصطفات وصف الطائر جناحيه فى السماء بسطهما ولم يحركهما (٤) قلصت انضمت (٥) كتب السقاء يكتبه خرزه بسيرين فهو كتيب
(٦) حذاء قليلة ريش الذنب والنوطة الحوصلة (٧) المجاجة ما تلقيه من فيها والشربة كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء فيكون ربها فتتروي منه وجمعه شرب والظمء مابين الشربين والوردين (٨) منهرت الشدق واسعه والزبب كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين وسبد الفرخ بدا ريشه وشوك (٩) شديدة الحر

غدت كنواة القَسْب لا مضمحلة ... وَنَاة [١] ولا عجلى الفتور سؤوم
تواشك رجع المنكبين وترتمى ... الى كَلْكَل [٢] للهاديات قدوم
فما انخفضت حتى رأت ما يسرها ... وفيء الضحى قد مال وهو ذميم
أباطح وانتصت [٣] على حيث تستقى ... بها شَرَك للواردات مقيم
سقتها سيول المُدْجنات فأصبحت ... علاجيم [٤] تجرى مرة وتدوم
دعت باسمها حين استقت فاستقلها ... قوادم حُجْن ريشهن مليم
تجوز كحق الهاجرية [٥] زانه ... بأطراف عود الفارسى وُشوم
لتسقى زُغْباً بالتَّنوفة لم يكن ... خلاف مُوَلاَّها لهن حميم
ترائك [٦] بالأرض الفلاة ومن يَدَع ... بمنزلها الأولاد فهو مُليم
اذا استقبلتها الريح طَمَّت رفيقة ... ومن بهوًى كالكراث جثوم
يواطئن وَقْصاء القفا وحشة الشَّوَى ... بدعوى القطا لحن لهن قديم
فبتن قريرات العيون وقد جرى ... عليهن شرب فاستقين منيم
صبيب سقاء نيط قد بركت به ... معاودة سقى الفراخ رَءُوم

وقال العجير

سأغلب والسماء ومن بناها ... قَطاة مزاحم ومن انتحاها
قطاة مزاحم وأبى المثنى ... على خرزية صُلْب شَوَاها
غدت كالقطرة السفواء تهوي ... أمام مجلجل زَجِل نفاها
تكفأ كالجمانة لا تبالي ... أبالوماة أضحت أم سواها
نبت منها العجيزة فاحزألَّت ... ونيس للتفتل منكباها
كأن كعوبها أطراف نبل ... كساها الرازقية من براها

(١) بطيئة القيام والقعود والمشى (٢) الكلكل الصدر والهاديات الاعناق
(٣) انتصب استوى واستقام (٤) العلجوم الماء الغمر (٥) يعنى حق الطير شبه حوصلتها به والوشوم يعنى النقبة التى فى صدرها (٦) جمع ترك بمعنى متروك

ونحا كموا الى ليلى الأخيلية أيهم أحسن وصفاً لها ، فقالت

ألا كل ما قال الرواة وأنشدوا بها غير ما قال السَّلُولي بهرَّج

وحكمت له

الصمة القشيرى

هو الصَّمة بن عبد الله بن الطُّفيل بن قُرَّة من قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة

شاعر اسلامى بدوي مقلّ من شعراء الدولة الأموية ، وجده قُرَّة بن هُبَيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم فأسلم وقال يا رسول الله انا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ذا عقلا

هوى الصمة امرأة من قومه ثم من بنات عمه دفْياً يقال لها العامرية بنت غُطَيف بن حبيب بن قرة فاشتط عليه عمه فى المهر فسأل أباه أن يعاونه فى المهر وكان كثير المال فلم يُعنه بشيء ، فسأل عشيرته فأعطَوْه ، فأتى بالابل عمه ، فقال لاأقبل هذه فى مهر ابنتى فاسأل أبك أن يبدلها لك ، فسأل ذلك أباه فأبى عليه ، فلما رأى ذلك من فعلها قطع عُقُلها وخلاها فعاد كل بعير منها الى الافه وتحمل الصمة راحلا ، فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل تالله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة ، ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر فقال وقد طال مقامه واشتاقها وندم على فعله

حننتَ الى ريَّا ونفسُك باعدت مزارك من ريَّا وشَعْبا كما معا

فما حسن أن تأتى الأمر طائعاً وتجزعَ أن داعى الصَّبابة أسمعا

قفا ودعا نجداً ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن يودعا

بنفسي تلك الارض ما أطيب الربا ... وما أحسن المصطاف والمتربعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا ... وجالت بنات الشوق يحنن نزّعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفتُّ نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... علي كبدي من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع ... اليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

وقال فيها

لعمري لئن كنتم على النأي والقلى ... بكم مثل مابي انني لصديق
اذا زفرات الحب صعّدن في الحشى ... رُددن ولم تنهج لهن طريق

وقال فيها أيضاً

اذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم ... أتتنا بريّاكم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبرا ... وريح الخزامى باكرتها جنوبها

وقال فيها

هل تجزيني العامرية موقفي ... على نسوة بين الحمى وغضى الجمر
مررن بأسباب الصبا فذكرنها ... فأومأت اذ مامن جواب ولا نكر

ومن قوله

ألا تسألان الله أن يسقي الحمي ... بلى فسقى الله الحمى والمطاليا
وأسأل من لاقيت هل مطر الحمى ... فهل يسألنّ عني الحمى كيف حاليا

وقال

تعز بصبر لا وجدك لا ترى ... سنام الحمى أخرى الليالي الغوابر
كأن فؤادي من تذكره الحمى ... وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

وكان ابن الاعرابى يستحسن قوله[1]

أما وجلال الله لو تذكرينني ... كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت بلى والله ذكر لو أنه ... يصب على صم الصفا لتصدعا

ومن جيد قوله

اذا نأت لم تفارقني عُلالتها ... وان دنت فصدود العاتب الزارى

فحال عينيّ من يوميك واحدة ... تبكي لفرط صدود أو نوي دار

يزيد ابن الطثرية

هو يزيد بن سَلَمة من بنى قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ، والطَّثَرية أُمه من الطثر وهم حي من اليمن عدادهم فى جَرْم ، ويكنى أبا المكشوح وكان يلقب « مُودِقاً » لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه فكانوا يقولون اذا جلس بين النساء أودق ، وكان يقول من أُفحم عند النساء فليُنْشد من شعري ، وكان كثيراً ما يتحدث الى النساء ، قالت سعاد بنت يزيد كان من أحسن من مضى وجهاً وأطيبه حديثاً وان النساء كانت مفتونة به ، وان الناس أمحلوا حتى ذهبت الدقيقة من المال وتهتكت الجليلة ، فأقبل صِرْم من جَرْم ساقته السَّنة والجدب من بلاده الى بلاد بني قُشَير « وكان بينهم وبين قشير حرب عظيمة » فلم يجدوا بُدًّا من رمى قشير بأنفسهم لما قد ساقهم من الجدب والمجاعة ودقة الأموال وما أشرفوا عليه من الهلكة ، ووقع الربيع فى بلاد بني قشير فنتجعها الناس وطلبوها ، فلم يعد أن لقيت جرم قشيراً فنصبت قشير لهم الحرب ، فقالت جرم انما جئنا مستجيرين غير محاربين « قالوا مما ذاقوا من السنة والجدب والهلكة التى لا باقية لها » فأجارتهم قشير وسالمتهم وأرعتهم طَرَفاً من بلادها ، وكان فى جَرْم فتى يقال له مَيّاد وكان غَزِلاً حسن الوجه تام القامة آخذاً بقلوب النساء

(١) الصحيح أنهما لقيس بن ذريح

« والغَزَل فى جَرْم جائز حسن وهو فى قشير نائرة » فلما نازلت جرم قشيراً وجاورتها أصبح مياد الجرمى فغدا الى القشيريات يطلب منهن الغزل والصبا والحديث واستبراز الفتيات عند غيبة الرجال واشتغالهم بالسقى والرعية وما أشبه ذلك ، فدفعنه عنهن وأسمعنه ما يكره ، وراحت رجالهن عليهن وهن مغضبات ، فقال عجائز منهن والله ما ندري أأرعيتم جرما المرعى أم أرعيتموهم نساءكم ؟ فاشتد ذلك عليهم فقالوا وما أدْرا كُنَّه ؟ قلن رجل منذ اليوم ظل محجراً لنا ما يطلع منا رأس واحدة يدور بين بيوتنا ، فقال بعضهم لبعض بيتوا جرماً فاصطلموها ، وقال بعضهم قبيح ، قوم قد سقيتموهم مياهكم وأرعيتموهم مراعيكم وخلطتموهم بأنفسكم وأجرتموهم من القحط والسنة تفتاتون عليهم هذا الافتيات ، لا تفعلوا ولكن تصبحون وتقدمون الى هؤلاء القوم فى هذا الرجل فانه سفيه من سفهائهم فليأخذوا على يديه فان يفعلوا فأتموا لهم احسانكم وان يمتنعوا ويقروا ما كان منه يحل لكم البسط عليهم وتخرجوا من ذمتهم ، فأجمعوا على ذلك ، فلما أصبحوا غدا نفر منهم الى جرم ، فقالوا ما هذه البدعة التي قد جاورتمونا بها ؟ ان كانت هذه البدعة سجية لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء فبرزوا عنا أنفسكم وأذنوا بحرب ، وان كانت افتئاتاً فغيروا على من فعله ، فانهم لم يعدوا أن قالوا لجرم ذلك فقام رجال من جرم وقالوا ما هذا الذي نالكم ؟ قالوا رجل منكم أمس ظلَّ يجرّ أذياله بين أبياتنا ماندرى علام كان أمره ، فقهقهت جَرم من جفاء القشيريين وتجرفيتهم وقالوا انكم لتُحسون من نسائكم ببلاء ألا فابعثوا الى بيوتنا رجلاً ورجلاً ، فقالوا والله ما نُحِسّ من نسائنا ببلاء وما نعرف عنهن الا العفة والكرم ولكن فيكم الذى قلتم ، قالوا فانا نبعث رجلاً الى بيوتكم يا بني قشير اذا غدت الرجال وأخلف النساء وتبعثون رجلاً الى بيوتنا ونتحالف أنه لا يتقدم رجل منا الى زوجة ولا أخت ولا بنت ولا يعلمها بشيء مما دار بين القوم فيضلّ كلاهما فى بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشياً

الماء ونخلى لها البيوت ولا تبرز عليها امرأة ولا تصادق منهما واحداً فيقبل منها صَرْفاً ولا عدلاً الا بموثق يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها ، قالوا اللهم نعم ، فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم حتى اذا كان من الغد غَدَوْا الى الماء وتحالفوا أنه لا يعود الى البيوت منهم أحد دون الليل ، وغدا مياد الجرمى الى القشيريات وغدا يزيد ابن الطثرية القشيري الى الجرميات فظل عندهن بأكرم مَظَلّ لا يصير الى واحدة منهن الا افتتنت به وتابعته الى المودة والاخاء وقبض منها رهناً وسألته ألاّ يدخل من بيوت جرم الا بيتها ، فيقول لها وأى شيء تخافين ؟ وقد أخذتِ مني المواثيق وليس لأحد في قلبي نصيب غيرك ، حتى صليت العصر ، فانصرف يزيد بفَتَخ وبراقع وانصرف مكحولاً مدهوناً شبعان رَيَّان مُرَجّل اللِّمة ، وظل مياد الجرمى يدور بين بيوت القشيريات مَرْجوماً مُقْصًى لا يتقرب الى بيت الا استقبلته الولائد بالعَمَد والجندل ، فتهالك لهن وظن أنه ارتياد منهن له حتى أخذه ضرب كثير بالجندل ورأى اليأس منهن وجهده العطش ، فانصرف حتى جاء الى سَمُرة قريباً الى نصف النهار فتوسد يديه ونام تحتها نومة حتى أفرجت عنه الظهيرة وفاءه الأظلال وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبرد عطشه قليلاً ثم قرب الى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد فوجد أمة تذود غنماً فى بعض الظعن فأخذ برقعها فقال برقع واحدة من نسائكم فطرحه بين يدي القوم وجاءت الأمة تعدو فتعلقت ببرقعها فرد عليها وخجل مياد خجلاً شديداً ، وجاء يزيد ممسياً وقد كاد القوم أن يتفرقوا فنثر كمه بين أيديهم ملآن براقع وفَتَخاً ، وقد حلف القوم ألاّ يعرف رجل شيئاً الا رفعه ، فلما نثر ما معه اسوَدَّت وجوه جرم وأمسكوا بأيديهم إمساكة ، فقالت قشير أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من المواثيق وتحرج الأموال والأهل ، فمن شاء أن ينصرف الى حرام فليمسك يده ، فبسط كل رجل يده الى ما عرف ، فأخذه وتفرقوا عن حرب وقالوا هذه مكيدة يا قشير ، فقال فى ذلك يزيد ابن الطثرية

فان شئت يا مَيّاد زرنا وزرتم ولم تُنفس الدنيا على من يصيبها
أيذهب مياد بألباب نسوتي ونسوة مياد صحيح قلوبها

وقال مياد

لعمرك ان جمع بني قشير لجرم في يزيد لظالمونا
أليس الظلم أن أبك منا وأنك فى كتيبة آخرينا
أحالمة عليك بنو قشير يمين الصبر أم متحرجونا

وبلي يزيد بعشق جارية من جَرْم فى ذلك اليوم يقال لها وحشية وكانت من أحسن النساء ، ونا رتهم جرم فلم يجد اليها سبيلا ، فصار من العشق الى أن أشرف على الموت واشتد به الجهد فجاء اليه ابن عم له يقال له خليفة بن بوزَل بعد اختلاف الأطباء اليه يأسهم منه ، فقال يا ابن عم قد تعلم أنه ليس الى هذه المرأة سبيل وأن المزي أجمل فما أرَى لك فى أن تقتل نفسك وتأثم بربك ؛ قال وما همي يا ابن عم بنفسي ، ، ما لي فيها أمر ولا نهى ولا همي الا نفس الجرمية فان كنت تريد حياتي فأتنها ، قال كيف الحيلة ؟ قال تحملني اليها ، فحمله اليها وهو لا يطمع في الجرمية الا أنهم كانوا اذا قلوا له نذهب بك الى وحشية أبلّ قليلا وراجع وطمع واذا أيس منها اشتد به الوجع ، فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلل به اليمن حتى اذا دخل فى قبيلة انتسب الى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة ، وأل حتى صلح بعض الصلاح وطمع فيه ابن عمه وصار بعد زمان الى حى وحشية فلقى الرعيان وكنا فى جبل من الجبال ، فجعل خليفة ينزل فيتعرض لرعيان الشاة فيسألهم عن راعى وحشية رحالها حتى لقى غلامها وغنمها فواعدهم موعداً وسألهم ما حال وحشية ؟ فقال غلامها هى و لله بشر لا حفظ الله بنى قشير ولا يوما رأيناهم فيه فما زالت عليلة منذ رأيناهم ، وكان بها طَرف مما بابن العثرية ، فقال ويحك فان ههنا انساناً يداويها فلا تقل لأحد غيرها ، قال نعم ان شاء الله تعالى ، فأعلمها الراعى ما قال له الرجل

حين صار اليها ، فقالت له ويلك فجيء به ، ثم انه خرج فلقيه الغد فأعلمه وظل عنده يرعى غنمه وتأخر عن الشاة حتى تقدمته الشاة وجنح الليل وانحدر بين يدي غنمه حتى أراحوا ، ومشى فيها يزيد حتى قربت من البيت على أربع وتجلل شملة سوداء بلون شاة من الغنم ، فصار الى وحشية فسرت به سروراً شديداً وأدخلته ستراً لها وجمعت عليه من الغد من تثق به من صواحباتها وأترابها ، وكان قد عهد الى ابن عمه أن يقيم فى الجبل ثلاث ليال فان لم يره فلينصرف ، فأقام يزيد عندها ثلاث ليال ورجع الى أصح مما كان عليه ثم انصرف فصار الى صاحبه ، فقال ما وراءك يا يزيد ؟ ورأي من سروره وطيب نفسه ماسره فقال

لوانك شاهدت الصبا يا ابن بوزل ... بجزع الغضا اذا راجعتني غياطله
بأسفل حل الملح اذ دَيْن ذى الهوى ... مؤدًّى واذ خير الوصال أوائله
لشاهدت يوماً بعد شحط من النوى ... وبعد تنائى الدار حلواً شمائله
ألا حبذا عيناك يا أم شَنْبَل ... اذ الكحل فى جفنيهما جال جائله
فداك من الخلان كل مَمَزَّج[1] ... تكون لأدنى من يلاقى وسائله
فرحنا تلقانا به أم شنبل ... ضُحَيًّا وأبكتنا عشياً أصائله
وكنت كأني حين كان كلامها ... وداعاً وخلى موثق العهد حمله
رهيناً بنفس لم تفك كبوله ... عن الساق حتى جرد السيف قاتله
فقلت دعوني سجدتين وأرعدت ... حذار الردى أحشاؤه ومفاصله

ومن هذه القصيدة

بنفسي من لو مرَّ برد بنانه ... على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني فى كل أمر وهبته ... فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

(١) الممزج الذى لا يثبت على خلق

وكتب يزيد الى وحشية

أحبك أطراف النهار بشاشة ... وبالليل يدعوني الهوى فأجيب

لئن أصبحت ريح المودة بيننا ... شمالاً لقِدْما كنت وهي جنوب

فأجابته بقولها

أحبك حب اليأس ان نفع الحيا ... وان لم يكن لي من هواك طبيب

تزاور قوم من بنى نمير وقوم من بنى جعفر ، فزار شبان من بنى جعفر بيوت بنى تمير فقبلوا وحدثوا وزار بنو نمير بنى جعفر فلم يقبلوا فاستنجدوا ابن الطثرية فزار معهم بيوت بنى جعفر فأنشدهن وحدثهن فأعجبن به واجتمعن اليه من البيوت فتوعد بنو جعفر ابن الطثرية ، فتتاركوا وأمسك بعضهم عن بعض ، فأرسلت أسماء الجعفرية الى ابن الطثرية ألاَّ تقطعنى وان منعت فانى سأتخلص الى لقائك فأنشأ يقول

خليليَّ بين المنحنى من مُخَمَّر ... وبين الحمى من عَرْفَجاء المقابل

قفا بين أعناق الهوى لمُرَيَّة ... جنوب تداوى كل شوق مماطل

لكيما أرى أسماء أو لتَمَسَّنى ... رياح بريَّاها لِذَاذ الشمائل

لقد جادلت أسماء دونك باللوى ... عيون العدى سقياً لها من مجادل

ودسَّتْ رسولاً ان حولي عصابة ... هم الحرب فاستبطن سلاح المقاتل

عشية مالي من نصير بأرضها ... سوى السيف ضمته الى حمائلى

فيأيها الواشون بالغش بيننا ... فُرَادى ومَثْنَى من عدو وعاذل

دعوهن يتبعن الهوى وتبادلوا ... بنا ليس بأس بيننا بالتبادل

تروا حين نأتيهن نحن وأنتمُ ... لمن وعلى مَنْ وطأة المتثاقل

ومن عُرِّيت للهو قِدْماً ركابه ... وشاعت قوافي شعره فى القبائل

تبرز وجوه السابقين وتختلط ... على المقرف الكابى غبار القنابل

فان تمنعوا أسماء أو يك نفعها لكم أو تدِبُّوا بيننا بالغوائل
فان تمنعوني أن أعلل صحبتي على كل شر من مدى العين قابل

كان يزيد شريفاً متلافاً يغشاه الدين فاذا أخذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر، ثم انه كثر عليه دين لمولى لعقبة بن شريك الحَرَشي يقال له البربري فحبسه له عقبة بالعقيق من بلاد بني عقيل وعقبة عليها يومئذ أمير، فقال في السجن

قضى غرمائي حب أسماء بعد ما تجردت من مَطْل لهم وغرور
فلو قل دين البربري قضيته ولكن دين البربري كثير
وكنت اذا حلت عليَّ ديونهم أضم جَناحي منهمُ فأطير
عليَّ لهم في كل شهر أدية ثمانون وافٍ نقدها وجزُور
تحن الى ثور ففيم رحيلنا وثور علينا في الحياة صبور
أشد على ثور وثور اذ رأى بنا خَلَّة جَزْل العطاء غفور
فذلك دأبي ما بقيت وما مشى لثور على ظهر البلاد بعير

وله القصيدة التي أولها — أمسى الشباب مودعاً محموداً — وهي من جيد شعره يقول فيها

ومُذَله عند التبذل يفترى منها الوشاح مُخَصَّراً أُملودا
نازعتها غُنْم الصِّبا ان الصبا قد كان مني للكواعب عيدا
يا للرجال وانما يشكو الفتى مرّ الحوادث أو يكون جليدا
بكرت نوار تجذ باقية القوى يوم الفراق وتُخْلف الموعودا
ولرب أمر هوى يكون ندامة وسبيل مكرهة يكون رشيدا

ثم قال يفخر

لا أتقي حَسَك الضغائن بالرُّقَى فعل الذليل وان بقيت وحيدا
لكن أجرد للضغائن مثلها حتى تموت وللحقود حقودا

ومنها يخاطب عقبة بن شريك

يا عُقْبَ قد شُذِبَ اللِّحاء عن العصا ... عني وكنت مؤزراً محمودا

صل لي جناحي واتخذني عدة ... ترمى به المتعاشي الصنديدا

مرَّ يزيد بأعداء له فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الابل على أثره. فخشى أن يدركوه وكانت نفسه عنده أوثق من الراحلة فنزل فسبقهم عدواً وأدركوا الراحلة فعقروها، فقال في ذلك

ألا هل أتى ليلى على نأى دارها ... بأن لم أقاتل يوم صحراء مذودا

وأني أسلمت الركاب فعُقِّرَت ... وقد كنت مقداماً بسبق مفردا

أثرت فلم أسطع قتالاً ولا ترى ... أخا شيعة يوماً كآخر أوحدا

فهل تَصْرِمَنَّ الغانيات مودتي ... اذا قيل قد هاب المنون فعَرَّدا

كان يزيد صاحب غزل ومحادثة للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلهم شَعْراً وكان أخوه ثور كثير المال والنخل والرقيق وكان متنسكاً كثير الحج والصدقة كثير الملازمة لابله ونخله فلا يكاد يُلِمّ بالحى الا الفَلْتَة والوقعة وكانت ابله تَرِد مع الرعاء على أخيه يزيد فتسقى على عينه، فبينا يزيد ماراً فى الابل وقد صدر عن الماء اذ مرَّ بخباء فيه نسوة من الحاضر، فلما رأينه قلن له يا يزيد أطعمنا لحماً، فقال أعطينى سكيناً فأعطينه ونحر لهن ناقة من ابل أخيه وبلغ الخبر أخاه، فلما جاء أخذ بشعره وفَسَّقَه وشتمه، فقال يزيد

يا ثور لا تَشْتُمَنْ عرضى فداك أبى ... فانما الشتم للقوم العواوير (١)

ما عَقْرُ ناب لأمثال الدُّمَى خُرُد ... عين كرام وأبكار معاصير (٢)

عطفن حولي يسألن القِرَى أُصُلاً ... وليس يَرْضَيْنَ منى بالمعاذير

(١) العوار بضم العين وتشديد الواو الضعيف الجبان وجمعه عواوير

(٢) المعاصير جمع معصر وهى المرأة بلغت شبابها

هبهن ضيفاً عراكم بعد هجعتكم ... فى قطقط[1] من سواد الليل منثور
وليس قربكمُ شاء ولا لبناً ... أيرحل الضيف عنكم غير مجبور
ما خيرُ واردة للماء صادرة ... لا تنجلي عن عقير الرجل منحور

استعدت جَرْم على ابن الطثرية في وحشية فكتب بها صاحب اليمامة الى ثور وأمره بأدبه ، فجعل عقوبته حلق لمته ، فقال يزيد

أقول لثور وهو يحلق لمتى ... بحَجْناء[2] مردودٌ عليها نصابها
ترفق بها يا ثور ليس ثوَابها ... بهذا ولكن غير هذا ثوَابها
ألا ربما يا ثور قد علّ وسطها ... أنامل رَخْصات حديث خِضابها
وتسلك مِدْرَى العاج فى مُدْلَهِمّة ... اذا لم تفرج مات غماً صُوَابها
فراح بها ثور تَرِفٌ كأنها ... سلاسل برق ليلها وانسكابها
منعمة كالشَّرْبة الفَرْد جادها ... تجاه الثريا هَطْلها وذَهابها
فأصبح رأسى كالصُّخيرة أشرفت ... عليها عُقاب ثم طارت عقابها

قتل يزيد ابن الطثرية في خلافة بنى العباس قتلته بنو حنيفة ، فقالت أخته زينب ترثيه

أرى الأثل من بطن العقيق مجاورى ... مقيماً وقد غالت يزيد غوائله
فتى قُدَّ قد السيف لا متضائل ... ولا رهـــل لبّاته وبآدله
فتى لا ترى قد القميص بخصره ... ولكنما توهى القميص كواهله
اذا نزل الضيفان كان عَذَوَّرا ... على الحى حتى تستقل مراجله
يسرك مظلوماً ويرضيك ظالماً ... وكل الذى حملته فهو حامله
اذا جد عند الظلم أرضاك جده ... وذو باطل ان شئت ألهاك باطله
اذا القوم أمّوا بيته فهو عامد ... لأفضل ما أمّوا له فهو فاعله

(١) القطقط المطر المتتابع العظيم القطر (٢) هى الموسى

مضى وورثناه دَرِيسَ مُفاضة وأبيض هندياً طويلاً حمائله
وقد كان يحمى المحجرين بسيفه ويبلغ أقصى حجرة الحى نائله
فتى ليس لابن العم كالذئب ازرأى بصاحبه يوماً دماً فهو آكله
سيبكيه مولاه اذا ما ترفعت عن الساق عند الروع يوماً ذلاذله[1]

وقال القحيف يرثيه

ألا تبكي سراة بنى قشير على صنديدها وعلى فتاها
فان يقتل يزيد فقد قتلنا سَراتهمُ الكهول على لحاها
أبا المكشوح بعدك من يحامى ومن يُزْجى المطىّ على وَجاها

عبد الله بن الحشرج

هو عبد الله بن الحَشْرَج بن الأشهب بن ورد الجعدى من جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر

كان عبد الله سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها ولى أكثر أعمال خُراسان ومن أعمال فارس وكرمان وكان جواد ممدحا ، وكان أبوه الحشرج سيداً شاعراً وأميراً كبيراً وكان غلب على قُهُستان زمن عبد الله بن خازم المسيبُ بن أبى أوفى القسري فقتل الحشرج وأخذ قهستان ، وكان عمه زياد بن الأشهب أيضاً شريفاً سيداً وكان قد سار الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يصلح بينه وبين معاوية على أن يوليه الشام فلم يجبه

جاء الى عبد الله وهو بقهستان رجل من قريش يقال له قدامة بن الاحرز فدخل عليه فأنشأ يقول

أخ وابن عم جاءكم متحرزاً فعَطْفاً على خلاته يا ابن حشرج

(١) الذلذال هدب الثوب

فأنت ابن ورد سدت غير مدافع ... معَدًّا على رغم المَنوط المعَلْهج (١)
فبرزت عفوًا اذ جريت ابن حشْرج ... وجاء سُكَيْتا كل أعقد أفحج (٢)
سبقت ابن ورد كل حاف وناعل ... يجد اذا جاء الأضاميم سُمَّحَج (٣)
بورد بن عمرو فُنِّهم ان مثله ... قليل ومن يشر المحامد يفلَج
هو الواهب الأموال والمشتري اللُّها ... وضراب رأس المستميت المدجج

فأعطاه أربعة آلاف درهم وقال اعذرنى يا ابن عمى فانى على حالة الله بها عليم من كثرة الطلاب وأنت أحق من عذرنى، قال والله لولم تعطنى شيئاً مع ما أعلمه من جميل رأيك فى عشيرتك ومن انقطع اليك لعذرتك فكيف وقد أجزلت العطاء وأرغمت الأعداء

كان لابن الحشرج ابن عم يقول للقَسْرى ويحك ليس عنده خير وهو يكذبك ويلمزك فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال

أطل حمل الشَّناءة لى وبغضى ... وعش ما شئت فانظر من تَضير
فما بيديك خيرٌ أرتجيه ... وغير صدودك الخطب الكبير
اذا أبصرتنى أعرضت عنى ... كأن الشمس من قبلى تدور
وكيف تعيب من تمشى فقيرا ... اليه حين تَحْزُبك الامور
ومن ان بعت منزلة بأخرى ... حللت بأمره وبه تسير
أتزعم أننى مَلِذ (٤) كذوب ... وأن المكرمات الى بور
وكيف أكون كذابا ملوذا ... وعندى يطلب الفرجَ الضرير
أواسى فى النوائب من أتانى ... ويخبرنى أخو الضر الفقير

(١) المعلهج الذى ليس بخالص النسب والمنوط الدعى (٢) الافحج المتكبر والاعقد الذى فى لسانه عقدة والسكيت بتشديد الكاف وتخفيفها آخر خيل الحلبة
(٣) الاضاميم جمع أضمامة وهى الجماعة يقال فرس سباق الاضاميم أى جماعات الخيل والفرس السمحج القباء غليظة اللحم المعتزة (٤) الملذ المتصنع الذى لا يصح وده بل يظهر النصح ويضمر غيره

أسرف ابن الحشرج في العطاء فقالت له امرأته لشد ما يتلاعب الشيطان بك وصرت من اخوانه مبذراً كما قال الله عز وجل « ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين » فقال لرفاعة بن روى النهدى وكان أخا له وصديقا يارفاعة ألا تسمع الى ما قالت هذه الوَرْهاء وما تتكلم به ؟ فقال صدقت والله وبَرَّت انك لمبذر وان المبذرين لاخوان الشياطين فقال ابن الحشرج في ذلك

متى يأتنا الغيث المغيث يجد لنا ... مكارم ما تعيا بأموالنا التُّلَد
مكارم ماجدنا به اذ تمنعت ... رجال وضنت فى الرَّخاء وفى الجهد
أردنا بما جدنا به من تِلادنا ... خلاف الذى يأتى خيار بنى نَهْد
تلوم على اتلافىَ المال خلتى ... ويُسْعدها نهد بن زيد على الزهد
أنهد بن زيد لست منكم فتُشْفقوا ... علىّ ولا منكم غَوَاى[1] ولا رشدى
أبَيت صغيرا ناشئاً ما أردتمُ ... وكهلا وحتى تبصرونى في اللحد
سأبذل مالى ان مالى ذخيرة ... لعقبي وما أجنى به ثمر الخلد
واست بمبكاء على الزاد باسل ... يهر على الازواد كالأسد الورد
ولكننى سمح بما حزت باذل ... لما كلفت كفاى فى الزمن الجحد
بذلك أوصانى الرُّقاد[2] وقبله ... أبوه بأن أعطى وأوفى بالعهد

ومن قوله فى ذلك

سأجعل مالي دون عرضى وقاية ... من الذم ان المال يَفْنى ويَنْفَد
ويبقى لى الجود اصطناع عشيرتي ... وغيرهمُ والجود عز مؤبد
ومتخذ ديناً علىّ سماحتى ... بمالى ونار البخل بالذم توقد
يبيد الفتى والحمد ليس ببائد ... ولكنه للمرء فضل مؤكد

(١) أراد غوايتى فحذف التاء للضرورة (٢) هو الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة وهو من عمومته وكان شجاعاً سيداً جواداً

ولا شيء يبقى للفتى غير جوده ... بما ملكت كفاه والقوم شهد
ولأمة في الجود نهنهت غربها ... وقلت لها يبني المكارم أحمد
فلما ألحت في الملامة واعترت ... بذلك غيظى واعتراها التبلد
فلجت وقالت أنت غاو مبذر ... قرينك شيطان مريد مفند
فقلت لها بيني فما فيك رغبة ... ولى عنك فى النسوان ظل ومقعد
وعيش أنيق والنساء معادن ... فمنهن غل شرها يتمرد
لها كل يوم فوق رأسى عارض ... من الشر براق يد الدهر يرعد
وأخرى يلذ العيش معها ضجيعها ... كريم يغاديها من الطير أسعد
فيا رجلا حرا خذ القصد واترك البلايا فان الموت للناس موعد
فعش ناعما واترك مقالة عاذل ... يلومك فى بذل الندى ويفند
وجد باللهى ان السماحة والندى ... هى الغاية القصوى وفيها التمجد
وحسب الفتى مجداً سماحة كفه ... وذى المجد محمود الفعال تمجد

فقالت له امرأته والله ما وفقك الله لحظك أنهبت مالك وبذرته وأعطيته هيان بن بيان وما تدرى من أينها فئة هو، فغضب فطلقها وكان لها محباً وبها معجبا فعنفه فيها ابن عم لها يقال له حنظلة بن الاشهب بن رميلة وقال له نصحتك فكافأتها بالطلاق فوالله ما وفقت لرشدك ولانالت حظك ولقد خاب سعيك بعدها عند ذوى الألباب فهلا مضيت لطيتك وجريت على ميدانك ولم تلتفت الى امرأة من أهل الجهالة والطيش لم تخلق للمشورة ولا مثل رأيها يهتدى به فقال ابن الحشرج لحنظلة

أحنظل دع عنك الذى نال ماله ... ليحمده الاقوام فى كل محفل
فكم من فقير بائس قد جبرته ... ومن عائل أغنيت بعد التبعل
ومن مرتق عن منهل الحق حائد ... علوت بعضب ذى غرارين منصل

وزارٍ علىّ الجود والجود شيمتى ... فقلت له دعنى وكن غير مفضل
فمثلك قد عاصيت دهراً ولم أكن ... لأسمع أقوال اللئيم المبخل
أبى لى جدى البخلَ مذ كان يافعاً ... صغيراً ومن يبخل يُلَمْ ويضالل
وتستغن عنه الناس فاركب محجة الـ ... ـكرام ودع ما أنت عنه بمعزل
ومستحمق غاو أتتـه نذيرتي ... فلج ولم يعرف مَعَرَّة مقولى
فانى امرؤ لا أصحب الدهر باخلا ... لئيما وخير الناس كل معـذل
نفحت ببيت يملأ الفم شارد ... له خـبر كأنه خير مقول
فكف ولولم أرمه شاع قوله ... وصار كُدْرِيق الذُّعاف المنَمَّل
وليل دَجُوجى سريت ظلامه ... بناجية كالبرق وَجْناء عَيْهل (١)
الى ملك من آل مروان ماجد ... كريم المحيّا سـيد منفضـل
يجود اذا ضنت قريش برفدها ... ويسبقها فى كل يوم تفَضُّل
أبوه أبو العاصى اذا الخيل شمرت ... فراها بمسنون الغرارين منجل
وقور اذا هاجت به الحرب مرجَم ... صبور عليها غير نكْس مهلَّل (٢)
أقام لأهل الأرض دين محمد ... وقد أدبروا وارتاب كل مضالل
فما زال حتى قوم الدين سيفُه ... وعزّ بحـزم كل قرم مُحَجل
وغادر أهل الشرك حتى كأنهم ... قتيل وناج فوق أجرد هيكل
نجا من رماح القوم قِدْما وقد بدا ... تباشيره فى العارض المتهالل

يعني بهذا المدح محمد بن مروان لما قتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق وكان محمد يقوم بأمره ويوَليه الأعمال ويشفع له الى أخيه عبد الملك

ومن قوله لابن عم له لامه فى إنهاب ماله وتبذيره إياه

وعاذلةٍ هبت بليـل تلومني ... وتعذُلنى فيما أُفيـد وأُتلف

(١) ناقة عيهلة وعيهل ضخمة عظيمة والوجناء الناقة الشديدة (٢) هلل جبن وفر

تلومنها حتى اذا هى أكثرت ... أتيت الذى كانت لدى توكف[1]
وقالت عليك الفخر أكثرت فى الندى ... ومثلي تحاماه الأراذل المغطرف
أبى لي ما قد سُمتنى غير واحد ... أب وجدود مجدها ليس يوصف
كهول وشبان مضوا لسبيلهم ... اذا ذكروا فالعين منى تذرف
هم الغيث ان ضنت سماء بقطرها ... وعندهمُ يرجو الحيا متلهف
وحرب يخاف الناس شدة حرها ... وطلّ[2] بأنواع المنية يصرف
حموها وقاموا بالسيوف لحيها ... اذا فنيت أضحت لهم وهى تعصف
فلما أبت الا طماحاً تنمروا ... بأسيافهم والقوم فيهم تعجرف
فذلت وأعطت بالقياد وأذعنت ... اذا ما اشتهى قومى وذو الذل ينصف
وكانت طموح الرأس يصرفُ نابها ... من الشر تارات وطوراً تثقفف[3]
فذرت طباقاً وارعوت بعد حملها ... وكنا زماناً للذى يتصلف

وقال لرفاعة النهدى فيما كان يلومه فيه من التبذير والجود

ألامُ على جودي وما خلت أننى ... ببذلي وجودي حِدْت عن منهل القصد
فيا لائمي فى الجود أقصر فاننى ... سأبذل مالي فى الرخاء وفى الجهد
وجدت الفتى يفنى وتبقى فعاله ... ولا شيء خير في الحديث من الحمد
وانى بالله احتيالي وحرقتي ... أصير جارى بين أحشاى والكبد
أرى حقه فى الناس ما عشت واجباً ... عليَّ وآتى ما أتيت على عمد
وصاحب صدق كان لي فقدته ... وصيرنى دهري الى سائق وَغْد
يلوم فعالي كل يوم وليلة ... ويعدو على الجيران كالأسد الوَرْد
يخالفنى فى كل حق وباطل ... ويأنف أن يمشى على منهج الرشد
فلما تمادى قلت غير مسامح ... له النهج فاركب يا عسيف بنى نهد

(١) التوكف التوقع والانتظار (٢) الطل الحية (٣) القفقفة الرعدة

مجنون بنى عامر

هو قيس بن الملوح بن مزاحم من عامر بن صعصعة

آراء منكري حديثه

قال أيوب بن عباية سألت بنى عامر بطناً بطناً عن مجنون بنى عامر فما وجدت أحداً يعرفه ، وقال ابن داب قلت لرجل من بنى عامر أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً ؟ قال أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين ؟ انهم لكثير ، فقلت ليس هؤلاء أعنى انما أعني مجنون بني عامر الذى قتله العشق ، فقال هيهات ، بنو عامر أغلظ اكباداً من ذاك ، انما يكون هذا فى هذه اليمانية الضعاف قلوبها السخيفة عقولها الصَّلعة رؤسها ، فاما نزار فلا ، وقال الاصمعى رجلان ما عرفا فى الدنيا قط الا باسم ، مجنون بنى عامر وابن القِرِّيَّة فانهما وضعهما الرواة ، وقال ابن الكلبى حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التى يرويها الناس للمجنون ونسبها اليه ، وقال عوانة المجنون اسم مستعار لا حقيقة له وليس له فى بنى عامر أصل ولا نسب ، فسئل من قال هذه الاشعار ؟ فقال فتى من بنى أمية ، وقال الجاحظ ما ترك الناس شعراً مجهول القائل قيل فى ليلى الا نسبوه الى المجنون ولا شعراً هذا سبيله قيل فى أُثَيَّ الا نسبوه الى قيس بن ذَرِيح ، وقال عوانة ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا ، ابن أبى العقب صاحب قصيدة الملاحم وابن القِرِّيَة ومجنون بني عامر ، وقال اسحاق أنشدت أيوب بن عباية هذين البيتين :

وخبرتمانى أن تَيْماء منزل ... لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت ... فما للنوى ترمى بليلى المراميا

وسألته عن قائلهما ، فقال جميل ، فقلت له ان الناس يروونهما للمجنون ، قال وما المجنون ؟ فأخبرته ، فقال ما لهذا حقيقة ولا سمعت به وأضاف اليهما أبو بكر العدوى

وانى لأخشى أن أموت فجاءة ... وفى النفس حاجات اليك كما هيا
وانى لينسينى لقاؤك كلما ... لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا
وقالوا به داء عياء أصابه ... وقد علمت نفسى مكان دوائيا

آراء مصححي حديثه

قال احمد بن زهير سمعت من لا أحصى يقول اسم المجنون قيس بن الملوح ، وروى الجوهرى وعمر بن شبة عن الأصمعى أنه قال وقد سئل عنه لم يكن مجنوناً وانما كانت به لوثة كلوثة أبى حية النميرى ، وقال سليمان بن نوفل سعيت على بنى عامر فرأيت المجنون وأتيت به وأنشدنى ، وقال المدائنى المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحب ليلى قيس بن معاذ من بني عامر ثم من بنى عقيل أحد بنى نمير ابن عامر بن عقيل ، ومنهم رجل آخر يقال له مهدى بن الملوح من بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وقال اسحق الموصلى اسم المجنون قيس بن معاذ أحد بنى جعدة ، وقال يونس النحوى ان اسمه قيس بن الملوح ، وقال ابو عمرو الشيبانى حدثنى رجل من اهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح ، وقال ابو عمرو الشيبانى حدثنى رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه فذكر أنه قيس بن الملوح ومثله لهشام بن محمد الكلبى وحدث أن أباه مات قبل اختلاطه فعقر على قبره ناقته وقال فى ذلك

عقرت على قبر الملوّح ناقتى ... بذى السرح لما أن جفاه الأقارب
وقلت لها كونى عقيراً فانني ... غدا راجل أمشى وبالأمس راكب
فلا يُبعدنْك الله يا ابن مزاحم ... فكل بكأس الموت لا بد شارب

وقال أبو زياد الكلابى ليلى صاحبة المجنون هى ليلى بنت سعد بن مهدى ، وقال الأصمعى هو القائل

أخذتْ محاسن كل ما ضَنّت محاسنه بحسنه
كاد الغزال يكونها لولا الشوَى ونشوز قرنه

وقال عمر بن شبّة سألت أعرابياً من بنى عامر عن المجنون العامرى ، فقال عن أيهم تسأل ؟ فقلت عن الذى كان يشبب بليلى ، فقال كلهم كان يشبب بليلى ، قلت فأنشدنى لبعضهم ، فأنشدنى لمزاحم بن الحرث المجنون

ألا أيها القلب الذى لَجّ هائما وليداً بليلى لم تقطع تمائمه
أفق قد أفاق العاشقون وقد أنى لك اليومَ ان تلقى طبيباً تلائمه
أجِدّك لا تُنسيك ليلى ملِمّة تُلِمّ ولا عهد يطول تقادمه

قلت فأنشدنى لغيره منهم ، فأنشدنى لمعاذ بن كليب المجنون

ألا طالما لاعبت ليلى وقادنى الى اللهو قلب للحسان تبوع
وطال امتراء الشوق عيني كلما نزَفت دموعاً تستجد دموع
فقد طال امساكي على الكبد التى بها من هوى ليلى الغداة صدوع

قلت فأنشدنى لغير هذين ممن ذكرت فأنشدنى لمهدى بن الملوّح

لو آن لك الدنيا وما عدلت به سواها وليلى حائن عنك بَينُها
لكنت الى ليلى فقيراً وانما يقود اليها ود نفسك حَينُها

قلت له فأنشدنى لمن بقى من هؤلاء ، فقال حسبك فو الله ان فى واحد من هؤلاء لمن يوزن بعقلائكم اليوم

قال ابن الاعرابى كان معاذ بن كاب مجنوناً وكان يحب ليلى ، وشَرِكه في حبها مُزاحم بن الحرث العُقيلى ، فقال مزاحم يوماً للمجنون

كلانا يا معاذ يحب ليلى بفِيّ وفيك من ليلى التراب

شركتك في هوى من كان حظى وحظك من مودتها العذاب
لقد خبلت فؤادك ثم ثنت بعقلى فهو مخبول مصاب

فيقال أنه لما سمع هذه الأبيات التبس وخولط فى عقله

قال أبو الفرج رحمه الله وأنا أذكر مما وقع إلىّ من أخباره جملاً مستحسنة متبرئاً من العهدة فيها فان أكثر أشعاره المذكورة فى أخباره ينسبها بعض الرواة الى غيره وينسبها من حكيت عنه اليه ، واذ اقدمت هذه الشريطة برئت من عيب طاعن ومتبع للعيوب ، كان المجنون وليلى وهما صبيان يرعيان غنما لأهلهما عند جبل فى بلادهما يقال له التوباذ ، فلما ذهب عقله وتوحش كان يجىء الى ذلك الجبل فيقيم به فاذا تذكر أيام كان يطيف هو وليلى به جزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتى نواحى الشام فاذا ثاب اليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم بأبى أنتم أين التوباذ من أرض بني عامر ؟ فيقال له وأين أنت من أرض بنى عامر ؟ أنت بالشام عليك بنجم كذا فأمه ، فيمضي وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن فيري بلاداً ينكرها وقوما لا يعرفهم فيسألهم عن التوباذ وأرض بنى عامر ، فيقولون وأين أنت من أرض بنى عامر ؟ عليك بنجم كذا وكذا فلا يزال كذلك حتي يقع على التوباذ فاذا رآه قال

وأجهشت [1] للتوباذ لما رأيته وكبر للرحمن حين رآنى
وأذرفت دمع العين لما رأيته ونادى بأعلى صوته فدعانى
فقلت له أين الذين عهدتهم حواليك فى أمن وخفض زمان
فقال مضوا واستودعونى بلادهم ومن ذا الذى يبقى على الحدثان
وانى لأبكى اليوم من حذرى غدا فراقك والحيان مجتمعان
سجالاً وتهتاناً ووبلاً ودِيمة وسحًا وتسجاماً وتنهملان

(١) الجهش أن يفزع الانسان الى غيره وهو مع ذلك متهيء للبكاء كالصبي يفزع الى أمه وقد تهيأ للبكاء

قالوا علق قيس ليلى وهما صبيان فلم يزالا كذلك حتى كبرا ، فحجبت عنه ويدل على ذلك قوله

تعلقت ليلى وهى ذات ذُؤابة ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حَجْم
صغيرين نرعى البَهْم ياليت أننا الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البَهْم

ولما شهر بحبها وتناشد الناس شعره فيها خطبها وخطبها ورد بن محمد العقيلى فقال أهلها نحن مخيروها ودخلوا اليها فقالوا والله لئن لم تختارى وردا لنمثلن بك فقال المجنون

ألا ياليل ان ملكت فينا خيارَك فانظرى لمن الخيار
ولا تستبدلى منى دَنيّا ولا بَرَما[1] اذا حُشّ القُتار
يهرول فى الصغير اذا رآه وتُعْجزه مُلمّات كبار
فمثل تأيّم منه نكاح ومثل تمول منه افتقار

فاختارت ورداً فتزوجته على كره منها ، فيقال انه فقد عقله الا أن تذكر له ليلى ، ومن قوله فى ذلك

أيا وَيْحَ من أمسى تُخُلِّس عقله فأصبح مذهوبا به كل مذهب
خليًا من الخلان الا معذراً يضاحكنى من كان يهوَى تجنبي
اذا ذكرت ليلي عقلت وراجعت روائع عقلى من هَوًى متشعّب
وقالوا صحيح ما به طيف جِنّة ولا الهم الا بافتراء التكذب
وشاهد وجدى دمعُ عينى وحبها بَرَى اللحم عن أحناء عظمي ومنكبي
تجنبتَ ليلى أن يلِجَّ بك الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب
ألا انما غادرت يا أم مالك صَدًى أينما تذهب به الريح يذهب

ومنها

فلم أر ليلى بعد موقف ساعة بخَيْفِ منًى ترمى جِمار المحَصَّب

(١) البرم من لا يدخل مع القوم فى الميسر والقتار الدخان من الطبوخ وحش النار أوقدها

ويبدي الحصا منها اذا فذفت به ... من البُرد أطراف البَنان المخضَّب
فأصبحتَ من ليلى الغدةَ كناظر ... مع الصبح فى أعقاب نجم مغرِّب

ومما أنشد له فيها

فوالله ثم الله انى لدائب ... أفكر ما ذنبى اليها وأعجب
ووالله ما أدرى علام قتلتنى ... وأى أمورى فيك ياليلَ اركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه ... أم أشرب رَنْقا منكم ليس يشرب
أمَ أهرُب حتى لا أرى لى مجاورا ... أمَ اصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيهما ياليـل ما ترتضينـه ... فانى لمظلوم وانى لمُعتب

وخرج به أبوه حاجا لعله يسلو ، فسمع بالليل صارخاً يقول يا ليلى فغشى عليه ، ولما أفاق قال

عرضت على قلبى العزاء فقال لي ... من الآن فايأس لا أعزك من صبر
اذا بان من تهوَى وأصبح نائيا ... فلاشيء أجدَى من حلولك فى القبر
وداعٍ دعا اذ نحن بالخَيف من منى ... فهيَّج أطراب الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليـلى غيرها فكأنما ... أطارَ بليلى طائرا كان فى صدرى
دعا باسم ليـلى ضلل الله سعيه ... وليلى بأرض عنـه نازحةٍ قفْر

ثم قال له أبوه تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليـلى ، فتعلق بأستار الكعبة وقال اللهم زدنى لليلى حبا وبها كلفا ولا تنسنى ذكرها أبداً ، فهام حينئذ واختاط فلم يضبط ، فكان يهيم فى البرية مع الوحش ولا يأكل الا ما ينبت فى البرية من بقل ولا يشرب الا مع الظباء اذا وردت مناهلها ، وطال شعر جسده ورأسه وألفته الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه ، وجعل يهيم حتى يبلغ حدود الشام فاذا ثاب اليه عقله سأل من يمر به من أحياء العرب عن نجد ، فيقال له وأين أنت من نجد ؟ قد شارفت الشام أنت فى موضع كذا ، فيقول

فأروني وجهة الطريق فيرحمونه ويعرضون عليه أن يحملوه ويكسوه فأبى ، فيدلونه على طريق نجد فيتوجه نحوه

وقال وقد مرَّ بجبلي نعمان وكانت ليلى تنزل بهما

أيا جبلي نَعْمان بالله خلّيا ... نسيم الصبا يَخْلُص الىّ نسيمها
أجدْ بردها أو تَشْفِ منى حرارة ... على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست ... على نفس محزون تجلت همومها

ومضى الى منزل ليلى فوقف به طويلا يتبع آثارها ويبكى ثم قال

يا صاحبىّ ألمّا بى بمنزلة ... قد مرَّ حين عليها أيما حين
انى أرى رَجَعات الحب تقتلني ... وكان في بدئها ما كان يكفينى
لا خير فى الحب ليست فيه قارعة ... كأن صاحبها فى نزع موتون
ان قال عقل له مهلا فلان لهم ... قال الهوى غير هذا القول يغنينى
ألقى من الحب تارات فتقتلني ... وللرجاء بشاشات فتحيينى

قال الاصمعى لم يكن قيس مجنونا انما جننه العشق وأنشد له

يسمونني المجنون حين يَرَوْنني ... نعم بىَ من ليلى الغداةَ جنون
ليالى يزهى بى شباب وشدة ... واذ بى من خفض المعيشة لين

وقال فى ذلك

وانى لمجنون بليلى موكل ... ولست عزُوفا من هواها ولا جَلْدا
اذا ذكرت ليلى بكيت صبابة ... لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

وقال

وبى من هوى ليلى الذى لو أبثّه ... جماعة أعدائى بكت لى عيونها
أرى النفس عن ليلى أبت أن تطيعني ... فقد جُنّ من وجدى بليلى جنونها

ومما أنشد له

وشُغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان فيك فانه شغلى
وأديم لحظ محدثى ليرى ... أن قد فهمت وعندكم عقلى

وأنشد له أبو عمرو

ألا ما لليلى لا تُرَى عند مضجعى ... بليل ولا يجرى بذلك طائر
بلى ان عُجْم الطير تجرى اذا جرت ... بليلى ولكن ليس للطير زاجر
أزالت عن العهد الذى كان بيننا ... بذى الأثل أم قد غيرتها المقادر
فوالله ما فى القرب لى منك راحة ... ولا البعد يُسلينى ولا أنا صابر
ووالله ما أدرى بأية حيلة ... وأى مرام أو خِطار أخاطر
وتالله ان الدهر فى ذات بيننا ... علىّ لها فى كل حال لجائر
فلو كنتِ اذ أزمعتِ هجرى تركتنى ... جميعَ القوى والعقلُ منى وافر
ولكن أيامى بحقل عُنَيزة ... وبالرَّضم أيام جناها التجاور
وقد أصبح الود الذى كان بيننا ... أمانىَّ نفس والمؤمل حائر
لعمرى لقد رَنَّقت يا أم مالك ... حياتى وساقتنى اليك المقادر

وأكثر قومه فى عذله فقال

يا لَلرِّجال لهم بات يعرونى ... مستطرف وقديما كان يعنينى
على غريم ملىء غير ذى عدم ... يأبى فيَمْطُلنى دينى ويلوينى
لا يذكر البعض من دينى فينكره ... ولا يحدثنى أنْ سوف يقضينى
وما كشكرى شكر لو يوافقنى ... ولا مُنىَّ كمناه اذ يُمَنِّينى
أطعته وعصيت الناس كلهم ... فى أمره ثم يأبى فهو يعصينى
خيرى لمن يبتغى خيرى ويأمُله ... من دون شرى وشرى غير مأمون
وما أشارك فى رأى أخا ضعف ... ولا أقول أخى من لا يواتينى

ومما قاله وقد مرَّ ببابها فلم يلتفت اليه وجاوزه

ألا أيها البيت الذى لا أزوره ... وان حله شخص الى حبيب
هجرتك اشفاقاً وزرتك خائفاً ... وفيك علىّ الدهر منك رقيب
سأستعتب الأيام فيك لعلها ... بيوم سرور فى الزمان تؤوب

وبلغه أن أهلها يريدون نقلها الى الثقفى فقال

كأن القلب ليلة قيل يُغْدى ... بليلى العامرية أو يُراح
قطاة عزَّها شَرَكٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

ولما نقلت اليه قال

طربتَ وشاقتك الحمول الدوافع ... غداة دعا بالبين أسْحَمُ نازع
شحافاه (١) نعْباً بالفراق كأنه ... حَرِيب سَلِيب نازح الدار جازع
فقلت ألا قد بين الأمر فانصرف ... فقد راعنا بالبين قبلك رائع
سُقِيتَ سموماً من غراب فانني ... تبينت ما خبرت مذ أنت واقع
ألم ترَ أنى لا محب ألومه ... ولا بديل بعدهم أنا قانع
وقد يتنادى الألف من بعد الفه ... ويصدع ما بين الخليطين صادع
وكم من هوًى أوجيرة قد ألفتهم ... زماناً فلم يمنعه للبين مانع
كأنى غداة البيت ميت حَوْبة (٢) ... أخو ظمأ سُدَّت عليه المشارع
تخلَّس من أوشال ماء صُبابة ... فلا الشرب مبذول ولا هو ناقع
وبيض تَطَلَّى بالعَبير كأنها ... نعاج الملا جِيبَتْ عليها البراقع
تحملن من وادى الأراك فأومضت ... لهن بأطراف العيون المدامع
فما رُضْن ربع الدار حتى تشابهت ... هجائنها والجُون منها الخواضع (٣)

(١) شحا فاه فتحه والنعب التصويت بالبين (٢) الحوبة الهم
(٣) الخواضع المجدة فى السير

وحتى حملن الحور من كل جانب وخاضت سدول الرَّقْم منها الأكارع
فلما استوت تحت الخدور وقد جرى عَبير ومسك بالعرانين رادع
أشرنَ بأن حُثُّوا الجمال فقد بدا من الصيف يوم لافح الحرماتع[1]
فلما لحقنا بالحَمول تباشرت بنا مُعْصرات[2] غاب عنا المطامع
تعرضن بالدَّلّ المليح وان يرد جناهن مشغوف فهن موانع
فقلت لأصحابى ودمعى مُسْبَلٌ وقد صدع الشملَ المشتت صادع
أليلى بأبواب الخدور تعرضت لعينى أم قرْن من الشمس طالع

قال اسحق الموصلى كانت كنية ليلى أم عمرو وأنشد للمجنون

أبى القلب الا حبها عامرية لها كنية عمرو وليس لها عمرو
تكاد يدى تَنْدَى اذا ما لمستها وينبت فى أطرافها الورق الخضر

وأنشد له المبرد

وأحبس عنك النفس والنفس صَبَّة بذكراك والمَشْى اليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة بظِنَّة واحرسكم أن يستريب مريب
فقد جعلت نفسى وأنت اجترمته وكنت أعز الناس عنك تطيب
فلو شئت لم أغضب عليك ولم يزل لك الدهر منى ما حييت نصيب
أما والذى يُبْلِى السرائر كلها ويعلم ما تبدى به وتغيب
لقد كنت ممن يصطفى الناس خلة لها دون خلان الصفاء حجوب

قال رجل من بني عامر مطرنا مطراً شديداً فى ربيع ارتبعناه ودام المطر ثلاثاً ثم أصبحنا فى اليوم الرابع على صحو وخرج الناس يمشون على الوادى فرأيت رجلاً جالساً حُجْزَة وحده ، فقصدته فاذا هو المجنون جالساً وحده يبكى ، فوعظته وكلمته طويلاً وهو ساكت لم يرفع رأسه إلىَّ ، ثم أنشدنى بصوت حزين لا أنساه أبدا وحرقته

(١) متع النهار ارتفع وبلغ غاية ارتفاعه بعد الزوال (٢) المعصر المرأة بلغت شبابها

جرى السيل فاستبكاني السيل اذ جرى ... وفاضت له من مقلتيَّ غُرُوب
وما ذاك الا حين أيقنت أنه ... يكون بوادٍ أنتِ فيه قريب
يكون أُجاجاً دونكم فاذا انتهى ... اليكم تلقَّى طيبكم فيطيب
أظَلُّ غريب الدار فى أرض عامر ... الا كل مهجور هناك غريب
وان الكثيب الفرْد من أيمن الحمى ... إليَّ وان لم آته لحبيب
فلا خير فى الدنيا اذا أنت لم تزُر ... حبيباً ولم يطْرَب اليك حبيب

وأول هذه القصيدة

ألا أيها البيت الذي لا أزوره ... وهجرانه منى اليه ذنوب
هجرتك مشتاقاً وزرتك خائفاً ... وفيَّ عليك الدهر منك رقيب
سأستعطف الأيام فيك لعلها ... بيوم سرور فى هواك تثيب
وأفردت افراد الطريد وباعدت ... الى النفس حاجات وهن قريب
ومنيتنى حتى اذا ما رأيتني ... على شَرَف للناظرين يريب
صددت وأشمتَّ العدو بصَرمنا ... أنا بك يا ليلى الجزاء مثيب

ومن قوله

أقول لاصحابى هى الشمس ضوؤها ... قريب ولكن فى تناولها بعد
لقد عارضتنا الرِّيح منها بنفْحة ... على كبدى من طيب أرواحها بَرْد
فما زلت مغشياً عليَّ وقد مضت ... أناة وما عندي جواب ولا رد
أقلَّب بالأيدي وأهلي بعَوْلة ... يُفَدُّونني لو يستطيعون أن يَفْدُوا
ولم يبق الا الجلد والعظم عارياً ... ولا عظم لى ان دام ما بى ولا جلد
أدنياى مالى فى انقطاعى ورغبتى ... اليك ثَواب منك دَيْن ولا نقد
عدينى بنفسى أنتِ وعداً فربما ... جلا كربةَ المكروب عن قلبه الوعد

وقد يبتلي قوم ولا كبليتى ... ولا مثل جدى فى الشقاء بكم جد
غزتنى جنود الحب من كل جانب ... اذا حان من جند قفول أتى جند

ومن قوله

أعدّ الليالى ليلة بعد ليلة ... وقد عشت دهراً لا أعد الليالیا
أرانى اذا صليت يممت نحوها ... بوجهى وان كان المصلّى ورائيا
وما بى اشراك ولكن حبها ... كعود الشّجا أعيا الطبيب المداويا
أحب من الاسماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منها مدانيا
وخبر تمانى ان تيماء منزل ... لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنى قد انقضت ... فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فلو كان واش باليمامة داره ... وداری بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وماذا لهم لا أحسن الله قسطهم ... من الحظ فى تصريم ليلى جباليا
فأنتِ التى ان شئت أشقيت عيشتى ... وان شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التى ما من صديق ولا عدى ... يرى نضو ما أبقيت الا رثى ليا
أمضروبة ليلى على أن أزورها ... ومتخذ ذنباً لها أن ترانيا
اذا سرت فى الارض الفضاء رأيتنى ... أصانع رجلى أن تميل حياليا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن ... شمالا ينازعنى الهوى عن شماليا
هى السحر الا أن للسحر رُقْيةً ... وأنى لا أُلفى لها الدهر راقيا

ومن قوله

ألا يا حمام الأيك ما لك باكياً ... أفارقت الفاً أم جفاك حبيب
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت ... هتوف الضحى بين الغصون طروب
تجاوب ورقاً قد أذنّ لصوتها ... فكل لكل مسعد ومجيب

خرج المجنون فى عدة من قومه يريدون سفراً لهم ، فمروا فى طريق يتشعب وجهتين احداهما ينزلها رهط ليلى وفيها زيادة مرحلة فسألهم أن يعدلوا معه الى تلك الوجهة فأبوا فمضى وحده وقال

أأترك ليلى ليس بينى وبينها ... سوى ليلة انى اذاً لصبور
هبونى امرأً منكم أضل بعيره ... له ذمة ان الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظم حرمة ... على صاحب من أن يضل بعير
عفا الله عن ليلى الغداة فانها ... اذا وليت حكماً علىَّ تجور

ومن قوله

لقد غردت فى جنح ليل حمامة ... على الفها تبكي وانى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا ... لما سبقتني بالبكاء الحمائم

مرَّ نفر من أهل اليمن بالمجنون فوقفوا ينظرون اليه فأنشأ يقول

ألا أيها الركب اليمانون عرجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
نسائلكم هل سال نعمان بعدنا ... وحب الينا بطن نعمان واديا

يقول فيها

ألا ياحمامَىْ قصر ودّان هجتما ... علىّ الهوى لما تغنيتما ليا
فأبكيتمانى وسط صحبى ولم أكن ... أبالى دموع العين لو كنت خاليا
فوالله انى لا أحب لغير أن ... تحل به ليلى البراق الأعاليا
ألا ياخليلى حب ليلى مجشمى ... حياض المنايا أو مقيدى الأعاديا
ويأيها القمريتان تجاوبا ... بلحنيكما ثم اسجعا عللانيا
فان أنتما استطربتما وأردتما ... لحاقا بأطراف الغضى فاتبعانيا

ومن قوله

زد الدمع حتى يظعن الحى انما دموعك ان فاضت عليك دليل
كأن دموع العين يوم تحملوا جُمان على جيب القميص يسيل

ومن قوله

ألا ليت ليلى أطفأت حرز فرة أعالجها لا أستطيع لها ردا
اذا الريح من نحو الحمى نسمت لنا وجدت لمسراها ومبسمها ردا
على كبد قد كاد يبدى بها الهوى نُدوبا وبعض القوم يحسبنى جلدا

مالك بن الصمصامة الجعدى

شاعر بدوى مقل وكان فارسا شجاعا جوادا جميل الوجه وكان يهوى جنوب بنت محصن العبدى وكان أخوها الإصبع من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم فنمى اليه نبذ من خبر مالك فآلى يمينا جزما لئن بلغه انه عرض لها أو زارها ليقتلنه ولئن بلغه انه ذكرها فى شعر أو عرض ليأسرنه ولا يطلقه الا ان يجز ناصيته فى نادى قومه فبلغ ذلك مالكا فقال

اذا شئت فاقرنى الى جنب عيهب أجبَّ ونضوى للقلوص نجيب
فما الحلق بعد الأسر شر بقية من الصد والهجران وهى قريب
ألا أيها الساقى الذى بل دلوه بقريان يسقى هل عليك رقيب
اذا أنت لم تشرب بقريان شربة وجانية الجدران ظلت تلوب
أحب هبوط الواديين وانى لمشتهر بالواديين غريب
أحقا عباد الله أن لست خارجا ولا والجا الا علىَّ رقيب
ولا زائراً وحدى ولا فى جماعة من الناس الا قيل أنت مريب
وهل ريبة فى أن تحن نجيبة الى الفها أو أن يحن نجيب

أقبلت جنوب ذات يوم ومالك جالس فى مجلس فيه أخوها فلما رآها عرفها ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها فأغمى عليه وفطن أخوها لما به فتغافل عنه وأسنده بعض فتيان العشيرة الى صدره فما تحرك ولا أحار جوابا ساعة من نهاره وانصرف أخوها كالخجل فلما أفاق قال

ألمت فماحيت وعاجت فأسرعت ... الى جرعة بين المخارم فالنحر
خليلى قد حانت وفاتى فاحفرا ... برابية لى بالمخافر والبتر
لكيما تقول العبدلية كلما ... رأت جدثى سقيت ياقبر من قبر

وقال لها وقد أمسك بخطام بعيرها وهى راحلة

أريتك ان أزمعتم اليوم نية ... وغالك مصطاف الحمى ومرابعه
أترعين ماستودعت أم أنت كالذى ... اذا مانأى هانت عليه ودائعه

فبكت وقالت بل أرعى والله ما استودعت ولا أكون كمن هانت عليه ودائعه فأرسل بعيرها وبكى ثم انصرف وقال

ألا ان حسيا دونه قلة الحمى ... منى النفس لو كانت تنال شرائعه
وكيف ومن دون الورود عوائق ... وأصبغ حامى ما أحب ومانعه
فلا أنا فيما ضدنى عنه طامع ... ولا أرتجى وصل الذي هو قاطعه

القتال الكلابى

هو عبد الله بن المضرحى عرف بالقتال لتمرده وفتكه

كان القتال يتحدث الى ابنة عم له اسمها العالية بنت عبد الله فرآه أخوها فنهاه وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه فلما كان بعد أيام رآه عندها فأخذ السيف وبصر به القتال فخرج هاربا وخرج فى أثره فلما دنا منه ناشده القتال بالله وبالرحم فلم يلتفت اليه فأخذ القتال رمحه فضربه به فقتله وقال

نهيت زياداً والمهامهُ بيننا وذكرته أرحام سعد وهيثم
فلما رأيت أنه غير منته أملت له كفى بلدن مقوّم
ولما رأيت أننى قد قتلته ندمت عليه أيَّ ساعة مندم

وقال

نهيت زيادا والمهامهُ بيننا وذكرته بالله حولا مُجرَّما
فلما رأيت أنه غير منته ومولاى لا يزداد الا تقدما
أملت له كفى بأبيض صارم حسام اذا ماصادف العظم صمما
بكف امرئ لم تخدم الحىَّ أمُّه أخى نجدات لم يكن متهضما

ثم خرج هارباً وأصحاب القتيل يطلبونه فمرّ بابنة عم له اسمها زينب فأخفته فقال فيها

فمن مبلغ فتيان قومى أننى تسميت لما شبت الحرب زينبا
وأرخيت جلبابى على بنت لحيتى وأبديت للناس البنان المخضبا

وقال

جزى الله عنا والجزاء بكفه عمايةَ خيراً أم كل طريد
فما يزدهيها القوم ان نزلوا بها وان أرسل السلطان كل بريد
حمتنى منها كل عنقاء عيطَل وكل صفاً جمّ القلات كؤود

ومن شعره وقد تألف نمراً فى شعب من شعاب عماية

ولى صاحب فى الغار يعدل صاحبا أبا الجون الا أنه لا يعلل
كلانا عدو لا يرى فى عدوه مهزا وكل فى العداوة مجمل
اذا ما التقينا كان أنس حديثنا صمات وطرف كالمعابل أكحل
لنا مورد صاف بارض مضلة شريعتنا لأينا جاء أول
تضمنت الأروى لنا بقبولنا كلانا له منها سديف مخرذل

فأعلمه فى صنعة الود أننى أميط الأذى عنه وما ان يهلل

وكان للقتال ابنان المسيب وعبد السلام ، ولعبد السلام يقول قوله

عبد السلام تأمل هل ترى ظُعُناً انى كبرت وأنت اليوم ذو بصر

لا يبعد الله فتياناً أقول لهم بالأبرق الفرد لما فاتنى نظرى

ألا ترون بأعلى عاسم ظعناً نكبن فحلين واستقبلن ذا بقر

ومن قوله يعير بني العجلان بن كعب بن ربيعة بن صعصعة ، وقد قتلت منهم بنو جعفر بن كلاب قتيلا فأخذوا عقله وكانت أمه من بني العجلان

لعمرى لحي من عقيل رأيتهم بخطمة أو لاقيتهم بالمناسك

عليهم من الحوك اليمانى بزة علي أرحبيات طوال الحوارك

أحبُّ الى نفسى وأصلح عندها من السَّروات آل قيس ومالك

اذا ما لقيتم عصبة جعفرية كرهتم بني اللكعاء وقع السنابك

فلستم بأخوالى فلا تصلننى ولكنما أمى لاحدى العواتك

قصار العماد لا تروى سراتهم مع الوفد جثَّامون عند المبارك

قتلتم فلما ان طلبتم عقلتم كذلك يؤتى بالذليل كذلك

خرج ابن هبار القرشى الى الشام فاعترضه جماعة فيهم القتال فقتلوه وأخذوا ماله فاتهم به جماعة من بنى كلاب فحبسوا وفيهم القتال فاغتال السجان وهرب فقال يذكر ذلك

أميم أبينى قبل جد النزيل أبينى بوصل أو بصرم معجل

أميم وقد حملت ما حمل امرؤ وفى الصرم احسان اذ لم ينول

وانى وذكرى أم حيان كالفتى متى ما يذق طعم المدامة يجهل

وقال يذكر ابن هبار

تركت ابن هبَّار لدى الباب مسندا وأصبح دونى شابة فأرومها

بسيف امرىء ما ان أخبر باسمه وان حقرت نفسى الى همومها

ومن قوله

ان العروق اذا استنزعتها نزعت والعرق يَسْرِي اذا ماعرَّس السارى
قد جرب الناس عودى يقرعون به فأقصروا عن صليب غير خوَّار

وقال يهجو قومه لتوانيهم فى نصره ، وكانت عشيرته تبغضه لكثرة جناياته وما يلحقها من أذاه ولا تمنعه من مكروه

اذا ما لقيتم راكباً متعمماً فقولوا له ما الراكب المتعمم
فان يك من كعب بن عبد فانه لئيم المحيا حالك اللون أدهم
دعوت أبا كعب ربيعة دعوة وفوق غواشى الموت تُنْحى وتشجم
ولم أك أدري أنه ثُكْل أمه اذا قيل للأحرار فى الكربة اقْدُموا
فلو كنت من قوم كرام أعزة لما ميت عنى حين أحمى وأضرم
دعوت فكم أسمعت من كل مؤذن قبيح المحيا شانه الوجه والفم
ولكنما قومى قُماشة حاطب يجمعها بالكف والليل مظلم

ومن شعره وفيه غناء

أعالى أعلى الله جدك عاليا وأسقى بريك العِضاه البواليا
أعالى ما شمس النهار اذا بدت بأحسن مما تحت بُرْدَيْك عاليا
أعالى لو أن النساء ببلدة وأنت بأخرى لاتبعتك ماضيا
أعالى لو أشكو الذى قد أصابنى الى غصن رطب لأصبح باليا
أعالى أخت المالكين نولى بما ليس مفقوداً وفيه شفائيا
أصارمتى أم العلاء وقد رمى بى الناس فى أم العلاء المراميا
أيا اخوتى لا أصبحن بمَضَلَّة تشيب اذا عدت علىَّ النواصيا
واتبعته فيكم اذا كان حقهم كما كنت لو كنت الطريد مراديا

وشمر ولا تجعل عليك غضاضة ولا تنس يا ابن المَضْرَحِيِّ بلائيا

وهذه القصيدة يقولها يحض أخاه وعشيرته على تخليصه من المطالبة التى يطالب بها فى قتل زياد بن عبيد الله واحتمال العقل عنه ويلومهم فى قعودهم عن المطالبة بثار لهم قبل بني جعفر بن كلاب ، وكان السبب فى ذلك أن عمرو بن سلمة من بني أبى بكر بن كلاب كان قد أسلم فحسن إسلامه ووفد الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية ، وهى رحبة طولها تسعة أميال فى ستة أميال فأقطعه إياها ، فأحماها ابنه جحوش ، فاسترعاه نفر من بنى جعفر بن كلاب فأرعاهم ، فحملوا الفهم مع خيلهم بغير اذنه ، فأخبر بذلك ، فغضب وأراد اخراجهم منه ، فقاتلوه ، فكانت بينهم شجاج بالعصى والحجارة من غير رمى ولا طعان ولا تسايف ، فظهر عليهم جحوش ، ثم تداعوا الى الصلح ومشت السفراء بينهم على أن يدعوا جميعاً الجراحات ، فتواعدوا للصلح بالغداة وأخ لجحوش يقال له سعد فى حلقه سلعة وهو متنح عن الحى عند امرأة من بنى أبى بكر ترْقيه ، فرجع الى أخيه ومعه رجلان من قومه يقال لأحدهما محرز بن يزيد وللآخر الأخدر بن الحرث ، فلقيهم قراد ابن الأخدر وابن عمه أبو ذرّ بن الأشهل ، فحمل قراد على سعد فطعنه فقتله ، فحذف محرز فرس قراد فعقرها فأردفه أبو ذر خلفه ولحقوا بأصحابه الجعفريين وأوقد جحوش بن عمرو نار الحرب فى رأس جرْعاء طويلة ، فاجتمعت اليه بنو أبى بكر بن كلاب ، وخرج قراد هارباً الى بشر بن مَرْوان وهو ابن عمته ، حتى اذا كان بالفقار[1] حميت عليه الشمس ، فأناخ الى بيت امرأة من بني أسد فقال في بيتها ، فبينا هو نائم اذ نبهته الأسدية فقالت له وما دهاك ويحك ؟ انظر الى الطير تحوم حول ناقتك ، فخرج يمشى الى ناقته فاذا هى قد خرجت والطير تمزق ولدها ، فجاء فأخبرها ، فقالت ان لك لخبراً فاصدُقنى عنه فلعله يكون لك فيه فائدة ، فأخبرها أنه مطلوب بدم فهو هارب طريد ، قالت فهل وراءك أحد تشفق عليه ؟ فقال أخ لى

(١) جبل بعينه

يقال له جباه وهو أحب الناس إلىَّ ، قالت هو فى أيدى أعدائك فارجع أوامض ، فخرج لوجهه الى بشر ، ولما حرض القتال قومه على الطلب بثأرهم في الجعفريين وغيرهم بالقعود عنهم ومضى جميعهم لقتال بنى جعفر ، قال لهم الجعفريون ياقومنا مالنا فى قتالكم حاجة وقاتل صاحبكم قد هرب وهذا أخوه جباه فاقتلوه ، فرضوا بذلك ، فأخذوا جباهاً ، فلما صاروا بأسود العين [1] قدمه جحوش فضرب عنقه بأخيه سعد ، ومما قاله القتال في تحريضهم قوله من قصيدة طويلة

فيا لأبى بكر ويا لجحوش ... ولله مولى دعوة لايجابها
أفي كل عام لا تزال كتيبة ... ذويبية تهفو عليكم عُقابها
يسقى ابن بشر ثم يمسح بطنه ... وحولى رجال ما يسوغ شرابها
لهم جزر منكم عبيط [2] كأنه ... وقاع الملوك فتكها واغتصابها
فما الشر كل الشر لاخير بعده ... على الناس الا أن تَزِلَّ رقابها
نساء ابن بشر بُدّن ونساؤنا ... بلايا عليها كل يوم سلابها

الراعى

هوعبيد بن حصين بن معاوية النُّمَيْرى من نمير بن عامر بن صعصعة ويكنى أبا جَنْدل والراعى لقب له لكثرة وصفه الابل وجودة نعته إياها ، وهو شاعر فَحْل من شعراء الاسلام وكان مقدماً مفضلاً حتى اعترض بين جرير والفرزْدق فاستَكفه جرير فأبى أن يكُف فهجاه ففضحه

ومن شعره يمدح سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد

ترجّي من سعيد بنى أُوَىّ ... أخى الأعياص أنواء غِزارا
تلقى نَوْءهن سرار شهر ... وخير النوء ما لقى السِّرارا
خليل تَعْزُب العَلات عنه ... اذا ما حان يوم أن يُزارا

(١) جبل بعينه (٢) الذبيحة العبيط هى المنحورة من غير علة وهى سمينة فتية

متى ما تأته ترجو نداه فلا بُخلا تخاف ولا اعتذارا
هو الرجل الذى نسبت قريش فصار المجد منها حيث صارا
وأنضاء تحن الى سعيد طروقا ثم عجّلن ابتكارا
على أكوارهن بنو سبيل قليل نومهم الا غرارا
حَمِدن مزاره ولقين منه عطاء لم يكن عِدةً ضمارا(١)

وأولها وفيه غناء

ألم تسأل بعارمة الديارا عن الحى المفارق أين سارا
بلى ساءلتها فأبت جوابا وكيف سؤالك الدمن القفارا

وكان الراعي يقضى للفرزدق على جرير ويفضله حتى قال فيه جرير قصيدته التى يقول فيها

فغُضَّ الطرف انك من نُمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأسكته ، ومرَّ بعد ذلك به راكب وهو يتغنى

وعاوٍ عوى من غير شيء رميته بقافية أنفاذها تقطر الدما
خَروح بأفواه الرواة كأنها قَرا هُندُوانى اذا هُزَّ صمَّما

والشعر لجرير فقال الراعى أألام أن يغلبنى هذا ؟ والله لو اجتمع الانس والجن على صاحب هذين البيتين ما أغنوا فيه شيئاً

قال محمد بن سلام كان الراعى من رجال العرب ووجوه قومه وكان يقال له فى شعره كأنه يعتسف الفلاة بغير دليل ، أى انه لا يحتذى شعر شاعر ولا يعارضه وكان مع ذلك بذيًّا هجاء لعشيرته

جاور الراعى بني سعد بن زيد مناة فنَسَب بامرأة منهم من بني عبدشمس ثم أحد بنى وابش فقال

(١) الضمار كل ما لا تكون منه على ثقة

بني وابش انا هوينا جواركم وما جمعتنا نية قبلها معا
خليطين من حيين شتى تجاورا جميعا وكانا بالتفرق أضيعا
أرى أهل ليلى لا يبالى أسيرهم على حالة المحزون أن يتصدعا

وقال فيها أيضا

تذكر هذا القلب هند بني سعد سفاها وجهلا ما تذكر من هند
تذكر عهدا كان بيني وبينها قديما وهل أبقت لك الحرب من عهد

فلما بلغهم شعره أزعجوه وأصابوه بأذى فخرج عنهم وقال فيهم

أرى ابلى تكلأ راعياها مخافة جارها الدنس الذميم
وقد جاورتهم فرأيت سعدا شعاع الأمر عازبة الحلوم
فأمى أرض قومك ان سعدا تحملت المخازى عن تميم

ومن قوله يهجو عدى بن الرقاع

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة لم تعرف لكم نسبا وابنا نزار وأنتم بيضة البلد

لما أنشد الراعى عبد الملك بن مروان قوله

فان رفعت بهم رأسا نعشتهم وان لقوا مثلها من قابل فسدوا

قال له عبد الملك فتريد ماذا ؟ قال ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم ، قال هذا كثير ، قال أنت أكثر منه ، قال قد فعلت ، فسلنى حاجة تخصك ، قال قد قضيت حاجتى ، قال سل حاجة لنفسك ، قال ما كنت لأفسد هذه المكرمة

وجندل بن الراعى شاعر وهو الذي يقول

طلبت الهوى الغورى حتى بلغته وصيرت فى نجديه ما كفانيا
وقلت لحلمى لا تزعنى عن الصبا وللشيب لا تذعر على الغوانيا

أبوحية النميرى

هو الهَيْثَم بن الربيع بن زُرارة النمَيْرى شاعر مجيد مقدم من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية وقد مدح الخلفاء فيهما جميعا وكان فصيحاً مُقَصِّداً راجزاً من ساكنى البصرة وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا معروفا بذلك أجمع ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقدمه على الراعى . وقال الأصمعى أبوحية فى الشعراء كالرجل الرَّبْعة لا يعد طويلا ولا قصيراً وقد أدرك هشام بن عبد الملك

دخل على المنصور وقد امتدحه وهجا بنى حسن بقصيدته

عوجا نُحَيِّ ديار الحى بالسَّنَد ... وهل بتلك الديار اليوم من أحد

يقول فيها

أحبن شِيمَ فلم يترك لهم تِرَة ... سيف تقلده الرِّئبال ذو اللِّبَد

سلتموه عليكم يابنى حسن ... ماان لكم من فلاح آخر الأبد

قد أصبحت لبنى العباس صافية ... لجدْع آناف أهل البغي والحسد

وأصبحت كلهاة[1] الليث فى فمه ... ومن يحاول شيئا فى فم الاسد

ومن قوله وفيه غناء

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا ... لَبِسْنَ البِلى مما لبسن الليالیا

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة ... تقاضاه شيء لا يَمَلّ التقاضيا

كان لابى حية سيف يسميه لُعاب المنية ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان من أجبن الناس ، فدخل ليلة الي بيته كلب فظنه لصا فانتضى سيفه وهو واقف وسط الدار وقال أيها المغتربنا والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل وسيف صقيل ، لُعاب المنية الذى سمعت به ، مشهووة ضربته لانخاف

(١) اللهاة اللحمة المشرفة على الحلق

نبوته ، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، انى والله ان أدعُ قيسا اليك لاتقم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ، فبينا هو كذلك اذا الكلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلبا وكفانى حربا

حدث سعيد بن مَسْعَدة الأخفش قال قال أبو حية النميرى أتدرى ما يقول القدريون ؟ قلت لا ، قال يقولون ان الله لم يكلف العباد مالا يطيقون ولم يسألهم مالا يجدون ، وصدق والله القدريون ولكن لا أقول كما يقولون

مزاحم العقيلى

هو مُزاحم بن عمرو بن الحرث من عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بدوى شاعر فصيح اسلامى صاحب قصيد ورجز كان فى زمن جرير والفرزدق وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه، وكان يقول ما من بيتين كنت أحب أن أكون سبقت اليهما كبيتين من قول مزاحم

وددت على ما كان من سَرَف[1] الهوى ... وغِيّ الأمانى ان ما شئت يفعل
فترجع أيام مضين ولذة ... تولت وهل يُثْنَى من العيش أول

ومن قوله وكان اسحق الموصلى يستجيدها ويستحسنها

الصفراء فى قلبى من الحب شُعْبَة ... حمى لم تُبحه الغانيات سَموم
بها حل بيت الحب ثم انثنى بها ... فبانت بيوت الحى وهو مقيم
بكت دارهم من نأيهم فتهللت ... دموعى فأىّ الجازعين ألوم
أمستعبر يبكى من الحب والجوى ... أمَ آخر يبكى شَجْوه فيهيم
تضمنه من حب صفراء بعد ما ... سلا هضباتُ الحب فهو كظيم
ومن يتهيَّض[2] حبُّهنّ فؤاده ... يمت أو يعش ما عاش وهو سقيم

(١) سرف الهوى خطؤه (٢) تهيضه الغرام عاوده مرة بعد أخرى

لحرّان صادٍ ذِيد عن برد مشرب وعن بللات الريق فهو يحوم

خطب مزاحم بنت عمه دنية فمنعها لاملاقه وقلة ماله وانتظروا بها رجلا موسرا من قومها كان ذكرها ولم يحقق وهو يومئذ غائب ، فبلغ ذلك مزاحما من فعلهم فقال لعمه يا عم أتقطع رحمي وتختار عليّ غيري لفضل أبا عن تحوزها وطفيف من الحظ تحظى به ؟ وقد علمت انى أقرب اليك من خاطبها الذى تريده وأفصح منه لساناً وأجود كفاً وأمنع جانباً وأغنى عن العشيرة ، فقال لاعليك فانها اليك صائرة وانما أعلل أمها بهذا ويكون أمرها لك ، فوثق به ، وأقاموا مدة ، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب وعاد الرجل الخاطب لها فذكروا أمرها فرغب فيها فأنكحوه إياها ، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول

نزلت بمُفْضَى سيل حَرْسَيْنِ[1] والضحى يلوح بأطراف المخارم آلها
بمستقية الأجفان أكفر دمعها مقاربة الآلاف تم زيالها
فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى حمى البئر حلى عَبْرة الجفن جالها
أيا ليلَ ان تَشْحَط بكِ الدار غربة سوانا ويُعْيِ النفسَ فيكِ احتمالها
فكم ثم كم من عَبْرة قد رددتها سريع على جيب القميص انهلالها
خليليَّ هل من حيلة تعلمانها يقرب من ليلى الينا احتيالها
فان بأعلى الأخشبين أراكة عدتني عنها الحرب دان ظلالها
وفي فرعها لو تستطاع جنانها جَنًى يجتنيه المجتني أو ينالها
هنيئاً لليلى مهجة ظفرت بها وتزويج ليلى حين حان ارتحالها
فقد حبسوها مجلس البُذْن وابتغى بها الربحَ أقوام تساخف مالها
وأن مع الركب الذين تحملوا غمامةَ صيف ذعذعتنا شمالها

وقع بينه وبين رجل من جَعْدَة لحاء فى المال ، فتشاتما وتضاربا بعصيهما فشجه

(١) من مياه بنى عقيل بنجد والمخارم الطرق فى الغلظ

مُزاحم شجَّة أمَّته [1] فاستعدت جعدة على مزاحم، فحبس حبساً طويلاً ثم هرب من السجن فمكث فى قومه مدة وعزل ذلك الوالي وولى غيره فسأله ابن عم لمزاحم يقال له مُغَلِّس أماناً لمزاحم، فكتب له، وجاء مغلس والأمان معه، ففرَّ مزاحم وظنها حيلة من السلطان، فهرب وقال

أتانى بقرطاس الأمير مُغَلِّس ... فأفزع قرطاس الأمير فؤاديا
فقلت له لا مرحبا بك مرسلاً ... إليَّ ولا لي من أميرك داعيا
أليست جبال القهر قُعْساً مكانها ... وعَرْوَى وأجبال الوحاف كما هيا
أخاف ذنوبي أن تُعَدَّ ببابه ... وما قد أزلَّ الكاشحون أماميا
ولا أستريم عقبة الأمر بعد ما ... تورَّط فى يَهْماء كعبي وساقيا

كان مُزاحم يهوى امرأة من قومه، فغاب غيبة من بلاده وقد زوجت فقال

أتانى بظهر الغيب أن قد تزوجت ... فظلت بى الأرض الفضاء تدور
وقد زايلت لبي وقد كان حاضراً ... وكاد جنانى عند ذاك يطير
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننا ... تلاق وعيني بالدموع تمور
أياسرعة الأحباب حين تزوَّجت ... فهل يأتيني بالطلاق بشير
ولست بمحضٍ حب ليلى لسائل ... من الناس الا أن أقول كثير
لها فى سواد القلب تسعة أسهم ... وللناس طُرًّا من هواى عَشير
وتنشر نفسى بعد موتى بذكرها ... مراراً فموت مرة ونشور
عَجِبْتُ لربى عَجَّة ما ملكتها ... وربى بذي الشوق الحزين بصير
ليَرْحم ما أبقى ويعلم أنني ... له بالذى يُسْدِى إليَّ شكور
لئن كان يُهْدَى برد أنيابها العلى ... لأحوج منى أننى لفقير

دخل الفرزدق على عبد الملك بن مَرْوان وبعض بنيه عنده، فقال للفرزدق

(١) أمه أصاب أم رأسه وهى الجلدة الرقيقة التى على المخ

أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا الا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير ، فسأله عن مثل ما سأل عنه الفرزدق ، فأجابه بجوابه ، فلم يلبث أن جاءه ذو الرمة ، فقال له أأنت أشعر الناس ؟ قال لا ولكن غلام يقال له مزاحم من بنى عقيل يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله ، فقال أنشدنى بعض ما تحفظ من ذلك ، فأنشده قوله

خليليَّ عوجا بى على الدار نسأل ... متى عهدها بالظاعن المتحمل
فعجت وعاجوا فوق بيداء صفقت ... بها الريح جولان التراب المنخَّل

حتى أتى على آخرها ، ثم قال ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا

القحيف العقيلى

هو القُحيف بن خُمَير أحد بنى قُشَيْر بن مالك بن خفاجه بن عقيل شاعر مقل من شعراء الاسلام وكان يشبب بخرقاء التى كان ذو الرمة يشبب بها ، وهى التى يقول فيها

لقد أرسلت خَرْقاء نحوى جريها ... لتجعلنى خرقاء ممن أضلت
وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ... ولو عُمِّرت تعمير نوح وجلت

كان القحيف يتحدث الى امرأة من بنى عبس وقد جاورهم وأقام عندهم شهراً وهام بها عشقا وكان يخبرها ان له نَعَماً ومالاً ، وهَوِيته العبسية وكان أجمل الرجال وأشعرهم ، فلما طال عليها واستحيا من كذبه إياها فى ماله ارتحل عنهم وقال

تقول لي أُخت عَبْس ما أرى ابلا ... وأنت تزعم من والاك صنديد
فقلت يكفى مكان اللوم مُطَّرِد[1] ... فيه القَتِير بسُمْر القنِّ مشدود
وشِكة صاغها وَقْراء كاملة ... وصارم من سيوف الهند مقدود

(١) هو الرمح والقتير رءوس مسامير الدروع

انى ليرعى رجال لي سوَامَهم لى العقائل منها والقماحيد (١)

جمع المهير بن سَلْمَى الحنفى جموعا يريد بهم غزو بني عقيل و بني كلاب وسائر بطون عامر ، فقال القحيف

أمن أهل الأراك عفت ربوع نعم سَقْياً لهم لو تستطيع
زيارتهم ولكن أحضرتنا هموم ما يزال لها مُشيع
كأن البين جرعنى زُعافا دم الحيات مَطْعَمُهُ فظيع
وماء قد وردت على جباه حِيام حمائم وقَطاً وقوع
جعلت عمامتي صلة لبردى اليه حين لم ترد النُّسُوع
لأَسقى فتيـــة ومُنَقَّبات أضر بنَقْبها (٢) سفر وجيع
لقد جمع المهير لنا فقلنا أنحسبنا تُرَوِّعنا الجموع
سترهبنا حَنِيفة ان رأتنا وفى أيماننا البيض اللموع
عقيل تعتزى وبنو قشير توارى عن سواعدها الدروع
وجَعْدة والحَرِيش ليوث غاب لهم فى كل معركة صريع
فنعم القوم فى اللَّزبات قومى بنو كعب اذا جحد الربيع
كُهول معتَلِ الطرداء فيهم وفتيـــان غَطَارفة فروع
فمهلاً يا مهير فأنت عبـــد لكعب سامع لهم مطيع

وأرسل المهير رسولا أمره أن يأخذ صدقات بنى كعب جميعاً فقتلوا الرسول وصلبوه فقال القحيف فى ذلك

أتانا بالعتيق صَريخ كعب فخن النَّبْع والأَسَل النِّهال
وحالفنا السيوف ومُضْمرات سواء هن فينا والعيال

(١) جمع قحدوة وهى ما أشرف على القفا من عظم الرأس والهامة فوقها والقذال دونها مما يلى القفا (٣) النقب قرحة تخرج فى الجنب

تعادى فى الوغى مثل السعالى ومن زبر الحديد لها نعال

نظر بعض الفقهاء الى القحيف وهو يحد النظر الى امرأة فنهاه عن ذلك وقال له أما تتقى أن تنظر هذا النظر الى غير حرمة لك فقال القحيف

أقسمت لا أنسى وان شطّت النوى عرانينهن الشمّ والأعين النجلا
ولا المسك من أعطافهن ولا البرى ضممن وقد لوينها قصباخدلا (١)
يقول لي المفتى وهن عشية بمكة يرمحن المهدبة السحلا (٢)
تق الله لا تنظر اليهن يا فتى وما خلتنى فى الحج ملتمسا وصلا
وان صبا ابن الأربعين لسبة فكيف مع اللائي مثلن لنا مثلا
عواكف بالبيت الحرام وربما رأيت عيون القوم من نحوها نجلا

وله وفيه غناء

خليلىّ ما صبرى على الزفرات وما طاقتى بالهم والعبرات
تساقط نفس كل يوم وليلة على اثر ما قد فاتها حسرات

ليلى وتوبة

ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية وهو الأخيل بن عبادة بن عقيل ، وهى من النساء المتقدمات فى الشعر من شعراء الاسلام ، وتوبة هو ابن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، كان يتعشق ليلى ويقول فيها الشعر فخطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها فى بنى الأدلع ، فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها فاذا هى سافرة ولم ير منها اليه بشاشة فعلم أن ذلك لأمر ما كان ، فرجع الى راحلته فركبها ومضى ، وبلغ بنى الأدلع أنه أتاها فتبعوه ففاتهم ، فقال توبة في ذلك

(١) الخدل الممتلىء والضخم والمراد الساق (٢) المهدبة ذات الهدب وهو خمل الثوب والسحل جمع السحل بالفتح وهو الثوب لا يبرم غزله

نأتك بليلى دارها لا تزُورها وشطَّت نَواها واستمرّ مَريرها

وهي طويلة يقول فيها

حمامة بطن الواديين ترنَّمي سقاك من الغُرّ الغوادى مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً ولازلت في خضراء دانٍ بريرها(١)
وأشرف بالقُور(٢) اليفاع لعلّني أرى نار ليلى أو يراني بَصيرها
وكنت اذا ماجئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداة سُفورها
علىَّ دماء البدن ان كان بعلها يرى لي ذنباً غير انى أزورها
وأنى اذا ما زرتها قلت يا اسلمى وما كان في قوله اسلمى ما يَضيرها
وغيرنى ان كنت لما تغيرت هواجر اذ تكنينها وأسيرها
وأدماء من حُرّ المهارى كأنها مَهاة صحارٍ غير مامس كُورها
قطعت بها أجواز كل تَنوفة مَخوف رداها كلما استن مُورها(٣)
ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم دَعاميص ماء جفّ عنها غديرها

خرج توبة إلى الشام فمر ببنى عُذْرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه فشق ذلك على جميل « وذلك قبل أن يظهر حبه لها » فقال له جميل من أنت ؟ قال أنا توبة ابن الحمير ، قال هل لك فى الصراع ؟ قال ذلك اليك ، فشدت عليه بثينة مِلحفة مُوَرَّسة فاتَّزر بها ، ثم صارعه فصرعه جميل ، ثم قال هل لك فى النضال ؟ قال نعم ، فناضله فنضله جميل ، ثم قال له هل لك فى السباق ؟ فقال نعم ، فسابقه فسبقه جميل فقال له توبة ياهذا إنما تفعل ذلك بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا بطن الوادى ، فصرعه توبة ونضله وسبقه

---

(١) البريّر أول ما يظهر من ثمر الاراك والأعاظم من الآكام واليفاع التل المشرف (٢) القور جمع القارة وهى الاصاغر من الجبال (٣) جوز الشيء وسطه ومعظمه والجمع أجواز والمور التراب تثيره الريح

مقتل توبة

كان توبة يغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قُضاعة وخَثْعَم وهَبْزة و بني الحرث بن كعب ، وكانت بينهم و بين بني عقيل غارات ، فكان توبة اذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه فى الرَّوايا ثم دفنه فى بعض المفازة على مسيرة يوم منها ، فيصيب ماقدر عليه من إبلهم فيدخلها المفازة فيطلبهم القوم فاذا دخل المفازة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه ، فمكث كذلك حيناً ، ثم انه أغارهو وأخوه عبدالله ابن الحمير ورجل يقال له قابض بن أبي عقيل فوجد القوم قدحذِروا فانصرف مخُفْقِاً لم يصب شيئاً ، فمر برجل من بني عوف بن عامر بن عقيل منتحياً عن قومه فقتله توبة وقتل رجلا كان معه من رهطه وأطرد إبلهما ، ثم خرج عامداً يريد عبدالعزيز ابن زُرارة الكلابي ، وخرج ابن عم المقتول الى بني عوف بن عامر فأخبرهم الخبر فركبوا فى طلب توبه فأدركوه فى أرض بنى خفاجة وقد أمن فى نفسه فنزل وقد كان أسرى يومه وليلته فاستظل ببُرْديه وألقى عنه درعه وخلى عن فرسه الخوصاء تتردد قريباً منه وجعل قابضاً ربيئة له ونام ، فأقبلت بنو عوف متقاطرين لئلا يفطن لهم أحد ، فنظر قابض فأبصر رجلا منهم فأقبل الي توبة فأنبهه ، فقال توبةمارأيت ؟ قال رأيت شخص رجل واحد ، فنام ولم يكترث له وعاد قابض الى مكانه فغلبته عيناه فنام ، فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه ، فلما رآهم طار على فرسه وأقبل القوم الي توبة ، وكان أول من تقدم غلام أمرد يقال له يزيد ابن رويبة بن سالم على فرس عربى ثم تلاه ابن عمه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا ، فلما سمع توبة وقع الخيل نهض وهو وَسنان فلبس درعه على سيفه ثم صوَّت بفرسه الخوصاء فأتته ، فلما أراد أن يركبها أهوت ترمحه ثلاث مرات ، فلما رأى ذلك علم وجهها فأدبرت وحال القوم بينه و بينها فأخذ رمحه وشد على يزيد بن رويبة فطعنه فأنفذ فخذيه جميعاً وشد على توبة ابن عم الغلام فطعنه فقتله وقطعوا رجل

عبد الله ، فلما رجع عبد الله بعد ذلك الي قومه لاموه وقالوا له فررت عن أخيك. فقال فى ذلك

تأوبنى بغازيةَ الهموم ... كما يعتاد ذا الدين الغريم
كأن الهمَّ ليس يريد غيرى ... ولو أمسى له نَبَط ورُوم
علامَ تقول عاذلتى تلوم ... تؤنبنى وما انجاب الصريم (١)
فقلت لها رويداً كي تَجلّى ... غواشى النوم والليل البهيم
ألما تعلمى أنى قديماً ... اذا ما شئت أعصِى من يلوم
وأن المرء لا يدرى اذا ما ... يهم علام تحمله الهموم
وقد تُعدى على الحاجات حَرْف ... كركب الرَّعْن ذعْلِبة عقيم (٢)
مداخَلة الفقار وذات لَوْث ... على الحرَّات مقحمة غَشوم (٣)
كأن الرحل منها فوق جأب (٤) ... بذات الحاذ معقله الصريم
طباه برجلة البقار برق ... فبات الليل منتصباً يَشيم (٥)
فبينا ذاك إذ هبطت عليه ... دَلوح المزن واهية هزيم (٦)
تَهُب لها الشَّمال فتمتريها ... ويعقبها بنافجة نسيم
يُلث إذا الرباب جرى عليه ... كما يُصغى الى الآسى الأميم (٧)
إذا ما قال أقشع جانباه ... نشت من كل ناحية غيوم

(١) الصريم الليل وتقول تظن (٢) الحرف الناقة الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل فى شدتها وصلابتها والرعن أنف يتقدم الجبل والذعلبة السريعة (٣) الفقار ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل الى العجب وهو خرزات ظهر والمعنى أنها اكتنزت واشتد أسرها واللوث القوة والحرات جمع حرة وهى أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار وأقحم الفرس النهر أى دخله بعنف (٤) الجأب الغليظ من حمر الوحش وذات الحاذ موضع بنجد والصريم موضع بعينه (٥) شام البرق نظر اليه أين يقصد وأين يمطر ورجلة البقار موضع وطباه دعاه (٦) الدلوح السحابة الكثيرة الماء والعيث الهزيم الذى لا يستمسك

(٧) ألث المطر دام أياماً ولم يقلع والرباب السحاب الأبيض والآسى الطبيب والأميم المشجوج

فأشعر ليله أرقاً وقرّا ... يُسهّده كما أرق السليم
ألا من يشترى رجلا برجل ... تخوّنها السلاح فما تسوم
تلومك فى القتال بنو عقيل ... وكيف قتال أعرجَ لايقوم
ولو كنت القتيل وكان حيا ... لقاتل لا ألفّ ولا سؤم
ولا جشّامة ورع هيوب ... ولا ضَرِع إذا يمشى جثوم

ثم ان خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف الذين قتلوا توبة ، فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحرث بن كعب ، ثم افترقت بنو خفاجة فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا فجمعت لهم بنو خفاجة أيضاً قبائل عقيل ، فلما رأت ذلك بنو عوف لحقوا بالجزيرة فنزلوها ، ثم ان بنى عامر بن صعصعة صاروا فى أمرهم الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية فقالوا ننشدك الله أن تفرق جماعتنا ، فعقل توبة وعقل الآخرين معاقل العرب مائة من الابل فأدتها بنو عامر ، ولم يبق بالعالية من بنى عوف احد وأقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة بن عقيل وعبادة بن عقيل بمكانهم من البادية .

وقالت ليلى ترثيه

نظرت وركن من بُوانة دوننا ... وأركان حِسْمى أىَّ نظرة ناظر
لآنس ان لم يقْصُر الطرف عنهمُ ... فلم تقصر الأخبار والطرف قاصرى
فوارس أجلى شأْوُها عن عقيرة ... لعاقرها فيها عقيرة عاقر (١)
فآنست خيلاً بالرُّقَيِّ مغيرةً ... سوابقها مثل القطا المتواتر
قتيل بنى عوف (٢) ويثبر دونه ... قتيل بنى عوف قتيل لجابر
توارده أسيافهم فكأنما ... تصادرن عن أقطاع أبيض باتر

(١) شأوها سرعتها وهو الطلق وعقيرة تعنى توبة ولعاقرها يعنى لعاقر توبة عقيرة عاقر أى الهلاك (٢) هم بنو عوف بن عامر بن عقيل الذين قتلوا توبة

من الهُنْدُوانيّات فى كل قطعة ... دم زَلَّ عن أثر من السيف ظاهر
أتته المنايا دون زَغْف[١] حصينة ... وأسمر خطّى وخَوْصاء ضامر
على كل جَرْداء السَّراة وسابح ... لهن بُشَبَّاك الحديد زوافر
عوابس تعدو الثَّعْلبية ضُمَّرًا ... وهن سوابح بالشكيم سواجر
فلا يبعدنك الله توبة انما ... لقاه المنايا دارعا مثل حاسر
فإلّاتك القتلى بَواء[٢] فانكم ... ستلقَوْن يوما ورده غير صادر
وان السَّليل إذ يبالى قتيلكم ... كمرجومة من عركها[٣] غير طاهر
فان تكن القتلى بَواء فانكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر
فتى لا تخطّاه الرفاق ولا يرى ... لقِدْر عيالا دون جار مجاور
ولا تأخذ الكُوم الجلاد رماحها ... لتوبة فى نحس الشتاء الصَّنابر[٤]
اذا ما رأته قائماً بسلاحه اتـ ... ـقته الخِفاف بالثقال البهازر[٥]
اذا لم يجد منها برِسْل[٦] فقصره ... ذُرَى المرهفات والقِلاص النواجر
قرى سيفه منهن شاسا وضيفه ... سنام البهاريس السياط المشافر
وتوبة أحيا من فتاة حييّة ... وأجرأ من ليث بخفّان خادر
ونعم فتى الدنيا اذا كان فاجرا ... وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
فتى يُنْهِل الحاجات ثم يُعِلُّها ... فيطلعها عنه ثَنايا المصادر
كأن فتى الفتيان توبةَ لم يُنِخْ ... قلائص يَفْحَصن الحصا بالكَراكِر[٧]
ولم يَبْنِ أبراداً عِتاقاً لفتية ... كرام ويرحل قبل فىء الهواجر
ولم يتجل الصبح عنه وبطنه ... لطيف كطى السِّبّ[٨] ليس بحاذر

(١) الزغف الدروع الدقيقة حسنة السلاسل (٢) بواء متساوية فى القصاص
(٣) العرك الحيض (٤) صنابر الشتاء شدة برده والكوم جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام (٥) البهزرة الناقة الجسيمة الضخمة الصفية والجمع بهازر
(٦) الرسل اللبن ماكان (٧) الكراكر جمع كركرة بالكسر وهى صدر كل ذى خف
(٨) السب شقة كتان رقيقة

فتى كان للمولى سَناء ورفعة ... وللطارق السارى قِرًى غير باسر (١)
ولم يُدْعَ يوماً للحفاظ وللعدا ... وللحرب يرمى نارها بالشراشر (٢)
وللبازل الكَوْماء يرغو حُوارها ... وللخيل تعدو بالكُماة المساعر
كأن لم تكن تقطع فلاة ولم تُنِخْ ... قلاصاً لذى بأو (٣) من الأرض غابر
وتصبح بمَوْماة كأن صريفها ... صريف خطاطيف المدى فى المحافر
طوت نفعها عنا كِلاب وآثرت ... بنا أجهلوها بين غاو وشاعر
وقد كان حقاً أن تقول سراتهم ... لما لأخينا عائشا غير عاثر
ودَوِّية قَفْر يَحارُ بها القطا ... تخطيتها بالناعجات (٤) الضوامر
فتاللهِ تبنى بيتها أم عاصم ... على مثله احدى الليالي الغوابر
فليس شهاب الحرب توبة بعدها ... بغازٍ ولا غادٍ بركب مماقر
وقد كان طَلَّاع النِّجاد و بَيِّن اللسان ومِذلاج السُّرى غير فاتر
وقد كان قبل الحادثات اذا انتحى ... وسائق (٥) أو مغبوطة لم يغادر
وكنت اذا مولاك خاف ظُلامةً ... دعاك ولم يَعْدِل سواك بناصر
فان يك عبد الله آسى ابن أمه ... وآب بأسلاب الكمىِّ المغاور
فكان كذات البَوِّ تضرب عنده ... سباعاً وقد ألقينه فى الجراجر (٦)
فان تك قد فارقته لك غادراً ... وأنَّى لحى غدر من فى المقابر
فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا ... وأحفِل من نالت صروف المقادر
على مثل همام ولابن مطرف ... لتبك البواكى أو لبشر بن عامر
غلامان كانا استوردا كل سَوْرة ... من المجد ثم استوثقا فى المصادر

(١) يسر الانسان كلح فهو باسر (٢) ألقى عليه شراشره هو هواه الذى لا يريد أن يدعه من حاجته وألقى عليه شراشره أى أثقاله (٣) البأو الفخر
(٤) الناعجة الناقة السريعة يصاد عليها نعاج الوحش (٥) الوسيقة من الابل كالرفقة من الناس جمعه وسائق (٦) الجراجر العظام من الابل

ربيعَىْ حيًّا كانا يفيض نداهما على كل مغمور تراه وغامر
كأن سنَا ناريهما كل شتوة سنَا البرق يبدو للعيون النواظر

وقالت أيضا وكان الأصمعى يعجب بها

أيا عين بكى توبة بن الحمير بسحّ كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ولا يبعث الأحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر بنجد ولم يطلع من المتغوّر
ولم يرد الماء السدام (١) اذا بدا سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغلب الخصم الضجاح ويملأ الـــجفان سديفاً يوم نكباء صرصر
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها بسبرة بين الاشمسات فيأسر
وصحراء موماة يحاربها القطا قطعت على هول الجنان بمنسر
يقودون قبّا كالسراحين لاحها سُراهم وسير الراكب المتهجر
فلما بدت أرض العدو سقيتها مُجاجَ بقيات المزاد المغـــبر
ولما أهابوا بالنهاب حويتها بخاظى (٢) البضيع كرّه غير أعسر
يمر كمرّ الأندرى (٣) مثابر اذا ما وَنَين مهلب الشد مُحضر
فألوت بأعناق طوال وراعها صلاصل بيض سابغ وسنور (٤)
ألم تر أن العبـــد يقتل ربه فيظهر جد العبد من غير مظهر
قتلتم فتى لا يسقط الروع رمحه اذا الخيل جالت فى قناً متكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى ويا توب للمستنبح المتنور
ألا رب مكروب أجبت ونائل بذلت ومعروف لديك ومنكر

(١) السدم من الماء بالتحريك المتدفق جمعه أسدام وسدام أو الواحد والجمع سواء
(٢) خظا لحمه اكتنز والبضيع اللحم (٣) الاندرى الحبل الغليظ وأهلب الفرس تابع الجرى
(٤) السنور كل سلاح من حديد

وقالت ترثيه أيضا

أقسمت أرثى بعد توبة هالكاً ... وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... اذا لم تصبه فى الحياة المعايير
وما أحد حى وان عاش سالماً ... بأخلد ممن غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً ... فلا بد يوما أن يُرَى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مقصر ... وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحى مما يحدث الدهر مُعْتَب ... ولا الميت ان لم يصبر الحىُّ ناشر
وكل شباب أو جديد الى بِلًى ... وكل امرئ يوما الى الله صائر
وكل قرينى ألفة لتفرق ... شتاتا وان ضَنَّا وطال التعاشر
فلا يبعدنك الله حيا وميتا ... أخا الحرب ان دارت عليك الدوائر
فآليت لا أنفك أبكيك مادعت ... على فنن ورقاء أو طار طائر
قتيل بنى عوف فيالَهْفَتا له ... وما كنت اياهم عليه أحاذر
ولكنما أخشى عليه قبيلة ... لها بدروب الروم باد وحاضر

وقالت ترثيه

كم هاتف بك من باك وباكية ... يا توب للضيف اذ تدعى وللجار
وتوب للخصم ان جاروا وان عندوا ... وبدلوا الأمر نقضاً بعد امرار
أن يصدروا الأمر تطلعه موارده ... أو يوردوا الأمر تحلله باصدار

وقالت ترثيه

هراقت بنو عوف دماً غير واحد ... له نبأ نجديةٌ سيغور
تداعت له أفناء عوف ولم يكن ... له يوم هَضْب الرَّدْهتين نصير

وقالت ترثيه

يا عين بكي بدمع دائم السجم ... وابكي لتوبة عند الروع والبهم

على فتى من بني سعد فجعت به ... ماذا أجَنَّ به فى الحفرة الرجم
من كل صافية صرف وقافية ... مثل السنان وأمر غير مقتسم
ومصدر حين يُعْيى القوم مصدرهم ... وجفنة عند نحس الكوكب الشئم

سأل معاوية بن أبى سفيان ليلى عن توبة فقال ويحك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقاً والناس شجرة بغى يحسدُون أهل النعم حيث كانت وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْط البنان ، حديد اللسان ، شَجَى للأقران ، كريم المختبر ، عفيف المئزر ، جميل المنظر ، وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له ، قال وما قلت له ؟ قالت قلت ولم أتعد الحق وعلمى فيه

بعيد الثَّرَى لا يبلغ القوم قعره ... ألدّ مِلَدّ يغلب الحق باطله
اذا حل ركب فى ذراه وظله ... لتمنعهم مما تخاف نوازله
حماهم بنصل السيف من كل فادح ... يخافونه حتى تموت خصائله (١)

فقال لها معاوية ويحك يزعم الناس أنه كان عاهراً خارباً (٢) ، فقالت من ساعته

معاذَ إلهي كان والله سيداً ... جواداً على العلّات جَمّا نوافله
أغرّ خفاجياً يرى البخل سُبَّة ... تحلب كفاه الندى وأنامله
عفيفاً بعيد الهم صُلْباً قناته ... جميلاً مُحَيّاه قليلاً غوائله
وقد علم الجوع الذى بات سارياً ... على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنك رحب الباع يا تَوْبَ بالقِرَى ... اذا ما لئيم القوم ضاقت منازله
يبيت قرير العين من بات جارَه ... ويضحى بخير ضيفه ومُنازله

فقال لها معاوية ويحك لقد جزت بتوبة قدره ، فقالت والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أنى مقصرة فى نعته وأنى لا أبلغ كنه ما هو أهله ، فقال لها معاوية من أى الرجال كان ؟ قالت

(١) الخصيلة كل لحمة فيها عصب والجمع خصائل (٢) الخارب اللص

أتته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قِرْن يصاوله
وكان كليث الغاب يحمى عَرِينه وترضى به أشباله وحلائله
غضوب حليم حين يطلب حلمه وسم زُعاف لا تصاب مقاتله

فأمَرَ لها بجائزة وقال خبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر ، قالت يا أمير المؤمنين ما قلت فيه شيئاً الا والذى فيه من خصال الخير أكثر منه ولقد أجدت حين قلت

جزى الله خيراً والجزاء بكفه فتى من عُقَيل ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفك جَمَّ التصرف
ينال عليات الأمور بهَوْنة اذا هى أعيت كل خِرْق مُشَرَّف
هوالذوب بل أَرْنى الضَّحالى شبته بدُرْياقة من خمر بيسان قَرْقَف
فيا توب ما فى العيش خير ولا ندى بعد وقد أمسيت فى تَرب نَفْنَف
ومانلت منك النصف حتى ارتمت بك المنايا بسهم صائب الوقع أعجف
فيا ألف ألف كنت حياً مسلماً لألقاك مثل القَسْور المتطرف
كما كنت اذ كنت المنجى من الردى اذا الخيل جالت بالقنا المتقصف
وكم من لَهِيف مُجْحَر قد أجبته بأبيض قطاع الضريبة مُرْهَف
فأنقذته والموت يحرق نابه عليه ولم يطعُن ولم يتنسف(١)

بينا الحجاج جالس اذ استؤذن لليلى ، فقال أدخلوها ، فدخلت امرأة طويلة دَعْجاء العينين ، حسنة المشية ، الى القوة ما هي ، حسنة الثغر ، فسلمت ، فرد الحجاج عليها ورحب بها ، فدنت ، فقال الحجاج وراءك ، ضع لها وسادة يا غلام فجلست ، فقال ما أعملك الينا ؟ قالت السلام على الأمير ، والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه ، قال وكيف خلفت قومك ؟ قالت تركتهم فى حال خِصْب وأمن ودَعَة ،

(١) تنسف فى الصراع قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره

أما الخِصب ففي الأموال والكلأ ، وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل بك ، وأما الدَّعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم ، ثم قالت ألا أنشدك ؟ فقال اذا شئتِ ، فقالت

أحجاج لا يفْلَل سلاحك انها المنايا بكف الله حيث تراها
اذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العُضال الذى بها غلام اذا هزَّ القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها اذا أجمحت يوماً وخيف أذاها
اذا سمع الحجاج صوت كتيبة أعد لها قبل النزال قِراها
أعد لها مصقولة فارسية بأيدى رجال يحسنون غذاها
أحجاج لا تعط العصاة مناهمُ ولا الله يعطى للعصاة مناها
ولا كل حلَّاف تقلد بيعة فأعظم عهد الله ثم شراها

فقال الحجاج ليحيى بن منقذ لله بلادُها ما أشعرها ، فقال مالي بشعرها علم ، فقال عليَّ بعبيدة بن وهب وكان حاجبه ، فقال أنشديه ، فأنشدته ، فقال عبيدة هذه الشاعرة الكريمة قد وجب حقها ، قال ما أغناها عن شفاعتك يا غلام مُرْ لها بخمسمائة درهم واكسها خمسة أثواب أحدها كساء خز وأدخلها على ابنة عمها هند بنت أسماء فقل لها حلِّيها ، فقالت أصلح الله الأمير أضرَّ بنا العَرِيف في الصدقة وقد خربت بلادنا وانكسرت قلوبنا فأخذ خيار المال ، قال اكتبوا لها الى الحكم بن أيوب فليتبع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً واكتبوا الى صاحب اليمامة بعزل العريف الذى شكته ، فقال ابن وهب أصلح الله الأمير أأصلها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمئة درهم ، ثم قال لها الحجاج بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تكرهينه أو سألكِ شيئاً يعاب ؟ قالت لا والله الذى أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قط ، فقال اذ لم يكن فيرحمنا الله وإياه

قال الحجاج لليلى ان شبابك قد ذهب واضمحل أمرك وأمر توبة فأقسم عليك الا صدقتني هل كانت بينكما ريبة قط ؟ أو خاطبك فى ذلك قط ، فقالت لا والله أيها الأمير الا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر ، فقلت له

وذى حاجة قلنا له لا تبُحْ بها فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وخليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرّق بيننا الموت ، قال لها الحجاج فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت وجه صاحباً الى حاضرنا ، فقال اذا أتيت الحاضر من بني عبادة ابن عقيل فاعلُ شرفاً ، ثم اهتف بهذا البيت

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يسرى الىّ خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى ، فقلت له

وعنه عفا ربى وأحسن حفظه عزيزٌ علينا حاجة لا ينالها

بشار بن برد العقيلي

يكنى أبا معاذ محله فى الشعر وتقدمه فى طبقات المحدثين فيه باجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف فى ذلك يغني عن وصفه واطالة ذكر محله وهو من مخضرمى شعراء الدولتين العباسية والأموية قد شهر فيهما ومدح وهجا فأخذ سنىّ الجوائز مع الشعراء

ولاؤه لبني ربيعة بن عقيل ، سأله المهدى لما دخل عليه فقال له فيمن تعتد يا بشار ، فقال أما اللسان والزى فعربيان وأما الأصل فعجمى كما قلت فى شعرى يا أمير المؤمنين

ونبئت قوماً بهم جنّة يقولون من ذا وكنت العَلَم

ألا أيها السائلي جاهداً ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريش العجم
فاني لأغني مقام الفتى وأصبي الفتاة فما تعتصم

وكان أبو دلامة حاضراً ، فقال كلا لوجهك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك فقال بشار كلا والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك والله اني لطويل القامة عظيم الهامة تام الالواح أسجح الخدين ولرب مسترخي المزورين للعين فيه مراد ، ثم قال له المهدي من أي العجم أصلك ؟ فقال من أكثرها في الفرسان وأشدها على الأقران أهل طخارستان ، فقال بعض القوم أولئك الصُّغْد فقال لا الصغد تجار ، فلم يردد ذلك المهدي

وكان بشار كثير التلون في ولائه شديد التشعب والتعصب للعجم ، مرة يقول يفتخر بولائه في قيس

أمنت مضرة الفحشاء اني أرى قيساً تَشَبّ ولا تضار
كأن الناس حين تغيب عنهم نبات الارض أخطأه القِطار
وقد كانت بتَدْمُر خيل قيس فكان لتَدْمُرٍ فيها دمار
بحى من بني عيلان شُوسٍ يسير الموت حيث يقال ساروا
وما نلقاهم إلا صدرنا بريٍّ منهم وهم حرار

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم مولى العُرَيْب فجد بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها أهل الفَعال ومن قريش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع سبحان مولاك الأجل الاكبر

وقال يفتخر بولاء بني عَقيل

انى من بني عُقَيل بن كعب موضع السيف من طُلَى الاعناق

وكان يلقب بالمُرَعَّث لقوله

قال ريم مُرَعَّث ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلي قلت أو يغلب القدر
أنت إن رمت وصلنا فانجُ هل تدرك القمر

وولد بشار أعمى فما نظر الى الدنيا قط وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض فى شعره فيأتى بما لا يقدر عليه البصراء أن يأتوا بمثله فقيل له يوماً وقد أنشد قوله

كأن مُثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوَى كواكبه

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط ولاشيئاً فيها ؟ فقال ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الأشياء فيتوفر حسه وتزكو قريحته ثم أنشدهم قوله

عَمِيت جنيناً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافداً بقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنَوْرِ الأرض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

وكان من أشد الناس تبرماً بالناس وكان يقول الحمد لله الذى ذهب ببصرى فقيل له ولم يا أبا معاذ ؟ قال لئلا أرى ما أبغض ، وكان يلبس قميصاً له لبنتان فاذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله

قال الأصمعى بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم

وقيل لابى عبيدة أمروان عندك أشعر أم بشار ، فقال حكم بشار لنفسه بالاستظهار انه قال ثلاثة عشر الف بيت جيد ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء الجاهلية والاسلام هذا العدد وما أحسبهم برزوا فى مثلها ومروان أمدح للملوك

قال التوَّزى قال بشار أزرى بشعرى الأذان « يقول انه اسلامى » وقال

أبو عبيدة قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين ثم بلغ الحلم وهو مخشى معرة لسانه ، قال وكان بشار يقول هجوت جريراً فأعرض عني واستصغرني ولو أجابني لكنت أشعر الناس ، وكان الأصمعي يقول بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم ، قال أبو زيد كان راجزاً مقصداً ، قال بشار لي اثنا عشر الف بيت عين

وسئل الاصمعي عن بشار ومروان أيهما أشعر ؟ فقال بشار فسئل عن السبب في ذلك ، فقال لأن مروان سلك طريقاً كثر من يسلكه فلم يلحق بمن تقدمه وشركه فيه من كان في عصره و بشار سلك طريقاً لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به وهو أكثر تصرفا وفنون شعر وأغزر وأوسع بديعاً ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائل وقال ابن أبي حاتم سمعت الأصمعي وقد عاد الى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة فقال وجدت أهل بغداد وقد ختموا به الشعراء و بشار أحق بأن يختموهم به من مروان ، فقيل له ولم ؟ فقال وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشار يقول شعراً حتى يصلحه له بشار و يقومه ، وهذا سلم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر و يساويه في الجوائز وسلم معترف بأنه تبع لبشار ، وقيل لأبي زيد أيما أشعر ؟ بشار أم مروان فقال بشار أشعر ومروان أكفر ، وقال مرة مروان أجد و بشار أهزل فحدث الأصمعي بذلك فقال بشار يصلح للجد والهزل ومروان لا يصلح الا لأحدهما

وقيل لبشار ليس لأحد من شعراء العرب شعر الا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وانه ليس في شعرك ما يشك فيه ، قال ومن أين يأتيني الخطأ ؟ ولدت ههنا ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وان دخلت الى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت الى أن أدركت ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟

كان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخياط فاتخذ جاماً لانسان كان بشار عنده

فسأله بشار أن يتخذ له جاماً فيه صور طير تطير ، فاتخذه له وجاءه به ، فقال له مافي هذا الجام ؟ فقال صور طير تطير ، فقال كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنه يريد صيدها فانه كان أحسن ، قال لم أعلم ، قال بلى قد علمت ولكن علمت انى أعمى لا أبصر شيئاً وتهدده بالهجاء ، فقال له حمدان لا تفعل فانك تندم قال أو تهددني أيضاً ؟ قال نعم ، قال فأى شيء تستطيع أن تصنع بي ان هجوتك ؟ قال أصورك على باب دارى بصورتك هذه « وذكر مالا يجمل ذكره » حتى يراك الصادر والوارد ، فقال بشار اللهم اخزه أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد

كان جرير بن المنذر السدوسي يفاخر بشاراً فقال فيه بشار

أمثلُ بنى مُضَر وائل فقدتك من فاخر ، ما أجن
أفى النوم هذا أبا منذر نخيراً رأيت وخيراً يكن
رأيتك والفخر فى مثلها كعاجنة غير ما تَطَّحِن

قال محمد بن الحجاج كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه فى اليمانية والمضرية اذ أذن المؤذن فقال له بشار رويداً تفهم هذا الكلام ، فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله قال له بشار أهذا الذى نودى باسمه مع اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صُدَاء وعكّ وحمير ؟ فسكت الرجل

وقال قلت لبشار إنى أنشدت فلاناً قولك

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

فقال له ما كنت أظنه إلا لرجل كبير ، فقال بشار أفلا قلت له هو والله لأكبر الجن والانس ؟

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلة حتى أصبح ، فلما لم تأته أرسل اليها ليعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها فكتب اليها بهذه الأبيات

ياليلتى تزداد نكرا من حب من أحببت بكرا
حوراء ان نظرت اليك سقتك بالعينين خمرا
وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحراً
وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهبا وعطرا
وكأنها برد الشرا ب صفا وصادف منك فطرا
جنية انسية أو بين ذاك أجل أمرا
وكفاك انى لم أحط بشكاة من أحببت خبرا
إلا مقالة زائر نثرت لى الاحزان نثرا
متخشعاً تحت الهوى عشراً وتحت الموت عشرا

وكان اسحق الموصلى لايعتد ببشار ويقول هو كثير التخليط فى نثره وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً ، أليس هو القائل ؟

إنما عظم سليمى حبتى قصب السكر لاعظم الجمل
وإذا أدنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

لو قال كل شيء جيد ثم أضيف اليه هذا لزيفه ، وكان يقدم عليه مروان ويقول هو أشد استواء شعر منه وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها وكان لايعد أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيراً

قال الجاحظ كان بشار خطيباً صاحب منثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع المتفننين فى الشعر القائلين فى أكثر أجناسه وضروبه وقال الشعر في حياة جرير وتعرض له وحكى أنه قال هجوت جريرا فأعرض عني ولو هاجانى لكنت أشعر الناس وكان يدين بالرجعة ويُكفِر

جميع الأمة ويصوب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين وذكر مثل ذلك فى شعره فقال

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وبلغه عن واصل بن عطاء انكار لقوله وهتف به ، فقال يهجوه

مالي أشايع غزالا له عنق كنقنق الدوّ ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم أتكفرون رجلا أكفروا رجلا

فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على الحاده خطب به واصل وكان ألثغ على الراء فكان يجتنبها فى كلامه فقال أما لهذا الملحد المكنى بأبى معاذ من يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدست اليه من يبعج بطنه فى جوف منزله أو فى حفله ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيلى أو سدوسى ، وكان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكنه من العبارة أن حذف الراء من جميع كلامه وخطبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها

وكانوا يقولون أحسن الناس ابتداء فى الجاهلية امرؤ القيس وفى الاسلام القطامى ومن المحدثين بشار حيث يقول

أبى طلل بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيما
وبالفرع آثار بقين وبالّلوى ملاعب لا يعرفن إلا توهما

وكان الأصمعى يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصرفه ، ويقول كان مطبوعا لا يكلف طبعه شيئاً متعذراً لا كمن يقول البيت ويحكه أياما ، وكان يشبه بشارا بالأعشى والنابغة الذبيانى ويشبه مروان بزهير والحطيئة ويقول هو متكلف ، وقال نجم بن النطاح عهدى بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة الا يروى من شعر بشار ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرّة لسانه

وقال بعض الرواة لأبي عمرو من أبدع الناس بيتاً ؟ قال الذي يقول

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألم
وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم
روحي يا عبدَ عني واعلمي أنني يا عبدَ من لحم ودم
ان في بُرْدَيَّ جسما ناحلا لو توكأت عليه لانهدم

قال فمن أمدح الناس ؟ قال الذي يقول

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وهذه الأبيات لبشار

ودخل بشار الى ابراهيم بن عبدالله بن حسن فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأي يستعمله في أمره ، فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها في ابي مسلم وحذف منها أبياتاً وأولها

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال أبا مسلم

على الملك الجبار يقتحم الرَّدَى ويصرعه في المأزق المتلاحم
كأنك لم تسمع بقتل مُتَوَّج عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
تقسم كسرى رهطُه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم

يعني الوليد بن يزيد

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة عليه ولا جرى النحوس الأشائم
مقيماً على اللذات حتى بدت له وجوه المنايا حاسرات العمائم
وقد تَرِدُ الأيام غُرّا وربما وردن كلوحا باديات الشَّكائم

ومَرْوان قد دارت على رأسه الرحا وكان لما أجرمت نزر الجرائم
فأصبحت تجرى سادراً فى طريقهم ولا تتقى أشباه تلك النقائم
تجردت للاسلام تعفو سبيله وتُعرى مطاه للبيوث الضراغم
فما زلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم
فرم وزَرا ينجيك يا ابن سلامة فلست بناج من مَضِيم وضائم

جعل موضع يا ابن سلامة يا ابن وشيكة وهى أم أبى مسلم

لحا الله قوماً رأسوك عليهم وما زلت مرؤساً خبيث المطاعم
أقول لبسام عليه جلالة غدا أريحيّا عاشقاً للمكارم
من الفاطميين الدعاة الى الهدى جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم

هذا البيت حذفه بشار من الأبيات

سراج لعين المستضىء وتارة يكون ظلاماً للعدو المزاحم
اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغلّ أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن نؤوماً فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تُعْطَ إلا ظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم
وأدنِ على القربى المقرب نفسه ولا تُشهد الشورى امرأ غير كاتم
فانك لا تستطرد الهم بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم
اذا كنت فرداً هرَّك القوم مقبلا وان كنت أدنى لم تفز بالعزائم
وما قرع الاقوام مثل مشيع أريب ولا جلّى العمى مثل عالم

قال أبو عبيدة ميمية بشار هذه أحب إلىّ من ميميتي جرير والفرزدق ، وقال الأصمعى لبشار يا أبا معاذ ان الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة فقال له

يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك فى مكروهه ، فقال له أنت فى قولك هذا أشعر منك فى شعرك

توفى ابن لبشار فجزع عليه فقيل له أجر قدمته وفَرَط افترطته وذُخْر أحرزته ، فقال ولد دفنته وثُكْل تعجلته وغَيْب وُعدته فانتظرته والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة وقال يرثيه

أجارتنـــا لا تجزعى وأنيبى ... أتانى من الموت المطلّ نصيبى
بَنىّ على رَغْمى وسُخْطى رُزئته ... وبُدِّل أحجارا وجال قَليب
وكان كريحان العروس تخاله ... ذَوَى بعد اشراق يسر وطيب
أصبت به فى حين أورق غصنه ... وألقى علىّ الهم كل قريب
عجبت لاسراع المنية نحوه ... وما كان لو مليته بعجيب

قيل لبشار انك لتجىء بالشئ الهجين المتفاوت ، قال وما ذاك؟ قيل بينما تقول شعراً يثير النَّقْع وتخلع به القلوب مثل قولك

اذا ما غضبنا غضبة مُضَرية ... هتكنا حجاب الشمس أو تُمطر الدما
اذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ... ذُرَى منبر صلى علينا وسلما

تقول

رَبابة رَبَّة البيت ... تصب الخيل فى الزيت
لها عشر دجاجات ... وديك حسن الصوت

فقال لكل وجه فالقول الاول جد وهذا قلته فى رَبابة جاريتى وأنا لا آكل البيض من السوق ورَبابة لها عشر دجاجات وديك فهى تجمع لي البيض فهذا عندها أحسن من « قفانبك » عندك وسألته جارية مغنية لبعض ولد سليمان بن علي وكانت محسنة بارعة الظرف أن يذكرها فى قصيدة ولا يذكر فيها اسمها ولا اسم سيدها ويكتب بها اليه ، فانصرف وكتب اليه

وذات دَلّ كأن البدر صورتها ... باتت تغنى عميد القلب سكرانا
« ان العيون التى فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا »
فقلت أحسنت ياسؤلى ويا أملى ... فأسمعيني جزاك الله احسانا
« ياحبذا جبل الرَّيَّان من جبل ... وحبذا ساكن الريان من كانا »
قالت فهلاَّ فدتك النفس أحسن من ... هذا لمن كان صب القلب حيرانا
« ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقه ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا »
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعةً ... أضرمت فى القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعيني صوتاً مطربا هزَجا ... يزيد صبا محبا فيك أشجانا
ياليتنى كنت تفاحا مُفلَّجة ... أوكنت من قُضُب الريحان ريحانا
حتى اذا وجدت ريحى فأعجبها ... ونحن فى خلوة مثلث انسانا
فحركت عودها ثم انثنت طربا ... تشدو به ثم لا تخفيه كتمانا
« أصبحت أطوع خلق الله كلهم ... لأكثر الخلق لى فى الحب عصيانا »
فقلت أطربتنا يازين مجلسنا ... فهات انك بالاحسان أولانا
لو كنت أعلم أن الحب يقتلني ... أعددت لى قبل أن ألقاك أكفانا
فغنت الشَّرب صوتا مُونقا رَمَلا ... يُذكى السرور ويبكى العين ألوانا
« لايقتل الله من دامت مودته ... والله يقتل أهل الغدر أحيانا »

قال هلال بن عطية وهو هلال الرأى لبشار وكان له صديقاً يمازحه ان الله لم يذهب بصر أحد الا عوضه بشىء فما عوضك ؟ قال الطويل العريض ، قال وما هذا ؟ قال ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له ياهلال أتطيعنى فى نصيحة أخصك بها ؟ قال نعم ، قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض وكان هلال يستثقل وفيه يقول بشار

وكيف يخف لي بصرى وسمعى ... وحولى عسكران من الثقال

قعوداً حول دَسْكَرَتى وعندى كأن لهم علىَّ فُضولَ مالى
اذا ماشئت صبحنى هـــلال وأى الناس أثقل من هـلال

ودخل عليه نسوة خمس وهو فى مجلس له ببيتـه يسميه البردان يسألنه أن يقول شعرا ينحن به فقال لست بقائل لكن حرفا أو تطعمن من طعامى وتشربن من شرابى فتما سكن ساعة ثم قالت واحدة منهن ماعليكن ؟ هو أعمى فكان طعامه واشربن شرابه وخذن شعره فبلغ ذلك الحسن البصرى فعابه وهتف ببشار فبلغه ذلك وكان بشار يسمى الحسن القس فقال

لمـا طلعن من الرقيـــق على بالبردان خمسا
وكأنهن أهـلة تحت الثياب زُفَفن شمسا
باكرن عطر لطيمـــة وغُمسن في الجادىّ غمسا
لمـا طلعـن حففنها وأصَخْن ما يهمسن همسا
ليت العيون الطارقا تطُمسن عنا اليوم طمسا
فأصبن من طرف الحديـــث لذاذة وخرجن قلسا
لولا تعرضهن لي ياقسّ كنت كأنت قَسّا

كان الزوار يسَمَّوْن فى قديم الدهر الى أيام خالد بن برمك السُّؤَّال ، فقال خالد هذا والله اسم أستثقله لطلاب الخير وأرفع قدر الكرم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤمنين لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعيم ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدباً ولكننا نسميهم الزوار ، فقال بشار يمدحه بذلك

حذا خالد فى فعله حذو بَرْمَك فمجد له مســـتطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعَوْن قبله بلفظ على الاعـدام فيه دليل
يسَمَّوْن بالسُّؤَّال فى كل موطن وان كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار ســـتراً عليهمُ فأستاره فى المهتدين سدول

وقال بشار هذا الشعر فى مجلس خالد فى الساعة التى تكلم خالد بهذا فى أمر الزوار ، فأعطاه لكل بيت ألف درهم

دخل بشار على عُقْبة بن سَلم فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن رؤية ينشده رجزاً يمدحه به ، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار فقال هذا طِرَاز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار ألى يقال هذا ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك ، فقال له عقبة أنا وأبى فتحنا للناس باب الغريب وباب الرَّجز وانى لخليق أن أسده عليهم ، فقال بشار ارحمهم رحمك الله ، ولما كان من غد غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التى مدحه فيها

يا طَلَلَ الحى بذات الصَّمْد ... بالله خبر كيف كنت بعدى
أوحشت من دَعْدٍ وتِرْب دَعْد ... سقياً لأسماء ابنة الأَشَدّ
قامت تراءى اذ رأتنى وحدى ... كالشمس تحت الزَّبَرْج المنقدّ
صدت بخد وجلت عن خد ... ثم انثنت كالنَّفَس المرتد
عهدى بها سقياً له من عهد ... تُخْلِف وعداً وتفى بوَعد
فنحن من جَهْد الهوى فى جهد ... وزاهر من سَبَط وجَعْد
أهدى له الدهر ولم يستهد ... أفواف نَوْر الحِبَرّ المجد
يلقى الضحى ريحانه بسَجْد ... بدلت من ذاك بُكًى لا يجدى
وافق حظاً من سعى بجِد ... ما ضر أهل النوك ضَعْف الجَد
الحر يُلْحَى والعصا للعبد ... وليس للملحف مثل الرد
والنَّصْف يكفيك من التعدى ... وصاحبٍ كالدُّمَّل المُمِدّ
حملته فى رقعة من جلدى ... أرقب منه مثل يوم الوِرْد
حتى مضى غير فقيد الفقد ... وما درى ما رغبتي من زهد
اسلم وحييت أبا المَلَدّ ... مفتاح باب الحدث المتسد
مشترك النيل وَرِىّ الزَّنْد ... أغرّ لباس ثياب الحمد

ما كان مني لك غير الود ثم ثنـــاء مثل ريح الورد
نسـجته فى محكمات النـد فالبس طرازى غير مسترد
لله أيامك فى معَـــدّ وفى بني قحطان غير عد
يوماً بذى طخفة عند الحد ومثله أودعت أرض الهند
بالمرهفات والحديد السَّرْد والمقربات المبعدات الجُرْد
اذا الحيا أكدى بها لا تُكْدِى تُلْحم أمراً وأموراً تُسْدِى
وابن حكيم ان أتاك يَرْدِى أصم لا يسمع صوت الرعد
حييته بتحفة المعـــد فانهدَّ مثل الجبـل المنهد
كل امرىء رهن بما يؤدى ورب ذى تاج كريم الجد
كآل كسرى وكآل برد أنكب جاف عن سبيل القصد

فصلته عن ماله والولد

فطرب عقبة بن مسلم وأجزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس يخزى وهرب من تحت ليلته فلم يعد اليه

قال الجاحظ فانظر الى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضره وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة وكان أبوه أعلم خلق الله به لأنه قال له وقد فاخره بشعره أنت يابنيَّ ذهبان الشعر ، اذا مت مات شعرك معك فلم يوجد من يرويه بعدك ، فكان كما قال له ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الا خبار عنه الدال على سخفه وسقوطه وسوء أدبه

وقال بشار فى هوى له كانت بالبصرة ، ثم خرجت مع زوجها الى عُمان

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت وأشفى لقلبي أن تَهُبَّ جَنُوب
وما ذاك الا أنها حين تنتهى تناهى وفيها من عبيدة طيب
عذيرى من العذال اذ يعذلونني سفاها وما فى العاذلين لبيب

يقولون لو عزيت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب
اذا نطق القوم الجلوس فانني مكب كأنى فى الجميع غريب

جاء أبو الشمقمق الى بشار يشكو اليه الضيقة ويحلف له أنه ما عنده شىء ، فقال له بشار والله ما عندي مايغنيك ولكن قم معى الى عقبة بن سلم ، فقام معه ، فذكر له أبا الشمقمق وقال هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ، فقال له بشار

يا واحد العرب الذى أمسى وليس له نظير
لو كان مثلك آخراً ما كان فى الدنيا فقير

فأمر لبشار بألفى درهم ، فقال أبو الشمقمق نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ ، فجعل بشار يضحك

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدى و بشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد وكانت فيه غفلة فقال ياشيخ ماصناعتك ؟ فقال أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدى ثم قال لبشار اغرب ويلك أتتنادر على خلى ؟ فقال له وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته

وقف على بشار بعض المجّان وهو ينشد شعراً فقال له استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بشار بيديه وغضب ثم قال له : ومن أنت ويلك ؟ قال أنا أعزك الله رجل من باهلة ، وأخوالى سلول ، وأصهارى عُكْل ، واسمى كلب ، ومولدى باضاخ ، ومنزلى بظفر بلال ، فضحك بشار ، ثم قال اذهب ويلك فأنت عتيق لؤمك قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد

مرّ بشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقول الحمد لله شكراً ، فقال له بشار استزده يزدك ، ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها فقال مالهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم

رفع غلام بشار اليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال والله مافي الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم والله لوصدئت عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة مابلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم

قال قدامة بن نوح كان بشار يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التى لاحقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه « غنى للغريض يا ابن قنان » فقيل له من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغنى البصرة ، قال وما عليكم منه ؟ ألكم قبله دين فتطلبوه به أو ثار تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به فاذا غاب طالبتمونى باحضاره ؟ قالوا ليس بيننا وبينه شىء من هذا وانما أردنا أن نعرفه ، فقال هو رجل يغني لى ولا يخرج من بيتى ، فقالوا له الى متى ؟ فقال مذ يوم ولد وإلى أن يموت ، وذكر أيضاً فى هذه القصيدة « البردان » فقيل له يا أبا معاذ أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة فقال هو بيت فى بيتى سميته بالبردان ، أفعليكم من تسميتى دارى وبيوتها شىء فتسألونى عنه ؟

دخل أعرابى على مجزأة بن ثور السدوسى و بشار عنده وعليه بزة الشعراء ، فقال الأعرابى من الرجل ؟ فقالوا رجل شاعر ، فقال أمولى هو أم عربى ؟ قالوا بل مولى ، فقال الأعرابى ، وما للموالي وللشعر ؟ فغضب بشار وسكت هنيهة ثم قال أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال قل ما شئت يا أبا معاذ ، فأنشأ بشار يقول

خليلي لا أنام على اقتسار ولا آبى على مولى وجار
سأخبر فاخر الاعراب عنى وعنه حين تأذن بالفخار
أحين كسبت بعد العرى خزاً ونادمت الكرام على العقار
تفاخر يا ابن راعية وراع بنى الأحرار حسبك من خسار
وكنت إذا ظلمت إلى قراح تركت الكلب في ولغ الاطار
تربع بخطبة كسر الموالى وينشيك التكارم ضيق فار

وتغدو للقنافذ تدّريها ولم تعقل بدرّاج الديار
وتتشح الشمل للابسيها وترعى الضأن بالبلد القفار
مقامك بيننا دنس علينا فليتك غائب فى حر نار
ونفرك بين خنزير وكلب على مثلى من الحدث الكبار

فقال مجزأة للأعرابى قبحك الله فأنت كسبت هذا الشر لنفسك ولأمثالك

قال جعفر بن محمد النوفلى وكان يروى شعر بشار كنت عند بشار ذات يوم فحدثني قال ماشعرت منذ أيام الا بقارع يقرع بابى مع الصبح ، فقلت ياجارية انظرى من هذا ، فرجعت وقالت هذا مالك بن دينار ، فقلت ماهو من أشكلي ولا أضرابى ثم قلت ائذنى له ، فدخل فقال يا أبا معاذ أتشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم ؟ فلم يكن عندى إلا أن دفعت عن نفسى وقلت لا أعود ، فخرج عنى وقلت فى أثره

غدا مالك بملاماته على وما بات من باليه
تناول خَوْدا هضيم الحشى من الحور محطوطة عالية
فقلت دع اللوم فى حبها فقبلك أعييت عذاليه
وإنى لأكتمهم سرها غداة تقول لها الجالية
عبيدة مالك مسلوبة وكنت معطرة حالية
فقالت على رِقْبة انني رهنت المرعث خلخاليه
بمجلس يوم سأوفى به ولو أجلب الناس أحواليه

كان رجل يقال له سعد بن القعقاع ينتدم بشاراً فى المجانة فقال لبشار وهو ينادمه ويحك يا أبا معاذ قد نسبنا الناس إلى الزندقة فهل لك أن تحج بنا حجة تنفى ذلك عنا ؟ قال نعم ما رأيت ، فاشتريا بعيراً ومحملا وركبا ، فلما مرا بزُرارة قال له ويحك يا أبا معاذ ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ، مل بنا إلى زُرارة نتنعم فيها فاذا قفل الحاج عارضناهم بالقادسية وجززنا رءوسنا فلم يشك الناس أنا جئنا من

الحج ، فقال له بشار نعم ما رأيت لولا خبث لسانك وانى أخاف أن تفضحنا ، قال لا تخف ، فمالا إلى زرارة فما زالا يشربان الخمر ، فلما نزل الحاج بالقادسية راجعين أخذا بعيراً ومحملا وجزاءوسهما وأقبلا وتلقاهما الناس يهنونهما فقال سعد بن القعقاع

ألم ترنى وبشاراً حججنا ... وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طالبي سفر بعيد ... فمال بنا الطريق الى زرارة
فآب الناس قد حجوا وبرّوا ... وأبنا موقرين من الخسارة

ومن قول بشار فى جارية له سوداء

وغادة سوداء براقة ... كالماء فى طيب وفى لين
كأنها صيغت لمن نالها ... من عنبر بالمسك معجون

أنشد الأصمعى قول بشار يهجو باهلة

ودعانى معشر كلهم ... حمق دام لهم ذاك الحمق
ليس من جرم ولكن غاظهم ... شرفى العارض قد سد الافق

قالت امرأة لبشار أى رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، قال أما علمت أن بيض البزاة أشهر من سود الغربان ؟ فقالت له أما قولك فحسن فى السمع ومن لك بأن يحسن شيبك فى العين كما حسن قولك فى السمع ؟ فكان بشار يقول ما أفحمنى قط غير هذه المرأة

دعا عقبة بن سلم بشاراً ودعا بحماد عجرد وأعشى باهلة فلما اجتمعوا عنده قال لهم انه خطر ببالى البارحة مثل يتمثله الناس « ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذنين » فأخرجوه من الشعر ومن أخرجه فله خمسة آلاف درهم وان لم تفعلوا جلدتكم كلكم خمسمائة جلدة ، فقال حماد أجلنا أعز الله الأمير شهراً وقال الأعشى أجلنا أسبوعين وبشار ساكت لا يتكلم ، فقال له عقبة مالك لا تتكلم أعمى الله

قلبك ، قال أصلح الله الأمير قد حضرني شيء فان أمرت قلته ، قال قل ، فقال

شط بسلمى عاجل البين وجاورت أسد بني القين
ورنت النفس لها رنة كادت لها تنشق نصفين
يا ابنة من لا أشتهي ذكره أخشى عليه علق الشين
والله لو ألقاك لا أتقى عيناً لقبّلتك ألفين
طالبتها ديني فراغت به وغلقت قلبي مع الدين
فصرت كالعير غدا طالباً قرناً فلم يرجع بأذنين

فانصرف بشار بالجائزة

حجّ المنصور فاستقبل بالرَّضم الذى بين زُبالة والشقوق ، فلما رحل من الشقوق رحل فى وقت الهاجرة فلم يركب القبة وركب نجيبا ، فسار بين القوم فجعلت الشمس تضحك بين عينيه فقال إنى قائل بيتاً فمن أجازه وهبت له جبتى هذه ، ثم قال

وهاجرة نصبت لها جبينى يقطع ظهرها ظهر العظاية

فبدر بشار فقال

وقفت بها القلوص ففاض دمعي على خدي وأقصر واعظايه

فنزع الجبة وهو راكب فدفعها اليه

ومن أحاسن بشار قوله من القصيدة التى أولها

أخشاب حقاً أن دارك تزعج وان الذى بيني و بينك ينهج

يقول فيها

فواكبدا قد نضج الشوق نصفها ونصف على نار الصبابة ينضج
وواحزنا منهن يحففن هودجاً وفى الهودج المحفوف بدر متوج
فان جئتها بين النساء فقل لها عليك سلام مات من يتزوج

بكيت وما في الدمع منك خليقة ولكن أحزانى عليك توهج

دعاه رجل إلى منزله فأكل وشرب ولما أراد الانصراف قامت جارية للرجل وأخذت بيده فلما صار بالصحن أومأ اليها ليقبلها فأرسلت يدها من يده فجعل يجول فى العرصة وخرج مولى الجارية فقال ما لك يا أبا معاذ ؟ فقال أذنبت ذنباً ولا أبرح أو أقول شعراً ، فقال

أتوب اليك من السيئات وأستغفر الله من فعلتى

تناولت ما لم أرد نيله على جهل أمري وفى سكرتى

ووالله والله ما جئته لعمد ولا كان من همتى

وإلا فمتُّ اذاً ضائعاً وعذبنى الله فى ميتتى

فمن نال خيراً على قبلة فلا بارك الله فى قبلتى

لما أنشد بشار عقبة بن مسلم أرجوزته السابقة أمر له بخمسين الف درهم فأخرها وكيله ثلاثة أيام فأمر بشار غلامه أن يكتب على باب عقبة عن يمين الباب

ما زال ما منيتنى من همى والوعد غم فأزح من غمى

إن لم ترد حمدى فراقب ذمى

فلما خرج عقبة رأى ذلك فقال هذا من فعلات بشار ثم دعا بالقهرمان وأمره أن يعجل لبشار الجائزة وأن يزيد عليها عشرة آلاف درهم

لما كثر استهتار نساء البصرة وشبانها بشعر بشار وقل سوّار بن عبد الله ومالك بن دينار ما شئ أدعى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الأعمى وما زالا يعظانه وكان واصل بن عطا يقول ان من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد ، فلما كثر ذلك وانتهى خبره إلى المهدى نهاه عن ذكر النساء وقول التشبيب ، وكان المهدى من أشد الناس غيرة ، فقال فى ذلك

يا منظراً حسناً رأيـــت بوجه جارية فديتـه
بعثت إلىَّ تسومني ثوب الشباب وقد طويته
والله رب محمـــد ما ان غدرت ولا نويته
أمسكت عنك وربما عرض البلاء وما ابتغيته
أن الخليفة قـد أبى واذا أبى شيئاً أبيتـه
ومخضب رخص البنا ن بكى علىَّ وما بكيته
ويشوقني بيت الحبيـــب اذا ذكرت وأين بيته
قام الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته
ونهـانى الملك الهما م عن النساء وما عصيته
لا بل وفيت فلم أضع عهداً ولا نأياً رأيتـه
وأنا المعل على العدى واذا غلا الحمد اشتريته
أصفى الخليل اذا دنا واذا نأى غني نأيتـه
وأميل فى أنس النديـــم من الحياء وما اشتهيته

وكان الخليل بن احمد ينشد هذه الأبيات ويستحسنها ويعجب بها

وكان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقى واحد يقال له البراء فركب فى زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق فكان بشار يقول ما خير فى الدنيا بعد الأصدقاء ثم رثى أصدقاءه بقوله

يا ابن موسى ماذا يقول الامام فى فتاة بالقلب منها أوام
بت من حبها أوقر بالكأ س ويهفو على فؤادي الهيام
لم يكن بينها وبينى إلا كتب العاشقين والأحلام
يا ابن موسى اسقني ودع عنك سلمى ان سلمى حمى وفيَّ احتشام
رب كأس كالسلسبيل تعللـــتُ بها والعيون عنى نيـــام

حبست للشُّراة فى بيت رأس عتقت عانساً عليها الختام
نفحت نفحة فهرَّت نديمي بنسيم وانشق عنها الزُّكام
وكأن المعلول منها اذا را ح شيخ فى لسانه بِرْسام
صدمته الشَّمول حتى بعينيه انكسار وفى المفاصل خام
وهو باقى الأطراف حيَّت به الكأ س وماتت أوصاله والكلام
وفتى يشرب المدامة بالما ل ويمشي يروم ما لا يرام
أنفدت كأسه الدنانير حتى ذهب العين واستمر السَّوام
تركته الضهباء يرنو بعين نام انسانها وليست تنام
جن من شربة تُعَلُّ بأخرى وبكى حين سار فيه المدام
كان لي صاحباً فأودى به الدهـ ـر وفارقته عليه السلام
بقى الناس بعده هلك نداما ى وقوعا لم يشعروا ما الكلام
كجزور الأيسار لا كيد فيها لباغ ولا عليها سَنَام
يا ابن موسى فقد الحبيب على العيـ ـن قَذًى فى الفؤاد منه سقام
كيف يصفو لي النعيم وحيداً والأخلاء في المقابر هام
نفستهم عليّ أم المنايا فأنامتْهُمُ بعنف فناموا
لا يغيض السجام عيني عليهم إنما غاية الحزين السجام

وقال فى نهى الخليفة له عن ذكر النساء

والله لولا رضا الخليفة ما أعطيت ضَيْماً عليَّ فى شَجَن
وربما خيرَ لابن آدم فى الكُرْ ه وشق الهوى على البدن
فاشرب على ابنة الزمان فما تلقى زماناً صفا من الأُبَن
الله يعطيك من فواضله والمرء يغضى عيناً على الكمن
قد عشت بين الريحان والرا ح والزهر فى ظل مجلس حسن

وقد ملأت البلاد ما بين يغجـــور الى القيروان فالمين
شعراً تصلى له العواتق والشـــيب صلاة الغواة للوثن

ثم نهاني المهدى فانصرفت نفسى صنيع الموفق اللقن
فالحمد لله لا شريك له ليس بباق شيء على الزمن

وأنشد المهدي قصيدته التي أولها

تجاللت عن فهر وعن جارتَي فهر وودعت نُعْما بالسلام وبالبشر
وقالت سليمى فيك عنا جلادة محالك دانٍ والزيادة عن عفر
أخى فى الهوى مالي أراك جفوتنا وقد كنت تقفونا على العسر واليسر
تثاقلت إلا عن يد أستفيدها وزورة أملاك أشد بها أزرى
وأخرجني من وزر خمسين حجة فتى هاشمى يقشعر من الوزر
دفنت الهوى حياً فلست بزائر سليمى ولا صفراء ما قرقر القمري
ومصفرة بالزعفران جلودها اذا اجتليت مثل المفرطحة الصفر
فرب ثقال الرِّدف هبت تلومنى ولو شهدت قبرى لصلت على قبرى
تركت لمهدىّ الأنام وصالها وراعيت عهداً بيننا ليس بالخَتْر
ولولا أمير المؤمنين محمـــد لقبلت فاها أو لكان بها فطرى
لعمرى لقد أوقرت نفسى خطيئة فما أنا بالمزداد وَقْرا على وقر
تسلى عن الاحباب صرَّام خلة ووصَّال أخرى ما يقيم على أمر
وركَّاض أوراس الصبابة والهوى جرت حججاً ثم استقرت فلا تجرى
فأصبحن ما يركبن إلا إلى الوغى وأصبحت لا يُزْرَى علىَّ ولا أُزْرِى
فهذا وانى قد شرعت مع التقى وماتت همومى الطارقات فما تسرى

ثم قال يصف السفينة

وعذراء لا تجرى بلحم ولا دم قليلة شكوى الأين مُلجَمة الدُّبْر

اذا طعنت فيه الفلول تشخصت بفرسانها لا فى وُعوث ولا وَعْر
وان قصدت زَلّت على متنصب ذليل القُوَى لاشئ يَفْرِى كما يَفْرى
تلاعب تيار[1] البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
الى ملك من هاشم فى نبوة ومن حِمْيَرَ فى المُلك والعدد الدَّثْر
من المشترين الحمد تندى من الندى يداه ويندى عارضاه من العطر
فألزمت حبلى حبل من لا تُغِبُّه عفُوة النَّدى من حيث يدرى ولا يدرى
بنى لك عبدالله بيت خلافة نزلت بها بين التَّراقد والنَّسر
وعندك عهد من وصاة محمد فَرَعْتَ به الأملاك من ولد النَّضْر

ورد بشار على خالد بن بَرْمَك وهو بفارس فامتدحه فوعده ومطله فوقف على طريقه وأنشد

أظلت علينا منك يوماً سحابة أضاءت لنا برقاً وأبطا رشاشها
فلا غيمها يُجلى فييأس طامع ولا غيثها يأتى فيُرْوَى عطاشها

فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال لن تنصرف السحابة حتى تَبُلَّك ان شاء الله

وقال بشار فى رجل استثقله

ربما يثقل الجليس وان كا ن خفيفاً فى كفة الميزان
كيف لا تحمل الأمانة أرض حملت فوقها أبا سفيان

وقال فيه أيضاً

هل لك فى مالي وعرضى معاً وكل ما يملك جيرانيه
واذهب إلى أبعد ما ينتوى لا ردك الله ولا ماليه

ولما أنشد لوليد بن يزيد قول بشار

أيها الساقيان صُبّا شرابى واسقياني من ريق بيضاء رُود

(١) كان قد قال فينان البحور فنابه بذلك سيبويه فجعله تيار البحور

ان دائى الظما وان دوائى شربة من رُضاب ثغر بَرود
ولها مضحك كثغر الأقاحى وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القلـــب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعد ليال والليالي يُبْلِين كل جديد
عندها الصبر عن لقائى وعندى زفرات يأكلن قلب الحديد

طرب الوليد وقال من لي بمزج كأسى هذه من ريق سلمى فيروى ظمئى وتطفأ غلتى ، ثم بكي حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال ان فاتنا ذاك فهذا

دخل بشار على المهدى وقد عرضت عليه جارية مغنية ، فسمع غناءها فأطربه وقال لبشار قل في صفتها شعراً فقال

ورائحة للعين فيها مخيلة إذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات السرور على الفتى خفى برقها فى عبقر وعقود
كأن لساناً ساحراً فى كلامها أعين بصوت للقلوب صيود
تميت به ألبابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود

دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده

انما لذة الجواد ابن سَلْم فى عطاء ومركب ولقاء
حرم الله أن ترى كابن سلم عقبة الخير مطعم الفقراء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف وانما يَلَذّ طعم العطاء
يسقط الطير حيث ينتثر الحـــب وتُغشى منازل الكرماء
لا أبالي صفح اللئيم ولا تجـــرى دموعى على الحرون الصفاء
فعلى عقبة السلام مقيماً واذا سار تحت ظل اللواء

فوصله بعشرة آلاف درهم

قال الأصمعى كنت أشهد خلف بن أبى عمرو بن العلاء وخلفاً الاحمر يأتيان

بشاراً و يسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما و يسألانه و يكتبان عنه متواضعين له حتى يأتى وقت الظهر ثم ينصرفان عنه ، فأتياه يوماً فقالا له ماهذه القصيدة التى أحدثتها فى مسلم ابن قتيبة ؟ قال هى التى بلغتكما ، قالا بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ، فقال نعم بلغنى ان مسلماً يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه مالا يعرفه ، قالا فأنشدنا ، فأنشدها

بكرا صاحبيّ قبل الهجير ان ذاك النجاح فى التبكير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف لو قلت يا أبا معاذ مكان ان ذاك النجاح « بكرا فالنجاح فى التبكير » كان أحسن ، فقال بشار بنيتها أعرابية وحشية ، فقلت إن ذاك النجاح كما يقول الأعراب البدويون ولوقلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل فى معنى القصيدة ، فقام خلف فقبل بين عينيه وقال له خلف بن أبى عمرو يمازحه لو كان عُلاثة ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخى ولكنك مولى ، فمد بشار يده فضرب بها فخذ خلف وقال له

ارفق بعمرو إذا حركت نسبته فانه عربى من قواريرِ

فقال له أعلمتها يا أبا معاذ ؟ وكان أبو عمرو يغمز فى نسبه

مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه

لعمرى لقد أجدى علىّ ابن برمك وما كل من كان الغنى عنده يُجدى
حلبت بشعرى راحتيه فدرّتا سَماحاً كما در السحاب مع الرعد
إذا جئته للحمد أشرق وجهه اليك وأعطاك الكرامة بالحمد
له نعم في القوم لا يستثيبها جزاء وكيل التاجر المدّ بالمد
مفيد ومتلاف سبيل تُراثه اذا ما غدا أو راح كالجزر والمد
أخالد إن الحمد يبقى لأهله جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد
فأطعم وكل من عارة مستردة ولا تُبقها إن العوارى للرد

فأعطاه خالد ثلاثين الف درهم وكان قبل ذلك يعطيه فى كل وفادة خمسة آلاف درهم وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان فى صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه وقال ابنه يحيى بن خالد آخر ما أوصانى به أبى العمل بهذين البيتين

استمنح بشار العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه فقال يهجوه

ظل اليسار على العباس ممدود ... وقلبه أبداً فى البخل معقود
ان الكريم ليخفى عنك عسرته ... حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل ... زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرهت أن تُعطي القليل ولم ... تقدر على سَعَة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما ... ترجى الثمار اذا لم يورق العود
بُث النوال ولا تمنعك قلته ... فكل ماسد فقراً فهو محمود

وكان اسحق الموصلى يطعن على شعر بشار ويضع منه ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً فقيل له أتقول هذا لمن يقول

إذا كنت فى كل الامور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فانه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وهى من غرر قصائده مدح بها عمر بن هُبيرة ومنها قوله

يخاف المنايا إن ترحلت صاحبى ... كأن المنايا فى المقام تناسبه
فقلت له إن العراق مقامه ... وخيم إذا هبت عليك جنائبه
لألقى بنى عَيْلان إن فعالهم ... تزيد على كل الفعال مراتبه
أولاك الأولى شنّوا العمى بسيوفهم ... عن العين حتى أبصر الحق طالبه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصا ... وبالشوك والخَطّيّ حمراً تغالبه
غدونا له والشمس فى خِدْر أمها ... تطالعنا والظل لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ... وتدرك من نجى الفرار مثالبه
كأن مُثار النقع فوق رؤسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
بعثنا لهم موت الفجاءة إننا ... بنو الموت خفاق علينا سبائبه
فراحوا فريق في الاسار ومثله ... قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربه

ومنها

إذا الملك الجبار صعّر خده ... مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
رويداً تصاهل بالعراق جيادنا ... كأنك بالضحاك قد قام نادبه
وسام لمروان ومن دونه الشجا ... وهول كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بنابها ... بأسيافنا انا رَدَى من نحاربه
وكنا إذا دب العدو لسخطنا ... وراقبنا فى ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكل مثقف ... وأبيض تستسقى الدماء مضاربه

ومنها

فلما تولى الحي واعتصر الثرى ... لظى الصيف من نجم توقد لاهبه
وطارت عصافير الشقائق واكتسى ... من الآل أمثال المجرّة ناضبه
غدت عانة[1] تشكو بابصارها الصّدى ... الى الجأب إلا أنها لا تخاطبه

ومن حسن شعره

لو كنت تلقين مانلقى قسمت لنا ... يوماً نعيش به متكم ونبتهج
لاخير فى العيش إن كنا كذا أبداً ... ما فى التلاقى ولا في قبلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
أشكو إلى الله هماً ما يفارقنى ... وشُرّعاً في فؤادى الدهر تعتلج

(١) العانة القطعة من الحمير والجأب ذكرها وتمنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين فى أحداقها ففارت وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والاتن

وفد على خالد بن برمك فأنشده

أخالد لم أخبط اليك بذمة ... سوى أنني عافٍ وأنت جواد

أخالد بين الأجر والحمد حاجتي ... فأيّهما تأتي فأنت عماد

فان تعطني أفرغ عليك مدائحي ... وان تأب لم يضرب عليّ سداد

ركابي على حرّف وقلبي مشيّع ... ومالي بأرض الباخلين بلاد

اذا أنكرتني بلدة أو نكرتها ... خرجت مع البازي عليّ سواد

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس فوضع واحداً عن يمينه وواحداً عن شماله وآخر بين يديه وآخر خلفه وقال يا أبا معاذ هل استقل العماد ؟ فلمس الاكياس ثم قال استقل والله أيها الامير

قال أبان بن عبد الحميد نزل فى ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس بن عيلان وكان فيهم بيان وفصاحة، فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التى يمدح بها قيساً فيجلونه لذلك ويعظمونه ، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن اليه وينشدهن أشعاره فى الغزل وكنت كثيراً ما آتى فى ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم فأتيتهم يوماً فاذا هم ارتحلوا ، فجئت الى بشار فقلت يا أبا معاذ أعلمت أن القوم قد ارتحلوا ؟ قال لا ، فقلت فاعلم ، قال قد علمت لا علمت ، ومضيت ، فلما كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس ينشدون

دعا فرق من تهوى أبان ... ففاض الدمع واحترق الجنان

كأن شرارة وقعت بقلبي ... لها فى مقلتي ودمي استنان

اذا أنشدت أو نسمت عليها ... رياح الصيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشار ، فأتيته فقلت يا أبا معاذ ما ذنبي اليك ؟ قال ذنب غراب البين ، فقلت هل ذكرتني بغير هذا ؟ قال لا ، فقلت أنشدك الله ألا تزيد ، فقال امض لشأنك فقد تركتك

أنشد بشار جعفر بن سليمان

أقلى فانا لاحقون وانما يؤخرنا أنا يعد لنا عدا

وما كنت الا كالأغر ابن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له من ابن جعفر ؟ قال الطيار فى الجنة ، فقال له لقد سامت غير مسامى فقال والله ما يقعدنى عن شأوه بعد النسب ولكن قلة النشب ، وانى لأجود بالقليل وان لم يكن عندى الكثير وما على من جاد بما يملك ألا يهب البدور ، فقال له جعفر لقد هززت يا أبا معاذ ، ثم دعا بكيس فدفعه اليه

قيل لبشار انك لكثير الهجاء ، فقال انى وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر والا فليبالغ فى الهجاء ليخاف فيعطى

قال أبو حاتم كان الأخفش قد طعن على بشار فى قوله

فالآن أقصر عن سُمية باطلى وأشار بالوَجَل على مشير

وفى قوله

على الغزَلى منى السلام فربما لهوت بها فى ظل مرءومة زهر

وفى قوله فى صفة سفينة

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

وقال لم يسمع من الوجل والغزل فعلى ولم أسمع بنون ونينان ، فبلغ ذلك بشاراً فقال ويلي على القصارين متى كانت الفصاحة فى بيوت القصارين دعونى وإياه ، فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزع ، فقيل له ما يبكيك ؟ فقال ومالي لا أبكي وقد وقعت فى لسان بشار الأعمى ، فذهب أصحابه الى بشار فكذبوا عنه واستوهبوا منه عرضه وسألوه ألا يهجوه ، وكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره فى كتبه ، فكف عن ذكره

مرَّ بعض أهل الكوفة ببشار وهو متبطح في دهليزه كأنه جاموس ، فقال يا أبا معاذ من القائل

فى حلتي جسم فتى ناحل لو هبت الريح به طاحا

قال أنا ، قال الكوفي ما حملك على هذا الكذب والله انى لأرى أن لو بعث الله الرياح التى أهلكت الأمم الخالية ما حركتك من موضعك ، فقال بشار من أين أنت ؟ قال من أهل الكوفة ، فقال يا أهل الكوفة لا تدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال

مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئاً ، فقيل له لم يستجد شعرك ، فقال والله لقد قلت فيه شعراً لو قيل فى الدهر لم يُخش صرفه على أحد ولكنا نكذب فى القول فنكذب فى الأمل

مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحرّان وخرج اليه ، وأنشده قوله فيه

نأتك على طول التجاور زينب وما شعرت أن النوى سوف يشعب
يرى الناس ما تلقى بزينب اذ نأت عجيباً وما تُخفي بزينب أعجب
وقائلة لي حين جد رحيلنا وأجفان عينيها تجود وتسكب
أغادٍ الى حرّان فى غير شيعة وذلك شأو بين هواها مغرّب
فقلت لها كفتنى طلب الغنى وليس وراء ابن الخليفة مذهب
سيكفى فتى من سعيه حد سيفه وكَوْر علافى ووجناء ذعلب
اذا استوغرت دار عليه رمى بها بنات الصُّوَى منهار كوب ومُصْعَب
فعدى الى يوم ارتحلت وسائلى بزورك والرحال من جاء يضرب
لعلك أن تستيقنى أن زورتى سليمان من سير الهواجر تعقب
أغر هشامى القناة اذا انتمى نمته بدور ليس فيهن كوكب

وما قصدت يوماً فحيلين خيله فتصرف الا عن دماء تصبب

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان يبخل ، فلم يرضها ، وانصرف عنه مغضباً ، فقال

انا أمس منقبض اليدين عن الندى وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح على اللئام مسلطاً نَلِج القيل منعم النَّدمان
فى ظل عيش عشيرة محمودة تَندَى يدي ويُخاف فرط لسانى
أزمان خيبنى الشباب مطاوع واذ الامير علىّ من حرّان
ريم بأحوية العراق اذا بدا برقت عليه أكِلّة المَرْجان
فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى وبوشك رؤيتها من الهَملان
فلقرب من تهوى وأنت متيم أشفى لدائك من بنى مَرْوان

قدم بشار على المهدي بالرصافة فدخل عليه فى البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه فأنشده مديحاً يقول فيه

كأنما جئته أبشره ولم أجئ راغباً ومحتلباً
يزين المنبر الأشم بعطفيه وأقواله اذا خطبا
تُشَم نعلاه فى الندىّ كما يشم ماء الريحان منتهبا

قال وقد طلب منه أن ينشده شيئا من غزله

وقائل هات شوقنا فقلت له أنائم أنت ياعمرو بن سمعان
أماسمعت بما قدشاع فى مُضَر وفى الخليفين من بكر وقحطان
قال الخليفة لا تنسب بجارية اياك اياك أن تشقى بعصيان

وقال له المهدى قل فى الحب شعرا ولا تطل واجعل الحب قاضياً بين المحبين لا تسم أحداً فقال

اجعل الحب بين حبى وبينى قاضياً انني به اليوم راض

فاجتمعنا فقلت ياحِبَّ نفسى ان عينى قليلة الاغماض
أنت عذبتنى وأنحلت جسمى فارحم اليوم دائم الأمراض
قل لي لا يحل حكمى عليها أنت أولي بالسقم والاعراض
قلت لما أجابني بهواها شَمَلَ الجورفى الهوى كل قاض

فبعث اليه المهدى حكمت علينا ووافقنا ذلك فأمر له بالف دينار

وكان بشار صديقاً لواصل بن عطاء وكان قد مدحه وذكر خطبته التى خطبها فنزع منها كلها الراء وكانت على البديهة وهى أطول من خطبتى خالد بن صفوان وشبيب بن شبة فقال

تكلف القول والأقوام قد حفلوا وحبروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تلفى بداهته كمرْجل القَيْنِ لما حُفَّ باللَّهَب
وجانب الراء لم يشعر به أحد قبل التفصح والاغراق في الطلب

فلما دان بشار بالرجعة وأكفر الامة انقلبت صداقة واصل الى عداوة

ومن شعر بشار

لقد كاد ما اخفى من الوجد والهوى يكون جوًى بين الجوانح أوخبلا
إذا قال مهلاً ذو القرابة زادنى ولوعاً بذكراها ووجداً بها مهلا
فلا يحسب البيض الأوانس أن فى فؤادي سوى سُعدي لغانية فضلا
فأقسم إن كان الهوى غير بالغ بى القتل من سعدى لقد جاوز القتلا
فياصاح خبرنى الذى أنت صانع بقاتلتى ظلماً وما طلبت ذَحلا
سوى اننى فى الحب بينى وبينها شددت على اكضام سر لها قفلا

وحدث احمد بن خالد عن أبيه قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد فكان يقول لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما أظن الامر يا أبا خالد إلا كما تقول وان الذى نحن فيه خذلان ولذلك أقول

طبعت على مافيَّ غير مخير هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أُعطى وأُعطَى فلا أُرد وقصر علمى أن أنال المغيبا
فأصرف عن قصدى وعلمى مقصر وأُمسى وما أعقبت إلا التعجبا

رثى بشار بنتاً له فقال

يابنت من لم يك يهوى بنتا ما كنت إلا خمسة أو ستاً
حتى حللتِ فى الهوى وحتى فتنت قلبي من جوى فانفتا
لأنتِ خير من غلام بتا يصبح سكران ويمسي بَهْتا

كان نافع بن عقبة بن سلم جواداً ممدحاً وكان بشار منقطعاً الى أبيه فلما مات أبوه وفد اليه وقد ولى مكان أبيه فمدحه بقوله

ولنافع فضل على أكفائه إن الكريم أحق بالتفضيل
يانافع السَّبرات حين تناوحت هوج الرياح وأعقبت بوُبول
أشبهت عقبة غير ما متشبه ونشأت فى حلم وحسن قبول
ووليت فينا أشهراً فكفيتنا عنَت المريب وسلة التضليل
تدعى هلالا فى الزمان ونافعاً ولسلم نعم أبوة المأمول

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه فى كل سنة إذا وفد عليه

جاء بشار أصحابه يوماً مغتماً فسئل مالك مغتماً فقال مات حمارى فرأيته فى النوم فقلت له لم مت ألم أكن أحسن اليك ؟ فقال

سيدى خذ بى أتانا عند باب الاصبهانى
تيمتني ببنان وبدَلّ قد شجانى
تيمتني يوم رحنا بثنايا الحسان
وبغنج ودلال سل جسمى وبرانى
ولها خد أسيل مثل خد الشيفرانى

فلذا مت ولو عشـــت اذاً طال هوانى

فقيل له ما الشيفرانى فقال مايدرينى ؟ هـذا من غريب الحمير فاذا رأيت حماراً فاسأله

وقال بشار فى عشق السمع

يا قوم أُذنى لبعض الحى عاشقة ... والأُذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لاترى تهذى فقلت لهم ... الأذن مثل العين توفى القلب أحيانا
هل من دواء لمشغوف بجارية ... يلقى بلقيانهـا روحاً وريحانا

وقال فى مثل ذلك

قالت عقيل بن كعب اذ تعقلها ... قلبي فأضحى به من حبها أثر
أنّى ولم ترها تهذى فقلت لهم ... إن الفؤاد يرى مالا يرى البصر
أصبحت كالحائم الحيران مجتنباً ... لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر

وقال

يزهدنى فى حب عبدة معشر ... قلوبهمُ فيهـا مخالفـة قلبي
نقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان فى موضع الهوى ... ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن الا كل حسن دعا الصبا ... وألف بين العشق والعاشق الصب

وقال

يا قلب مالي أراك لاتقر ... اياك أعنى وعنـدك الخبر
أذعت بعد الأولى مضوا حرقاً ... أماضاع ما استودعوك اذ بكروا

وقال

ان سليمى والله يكلؤهـا ... كالسكر يزداد على السكر
بلغت عنها شكلا فأعجبنى ... والسمع يكفيك غيبة البصر

وقال وقدح المهدى فحرمه

خليلي ان العسر سوف يُفيق ... وان يساراً فى غد لخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صحا ... صحوت وان ماق الزمان أموق
أأدماء لا أسطيع فى قلة الثرى ... خزوزاً ووشياً والقليل محيق
خذى من يدى ماقل ان زماننا ... شموس ومعروف الرجال رفيق
خليلىّ ان المال ليس بنافع ... اذا لم ينل منه أخ وصديق
وكنت اذا ضاقت علىّ محلة ... تيممت أخرى ما علىّ تضيق
وماخاب بين الله والناس عامل ... له فى التقى أو فى المحامد سوق
وما ضاق فضل الله عن متعفف ... ولكن أخلاق الرجال تضيق

هجا بشار يعقوب بن داود وزير المهدى فقال

بنى أمية هبوا طال نومكمُ ... ان الخليفة يعقوب، بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناى والعود

فاتهمه عند المهدى بالزندقة وقال انه قد هجا المهدى فأمر فضرب بالسياط حتى مات

تم الجزء الرابع

ويليه الجزء الخامس وأوله

شعراء خندف

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	أبو كلدة
١٣	زياد الأعجم
٢٠	**شعراء تغلب**
٢٠	الأخطل
٤٠	أعشى بني تغلب
٤١	القطامي
٥٦	**شعراء قيس**
٥٦	**شعراء عدوان**
٥٦	محمد بن بشير
٦٩	**شعراء غطفان**
٦٩	عويف القوافي
٧٨	مالك بن أسماء
٨١	عقيل بن علفة
٨٧	أرطاة بن سهية
٩٣	شبيب ابن البرصاء
٩٧	ابن ميادة
١١٣	عبد الله بن الحجاج
١٢٠	ابن دارة
١٢٣	جبها

ص	الموضوع
١٢٥	**شعراء محارب**
١٢٥	ابن أرطاة
١٣١	صخر بن الجعد الخضرى
١٣٥	المؤمل بن أميل المحاربى
١٣٧	**شعراء ثقيف**
١٣٧	يزيد بن الحكم
١٤١	طريح الثقفى
١٤٧	النميري
١٥٢	يزيد بن ضبة
١٥٨	**شعراء سعد**
١٥٨	ابن أبي الزوائد
١٦٢	**شعراء سلول**
١٦٢	العجير السلولي
١٧١	**شعراء سليم**
١٧١	الجحاف بن حكيم
١٧١	يوم البشر
١٧٥	أبو وجزة السعدي
١٨٠	**شعراء عامر**
١٨٠	حميد بن ثور

تابع الفهرست

ص	الموضوع
١٨١	وصف القطاة
١٨٥	الصمة القشيري
١٨٧	يزيد ابن الطثرية
١٩٦	عبد الله بن الحشرج
٢٠٢	مجنون بنى عامر
٢٠٢	آراء منكري حديثه
٢٠٣	آراء مصححي حديثه
٢١٥	مالك بن الصمصامة الجعدي
٢١٦	القتال الكلابى
٢٢١	الراعى
٢٢٥	مزاحم العقيلى
٢٢٨	القحيف العقيلى
٢٣٠	ليلى وتوبة
٢٣٢	مقتل توبة
٢٤٢	بشار بن برد العقيلى

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء الخامس

فى الشعراء الاسلاميين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

١٦٤١/٢٥/٢٠٢٠

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء خندف

شعراء عكل

سويد بن كراع العكلى

شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأموية ، وكان رجل بنى عُكْل وذا الرأى والتقدم فيهم ، وعُكْل وضَبَّة وعدىّ وتَيْم هم الرَّباب

كان بين بنى السِّيد بن مالك من ضَبَّة وبين بنى عدىّ بن عبد مَنَاة تَرامٍ على خَبْزاء [1] بالصَّمَّان يقال لها ذات الزِّجاج فرمى عمرو بن حشفة أخو بنى شُيَيْم فمات ، ورمت بنو السيد رجلاً منهم يُقال له مُدْلج بن ضمرة العدوى فمكث أياما لم يمت ، فمر رجل من بنى عدى يقال له معقل على بنى السيد فأخذوه وشدوه وثاقاً فأفلت منهم ومشى بينهم عصمة بن وثير التيمى سفيراً فقال لسالم بن فلان العدوى لو رهنتهم نفسك فان مات مدلج كان رجل برجل وان لم يمت حملت دية صاحبهم ، ففعل ذلك سالم وعدت عليه بنو السيد فقتلوه فقال فى ذلك خالد بن علقمة أخو عبد الله بن دارم

أسالم ما منتك نفسك بعد ما ... أتيت بنى السِّيد الغُواة الا شائما

أسالم قد منتك نفسك انما ... تكون دِيات ثم ترجع سالما

---

(١) الخبراء القاع الذى ينبت السدر والعضاه

كذبت ولكن ثائر متبسل ... يلقّيك مصقول الحديدة صارما
أسالم ما أعطى ابن مامة مثلها ... ولا حاتم فيما بلا الناس حاتما
أسالم ان أفلتّ من شر هذه ... فوائل [1] فراراً انما كنت حالما
وقد أسلمت تيم عديا فأربعت ... ودلّت [2] لأسباب المنية سالما

فأجابه سويد بن كراع

أشاعرَ عبدِ الله ان كنت لائما ... فانى لما تأتى من الأمر لائم
تحضض أفناء الرّباب سفاهة ... وعرضك موفور وليلك نائم
وهل عجب أن تدرك السيّد وترها ... وتصبر للحق السّراة الأكارم
رأيتك لم تمنع طُهيّة حكمها ... وأعطيت يربوعا وأنفك راغم
وأنت امرؤ لا تقبل النصح طائعا ... ولكن متى تقهر فانك رائم

وقال فى ذلك

أرى آل يربوع وأفناء [3] مالك ... أعضّك فى الحرب الحديد المنقبا
هم رفعوا فأس [4] اللجام فأدركت ... لهاتك حتى لم تدع لك مشربا
فان عدت عادوا بالتي ليس فوقها ... من الشر الا أن تبيت محجبا
وتصبح تدري [5] الكعكبية قاعدا ... وينتف من ليتيك ما كان أزغبا
فهل سألونا خصلة غير حقهم ... وهل نحن أعطينا سواء فتعجبا

فاستعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان بن عفان على سُوَيد فى هجائه إياهم فطلبه فهرب ولم يزل متوارياً حتى كلم فيه فأمنه على ألّا يعاود فقال

تقول ابنة العوفى ليلى ألا ترى ... الى ابن كُراع لا يزال مفزّعا
مخافةُ هذين الاميرين سهّدت ... رقادى وغشّتنى بياضا تقرعا

(١) واصل طلب النجاة (٢) دلا أرسله (٣) اخلاط الناس واحدها فنوبا لكسر (٤) فأس اللجام الحديدة القائمة فى الحنك (٥) تدرى تمشط والكعكبية ضرب من المشط والليت صفحة العنق

على غير جرم غير أن جار ظالم ... علىّ فجهزت القصيد المفرعا
وقد هابنى الأقوام لما رميتهم ... بفاقرة ان همّ ان يتشجعا
أبيت بأبواب القوافى كأنما ... أصادى بها شربا من الوحش نزّعا
أكالؤها حتى أعرس بعد ما ... يكون سحير أو بعيد فأهجعا
فجشمنى خوف ابن عثمان ردها ... ورعيتها صيفا جديدا ومربعا
نهانى ابن عثمان الامام وقد مضت ... نوافذ لو تردى الصفا لتصدعا
عوارق ما يتركن لحما بعظمه ... ولا عظم لحم دون أن يتمزعا
أحقاً هداك الله أن جار ظالم ... فأنكر مظلوم بأن يؤخذا معا
وأنت ابن حكام أقاموا وقوموا ... قروناً وأعطوا نائلا غير أقطعا

ومن شعره يمدح بغيض بن عامر بن شماس بن لأى

ارتعت للزور اذ حيا وأرّقني ... ولم يكن دانياً منا ولا صدَدا[1]
ودونه سَبْسَبٌ تُنْضَى[2] المطىّ به ... حتى ترى العَنْس تُلقى رحلها الأجُدا
اذا ذكرتك فاضت عبرتى دررا ... وكاد مكتوم قلبى يصدَع الكبدا
وذاك منى هوى قد كان أضمره ... قلبي فما ازداد من نقص ولا نفدا
وقد أرانا وحال الناس صالحة ... نحتل مربوعة أدمان أو بردى
ليت الشباب وذاك العصر راجعنا ... فلم نزل كالذى كنا به أبدا
أيام أعلم كم أعملت نحوكم ... من عِرمس[3] عاقد لم تَرأم الولدا
تُصيخ عند السُّرى فى البيد سامية ... سطعاء[4] تنهض فى مبنأتها صُعُدا

(١) دارى صدد داره أى قبالته والزور الزائر (٢) أنضى بعيره هزله بكثرة السير والاجد القوية الموثقة الخلق المتصلة فقار الظهر وهو من صفة العنس وهى الناقة الصلبة
(٣) العرمس الناقة الصلبة والناقة العاقد هى التى أقرت باللقاح وذلك حين تعقد بذيلها فيعلم انها قد حملت ورأمت الناقة ولدها عطفت عليه ولزمته (٤) ناقة سطعاء طويلة العنق والمبناة القبة من الأدم شبهت بها الناقة لسمنها وكثرة لحمها

كأن رحلي على حُمْش قوائمه ... تزيل غرثان أمسى طاويا وحِدا (١)
هاجت عليه من الجوزاء سارية ... وطفاء (٢) تحمل جوناً مُرْدفاً نَضِدا
فألجأته الى أرطاة (٣) عاتكة ... فيحاء ينهال منها تُربُ ما التبدا
تخال عِضْيَه من جوْل الرَّذاذ به ... منظما بيدي دارية فَرَدا
حتى اذا ما انجلت عنه دُجُنَّته ... وكشف الصبح عنه الليل فاطَّردا
غدا كذي التاج حلَّته أساورة ... كأنما اجتاب في حر الضحى سَنَدا

يقول فيها

لا يُبعد الله اذ ودعت أرضهمُ ... أخي بغيضاً ولكن غيره بَعِدا
لا يُبعد الله من يعطي الجزيل ومن ... يحبو الخليل وما أكدى وما صَلَدا
ومن تلاقيه بالمعروف معترفا ... اذا اجرَهَدَّ (٤) صفا المذموم أو صلدا
لاقيته مُفْضلا تَنْدَى أنامله ... ان يعطك اليوم لا يمنعك ذاك غدا
تجيء عفواً اذا جاءت عطيته ... ولا تخالط ترنيقاً ولا زهدا
أولاه بالمفخر الأعلى وأعظمه ... خلقاً وأوسعه خيراً ومنتقدا
اذا تكلف أقوام صنائعه ... لاقوا ولم يظلموا من دونها صُعُدا (٥)
بحر اذا نكس الاقوام أو ضَجِروا ... لاقيت خير يديه دائماً رَغَدا
لا يحسب المدح خدعا حين تمدحه ... ولا يرى البخل منهاة له أبدا
اني لرافده ودي ومنصرتي ... وحافظ غيبه ان غاب أو شهدا

---

(١) الوحد المنفرد والغرثان الجائع والحمش جمع الاحمش وهو دقيق الساقين يشبه ناقته به
(٢) سحابة وطفاء مسترخية لكثرة مائها والنضد من السحاب ما تراكم وتراكب
(٣) الأرطاة واحدة الأرطى وهو شجر نوره كنور الخلاف وثمرته كالعناب مرة يأكلها الابل غضة وعروقه حمر وعاتكة شديدة الحمرة (٤) اجرهدت السنة اشتدت وصعبت ومكان صلد لا ينبت وقد صلد (٥) جمع صعود وهو العقبة الشاقة

ومن شعره وفيه غناء

خليلىّ قوما فى عطالة فانظرا ... أناراً أرى من نحو يَبْزين أم برقا
فان يك برقا فهو فى مُشْمَخِرَّة ... تغادر ماء لا قليلاً ولا طرقا
وان تك ناراً فهى نار يلتقى ... من الريح تَسفيها وتَصفقها صفقا
لأم على أوقدتها طلاعة ... لأوْبة سفْر أن تكون لهم وَفْقا

السمهرى العكلى

هو السَّمْهَرِىّ بن بشر بن أُقيش العكلى يكنى أبا الدَّيل

لقى هو وبَهْدل ومَرْوان ابنا قِرْفة الطائيان عونَ بن جَعْدة بن هُبَيْرة المخزومى ومعه خاله أحد بني حارثة بن لأم بالثعلبية وهو يريد الحج من الكوفة فرماه بهدل فأقصده ، فلما قتلوه ندموا فهربوا ، وبلغ الخبر عبد الملك بن مروان فكتب الى الحجاج بن يوسف وهو عامله على العراق ، والى هشام بن اسمعيل وهو عامله على المدينة ، والى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون ويبالغوا فى ذلك وأن يأخذوا السُّعاة به أشد أخذ ويجعلوا لمن دل عليه جُعْله ، وانشام [1] السمهرى فى بلاد غطفان ماشاء الله ، ثم مر بنخل فقالت عجوز من بنى فزارة أظن والله هذا العكلى الذى قتل عوناً ، فوثبوا عليه فأخذوه ، ومر أيوب بن سلمة المخزومى بهم فقالت له بنو فزارة هذا العكلى قاتل ابن عمك فأخذه منهم فأتى به هشام بن اسمعيل المخزومى عامل المدينة فجحد وأبى أن يقر ، فرفعه الى السجن فحبسه ، فلما كان في يوم جمعة والامام يخطب فك احدى حَلْقتى قيده ورمى بنفسه من فوق السجن والناس فى صلاتهم وقال فى هربه

نجوت ونفسى عند ليلَى رهينة ... وقد غمنى داجٍ من الليل دامس

(١) دخل

وغامست عن نفسى بأخلق مقصل ولاخير فى نفس امرئ لاتغامس
ولو أن ليلى أبصرتني غدوة ومَطْواى والصف الذين أمارس
اذاً لبكت ليلى عليَّ وأعولت وما نالت الثوب الذى أنا لابس

ثم مر بابنى قائد بن حبيب من بني أسد ثم من بنى فَقْعس ، فأخذاه وانطلقا به الى عثمان بن حيَّان المرى أمير المدينة فكتب فيه الى الخليفة ، فأمره أن يدفعه الى ابن أخى عون ، فقال السمهرى أتقتلني وأنت لا تدرى أقاتل عمك أنا أم لا ؟ أُدْنُ أخبرك ، فأراد الدنو منه فحَذِر ، وانما أراد أن يقطع أنفه ، فقتله ، ولما حبسه ابن حيان فى السجن قال يحكى ما كان بينه و بين لحبى عائف

ألا أيها البيت الذى أنا هاجره فلا البيت منسى ولا أنا زائره
ألا طرقت ليلى وساق رهينة بأشهبَ مشدودٍ علىَّ مسامره
فان أنْجُ يا ليلى فرب فتى نجا وان تكن الاخرى فشيء أُحاذره
وما أصدق الطير التى برحت لنا وما أعيف اللَّهبي لا عز ناصره
رأيت غرابا ساقطاً فوق بانة يُنَشْنش أعلى ريشه ويطايره
فقال غراب باغتراب من النوى وبانٌ ببين من حبيب نحاذره
فكان اغتراب بالغراب ونِيَّة وبالبان بين بيَّن لك طائره

وقال السمهرى فى السجن يحرض أخاه مالكا على ابن قائد

فمن مبلغٌ عني خليلى ومالكاً رسالة مشدود الوثاق غريب
ومن مبلغٌ حزماً وتَيْماً ومالكاً وأرباب حامى الحفر رهط شبيب
ليبكوا التى قالت بصحراء مَنْعَج لي الشرك يا ابنى قائد بن حبيب
أتضرب فى لحمى بسهم ولم يكن لها فى سهام المسلمين نصيبى

وقال يرقق بنى أسد

تمنت سليمى أن أقيل بأرضها وأنَّى لسلمى ويْبَها ما تمنت

ألا ليت شعري هل أزورن ساجراً ... وقد رويت ماء الغوادي وعُلَّت
بني أسد هل فيكمُ من هوادة ... فيغفر إن كانت بي النعل زلّت

وقال في الحبس يذم قومه

لقد جمع الحدّاد بين عصابة ... تسائل في الأقياد ماذا ذنوبها
بمنزلة أما اللئيم فشامت ... بها وكرام القوم باد شحوبها
إذا حرسي قعقع الباب أرعدت ... فرائص أقوام وطارت قلوبها
ألا ليتني من غير عُكْل قبيلتي ... ولم أدر ما شبان عُكْل وشيبها
قبيلة لا يقرع البابَ وفدُها ... بخير ولا يُهْدي الصواب خطيبها
ترى الباب لا تستطيع شياً وراءه ... كأنا قُنيٌّ أسلمتها كعوبها
وان تك عُكْل سرها ما أصابني ... فقد كنت مصبوباً على ما يريبها

وقال أيضاً في الحبس

ألا حيّ ليلى إذ أتم لمامها ... وكان مع القوم الأعادي كلامها
تعللْ بليلى انما أنت هامة ... من الغد يدنو كلَّ يوم حمامها
وبادر بليلى أوجه الركب انهم ... متى يرجعوا يحرمْ عليك كلامها
وكيف تُرَجّيها وقد حيل دونها ... وأقسم أقوام مخوف قسامها
لأجتنبنها أو ليبتدرُنَّني ... بيض عليها الأثر فعم كلامها
لقد طرقت ليلى ورجلي رهينة ... فما راعني في السجن إلا لمامها
فلما انتبهت للخيال الذي سرى ... إذا الارض قفر قد علاها قتامها
فلا تكن ليلى طوتك فانه ... شبيه بليلى حسنها وقوامها
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطة ... وتبلى عظامي حين تبلى عظامها

وقال أيضاً

ألا طرقت ليلى وساقي رهينة ... بأسمرَ مشدودٍ عليَّ ثقيل

فما البين ياسلمى بأن تشحط النوى ... ولكنَّ بيناً ما يريد عقيل

فان أنج منها أنج من ذى عظيمة ... وان كانت الأخرى فتلك سبيل

وقال وهو طريد

فلا تيأسا من رحمة الله وانظرا ... بوادي جبونا أن تهبَّ شمال

ولا تيأسا أن ترزقا أريحيَّة ... كعين الهما أعناقهن طوال

من الحارثيين الذين دماؤهم ... حرام وأما مالهم فحلال

وقال أيضاً

ألم ترأنى وابن أبيض قد هفت ... بنا الارض إلا أن نؤمَّ الغمافيا

طريدين من حيين شتى أشدنا ... مخافتنا حتى نحلنا النصافيا

وما لمته فى أمر حزم ونجدة ... وما لامني فى مرَّتى واحتياليا

وقلت له اذ حل يستقى ويستقى ... وقد كان ضوء الصبح لليل حاديا

لعمري لقد لاقت ركابك مشربا ... لئن هي لم تصبح عليهن عاليا

ثم أخذ بهدل ومروان فقتلا أيضاً وقالت بنت بهدل ترثيه

فيا ضيعة الفتيان اذ يعتلونه ... ببطن الثرى مثل الفنيق المسدَّم (١)

دعا دعوة لما أتى أرض مالك ... ومن لا يُجب عند الحفيظة يُسلم

أما كان فى قيس من ابن حفيظة ... من القوم طلاب الترات غشمشم

فيقتل جبراً بامرئ لم يكن له ... بَواء ولكن لا تكايل بالدم

وكان دعا يال مالك لينزعوه فلم يجبه أحد

(١) المسدم الهائج والفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته ولا يركب

شعراء تميم

مالك بن الريب

هو مالك بن الريب بن حوط المازنى من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ابن مر بن أدّ بن طابخة بن الياس

شاعر فاتك لص ، منشؤه فى بادية بني تميم بالبصرة ، من شعراء الاسلام فى أول أيام بنى أمية

كان هو ورفيقان له يقطعون الطريق فساموا الناس شراً ، وطلبهم مروان ابن الحكم ، عامل المدينة فهربوا ، فكتب الى الحارث بن حاطب الجمحى وهو عامله على بنى عمرو بن حنظلة يطلبهم ، فهربوا منه ، وبلغ مالك بن الريب أن الحارث يتوعده فقال

تألّى حِلْفة فى غير جُرْم أميرى حارث شبه الضِّرار
علىّ لأُجْلَدَنْ فى غير جُرْم ولا أدنَى فينفعني اعتذارى
وقلت وقد ضممت إلىّ جأشى تحلَّل لا تألَّ علىّ حارِ
فانى سوف يكفينيك عزمى ونَصُّ العيس بالبلد القفار
وعَنْس ذات معْجَمة أمون علَنْدَاة موثَّقة الفقار (١)
تزيف (٢) اذا تواهقت المطايا كما زاف المشرف للخطار
وان ضربت بلحْييها وعامت تفصم عنهما حَمَق السِّعار

(١) العنس الناقة الصلبة القوية وذات معجمة أى قوة وسمن وبقية على السير والأمون اللأمونة الكلال والعثار والعلنداة الضخمة الطويلة الشديدة (٢) تزيف تسرع في تمايل والمواهقة فى السير المواظبة ومد الاعناق

مِراحاً غير ماضِغْن ولكن لَجاجاً حين تشتبه الصحارى
اذا ما استقبلت جَوْناً بهيماً تفرج عن مُخَيَّسَة (١) حَضَار
اذا ما حال روض رُبَاب (٢) دوني وتَثْليث فشأنك بالبكار
وأنيابي سيُخْلفهن سيفي وشَدَّات الكَمِيِّ على التِّجار
فان أسطع أُرِحْ منه أُناسي لضربة فاتك غير اعتذار
وان يُفْلت فاني سوف أبغي بنيه بالمدينة أو صِرار (٣)
ولا جزع من الحدثان يوماً ولكني أرود لكم وَبار (٤)
بهزمار تراد العيس فيها اذا أتفقن من قلق الصغار
وهن يُحشْن بالأعناق حوشاً كأن عظامهن قِدَاح بار
كأن الرحل أسأر (٥) من قراها هلال عشية بعد السِّرار
رأيت وقد أتى نَجْران دوني لليلى بالعميم ضوء نار
اذا ما قلت قد خَمدت زهاها عصِيُّ الرَّنْد والعُصُف السَّوارى
يُشَبّ وقودها ويلوح وهناً كما لاح الشَّبوب من الصُّوار (٦)
كأن النار اذ شبت لليلى أضاءت جيد مُغْزِلة نوار
وتصطاد القلوب على مَطاها بلا جعد القرون ولا قصار
وتَبْسِم عن نقى اللون عذب كما شيف الأقاحى بالقطار
أتجزع أن عرفت ببطن قَوّ وصحراء الأُديهم رسمَ دار
وأن حل الخليط ولست فيهم مرابع بين دَحْلَ الى سَرار

---

(١) خيس البعير راضه وذلله بالركوب والحضار هجان الابل
(٢) أرض بين ديار بني عامر وبلحارث بن كعب (٣) موضع على ثلاثة أميال من المدينة
(٤) أرض لم يطأ أحد ثراها (٥) أسأر أبقى والقرا الظهر (٦) الشبوب الشاب من الثيران والغنم والصوار القطيع من البقر

اذا حلوا بعانجة خلاء يقطف كور جنوتها العرار

ثم سار الى فارس مع ثلة من أصحابه ، وفى ذلك يقول

أحقاً على السلطان أما الذى له فيُعطَى وأما ما يراد فيمنع
اذا ما جعلت الرمل بينى وبينه وأعرض سَهْب بين يَبْرين بَلْقع
من الأُدمَى لا يستجم بها القطا تكل الرياح دونه فتقطع
فشأنكمُ يا آل مروان فاطلبوا سِقاطى فما فيه لباغيه مطمع
وما أنا كالعَيْر المقيم لأهله على القيد فى بُحبوحة الضيم يرتع
ولولا رسول الله أن كان منكم تبين من بالنَّصف يرضى ويقنع

وقال أيضاً

لو كنتمُ تنكرون العذر قلت لكم يا آل مَرْوان جارى منكم الحكم
وأتقيكم يمين الله ضاحية عند الشهود وقد توفى به الذمم
لا كنت أحدث سوءاً فى امارتكم ولا الذى فات منى قبل ينتقم
نحن الذين اذا خفتم بحالة قلتم لنا اننا منكم لتعتصموا
حتى اذا انفرجت عنكم دُجمَتها صرتم كجَرْم فلا إلٌّ ولا رَحِم

بينا مالك ذات ليلة فى بعض هناته وهو نائم ، وكان لا ينام الا متوشحاً بالسيف اذ هو بشىء قد جثم عليه لا يدرى ما هو ، فانتفض به مالك فسقط عنه ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر اليه فاذا هو رجل أسود كان يقطع الطريق فى تلك الناحية ، فقال مالك فى ذلك

أدلجت فى مَهْمه ما ان أرى أحداً حتى اذا حان تعريس[1] لمن نزلا
وضعت جنبي وقلت الله يكلؤنى مهما تنم عنك من ليل فما غفلا
والسيف بيني وبين الثوب مشعره أخشى الحوادث انى لم أكن وَكِلا

(١) التعريس نزول السفر آخر الليل للاستراحة

ما نمت الا قليلاً نمته شئزا (١) حتى وجدت على جثمانى الثقلا
داهية من دواهي الليل يبتني مجاهداً يبتغي نفسى وما ختلا
أهويت نفحاً له والليل ساتره الا توخيته والجرس (٢) فانخزلا
لما ثنى الله عني شر عدونه رقدت لامؤنساً ذُعراً ولا بعلا (٣)
أما ترى الدار قفراً لا أنيس بها الا الوحوش وأمسى أهلها احتملا
بين المنيفة (٤) حيث استن مدفعها وبين فردة من وحشيها قبلا
وقد تقول وما تخفى لجارتها انى أرى مالك بن الريب قد نحلا
من يشهد الحرب يصلاها ويسعرها تراه مما كسته شاحباً وجلا
خذها وانى لضراب اذا اختلفت أيدي الرجال بضرب يختلي البصلا (٥)

وقال فى ذلك أيضاً

يا عاملاً تحت الظلام مطيه متخايلاً لأبل (٦) غير مخاتل
إنى أنحت لشابك أنيابه مستأنس بدجى الظلام منازل
لم يدر ما غرف القصور وفيؤها طيباً ونخل سوادها المتمايل
يعظ الفؤاد اذا القلوب تآنست جزعا وثبة كل أروع باسل
حيث الدجى متطلعاً لغفوله كالذئب فى غلس الظلام الخاتل
فوجدته ثبت الجنان مشيعاً ركاب مدلج كل أمر هائل
فقراك أبيض كالعقيقة صارماً ذا رونق يغشى الضريبة فاصل
فركبت ردعك بين ثنيى فائز يعلو به أثر الدماء وسائل

ولما ولى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان لقى فى طريقه مالك بن الريب وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً ، فلما رآه سعيد أعجبه ، وقال له مالك

(١) شئز الرحل قلق (٢) الجرس الصوت أو خفيه (٣) بعل الرجل بأمره دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع (٤) المنيفة وفردة ماءان (٥) البصل البيض بالفتح (٦) الأبل الممتنع

ويحك ؟ تفسد نفسك بقطع الطريق وما يدعوك الى ما يبلغني عنك من العبث والفساد وفيك هذا الفضل ؟ قال يدعونى اليه العجز عن المعالي ومساواة ذوى المروءات ومكافأة الاخوان ، قال فان أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل ؟ قال إى والله أيها الأمير أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه ، فاستصحبه وأجرى له خمسمائة درهم فى كل شهر ، ولما خرج تعلقت بنته بثوبه وبكت وقالت له أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقى ، فبكى وأنشأ يقول

ولقد قلت لابنتي وهى تبكي ... بدَخيل الهموم قلباً كئيبا
وهى تُذْرى من الدموع على الخد ... ين من لوعة الفراق غُرُوبا
عَبَرَات يَكَدْن يجرحن ماجز ... ن به أو يدعن فيه نُدُوبا
حذر الحتف أن يصيب أباها ... ويلاقى فى غير أهل شعوبا
اسكتي قد حززت بالدمع قلبي ... طالما حزَّ دمعكن القلوبا
فعسى الله أن يدافع عني ... رَيْبَ ما تحذرين حتى أؤبا
ليس شىء يشاؤه ذو المعالي ... بعزيز عليه فادعى المجيبا
ودعى أن يُقَطَّع الآن قلبي ... أو تُرِيني فى رحلتي تعذيبا
أنا فى قبضة الاله اذا كنت بعيداً أو كنت منك قريبا
كم رأينا امرأً أتى من بعيد ... ومقيماً على الفراش أُصيبا
فدعيني من انتحابك إنى ... لا أبالي اذا اعتزمت النَّحيبا
حسبي الله ثم قربت للسير علَاة أَنْجِبْ بها مركوبا

علم سعيد بن عثمان أن مالكاً يجيد الحِلَاب ، فطلب اليه أن يقوم بأمر ابله ، فقال

وانى لأستحيي الفوارس أن أُرَى ... بأرض العدا بَوَّ المخاض الرَّوائم

وانى لأستحيي اذا الحرب شمرت أن أرفض دون الحرب ثوب المسالم
وما أنا بالنائى الحفيظة فى الوغى ولا الملتقى فى السلم جرَّ الجرائم
ولا المتأنى فى العواقب للذى أهُمُّ به من فاتكات العزائم
ولكنني مستوحد العزم مقْدِم على غمرات الحادث المتفاقم
قليل اختلاف الرأى فى الحرب باسل جميع الفؤاد عند حل العظائم

بينما مالك نائم فى بعض مغاراته اذ بيته ذئب فزجره فلم يزدجر فأعاد فلم يبرح فوثب اليه بالسيف فضربه فقتله وقال

أذئب الغضا قد صرت للناس ضُحْكة تغادى بك الركبان شرقاً الى غرب
فأنت وان كنت الجرىء جنانُه مُنِيت بضِرْغام من الأُسْد الغُلْب
بمن لا ينام الليل الا وسيفه رهينة أقوام سِراع الى الشَّغْب
ألم ترنى يا ذئب اذ جئت طارقاً تخاتلني أنى امرؤ وافر اللب
زجرتك مرات فلما غلبتني ولم تنزجر نهنهت غَرْبك بالضرب
فصرت لقًى[1] لما علاك ابن حرة بأبيض قطَّاع ينجى من الكرب
ألارب يوم رَيْبُ لو كنت شاهداً لهالك ذكرى عند معْمَعة الحرب
ولست ترى الا كمِيًّا مُجدَّلا يداه جميعاً تثبتان من التُّرب
وآخر يَهْوِى طائر القلب هارباً وكنت امرأً فى الهيج مجتمع القلب
أصول بذى الزِّرين أمسى عِرَضْنَة[2] الى الموت والأقران كالأبل الجُرْب
أرى الموت لا أنحاش عنه تكرماً ولو شئت لم أركب على المركب الصعب
ولكن أبت نفسي وكانت أبيَّة تقاعس أو ينصاع قوم من الرعب

ومرض مالك عند قفول سعيد من خراسان ، فلما أشرف على الموت تخلف عليه مرة الكاتب ورجل آخر من بني تميم ، فقال يذكر مرضه وغربته

(١) الملقى الشيء الملقى المطروح (٢) العرضنة البغى فى المشى من النشاط

أيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية اني مقيم لياليا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعي ... وردا على عيني فضل ردائيا
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بجنب الغضى[1] أزجي القلاص النواجيا
فليت[2] الغضى لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى ... مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعت الضلالة بالهدى ... وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا
وأصبحت في أرض الاعادي بعيدما ... أرانى عن أرض الاعادي قاصيا
دعاني الهوى من أهل أود[3] ومحبتي ... بذي الطبسين فالتفت ورائيا
أجبت الهوى لما دعاني بزفرة ... تقنعت منها أن ألام ردائيا[4]
أقول وقد حالت قرى الكرد بيننا ... جزى الله عمراً خير ما كان جازيا
ان الله يرجعني من الغزو لا أرى ... وان قل مالي طالباً ما ورائيا
تقول ابنتي لما رأت طول رحلتي ... سفارك هذا تاركي لا أباليا
لعمري لئن غالت خراسان هامتي[5] ... لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
فان أنج عن بابي خراسان لا أعد ... اليها وان منيتموني الأمانيا
فلله درّي يوم أترك طائعاً ... بنيّ بأعلى الرقمتين ومماليا
ودر الظباء السانحات عشية ... يخبرن أني هالك من ورائيا
ودرّ كبيريّ اللذين كلاهما ... عليّ شفيق ناصح لو نهانيا
ودرّ الرجال الشاهدين تفتكي ... بأمري ألاّ يقصروا من وثاقيا

---

(١) الغضا شجر ينبت في الرمل وأزجي أسوق والنواجي السراع (٢) يقول ليته طال عليهم الاسترواح اليه والشوق (٣) أود موضع ببلاد مازن والطبسين كورتان بخراسان
(٤) يقول استعبرت فاستحييت فتقنعت بردائي لكيلا يرى ذلك مني
(٥) يقول أهلكت هامتي

ودر الهوي من حيث يدعو صحابتي ... ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
تذكرت من يبكي عليَّ فلم أجد ... سوى السيف والرمح الرُّدَيني باكيا
وأشقر محبوك (١) يجر لجامه ... الى الماء لم يترك له الموت ساقيا
ولكن بأكناف السُّمينة (٢) نسوة ... عزيز عليهن العشية ما بيا
صريع على أيدي الرجال بقفرة ... يسوون لحدى حيث حُمَّ قضائيا
ولما تراءت عند مَرْوَ (٣) منيتي ... وخل بها جسمي وحانت وفاتيا
أقول لأصحابي ارفعوني فانه ... يقرّ بعيني أن سُهَيل بدا ليا
فياصاحبيّ رحلي دنا الموت فانزلا ... برابية انى مقيم ليـــاليا
أقيما عليَّ اليوم أو بعض ليلة ... ولا تعجلاني قد تبين شانيا
وقوما اذا ما استلّ روحي فهيآ ... ليَ السِّدْر والاكفان عند فنائيا
وخطّا بأطراف الأسنة مضجعي ... وردا على عينيّ فضل ردائيا
ولا تحسداني بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أن توسعاليا
خذاني فجراني ببردي اليكما ... فقد كان قبل اليوم صعباً قياديا
وقد كنت عطافاً اذا الخيل أدبرت ... سريعاً الى الهيجا الى من دعانيا
وقد كنت صباراً على القِرْن في الوغى ... وعن شتمي ابن العم والجار وانيا
فطوراً ترانى في ظلال ونعمة ... وطوراً ترانى والعتاق ركابيا
ويوماً ترانى في رحى مستديرة (٣) ... تخرق أطراف الرماح ثيابيا
وقوما على بئر السُّمينة أسمعا ... بها الغُرَّ والبيض الحسان الرَّوانيا
بأنكما خلفتماني بقفـــرة ... تهيل عليَّ الريحُ فيها السوافيا
ولا تنسيا عهدي خليليَّ بعدما ... تقطع أوصالي وتبلى عظاميا

(١) المحبوك الفرس القوى (٢) السمينة موضع قريب من أود (٣) مرو حاضرة خراسان ، وخل بمعنى اختل (٤) الرحا موضع الحرب ومستديرة حيث يستدير القوم للقتال

ولن يعدم الوالون بثًّا[1] يصيبهم ... ولن يعدم الميراثَ منى المواليا
يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنونني ... وأين مكان البعد الا مكانيا
غداة غد يا لَهْفَ نفسي على غد ... اذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاويا
وأصبح مالي من طَريف وتالد ... لغيري وكان المال بالامس ماليا
فياليت شعري هل تغيرت الرحا ... رحا[2] المُثْل أو أمست بفَلْج كما هيا
اذ الحى حلوها جميعاً وأنزلوا ... بها بقرا حُمَّ العيون سواجيا[3]
رَعَيْنَ وقد كان الظلام يجنها ... يسُفن الخُزامَى مرَّة والأَقاحيا
وهل أترك العيس العوالي بالضحي ... بركبانها تعلو المتان القَيافيا[4]
اذا عُصَب الركبان بين عُنَيْزَة ... وبَوْلان عاجوا المبقيات النواجيا[5]
فياليت شعرى هل بكت أم مالك ... كما كنت لوعا لَوْا نَعِيَّكِ باكيا
اذا مت فاعتادى القبور فسلمى ... على الرَّمْس أسقيت السحاب الغواديا
على جَدَث قد جرت الريح فوقه ... تراباً كسحق المَرْنَبانيّ هابيا[6]
رهينة أحجار وترب تضمنت ... قرارتها منى العظام البواليا
فيا صاحبى اما عَرَضت فبلغاً ... بنى مازن والرَّيب ألاَّ تلاقيا
وعطل قَلوصى فى الركاب فانها ... ستَفْلق أكباداً وتُبكي بواكيا
وأبصرت نار المازنيات انها ... بعلياء يُثْنى دونها الطرف رائيا
بعود أَلَمْجُوج أضاء وقودها ... مَهًا فى ظلال السدر حوراً جوازيا
غريب بعيد الدار ثاوٍ بقفرة ... يَدَ[7] الدهر معروفاً بألاَّ تدانيا

---

(١) البث أشد الحزن (٢) رحا المثل موضع بفلج وفلج موضع بديار مازن وهو فى طريق البصرة الى مكة (٣) السواجى السواكن وحم العيون سودها (٤) المتان جمع متن وهو ما صلب من الارض (٥) عنيزة قارة سوداء فى وادى بطن فلج والمبقيات التى تبقى سيرها (٦) المرنبانى كساء من خز ويقال مطرف من وبر الابل (٧) يقال يد الدهر ومدى الدهر وأبد الدهر وكله واحد

أقلب طرفى حول رحلى فلا أرى ... به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرحل منا نسوة لو شهدننى ... بكين وفدّين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندى وأهله ... ذميما ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنهن أمى وابنتاها وخالتى ... وباكية أخرى تهيج البواكيا

هلال بن الأسعر المازنى

شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية وأظنه قد أدرك الدولة العباسية ، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكولا معدوداً من الأكلة قل أبو عمرو كان فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم فى حرب غناء ، وعمر عمراً طويلاً ومات بعد بلايا عظام مرت على رأسه وكان رجل من قومه يعوله ويفضل عليه ويحتمل ثقله وثقل عياله وهو المغيرة بن قنبر فهلك فقال يرثيه

ألا ليت المغيرة كان حيا ... وأفنى قبله الناسَ الفناء
ليبك على المغيرة كل خيل ... اذا أفنى عرائكها اللقاء
ويبك على المغيرة كل كلّ ... فقير كان ينعشه العطاء
ويبك على المغيرة كل جيش ... تمور لدى معاركه الدماء
فتى الفتيان فارس كل حرب ... اذا شالت وقد رفع اللواء
لقد وارى جديد الأرض منه ... خصالا عقد عصمتها الوفاء
فصبراً للنوائب ان ألمت ... اذا ما ضاق بالحدث الفضاء
هزبر تنجلى الغمرات عنه ... نقى العرض همته العلاء
اذا شهد الكريهة خاض منها ... بحوراً لا تكدرها الدلاء
جسور لا يُروَّع عند روع ... ولا يثنى عزيمته ارتقاء
عليم فى مشاهده إذا ما ... حُبا الحلماء أطلقها المراء

حميد في عشيرته فقيد يطيب عليه في الملأ الثناء
فان تكن المنية أقصدته وحُمَّ عليه بالتلف القضاء
فقد أودى به كرم وخير وعود بالفضائل وابتداء
وجود لا يضم اليه جودا مراهنه اذا جد الجراء

وكان هلال ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جِلاَّن يقال له عبيد بن حرى فى شئ كان بينهما فشجه ومضى على ذلك زمن طويل ثم ان عبيداً قدم الوقبي فتخوف هلالا فاستجار بمعاذة بن جعدة المازنى وهو غائب فرآه هلال ولم يعلم باستجارته فضربه فصرعه وقيذا إلا انه لم يمت ولما علم هلال انه كان مستجيراً بمعاذة فر هاربا فلحقه معاذة بن جعدة واخوته وهم يومئذ تسعة فأدركوه بعد أن أعيا وأتوا به والجلانى لم يمت بعد فسلموه الى بنى جلان وقالوا لهم لا تحدثوا فيه شيئاً قبل أن يموت عبيد، فأخذه الجلانيون الى بلادهم فهرب منهم حتى أتى بلاد اليمن، ولما طال عليه الزمن أرسل الى عشيرته من بنى رزام بشعر يعاتبهم فيه فقاموا ليحملوا عنه دية جار معاذة فأبى معاذة الا أن يحمل ثلاث ديات دية للقتيل ودية للجوار ودية لاقامة هلال وسطهم فقال هلال

بنى مازن لا تطردونى فاننى أخوكم وان جرت جرائرها يدى
ولا تُثْلجوا أكباد بكر بن وائل بترك أخيكم كالخليع المطرَّد
ولا تجعلوا حفظى بظهر وتحفظوا بعيداً ببغضاء تروح وتغتدى
فان القريب حيث كان قريبكم وكيف بقطع الكف من سائر اليد
وان البعيد ان دنا فهو جاركم وان شط عنكم فهو أبعد أبعد
وانى وان أوجدتمونى لحافظ لكم حفظ راض عنكمُ غير مُوجَد
سيحمى حماكم بى وان كنت غائبا أغرّ اذا ماريعَ لم يتبلد
وتعلم بكر أنكم حيث كنتمُ وكنت من الأرض الغريبة محتدى

وأنى ثقيل حيث كنت على العدى وأنى وان أوحدت لست بأوحد
وانهم لما أرادوا هضيمتى مُنوا بجميع القلب عَضْب مهند
حسام متى يعزم على الأمر يأته ولم يتوقف للعواقب فى غد
وهم بدؤا بالبغى حتى اذا جزوا بأفعالهم قالوا لجارهمُ قَدِ
فلم يك منهم فى البديهة مُنْصِف ولم يك فيهم فى العواقب مهتد
ولم يفعلوا فعل الحليم فيحلموا ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيد
فان يَسْر لي ايعاد بكر فربما منعت الكرى بالغيظ من متوعد
ورب حمى قوم أبحت ومورد وردت بفتيان الصباح ومورد
وسَجْف دَجُوجىّ من الليل حالك رفعت بعَجْلي الرجل مَوَّارة اليد
سفينة خواض بحور همومه قليل ثبات العزم عند التردد
جسور على الأمر المَهيب اذا ونى أخو الفتك ركاب قَرَا المتهدد

وقال وهو بأرض اليمن

أقول وقد جاوزت نعمى وناقتى تحن الى جنبى فُلَيج مع الفجر
سقى الله ياناق البلاد التى بها هواك وان عنا نأت سُبُل القطر
فما عن قِلًى منا لها خفت النوى بنا عن مراعيها وكُثبانها العُفْر
ولكن صروف الدهر فرقن بيننا وبين الأدانى والفتى غرض الدهر
فسقيا لصحراء الإهالة مَرْبَعا وللوَقَبى من منزل دمِثٍ مُثْر
وسقيا ورعيا حيث حلت لمازن وأيامها الغُرّ المحجلة الزهر

ولم يزل كذلك حتى حمل عنه ديسم بن المنهال المازنى ما أراد معاذة فقال هلال

ان ابن كابية [1] المُرزَّأ دَيْسَما وارى الزناد بعيد ضوء النار
من كان يحمل ما تحمل دَيْسَم من حائل فُنُق [2] وام حوار

(١) هى أم ديسم (٢) الفنق الناقة الفتية السمينة

عُنيت بنو عمرو بحمل هنائد فيها العِشار[1] مُلابيءُ الأبكار
حتى تلاقاها كريم سابق بالخير حل منازل الأخيار
حتى اذا وردت جميعاً أرزمت جِلاَّن بعد تشمس ونفار
ترعى بصحراء الإهالة روبة والعنظوان منابت الجَرْجار

وقال وقد استغاث به قمير بن سعد فأنجده

دعانى قمـــير دعوة فأجبته فأى امرئ فى الحرب حين دعانى
معي مخذم قد أخلص القين حده يخفض عند الروع روع جنانى
وما زلت مذ شدت يميني حجزتى أحارب او فى ظل حرب ترانى

ومن شعره وفيه غناء

يا ربع سلمى لقد هيجت لى الطربا زدت الفؤاد على علاَّته وصبا
ربع تبدل ممن كان يسكنه عُفْر الظباء وظُلْمانا به عُصُبا

مسعود بن خرشة

هو أحد بني حُرْقوص بن مازن شاعر اسلامى بدوى من لصوص بنى تميم وكان يَهْوَى امرأة يقال لها جُمْل بنت شراحيل أخت تمام بن شراحيل المازنى الشاعر فانتجع قومها وناَوْا عن بلادهم فقال مسعود

كلانا يرى الجوزاء يا جُمْل أذبدت ونجم الثُّرَيَّا والمزار بعيـد
فكيف بكم يا جمـل أهلا ودونكم بحور يقمصن السفين وبيـــدُ
اذا قلت قد حان القفول يصدنا سليمان عن أهوائنا وسعيد

ومن قوله وقد طلبه والي اليمامة فلجأ الى موضع فيه ماء وعُشْب

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلة بوَعْساء فيهـا للظباء مكانس

(١) عشار ملابيء دنا نتاجها والهنيدة اسم لمائة من الابل

وهل أنجُون من ذى لبيد بن جابر كأن بنات الماء فيه المجالس
وهل أسمعن صوت القطا تندب القطا الى الماء منه رابع وخوامس

سرق إبلا من مالك بن سفيان بن عمرو القَعْنَبى هو ورفقاء له فأتوا بها اليمامة ليبيعوها فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد ثم عزل وولى مكانه رجل من عقيل فقال مسعود

يقول المرجفون أجاء عهد كفى عهداً بتنفيذ القلاص
أتى عهد الامارة من عقيل أغر الوجه رُكِّب فى النواصى
حصون بنى عقيل كل عَضْب اذا فزعوا وسابغة الدِّلاص
وما الجارات عند المحل فيهم ولو كثر الدوارج بالخماص

قطرى بن الفجاءة المازنى

هو أمير المؤمنين للخوارج ومقامه فى الحرب لا يجهل ، من شعره فى وقعة دولاب

لعمرك انى فى الحياة لزاهد وفى العيش ما لم أَلْقَ أم حَكيم
من الخَفِرات البيض لم أر مثلها شفاء لذى بَثّ ولا لسقيم
لعمرك انى يوم ألطم وجهها على نائبات الدهر جِدّ لئيم
ولو شهدتني يوم دُولاب[1] أبصرت طعان فتى فى الحرب غير ذميم
غداة طَفَتْ عَلْماء بكر بن وائل وألافها من حمير وسَلِيم
ومال الحجازيون نحو بلادهم وعُجْنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدها وولت شيوخ الأَزْد فهى تعوم
فلم أر يوماً كان أكثر مُقْعَصا يَمُجّ دماً من فائظ وكليم

(١) قرية بينها وبين الاهواز أربعة فراسخ

وضاربة خداً كريماً على فتى أغرَّ نجيب الأمهات كريم
أُصيب بدُولاب ولم يك موطنا له أرض دُولاب ودَيْر حميم (١)
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حَرِيم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وكانت بدولاب حرب بين الأزارقة وبين مسلم بن عُبَيس بن كُريز وكان من حديثها ان نافع بن الازرق لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم فى أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس وقد كان متشككا فى ذلك فقالت له امرأته ان كنت قد كفرت بعد ايمانك وشككت فيه فدَعْ نحلتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار حيث لقيتهم وأنخن فى النساء والصبيان كما قال نوح « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دَيَّارا » فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء والولدان وجعل يقول ان هؤلاء اذا كبروا كانوا مثل آبائهم ، واذا وطئ بلداً فعل مثل هذا به الى أن يجيبه أهله جميعاً ويدخلوا فى ملته فيرفع السيف ويضع الجباية فيجبى الخراج ، فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عماله فى السواد ، فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا الى الأحنف بن قيس فشكَوْا اليه أمرهم وقالوا له ليس بيننا وبين القوم الا ليلتان وسيرتهم كما ترى ، فقال لهم الأحنف ان سيرتهم فى معسركم ان ظفروا به مثل سيرتهم فى سوادكم فخذوا فى جهاد عدوكم ، وحرضهم الأحنف ، فاجتمع اليه عشرة آلاف رجل فى السلاح ، فأتاه عبد الله بن الحرث بن نوفل وسأله أن يؤمر عليهم أميراً ، فاختار لهم مسلم بن عُبَيس بن كُرَيز بن ربيعة ، وكان فارساً شجاعاً دينا فأمره عليهم وشيعه ، فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال انى ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة وانى لأحارب قوماً ان ظفرت بهم فما وراءهم

(١) موضع بالاهواز

الا سيوفهم ورماحهم فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع ، فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه ، فلما صار بدُولاب خرج اليهم نافع بن الأزرق فاقتتلوا قتالا شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى وتضاربوا بالسيوف والعَمَد فقتل فى المعركة ابن عبيس وهو على أهل البصرة « وذلك فى جمادى الآخرة سنة خمس وستين » وقتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضاً فعجب الناس من ذلك وان الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير وقتل رئيسا العسكرين ، والشُّراة يومئذ ستمائة رجل ، فكانت الحدة يومئذ وبأس الشراة واقعاً بين تميم وبنى سدوس ، وأتى بابن عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغُدانى وكان يقال له الأجذم كانت يده أصيبت بكابُل مع عبد الرحمن بن سَمُرة ، واستخلف نافع بن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز أحد بنى سَليط بن يَرْبوع فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بنى يربوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يربوع ورئيس الشُّراة من بنى سَليط بن يَرْبوع فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوماً ، وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة وتحدث بعد ذلك قال كنت لما قتلته على برذون وَرْد فاذا أنا برجل ينادى وأنا واقف فى خُمس بنى تميم فاذا به يعرض عليّ المبارزة ، فتغافلت عنه ، وجعل يطلبنى وأنا أنتقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى ، فصرت الى رحالى ثم رجعت فدعانى الى المبارزة فلما أكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته ونزلت فأخذت رأسه وسلبته فاذا هى امرأة قد رأتني حين قتلت نافعاً فخرجت لتثأر به ، فلما قتل نافع وابن عبيس ولى الجيش ربيع بن عمرو ، ولم يزل يقاتل الشراة نيفا وعشرين يوماً ، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه انى مقتول لا محالة ، قالوا وكيف ذلك ؟ قال انى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابُل انحطت من السماء فاستشلتنى[1] ، فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم عاد فقتل يومئذ ،

(١) أى أخذتنى اليها واستنقذتنى

فلما قتل تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ، ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله بيومين قتالا شديداً لم يقتتلوا مثله ، تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلم يغن شيئاً من الاعياء وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون [١] بالأفواه ، فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من أخذها ، فقال له كُرَيب ابن عبدالرحمن خذها فانها مكرمة ، فقال انها لراية مشئومة ما أخذها أحد الا قتل ، فقال له كريب يا أعور تقارعت العرب على أمرها ثم صيروها اليك فتأبى خوف القتل خذ اللواء ويحك فان حضر أجلك قتلت ان كانت معك أو لم تكن ، فأخذ اللواء وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج أقوى عدة بالدروع والجواشن [٢] وجعل الحجاج يفحص عينيه ويحمل حتى يغيب فى الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يظن أنه قد قتل ثم يرفع رأسه وسيفه يقطر دما ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم فى ناحية ، ثم ان الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبى التقيا فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم وولوا حارثة ابن بدر الغُدانى أمرهم ليس لهم طرف الا بالخوارج فقالت امرأة من الشُّراة وهى أم عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله ترثى ابنها عمران

الله أيد عمـــرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله فى السَّحَر
يدعوه سراً واعـــلاناً ليرزقه ... شهادة بيـــدَىْ ملْحادة غُدَر
ولى صحابتـــه عن حرّ مَلْحمة ... وشد عمران كالضِّرغامة الهَصِر [٣]

(١) يعض بعضهم بعضاً (٢) الجواشن الدروع (٣) الهصر الذى يهصر كل شئ أى يثنيه

فلما عقدوا لحارثة بن بدر الرياسة وسلموا اليه الراية نادى فيهم بأن يثبتوا ، فاذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة ، فندب الناس فالتقوا وليس بأحد منهم طرف وقد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين وما تطأ الخيل الا على القتلى ، فبينما هم كذلك اذ أقبل من اليمامة جمع من الشراة يقول المكثر انهم مائتان والمقلل انهم أربعون ، فاجتمعوا وهم مريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبة واحدة فحملوا على المسلمين ، فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته فانهزم وقال

كرنبوا (١) ودَوْلبوا وحيث شئتم فاذهبوا

وتتابع الناس على أثره منهزمين وتبعتهم الخوارج ، فألقوا أنفسهم فى دُجَيل ، فغرق منهم خلق كثير وسلمت بقيتهم ، وكان ممن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان ، ولحقت قطعة من الشُّراة خيل عبد القيس فأكبوا عليهم فعطفت عليهم خيل من بنى تميم ، فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشفوهم وانصرفوا الى أصحابهم وعبرت بقية الناس ، فصار حارثة ومن معه بنهر تِيرَى والشراة بالأهواز فأقاموا ثلاثة أيام ، وكان على الأزد يومئذ قبيصة بن أبى صفرة وهو أخو المهلب ، وغرق يومئذ من الأزد خلق كثير ، فقال شاعر الأزارقة

يرى من جاء ينظر من دجيل شيوخ الأزد طافية لحاها

وقال شاعر آخر منهم

شَمِتَ ابن بدر والحوادث جَمَّة والظالمون بنافع بن الأزرق
والموت حتم لا محالة واقع من لا يصبحه نهاراً يطرُق
فلئن أمير المؤمنين أصابه ريب المنون فمن تصبه يَغْلَق

قال خلاد بن الأرقط كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن

(١) اذهبوا الى كرنبى موضع فى الاهواز ودولبوا أقيموا بدولاب

أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً ، فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليشكرى وأبو حزابة التميمى وهما فى الحرب ، فقال عبيدة يا أبا حزابة إنى سائلك عن أشياء أفتصدقني في الجواب عنها ؟ قال نعم ان تضمنت لي مثل ذلك ، قال قد فعلت ، قال سل عما بدا لك ، قال ما تقول فى أئمتكم ؟ قال يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام ، قال ويحك فكيف فعلهم فى المال ؟ قال يجبونه من غير حله وينفقونه فى غير حقه ، قال فكيف فعلهم فى اليتيم ؟ قال يظلمونه ماله ويمنعونه حقه وينكحون أمه ، قال ويلك يا أبا حزابة أفمثلَ هؤلاء تتبع ؟ قال قد أجبت فاسمع سؤالي ودع عنك عتابى على رأيى ، قال قل ، قال أى الخمر أطيب أخمر السهل أم خمر الجبل ؟ قال ويلك أتسأل مثلي عن هذا ؟ قال قد أوجبت على نفسك أن تجيب ، قال اذا أبيت فان خمر الجبل أقوى وأسكر وخمر السهل أحسن وأسلس ، قال أبو حزابة فأى الزَّوانى أفرَه أزوانى رامهرمز أم زوانى أرَّجان ؟ قال ويلك ان مثلي لا يسأل عن مثل هذا ، قال لابد من الجواب أو تغدر ، فقال أما اذا أبيت فزوانى رامهرمز أرق أبشارا وزوانى أرَّجان أحسن أبداناً ، قال فأى الرجلين أشعر أجرير أم الفرزدق ؟ قال عليك وعليهما لعنة الله ، أيهما الذى يقول

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجـــار بحضرموت برودا

قال جرير ، قال فهو أشعرهما ، وكان الناس قد تجاذبوا فى أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا الى المهلَّب محكِّمين له فى ذلك ، فقال أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغانى ، ما كنت لأحكم بينهما ولكني أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابهما عليكم بالشُّراة فسلوهم اذا تواقفتم ، فلما تواقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك ، فأجابه بهذا الجواب ، وقال ميمون بن مهران حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قطَرِىّ بن الفُجاءة يقال لها أم حكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجلهم وجهاً وأحسنهم بدينهم تمسكاً

وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تجب الى ذلك ، فأخبرنى من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عنى ثقله

وهم يفدونها بالآباء والأمهات ، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلها ، وقال الهيثم ابن عدي كان عبيدة بن هلال اذا تكاف الناس ناداهم ليخرج الى بعضكم ، فيخرج اليه فتيان من العسكر فيقول لهم أيما أحب اليكم أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر ؟ فيقولون له أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك فأنشدنا ، فيقول لهم يا فسقة والله لقد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ، ثم لا يزال ينشدهم حتى يملوا ثم يفترقون

وورد ذكر أم حكيم فى أبيات ثلاثة وليست من قصيدة قطرى وهى

اذا قلت تسلو النفس أو ينتهى المنى أبى القلب الا حب أم حكيم

منعمة صفراء حلو دلالها أبيت بها بعد الهدو أهيم

قطوف الخطا محطوطة المتن زانها مع الحسن خلق فى الجمال عميم

مرة بن محكان السعدى

شاعر مقلّ إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى عصر جرير والفرزدق فأغفلا ذكره لنباهتهما فى الشعر ، وكان مرة شريفاً جواداً وهو أحد من حبس فى المناحرة والاطعام ، حبسه زياد بن أبى سفيان

ومن شعره

يا ربة البيت قومى غير صاغرة ضمى اليك رحال القوم والقُرُبا

فى ليلة من جمادى ذات أندية لا يُبصر الكلب من ظلمائها الطُّنُبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة حتى يَلُفَّ على خَيْشومه الذَّنَبا

كان الضيف اذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا اليهم رحله وبقى سلاحه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مرة يخاطب امرأته ضمي اليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم فانهم عندى فى عز وأمن من الغارات والبيات فليسوا ممن يحتاج أن يبيت لابساً سلاحه

ومن قوله للحرث بن أبي ربيعة والي البصرة أيام ابن الزبير حين أراد إمضاء حكم عليه

أحارِ تثبت فى القضـــاء فانه ... اذا ما إمام جار فى الحكم أقصدا
وانك موقوف على الحكم فاحتفظ ... ومهما تُصِبْه اليوم تدرك به غدا
فانى مما أدرك الأمر بالأنى ... وأقطع فى رأس الأمير المهندا

فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال أما والله لأقطعن السيف فى رأسك قبل أن تقطعه فى رأسي وأمر به فحبس ، ثم دس اليه من قتله

رؤبة

هو رؤبة بن العجاج بن رؤبة السعدى التميمى يكنى أبا الجحاف والعجاج ، من رُجّاز الاسلام وفصحائهم والمذكورين المقدمين منهم ، نزل البصرة ، وهو من مخضرمى الدولتين مدح بنى أمية وبني العباس ، ومات فى أيام المنصور ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره ويجعلونه إماماً

قال محمد بن سلام ليونس هل رأيت عربياً أفصح من رؤبة ؟ قال لا ، ما كان مَعَدّ بن عَدْنان أفصح منه ، وقد روى رؤبة الحديث المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أبوه أيضاً

روى عن أبيه قال أنشدت أبا هريرة

الحمد لله الذى استقلت ... باذنه السماء واطمأنت
باذنه الارض وما تَعَتَّت ... وحى لهـا القرار فاستقرت

وشدها بالراسيات الثُّبَّت رب البلاد والعباد القُنَّت

والجاعل الغيث غياث المسنِت والجامع الناس ليوم الموقت

فقال أبو هريرة أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب

وروى عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وحاد يحدو

طاف الخيالان فهاجا سقما خيال لُبْنَى وخيال تُكْتَمَا

قامت تريك خشية أن تصرما ساقا بَخَنْداة وكعباً أَدْرَما

والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر

وروى عن أبى عبيدة قال السواك يذهب وَضَر الطعام

وكان رؤبة يأكل الفأر فقيل له فى ذلك وعوتب ، فقال هو والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتى يأكلن القذر وهل يأكل الفأر الا قفى البر ولباب الطعام

قال رؤبة لما ولى الوليد بن عبد الملك الخلافة بعثنى الحجاج مع أبى لنلقاه ، فاستقبلنا الشمال حتى صرنا بباب الفراديس ، وكان خروجنا فى عام مُخْصِب وكنت أصلى الغداة وأجتنى من الكمأة ما شئت ثم لا أجاوز الا قليلا حتى أرى خيراً منها فأرمى بها وآخذ الأخرى حتى نزلنا بعض المياه فاهدى لنا جَمَل خُرْفج[1] ووَطْب لبن غليظ وزبدة كأنها رأس نعجة حوشية[2] فقطعنا الجمل آراباً وكررنا عليه اللبن والزبدة حتى اذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز ثم شربت من مرقه شربة لم تزل ذِفْرَيَاى ترشحان حتى رجعنا الى حَجْر[3] فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً فاستعهدنا ألا نعين عليه ، فكان أول من أذن له من الشعراء أبى ثم أنا ، فأقبل الوليد على جرير فقال له ويلك ألا تكون مثل هذين ، عقدا الشفاه عن أعراض الناس ، فقال انى أظلم فلا أصبر ، ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال يابنى أم العجاج

(١) سمين (٢) وحشية (٣) مدينة اليمامة

والله لئن وضعت كلكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطعاتكما ، فقلنا لا والله ما بلغه عنا شيء ولكنه حسدنا لما أذن لنا قبله واستنشدنا قبله

قيل ليونس من أشعر الناس ؟ قال العجاج ورؤبة ، فقيل له لم ولم نعن الرجاز؟ فقال هم أشعر من أهل القصيد ، انما الشعر كلام فأجوده أشعره ، قد قال العجاج « قد جبر الدينَ الاله فجبر » وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها لكانت كلها منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما

قال أبو زيد الأنصاري والحكم بن قنبر كنا نقعد الى رؤبة يوم الجمعة في رحبة بني تميم فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ومرت بنا عجوز فلم تقدر أن تجوز في طريقها فقال رؤبة

تنحَّ للعجوز عن طريقها اذ أقبلت رائحة من سوقها
دعها فما النحوى من صديقها

قال يونس غدوت يوماً أنا وابراهيم العطاردي على رؤبة نخرج الينا كأنه نَشْر فقال له نوح أصبحت والله كقولك

كالكُرَز[1] المشدود بين الاوتاد ساقط منه الريش قبل الابراد
لَفْحُ الصَّلا من وَغْرَقيظ وقاد

فقال له رؤبة والله يا ابن نوح ما زلت لك ماقتا ، فقلت بل أصبحت يا أبا الجحاف كما قال الآخر

فأبقين مني وأبقى الطرا د بطناً خميصاً وصُلْباً سمينا

فضحك وقال هات حاجتك

بعث اليه أبو مسلم لما أفضت الخلافة الى بني هاشم فلما دخل عليه رأى منه جزعاً فقال له اسكن فلا بأس عليك ما هذا الجزع الذي ظهر منك ؟ قال أخافك ،

(١) الكرز البازي وقيل الذي يشعر بسقط ريشه

قال ولم ؟ قال لأنه بلغنى أنك تقتل الناس ، قال انما أقتل من يقاتلني ويريد قتلى أفأنت منهم ؟ قال لا ، قال فهل ترى بأساً ؟ قال لا ، فأقبل أبو مسلم على جلسائه ضاحكا ثم قال أما أبو العجاج فقد رخص لنا ، ثم قال أنشدنى قولك — وقاتم الأعماق خاوى المخترق — فقال أو أنشدك أصلحك الله أحسن منه ؟ قال هات فأنشده

قلت ونسجى مستجد حوكا لبيك اذ دعوتنى لبيكا
أحمد رباً ساقنى اليكا الحمد والنعمة في يديكا

قال هات كلمتك الاولى ، قال أو أنشدك أحسن منها ؟ قال هات فأنشده

ما زال يبني خندقاً وتهدمه ويستجيش عسكرا وتهزمه
ومغنماً تجمعه وتقسمه مروان لما أن تهاوت أنجمه
وخانه فى حكمه منجمه فى بطنه غاشية تتمه

قال دع هذا وأنشدنى وقاتم الأعماق قال أو أحسن منه ؟ قال هات فأنشده

رفعت بيتاً وخفضت بيتا وشدت ركن الدين اذ بنيتا
فى الأكرمين من قريش بيتا

قال هات ما سألتك عنه ، فأنشده

مازال يأتى الأمر من أقطاره على اليمين وعلى يساره
مشمراً لا يصطلى بناره حتى أقر الملك في قراره
وفر مروان علي حماره

قال ويحك هات مادعوتك له وأمرتك بانشاده ولا تنشد غيره ، فأنشد

وقاتم الاعماق خاوى المخترق (١)

(١) أرجوزة لرؤبة عدتها اثنتان وسبعون ومائة بيت والقاتم الأسود والأعماق جمع عمق وهو ما بعد من أطرف المفازة ومخترق الرياح مهبها وخواؤه خلوه

فلما صار الى قوله

يرمى الجلاميد بجلمود مدق

قال قاتلك الله لشد ما استصلبت الحافر ، ثم قال حسبك أنا ذلك الجلمود المدق ، وجىء بمنديل فيه مال فوضع بين يدى رؤبة ، فقال أبو مسلم يا رؤبة انك أتيتنا والاموال مشفوهة وان لك لعودة الينا وعلينا معوّلا والدهر أطرق مستتب فلا تجعل بجنبيك الأسدّة ، قال رؤبة فأخذت المنديل منه وتالله ما رأيت أعجمياً أفصح منه وماظننت أن أحداً يعرف هذا الكلام غيري وغير أبى

ومما يغنى فيه من رجزه

داينت أروى والديون تُقْضَى فمطلت بعضاً وأدت بعضا

ياليت أروى اذ لوتك قرضا جاءت بقرض فشكرت القرضا

قال ابن عون ما شبهت لهجة الحسن البصرى الا بلهجة رُؤبة ولم يوجد له ولا لأبيه فى شعرهما حرف مدغم قط . قال الخليل بن أحمد يوم مات رؤبة دفنا الشعر واللغة والفصاحة اليوم

أبو نخيلة الحمانى

هو أبو نُخَيلة بن حزْن بن زائدة الحمّانى من حِمّان بن عبد العزى ثم من سعد ابن زيد التميمى وكنيته أبو الجنيد ، كان عاقّاً بأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج الى الشام وأقام هناك الى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقى مشكوكاً فى نسبه مطعوناً عليه ، وكان الأغلب عليه الرجز وله قصيد ليس بالكثير ، ولما خرج الى الشام اتصل بمَسْلَمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن اليه وأوصله الى الخلفاء واحداً بعد واحد واستماحهم له فأغنَوْه وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم انقطع الى بنى هاشم ولقب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى أمية فأكثر وكان طامعاً فحمله ذلك على أن قال فى المنصور أراجيز يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد

العهد لابنه محمد المهدى ، فوصله المنصور بألفى درهم وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى بن موسى ، ففعل ، فطلبه عيسى فهرب منه وبعث فى طلبه مولى له فأدركه فى طريق خراسان فذبحه وسلخ جلده

قال يحيى بن نجيم لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه فتأدب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما وسار شعره فى البدو والحضر ورواه الناس ، ثم وفد الى مسلمة بن عبد الملك فمدحه ولم يزل به حتى أغناه ، قال يحيى فحدثنى أبو نخيلة قال وردت على مسلمة فمدحته وقلت له

أمســـلم انى يا ابن كل خليفة ... ويا جبل الدنيا ويا ملك الأرض
شكرتك ان الشكر حظ من التقى ... وما كل من أوليتـه نعمة يقضى
وألقيت لما أن أتيتك زائراً ... علىَّ لحافاً سابغ الطول والعرض
وأحييت لي ذكرى وما كان خاملاً ... ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

فقال له مسلمة ممن أنت ؟ فقلت من بنى سـعد ، فقال ما لكم يا بنى سعد والقصيد وانما حظكم فى الرجز ، فقلت له أنا والله أرجز العرب ، قال فأنشدنى من رجزك ، فكأنى والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قط أنسانيه الله كله فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً الا أرجوزة لرؤبة قد كان قالها فى تلك السنة ، فظننت أنها لم تبلغ مسلمة ، فأنشدته إياها فنكس وتتعتع ، فرفع رأسـه إلىَّ وقال لا تتعب نفسك فأنا أروى لها منك ، فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسى حتى استضلعت بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفنى وقربنى وما رأيت ذلك فيه يرحمه الله ولا قربنى به حتى افترقنا ، وقال أبو نخيلة لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته ، فلما عاينته صحت به

مَسْلَمَ يا مسـلمة الحروب ... أنت المصفى من أذى العيوب
مُصاصة من كرم وطيب ... لولا ثقاف ليس بالتدبيب
تَفرى به عن حُجُب القلوب ... لأمست الأمة شاء الذيب

قال أبو نخيلة وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات وكنت بأخلاق هشام غراً وأنا غريب ، فسألت عن أخص الناس به ، فذكر لي رجلان أحدهما من قيس والآخر من اليمن ، فعدلت الى القيسى ، قلت هو أقربهما إليَّ وأجدرهما بما أحب ، فجلست اليه ثم وضعت يدى على ذراعه وقلت له انى مستثيبك لتمسنى رحمك أنا رجل غريب شاعر من عشيرتك وأنا غير عارف بأخلاق هذا الخليفة وأحببت أن ترشدنى الى ما أعمل فينفعنى عنده وعلى أن تشفع لي وتوصلنى اليه ، فقال ذلك كله لك عليَّ وفى الرجل شدة لا كمن عهدت من أهله ، واذا سئل وخلط مدحه بطلب حرم الطالب ، فأخلص له المدح فان ذا أجدر أن ينفعك واغدُ اليه غداً فانى منتظرك بالباب حتى أوصلك والله يعينك ، فصرت من غد الى باب هشام ، فاذا الرجل ينتظرنى ، فأدخلنى معه واذا بأبى النجم قد سبقنى فبدأ فأنشده قوله

الى هشام والي مَرْوان ... بيتان ما مثلهما بيتان
كفاك بالجود تباريان ... كما تبارى فرسا رهان
مال علىّ حدب الزمان ... وبيع ما يغلو من الغلمان
بالثمن الوَكس من الأثمان ... والمهر بعد المهر والحِصان

فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام وتبينت الكراهة فى وجهه ، ثم استأذنت فأذن لي فأنشدته

لما أتتنى نَغْيَة (١) كالشُّهد ... كالعسل الممزوج بعد الرَّقد
يا بردها لمشتف بالبرد ... رفعت من أطمار مستعد
وقلت للعيس اغتدى وجدى ... فهى تَخَدَّى أبرح التَّخدي (٢)
كم قد تعسفت بها من نَجْد ... ومُجْرَهِدّ بعد مجرهد (٣)

(١) النغية مثل النغمة (٢) خدى البعير يخدى أسرع وزج بقوائمه (٣) المجرهد الطريق امتد

قد ادَّرعن فى مسير سَمَدْ[1] ليلا كلون الطَّيلسان الجَرْد
الى أمير المؤمنين المجدى رب مَعَدّ وسوى معـد
ممن دعا من أَصْيَد ونَجْد ذى المجد والتشريف بعد المجد
فى وجهـه بدر بدا بالسعد أنت الهمام القَرْم عند الجد
طُوِّقتهـا مجتمع الأَشُدّ فانهلّ لما قمت صوت الرعد

حتى أتيت عليهـا وهممت أن أسأله ثم عزفت نفسى وقلت قد استنصحت رجلا وأخشى أن أخالفه فأخطىء وحانت منى التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً فلما فرغت أقبـل على جلسائه فقال الغلام السعدي أشعر من الشيخ العجلى ، وخرجت فلما كان بعد أيام أتتنى جائزته ثم دخلت عليه بعد ذلك وقد مدحته بقصيدة فألقى علىَّ جبـة خز من جبابه مبطنة بسمور ثم دخلت عليه يوماً آخر فكسانى دراجا كان عليه من خز أحمر مبطن بسمور ، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لى بشىء فحملتنى نفسى على أن قلت له

كسوتنيها فهى كالتِّجفاف[2] من خزك المصونة الكثاف
كأننى فيهـا وفى اللحاف من عبد شمس أو بني مناف
والخز مشتاق الى الأفواف[3]

فضحك وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها الىّ وقال خذها فلا بارك الله لك فيها ، فلما أفضت الخلافة الى السفاح نقلها اليه وغيرها وجعلها فيه « يعني الأرجوزة الدالية » فهى الآن تنسب فى شعره الى السفاح

لمـا حبس عمر بن هبيرة وهو أمير العراق الفرزدق أبى أن يشفع فيه أحد ، فدخل عليه أبو نخيلة فى يوم فطر فوقف بين يديه وأنشأ يقول

(١) سمدت الابل فى مسيرها جدت والجرد الخلق (٢) التجفاف آلة للحرب تلبسها الفرس كأنها درع للحرب (٣) الفوف بالضم نوع من برود اليمن وجمعه أفواف

أطلقت بالأمس أسير بكر فهل فداك نفرى ووفرى
من سبب أو حجة أو عذر ينجي التميمي القليل الشكر
من حلق القيد الثقال السمر هبه لأخوالك يوم الفطر

فأمر باطلاقه وكان قد أطلق قبله رجلا من عجل جيء به من عين التمر قد أفسد فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه واياه عني أبو نخيلة

حج أبو نخيلة ومعه جريب من سويق قد حلاه بقند ، فنزل منزلا فى طريقه فأتاه أعرابي من بني تميم وهو يقلب ذلك السويق واستحيا منه فعرض عليه فتناول ما أعطاه فأتى عليه ثم قال زدني فقال أبو نخيلة

لما نزلنا منزلا ممقوتا نريد أن نرحل أو نبيتا
جئت ولم ندر من أين جيتا اذا سقيت المزبد السحتيتا[1]
قلت ألا زدني وقد رويتا

فقام الاعرابي وهو يسبه

دخل أبو نخيلة على السفاح فسلم واستأذن فى الانشاد فقال له لاحاجة لنا فى شعرك انما تنشدنا فضلات بنى مروان فقال يا أمير المؤمنين

كنا اناساً نرهب الأملاكا اذ ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا
ثم ارتجينا بعده اياكا وكان ما قلت لمن سواكا
زوراً فقد كفر هذا ذاكا

فضحك السفاح وأجازه جائزة سنية وقال له أنت شاعر وطالب خير ومازال الناس يمدحون الملوك فى دولهم والتوبة تكفر الخطيئة والظفر يزيل الحقد وقد عفونا عنك واستأنفنا الصنيعة لك وأنت الآن شاعرنا فاتسم بذلك فيزول عنك وسم بنى مروان فقد كفر هذا ذاك

(١) السحتيت السويق الدقاق

قدم أبو نخيلة على المهاجر بن عبد الله الكلابى وكان أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامة لايكاد الناظر أحدهما يفرق بينه وبين الآخر فدخل عليه فأنشده قوله فيه

يا دار أم مالك ألا اسلمي ... على التنائى من مقام وانعمى
كيف أنا ان أنت لم تكلمى ... بالوحى أو كيف بأن تحمحمى
تقول لى بنتي ملام اللوم ... يا أبتا انك يوماً مؤثمى
فقلت كلا فاعلمى ثم اعلمى ... انى لميقات كتاب محكم
لو كنت فى ظلمة شعب مظلم ... أو فى السماء أرتقى بسلم
لانصبن مقدارا الى مجرنثمى[1] ... انى ورب الراقصات الرسم
ورب حوض زمزم وزمزم ... لأثنين الخير عند مقدمى
وعند ترحالى وعند مخيمى ... على ابن عبدالله قرم الأقرم
فانى والعلم ذو ترسم ... لم أدر ما مهاجر التكرم
حتى تبثثت قضايا الغشم ... مهاجر ياذا النوال الخضرم
أنت اذا انتجعت خير مغنم ... مشترك النائل جم الأنعم
ولتميم منك خير مقسم ... اذا التقوا ستاً معاً كالهيم
قد علم الشام وكل موسم ... أنك تحلو لي كحلو المعجم
طوراً وطوراً أنت مثل العلقم

فوصله فقال له أبو نخيلة هذه صلة المديح فأين صلة الشبه فان التشابه فى الناس نسب ، فوصله حتى أرضاه فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات ورثاه بعد وفاته فقال

خليلى مالى باليمامة مقعد ... ولا قرة للعين بعد المهاجر
مضى مامضى من صالح العيش فاربعا ... على ابن سبيل مزمع البين عابر
فان تك فى ملحودة يا ابن وائل ... فقد كنت زين الوفد زين المنابر

وقد كنت لولا سلكك السيف لم ينم مقيم ولم تأمن سبيل للسافر
لعزّ على الحيين قيس وخندف بمبكى علي والوليد وجابر
هوى قمر من بينهم فكأنما هوى البدر من بين النجوم الزواهر

تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته فولدت بنتاً فغمه ذلك فطلقها تطليقة ثم ندم فراجعها ، فبينا هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وامها تلاعبها فحركه ذلك ورق لها فقام اليها فأخذها وجعل يُنَزِّيها ويقول

يابنت من لم يك يهوى بنتا ما كنت الا خمسة أوستا
حتى هلكت في الحشى وحتى فتت في القلب جوًى فانفتا
لأنت خير من غلام أنتا يصبح مخموراً ويُمسي سَبْتا[1]

كان أبو نخيلة مداحاً للجنيد بن عبد الرحمن المرى وكان الجنيد له محباً يكثر رِفْده ويقرب مجلسه ويحنّ اليه فلما مات الجنيد بمرو قال أبو نخيلة يرثيه

لعمرى لئن رَكِبُ الجنيد تحملت الى الشام من مرو وراحت كتائبه
لقد غادر الركب الشآمون خلفهم قنى غطفانيا تعلل جاديه
فتى كان يَسْرى للعدو كأنما عجاج القطا في كل يوم كتائبه
وكان كأن البدر تحت لوائه اذا راح في جيش وراحت عصائبه

ابتاع أبو نخيلة داراً في بني حمّان ليصحح بها نسبه وسأل في بنائها فأعطاه الناس اتقاء للسانه وشره ، فسأل شبيب بن شَبَة فلم يعطه شيئاً واعتذر اليه فقال

يا قوم لاتسودوا شبيبا اللِذان الخائن الكذوبا
هل تلد الذيبة إلا ذيبا

فقال شبيب ما كنت لأعطيه على هذا القول فانه قد جعل احدى يديه سطحاً وملأ الاخرى سَلْحاً وقال من وضع شيئاً في سطحي والا ملأته بسلحي من أجل

(١) أي سبوتاً وهو من به السبات أي النوم

دار يريد أن يصحح بها نسبه ، فسفر بينهما مشايخ الحى حتى يعطيه ، فأبى شبيب أن يعطيه شيئاً وحلف أبو نخيلة ألاَّ يكف عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به ، فلما رأى شبيب ذلك خافه فبعث اليه بما سأل ، وغدا أبو نخيلة عليه وهو جالس فى مجلسه مع قومه فوقف عليهم ثم أنشأ يقول

اذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس الى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

دخل أبو نخيلة على عمر بن هُبَيْرة وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف سترفأنشد أبو نخيلة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة يا أبا نخيلة أي شيء أحدثت بعدنا ؟ فاندفع ينشد أرجوزة لرؤبة ، فلما توسطها كشف رؤبة الستر وأخرج رأسه من تحته فقال له كيف أنت يا أبا نخيلة ؟ ألم ننهك ألا تعرض لشعرى اذا كنت حاضراً فاذا ماغبت فشأنك به ؟ فضحك أبو نخيلة وقال هل أنا الا حسنة من حسناتك وتابع لك وحامل عنك ؟ فعاد رؤبة الى موضعه فاضجطع ولم يراجعه حرفا

اعتل أبو نخيلة وهو عند القعقاع بن ضرار فقال له أصبحت والله بَشِما أمرت خبازك فأتانى بهذا الرقاق الذى هو كالثياب المبلولة قد غمسه فى الشحم غمساً وأتبعه بزُبْد كرأس النعجة الخَرَسية وتمر كأنه عنز رابضة اذا أخذت التمرة من موضعها تبعها من الرُّبّ كالسلوك الممدودة ، فأمعنت فى ذلك وأعجبني حتى بَشِمت فهل من أقداح جياد ؟ وبين يدى القعقاع حجام واقف وصفرة موضوعة فيها المواسى ، فاذا أتى بشَرَاب النبيذ حلق رءوسهم ولحاهم ، فقال له القعقاع أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بشرابه ؟ عليك بالعسل والماء البارد ، فوثب ثم قال

قد علم المَظَلُّ والمبيت أنى من القعقاع فيما شيت
اذا أتت مائدة أتيت ببدع ليست بها غُذيت
وليت فاستُشْفِعت واستُعْذيت كأنني كنت الذى وليت

ولو تمنيت الذى أعطيت ما ازددت شيئاً فوق ما لقيت
أيا ابن بيت دونه البيوت أقصر فقد فوق القرى قُريت
ما عن شرابى عسل منعوت ولا فُرات صَرِد بيُوت
لكنني فى القوم قد أُريت رطل نبيذ مُخْفِس[1] سُقيت
صلباً اذا جاوزته رَوِيت

فغمزه على ابن أخيه وأومأ الى اسمعيل فأخذ بيده ومضى الى منزله فسقاه حتى صلح

دخل أبو نخيلة على السفاح وعنده أبو صَفْوان اسحق بن مسلم العقيلى ، فأنشده قوله

صادتك يوم الرملتين شَعْفَر وقد يصيد القانصُ المزعفر
يا صورة حسنها المصور للرِّيم منها جيدُها والمحجر

يقول فيها فى مدح أبى العباس

حتى اذا ما الأوصياء عسكروا وقام من تبْز النبي الجوهر
ومن بني العباس نَبْع أصفر يَنْميه فرع طيب وعُنْصُر
أقبل بالناس الهوى المشهر وصاح فى الليل نهار أنور
أنا الذى لو قيل أنى أشعر جَلَّى الضَّبابَ الرجز المحبر
لما مضت لي أشهر وأشهر قلت لنفس تزدهى فتصبر
لا يستخفنَّك ركب يَصْدُر لا منجد يمضى ولا مُغَوِّر
وخالفى الأنباء فهى المحشر أو يسمع الخليفة المطهر
منى فانى كل جنح أحْضُر وان بالأنْبار غيثاً يَهْمِر
والغيث يرجى والديار تَنْضَر ما كان الا أن أتاها العسكر
حتى زهاها مسجد ومنبر لم يبق من مَرْوان عين تنظر

(١) سريع الاسكار

لا غائب ولا أناس حُضَّر هيهات أودى النَّعَم المعقَّر
وأمست الأنْبار دارا تعمر وخربت من الشآم أدْوُر

ومنها

وأين مَرْوان وأين الأشقر وأين فَلّ لم يفت محبر
وأين عاديُّكمُ المجمهر وعامر وعامر وأعْصُر

يعنى عامر بن صعصعة وعامر بن ربيعة وأعْصُر باهلة وغنى

ولما أراد المنصور أن يصرف ولاية العهد عن عيسى بن موسى الى ابنه محمد المهدى قال أبو نخيلة

لم يُنْسِنى يا ابنة آل مَعْبَد ذكراك تكرار الليالى العُوَّد
ولا ذوات العَصَب المورد ولو طَلَبْنَ الود بالتودد
ورُحْنَ فى الدُّر وفى الزَّبَرْجَد هيهات منهن وان لم نعهد
نجدية ذات معان منجد كأن رِيَّاها بُعَيْد المرقـــد
رِيَّا الخُزَامَى فى ثَرَى جعندد كيف التصابى فعل من لم يهتدى
وقد علتنى ذُرْأَة[1] بادِى بَدِى وَرَثْية تنهض فى تشـــدد
بعد انتهاضى فى الشباب الأمْلَد

يقول فيها

الى أمير المؤمنين فاعمدى الى الذى يَنْدَى ولا يندى نَدِ
سيرى الى بحر البحار المُزْبد الى الذى ان نَفِدَت لا يَنْفَد
اذ أثمدت شراعها[2] لم يُثْمد

(١) ذرىء رأسه يذرأ اذا علته ذرأة أي شيب والذرأة بالضم الشمط وبادى بدى أى أول كل شىء والرثية انحلال الركب والمفاصل

(٢) الشراع المواضع التى ينحدر الماء منها وأثمد قل

ويقول فى ذكر البيعة لمحمد

ليس ولىّ عهدنا بالأسعد ... عيسى فزحلقها الى محمد
من عند عيسى معهداً عن معهد ... حتى تؤدى من يد الى يد
فقد رضينا بالغلام الأمرد ... وقد فرغنا غير أن لم تُشهد
وغير أن العقد لم يؤكد ... فلو سمعنا قولك امدد امدد
كانت لنا كدكة الورد الصدى ... فناد للبيعة جمعاً نَحْشد
فى يومنا الحاضر هذا أو غد ... واصنع كما شئت ورد يردد
وردّه منك رداء يرتد ... فهو رداء السابق المقلّد
وكان يُرْوَى أنها كأنْ قدِ ... عادت ولو قد نقلت لم تردد
أقول فى كرى أحاديث الغد ... لله دَرّى من أخ ومنشد
لو نلت حظ الحبشى الأسود[1]

قال المدائنى ان أبا نخيلة أظهر هذه القصيدة التى رواها الخدم والخاصة وتناشدتها العامة ، فبلغت المنصور فدعا به وعيسى بن موسى عنده جالساً عن يمينه فأنشده إياها وأنصت له حتى سمعها الى آخرها ، قال أبو نخيلة فجعلت أرى فيه السرور ، ثم قال لعيسى بن موسى لئن كان عن رأيك لقد سررت عمك وبلغت من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السار ، فقال عيسى لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين ، قال أبو نخيلة فلما خرجت لحقنى عقال بن شبّة فقال أما أنت فقد سررت أمير المؤمنين ولئن تمّ الأمر فلعمرى لتصيبنّ خيراً ولئن لم يتم فابتغ نفقاً فى الأرض أو سُلّماً فى السماء ، فقلت له « علقت معالقها وصرّ الجُنْدَب »

قال بعض موالى المنصور لما أراد المنصور أن يعقد للمهدى أحب أن تقول الشعراء في ذلك وكان أبو نخيلة قدم على أبى جعفر فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه ،

(١) يريد اباد لامه

فقال له عبد الله بن الربيع الحارثى يا أبا نخيلة ان أمير المؤمنين يريد أن يقدم المهدى بين يدى عيسى بن موسى فلو قلت شيئاً تحثه على ما يريد ، فقال

ما ذا على شَحْط النوى غشّاكا أم ما جرى دمعك من ذكراكا
وقد تبكّيت فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها

خليفة الله وأنت ذاكا أسند الى محمد عصاكا
فأحفظ الناس لها أدناكا وابنك ما استكفيته كفاكا
وكلنا منتظر لذاكا لو قلت هاتوا قلت هاكا هاكا

فأنشده إياها ، فوصله بألفى درهم وقال له احذر عيسى بن موسى فانى أخاف عليك أن يغتالك ، قال المدائنى وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، فبعث عيسى فى طلب أبى نخيلة فهرب منه وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبره فجرد خلفه مولى له يقال قطرى معه عدة من مواليه وقال له نفسك أن يفوتك أبو نخيلة ، فخرج في طلبه مُغِذًّا للسير فلحقه فى طريقه الى خراسان ، فقتله وسلخ وجهه وألقى جسمه الى النسور وأقسم لا يريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور لحمه ، فأقام حتى لم يبق الا عظامه ، ثم انصرف

قال الأصمعى قلت لأبى الأبرش مات أبو نخيلة ، قال حتف أنفه ؟ قلت لا بل اغتيل فقتل ، فقال الحمد لله الذى قطع قلبه وقبض روحه وسفك دمه وأراحنى منه وأحيانى بعده ، وكان أبو نخيلة يهاجى الأبرش فغلبه أبو نخيلة

حارثة بن بدر

هو حارثة بن بدر بن حصين الغُدانى من غدانة بن يربوع، من فرسان بنى تميم ووجوهها وساداتها وأحسب أنه قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فى حال صباه

وحداثته وليس بمعدود في فحول الشعراء ولكنه كان يعارض نظراءه الشعر وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمتقدمين فى الشعر والمتصرفين فى فنونه

كان زياد بن أبي سفيان مكرما لحارثة قابلا لرأيه محتملا لما يعلمه من تناوله الشراب فلما ولي عبيد الله بن زياد أخر حارثة بعض التأخير فعاتبه على ذلك ، فقال له عبيدالله انك تتناول الشراب ، فقال له قد كان أبوك يعلم هذا مني ويقربني ويكرمني ، فقال له ان أبى كان لا يخاف من القالة فى تقريبك ما أخاف وان اللسان الى فيك لأسرع منه الى أبى فقال حارثة

وكم من أمير قد تجبر بعد ما ... مَرَيْت له الدنيا بسيفى فدرَّت
اذا ما هى احلولت نفى حق مقسمى ... ويقسم لي منها اذا ما أمرَّت
اذا زَبَنَتْه عن فُواق (١) يريده ... دعيت ولا أُدعى اذا ما أقرَّت

وقال وقد شاوره عبيد الله فى أمر

اهان وأُقصى ثم ينتصحوننى ... ومن ذا الذى يعطى نصيحته قَسْرا
رأيت أكفَّ المصلتين عليكمُ ... مِلاء وكفى من عطاياكمُ صفرا
متى تسألونى ما عليّ وتمنعوا الـــذى ليَ لا أسطِع على ذلكم صبرا
رأيتكمُ تعطون من ترهبونه ... زرابيّة قد وشحت خلعاً صفرا
وانى مع الساعى اليكم بسلعة ... اذا عظمكمُ يوماً رأيت به كسرا

وقال وقد أحرقت داره بالبصرة أحرقها بعض أعدائه

رأيت المنايا بادئاتٍ وعُوَّدا ... الى دارنا سهلا اليها طريقها
لها سَعَة كانت تقينا فُروعها ... فقد تلفت الا قليلا عروقها

وقال حارثة فى أنس بن زنيم الليثى

تبدلت من أُنس انه ... كذوب المودة خوّانها

(١) الفواق ما بين فتح يد الحالب وقبضها على الضرع وزبنته دفعته

أراه بصيراً بضر الخليل وشر الأخلاء عُوارنها

فأجابه أنس فقال

وان الخيانة شر الخليـــل والكفر عندك ديوانها

بَصُرت به فى قديم الزمان كما يُبْصَر العين انسانهـا

فأجابه حارثة فقال

أَلِكْني الى أنس انه عظيم الحواشة عندى مهيب

فما أبتغى عثرات الخليل ولا أبتغى عليه الوثوب

فقال أنس

وما ان أرى ماله مغنما من الدهر ان أعوزتنى الكُسوب

أحارِ بن بدر وأنت امرؤ لعمرى المتاع الىَّ الحبيب

متى كان مالك لى مغنما من الدهر ان أعوزتنى الكسوب

وشر الأخلاء عنـــد البلاء وعند الرزية خـــل كذوب

فتهاديا الشعر زمناً عند عبيد الله بن زياد ووقع بينهما شر حتى قدم مسلم بن زياد عاملا على خُراسانَ وسِجستْان فعرض على انس صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة فاستمهله وكتب أنس الى عبيدالله

ألم ترنى خُيِّرت والامر واقع فما كنت لما قلت بالمتخيِّر

رضاك على شئ سواه ولم يكن اذا اختار ذا حزم من الامر يظفر

قعدت لترضى عن جهاد وصاحب شفيق قديم الود كان مُؤَمِّرى

على أحـد الثغرين ثم تركته وقد كنت فى تأميره غير مُمتر

فأمسكتُ عن سَلْم عِنانى وصحبتى ليعرف وجه العذر قبل التعذر

فان كنت لَمَّا تدر ما هى شيمتى فسل بىَ أكفائى وسل بى معشرى

ألست مع الاحسان والجود ذا غنى ... وبأس اذا ما كفروا فى التسنر
ورائى وقد أعصي الهوى خشية الردى ... وأعرف غبَّ الأمر قبل التدبر
وما كنت لولا ذاك ترتد بغيتى ... علىَّ ارتداد المظـــلم المتحير

فرد عليه حارثة بأمر عبيد الله

ألِكْنى الى من قال هذا وقل له ... كذبت فما ان انت بالمتخير
وانك لو صاحبت سلْما وجدته ... كمهدك عهد السوء لم يتغير
أتنصح لي يوماً ولست بناصح ... لنفسك فاغْشُشْ ما بدا لك أو ذر
كذبت ولكن أنت رهن بخزية ... ويوم كأيام عبوس مذكر
كأشقر أضحى بين رمحين ان مضى ... على الرمح يُنْحَر أو تأخر يُعْقَر

وأعجبت عبيد الله وقال لعمرى لقد أجبته على ارادتى وأمسكها عبيد الله في يده فلما دخل عليه أنس دفعها اليه فنظر فيها ثم قال لعبيد الله لقد رد على من لا أستطيع جوابه وظن أن عبيد الله قالها ، وخرج أنس والصحيفة في يده فلقيه عبد الرحمن بن رألان فدفعها اليه أنس فلما قرأها قال هذا شعر حارثة بن بدر أعرفه ، فقال له أنس صدقت والله ثم قال لحارثة

عجبت لهوج من زمان مضلل ... رأى لأُلباب الرجال مغير
ومن عقبة عَرْجا غُول تلبست ... على الناس جلد الأَرْبد المتنمر
فلا يعرف المعروف فيه لأَهله ... وان قيل فيه منكر لم ينكر
لحارثة المهدى الخنا لي ظالما ... ولم أر مثلى مُدَّر صيد مُدَّر
لحارثة بن بدر قد أتتني مقالة ... فما بال نُكْرٍ منك من غير منكر
أيروى عليك الناس مالا تقوله ... فتعذر أم أنت امرؤ غير معذر
فان يك حقاً مايقال فلا يكن ... دبيباً وجاهرنى فما من تستر
أقلذك ان كنت امرأ صان عرضه ... قوافى من باقى الكلام المشهر

وقد كنت قبل اليوم جربت أنني أشق على ذى الشعر والمتشعر
وان لسانى بالقصائد ماهر تَعِنّ له عُنّ القوافي وتنبرى
أصادفها حيناً يسيراً وأبتغى لها مرة شَزْراً اذا لم تيسر
تناولنى بالشتم فى غير كنهه فمهلاً أبا الخيماء وابن المعذَّر
هجرت وقد ساماك فى الشر خطة الـــذليل ولم يفعل كأفعال منكر

وقال له أيضاً

سل أميرى ما الذى غيره عن وصالي اليوم حتى ودعه
لا تُهِنّى بعد اكرامك لى فشديد عادة منتزعة
لا يكن وعدك برقاً خُلَّبا ان خير البرق ماالغيث معه

قال حارثة لعبيد الله بن زياد بن ظَبيان وكانا فى عرس هل لك فى شراب ؟ قال نعم ، فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل فأخذ ابن ظَبيان العُسّ فكرع حتى كاد يأتى عليه ثم ناوله حارثة ، فقال له حارثة انك لطَبّ بحَسْوها ، فقال أجَلْ والله انى لأشربها حلالا وأجاهر بها اذ أخفى غيرى شرب الحرام ، فقال له حارثة من غيرك هذا ؟ قال سائلى عن هذا الامر ، فقال حارثة

اذا كنت نَدْمانى فخذها وأسقنى ودع عنك من يراك يكرع فى الخمر
فانى امرؤ لا أشرب الخمر فى الدُّجَى ولكننى أحسو النبيذ من التمر
حَيـــاً وتُقًى لله والله عالم بكل الذى نأتيه فى السر والجهر
ومثلك قد جربته وخبرته أبا مطر والحَين أسبابه تجرى
حساها كمستدمى الغزال عتيقةً اذا شعشعت بالماء طيبة النشر
أقام عليها دهره كل ليـــلة يشافهها حتى يرى وَضَح الفجر
فأصبح ميتاً ميتة الكلب ضُحْكة لاصحابه حتى يُدَهْدَه فى القبر
فما ان بكاه غير دَنّ ومِزْهَر وغانية كالبدر واضحة الثغر

وباطية كانت له خِدْن زنية يعاهرها والليل معتكر الستر

عاتب الأحنف حارثة بن بدر على معاقرة الشراب وقال له قدفضحت نفسك وأسقطت قدرك وأوجعه عتاباً ، فقال له انى سأُعتبك ، فانصرف الأحنف طامعاً فى صلاحه ، فلما أمسى راح اليه فقال له اسمع يا أبا بحر ما قلت لك ، فقال هات ، فأنشده

يذم أبو بحر أموراً يريدها ويكرهها للأريحى المسوَّد
فان كنت عيَّاباً فقل ما تريده ودع عنك شربى لست فيه بأوحد
سأشربها صهباء كالمسك ريحها وأشربها فى كل نادٍ ومَشْهَد
فنفسك فانصح يا ابن قيس وخَلِّني ورأيى فما رأيى برأيٍ مُفَنَّد
وقائلة يا حار هل أنت مُمْسِك عليك من التبذير؟ قلت لها اقصدى
ولا تأمرينى بالسَّداد فانني رأيت الكثير المال غير مخلد
ولا عيب لي الا اصطباحى قهوةً متى يمتزجها الماء فى الكأس تزْبِد
معتقة صهباء كالمسك ريحها اذا هى فاحت أذهبت غُلَّة الصَّدِى
ألا انما الرشد المبين طريقه خلاف الذي قد قلت اذ أنت مرشدى
سأشربها ما حج لله راكب مجاهرةً وحدى ومع كل مُسْعِد
وأسعد نَدْمانى وأتبع شهوتى وأبذُل عفواً كل ما ملكت يدى
كذا العيش لا عيش ابن قيس وصحبه من الشرب للماء القَراح المصَرَّد

فقال له الأحنف حسبك انى أراك غير مقلع عن غيك ولن أعاتبك بعدها أبداً ثم كان بعد ذلك بين الأحنف وحارثة كلام وخصومة فافترقا عن مجلسهما متخاصمين فبلغ حارثة أن الأحنف قال والله لولا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله ، فقال حارثة وهل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب وحبي له ؟ وذلك أمر لست أعتذر منه الى أحد ، ثم قال فى ذلك

وكم لائم لي فى الشراب زجرته فقلت له دعني وما أنا شارب
فلست عن الصهباء ماعشت مُقْصِراً وان لامنى فيها اللئام الأشائب (١)
أأترك لذاتى وآتى هواكمُ ألا ليس مثلى يا ابن قيس يخالبُ
أنا الليث معدواً عليه وعادياً إذا سُلَّت البيض الرِّقاق القواضب
فأنت حليم تزجر الناس عن هوى نفوسهمُ جهلاً وحلمك عازب
فحلمك صُنْهُ لا تُذِله وخلِّنى وشأني واركب كل ما أنت راكب
فاني امرؤ عودت نفسى عادة وكل امرئ لاشك ما اعتاد طالب
أجود بمالى ما حييت سماحة وأنت بخيل يجتويك المصاحب
فما أنت أو ما غيُّ من كان غاويا اذا أنت لم تُسْدَد عليك المذاهب

قال زياد يوماً لحارثة من أخطب الناس أنا أو أنت ؟ فقال الأمير أخطب منى اذا توعد ووعد وأعطى ومنع و برَق ورَعَد وأنا أخطب منه فى الوفادة و فى الثناء والتحبير وأنا أكذِب اذا خطبت فأحشُو كلامى بزيادة مليحة شهيَّة والأمير يقصِد الى الحق وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه، فقال له زياد قاتلك الله فلقد أجدت تخليص صفتك وصفتى من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتنى وتخلصت

شرب زياد ليلة الى الصبح فأكثر وصَرَف ومزجوا ، فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة ففطن له زياد فقال مالك ياحارثة ، قال أكلت البارحة رماناً فأكثرت ، قال قد عرفت مع من أكلته ولكنهم قشروه وأكلته بقشره فأصارك الى ما ترى

وقال يرثى زياداً

ان الرزية فى قبر بمنزلة تجرى عليها بظهر الكوفة المور

(١) جمع أشابة بالضم وهم أخلاط الناس

أدت اليه قريش نعش سيدها فيه النَّدَى والحِجا والحزم مقبور
أبا المغيرة والدنيا مغيرة وان من غرَّ بالدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف منزلة وكان عندك للنُّكْراء تنكير
وكنت تؤتى فتعطى الخير عن سعة فاليوم بابك دون الهجر مهجور
ولا تلين اذا عوسرت مقتسراً وكل أمرك ما يوسرت ميسور

وكان الذى أتاه بنعيه مسعود بن عمرو الأزدى فقال حارثة

لقد جاء مسعود أخو الأزد غدوة بداهية غراء باد حجولها
من الشر ظل الناس فيها كأنهم وقد جاء بالأخبار من لا يحيلها

دخل حارثة على عبيد الله بن زياد وعنده سعد بن رابية البربوعى وكان شريراً يضحك ابن زياد ويلهيه فقال لحارثة أينع الكرم ، قال نعم واستودع ماءه الأصيص فمه ؟ قال انى لم أرد بأساً ، قال أجل ولست من أهل البأس ولكن هل لك علم بالأتان اذا اعتاص رحمها كيف يسطى عليها أ كما يسطى على الفرس أم كيف؟ قال واحدة بواحدة والبادى أظلم سألتنى عما لا علم لي به وسألتك عما تعلم ، قال أنت بما سألتك عنه أعلم منى بما سألتنى عنه ولكن من شاء جهل نفسه وأنكر ما يعرف وقال يهجو سعداً

لا ترج مني يا ابن سعد هوادة ولا صحبة ما أرزمت أم حائل
أعند الأمير ابن الأمير تعيبنى وأنت ابن عمرو مضحك فى القبائل
ولو غيرنا ياسعد رمت حريمه بخَسْف لقد غودرت لحماً لآكل
فشالت بك العَنْقاء أوصرت لحمة لأغبس عوَّاء العشيات عامل

وكان حارثة يوم فتنة مسعود على خيل حنظلة بازاء بكر بن وائل وكان عَبْس بن طَلْق الصَّريمى على الخيل بحيال الأزد معه سعد والرباب والاساورة فقال حارثة

سيكفيك عبس أخو كَهْمَس مقارعة الأزد بالمِرْبد

ويكفيك عمرو وأشياعها لُكَيْز بن أفصَى وما عددوا
وأكفيك بكراً اذا أقبلت بطعن يشيب له الأمرد

فلما اصطف الناس أرسل مالك بن مسمع الى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب ، فقال حارثة انه والله ما أرسل اليك نظراً لك ولا ابقاء عليك ولكنه أراد أن يغرى بينك وبين سعد ، فمضى ضرار الى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه وفقئت عينه يومئذ

قال الأصمعي كان حارثة يجالس مالك بن مسمع فاذا جاء وقت يشرب فيه قام ، فأراد مالك أن يعلم من حضره انه قام ليشرب فقال له الى أين تمضي يا أبا العنبس ؟ قال أمضى فأفقأ عين عباد بن الحصين لآخذ لك بثارك

عرض لحارثة رجل من الخلج فى أمر كرهه عند زياد فقال فيه

لقد عجبت وكم للدهر من عجب مما تزيَّد فى أنسابها الخُلُج
كانواخساً[1] أوزكاً من دون أربعة لم يخلفوا وحدود الناس تنبلج

ومن قوله

وكان لنا نَبْع تقينا عروقه فقد بلغت الا قليلا حلوقها
وشيب رأسي واستخف حلومنا رعود المنايا فوقنا وبروقها
وانا لتستحلى المنايا نفوسنا وتترك أخرى مرة ما نذوقها
رأيت المنايا بادئات وعوَّدا الى دارنا سهلا اليها طريقها
لقد قسمت نفسى فريقين منهما فريق مع الموتى وعندى فريقها

قال أبو اليقظان حول زياد دعوة حارثة بن بدر وديوانه فى قريش لمكانه منه ، فقال رجل من كليب يهجوه بذلك

شهدت بأن حارثة بن بدر غُدانيّ اللهازم والكلام

(١) الخسا الفرد والزكا الزوج

سَجاح فى كتاب الله أدنى له من نوفل وبنى هشام

يعني سَجاح التى ادعت النبوة وهى امرأة من بنى تميم

أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل وعنده حارثة وهو حينئذ فى ألف وستمائة من العطاء فسبق الوليد ، فقال حارثة هذه فُرْصة فقام فهنأه ودعا له ثم قال

الى الألفين مُطَّلع قريب زيادة أربع لي قد بقينا

فان أهلك فهن لكم والا فهن من المتاع لكم سنينا

فقال الوليد فتشاطرنى ذلك لك مئتان ولي مئتان ، فصير عطاءه ألفاً وثمانى مائة ، ثم أجرى الوليد الخيل فسبق أيضاً ، فقال حارثة هذه فرصة فقام فهنأه ودعا له ثم قال

وما احتجب الألفان الا بهين هما الآن أدنى منهما قبل ذلكا

فجد بهما تفديك نفسى فانني معلق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليد له بالمئتين ، فانصرف وعطاؤه ألفان

استعمل عبيدالله بن زياد حارثة على نَيْسابور فغاب عنه أشهراً ثم قَدِم فدخل عليه ، فقال ما جاء بك ولم أكتب اليك ؟ قال استنظفت خراجك وجئت به وليس لي عمل فما مقامى ؟ قال أو بذلك أُمرت ؟ ارجع فاردد عليهم الخراج وخذه منهم نجوماً حتى تنقضى السنة وقد فرغت من ذلك فانه أرفق بالرعية وبك ، واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم ، فرجع فرد الخراج عليهم وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مضت السنة

قال الأحنف ما غبت عن أمر قط فحضر حارثة بن بدر الا وثقت باحكامه وجودة عقده له « وكان حارثة من الدُّهاة »

كان حارثة يصيب من الشراب وكان حظيا عند زياد فعوتب زياد على رأيه فيه فقال أتلومونني على حارثة ؟ فوالله ما تفل فى مجلسى قط ، ولا حك ركابه ركابى ،

ولا سار معى فى علاوة الريح فغبر علىّ ، ولا دعوته قط فاحتجت الى تجشم الالتفات اليه حتى يوازينى ، ولا شاورته فى شئ الا نصحني ، ولا سألته عن شئ من أمر العرب وأخبارها الا وجدته به بصيرا

قال المغيرة بن المنتشر أنا عند عبيد الله بن زياد وعنده الأحنف بن قيس وحارثة بن بدر ، وكان حارثة يتهم بالشراب ، فقال له عبيد الله أى الشراب أطيب؟ قال برة طيسارية بأقطة عَنْزية بسَمْنة عربية بسكرة سوسية ، فتبسم عبيد الله ، ثم قال للأحنف يا أبا بحر أى الشراب أطيب ؟ قال الخمر ، فقال له عبيدالله وما يدريك ولست من أهلها ؟ قال رأيت من يستحلها لا يعدوها الى غيرها ومن يحرمها يتأول فيها حتى يشر بها ، فضحك عبيد الله ،

كان حارثة بكوارا من أردشير خُرّة فقال

ألم تر أن حارثة بن بدر أقام بدير أبلق من كوارا

ثم قال لجند كانوا معه من أجاز هذا البيت فله حكمه ، فقال له رجل منهم أنا أجيزه على أن تجعل لي الأمان من غضبك وتجعلنى رسولك الى البصرة وتطلب لي القفل من الأمير ، قال ذلك لك ، ثم رد عليه نشيد البيت فقال الرجل

مقيما يشرب الصهباء صِرْفا اذا ما قلت تصرعه استدارا

فقال له حارثة لك شرطك ولو كنت قلت لنا شيئاً يسرنا لسررناك

قدم الأبيرد الرياحى على حارثة فقال له اكسنى ثوبين أدخل بهما على الأمير ، فكساه ثوبين لم يرضهما ، فقال فيه

أحارث أمسك فضل بُرْديك انما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا

وكنت اذا استمطرت منك سحابة لتمطرنى عادت عَجاجا وسافيا

أحارث عاود شربك الخمر انني رأيت زياداً عنك أصبح لاهيا

فبلغت زيادا و بلغت حارثة فقال قبحه الله لقد شهد بما لا يعلم ولم أدع جوابه الا لما يعلم

قال القحدمي كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم حلواً شاعراً ذا فُكاهة فكان زياد يأنس به طول حياته ، فلما مات وولي ابنه عبيد الله كان يجفوه ، فدخل اليه في جمهور الناس فجلس متوارياً منه حتى خف الناس ، ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد وأنسه به ، فقال له ما أعرفني به غير أن أبي كان قد عرفه الناس وعرفوا سيرته فلم يكن يلصق به أهل الريبة مثل ما يلحقني مع الشباب وقرب العهد بالامارة ، فاما إن قلت ما قلت فاختر مجالستي ان شئت ليلاً وان شئت نهاراً ، فقال الليل أحب اليَّ ، فكان يدعوه ليلاً فيسامره ، فلما عرفه استحلاه فغلب عليه ليله ونهاره حتى كان يغيب فيبعث من يحضره ، فجاءه ليلة وبوجهه آثار فقال ما هذا يا حار؟ قال ركبت فرسي الأشقر فلجج بي مضيقا فسحجني ، قال لكنك لو ركبت أحد الأشهبين لم يصبك شئ من هذا « يعني اللبن والماء »

خرج حارثة الى سلم بن زياد بخراسان فأوصى رجلاً من غُدانة أن يتعاهد امرأته الشماء ويقوم بأمرها ، فكان الغدانى يأتيها فيتحدث عندها ويطيل حتى أحبها وصبا بها فكتب الى حارثة يخبره أنها فسدت عليه وتغيرت ويشير عليه بفراقها ويقول انها قد فضحتك من تلعب الرجال بها ، فكتب اليها بطلاقها وكتب فى آخر كتابه

ألا آذنا شمَّاء بالبين انه أبى أوَد الشماء أن يتقوما

فلما طلقها وقضت عدتها خطبها الغدانى فتزوجها « وكان حارثة شديد الحب لها » وبلغه ذلك وما صنعت فقال

لعمرك ما فارقت شماء عن قِلًى ولكن أطلت النأى عنها فملَّت
مقيما بمَرْو الرُّوذ لا أنا قافل إليها ولا تدنو اذا هى حلت

تزوج حارثة ميسة بنت جابر وكانت تذكر بجمال وعقل ولسان ، فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمده فقالت ترثى حارثة

بدلت بشراً شقاء أو معاقبة ... من فارس كان قدما غير عوار
يا ليتني قبل بشر كان عاجلني ... داع من الله او داع من النار

وقالت أيضاً فيه

ما خار لي ذو العرش لما استخرته ... وعذبني أن صرت لابن شعاف
فما كان لي بعلا وما كان مثله ... يكون حليفاً أو ينال الافى
فيا رب قد أوقعتنى ببليـــة ... فمكن لي حصناً منه رب وكاف
ونجّ إلهي رِبْقَتي من يد امرئ ... شتيم محيـــاه لكل مصاف
هو السوءة السوآء لا خير عنده ... لطالب خير غير حذ قواف
يرى أكلة إن نلتها قلع ضرسه ... وما تلك زُلْفى يال عبد مناف
وان حادثٌ عَضَّ الشعافى لم يكن ... صليباً ولا ذا تُذْرأ وقِذاف

مرَّ سليمان بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خُراسان فأنزله وقراه وقرى أصحابه وحملهم وإياه ، فلما ركبوا للمسير قال سليمان

قريت فأحسنت القرى وسقيتنا ... معتقة صهباء كالعنبر الرطب
وواســـيتنا فيما ملكت تبرعاً ... وكنت ابن بَدر نعم ذو منزل الركب
وأنت لعمرى فى تميم عمادها ... اذا ما تداعت للعلا موضع القطب
وفارسها فى كل يوم كريهة ... وملجؤها ان حل خَطْب من الخطب
وعندكمُ نال الغنى من أراده ... اذا ما خطرتم كالضراغمة الغُلْب
يرى الحلق المـاذىّ فوق حُماتهم ... اذا الحرب شبت بالمهندة القُضْب
وعند الرخا والأمن غيث ورحمة ... لمن يعتريهم خائفاً صولة الحرب
وجدتهمُ جوداً صباحاً وجوههم ... كراماً على العلّات فى فادح الخَطْب
كأن دنانيراً على قَسَماتهم ... اذا جئتهم قد خفت نكباً من النكب

فقال حارثة يجيبه

وأسحم ملآن جررت لفتية ... كرام أبوهم خير بكر بن وائل
وأطولهم كفاً وأصدقهم حيا ... وأكرمهم عند اختلاف المناصل
من المرثدين الذين اذا انتدوا ... رأيت نديا جده غير خامل
فعالهم زين لهم ووجوههم ... يزين الذي يأتونه فى المحافل
فسقيا ورعيا لابن عمرو بن مرثد ... سليمان ذى المجد التليد الحلاحل
فتى لم يزل يسمو الى كل نجدة ... فيدرك ما أعيت يد المتناول
فحسبك بى علماً به وبفضله ... اذا ذكر الأقوام أهل الفضائل

دخل أنس بن زنيم على عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر ، فلما خرج أنس قال عبيد الله لحارثة أى رجل هو أنس عندك ؟ قال هو عندى أصلح الله الأمير كما قلت فيه

يبيت بطيناً من لحوم صديقه ... خميصاً من التقوى ومن طلب الحمد
ينام اذا ما الليل جن ظلامه ... ليسرى الى حاجاته نومة الفهد
يراعى عذارى قومه كلما دجا ... له الليل والسوءات كالأسد الورد
جريئا على أكل الحرام وفعله ... جبانا عن الأقران معترم الكرد

فلما كان من الغد دخل أنس على عبيد الله فقال له عبيد الله بحضرة حارثة إنى سألت هذا عنك فأخبرنى بما كرهته لك ولم أكن اخالك كما نعت لي ، فقال أصلح الله الأمير ان يكن قال خيراً فأنا أهله ، وان قال غير ذلك فلم يعد ما هو أولى به ، أما والله لو كان أصلح الله الامير حقاً لحفظت غيبتي فلقد أوليته حسن الثناء بما ليس أهله والله يعلم أنى كنت كاذباً وما اخال ما قاله فيَّ الا عقوبة فان عقوبة الكذب حاضرة وثمرة الكذب الندامة فقد لعمرى أجنيتها بكذبى وقولي فيه ما ليس فيه وهو عندى كما أقول أصلح الله الأمير

يحلى لي الطرف ابن بدر وانني ... لأعرف في وجه ابن بدر لي البغضا
وأني شجى في حلقه ما يُسيغه ... فما ان يزال الدهر يجرض بي جرضا
وما لي من ذنب اليه علمته ... سوى أن رآني في عشيرته محضا
وان ابن بدر في تميم مكركس (١) ... اذا سيم خسفًا أو مشنعة أغضى
تعيب الرجال الصالحين وفعلهم ... وتبذل بخلا دون ما نلته العرضا
وترضي بما لا يرتضي الحر مثله ... وذو الحلم بالتخييس والذل لا يرضى

وقال أيضاً فيه

أحار ابن بدر باكر الراح انها ... تنسيك ما قدمت في سالف الدهر
تنسيك أسباباً عظاماً ركبتها ... وأنت على عمياء في سنن تجرى
أتذكر ما أسديت واخترت فعله ... وجئت من المكروه والشر والنكر
اذا قلت مهلا نلت عرضي فما الذى ... تعيب على مثلي هُبِلْت أما عمرو
أليس عظيما أن تكايد حرة ... مهفهفة الكشحين طيبة النشر
فان كنت قد أزمعت بشرك بالذي ... عرفت به اذ أنت تجزي ولا تدرى
فدع عنك شرب الخمر وارجع الى التي ... بها يرتضى أهل النباهة والذكر
عليك نبيذ التمر ان كنت شاربا ... فان نبيذ التمر خير من الخمر
ألا ان شرب الخمر يُزرى بذي الحجا ... ويذهب بالمال التلاد وبالوفر
فصبراً عن الصهباء واعلم بأنني ... نصيح واني قد كبرت عن الزجر
وانك ان كفكفتني عن نصيحة ... تركتك ياحار بن بدر الى الحشر
أأبذل نصحي ثم تعصي نصيحتي ... وتهجرني عنها هُبِلْت أبا بدر

لما ولى حارثة سُرَّق خرج معه المشيعون من البصرة وفيهم أبو الاسود الدؤلي، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الاسود فقال

(١) المكركس من ولدته الاماء

أحار بن بدر قد وليت أمارة فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئاً تصيبه فحظك من ملك العراقين سُرّق
فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يَهْوَى واما مصدق
يقولون أقوالا بظن وشبهة فان قيل هاتوا حققوا لم يحققوا
فلا تعجزن فالعجز أبطأ مركب وما كل من يدعى الى الرزق يرزق
وكاثر تميما بالغني ان للغني لساناً به يسطو العَيِيّ وينطق

فقال له حارثة

جزاك مليك الناس خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافيا
أمرت بحزم لو أمرت بغيره لألفيتني فيه لرأيك عاصيا
ستلقى أخاً يصفيك بالود حاضراً ويوليك حفظ الغيب ان كنت نائيا

لما هزم حارثة فى حرب الخوارج قال غوث بن الحباب يهجوه

أحار بن بدر دونك الكأس انها بمثلك أولى من قراع الكتائب
عليك بها صهباء كالمسك ريحها يظل أخوها للعدى غير هائب
فدع عنك أقواماً وَلِيت قتالهم فلست صبوراً عند وقع القواضب
وخذها كعين الديك تشفى من الجَوى وتترك ذا الهمام حصر المذاهب
اذا شُعْشعت بالماء خلت حبابها نظائم در أو عيون الجنادب
كأنك اذ تحسو ثلاثة أكؤس من التيه قَرْم من قروم المرازب
ودع عنك أبناء الحروب وشدهم اذا خطروا مثل الجمال المصاعب

كانت فى تميم حالتان فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان ، فقال لهم الأحنف لا تعجلوا حتى يحضر سيدكم ، فقالوا من سيدنا غيرك ؟ قال حارثة بن بدر ، وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير فبلغه ما قال الاحنف فقال أغرمنيها والله ابن الزافرية ، ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيم اجتمعوا ، فقال لا تلقوا فيهما أحداً ثم أتى الى منزله فقال

خلت البلاد فسدت غير مسوَّد ومن الشقاء تفردى بالسودد

كان حارثة سعى فى الأرض فساداً فأهدر على بن أبى طالب عليه السلام دمه فهرب فاستجار بأشراف الناس فلم يُجِرْه أحد ، فقيل له عليك بسعيد بن قيس الهَمْدانى فلعله يجيرك ، فطلب سعيداً فلم يجده فجلس فى طلبه حتى جاء فأخذ بلجامه فقال أجرنى أجارك الله ، قال ويحك مالك ؟ قال أهدر أمير المؤمنين دمى ، قال وفيمه ؟ قال سعيت فى الارض فساداً ، قال ومن أنت ؟ قال حارثة بن بدر الغُدانى ، قال أقم ، وانصرف الي على عليه السلام فوجده قائما على المنبر يخطب فقال يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعَوْن في الأرض فساداً ؟ قال:أن يقتَّلوا أو يصلَّبوا أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ، قال يا أمير المؤمنين الا مَنْ ؟ قال الا من تاب ، قال فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد أجرته ، قال أنت رجل من المسلمين وقد أجرنا من أجرت ، ثم قال على عليه السلام وهو على المنبر انى كنت نذرت دم حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يعرض له ، فانصرف اليه سعيد بن قيس فأعلمه وحمله وكساه وأجازه بجائزة سنية فقال فيه حارثة

الله يجزى سعيد الخير نافلة أعني سعيدبن قيس قَرْم هَمْدان
أنقذنى من شفَا غبراء مظلمة لولا شفاعته ألبست أكفانى
قالت تميم بن مُرّ لا تخاطبه وقدأبت ذلكم قيس بن عَيْلان
أساغ فى الحلق ريقاً كان يُجْرضنى وأظهر الله سرى بعد كتمان
انى تداركنى عفٌّ شمائله آباؤه حين ينمى خير قحطان
ينمِيه قيس وزيدوالفتى كَرِب وذو جبائر من أولاد عثمان
وذورُعين وسيف وابن ذى يَزَن وعلّم قبلهم أعني ابن نبهان

فلما أراد الانصراف الى البصرة شيعه سعيد بن قيس الى نهر النصرين فى ألف راكب وحمله وجهزه فقال حارثة

لقد سررت غداة النهر اذ برزت أشياخ همدان فيها المجد والخير
يقودهم ملك جزل مواهبه وارى الزناد لدى الخيرات مذكور
أعنى سعيد بن قيس خير ذى يزن سامى العماد لدى السلطان مجبور
ما ان يلين اذا ما سيم منقصة لكن له غضب فيها وتنكير
أغر أبلج يستسقى الغمام به جنابه الدهر يضحى وهو ممطور

لقي أنس بن زنيم حارثة فقال له يا حارثة قد قلت لك ابياتاً فاسمعها ، قال هاتها ، فأنشده

فتى متى أنت ابن بدر مخيم وصحبك يحسون الحليب من الكزم
فان كان شراً فالهُ عنه وخله لغيرك من أهل التخبط والظلم
وان كان غنما يا ابن بدر فقد أرى سئمت من الاكثار من ذلك الغنم
وان كنت ذا علم بها واحتسائها فمالك تأتى ما يشينك عن علم
تق الله واقبل يا ابن بدر نصيحتى ودعها لمن أمسى بعيدا من الحزم
فلو أنها كانت شراباً محللا وقلت لي اتركها لأوضعت فى الحكم
وأيقنت أن القول ماقلت فانتفع بقولي ولا تجعل مقالي من الجرم
فرب نصيح الجيب رد انتصاحه عليه بلا ذنب وعوجل بالشتم

فقال له حارثة لقد قلت فأحسنت ونصحت فأبلغت جزيت الخير أبا زنيم ، فلما رجع الى منزله أتاه ندماؤه فذكر لهم ما قال ابن زنيم فقالوا والله ما نرى ذلك الا حسداً ، ثم قال حارثة لابن زنيم

يعيب علىّ الراح من لو يذوقها لجنّ بها حتى يغيّب فى القبر
فدعها أو امدحها فانا نحبها صُراحاً كما أغراك ربك بالهجر
علام تذم الراح والراح كاسمها تريح الفتى من همه آخر الدهر
فلمنى فان اللوم مما يزيدنى غراماً بها ان الملامة قد تُغرى

وبالله أولى صادقاً لو شربتها ... لأقصرت عن عذلي وملت الى عذري
وان شئت جربها وذقها عتيقة ... لها أرج كالمسك محمودة الخبر
فان أنت لم تخلع عذارك فخلني ... وقل لي لحاك الله من عاجز غمر
وقبلك ما قد لامني في اصطباحها ... وفي شربها بدر فأعرضت عن بدر
وحاسيتها قوماً كأن وجوههم ... دنانير في اللأواء والزمن النكر
فدعني من التعذال فيها فانني ... خلقت أبيًّا لا ألين على قسر
أجود وأعطى المنفسات تبرعاً ... وأغلى بها عند اليسارة والعسر
وأشربها حتى أخرّ مجدلا ... معتقة صهباء طيبة النشر
ولولا النهى لم أصح ما عشت ساعة ... ولكنني نهنهت نفسي عن الهجر
فقصرت عنها بعد طول لجاجة ... وحب لها في سر أمري والجهر
وحق لمثلي أن يكف عن الخنا ... ويقصر عن بعض الغواية والنكر

كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب فقيل له في ذلك وعوتب وعرف أن الصلتان العبدي هجاه فقال فيه

ترك الأشياء طراً والخنا ... يشرب الصهباء من ماء العنب
لا يخاف الناس قد أدمنها ... وهي تزرى بالئيم المؤتشب
وهي بالأشراف أزرى والى ... غاية الأنيب تدعو ذا الحسب
فدع الخمر أبا حرب وسد ... قومك الادنين من بين العرب

فقال لعنه الله والله ما ترك للصلح موضعاً ولقد صدق ولولا الشرب لكنت الرجل الكامل وما يخفى عليّ قبيحه وسوء القالة فيه ولكني سمعت حارثة بن بدر أنشد أبياتاً يوماً فحملتني على المجاهرة بالشراب وان كان ذلك اليّ بغيضاً ، قيل له وما الأبيات ؟ قال سمعته ينشد

أذهب عني الغمّ والهم والذى ... به تطرد الأحداث شرب المروّق

فوالله ما أنفك بالراح مُهْتِزاً ولولام فيها كل حر موفق
فما لامئ فيها وان كان ناصحاً بأعلم منى بالرَّحيق المعتَّق
ولكنَّ قلبى مستهام بحبها وحب القِيان رأى كل محمَّق
أحب التى لا أملك الدهر بغضها وذلك فعل معجب كلَّ أخرق
سأشربها صِرْفاً وأُسقي صحابتى وأطلب غِرّات الغزال المنطَّق

كان لحارثة نديم من قريش يصيب معه الشراب ولا يفارقه اذا شرب وقال فيه

وأبيض من أولاد سعد بن مالك سقيت من الصهباء حتى تقطرا
وحتى رأى الشخص القريب بسكره شخوصاً فنادى يالَسعد وكبرا
فقالت أسكران ؟ فقال مكابراً أبى الله لي أن أستخف وأسكرا
فقلت له اشرب هذه بابلية تخال بها مسكاً ذكياً وعنبرا
فلما حساها هزّها ثم انه تماسك شيئاً واجماً متفكرا
وقال أعدها قلت صبراً سويعة فهوَّم شيئاً ثم قام فبربرا

كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بنى ربيعة بن مالك شاعراً وكان صديقاً لحارثة فدخل عليه يوماً وهو مصطبح فعاتبه وقال قد أسقطت الخمر قدرك ومروءتك، فقال له دع عنك هذا الجنون وهلم نتساعد واسمع ما قلت ، قال هاته فأنشده

غدا ناصحاً لم يألُ جهدا مخارق يلوم على شرب السُّلاف المعتَّق
فقلت أبا صخر دع الناس يجهلوا ودونكها صهباء ذات تألُّق
تراها اذا ما الماء خالط جسمها تَخايلُ فى كف الوصيف المنطَّق
لها أَرَج كالمسك يذهب ريحُها عمايةَ حاسيها بحسن ترفق
وكم لائم فيها بصير بفضلها رمتْه بسهم صائب متزلق

فظل لرَيّاها يَعَضّ ندامة يديه وأرعى بعد طول تمطق
وقال لك العذر ابنَ بدر على التى تُسلى همـــوم المستهام المشوق
فلست ابن صخر تاركا شرب قهوة لقول لئيم جاهل متحذلق
يعيب عليّ الشرب والشرب همه ليُحسب ذا رأى أصيل مصدق
فما أنا بالغِرّ ابنَ صخر ولا الذى يُصمم فى شئ من الأمر موبق

فقال له مخارق انما عاتبتك لأن الناس قد أكثروا فيك ورأيت النصيحة لله واجبة عليّ وكرهت أن تضع لذتك قدرك فان أطعتنى فى تركها والا فلا تجاهر بها فانك قادر أن تبلغ حاجتك فى ستر ، فقال حارثة ما عندى غير ما سمعت ، فتركه وانصرف

ذكر حلم الأحنف عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة فنفس عليه حارثة ذلك فقال لعبيد الله أيها الأمير ما يبلغ حلم من لا قدرة له ولا يملك لعدوه ضراً ولا لصديقه نفعاً وانما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه ؟ فبلغ ذلك من قوله الأحنف فقال أهون بحارثة وكلامه وما حارثة ومقداره ؟ أليس الذى يقول قبح الله رأيه فى قوله ؟

اذا ما شربت الراح أبدت مكارمى وجُدت بما حازت يداي من الوَفْر
وان سبنى جهلا نديمى لم أزد على اشرب سقاك الله طيبة النشر
أرى ذاك حقاً واجباً لمنادمى اذا قال لي غير الجميل من السكر

كان لحارثة جارية يقال لها ميسه وكان بها شغوفاً فلما مات تزوجت بعده بشر بن شعاف ، وفيها يقول حارثة

خليلي لولا حب ميسة لم أُبَل أفي اليوم لاقيت المنية أم غدا
خليلى ان أفشيت سرى اليكما فلا تجعلا سرى حديثاً مبددا
وان أنتما أفشيتماه فلا رأت عيونكما يوم الحساب محمدا

ولا زلتما في شقوة ما بقيتما تذوقان عيشاً سيئ الحال أنكدا

ومن قوله وهو في الموت لمولاه كعب

يا كعب مهلا فلا تجزع على أحد يا كعب لم يبق منا غير أجساد
يا كعب ما راح من قوم ولا بكروا الا والموت في آثارهم حاد
يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت الا تقرب آجالا لميعاد
يا كعب كم من حمى قوم نزلت به على صواعق من زجر وايعاد
فان لقيت بواد حية ذكرا فاذهب ودعني أمارس حية الوادي

جرير

هو جرير بن عطية بن الخطفى اليربوعي من كليب بن يربوع بن حنظلة ، يكني أبا حزرة وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ومختلف في أيهم المتقدم ولم يبق من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون على أن الاخطل انما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسن ونفد أكثر عمره وهو وان كان له فضل وتقدم فليس نجره من نجار هذين في شيء

قال عمر بن شبة اتفقت العرب على أن أشعر أهل الاسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض ، قال محمد بن سلام والراعي معهم في طبقتهم ولكنه آخرهم ، والمخالف في ذلك قليل ، وقد سمعت يونس يقول ما شهدت مشهداً قط قد ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما وكان يونس فرزدقياً ، وكان أبو عمرو يشيه جريراً بالأعشى والفرزدق بزهير والأخطل بالنابغة

قال أبو عبيدة يحتج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون شعر وأسهلهم

ألفاظاً وأقلهم تكلفاً وأرقهم نسيباً وكان ديناً عفيفاً ، وقال العلاء بن جرير اذا لم يجىء الأخطل سابقاً فهو سكيت والفرزدق لا يجىء سابقاً ولاسكيتاً وجرير يجىء سابقاً ومصلياً وسكيتاً ، قال محمد بن سلام رأيت أعرابياً من بنى أسد أعجبني ظرفه وروايته ، فقلت له أيهما عندكم أشعر ؟ قال بيوت الشعر أربعة فخر ومديح وهجاء ونسيب ، وفى كلها غلب جرير قال في الفخر

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهمُ غضابا

والمديح قوله

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله

فغض الطرف انك من نُمَيْر فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله

ان العيون التى فى طرفها حَوَر قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

قال محمد بن سلام وبيت النسيب عندي

فلما التقى الحيان أُلقيت العصا ومات الهوى لما أُصيبت مقاتله

وفضل عبيدة بن هلال اليشكري جريراً بقوله

انا لنَذْعر يا فقيم عدونا بالخيل لاحقة الأياطل قُودا

وتحوط حَوْزتنا وتحمى سَرْحنا جُرْد ترى لمغارها أُخدودا

أجرى قلائدها وقَدَّد لحمها ألاَّ يذقن مع الشكائم عودا

وطوى القياد مع الطراد متونها طيَّ التجار بحضرموت برودا

قال الأصمعى وذكر جريراً فقال كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمى بهم واحداً واحداً ومنهم من كان ينفخه فيرمى به وثبت له الفرزدق والأخطل ، وقال زيرك بن هبيرة كان جرير ميدان الشعر من لم يجر فيه

لم يَرْوِ شيئاً وكان من هاجى جريراً فغلبه جرير أرجح عندهم ممن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلَب

قال عكرمة بن جرير لأبيه يا أبت من أشعر الناس ؟ فقال الجاهلية تريد أم الاسلام ؟ قلت أخبرنى عن الجاهلية ، قال شاعر الجاهلية زهير ، قلت فالاسلام ؟ قال نبعة الشعر الفرزدق ، قلت فالأخطل ، قال يجيد صفة الملوك ويصيب نعت الخمر ، قلت وما تركت لنفسك ؟ قال دعني فانى بحرت الشعر بحراً

قال ابن سلام وسألت بشاراً أيّ الثلاثة أشعر ؟ فقال لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه ، قلت فهذان ؟ قال كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوّار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير ، قلت لبشار وأيّ شيء لجرير من المراثى الا التى رثى بها امرأته ، فأنشدنى لجرير يرثى ابنه سوادة ومات بالشام وكان به معجباً

فارقتني حين كف الدهر من بصرى ... وحين صرت كعظم الرُّمَّة البالى
أمسى سوادة يجلو مقلتى لَحِم ... باز يُصَرْصر فوق المَرْبَأ العالى
قد كنت أعرفه منى اذا غَلِقَت ... رُهن الجياد ومد الغاية الغالى
ان الثويّ بذى الزيتون فاحتسبي ... قد أسرع الموت فى عقلى وفى حالى
إلا تكن لك بالدَّيرين مُعْوِلة ... فرب باكية بالرمل مِعْوال
كأم بَوٍّ عجول عند معهده ... حنَّت الى جلد منه وأوصال
حتى اذا عرفت الاَّ حياة به ... ردت هماهم حرَّى الجوف مِثْكال
زادت على وجدها وجداً فلو رجعت ... فى الصدر منها خطوب ذات بلبال

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال الأحوص ما تشتهى ؟ قال شواء وطِلاء وغناء ، قال ذلك لك ومضى به الى قينة بالمدينة فغنته

ألا حيّ الديار بسعد انى ... أحب لحب فاطمة الديارا

أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها ، قال أو ما تدري لمن هذا الشعر ؟ قال لا والله ، قال فهو والله لجرير يهجوك به ، فقال ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه الى صلابة شعري وأحوجني مع شهواتي الى رقة شعره

قال رجل للفرزدق يا أبا فراس هل تعلم اليوم أحداً يرمى معك ؟ فقال لا والله ما أعرف نابحاً الا وقد استكان ولا ناهشاً الا وقد انجحر الا الذى يقول

فان لم أجد فى القرب والبعد حاجتى تشأمت أو حولت وجهى يمانيا
فردى جمال الحى ثم تحملى فما لك فيهم من مقام ولاليا
فانى لمغرور أعلل بالمنى ليالى أرجو أن مالك ماليا
وقائلة والدمع يجدر كحلها أبعد جرير تكرمون الموماليا
بأى نجاد تحمل السيف بعد ما قطعت القُوَى من محمل كان باقيا
لسانى وسبى صارمان كلاهما وللسيف أشوَى وقعةً من لسانيا

وهذا الشعر لجرير

قال جرير وفدت الى يزيد بن معاوية وأنا شاب فاستؤذن لي عليه فى جملة الشعراء ، فخرج الحاجب إلىَّ وقال يقول لك أمير المؤمنين انه لا يصل الينا شاعر ولا نعرفه بشىء من شعره وما سمعنا لك بشىء فنأذن لك على بصيرة ، فقلت له تقول لأمير المؤمنين أنا القائل

وانى لعفّ الفقر مشترك الغنى سريع اذا لم أرض دارى انتقاليا
جرىء الجنان لا أهاب من الرَّدى اذا ما جعلت السيف قبض بنانيا
وليس لسبى فى العظام بقيةٌ وللسيف أشوَى وقعةً من لسانيا

فدخل الحاجب اليه فأنشده الأبيات ثم خرج إلىَّ وأذن لي وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة وقال لي فارق أبى الدنيا وما يظن أن أبياتك التى توسلت بها إلىَّ إلا لي

دخل الفرزدق على سُكَينة بنت الحسين ، فقالت له من أشعر الناس ؟ قال أنا ، قالت كذبت أشعر منك الذى يقول

بنفسي من تجنبه عزيز ... عليَّ ومن زيارته لمِام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ... ويطْرُقنى اذا هجع النيام

ثم دخل عليها في اليوم الثانى ، فقالت له من أشعر الناس ؟ قال أنا ، قالت كذبت أشعر منك الذى يقول

لولا الحياء لهاجني استعبار ... ولزُرت قبرك والحبيب يُزار
كانت اذا هجر الضجيع فراشها ... كتم الحديث وعفَّت الأسرار
لا يلبث القُرناء أن يتفرقوا ... ليـــل يكُرّ عليهم ونهار

ثم دخل عليها فى اليوم الثالث ، فأعادت السؤال ، وأعاد الجواب ، فقالت أشعر منك الذى يقول

ان العيون التى فى طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتـــلانا
يصْرَعن ذا اللب حتى لا حِراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا
أتبعتهم مقلة إنسانها غرق ... هل ما ترى تارك للعين إنسانا

لما استُخلف عمر بن عبد العزيز جاء الشعراء فجعلوا لا يصلون اليه ، فجاء عون ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها فدخل ، فصاح به جرير وقال

يأيها القارىء المُرخى عمامته ... هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه ... أنى لدى الباب كالمصفود في قَرَن

فدخل على عمر فاستأذن له ، فدخل عليه وكان قد هيأ له شعراً ، فلما دخل غيره وقال

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافةَ او كانت له قدرا كما أتى ربَّهُ موسى على قَدَرِ

أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت أم تكتفى بالذى بُلِّغت من خبرى

ما زلت بعدك فى دار تُعَرِّقُنِي قد طال بعدك إصعادى ومنحدرى

لا ينفع الحاضر المجهود بادَيْنَا ولا يجود لنا بادٍ على حضَر

كم بالمواسم من شعثاء أرْمَلة ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به خَبْلاً من الجن أو مَسًّا من البشر

ممن يعدك تكفى فقد والده كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر

فبكى عمر ثم قال يا ابن الخطفى أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لهم حقهم ، أم من أبناء الانصار فيجب لك ما يجب لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟ فقال جرير يا أمير المؤمنين فانى ابن سبيل ، قال لك ما لأبناء السبيل زادك ونفقة تبلغك وتبدل راحلتك ان لم تحملك ، فألحَّ عليه ، فقالت له بنو أمية مهلاً يا أبا حَزْرة عن أمير المؤمنين ونحن نرضيك من أموالنا عنه ، فخرج وجمعت له بنو أمية مالاً عظيماً ، فما خرج من عند خليفة بأكثر مما خرج من عند عمر

جلس جرير يملي على رجل قوله

ودع أُمامة حان منك رحيل ان الوداع لمن تحب قليل

فمَرُّوا عليه بجنازة ، فقطع الإنشاد وجعل يبكي ثم قال شيبتني هذه الجنازة ، فقال له أبو عمرو بن العلاء فعلامَ تقذف المحصنات منذ كذا وكذا ؟ فقال انهم يبدءونني ثم لا أعفو

دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرُّمَّة ينشده ، فقال المهاجر لجرير كيف ترى ؟ قال لقد قال وما أنعم ، فغضب ذو الرمة ونهض وهو يقول

أنا أبو الحارث واسمي غَيْلَان

فنهض جرير وقال

انى امرؤ خلقت شَكْساً أشوسا ان تَضْرِسانى تضرسا مُضَرَّسا
قد لبس الدهرَ وأبقى ملبسا من شاء من نار الجحيم اقتبسا

فجلس ذو الرمة وحاد عنه فلم يجبه، وكان ذو الرمة ممن أعان على جرير ولم يُصحر له، فقال جرير فيه

أقول نصاحة لبني عدىّ ثيابكمُ ونضح دم القتيل

وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصحرون

ومن قول جرير وهو بالكوفة

لقد قادنى من حب ماوِيَّة الهوى وما كنت ألفى للجنيبة أقودا
أحب ثرى نجد وبالغَوْر حاجة فغار الهوى ياعبد قيس وأنجدا
أقول له يا عبد قيس صبابة بأىّ ترى مستوقد النار أوقدا
فقال أرى ناراً يشب وقودها بحيث استفاض الجزع شيحاً وعَرْفدا

قدم جرير على الحكم بن أيوب الثَّقفى وهو خليفة للحجاج يومئذ، فمدحه جرير فقال

أقبلن من تهلان[1] أوجنبى خيم على قِلاص مثل خيطان السَّلَم
قد طُويت بطونها طىّ الأدَم يبحثن بحثاً كمضلات الخدم
اذا قطعن عَلَماً بدا عَلَم حتى تناهينا الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم فى معقد العز وبُؤْبُوء الكرم
بعد انفضاخ[2] البدن واللحم زِيَم

(١) تهلان جبل كان لباهلة ثم غلبت عليه نمير وخيم جبل يناوحه من طرفه الأقصى فيما بين ركنه الأقصى ويمين مطلع الشمس به ماء ونخل (٢) انفضخ سنام البعير انشدخ وزيم قطع

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظرفه وشعره ، فكتب الى الحجاج انه قدم علىّ أعرابي شيطان من الشياطين ، فكتب اليه أن ابعث اليّ به ، ففعل ، فقدم عليه فأكرمه الحجاج وكساه جبة حبرية وأنزله فمكث أياماً ، ثم أرسل اليه بعد نومه ، فقالوا أجب الأمير ، فقال ألبس ثيابي ، فقالوا لا والله لقد أمرنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدك عليها ، ففزع جرير وعليه قميص غليظ وملاءة صفراء ، فلما رأى ما به رجل من الرسل دنا منه وقال لا بأس عليك انما دعاك للحديث ، قال جرير فلما دخلت عليه قال إيه يا عدو الله علام تشتم الناس وتظلمهم ؟ فقلت جعلني الله فداء الأمير والله انى ما أظلمهم ولكنهم يظلمونني فأنتصر مالى ولابن أم غسان ؟ وما لي وللبعيث ؟ وما لي وللفرزدق ؟ وما لي وللأخطل ؟ وما لي وللتيمن ؟ حتى عدهم واحداً واحداً ، فقال الحجاج ما أدرى مالك ولهم ، قال أخبر الأمير أعزه الله ، أما غسان بن ذُهَيل فانه من قومى هجانى وهجا عشيرتى وكان شاعراً ، قال فقال لك ماذا ؟ قال قال لي

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها ... جرير[1] لقد أخزى كُلَيباً جريرها
رميتَ نضالا عن كليب فقصرت ... مراميك[2] حتى عاد صفراً جفيرها
ولا يذبحون الشاة الا بيسر ... طويلا تناجيها صغاراً قدورها

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ألا ليت شعرى عن سَلِيط ألم تجد ... سَلِيط سوى غَسَّان جاراً يجيرها
فقد ضمنوا الأحساب صاحب سوءة ... يناجى بها نفساً خبيثاً ضميرها
كأن سليطاً فى جواشنها الخُصى[3] ... اذا حل بين الأملحين وقيرها
أضجُّوا[4] الروايا بالمزاد فانكم ... ستَلقَوْن رَكض الخيل تدمَى نُحورها

(١) هو جرير بن عبد الله البجلي (٢) المرامى السهام واحداها مرماة والجفير الجعبة
(٣) أى هم عظام الصدور والأملحين ماءان أو جبلان لسليط والوقير الغنم فيها حمران أو أحمرة (٤) ألحوا عليها بالاستقاء

كأن السليطين أنقاض[1] كمأة ... لأول جان بالعصا يستثيرها
عضاريط[2] يشوون الفراسن بالضحى ... اذا ما السرايا حشركضاً مغيرها
فما في سليط فارس ذو حفيظة ... ومعقلها يوم الهياج جعورها
عجبت من الداعي جحيشا وصائدا ... وعيساء يسعى بالعلاب نقيرها[3]

قال ثم من ؟ قال البعيث ، قال مالك وله ؟ قال اعترض دون ابن أم غسان يفضله عليَّ و يعينه ، قل فما قال لك ؟ قال قال لي

كليب لئام الناس قد يعلمونه ... وأنت اذا عدت كليب لئيمها
لقى مقعد الأحساب منقطع به ... اذا القوم راموا خطة لا يرومها
أترجو كليب أن يجئ حديثها ... بخير وقد أعيا كلياً قديمها

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ألم تر أني قد رميت ابن فرتني ... بصماء لا يرجو الحياة أميمها
له أم سوء بئسما قدمت له ... اذا فرط الأحساب عد قديمها

قال ثم من ؟ قلت الفرزدق ، قال وما لك وله ؟ قلت أعان البعيث عليَّ قال فما قلت له ؟ قال قلت

تمنى رجال من تميم لي الردى ... وماذاد عن أحسابهم ذائد مثلي
كأنهم لا يعلمون مواطني ... وقد جربوا أني أنا السابق المجلي
فلو شاء قومي كان حلمي فيهم ... وكان على جهال أعدائهم جهلي
وقد زعموا أن الفرزدق حية ... وما قتل الحيات من أحد قبلي

قال ثم من ؟ قلت الأخطل ، قال مالك وله ؟ قلت رشاه محمد بن عمير بن عطارد زقاً من خمر وكساه حلة على أن يفضل عليَّ الفرزدق ويهجوني ، قال فما قال لك ؟ قال قال

---

(١) النقض ما خرج من رأس الكمأة اذا انشقت عنها الأرض (٢) العضاريط الأتباع والفراسن أخفاف الابل (٣) عيساء جدة غسان والعلاب جمع علبة وهي التي يحلب فيها

اخسأ اليك كليبُ ان مجُاشعا وأبا الفوارس نَهشَلا أخوان
واذا وردت الماء كان لدارم جمّاته (١) وسُهولة الأعطان
واذا قذفت أباك فى ميزانهم رجحوا وشال أبوك فى الميزان

قال فما قلت له ؟ قال قلت

ياذا الغباوة ان بِشْرا قد قضى ألاّ تجوز حكومة النَّشوان
فدعوا الحكومة لستمُ من أهلها ان الحكومة فى بنى شيبان
قتلوا كليبكمُ بلِقْحة جارهم ياخزْر تغْلِب لستمُ بهجان

قال ثم من ؟ قلت عمر بن لجأ التيمى ، قال وما لك وله ؟ قال قلت بيتاً من شعر فقبحه وقاله على غير ما قلته ، قلت

لقومىَ أحْمَى للحقيقة منكمُ وأضرب للجبار والنَّقْع ساطع
وأوثق عند المُرْهقات عشية لحاقاً اذا ما جرد السيف لامع

فزعم أنى قلت

وأوثق عند المُرْدَفات عشية لحَاقاً اذا ما أجرد السيف لامع

فقال لحقتهن عند العَشِيّ وقد أخذن غدوة والله ما يُمْسين حتى يفضحن ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

ياتَيْ تيم عدى لا أبالكمُ لا يوقعنكمُ فى سَوْءة عمر
خل الطريق لمن يبنى المنار به وابرز ببَرْزَة حيث اضطرك القدر (٢)

حتى أتى على الشعر ، قال ثم من ؟ قال سراقة بن مِرْداس البارقى ، قال مالك وله ؟ قال قلت لا شئ حمله بشر بن مروان وأكرهه على هجائى ، ثم بعث الىّ رسولا وأمرنى أن أجيبه ، قال فما قال لك ؟ قال قال

ان الفرزدق برّزت أعراقه عفواً وغودر فى الغبار جرير

(١) الجمة مجتمع ماء البئر (٢) برزة أمه

ما كنت أول مُخْمَل قعدت به مسعاته ان اللئيم عثـــور
هـــذا قضاء البارق وانه بالميـــل فى ميزانكم لبصير

قال فما قلت له ؟ قال قلت

يا بشر حقّ لوجهك التبشير هلا غضبت لنا وأنت أمير
بشر أبو مَرْوان ان عاسرته عَسَر وعند يســـاره ميسور
ان الكريمة ينصر الكرم ابنها وابن اللئيمة للئـــام نصـور
قد كان حقك أن تقول لبارق يا آل بارق فـيم سُبَّ جرير

قال ثم من ؟ قلت المستنير بن سَبْرة العنبرى، قال مالك وله ؟ قلت أعان على ابن لَجَأ ، قال فما قال لك ؟ قلت قال

ان التي زينت لما طلقت قعدت على جحش المراغة تمرغ
أتعيب من رضيت قريش صهره وأبوك عبـــد بالخورنق أولغ

قال فما قلت له ؟ قال قلت

فما مستنير الخبث الا فراشـة هوت بين مرتج الحريقين ساطع
نهيت بناتِ المستنير عن الرُّقَى وعن مشيهن الليل بين المزارع

قال ثم من ؟ قلت راعى الابل النميرى ، قال مالك وله ؟ قلت قدمت البصرة وكان بلغنى أنه قال لي

يا صاحبي دنا الرواح فســـيرا غلب الفرزدق فى الهجاء جريرا

وقال أيضاً

رأيت الجحش جحش بنى كليب تيمم حوض دجـلة ثم هابا

فقلت يا أبا جندل انك شيخ مضر وشاعرها وقد بلغني أنك تفضل على الفرزدق وأنت يسمع قولك وهو ابن عمى دونك فان كان لا بد من تفضيل فأنا أحق به لمدحى قومك وذكرى إياهم ، قال وابنه جَنْدَل على فرس له فأقبل يسير

بفرسه حتى ضرب عَجُز دابتي وأنا قائم فكاد يقطع اصبع رجلي وقال لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كليب ، فمضى ونادیته ، ان أهلك بعثوك مائراً من هبَوَد وبئس المائر وانما بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المِرْبد فلا يسبهم أحد الا سببته وان عليَّ نذراً ان جعلت في عيني غمضاً حتى أخزيك قال فما أصبحت حتى هجوته فقلت

ألم ترني صُبِبت على عبيد وقد فارت أباجله وشابا
أُعِدُّ له مواسم حاميات فيشفي حَرّ شعلتها الجِرابا
فغض الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فغدوت عليه من الغد فأخذت بعنانه فما فارقته حتى أنشدته إياها قال ثم من ؟ قلت العباس بن يزيد الكندي ، قال مالك وله، قلت لما قلت

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهمُ غضابا

قال

ألا رَغِمت أنوف بني تميم فساة التمر ان كانوا غضابا
لقد غضبت عليك بنو تميم فما نكأت بغضبتها ذبابا
لو اطلع الغراب على تميم وما فيها من السوءات شابا

فتركته خمس سنين لا أهجوه ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة فطلبت اليهم أن يكفوه عني ، فقالوا ما نكفه وانه لشاعر وأوعدوني ، فقلت

ألا أبلغ بني حُجْر بن وهب بأن التمر حلو في الشتاء
فعودوا للنخيل فأبِّروها وعيشوا بالمشقَّر فالصفاء

ثم مكثت قليلا ثم بعثوا اليّ راكباً فأخبروني بمثالبه وجواره في طيئ حيث جاور عتابا ثم رحل بخزية فقلت

اذا جهل الشقي ولم يقدر لبعض الامر أوشك أن يصابا

أعبدا حل فى شعبى غريباً ألؤما لا أبالك واغترابا

قال ثم من ؟ قلت جفنة الهزانى ، قال ومالك وله ؟ قلت أقبل سائلا حتى أتانى وأنا أمدُر حوضاً لي، فقال ياجرير قم الىّ ههنا ، قلت نعم ثم أتيته فقلت ما حاجتك ؟ قال مدحتك فاستمع مني ، قلت أنشدنى فأنشد . فقلت قد والله أحسنت وأجملت فما حاجتك ؟ قال تكسونى الحلة التى كساكها الوليد بن عبدالملك العام ، فقلت انى لم أقف فيها بالموسم ولا بد من أن أقف فيها العام ولكنى أكسوك حلة خيراً منها كان كسانيها الوليد عام أول ، فقال ما أفعل ومضى فأتى المرار بن منقذ أحد بنى العدوية فحمله على ناقة يقال لها القصواء فقال جفنة

لعمرك للمرّار يوم لقيته على الشحط خير من جرير وأكرم

قال فما قلت له ؟ قال قلت

لقد بعثت هزّان جفنة مائرا فآب وأجدى قومه شر مغنم
فيارا كب القصواء ما أنت قائل لهزّان اذ أسلمتها شر مُسْلَم
أظن نحاف النبس هزان طالباً علالة سباق الأضاميم مرْجَم
كأن بنى هزان حين رأيتهم وَبار تضاغت تحت غار مهدم
بنى عبد عمرو قد فزعت اليكم وقد طال زجرى لونها وتقدمى

قال ثم من ؟ قلت المرار بن منقذ ، قال مالك وله ؟ قلت أعان على الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

بنى منقذ لا صلح حتى تضمكم من الحرب صمّاء القناة زبون
وحتى تذوقوا كأس من كان قبلكم ويسلح منكم فى الحبال قرين
فان كنتم كلبى فعندى شفاؤكم وللجن ان كان اعتراك جنون

قال ثم من ؟ قلت حكيم بن معيّة ، قل ومالك وله ؟ قل بلغنى أنه أعان على غسان السليطى ، قال فما قلت له ، قال قلت

اذا طلع الركبان نجداً وغوروا بهـا فزجرا يا ابنى مُعَيّة أودعا
ألا انما كانت غضوب محاميا غداة اللوى لم تدفع الضيم مدفعا

قال ثم من ؟ قلت الاشهب بن رُمَيلة النهشلى ، قال مالك وله ؟ قلت أعان علىّ الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

سيخزى اذا ضمت جلابيب مالك نوير ويخـزى عاصم وجميع
وقبلك ما أعيا الرماة اذا رموا صفاً ليس فى قراتهن صدوع

قال ثم من ؟ قلت الدَّلَهْمَس ، قال مالك وله ؟ قلت أعان على الفرزدق ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

لقد نفخت منك الوريد ابن عجلة خبيثـة ريح المنكبين قبوع
ولو أنجبت أم الدلهمس لم تعب فوارسنا ، لا مات وهو جميع
فلا تدنيا رجل الدلهمس انهـا بصير بما يأتى الرجال سميع
هو النخبة الخوار ما دون قلبه حجاب ولا حول الحجاب ضلوع

ثم مررت على مجلس لهم فاعتذرت اليهم فلم يقبلوا عذرى وأنشدونى شعراً لم يخبرونى من قاله

غضبت علينا أن علاك ابن غالب فهلا على جديك فى ذاك تغضب
هما اذ علا بالمرء مسعاة قومه أناخا فشـداك العقال المؤرّب

فعلمت أنه شعر قبيضة الكلبى فجمعتهم فى شعرى فقلت

أكثر ما كانت ربيعة أنها حيان شتى لا أنيس ولا قفر
محالفهم فقر شديد وذلة وبئس الحليفان المذلة والفقر
فصبراً على ذل ربيع بن مالك وكل ذليل خير عادته الصبر

قال ثم من ؟ قلت هُبَيْرة بن الصَّلْت الرَّبَعى كان يروى شعر الفرزدق ، قال فماذا قلت له ؟ قال قلت

يمشى هُبيرة بعد مقتل شيخه ... مشى المراسل أوذنت بطلاق
ماذا أردت الىّ حين تحرقت ... نارى وشمر مئزرى عن ساق
ان القِراف بمنخريك لبين ... وسواد وجهك يا ابن أم عقاق
سيروا فرب مسبحين وقائل ... هـذا شقا لبنى ربيعة باق
أبنى ربيعة قد أخس بحظهم ... لؤم الجدود ودقة الاخلاق

قال ثم من ؟ قلت الطُّهَوى كان يروى شعر الفرزدق ، قال ما قلت له ؟ قال قلت

فما تتقون الشر حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر الا تدبرا
ألا رب أعشى ظالم متخمط ... جعلت لعينيه جِلاء فأبصرا

قال ثم من ؟ قلت عقبة بن السميع الطُّهوى وكان نذر دمى ، قال فما قلت له ؟ قال قلت

يا عُقْبَ يا ابن سميع ليس عندكمُ ... مأوى الرفاق ولاذو الراية العادى
يا عقب يا ابن سميع بعضَ قولكم ... ان الوثاب لكم عندى بمرصاد
ماظنكم بنى ميثاء [1] ان فزعوا ... ليلا وشد عليهم حية الوادى
يغدو علىَّ أبو ليلى ليقتلنى ... جهلا علىّ ولم يثأر بشداد
ردوا علىّ وأرضوا بى صديقكمُ ... واستسمعوا يابنى ميثاء انشادى

قال ثم من ؟ قلت شحمة الاعور النبهانى كانت له امرأة من طيء ولدت فى بنى سليط فأعطوه وحملوه علىَّ فسألنى فاشتط ولم يكن عندى فحرمته فقال

أقول لأصحابى النجاء فانه ... كفى الذَّم أن يأتى الضيوف جرير
وهل يكرم الاضياف كلب لكلبة ... لها عند أطناب البيوت هرير
فلو عند غسان السَّليطى عرست ... لعاقرن منها وهي كأس عقير

(١) ميثاء هى بنت زهير بن شداد الطهوى وأم عوف بن أبى سود بن مالك بن حنظلة

فتى هو خير منك نفساً ووالداً عليك اذا كان الجوار يجير

فقلت له

وجدنا بني نَبْهان أذناب طيء وللناس أذناب ترى وصدور

سأتلى بني نبهان مني قصائد تطلع من سلمى وهن وعور

ترى قدم المِعْزَى مهور نسائكم وفي قدم المعزى لمن مهور

قال وطلع الصبح فنهض ونهضت ، قال فأخبرني من كان قاعداً معه أنه قال قاتله الله أعرابياً انه لجَرْو هِراش

أقبل راكب من اليمامة فمر بالفرزدق وهو جالس بالمربد فقال له من أين أقبلت ؟ قال من اليمامة ، قال فهل رأيت ابن المراغة ؟ قال نعم ، قال فأى شيء أحدث بعدى ؟ فأنشده

هاج الهوى لفؤادك المهتاج

فقال الفرزدق

فانظر بتوضح باكر الأحداج

فأنشد الرجل

هذا هوى شعف الفؤاد مُبَرِّح

فقال الفرزدق

ونوى تقاذف غير ذات خِلاج

فأنشد الرجل

ان الغراب بما كرهت لمولع

فقال الفرزدق

بنوى الأحبة دائم التشحاج

فقال الرجل هكذا والله قل أفسمعتها من غيري ؟ قال لا ولكن هكذا

ينبغى أن يقال أو ما علمت أن شيطاننا واحد ثم قال أمدح بهذا الحجاج ؟ قال نعم ، قال اياه أراد

التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجان فقال الفرزدق لجرير

فانك لاق بالمنازل من منى ... فخاراً فخبرنى بمن أنت فاخر

فقال له جرير « لبيك اللهم لبيك » قال اسحاق فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير و يعجبون منه

قال حجنا بن جرير لأبيه يا أبت ماهجوت قوماً قط الا أفسدتهم سوى التيم ، فقال انى لم أجد حسباً أضعه ولا بناء أهدمه

كان لجرير أخوان هما عمرو وأبو الورد ، فأما أبو الورد فكان يحسد جريراً ، فذهبت لجرير ابل فشمت به أبو الورد فقال له جرير

أبا الورد أبقى الله منها بقية ... كنفت كل لوّام خذول وحاسد

وأما عمرو فكان أكبر من جرير وكان يقارضه الشعر فقال له جرير

أعمرو قد كرهت عتاب عمرو ... وقد كثر المعاتب والذنوب

وقد صدّعت صخرة من رماكم ... وقد يُرمَى بيَ الحجر الصليب

وقد قطع الحديد فلا تماروا ... فرِنْد لا يُفَلّ ولا يذوب

أتى الفرزدق مجلس بنى الهُجَيم فى مسجدهم فأنشدهم ، وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق فقال له شيخ منهم يا هذا اتق الله فان هذا المسجد انما بنى لذكر الله والصلاة ، فقال جرير أقررتم للفرزدق ومنعتمونى وخرج مغضبا وهو يقول

ان الهُجَيم قبيلة ملعونة ... حُصُّ اللّحى متشابهو الالوان

هم يتركون بنيهمُ وبناتهم ... صُعْر الانوف لريح كل دخان

لو يسمعون بأكلة أو شربة ... بعمان أصبح كلهم بعُمان

وخفة اللحى فى بنى الهُجَيم ظاهرة ، وقيل لرجل منهم ما بالكم يا بنى الهجيم حُصَّ اللحى ؟ قال ان الفحل واحد

قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير من أشعر الناس ؟ فقال ابن العشرين ، قال فما رأيك فى ابنى أبى سُلْمى ؟ قال شعرها نير يا أمير المؤمنين ، قال فما تقول فى امرىء القيس ؟ قال قد اتخذ الخبيث الشعر نعلين وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذَلاذِله ، قال فما تقول فى ذى الرُّمَّة ؟ قال قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه مالم يقدر عليه أحد ، قال فما تقول فى الأخطل ؟ قال ما أخرج ابن النصرانية مافي صدره من الشعر حتى مات ، قال فما تقول فى الفرزدق ؟ قال فى يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعة من الشعر قد قبض عليها ، قال فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً ، قال بلى والله يا أمير المؤمنين انى لمدينة الشعر التى منها يخرج واليها يعود ، نَسَبْت فأطربت ، وهجوت فأرذيت ، ومدحت فسَنَيت ، وأرملت فأغزرت ، ورجزت فأبحرت ، فأنا قلب ضروب الشعر كلها وكل واحد منهم قال نوعا منها ، قال صدقت

قال جرير ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على مافات من شبابها

قال سعيد بن بهس الجرمى قدم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير مرّان فكنا نغدو اليه بكراً فيخرج الينا ويجلس فى برنس خز له لايكلمنا كلة حتى يجىء طباخ عبد العزيز اليه بقدح من طلا مسخن يفور و بكتلة من سمن كأنها هامة رجل فيخوصها فيه ثم يدفعه اليه فيأتى عليه و يقبل علينا ويحدثنا فى كل فن و ينشدنا لنفسه ولغيره حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم اليه جميعاً وكان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل ، فقال له رجل ما يغنى عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات ؟ فتبسم وقال يا ابن أخى « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم » انهم والله يا ابن أخى يبدؤنى ثم أحلم

أبق غلامان لرجل من دارم فحدث فقال خرجت في طلبهما وأنا على ناقة لى عَيْساء كَوْماء أريد اليمامة فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها فعدلت الى بعض ديارهم وسألت القِرى فأجابوا فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظلة لهم من جريد النخل وفى الدار جويرية لهم سوداء اذ دخلت جارية كأنها سبيكة من فضة وكأن عينيها كوكبان دُرِّيان ، فسألت الجارية لمن هذه العَيْساء ؟ « تعنى ناقتى » فقالت لضيفكم هذا ، فعدلت الى فقالت السلام عليكم ، فرددت عليها السلام فقالت ممن الرجل ؟ فقلت من بنى حنظلة ، فقالت من أيهم ؟ فقلت من بنى نَهْشَل ، فتبسمت وقالت أنت اذاً ممن عناه الفرزدق بقوله

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
بيتاً بناه لنا الملبك وما بنى ملك السماء فانه لا يُنْتَل
بيتا زُرارة مُحْتبٍ بفِنائه ومجاشع وأبو الفوارس نَهْشَل

فقلت نعم جعلت فداك وأعجبنى ما سمعت منها ، فضحكت وقالت فان ابن الخَطَفى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى فخرتم به حيث يقول

أخزي الذي رفع السماء مجاشعاً وبنى بناء بالحضيض الأسفل
بيتاً يحمم قينكم بفنائه دنساً مقاعده خبيث المدخل

فوَجَمْت ، فلما رأت ذلك فى وجهى قالت لا عليك فان الناس يقال فيهم ويقولون ، ثم قالت أين تؤم ؟ قلت اليمامة ، فتنفست الصُّعَداء ثم قالت هاهى تلك أمامك ، ثم أنشأت تقول

تذكرنى بلاداً خير أهلى بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الاله أَجَشَّ صوبا يسِحّ بمُرْهِم بلد اليمامة
وحيا بالسلام أبا نجيد فأهل للتحية والسلامة

فأنست بها وقلت لها أذات خِدْن أم ذات بعل ؟ فأنشأت تقول

اذا رقد النيام فان عمراً تؤرقه الهموم الى الصباح
تقطع قلبه الذكرى وقلبي فلا هو بالخلى ولا بصاح
سقى الله اليمامة دار قوم بها عمرو يحن الى الرواح

فقلت لها من عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول

سألت ولو علمت كففت عنه ومن لك بالجواب سوى الخبير
فان تك ذا قبول ان عمراً هو القمر المضيء لمستنير
ومالي بالتبعل مستراح ولو رد التبعل لي أسيرى

ثم سكتت سكتة كأنها تستمع الى كلام ثم تهانفت وأنشأت تقول

يخيل لي هيا عمرو بن كعب كأنك قد حملت على سرير
يسير بك الهوينا القوم لما رماك الحب بالغلق اليسير
فان تك هكذا ياعمرو انى مبكرة عليك الى القبور

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة ، فقلت لهم من هذه ؟ فقالوا عقيلة بنت الضحاك ابن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، فقلت لهم فمن عمرو هذا ؟ قالوا ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق ، فارتحلت من عندهم ، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فاذا هو قد دفن فى ذلك الوقت الذى قالت فيه ما قالت

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده وقد كانا تهاجيا ولم يلق أحدهما صاحبه ، فلما استأذنوا لجرير أذن له فسلم وجلس وقد عرفه الأخطل ، فطمح بصر جرير اليه ، فقال له من أنت ؟ فقال أنا الذى منعت نومك وهضمت قومك ، فقال له جرير ذلك أشقى لك كائناً من كنت ، ثم أقبل على عبد الملك فقال من هذا ياأمير المؤمنين ؟ فضحك وقال هذا الأخطل يا أبا حَزْرة ، فرد بصره اليه وقال فلا حياك الله يا ابن النصرانية ، أما منعك نومى فلو نمت عنك

لكان خيراً لك وأما تهضمك قومى فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله ائذن لي يا أمير المؤمنين فى ابن النصرانية ، فقال لا يكون ذلك بين يدي ، فوثب جرير مغضباً ، فقال عبد الملك قم يا أخطل واتبع صاحبك فانما قام غضباً علينا فيك ، فنهض الأخطل ، فقال عبد الملك لخادم له انظر ما يصنعان اذا برز له الأخطل ، فخرج جرير فدعا بغلام له فقدم اليه حصاناً له أدهم فركبه وهدر والفرس يهتز من تحته وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير ، فدخل الخادم الى عبد الملك فأخبره فضحك وقال قاتل الله جريراً ما أفحله ، أما والله لو كان النصرانى برز اليه لأكله

قيل لأبي مهدى الباهلى وكان من علماء العرب أيما أشعر أجرير أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال جرير أشعر العرب كلها ثم قال لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يأتى جرير فيحكم بينهم

أتى الحجاج بجارية بيضاء مديدة القامة ، فقال لجرير ان أصبت صفتها فهى لك ، فقال ما اسمها ؟ قال أمامة ، فأنشأ يقول

ودع أمامة حان منك رحيل ... ان الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تهيلت أعطافه ... فالريح تجبر متنه وتهيل
تلك القلوب صواديا تيممتها ... وأرى الشفاء وما اليه سبيل

فقال خذ بيدها ، فبكت الجارية وانتحبت ، فقال ادفعوها اليه بمتاعها وبغلها ورحالها

قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بالبصرة اثتيانى فى لباس آبائكما فى الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد فى قبة ، وشاور جرير دُهاة بنى يربوع ، فقالوا له ما لباس آبائنا الا الحديد ، فلبس جرير درعاً وتقلد سيفاً وأخذ رمحاً وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل فى أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق فى هيئته ، فقال جرير

لبست سلاحى والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرَّج وخلاخله
أعدوا مع الخزّ الملَابَ فانما جرير لكم بعل وأنتم حلائله

ثم رجعا فوقف جرير فى مقبرة بني حصين ووقف الفرزدق فى المِرْبَد

لقى الفرزدق عمر بن عطية أخا جرير وهو حينئذ يهاجى ابن لَجأ فقال له ويلك قل لأخيك ثكلتك أمك ائت التيمى من عل كما أصنع بك أنا ، وكان الفرزدق قد أنف لجرير وحمى من أن يتعلق به التيمى ، قال ابن سلام فأنشدنى له خَلَف الأحمر يقوله للتيمى

وما أنت ان قَرْما تميم تساميا أخا التيم الا كالوشيظة في العظم
فلو كنت مولى العز أو فى ظلاله ظَلمت ولكن لا يَدَىْ لك بالظلم

فقال له التيمى

كذبت أنا القرم الذى دق مالكاً وأفناء يَرْبوع وما أنت بالقَرْم

قال ابن سلام فحدثني أبو العراف أن رجال تميم مشت بين جرير والتيمى وقالوا والله ما شعراؤنا الا بلاء علينا ينشرون مساوينا ويهجون أحياءنا وموتانا ، فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهد والمواثيق المغلظة ألا يعودا فى هجاء ، فكف التيمى وكان جرير لا يزال يقول الواحدة بعد الواحدة فيه ، فيقول التيمى والله ما نقضت هذه ولا سمعتها فيقول جرير هذه كانت قبل الصلح ، قال عبد الرحمن بن حرملة لما ورد علينا هجاء جرير والتيمى قال سعيد بن المسيب أتروى شيئاً مما قالا ؟ فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر ، فقال لي أرويت ؟ قلت نعم ، فأقبل علىَّ بوجهه ، فأنشدته للتيمى وهو يقول هيه هيه ، ثم أنشدته لجرير ، فقال أكله أكله

قال جرير لرجل من بنى طُهَيَّة أيما أشعر أنا أم الفرزدق ؟ فقال له أنت عند العامة وهو عند العلماء ، فصاح به جرير أنا أبو حَزْرة غلبته ورب الكعبة ما فى كل مائة رجل عالم واحد

قال أبو الأخضر الخارق بن الأخضر القيسي انى كنت والله الذى لا إله إلا هو أخص الناس بجرير وكان ينزل اذا قدم على عبد الملك بن سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وكان عدي بن الرقاع خصاً بالوليد مداحاً له ، فكان جرير يجيء الى باب الوليد فلا يجالس أحداً من النزارية ولا يجلس الا الى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس ابن الرقاع الى أن يأذن الوليد للناس فيدخل ، فقلت له يا أبا حزرة اختصصت عدوك بمجلسك ، فقال انى والله ما أجلس اليه الا لأنشده أشعاراً تخزيه وتخزى قومه قال ولم يكن ينشده شيئاً من شعره وانما كان ينشد شعر غيره ليذله ويخوفه نفسه ، فأذن الوليد للناس ذات عشية ، فدخلوا ودخلنا ، فأخذ الناس مجالسهم وتخلف جرير فلم يدخل حتى دخل الناس وأخذوا مجالسهم وأطمأنوا فيها ، فبينما هم كذلك اذا بجرير قد مثل بين السماطين يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي فى ابن الرقاع المتفرقة أؤلف بعضها الى بعض ، وأنا جالس أسمع ، فقال الوليد والله لهممت أن أخرجه على ظهرك الى الناس ، فقال جرير وهو قائم كما هو

فان تنهني عنه فسمعاً وطاعة والا فانى عرضة للمراجم

فقال الوليد له لا أكثر الله فى الناس أمثالك ، فقال له جرير يا أمير المؤمنين انما أنا واحد قد سعرت الأمة ، فلو كثر أمثالي لأكلوا الناس أكلاً ، قال فنظرت والله الى الوليد تبسم حتى بدت ثناياه تعجباً من جرير وجلده ، ثم أمره فجلس

قال جرير ما ندمت على هجائى بنى نمير قط الا مرة واحدة فانى خرجت الى الشام فنزلت بقوم نزول فى قصر لهم فى ضيعة من ضياعهم وقد نظرت اليه من بين القصور مشيداً حسناً وسألت عن صاحبه ، فقيل لي هو لرجل من بنى نمير ، فقلت هذا شآم وأنا بدوي لا يعرفني ، فجئت فاستضفت ، فلما أذن ودخلت عليه عرفني فقراني أحسن القرى ليلتين ، فلما أصبحت جلست ودعا بذية له فضمها اليه وترشفها فاذا هى أحسن الناس وجهاً ولها نشر لم أشم أطيب منه فنظرت الى عينيها فقلت

تالله ما رأيت أحسن من عيني هذه الصبية ولا من حورها قط وعوذتها ، فقال يا أبا حزرة أسوداء المحاجر هي ؟ فذهبت أصف طيب رائحتها ، فقال أمن وبر هي ؟ فقلت يرحمك الله ان الشاعر ليقول ووالله لقد ساءني ما قلته ولكن صاحبكم بدأني فانتصرت وذهبت أعتذر ، فقال دع ذا عنك أبا حزرة فوالله ما لك عندي الا ما تحب قال وأحسن والله إليّ وزوّدني وكساني ، فانصرفت وأنا أندم الناس على ما سلف مني الى قومه ، يشير الرجل بسؤاله الى قول جرير في بائيته يذم نساء بني نمير

وخضراء المغابن من نمير يشين سوادُ مَحجرها النقابا
تظلّى وهي سيئة المعرّى بصنّ الوبر تحسبه ملابا

نازع جرير بني حمّان في ركية لهم فصاروا الى ابراهيم بن عدى باليمامة يتحاكمون اليه فقال جرير

أعوذ بالأمير غير الجبار من ظلم حمّان وتحويل الدار
ما كان قبل حفرنا من محفار وضربي المنقار بعد المنقار
في جبل أصمّ غير خوّار يصيح بالحب صياح الصرّار
له صليل كصليل الأمهار فاسأل أبا عصم ورهط الجرار
والسلميين العظام الأخطار والجار قد يخبر عن دار الجار

فقال الحمّاني

ما لكليب من حمى ولا دار غير مُتام أُتُن وأعيار
قُعْس الظهور داميات الأنفار

فقال جرير فعن مُقامهن جعلت فداك أجادل ، فقال ابن عدى للحماني لقد أقررت لخصمك وحكم بها لجرير

بينا جرير يسير براحلته اذ هجم على أبيات من مازن وهلال وهما بطنان من ضبة فخافهم لسوء أثره في ضبة فقال

فلا خوف عليك ولن تُراعى بعقوة مازن وبني هلال
هما الحيان ان فزعا يطيرا الي جُرْد كأمثال السَّعالى
أمازنُ يا ابن كعب ان قلبي لكم طول الحياة لغير قال
غطاريف يبيت الجار فيهم قرير العين من أهل ومال

قالوا أجل يا أبا حَزْرة فلا خوف عليك

قال هشام بن عبد الملك لشَبَة بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين مزقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغرَوْا بين عشائرهم فى غير خير ولا بر ولا نفع أيهم أشعر ؟ فقال شَبَّة أما جرير فيغرف من بحر وأما الفرزدق فينحت من صخر وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر فقال هشام مافسرت لنا شيئاً نحصله ، فقال ما عندى غير ما قلت ، فقال لخالد بن صفوان صفهم لنا يا ابن الأهتم فقال — أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً وأشدهم ميَلا وأقلهم غزَلا وأحلاهم عللا الطامى اذا زخر والحامى اذا زأر والسامى اذا خطر الذي ان هدر قال وان خطر صال الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتا وأمدحهم بيتا وأقلهم فوتا الذى ان هجا وضع وان مدح رفع فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً وأرقهم شعراً وأهتكهم لعدوه سترا الأغر الأبلق الذى ان طَلب لم يُسبق وان طُلب لم يلحق فجرير ، وكلهم ذكى الفؤاد رفيع العماد وارى الزَّناد ، فقال له مسلمة بن عبد الملك ما سمعنا بمثلك يا خالد فى الأولين ولا رأينا فى الآخرين وأشهد أنك أحسنهم وصفاً وألينهم عطفاً وأعفهم مقالا وأكرمهم فعالا ، فقال خالد أتم الله عليكم نعمه وأجزل لديكم قسمه وآنس بكم الغربة وفرج بكم الكربة وأنت والله ماعلمت أيها الامير لكريم الغراس عالم بالناس جواد فى المحل بَسَّام عند البذل حليم عند الطيش فى ذِرْوة قريش ولُباب عبد شمس ويومك خير من أمس ، فضحك هشام وقال مارأيت كتخلصك يا ابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت عليهم

قال محمد بن المهاجر دخلنا على جرير في نفر من قريش فى علته التى مات فيها فالتفت الينا فقال

أهلا وسهلا بقوم زينوا حسبى ... وان مرضت فهم أهلى وعوادى
ان تجر طير بأمر فيه عافية ... أو بالفراق فقد أحسنتم زادى
لو أن ليثاً أبا شبلين أوعدنى ... لم يسلمونى لليث الغابة العادى

الشمردل اليربوعى

هو الشَّمردل بن شريك اليربوعى من يربوع بن حنظلة

شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأموية كان فى أيام جرير والفرزدق

خرج هو واخوته حكم ووائل وقدامة الى خراسان مع وكيع بن أبى سود ، فبعث وكيع أخاه وائلا فى بعث لحرب الترك ، وبعث أخاه قدامة الى فارس فى بعث آخر ، وبعث أخاه حكماً فى بعث الى سِجستان ، فقال له الشمردل ان رأيت أيها الامير أن تنفذنا معاً في وجه واحد فانا اذا اجتمعنا تعاونا وتناصرنا وتناسبنا فلم يفعل ما سأله وأنفذهم الى الوجوه التي أرادها فقال الشمردل يهجوه وكتب بها الى أخيه حكم مع رجل من بنى جشم بن أد بن طابخة

انى اليك اذا كتبت قصيدة ... لم يأتني لجوابها مرجوع
أيضيعها الجُشَمى فيما بيننا ... أم هل اذا وصلت اليك تضيع
ولقد علمت وأنت عنى نازح ... فيما أتى كبد الحمار وكيع
وبنو غُدانة كان معروفاً لهم ... أن يهضموا ويضيمهم يربوع
وعمارة العبد المبين انه ... واللؤم فى بدن القميص جميع

ولم ينشب أن جاءه نعى أخيه قدامة من فارس قتله جيش لقوهم بها ثم تلاه نعى أخيه وائل بعده بثلاثة أيام فقال يرثيهما

أعاذلَ كم من رَوْعة قد شهدتها ... وغُصَّة حزن فى فراق أخ جزْل
اذا وقعت بين الحيازيم أسدفت ... علىّ الضحى حتى تُنَسِّينى أهلى
وما أنا الا مثل من ضربت له ... أُمَى الدهر عن إبنى أب فارقا مثلى
أقول اذا عزيت نفسى باخوة ... مضَوْا لاضعاف فى الحياة ولا عُزْل
أبى الموت إلا فَجعَ كل بنى أب ... سيُمْسون شَتَّى غير مجتمعى الشَّمل
سبيل حبيبىَّ اللذين تبرضا ... دموعى حتى أسرع الحزن فى عقلى
كأن لم نسر يوماً ونحن بغِبطة ... جميعاً ولم ينزل برحلهما رحلى
فعينىَّ ان أفضلتما بعد وائل ... وصاحبه دمعاً فعودا على الفضل
خليلىَّ من دون الأخلاء أصبحا ... رهينىْ وفاء من وفاة ومن قتل
فلا يبعدا للداعيين اليهما ... اذا اغبر آفاق السماء من المَحْل
فقد عَدِم الأضياف بعدهما القرى ... وأخمد نار الليل كل فتى وَغْل
وكانا اذا أبدى الغضاب تحطمت ... لواغر صدر أو ضغائنَ من ثَبْل
تحاجز ايد جهل القول عنهما ... اذا أتعب الحلم التبرع بالجهل
كميشا سدى عرِّيسه لهما بها ... حمى هابه من بالحزونة والسهل

وقال يرثى أخاه وائلا وهى من من مختار المرانى وجيد شعره

لعمرى لئن غالت أخى دار فرقة ... وآب الينا سيفه ورواحله
وحلت به أثقالها الارض وانتهت ... بمَثْواه منها وهو عَفٌّ مآكله
لقد ضمَّنت جَلْد القُوى كان يتقى ... به جانب الثغر المخوف زلازله
وَصول اذا استغنى وان كان مقتراً ... من المال لم يُحْفِ الصديقَ مسائله
محل لأضياف الشتاء كأنما ... هُمُ عنده أيتامه وأراملة
رخيص نضيج اللم مغل بنيئه ... اذا بَرَدت عنه الصَّلاء أناملة
أقول وقد زمت عنه فأسرعت ... إلىّ بأخبار اليقين محاصله

الى الله أشكو لا الى الناس فقده ولوعة حزن أوجع القلبَ داخله
وتحقيق رؤيا فى المنام رأيتها فكان أخى رمحاً ترقص عامله (١)
سقى جدَثاً أعراق غَمْرة دونه بيشة ديماتُ الربيع ووابله
يمثوى غريب ليس منا مزاره بدانٍ ولا ذى الود منا مواصله
اذا ما أتى يوم من الدهر دونه فحياك عنا شرقه وأصائله
سنا صبح اشراق أضاء ومغرب من الشمس وافى جنح ليل أوائله
تحية من أدى الرسالة حببت اليه ولم ترجع بشيء رسائله
أبَى الصبرَ أن العين بعدك لم يزل يخالط جفنيها قذًى لا يزايله
تبرض بعد الجهْد من عبَراتها بقية دمع شجوها لك باذله
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدك شاغله
يذكرنى هيف الجنوب وينتهى مسير الصبا رَمْساً عليه جنادله
وهتّافةٍ فوق الغصون تفجعت لفقد حمام أفردتها حبائله
من الوُرْق بالأضياف نواحة الضحى اذا الفرقة التفت عليه غياطله
وسَوْرة أيدى القوم اذ حلّت الحُبا حُبا الشيب واستغوى أخا الحلم جاهله
فعينيَّ اذ أبكا كما الدهر فابكيا لمن نصره قد بان منا ونائله
اذا استعربت عُوذُ النساء وشمرت مآزر يوم ما تُوارَى خلاخله
وأصبح بيت الهجر قد حال دونه وغال أمرأ ما كان يخشى غوائله
وثقن به عند الحفيظة فارعوى الى صوته جاراته وحلائله
الى ذائد فى الحرب لم يك خاملا اذا عاذ بالسيف المجرد حامله
كما ذاد عن عِرّيسة الغِيل مُخْدر فخاف الردى ركناته ورواحله
فما كنت ألفى لامرئ عند موطن أخاً بأخ لو كان حياً أبادله

(١) رأى فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط

وكنت به أغشى القتال فعزّنى عليه من المقدار من لا أقاتله
لعمرك ان الموت منا لمولع بمن كان يرجى نفعه ونوافله
فما البعد الا أينا بعد صحبة كأن لم تبايت وائلا وتقابله
سقى الصقرات الغيثُ ما دام ثاوياً بهن وجادت أهل شوك مخايله
وما بى حب الارض الا جوارها صداه وقول ظن أنى قائله

ثم قتل أخوه حكم أيضاً فى وجهه وبرز بعض عشيرته الى قاتله فقتله وأتى أخاه الشمردل أيضاً نعيه ، فقال يرثيه

يقولون احتسب حكما وراحوا بأبيض لا أراه ولا يرانى
وقبل فراقه أيقنت أنى وكل بنى أب متفارقان
أخ لي لو دعوت أجاب صوتى وكنت مجيبه أنى دعانى
فقد أفنى البكاء عليه دمعى ولو أنى الفقيد اذاً بكانى
مضى لسبيله لم يُعْطَ ضَيْما ولم تَرهب غوائله الأدانى
قتلنا عنه قاتله وكنا نصول به لدى الحرب العوَان
فتيلا ليس مثل أخى اذا ما بدا لخَفِرات مذهول الجنان
وكنت سنان رمحى من قناتى وليس الرمح الا بالسنان
وكنت بنان كفى من يمينى وكيف صلاحها بعد البنان
وكان بها بك الأعداء فينا ولا أخشى وراءك من رمانى
فقد أبدَوْا ضغائنهم وشدوا الىّ الطرف واغتمزوا ليانى
فداك أخ نبا عنه غناه ومولى لا تصول له يدان

كان الشمردل مغرماً بالشراب وكان له نديمان يعاشرانه فى حانات الخمارين بخراسان أحدهما يقال له ديكل من قومه والآخر من بنى شيبان يقال له قبيصة فاجتمعوا يوماً على جزور ونحروه وشربوا حتي سكروا وانصرف قبيصة حافياً وترك نعله عندهم وأنسيها من السكر فقال الشمردل

شربت ونادمت الملوك فلم أجد ... على الكأس نذمانا لها مثل ديكل
أقل مكاساً في الجزور وان غلت ... وأسرع انضاجا وانزال مرجل
ترى البازل الكوماء فوق خوانه ... مفصلة أعضاؤها لم تفصل
سقيناه بعد الري حتى كأنما ... ترى حين أمسى أبرقي ذات مأسل
عشية أنسينا قبيصة فعله ... فراح الفتى البكري غير منعّل

مدح الشمردل هلال بن أحوز المازني واستماحه فوعده الرفد ثم رددده زماناً طويلا حتى ضجر ثم أمر له بعشرين درهما فدفعها اليه وكيله ثلة فردها وقال يهجوه

يقول هلال كلما جئت زائراً ... ولا خير عند المازني أعاوده
ألا ليتني أمسي وبيني وبينه ... بعيد مناط الماء غبر فدافده
غدا نصف حول منه ان قال لي غدا ... وبعد غد منه كحول أراصده
ولو أنني خيرت بين غداته ... وبين برازى ديلميا أجالده
تعوضت من ساقي عشرين درهما ... أتاني بها من غلة السوق ناقده
ولو قيل مثلا كنز قارون عنده ... وقيل التمس موعوده لا أعاوده
ومثلك منقوص اليدين رددته ... الى محتد قد كان حيناً مجاحده

كان ضبي نازلا في بني دارم وكان عدواً للشمردل ثم خرج في البعث الذي فيه اخوه الشمردل فلما قتلوا بلغ الشمردل سرور الضبي بذلك وشماته بمصيبته فقال

يا أيها المبتغي شتمي لأشتمه ... ان كنت أعمى فاني عنك غير عمِ
ما ارضعت مرضع سخلا أعق بها ... في الناس لا عرب فيها ولا عجم
من ابن حنكة[1] كانت وان عربت ... مذالة لقدور الناس والكرم
عوى ليكسبها شراً فقلت له ... من يكسب الشر تدبي أمه يلم
ومن تعرض شتمي يلق معطسه ... من النشوق الذي يشفي من اللمم

(١) الحنكة الدميمة السوداء من النساء

أولا فحسبك رهطا أن يفيدهم ... لا يغدرون ولا يوفون بالذمم
متى أجئك وتسمع ما عُنِيتُ به ... تُطرق على قَذَع أو ترض بالسلم
ليسوا كثعلبة المغبوط جارهم ... كأنه فى ذرى شَهلان أو خيم
يشبهون قريشاً من تكلمهم ... وطول أنضية[1] الأعناق واللمم
اذا غدا المسك يجرى فى مفارقهم ... راحوا كأنهم مرضى من الكرم
جزوا النواصى من عجل وقد وطئوا ... بالخيل رهط أبى الصهباء والحُطَم
ويوم أفلتهن الخَوْفزان وقد ... شالت عليه أكف القوم بالخدم
انى وان كنت لا أنسى مُصابهمُ ... لم أدفع الموت عن ريق ولا حكم
لا يَبْعَدَنَّ فتى جود ومكرمة ... لدفع ضيم وقتل الجوع والقرم
والبعد غالما عني بمنزلة ... فيها تفرق أحياء ومختزم
وما بناء وان سدت دعائمه ... الا سيصبح يوماً خاوى الدعم[2]
لئن نجوت من الأجداث أو سلمت ... منهن نفسك لم تسلم من الهرم

ومن شعره يرثى عمر بن يزيد الأسدى وكان صديقاً له ومحسناً اليه كثير البر به والوفد له

لبث الصباح وأسلمته ليلة ... طالت كأن نجومها لا تبرح
من صولة يحتاج أخرى مثلها ... حتى ترى السَّدَف[3] القيام النوح
عطلن أيديهن ثم تفجعت ... ليل التمام بهن عبرى تصدح
وحليلة رزئت وأخت وابنة ... كالبدر تنظره عيون لُمَّح
لا يَبْعَدَ ابن يزيد سيد قومه ... عند الحفاظ وحاجةٍ تستنجح
حامى الحقيقة لا تزال جياده ... تغدو مُسَوَّمة به وتُرَوَّح
ساد العراق وكان أول رافد ... تأتى الملوك به المهارى الطُّلح

(١) جمع نضى وهو عظم العنق (٢) جمع دعام وهو عماد البيت (٣) السدف ظلمة الليل

يعطى الغلاء بكل مجد يشترى ان المغالى بالمكارم أربح

كان ذئب قد لازم مرعى غنم للشمردل فلا يزال يفرس منها الشاة بعد الشاة فرصده ليلة حتى جاء لعادته ثم رماه بسهم فقتله وقال فيه

هل خبر السِّرحان اذ يستخبر عنى وقد نام الصِّحاب السُّمَّر
لما رأيت الضأن منه تنفر نهضت وسنان وطاب المئزر
وراع منها مَرِح مستبهر كأنه إعصار ريح أغبر
فلم أزل أطرده ويعكر حتى اذا استيقنته لا أعذر
وان عقرى غنمي ستكثر طار بكفى وفؤادي أوجر
ثمت أهويت له لا أزجر سهما فولى وهو عنه يعثر
وبت ليلي آمناً أكبر

وأنشد له الاصمعي وكان يستحسنها ويقول انها لمن ظريف الكلام

ثم استقل منعمات كالدمى شُمُس العتاب قليلة الأحقاد
كذب المواعد ما يقال أخو الهوى منهن بين مودة وبعاد
حتى ينال حيالهن معلقا عقل الشريد وهن غير شراد
والحب يصلح بعد هجر بيننا ويهيج معتبة بغير بعاد

الأبيرد

هو الأبيرد بن المعذَّر بن عبد قيس الرياحي من رياح بن يربوع

شاعر فصيح بدوى من شعراء الاسلام وأول دولة بني أمية وليس بمكثر ولا ممن وفد الي الخلفاء فمدحهم

كان يهوى امرأة من قومه ويجن بها حتى شهر ما بينهما فحجبت عنه وخطبها فأبوا أن يزوجوها اياه ، ثم خطبها رجل من ولد حاجب بن زُرارة فزوجته فقال الأبيرد فى ذلك

اذا ما أردت الحسن فانظر الى التى ... تبغى لقيط قومه وتخيرا
لها بشر لو يدرج الذر فوقه ... لبان مكان الذر فيه فأثرا
لعمري لقد أمكنت منا عدونا ... وأقررت للوادى فأحيا وأزهرا

هجا حارثة بن بدر فقال

ألا ليت حظى من غُدانة أنها ... تكون كفافاً لا عليَّ ولا ليا
أبى الله أن يهدى غُدانة للهدى ... وألاَّ تكون الدهر إلا مواليا
ولو أنني ألقى ابن بدر بموطن ... يعينه من أولينا المساعيا
تقاصر حتى يستفيد وبذه ... قروم تسامى من رياح تساميا
أبى فارط الحى الذى قد حشالكم ... من المجد أنهاء[1] ملاء الخوابيا
وعمى الذى فك السميدع عنوة ... فلست بنعمى يا ابن عقرب جازيا
كلانا غنى عن أخيه حياته ... ونحن اذا متنا أشد تغانيا
ألم ترنا اذ سقت قومك سائلا ... ذوى عدد للسائلين معاطيا
بنى الردف[2] حمالين كل عظيمة ... اذا طلعت والمترعين الجوابيا
وانا لنعطى النصف من لو نصيمه ... أقر ولكنا نحب العوافيا

تفاخر مرّة بن محكان السعدى وابن عم له يقال له عُرادة فغلبه مرة فبعث عبيد الله بن زياد فأخذ مرة فحبسه ، ووقع بعد ذلك من قومه لجاء فكانت بينهم شجاج ثم تكافُّوا وتوافقوا على الديات فأتى مرة وهو محبوس فعرف ذلك فتحمل جميعها فى ماله فقال فيه الأبيرد

فلله عينا من رأى من مكبَّل ... كمرَّة إذ شدَّت عليه الأداهم

(١) جمع نهى بالكسر والفتح وهو القدر (٢) الردف الذى عناه هو جده عتاب بن هرمى بن رياح كان ردف النعمان بن المنذر اذا ركب ركب وراءه واذا جلس جلس عن يمينه واذا غزا كان له المرباع واذا شرب الملك سقى بكأسه بعده وكان بعد ابنه قيس بن عتاب يردف النعمان

فأبلغ عبيد الله منى رسالة ... فانك قاض بالحكومة عالم
حسبت كريماً أن يجود بماله ... ستعرف ما فى قومة من تفاقم
فان أنت عاقبت ابن محكان فى الندى ... فعاقب هداك الله أعظم حاتم
تعاقب خرقا أن يجود بماله ... سعى في ثأى من قومة فى تفاقم
كأن دماء القوم اذ علقت به ... على مكفهر من ثنايا المخارم

ومما رثى به الأبيرد أخاه بريداً وهى من جيد الشعر ومختار المراثى

تطاول ليلي لم أنم تقلباً ... كأن فراشى حال من دونه الجمر
أراقب من ليل السماء تمامه ... لدن غاب قرن الشمس حتى بدا الفجر
تذكرت قرماً بان منا بنصره ... ونائله يا حبذا ذلك الذكر
فان تكن الأيام فرقن بيننا ... فقد عذرتنا فى صحابتنا العذر
وكنت أرى هجراً فراقك ساعة ... ألا لا بل الموت التفرق والهجر
أحقاً عباد الله أن لست لاقياً ... بريداً طوال الدهر مالألأ (١) العفر
فتى ان هو استغنى تخرق (٢) فى الغنى ... فان قل مالاً لم يؤده متنه الفقر
وسامى جسيمات الامور فنالها ... على العسر حتى يدرك العسرة اليسر
ترى القوم فى العزاء (٣) ينتظرونه ... اذا ضل رأى القوم أو حزب الامر
فليتك كنت الحى فى الناس باقياً ... وكنت أنا الميت الذى غيب القبر
فتى يشترى حسن الثناء بماله ... اذا السنة الشهباء (٤) قل بها القطر
كأن لم يصاحبنا بريد بغبطة ... ولم تأتنا يوماً بأخباره البشر
لعمري لنعم المرء عالى نعيه ... لنا ابن عرين بعد ما جنح العصر

(١) لألأ حرك أى حرك ذنبه (٢) تخرق توسع ويؤده يثقل (٣) العزاء الذى يعزك أى يغلبك ويقهرك (٤) الشهباء السنة التى يكثر الجليد فيها من شدة البرد وهذا أكثر ما يكون عندهم من الشمال لانها في بلادهم باردة يابسة تفرق السحاب

تمضت به الأخبار حتى تغلغلت ... ولم تثنه الأطباع[1] عنا ولا الجدر
ولما نعى الناعى بريداً تغوّلت ... بى الأرض فرط الحزن وانقطع الظهر
عساكر تغشى النفس حتى كأنني ... أخو سكرة طارت بهامته الخمر
الى الله أشكو فى بريد مصيبتى ... وبثى وأحزاناً تضمنها الصدر
وقد كنت أستعفى الهى اذا شكا ... من الأجر لى فيه وان سرنى الأجر
وما زال فى عينيَّ بعد غشاوة ... وسمعى عما كنت أسمعه وقر
على اننى أقفى الحياء وأتقي ... شماتة أعداء عيونهمُ خزر
فحياك عنى الليل والصبح إذ بدا ... وهوجٌ من الارواح غُدْوتها شهر
سقى جدثاً لو أستطيع سقيته ... بأودَ فرواه الرواعد والقطر
ولا زال يسقى من بلاد ثوى بها ... نبات اذا صاب الربيع بها نضر
حلفت برب الراقصين أكفهم ... ورب الهدايا حيث حل بها النحر
ومجتمع الحجاج حيث تواقفت ... رفاق من الآفاق تكبيرها جأر
يمين امرئ آلى وليس بكاذب ... وما فى يمين قالها صادق وزر
لئن كان أمسى ابن المعذَّر قد ثوى ... بُرَيْد لنعم المرء غيبه القبر
هو المرء للمعروف والبر والندى ... ومِسْعَر حرب لا كهام ولا غُمْر
أقام فنادي أهله فتحملوا ... وصُرِّمت الاسباب واختلط النَّجْر
فتى كان يُغلى اللحم نيئاً ولحمه ... رخيص بكفيه اذا ينزل القِدْر
فتى الحى والاضياف ان رَوَّحتهمُ ... بليل وزاد السَّفْر ان أرمل السفر
اذا جارة حلَّت لديه وفى لها ... فباتت ولم يهتك لجارته ستر
عفيف عن السَّوْءات ما التبست به ... صليب فما يلفى لعود له كسر
سلكت سبيل العالمين فما لهم ... وراء الذى لاقيت مَعْدّي ولا قَصْر

(١) يريد بالاطباع الخواتم والطابع الخاتم فحذف الزائد فصار طبعا فجمعه على أطباع ويروى الاصناع جمع صنع بالكسر وهو محبس الماء

وكل امرىء يوماً سيلقى حِمامه ... وان ناءت الدعوى وطال به العمر
وأبليت خيراً فى الحياة وانما ... ثوابك عندى اليوم أن ينطق الشعر

وقال يرثيه أيضاً وهى قصيدة طويلة

اذا ذكرت نفسى بُرَيدا تحاملت ... الي ولم أملك لعينى مدمعا
وذكرنيك الناس حين تحاملوا ... علىَّ وأضحوْا جلد أجرب مولعا
فلا يبعدنك الله خير أخى امرىء ... فقد كنت طلَّاع النِّجاد سَمَيْدَعا
وصولا لذى القربى بعيداً عن الخنا ... اذا ارتادك الجادى من الناس أمرعا
أخو ثقة لاينتحى القوم دونه ... اذا القوم جالوا أورجا الناس مطمعا
ولا يركب الوَجْناء دون رفيقه ... اذا القوم أزجوْهن حَسْرى وظُلَّعا

كانت بنو عجل قد جاورت بنى يَرْبوع فى سَنة أصابت عِجْلاً ، فكان الأبيرد يعاشر رجلاً منهم يقال له سعد ويجالسه ، وكان قصده امرأة سعد هذا ، فمالت اليه فومقته ، وكان الأبيرد جميلاً شاباً ظريفاً طريراً ، وكان سعد شيخاً هِمًّا ، فذهب بها كل مذهب حتى ظهر أمرهما ، وتحدث الناس بهما ، واتهم الأبيرد بها ، فشكاه الى قومه واستعذرهم منه ، فقالوا له مالك تتحدث الى امرأة الرجل ؟ فقال وما بأس بذلك ؟ وهل خلا عربى منه ؟ قالوا قد قيل فيكما ما لا قِرار عليه ، فاجتنب محادثتها وإياك أن تعاودها ، فقال الأبيرد ان سعداً لا خير فيه لزوجته ، فقالوا له وما عليك من ذلك ؟ دع الرجل وامرأته ولا تعاودها ولا تجلس اليها ، فقال الأبيرد فى ذلك

ألم ترَ أن ابن المعذر قد صحا ... وودع ما يَلْحَى عليه عواذله
غدا ذو خلاخيل عليَّ يلومني ... وما لوم عذَّال عليه خلاخله
فدع عنك هذا الحلى ان كنت لائما ... فانى امرؤ لا تزدهيني صلاصله
اذا خطرت عَنْس به شَدَنِيَّة (١) ... يمطَّرد الأرواح ناء مناهله

(١) الشدنيات من النوق منسوبة الى موضع باليمن أو فحل كريم

فبين أقوام سفاهة رأيهم ترحل عنهم وهو عف منازله
تبرأت من سعد وخلة بيننا فلا هو معطيني ولا أنا سائله

فاعترضه سلمان العجلي فهجاه وهجا بني رياح ، فقال

لعمرك انني وبني رياح لكالعاوي فصادف سهم رام
يسوقون ابنَ وجرة مُزْبئرا (١) ليحميهم وليس لهم بحام
وكم من شاعر لبني تميم قصير الباع من بقر نيام
كسوباً اذ يخرق ملبسيه دواهٍ يبترين (٢) من العظام
وان يذكر طعامهمُ بشر فان طعامهم شر الطعام
وسوداء المغابن من رياح على الكُرْدوس كالفأس الكهام (٣)

فقال الأبيرد مجيباً له

عوى سلمان من جوّ فلاقى أخو أهل اليمامة سهم رام
عوى من جنبه وشقيّ عجل عُواء الذئب مختلط الظلام
بنو عجل أذل من المطايا ومن لحم الجزور على الثمام
تُحيّا المسلمون اذا تلاقوا وعجل ما تحيا بالسلام
اذا عجلية ولدت غلاماً الى عجل فقبح من غلام
يمص بثديها فرخ لئيم سلالة أعبد ورضيع آم (٤)
خبيث الريح ينشأ بالمخازي لئيم بين أبناء لئام
أنا ابن الأكرمين بني تميم ذوي الآطال والهمم العظام
وكائن من رئيس قطّرته عواملنا ومن ملك همام
وجيش قد ربعناه وقوم صبحناهم بذي لجب لهام

(١) ازبأر للشر تهيأ (٢) ابتراه مثل براه (٣) الكراديس رءوس الأنقاء وهي القصب ذوات المخ (٤) جمع أمة

وقال أيضاً مجيباً له

أخذنا بآفاق السماء فلم ندَعْ ... لسلمان سـلمان اليمامة منظرا
وأقْلَحَ عجلى كأن مَخَطَّه ... نواجذ خنزير اذا ما تكشرا
يزل النوى عن ضرسه فيرده ... الى عارض فيه القوادح أبخرا
اذا شرب العجلى نجس كأسه ... وظلت بكفى جانب غير أزهرا
شديد سواد الوجه نحسب وجهه ... من الدم بين الشاربين مغيرا
اذا ماحساها لم تزده سماحة ... ولكن أرته أن يصر ويحضرا
فلا يشربن فى الحى عجل فانه ... اذاشرب العجلى أخْنَى (١) وأهجرا
يقاسى نَدَاماهم ويلقى ألوفهم ... من الجوع عند الكأس أمراً مذكرا
ولم تك في الاشراك عجل تذوقها ... ليالى يسبيها متاول حميرا
وينفق فيها الخنظليون مالهم ... اذا ما سعى منهم سفيه تجبرا
ولكنها هانت وحرم شربها ... فمالت بنو عجل لما كان أكفرا
لعمرى لئن أزننتمُ أو صحوتمُ ... لبئس النَّدَامَى كنتمُ آل أبجرا

أتى رجل الأبيرد وابن عمه الأحوص « وهما من رهط رُدُف الملك من بنى رياح » يطلب منهما قطراناً لابله ، فقالا له انأنت بلغت سُحَيم بن وَثيل الرِّياحى هذا الشعر أعطيناك قطراناً ، فقال قولا ، فقالا اذهب فقل له

فان بُدَاهتى (٢) وجراء حولي ... لذو شِقٍّ على الخطم الحرون

فلما أتاه وأنشده الشعر أخذ عصاه وانحدر فى الوادي وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ثم قال اذهب فقل لهما

فان عُلالَتى (٣) وجراء حولي ... لذو شِقٍّ على الضَّرع الظنون

(١) أخنى أفحش وأفسد (٢) البداهة أول جرى الفرس والجراء مصدر جرى والشق المشقة والخطم الفرس الهرم والحرون الفرس الذى لاينقاد (٣) العلالة بقية جرى الفرس والضرع الضعيف والظنون الرجل الضعيف والقليل الحيلة

أنا ابن الغرِّ من سلفَيْ رياح (١) كنصل السيف وضاح الجبين
انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى
وان مكاننا من حِمْيَرِيّ (٢) مكان الليث من وسط العرين
وان قناتنا مَشِظ (٣) شظاها شديد مدها عنق القرين
وانى لا يعود إليَّ قرنى غداة الغبِّ (٤) الا في قرين
بذى لِبَد يصد الركب عنه ولا تؤتى فريسته لحين
عذرت البُزل (٥) ان هى صاولتنى فما بالي وبال ابني لبون
وما ذا تبتغى الشعراء منى وقد جاوزت حد الأربعين
أخو خمسين مجتمع أشدى (٦) ونَجَّذنى مُداورة الشؤن
سأحيا ما حييت وان ظهرى لذو سند الى نَضَد أمين

فأتياه فاعتذرا اليه ، فقال ان أحدكم لا يرى أن يصنع شيئاً حتى يقيس شعره بشعرنا وحسبه بحسبنا ويستطيف بنا استطافة المهر الأرِن ، فقالا له فهل الى النزع من سبيل ؟ فقال اننا لم نبلغ أنسابنا

أبو الهندى

هو غالب بن عبد القدوس بن شَبَث بن رِبْعِيّ الرِّياحى من رياح بن يربوع كان شاعراً مطبوعاً وقد أدرك الدولتين دولة بنى أمية وأول دولة بنى العباس وكان جزْل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعانى ، وانما أخمله وأمات ذكره

(١) هو ابن يربوع (٢) حميرى أحد أجداده والعرين مأوى الأسد
(٣) المشظ الذى يدخل فى اليد من الشوك اذا مس والشظى الشظية وعنق القرين منصوب بمدها والقرين القرن (٤) ورود الابل الماء فى اليوم الثانى وغداة الغب اليوم الذى يسوقون ابلهم فيه والقرين المقارن والمصاحب وفى بمعنى مع (٥) جمع بازل وهو البعير المسن وابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة (٦) اجتماع الأشد عبارة عن كمال القوى فى البدن والعقل ونجذنى هذبنى والمداورة بمعنى المعالجة والمزاولة

بعده من بلاد العرب ومُقامه بسِجِستان وبخُراسان ، وشَغَفه بالشراب ومعاقرته إياه ، وفسقه ، وما كان يتهم به من فساد الدين ، واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الاسلام ، فجعل وصفها وَكْده وقصده

ومن مشهور قوله فيها ومختاره

سقيتُ أبا المطرَّح اذ أتانى ... وذو الرَّعَشات منتصب يصيح

شرابا يهرب الذِّبّان منه ... ويَلْثَغ حين يشربه الفصيح

أنشد اسحاق الموصلى شعراً لأبى الهندى فى صفة الخمر فاستحسنه وقرظه ، فذكر عنده أبو نواس فقال ومن أين أخذ أبو نواس معانيه الا من هذه الطبقة وأنا أوجدكم سلخ هذه المعانى كلها فى شعره فجعل ينشد بيتاً بيتاً من شعر أبى الهندى ثم يستخرج المعنى والموضع الذى سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها واستخرجها من شعره .

ومن قوله فيها

سيغنى أبا الهندى عن وَطْب سالم ... أباريق لم يَعْلَق بهـا وَضَرُ الزُّبد

مُقدَّمة قرنا كأن رقابها ... رقاب بنات الماء تفزع للرعد

جَلَتْها الجوالى حين طاب مزاجها ... وطينها بالمسك والعنبر الورد

تَمُجُّ سلافا فى الأباريق خالصاً ... وفى كل كأس من مهاً حسن القدّ

ومن قوله وهو مما يغنى به

لما سمعت الديك صاح بسُحْرة ... وتوسط النَّسْران بطن العقرب

وبدا سُهيل فى السماء كأنه ... نور وعارضه عجان الرَّبْرب

نبهت ندْمانى وقلت له اصطبح ... يا ابن الكرام من الشراب الطيب

صفراء تبدو فى الزُّجاج كأنها ... حَدَق الجرادة أو لُعاب الجُنْدَب

حج نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهندى فلما حضرت أيام الموسم قال له

يا أبا الهندى انا بحيث ترى وفد الله وزوار بيته فهب لي النبيذ في هذه الايام واحتكم عليّ فلولا ما ترى ما منعتك، فضمن له ذلك وغلظ عليه الاحتكام ووكل به نصر ابن سيار، فلما انقضى الأجل مضى فى السحر قبل أن يلقى نصراً فجلس فى أكمة يُشرف منها على فضاء واسع فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة وأقبل يشرب ويبكي ويقول

أديرا على الكأس انى فقدتها ... كما فقد المفطوم دَرّ المراضع

حليف مُدام فارق الروح روحه ... فظل عليهـــا مستهل المدامع

وعاتبه قوم على فسقه ومعاقرته الشراب فقال

اذا صليت خمساً كل يوم ... فان الله يغفر لي فسوقى

ولم أُشرك برب الناس شيئاً ... فقد أمسكت بالدين الوثيق

وجاهدت العدو ونلت مالا ... يبلغنى الى البيت العتيـــق

فهـــذا الدين ليس به خفاء ... دعونى من بُنيَّات الطريق

اشتهى أبو الهندى الصَّبوح فى الحانة ذات يوم فأتى خماراً بسجستان فى محلة يقال لها كوه زيان[1] يباع فيها الخمر ويأوى اليها كل خارب، فدخل الى الخمار فقال له اسقنى وأعطاه ديناراً فكال له وجعل يشرب حتى سكر، وجاء قوم يسألون عنه فصادفوه على تلك الحال فقالوا للخمار ألحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، فانتبه فسأل عنهم فعرفه الخمار خبرهم فقال له هذا الآن وقت السكر الآن طاب ألحقني بهم، فجعل يشرب حتى سكروانتبهوا فقالوا للخمار ويحك هذا نائم بعد؟ فقال لا ولقد انتبه فلما عرف خبركم شرب حتى سكر، فقالوا ألحقنا به، فسقاهم حتى سكروا، وانتبه فسأل عن خبرهم فعرفه فقال والله لألحقن بهم، فشرب حتى سكر، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام لم يلتقوا وهم فى موضع واحد، ثم تركوا هم الشراب عمداً حتى أفاق فلقوه[2] وفى ذلك يقول

(١) تفسيره جبل الشيطان (٢) هذا الخبر بعينه يحكى لوالبة بن الحباب مع أبى نواس والصحيح أنه لأبى الهندى

نَدامَى بعد ثالثة تلاقَوْا يضمهمُ بكُوه زيان راح
وقد باكرتها فتركت منها قتيلاً ما أصابتني جراح
وقالوا أيها الخمار من ذا فقال أخ تخوَّنه اصطباح
فقالوا هات راحك ألحقنّا به وتعللوا ثم استراحوا
فما ان لَبَّثتهم أن رمتهم بحد سلاحها ولها سلاح
وحان تنبهي فسألت عنهم فقال أتاحهم قدر متاح
رأوك مُجَدَّلا فاستخبروني فحركهم الى الشرب ارتياح
فقلت بهم فألحقني فهبُّوا فقالوا هل تنبه حين راحوا
فقال نعم ، فقالوا ألحقنا به قد لاح للرائى صباح
فما ان زال ذاك الدَّأب منا ثلاثا يستغب ويستباح

خطب أبو الهندى الى رجل من بنى تميم فقال لو كنت مثل أبيك لزوجتك ، فقال له أبو الهندى لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت اليك

مرَّ نصر بن سيار بأبى الهندى وهو سكران يتمايل فوقف عليه فعذله وسبه وقال ضيعت شرفك وفضحت أسلافك ، فلما طال عتابه التفت اليه فقال لولا أنى ضيعت شرفى لم تكن أنت على خُراسان ، فانصرف نصر خجلا ، وكان أبو الهندى أسرع الناس جواباً

قال اسحاق المُوصلى فى وفاة أبى الهندى انه خرج وهو سكران فى ليلة باردة من حانة خمار وهو ريان فأصابه ثلج فقتله فوجد من غد ميتاً على الطريق ، ووجد على قبره مكتوباً

اجعلوا ان مت يوماً كفنى ورق الكَرْم وقبرى معصرة
انى أرجو من الله غدا بعد شرب الراح حسن المغفرة

فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون الى قبره ويشربون ويصبون القدح اذا انتهى اليه على قبره

المغيرة بن حبناء

هو المغيرة بن حَبْناء بن عمرو الحنظلي من ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وحَبْناء لقب غلب على أبيه واسمه جُبَيْر

شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية وأبوه حبناء بن عمرو شاعر وأخوه صخر شاعر وكان يهاجيه ، ولهما قصائد يتناقضانها كثيرة ، سأذكر طرفاً منها ، وكان قد هاجى زيادا الأعجم فأكثر كل واحد منهما على صاحبه وأفحش ، ولم يغلب أحد منهما صاحبه ، كانا متكافئين فى مهاجاتهما ينتصف كل واحد منهما من صاحبه

قدم المغيرة على طلحة الطلحات الخزاعى ، فأنشده قوله فيه

لقد كنت أسعى فى هواك وأبتغي ... رضاك وأرجو منك ما لست لاقيا
وأبذل نفسى فى مواطن غيرُها ... أحب وأعصى في هواك الأدانيا
حفاظاً وتمسيكاً لما كان بيننا ... لتجزيني ما لا إخالك جازيا
رأيتك ما تنفك منك رغيبة ... تُقَصِّر دونى أو تَحُلّ ورائيا
أرانى اذا استمطرت منك رغيبة ... لتمطُرنى عادت عَجاجاً وسافيا
وأدليت دلوى فى دِلاء كثيرة ... فأُبْن ملاءً غير دلوى كما هيا
ولست بلاق ذا حفاظ ونجدة ... من القوم حُرًّا بالخسيسة راضيا
فان تَدْنُ مني تدن منك مودتى ... وان تَنْأَ عنى تُلْفِني عنك نائيا

فأجازه جائزة سنية ، فمدحه فقال

أرى الناس قد مَلُّوا الفعال ولا أرى ... بنى خَلَف الا رِواء الموارد
اذا نفعوا عادوا لمن ينفعونه ... وكائن ترى من نافع غير عائد
اذا ما انجلت عنهم غمامة غَمْرة ... من الموت أجْلَتْ عن كرام مذاود

تسود غطاريفَ الملوك ملوكُهم وماجدُهم يعلو على كل ماجد

لما هزم المهلبُ بن أبي صفرة قطَرِيّ بن الفُجاءة جلس للناس ، فدخل اليه وجوههم يهنئونه وقامت الخطباء فأثنت عليه ومدحته الشعراء ، ثم قام المغيرة فى أخرياتهم فقال

حال الشجا دون طعم العيش والسهرُ واعتاد عينك من ادمانها الدرر
واستحقبتك أمور كنت تكرهها لو كان ينفع منها النأى والحذر
وفي الموارد للأقوام تهلُكة اذا الموارد لم يعلم لها صَدَر
ليس العزيز بمن تُغشَى محارمه ولا الكريم بمن يُجفَى ويحتقر

حتى انتهى الى قوله

أمسى العباد بشر لا غياث لهم الا المهلَّب بعد الله والمطر
كلاهما طيب ترجى نوافله مُبارك سَيْبُه يُرْجَى وينتظر
لا يجمُدان عليهم عند جهدهمُ كلاهما نافع فيه اذا افتقروا
هذا يذود ويحمى عن ذِمارهمُ وذا يعيش به الأنعام والشجر
واستسلم الناس اذ حل العدو بهم فلا ربيعتهم تُرْجَى ولا مُضَر
وأنت رأس لأهل الدين منتخب والرأس فيه يكون السمع والبصر
ان المهلَّب فى الأيام فضله على منازل أقوام اذا ذكروا
حَزْمٌ وجودٌ وأيامٌ له سلفت فيها يُعَدّ جسيم الأمر والخطَر
ماض على الهول ما ينفك مرتحلا أسباب مُعْضلة يعيا بها البشر
سهل الخلائق يعفو عند قدرته منه الحياء ومن أخلاقه الخفَر
شهاب حرب اذا حلت بساحته يُخْزِى به الله أقواماً اذا غدروا
تزيده الحرب والأهوال ان حضرت حزماً وعزماً ويجلو وجهه السفر
ما ان يزال على أرجاء مُظلمة لولا يكفكفها عن مصرهم دَمَروا

سهل اليهم حليم عن مجاهلهم ... كأنما بينهم عثمان أو عمر
كهف يلوذون من ذل الحياة به ... اذا تكنفهم من هولها ضرر
أمن نخائفهم فيض لسائلهم ... ينثاب نائله البادون والحضر

فلما أتى على آخرها قال المهلب هذا والله الشعر لا ما نُعلَّل به وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرس جواد ، وزاد فى عطائه خمسمائة درهم

ومن قول المغيرة يمدح المهلب أولها

أمن رسوم ديار هاجك القدم ... أقوت وأقفر منها الطَّفُّ والعلم
وما يهيجك من أطلال منزلة ... عفَّى معالمها الأرواح والدِّيَم
بئس الخليفة من جار تضمَّن به ... اذا طربت أنا في القِدْر والحُمم
دار التى كاد قلبي أن يجن بها ... اذا ألمَّ به من ذكرها لمم
اذا تذكرها قلبي تضيِّقه ... هم تضيق به الأحشاء والكظم
والبين حين يروع القلب طائفه ... يبدى ويظهر منهم بعض ما كتموا
انى امرؤ كفني ربي وأكرمني ... عن الأمور التى فى غبِّها وخم
وانما أنا إنسان أعيش كما ... عاش الرجال وعاشت قبلي الأمم

وكان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيه فى جيش لقتال الأزارقة وكان فيهم المغيرة فلما طال مقامه واستقر الجيش لحق بأهله فأقام عندهم شهراً ثم عاود وقد قفل الجيش الى المهلب فقيل له ان الكتاب خطوا على اسمه وكتب الى المهلب انه عصى وفارق مكتبه بغير اذن ، فمضى الى المهلب فلما لقيه أنشده هذه القصيدة واعتذر اليه فعذره وأمر باطلاق عطائه وازالة العتب عنه وفيها يقول يذكر قدومه الى أهله بغير اذن

ما عاقنى عن قفول الجند اذ قفلوا ... عيٌّ بما صنعوا حولي ولا صمم
ولو أردت قفولا ما نجهمني ... اذن الامير ولا الكتاب إذ رقموا

انى ليعرفنى راعى سريرهمُ والمحرجون اذا ما ابتلت الحزم
والطالبون الى السلطان حاجتهم اذا جفا عنهم السلطان أو كرموا
فسوف تبلغك الأنباء إن سلمت لك الشواحج والأنفاس والأدم
إن المهلب إن أشتق لرؤيته أو أمتدحه فان الناس قد علموا
إن الكريم من الأقوام قد علموا أبو سعيد اذا ما عدت النعم
والقائل الفاعل الميمون طائره أبو سعيد وإن أعداؤه رَغموا
كم قد شهدت كراماً من مواطنه ليست بغيب ولا تقوالهم زعموا
أيام أيام اذ عض الزمان بهم واذ تمنى رجال أنهم هزموا
وإذ يقولون ليت الله يهلكهم والله يعلم لو زلّت بهم قدم
أيام سابور اذ ضاعت رباعتهم لولاه ما أوطنوا داراً ولا انتقموا
اذ ليس شيء من الدنيا نصول به إلا المغافر والأبدان واللُّجُم
وعائرات من الخطّي مقصدة نفضى بهن اليهم ثم نَدَّعم

وكان السبب فى مهاجاته زياداً الأعجم ان زياداً والمغيرة وكعباً الأشقرى اجتمعوا عند المهلب وقد مدحوه فأمر لهم بجوائز وفضل زياداً عليهم ووهب له غلاماً فصيحاً ينشد شعره لان زياداً كان ألكن لا يفصح فكان راويته ينشد عنه ما يقوله فيتكلف له مؤنة ويجعل له سهماً في صلاته فسأل المهلب يومئذ أن يهب له غلاماً كان له يعرفه زياد بالفصاحة والأدب، فوهبه له، فنفسوا عليه ما فضل به، فانتدب له المغيرة من بينهم فقال للمهلب أصلح الله الأمير ما السبب فى تفضيل الأمير زياداً علينا؟ فوالله ما يغنى غناءنا فى الحرب ولا هو بأفضلنا شعراً ولا أصدقنا وداً ولا أشرفنا أباً ولا أفصحنا لساناً، فقال له المهلب أما انى والله ما جهلت شيئاً مما قلت وان الأمر فيكم عندى لمتساوٍ ولكن زياداً يكرم لسنه وشعره وموضعه من قومه وكلكم كذلك عندى وما فضلته بما ينفس به وأنا أعوضكم بعد هذا بما يزيد على ما فضلته به، فانصرف، وبلغ زياداً ما كان منه فهجاه، فقال المغيرة يرد عليه

أزيادُ إنك والذى أنا عبده ... مادون آدم من أب لك يعلم
فالحق بأرضك يا زياد ولا ترم ... مالا تطيق وأنت علج أعجم
أظننت لؤمك يا زياد يسده ... قوس سترت به قفاك وأسهم
علج تعصب ثم راق بقوسه ... والعلج تعرفه إذا يتعجم
ألقِ العصابة يا زياد فانما ... أخزاك ربى إذ غدوت ترنم
تهجو الكرام وأنت ألأم من مشى ... نسباً وأنت العلج حين تكلم
ولقد سألت بنى نزار كلهم ... والعالمين من الكهول فأقسموا
بالله مالك فى معد كلها ... حسب وانك يازياد مُوَذَّم (١)

رجع المغيرة الى أهله وقد ملأ كفيه بجوائز المهلب وصلاته والفوائد منه وكان أخوه صخر أصغر منه فكان يأخذ على يديه وينهاه عن الأمر ينكر مثله ولا يزال يتعتب عليه فى الشىء بعد الشىء مما ينكره عليه فقال فيه صخر

رأيتك لما نلت مالاً وعضنا ... زمان نرى فى حد أنيابه شَغْبا
تَجَنَّى على الدهرَ انى مذنب ... فأمسك ولاتجعل غناك لنا ذنبا

فقال المغيرة يجيبه

لحى الله أنا ناعن الضيف بالقرى ... وأقصرنا عن عرض والده ذبا
أأنباك الأفاك عنى أننى ... أحرك عرضى أن لعبت به لعبا

جاءت أخت المغيرة اليه تشكو أخاها صخراً أنه أسرع فى مالها وأتلفه وأنها ممنعته شيئاً يسيراً بقى لها فمد يده اليها وضربها فقال له المغيرة معنفاً

ألا مَنْ مبلغٌ صخر ابن ليلى ... فانى قد أتانى من نَبَا كا
رسالة ناصح لك مستجيب ... اذا لم تَرْعَ حرمتـه رعا كا
وصول لو يراك وأنت رهن ... تباع بمـاله يوماً فدا كا

(١) الوذم بالتحريك الفضل والزيادة وقد وذم أى فضل وزاد يريد أنه ليس فى قومه بشىء

يرى خيراً إذا ما نلت خيراً ... ويَشْجَى في الأمور بما شجاكا
فانك لا ترى أسماء أختاً ... ولا تَرَيَنَّني أبداً أخاكا
فان تعنُف بها أو لا تصلها ... فان لأُمِّهـــا ولداً سواكا
يَبَرّ ويستجيب إذا دعته ... وان عاصيته فيهـا عصاكا
وكنت أرى بها شرفاً وفضلاً ... على بعض الرجال وفوق ذاكا
جزاني الله منك وقد جزاني ... ومني في معـــاتبنا جزاكا
وأعتبَ أصدق الخصمين قولاً ... وولى اللؤم أولانا بذاكا
فلا والله لولم تعص أمري ... لكنت بمعزل عمـا هناكا

فأجابه أخوه صخر بقوله

أتاني عن مغيرة قول زور ... تعمده فقلت له كذاكا
يعم به بني ليـلى جميعاً ... فول هجاءهم رجلا سواكا
فان تك قد قطعت الوصل مني ... فهـذا حين أخلفني مناكا
تُمَنِّينِي إذا ما غبت عني ... وتُخْلِفني مُنايَ اذا أراكا
وتوليني ملامة أهـل بيتي ... ولا تعطى الأقارب غير ذاكا
فان تك أختنا عتبت علينا ... فلا تَصْرِم لظِنَّتها أخاكا
وان تك قد عتبت عليَّ جهلا ... فلا والله لا أبغي رضاكا
فقد أعلنت قولك اذ أتاني ... فأعلن من مقالي ما أتاكا
سيُغْنِي عنك صخراً ربُّ صخر ... كما أغناك عن صخر غناكا
ويغنيني الذي أغنـاك عني ... ويكفيني الاله كما كفاكا
ألم ترني أجود لكم بمـالي ... وأرمي بالفواقر من رماكا
وانى لا أقود اليـك حرباً ... ولا أعصيك ان رجل عصاكا
ولكني وراءك شَمَّرِيٌّ ... أحامي قد علمت على حماكا

وأدفع ألسن الاعداء عنكم ويعنيني العدو اذا عناكا
وقد كانت قريبة ذات حق عليك فلم تطالعها بذاكا
رأيت الخير يقصر منك دوني وتبلغني القوارص من أذاكا

كان حبناء بن عمرو قد غضب على قومه فى بعض الأمر فانتقل الى نَجْران. وحمل معه أهله وولده ، فنظرت امرأته سلمى الى غلام من أهل نجران يضرب ابنه المغيرة وهو يومئذ غلام فقالت لحبناء قد كنت غنياً عن هذا الذل وكان مقامك بالعراق فى قومك أو فى حي قريب من قومك فقال حبناء

تقول سليمى الحنظلية لابنها غلام بنَجْران الغداةَ غريب
رأت غِلْمة ثاروا اليه بأرضهم كما هر كلباً فى الديار كليب
فقالت لقد أجرى أبوك لما ترى وأنت عزيز بالعراق مَهيب

وقال أيضاً

لعمرك ما تدرى أشيء تريده يَليك أم الشيء الذى لا تحاوله
متى مايشأ مستقبس الشر يَلْقَه سريعاً وتجمعه اليه أنامله

قال الأصمعى لم يقل أحد فى تفضيل أخ على أخيه وهما لأَب وأم مثل ماقال المغيرة لأَخيه صخر

أبوك أبى وأنت أخى ولكن تفاضلت الطبائع والظروف
وأمك حين تنسب أم صدق ولكن لابنها طبع سخيف

وكان عبد الملك بن مَرْوان اذا نظر الى أخيه معاوية « وكان ضعيفاً » يتمثل بهذين البيتين

نظر الحجاج الى يزيد بن المهلب يخطِر فى مشيته فقال لعن الله المغيرة بن حبناء حيث يقول

جميل المحيَّا بَخْتَرِيّ اذا مشى وفى الدرع ضخم المنكبين شِناق[1]

(١) الشناق الطويل

فالتفت اليه يزيد فقال انه يقول فيها

شديد القوى من أهل بيت اذا وهى ... من الدين فتق حملوا فأطاقوا

مراجيح فى اللأواء ان نزلت بهم ... ميامين قد قادوا الجيوش وساقوا

حدث من حضر ابن حبناء لما قتل انه وهو يجود بنفسه أخذ بيده من دمه وكتب بيده على صدره أنا المغيرة بن حبناء ، ثم مات

أبو حزابة

هو الوليد بن حنيفة التميمى أحد بني ربيعة بن حنظلة وكنيته أبو حزابة

شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوى حضر وسكن البصرة ثم اكتتب فى في الديوان وضرب عليه البعث الى سجستان فكان بها مدة وعاد الى البصرة وخرج مع ابن الأشعث وأظنه قتل معه وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء

دخل على طلحة الطلحات الخزاعى وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان وكان أبو حزابة قد مدحه فأبطأت عليه الجائزة ورأى ما يعطى غيره من الجوائز فأنشده

وأدليت[1] دلوى فى دلاء كثيرة ... فجئن ملاء غير دلوى كما هيا

وأهلكني ألاَّ تزال رغيبة ... تقصر دونى أو تحل ورائيا

أرانى اذا استمطرت منك سحابة ... لتمطرنى عادت عجاجاً وسافيا

فرماه طلحة بحق فيه درة فأصاب صدره ووقعت فى حجره . مات طلحة بسجستان وولي من بعده رجل من بنى عبد شمس يقال له عبد الله بن على وكان شحيحاً فقال أبو حزابة

يا ابن على برح الخفاء ... قد علم الجيران والأكفاء

انك أنت البدل اللفاء[2] ... أنت لعين طلحة القذاء

---

(١) انظر ص ١٠٨ (٢) اللفاء الخسيس

بنو عـــدى كلهم سواء كأنهم ربيبـــة حذاء

ثم وليها بعد عبد الله بن على بن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز فى أيام الفتنة فاستأذنه أبو حزابة ان يأتى البصرة ، فأذن له فقدمها ، وكان الناس يحضرون المربد ويتناشدون الأشعار ويتحادثون ساعة من النهار فشهدهم أبو حزابه وأنشدهم مرثية له فى طلحة الطلحات يضمنها ذماً لعبد الله بن على وهى قوله

هيهات هيهات الجناب الأخضر والنائل الغمر الذى لا ينزر
واراه عنا الجـــدث المغور قد علم القوم غداة استعبروا
والقبر بين الطلحات يحفر أن لن يروا مثلك حتى ينشروا
انا أتانا جـــزر مخمر أنكره سريرنا والمنبر
والمســـجد المحتضر المطهر أقل من شبرين حين يشبر
بليـــة ياربنا لا تنسخر وخلف ياطلح منك أعور

مثل أبى القعواء لا بل أصغر

وأبو القعواء حاجب لطلحة كان قصيراً ، فقال له عون بن عبد الرحمن بن سلامة وسلامة أمه ما قلت ؟ أتشاهر الناس بشتم قريش ؟ فقال له انى لم أعم انما سميت رجلا واحداً ، فأغلظ له عون حتى انصرف عن ذلك الموضع ، ثم أمر عون ابن أخ له فدعا أبا حزابة فأطعمه وسقاه وخلط فى شرابه شبرما فسلحه فخرج أبو حزابة وقد أخذ بطنه فسلح على بابه وفى طريقه حتى بلغ أهله ومرض أشهراً ، ثم عوفي فركب فرساً له ثم أتى المربد فاذا عون بن سلامة واقف فصاح به فوقف ، ولو لم يقف كان أخف لهجائه ، قال أبو حزابة

يا عون قف واستمع الملامة لا سلم الله على ســـلامة
زنجية تحســـبها نعامة شكاء شان جسمها دمامة

ومما مدح به طلحة الطلحات قوله

يا طلح يأبى مجدك الإخلافا والبخل لا يعترف اعترافا
ان لنا أحمرة عجافا يأكلن كل ليلة إكافا

فأمر له بابل ودراهم وقال هذه مكان أحمرتك

قيل لأبي حزابة لو أتيت يزيد بن معاوية لفرض لك وشرفك وألحقك بعلية أصحابه فلست دونهم وكان أبو حزابة يومئذ غلاماً حدثاً ، وكان معاوية حياً ويزيد أميراً يومئذ ، فلما أكثر قومه عليه فى ذلك وفى قولهم أنك ستشرف بمصيرك اليه قال

يشرفني سيفي وقلب مجانب لكل لئيم باخل ومعلهج
وكرى على الأبطال طرفاً كأنه ظليم وضربى فوق رأس المدجج
وقولي اذا ما النفس جاشت وأجهشت مخافة يوم شرة متأجج
عليكِ غمار الموت يا نفس انني جرىء على درء الشجاع المهجهج

فلما أكثروا عليه فى ذلك وعنفوه فى تأخره رحل الى يزيد فأقام ببابه شهراً لا يصل اليه ، فرجع وقال والله لا يرانى ما حملت عيني الماء الا أسيراً أو قتيلاً ، ثم أنشأ يقول

فوالله لا آتى يزيد ولو حوت أناملة ما بين شرق الى غرب
لأن يزيدَ غيَّرَ الله ما به جنوح الى السوءى مصر على الذنب
فقل لبنى حرب تقوا الله وحده ولا تسعدوه فى البطالة واللعب
ولا تأمنوا التغيير ان دام فعله ولم ينهه عن ذاك شيخ بنى حرب
أيشربها صرفاً اذا الليل جنه معتقة كالمسك تختال فى القلب
ويلحى عليها شاربيها وقلبه يهيم بها ان غاب يوماً عن الشرب

مدح عبد الله بن على العبشمى وهو على سجستان فلم يثبه ، فقال يهجوه

هبَّتْ تعاتبني أُما مة فى السماحة والفضال
وأَبَيْتُ عنـــد عتابها الا خلائق ذى النوال
أُعطى أخى وأحوطه جهدى وأبذل جل مالي
وأَقِيه عنـد تشاجر الـــأبطال بالأَسَل النهـال
حفظـاً له ورعاية للخاليات من الليـالى
اذ نحن نشرب قهـوة دُرْياقة كدم الغـزال
حمراء يذهب ريحهـا ما فى الرؤوس من الخبال
واذا تشعشع فى الانا ء رمت أخاها باغتيـال
وعلا الحُبـاب نخلته عقدا ينظم من لآل
تشفى السقيم بريحهـا وتميته قبـل الاجال
تلك التي تركت فؤا دَ أبى حزُابة فى ضـلال
لا يستفيق ولا يفيـــق يشوقها فى كل حال
واذا الكماة تنـــازلوا ومشى الرجال الى الرجال
وبدت كتائب تمترى مُهَج الكتائب بالعوالى
فأبو حزُابة عنـد ذا لك أخو الكريهة والنزال
يمشى الهُوَيْنَى مُعْلِما بالسيف مشياً غير آل
كالليث يترك قِرْنه متجدلا بين المجـال
انى نـــذير بنى تمـــيم من أخى قيـــل وقال
من لا يجـود ولا يسو د ولا يجـير من الهُزال
وتراه حـين يجيئه السُّـــؤَّال يولَع بالسـعال
متشاغلا متنحنحـــا كالكاب جمّع للعِظال

يعنى عبد الله بن على العبشى

وقال يثني على قومه بني تميم

لله عينا من رأى من فوارس ... أكرّ على المكروه منهم وأصبرا
وأكرم لو لاقوا سواداً مقاربا ... ولكن لقوا طمّا من البحر أخضرا
فما برحوا حتى أعضوا سيوفهم ... ذُرَى الهام منهم والحديد المسمرا
وحتى حسبناهم فوارس كهمس ... حيُوا بعدما ماتوا من الدهر أعصرا

وله يرثي ناشرة اليربوعي التميمي وقتل بسجستان في فتنة ابن الزبير

لعمري لقد هدت قريش عروشنا ... بأبيض نقّاح العشيات أزهرا
وكان حصاداً للمنايا زرعنه ... فهلا تركن النبت ما كان أخضرا
لحى الله قوماً أسلموك وجردوا ... عناجيج أعطتها يمينك ضُمَّرا
أما كان فيهم ماجد ذو حفيظة ... يرى الموت في بعض المواطن أفخرا
يكرّ كما كرّ الكُلَيبي عُهْره ... وما كرّ الا خشية أن يعيرا
فلا صلح حتى تزحف الخيل والقنا ... بنا وبكم أن يصدر الامر مصدرا

لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج وكان معه أبو حزابة نفروا بدستبّى وبها مستراد الصناجة وكان لا يبيت بها أحد الا بمائتي درهم، فبات بها أبو حزابة ورهن عندها سرجه، فلما أصبح وقف لعبد الرحمن فلما أقبل صاح به وقال

أمر عُضال نابني في العَجّ ... كأنني مطالب بخَرْج
ومستراد ذهبت بالسرج ... في فتنة الناس وهذا الهَرْج

فعرف ابن الاشعث القصة وضحك وأمر بأن يفتك له سرجه ويعطى معه ألف درهم وبلغت القصة الحجاج فقال أيجاهر في عسكره بالفجور فيضحك ولا ينكر؟ ظفرت به ان شاء الله.

أبو نفيس

هو يحيى بن يَعْلَى بن مُنْيَة ومنية أم يعلى وهى بنت غَزَوان أخت عُتْبة بن غزوان وأبوه أمية بن عبدة من بني زيد مناة بن تميم ، وكان يعلى حليفاً لبنى أمية وعديداً لهم وبينه وبينهم صهر ومناسبة وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وسمع حديثاً كثيراً وروى عنه ، وعمر بعد ، وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين عَلِيّ بن أبى طالب عليه السلام

وأبو نفيس هو الذى يقول وفيه غناء

لعمرك أيها الرجل لأى الشكل تنتقل
أتهجر آل زينبَ أم تزورهمُ فتعتدل
همُ ركب لقُوا ركباً كما قد تجمع السبل
فذلك دأبنا وبذا لك تجرى بيننا الرسل

مسكين

هو ربيعة بن عامر بن أنيف الدارمى ومسكين لقب غلب عليه لقوله

أنا مسكين لمن أنكرنى ولمن يعرفنى جِدّ نطق
لا أبيع الناس عرضى انني لو أبيع الناس عرضى لنفَق

وقال أيضاً

سميت مسكيناً وكانت لجاجة وانى لمسكين الى الله راغب

وقال

إن أُدْعَ مسكيناً فليس بمنكر وهل ينكرن الشمس ذر شعاعها
لعمرك ما الأسماء إلا علامة منار ومن خير المنار ارتفاعها

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافّه فكان الفرزدق يعد ذلك فى الشدائد التى أفلت منها

كان زياد قد أرعى مسكيناً حمى له بناحية العُذَيب فى عام قحط حتى أخصب الناس وأحيوا ثم كتب له ببر وتمر وكساه فلما مات زياد رثاه مسكين فقال

رأيت زيادة الاسلام ولت جهاراً حين ودعنا زياد

فعارضه الفرزدق وكان منحرفا عن زياد لطلبه إياه واخافته له فقال

أمسكين أبكى الله عينك انما جرى فى ضلال دمعها فتحدرا
بكيت على علج بميسان كافر ككسرى على عِدّاته أو كقيصرا
أقول له لما أتانى نعيُه به لا بظبى بالصريمة أعفرا

فقال مسكين يجيبه

ألا أيها المرء الذى لست قاعداً ولا قائماً فى القوم إلا انبرى ليا
فجئني بعم مثل عمى أو أب كمثل أبى أو خال صدق كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زُرارة ذى الندى أوالبشر[1] من كل فرَعت الروابيا

فأمسك عنه الفرزدق فلم يجبه وتكافا

واتقاه الفرزدق أن يعين عليه جريراً واتقاه مسكين أن يعين عليه عبدالرحمن ابن حسان

قال أبو عبيدة أشعر ما قيل فى الغيرة قول مسكين

ألا أيها الغائر المستشيط فيم تغار اذا لم تُغِر[2]
فما خير عرس اذا خفتها وما خير عرس اذا لم تُزَر
تغار على الناس أن ينظروا وهل يفتن الصالحات النظر
وانى لأخلى لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر

(١) خال لمسكين من النمر بن قاسط (٢) أغار الرجل أهله تزوج عليها فغارت عليه

اذا الله لم يعطني حبها فلن يعطي الحب سوط مُمَرّ

لما قدم مسكين على معاوية سأله أن يفرض له فأبى عليه وكان لا يفرض إلا لليمن فخرج من عنده وهو يقول

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جَناحه وهل ينهض البازى بغير جَناح
وما طالب الحاجات إلا مغرر وما نال شيئاً طالب كنجاح

فلم يزل معاوية كذلك حتى غزت اليمن وكثرت وضعضعت عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلا من أهل اليمن قال يوماً لهممت ألاّ أدع بالشام أحداً من مُضَر بل همت ألاّ أحلّ حَبْوَتى حتى أخرج كل نزارى بالشام ، فبلغت معاوية ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خِنْدِف ، وقدم على تفيئة ذلك عُطارد ابن حاجب على معاوية فقال له مافعل الفتى الدارمى الصبيح الوجه الفصيح اللسان ؟ يعنى مسكيناً ، فقال صالح يا أمير المؤمنين ، قال أعلمه انى قد فرضت له فى شرف العطاء وهو فى بلاده فان شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل فان عطاءه سيأتيه وبشره أنى قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خِنْدِف ، وكان معاوية بعد ذلك يغزى اليمن فى البحر ويغزى قيساً فى البر فقال شاعر اليمن

ألا أيها القوم الذين تجمعوا بعكا أناس أنتمُ أم أباعر
أتترك قيس آمنين بدارهم وتركب ظهر البحر والبحر زاخر
فوالله ما أدرى وانى لسائل أهَمْدان يحمى ضيمها أم يُحابر
أم الشرف الأعلى من آل حمير بنو مالك إذ تستمر المرائر
أأوصى أبوهم بينهم أن تواصلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

فلما بلغت هذه الأبيات معاوية بعث الى اليمن فاعتذر اليهم وقال ماأغزيتكم البحر إلا أنى أتيمن بكم وإن فى قيس نكداً وأخلاقاً لايحتملها الثغر وأنا عارف

بطاعتكم ونصحكم فاما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع بينكم وبين قيس فتكونوا جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عقباً بينكم ، فرضوا ، وفعل ذلك فيما بعد

كان أصاغر ولد مروان فى حجر ابنه عبد العزيز فكتب عبد العزيز الى بشر كتابا وهو يومئذ على العراق ، فورد عليه وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورد عليه علم أنه كتبه وهو سكران فجفاه وقطع مكاتبته زماناً وبلغ بشراً عتبه عليه فكتب اليه « لولا الهفوة لم أحتج الى العذر ، ولم يكن لك فى قبوله مني الفضل ، ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضممته لزدت فيه ، وبقية الأكابر على الأصاغر من شيمة الأكارم ، ولقد أحسن مسكين الدارمى حيث يقول « أخاك أخاك البيتين » فلما وصل كتابه الى عبدالعزيز دمعت عينه وقال ان أخى كان منتشياً لما جرى منه ماجرى فسلوا عمن شهد ذلك المجلس ، فسئل عنهم فأخبر بهم ، فقبل عذره وأقسم عليه ألا يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس وأن يعزل كاتبه عن كتابته ، ففعل

قال الفرزدق نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً ، نجوت من ابن زياد حين طلبني ، ونجوت من ابني رُمَيلة وقد نذرا دمى وما فاتهما أحد طلباه قط ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى لانه لو هجانى اضطرنى أن أهدم شطر حسبى ونخرى لانه كان من بحبوحة نسبى وأشراف عشيرتى ، فكان جريرحينئذ ينتصف منى بيدى ولساني

خطب مسكين فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله وتزوجت رجلا من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين ، فمر بهما مسكين ذات يوم وتلك المرأة جالسة مع زوجها فقال

أنا مسكين لمن يعرفنى لونى السمرة ألوان العرب
من رأى ظبياً عليه لؤلؤ واضح الخدين مقروناً بضَبّ

أكسبته الورق البيض أبا ... ولقد كان وما يدعى لأب
رب مهزول سمين بيته ... وسمين البيت مهزول النسب
أصبحت ترزق من شحم الذرى ... وتخال اللؤم دراً ينتهب
لا تلمها انها من نسوة ... صخبات ملحها فوق الركب
كشموس الخيل يبدو شغبها ... كلما قيل لها هال وهب

كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً ويصله ويقوم بحوائجه عند أبيه ، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك وخاف ألاَّ يمالئه عليه الناس لحسن البقية فيهم وكثرة من يرشح للخلافة و بلغه في ذلك ذرو كلام كرهه من سعيد بن العاصي ومروان ابن الحكم وعبد الله بن عامر ، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً وينشدها معاوية فى مجلسه اذا كان حافلا وحضر وجوه بنى أمية فلما اتفق ذلك دخل مسكين اليه وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أمية حواليه وأشراف الناس فى مجلسه فمثل بين يديه وأنشأ يقول

إن أُدْعَ مسكيناً فانى ابن معشر ... من الناس أحمي عنهمُ وأذود
اليك أميرَ المؤمنين رَحَلْتها ... تثير القَطا ليلاً وهن هجود
وهاجرة ظلت كأن ظباءها ... اذا ما اتقتها بالقرون سجود
ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ... ومَرْوان أم ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلاً فانما ... يبوِّئها الرحمن حيث يريد
اذا المنبر الغربى خلاه ربه ... فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد صاعد ... لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تزل ... وفود تساميها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عالياً ... تشيد أطناب له وعمود
قُدُور ابن حرب كالجَوابى وتحتها ... أثافٍ كأمثال الرثال ركود

فقال له معاوية ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله ولم يتكلم أحد من بني أمية فى ذلك

كان لمسكين امرأة من مِنقَر وكانت فاركاً كثيرة الخصومة والمماظَّة ، فجازت به وهو ينشد قوله فى نادى قومه

ان أكِ مسكيناً فما قصرت ... قِدْرى بيوت الحى والجُدر

فوقفت عليه تسمع حتى اذا بلغ

نارى ونار الجار واحدة ... واليه قبلى تنزل القِدر

قالت له صدقت والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلى بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب ، فاذا شبع أطعمك ، أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك ، فأعرض عنها ومرَّ في قصيدته حتى بلغ قوله

ماضر جارا لي أجاوره ... ألاَّ يكون لبيته ستر

فقالت له أجل ان كان له ستر هتكته ، فوثب اليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما

سعيد الدارمى

هو سعيد الدارمى من ولد سويد بن زيد ، كان فى أيام عمر بن عبد العزيز وكانت له أشعار ونوادر وكان من ظرفاء أهل مكة وهو الذى يقول

ولما رأيتك أوليتنى ... تقبيح وأبعدت عنى الجميلا

تركت وصالك فى جانب ... وصادفت فى الناس خلاً بديلا

قدم تاجر المدينة بخُمُر فباعها وكسدت السوق منها فشكا ذلك للدرامى وكان صديقه وقد كان نسَكَ وترك الغناء وقول الشعر فقال لا تهتم بذلك فأنى سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع ثم قال

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا صنعت براهب متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

وغنى فيه فشاع فى الناس وقالوا فتك الدارمى ورجع عن نسكه فلم تبق فى المدينة ظريفة الا ابتاعت خماراً أسود حتى نفد ما كان مع التاجر فلما علم بذلك الدارمى رجع الى نسكه

ومن شعره وهو مما غنى فيه

أفق يا دارميُّ فقد بليتا وانك سوف توشك أن تموتا
أراك تزيد عشقاً كل يوم اذا ما قلت انك قد بريتا

كان الدارمى عند عبدالصمد بن على يحدثه فأغفى عبد الصمد فعطس الدارمى عطسة هائلة ففزع عبدالصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ثم استوى جالساً وقال ويلك أتفزعنى ؟ قال لا والله ولكن هكذا عُطاسى ، قال والله لأقعنك فى دمك أو تأتينى ببينة على ذلك ، فخرج ومعه حرَسىّ لا يدرى أين يذهب به ، فلقيه ابن الريان المكى فسأله فقال أنا أشهد لك ، فمضى حتى دخل على عبدالصمد ، فقال له بم تشهد لهذا ؟ قال أشهد أنى رأيته مرة عطس عطسة سقط منها ضرسه ، فضحك عبد الصمد وخلى سبيله

قال محمد بن ابراهيم الامام للدارمى لو صلحت عليك ثيابى لكسوتك ، قال فديتك ان لم تصلح علىّ ثيابك صلحت علىّ دنانيرك

خرج الدارمى مع السعاة فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم ، فأتى بها فى ثوبه وأحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه وألححن عليه وهو يردهن ، فعرفته صبية منهن فقالت يا أخواتى أتدرين من تسألن منذ اليوم ؟ هذا الدارمى السآل ، ثم أنشدت

اذا كنت لا بد مستطعما فدَع عنك من كان يستطعم

فولى الدارمي هارباً منهن وهن يتضاحكن به

مدح الدارمى عبد الصمد بن على بقصيدة واستأذنه فى الانشاد فأذن ، فلما فرغ أدخل عليه رجل من الشُّراة فقال لغلامه أعط هذا مائة دينار واضرب عنق هذا ، فوثب الدارمي فقال بأبى أنت وأمى برك وعقوبتك جميعاً نقد فان رأيت أن تبدأ بقتل هذا فاذا فرغ منه أمرته فأعطانى فانى لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك ، قال ولم ويلك ؟ قال أخشى أن يغلط فيما بيننا والغلط فى هذا لا يستقال ، فضحك وأجابه الى ما سأل

الفرزدق

همام بن غالب بن صعصعة الدارمى من دارم بن مالك بن حنظلة أمه لينة بنت قرظة الضبية وجده صعصعة يقال له محيي الموءودات وكان جعل على نفسه ألاَّ يسمع بمؤودة إلا فداها ، وقد فخر بذلك الفرزدق في عدة قصائد من شعره ، ومنها قصيدته التى أولها

أبى أحد الغيثين صعصعة الذى ... متى تُخْلِف الجوزاء والدلو يَمْطر

أجار بنات الوائدين ومن يُجِرْ ... على الفقر يَعْلم أنه غير مُخْفَر

على حين لا تحيا البنات واذ هُمُ ... عكوفاً على الأصنام حول المدوَّر

أنا ابن الذى رد المنية فضله ... فما حسب دافعت عنه بمعور

وفارق ليلى فى نساء أتت أبى ... تمارس ريحاً لها غير مقمر

فقال اجر لي ما ولدت فانني ... أتيتك من هزل الحمولة مقتر

رأى الأرض منها راحة فرمى بها ... الى جدد منها الى شر مخفر

فقال لها فيئى فانى بذمتى ... لبنتك جار من أبيها القنور

ووفد غالب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بفعله فى الموءودات ،

فاستحسنه وسأله هل لي فى ذلك من أجر ؟ قال نعم ، وعمر حتى لحق أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بالبصرة وأظنه مات فى امارة يزيد وملك معاوية

قال صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ، قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم فعرض عليَّ الاسلام فأسلمت وعلمنى آيات من القرآن ، فقلت يارسول الله انى عملت أعمالاً فى الجاهلية هل فيها من أجر ؟ فقال وما عملت ؟ فقال انى أضللت ناقتين لي عُشَراوين ، فخرجت أبغيهما على جمل ، فرفع لي بيتان فى فضاء الأرض ، فقصدت قصدهما ، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً ، فقلت له هل أحسست من ناقتين عُشَراوين ؟ قال وما نارهما ؟ (يعنى السِّمة) ، فقلت ميسم بنى دارم ، فقال قد أصبت ناقتيك ونتجناها وظأرنا على أولادهما ونعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مُضَر ، فبينا هو يخاطبنى اذ نادته امرأة من البيت الآخر قد ولدت ، فقال وما ولدت ؟ ان كان غلاماً فقد شركنا فى قوتنا وان كانت جارية فادفنوها ، فقالت هى جارية أفأئدها ؟ فقلت وما هـذا المولود ؟ قال بنت لي ، فقلت إنى أشتريها منك ، فقال يا أخا بنى تميم أتقول لى أتبيعنى ابنتك وقد أخبرتك أنى من العرب من مضر ، فقلت انى لا أشترى منك رقبتها وانما أشترى دمها لئلا تقتلها ، فقال وبمَ تشتريها ؟ فقلت بناقتي هاتين وولديهما ، قال لا حتى تزيدنى هذا البعير الذى تركبه ، قلت نعم على أن ترسل معى رسولاً ، فاذا بلغت أهلى رددت اليك البعير ، فلما كان فى بعض الليل فكرت في نفسى فقلت ان هذه مكرمة ما سبقنى اليها أحد من العرب فظهر الاسلام وقد أحييت ثلثمائة وستين موءودة أشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فهل لي فى ذلك من أجر يارسول الله ؟ فقال عليه السلام هذا باب من البر ولك أجره اذ من الله عليك بالاسلام ، ومصداق ذلك قول الفرزدق

وجدي الذى منع الوائدات ... وأحيا الوئيـــد فلم توءد

وروى أبو عبيدة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انى حملت حمالات في الجاهلية والاسلام وعلىَّ منها الف بعير فأديت من ذلك سبعمائة ، فقال له ان الاسلام أمر بالوفاء ونهى عن الغدر ، فقال حسبي حسبي ووفى بها ، وكان صعصعة شاعرا وهو الذى يقول

إذا المرء عادى من يَوَدُّك صدره ... وكان لمن عاداك خِدْناً مصافيا
فلا تسألن عما لديه فانه ... هو الداء لا يخفى بذلك خافيا

تراهن ثلاثة نفر من كلب على أن يختاروا من تميم و بكر نفراً ليسألوهم فأيهم أعطى ولم يسألهم عن نسبهم من هم فهو أفضلهم ، فاختاروا عمير بن السُّلَيك بن قيس ابن مسعود الشيبانى وطلبة بن قيس بن عامر المنقرى وغالب بن صعصعة أبا الفرزدق فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة فقال من أنتم ؟ فانصرفوا عنه ثم أتوا طلبة بن قيس فقال لهم مثل قول الشيبانى ، فأتوا غالباً فسألوه فأعطاهم مائة ناقة ورَاعيها ولم يسألهم من هم ، فساروا ليلة ثم ردوها وأخذ صاحب غالب الرهن

وفى ذلك يقول الفرزدق

واذ نادَبَتْ كلب على الناس أيُّهم ... أحق بتاج الماجد المتكرم
على نَفَرٍ هم من نزار ذوى العلا ... وأهل الجرائيم التي لم تهدَّم
فلم يَجْزِ عن أحسابهم غير غالب ... جرَى لعِنان كل أبيض مِخْذَم

أجدبت بلاد تميم وأصابت بنى حنظلة سنة في خلافة عثمان فبلغهم خِصْب عن بلاد كلب بن وَبْرة فانتجعها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادى ، وتسرع غالب بن صعصعة وحده دون بني مالك فنحر ناقته فأطعمهم إياها فلما غادرت ابل سُحَيم ابن وَثيل الرِّياحى حبس منها ناقة فنحرها من غد ، فقيل لغالب انما نحر سحيم مواءمة لك « أى مساواة لك » فضحك غالب وقال كلا ولكنه امرؤ كريم وسوف أنظر ذلك ، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما بنى يربوع

فعقر سحيم ناقتين ، فقال غالب الآن علمت أنه يوائمني ، فعقر غالب عشراً فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشراً ، فلما بلغ غالباً فعله ضحك وكانت ابله ترد لخمس ، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها فالمكثر يقول كانت أربعمائة والمقل يقول كانت مائة فأمسك سحيم حينئذ ثم انه عقر في خلافة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في كناسة الكوفة مائتي ناقة و بعير فخرج الناس بالزنابيل والأطباق والحبال لأخذ اللحم و رآهم علي عليه السلام فقال يأيها الناس لايحل لكم انما أهل به لغير الله عز وجل ، وكان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام فجعل غالب يقول يا بني اردد عليَّ والفرزدق يردها عليه ويقول يا أبت اعقر ، قال جهم فلم يغن عن سحيم فعله ولم يجعل كغالب اذ لم يطق فعله

ومات غالب في أول أيام معاوية ودفن بكاظمة فقال الفرزدق يرثيه

لقد ضمت الأكفان من آل دارم فتى فائض الكفين محض الضرائب.

درجة الفرزدق في الشعر

جاء غالب أبو الفرزدق الى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة فقال ان بُنَيَّ هذا من شعراء مُضَر فاسمع منه ، قال علمه القرآن ، فكان ذلك في نفس الفرزدق فقيد نفسه في وقت وآلى ألاَّ يحل قيده حتى يحفظ القرآن ، قال محمد بن يحيى فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعراً موصوفاً أربعاً وسبعين سنة وندع ما قبل ذلك لان مجيئه بعد الجمل على الاستظهار كان في سنة ست وثلاثين. وتوفي الفرزدق في سنة عشر ومائة في خلافة هشام هو وجرير والحسن وابن سيرين في سنة أشهر ، وقال الفرزدق كنت أجيد الهجاء في أيام عثمان ، قيل للمفضل الضبي الفرزدق أشعر أم جرير ؟ قال الفرزدق ، قيل ولم ؟ قال لانه قال بيتاً هجا فيه قبيلتين ومدح قبيلتين فقال

عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها كما آل يربوع هجوا آل دارم

فقيل له قد قال جرير

ان الفرزدق والبعيث وأمه وأبا البعيث لشر ما إستار

فقال وأي شيء أهون من أن يقول الانسان فلان وفلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة ، وقال أبو عبيدة كان الشعراء فى الجاهلية من قيس وليس فى الاسلام مثل حظ تميم في الشعر وأشعر تميم جرير والفرزدق ، قال يونس بن حبيب ماذكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، وكان يونس فرزدقياً ، وقال الفرزدق لحماد الراوية أأنا أشعر أم جرير ؟ قال أنت فى بعض وهو فى بعض ، قال لم تناصحنى ، فقال هو أشعر منك اذا أرخى من خنـاقه وأنت أشعر منه اذا خفت أو وجوت ، قال وهل الشعر إلا في الخير والشر ، وقال جرير لابى الزناد يا أبا عبد الرحمن أنا أشعر أم هذا الخبيث ؟ « يعنى الفرزدق » وناشده ليخبرنه ، فقال لا والله ما يشاركك ولا يتعلق بك فى النسيب ، قال أوه قضيت والله له علىَّ أنا والله أخبرك مادهانى الا أنى هاجيت كذا وكذا شاعراً فسمى عدداً كثيراً وانه تفرد لي وحده ، قال ابن سلام وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلَّداً والمقلَّد البيت المستغنى بنفسه المشهور الذى يضرب به المثل ، فمن ذلك قوله

فيا عجباً حتى كليب تسبنى كأن أباها نَهْشَل أو مجاشع

وقوله

وكنا اذا الجبار صعَّر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله

وكنت كذئب السَّوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقوله

ترجى ربيع أن يجىء صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها

وقوله

أكلت دوابرَها الإكامُ فمشيها مما وُجئن كمشية الاعياء

وقوله

قوارص تأتيني ويحتقرونها وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وقوله

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جناً اذا ما نجهل

وقوله

فان تنج مني تنج من ذي عظيمة والا فاني لا إخالك ناجيا

وقوله

ترى كل مظلوم إلينا فراره ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله

فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

وقوله

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقّفوا

وقوله

وانك اذ تسعى لتدرك دارماً لأنت المغنّى يا جرير المكلف

وقوله

ولو خُير السيِّدي بين غوَاية ورشد أتى السيدي ما كان غاوياً

وقوله

والشيب ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

وكان يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو ، من ذلك قوله يمدح هشام بن اسمعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك

وما مثله في الناس الا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

وقوله

تالله قد سفهت أمية رأيها فاستجهلت سفهاؤها حلماءها

وقوله

ألستم عائجين بنا لعنّا نرى العرَصات أو أثر الخيام
فقالوا ان فعلت فأغن عنا دموعاً غير راقئة السجام

وقوله

فهل أنت إن فاتت أتانك راحل الى آل بسطام بن قيس فخاطب

وقوله

تعال فان عاهدتنى لا تخونني نكن مثل من « يا ذئب » يصطحبان

وقوله

إنا وإياك إن بلغن أرحلنا كمن باديه بعد المحل ممطور

وقوله

بنى الفاروق أمك وابن أَرْوَى به عثمان مروان المصابا

وقوله

الى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت قريش تصاهره

وقوله

اليك أمير المؤمنين رمت بنا هموم المنايا الهَوْجل المتعسف
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً أو مجلّف

وقوله

ولقد دنت لك بالتخلف اذ دنت منها بلا بخل ولا مبذول
وكأن لون رُضاب فيها اذ بدا برد بفرع بشامة مصقول

وقوله فيها لمالك بن المنذر

ان ابن ضبّاريْ ربيعة مالكاً لله سيف ضبيعة مسلول
ما نال من آل المعلّى قبله سيف لكل خليفة ورسول

قال أبو الفرج والفرزدق مقدم على الشعراء الاسلاميين هو وجرير والأخطل ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الاطالة فى الوصف ، وقد تكلم الناس فى هذا قديماً وحديثاً وتعصبوا واحتجوا بما لامزيد فيه واختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة فى أيهم أحق بالتقدم على سائرها ، فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لانه لم يلحق شأوهما في الشعر ولا له مثل مالهما من فنونه ولا تصرف كتصرفهما فى سائره وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما وهم فى ذلك طبقتان أما من كان يميل الي جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق وأما من كان يميل الى أشعار المطبوعين والى الكلام السَّمْح السهل الغزل فيقدم جريراً

وسئل ابن دأب عن جرير والفرزدق فقال الفرزدق أشعر خاصة وجرير أشعر عامة ، وسئل أبو البيداء عن ذلك فقال ألم تسمع الفرزدق يقول

ماحملت ناقة من معشر رجلا مثلى اذا الريح لقتنى على الكُور
إلا قريشاً فان الله فضلها مع النبوة بالاسلام والخير

ويقول جرير

لا تحسبن مراس الحرب إذ لقحت شرب الكسيس[1] وأكل الخبز بالصير

سلح والله أبو حَزْرة ، وقال الفرزدق كنت أهاجى شعراء قومى وأنا غلام فى خلافة عثمان بن عفان فكان قومى يخشون معرة لسانى منذ يومئذ ، قيل للفرزدق مالك وللشعر ؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ولا كان صعصعة شاعراً فمن أين لك هذا ؟ قال من قبل خالي العلاء بن قَرَظة الذي يقول

(١) شراب يتخذ من الذرة والشعير

اذا ما الدهر جرّ على أناس بكلكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقي الشامتون كما لقينا

غارة الفرزدق على الشعراء

قال أبو عبيدة مر ذو الرمة فاستوقفه أصحابه فوقف ينشدهم قصيدته التى يقول فيها

أحين أعاذت بى تميم نساءها وجُرِّدت تجريد اليمانى من الغمد
ومدّ بضبْعَيّ الرِّباب ودارم وجاشت ورامت من ورائى بنو سعد

فقال له الفرزدق إياك أن يسمعهما منك أحد فأنا أحق بهما منك ، فجعل ذو الرمة يقول أنشُدك الله فى شعري ، فقال اغرُب ، فأخذهما الفرزدق فما يعرفان الا له وكف ذو الرمة عنهما

قال عمر بن شبة كان الفرزدق مهيباً تخافه الشعراء فمر يوماً بالشمردل اليربوعى وهو ينشد قصيدة حتى بلغ الى قوله

وما بين من لم يعط سمعاً وطاعة وبين تميم غـــير حزّ العلاقم

فقال والله لتتركن هذا البيت أو لتتركن عرضك ، فقال خذه على كره منى لا بارك الله لك فيه فجعله الفرزدق فى قصيدته التي أولها

تحِنّ بزَوْراء المدينـــة ناقتى حنين عجول تبتغى البوّ رائم

وقال محمد بن سلام بلغ الفرزدق قول ابن ميادة

لو أن جميع الناس كانوا بتلْعة وجئت بجدى ظالم وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا سجوداً على أقدامنا بالجماجم

فقال الفرزدق وددت أنى سبقت الى هذين البيتين قبلُ ، قيل له فكنت تقول ما ذا ؟ قال كنت أقول « وجئت بجدى دارم وابن دارم » ثم أدخلهما بعد فى شعره وقال أبو سهيل ان قول الفرزدق فى رائيته التى يناقض بها جريراً حين يقول

كم من أب لي يا جرير كأنه قمر المجرَّة أو سراج نهار
لا تدركوا كرمي بلؤم أبيكم وأوابدي بتنحل الأشعار

ان هذين البيتين للراعي وان الفرزدق انتحلهما فصارا له

وقال موهوب بن رشيد الكلابي قدم الفرزدق المدينة فمر بجماعة من الناس قد استكفُّوا على جميل وهو ينشد ، فوقف بين الناس يستمع له حتى قال

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقَّفوا

فصاح به الفرزدق أنا أحق بهذا البيت منك ، فرفع جميل رأسه فعرفه فقال أنشدك الله يا أبا فراس ، قال نحن أولى به منك وانصرف فانتحله ، وقال احمد بن أبي طاهر قال النابغة الجعدي

وصهباء لا تخفي القذى وهي دونه تُصفَّق في راووقها ثم تُقْطَب
تمزنتها والدّيك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنَوْا فتصوبوا

فقال الفرزدق وأخذه نسخا

وإجّانة رَيَّا الشراب كأنها اذا صُفقت فيها الزجاجة كوكب
تمزنتها والديك يدعو صباحه اذا ما بنو نعش دنَوْا فتصوبوا

حديث النَّوَار

النَّوَار بنت أَعْيَن بن صعصعة وهي ابنة عم الفرزدق ، خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته ، وكان الفرزدق وليها فأرسلت اليه أن زوِّجني من هذا الرجل ، فقال لا أفعل أو تُشهدي أنك قد رضيت بمن زوَّجتك ، ففعلت ، فلما توثق منها قال أرسلي الى القوم فليأتوا ، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع ، وجاء الفرزدق فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال هل علمتم أن النوار قد ولتني أمرها وأشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء سود الحدقة ،

فنفرت من ذلك وأرادت الشخوص الى ابن الزبير حين أعياها أهل البصرة ألا يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود وأعياها الشهود أن يشهدوا لها اتقاء الفرزدق ، وابن الزبير يومئذ أمير الحجاز والعراق يدعى له بالخلافة ، فلم تجد من يحملها ، وأتت فتية من بني عديّ بن عبد مناة بن ادّ يقال لهم بنو أم النُّسير ، فسألتهم برحم تجمعهم ، وكانت بينها وبينهم قرابة ، فأقسمت عليهم أمها ليحملنّها ، فحملوها ، فبلغ ذلك الفرزدق ، فاستنهض عدة من أهل البصرة ، فانهضوه وأوقروا له عدة من الابل وأعين بنفقه فتبع النوار ، فقال

لعمرى لقد أردى النوار وساقها ... الى البَوْر أحلام خفاف عقولها
أطاعت بني أم النُّسير فأصبحت ... على قَتَب يعلو الفلاة دليلها
وقد سخطت منى النوار الذى ارتضت ... به قبلها الأزواج خاب رحيلها
وان امرأ أمسى يُخبِّب زوجتى ... كساع الى أسد الشرى يستبيلها
ومن دون أبوال الأسود بسالة ... وبسطة أيدٍ يمنع الضيمَ طولها
وإن أمير المؤمنين لعالم ... بتأويل ما وصى العباد رسولها
فدونكها يا ابن الزبير فانها ... مولعة يوهى الحجارة قيلها
وما جادل الأقوام من ذى خصومة ... كوَرْهاء مشنوء اليها حليلها

فأدركها وقد قدمت مكة ، فاستجارت بخَوْلة بنت منظور بن زَبّان الفزاري ، وكانت عند عبد الله بن الزبير ، فلما قدم الفرزدق مكة اشرأبَّ الناس اليه ونزل على بنى عبد الله بن الزبير ، فاستنشدوه واستحدثوه ثم شفعوا له الى أبيهم ، فجعل يشفعهم فى الظاهر حتى اذا صار الى خَوْلة قلبته عن رأيه ، فمال الى النوار ، فقال الفرزدق فى ذلك

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم ... وشُفِّعت بنت منظور بن زَبّانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزراً ... مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

ومدح حمزة بن الزبير فقال

أمسيت قد نزلت بحمزة ناقتي ... ان المنوه باسمه الموثوق
بأبي عمارة خير من وطىء الحصا ... وجرت له فى الصالحين عروق
بين الحواريِّ الأغرّ وهاشم ... ثم الخليفة بعد والصـــديق

وقال له

يا حمز هل لك فى ذى حاجة عرضت ... أنصاره بمكان غير ممطور
فأنت أحرى قريش أن تكون لها ... وأنت بين أبى بكر ومنظور
بين الحوارىّ والصديق فى شعب ... ثبتين فى طُنُب الاسلام والخير

وسفر بين الفرزدق والنوار رجال من بني تميم كانوا بمكة ، فاصطلحا على أن يرجعا الى البصرة ولا يجمعهما ظلٌّ ولا كِنٌّ حتى يجمعا فى أمرهما ذلك بنى تميم ، ويصيرا على حكمهم ، ففعلا ، فلما صارا الى البصرة رجعت اليه النوار بحكم عشيرتها ، ويروى أن ابن الزبير قال للفرزدق جئنى بصداقها والا فرقت بينكما ، فقال الفرزدق أنا فى بلاد غربة فكيف أصنع ؟ قالوا له عليك بسلم بن زياد فانه محبوس فى السجن يطالبه ابن الزبير ، فذهب اليه فقص عليه قصته ، قال كم صـداقها ؟ قال أربعة آلاف ، فأمر له بها و بألفين للنفقة ، فقال الفرزدق

دعى مغلق الأبواب دون فعالهم ... ولـكن تمشّى بى هُبلت الى سَلْم
الى من يرى المعروف سهلا سبيلُه ... ويفعل أفعال الرجال التى تَنْمى

ومكثت النوار عنـده زماناً ترضى عنه أحياناً وتخاصمه أحياناً ، وكانت النوار امرأة صالحة ، فلم تزل تشـمئز منه وتقول له ويحك أنت تعلم أنك انما تزوجت بى ضغطة وعلى خدعة ثم لا تزال فى كل ذلك حتى حلفت بيمين موثقة ثم حنثت ، وتجنبت فراشه فتزوج عليها امرأة يقال لها جُهَيْمة من النمر بن قاسط حلفاء لجرير ابن عباد بن ضبيعة فجعل يأتى النوار و به رَدَع وعليه الأثر ، فقالت له النوار هل يزوجتها الاهدادية ؟ تعنى حيا من أزْد عمان ، فقال الفرزدق فى ذلك

تريك نجوم الليل والشمس حية زِحام بنات الحرث بن عِبـاد
أبوها الذى قاد النعامة بعدما أبت وائل فى الحرب غير تمـاد
نساء أبوهن الأغر ولم تكن من الأزد فى جاراتها وهِداد
ولم يك فى الحى الغموض محلها ولا فى العُمانيين رهط زياد
عدلتُ بها ميلَ النّوار فأصبحت وقد رضيت بالنصف بعـد بعاد

فلم تزل النوار ترققه وتستعطفه حتى أجابها الى طلاقها وأخذ عليها بألاّ تفارقه ولا تبرح من منزله ولا تتزوج رجلا بعده ولا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له وأخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها ففعل ذلك ، قال أبو شقفل راوية الفرزدق ما استصحب الفرزدق أحداً غيرى وغير راوية آخر وقد صحبت النوارُ رجالا كثيرة إلا أنهم كانوا يلوذون بالسوارى خوفاً من أن يراهم الفرزدق فأتيا الحسن فقال له الفرزدق يا أبا سعيد ، قال له الحسن ما تشاء ؟ قال اشهد أن النوار طالق ثلاثاً ، فقال الحسن قد شهدنا ، فلما انصرفنا قال يا أبا شقفل قد ندمت ، فقلت والله انى لأظن أن دمك يترقرق أتدري من أشهدت ؟ والله لئن رجعت لترجَمنَّ بأحجارك فمضى وهو يقول

ندمت ندامة الكُسَعِيّ لما غدت منى مطلقـة نَوار
ولو أنى ملكت يدى وقلبي لكان علىَّ للقدر الخيـار
وكانت جنتى فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
وكنت كفاقىء عينيه عمداً فأصبح ما يضىء له النهار

تزوج الفرزدق حمدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيبانى وخاصمته النوار وأخذت بلحيته فجاءت بها وخرج وهو يقول

قامت نوار الىّ تنتف لحيتى تنتاف جعدة لحية الخشخاش
كلتاهما أسد اذا ما أغضبت واذا رضين فهن خير معاش

والخشخاش رجل من عنزة ، وجعدة امرأته ، فجاءت جعدة الى النوار فقالت مايريد منى الفرزدق أما وجد لامرأته أسوة غيرى ، وقال الفرزق للنوار يفضل عليها حدراء

لعمرى لأعرابية فى مظلة ... تظل بروقى بيتها الريح تخفق
أحب الينا من ضناك (١) مفنة ... اذا وضعت عنها المراويح تعرق
كريم غزال أو كدرة غائص ... تكاد اذا مرت لها الارض تشرق

فلما سمعت النوار ذلك أرسلت الى جرير وقالت للفرزدق والله لأخزينك يافاسق ، فجاء جرير فقالت أما ترى ماقال الفاسق ؟ وشكته وأنشدته شعره ، فقال جرير أنا أكفيك وأنشأ يقول

ولست بمعطى الحكم عن شفٍ منصب ... ولا عن بنات الحنظليين راغب
أراهن ماء المزن يشفى به الصدا ... وكانت ملاحاً غيرهن المشارب
لقد كنت أهلاً اذ تسوق دياتكم ... الى آل زيق أن يعيبك عائب
وما عدلت ذات الصليب ظعينة ... عتيبة والردفان منها وحاجب
أأهديت يازيق بن زيق غريبة ... الى شر ماتهدى اليه الغرائب

فأجابه الفرزدق فقال

تقول كليب حين مثت سبالها ... وأخصب من مروتها (٢) كل جانب
ألست اذا القعساء أنسل ظهرها ... الى آل بسطام بن قيس بخاطب
وقالوا سمعنا ان حدراء زوجت ... على مائة شم الذرى والغوارب
فلو كنت من ألقاء حدرة لم تلم ... على دارمى بين ليلى وغالب
وانى لأخشى إن خطبت اليهم ... عليك الذى لاقى يسار الكواعب

(١) الضناك الموثق الخلق الشديد للذكر والانثى والمرأة المكتنزة الثقيلة العجز ، ورجل مفن يأتي بالعجائب وامرأة مفنة (٢) المروت واد بالعالية

ولو تُنكح الشمس النجوم بناتها اذاً لنكحناهن قبل الكواكب

دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء التيمية يستميحه مهرها، فقال له تزوجت أعرابية على مائة بعير، فقال له عنبسة بن سعيد انما هي فرائض قيمتها ألفا درهم، فقال له الحجاج ليس غيرها، يا كعب أعط الفرزدق ألفي درهم، وقدم الفضيل العنزي بصدقات بكر بن وائل فقال الفرزدق قد اشتريت منه مائة بعير بألفين وخمسمائة على أن يحتسب له فان رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين وخمسمائة درهم ونسي ما كان أمر له به، فلما جاء الفرزدق بالابل قالت له النوار خسرت صفقتك أتتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء الساقين على مائة من الابل فقال يعرض بالنوار وكانت أمها وليدة

لجارية بين السليل عروقها وبين أبي الصهباء من آل خالد
أحق باغلاء المهور من التي ربت تتردى في حجور الولائد

فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها فحبس بعضها وامتار عليها ما يحتاج اليه أهل البادية ومضى حتى اذا وقف على نادي زيق وهو جالس فرحب به وقال له انزل فان حدراء قد ماتت، وكان زيق نصرانياً، فقال قد عرفنا أن نصيبك من ميراثها في دينكم النصف وهو لك عندنا، فقال الفرزدق والله لا أرزؤك منه قطميرا، فقال زيق يا بني دارم ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة ولا أكرم منكم شركة في الممات، فقال الفرزدق

عجبت لحادينا المقسم سيره بنا موجفات من كلال وظلّعا
ليُدنينا ممن الينا لقاؤه حبيب ومن دار أردنا لتجمعا
ولو نعلم الغيب الذي من أمامنا لكرّ بنا الحادي المطيّ فأسرعا
يقولون زر حدراء والترب دونها وكيف بشيء وصله قد تقطعا
ولست وان عزت إليّ بزائر ترابا على مرموسة قد تضعضعا

تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من مجاشع بعد أن أسن فضعف وتركها عند أمها بالبادية سنة ولم يكن صداقها عنده فكتب الى أبان بن الوليد البجلي وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسْرى فأعطاه فقال يمدحه

فلو جمعوا من الخلان ألفا ... فقالوا أعطنا بهمُ أبانا
لقلت لهم اذا ما تغبنوني ... وكيف أبيع من شرط الزمانا
خليل لا يرى المائة الصفايا ... ولا الخيل الجياد ولا القِيانا
عطاء دون أضعاف عليها ... ويطعم ضيفه العُبُط[1] السمانا
فما أرجو لظبية غير ربى ... وغير أبى الوليد بما أعانا
أعان بهجمة ورضا أباها ... وكانت عنده غلقا رهانا

وقال أيضاً

لقد طالما استودعت ظبية أمها ... وهذا زمان رد فيه الودائع

وقال حين أراد أن يبني بها

أبادر سؤالا بظبية انني ... أتتني بها الأهوال من كل جانب
ثمالية الحجلين لو أن ميتاً ... ولو كان فى الأموات تحت النصائب
دعته لألقى الترب عند انتفاضه ... ولو كان تحت الراسيات الرواسب

وقد نشزت منه ظبية ونافرته الى المهاجر وبلغه قول جرير

لو قد علقت من المهاجر سلما ... لنجوت منه بالقضاء الفاصل

فقال لو أتتني بالملائكة معها لقضيت للفرزدق عليها ،

وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية وكانت زنجية وكان اذا حمي الوطيس وبلغ منه الهجاء يكتني بها ويقول

ذاكم اذا ما كنت ذا محمية ... بدارمى أمه ضبّية
صَمَخْمَخ يكنى أبا مكية

(١) العبط الابل التى لا وجع بها

وقال في أم مكية

فان يك خالها من آل كسرى فكسرى كان خيراً من عقال
وأكثر جزية تُهدى اليه وأصبر عند مختلف العوالي

وكانت أم النوار خراسانية فقال لها فى أم مكية

أغرك منها لَوْثة عربية علت لونها ان البجادى أحمر

وكانت له جارية حملت منه ثم ماتت فبكاها وبكى ولده منها فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أُنح عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى جفنه من دارم ذو حفيظة لو آن المنايا أنسأته لياليا
ولكن ريب الدهر يعثر بالفتى فلم يستطع رداً لما كان جائيا

وكان للفرزدق ثلاثة أولاد لبطة وحنظلة وسبطة ، وكان لبطة من العقَقة ، فقال له الفرزدق

أأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت يداك يدى ليث فانك جاذبه
اذا غالب ابن الشباب أبا له كبيراً فان الله لا بد غالبه
رأيت تباشير العقوق هي التى من ابن امرئ ما ان يزال يعاتبه
ولما رآنى قد كبرت وأنني أخو الحى واستغنى عن المسح شاربه
أصاخ لعربان النجى وانه لأزورُ عن بعض المقالة جانبه

أتى الفرزدق عبد الله بن سلم الباهلى فسأله فثقل عليه الكثير وخشيه فى القليل وعنده عمرو بن عفراء الضبي فقال لعبد الله لايهولنك أمره أنا أرضيه عنك بدون ما كان هم له به فأعطاه ثلاثمائة درهم فقبلها الفرزدق ورضى فبلغه صنيع عمرو فقال

ستعلم ياعمرو بن عفرا من الذى يلام اذا ما الأمر غبّت عواقبه
فلو كنت ضبياً صفحت ولوسرت على قدمى حياته وعقاربه
ولكن ديافي أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

ولما رأى الدهنا رمته جبالها وقالت ديافى مع الشأم جانبه
فان تغضب الدهنا عليك فما بها طريق لمرتاد تقاد ركائبه
تضن بمال الباهلى كأنما تضن على المال الذى أنت كاسبه
وان امرأ يغتابنى لم أطأ له حريماً ولا ينهاه عنى أقاربه
كمحتطب يوماً أساود هضبة أتاه بها فى ظلمة الليل حاطبه
أحين التقى نابای وابيض مسحلى وأطرق اطراق الكرى من يجانبه

ومن قوله يمدح سليمان بن عبد الملك

وكم أطلقت كفاك من غُلّ بائس ومن عقدة ما كان يرجى انحلالها
كثير من الايدى التى قد تكتفت فظلت وأعناقاً عليها غلالها

لما عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق بعمر بن هُبيرة قال الفرزدق

ولت بمسلمة الركاب مودعا فارعَيْ فزارة لا هناك المرتَع
فسد الزمان وبدلت أعلامه حتى أميـة عن فَزارة تنزع
ولقد علمت اذا فزارة أمرت أن سوف تطمع في الامارة أشجع
وخلق مثلك ماهمُ ولمثلهم فى مثل ما نالت فزارة مطمع
عزل ابن بشر(١) وابن عمرو قبله(٢) وأخو هراة(٣) لمثلها يتوقع

ولما عزل ابن هبيرة بخالد بن عبد الله القسرى حبسه خالد فى السجن فنقب اله سرب فخرج منه فهرب الى الشأم فقال فيه الفرزدق

لما رأيت الارض قد سد ظهرها ولم تر الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجا

(١) عبد الملك بن بشر بن مروان كان على البصرة (٢) سعيد بن حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة (٣) عبد العزيز بن الحكم بن أبى العاص

خرجت ولم تمنن عليك شفاعة سوى ربذ[1] التقريب من آل أعوجا
أغر من اللحق اللهاميم اذ جرى جرى بك محبوك القرى غير أفحجا
جرى بك عريان الحماتين ليله به عنك أرخى الله ما كان أشرجا[2]
وما احتال محتال كحيلته التى بها نفسه تحت الصريمة أولجا
وظلماء تحت الارض قد خضت هولها وليل كلون الطيلسانى أدعجا
هما ظلمتا ليل وأرض تلاقتا على جامع من همه ما تعرجا

وقال فى خالد وقد حفر النهر الذى سماه المبارك وأمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر فقال الفرزدق

أهلكت مال الله فى غير حقه على النهر المشئوم غير المبارك
وتضرب أقواماً صحاحا ظهورهم وتترك حق الله فى ظهر مالك
أإنفاق مال الله فى غير كنهه ومنعاً لحق المرملات الضرائك

دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده

ترى الغر الجحاجح من قريش اذا ما الخطب فى الحدثان غالا
وقوفاً ينظرون الى سعيد كأنهم يرون به هلالا

ومن فخره

وما قوم اذا العلماء عدت عروق الأكرمين الى تراب
بمختلفين ان فضلتمونا عليهم فى القديم ولا غضاب
ولو رفع السحاب اليه قوماً علونا فى السماء الى السحاب

ولما ذكر فى شعره خالدا القسرى ومالك بن المنذر حبسه خالد ، فمدحهما وهو محبوس مديحاً كثيراً منه

---

(١) الربذ خفة القوائم فى المشى وأعوج فرس مشهور (٢) أشرجه شده بالشرج وهو العرى

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل ... وليعلمن من القصائد قيلي
يا مال هل لك في كبير قد أتت ... تسعون فوق يديه غير قليل
فتجير ناصيتي وتفرج كربتي ... عني وتطلق لي يداك كبولي
ولقد بنى لكم المعلى ذروة ... رفعت بناءك في أشم طويل
والخيل تعلم في جذيمة أنها ... تردي بكل سميذع بهلول
فاسقوا فقد ملأ المعلى حوضكم ... بذنوب ملتهم الرباب سجيل

وقال لابنه لبطة وهو محبوس اشخص الى هشام ومدحه بقصيدة وقال استعن بالقيسية ولا يمنعك قولي فيهم فانهم سيغضبون لك وقال

بكت عين محزون ففاض سجامها ... وطالت ليالي حادث لا ينامها
فان تبك لا تبك المصيبات اذ نأى ... بها الدهر والأيام جم خصامها
ولكنما تبكي تهتك خالد ... محارم منا لا يحل حرامها

فأعانته القيسية وقالوا كلما كان في قيس ناب أو شاعر أو سيد وثب عليه خالد

وقال الفرزدق أبياتاً كتب بها الى سعيد بن الوليد الأبرش

الى الأبرش الكلبي أسندت حاجة ... توا كلها حيا تميم ووائل
على حين ان زلت بي النعل زلة ... فأخلف ظني كل حاف وناعل
فدونكم يا ابن الوليد فانها ... مفضلة أصحابها في المحافل
ودونكها يا ابن الوليد فقم بها ... قيام امرىء في قومه غير خامل

فكلم هشاماً فأمر بتخليته ، فقال يمدح الأبرش

لقد وثب الكلبي وثبة حازم ... إلى خير خلق الله نفساً وعنصرا
الى خير أبناء الخليفة لم يجد ... لحاجته من دونها متأخرا
أبى حلف كلب في تميم وعقدها ... كما سنت الآباء أن يتغيرا

وكان هذا الحلف حلفاً قديماً بين تميم وكلب في الجاهلية

وقال

ألم تر قيساً قيس عيلان شمرت لنصرى وحاطتنى هناك قرومها
فقد حالفت قيس على الناس كلهم تميما فهم منهـــا ومنها تميمها
وعادت عدوى ان قيساً لأسرتى وقومى اذا ما الناس عد صميمها

وقال يمدح بني المهلب

فلأمدحن بني يزيد مدحة غرّاء قاهرة على الأشـــعار
مثل النجوم أمامها قمراؤها تجلو العمى وتضىء ليل السارى
ورثوا الطعان عن المهلب والقرى وخلائقاً كتدفق الأنهار
كان المهلب للعراق وقاية وحيا الربيع ومعقل الكرار
واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار
مازال مذ شـــد الازار بكفه ودنا فأدرك خمسة الأشبار
أيزيد انك للمهلب أدركت كفاك خير خلائق الأخيار

دخل الفرزدق على بعض خلفاء بنى مروان ، ففاخره قوم من الشعراء فقال

ما حملت ناقة من معشر رجلاً مثلى اذا الريح لفتنى على الكور
أعز قوماً وأوفى عند مكرمة معظم من دماء القوم مهجور
الا قريشاً فان الله فضـــلها على البرية بالاســـلام والخير
تلقى وجوه بنى مروان تحسبها عند اللقاء مشوفات الدنانير

غضب زياد على الفرزدق وأخافه ، فأتى عيسى بن خصيلة البهزى السلمى ، فرحب به وأعطاه ناقة أرحبية يركبها الى الشام ، فركب الناقة وخرج من عنده ليلاً ، وقال يمدحه

كفانى بها البهزىّ حملان من أبى من الناس والجانى تخاف جرائمه
فتى الجود عيسى ذو المكارم والعلا اذا المال لم ترفع بخيلا كرائمه

ومن كان يا عيسى يؤنب ضيفه فضيفك يا عيسى هنيئاً مطاعمه
وقال تعلّم أنهـا أرْحَبيّة وأن لك الليل الذى أنت جاشمه
فأصبحت والملقى ورأى وحنبل وما صدرت حتى تلا الليل عاتمه
فمرت على أهل الحُفَير كأنها ظليم تبارى جنح ليل نعامه
رأت بين عينيها رُوَيّة وانجلى لها الصبح عن صَعْل أسيل مخاطمه

وقال

تداركني أسباب عيسى من الرَّدَى ومن يك مولاه فليس بواحد
نمته النواصى من سُلَيم الى العلا وأعراق صدق بين نصر وخالد
سأثنى بما أوليتني وأَرُبُّه اذا القوم عدوا فضلهم فى المشاهد

وسار الى المدينة وعليها سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية فأمنه، فبلغ الفرزدق أن زياداً قال لو أتانى أمنته وأعطيته فقال فى كلمة له

دعانى زياد للعطاء ولم أكن لآتيه ما ساق ذو حسب وقرا
وعند زياد لو أراد عطاءهم رجال كثير قد يرى بهمُ فقرا
قعود لدى الابواب طلاب حاجة عَوَانٍ من الحاجات أو حاجة بكرا
فلما خشيت أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو مُحَدْرجة سمرا
نميت الى حرف أضر بنيّها سُرَى الليل واستعراضها البلد القفرا

وقال فى سعيد بن العاص

ألا من مبلغ عنى زياداً مغلغلة يَخُبُّ بها البريد
بأنى قد فررت الى سعيد ولا يُسْطاع ما يحمى سعيد
فررت اليه من ليث هِزَبْر تفادى عن فريسته الأُسود
فان شئت انتميت الى النصارى وناسبني وناسبت العبيد
وان شئت انتميت الى فُقَيم وناسبني وناسبت القرود

وأبغضهم إليّ بنو فُقَيم ولكن سوف آتي ما تريد

مرَّ أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق وهو يهنأ بعيراً له بنفسه ، فقال له أسماء أكسد شعرك واطَّرحتك الملوك فصرت الى مهنة ابلك ؟ فقد أمرت لك بمائة بعير فقال الفرزدق يمدحه

ان السماح الذي في الناس كلهمُ قد حازه الله للفضال أسماء
يعطي الجزيل بلا من يكدره عفواً ويُتبع آلاءً بنعماء
ماضر قوماً إذا أمسي يجاورهم ألا يكونوا ذوي إبل ولا شاء

وفد الحُتات عم الفرزدق على معاوية فمات ، فأمر معاوية بماله فأُدخل بيت المال فخرج الفرزدق الى معاوية وهو غلام فمثل بين يديه وقال

أبوك وعمي يا معاوى أورثا تراثاً فيحتاز التراب أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته وميراث حرب جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الأمر في جاهلية علمت مَن المولى القليل حلائبه
ولو كان هذا الأمر في ملك غيركم لأداه لي أو غص بالماء شاربه

فقال له معاوية من أنت ؟ قال أنا الفرزدق ، قال ادفعوا اليه ميراث عمه الحتات وكان الف دينار ، فدفع اليه

حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة وكان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غُمار الناس في الطواف فقال من هذا الشاب الذي تَبْرُق أسِرَّة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي وجوهها ؟ فقالوا هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحِلُّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهمُ هذا التقي النقي الطاهر العَلَم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هـذا بضائره ... العُرب تعرف من أنكرت والعجم
اذا رأته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهى الكرم
يُغضِي حياء ويُغضَى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم
بكفه خَيزُران ريحها عبق ... من كف أَرْوَعَ فى عِرْنينه شمم
يكاد يمسكه عرفانَ راحته ... ركنُ الحطيم اذا ماجاء يستلم
الله شرفه قِدماً وعظمه ... جرى بذاك له فى لوحه القلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم ... لأولية هـذا أو له نعم
من يشكر الله يشكر أوليـة ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأُمم
يَنمِي إلى ذروة الدين التى قَصُرَت ... عنها الأكف وعن ادراكها القدم
مَنْ جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأُمم
مشتقة من رسول الله نَبْعته ... طابت مغارسه والخِيم والشيم
ينشق ثوب الدُّجَى عن نور غُرّته ... كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم
من معشر حبهم دين وبغضهمُ ... كفر وقربهمُ مَنْجًى ومعتصَم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهمُ ... فى كل بدء ومختوم به الكلم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أوقيل من خير أهل الارض ؟ قيل هم
لا يستطيع جواد بعدُ جودَهمُ ... ولا يدانيهمُ قوم وان كرموا
يستدفع الشر والبلوى بحبهمُ ... ويستربّ به الاحسان والنعم

فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينه فقال

أتحبسنى بين المدينة والتى ... اليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد ... وعيناً له حَوْلاء بادٍ عيوبها

فبلغ شعره هشاماً فأطلقه

كان فتى فى بني حرام بن سماك شويعر قد هجا الفرزدق فأخذه قومه فأتوا به الفرزدق وقالوا هو بين يديك فان شئت فاضرب وان شئت فاحلق لا عَدْوَى عليك ولا قصاص نخلى عنه وقال

فمن يك خائفاً لأذاة قولى فقد أمن الهجاء بنو حَرام
هم قادوا سفيههم وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام

الفرزدق وزياد

كان سبب هرب الفرزدق من زياد وهو على العراق أنه كان هجا بنى فُقَيم فقال فيهم

وآب الوفد وفد بني فُقَيم بأخبث ما تؤب به الوفود
أتونا بالقرود معادليها فصار المجد للجد السعيد

وقال يهجو زيد بن مسعود الفُقَيمى والأشهب بن رُمَيلة بأبيات منها قوله

تمنى ابن مسعود لقائى سفاهة لقد قال مينا يوم ذاك ومنكرا
غَناء قليل عن فُقَيم ونَهْشَل مُقام هجين ساعة ثم أدبرا

يعنى الأشهب بن رميلة ، وكان الأشهب خطب الى بنى نقيم فردوه وقالوا له اهج الفرزدق حتى نزوجك ، فرجز به الأشهب فقال

ياعجبا هل يركب القَيْنُ الفرس وعرق القين على الخيل نَجَس
وانما سلاحه اذا حبس الكلبتان والعَلاة والقبس

فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه فأرفث له وألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء فشكوه الى زياد وكان يزيد بن مسعود ذا منزلة عنده ، فطلبه زياد فهرب فأتى بكر ابن وائل فأجاروه ، فقال الفرزدق

انى وان كانت تميم عمارتى وكنت الى القُدْموس منها القماقم

لَمُثْنٍ على أفنـاء بكر بن وائل ثنـاء يوافى ركبهم فى المواسم
هم يوم ذى قار أناخوا فجالدوا برأس به تدمَى رؤس الصلادم

وهرب حتى أتى سعيد بن العاصى فأقام بالمدينة يشرب ويدخل الى القيان وقال

اذا شئت غنانى من العاج قاصف على معصم ريَّان لم يتخـدد
لبيضاء من أهل المدينة لم تمش ببؤس ولم تتبع حمولة مجحـد
وقامت تخشيني زياداً وأجفلت حوالىَّ فى برد يمان ومجسد
فقلت دعينى من زياد فانني أرى الموت وقافا على كل مرْصد

فبلغ شعره مروان فدعاه وتوعده وأجله ثلاثاً وقال اخرج عني ، فأنشأ يقول

دعانا ثم أجلنـا ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عنى انى أجبته فقلت

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينـــة انها محظورة والحق بمكة أو ببيت المقـــدس

وعزم على الشخوص الى مكة فكتب له مروان الى بعض عماله ما بين مكة والمدينة بمائتي دينار فارتاب بكتاب مروان فجاء به اليه وقال

مَرْوانُ ان مطيتى محبوسـة ترجو لخباء وربها لم ييأس
وأتيتنى بصحيفة مختـــومة يخشى علىّ بها خباء النقْرِس
ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن نَكِداً كمثل صحيفة المتلمّس

ورمى بها الى مروان ، فضحك وقال ويحك انك أمىّ لا تقرأ فاذهب بها الى من يقرؤها ثم ردها حتى أختمها ، فذهب بها ، فلما قرئت اذا فيها جائزة ، فردها الى مروان فختمها ، وأمر له الحسين بن على عليهما السلام بمائتي دينار ،

لما ولي خالد بن عبدالله العراق ولى مالك بن المنذر شُرْطة البصرة فقال الفرزدق

يبغض فينا شرطة البصر أننى رأيت عليها مالكاً عقب الكلب

فقال مالك علىّ به ، فمضوا به اليه فقال

أقول لنفسى اذ تغصّ بريقها ألا ليت شعرى مالها عند مالك

فسمع قوله حائك يطلّع من طرازه فقال

لها عنده أن يرجع الله ريقها اليها وتنجو من عظيم المهالك

فقال الفرزدق هذا أشعر الناس وليعودن مجنوناً يصيح الناس فى أثره ، فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال هيه « عقب الكلب » قال ليس هذا قلت ، وانما قلت

ألم ترنى ناديت بالصوت مالكاً ليسمع لما غصّ من ريقه الفم

أعوذ بقبر فيه أكفان منذر فهن لأيدي المستجيرين محرم

قال قد عذت بمعاذ وخلى سبيله

قال ابراهيم بن محمد بن سعيد بن وقاص قدم الفرزدق المدينة فى امارة أبان بن عثمان فأتى الفرزدق وكثير عزة ، فبينا هما يتناشدان الأشعار اذ طلع عليهما غلام شخت رقيق الأدمة فى ثوبين ممصرين فقصد نحونا ولم يسلم وقال أيكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال لو كان كذلك لم أقل هذا ، فقال له الفرزدق من أنت لا أم لك ؟ قال رجل من الأنصار ثم من بنى النجار ثم أنا ابن أبى بكر بن حزم بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب وتزعمه مضر وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة فان قلت مثله فأنت أشعر العرب كما قيل والا فأنت متحل كذاب ثم أنشده « ألم تسأل الربع الجديد التكلما » حتى بلغ الى قوله

وأبقى لنا مر الحروب ورزؤها سيوفاً وأدراعاً وجمعاً عرمرما

لنا حاضر فعم وبادٍ كأنه شمارخ رضوى عزة وتكرما

متى ما تردنا من معدّ عصابة وغسان تمنع حوضنا أن يهدما

بكل فتى عارى الأشاجع لاحه قراع الكماة يرشح المسك والدما

ولدنا بنى العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما
نسوّد ذا المال القليل اذا بدت مروءته فينا وان كان معدِما
وانا لنقرى الضيف ان جاء طارقاً من الشحم ما أمسى صحيحاً مسلما
لنا الجفنات الغُرّ يلمعن فى الضحي وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فأنشده القصيدة وهى نيف وثلاثون بيتاً وقال له قد أجلتك فى جوابها حولا، فانصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءه وما يدرى أين يضع طرفه حتى خرج من المسجد ، فأقبل على كثير فقال قاتل الله الأنصار ما أفصح لهجتهم وأوضح حجتهم وأجود شعرهم ، فلم نزل فى حديث الأنصار والفرزدق بقية يومنا حتى اذا كان من الغد خرجت من منزلي الى المسجد الذى كنت فيه بالأمس فأتى كثير فجلس معى وانا لنتذاكر الفرزدق ونقول ليت شعرى ما صنع اذ طلع علينا في حلة أفواف قد أرخى غديرته حتى جلس فى مجلسه بالأمس ثم قال ما فعل الأنصارى ؟ فملنا منه وشتمناه ، فقال قاتله الله ما مُنيت بمثله ولا سمعت بمثل شعره ، فارقته وأتيت منزلي فأقبلت أُصعّد وأُصوّب فى كل فن من الشعر فكأنى مُفحَم لم أقل شعراً قط حتى اذا نادى المنادى بالفجر رحلت ناقتى وأخذت بزمامها حتى أتيت ريانا «وهو جبل بالمدينة» ثم ناديت بأعلى صوتى أخاكم أخاكم « يعنى شيطانه » فجاش صدرى كما يجيش المِرْجَل فعقلت ناقتى وتوسدت ذراعها فما سكت حتى قلت مائة بيت من الشعر وثلاثة عشر بيتاً ، فبينا هو ينشد اذ طلع الأنصارى حتى اذا انتهى الينا سلم علينا ثم قال انى لم آتك لأعجلك عن الأجل الذى وقتّه لك ولكني أحببت ألاّ أراك الا سألتك إيش صنعت ، فقال اجلس وأنشده قوله

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
ولج بك الهجران حتى كأنما ترى الموت فى البيت الذى كنت تألف

حتى بلغ الى قوله

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

وأنشدها الفرزدق حتى بلغ الى آخرها ، فقام الأنصارى كئيباً ، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن حزم فى مشيخة من الأنصار فسلموا عليه وقالوا يا أبا فِراس قد عرفت حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا أن سفيهاً من سفهائنا تعرض لك فنسألك بحق الله وحق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهبتنا له ولم تفضحنا ، قال محمد بن ابراهيم فأقبلت عليه أكلمه فلما أكثرنا عليه قال اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشى

يقول مهذب الأغانى هذه القصيدة من غر قصائد الفرزدق وعيون أشعاره وهى مائة وتسعة عشر بيتاً يقول فيها

سيعلم من سامى تميما اذا هوت ... قوائمه فى البحر من يتخلف
فسعد جبال العز والبحرُ مالك ... فلا حضَن يَبْلَى ولا البحر يُنْزَف
لنا العزة العلياء والعدد الذى ... عليه اذا عدّ الحصا يتحاف
ولا عز الا عزنا قاهر له ... ويسألنا النِّصف الذليل فينصف
ومنا الذى لا ينطق الناس عنده ... ولكن هو المستأذن المتنصف
تراهم قعوداً حوله وعيونهم ... مكسرة أبصارها ما تَصَرَّف
وبيتان بيت الله نحن وُلاته ... وبيت بأعلى إيليـــاء مشرف
لنا حيث آفاق الـــبرية تلتقى ... عميد الحصى والقَسْورى المخندف
اذا هبط الناس المحصَّب من منى ... عشية يوم النحر من حيث عَرَّفوا
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وان نحن أومأنا الى الناس وقّفوا
ألوف ألوف من دروع ومن قَنًا ... وخيل كرَيْعان الجراد وحَرْشَف
وان نكثوا يوماً ضربنا رقابهم ... على الدين حتى يقبل المتأنف
فانك اذ تسعى لتـدرك دارما ... لأنت المعنَّى يا جرير المكلَّف

قدم الفرزدق الشام وبها جرير فقال له جرير ما ظننتك تقدم بلداً أنا فيه ، فقال له الفرزدق انى طالما أخلفت ظن العاجز

مر الفرزدق بمحمد بن وَكيع بن أبي سود وهو على ناقة فقال له غدنى ، قال ما يحضرنى غداء : قال فاسقنى سويقاً ، قال ما هو عندى ، قال فاسقني نبيذاً ، قال أوَصاحبَ نبيذ عهدتنى ؟ قال فما يقعدك فى الظل ؟ قال فما أصنع ؟ قال اطل وجهك بدِبس ثم تحول الى الشمس وامتد فيها حتى يشبه لونك لون أبيك الذى تزعمه ، قال أبو عمرو فما زال ولد محمد يسبون بذلك من قول الفرزدق

شهد الفرزدق عند اياس بن معاوية فقال أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس وزيدونا شهوداً ، فقام الفرزدق فرحاً ، فقيل له انه والله ما أجاز شهادتك ، قال بلى قد سمعته يقول قد قبلنا شهادة أبي فراس ، قالوا أفما سمعته يستزيد شاهداً آخر ؟ فقال وما يمنعه ألاَّ يقبل شهادتى وقد قذفت ألف محصَنة

كان رجل من قضاعة ثم من بني القَيْن على السِّنْد وفى حبسه رجل يقال له حبيش أو خنيس وطالت غيبته عن أهله ، فأتت أمه قبر غالب بكاظمة فقامت عليه حتى علم الفرزدق بمكانها ، ثم انها أتت فطلبت اليه فى أمر ابنها فكتب الى تميم القضاعي

هَبْ لى خُنَيساً واتخذ فيه منة ... لغُصة أم ما يسوغ شرابها

أتتني فعاذت يا تميم بغالب ... وبالحفرة السافى عليها ترابها

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى ... بظهر فلا يخفى علىّ جوابها

فلما أتاه الكتاب لم يدر أخنيس أم حبيش فأطلقهما جميعاً

ضرب مكاتب لبنى منقَر خيمة على قبر غالب فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه انهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه ثم قدم عليه وهو بالمِرْبد فقال

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ... خشيت الردى أو أن أرد على قَتْر

فخاطبني قبر ابن ليلى وقال لي فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق صدق أبي أنخ أنخ ثم طاف في الناس حتى جمع له كتابته وفضلا

قال ابن عياش لقيت الفرزدق فقلت له يا أبا فراس أنت الذي تقول

فليت الأكف الدافنات ابن يوسف يقطعن اذ غيبن تحت السقائف

فقال نعم أنا ، فقلت له ثم قلت بعد ذلك له

لئن نفر الحجاج آل معتّب لقوا دولة كان العدو يذالها

لقد أصبح الأحياء منهم أذلة وفي الناس موتاهم كلوحا سبالها

فقال الفرزدق نعم نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه فاذا تخلى عنه انقلبنا عليه

دخل قوم من بني ضبة على الفرزدق فقالوا له قبحك الله من ابن أخت قد عرضتنا لهذا الكلب السفيه « يعنون جريراً » حتى يشتم أعراضنا ويذكر نساءنا فغضب الفرزدق وقال بل قبحكم الله من أخوال فوالله لقد شرفكم من فخرى أكثر مما غضكم أفأنا ويحكم عرضتكم لسويد بن أبي كاهل حيث يقول

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر كما كل ضبي من اللؤم أزرق

ترى اللؤم فيهم لائحاً في وجوههم كما لاح في خيل الحلائب أبلق

أو أنا عرضتكم للأغلب العجلي حيث يقول

لن تجد الضبي إلا فلا عبداً اذانا وقواما ذلا

مثل قفا المدية أو أذلا حتى يكون الألأم الأقلا

أو أنا عرضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول

ولو يذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللؤم للضبي لحماً ولا دما

والله لما ذكرت من شرفكم وأظهرت من أيامكم أكثر ألست القائل

وأنا ابن حنظلة الأغر وانني في آل ضبة للمعمم المخول

فرعان قد بلغ السماء ذراهما واليهما من كل خوف يعقل

دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة وفى صدر مجلسهم فتى أسود وعلى رأسه اكليل فلم يحفل بالفرزدق ولم يُخْفِ تهاوناً فغضب الفرزدق من ذلك وقال

جلوسك فى صدر المكان مذلة ورأسك فى الاكليل إحدى الكبائر

وما نطفت كأس ولا لذ طعمها ضربت على حافاتها بالمشافر

لما مات وكيع بن أبى سود أقبل الفرزدق حين أخرج وعليه قميص أسود وقد شقه الى سرته وهو يقول

فان الذى نادى وكيعاً فناله تناول صديق النبي أبا بكر

ثمانٍ ولم يوتر وما من قبيلة من الناس إلا قد أبات على وتر

فعلق الناس الشعر فجعلوا ينشدونه حتى دفن وتركوا الاستغفار له

دخل الفرزدق على بلال بن أبى بردة فأنشده قصيدته المشهورة التى يقول فيها

فان أبا موسى خليل محمد وكفاه يمنى للهدى وشمالها

فقال ابن أبى بردة هلكت والله يا أبا فراس، فارتاع الشيخ وقال كيف ذاك؟ قال ذهب شعرك، أين مثل شعرك فى سعيد وفى العباس بن الوليد؟ «وسمى قوماً» وقال جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولهم، فغضب بلال حتى دعى له بطشت فيه ماء بارد فوضع يده فيه حتى سكن، فكلمه جلساؤه وقالوا قد كفاك الشيخ نفسه وقلما يبقى حتى يموت

لقى الفرزدق الحسين بن على عليهما السلام متوجهاً الى الكوفة خارجا من مكة فى اليوم السادس من ذى الحجة فقال الحسين صلوات الله عليه وعلى آله ما وراءك؟ قال يا ابن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك، قال ويحك معى وقر بعير من كتبهم يدعونني ويناشدونني الله، فلما قتل الحسين صلوات الله

عليه قال الفرزدق ان غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا انه سيدوم عزها وتبقى هيبتها وان صبرت عليه ولم تغير لم يزدها الله الا ذلاً الى آخر الدهر وأنشد فى ذلك

فان أنتم لم تثأروا لابن خيركم فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

سمع الفرزدق رجلا يقرأ « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » والله غفور رحيم ، فقال لا ينبغى أن يكون هذا هكذا فقيل انما هو « والله عزيز حكيم » فقال هكذا ينبغى أن يكون

قدم الفرزدق المدينة فى سنة مجدبة ، فمشى أهل المدينة الى عمر بن عبد العزيز فقالوا له أيها الأمير ان الفرزدق قدم مدينتنا هذه فى هذه السنة المجدبة التى قد أهلكت عامة الأموال التى لأهل المدينة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً فلو أن الأمير بعث اليه فأرضاه وتقدم اليه ألاَّ يعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فبعث اليه عمر انك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه فى هذه السنة الجدبة وليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم فخذها ولا تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ، فأخذها الفرزدق ومرَّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس فى سقيفة داره عليه مُطْرَف خز أحمر وجبة خز أحمر ، فوقف عليه فقال

أعبد الله أنت أحق ماش وساع بالجماهير الكبار
نما الفاروق أمك وابن أروى أبوك فأنت منصدع النهار
هما قمرا السماء وأنت نجم به فى الليل يُدلج كل سار

فخلع عليه الجبة والعمامة والمطرف وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج رجل كان حضر عبد الله والفرزدق عنده ورأى ما أعطاه إياه وسمع ما أمره به عمر من ألا يعرض لأحد ، فدخل على عمر بن عبد العزيز فأخبره ، فبعث اليه عمر ألم أتقدم اليك يا فرزدق ألاَّ تعرض لأحد بمدح ولا هجاء ؟ اخرج فقد أجلتك ثلاثاً فان وجدتك بعد ثلاث نكلت بك ، فخرج وهو يقول

فأجلني وواعدني ثلاثاً كما وعدت لمهلكها ثمود

وقال جرير في ذلك

نفاك الأغرّ ابن عبد العزيز ومثلك ينفى من المسجد

وشبهت نفسك أشقى ثمود فقالوا ضلات ولم تهتد

كان عطية بن جُعال الغُدَاني صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أن رجلاً من بني غُدَانة هجاه وعاون جريراً عليه وأنه أراد أن يهجو بني غدانة فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح له عن قومه ويَهَب له أعراضهم ، ففعل ثم قال

أبنى غُدَانة انني حررتكم ووهبتكم لعطية بن جُعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين ألأم آنف وسِبال

فبلغ ذلك عطية ، فقال ما أسرع ما ارتجع أخى هبتـه ، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة

روى المرزباني عن أبي الخطاب الأخفش وكان أعلم الناس بالشعر وأنقدهم له وأحسن الرواة ديناً وثقة ، قال لم يَهْجُ جرير الفرزدق الا بثلاثة أشياء يكررها في شعره كلها كذب ، منها جعْثِن والزبير والقَين ، فأما جعثن فكانت من خير نسائها احتال بنو مِنْقَر ، فأقعدوا انساناً في طريقها ، وقد خرجت لبعض أمرها ، فرمى بها فوقعت ومضى يعدو ليزيلوا عن أنفسهم شيئاً زعموا أن الفرزدق فعله بهم ، وأما الزبير فانه وقف على مسجد بني مجاشع فسأل عن عياض بن حمارين أبي حمار فقال النَّعِر بن زَمَّام المجاشعي هو بوادي السباع ، فمضى الزبير يريده وخرج النعر مع الزبير رحمه الله حتى بلغ النَّحيت ثم رجع ، فتبعه عمرو بن جُرْموز فقتله قبل أن ينتهي الى عياض ، وخبر القين أن رجلاً استعان بالفرزدق فسأله أن يمشي معه الى موالي بني سعد في حاجة ، فقال الفرزدق للمستعين به ان عمتي كان لها قين ، فلما هجاني جرير جعلني قيناً بذلك السبب وان الرجل الذي تستعين بي عليه صاحب

سماد ولئن بلغ جريراً أنى مشيت معك ليجعلنّي كسّاحاً ، فلم يمش معه ، فهذه قصة القين ، قال أبو الخطاب فلم يهجه الا من ثلاث جهات كاذبات فردد ذلك وكرره في شعره ، فمن ذلك قوله

انى تذكرنى الزبير حمامـــة تدعو بمجمع نخلتين هديلا
أفتى الندى وفتى الطعان قتلتمُ وفتى الرياح اذا تهبّ بليـــلا
لو كنت حراً يا ابن قَيْنٍ مجاشع شيعت ضيفك فرسخين وميلا
قتـــل الزبير وأنتمُ جيرانه تبّاً لمن قتل الزبيرَ طويلا
قالت قريش ما أذل مجاشعاً جاراً وأكرم ذا القتيلَ قتيلا

حج سليمان بن عبدالملك ومعه الشعراء فمرّ بالمدينة منصرفاً فأتى بأسرى من الروم نحو من أربع ، فقعد سليمان وعنده عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام وعليه ثوبان ممصران وهو أقربهم منه مجلساً فأدنوا اليه بطريقهم وهو في جامعة فقال لعبد الله بن الحسن قم فاضرب عنقه ، فقام فما أعطاه أحد سيفاً حتى دفع اليه حرسى سيفاً كليلاً فضربه فأبان عنقه وذراعه وأطنّ ساعده وبعض الغُلّ ، فقال له سليمان اجلس فوالله ماضربته بسيفك ولكن بحسبك ، وجعل يدفع الأسرى الى الوجوه فيقتلونهم حتى دفع الى جرير رجلا فدست له بنو عبس سيفاً قاطعاً في قراب أبيض ، فضربه فأبان رأسه ، ودفع الى الفرزدق أسيراً ، فدست اليه القيسية سيفاً كليلاً ، فضرب به الأسير ضربات فلم يصنع شيئاً ، فضحك سليمان وضحك الناس معه ، وقد ذكر ذلك الفرزدق في قصيدته التي يذكر فيها قتل قتيبة بن مسلم الباهلي ، قتله وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود المربوعي وأولها

تحنّ بزوراء المدينة ناقتي حنين عجول تبتغي البوَّ رائم

يقول فيها

فلا تقتل الاسرى ولكن نفكهم اذا أثقل الأعناق حملُ المغارم

فهل ضربة الرومى جاعلة لكم ... أباً عن كليب أو أباً مثل دارم
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... ويقطعن أحياناً مناط التمائم

فأجابه جرير بقصيدته التى أولها

ألا حى ربع المنزل المتقادم ... وما حلّ مذ حلت به أم سالم

يقول فيها

ترانى اذا ما الناس عدوا قديمهم ... وفضل المساعي مسفراً غير واجم
بأيام قومى ما لقومك مثلها ... بها سهلوا عني خبار الجرائم
اذا ألجمت قيس عناجيج كالقنا ... مجحجن دماً من طول علك الشكائم
سبوا نسوة النعمان وابني محرّق ... وعمران قادوا عنوة بالخزائم
وهم أنزلوا الجونين فى حومة الوغى ... ولم يمنع الجونين عقد التمائم
كأنك لم تشهد لقيطاً وحاجباً ... وعمرو بن عمرو اذ دعوا يا لدارم
ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ... وشدّات قيس يوم دير الجماجم
أكلفت قيساً أن نبا سيف غالب ... وشاعت له أحدوثة فى المواسم
بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فأرعشت ... يداك وقالوا محدث غير صارم
ضربت به عرقوب ناب بصوءر ... ولا تضربون البيض تحت الغمائم
عنيف بهز السيف قين مجاشع ... رفيق بأخرات القوس الكرازم
ستخبر يا ابن القين أن رماحنا ... أباحت لنا ما بين فلج وعاصم

وقال الفرزدق يعرض بسليمان ويعيره بنبو سيف ورقاء بن زهير العبسى عن خالد بن جعفر وبنو عبس أخوال عبد الملك

فان يك سيف خان أو قدر أتى ... بتعجيل نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

كذاك سيوف الهند تنبو ظُباتها وتقطع أحياناً مناط القلائد

موت الفرزدق

أصابته ذات الجنب فكانت سبب وفاته ووصف له أن يشرب النفط الأبيض، فجعل فى قدح وسقيه ، فقال لابنه يا بنىّ عجلت لأبيك شراب أهل النار ، فقال له يا أبت قُلْ لا إله الا الله وجعل يكررها ، فنظر اليه وجعل يقول

فظلت تغالي باليَفَاع كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز

فكان ذا هِجِّيراه حتى مات ، ودخل عليه بلال بن أبى بردة فى مرضه الذى مات فيه وهو يقول

أرونى من يقوم لكم مقامى اذا ما الأمر جل عن الخطاب

الى من تفزعون اذا حثوتم بأيديكم علىَّ من التراب

فقال بلال الى الله الى الله ، وقال عوانة قيل للفرزدق فى المرض الذى مات فيه أوص ، فقال

أوصي تميماً ان قضاعة ساقها ندى الغيث عن دار بدُومة أوجَدْب

فانكم الأكفاء والغيث دُولة يكون بشرق من بلاد ومن غرب

اذا انتجعت كلب عليكم فوسعوا لها الدار فى سهل المقامة والرحب

فأعظم من أحلام عاد حلومهم وأكثرهم عند العديد من الترب

أشـــد حبال بعد حبين مِرّة حبال أُمِرَّت من تميم ومن كلب

وتوفى للفرزدق ابن صغير له قبل وفاته بأيام وصلى عليه ثم التفت الى الناس فقال

وما نحن الا مثلهم غير أننا أقمنا قليلا بعـدهم وتقدموا

فلم يلبث أياماً حتى مات ، قال ابنه لبطة أغمى على أبى فبكينا ففتح عينيه وقال أعلىَّ تبكون ؟ قلنا نعم فعلى ابن الراغة نبكي ؟ فقال ويحكم أهذا موضع ذكره ؟ وقال

إذا ما دبت الأفيـاء فوق وصاح صدّى عليّ من الظلام
فقد شمتت أعاديكم وقالت أدانيكم من أين لنا المحامى

مات الفرزدق فى سنة أربع عشرة ومائة وقبره بالبصرة وكان أسن حتى قارب المائة ورثاه أبو ليلى المجاشعى فقال

لعمرى لقد أشجى تميماً وهدّها على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشـية قدنا للفرزدق نعشه الي جدَث فى هُوَّة الارض مُعْمَق
لقد غيبوا فى اللحد من كان ينتمى الى كل بدر فى السماء محلّق
ثوى حامل الأثقال عن كل مُثْقَل ودفاع سلطان الغشوم السَّمَلَّق
لسان تميم كلها وعمـــادها وناطقها المعروف عند المخنَّق
فمن لتميم بعـد موت ابن غالب اذا حل يوم مظلم غـير مشرق
لتبك النساء المعولات ابن غالب لجان وعانٍ فى السلاسل موثق

شعراء عدىّ بن عبد مناة

ذو الرمة

هو غيلان بن عقبة بن مسعود من بنى عديّ بن عبد مناة بن أدّ ويكنى أبا الحارث وذو الرُّمَّة لقب له يقال لقبته به مَيَّة وكان اجتاز بخبائها وهى جالسة الى جنب أمها فاستسقاها ماء فقالت قومى فاسقيه ، فقامت فأتته بماء وكانت على كتفه رُمَّة وهى قطعة من حبل فقالت اشرب ياذا الرمة ، فلقب بذلك ، وكان له اخوة لأبيه وأمه شعراء منهم مسعود وهو الذى يقول يرثى أخاه ذا الرمة ويذكر ليلى بنته

الى الله أشكو لا إلى الناس أننى ... وليلى كلانا موجع مات وافده

ولمسعود يقول ذو الرمة

أقول لمسعود بجَرْعاء مالك ... وقد همّ دمعى ان تسحّ أوائله

ألا هل لذى الأظعان جاوزن مُشْرِفاً ... من الرمل أو سالت بهن سلاسله[1]

ومسعود الذى يقول يرثى أخاه أيضاً ذا الرمة ويرثى أَوْفَى بن دَلْهَم ابن عمه وأوفى هذا أحد من يروى عنهم الحديث

نعى الركب أَوْفَى حين آبت ركابهم ... لعمرى لقد جاؤا بشر فأوجعوا

نعَوْا باسق الأخلاق لا يخلفونه ... تكاد الجبال الصُّمّ منه تَصَدَّع

خَوَى المسجد المعمور بعد ابن دَلْهَم ... فأضحى بأَوْفَى قومه قد تضعضعوا

تعزيت عن أوفى بغَيْلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مُتْرَع

ولم تُنْسِنى أوفى المصيبات بعده ... ولكن نَكْءَ القَرْح بالقرح أوجع

(١) سلاسل الرمل ما انعقد واتصل

وأخوه الآخر هشام وهو رباه وكان شاعراً ولذى الرمة يقول

أغيلان ان ترجع قوى الود بيننا ... فكل الذى ولّى من العيش راجع
فكن مثل أقصى الناس عندى فانني ... بطول التنائى من أخى السوء قانع

وقال ذو الرمة لهشام أخيه

أغرّ هشاما من أخيه ابن أمه ... قوادم ضأن أقبلت وربيع
وهل تُخلف الضأن الغزار أخا الفتى ... اذا حل أمر في الصدور فظيع

فأجابه هشام فقال

اذا بان مالي من سوَامك لم يكن ... اليك ورب العالمين رجوع
فأنت الفتى ما اهتز في الزهر الندى ... وأنت اذا اشتد الزمان منوع

خرج ذو الرمة يسير مع أخيه مسعود بأرض الدّهناء فسنحت لهما ظبية فقال ذو الرمة

أقول لدَهْناوية عَوْهج[1] جرت ... لنا بين أعلى عُرْفة بالصَّرائم
أيا ظبية الوَعْساء بين جُلاجِل ... وبين النَّقا آأنت أم أم سالم

وقال مسعود

فلو تحسن التشبيه والنعت لم تقل ... لشاة النقا آأنت أم أم سالم
جعلت لها قرنين فوق قصاصها ... وظِلْفين مسودَّين تحت القوادم

فقال ذو الرمة

هى الشبه الا مِدْرَيها[2] وأذنها ... سواء والا مَشْقَةً فى القوائم

وكان ذو الرمة كثيراً ما يأتى الحضر فيقيم بالكوفة والبصرة وكان طفيلياً وكان مدور الوجه حسن الشعرة جيدها أقنى أزرع خفيف العارضين أكحل حسن

(١) عوهج طويلة العنق وعرفة موضع والصرائم الرمال (٢) مدريها يعنى قرنيها والمشقة الرقة

الصورة مفوّهها اذا كلمك كلمك أبلغ الناس، يضع لسانه حيث يشاء ، قال أبو عمرو ختم الشعر بذى الرمة وختم الرجز برؤبة وقال الاصمعي كان ذو الرمة أشعر الناس اذا شبّه ولم يكن بالمُفْلِق

وقف الفرزدق على ذى الرمة وهو ينشد قصيدته التى يقول فيها

اذا ارفضّ[1] أطراف السياط وهُلِّلت جُروم المطايا عذبتهن صيدح

فقال ذو الرمة كيف تسمع يا أبا فراس ؟ قال أسمع حسناً ، قال فمالي لا أعد فى الفحول من الشعراء ؟ قال يمنعك من ذلك ويباعدك ذكر الأبعار وبكاؤك الديار ثم قال

ودَوِّية لو ذو الرُّمَيمة أمها لقصر عنها ذو الرميم وصيدح

قطعت الى معروفها منكراتها اذا اشتد آل الأمعز المتوضح

وكان هوى ذى الرمة مع الفرزدق على جرير وذلك لما كان بين جرير وابن لجأ التيمى ، وتيم وعدى اخوان من الرَّباب ، وعُكْل أخوهم ولذلك يقول جرير لعكل

فلا يَضْغَمَنَّ الليث عكلا بغرة وعكل يسمُّون الفريس المنيبا

الفريس ههنا ابن لجأ وكذلك يفعل السبع اذا ضغم شاة ثم طرد عنها أو سبقته أقبلت الغنم تَشَمّ موضع الضغم فيفترسها السبع وهى تَشَمّ ولذلك قال جرير لبنى عدى

وقلت نصاحة لبني عدى ثيابكم وضح دم القتيل

يحذر عديا مالقى ابن لجأ

مرَّ ذو الرمة بمنزل لامرىء القيس بن زيد مناة يقال له مُرّان به نخل فلم ينزلوه ولم يقروه فقال

نزلنا وقد غار النهار وأوقدت علينا حصى المَعْزاء شمس تنالها

(١) ارفض تفرق من الضرب به والجروم الجسد وهللت جرومها كالاهلة من الهزال وصيدح ناقته

فلما دخلنا جوف مرأة غلقت دساكر لم تُرفع لخير ظلالها
بنينا علينا ظل أبراد يُمْنة على سَمْك أسياف قديم صِقالها
وقد سميت باسم امرىء القيس قرية كرامٌ صواديها لئام رجالها

فلج الهجاء بين ذى الرمة وبين هشام المرى فمر الفرزدق بذي الرمة وهو ينشد

وقفت على ربع لمية ناقتى فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أُبثُّه تكلمني أحجاره وملاعبه

فقال الفرزدق أهلك البكاء فى الديار والعبد يرتجز بك فى المقابر « يعنى هشاماً » وكان ذو الرمة مستعلياً هشاماً حتى لقى جريرهشاماً فقال عليك العبد « يعنى ذا الرمة » قال فما أصنع يا أبا حَزْرة وأنا راجز وهو يقصّد والرجز لا يقوم للقصيد فى الهجاء ؟ ولو رفدتنى ، فقال جرير لتهمته ذا الرمة بالميل الى الفرزدق قل له

غضبت لرَجْل من عدىّ تشمسوا وفى أى يوم لم تشمس رجالها
وفيم عدىّ عند تَيْم من العلا وأيامنا اللاتى تعـــد فعالها
وضبة عمي يا ابن خل فلا ترم مساعي قوم ليس منك سجالها
يماشى عدياً لُؤمها لا تُجنُّه من الناس ما مست عدياً ظلالها
فقل لعدىّ تســـتعن بنسائها علىَّ فقد أعيا عدياً كبارها
أذا الرُّمّ قد قلدت قومك رُمَّة بطيئاً بأمر المطلقين انحلالها

فلما بلغت هذه الأبيات ذا الرمة قال والله ما هذا بكلام هشام ولكنه كلام ابن الأتان ، فلما كان بعد ذلك لقى ذو الرمة جريراً فقال تعصبت [1] على خالك للعرئى ، فقال جرير حيث فعلت ماذا ؟ قال حين تقول للعرئى كذا وكذا ، فقال جرير لأنك أهلك البكاء فى دار مية حتى أبجنه محارمك ، فقال ذو الرمة لا ولكن

(١) ذلك لأن النوار بنت خل ام حنظله بن مالك من رهط ذى الرمة

اتهمتني بالميل مع الفرزدق عليك ، قال كذلك هو ، قال فوالله ما فعلت وحلف له بما يرضيه ، قال فأنشدنى ما هجوت به المرئى ، فأنشده قوله

نبت[1] عيناك عن طلل بحزوى عفته الريح وامتنح القطارا

فأطال جداً ، فقال له جرير ما صنعت شيئاً أفأرفدك ؟ قال نعم ، قال قل له

يعدّ الناسبون الى تميم بيوت العز أربعة كبارا
يعدون الرّباب لهم وعمراً وسعداً ثم حنظلة الخيارا
ويهلك بينها المرئيّ[2] لغواً كما ألغيت فى الدية الحُوَارا

فغلبه ذو الرمة بها ، ومرّ ذو الرمة بالفرزدق فقال له أنشدنى أحدث ما قلت فى المرئى ، فأنشده هذه الأبيات ، فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال أعد ، فأعاد ، فقال كذبت وايم الله ما هذا لك ولقد قاله أشد لَحْيين منك وما هذا الاشعر ابن الأتان ، فلما سمعها المرئى جعل يلطم وجهه ويصرخ ويدعو بويله ويقول قتلنى جرير قتله الله هذا والله شعره الذى لو نقطت منه نقطة فى البحر لكدرته قتلنى وفضحنى ، فلما استعلى ذو الرمة هشاماً أتى هشام وقومه جريراً فقالوا يا أبا حزرة عادتك الحسنى ، فقال هيهات ظلمت أخوالي قد أتانى ذو الرمة فاعتذر إلىّ وحلف فلست أعين عليهم ، فلما يئسوا من عنده أتوا لهذا المكاتب وقد طلع بمكاتبته فأعطوه عشرة أعنز وأعانوه على مكاتبته فقال أبياتاً عينية يفضل فيها بنى امرىء القيس على بنى عديّ وهشاماً على ذي الرمة ، ومات ذو الرمة فى تلك الأيام ، فقال الناس غلبه هشام وانما مات ذو الرمة بعقب ارفاد جرير إياه على المرئى ، فقال الناس غلبه ولم يغلبه ، انما مات قبل الجواب

---

(١) نبت عيناك أى أنكرته ، وعفته درسته ، وامتنح من المنحة وهى العطية

(٢) المرئى نسبة الى امرىء القيس والغيت أهملت والحوار لا يؤخذ فى الدية

ذو الرمة ومَىّ

كان ذو الرمة يشبب بمَىّ بنت طلبة بن قيس بن عاصم المِنْقَرى ، وكان أول ماقاد المودة بينهما أنه خرج هو وأخوه وابن عمه في بُغاء إبل لهم ، قال بينا نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدنا العطش فمدلنا الى حواء عظيم فقال لى أخى وابن عمى ائت الحواء فاستق لنا ، فأتيته و بين يديه فى رواقه عجوز فاستسقيت فالتفتت وراءها فقالت يامَىّ اسق الغلام ، فدخلت عليها فاذا هى تسبح علقة لها وهى تقول

يا من يرى برقاً يمر حينا ... زمزم رعداً وانتحى يمينا
كأن فى حافاته حنينا ... أو صوت خيل ضُمَّر يَرْدِينا

ثم قامت تصب فى شكوتى ماء وعليها شوذب لها ، فلما انحطت على القربة رأيت مولًى لم أر أحسن منه ، فلهوت بالنظر اليها وأقبلت تصب الماء فى شكوتى والماء يذهب يميناً وشمالا ، فأقبلت على العجوز فقالت أما والله ليطولن هُيامك بها ، وملأت شكوتى وأتيت أخى وابن عمى ولففت رأسى فانتبذت ناحية وقد كانت مَىّ قالت لقد كلفك أهلك السفر على ما أرى من صغرك وحداثة سنك فأنشأت أقول

قد سخرت أخت بنى لبيد ... وهربت منى ومن مسعود
رأت غلامى سفر بعيد ... يَدَّرعان الليل ذا السدود
مثل ادِّراع اليلمَق الجديد

وهو أول قصيدة قلتها ثم أتممتها

هل تعرف المنزل بالوحيد ... قفراً محاه أبَدُ الأبيد
والدهر يُبْلِى جِدَّة الجديد ... لم يُبق غير مُثَّل[1] رُكود
على ثلاث باقيات سود ... وغيرَ باقى ملعبُ الوليد

(١) منتصبات يعنى الأثافى ـ ركود مقيمات

وغير مرضوخ[١] القفا موتود ... أشعثَ باقى رُمَّة التقليد
نعم فأنت اليوم كالمعمود ... من الهوى أو شبَه المورود[٢]
يا مى ذات المبسَم المبرود ... بعد الرقاد والحشا المخضود[٣]
والمقلتين وبياض الجيد ... والكَشْح من أُدمانة عَنود[٤]
عن الظباء مُتْبِع فَرود ... أهلكتنا باللوم والتفنيد
رأت شحوبى ورأت تخديدى ... من مُجحفات زمن مَرِيد[٥]
نقَّحن جسمى عن نُضار العود ... بعد اهتزاز الغُصُن الأملود[٦]
لا بل قطعتُ الوصل بالصدود ... قد عجبت أخت بنى لبيد

ضاف ذو الرمة زوج مى فى ليلة ظلماء وهو طامع فى ألا يعرفه زوجها فيدخله بيته فيقربه فيراها ويكلمها فتفطن له الزوج وعرفه فلم يدخله وأخرج اليه قِراه وتركه بالعراء وقد عرفته مية ، فلما كان في جوف الليل تغنى غناء الركبان فقال

أراجعة يامى أيامنا الأولى ... بذى الأَثْل أم مالهن رجوع

فغضب زوجها وقال قومى فصيحي به يا ابن الفاعلة وأى أيام كانت لي معك بذى الأثل ؟ فقالت ياسبحان الله ضيف والشاعر يقول ، فانتضى السيف وقال والله لأضربنك به حتى آتى عليك أو تقولي ، فصاحت به كما أمرها زوجها ، فنهض على راحلته فركبها وانصرف عنها مغضباً يريد أن يصرف مودته عنها الى غيرها فمر بفَلْج فى ركب وبعض أصحابه يريد أن يرقع خفه فاذا هو بجوار خارجات من بيت يردن آخر واذا خرقاء فيهن وهى امرأة من بنى عامر فاذا جارية حلوة شهلاء

(١) مرضوخ مدقوق يعنى الوتد والرمة القطعة من الحبل فى هذا الوتد لم تنزع
(٢) المورود الخمرة والعمود ما انضمت عليه الضلوع من البطن والمعمود الذى ضعف
(٣) المخضود أيبس الرطب والخضد الغض اذا كسرته (٤) العنود من النوق التى ترعى ناحية (٥) الشحوب تغير اللون والتخديد المطوى الجلد والمريد المتكبر
(٦) الأملود الأملس

فوقعت عين ذى الرمة عليها فقالت لها جارية أترقعين لهذا الرجل خفه ؟ فقالت تهزأ به أنا خرقاء لا أحسن أعمل ، فسماها خرقاء ، وترك ذكر مى يريد أن يغيظ بذلك ميّاً فقال فيها قصيدتين أو ثلاثاً ثم لم يلبث أن مات ، قال ابن سلام كانت خرقاء تحل فلجا ويمر بها الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم وكانت تجلس معها فاطمة بنتها فحدثنى من رآها فلم تكن فاطمة مثلها وكانت تقول أنا منسك من مناسك الحج « لقول ذى الرمة فيها »

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

نزل ركب بأبى خرقاء فأمر لهم بلبن فسقوه وقصر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صبوحها وهى لاتعرفه فشربه ومضوا فركبوا فقال لها أبوها هل تعرفين الرجل الذى سقيته صبوحك ؟ قالت لا والله ، قال هو ذو الرمة القائل فيك الأقاويل ، فوضعت يدها على رأسها وقالت واسوءتاه وابؤساه ودخلت بيتها فمار آها أبوها ثلاثاً

ومن قول ذي الرمة يشبب بخرقاء

أقول بذى الأرطَى عشية أتلعت الى الركب أعناق الظباء الخواذل
لأُدمانة من وحش بينَ سُويقة وبين الجبال العفر ذات السلاسل
أرى فيك من خرقاء ياظبية الأوَى مشابهَ جُنّبتِ اعتقال الحبائل
فعيناك عيناها ولونك لونها وجيدك الا أنها غير عاطل

قالت كثيرة أم ذي الرمة

على وجه مَيّ مسحة من ملاحة وتحت الثياب الخزى لو كان باديا
ألم تَرَ أن المـــاء يخبث طعمه ولو كان لون الماء فى العين صافيا

ونحلتهما ذا الرمة فامتعض من ذلك وحلف بجهد أيمانه ماقالها ، قال وكيف أقول هذا وقد قطعت دهري وأفنيت شبابى أشبب بها وأمذقها ثم أقول هذا ؟ ثم اطلع على أن كثيرة قالتهما ونحلتهما إياه

قال أبو سوار الغنوى رأيت مية واذا معها بنون لها صغاراً ، فقال له محمد بن سلام صفها لي ، فقال مسنونة الوجه طويلة الخد شمّاء الأنف عليها وسم جمال ، قال أفكانت تنشدك شيئاً مما قاله ذو الرمة فيها ؟ قال نعم كانت تسح سحا ما رأى أبوك مثله

قال صالح بن الهذيل خرجت أريد الحج ، فمررت بالمنزل الذى تنزله خرقاء ، فأتيتها فاذا امرأة جزْلة عندها سماطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم ، فسلمت ، ونسبتني ، فانتسبت لها وهى تنزلني حتى انتسبت الى أبى ، فقالت حسبك أكرمت ما شئت ما اسمك ؟ قلت صباح ، قالت وأبو من ؟ قلت أبو المغلس ، قالت أخذت أول الليل وآخره قال فما كان لي همة الا الذهاب عنها

وقال محمد بن الحجاج التميمى حججت فلما صرت بمران منصرفاً اذا أنا بغلام أشعث الذؤابة قد أورد غنيمات له ، فجئته ، فاستنشدته ، فقال لي اليك عني فانى مشغول عنك وألححت عليه ، فقال أرشدك الى بعض ما تحب ، انظر الى ذلك البيت الذى يلقاك فان فيه حاجتك ، هذا بيت خرقاء ذي الرمة ، فمضيت نحوه ، فطوحت بالسلام من بعيد ، فقالت ادْنُه ، فدنوْت ، فقالت انك لحضرى فمن أنت ؟ قلت من بنى تميم وأنا أحسب أنها لا معرفة لها بالناس ، قالت من أى تميم ؟ فأعلمتها ، فلم تزل تنزلنى حتى انتسبت الى أبى فقالت الحجاج بن عمير بن يزيد ؟ قالت رحم الله أبا المثنى قد كنا نرجو أن يكون خلفاً من عمير بن يزيد فعاجلته المنية شاباً ، حياك الله يا بنىَّ وقربك من أين أقبلت ؟ قلت من الحج ، قالت فمالك لا تمر بى وأنا أحد مناسك الحج ان حجك ناقص فأقم حتى تحج أو تكفر بعتق ، قلت وكيف ذلك ؟ قالت أما سمعت قول غيلان عمك ؟

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

وكانت وهى قاعدة بفناء البيت كأنها قائمة من طولها بيضاء شهلاء نخمة الوجه ،

فسألتها عن سنها ، فقالت لا أدرى الا أنى كنت أذكر شمر بن ذى الجوشن حين قتل الحسين عليه السلام مرَّ بنا وأنا جارية ومعه كسوة فقسمها فى قومه ، وكان أبى قد أدرك الجاهلية وحمل فيها حَمالات ، قال ولما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرمة فيها قلت هيهات يا عمة ذهب ذلك منك ، قالت لا تقل يا بنىَّ أما سمعت قول قُحَيْف فىَّ

وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ولوعمرت تعمير نوح وجلت

ثم قالت رحم الله ذا الرمة فقد كان رقيق البشرة عذب المنطق حسن الوصف مقارب الوصف عفيف الطرف ، فقلت لها لقد أحسنت الوصف ، فقالت هيهات أن يدركه وصف رحمه الله ورحم من سماه اسمه ، فقلت ومن سماه ؟ قالت سيد بنى عديّ الحصين بن عبدة بن نعيم ، ثم أنشدتني لنفسها فى ذي الرمة

لقد أصبحت فى فرعى مَعَدّ مكان النجم فى فلك السماء
اذا ذكرت محاسنه تدرت بحار الجود من نحو السماء
حصين شاد باسمك غير شك فأنت غياث مُحل بالفناء
اذا ضلت سحابة ماء مُزْن تثج بحار جودك بارتواء
لقد نضرت باسمك أرض قحط كما نُثرت عدى بالثراء

فقلت أحسنت يا خرقاء فهل سمع ذلك منك ذو الرمة ؟ قالت إى وربى ، قلت فماذا قال ؟ قالت قال شكر الله لك ياخرقاء نعمة بيت شكرها من ذكرها ، فقالت أثقلنا حقها ثم قالت اللهم غفرا هذا فى اللفظ ونحتاج الى العمل

قال صالح بن سليمان كان الفرزدق وجرير يحسدان ذا الرمة وأهل البادية يعجبهم شعره ، وكان صالح بن سليمان راوية شعر ذى الرمة فأنشد يوماً قصيدة له وأعرابى من بنى عدى يسمع فقال أشهد عنك انك لفقيه نحسن ما تلو وكان يحسبه قرآنا

قال حماد الراوية قال الكميت حيث سمع قول ذى الرمة

أعاذل قد أكثرت من قول قائل وعيب على ذى الود لوم العواذل

هذا والله ملهم وما علم بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لأولى الألباب مثله ، أحسن ثم أحسن ، ولما أنشد قوله فى هذه القصيدة

دعانى وما داعى الهوى من بلادها اذا ما نأت خرقاء عنى بغافل

قال لله بلاد هذا الغلام ما أحسن قوله وما أجود وصفه ولقد تفنع البيت الأول بمثله فى جودة الفهم والفطنة وقال قول مستسلم ، وقال حماد ما أخر القوم ذكره الا لحداثة سنه وأنهم حسدوه ، وقالوا لم يكن أحد من القوم فى زمانه أبلغ من ذى الرمة ولا أحسن جواباً ، كان كلامه أكثر من شعره ؟ وقال الأصمعى ما أعلم أحداً من العشاق الحضريين وغيرهم تشكا حباً أحسن من شكوى ذى الرمة مع عفة وعقل رصين ، وقال أبو عبيدة ذو الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف وعفاف فى الحكم ، وقال عمارة بن عقيل كان جرير عند بعض الخلفاء فسأله عن ذى الرمة فقال أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه اليه أحد غيره ، وقال حماد الراوية قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه ، وقال أبو عمرو ختم الشعر بذى الرمة وختم الرجز برؤبة ، فقيل له فما تقول فى هؤلاء الذين يقولون ؟ قال كلّ على غيرهم ان قالوا حسناً فقد سبقوا اليه وان قالوا قبيحاً فمن عندهم ، وقال حماد أحسن الجاهلية تشبيهاً امرؤ القيس وذو الرمة أحسن أهل الاسلام تشبيهاً ، وقال ابن شُبْرُمة سمعت ذا الرمة يقول اذا قلت كأن ثم لم أجد مخرجاً فقطع الله لسانى ، وقال الأصمعى كان ذو الرمة أشعر الناس اذا شبه ولم يكن بالمفلق ، وسئل جرير عن شعر ذى الرمة فقال بعرظباء ونقط عروس تضمحل عن قليل

قال ذو الرمة من شعرى ما طاوعنى فيه القول وساعدنى ، ومنه ما أجهدت نفسي فيه ، ومنه ما جننت به جنوناً ، فأما ما طاوعني القول فيه فقولي

خليلى عوجا من صدور الرواحل بجمهور[1] حزوى فابكيا فى المنازل

وبعده

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى نجىّ البلابل

وأما ما أجهدت نفسى فيه فقولى

أأن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وبعده

كأنها بعد أحوال مضين لها بالأشيمين[2] يمان فيه تسهيم

وأما ما جننت به جنوناً فقولى

ما بال عينيك منها الماء ينسكب كأنه من كلى[3] مفرية سرب

وكان جرير يقول ما أحببت أن ينسب الىّ من شعر ذى الرمة الا قوله « ما بال عينك » فان شيطانه كان له فيها ناصحاً

قال سلمة بن محارب كان ذو الرمة يقرأ ويكتب ويكتم ذلك ، وقال عيسى ابن عمر قال لى ذو الرمة ارفع هذا الحرف ، فقلت له أتكتب ؟ فقال بيده على فيه اكتم علىّ فانه عندنا عيب

قيل لذى الرمة انما أنت راوية الراعى ، فقال أما والله لئن قيل ذاك ما مثلى ومثله الا شاب صحب شيخاً فسلك به طرقا ثم فارقه فسلك الشاب بعده شعاباً وأودية لم يسلكها الشيخ قط ، وقال الأصمعى انما وضع من ذى الرمة أنه كان لا يحسن أن يهجو ولا يمدح وقد مدح بلال بن أبى بردة فقال

رأيت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعى بلالا

فلما أنشده قال له أولم ينتجعنى غير صيدح ؟ ياغلام أعطه حبل قتّ لصيدح ، فأخجله

---

(١) الجمهور العظيم من الرمل (٢) الأشيمان جبلان من جبل الرمل بالدهناء واليمانى البرد وفيه تسهيم اى تخطيط (٣) الكلى جمع كلية وهى رقعة تكون فى أصل عروة المزادة ومفرية أى مقطوعة على وجه الاصلاح وسرب سائل

عاب الحكم بن عوانة الكلبي ذا الرمة فى بعض قوله فقال فيه

وجدتك من كلب اذا ما نسبتها ... بمنزلة الحيتان من ولد الضب
فلو كنت من كلب صحيحاً هجوتها ... جميعاً ولكن لا إخالك من كلب
ولكننى أخبرت انك مُلْصَق ... كما أُلصقت من غيرها ثُلْمة القعْب
تدهدى فخرت ثُلْمة من صحيحه ... فلُزّ بأخري بالغراء و بالشَّعب

دخل ذو الرمة على بلال بن أبى بردة وكان بلال راوية فصيحاً أديباً فأنشده بلال أبيات حاتم طيئ

لحا الله صُعْلوكا منـــاه وهمه ... من العيش أن يلقى لَبوساً ومطعما
يرى الخمس تعذيباً وان نال شبعة ... يبيت قلبـــه من قلة الهم مبهما

هكذا أنشد بلال ، فقال ذو الرمة يرى الخمص تعذيباً وانما الخمس للابل وانما هو خمص البطن ، فضحك بلال ، وكان ضحاكا ، وقال هكذا أنشدنيه رواة طيء فرد عليه ذو الرمة ، فضحك ، ودخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بلال كيف تنشدها ؟ وعرف أبو عمرو الذى به فقال كلا الوجهين جائز ، فقال أتأخذون عن ذى الرمة ؟ فقال انه لفصيح وانا لنأخذ ، بتمريض ، وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبى عمرو والله لولا أنى أعلم أنك حطبت فى حبله وملت مع هواه لهجوتك هجاء لا يقعد اليك اثنان بعده

قيل لبلال بن جرير أى شعر ذى الرمة أجود ؟ فقال « هل حبل خرقاء بعد اليوم مرْموم » انها لمدية الشعر ، أقول هو من قصيدة لذى الرمة أولها

أعن ترسمت[1] من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم
كأنها بعـد أحوال مضين لها ... بالأشْيَمَيْن[2] يمانٍ فيه تسهيم
أودى بها كل عرّاص[3] ألثّ بها ... وجائل من عجاج الصيف مهجوم

(١) ترسم نظر رسومها ومسجوم مصبوب صباً (٢) الاشيمان جبلان من جبال الرمل الرمل بالدهناء واليمانى بردفيه تسهيم أى تخطيط (٣) العراص السحاب الكثير البرق ، ألث أقام ومهجوم هجم عليه

ودمنةً [١] هيجت شوقى معالمها كأنها بالهِدَملات الرواسيم
منازل الحى اذ لا الدار نازحة بالاصفياء واذ لا العيش مذموم
كادت بها العين تنبو [٢] ثم ثبتها معارف الدار والجُون اليحاميم
هل حبل خرقاء بعد الهجر مرموم أم هل لها آخر الأيام تكليم
أم نازح الوصل مخلاف بشيمته لونان منقطع منه فمصروم
لا غيرَ أنا كأنا من تذكرها وطول ما قد نأتنا [٣] نُزّع هيم
تعتادنى زفرات من تذكرها تكاد تنفضّ منهن الحيازيم [٤]
كأننى من هوى خرقاء مطَّرَف [٥] دامى الأظَلِّ بعيد السَّأو مهيوم

وهى أربعة وثمانون بيتاً

وقال ابن سلام كان ذو الرمة من جرير والفرزدق بمنزلة قتادة من الحسن وابن سيرين كان يروي عنهما ويروى عن الصحابة وكذلك ذو الرمة وهو دونهما ويساويهما في بعض شعره

قال عنبسة النحوي قلت لذى الرمة وسمعته ينشد ويقول

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولين بالألباب ما تفعل الخمر

هلا قلت فعولان ، فقال لو قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كان خيراً لك ، أى انك أردت القدر وأراد ذو الرمة كونا فعولين وأراد عنبسة وعينان فعولان

قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله

---

(١) دمنة عطف على منزلة والهدملات رمال مشرفات والرواسيم الطوابع (٢) تنبو ترتفع لا تكاد تعرفها والجون السود يعنى الاثافى واليحاميم السود أيضاً (٣) نأتنا بعدت عنا ونزع مشناقون وهيم عطاش (٤) الحيازيم الصدور وما اشتملت عليه (٥) المطرف بعير قد اشترى حديثا والاظل أصل الخف والسأو الهمة والمهيوم من الهيام وهو داء تستحسر منه جلود الابل تأخذها كالحمى تشرب فلا تروى

اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فناداه ابن شبرمة يا غيلان أراه قد برح ، فشق ناقته وجعل يتأخر بها و يفكر ثم عاد فأنشد « اذا غير النأى المحبين لم أجد » فقيل أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذى الرمة ما أنشده وأخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة انما هذا مثل قول الله عز وجل « ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها » ونما معناه لم يرها ولم يكد

قال رؤبة لبلال بن أبى بردة علام تعطى ذا الرمة ؟ فوالله انه ليعمد الى مقطعاتنا فيصلها فيمدحك بها ، فقال والله لولم أعطه إلا على تأليفه لأعطيته وأمر له بعشرة آلاف درهم

قال الأصمعى قال رجل رأيت ذا الرمة بمربد البصرة وعليه جماعة مجتمعة وهو قائم وعليه برد قيمته مائتا دينار وهو ينشد ودموعه تجرى على لحيته « مابال عينيك منها الماء ينسكب » فلما انتهى الى قوله

تصغى اذا شدها بالكور جانحة حتى اذا ما استوى فى غرزها تثب

قلت يا أخا بني تميم ما هكذا قال عمك ، قال وأى أعمامى يرحمك الله ؟ قلت الراعى ، قال وما قال ؟ قلت قوله

فلا تعجل المرء عند البرو ك وهى بركبته أبصر
وهى اذا قام فى غرزها كمثل السفينة أو أوفر
ومصغية خدها بالزما م فالرأس فيها له أصعر
حتى اذا ما استوى طبقت كما طبق المسحل الأغبر

فأرتج عليه ساعة ثم قال انه نعت ناقة ملك ونعت ناقة سوقة ، نخرج منها على رؤس الناس

قال محمد بن الحجاج الأسيدى مررت على مية وقد أسنت فوقفت عليها وأنا شاب فقلت يامية ما أرى ذا الرمة إلا قد ضيع فيك قوله

أما أنت عن ذكراك ميَّة مُقْصر ولا أنت ناسى العهد منها فتذكر

تهيم بها ما تستفيق ودونها حجاب وأبواب وستر مستر

فضحكت وقالت رأيتنى يا ابن أخى وقد وليت وذهبت محاسنى ويرحم الله غيلان فلقد قال هذا فيَّ وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القرَّة في عين المقرور ، ولن تبرح حتى أقيم عندك عذره ثم صاحت يا أسماء اخرجى ، فخرجت جارية كالمهاة مارأيت مثلها فقالت أما لمن شبب بهذه وهَويها عذر ؟ فقلت بلى ، فقالت والله لقد كنت أزمان كنت مثلها أحسن منها ، ولو رأيتني يومئذ لازدريت هذه ازداءك اياى اليوم ، انصرف راشداً

ومما قاله فى منى

هى البرء والاسقام والبر والمنى وموت الهوى فى القلب منى المبرح

وكان الهوى بالنأى يمحى فيمتحى وحبك عندى يستجد ويربح

اذا غير النأى المحبين لم أجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

أرسلت خرقاء الى القُحَيف العقيلى تسأله أن يشبب بها فقال

لقد أرسلت خرقاء نحوي حُويها لتجعلني خرقاء فيمن أضلت

وخرقاء لا تزداد الا ملاحة ولو عمرت تعمير نوح وجلت

قال رجل من بنى النجار خرجت أمشى فى ناحية البادية فمررت على فتاة قائمة على باب بيت فقمت أكلمها ، فنادتنى عجوز من ناحية الخباء ما يقيمك على هذا الغزال النجدى؟ فوالله ما تنال خيراً منه ولا ينفعك ، قال وتقول هى دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة

وان لم يكن إلا مُعَرَّس ساعة قليل فانى نافع لي قليلها

فسألت عنهما فقيل لي العجوز خرقاء ذى الرمة والفتاة بنتها

ومما يغني به فى قصيدته العينية

أمنزلتى مى سـلام عليكما هل الا زمن اللائى مضين رواجع
وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاثُ الأثافى والديار البلاقع
توهمتها يوماً فقلت لصاحبى وليس بها إلا الظباء الخواضع
وموشيةً سُحْم الصياصى كأنها مُجَلَّلة حُوٌّ عليها البراقع
قِفِ العيس ننظر نظرة فى ديارها فهل ذاك من داء الصبابة نافع
فقال أما تغشى لميـة منزلا من الأرض إلاقلت هل أنا راجع
وقلّ إلى أطلال مى تحيـة تحيا بها أو أن تُرِشَّ المدامع

ومما أنشده لجمع فيهن مى

نظرت إلى أظعان مى كأنهـا ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه
فأسبلت العينان والقلب كاتم بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكاء الفتى خاف الفراق ولم تجل جوائلها أسراره ومعـاتبه
وقد حلفت بالله ميـة ما الذى أحدثهـا الا الذى أنا كاذبه
اذاً فرمانى الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحاربه

فقالت مية ويحك ياذا الرمة خف الله وعواقبه ثم أنشد حتى بلغ قوله

اذا سرحت من حب مى سوارح على القلب أمته جميعاً عوازبه

فقالت لها احداهن قتلته قتلك الله ، فقالت مية ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسة كاد حرها يطير بلحية عصمة بن مالك راوى الحديث ثم أنشد حتى أتى على قوله

اذا نازعتك القول مية أو بدا لك الوجه فيها أو نضا الدرع سالبه
فما شئت من خد أسيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلل جاذبه

فقالت احداهن فقد بدا لك الوجه وتنوزع القول فمن لنا بأن ينضو الدرع سالبه؟ فقالت لها مية قاتلك الله فماذا تأتين به؟

ومما يغنى به من شعره

اذا هبت الأرواح من أي جانب ... به أهل مى هاج قلبي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وانما ... هوى كل نفس حيث كان حبيبها

توفى ذو الرمة فى خلافة هشام بن عبد الملك وله أربعون سنة ودفن بحزْوَى وهى الرملة التى كان يذكرها فى شعره وكان يريد هشاماً وقال فى طريقه ذلك

بلاد بها أهلون لست ابن أهلها ... وأخرى بها أهلون ليس بها أهل

قال جبر بن رباط أنشد ذو الرمة الناس شعراً له وصف فيه الفلاة بالثعلبية ، فقال له حَلبس الأسدي انك لتنعت الفلاة نعتاً لا تكون منيتك الا بها ، قال وصدر ذو الرمة على أحد جفْرى بني تميم وهما على طريق الحاج من البصرة ، فلما أشرف على البصرة قال

انى لعاليها وانى لخائف ... لما قال يوم الثعلبية حلبس

ويقال ان هذا آخر شعر قاله ، فلما توسط الفلاة نزل عن راحلته فنفرت منه ولم تكن تنفر منه وعليها شرابه وطعامه ، فلما دنا منها نفرت حتى مات ، فيقال انه قال عند ذلك

ألا أبلغ الفتيان عني رسالة ... أهينوا المطايا هن أهل هوان

فقد تركتني صيدح بمضلة ... لسانى ملتاث من الطَّلوان (١)

فوردت ناقته على أهله فى مياههم فركبها أخوه وقص أثره حتى وجده ميتاً وعليه خلع الخليفة ووجد هذين البيتين مكتوبين على قوسه ، وكانا آخر ما قاله

يارب قد أشرفت نفسى وقد علمت ... علماً يقيناً لقد أحصيت آثارى

يامخرج الروح من جسمى اذا احتضرت ... وفارج الكرب زحزحني عن النار

(١) بياض يعلو اللسان من مرض أو عطش ويقال الطليان

عمرو بن الحصين

هو عمرو بن الحصين مولى تميم من شعراء الشراة

حديث طالب الحق

هو عبد الله بن يحيى الكندي الذى تسميه الخوارج طالب الحق

كان عبد الله بن يحيى من حضرموت ، وكان مجتهداً عابداً ، فرأى باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه ، وكتب الى أبي عبيدة ومسلمة بن أبي كريمة الذى يقال له كودين مولى بنى تميم وكان ينزل في الأزد والى غيره من الإباضية بالبصرة يشاورهم فى الخروج ، فكتبوا اليه « إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدرى متى يأتى عليك أجلك ولله خيرة من عباده يبعثهم اذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء » وشخص اليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى وغيره من الإباضية فبايعوه وقصدوا دار الامارة ، وعلى حضرموت ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندى فأخذوه فحبسوه يوماً ثم أطلقوه ، أقام عبد الله بن يحيى بحضرموت وكثر جمعه وسموه طالب الحق ، ثم توجه الى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في الفين و بلغ القاسم بن عمر أخا يوسف ابن عمر وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء مسير عبد الله بن يحيى فخرج يريده فى سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير فلقيه عبد الله بالجحر قريباً من أبين فهزمه ومضى الى صنعاء فدخلها بعد حرب شديدة وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظ وذكر وحذر ثم قال « انا ندعوكم الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وإجابة من دعا اليه ، الاسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن امامنا ، رضينا بالحلال حلالا لا نبغى به بديلا ولا نشترى به شيئاً قليلا ،

وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة الا بالله والى الله المشتكى وعليه المعول ، من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك فى أنه كافر فهو كافر ، ندعوكم الى فرائض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد عَدْل فيما حكم وندعو الى توحيد رب العالمين واليقين بالوعيد والوعد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأعداء الله ، أيها الناس ان من رحمة الله ان جعل فى كل فَتْرة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل من أهل الهوى ويصبرون على الألم فى جنب الله تعالى يقتلون على الحق فى سالف الدهور شهداء فما نسيهم ربك وما كان ربك نَسِيًا أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به فأبْلُوا الله بلاء حسناً فى أمره وذكره أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ، وأقام بصنعاء أشهراً يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه ويكف عن الناس فكثر جمعه وأتته الشُّراة من كل جانب ، ولما جاء وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبَلْج بن عقبة وأبرهة بن الصباح فى تسعمائة وأمره ان يقيم بمكة اذا صدر الناس ويوجه بلجا الى الشام فقدم المختار مكة يوم التَّرْوية وعليها عبد الواحد بن سليمان ابن عبد الملك فكره قتالهم ودعاهم الى الهُدْنة ، فقالوا نحن بحجنا أضَنُّ وعليه أشح ، فصالحهم على أنهم جميعاً آمنون بعضهم من بعض حتى ينْفِر الناس النَّفْر الأخير ، فلما كان النَّفْر الأول نفر عبد الواحد وخلى مكة لأبى حمزة فدخلها بغير قتال وسار الى المدينة وجهز جيشاً الى الخوارج فساروا حتى نزلوا قُدَيد ، فلم يَرُعهم الا القوم قد خرجوا عليهم فقاتلهم الشُّراة وأكثروا القتل فيهم ولم يفلت منهم كثير أحد وكانت الموقعة لتسع أو لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة وبلغت قتلى قُديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا منهم من قريش ٤٥٠ ومن الأنصار ٨٠ ومن القبائل والموالى ٧٠٠ ودخل الشراة المدينة بدون قتال فدخل أهلها فى طاعته وكف عنهم وقالت نائحة أهل المدينة تبكي قتلى قديد

ما للزمان ومالية أفنت قُدَيد رجاليه
فلأبكين سريرة ولأبكين علانية
ولأبكين اذا خلو ت مع الكلاب العاوية
ولأثنين على قُدَيد يسوء ما أبلانيه

وقال عمرو بن الحصين الكوفي مولى بني تميم

ما بال همك ليس عنك بعازب يَمْري سوابق دمعك المتساكب
وتبيت تكتلىء النجوم بمقلة عبرى تسر بكل نجم دائب
حذر المنية أن تجيء بداهة لم أقض من تبع الشُّراة مآربي
فأقود فيهم للعدا شَنِجَ النَّسا عَبْل الشَّوى أسوان ضمر الحالب
متحدراً كالسَّيد أخلص لونه ماء الحسيك مع الجلال اللاتب
أرمي به من جمع قومي معشراً بُوراً الى جَبَرِية ومعايب
في فتية صُبُر ألفُّهم به لَفَّ القِداح يدَ المفيض الضارب
فنديز نحن وهم فيما بيننا كأس المنون تقول هل من شارب
فنظل نُسقيهم ونشرب من قنًا سمر ومُرْهَفة النصول قواضب
بينا كذلك نحن جالت طعنة نَجْلاء بين لَهًا وبين ترائب
جوفاء مُنْهِرة (١) تُرِي تامورها ظُبَتا سِنان كالشهاب الثاقب
أهوى لها شق الشمال كأنني حفَض (٢) لقًى تحت العَجاج العاصب
يارب أوجبها ولا تتعلقن نفسي المنون لدى أكف قرائب
كم من أولى مِقَة صحبتهم شرَوا فخذلتهم ولبئس فعل الصاحب
متأوهين كأن في أجوافهم ناراً تسعرها أكف حواطب
تلقاهمُ فتراهمُ من راكع أو ساجد متضرع أو ناحب

(١) أنهر الطعنة وسعها والتامور الدم (٢) الحفض المتاع

يتلو قوارع تمترى عبراته فيجودها مرّى المرىء الحالب
سُبُر مجانفة الأمور أطبّة للصدع ذى النبأ الجليل مدائب
ومبرئين من المعايب أحرزوا خُصَل المكارم أتقياء أطايب
عدوا صوارم للجلاد وباشروا حد الظُّبات بآنف وحواجب
ناطوا أمورهمُ بأمر أخ لهم فرمى بهم قُحَم الطريق اللاحب
متسربلى حلَق الحديد كأنهم أسد على لُحْق البطون سلاهب
قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل تنفى عِداها جانباً عن جانب
تحمى أعنتها وتحوى نهجها لله أكرم فتية وأشايب
حتى وردن حياض مكة قُطَّنا يحكين واردة اليمام القارب (١)
ما ان أتين على أخى جبرية الا تركنهمُ كأمس الذاهب
فى كل معترك لهم من هامهم فلق وأيد عُلِّقت بمناكب
سائل بيوم قُدَيْدَ عن وقعاتها تخبرك عن وقعاتها بعجائب

دخل أبو حمزة المدينة سنة ١٣٠ ، فرقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال «يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فأسأتم لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم نعم ، وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم نعم ، فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم فنناشدهم الله أن يتنحّوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لأنفسهم فقلتم لا ، فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نلقاهم فان ظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه فقلتم لا ، فقلنا لكم خلوا بيننا وبينهم فان نظفر نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم فيأكم بينكم فأبيتم وقاتلتمونا دونهم ، فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم ، يا أهل المدينة مررت بكم فى أزمان الأحول هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة فى ثماركم فركبتم اليه تسألونه

(١) القارب طالب الماء ليلا

أن يضع خَرَاجكم عنكم فكتب بوَضعها عنكم ، فزاد الغني غنى والفقير فقراً ، فقلتم جزاك الله خيراً فلا جزاه الله خيراً ولا جزاكم » وانتخب مروان من عسكره أربعة آلاف استعمل عليهم عبد الملك بن عطية السعدي أحد بنى سعد بن بكر ، وقال أبو صخر حين بلغه قدوم ابن عطية

قل للذين استُضْعِفوا لا تعجلوا أتاكم النصر وجيش جَحْفَل
عشرون ألفاً كلهم مُسَرْبل يقْدُمهم جَلد القوى مستبسل
دونكمُ ذاك يمين فاقبلوا وواجهوا القوم ولا تستخجلوا
عبد المليك القُلَّبيّ الحوَّل أقسم لا يَفْلى ولا يُرَجَّل
حتى يبيد الأعور المضلَّل ويقتل المصباح والمفضل

الأعور عبد الله بن يحيى رئيسهم ، وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة فى ستمائة ليقاتل ابن عطية ، فلقيه بوَادي القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ١٣٠ ، فقتل بلج وأكثر أصحابه ولم يرجع الى أبى حمزة الا ثلاثون رجلاً ، وخرج أبو حمزة من المدينة الى مكة واستخلف رجلاً يقال له المفضل عليها فدعا عبد الرحمن ابن أسيد الى قتالهم ، فالتف عليه البربر والزنج وأهل السوق والعبيد ، فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل وعامة أصحابه فلم يبق بالمدينة منهم أحد ، وأتى ابن عقبة المدينة فأقام بها شهراً ، ثم توجه الى مكة فلقى جنود أبى حمزة فقهرهم وقتل أبو حمزة وقتلت معه امرأته وهى ترتجز وتقول

أنا الجعيداء وبنت الأعلمْ من سال عن إسمى فاسمى مريم
بعت سوارىَّ بسيف مِخْذَم

وذهب فَلُّ الشراة الى عبد الله بن يحيى فأقبل من صنعاء معه أصحابه يريد قتال ابن عطية ، وبلغ ابن عطية خبره فشخص اليه ، فالتقوا ، فأكثر أهل الشام القتل فيهم ولم يزالوا حتى قتل عبد الله بن يحيى وأكثر من معه ، فقال عمرو بن الحصين يرثيه وأبا حمزة

هبّت قبيل تبلج الفجر هند تقول ودمعها يجرى
أن أبصرت عينى مدامعها ينهلّ وا كفها على النحر
أنّى اعتراك وكنت عهدي لا سرب الدموع وكنت ذاصبر
أقذى بعينك ما يفارقها أم عائر أم مالها تُذْري
أم ذكر اخوان فجعت بهم سلكوا سبيلهم على خُبُر
فأجبتها بل ذكر مَصْرَعهم لا غيره عبراتها تَمْري
يا رب أسلكنى سبيلهمُ ذا العرش واشددبالتقى أزْرى
فى فتية صبروا نفوسهمُ للمشرفية والقنا السُّمْر
تالله ألقى الدهر مثلهمُ حتى أكون رهينة القبر
أوفى بذمتهم اذا عقدوا وأعف عند العسر واليسر
متأهلين لكل صالحة ناهون من لاقَوْا عن النُّكْر
صُمْت اذا احتضروا مجالسهم وُزْن لقول خطيبهم وُقْر
الا تجيبهمُ فانهمُ رُجُف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضًى للخوف بين ضلوعهم يسرى
تلقاهمُ إلا كأنهمُ لخشوعهم صَدَروا عن الحشر
فهمُ كأن بهم جَوَى مرض أو مسهم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهم فيه غواشى النوم بالسكر
إلا كذا خِلَساً وآونة حذر العقاب وهم على ذُعْر
كم من أخ لك قد فجعت به قوّام ليلته الى الفجر
متأوه يتلو قوارع من آى القران مُفزَّع الصدر
نَصِب تجيش بنات مهجته من خوف جيش مشاشة القدر
ظمآن وَقْدَة كل هاجرة تَرّاك لذته على قدر

تراك ما تهوى النفوس اذا رُغِّبَ النفوس دعت الى النزر
والمصطلى بالحرب يسعرها بغبارها وبفتية سُعُر
يجتاحها بأفلّ ذى شُطَب عضب المضارب قاطع يُفْرى
لا شئ يلقاه أمر له من طعنة فى ثُغْرة النحر
مُنْهِرة منه تجيش بما كانت عواصى جوفه تجرى
كخليلك المختار أذْكِ به من مغتد فى الله أو مُسْر
خواض غمرة كل مُتْلِفة فى الله تحت العِثْير الكَدِر
تراك ذى النَّخوات مختضبا بنجيعه بالطعنة الشَّزْر
وابن الحصين وهل له شبه فى العرف أنّى كان والنُّكر
بشهامة لم تَحْنِ أضلعه لذوى أخوته على غمر
طَلْق اللسان بكل محكمة رآب صدع العظم ذى الوقر
لم ينفكك في جوفه حزن تَغْلِى حرارته وتستشرى
ترقى وآونة يخفضها بتنفس الصُّعَداء والزَّفر
ومخالطى بَلْج وخالصتى سَمّ العدو وجابرى الكسر
نِكل الخصوم اذا هم شَغَبوا وسِداد ثَلْمة عورة الثَّغْر
والخائض الغمرات يخطِر فى وسط الأعادى أيما خَطَر
بمُشَطَّب أو غير ذى شُطَب هام العدى بذُبابه يفْرى
وأخيك أبرهة الهِجان أخى الحرب العوان ملقح الجمر
بمُرِشَّة (١) فرْغا تَثِج دما ثَجّ الغوى سُلافة الخمر
والضارب الأخدود ليس لها أحد ينهنهها عن السَّحْر (٢)

(١) المرشة الطعنة ورشاشها دمها والفرغاء الواسعة (٢) الضربة الأخدود هى التى يخد فى الجلد أى يشق والسحر الرئة

وولى حكمهمُ فجعت به عمرو فوا كبدى على عمرو
قوال محكمة وذى فهم عفّ الهوى متثبت الأمر
ومسيب فاذكر وصيته لا تنسها ما كنت ذا ذكر
فكلاهما قد كان محتسبا لله ذا تقوى وذا برّ
فى مُخْبِتين ولم أسمهمُ كانوا يدى وهم أولو نصرى
وهمُ مساعر فى الوغى رُجُح وخيار من يمشى على العفر
حتى وفَوْا لله حيث لقُوا بعهود لا كذب ولا غدر
فتخالسوا مهجات أنفسهم وعداتهم بقواضب بُتْر
وأسنة ركبن فى لُدُن خطية بأكفهم زهر
تحت العجاج وفوقهم خرَق تخفقن من سود ومن حمر
فتفرجت عنهم كأنهمُ لم يغمضوا عيناً على وِتْر
فشعارهم نيران حربهمُ ما بين أعلى الشّحر فالحجر (١)
صَرْعَى فحالجة تنوبهمُ وجوامع (٢) لحماتهم تفرى

ثم ذهب ابن عطية الى صنعاء فأنقاها من الخوارج

(١) الشحر صقع بين عدن وعمان والحجر ديار ثمود بوادى القرى (٢) الجامعة الغل

شعراء أسد

أيمن بن خريم

هو أيمن بن خُريم بن فاتك الأسدي من أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضر

شاعر اسلامى أموى ، وكان يتشيع ، وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها

وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان منازعة ، فعصب لكل واحد منهما أخواله وكان أيمن حاضراً فاعتزل هو ورجل من قومه يقال له ابن كوز وقال

أأقتل بين حجاج ابن عمرو ... وبين خصيمه عبد العزيز
أنقتل ضلّة فى غير شىء ... ويبقى بعدنا أهل الكنوز
لعمر أبيك ما أوتيت رشدي ... ولا وفقت للحزر الحريز
فانى تارك لهما جميعاً ... ومعتزل كما اعتزل ابن كوز

أصاب يحيى بن الحكم جارية فى غزاة وبها وضح ، فقال أعطوها أيمن بن خريم وكان موضحاً ، فأنشأ يقول

تركت بني مروان تندى أكفهم ... وصاحبت يحيى ضلّة من ضلاليا
فانك لو أشبهت مروان لم تقل ... لقومى هجرا ان أتوك ولا ليا

قال عبد الملك بن مروان يا معشر الشعراء تشبهوننا مرة بالأسد الأبخر ومرة بالجبل الأوعر ومرة بالبحر الأجاج ، ألا قلتم كما قال أيمن بن خريم فى بني هاشم ؟

نهاركمُ مكابدة وصوم ... وليلكمُ صلاة واقتراء

وليتم بالقران وبالتزكى فأسرع فيكمُ ذاك البلاء
بكى نجد غداة غد عليكم ومكة والمدينة والجواء
وحق لكل أرض فارقوها عليكم لا أبالكم البكاء
أأجعلكم وأقواماً سواء وبينكمُ وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماء

دخل نصيب يوماً الى عبد العزيز بن مروان فأنشده قصيدة له امتدحه بها ، فأعجبته وأقبل على أيمن بن خريم ، فقال كيف ترى شعر مولاى ؟ قال هو أشعر أهل جلدته ، فقال هو أشعر والله منك ، قال أمنّى أيها الأمير ؟ فقال إى والله ، قال لا والله ولكنك طَرِف ملول ، فقال له لو كنت كذلك ما صبرت على مؤاكلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك ، فقال له ائذن لي أيها الأمير فى الانصراف ، قال ذلك اليك ، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان وقال فيه

ركبت من المقطَّم فى جُمادَى الى بشر بن مَرْوان البريدا
ولو أعطاك بشر ألف ألف رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشر عمود الدين ان له عمودا
ودع بشراً يقوِّمهم ويُحْدِثْ لأهل الزيغ إسلاماً جديدا
وانا قد وجدنا أم بشر كأم الأسد مذْ كاراً ولودا
كأن التاج تاج أبى هِرَقْل جَلَوْه لأعظم الأيام عيدا
يحالف لونه ديباج بشر اذا الألوان خالفت الخدودا

يعرض بنمش كان بوجه عبد العزيز ، ولما أتى بشراً نظر الناس يدخلون عليه أفواجاً ، فقال من يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه ؟ فقيل له ليس على الأمير حجاب ولا ستر ، فدخل وهو يقول

يُرَى بارزاً للناس بشر كأنه اذا لاح فى أثوابه قمر بدر

ولو شاء بشر أغلق الباب دونه طماطمُ [١] سود أو صقالبة شُقْرِ
أبى ذا ولكن سهل الاذن للتى يكون له فى غبها الحمد والشكر

فضحك اليه بشر وقال إنا قوم نحجب الحرم وأما الأموال والطعام فلا، وأمر له بعشرة آلاف درهم

لما طالت الحرب بين غزالة وأهل العراق وهم لا يُغنون شيئاً قال أيمن

أتينا بهم مائتى فارس من السافكين الحرام العبيطا
وخمسون من مارقات النساء يسحبن للمنديات [٢] المروطا
وهم مائتا ألف ذوى قَوْنَس يَئِطّ العراقان منهم أطيطا
رأيت غزالة ان طرّحت بمكة هودجها والغبيطا
سمت للعراقين فى جمعها فلاقى العراقان منها البَطيطا [٣]
ألا يستحى الله أهل العرا ق أن قلدوا الغانيات السموطا
وخيل غزالة تسبى النساء وتحوي النهاب وتحوي النبيطا

ومن قوله

وصهباء جُرْجانية لم يَطُفْ بها حنيف ولم تَنْغَرْ [٤] بها ساعة قدر
ولم يشهد القسُّ المهيمن نارها طروقاً ولا صلى على طبخها حبر
أتانى بها يحيى وقد نمت نومة وقد غابت الجوزاء وانحدر النسر
فقلت اصطبحها أو لغيري أسقها فها أنا بعد الشيب ويحك والخمر
تعففت عنها فى العصور التى خلت فكيف التصابى بعد ما كلأ [٥] العمر
اذا المرء وفّى الاربعين ولم يكن له دون ما يأتى حجاب ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي أتى ولو مد أسباب الحياة له العمر

(١) الطمطم بالكسر من فى لسانه عجمة لا يفصح (٢) المنديات المخزيات
(٣) البطيط الأمر العجيب (٤) تغلى (٥) كلأ انتهى الى آخره وأقصاه

كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء فلما أسن ضعف وازداد غرامه بهن فدخل اليه يوماً أيمن فقال كيف أنت ؟ فقال بخير يا أمير المؤمنين ؟ قال فكيف بقوتك ؟ فقال كما أحب والله الحمد انى لآكل الجذعة من الضأن بالصاع من البر وأشرب العسّ الملوء وأرتحل البعير الصعب وأنصبه وأركب المهر الأرن فأذلله وأفترع العذراء ولا يقعدنى عنها الكبر ولا يمنعنى عنها الحصر ولا يُزوينى منها الغمر ولا ينقص مني الوطر ، فغاظ عبد الملك قوله وحسده فمنعه العطاء وحجبه وقصده بما كره حتى أثر ذلك فى حاله ، فقالت له امرأته ويحك اصدُقني عن حالك هل لك جرم ؟ قال لا والله ، قالت فأى شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر مالقيته ؟ فأخبرها ، فقالت انا لله من ههنا أتيت ، أنا أحتال لك فى ذلك حتى أزيل ماجرى عليك فقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك ، فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجه فقالت أسألك أن تستعدى لى أمير المؤمنين على زوجى ، قالت وماله ؟ قالت والله ما أدرى أنا مع رجل أو حائط وان له لسنين ما يعرف فراشى فسليه أن يفرق بينى وبينه ، فخرجت عاتكة الى عبد الملك فذكرت ذلك له وسألته فى أمرها ، فوجه الى أيمن بن خريم فحضر فسأله عما شكت منه فاعترف به ، فقال أولم أسألك عاماً أول عن حالك فوصفت كيت وكيت ؟ فقال يا أمير المؤمنين ان الرجل ليتجمل عند سلطانه ويتجلد على أعدائه بأكثر مما وصفت نفسى به وأنا القائل

لقيت من الغانيات العُجابا ... لو آدرك منى الغوانى الشبابا
ولكن جمع النساء الحسان ... عناء شديد اذا المرء شابا
ولو كِلْت بالمد للغانيات ... وضاعفت فوق الثياب الثيابا
اذا لم تُنلهن من ذاك ذاك ... جحدنك عند الأمير الكتابا
يَذُدن بكل عصا ذائد ... ويصبحن كل غداة صِعابا

إذا لم يخالطن كل الخلا ط أصبحن مُخرَنطمات غضابا
علام يكحلن حور العيون ويحدثن بعد الخضاب الخضابا
ويعركن بالمسك أجيادهن ويدنين عند الحجال العِيابا
ويبرقن إلا لما تعلمون فلا تحرموا الغانيات الضِّرابا

فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال أولى لك يا ابن خُرَيم لقد لقيت منهن تَرَحاً فما ترى أن نصنع فيما بينك وبين زوجك ؟ قال تستأجلها سنة وأداريها لعلى أستطيع امساكها ، قال أفعل ذلك وردها اليه وأمر له بما فات من عطائه وعاد الى بره وتقريبه

الحكم بن عبدل

هو الحكم بن عبْدل الأسدى من غاضرة بن مالك ثم من بني أسد بن خزيمة شاعر مجيد مقدم فى طبقته هجّاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأُموية وكان أعرج أحدب ومنزله ومنشؤه الكوفة . من شعره وفيه غناء

لقد حثّوا الجمال ليهربُوا منا فلم يئلوا
على آثارهن مُقَلَّص السربال معتمل
وفيهم قلبك المتبو ل بالحسناء مختبل
مخففة بحمل حما ئل الديباج والحلل
أسائل عاصما فى السر أين تراهمُ نزلوا
فقال همُ قريب منك لو نفعوك اذ رحلوا

كان للحكم حاجة الى عبد الملك بن بشر بن مروان فجعل يدخل عليه ولا يتهيأ له الكلام حتى جاء رجل فقال انى رأيت لك رؤيا ، فقال هاتها ، فقصها عليه ، فقال ابن عبدل وأنا قد رأيت أيضاً ، قال هات ما رأيت ، فقال

أغفيت قبل الصبح نوم مُسهَّد ... فى ساعة ما كنت قبل أنامها
فحبوتني فيما أرَى بوليدة ... مغنوجة حسن علىَّ قيامها
وبِبَدْرة حملت إليَّ وبغلة ... شهباء ناجيةٍ يصِلُّ لجامها
ليت المنابر يا ابن بشر أصبحت ... ترقى وأنت خطيبها وامامها

فأعطاه عبد الملك كل ما ذكر

دخل على ابن هبيرة وكان بخيلا فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال

أتيتك في أمر منَ آمر عشيرتى ... وأعمى الأمور المفظعات جسيمها
فان قلت لى فى حاجتى أنا فاعل ... فقد ثلجت نفسى وولى همومها

قال أنا فاعل ان اقتصدت فما حاجتك ؟ قال غرم لزمني فى حَمالة ، قال وكم هى ؟ قال أربعة آلاف ، قال نحن مناصفوكها ، قال أصلح الله الامير أتخاف علىَّ التخمة ان أتممتها ؟ قال أكره أن أعود الناس هذه العادة ، قال فأعطني جميعها سراً وامنعنى جميعها ظاهراً حتي تعود الناس المنع وإلا فالضرر عليك واقع ان عوضتهم نصف مايطلبون ، فضحك ابن هبيرة وقال ماعندنا غير ما بذلناه لك ، فجثا بين يديه وقال امرأته طالق لا أخذت أقل من أربعة آلاف أو أنصرف وأنا غضبان ، قال أعطوه إياها قبحه الله فانه ما علمت حلاف مهين ، فأخذها وانصرف

وقع طاعون بالكوفة أفنى بنى غاضرة ومنهم زِرّ بن حبيش وكانوا ظرفاء فقال الحكم بن عبدل يرثيهم

أبعد بني زِرّ وبعد ابن جَنْدل ... وعمرو أرجّي لذة العيش فى خفض
مضَوْا وبقينا نأمُل العيش بعدهم ... ألا ان من يبقى على إثر من يمضى
فقد كان حولى من جياد وسالم ... كهول مساعير وكل فتى بضّ
يرى الشح عاراً والسماحة رفعة ... أغرّ كعود البانة الناعم الغض

سأل محمد بن حسان حاجة لرجل سأله مسألته اياها وهى أن يضع عنه ثلاثين

درهماً من خراجه ، فقال أماتنى الله ان كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً ، فقال فيه

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً وكنت أراه ذا وَرَع وقصد
يقول أماتنى ربى خداعاً أمات الله حسان بن سعد
فلولا كسبه لوُجدتَ فَسْلاً لئيم الكسب شأنك شأن عبد
ركبت اليه فى رجل أتانى كريم يبتغى المعروف عندى
فقلت له و بعض القول نصح ومنه ما أسر له وأبدى
تَوَقَّ كرائم البكرى انى أخاف عليك عاقبة التعدى
أقرب كل آصرة ليدنو فما يزداد منى غير بعد
فأقسم غير مستثن يميناً أبا بحر لتتخمن ردى

واشتهرت هذه القصيدة حتى ان كان المُكارى يسوق بغله أو حماره فيقول عدّ أمات الله حسان بن سعد فاذا سمع ذلك أبوه قال بل أمات الله ابنى محمدا فهو عرضني لهذا البلاء فى ثلاثين درهماً

كان الحكم صديقاً لبشر بن مروان فرأى منه جفاء لشغل عرض له فغاب عنه شهراً ثم التقيا فقال يا ابن عبدل مالك تركتنا وقد كنت لنا زواراً ؟ فقال

كنت أثنى عليك خيراً فلما أضمر القلب من نوالك ياسا
كنت ذا منصب قَنَيت حيائى لم أقل غير أن هجرتك ياسا
لم أُطق ما أردت بى يا ابن مروا ن ستلقَى اذا أردت أناسا
يقبلون الخسيس منك ويُثنو ن ثناء مُدَخْساً دخماسا

فقال له لانسومك الخسيس ولا نريد منك ثناء مدخساً ووصله وحمله وكساه ولما مات بشر رثاه بقوله

أصبحت جَمَّ بلابل الصدر متعجباً لتصرف الدهر

ما زلت أطلب فى البلاد فتى ليكون لي ذُخراً من الذُّخر
ويكون يُسعدنى واسعده فى كل نائبة من الأمر
حتى اذا ظفرت يداى به جاء القضاء بحَيْنِه يجرى
انى لفى هم يبـاكرنى منه وهم طارق يسرى
فلأصبرن وما رأيت دوا للهمّ غير عزيمة الصبر
والله ما استعظمت فرقته حتى أحاط بفضله خُبرى

كان الحكم أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله ، فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، فقال فى ذلك يحيى بن نوفل

عصا حكم فى الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب فى المرضاة منها ويرهب

فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها ، فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى ما أردت من عصاى حتى صيرتها ضحكة ؟ واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل ، وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع

كان للحكم صديق أعمى يقال له أبو عُلية ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما الى منزل بعض اخوانهما ، والحكم يُحمل ، وأبوعلية يقاد ، فلقيهما صاحب العَسَس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلما استقرا فى الحبس نظر الحكم الى عصا أبى علية موضوعة الى جانب عصاه ، فضحك وأنشأ يقول

حبسي وحبس أبى علية من أعاجيب الزمان
أعمى يقاد ومقعد لا الرجل منه ولا اليدان
هذا بلا بصر هنا لك وبي يَخُبّ الحاملان

يا من رأى ضبّ الفلا ة قرين حوت في مكان
طرفي وطرف أبي علية دهرنا متوافقان
من يفتخر بجواده فجوادنا عكازنان
طرفان لا علفاهما يشرى ولا يتصاولان
هبني وإياه الحريق أكان يسطع بالدخان

وكان اسم أبي علية يحيى ، فقال فيه الحكم أيضاً

أقول ليحيى ليلة الحبس سادرا ونومي به نوم الأسير المقيد
أعنّي على رعي النجوم ولحظها أعنك على تحبير شعر مقصّد
ففي حالتينا عبرة وتفكر وأعجب شيء حبس اعمى ومقعد
كلانا اذا العكاز فارق كفه ينيخ صريعاً أو على الوجه يسجد
فعكازه يهدى الى السبل أكمها وأخرى مقام الرجل قامت مع اليد

ولي الشرطة بالكوفة رجل أعرج ، ثم ولى الامارة آخر أعرج ، وخرج ابن عبدل وكان أعرج ، فلقي سائلاً أعرج وقد تعرض للأمير يسأله ، فقال ابن عبدل للسائل

ألق العصا ودع التحامق والتمس عملاً فهذي دولة العرجان
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً ياقومنا لكليهما رجلان
فاذا يكون أميرنا ووزيرنا وأنا فان الربع للشيطان

فبلغت أبياته ذلك الأمير ، فبعث اليه بمائتي درهم وسأله أن يكف عنه

صحب ابن عبدل معروف بن بشر حيناً ، فأبطأ عنه بصلته ، فتغيب عنه أياماً ثم أتاه ، فقال أين كنت ؟ قال أصلح الله الأمير خطبت بنت عم لي فأرسلت إليّ إن لي أشاوى [1] على الناس وديوناً فانطلق فاجمع ذلك ثم ائتني فافعل ، ففعلت ، فلما أتيتها بحاجتها كتبت إليّ تؤيسني وتقول

(٢) أشاوى جمع أشياء

سيخطئك الذى أملت مني ... اذا انتقضت عليك قُوَى حبالى
كما أخطاك معروف بن بشر ... وكنت تعده لك رأس مال
فلا والله لو كرهت شمالى ... يميني ما وصلت بها شمالى

فضحك ابن بشر وقال ما ألطف ما سألت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم

أراد عمر بن هُبيرة أن يُغْزِى الحكم فاعتل بالزَّمانة ، فحمل وألقى بين يديه فجرده فاذا هو أعرج مفلوج فوضع عنه الغزو وضمه اليه وشخص به معه الى واسط ، فقال الحكم

لعمري لقد جردتني فوجدتني ... كثير العيوب سيء المتجرد
فأعفيتني لما رأيت زمانتي ... ووفقت مني للقضاء المسدد

خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى الى مسجد بني غاضرة ، وقد أقيمت الصلاة ، فنزل يصلي ، واجتمع الناس لمكانه فى الطريق ، وأشرف النساء من السطوح ، فلما قضى صلاته قال لمن هذا المسجد ؟ قالوا لبني غاضرة ، فتمثل قول الشاعر .

ما إن تركن من الغواضر مُعْصِراً ... الا قصمن بساقها خلخالا

فقالت له امرأة من المشرفات

ولقد عطفن على فزَارة عَطْفة ... كَرّ المنيح وجلن ثم مَجَالا

فقال يزيد من هذه ؟ فقالوا بنت الحكم بن عبدل ، فقال هل تلد الحية الا حية ؟ وقام خجلاً

كان ابن عبدل أعرج أحدب وكان من أطيب الناس وأملحهم ، فلقيه صاحب العَسَس ليلة وهو سكران محمول في مَحَفَّة ، فقال له من أنت ؟ فقال يا بغيض أنت أعرف بى من أن تسألنى من أنا ، فاذهب الى شغلك ، فانك تعلم أن اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفة ، فضحك الرجل وانصرف عنه

دخل ابن عبدل على ابن هُبيرة فقال له أنشدنى شيئاً ، فقال أنشدك مقولة أيها الأمير ، قال هات ، فأنشده هذه الأبيات وهى قديمة ، وقد تمثل بها ابن الأشعث حين خرج ، ويروي أنها لأعشى همدان

نجمّ ولا نعطى وتعطى جيوشهم وقد ملؤا من مالنا ذا الأكارع
وقد كفونا عدّة وروائعـــا فقد وأبى رُعنا كمُ بلروائع
ونحن جلبنا الخيل من ألف فرسخ اليكم بمحمر من الموت ناقع

فغضب ابن هبيرة من تعريضه وقال له والله لولا أنى قد أمنتك واستنشدتك لضربت عنقك

كانت للحكم جارية سوداء وقد كان يميل اليها ، فولدت ابناً أسود ، فكان من أعرم الصبيان ، فقال فيه

يارب خال لك مسود القفا لا يشتكي من رجله مس الحفا
كأن عينيـــه اذا تشوفا عينا غراب فوق نيق[1] أشرفا

ولد للحكم ابن فسماه بشراً ، ودخل على بشر بن مروان فقال

سميت بشراً ببشر الندى فلا تفضحنى بتصداقها
اذا ما قريش قريش البطا ح عند تجمع آفاقها
تسامت قرومهمُ للندى تبارى الرياح بأوراقها
فمالك أنفع أمواهـا وخلقك أكرم أخلاقها

فأمر له بألفى درهم وقال له استعن بهذه على أمرك

اقترض ابن عبدل مالا من التجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أن يقضيهم المال عند طلوع الهلال ، فلما بقى من الشهر يومان قال

قد بات همى قرناً أكابده كأنما مضجعى على حجر

(١) النيق أرفع موضع فى الجبل

من رهبة أن يرى هلال غد فان رأوه فحق لي حذرى
وفقد بيضاء غادة كملت كأنها صورة من الصور
أصبحت من أهلى الغداة ومن مالي على مثل ليلة القدر

فبلغ خبره عبد الملك بن بشر فأعطاهم مالهم عليه وأضعفه له فقال

لما أتاه الذى أصبت به وأنشدوه إياه فى شعرى
جاد بضعفى ماحل من غرمى عفواً فزالت حرارة الصدر
لأشكرن الذى منحت به مادمت حياً وطال لي عمرى

اجتمع الشعراء الى الحجاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا للحجاج انما شعر ابن عبدل كله هجاء وشعر سخيف ، فقال قد سمعت قولهم فاستمع مني ، قال هات ، فأنشده قوله

وانى لأستغنى فما أبطرُ الغنى وأعرض ميسورى لمن يبتغى قرضى
وأعسر أحياناً فتشتد عسرتى فادرك ميسور الغنى ومعى عِرضى
وما نالنى حتى تجلت فأسفرت أخو ثقة فيها بقرض ولا فرض
ولكنه سيب الاله ورحلتى وشدي حيازيم المطية بالغَرْض (١)
لأكرم نفسى أن أرَى متخشعاً لذى منة يعطى القليل على النَّحْض (٢)
قد امضيت هذا فى وصية عَبْدَل ومثل الذى أوصى به والدى أُمضى
أكف الأذى عن أسرتي وأذوده على انني أجزى المقارض بالقرض
وأبذل معروفي وتصفو خليقتى اذا كُدِّرت أخلاق كل فتى مَحْض
وأقضى على نفسي اذا الحق نابني وفى الناس من يُقْضَى عليه ولا يقضى
وأمضى همومى بالزِّماع لوجهها اذا ما الهموم لم يَكد بعضها يَمضي
وأستنقذ المولى من الأمر بعدما يزِلّ كما زلّ البعير عن الدَّحض (٣)

(١) الغرض حزام الرحل (٢) النحض اللحم (٣) الدحض الزلق

وأمنحه مالي وودى ونصرتى وان كان محنىَّ الضلوع على بغضى
ويغمره سيبي ولو شئت ناله قوارع تبرى العظم من كلم مَضّ (١)
ولست بذى وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائى ولا أرضى

فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم فى كل مرة يعطيهم

الكميت

هو الكميت بن زيد بن خُنيس الأسدى من ثعلبة بن دُودان بن أسد شاعر مقدم عالم بلغات العرب، خبير بأيامها من شعراء مضر وألسنتها والمتعصبين على القَحْطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم العلماء بالمثالب والأيام المفاخرين بها، وكان فى أيام بنى أمية ولم يدرك بنى العباس وكان معروفا بالتشيع لبني هاشم مشهوراً بذلك وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره، ولم تزل عصبيته للعدنانية ومهاجاته شعراء اليمن متصلة والمناقضة بينه وبينهم شائعة فى حياته وبعد وفاته حتى ناقض دِعْبِل وابن أبى عُيَيْنَة قصيدته المذهبة بعد وفاته وأجابهما أبو الذلفاء البصرى مولى بني هاشم عنها، وكانت بينه وبين الطِّرِماح خُلْطة ومودة لم تكن بين اثنين، على تفاوت المذهب والعصبية والديانة، كان الكميت شيعياً عصبياً عدنانياً من شعراء مُضَر متعصباً لأهل الكوفة والطرماح خارجى صُفْرى قحطانى عصبي لقحطان من شعراء اليمن متعصب لأهل الشام، فقيل لهما ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء؟ قال اتفقنا على بغض العامة

لما قال قصيدته التى مطلعها ـ ألا حييت عنا يا مدينا ـ وهجا فيها قبائل قحطان غضب عليه خالد القَسْرى فاشترى جوارى روَّاهن قصائد الكُمَيت الهاشميات ودسهن الى هشام بن عبد الملك فلما سمع تلك القصائد منهن وعلم قائلها كتب الى

(١) المض مصدر مضه يمضه مضاً فأقام المصدر مقام الفاعل كما قالو رجل عدل أى عادل

خالد أن يقطع لسان الكميت ويده فهرب الى الشام واستجار بمَسْلَمة بن هشام واستجار أيضاً بقبر معاوية بن هشام وكان قد مات حديثاً فكلم أبناؤه فيه جدهم فأحضره هشام وقال له يا كميت أنت القائل

والا تقولوا غيرها تتعرفوا نواصيها تردى بنا وهى شُزَّب

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال أما بعد فانى كنت أتدهدى فى غمرة ، وأعوم في بحر غواية ، أخبى على خطلها ، واستفزنى وهلها ، فتحيرت فى الضلالة وتسكعت فى الجهالة ، مهزعاً عن الحق ، جائراً عن القصد ، أقول الباطل ضلالا ، وأفوه بالبهتان وبالا ، وهذا مقام العائذ مبصر الهدى ورافض العماية ، فاغسل عني يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن الجرمة ، ثم قال

كم قل قائلكم لعاً لكَ عند عثرته لعاثر
وغفرتم لذوي الذنو ب من الأكابر والأصاغر
أبني أميـــة انكم أهل الوسائل والأواصر
ثقتى لكل ملمـــة وعشيرتى دون العشائر
أنتم معـاون للخلا فة كابراً من بعد كابر
بالتسعـة المتتابعيـــن خلائفاً وبخير عاشر
والى القيامة لا تزا ل لشافع منكم وواتر

ثم قطع الانشاد وعاد الى خطبته فقال إغضاء أمير المؤمنين وسماحته وصباحته ، ومناط المتجعين بحبله ، من لا تحل حبوته لاساءة المذنبين ، فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين — فقال له ويلك يا كميت من زين لك الغواية ، ودلاك فى العماية ؟ قال الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد عزما — فقال ايه أنت القائل

فياموقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... وياحاطباً فى غير حبلك تحطب

فقال بل أنا القائل

الى آل بيت أبى مالك ... مناخ هو الأرحب الأسهل

نَمَتْ بأرحامنا الداخلا ... ت من حيث لا ينكر المدخل

بمرة والنضر والمالكيـ ... ـن رهط هم الأنبل الأنبل

وبارى خزيمة بدر السما ... ح والشمس مفتاح ما نأمل

وجدنا قريشاً قريش البطاح ... على ما بنى الأول الأول

بهم صلحَ الناس بعد الفساد ... وحيص من الفتق مارَ عبلوا[1]

فقال له وأنت القائل

لا كعبد المليك أو كوليد ... أو سليمان بعدُ أو كهشام

من يمت لا يمت فقيداً ومن ... يحيَ فلا ذو إلّة ولا ذو زمام

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يَرْقُب فى مؤمن إلاً ولا ذمة، فقال بل أنا القائل يا أمير المؤمنين

فالآن صرت الى أميـ ... ـة والامور الي مصاير

والآن صرت بها المصيـ ... ـب كمهتد بالامس حائر

يا ابن العقائل للعقا ... ئل والجحاجحة الأخاير

من عبد شمس والاكا ... بر من أمية فالاكابر

ان الخلافة والإما ... ف برغم ذى حسد وواغر

دَلفا من الشرف التلي ... ـد اليك بالرفد الموافر

فحللت مُعْتَلَجَ البطا ... ح وحل غيرك بالظواهر

فقال له ايه أنت القائل

فقل لبنى أميـة حيث حلوا ... وان خفت المهنّد والقطيعا

(١) رعبل الثوب مزقه وحاص الثوب خاطه بلا رقعة

أجاع الله من أشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا
بمرضيّ السياسة هاشمي يكون حياً لأمته ربيعا

فقال له لا تثريب يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تمحو عني قولي الكاذب قال بماذا ؟ قال بقولي الصادق

أورثته الحِصان أم هشام حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا
وتعاطى به ابن عائشة البد ر فأمسى له رقيباً نظيرا
وكساه أبو الخلائف مَرْوا ن سَنِيَّ المكارم المأثورا
لم تجَهَّمه البطاح ولكن وجدتها له معاناً [1] ودورا

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً وقال هكذا فليكن الشعر ، يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر وكان الى جانبه ، ثم قال قد رضيت عنك يا كميت ، فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين ان رأيت أن تزيد في تشريفي ولا تجعل لخالد على امارة ، قال قد فعلت ، وكتب له بذلك وأمر له بأربعين الف درهم وثلاثين ثوباً هشامية

كان هشام قد اتهم خالد بن عبد الله وكان يقال انه يريد خلعك فوجد بباب هشام يوماً رقعة فيها شعر فدخل بها على هشام فقرئت عليه وهي

تألّق برق عندنا وتقابلت أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها
فدونك قِدْر الحرب وهي مقرة لكفيك واجعل دون قدر جعالها
ولن تنتهي أو يبلغ الأمر حده فنَلْها برِسْل قبل الا تنالها
فتَجْشِمَ منها ما جشَمت من التي بسُوراء هرَّت نحو حالك حالها
تلافَ أمور الناس قبل تفاقم بعقدة حزم لا تخاف انحلالها
فما أبرم الأقوام يوماً لحيلة من الأمر الا قلدوك احتيالها
وقد تخبر الحرب العوان بسرها وان لم تبح من لا يريد سؤالها

(١) المعان المنزل

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الرواة فجُمعوا ، فأمر بالأبيات فقرئت عليهم ، فقال شعر من تشبه هذه الأبيات ؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم انه كلام الكميت ، فقال هشام نعم هذا الكميت ينذرني بخالد بن عبد الله

وفد الكميت على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوماً وقد اشتريت له سلامة القس فأدخلت اليه والكميت حاضر ، فقال له يا أبا المستهل هذه جارية تباع أفترى أن نبتاعها ؟ قال إي والله يا أمير المؤمنين وما أرى ان لها مثلا في الدنيا فلا تفوتنك ، قال فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك ، فقال

هي شمس النهار في الحسن الا ... انها فضلت بقتل الظراف
غضة بضة رخيم لعوب ... وعثة المتن شختة[1] الأطراف
زانها دلها وثغر نقي ... وحديث مرتل غير جاف
خلقت فوق منية المتمني ... فاقبل النصح يا ابن عبد مناف

فضحك يزيد وقال قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل ، وأمر له بجائزة سنية

جاء الكميت الى الفرزدق لما قدم الكوفة فقال له اني قد قلت شيئاً فاسمعه مني يا أبا فراس ، قال هاته فأنشده قوله

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ... ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل ... ولم يتطربني بنان مخضب
ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن الي أهل الفضائل والنهى ... وخير بني حواء والخير يطلب
الى النفر البيض الذين بحبهم ... الى الله فيما نابني أتقرب
بني هاشم رهط النبي فانني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مودة ... الى كنف عطفاه أهل ومرحب

(١) الشخت الدقيق العظام من الأصل لا هزال

وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا محباً على انى أذم وأغضب
وأُرمى وأرمى بالعداوة أهلها وانى لأوذى فيهمُ وأؤنب

فقال له قد طربت الى شئ ما طرب اليه أحد قبلك ، فأما نحن فلا نطرب ولا طرب من كان قبلنا الا الي ما تركت أنت الطرب اليه ، وقال له يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقى

لما خرج زيد بن على كتب الى الكميت اخرج معنا أنت القائل

ما أبالي اذا حفظت أبا القا سم فيكم ملامة اللوام

فكتب اليه الكميت

نجود لكم نفسى بما دون وثبة تظل لها الغربان حولي تحجل

دخل الكميت على خالد القسرى فأنشده قوله فيه

لو قيل للجود من حليفك ما ان كان الا اليك ينتسب
أنت أخوه وأنت صورته والرأس منه وغيرك الذَّنَب
أحرزت فضل النِّضال فى مَهَل فكل يوم بكفك القَصَب
لو أن كعباً وحاتماً نشرا كانا جميعاً من بعض ما تَهَب
لا تُخلف الوعد ان وعدت ولا أنت عن المعتفين تحتجب
ما دونك اليوم من نوال ولا خلفك للراغبين منقلب

فأمر له بمائة الف درهم

ومن شعره وفيه غناء

هلا سألت معالم الأطلال والرسم بعد تقادم الأحوال
دِمَنا تَهيج رسومُها بعد البِلَى طربا وكيف سؤال أعجم بالي
يمشين مشى قَطا البِطاح تأوَّدا قُبَّ البطون رواجح الأكفال
من كل آنسة الحديث حَيِيَّة ليست بفاحشة ولا متفال

أقصى مذاهبها اذا لاقيتها في الشهر بين أسرة وحجال
وتكون ريقتها اذا نبهتها كالشهد أو كسلافة الجريال

وهذا الشعر من قصيدة له يمدح بها مخلد بن يزيد المهلب يقول فيها

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة وإداته عن ذاك في أشغال
فعدت بهم همامهم وسمت به همم الملوك وسورة الأبطال
فكأنما عاش المهلب بينهم بأغر قاس مثاله بمثال
في كفه قصبات كل مقلد يوم الرهان وقوت كل نصال
ومتى أزنك بمعشر وأزنهم بك ألف وزنك راجح الأثقال

قال ابن شبرمة للكميت انك قلت في بني هاشم فأحسنت وقلت في بني أمية أفضل ، قال اني اذا قلت أحببت أن أحسن

قال ابن كناسة كان الكميت طويلا أصم ولم يكن حسن الصوت ولا جيد الانشاد فكان اذا استُنشد أمر ابنه المستهل فأنشد وكان فصيحاً حسن الانشاد

كان الكميت مداحاً لأبان بن الوليد البَجَلي وكان أبان له محباً واليه محسناً ، فمدح الكميت الحكم بن الصَّلْت وهو يومئذ يخلف يوسف بن عمر بقصيدة أولها

طربت وهاجك الشوق الحثيث

فلما أنشده إياها وفرغ دعا الحكم بخازنه ليعطيه الجائزة ثم دعا بأبان بن الوليد فأدخل عليه وهو مكبل بالحديد فطالبه بالمال ، فالتفت الكميت فرآه فدمعت عيناه وأقبل على الحكم فقال أصلح الله الأمير اجعل جائزتي لأبان واحتسب بها له من هذا النجم ، فقال له الحكم قد فعلت ردوه الى السجن ، فقال له أبان يا أبا المستهل ماحل له على شيء بعد ، فقال الكميت للحكم أبى تسخر أصلح الله الأمير ؟ فقال الحكم كذب قد حل عليه المال ولو لم يحل لاحتسبنا له مما يحل ، فقال له حوشب بن يزيد الشيباني وكان خليفة الحكم أصلح الله الأمير أتشفع حمار بني أسد في عبد

بجيله ؟ فقال له الكميت لئن قلت ذاك فوالله ما فررنا عن آبائنا حتى قتلوا ولا نكحنا حلائل آبائنا بعد أن ماتوا ، وكان يقال ان حوشباً فر عن أبيه فى بعض الحروب فقتل أبوه ونجا هو وفيه يقول الشاعر

نجى حُشاشته وأسلم شيخه لما رأى وقع الأسنة حوشب

التقت رَيّا بنت الكميت وفاطمة بنت أبان بن الوليد بمكة وهما حاجتان فتساءلتا حتى تعارفتا فدفعت بنت أبان الى بنت الكميت خلخالي ذهب كانا عليها ، فقالت لها بنت الكميت جزاكم الله خيراً يا آل أبان فما تتركون بركم بنا قديماً ولا حديثاً ، فقالت لها بنت أبان بل أنتم فجزاكم الله خيراً فانا أعطيناكم مايبيد ويفني وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد يتناشده الناس فى المحافل فيحيى ميت الذكر ويرفع بقية العقب

دخل الكميت على أبى جعفر محمد بن على عليهما السلام فقال له يا كميت أنت القائل

فالآن صرت إلى أميـــة والامور الى مصاير

قال نعم قد قلت ولا والله ما أردت به إلا الدنيا ولقد عرفت فضلكم ، قال أما ان قلت ذلك ان التَّقِيَّة لتحل

سئل معاذ الهرّاء من أشعر الناس ؟ قال أمن الجاهليين أم من الاسلاميين ؟ قالوا بل من الجاهليين قال امرؤ القيس وزهير وعَبيد بن الابرص ؟ قالوا فمن الاسلاميين ؟ قال الفرزدق وجرير والاخطل والراعى ، فقيل له يا أبا محمد ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت ، قال ذاك أشعر الأولين والآخرين

لما أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت

فبهم صرتُ للبعيد ابن عم وانهمت القريب أى انهمام
مبدياً صفحتى عن الموقف المعـــلم بالله قوتى واعتصامى

قال استقتل المرائى

كان سبب هجاء الكميت أهل اليمن أن شاعراً من أهل الشام يقال له حكيم ابن عياش الكلبي كان يهجو على بن أبي طالب عليه السلام و بنى هاشم جميعاً وكان منقطعاً الى بنى أمية فانتدب له الكميت فهجاه وسبه فأجابه ولج الهجاء بينهما ، وكان الكميت يخاف أن يفتضح فى شعره عن على عليه السلام لما وقع بينه وبين هشام وكان يظهر أن هجاءه اياه فى العصبية التى بين عدنان وقحطان ، فكان ولد اسماعيل بن الصباح بن الأشعث بن قيس وولد علقمة بن وائل الحضرمى يردون شعر الكلبي ، فهجا أهل اليمن جميعاً إلا هذين فانه قال فى آل علقمة

ولولا آل علقمة اجتدعنا بقايا من أنوف مصلمينا

وقال فى اسماعيل

فان لاسمعيل حقاً واننا له شاعبو الصدع المقارب للشعب

وكان لآل علقمة عنده يد لان علقمة آواه ليلة خرج الى الشام وأم اسمعيل من بنى أسد فكف عنهم لذلك

قال الكلبى

ما سرنى أن أمى من بنى أسد وأن ربى نجانى من النار
وأنهم زوجونى من بناتهم وان لي كل يوم الف دينار

فأجابه الكميت

يا كلب مالك أم من بني أسد معروفة فاحترق يا كلب بالنار
لكن أمك من قوم شنئت بهم قد قنعوك قناع الخزى والعار

فقال له الكلبي

لن يبرح اللؤم هذا الحى من أسد حتى يفرق بين السبت والأحد

قال المستهل بن الكميت لأبيه يا أبت انك هجوت الكلبى فقلت

ألا يا سلم من ترب أفى أسماء من ترب
ألا يا سلم حييت سلى عني وعن صحبى
ألا يا سلم غنينا وان هيجتما حبى
على حادثة الأيا م لي نصباً من النصب

وغمزت عليه ففخرت ببنى أمية وكنت تشهد عليهم بالكفر فألا فخرت بعلى وبني هاشم الذين تتولاهم ؟ فقال يا بنى أنت تعلم انقطاع الكلبى الى بني أمية وهم أعداء على عليه السلام فلو ذكرت علياً لترك ذكري وأقبل على هجائه فأكون قد عرضت علياً له ولا أجد له ناصراً من بني أمية ، ففخرت عليه ببني أمية وقلت إن نقضها علىَّ قتلوه وان أمسك عن ذكرهم قتلته غماً وغلبته ، فكان كما قال أمسك الكلبى عن جوابه فغلب عليه وأفحم الكلبى

اجتمع الكميت وحماد الراوية في مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامها فخالفه حماد فى شىء ونازعه ، فقال الكميت أتظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشعارها ؟ قال وما هو الا الظن ؟ هذا والله اليقين ، فغضب الكميت ثم قال لِكَمْ شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان بن عمرو تروى ؟ فقال حماد قولاً لم يحفظه الراوى ، فجعل الكميت يذكر رجلاً رجلاً من صنف صنف ويسأل حماداً هل يعرفه ؟ فاذا قال لا أنشده من شعره جزءا جزءا حتى ضجر السامعون ، ثم قال له الكميت فانى سائلك عن شىء من الشعر فسأل عن قول الشاعر (يزيد بن طُعْمة الخطْمى)

طرحوا أصحابهم فى ورطة قذفَك المَقْلة شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره فسأله عن قول الآخر

تَدْرينا بالقول حتى كأنما تدرين ولداناً تصيد الرَّهادنا

فأفحم حماد ، فقال له قد أجلتك الى الجمعة الأخرى ، فجاء حماد ولم يأت

بتفسيرهما وسأل الكميت أن يفسرهما له ، فقال المقلة حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم اذا سافروا وتوضع فى الاناء و يصب عليها الماء حتى يغمرها فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء والشطر النصيب والمعترك الموضع الذى يختصمون فيه فى الماء فيلقونها هناك عند الشرب ، وقوله تَذْرِينا يعنى النساء أى ختلننا فرمينا ، والرهادن طير بمكة كالعصافير

مات ورد أخو الكميت فقيل له ألا ترثى أخاك ؟ فقال مرثيته ومرزئته عندى سواء وانى لا أطيق أن أرثيه جزعاً عليه

وقد روى الكميت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمما رواه عن عكرمة أن عبد الله بن عباس بعثه مع الحسين بن علي عليهما السلام فجعل يُهِل حتى رمى جمْرة العَقَبة ، فسألته عن ذلك فأخبرنى أن أباه فعله ، فحدثت به ابن عباس فقال له لا أم لك أتسألنى عن شئ أخبرك به الحسين بن على عن أبيه والله انها لسنة ، وقال سألت أبا جعفر عن قول الله عز وجل « ان الذى فرض عليك القرآن لرادُّك الى مَعاد » فقال دخلت أنا وأبى الى أبى سعيد الخُدْرى فسأله أبى عنها فقال مَعاد آخرته الموت ،

دخل الكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فقال له جعلت فداك ألا انشدك ؟ قال انها أيام عظام ، قال انها فيكم ، قال هات ، وبعث أبو عبد الله الى بعض أهله فقرب ، فأنشده ، فكثر البكاء حين أتى على هذا البيت

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغَى أول

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه فقال اللهم اغفر للكميت ما قدم وما أخر ، وما أسرَّ وما أعلن وأعطه حتى يرضى ، ودخل عليه يوماً فأعطاه ألف دينار وكسوة فقال له الكميت والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه ، ولكنى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركتها ،

وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب ، ودخل على فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ، فقالت هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقدح فيه سَويق ، فحركته بيدها وسقت الكميت ، فشربه ، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب ، فهَمَلت عيناه وقال والله لا أقبلها انى لم أحبكم للدنيا

لما قدم ذو الرمة أتاه الكميت ، فقال له انى قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك « ما بال عينك منها الماء ينسكب » ، فقال له وأى شيء قلت ؟ فقال قلت

هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب أم كيف يحسن من ذي الشَّيْبة اللعب

حتى أنشده إياها ، فقال له ويحك انك لتقول قولاً ما يقدر انسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت ، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به ولا تقع بعيداً منه ، بل تقع قريباً منه ، قال أوَ تدري لِمَ ذلك ؟ قال لا ، قال لأنك تصف شيئاً رأيته بعينك ، وأنا أصف شيئاً وصف لي ، وليست المعاينة كالوصف ، فسكت

قال حماد الراوية كانت للكميت جدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية فاذا شك فى شعر أو خبر عرضه عليهما ، فتخبرانه عنه ، فمن هناك كان علمه

خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم فخرجوا في التبابين[1] ينادون ، لبيك جعفر لبيك جعفر ، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر ، فدَهِش ، فلم يعلم ما يقول فزعاً ، فقال أطعمونى ماء ، ثم خرج الناس اليهم فأخذوا ، فجعل يجيء بهم الى المسجد ويؤخذ طنّ قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل احتضنه ويضرب حتى يفعل ، ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً ، فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتل زيد بن علي ، فأنشده قوله فيه

(١) التبان بالضم سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين

خرجت لهم تمشي البَراح ولم تكن كمن حصنه فيه الرِّتاج المضبب
وما خالد يستطعم الماء فاغراً بعِدْلك والداعي الى الموت ينعب

والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، فغضبوا لخالد ، فوضعوا ذباب سيوفهم في بطن الكميت ، فوجؤه بها ، وقالوا أتنشد الأمير ولم تستأمره ؟ فلم يزل ينزفه الدم حتى مات

دخل المستهل بن الكميت على عبد الصمد بن علي فقال له من أنت ؟ فأخبره ، فقال لا حياك الله ولا حيا أباك هو الذي يقول

فالآن صرت الى أمية والأمور الى مصاير

فأطرق استحياء مما قاله وعرف البيت ، ثم قال له ارفع رأسك يا بنيَّ فلئن قال هذا فلقد قال

لخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم فلم أرَ غصباً مثله حين يغصب

فسلى بعض ما كان به ، وحادثه ساعة ، ثم قال ما يعجبك من النساء يا مستهل ؟ فقال

غرّاء تسحب من قيام فرعها جَثْلاً يزينه سواد أفحم
فكأنها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم

قال يا بنيَّ هذه لا تصاب الا في الفردوس ، وأمر له بجائزة

لما جاءت المسوِّدة سخروا بالمستهل وحملوا عليه حملاً ثقيلاً وضربوه ، فمرَّ ببني أسد فقال أترضَوْن أن يفعل بي هذا الفعل ؟ قالوا له هؤلاء الذين يقول أبوك فيهم

والمصيبون باب ما أخطأ النا س ومُرْسَى قواعد الاسلام

قد أصابوا فيك فلا نكذب أباك

أخذ العسس المستهل في أيام أبي جعفر وكان الأمر صعباً ، فحبس ، فكتب الى أبي جعفر يشكو حاله ، وكتب في آخر الرقعة

لئن نحن خفنا فى زمان عدوكم وخفنا كمُ ان البلاء لراكد

فلما قرأها أبو جعفر قال صدق المستهل وأمر بتخليته

حضر المستهل باب عيسى بن موسى ، وكان يكرمه ، فبلغه أنه قد غلب عليه الشراب فاستخف به ، وكان آخر من يدخل على عيسى بن موسى قوم يقال لهم الراشدون يؤذن لهم فى القعود ، فأدخل المستهل معهم فقال

ألم ترَ أنى لما حضرت دعيـــت فكنت مع الراشدينا

ففزت بأحسن أسمائهم وأقبح منزلة الداخلينا

ولد الكميت أيام مقتل الحسين بن علي سنة ستين ومات فى سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد ، وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً

قال المستهل حضرت أبى عند الموت وهو يجود بنفسه ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال اللهم آل محمد اللهم آل محمد ثلاثاً ثم قال له يا بنىَّ وددت أنى لم أكن هجوت نساء بنى كلب فعممتهن قذفا بالفجور والله ما خرجت بليل قط الا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك ثم قال يا بنىَّ إنه بلغنى فى الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج منه الموتى من قبورهم وهم ينبشون منها فيحولون الى قبور غير قبورهم فلا تدفنى فى الظهر ولكن اذا مت فامض بى الى موضع يقال له مَكْران فادفنى فيه ، فدفن فى ذلك الموضع وكان أول من دفن فيه وهى مقبرة بنى أسد الى الساعة

اسمعيل بن عمار

هو اسماعيل بن عمار بن عيينة الأسدى من بنى مالك بن ثعلبة ثم من بنى أسد شاعر مقل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والهاشمية وكان ينزل الكوفة ومن قوله يرثى ابنا له اسمه معن

ياموت مالك مولعاً بضرارى انى عليك وان صبرت لزار

تعدو عليَّ كأنني لك واتر وأؤول منك كما يؤل قراري
نفس البعيد اذا أردتَ قريبة ليست بناجية مع الأقدار
والمرء سوف وان تطاول عمره يوماً يصير لحفرة الحفار
لما علا عظمي به فكأنه من حسن بنيته قضيب نُضار
فجعتني بأعز أهلي كلهم تعدو عليه عداوة الجبار
هلا بنفسي أو ببعض قرابتي أوقعت أو ما كنت للمختار
وتركت ربتي التي من أجلها عفت الجهاد وصرت للامصار

قال له رجل من بني أسد هلم اركب معي الى يوسف بن عمر حتى أكلمه فيك يستعملك على عمل تنتفع به فقال له اسمعيل دعني حتى يحول الحول فنظر الى عمال يوسف يعذبون فقال

رأيت صبيحة النَّيْروز أمراً فظيعاً عن امارتهم نهاني
فررت من العمالة بعد يحيى وبعد النَّهْشلي أبي أبان
وبعد الزور وابن أبي كثير وبعد أشيجع وأبي بطان
فحابِ بها أبا عثمان غيري فما شأن الامارة لي بشان
أحاذر أن أقصر في خراجي الى النيروز أو في المهرجان
أعجل ان أتى أجلي بوقت وحسبي بالمحرَّجة المثاني
فما عذري اذا عرضت ظهري لألف من سياط الشاهجان
تعد ليوسف عداً صحيحاً ويحفظها عليه الجالدان
وأُسحب في سراويلي بقيدي الى حسان معتقل اللسان
فمنهم قائل بُعداً وسُحقاً ومنهم آخران يعذبان
كفاني من امارتهم عطائي وما أخدمت من سبق الرهان
كفاني ذاك منهم ما بقينا كما فيما مضى لي قد كفاني

كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وصيفة مغنية يؤدبها ليهديها الى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة فقال فيها اسمعيل بن عمار

بُوبَ حييت عن جليسك بوبا مخطئاً فى تحيتى أم مصيبا
ما رأينا قتيل حى حبا القا تلَ بالوِتْر أن يكون حبيبا
غير ما قد رُزقت يابوب منى فهنيئاً وان أتيت عجيبا
غير مَنّ به عليك وان كنـــتُ بقدر القيان طَبا طبيبا
بنت عشر أديبة فى قريش بخٍ فأكرم بهم أباً ونسيبا
أُدبت فى بنى أمية حتى كملت فى حجورهم تأديبا

ثم أهداها ابن عنبسة الى هشام فقال اسمعيل

ألا حييت عنـا نـــم سقياً لك يا بوبة
وأكرم بك مهـداة وأحبب بك مطلوبة
لقـد عاين من يلقا ك من حسنك أعجوبة
ويا ويلى ويا عولي فنفسى الدهر مكروبة
على هيفاء حوراء على جيداء رُعبوبة

ومن قوله يرثى خالد بن خالد بن الوليد بن عقبة بن ابى مُعَيط وكان اليه محسناً

ما لعين تفيض غـير جمود ليس تَرْقا ولا لها من هجود
فاذا قَرّت العيون استهلت فاذا نمن أُولعت بالسهود
ألنعى ابن خالد خالد الخيـــرات فى يوم زينة مشهود
سنحت لى يوم الخميس غداة الفطـــر طير بالنحس لا بالسعود
فتعيفت أنهن لأمر مُفْظِع ما جرين فى يوم عيد
فنعت خالد بن أروى وجل الخطـــب فقدان خالد بن الوليد

كان فى جوار اسمعيل رجل من قومه ينهاه عن السكر وهجاء الناس ويعذله ،

وكان اسمعيل له مغضباً فبنى ذلك الرجل مسجداً يلاصق داراسمعيل وحسنه وشيده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستر والصلاح منهم عامة نهارهم فلا يقدر اسمعيل أن يشرب فى داره ولا يدخل اليه أحد ممن كان يألفه من مغن أو مغنية أو غيرهما من أهل الريبة ، فقال اسمعيل يهجوه ، وكان الرجل يتولى شيئاً من الوقوف للقاضى بالكوفة

بنى مسجداً بنيانه من خيانة لعمرى لقد ما كنت غير موفق
كصاحبة الرمان لما تصدقت جرت مثلاً للخائن المتصدق
يقول لها أهل الصلاح نصيحة لك الويل لا تزنى ولا تتصدق

ولى العسس رجل غاضرى فأخذ بنى مالك وهم رهط اسمعيل بن عمار بأن كانوا معه فطافوا الى الغداة ، فلما أصبح غدا على الوالي مستعدياً على الغاضرى ، فقال له الوالي وكان رجلاً من همذان ما ذا صنع بك ؟ فأنشأ يقول

عسَّ بنا ليلته كلَّها ما نحن فى دنيا ولا آخره
يأمر أشياخ بنى مالك أن يحرسوا دون بنى غاضره
والله لا يرضى بذا كائنا من حكم همذان الى الساهره

فقال له الوالي قد لعمرى صدقت ، ووظف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب العسس فى عشائرهم ، ولا يتجاوزوا قبيلة الى قبيلة ، ويكون ذلك بنوائب بينهم

كان لاسمعيل جار يقال له عثمان بن درباس ، فكان يؤذيه ويسعى به الى السلطان فى كل حال ، ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشُّراة ، فأخذ وحبس ، فقال يهجوه

من كان يحسدنى جارى ويغبطني من الأنام بعثمان بن درباس
فقرب الله منه مثله أبداً جاراً وأبعد منه صالح الناس

جار له باب ساج مغلق أبداً عليه من داخل حراس أحراس
عبد وعبد وبنتاه وخادمه يدعون مثلهمُ من ليس من ناس
صفر الوجوه كأن السل خامرهم وما بهم غير جهد الجوع من باس
له بنون كأطباء معلقة فى بطن خنزيرة فى دار كناس
ان يفتح الباب عنهم بعد عاشرة تظنهم خرجوا من قعر أرماس
فليت دار ابن درباس معلقة بالنجم بين سلاليم وأمراس
فكان آخر عهدي منهمُ أبداً وابتعت داراً بغلمانى وأفراسى

وقال فيه أيضاً

ليت برذونى وبغلى وجوادي وحمارى
كن فى الناس وأبدلت غداً جاراً بجار
جار صدق يا ابن دربا س والا بعت دارى
فتبدلت به من يَمَن أو من نِزار
بدلا يعرف ما اللّه وما حق الجوار
لو تبدلت سواه طاب ليلي ونهارى
واسترحنا من بلايا ه صغار وكبار
لو جزيناه بها كنا جميعاً فى فجار
أو سكتنا كان ذلا داخلا تحت الشعار

فلما قال فيه الشعر استعدى عليه السلطان وذكر أنه من الشراة وانهم مجتمعون عنده وانه من دعاة عبد الله بن يحيى وأبى حمزة المختار فسجن فكتب من السجن الى ابن أخ له يقال له معان

أبلغ معاناً عنى واخوته قولا وما عالم كمن جهلا
بأننى والمصبِّحات منىً يعدُون طوراً وتارة رَمَلا

لخائف أن يكون ودكمُ إياى بعد الصفاء قد أفلا
أإن عرانى دهرى بنائبة أصبح منها الفؤاد مشتعلا
حاولتمُ الصَّرْمَ أو لعلكمُ ظننتمُ ما أصابني جَلَلا
لا تُغْفِلونا بنى أخى فلقد أصبحت لا أبتغى بكم بدلا
تمسكوا بالذى امتسكت به فان خير الاخوان من وَصلا

فكتب اليه ابن أخيه

ياعم عوفيت من عذابهم النُّكرِ وفارقت سجنهم عجلا
كتبتُ تشكو بنى أخيك وقد أرسل من كان قبلنا مثلا
ابدأهمُ بالصُّراخ ينهزموا فأنت ياعم تبتغى العللا
زعمت أنا نرى بلاءك فى دار بلاء مكبلا جَلَلا
ياعم بئس الفتيان نحن إذاً أما وفى رجلك الكُبول فلا
عليَّ ان كنتَ صادقاً حجج للبيت عامين حافياً رجلا
أبعد عنك الهموم فارج من اللّه خلاصاً وأحسن الأملا

ثم ولي الحكم بن الصَّلت فأطلقه وأحسن اليه فلم يزل يشكره ويمدحه ثم عزل الحكم بعد ذلك فقال اسمعيل فيه

تبارك الله كيف أوحشت الكو فة اذ لم يكن بها الحكم
الحكم العدل فى رعيته الكا مل فيه العفاف والفهم
فأصبح القبر والسرير ان والمنبر كالكل من أب يتِموا
يذرى عليه السرير عبرته والمنبر الشرقى يلتدم
والناس من حسن سيرة الحكم بن الصلت يبكون كلما ظلموا
مثل السكارى فى فرط وجدهمُ إلاَّ عدوا عليه يتهم
يوم جرى طائر النحوس لهم ينزع منه القرطاس والقلم

فأرغم الله حاسديه كما أرغم هُودَ القرود اذ رَغموا
فى سبتهم يوم ناب خطبهمُ والله ممن عصاه ينتقم
انا الى الله راجعون أما للناس عهد يوفى ولا ذمم
حول علينا وليلتان لنا من لذة العيش بئسما حكموا
لا حُكْم إلا لله يظهره يقضى لضِيزَائها التى قسموا
ماذا ترجى من عيشها مضر ان كان من شأنها الذى زعموا

قال محمد بن أنس الأسدى جلست الى اسمعيل بن عمار واذا هو يفتل أصابعه متأسفاً ، فقلت علام هذا التأسف والتلهف ؟ فقال

عيناى مشؤمتان ويحهما والقلب حرَّان مبتلًى بهما
عرَّفتاه الهوى لظلمهما ياليتنى قبل ذا عدمتهما
هما الى الحَيْن دلَّتا وهما دَلاَّ على من أحب دمعهما
سأعذِر القلب فى هواه وما سبب كل البلاء غيرهما

سمع اسمعيل رجلا ينشد أبياتاً للفرزدق يهجو بها عمر بن هبيرة الفزارى لما ولي العراق ويعجب من ولايته اياها وكان خالد القسرى قد ولى العراق في تلك الأيام فقال اسمعيل أعجب والله مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هبيرة ما است أراه يعجب منه ، ولاية خالد القسرى وهو مخنث دَعِيّ ابن دعى ثم قال

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى عنها أميـة بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجباً وأحدث بعده أمر تطير له القلوب وتجزع
بكت المنابر من فزارة شجوها فالآن من قَسْر تضج وتفزع
فملوك خندف أضرعونا للعدى لله دَرّ ملوكنا ما تصنع
كانوا كقاذفة بنيها ضلة سفهاً وغيرَهم تَرُبّ وترضع

كان فى الكوفة صاحب قيان يقال له ابن رامين قدمها من الحجاز فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده ، وكان نازلا فى بنى أسد فى

جيران اسمعيل بن عمار ، فكان اسمعيل يغشاه ويشرب عنده ، ثم انتقل من جواره الى بني عائذ فكان اسمعيل يزوره هناك على مشقة لبعد ما بينهما ، وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء وسعدة وربيحة وكن من أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الاشعث

أمسى لسلاَّمة الزرقاء فى كبدى ... صدع مقيم طوال الدهر والأبد
لا يستطيع صناع القوم يَشْعبه ... وكيف يُشْعب صدع الحب فى كبدى

وفى جواريه يقول اسمعيل

هل من شفاء لقلب لج محزون ... صب بغيب الى ريم ابن رامين
الى ربيحة ان الله فضلها ... بحسنها وسماع ذى أفانين
وهاج قلبى منها مضحك حسن ... ولثغة بعد فى راء وفى سين
نفسى تأبى لكم إلا طواعية ... وأنت تأبَيْن لؤماً أن تطيعيني
وتلك قسمة ضِيزَى قد سمعت بها ... وأنت تتلينها ما ذاك فى الدين
أنت الطبيب لداء قد تلبس بى ... من الجوى فانفثى في فىّ وارقيني
نعم شفاؤك منها أن تقول لها ... أضنيتنى يوم دير الملح فاشفينى
يارب ان ابن رامين له بقر ... عين وليس لنا الا براذيني
لو شئت أعطيته مالاً على قدَر ... يرضى به منك عَيْن الرَّبرب العِين
لا أنس سعدة والزرقاء يوم هما ... بالبلج شرقيه فوق الدكاكين
يغنيان ابن رامين على طرب ... للمسمعات بتشتيت المجنين
اذاك أنعم أم يوم ظَلِلت به ... فراشى الورد فى بستان شورين
يشوى لنا الشيخ شورين دواجنه ... بالجرد ناج وشحاج الشعانين
نسقى طلاء لعمران يعبِّقه ... يمشى الأصحاء منه كالمجانين
تزل أقدامنا من بعد صحتها ... كأنها قلا تقلعن من طين

نمشى وأرجلنـــا مطوية شَلَلا مشى الإوز التى تأتى من الصين
أو مشى عميان غُمٍّ لا دليل لهم سوى العِصِيِّ الى يوم السعانين (١)
فى فتية من بنى تَيم لهوت بهم تَيم بن مُرّة لا تَيم العَدِيين
حمر الوجوه كأنا من تحشمنا حسناء شمطاء وافت من فلَسطين
يا عائذ الله لولا أنت من شجنى لولا ابن رامين لولا ما يمنينى
فى عائذ الله بيت ما مررت به الا وُجئت على قلبي بسكين
يا أسد القبة الخضراء أنت لنا أنس لانك فى دار ابن رامين
ما كنت أحسب أن الأسد تؤنسنى حتى رأيت اليك القلب يدعونى
لولاك تؤنسني بالقرب ما بقيت نفسى اليك ولو مثلت من طين

وحج ابن رامين وحج بجواريه معه وكان محمد بن سليمان اذ ذاك على الحجاز فاشترى منه سلامة الزرقاء بمائة ألف درهم فقال اسمعيل

أية حال يا ابن رامـين حال المحبـين المساكين
تركتهـم موتى وما موّتوا قد جرعوا منـك الأمرّين
وسرت فى ركبٍ على طِيَّة ركب تَهامٍ ويمانين
حججت بيت الله تبغى به الـــبر ولم ترث لمحزون
يا راعى الذَّود لقـد رعتهم ويلك من روع المحبـين
فرقت قوماً لا يرى مثلهم ما بين كوفات الى الصين

الزبير بن الأشيم الأسدى

هو والد عبد الله بن الزبير، كان شاعراً وهو الذى يقول

الا يا لَقومى للرقاد المؤرق وللربع بعد الغبطة المتفرق
وهم الفتى بالأمر من دون نيله مراتب صَعْبات على كل مرتق

(١) السعانين عيد للنصارى قبل الفصح باسبوع

ويوم بصحراء البديدين قِلته ... بمنزلة النعمان وابن مُحرِّق
وذلك عيش قد مضى كان بعده ... أمور أشابت كل شأن ومفرق
وغيَّرما استنكرت يا أم واصل ... حوادث إلا تكسر العظم تعرق
فراق حبيب أو تغير حلة ... من الدهر أو رام لشخص مفوَّق
على أنني جلد صبور مرزأ ... وهل ترك الأيام شيئاً لمشفق

عبد الله بن الزبير

هو عبد الله بن الزَّبير بن الأشيم الأسدي من منقذ بن طريف ثم من بنى أسد شاعر كوفي المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الأموية وكان من شيعة بنى أمية وذوى الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوهم ، فلما غَلَب مُصْعَب بن الزبير على الكوفة اتى به أسيراً فمَنَّ عليه ووصله وأحسن اليه ، فمدحه وأكثر وانقطع اليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب ، ثم عمى عبد الله بعد ذلك ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو أحد الهجائين المرهوب شرهم

قال ابن الأعرابى كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قبل خاله معاوية وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى قتلوا رجلاً من بني الأشيم ابن الأعشى من رهط ابن الزَّبير دِرْيَة ، فخرج عبد الرحمن بن أم الحكم وافداً الى معاوية ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بنى أسد ، فقال عبد الرحمن لابن الزبير خذ من بني عمك ديتين لقتيلك ، فأبى ، وكان عبد الرحمن يميل الى أهل القاتل ، فغضب على ابن الزبير ورده عن الوفد من منزل يقال له فياض فخالف ابن الزبير الطريق الى يزيد بن معاوية ، فعاذ به فأعاذه وقام بأمره ، وأمر يزيد أن يهجو عبد الرحمن وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويَعيبه ، فقال فيه ابن الزبير

أبى الليل بالمُرَّان أن يتصرما ... كأنى أسوم العين نوماً محرما

وُرد بثنيه كأن نجومه صُوار (١) تناهى من أُراق فقوما
الى الله أشكو لا إلى الناس أنني أمُصُّ بنات الدهر ثدياً مُصَرَّما (٢)
وسوق نساء يسلبون ثيابها تهب دونها همدان رقاً وخثعما
على أى شيء يا ابن أوى بن غالب تجيبون من أجرى عليَّ وألجما
وهاتوا فقصوا آية تقرؤنها أحلت بلادي أن تُباح وتظلما
والا فأقصى الله بينى وبينكم وولى كبير اللؤم من كان ألأما
بنو هاشم لو صادفوك نجرها مججت ولم يملك حيازيمك الدما
ستعلم ان زلت بك النعل زلة وكل امرىء لاقى الذى كان قدما
بأنك قد ماطلت أنياب حية تزجى بعينيها شجاعاً وأرقما
وكم من عدو قد أراد مساءتى بغيب ولو لاقيته لتندما
وأنتم بنى حام بن نوح أرى لكم شفاهاً كأذناب المشاجر وُرَّما
فان قلت خالي من قريش فلم أجد من الناس شراً من أبيك وألأما
صغيراً ضغا فى خرقة فأمضه مربيه حتى اذ أهمّ وأفطما
رأى جلدة من آل حام متينة ورأساً كأمثال الجريب مؤوما
وكنتم سقيطاً فى ثقيف مكانكم بنى العبد لا توفى دماؤكم دما

أول من أخذ بعينة فى الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان أتاه عبد الله بن الزبير فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثا ، فدعا وكيله وقال اقترض لنا مالاً ، فقال هيهات ما يعطينا التجار شيئاً ، قال فأربحهم ما شاؤا ، فاقترض له أولاً ثمانية آلاف درهم وثانياً عشرة آلاف ، فوجه بها اليه مع تخت ثياب ، فقال عبد الله فى ذلك

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي أيادى لم تُمْنن وان هى جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

(١) الصوار القطيع من البقر وأراق موضع (٢) الثدى المعرم الذى يكوى لينقطع اللبن

رأى خلّتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

حبس ابن أم الحكم عبد الله بن الزبير وهو أمير فى جناية وضمها عليه وضربه ضرباً مبرحاً لهجائه إياه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يزل يلطف فى أمره ويرضى خصومه ويشفع الى ابن أم الحكم فى أمره حتى يخلصه ، فأطلق بشفاعته وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جراية دائمة من ماله ، فقال فيه

ألم تر أن الجود أرسل فانتقى حليف صفاء وأتلَ لا يزايله
تخير أسماء بن حصن فبطنت بفعل العلا أيمانه وشمائله
ولا مجد إلا مجد أسماء فوقه ولا جرى إلا جرى أسماء فاضله
ومحتملٍ ضِغْنًا لأسماء لو جرى بسَلْحين من أسماء فارت أباجله
عوى يستجيش النابحات وانما بأنيابه صُمُّ الصفا وجنادله
وأقصر عن مجراة أسماء سعيُه حسيراً كما يلقى من الترب ناخله
وفضّلَ أسماء بن حصن عليهم سماحة أسماء بن حصن ونائله
فمن مثل أسماء بن حصن اذا عدت شآبيبه أم أى شىء يعادله
وكنت اذا لاقيت منهم حطيطة لقيت أبا حسان تَنْدَى أصائله
تَضيفُه غسّان يرجون سَيْبَه وذو يمن أحبوشه ومقاوله
فتى لايزال الدهر ما عاش مُخْصِباً ولو كان بالموتان يجدى رواحله
فأصبح ما فى الارض خلق علمته من الناس الا باع أسماء طائله
تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
ترى الجند والأعراب يغشَوْن بابه كما وردت ماء الكلاب نواهله
اذا ما أتَوْا بابه قال مرحباً لِجُوا الباب حتى يقتل الجوع قاتله
ترى البازل البُخْتى فوق خوانه مقطعة أعضاؤه ومفاصله
اذا ما أتوا أسماء كان هو الذى تحلب كفاه الندى وأنامله

تراهم كثيراً حين يغشَوْن بابه فتسترهم جدرانه ومنـــازله

فأعطاه أسماء ألفي درهم

دخل ابن الزبير على عبيد الله بن زياد وعنده أسماء بن خارجة

حنت قلوصي وَهْناً بعد هُدْأتها فهيجت مغرماً صباً على الطرب
حنت الى خير من حث المطى له كالبدر بين أبي سفيان والقنب
تذكرت بُقَرى البلقاء نائلَه لقد تذكرته من نازح غُرُب
والله ما كان بي لولا زيارته وأن ألاقي أبا حسان من أرب
حنت لتَرْجعني خلفي فقلت لها هذا أمامك فالقَيْه فتى العرب
لا يحسب الشر جاراً لا يفارقه ولا يعاقب عند الحلم بالغضب
من خير بيت علمناه وأكرمه كانت دماؤهم تشفي من الكلب (١)

أمر المختار بهدم دار أسماء فما تقدم عليها مضرى لموضع أسماء. وجلالة قدره في قيس فتولت ربيعة واليمن هدمها وكانت بنو تيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل على شرطة المختار فقال ابن الزبير

تأوب عينَ ابن الزَّبير سُهودُها وولى على ماقد عراها هجودُها
كأن سواد العين أبطن نخلة وعاودها مما تذكر عودها
مُخَصَّرَة من نَحْلِ جَيْحان صعبة أوى بجناحيها وليد يصيدها
من الليل وَهْناً أو شَظِيَّة سنبل أذاعت به الأرواح يُذْرَى حصيدها
اذا طرقت أذرت دموعاً كأنها نفير جُمان بان عنها فريدها
وبتُّ كأن الصدر فيه ذُبالة سناحرها القنديل ذالكٍ وقودها
فقلت أناجي النفس بيني وبينها كذالك الليالي نحسها وسعودها

(١) كانت العرب تقول من أصابه الكلب والجنون لا يبرأ منه الا أن يسقى من دم ملك فيقول انه من أولاد الملوك

فلا تجزعى مما ألم فانى ... أرى سنة لم يبق الا شريدها
أتانى وعرض الشام بينى وبينها ... أحاديث والأنباء ينمى بعيدها
بأن أبا حسان تهدم داره ... لكيز سعت فساقها وعبيدها
جزت مضراً عنى الجوازى بفعلها ... ولا أصبحت الا بشر جدودها
فما خيركم لا سيداً تنصرونه ... ولا خائفاً ان جاء يوماً طريدها
أخذلانه فى كل يوم كريهة ... ومسئلة ما إن ينادى وليدها
لأمكم الويلات أنى أتيتم ... جماعة أقوام كثير عديدها
فيالبتكم من بعد خذلانكم له ... جوار على الأعناق منها عقودها
ألم تغضبوا تباً لكم اذ سطت بكم ... مجوس القرى فى دارها ويهودها
تركتم أبا حسان تهدم داره ... مشيدة أبوابها وحديدها
يهدمها العجلى فيكم بشرطة ... كما نب[1] فى شبل التيوس عتودها
لعمرى لقد لف اليهودى ثوبه ... على غدرة شنعاء بان نشيدها
فلو كان من قحطان أسماء شمرت ... كتائب من قحطان صعر خدودها
ففى رجب أو غرة الشهر بعده ... تزوركم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم ... كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ... ففى النار سقياه هناك صديدها

لما قدم ابن الزبير من الشام الى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاويه يأمره بصيانته واكرامه وقضاء دينه وحوائجه وادرار عطائه فأوصله اليه ثم استأذنه فى الانشاد فأذن له فأنشده

أصرم بليلى حادث أم تجنب ... أم الحبل منها واهن متقضب
أم الود من ليلى كهدى مكانه ... ولكن ليلى تستزيد وتعتب
ألم تعلمى ياليل أنى لين ... هضوم وأنى عند[2] حين أغضب

(١) نب التيس خاصة صاح عند الهياج والعتود الجدى الذى استكرش (٢) العنبس الاسد

وأنى متى أنفق من المال طارفا ... فانى أرجو أن يثوب المثوب
أإن تَلِفَ المال التِّلاد بحقه ... تَشَمَّسُ ليلى عن كلامى وتَتْطُب
عشية قالت والركاب مُناخة ... بأكوارها مشدودة أين نذهب
أفي كل مصر نازح لك حاجة ... كذلك ما أمر الفتى المتشعب
فوالله ما زالت تُلَبِّثُ ناقتى ... وتُقسم حتى كادت الشمس تغرب
دعينىَ ما الموت عنى دافع ... ولا للذى وَلّى من العيش مطلب
اليك عبيد الله تَهْوى ركابنا ... تَعَسَّفُ مجهول الفلاة وتَرْأَب
وقد ضَمَرَت حتى كأن عيونها ... نطاف قلات ماؤها متصبب
فقلت لها لا تشتكى الأَيْن انه ... امامك قَرْم من أمية مُصْعَب
اذا ذكروا فضل امرئ كان قبله ... فضل عبيد الله أثرى وأطيب
وانك لو تشفى بك القَرْح لم يعد ... وأنت على الأعداء ناب ومِخْلب
تصافى عبيد الله والمجد صفوة ال ... خليلين ما أرسى ثَبير ويَنْب
وأنت الى الخيرات أول سابق ... فأبشر فقد أدركت ما كنت تطلب
أعِنّي بسَجْل من سجالك نافع ... ففى كل يوم قد سرى لك محلب
فانك لو اياى تطلب حاجة ... جرى لك أهل فى المقال ومرحب

فقال عبيد الله وقد ضحك من هذا البيت الأخير فانى لا أطلب اليك حاجة كم السجل الذى يُرْويك ؟ قال نوالك أيها الأمير يكفينى فأمر له بعشرة آلاف درهم

كان نعيم بن دُجانة صديقاً لابن الزبير ثم تغير عليه وبلغه عنه قول قبيح فقال فى ذلك

ألا طرقت رُوَيمة بعد هَدْء ... تخطى هول أَثْمار واسد
نجوس رحالنا حتى أتتنا ... طُروقا بين أعراب وجند
فقالت ما فعلت أبا كثير ... أصح الود أم أخلفت عهدى

كأن المسك ضُمّ على الخُزامى ... الى أحشائها وقضيب رَنْد
ألا من مبلغٌ عنى نُعَيْما ... فسوف يجرب الاخوان بعدى
رأيتك كالشموس تُرَى قريبا ... وتمنع مسح ناصية وخد
فانى ان أقع بك لا أُهَلّل ... كوقع السيف ذى الأثر الفرند
فأولى ثم أولى ثم أولى ... فهل للدَّر يُحلب من مَرَدّ

كان عمرو بن الزبير صديقاً لابن الزبير، فلما فعل عبد الله بن الزبير بأخيه عمرو ما فعل من العذاب حتى مات، قال ابن الزبير يرثيه

أيا راكباً إما عرضت فبلغا ... كبير بنى العوّام ان قيل من تَعْنى
ستعلم ان جالت بك الحرب جَوْله ... اذا فوّق الرامون أسهم من تُعْنى
فأصبحت الأرحام حين وليتها ... بكفيك أكراشاً تجر على دِمَن
عقدتم لعمرو عقدة وغدرتمُ ... بأبيض كالمصباح فى ليلة الدَّجْن
وكبلته حولا يجود بنفسه ... تنوء به فى ساقه حَلَق اللبن
فما قال عمرو اذ يجود بنفسه ... لضاربه حتى قضى نحبه دعني
تحدث من لاقيت أنك عائذ ... وصَرّعت قتلى بين زمزم والركن
جعلتم لضرب الظهر منه عِصِيَّكم ... تراوحه والأصْبَحِيَّة للبطن
تعذر منه الآن لما قتلته ... تفاوت أرجاء القَليب من الشطن
جزى الله عنى خالداً شر ما جزى ... وعروة شراً من خليل ومن خدن
قتلتم أخاكم بالسياط سفاهة ... فيالك للرأى المضلل والأفن
فلو أنكم أجهزتمُ اذ قتلتمُ ... ولكن قتلتم بالسياط وبالسجن
وانى لأرجو ان أرى فيك ما ترى ... به من عقاب الله ما دونه يغنى
قطعت من الأرحام ما كان واشجا ... على الشيب وابتعت الخافة بالأمن
وأصبحت تسعى قاسطا بكتيبة ... تهدم ما حول الحطيم ولا تبنى

فلا تجزعن من سنة قد سننتها فما للدماء الدهرَ تُهرق من حقن

ومن قوله يرثى يعقوب بن طلحة وقد قتل يوم الحَرّة وجاء بنعيه رجل يقال له الكروس

لعمرى ما هذا بعيش فيبتغى هنى ولا موت يريح سريع
لعمرى لقد جاءك الكَرَوَّس كاظما على أمر سوء حين شاع فظيع
نعى أسرة يعقوب منهم فأقفرت منازلهم من دُومة فبقيع
وكانهمُ غيث اذا قُحِطَ الورى ويعقوب منهم للأنام ربيع

عرض قوم من أهل المدراء لابن الزبير فى طريقه من الشام الى الكوفة وقد نزل بقرقيسيا فاستعدَوْا عليه زُفَر بن الحرث الكلابى وقالوا انه أموى اهوى وكانت قيس يومئذ زبيرية وقرقيسيا وما والاها فى يد ابن الزبير فحبسه زفر أياماً وقيده وكان معه رفيق من بنى أمية يقال له أبو الحدراء فرحل وتركه فى حبسه ثم تكلمت فيه جماعة من مضر فأطلق فقال فى ذلك

أغادٍ أبو الحَدْراء أم متروح كذاك النوى مما تَجِدّ وتَمزح
لعمرى لقد كانت بلاد عريضة لى الروح فيها عنك والمتسرح
ولكنه يدنو البغيض ويَبْعُد الـ حبيب ويناأى فى المزار وينزح
ألا ليت شعرى هل أتى أم واصل كُبول أعَضُّوها بساقىّ تجرح
اذا ما صرفت الكعب صاحت كأنها صريف خطاطيف بدلوين تُمْتح
تبغى اباها فى الرماق وتنثنى وألوى به فى لجة البحر تمسح
أمرتحل وفد العراق وغودرت تحن بأبواب المدينـــة صيدح
فانك لا تدرين فيما أصابنى أُرَيْثُكَ أم تعجيل سيرك أنجح
أظن أبو الحدراء سجنى تجارة ترجّى وما كل التجارة تربح

لما قدم الحجاج الكوفة والياً عليها صعد المنبر فخطبهم فقال « يا أهل الشقاق

والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، ان الشيطان قد باض وفرخ فى صدوركم ، ودب ودرج فى حجوركم فأنتم له دين ، وهو لكم قرين ، ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قرينا » ثم حنهم على اللحاق بالمهلب بن أبى صفرة ، وأقسم ألا يجد منهم أحداً اسمه فى جريدة المهلب بعد ثالثة بالكوفة إلا قتله ، فجاء عمير بن ضابىء البرجمى فقال أيها الأمير انى شيخ لا فضل فى ولي ابن شاب جَلْد فاقبله بدلا منى ، فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص هذا جاء الى عثمان وهو مقتول فرفسه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول « أين تركت ضابئاً يانَعْثَل » فقال الحجاج هلا يومئذ بعثت بديلا ياحرسى اضرب عنقه ، وسمع الحجاج ضوضاء فقال ما هذا ؟ فقالوا هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت ، فقال أنحفوهم برأسه ، فرموهم برأسه فولوا هاربين ، فازدحم الناس على الجسر للعبور الى المهلب حتى غرق بعضهم فقال عبد الله بن الزبير

أقول لابراهيم لما لقيته ... أرى الأمر أمسى واهياً متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابىء ... عميراً واما أن تزور المهلبا
هما خُطتا خَسْف نجاؤك منهما ... ركوبك حَوْلياً من الثلج أشهبا
فأضحى ولو كانت خُراسان دونه ... رآها مكان السوق أو هى أقربا

دخل عبد الله على مصعب بن الزبير بالكوفة لما وليها وقد مدحه فاستأذنه فى الانشاد فلم يأذن له وقال ألم تسقط السماء علينا وتمنعنا قطرها فى مديحك لأسماء بن خارجة ؟ ثم قال لبعض من حضر أنشدها فأنشده

اذا مات ابن خارجة بن حصن ... فلا مَطَرت على الأرض السماء
ولا رجع الوفود بغُنْم جيش ... ولا حملت على الطُّهْر النساء
لَيوم منك خير من أناس ... كثير حولهم نَعَم وشاء
فبورك فى بنيك وفى أبيهم ... اذا ذكروا ونحن لك الفداء

فالتفت اليه مصعب وقال له اذهب الى أسماء فمالك عندنا شيء ، فانصرف وبلغ ذلك أسماء فعوضه حتى أرضاه ثم عوضه مصعب بعد ذلك وخص به وسمع مديحه وأحسن عليه ثوابه

لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله وبره وخصه بأنسه لعلمه بهواه فى بنى أمية فقال يمدحه

ألم ترنى والحمد لله أننى ... برئت ودوانى بمعروفه بشر
رعي مارعى مَرْوان منى قبله ... فصحَّت له مني النصيحة والشكر
ففى كل عام عاشه الدهر صالحاً ... عليَّ لرب العالمين له نذر
اذا ما أبو مَرْوان خلى مكانه ... فلاتهنأ الدنيا ولا يرسل القطر
ولا يهنىء الناس الولاية بينهم ... ولم يبق فوق الأرض من أهلها شعر
فليس البحور بالذى تخبرونني ... ولكن أبو مَرْوان بشر هو البحر

دخل ابن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه فجفاه ، فلما وصل اليه وقف بين يديه وجعل يتأمل من حواليه من بنى أمية ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم فقال له بشر ان نظرك يا ابن الزبير ليدل أن وراءه قولا ، فقال نعم ، قال قل ، فقال

كأن بنى أمية حول بشر ... نجوم وسطها قمر منير
هو الفرع المقدم من قريش ... اذا أخذت مآخذها الأمور
لقد عمت نوافله فأضحى ... غنياً من نوافله الفقير
جبرت مهيضنا وعدلت فينا ... فعاش البائس الكلُّ الفقير
فأنت الغيث قد علمت قريش ... لنا والوا كف الجَوْن المطير

فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضى عنه فقال ابن الزبير

لبشر بن مَرْوان على الناس نعمة ... تروح وغدو لا يطاق ثوابها

به أمَّنَ الله النفوس من الردى وكانت بحال لا تقر ذبابها
دمغت ذوى الأضغان يابشر عَنْوَة بسيفك حتى ذَلَّ منها صعابها
وكنت لها كهفاً وحصناً ومعْقِلاً اذا ما القُنَّة الصماء طارت عُقابها
وكم لك يا بشر بن مروان من يد مهذبة بيضاء راس ظرابها
وطدت لنا دين النبي محمد بحلمك اذ هرَّت سفاهاً كلابها
وسدت ابن مروان قريشاً وغيرها اذا السنة الشهباء قل سحابها
رأبت ثآنا واصطنعت أياديا الينا ونار الحرب ذاكٍ شهابها

دخل ابن الزبير على بشر بن مروان متعرضاً له ويسمعه شيئاً من شعره ، فقال بشر أراك متعرضاً لأن أسمع منك وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودك شيئاً لقد نزحت فيه دلوك يا ابن الزبير ، فقال أصلح الله الأمير ان أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً وكانت له عندى أياد كثيرة وكنت لمعروفه شاكراً وأيادي الأمير عندى أجلّ وأملي فيه أعظم وان كان قولى لا يحيط بها ففى فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم وإن أذن لي فى الإنشاد رجوت أن أوفق للصواب ، فقال هات ، فقال

تداركني بشر بن مروان بعد ما تعاوت الى شلْوى الذئاب البواسل
غياث الضعاف المرملين وعصمة اليتامى ومن تأوي اليه العباهل
قريع قريش والهمام الذى له أقرت بنو قحطان طراً ووائل
وقيس بن عيلان وخِنْدِف كلها أقرت وجن الأرض طراً وحابل
يداك ابن مروان يد تقتل العدى وفى يدك الأخرى غياث ونائل
اذا أمطرتنا منك يوماً سحابة روينا بما جادت عليه الأنامل
فلا زلت يا بشر بن مروان سيداً يُهِلّ علينا منك طَلّ ووابل
فأنت المصفَّى يا ابن مروان والذى توافت اليه بالعطاء القبائل

يُرَجُّون فضل الله عند دعائكم اذا جمعتكم والحجيجَ المنازل
ولولا بنو مَرْوَان طاشت حلومنا وكنا فَرَاشاً أحرقتها الشعائل

فأمر له بجائزة سنية وكساه خلعة وقال له انى أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين فتهيأ لذلك ، قال أنا فاعل أيها الأمير ، قال فماذا تقول اذا وفدت عليه وألفيته إن شاء الله ؟ فارتجل من وقته هذه القصيدة ، ثم قال

أقول أمير المؤمنين عصمتنا يبشر من الدهر الكثير الزلازل
وأطفأت عنا نار كل منافق بأبيض بُهْلول طويل الحمائل
نمته قروم من أمية للعلا اذا افتخر الأقوام وسط المحافل
هو القائد الميمون والعصمة التي أتى حقها فينا على كل باطل
أقام لنا الدين القويم بحلمه ورأى له فضل على كل قائل
أخوك أمير المؤمنين ومن به نُجادُ ونُسقى صوب أسحم هاطل
اذا ما سألنا رِفده هطلت لنا سحابة كفيه بجود ووابل
حليم على الجهال منا ورحمة على كل حاف من معَدّ وناعل

فقال بشر لجلسائه كيف تسمعون ؟ هذا والله الشعر وهذه القدرة عليه ، فقال حجار بن أبجر العِجْلي وكان من أشراف أهل الكوفة وكان عظيم المنزلة عند بشر هذا أصلح الله الأمير أشعر الناس وأحضرهم قولاً اذا أراد ، فقال محمد بن عُمير ابن عُطارد وكان عدواً لحجار ، أيها الأمير انه لشاعر وأشعر منه الذى يقول

لبشر بن مروان على كل حالة من الدهر فضل فى الرخاء وفى الجهد
قريع قريش والذى باع ماله ليكسب حمداً حين لا أحد يُجْدى
ينافس بشر فى السماحة والنَّدى ليحرز غايات المكارم بالحمد
فكم جبرت كفاك يا بشر من فتى ضَريك وكم عيَّلت قوماً على حمد
وصيرت ذا فقر غنياً ومثرياً فقيراً وكلا قد حذوت بلا وعد

فقال بشر من يقول هذا ؟ قال الفرزدق ، وكان بشر مغضباً عليه ، فقال ابعث اليه فأحضره ، فقال له هو غائب بالبصرة وانما قال هذه الأبيات وبعث بها لأنشدكها ولترضى عنه ، فقال بشر هيهات لست راضياً عنه حتى يأتيني ، فكتب محمد بن عمير الى الفرزدق ، فتهيأ للقدوم على بشر ، ثم بلغه أن البصرة قد جمعت له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه ، فقام عبد الله بن الزبير يهجو محمد بن عمير في مجلسه ، وذلك بحضرة بشر ، فقال

بنى دارم هل تعرفون محمدا ... بدعوته فيكم اذا الأمر حققا
وساميتم قوماً كراماً بمجدكم ... وجاء سُكَيْتاً آخر القوم مُخْفقا
فأصلك دُهمان بن نصر فرِدْهُمُ ... ولا تك وغداً فى تميم معلقا
فان تميماً لست منهم ولا لهم ... أخاً يا ابن دُهمان فلا تك أحمقا
ولولا أبو مَرْوان لاقيت وابلا ... من السوط ينسيك الرحيق المعتقا
أحين علاك الشيب أصبحت عاهراً ... وقلت اسقني الصهباء صِرْفاً مُرَوَّقا
تركت شراب المسلمين ودينهم ... وصاحبت وغداً من فزارة أزرقا
تبيتان من شرب المدامة كالذى ... أُتيح له حبل فأضحى مخنقا

فقال بشر أقسمت عليك إلا كففت ، فقال أفعل أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأنفذت حِضْنيه بالحق ، وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمت حجار بن أبجر بمحمد بن عمير وكان عدوه ، وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا عليك غضب الله أشمت حجاراً بمحمد والله لا نرضى عنك حتى تهجوه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك ، أوَ لست تعلم أن الفرزدق أشعر العرب ؟ قال بلى ولكن محمداً ظلمنى وتعرض لي ولم أكن لأحلم عنه اذ فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجاراً ، فقال

سليلَ النصارى سدتَ عِجْلاً ومن يكن ... كذلك أهل أن يسود بنى عِجْل

ولكنهم كانوا لئاماً فسُدتهم ومثلك من ساد اللئام بلا عقل
وكيف بعجل ان دنا الفصح واغتدت عليك بنو عجل ومرجلكم يغلى
وعندك قسيس النصارى وصُلبها وغانية صهباء مثل جنى النحل

فلما بلغ حجاراً قوله شكاه الى بشر، فقال له بشر هجوت حجاراً؟ فقال لا والله أعز الله الأمير ما هجوته ولكنه كذب عليَّ، وأتاه ناس من بني عجل وتهددوه بالقتل فقال فيهم

تهددنى عجل وما خلت أننى خلاة لعجل والصليب لها بعل
وما خلتنى والدهر فيه عجائب أُعمَّر حتى قد تهددُنى عجل
وتوعدنى بالقتل منهم عصابة وليس لهم فى العز فرع ولا أصل
وعجل أسود فى الرخاء ثعالب اذا التقت الأبطال واختلف النبل
فان تلقنا عجل هناك فما لنا ولا لهمُ والموت منجى ولا وَعْل

لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبدالله بن الزبير من الخروج الى الشام وأراد حبسه لجأ الى سويد بن منجوف واستجار به، فأخرجه مع بني شيبان فى بلادهم، فقال يمدحه

أليس ورائى ان بلاد تجهمت سويد بن منجوف وبكر بن وائل
حصون بُراها الله لم يُرَ مثلها طوال أعاليها شداد الأسافل
هم أصبحوا كنزى الذى لست تاركا ونبلى التى أعددتها للمناضل

أتى ابن الزبير ابراهيم بن الأشتر النخعى، فقال له انى قد مدحتك بأبيات فاسمعهن فقال انى لست أعطى الشعراء، فقال اسمعها منى وترى رأيك، قل هات، فأنشده قوله

الله أعطاك المهابة والتقى وأحل بيتك فى العديد الأكثر
وأقر عينك يوم وقعة خازر والخيل تعثر بالقنا المتكسر

انى مدحتك اذ نبابى منزلى وذممت اخوان الغنى من معشر
وعرفت أنك لا تخيب مدّ حتى ومتى أكن بسبيل خير أشكر
فلم نحوى من يمينك منحة ان الزمان ألحّ يا ابن الأشتر

فأمر له بعشرين الف درهم

لما قتل عبدالله بن الزُّبير صلب الحجاج جسمه و بعث برأسه الى عبدالملك فجلس على سريره وأذن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبد الله بن الزّبير الأسدى فاستأذنه فى الكلام ، فقال له تكلم ولا تقل الا خيراً وتوخ الحق فيما تقوله فأنشأ يقول

مشى ابن الزّبير القهقرى فتقدمت أمية حتى أحرزوا القصبات
وجئت المجلّى يا ابن مَرْوان سابقا أمام قريش تنفض العذرات
فلا زلت سبّاقاً الى كل غاية الى المجد نجّاء من الغمرات

فقال له أحسنت ، فسل حاجتك ، فقال له أنت أعلى عينابها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين ، فأمر له بعشرين الف درهم وكسوة ثم قال له كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال لا ولكن أبياتك فى المحلّ وفىّ وفى الحجاج التى قلتها ، فأنشده

كأنى بعبد الله يركب رَدْعه وفيه سنان زاعبيّ مجرب
وقد فرّ عنه الملحدون وحلّقت به و بمن أسناه عنقاء مغرب
تولّوا فخلّوه فشال بشلْوه طويل من الأجذاع عارٍ مشذّب
بكفى غلام من ثقيف نمت به قريش وذو المجد التليد معتب

فقال له عبد الملك لا تقل غلام ولكن همام وكتب له الى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى

قتل ابن الزُّبير من شيعة بني أمية قوماً بلغه أنهم يتجسسون لعبد الملك فقال فيه يهجوه و يعيره بفعله

أيها العائذ فى مكة كم من دم أهرقته فى غير دم
أيدٌ عائذة مفصمة ويد تقتل من حل الحرام

توفى عبد الله بن الزُّبير بالريّ

الزبير بن عبد الله بن الزبير الأسدى

هو القائل يمدح محمد بن عُيينة بن أسماء بن خارجة الفزارى

قالت عبيدة مَوْهِنا أين اعتراك الهم أينه
هل تبلغنّ بك المنى ما كنت تأمُل فى عُيينة
بدر له الشيم الكرا ئم كاملات فاعتلينه
والجوع يقتله الندى منه اذا قحط ترينه
فهناك يحمده الورى أخلاق غيركم اشتكينه

وهو القائل فى بعض بنى عمه

ومولى كداء البطن أو فوق دائه يزيد موالى الصدق خيراً وينقص
تلومت أرجو أن يثوب فيرعوى به الحلم حتى استيأس المتربص

المرار الفقعسى

هو المرار بن سعيد بن حبيب الفَقْعَسى من فَقْعَس بن طريف ثم من بنى أسد بن خزيمة ، كان قصيراً مفرط القصر ضئيل الجسم وفى ذلك يقول

عدونيَ الثعلب عند العددِ حتى استثاروا بى إحدى الأحَدِ
ليثاً هزَبْراً ذا سلاح معتد يرمى بطرف كالحريق الموقد

وكان يهاجى المساور بن هند بن قيس بن زهير العبسى وفيه يقول المرار

شقيت بنو سعد بشعر مساور ان الشقى بكل حبل يخنق

والمساور القائل فيه

ماسرنى أن أمى من بنى أسد وأن ربى ينجينى من النار
أو أنهم زوجونى من بناتهمُ وأن لي كل يوم ألف دينار

والمرار من مخضرمى الدولتين وقيل انه لم يدرك الدولة العباسية

أتى المرار قوماً من بنى عَبْس فوقف على بيوتهم فجعل يحدث نساءهم وينشدهم الشعر فنظروا اليه وهم مجتمعون على الماء فظنوا أنه يعظهن ، ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال فقال له بعضهم أنت يامرار تقف على أبياتنا وتنشد النساء الشعر ، فقال انما كنت أسألهن ، فجرى بينه وبينهم كلام غليظ فوثبوا عليه وضربوه وعقروا بعيره ، فانصرف من عندهم الى بني فقعس فأخبرهم الخبر فركبوا معه حتى أتوا بنى عبس فقاتلوهم فهزموهم وفقأت بنو فقعس من بنى عبس عيناً وقتلوا رجلا ثم انصرفوا ، فحمل أبو شداد النصري لبنى عبس مائتي بعير وغلظوا عليهم فى الدية ، ثم ان بدر بن سعيد أخا المرار قال قد استوفت عبس حقها فعلام أترك ضرب أخى وعقر جمله ، فخرج حتى أتى جمالا لبنى عبس فى المرعى فرمى بعضها فعقرها ثم انصرف فقال للمرار انه والله مايقنع بهذا ولكن اخرج بنا نخرجا حتى أغارا على ابل لبني عبس فطرداها وتوجها بها نحو تيماء ، فلما كانا فى بعض الطريق انقطع بِطان راحلة بدر فندر عن رحله فقال له المرار يا أخى أطعنى وانصرف ودع هذه الابل فى النار ، فأبى عليه ، ثم سارا ، فلما كانا فى بعض الطريق عرض لهما ظبي أعْضَب أحد القرنين ، فقال المرار لبدر قد تطيرت من هذا السفر ولا والله لا نرجع من هذا السفر أبداً ، فأبى عليه بدر ، فتفرقت عبس فرقتين فى طلب الابل ، فعمدت فرقة الى وادي القُرَى وفرقة الى تيماء ، فصادفوا الابل بتيماء تباع فأخذوا المرار وبدراً ، فرفعوهما الى الوالي وعرفت سِمَات عبس على الابل فدفعت اليهم ورفع المرار وأخوه الى المدينة ، فضربا وحبسا ، فمات بدر فى الحبس ،

فكلمت عدة من قريش زياد بن عبد الله النصرى فى المرار، فخلاه، وقال يرثى أخاه بدراً

ألا يا لقومى للنجلد والصبر ... وللقدَر السارى اليك وما تدرى
وللشىء تنساه وتذكر غيره ... وللشىء لا تنساه الا على ذُكر
وما لكما بالغيب علم فتخبرا ... وما لكما فى أمر عثمان من أمر

وهى طويلة يقول فيها

ألا قاتل الله المقادير والمنى ... وطيراً جرت بين السُّعافات والخبْر
وقاتل تكذيبى العيافة بعد ما ... زجرت فما أغنى اعتيافي ولا زجرى
تروح فقد طال الثواء وقضيت ... مشاريط[1] كانت نحو غايتها تجرى
وما لقفول بعد بدر بشاشة ... ولا الحى آتيهم ولا أوْبة السَّفْر
تذكرنى بدراً زعازع[2] جحْرة ... اذا عصفت احدى عشياتها الغُبْر
اذا شَوْلنا[3] لم نؤت منها بمحلب ... قرى الضيف منها بالمهند ذى الأثر
وأضيافُنا ان نبهونا ذكرته ... فكيف إذاً أنساه غابرة الدهر
اذا سلَّم الساري تهلل وجهه ... على كل حال من يسار ومن عسر
تذكرت بدراً بعد ما قيل عارف ... لما نابه يا لهف نفسى على بدر
اذا خطرت منه على النفس خطرة ... مرَتْ دمع عيني فاستهلّ على نحرى
وما كنت بكَّاء ولكن تهيجنى ... على ذكره طيبُ الخلائق والخُبْر
أعينىَّ انى شاكر ما فعلتما ... وحق لما أبليتمانى بالشكر
سألتكما أن تُسعدانى فجدتما ... عوانين بالتَّسجام يا قُنَّتى قطر
فلما شفانى اليأس عنه بسلوة ... وأعذرتما لا بل أجل من العذر

(١) علامات (٢) الشديدة الهبوب والجحرة السنة الشديدة المجدبة القليلة المطر
(٣) جمع شائلة وهى ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها

نهيتكما أن تُسهرانى فكنتما صبورين بعد اليأس طاوىَ غبر

يقول طويتما أغبار دمعكما والأغبار البقايا كأغبار البن

كان المرار وأخوه بدر لصين وكان بدر أشهرهما بالسرقة وأكثر غارات على الناس ، فأغار بدر على ذَوْد لبعض بنى غَنْم بن دودان فطردها فأخذ ورفع الى عثمان بن حيان المرى وهو يومئذ على المدينة فحبسه ، وطرد المرار طريدة فأخذ معها وهو يبيعها بوادى القُرَى ، فرفع الى عثمان فحبسه ، فاجتمعا ومكثا في السجن مدة ، ثم أفلت المرار وبقى بدر في السجن حتى مات محبوساً مقيداً ، فقال المرار وهو فى الحبس

أنارٌ بدت من كُوَّة السجن ضوءها عشية حل الحى بالجزْع فالعُفْر

عشية حل الحى أرضاً خصيبة يصيب بها مَسّ الجنائب والقطر

فيا ويلتا سجن اليمامة أطلقا أسيركما ينظر الى البرق ما يفرى

فان تفعلا أحمدكما ولقد أرى بأنكما لا ينبغى لكما شكرى

ولو فارقت رجلي القيود وجدتنى رفيقاً بنص العيس في البلد القفر

جديراً اذا أمْشِى بأرض مضلة بتقويمها حتى يرى وَضَح الفجر

كان بين المرار وبين رجل من قومه لحاء فتقاذفا وتسابا ثم صارا الى الضرب بالعصا ، فقال فى ذلك

ألم تربع فتخبرك المغانى فكيف وهن مذ حجج ثمان

برئتُ من المنازل غير شوق الى الدار التى بلِوَى أبان

ومن قوله فى ابتداء قصيدة

عزَفْتَ ولم تصرِم وأنت صروم وكيف تصابى من يقال حليم

صددت فأطولت الصدود ولا أرى وصالاً على طول الصدود يدوم

وكان بدر بن سعيد أخو المرار شاعراً وهو الذى يقول

(١)

يا حبذا حين تمسى الريح باردة (١) وادي أُشَيَّ وفتيان به هُضُم
مُخَدَّمون كرام فى مجالسهم وفى الرجال اذا لاقيتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم الا يزيدهم حبـــاً الى هِمُ

الكميت بن معروف

هو الكميت بن معروف بن الكميت الأسدي من فَقْعَس بن طريف ثم من بنى أسد بن خزيمة

شاعر من شعراء الاسلام بدوى وهو أحد المعرقين فى الشعر أبوه معروف شاعر وأمه سعدة شاعرة وأخوه خيثمة أعشى بنى أسد شاعر وابنه معروف شاعر ومن قول الكميت وفيه غناء

نزل المشيب فما له تحويل ومضى الشباب فما اليه سبيل
ولقد أُرانى والشباب يقودنى ورداؤه حسن علىَّ جميل

معروف بن الكميت بن ثعلبة

من قوله لعبد الله بن المساور بن هند

وان مناخى أمس يا ابن مساور اليك لمن شرب القراح المصرَّد
تباعدت فوق الحق من آل فَقْعس ولم ترج فيهم ردة اليوم أوغد
وقلت غنىً لافقر في العيش بعده وكل فتى للنائبات بمَرْصـد
كأنك لم تعلم محل بيوتكم مع الحى بين الغور والمتنجد
فلولا رجال من جذيمة نصرة عددت بلائى ثم قلت لها اعددى

(١) هذه القصيدة من مختار أبى تمام منسوبة الى زياد بن حمل بن سعد التميمى

سعدة أم الكميت

من قولها للكميت وقد تزوج بنت أبى مهوس على مراغمة لها وكراهة لذلك ، فغضبت سعدة وقالت فيه

عليك بأنقاض العراق فقد علت ... عليك بنجدين النساء الكرائم
لعمرى لقد راش ابن سعدة نفسه ... بريش الذُّنابى لا بريش القوادم
بنى لك معروف بناء هدمته ... وللشرف العادىّ بانٍ وهادم

وقالت ترثى ابنها

لأم البلاد الويل ماذا تضمنت ... بأكنافطورَى من عفاف ونائل
ومن وقعات بالرجال كأنها ... اذا عيَّت الأحداث وقع المناصل
يعزى المعزى للكميت فتنتهى ... مقالته والصدر جَمّ البلابل

أعشى بنى أسد

هو خيثمة بن معروف أخو الكميت ، من قوله يرثى الكميت وغيره من أهل بيته

هون عليك فان الدهر منجذب ... كل امرىء عن أخيه سوف ينشعب
فلا يغرَّنك من دهر تقلبه ... ان الليالى بالفتيان تنقلب
نام الخلى وبتّ الليل مرتفقاً ... كما تزاور يحمى دَفَّه النكب (١)
اذا رجعت الى نفسي أحدثها ... عمن تضمن من أصحابى القُلُب
من اخوة وبنى عم رُزِئتهمُ ... والدهر فيه على مستعتب عتب
عاودت وجداً على وجد أكابده ... حتى تكاد بنات الصدر تلتهب
هل بعد صخر وهل بعد الكميت أخ ... أم هل يعود لنا صبر فنصطحب
لقد علمت ولو مليت بعدهمُ ... انى سأنهَل بالشرب الذى شربوا

(١) تزاور مال والدف الجنب والنكب من النكب وهو داء يأخذ الابل فى مناكبها فتظلع منه

معروف بن الكميت الأسدى

من قوله

قد كنت أحسبنى جَلْداً فهيجنى ... بالشبب منزلة من أم عمار
كانت منازل لا وَرْهاء جافية ... على الحدوج ولا عَطْلاء مقفار
وما تجاورنا اذ نحن ساكنها ... ولا تفرقنا الا بمقـــدار

الحسين بن مطير

هو الحسين بن مُطير بن مكمل مولى بنى أسد بن خزيمة من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية

شاعر مقدم فى القصيد والرجز ، فصيح قد مدح بنى أمية وبنى العباس ، وكان زيه وكلامه يشبه مذهب الاعراب وأهل البادية وذلك بين فى شعره

ومن رجزه يمدح معن بن زائدة

حديث رَيَّا حبذا دلالها ... تسأل عن حالي وما سؤالها
عن امرىء قد شَفَّه خيالها ... وهى شفاء النفس لو تنالها

يقول فيها يمدحه

سل سيوفاً محدَثاً صِقالها ... صاب على أعدائه وبالها
وعند مَعْن ذى النـــدى أمثالها

أنشد الاصمعى رجل لدعبل

لا تعجبى يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال هذا سرقه من قول الحسين بن مُطَير

أين أهل القباب بالدَّهناء ... أين جيرانُنا على الأحساء

فارقونا والأرض ملبسة نَوْ رَ الأقاحي يُجاد بالأنواء
كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض عن مَهَلّ السماء

قال المهدى للمفضل الضبي أسهرتني البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدى ، قال وماهى يا أمير المؤمنين ؟ قال قوله

وقد تغدر الدنيا فيُضْحى فقيرها غنياً ويغنى بعد بؤس فقيرها
فلا تقرُب الأمر الحرام فانه حلاوته تفنى ويبقى مَريرها
وكم قد رأينا من تغير عيشة وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

وقال فى المهدى قصيدته التي يقول فيها

اليك أمير المؤمنين تعسفت بنا البيدَ هَوْجاء النَّجاء جنوب
ولولم يكن تَقْدامها ما تقاذفت جبال بها مُغْبَرّة وسُهوب
فتى هو من غير التخلق ماجد ومن غير تأديب الرجال أديب
علا خلقه خلق الرجال وخُلقه اذا ضاق أخلاق الرجال رحيب
اذا شاهد القواد سار أمامهم جرىء على ما يتقون وَثوب
وان غاب عنهم شاهدتهم مَهابة بها يقهر الأعداء حين يغيب
يَعِفّ ويستحيي اذا كان خالياً كما عف واستحيا بحيث رقيب

فأمر له المهدى بسبعين الف درهم وحصان جواد ، وقال فيه

لو يعبد الناس يا مهدى أفضلهم ما كان في الناس الا أنت معبود
أضحت يمينك من جود مصورة لا بل يمينك منها صور الجود
لو أن من نوره مثقال خردلة فى السود طراً اذاً لابيضت السود

ومن قوله يرثى معن بن زائدة

ألِمّا على مَعْن وقولا لقبره سقيت الغوادى مَرْبعاً ثم مربعا
أيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا

أيا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مُتْرَعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته ... كما كان بعد الجود مجراه مُمْرِعا
أبى ذكر معن أن تموت فعاله ... وان كان قد لاقى حماماً ومصرعا

قيل لأبى عبيدة ما تقول فى شعر الحسين بن مطير ؟ فقال والله لوددت أن الشعراء قاربته فى قوله

خُضَّرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودُها
بصُفر تراقيها وحمر أكفُهـــا ... وسود نواصيها وبيض خدودها

ومن قوله يصف سحابة مكفهرة نشأت وتتابع منها الرعد والبرق وجاءت بمطر جَود

مستضحك بلوامع مستعبر ... بمدامع لم يَمْرِها الأقذاء
فله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك يراوح نَعْيه وبكاء
وكأن بارقه حريق تلتقى ... ريح عليه وعَرْفَج وألاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبق فى لجج السواحل ماء

ومن قوله

أحبك يا سلمى على غير ريبة ... وما خير حب لا تَعِف سرائره
أحبك حباً لا أُعَنِّف بعده ... محباً ولكني اذا لِيمَ عاذره
وقد مات قبلى أول الحب فانقضى ... ولومت أضحى الحب قدمات آخره
ولما تناهى الحب فى القلب وارداً ... أقام وسُدَّت عنه يوما مصادره

شعراء كنانة

عبد الله بن علقمة الكنانى

هو عبد الله بن علقمة الكنانى أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة خرج مع أمه وهو غلام يَفَعة لتزور جارة لها وكان لها بنت يقال لها حبيشة، فأعجبته ووقعت فى نفسه، ثم رآها مرة أخرى وقد زينت لأمر كان فى الحى، فازداد بها عجباً وانصرف بأمه فى غداة تمطر، فمشى معها شيئاً، ثم أنشأ يقول

وما أدري، بلى إنى لأدري أصوب القَطر أحسن أم حُبَيش
حبيشة والذى خلق الهدايا وما عن بعدها للصب عيش

فسمعته أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله، ثم مشيا ملياً فاذا هو بظبي على رَبْوَة من الأرض، فقال

ياأمتا أخبريني غير كاذبة وما يريد مَسُول الحق بالكذب
أتلك أحسن أم ظبى برابية لا بل حُبَيشة فى عيني وفي أربى

فزجرته أمه وقالت ما أنت وهذا؟ نزوجك بنت عمك فهى أجمل من تلك، وأتت امرأة عمه فقالت زيني ابنتك له، ففعلت وأدخلتها عليه، فلما رآها أطرق فقالت له أمه أيهما الآن أحسن؟ فقال

اذا غيبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاء ولاصبرا
كأن الحشى حر السعير يحُشه وقود الغَضَى والقلب مستعر جمرا

وجعل يراسل الجارية ويراسله حتى علقته كما علقها، وكثر قوله للشعر فيها، فمن ذلك

حبيشة هل جدى وجدك جامع بشملكمُ شملى وأهلكمُ أهلى
وهل أنا ملتف بثوبك مرة بصحراء بين الأثلتين الى النخل
وهل أشتفى من ريق ثغرك مرة كراح ومسك خالطا ضَرب النحل

فلما بلغ أهلها خبرها حجبوها عنه مدة ، وهو يزيد غراماً بها ، ويكثر قول الشعر فيها ، فأتوها وقالوا لها عديه السَّرحة ، فاذا أتاكِ فقولي له نشدتك الله ان كنت أحببتني فوالله ما على الأرض شيء أبغض إليَّ منك ونحن قريباً نستمع ما تقولين ، فوعدته وجلسوا قريباً يستمعون وجلست عند السرحة ، وأقبل عبدالله لوعدها ، فلما دنا منها دمعت عيناها والتفتت الى حيث أهلها جلوس ، فعرف أنهم قريب ، فرجع و بلغه ما قالوا لها أن تقوله ، فأنشأ يقول

لو قلتِ ما قالوا لزدت جوًى بكم على أنه لم يبق ستر ولا صبر
ولم يك حبى عن نوال بذلته فيُسْلِيَنى عنه التجهم والهجر
وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها ونظرَتها حتى يغيبني القبر

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد الى بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وأمره أن يدعوهم الى الاسلام فان أجابوه والا قاتلهم ، فصبحهم خالد بن الوليد بالغُمَيْصاء ، فخافوه فظعنوا ، وكانوا قتلوا الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن المغيرة فى الجاهلية ، وحديث ذلك أن نفراً من قريش بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياههم وكان يقال لهم لَعَقَة الدم وكانوا ذوي بأس شديد ، فجاءت بنو عامر ، فقالوا للقرشيين إياكم أن يكون معكم رجل من فَهْم لأنه كان له عندهم ذَحْل ، قالوا لا والله ما هو معنا ، وهو معهم ، فلما راحوا أدركهم العامريون ، ففتشوهم ، فوجدوا الفهمى معهم ، فقتلوه وقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فقال راجزهم

ان قريشاً غدرت وعادة نحن قتلنا منهمُ بغادة
عشرين كهلاً مالهم زيادة

وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبى العاصى أبو عثمان بن عفان وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة والفاكه بن الوليد بن المغيرة ، فأرادت قريش قتالهم حتى خذلتهم بنو الحرث بن عبد مناة فلم يفعلوا شيئاً ، وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحرث بن عبد مناة فيمن حضر الوقعة هو وضرار فأشار الى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله

دعوت الى خطة خالداً من المجد ضيعها خالد
فوالله أدرى أضاهى بها من الغم أم صدره بارد
ولو خالد عاد فى مثلها لتابعه عنق وارد

وقال ضرار أيضاً

أرى ابني لؤي أسرعا ان يسالما وقد سلكت أبناؤها كل مسلك
فان أنتمُ لم تثأروا برجالكم فدوكوا الذى أنتم عليه بمدوك (١)
فان أداة الحرب ماقد جمعتمُ ومن يتق الأقوام بالشر يترك

فلما صبحهم خالد ومعه بنو سليم ، وكانت بنو سليم طلبتهم بمالك بن خالد ابن الشريد واخوته كُرْز وعمر والحرث وكانوا قتلوهم فى موطن واحد ، فلما صبحهم خالد في ذلك اليوم ورأوا معه بني سليم زادهم ذلك نفوراً ، وقال لهم خالد أسلموا تسلموا ، قالوا نحن قوم مسلمون ، قال فألقوا سلاحكم وانزلوا ، قالوا لا والله ، فقال جذيمة بن الحرث أحد بني أقرم ياقوم لاتضعوا سلاحكم والله مابعد وضع السلاح الا القتل ، قالوا لا والله لا نلقى سلاحنا ولاننزل ما نحن منك ولا لمن

(١) المدوك حجر يسحق به الطيب

معك بآمنين ، قال خالد فلا أمان لكم ان لم تنزلوا ، فنزلت فرقة منهم فأسرهم وتفرقت البقية فرقتين فأصعدت فرقة وسفلت أخرى ، قال عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمى كنت يومئذ فى جند خالد فبعثنا فى أثر ظُعن مُصعدة يسوق بهن فتية ، فقال أدركوا أولئك ، فخرجنا فى أثرهم حتى أدركناهم وقد مضوا ووقف لنا غلام شاب على الطريق ، فلما انتهينا اليه جعل يقاتلنا وهو يقول

رَخِّين أذلال المروط واربعن مشي حَيِيَّات كأن لم يُفْزَعن
ان تمنع اليوم النساء تمنعن

فقاتلنا طويلاً فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن ، فخرج الينا غلام كأنه الاول فجعل يقاتلنا ويقول

أقسمت ما ان خادر ذو لِبْدة شَثْنُ البنان فى غداة بَرْدة
جهم المحيَّا ذو شبال وَرْدة يُرْزم بين أيكة وجحدة
ضارٍ بتأكل الرجال وحده بأصدق الغداة منى نَجْدة

فقاتلناه حتى قتلناه وأدركنا الظعن فأخذناهن فاذا فيهن غلام وضىء به صفرة فى لونه كالمنهوك فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله ، فقال لنا هل لكم فى خير ؟ قلنا وما هو ؟ قال تدركون بى الظعن أسفل الوادى ، فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى بأعلى صوته « اسلمى يا حبيش عند نفاد العيش » فأقبلت اليه جارية بيضاء حسناء فقالت « وانت فاسلم على كثرة الأعداء وشدة البلاء » فقال « سلام عليكم دهرا وأنت بقيت عصرا » فقالت « وأنت سلام عليك عشرا وشفعاً تَتْرَى وثلاثاً وترا » فقال

ان يقتلونى يا حُبَيش فلم يدع هواك لهم منى سوى غلة الصدر
وأنت التى أخليت لحمى من دمى وعظمى وأسبلت الدموع على نحرى

فقالت له

ونحن بكينا من فراقك مرة وأخرى وآسيناك فى العسر واليسر
وأنت فلا تبعد فنعم فتى الهوى جميل العفاف في المودة والستر

فقال لها

أريتك اذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السُّرَى والودائق
فلا ذنب لي قد قلت اذ أهلنامعا أثيبى بود قبل احدى البوائق
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى ويأى الامير بالحبيب المفارق
فانى لا ضيعت سر أمانة ولا راق عيني عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشيرة شاغل عن الود إلا أن يكون التوامق

قال ابن أبى حدرد فضربنا عنقه فتقحمت الجارية من خدرها حتى أتت نحوه ووضعت رأسه فى حجرها وجعلت ترشفه وتقول

لا تبعدن ياعمر حياً وهالكاً فحق بحسن المدح مثلك من مثلى
لا تبعدن ياعمر حياً وهالكاً فقد عشت محمود الثنا ماجد الفعل
فمن لطراد الخيل تشجر بالقنا وللعجز يوماً عند قرقرة البُزْل

وجعلت تبكى وتردد هذه الأبيات وان رأسه لفى حجرها ، وأفلت من القوم غلام من بني أقرم يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع خالد وشكاه ، فسأله هل أنكر عليه أحد ما صنع ؟ فقال نعم رجل أصفر رَبْعة ورجل أحمر طويل ، فقال عمر أنا والله يارسول الله أعرفهما ، أما الأول فهو ابنى عبد الله ، وأما الآخر فهو سالم مولى أبى حذيفة ، وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه ، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى

أبى حذيفة أسيرين كانا معهما فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضى الله عنه بعد فراغه من حُنَين و بعث معه بابل وورق وأمره أن يَدِيَهم ، فوداهم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال على قدمت عليهم فقلت لهم هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتلى والجرحى وتحلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علم ومما لا يعلم ؟ قالوا نعم ، فدفعته اليهم وجعلت أديهم حتى انى لأدى مِلغَة الكلب ، وفضلت فضلة فدفعتها اليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلوها ؟ قال نعم ، قال فوالذى أنا عبده لهى أحب إليّ من حمر النعم ، وقالت سلمى بنت عمبس

وكم غادروا يوم الغُميصاء من فتى ... أصيب فلم يجرح وقد كان جارحا
ومن سيد كهل عليـــه مهابة ... أصيب ولما يعلُه الشيب واضحا
أحاطت بخُطّاب الأيامى وطلقت ... غداة اذٍ من كان منهن ناكحا
ولولا مقال القوم للقوم أسلموا ... للاقت سليم يوم ذلك ناطحا

جويرية بنت خالد بن قرظ الكنانية

تُكْنى أم حكيم زوجة عبيدالله بن العباس . قالت فى ابنيها اللذين قتلهما بُسْر ابن أرطاة أحد بني عامر بن لؤى باليمن

ألا من بين الاخويـــن أمهما هى الثكلى
تسائل من رأى ابنيها وتستبغى فمـــا تُبْغى
فلما استيأست رجعت بعَبْرة واله حرَّى
تتـــابع بين ولولة وبين مدامع تترَى

و كانت قد أصابها وله على ابنيها فكانت لا تعقل ولا تصغى الا الى قول من أعلمها انهما قد قتلا ولا تزال تطوف فى المواسم تنشد ابنيها بهذه الابيات

يامن أحسّ بُنَيَّ اللذين هما ... كالدُّرتين تَشَظَّى عنهما الصَّدف
يامن أحس بنيَّ اللذين هما ... سمعي وطرْفي فطرفي اليوم مختطف
يامن أحس بنيي اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
نبئت بُسْرا وما صدقت ما زعموا ... من قولهم ومن الافك الذى اقترفوا
أنحى على وَدَجَيْ طفليَّ مرهفة ... مشحوذة وعظيم الافك يقترف
حتى لقيت رجالا من أرومته ... شم الأنوف لهم فى قولهم شرف
فالآن ألعن بسرا حق لعنته ... هذا لعمر أبى بسر هو السَّرف
من دل والهـــة حرَّى مفجعة ... على حبيبين غابا اذ مضى السلف

وكان من حديث ذلك ان معاوية بن أبى سفيان بعث بُسْر بن أرطاة بعد تحكيم الحكمين وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ حي فى جيش، فمر بسر لذلك على وجهه حتى انتهى الى المدينة فقتل بها ناساً من أصحاب على عليه السلام وأهل هواه وهدم بها دوراً، ومضى الى مكة فقتل نفراً من آل أبى لهب، ثم أتى السراة فقتل من بها من أصحابه، وأتى نَجْران فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثى وابنه وكانا من أصهار عبيد الله بن العباس عامل على عليه السلام، ثم أتى اليمن وعليها عبيد الله وكان غائباً، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر فلم يصادفه بسر ووجد ابنين له صبيين فأخذهما بسر « لعنه الله » وذبحهما بيده بمدية كانت معه، ثم انكفأ راجعاً الى معاوية، وبعث معاوية غيره ففعلوا فعله فقصد الغامدى الى الأنبار فقتل ابن حسان البكرى وقتل رجالا ونساء من الشيعة، فبلغ ذلك علياً فخرج حتى أتى المنبر فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال « أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيم الخسف ودُيِّث (١) بالصَّغار، وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا

(١) ذل

ونهاراً وسراً واعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم ، فو الذى نفسى بيده ما غزى قوم قطّ فى عُقْر (١) دارهم الا ذلوا ، فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيّاً حتى شُنَّت عليكم الغارات ، هذا أخو غامد (٢) قد وردت خيله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيراً ونساء ، والذى نفسى بيده لقد بلغني أنه كان يُدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالها (٣) ورُعثها ، ثم انصرفوا موفورين لم يُكْلم (٤) أحد منهم كَلْما ، فلو أن امرأ مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندى فيه ملوماً بل كان عندى به جديراً ، يا عجبا كل العجب عجب يميت القلب ويَشْغَل الفهم ويكثر الأحزان من تضافر (٥) هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضاً تُرْمون ولا ترمون ويُغار عليكم ولا تُغيرون ويُعصى الله عز وجل فيكم وترضَوْن ، اذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا أوان قُرّ وصِرّ (٦) ، وان قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارّة (٧) القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا ، فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أفرّ يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طَغام (٨) الاحلام ويا عقول ربّات الحجال ، والله لقد أفسدتم علىّ رأيى بالعصيان ، ولقد ملأتم قلبى غيظاً حتى قالت قريش ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب ، لله دَرّهم ومن ذا يكون أعلم بها منى أو أشد لها مِراساً ؟ فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع ، يقولها ثلاثاً ، فقام اليه رجل ومعه أخوه فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى « رب انى

---

(١) أصل (٢) هم بنو غامد بن نصر بن الازد (٣) الاحجال الخلاخيل واحدها حجل بالكسر والرعث هى الشنوف الواحدة رعثة بفتح الراء وسكون العين والجمع رعثات وجمع الجمع رعث (٤) لم يجرح (٥) التضافر التعاون والتظاهر (٦) الصر شدة البرد (٧) اشتداد حرارة الصيف (٨) الطغام من لا عقل له ولا معرفة عنده

لا أملك الا نفسي وأخي » فمرنا بأمرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد ، فدعا لها بخير ثم قال لها وأين تقعان مما أريد ؟ ثم نزل

وكتب عقيل بن أبي طالب الى أخيه علي عليه السلام « أما بعد فان الله جارك من كل سوء ، وعاصمك من المكروه ، انى خرجت معتمراً فلقيت عبد الله ابن أبي سَرْح فى نحو من أربعين شاباً من أبناء الطُّلقاء ، فقلت لهم وعرفت المنكر فى وجوههم : يا أبناء الطلقاء العداوة لنا منكم والله غير مستنكرة قديماً تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمره ، فأسمعنى القوم وأسمعتهم ، ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموال أهلها ثم انكفأ راجعاً ، فأفّ لحياة فى دهر قد أمر عليكم الضحاك ، وما الضحاك ، وهل هو الا فقع قرقرة وقد طنّت ؟ وبلغني أن أنصارك قد خذلوك فاكتب الىّ يا ابن أمّ برأيك فان كنت الموتَ تريد تحملت اليك ببني أبيك وولد أخيك فعشنا ما عشت ومتنا معك ، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فُواقا ، فأقسم بالله الأعز الأجل ان عيشاً أعيشه فى هذه الدنيا بعدك لَعيش غير هنيء ولا مَرِيء ولا نجيع والسلام ، فأجابه على بن أبي طالب عليه السلام ، أما بعد كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب انه حميد مجيد ، فقد قدم علىّ عبد الرحمن بن عبيد الأزدى بكتابك يذكر أنك لقيت ابن أبي سَرْح مقبلا من قُدَيد فى نحو أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، وانك تنبأ عن ابن أبي سَرْح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبَغاها عِوَجاً فدع ابن أبي سرح عنك ودع قريشاً وتَرْكاضهم فى الضلال وتَجوالهم فى الشقاق فان قريشاً قد أجمعت على حرب أخيك اجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم فأصبحوا قد جهلوا حقه وجهلوا فضله وكادوه بالعداوة ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كل الجهد وساقوا له جيش الأمرّين ، اللهم فاجز عني قريشاً

الجوازى فقد قطعت رحمى وتظاهرت علىّ والحمد لله على كل حال ، وأما ماذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحِيرة فهو أقل وأذل من أن يقرب من الحيرة ، ولكنه جاء فى جريدة فأخذ على السماوة ومرّ بواقصة وشراف وما الى ذلك الصقع فسرحت اليه جيشاً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن فى السير وقد طفلت الشمس للاياب ، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا [١] فولى ولم يصبر وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا جريضاً [٢] بعد ما أخذ منه بالمخنّق [٣] ولم يبق منه الا الرمق فلأيا بلأى مانجا [٤] وأما ما سألت أن أكتب اليك فيه فرأيى قتال المحلّين حتى ألقى الله ، لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزة ، ولا تفرقهم عنى وحشة ، لانى محق والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت على الحق ، وما الخير كله الا بعد الموت لمن كان محقاً ، وأما ما عرضته علىّ من مسيرك اليّ ببنى أبيك وولد أخيك فلاحاجة لى فى ذلك ، فأقم راشداً مهدياً ، فوالله ما أحب أن تهلكوا معى ان هلكت ، ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرعاً متخشعاً ، ولا مقراً للضيم واهناً ، ولا سلس الزمام للقائد ، ولا وطىء الظهر للراكب المقتعد ، ولكنه كما قال أخو بني سليم

فان تسأليني كيف أنت فانني ... صبور على ريب الزمان صليب

يعز عليّ أن ترى بى كآبة ... فيشمت باغ أو يسر حبيب

والسلام

---

(١) كناية عن السرعة التامة فان حرفين ثانيهما حرف ابن سريعا الانقضاء عن السمع

(٢) الجريض المغموم (٣) المخنق الحلق محل ما يوضع الخناق

(٤) لأيا مصدر محذوف العامل ومعناه الشدة والعسر وما بعده مصدرية ونجا فى معنى المصدر أى عسرت نجاته عسراً بعد عسر

ثم ان بسرا كر راجعاً وانتهى خبره الى عليّ عليه السلام أنه قتل عبدالرحمن وقُثَم ابني عبيد الله بن عباس ، فسرح حارثة بن قُدامة السعدى فى طلبه وأمره أن يَجِدَّ السير ، فخرج مسرعاً ، فلما وصل الى المدينة وانتهى اليه قتل علي وبيعة الحسن رضى الله تعالى عنه ركب فى السلاح ودعا أهل المدينة الى البيعة للحسن فامتنعوا ، فقال والله لتبايعُن ، فلما رأى أهل المدينة الجد منه بايعوا الحسن عليه السلام وكر راجعاً الى الكوفة ، ولما بلغ علياً قتل بسر للصبيين جزع لذلك جزعاً شديداً ودعا على بسر « لعنه الله » ، فقال اللهم اسلب دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله ، فأصابه ذلك وفقد عقله ، وكان يَهْذِي بالسيف ويطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه حتى يسأم ، ثم مات « لعنه الله » ولما كانت الجماعة واستقر الأمر لمعاوية دخل عليه عبيد الله بن عباس وعنده بسر ، فقال له عبيد الله أأنت قاتل الصبيين أيها الشيخ ، قال بسر نعم أنا قاتلهما ، فقال عبيد الله أما والله لَوَدِدْت أن الأرض كانت أنبتتني عندك ، فقال بسر فقد أنبتتك الآن عندى ، فقال عبيد الله ألا سيف ؟ فقال له بسر هاك سيفى ، فلما أهوى عبيد الله الى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر أخزاك الله شيخاً قد قد كبرت وذهب عقلك ، ذاك رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه تدفع اليه سيفك انك لغافل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بى قبلك ، فقال عبيد الله أجَلْ والله وكنت أثني به ، قال الأصمعى وسمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عبيد الله بن عباس تندب ابنيها « بالأبيات السابقة » فرقّ لها واتصل ببُسْر حتى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنيه ، فخرج بهما الى وادى أوطاس فقتلهما وهرب وقال

يا بُسْر بسرَ بني أرطاةَ ما طلعت ... شمس النهار ولا غابت على الناس

خير من الهاشميين الذين هم ... عين الهدى وسمام الأسوق القاسى
ماذا أردت الى طفلى مولهة ... تبكي وتنشد من أشكات فى الناس
إمَّا قتلتهما ظلماً فقد شَرِقت ... من صاحبيك فتاتى يوم أوطاس
فاشرب بكأسهما ثكلاً كما شربت ... أم الصبيين أو ذاق ابن عباس

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

تم الجزء الخامس

ويليه الجزء السادس وأوله

شعراء الديل بن بكر

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	**شعراء عكل**
٢	سويد بن كراع العكلي
١٠	**شعراء تميم**
١٠	مالك بن الريب المازني
١٩	هلال بن الأسعر المازني
٢٢	مسعود بن خرشة المازني
٢٣	قطري بن الفجاءة المازني
٢٩	مرة بن محكان السعدي
٣٠	رؤبة
٣٤	أبو نخيلة الحماني
٤٥	حارثة بن بدر الغداني
٦٦	جرير
٩١	الشمردل اليربوعي
٩٧	الأبيرد الرياحي
١٠٤	أبو الهندي الرياحي
١٠٨	المغيرة بن حبناء
١١٥	أبو حزابة
١٢٠	أبو نفيس
١٢٠	مسكين الدارمي
١٢٥	سعيد الدارمي
١٢٧	الفرزدق
١٦٥	**شعراء عدي بن عبد مناة**
١٦٥	ذو الرمة
١٨٣	عمرو بن الحصين
١٩١	**شعراء أسد**
١٩١	أيمن بن خريم
١٩٥	الحكم بن عبدل
٢٠٣	الكميت بن زيد
٢١٦	اسمعيل بن عمار
٢٢٤	الزبير بن الأشيم
٢٢٤	عبد الله بن الزبير
٢٤٠	الزبير بن عبد الله
٢٤٠	أعشى بني أسد
٢٤١	المرار الفقعسي
٢٤٤	الكميت بن معروف

تابع الفهرست

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٤٤	معروف بن الكميت	٢٤٦	الحسين بن مطير
٢٤٤	سعدة أم الكميت	٢٤٩	شعراء كنانة
٢٤٥	أعشى بن أسد	٢٤٩	عبد الله بن علقمة
٢٤٥	معروف بن الكميت	٢٥٤	جويرية بنت خالد

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء السادس

فى الشعراء الاسلاميين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

٢٠١١/٢٥/٢٠٠٠

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء الديل (١) بن بكر

أبو الأسود الدؤلي

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو الدُّؤلي من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدثيهم ، وقد روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، وروى عن ابن عباس وغيره ، واستعمله عمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم واستعمله علي على البصرة بعد ابن عباس ، وهو كان الأصل فى بناء النحو وعقد أصوله ، دخل الى ابنته بالبصرة فقالت يا أبت ما أشدُّ الحر ، فظنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد ، فقال لها شهرا ناجر ، فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك ، فأتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت العجم وأوشك ان تطاول عليها زمان أن تضمحل ، فقال له وما ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم وأملى عليه ان الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى « وهذا القول أول كتاب سيبويه » ثم رسم أصول النحو كلها ، فنقلها النحويون وفرعوها ، وروى المدائني قال أمر زياد أبا الأسود أن ينقط المصاحف ، فنقطها ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه فى حدود العربية ، ثم زاد

---

(١) قال عيسى بن عمر الديل بن بكر انما هو الدئل بضم فكسر فترك أهل الحجاز همزه

فيها بعده عَنْبسة بن مَعْدان المَهْرِي ، ثم جاء عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن احمد الأزدي « وكان صليبة » فلحبه[1] ، ونجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوماً فهم الآن يعملون عليها

قيل لأبي الأسود من أين لك هذا العلم ؟ « يعنون النحو » فقال أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقال عاصم بن أبي النَّجود أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي جاء الى زياد بالبصرة فقال له أصلح الله الأمير اني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم أفتأذن لي أن أضع لهم علماً يقيمون به كلامهم ؟ قل لا ، ثم جاء زياداً رجل فقال مات أبانا وخلف بنون ، فقال زياد مات أبانا وخلف بنون ؟ ردوا الى أبا الأسود ، فرد اليه ، فقال ضع للناس ما نهيتك عنه ، فوضع لهم النحو ، ويروى أن هذه القصة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد ، وقال أبو حرب بن أبي الأسود أول باب وضعه أبي من النحو التعجب

قال الجاحظ أبو الأسود الدؤلي معدود في طبقات من الناس وهو في كلها مقدم مأثور عنه الفضل في جميعها كان معدوداً ، في التابعين ، والفقهاء ، والشعراء ، والمحدثين ، والأشراف ، والفرسان ، والأمراء ، والدهاة ، والنحويين ، والحاضري الجواب ، والشيعة ، والبخلاء ، والصُّلْع الأشراف ، والبُخْر الأشراف

ومما رواه من الحديث مسنداً قال أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض يموتون موتاً ذريعاً ، فجلست الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فمرَّت به جنازة ، فأثنى على صاحبها خيراً ، فقال عمر وجبت ، ثم مرَّ بأخرى ، فأثنى على صاحبها شراً ، فقال عمر وجبت ، فقال أبو الأسود ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟

(١) لحب الطريق أوضحه

فقال قد قلت كما قال رسول الله صلى الله عليه أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ، فقلنا وثلاثة ، قال وثلاثة ، فقلنا واثنان ، قال واثنان ، ثم لم أسأله عن الواحد ، وقال خطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى الناس يوم الجمعة ، فقال ان نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة حتى يأتى أمر الله جل وعز ، وروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال فى بول الجارية يغسل وفى بول الغلام ينضح ما لم يأكل الطعام

لما خرج ابن عباس رضى الله عنهما الى المدينة من البصرة تبعه أبو الأسود فى قومه ليرده ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بنى هلال ، فمنعوه وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال نَنشدكم الله ألاَّ تسفكوا بيننا دماء تبقى معها العداوة الى آخر الأبد وأمير المؤمنين أولى بابن عمه فلا تدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة ، وكتب أبو الأسود الى علي عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولاه البصرة ، وكان أبو الأسود كاتباً لابن عباس على البصرة وهو الذى يقول

واذا طلبت من الحوائج حاجة فادع الاله وأحسن الاعمالا
فليعطينَّك ما أراد بقدرة فهو اللطيف لما أراد فعالا
ان العباد وشأنهم وأمورهم بيد الاله يقلب الأحوالا
فدع العباد ولا تكن بطلابهم لهجا تضعضع للعباد سؤالا

كان أبو الأسود قد أسن وكان مع ذلك يركب الى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل يا أبا الأسود أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت ولو لزمت منزلك كان أودع لك ، فقال له أبو الأسود صدقت ولكن الركوب يشد أعضائى وأسمع من أخبار الناس ما لم أسمعه فى بيتى وأستنشق الريح وألقى اخوانى ، ولو جلست فى بيتى لاغتم بى أهلي وأنس بى الصبى واجترأ علىَّ الخادم وكلمنى من أهلي من يهاب كلامى لإلفهم إياى وجلوسهم عندي حتى لعل العَنَزات تبول علىَّ فلا يقول لها أحد هُسْ

كان بين بنى الديل و بين بنى ليث منازعة ، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدوا ديته ، فاجتمعوا الى أبى الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحَّ عليه غلام منهم ذو بيان وعارضة ، فقال له يا أبا الأسود أنت شيخ العشيرة وسيدهم وما يمنعك من معاونتهم قلة ذات يد ولا سوودد ، فلما أكثر أقبل عليه أبو الأسود ثم قال لقد أكثرت يا ابن أخى فاسمع منى ان الرجل والله ما يعطى ماله الا لاحدى ثلاث خلال ، اما رجل أعطى ماله رجاء مكافأة ممن يعطيه ، أو رجل خاف على نفسه فوقاها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده فى الآخرة أو رجل أحمق خدع عن ماله ، والله ما أنتم أحد هذه الطبقات ولا جئتم فى شىء من هذا ولاعمك الرجل العاجز فينخدع لهؤلاء ، ولما أفدتك إياه فى عقلك خير لك من مال أبى الأسود لو وصل الى بنى الديل ، قوموا اذا شئتم ، فقاموا يبادرون الباب

كان طريق أبى الأسود الى المسجد والسوق فى بنى تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به ، فمر به أبو الأسود يوماً فقال لقومه كأن وجه أبى الأسود وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاق ، فضحك القوم وأعرض عنهم أبو الأسود ، ثم مرَّ به مرة أخرى فقال كلمة أخرى فأفحمه أبو الأسود وضحك القوم منه وقاموا الى أبى الأسود فاعتذروا اليه مما كان ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود حين رجع الى أهله

وأهوجَ ملحاح تصامت قبله ... الى سمعه وما يسمعى من باس
ولوشئت قد أعرضت حتى أصيبه ... على أنفه حَدْباء تُعضل بالآسى
فان لسانى ليس أهون وقعة ... وأصغر آثاراً من النحت بالفاس
وذى إحنة لم يُبدها غير أنه ... كذى الخَبْل تأبى نفسه غير وسواس
صفحت له صفحاً جميلا كصفحه ... وعينى وما تدرى عليه واحراسى

وعندى له ان فار فوّار صدره فحاً جبلى لا يعاوده الحابس
وضبّ لحوم الناس أكثر زاده كثير الخنا صعب المحالة هماس
تركت له لحمى وأبقيت لحمه لمن نابه من حاضرى الجن والناس
فكرّ قليلا ثم صدّ كأنما يعضّ بصمّ من صدى جبل راسى

خرج أبو الأسود ومعه جماعة أصحاب له الى الصيد ، فجاءه أعرابى فقال له السلام عليك ، فقال أبو الأسود كلمة مقولة ، قال أأدخل ؟ قال وراءك أوسع لك ، قال ان الرمضاء قد أحرقت رجلى ، قال بُلْ عليها أو ائت الجبل يفىء عليك ، قال هل عندك شىء تطعمنيه ؟ قال نأكل ونطعم العيال فان فضل شىء فأنت أحق به من الكلب ، قال الأعرابى ما رأيت قط ألأم منك ، قال أبو الأسود قد رأيتك ولكنك قد أنسيت

خطب أبو الأسود امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسرّ أمرها الى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدث ابن عم له كان يخطبها ، وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن عمها الخاطب لها الى أهلها الذين مالها عندهم ، فأخبرهم خبر أبى الأسود وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ومن مالها الذى في أيديهم ، ففعلوا ذلك وضارّوها حتى تزوجت بابن عمها ، فقال أبو الأسود فى ذلك

لعمرى لقد أفشيت يوماً نخانني الى بعض من لم أخش سراً ممنعا
فمزقه مزق العمى وهو غافل ونادى بما أخفيت منه فأسمعا
فقلت ولم أُخش لعلك عاثر وقد يعثر الساعى اذا كان مسرعا
ولست بجازيك الملامة انني أرى العفو أدنى للرشاد وأوسعا
ولكن تعلم أنه عهد بيننا فبن غير مذموم ولكن مودعا
حديثاً أضعناه كلانا فلا أرى وأنت نجياً آخر الدهر أجمعا
وكنت اذا ضيعت سرك لم تجد سواك له الا أشت وأضيعا

وقال فيه

أمنت امرأً فى السر لم يك حازماً ولكنه فى النصح غير مريب
أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب[1]
وكنت متى لم ترع سرك تلتبس قوارعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما استجمعا عندواحد فحق له من طاعة بنصيب

اشترى أبو الأسود جارية فأعجبته وكانت حولاء فعابها أهله عنده بالحول فقال فى ذلك

يعيبونها عندى ولا عيب عندها سوى أن فى العينين بعض التأخر
فان يك فى العينين سوء فانها مهفهفة الأعلى رداح المؤخر

كان لأبى الأسود صديق من بني تيم بن سعد يقال له مالك بن أصرم وكانت بينه وبين ابن عم له خصومة فى دار له وانهما اجتمعا عند أبى الأسود فحكماه بينهما ، فقال له خصم صديقه انى بالذى بينك وبين هذا عارف فلا يحملنك هذا على أن تحيف علىّ في الحكم ، وكان صديق أبى الأسود ظالماً ، فقضى على صديقه لخصمه بالحق ، فقال له صديقه والله ما بارك الله لى فى صداقتك ولا نفعنى بعلمك وفقهك ولقد قضيت علىّ بغير الحق فقال أبو الأسود

اذا كنت مظلوماً فلا تلف راضيا عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب
وان كنت أنت الظالم القوم فاطّرح مقالتهم واشغب بهم كل مشغب
وقارب بذى جهل وباعد بعالم جلوب عليك الحق من كل مجلب
فان حدبوا فاقمس وان هم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحدب
ولا تدعنى للجور واصبر على التى بها كنت أقضى للبعيد على أبى

(١) الثقوب ما تشعل به النار من صغار العيدان

فاني امرؤ أخشى الهى وأتقى معادى وقد جربت ما لم تجرب

وجه الى الحصين بن أبى الحر العنبرى وهو يلى بعض أعمال الخراج لزياد والى نعيم بن مسعود النهشلى وهو يلى مثل ذلك برسول وكتب معه اليهما وأراد أن يبرّاه ففعل ذلك نعيم بن مسعود ورمى الحصين بكتاب أبى الأسود وراء ظهره ، فأخبر أبو الأسود بذلك فقال

حسبتَ كتابى اذ أتاك تعرضا لسَيْبك ، لم يذهب رجائى هنالكا
وخبرنى من كنت أرسلت أنما أخذت كتابى معرضا بشمالكا
نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلاً أخلقت من نعالكا
نعيم بن مسعود أحق بما أتى وأنت بما تأتى حقيق بذلكا
يصيب ومايدري ويخطى ومادرى وكيف يكون النَّوْك إلا كذلكا

أراد الخروج الى فارس فقالت له ابنته يا أبت انك قد كبرت وهذا صميم الشتاء فانتظر حتى ينصرم ويسلك الطريق آمناً فانى أخشى عليك فقال

إذا كنت معنياً بأمر تريده فما للقضاء والتوكل من مثل
توكل وحمل أمرك الله ان ما تراد به آتيك فاقنع بذا الفضل
ولا تحسبن السير أقرب للرَّدى من الخفض فى دار المقامة والثَّمل (١)
ولا تحسبينى يا ابنتى عن مذهبى بظنك ان الظن يكذب ذا العقل
وانى ملاق ما قضى الله فاصبرى ولا تجعلى العلم المحقق كالجهل
وانك لا تدرين هل ما أخافه أبعديَ يأتى فى رحيلى أو قبلى
وكم قد رأيت حاذراً متحفظاً أصيب وألفته المنية فى الأهل

كان لأبى الأسود صديق من بنى سليم يقال له نسيب بن حميد وكان يغشاه فى منزله ويتحدث اليه فى المسجد وكان كثيراً ما يحلف له أنه ليس بالبصرة أحد

(١) الثمل المقام والخفض

من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه ، فرأى أبو الأسود يوماً معه مُسْتُقَة مُخْمَلَة[1] أصبهانية من صوف فقال له أبو الأسود ما تصنع بهذه المستقة ؟ فقال أريد بيعها فقال له أبو الأسود انظر ما تبلغ فعرفنيه حتى أبعث به اليك فانها من حاجتي ، قال لا بل أكسوكها ، فأبى أبو الاسود أن يقبلها الا بثمنها فبعث بها الى السوق فقومت بمائتي درهم ، فبعث اليه أبو الأسود بالدراهم فردها وقال لست أبيعها الا بمائتين وخمسين ، فقال

بعني نُسيبُ ولا تُثبني انني ... لا أستثيب ولا أُثيب الواهبا
ان العطيـــــة خير ما وجهتها ... وحسبتها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطية ما يعود غرامة ... وملامـــــة تبقى ومَنّاً كاذبا
وبلوت أخبار الرجال وفعلهم ... فملئت علماً منهم وتجاربا
فأخذت منهم ما رضيت بأخذه ... وتركت عمداً ما هنالك خائبا
فاذا وعدت الوعد كنت كغارم ... دَيْناً أُقِرّ به وأحضر كاتبا
حتى أُنفـــذه على ما قلته ... وكفى عليَّ به لنفسي طالبا
واذا فعلت فعلت غير محاسب ... وكفى بربك جازياً ومحاسبا
واذا منعت متعت منعاً بيناً ... وأرحت من طول العناء الراغبا
لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوماً بذم الدهر أجمع واصبا

كان أبو الأسود يحدث معاوية يوماً فتحرك فضرط ، فقال لمعاوية استرها علي ، فقال نعم ، فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان بن الحكم فلما غدا عليه أبو الأسود قال عمرو ما فعلت ضرطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال ذهبت كما تذهب الريح مقبلة ومدبرة من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها

(١) المستقة فروة طويلة الكم والمخملة التي لها خمل بالفتح وهو هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول

وكل أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية فقال ان امرأ ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألاَّ يؤمن على أمور المسلمين

كان يجلس الى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدث اليها وكانت بَرَزة جميلة ، فقالت له يا أبا الاسود هل لك فى أن أتزوجك فانى صَنَاع الكف حسنة التدبير قانعة باليسور ؟ قال نعم ، فجمعت أهلها فتزوجته فوجد عندها خلاف ماقدره وأسرعت فى ماله ومدت يدها الى خيانته وأفشت سرّه ، فغدا على من كان حاضراً تزويجه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا ، فقال لهم

أرأيت امرأً كنت لم أبْلُه أتانى فقال اتخذنى خليلا
فخاللته ثم أكرمته فلم أستفد من لدنه فتيلا
وألفيته حين جربته كذوب الحديث سروقاً بخيلا
فذكرته ثم عاتبته عتاباً رفيقاً وقولا جميلا
فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا
ألست حقيقاً بتوديعه واتباع ذلك صَرْماً طويلا

فقالوا بلى والله يا أبا الاسود ، قال تلك صاحبتكم وقد طلقتها لكم وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم

كان علي بن أبى طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يشيع أبا الأسود عند علي ويقع فيه ويبغى عليه ، فلما بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال

رأيت زياداً ينتحينى بشره وأعرض عنه وهو باد مقاتله
وكل امرىء والله بالناس عالم له عادة قامت عليها شمائله
تعودها فيما مضى من شبابه كذلك يدعو كلَّ أمر أوائله
ويعجبنى صفحى له وتجملى وذو الجهل يحذو الجهل من لايعاجله

فقلت له دعني وشأني اننا كلانا عليه معمل هو عامله
فلولا الذي قد يرتجى من رجائه لجربت مني بعض ما أنت جاهله
لجربت أني أمنح الغيَّ من غوى على وأجزى ما جزى وأطاوله

وقال له

نبئت أن زياداً ظل يشتمني والقول يكتب عند الله والعمل
وقد لقيت زياداً ثم قلت له وقبل ذلك ما خبّت به الرسل
حتام تسرقني في كل مجمعة عرضي وأنت اذا ماشئت منتقل
كل امرىء صائر يوماً لشيمته في كل منزلة يبلى بها الرجل

فلما ادعى معاوية زياداً ولاه العراق وكان أبو الاسود يأتيه فيسأله حوائجه فربما قضاها وربما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في علي بن أبي طالب عليه السلام وما كان بينهما في تلك الأيام وهما عاملان فكان أبو الاسود يترضاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك

رأيت زياداً صدَّ عني بوجهه ولم يك مردوداً عن الخير سائله
ينفذ حاجات الرجال وحاجتي كداء الجوى في جوفه لا يزايله
فلا أنا ناسٍ ما نسيت فآيس ولا أنا راءٍ ما أريت ففاعله
وفي اليأس حزم للبيب وراحة من الامر لا ينسى ولا المرء نائله

نظر عبد الرحمن بن أبي بكرة الى أبي الأسود في حالة رثة فبعث اليه بدنانير وثياب وسأله أن ينبسط اليه في حوائجه ويستميحه اذا ضاق فقال يمدحه

أبو بحر أمنُّ الناس طراً علينا بعد حي أبي المغيرة
لقد أبقى لنا الحدَثان منه أخا ثقة منافعه كثيرة
قريب الخير سهلاً غير وعرٍ وبعض الخير تمنعه الوُعورة
بصرت بأننا أصحاب حق نُدِلُّ به وإخوان وجيرة

وأهل مَضِيعة فوُجدت خيراً من الخلان فينا والعشيرة
وانك قد علمتُ وكل نفس ترى صفحاتها ولها سريرة
لذو قلب بذي القربى رحيم وذو عين بما بلغت بصيرة
لعمرك ما حباك الله نفساً بها جَشَع ولا نفساً شريرة
ولكن أنت لا شَرِس غليظ ولا هشم تنازعه خُؤُورة
كأنا اذ أتيناه نزلنا بجانب روضة رَيَّا مَطيرة

وكان يدخل الى عبيد الله بن زياد فيشكو اليه ان عليه ديناً لحقه لا يجد الى قضائه سبيلاً ، فيقول له اذا كان غد فارفع اليّ حاجتك فانى أحب قضاءها ، فيدخل اليه من غد فيذكر له أمره ووعده فيتغافل عنه ثم يعاوده فلا يصنع فى أمره شيئاً فقال أبو الأسود

دعانى أميري كى أفوه بحاجتى فقلت فما رُد الجواب ولا استمع
فقمت ولم أُحسِن بشيء ولم أصُن كلامى وخير القول ماصين أو نفع
وأجمت يأساً لا لبانة بعده ولَلَيأس أدنى للعفاف من الطمع

سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه ، فقال يا أبا الأسود ما أصبحت حاتمياً ، قال بلى قد أصبحت حاتمياً من حيث لاتدري أليس حاتم الذى يقول

أما وىّ إما مانع فمبين واما عطاء لاينهنهه الزجر

كان لأبى الأسود جار يحسده وتبلغه عنه قوارص ، فلما باع أبو الأسود داره فى بنى الدِّيل وانتقل الي هُذَيل قال جار أبى الأسود لبعض جيرانه من هذيل هل يسقيكم من ألبان لِقاحه ؟ وكانت لاتزال عنده لِقحة أو لقحتان ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب فبلغ أبا الأسود قوله فقال فيه

ان امرأً نبئته من صديقنا يسائل هل أسقى من اللبن الجارا
وإنى لأسقى الجار فى قعر بيته وأشرب مالا إثم فيه ولا عارا

شراباً حلالا ينزل المرء صاحياً ولا يتولى يقلس الاثم والعارا

كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حَوْشرة بن سليم فاستعمله عبيد الله بن زياد على جَيّ وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس فلما بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدره وجفاه حوشرة فقال فيه أبو الأسود وفارقه

تروحتَ من رستاق جَيَّ عشية وخلفت فى رستاق جَيَّ أخاً لكا
إخالك ان طال التنائى وجدته نَسِيًّا وان طال التعاشر ملَّكا
ولو كنت سيفاً يعجب الناسَ حدُّه وكنتَ له يوماً من الدهر فَلَّكا
ولو كنت أهدى الناس ثم صحبته وطاوعته ضل الهدى وأضلكا
اذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى وان جرت عن باب الغواية دلكا

كان لأبي الأسود جار يقال له وثاق من خزاعة وكان يحب اتخاذ اللقاح ويغالى بها ويصفها ، فأتى أبا الأسود وعنده لقحة غزيرة يقال لها الصعوف ، فقال له يا أبا الأسود ما بلقحتك بأس لولا عيب كذا وكذا فهل لك فى بيعها ؟ فقال أبو الأسود أعلى ما تذكر فيها من العيب ؟ فقال انى أغتفر ذلك لما أرجوه من غزارتها ، فقال له أبو الأسود بئست الخلتان فيك الحرص والخداع ، أنا لعيب مالي أشد اغتفاراً ، وقال فيه

يريد وثاق ناقتى ويعيبها يخادعني عنها وثاق بن جابر
فقلت تعلم يا وثاق بأنها عليك حمى أخرى الليالي الغوابر
بصرت بها كوماء حَوْساء جَلْدة من الوليات الهام حد الظوافر
فحاولت خدعي والظنون كواذب وكم طامع فى خدعتى غير ظافر

وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطيفاء وكان يقول ما ملكت مالاً قط أحب إليَّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سَدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود ويعيبها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها شيئاً وافياً ، فأبى أن يبيعه ، وقال فيه

أتانى في الطيفاء أوس بن عامر ليخدعني عنها بجن ضراسها
فسام قليلاً بائساً غير تاجر وأحضر نفساً وانتمى بمكاسها
فأقسم لو أعطيت ما سمت مثله وضعفاً له لما غدوت براسها
أغرك منها ان نحرت حوارها لجيران أم السكن يوم نفاسها
فولى ولم يطمع وفى النفس حاجة يرددها مردودة بايأسها

سأل رجل أبا الأسود فرده، فألحّ عليه، فقال له « ليس للسائل الملحف مثل الرد الجامس » يعني بالجامس الجامد

خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة، وكان قد رآها فأعجبته، فأجابته الى ذلك وأذنت له فى الدخول اليها، فدخل دارها فخاطبها بما أراد، فلما خرج لقيه ابن عم لها كان قد خطبها على أخيه، فقال له ما تصنع ههنا؟ فأخبره بخطبة المرأة، فنهاه عن التعرض لها، ووضع عليها ارصاداً، فكان أبو الأسود ربما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم، فدسوا اليه رجلاً يوبخه فى كل محفل يراه فيه، ففعل وأتاه وهو فى نادي قومه، فقال له يا أبا الأسود أنت رجل شريف ولك سن وخطر وعرض وما أرضى لك أن تُلمّ بفلانة وليست لك بزوجة ولا قرابة فان أهلها قد أنكروا ذلك وتشكوه فإما أن تتزوجها أو تضرب عنها، فقال أبو الأسود

لقد جد فى سلمى الشكاة واللذى يقولون لو يبدو لك الرشد أرشدُ
يقولون لا تبذل بعرضك واصطنع معادك ان اليوم يتبعه غد
وإياك والقومَ الغضابَ فانهم بكل طريق حولهم تترصد
تُلام وتُلحَى كل يوم ولا تُرَى على اللوم الا حولها تتردد
أفادتكها العين الطموح وقد ترَى لك العين ما لا تستطيع لك اليد

وقال

دعوا آل سلمى ظنّتى وتعنتى وما زل مني ان ما فات فائت

ولا تُهلكوني بالملامة انما نطقت قليلاً ثم اني لساكت
سأسكت حتى تحسبوني أنني من الجهد في مرضاتكم متماوت
ألم يكفكم أن قد منعتم بيوتكم كما منع الغيلَ الأسود البواهت
تصيبون عِرْضي كل يوم كما علا نشيط بفاس معدن البَرْم ناحت

كان ابن عباس يكرم أبا الأسود لما كان عاملاً لعلي على البصرة ويقضي حوائجه فلما ولي ابن عامر جفاه وأبعده ومنعه حوائجه لما كان يعلمه من هواه في علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال فيه أبو الأسود

ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر ومامر من عيشي ذكرت وما فضل
أميرين كانا صاحبيَّ كلاهما فكلٌّ جزاه الله عني بما فعل
فان كان شراً كان شراً جزاؤه وان كان خيراً كان خيراً اذا عدل

قال أبو الأسود لابنه أبي حرب وكان له صديق من باهلة يكثر زيارته فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه

أحبب اذا أحببت حباً مقارباً فانك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض اذا أبغضت بغضاً مقارباً فانك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدناً للحلم واصفح عن الخَنَا فانك راءٍ ما عملت وسامع

كان لأبي الأسود جار من بني حُليس بن يَعْمُر بن نُفاثة بن عدي بن الديل، من رهطه دِنْية، ومنزل أبي الأسود يومئذ في بني الديل، فأولع جاره برميه بالحجارة كلما أمسى ويؤذيه، فشكا أبو الأسود ذلك الى قومه وغيرهم، فكلموه ولاموه فكان ما اعتذر به اليهم أن قال لست أرميه وانما يرميه الله لقطعه الرحم وسرعته الى الظلم في بخله بماله، فقال أبو الأسود والله ما أجاور رجلاً يقطع رَحِمي ويكذب على ربي، فباع داره واشترى داراً في هُذَيل، فقيل له يا أبا الأسود أبعت دارك؟ قال لم أبع داري وانما بعت جاري، فأرسلها مثلا وقال في ذلك

رماني جاري ظالماً برَمِيَّة فقلت له مهلاً فأنكر ما أتى
وقال الذى يرميك ربك جازياً بذنبك والحَوْبات تُعقب ما ترى
جزى الله شراً كل من نال سوءة ويَنْحَل فيها ربّه الشر والأذى

وقال فيه

لحى الله مولى السَّوء لا أنت راغب اليه ولا رام به من تحاربه
وما قرب مولى السَّوء الا كبعده بل البعد خير من عدو تصاقبه

وقال فيه

وانى لتَثْنيني عن الشتم والخَنَا وعن سب ذى القربى خلائق أربع
حَيَاء واســـلام ولطف وأننى كريم ومثلي قد يضر وينفع
فان أعفُ يوماً عن ذنوب أتيتها فان العصا كانت لمثلي تقرع
وشـــتان ما بيني وبينك انني على كل حال أستقيم وتَظْلَع

كان لأبى الأسود جار في ظهر داره له باب الى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبى الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما الى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبى الأسود دِنْية وكان شَرِساً سيء الخلق ، فأراد سد ذلك الباب فقال له قومه لا تفعل فتضر بأبى الأسود وهو شيخ وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولا مؤنة ، فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لانه أضر فكان اذا أراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه وبلغ ذلك أبا الاسود فمنعه وقال فيه

بُليت بصاحب ان أدْنُ شبراً يزدنى فى مباعـــدة ذراعا
وان أمْدُدْ له فى الوصل ذرْعى يزدنى فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسى له الا اتباعاً وتأبى نفســـه الا امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه

لنا جيرة سـدوا المجازة بيننا فان أذكروك السدّ فالسدّ أكيس
ومن خير ما ألصقت بالجار حائط تزل به سُفْع الخطاطيف أملس

وقال فى ذلك

أعصيت أمر أولى النهى وأطعت أمر ذوى الجهالة
أخطأت حين صَرَمتني والمرء يعجز لا محالة
والعبـد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة

ودخل على معاوية فقال له لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود فلو تعلقت تميمة تنفى عنك ، فقال

أفنى الشبابَ الذى فارقت جِدَّته كرُّ الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي فى طول اختلافهما شيئاً تخاف عليه لَذْعة الحَدَق

كان أبو الاسود نازلا فى بني قُشَير وكانت بنو قشير عثمانية وكانت امرأته أم عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من على عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، فاذا أصبح قال لهم أى جوار هذا ؟ فيقولون له لم نرمك انما رماك الله بسوء مذهبك وقبح دينك ، فقال في ذلك

يقول الأرذلون بنو قشير طَوال الدهر لا تنسى عليا
فقلت لهم وكيف يكون تركي من الأعمال مفروضاً عليا
أحب محمداً حباً شـديداً وعباساً وحمزة والوصـيا
بني عم النبي وأقربيه أحب الناس كلهم إليا
فان يك حبهم رشداً أصبه ولست بمخطىء إن كان غيا
همُ أهل النصيحة غير شك وأهل مودتى ما دمت حيا
هوًى أُعطيته لما استدارت رحى الاسلام لم يعدل سويا

أحبهمُ لحب الله حتى أجيء اذا بعثت على هَوَيَّا
رأيت الله خالق كل شيء هداهم واجتبى منهم نبيا
ولم يخصص بها أحداً سواهم هنيئاً ما اصطفاه لهم مَرِيَّا

فقالت له بنو قُشَير شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول « فان يك حبهم رشداً أصبه » ، فقال أما سمعتم قول الله عز وجل « وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » أفترى الله عز وجل شك فى نبيه ؟ وقد روى أن معاوية قال هذه المقالة فأجابه بهذا الجواب

كان أبو الأسود له على باب داره دكان يجلس عليه مرتفع عن الأرض الى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان فاذا مر به مار فدعاه الى الأكل لم يجد موضعاً يجلس فيه ، فمر به ذات يوم فتى فدعاه الى الغداء فأقبل فتناول الخوان فوضعه أسفل ثم قال له يا أبا الأسود إن عزمت على الغداء فانزل وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر اليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود ما اسمك يافتى ؟ قال لقمان الحكيم ، قال لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

كان أبو الجارود سالم بن سلمة بن نوفل الهذلي صديقاً لأبى الأسود يهاديه الشعر ويجيب كل واحد منهما صاحبه ويتعاشران ويتزاوران ، فولى أبو الجارود ولاية فجفا أبا الأسود وقطعه ولم يبدأه بمكاتبة ولا أجابه عنها فقال فيه أبو الاسود

أبلغ أبا الجارود عنى رسالة يروح بها الغادى لربعك أو يغدو
فيخبرنا ما بال صَرمك بعدما رضيت وما غيرتُ من خُلُق بعد
أأن نلت خيراً سرنى أن تنالَه تنكرت حتى قلتُ ذو لِبْدَة وَرْدُ
فعيناك عيناه وصوتك صوته تمثله لى غير أنك لا تعدو
لئن كنت قد أزمعت بالصرم بيننا لقد جعلت أشراطُ أوله تبدو
فانى اذا ما صاحب رَثَّ وصله وأعرض عنى قلَّ منى له الوجد

كان لأبى الأسود صديق يقال له الحرث بن خُليد ، وكان فى شرف من العطاء ، فقال لأبى الأسود ما يمنعك من طلب الديوان فان فيه غنى وخيراً ؟ فقال له قد أغنانى الله عنه بالقناعة والتجمل ، فقال كلا ولكنك تتركه اقامة على محبة ابن أبى طالب وبغض هؤلاء القوم ، وزاد الكلام بينهما حتي أغلظ له الحرث ، فهجره أبو الأسود وندم الحرث على ما فرط منه فسأل عشيرته أن تصلح بينهما ، فأتوا أبا الأسود فى ذلك وقالوا له قد اعتذر اليك الحرث مما فرط منه وهو رجل حديد فقال أبو الأسود

لنا صاحب لا كليل اللسان فيَصْمُت عنا ولا عارم
وشر الرجال على أهله وأصحابه الخَمِق العارم

وقال فيه

اذا كان شىء بيننا قيل انه حديد نخالف جهله وترفق
شنئت من الأصحاب من ليس بارحاً أزامله زَمْل السقاء المخرق

كان معاوية بن صَعْصَعة يلقَى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلف له أنه لم يفعل ، ثم يعاود ذلك فقال فيه أبو الأسود

ولى صاحب قد رابنى أو ظلمته كذلك ما الخصمان بَرّ وفاجر
وانى امرؤ عندى وعمداً أقوله لآتىَ ما يأتى امرؤ وهو خابر
لسانان معسول عليه حلاوة وآخر مسموم عليه الشَّرائر
فقلت ولم أبخل عليه نصيحتى وللمرء ناهٍ لا يلام وزاجر
اذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقب قول تعتريه المعاذر
فكم شاعرٍ أرداه أن قال قائل له فى اعتراض القول انك شاعر
عطفت عليه عطفة فتركته لما كان يرضى قبلها وهو حاقر

بقافية حَذَّاء سهلٍ رَوِيُّهـا وللقول أبواب تُرى ومحاضر
تعزى بها من نومه وهو ناعس اذا انتصف الليل المكلُّ المسافر
اذا ما قضاها عاد فيهـا كأنه للذته سكران أو متساكر

كان لأبى الأسود زوجتان قشيرية وقيسية فلما أسن وضعف كانت القشيرية موافقة له وصابرة عليه وهي التى يقول فيها

أبى القلب إلا أم عوف وحبها عجوزاً ومن يُحْبِب عجوزاً يفند
كسَحْق يمانٍ قد تقادم عهده ورُقعته ما شئت فى العين واليد

وأما القيسية وكانت أشبَّهما وأجلهما فالتوت عليه وتنكرت له وساءت عشرتها فقال فيها

تعاتبني عرسى على أن أطيعها لقد كَذَبتها نفسها ما تمنت
وظنت بأنى كل ما رضيت به رضيت به يا جهلها كيف ظنت
وصاحبتها ما لو صحبت بمثله على ذُعْرها أُرْوِيَّة لاطمأنت
وقد غرها منى على الشيب والبِلَى جنونى بها جنت حيالى وحنت (١)
ولاذنب لى قد قلت فى بدء أمرنا ولو عَلِمت ما عُلمت ما تعنَّت
تَشَكَّى الى جاراتهـا وبناتها اذا لم تجد ذنباً علينا تجنت
ألم تعلمى أنى اذا خفت جفوة بمنزلة أبعـدت عنها مطيتى
وأنى اذا شقت علىَّ حليلتى ذهبت ولم أحْنِنْ اذا هى حنت

وفيها يقول

أفاطم مهلاً بعضَ هـذا التعبس وان كان منك الجد فالصَّرم مُؤْسِى
تشتم لي لمـــا رأتني أحبها كذى نعمة لم يُبدها غيرُ أبؤس
فان تنقُضى العهد الذى كان بيننا وتُلْوى به فى ودك المتحلس (٢)

(١) يقال جن وحن وهو من الاتباع كما يقال هش بش (٢) تحلس لكذا طاف له وحام به

فاني فلا يغررك مني تجملي لأسلى البعاد بالبعاد المكنس
وأعلم أن الارض فيها مَنادح[1] لمن كان لم تُسْدد عليه بمحبس
وكنت امرأ لا صحبة السوء أرتجي ولا أنا نوام بغير معرَّس

كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيع فقال فيه أبو الأسود

ألم تر ما بيني و بين ابن عامر من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح باقي الود بيني و بينه كأن لم يكن والدهر فيه عجائب
اذا المرء لم يُحببك الا تكرهاً بدا لك من أخلاقه ما يغالب
فلَلمنأى خير من مُقام على أذى ولا خير فيما يستقل المعاتب

كان لأبي الأسود مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصباح ، فذكرت لأبي الأسود جارية تباع فركب فنظر اليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود فقال

اذا كنت تبغي للأمانة حاملاً فدع نافعاً وانظر لها من يطيقها
فان الفتى خبّ كذوب وانه له نفس سَوْء يجتويها صديقها
متى يخلُ يوماً وحده بأمانة تُقَلّ جميعاً أو يفلّ فريقها
على أنه أبقى الرجال سمانة كما كل مسمان الكلاب سروقها

أتى أبا الاسود نعي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام فقام على المنبر فخطب الناس ونعى لهم علياً عليه السلام فقال في خطبته «وان رجلا من أعداء الله المارقة عن دينه اغتال أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ،

(١) المندوحة ما اتسع من الارض والجمع مناذح

فيا لله هو من قتيل ، وأكرم به وبمقتله وروحه من روح عرجت الى الله تعالى بالبر والتقى ، والايمان والاحسان ، لقد أطفأ منه نوراً لله فى أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حياً » ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال « وقد أوصى بالأمامة بعده الى ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه ، وسليله وشبيهه فى خلقه وهديه ، وانى لأرجو أن يجبر الله به ما وَهَى ، ويسد به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفىء به نيران الفتنة ، فبايعوه ترشدوا » فبايعت الشيعة كلها وتوقف ناس ممن يرى رأى العثمانية ولم يظهروا أنفسهم بذلك وهربوا الى معاوية مع رسول دسه اليه يعلمه أن الحسن عليه السلام قد راسله فى الصلح ويدعوه الى أخذ البيعة له بالبصرة ويعده ويمنيه فقال أبو الاسود

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرَّت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طُرًّا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وخيَّسها[1] ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثانى والمئينا
اذا استقبلت وجه أبى حسين ... رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت ... بأنك خيرها حسباً ودينا

كان أبو حرب بن أبى الاسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ولا يطلب الرزق فى تجارة ولا غيرها فعاتبه أبوه على ذلك فقال أبو حرب ان كان لي رزق فسيأتينى فقال له

وما طلب المعيشة بالتمنى ... ولكن ألقِ دلوك فى الدِّلاء

(١) خيس المطية ذللها

تجئك بمائها يوماً ويوماً تجئك بحمأة وقليل ماء

وقال يوصي ابنه

لا ترسلن رسالة مشهورة لاتستطيع اذا مضت ادراكها
أكرم صديق أبيك حيث لقيته واحبُ الكرامة من بدا فحباكها
لا تبدينَّ نميمة حدثتها وتحفظن من الذى أنباكها

اعتذر الى زياد فى شيء جرى بينهما فكأنه لم يقبل عذره فقال

انني مجرم وأنت أحق النـــاس أن تقبل الغداة اعتذارى
فاعف عني فقد سفهت وأنت المر ء تعفو عن الهنات الكبار

فتبسم زياد وقال أما اذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك

سئل أبو الاسود عن رجل واستشير فى أن يولى ولاية فقال أبو الاسود هو ماعلمته أهيَس ألْيَس (١) ألدّ ملحَس ان أعطى انتهر وان سئل ازورّ

أوصى أبو الاسود كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجة فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً فقال أبو الاسود

لعمرى لقد أوصيت أمس بحاجتى فتى غير ذى قصد علىَّ ولا رؤف
ولا عارفاً ما كان بيني و بينه ومن خير ما أدلى به المرء ماعرف
وما كان ما أملت منه ففاتنى بأول خير من أخى ثقة قرف

توفى أبو الاسود فى الطاعون الجارف سنة ٦٩ وله خمس وثمانون سنة وقد قيل انه مات قبل ذلك وهو أشبه القولين بالصواب لانا لم نسمع له فى فتنة مسعود وأمر المختار بذكر

(١) الاهيس الحاد ، ويقال ناقة ليساء اذا كانت لاتبرح من المبرك وهو مما يوصف به الشجاع

الحزين

هو عمرو بن عبيد بن وهيب الديلي الكناني من الدِّيل بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة والحزين لقب غلب عليه ويكني أبا الشعثاء من شعراء الدولة الأموية، حجازي مطبوع، ليس من فحول طبقته، وكان هجاء خبيث اللسان ساقطاً يرضيه اليسير ويتكسب بالشر وهجاء الناس، وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ولا كان يَرِيم الحجاز حتى مات

ومن قوله يمدح عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وكان من فتيان بني أمية وظرفائهم، وكان حسن الوجه حسن المذهب

في كفه خَيْزُران ريحها عَبِق ... من كف أَرْوَعَ في عِرْنينه شَمَم
يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مهابته ... فما يكلم الا حين يبتسم

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين التي أولها

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

وهو غلط ممن رواهما [1] فيها وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني تنبيء عن نفسها وهي

الله يعلم أن قد جُبت ذا يمن ... ثم العراقين لا يثنيني السَّأم
ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفلها ... كذاك تسري على الأهوال بي القدم
ثم المواسم قد أوطأتها زمناً ... وحيث تُحْلَق عند الجمرة اللِّمَم
قلوا دمشق ينبيك الخبير بها ... ثم ائت مصر فثَمَّ النائل العَمَم
لما وقفت عليها في الجموع ضحى ... وقد تعرضت الحجاب والخدم

(١) أنظر ص ١٥٠ من الجزء الخامس تر أبا الفرج رحمه الله رواهما للفرزدق

حييته بســـلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم

وبعده البيتان

ترى رءوس بني مَرْوان خاضعة يمشون حول ركابيه وما ظلموا

ان هَشَّ هشوا له واستبشروا وجَذَلا وان همُ آنسوا إعراضـه وَجَموا

كلتا يديه ربيع عند ذى خلف بحر يفيض وهذى عارض هَزِم

استشار الحزينَ ابنُ عم له فى امرأة يتزوجها، فقال له ان لها اخوة مشائيم وقد ردوا عنها غير واحد وأخشى أن يردوك فيطلق عليك النساء، فخطبها، فردوه، فقال الحزين

نهيتك عن أمر فلم تقبل النهى وحذرتك اليوم الغُواة الأشائما

فصرت الى ما لم أكن منه آمناً وأشمتّ أعدائى وأنطقت لائما

وما بهمُ من رغبة عنك قل لهم فان تسألونى تسألوا بىَ عالما

مرَّ الحزين على جعفر بن محمد وعليه أطمار، فقال له يا ابن أبى الشعثاء الى أين أصبحت غادياً ؟ قال أمتع الله بك نزل عبد الله بن عبد الملك الحرَّة يريد الحج وقد كنت وفدت اليه بمصر فأحسن إليَّ، قال أفما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب ؟ قال قد استعرت من أهل المدينة فلم يعرنى أحد منهم غير هذه الثياب، فدعا جعفر غلاماً فقال له ائتني بجبة صوف وقميص ورداء، فجاء بذلك، فقال أبْلِ وأخْلِق، فلما ولى الحزين قال جلساء جعفر له ما صنعت ؟ انه يعمد الى هذه الثياب التى كسوته إياها فيبيعها ويفسد بثمنها، قال ما أبالي اذا كافأته بثيابه ما صنع بها، فسمع الحزين قولهم وما رد عليهم، ومضى حتى أتى عبد الله بن عبد الملك، فأحسن اليه وكساه، فلما أصبح أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده

وما زال ينمو جعفر بن محمد الى المجد حتى عَبْهلته[1] عواذله

(١) عبهله عاتبه

وقلن له هل من طريف وتالد من المال الا أنت فى الحق باذله
يحاولنه عن شـــيمة قد علمنها وفى نفسه أمر كريم يحاوله

ثم قال له بأبى أنت وأمى قد سمعت ما قالوا وما رددت عليهم

دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزبير منزله فامتدحه وسأله حاجة ، فقال له ليس الى ما تطلب سبيل ولا نقدر على أن نملأ الناس معاذير وما كل من سألنا حاجة استحق أن نقضيها ولرب مستحق لها قد منعناه حاجته ، فقال الحزين أفمن المستحقين أنا ؟ قال لا والله كيف تكون مستحقاً لشىء من الخير وأنت تشتم أعراض الناس وتهتك حريمهم وترميهم بالمعضلات ! انما المستحق من كف أذاه وبذل نداه وأرغم أعداه ، قال له الحزين أفمن هؤلاء أنت ؟ فقال له عمرو أين تبعدنى لا أم لك من هذه المنزلة وأفضل منها ؟ فوثب الحزين من عنده وأنشأ يقول

حلفت وما صُبِرت على يمين ولو أدعى الى أيمان صُبْر
برب الراقصات بشِعب قوم يوافون الجمار لصبح عشر
لو أن اللؤم كان مع الثُّرَيا لكان حليفه عمرو بن عمرو
ولو أنى عرفت بأن عمراً حليف اللؤم ما ضيعت شعرى

وقال أيضاً يهجوه ويمدح محمد بن مروان بن الحكم ، وجاءه فشكا اليه عمراً فوصله وأحسن اليه

اذا لم يكن للمرء فضل يَزينه سوى ما ادّعى يوماً فليس له فضل
وتلقى الفتى ضَخْماً جميلاً رُواؤه يروعك فى النادى وليس له عقل
وآخرَ تنبو العين عنه مهذَّب يجود اذا ما الضخم نهنهه البخل
فيا راجياً عمرو بن عمرو وسَيْبه أتعرف عمراً أم أتاك به الجهل
فان كنت ذا جهل فقد يخطىء الفتى وان كنت ذا حزم اذاً جازت النبل
جهلت ابن عمرو فالتمس سَيْب غيره ودونك مرمىً ليس فى جِدِّه هزل

عليك ابنَ مَرْوان الأغرَّ محمدا تجده كريماً لا يطيش له نَبْل

فلما أنشد الحزين محمد بن مروان هذا الشعر أمر له بخمسة آلاف درهم وقال له اكفف عن عمرو بن عمرو ولك حكمك ، فقال لا والله ولا بحمر النعم وسودها لو أعطيتها ما كففت عنه لأنه ما علمت كثير الشر قليل الخير متسلط على صديقه فظ على أهله « وخير ابن عمرو بالثريا معلق » ، فقال له محمد بن مروان هذا شعر ، فقال بعد ساعة يصير شعراً ولو شئت لعجلته ، ثم قال

شر ابن عمرو حاضر لصديقه وخير ابن عمرو بالثريا معلق
ووجه ابن عمرو باسر ان طلبته نوالاً اذا جاد الكريم الموفق
فنفس الفتى عمرو بن عمرو اذا غدت كتائب هيجاء المنية تَبْرُق
فلا زال عمرو للبلايا درية تباكره حتى يموت وتطرُق
يهر هرير الكلب عمرو اذ رأى طعاماً فما ينفك يبكي ويشهق

فزجره محمد عنه وقال له أفّ لك فقد أكثرت فى الهجاء وأبلغت فى الشتيمة ، وقال فيه

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد ولكنه كَزّ اليدين بخيل
ينام عن التقوى ويوقظه الخنا فيخبط أثناء الظلام فَسول
فلا بشر من عمرو لجار ولا له ذمام ولكن للئام وَصول
مواعيد عمرو تُرّهات ووجهه على كل ما قد قلت فيه دليل
جبان وفحاش لئيم مذمم وأكذب خلق الله حين يقول
كلام ابن عمرو صوفة وسط بلْقَع وكف ابن عمرو في الرخاء تطول

فبلغ شعره عمراً فقال ماله لعنه الله ولعن من ولده ؟ لقد هجانى بنية صادقة ولسان صَنَع ذُلَق وما عدانى الى غيرى ، فلقى الحزين عروة بن أذينة فأنشده هذه الأبيات ، فقال له ويحك بعضها كان يكفيك فقد بنيتها ولم تقم أَوَدَها وداخلتها

وجعلت معانيها فى أكمنها ، قال الحزين ذلك والله أرغب للناس فيها ، فقال له عروة خير الناس من حلُم عن الجهال وما أراه الا قد حلم عنك ، فقال الحزين حلم والله عني شاء أو أبى برغمه وصغره ، ثم لقى شبان من ولد الزبير الحزين فتناولوه بألسنتهم وهموا بضربه ، فحال بينه وبينهم ولد مصعب ، فقال الحزين يهجوهم ويهجو جماعة من بني أسد بن عبد العزى سوى بنى مصعب الذين منعوهم منه قال

لحى الله قوماً من قريش تحالفوا ... على البخل بالمعروف والجود بالنكر
فصاروا لخلق الله فى اللؤم غاية ... بهم تضرب الأمثال فى النثر والشعر
فيا عمرو لو اشبهت عمراً ومُصعَباً ... حمدت ولكن أنت منقبض البشر
بني أسد سادت قريش بجودها ... معدًّا وسادتكم معَد مدى الدهر
تجود قريش بالندى ورضيتمُ ... بني أسد باللؤم والذل والغدر
أعمرو بن عمرو لست ممن تعده ... قريش اذا ما هاترُوا الناس بالفخر
أبت لك يا عمرو بن عمرو دناءة ... وخلق لئيم أن تَريش وأن تَبرى

وقال الحزين لهلال بن يحيى بن طلحة

هلال ابن يحيى غرة لا خفا بها ... على الناس فى عسر الزمان ولا اليسر
وسعد (١) بن ابراهيم ظفر موسخ ... فهل يستريح الناس من وسخ الظفر

كان الحزين قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين درهمين فى كل شهر منهم ابن أبى عَتيق ، فجاءه لأخذ درهميه وهو على حمار أعْجَف ، وكثيِّر مع ابن أبى عتيق ، فدعا ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين ، فقال له الحزين من هذا معك ؟ قال هذا أبو صخر كثير بن أبى جمعة ، وكان قصيراً دميما ، فقال له الحزين أتأذن لي أن أهجوه ببيت ؟ قال لا لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسى ولكن أشتري

(١) هو سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وكان ولى قضاء المدينة من هشام بن عبد الملك فلم يعط الحزين شيئاً فهجاه

عرضه منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما فأصغى ، ثم قال لابد لي من هجائه ببيت ، قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ ودعا له بهما ، فأخذهما وقال ما أنا بتاركه حتى أهجوه ، قال أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ فقال له ائذن له وما عسى أن يقول فيَّ ؟ فأذن له ابن أبي عتيق ، فقال

قصير القميص فاحش عند بيته ... يعضّ القراد باسته وهو قائم

فوثب كثير اليه فوكزه ، فسقط هو والحمار ، وخلص ابن أبي عتيق بينهما وقال لكثير قبحك الله أتأذن له وتبسط اليه يدك ؟ قال كثير وأنا ظننته يبلغ فيَّ هذا كله في بيت واحد

صحب الحزين رجلاً من بني عامر بن لُؤَيّ يلقب بأبي بعرة ، وكان استعمل على سعايات فلم يصنع خيراً ، وكان قد صحب قبله عمرو بن مساحق وسعد بن نوفل فحمدهما ، فقال في ذلك

صحبتك عاماً بعد سعد بن نوفل ... وعمرو فما أشبهت سعداً ولا عمرا
وجادا كما قصرت في طلب العلا ... فحزت به ذماً وحازا به شكرا
أولاك الجعاد البيض من آل مالك ... وأنتم بنو قَيْن لحقتم به نَزْرا (١)
يسوّق بُغْبوراً (٢) أميراً كأنما ... تسوق به في كل مجمعة زبرا
فان يكن البغبور ذم رفيقه ... قِراه فقد كانت إمارته نكرا
ومتبع البغبور يرجو نواله ... فقد زاده البغبور في فقره فقرا

كان على المدينة طائف يقال له صفوان مولى لآل مَخْرَمة بن نوفل ، فجاء الحزين الى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حماره ، وذهب الى العقيق فشرب وأقبل على الحمار وقد سكر ، فجاء به الحمار حتى وقف على باب المسجد كما كان صاحبه عوده ثم مر به صفوان فأخذه وحبسه وحبس الحمار ، فأصبح والحمار محبوس معه فأنشأ يقول

(١) نصب نزرا على الحال كأنه قال لحقتم به نزرا قليلا من الرجال
(٢) البغبور الحجر الذي يذبح عليه القربان

أيا أهل المدينة خبروني بأى جريرة حبس الحمار
فما للعير من جرم اليكم وما بالعير إن ظلم انتصار

خرج مع ابن لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف الى متنزه لهم ، فسكر الحزين وانصرف فبات في الطريق وسلب ثيابه ، فأرسل الى سهيل يخبره الخبر و يستمنحه فلم يمنحه ، و بلغ الخبر سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان فأرسل اليه بجميع مايحتاج اليه وعوضه ثمن ثيابه فقال فى ذلك

هلا سهيلا أشبهت أو بعض أعـــمامك ماذي الخلائق الشكسة
ضيعت نَدْمانك الكريم ولم تشفق عليه من ليلة نَحِسة
ثم تعاللت إذ أتاك له صبحاً رسول بعلة طَفِسه (١)
لكنَّ سفيان لم يكن وَكِلا لمـــا أتتنا صلاته سلسة
سما به أروع ونفس فتى أروعَ ليست كنفسك الدنسة

مرَّ الحزين على مجلس لبني كعب بن خزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال

لا بارك الله فى كعب ومجلسهم ماذا تجمع من لؤم ومن ضَرَع
لا يدرسون كتاب الله بينهمُ ولا يصومون من حرص على الشبع

فوثب اليه مشايخهم فاعتذروا اليه وسألوه الكف وألاَّ يزيد شيئاً على ماقاله ، فأجابهم وانصرف

كان الحزين سفيهاً نَذْلاً يمدح بالنزر اذا أعطيه و يهجو على مثله فنزل بعاصم ابن عمرو بن عثمان فلم يقِرْه ، فقال يهجوه

سيروا فقد جن الظلام عليكمُ فأنت الذى يرجو القري عند عاصم
ظَلِمنا عليه وهو كالتيس طامحاً نشد على أكبادنا بالعمائم

(١) الطفس القذر النجس

ومالي من ذنب اليه علمته سوى أنني قد جئته غير صائم

فقيل له ان عاصماً كثيراً ما تسمى به قريش ، فقال أما والله لأبيننهلهم فقال

اليك ابن عثمان بن عفان عاصم بـــن عمرو سمرت عيسي نخاب سُراها

فقد صادفت كنز اليدين مبخلا جباناً اذا ما الحرب شب لظاها

بخيلا بما فى رحله غير انه اذا ما خلت عرس الخليل أتاها

أبو العباس الاعمى

هو السائب بن فرُّوخ مولى بني الديل من كنانة ، من شعراء بني أمية المعدودين المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم وانصباب الهوى اليهم وهو الذى يقول في أبى الطفيل عامر بن واثلة صاحب على بن أبى طالب عليه السلام

لعمرك انني وأبا طفيل لمختلفان والله الشهيد

أرى عثمان مهتدياً ويأبى متابعتى وأبى ما يريد

قال أبو جعفر المنصور خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد فصحبني في الطريق رجل ضرير ، فسألته عن مقصده ، فأخبرنى أنه يريد مروان بشعر امتدحه به فاستنشدته إياه ، فأنشدنى

ليت شعرى أفاح رائحة المســـك وما ان إخال بالخَيف أنسى

حين غابت بنو أُمَيَّة عنه والبَهاليل من بنى عبد شمس

خطباء على المنـابر فرسا ن عليها وقالة غـير خُرْس

لا يعابون صامتين وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْس

بحلوم اذا الحـلوم تقضت ووجوه مثل الدنانير ملس

فوالله ما فرغ من انشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني ، وافترقنا ، فلما أفضت الخـلافة إليَّ خرجت حاجاً فنزلت أمشى بجبلى زَرود فبصرت بالضرير

ففرقت من كان معى ثم دنوت منه فقلت أتعرفني ؟ قال لا قلت أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان فقال أوّه ،

أمت نساء بني أمية منهم وبناتهم بمضيعة أيتام
نامت جدودهم وأسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود نيام
خلت المنابر والأسرّة منهم فعليهم حتى الممات سلام

فقلت وكم كان مروان أعطاك بأبى أنت ؟ قال أغنانى أن أسأل أحداً بعده ، فهممت بقتله ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة فأمسكت ، وغاب عن عينى ، فأمرت بطلبه فكأنما البيداء بادت به

ومن قوله يحض بنى أمية على عبد الله بن الزبير

أبني أمية لا أرى لكمُ شبهاً اذا ما التفت الشيّع
سعة وأحلاماً اذا نزعت أهل الحلوم فضرها النّزع
وحفيظة في كل نائبة شهباء لا ينهى لها الربع
الله أعطاكم وان رغمت من ذاك أنف معاشر رفعوا
أبني أمية غير انكمُ والناس فيما أطمعوا طمعوا
أطمعتمُ فيكم عدوكمُ فسما بهم فى ذاكمُ الطمع
فلو أنكم كنتم كقومكمُ مثل الذى كانوا لكم رجعوا
عما كرهتم أو لردهمُ حذرُ العقوبة انها تزع

لما غلب عبد الله بن الزبير على الحجاز جعل يتتبع شيعة بني أمية فينفيهم عن المدينة ومكة حتى لم يبق بها أحد منهم ، ثم بلغه عن أبى العباس نبذ من كلام وانه يكاتب بنى مروان بعوراته ويمدح عبد الملك وتجيئه جوائزه وصلاته ، فدعا به ثم أغلظ له وهم به ، ثم كلم فيه وقيل له رجل مضرور فعفا عنه ونفاه الى الطائف ، فأنشأ يهجوه ويهجو آل الزبير

بنى أسد لاتذكروا الفخر انكم ... متى تذكروه تُكذَبوا وتُحمَّقوا
بعيد المنال خيركم لصديقكم ... وشركم يغدو عليهم ويَطْرُق
متى تسألوا فضلا تضنّوا وتبخلوا ... ونيرانكم بالشر فيها تحرق
اذا استبقت يوماً قريش خرجتم ... بني أسد سُكْتاً وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم ... اذا ما قريش للأضاميم أصفقوا
وما ذاك إلا أن للؤم طابعاً ... يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

رأى ابن الزبير رجلا من بني أسد بن عبد العزى فى حالة رثّة فكساه ثوبين وأمر له ببُر وتمر فقال أبو العباس فى ذلك

كست أسد اخوانها ولو أنني ... ببلدة اخوانى اذاً لكسيت
فلم تر عيني مثل حي تحملوا ... الى الشام مظلومين منذ بريت

لما حج عبد الملك جلس للناس بمكة فدخلوا اليه على مراتبهم، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا، ودخل أبو العباس فلما رآه عبد الملك قال مرحباً مرحباً بك يا أبا العباس أخبرنى بخبر الملحد المحلّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك وأنشدنى ما قلت في ذلك، فأخبره بخبر ابن الزبير وأنه كسا بنى أسد وأحلافها ولم يكسه وأنشده الأبيات، فقال عبد الملك أقسم على كل من حضر من أوليائى وشيعتى على دعوتهم إلا كسا أبا العباس، فخلعت حلل الوشى والخز والقُوهىّ وجعلت ترمى عليه حتى اذا غطته نهض فجلس فوق ما اجتمع وطرح عليه، وأمر له عبد الملك بمائة الف درهم

قدم البعيث المجاشعى مكة وكان أبو العباس لا يكاد يفارقها، وكانت جوائز بنى أمية تأتيه من الشام، وكانت قريش كلها تبرّه لسانه وتقرباً الى بني أمية، فصلى البعيث مع الناس وسأل فى حالة كانت عليه وكان سؤولا مُلحًّا شديد الطمع

وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمله عنه فيقول لا أقبله إلا أن تجيء معى الى الصراف حتى ينقده ويزنه فان لم يفعل ذمه وهجاه ، فشكوه الى أبى العباس الأعمى ، فقال قودونى اليه ، ففعلوا ، فلما عرف مجلسه رفع عصاه فضرب بها رأسه وقال له

فهل أنت الا ملصق فى مجاشع ... نفك جرير فاضطررت الى نجد
تظل اذا أعطيت شيئاً سألته ... تطالب من أعطاك بالوزن والنقد
فلا تطمعن من بعد ذا فى عطية ... وثق بقبيح المنع والدفع والرد
فلست بمبق فى قريش خزاية ... تذم ولو أبعدت فيه مدى الجهد

فتضاحك به من حضر واستحيا ولم يحر جواباً ، فلما جن عليه الليل هرب من مكة

قال عبد الملك بن مروان لأبى العباس أنشدنى مديحك مصعباً ، فاستعفاه ، فقال يا أمير المؤمنين انما رثيته بذلك لأنه كان صديقى ، وقد علمت أن هواى أموى ، قال صدقت ولكن أنشدنى ما قلته ، فأنشده

يرحم الله مصعباً فلقد ما ... ت كريماً ورام أمراً جسيما

فقال عبد الملك أجَلْ لقد مات كريماً ، ثم تمثل

ولكنه رام التى لا يرومها ... من الناس الا كل حر معمم

قال عمر بن أبى ربيعة لأبى العباس

أفتني ان كنت ثقفاً شاعراً ... عن فتى أعرج أعمى مختلف
سيء السحنة كابٍ لونه ... مثل عود الخروع البالي القصف

فقال أبو العباس يرد عليه

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى ... وسيدنا لولا خلائق أربع

نكولك فى الهيجا وتقوالك اخلنا وشتمك المولى وأنك تُبَّع [١]

كان عمر بن أبى ربيعة يرامى جارية لأبى العباس ببنادق الغالية [٢] ، فبلغ أبا العباس ، فقال لقائده قِفْنى على باب بنى مخزوم فاذا مرَّ عمر بن أبى ربيعة فضع يدي عليه ، فلما مرَّ وضع يده عليه ، فأخذ بحُجْزَته فقال

ألا من يشتري جاراً نؤماً بجار لا ينام ولا ينيم

ويلبَس بالنهار ثياب ناس وشطر الليل شيطان رجيم

فنهضت اليه بنو مخزوم فأمسكوا فمه وضمنوا له عن عمر ألَّا يعاود ما يكرهه

(١) يقال رجل تبع نساء وتبع نساء بالكسر اذا كان كلفاً بهن

(٢) الغالية نوع من الطيب والبنادق قطع صغيرة مستديرة منها

شعراء ليث بن بكر

أبو الطفيل

هو عامر بن واثلة بن عبد الله الليثي الكناني من ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ، له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ورواية عنه وعُمر بعده عمراً طويلا ، وكان مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام وروى عنه أيضاً ، وكان من وجوه شيعته وله منه محل خاص ، ثم خرج طالباً بدم الحسين مع المختار ابن أبي عبيد وكان معه حتى قتل وأفلت هو ، وعمر أيضاً بعد ذلك

ومن شعر أبي الطفيل وفيه غناء

أيدعونني شيخاً وقد عشت حقبة ... وهنّ من الأزواج نحوى نوازع

وما شاب رأسي من سنين تتابعت ... عليّ ولكن شيبته الوقائع

لما استقام الأمر لمعاوية لم يكن شيء أحب اليه من لقاء أبي الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويُلطف له حتى أتاه ، فلما قدِم عليه جعل يسائله عن أمر الجاهلية ودخل عليه عمرو بن العاص ونفر معه ، فقال لهم معاوية أما تعرفون هذا ؟ هذا خليل أبي الحسن ، ثم قال يا أبا الطفيل ما بلغ من حبك لعلى ؟ قال حب أم موسى موسى ، قال فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال بكاء العجوز الثكلى والشيخ الرقوب[1] ، والى الله أشكو التقصير ، قال معاوية ان أصحابي هؤلاء لو كانوا سئلوا عنى ما قالوا فيّ ماقلت لصاحبك ، قالوا اذاً والله لا نقول الباطل ، قال لهم معاوية لا والله ولا الحق تقولون ثم قال معاوية هو الذى يقول

الى رجب السبعين تعترفونني ... مع السيف في حوّاء جمّ عديدها

رَجوفٍ كمتن الطَّوْد فيها معاشر ... كغُلْب السباع نِمْرُها وأسودها

(١) الرقوب الذى لا يبقى له ولد أو مات ولده

كهول وشبان وسادات معشر على الخيل فرسان قليل صدودها
كأن شعاع الشمس تحت لوائها اذا طلعت أعشى العيون حديدها
يمورون مَوْرَ الريح أما ذهلتم وركت بأكفال الرجال لبودها
شعارهمُ سيما النبي ورايه بها انتقم الرحمن ممن يكيدها
تخطفهم آباؤهم عند ذكرهم كخطف ضوارى الطير صيداً تصيدها

فقال معاوية لجلسائه أعرفتموه ؟ قالوا نعم هذا أفحش شاعر وألأم جليس ، فقال معاوية يا أبا الطفيل أتعرفهم ؟ قال ما أعرفهم بخير ولا أبعدهم من شر ، وقام خزيمة الأسدى فأجابه فقال

الى رجب أو غرّة الشهر بعده تصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ففى النار سقياه هناك صديدها

لما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية فى سجن عارم خرج اليه جيش من الكوفة عليه أبو الطفيل فكسروا السجن وأخرجوه فكتب ابن الزبير الى أخيه مصعب أن يسير نساء كل من خرج لذلك ، فأخرج مصعب نساءهم وأخرج فيهم أم الطفيل امرأة أبى الطفيل وابنا له صغيراً اسمه يحيى فقال أبو الطفيل فى ذلك

إن يك سيرها مصعب فانى الى مصعب مُذْئب
أقود الكتيبة مستلئما كأنى أخو غرّة أجرب
علىّ دِلاص تخيرتها وفى الكف ذو رونق يقضب

دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير وهو يومئذ بمكة فقال أصبحت كما قال الشاعر

فان تصبك من الأيام جائحة لا أبك منك على دنيا ولا دين

قال وما ذاك يا أعرج ؟ قال هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس وعبيد الله

أخوه يطعم الناس فما أبقيا لك ؟ فاحفظه ذلك فأرسل الى صاحب شرطته عبدالله ابن مطيع فقال له انطلق الى ابنى عباس فقل لهما أعمدتما الى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتماها ؟ بددا عنى جمعكما ومن ضوى اليكما من ضلال أهل العراق والا فعلت ، فقال ابن عباس قل لابن الزبير ثكلتك أمك والله ما يأتينا من الناس غير طالب فقه وطالب فضل فأى هذين تمنع ؟ فقال ابن الطفيل فى ذلك

لا دَرَّ دَرُّ الليالي كيف تُضحكنا ... منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الأيام من غير ... يا ابن الزبير عن الدنيا تُسَلينا
كنا نجىء ابن عباس فيَمْبِسنا ... علماً ويَكْسِبنا خيراً ويَهدينا
ولا يزال عبيد الله مُنْزَعة ... جِفانُه مطعماً ضيفاً ومسكينا
فالبرّ والدين والدنيا بدارهما ... تنال منها الذى تبغى اذا شينا
ان النبى هو النور الذى كشفت ... به عمايات باقينا وماضينا
ورهطه عصمة فى ديننا ولهم ... فضل علينا وحق واجب فينا
ولست فاعله أولى منهما رَحِماً ... يا ابن الزبير ولا أولَى به دينا
ففيم تمنعهم عنا وتمنعنا ... منهم وتُؤْذيهمُ فينا وتُؤْذينا
لن يُؤْتى الله من أخزى ببغضهمُ ... فى الدين عزاً ولا فى الارض تمكينا

ومن قوله يرثى ابنا له

خلى طُفَيل علىَّ الهم وانشعبا ... وهد ذلك ركنى هدَّةً عجبا
وابنى سُمَيَّة لا أنساهما أبداً ... فيمن نسيت وكل كان لى وصَبا
فاملك عزاءك ان رُزْء بُليت به ... فلن يرد بكاء المرء ما ذهبا
وليس يَشفى حزيناً من تذكره ... الا البكاء اذا ما ناح وانتحبا
فاذ سلكت سبيلاً كنت سالكها ... ولا محالة أن يأتى الذى كتبا
فما لبطنِك من رِىّ ومن شبع ... ولا ظَلِلت بنا فى العيش مرتغبا

ومما روى أبو الطفيل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوَداع يطوف بالبيت الحرام على ناقته ويستلم الركن بمِحْجنه ثم يقبل المحجن ، وقال سمعت علياً عليه السلام يخطب ، فقال سلونى قبل أن تفقِدونى ، فقام اليه ابن الكوَّاء فقال ما الذَّاريات ذَرْواً ؟ قال الرياح ، قال فالجاريات يُسْراً ؟ قال السفن ، قال فالحاملات وِقْراً ؟ قال السحاب ، قال فالمقَسِّمات أمراً ؟ قال الملائكة ، قال فمن الذين بدلوا نعمة الله كفراً ؟ قال الأفجران من قريش بنو أمية وبنو مخزوم ، قال فما كان ذو القَرْنين أنبياً أم مَلَكاً ؟ قال كان عبداً مؤمناً « أو قال صالحاً » أحب الله وأحبه ، ضرب ضربة على قَرْنه الأيمن فمات ، ثم بعث وضرب ضربة على قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله

قال بشر بن مروان لأنس بن زنيم أنشدنى أفضل شعر قالته كنانة ، فأنشده قصيدة أبى الطفيل

أيدعونني شيخاً وقد عشت بَرْهة وهن من الأزواج نحوي نوازع

فقال له بشر صدقت هذا أشعر شعرائكم ، وقال له الحجاج أنشدنى قول شاعركم « أيدعونني شيخاً » ، فأنشده ، فقال قاتله الله منافقاً ما أشعره

قال أبو الطفيل يوماً لم يبق من الشيعة غيري ، ثم تمثل

وخليت سهماً فى الكنانة واحداً سيُرمَى به أو يكسر السهم كاسره

عروة بن أذينة

هو عروة بن أذينة يحيى بن مالك اللَّيثى الكنانى من ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة ويكنى أبا عامر

شاعر غزِل مقدم من شعراء أهل المدينة وهو معدود فى الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس وعبد الله بن عمر العدوى وروى جده مالك بن الحرث

عن عليّ قال خرج مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رجل من قومي كان مصطلماً فخرجت في أثره وخشيت انقراض أهل بيته ، فأردت أن أستأذن له من عليّ ، فأدركت علياً بالبصرة وقد هزم الناس ودخل البصرة ، فجئته ، فقال مرحباً بك يا ابن الفُقيمية أبدا لك فينا بَداء ؟ قلت والله ان نصرتك لحق وانى لعلى ما عهدت أحب العزلة ، ثم ذاكرته أمر ابن عمي ذلك فلم يبعد عنه فكنت آتيه أتحدث اليه ، فركب يوماً يطوف وركبت معه فانى لأسير الى جانبه اذ مررنا بقبر طلحة فنظر اليه نظراً شديداً ، ثم أقبل عليّ فقال أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريباً ثم تمثل

وما تدرى وان أزمعت أمراً بأى الأرض يدركك المقيل

والله انى لأكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ، فوقع العراقيون يشتمون طلحة وسكت عليّ وسكتُّ حتى اذا فرغوا أقبل عليّ عليه السلام عليّ فقال إيه يا ابن الفقيمية والله انه وان قلوا ما سمعت لكما قال أخو جُعْفِيّ

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

ثم أردت أن أكلمه بشيء ، فقلت يا أمير المؤمنين ، فقال ومامنعك أن تقول يا أبا حسن ؟ فقلت أبيت ، فقال والله انها لأحبهما إليّ لولا الحمق ، ولوددت أنى خنقت بحبل قبل أن يفعل عثمان ما فعل ، وما أعتذر من قيام بحق ولكن العاقبة مما ترى كانت خيراً

قال عروة قدمت مع أبي مكة يوم احترقت الكعبة ، فرأيت الخشب وقد خلصت اليه النار ورأيت الركن قد اسود وتصدع من ثلاثة أمكنة ، فقلت ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا الى رجل من أصحاب ابن الزبير ، فقالوا هذا احترقت بسببه أخذ قبَساً في رأس رمح فطيرت الريح منه شيئاً ، فضربت أستار الكعبة فيما بين اليماني الى الأسود

أتى هو وجماعة من الشعراء هشام بن عبد الملك ، فنسبهم ، فلما عرف عروة قال له ألست القائل

لقد علمت وما الإسراف من خُلُقي ... أن الذى هو رزقى سوف يأتيني
أسعى له فيُعنّيني تطلبه ... ولو جلست أتانى لا يعنيني
وان حظ امرىء غيرى سيبلغه ... لابد لابد أن يحتازه دونى
لا أركب الأمر تُزْرى بى عواقبه ... ولا يعاب به عرضي ولا ديني
كم من فقير غني النفس تعرفه ... ومن غني فقير النفس مسكين
ومن عدو رمانى لو قصدت له ... لم يأخذ النصف مني حين يرميني
ومن أخ لي طوى كَشْحاً نقلت له ... ان انطواءك عنى سوف يطْوِيني
انى لأنطق فيما كان من أربى ... وأكثر الصمت فيما ليس يَعنينى
لا أبتغى وصل من يبغى مفارقتى ... ولا ألين لمن لا يشتهى لينى

فقال له ابن أذينة نعم ، أنا قائلها ، قال أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك ، وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفاً ، ثم افتقده هشام فعرف خبره وأتبعه بجائزة وقال للرسول قل له أردت أن تكذبنا وتصدق نفسك ، فمضى الرسول فلحقه وأبلغه رسالته ودفع اليه الجائزة فقال قل له قد صدقني ربى

وقال له ابن عائشة المغنى قل لى أبياتاً هزجاً أغني فيها فقال

سليمى أجمعت بينا ... فأين تقولها أينا
وقد قالت لأتراب ... لها زُهْرٍ تلاقينا
تعالَيْن فقد طاب ... لنا العيش تعالَيْنا
وغاب البَرَم الليلة والعين فلا عينا
فأقبلن اليها مسرعات يتهادينا

الى مثل مَهاة الرمل تكسو المجلس الزينا
تمنين منـاهن فكنـا ما تمنينا

وقفت سكينة بنت الحسين على عروة بن أذينة فقالت يا أبا عامر أنت الذي تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وانك تقي ؟ قال نعم ، قالت أفأنت الذى تقول ؟

قالت وأبثتها وجدى فبحت به قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي ؟ فقلت لها غطّى هواك وما ألقى على بصرى

قال لها بلى ، فقالت جوارى حرائر ان كان هذا خرج من قلب سليم
ومرت به امرأة فقالت له أأنت الذى يقول الناس انك امرؤ صالح وأنت الذى تقول

اذا وجدت أُوار الحب في كبدى عَمَدت نحو سقاء الماء أبترد
هبني بَرَدت ببرد الماء ظاهره فمن لحر على الأحشاء يتقد

ومن شعره

ان التي زعمت فؤادك مَلَّها جُعِلت هواك كما جُعِلت هوًى لها
فبكَ الذى زعمتْ بها وكلا كما يبدى لصاحبه الصبابة كلها
وبيت بين جوانحى حب لها لو كان تحت فراشها لأقَلَّها
ولَعمرُها لو كان حبك فوقها يوماً وقد ضَحِيَت اذاً لأظلها
واذا وجدت لها وساوس ساوة شفع الفؤاد الى الضمير فسلَّها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلَباقة فأدَقَّها وأجلَّها
لما عرضت مسلماً لي حاجة أرجو معونتها وأخشى دَلَّها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا فقال لعلها معذورة من أجل رِقْبَتِها ، فقلت لعلها

لما سمع هذا البيت أبو السائب المخزومى قال أحسن والله ، هـذا والله الدائم العهد الصادق الصبابة لا الذي يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة عنى فأهلى بى أضنّ وأرغب

اذهب لا صحبك الله ولا وسع عليك (يعني قائل هـذا البيت) لقـد عدا الأعرابى طوره وانى لأرجو أن يغفر الله لعروة لحسن ظنه بها وطلب العذر لها ومن قوله وفيه غناء

لبثوا ثلاث منًى بمنزل غبطة وهمُ على غرض لعمرُك ماهمُ
ولهن بالبيت العتيق لُبـانة والبيت يعرفهن لو يتكلم
لو كان حيًّا قبلهن ظعائناً حيًّا الحطيمُ وجوههن وزمزم
وكأنهن وقد حسَرن لواغبا بَيْض بأكناف الحَطِيم مُرَكَّم

قيل لأبى السائب ما أحسن عروة حيث يقول (الابيات السابقة) فقال لا والله ما أحسن ولا أجمل ولـكنه أهجر وأخطل فى صفتهن بهذه الصفة ثم لا يندم على رحيلهن أهكذا قال كثير حيث يقول

تفرق أهواء الحجيج على منى وصدّعهم شعب النوى صبح أربع
فريقان منهم سالك بطن نخـلة وآخر منهم سالك بطن تضرع
فـلم أر داراً مثلها دار غبطة وملقًى اذا التف الحجيج بمجمع
أقل مقيماً راضـــياً بمكانه وأكثر جاراً ظاعناً لم يودع

انظر اليه كيف تقدمت شهادة علمه وكنى لسانه ببيانه ، وهـل يغتبط عاقل بمقام لايرضى به ، ولـكن مكره أخوك لا بطل ، والعَرْجى كان أوفى منهما وأولى بالصواب حين تعرض لها نافرة من منى فقال لها عاتباً مستكيناً

عوجى علىّ فسلمى جـبرُ فيم الصـدود وأنتمُ سفْرُ
ما نلتقى إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفرُ

قال خالد صامة قدمت على الوليد بن يزيد فدخلت اليه وهو بمجلس ناهيك به وهو على سرير فغنيته

سرى همي وهم المرء يسري وغار النجم الا قيدَ فِتْر
أراقب في المَجَرّة كل نجم تعرض للمجرة كيف يجرى
لِهَمّ ما أزال له مُديماً كأن القلب أُضرم حرَّ جمر
على بكر أخى ولي حميداً وأى العيش يصلح بعد بكر

فقال لي الوليد أعد ياصام ، ففعلت ، فقال لي من يقول هذا الشعر ؟ قلت عروة بن أذينة يرثى أخاه بكراً ، فقال لى وأى العيش لايصفو بعده ؟ هذا العيش والله الذى نحن فيه على رغم أنفه والله لقد تحجر واسعا

وروى أن سكينة بنت الحسين عليه السلام أنشدت هذا الشعر فقالت من بكر هـذا ؟ أليس هو الأسود الدَّحداح الذى كان يمر بنا ؟ قالوا نعم ، فقالت لقد طاب كل شيء بعده حتى الخبز والزيت

المتوكل الليثى

هو المتوكل بن عبد الله الليثى الكنانى من ليث بن بكر يكنى أبا جهيمة شاعر من شعراء الاسلام وهو من أهل الكوفة ، كان فى عصر معاوية وابنه يزيد ومدحهما

قدم الأخطل الكوفة ، فنزل على قبيصة بن والق ، فقال المتوكل لرجل من قومه انطلق بنا الى الأخطل نستنشده ونسمع من شعره ، فأتياه فقالا أنشدنا يا أبا مالك ، فقال انى لخاثر يومى هذا ، فقال المتوكل أنشدنا أيها الرجل فوالله لا تنشدنى قصيدة الا أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري ، قال ومن أنت ؟ قال أنا المتوكل ، قال أنشدنى ويحك من شعرك ، فأنشده

للغانيات بذي المجاز رسوم فبيطن مكة عهدهن قديم
فبمنحر البدن المقلد من منى حلل تلوح كأنهن نجوم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وأنشده

الشعر لب المرء يعرضه والقول مثل مواقع النبل
منها المقصر عن رميته ونوافذ يذهبن بالخصل

وأنشد

اننا معشر خلقنا صدوراً من يسوي الصدور بالأذناب

فقال له الأخطل ويحك يا متوكل لو نبحت الخمر فى جوفك كنت أشعر الناس

كان للمتوكل امرأة يقال لها أم بكر ، فأقعدت ، فسألته الطلاق ، فقال لها ليس هذا حين طلاق ، فأبت عليه فطلقها ثم انها برئت بعد الطلاق فقال فى ذلك

طربت وشاقنى يا أم بكر دعاء حمامة تدعو حماما
فبت وبات همي لي نجيًا أعزى عنك قلباً مستهاما
اذا ذكرت لقلبك أم بكر يبيت كأنما اغتبق المداما
خدلّجة ترف غروب فيها وتكسو المتن ذا خصل شحاما
أبى قلبي فما يهوى سواها وان كانت مودتها غراما
ينام الليل كل خلىّ هم ويأتى العينَ منحدر سجاما
على حين ارعويت وكان رأسى كأن على مفارقه ثغاما
سعى الواشون حتى أزعجوها ورثّ الحبل فانجذم انجذاما
فلست بزائل ما دمت حياً مُسِرًّا من تذكرها هُياما
ترجيها وقد شحطت نواها ومنّتك المنى عاماً فعاما
خدلّجة لها كفل وثير ينوء بها اذا قامت قياما

مُخَصَّرة ترى فى الكشح منها على تثقيل أسفلها انهضاما
اذا ابتسمت تلألأ ضوء برق تهلل فى الدُّجُنَّة ثم داما
وان قامت تأمل رائياها غمامة صَيِّف ولجت غماما
اذا تمشى تقول دَبِيبُ شول تعرَّج ساعة ثم استقاما
وان جلست فدُمْيَة بيت عيد تصان ولا ترى الا لِماما
فلو أشكو الذى أشكو إليها الى حجر لراجعنى الكلاما
أحب دنوّها وتحب نأْبي وتعتام التنائي لي اعتياما
كأنى من تذكر أم بكر جريح أسنة يشكو كلاما
تساقط أنفساً نفسى عليها اذا شَحَطت وتغتم اغتماما
غَشِيت لها منازل مقفرات عفت الا الأياصر والثُّماما
ونؤيا قد تهدم جانباه وميناه بذى سلَم خياما
صلينى واعلمى أنى كريم وان حلاوتى خلطت عُرَاما
وانى ذو مُجامحة صليب خلقت لمن يما كسنى لجاما
فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتى تجاوب هامتي فى القبر هاما

وفى امرأته هذه يقول ويمدح حوشبا الشيبانى

أجدّ اليوم جيرتك احتمالا وحث حداتهم بهمُ عجالا
وفى الأظعان آنسة لَعوب ترى قتلى بغير دم حلالا
أمية يوم دير القَسّ ضنت علينا أن تنولنا نوالا
اذا وعدتك معروفاً لونه وعجلت التجرم والمطالا
لها بَشَر نقى اللون صافٍ ومَتْن خُطّ فاعتدل اعتدالا
اذا تمشى تأوَّد جانباها وكاد الخصر ينخزل انخزالا
تنوء بها روادفها اذا ما وشاحاها على المتنين جالا
فان تُصبح أميمة قد تولت وعاد الوصل صَرْماً واعتلالا

فقد تدنو النوى بعد اغتراب ... بها وتفرق الحي الحلالا
تعبس لي أميمة بعد أنس ... فما أدري أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فرب أخ مُصافٍ ... رزئت وما أحب به بدالا
أصرم منك هذا أم دلال ... فقد عنّى الدلال إذاً وطالا
أم استبدلت بي وملِلت وصلي ... فبوحي لي به ودعي المحالا
فلا وأبيكِ ما أهوى خليلا ... أقاتله على وصلي قتالا
وكم من كاشح يا أم بكر ... من البغضاء يأتكل ائتكالا
لبست على قناع من أذاه ... ولولا الله كنت له نكالا
أنا الصقر الذي حدثتِ عنه ... عتاق الطير تندحل اندحالا
رأيت الغانيات صدفن لما ... رأين الشيب قد شمل القذالا
فلم يلموا اذا رحلوا ولكن ... تولت غيرهم بهمُ عجالا

ومنها يهجو عكرمة بن ربعيّ الذي يقال له الفياض ، وكان قد مدحه فحرمه علانية ، ثم بعث اليه بأربعة آلاف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال حرمني على رءوس الناس ويبعث إليّ سراً

أقلني يا ابن ربعي ثنائي ... وهبها ملحة ذهبت ضلالا
وهبها مدحة لم تغن شيئاً ... وقولاً عاد أكثره وبالا
وجدنا العز من أولاد بكر ... الى الذُّهلين ترجع والفعالا
أعكرمَ كنت كالمبتاع داء ... رأى بيع الندامة فاستقالا
بنو شيبان أكرم آل بكر ... وأمتهم اذا عقدوا حبالا
رجال أعطيت أحلام عاد ... اذا نطقوا وأيديها الطوالا
وتيم الله حي حي صدق ... ولكن الرحا تعلو الثفالا

هجا معن بن جميل أحد بني لَقيط بن يَعْمُر المتوكلَ الليثي ، وبلغ ذلك المتوكل فترفع على أن يجيبه ، ومكث معن سنين يهجوه ، والمتوكل معرض عنه ، ثم هجاه

بعد ذلك وهجا قومه من بنى الديل هجاء قذعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية

خليلى عوجا اليوم وانتظرانى ... فان الهوى والهم أمُّ أبان
هى الشمس يدنو لى قريباً بعيدها ... أرى الشمس ما أسطيعها وترانى
نأت بعد قرب دارها وتبدلت ... بنا بدلاً والدهر ذو حدَثان
فهاج الهوى والشوق لى ذكر حرة ... من المرجَحِنّات الثقال حَصان
سيعلم قومى أننى كنت سورة ... من المجد ان داعى المنون دعانى
ألا رب مسرور بموتى لو أنى ... وآخر لو أُنعَى له لبكانى
خليلى مالام امرأ مثلُ نفسه ... اذا هى قامت فاربعا ودعانى
ندمت على شتمى العشيرة بعدما ... تغنى بها عود وحن يمانى
قلبت لهم ظهر المِجَنّ وليتنى ... رجعت بفضل من يدى ولسانى
على أننى لم أرم فى الشعر مسلماً ... ولم أهجُ الا من روى وهجانى
همُ بَطَروا الحلم الذى من سجيتى ... وبدلت قومى شدة بلِيان
ولو شئتمُ أولاد وهب نزعتمُ ... ونحن جميعاً شملنا أخوان
نهيتم أخاكم عن هجائى وقد مضى ... له بعد حول كامل سنتان
فلجّ ومنّاه رجال رأيتهم ... اذا صارمونى يكرهون قرانى
وكنت امرأ يأبى لى الضيم أننى ... صَروم اذا الأمر المهم عنانى
وصول صروم لا أقول لمدبر ... هَلُمّ اذا ما اغتشّمنى وعصانى
خليلى لو كنت امرأ بى سقطة ... تضعضعت أو زلت بى القدمان
أعيش على بغى العداة ورغمهم ... وآتى الذى أهوى على الشنآن
ولكننى ثبت المروءة حازم ... اذا صاح طلابى ملأت عِنانى
خليلى كم من كاشح قد رميته ... بقافية مشهورة ورمانى

فكان كذات الحيض لم تبق ماءها ولم تُنق عنها غسلها لأوان

ثم أنه يقول فيها ليزيد بن معاوية

أبا خالد حنّت اليك مطيتي على بعد منتاب وهول جنان

أبا خالد في الأرض نأى ومفسح لذى مرّة يرمى به الرّجوان

فكيف ينام الليل حر عطاؤه ثلاث لرأس الحول أو مئتان

تنأت قلوصي بعد ما آدى السرى الى ملك جزّل العطاء هجان

ترى الناس أفواجاً ينوبون بابه لبكر من الحاجات أو لعوان

فأجابه معن بن جميل فقال

ندمت كذاك العبد يندم بعدما غُلبت وسار الشعر كل مكان

ولاقيت قرماً في أرومة ماجد كريماً عزيزاً دائم الخطران

أنا الشاعر المعروف وجهي ونسبتي أعف وتحميني يدي ولساني

وأغلب من هاجيت عفواً وانني الى معشر بيض الوجوه حسان

فهات اذاً يا ابن الأتان كصاحب الـــملوك أبي أو سيد كهان

فهات كزيد أو كسيحان لاتجد لهم كفؤا أو يبعث الثقلان

قيس بن ذريح

هو قيس بن ذَريح الكناني من ليث بن بكر

كان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أرضعته أم قيس ، كان منزل قومه في ظاهر المدينة وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة

مرّ لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خُزاعة فرأى لُبنى بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت اليه ، وكانت امرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام ، فلما رآها وقعت في نفسه ، وشرب الماء ، فقالت له أتنزل فتبرد عندنا ؟

قال نعم ، فنزل بهم وجاء أبوها فنحر له وأكرمه ، فانصرف قيس وفي قلبه من لُبنى حر لا يطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوِى ، ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجده بها ، فسلم ، فظهرت له وردت سلامه وتحفّت به ، فشكا اليها ما يجد منها وما يلقى من حبها وشكت اليه مثل ذلك فأطالت وعرف كل منهما ماله عند صاحبه ، فانصرف الى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها ، فأبى عليه وقال يابني عليك باحدى بنات عمك فهن أحق بك ، وكان ذَرِيح كثير المال موسراً فأحب ألاَّ يخرج ابنه الى غريبة ، فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه به أبوه فأتى أمه فشكا ذلك اليها ، واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها مايحب ، فأتى الحسين بن على بن أبى طالب وابن أبي عَتيق فشكا اليهما ما به ومارد عليه أبوه ، فقال له الحسين أنا أكفيك ، فمشى معه الى أبي لُبْنى ، فلما بصر به أعظمه ووثب اليه وقال يا ابن رسول الله ما جاء بك ؟ ألا بعثت اليَّ فأتيتك ؟ قال ان الذى جئت فيه يوجب قصدك وقد أتيتك خاطباً ابنتك لبني لقيس بن ذَرِيح ، فقال يا ابن رسول الله ما كنا لنعصى لك أمراً ، وما بنا عن الفتى رغبة ولكن أحب الأمر الينا أن يخطبها أبوه ذَرِيح الينا أو أن يكون ذلك عن أمره ، فانا نخاف إن لم يسع أبوه فى ذلك أن يكون عاراً وسُبَّة علينا ، فأتى الحسين رضى الله عنه ذَرِيحاً وقومه وهم مجتمعون فقاموا اليه اعظاماً له وقالوا له مثل قول الخُزاعيين ، فقال لذريح أقسمت عليك ألا خطبت لبنى لابنك قيس ، قال السمع والطاعة لأمرك ، فخرج معه فى وجوه من قومه حتى أتوا لبنى فخطبها ذريح على ابنه الى أبيها فزوجه إياها وزُفت اليه بعد ذلك فأقامت معه مدة لاينكر أحدها من صاحبه شيئاً ، وكان أبرّ الناس بأمه فألهته لُبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك ، فوجدت أمه فى نفسها وقالت لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بِرّى ولم تر للكلام فى ذلك موضعاً حتي مرض قيس مرضاً شديداً ، فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خَلَفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك الى

الكلالة فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً وألحت عليه فى ذلك ، فأمهل قيساً حتى اذا اجتمع قومه دعاه فقال ياقيس انك اعتللت هذه العلة تخفت عليك ولا ولد لك ولا لى سواك وهذه المرأة ليست بولود فتزوج احدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقرّ به عينك وأعيننا ، فقال قيس لست متزوجاً غيرها أبداً ، فقال له أبوه فان في مالي سعة فتسرّ بالاماء ، قال ولا أسوءها بشيء أبداً والله ، قال أبوه فانى أقسم عليك إلاّ طلقتها ، فأبى وقال الموت والله أسهل علىّ من ذلك ولكنى أخيرك خصلة من ثلاث خصال ، قال وماهى ؟ قال تتزوج أنت فلعل الله يرزقك ولداً غيرى ، قال فما فيّ فضلة لذلك ، قال فدعنى أرتحل عنك بأهلى واصنع ما كنت صانعاً لو متُّ فى علتى هذه ، قال ولا هذه ، قال فأدَعُ لُبنى عندك وأرتحل عنك فلعلى أسلوها فاني ما أحب بعدُ أن تكون نفسى طيبة انها في خيالى ، قال لا أرضى أو تطلقها وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى فكان يخرج فيقف فى حر الشمس ويجيء قيس فيقف الى جانبه فيُظله بردائه ويَصلَى هو بحر الشمس حتى يفيء الفيء فينصرف عنه ويدخل الى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له ياقيس لاتطع أباك فتهلك وتهلكنى ، فيقول ما كنت لأطيع فيك أحداً أبداً ، فيقال انه مكث كذلك سنة ، ثم هجره أبواه فصار يستأذن عليهما فيردانه حتى طلقها ، فلما بانت لبنى بطلاقه اياها وفرغ من الكلام لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحرّ نشيج ، وبلغها الخبر فأرسلت الى أبيها ليحتملها ، فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبابل تحمل أثاثها ، فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريته فقال ويحك ما دهانى فيكم ؟ فقالت لا تسألنى وسل لبنى ، فذهب ليُلِمّ بخبائها فمنعه قومها ، فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له مالك ويحك ، تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل ، هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً ، فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول

وانى لَمُفْنٍ دمع عينى بالبكا حذار الذي قد كان أوهو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفيك إلا أن ما حان حائن

وقال

يقولون لُبنى فتنة كنت قبلها بخير فلا تندم عليها وطلق
فطاوعت أعدائى وعاصيت ناصحي وأقررت عين الشامت المتخلق
وددت وبيت الله أنى عصيتهم وحملت فى رضوانها كل موثق
وكلفت خوض البحر والبحر زاخر أبيت على أثباج موج مغرق
كأني أرى الناس المحبين بعدها عُصارة ماء الحنظل المتفلق
فتنكر عينى بعدها كل منظر ويكره سمعى بعدها كل منطق

وسقط غراب قريباً منه فجعل ينعق مراراً فتطير منه وقال

لقد نادى الغراب ببين لُبنى فطار القلب من حذر الغراب
وقال غدا تَباعدُ دار لُبنى وتنأى بعد ود واقتراب
فقلت تعست ويحك من غراب وكان الدهرَ سعيُك فى تباب

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الالمام بها

ألا ياغراب البين ويحك نَبِّنى بعلمك فى لُبنى وأنت خبير
فان أنت لم تخبر بما قد علمته فلا طرت الا والجناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك فيهمُ كما قد ترانى بالحبيب أدور

وقال أيضاً وقد أدخلت هودجها ورحلت وهى تبكى ويتبعها

ألا يا غراب البين هل أنت مخبرى بخير كما خبرت بالنأى والشر
وقلت كذاك الدهر ما زال فاجعاً صدقت وهل شيء بباق على الدهر

فلما ارتحل قومها اتبعها ملياً ، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها فوقف

ينظر اليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكر راجعاً ونظر الى أثر خف بعيرها فأكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها فلم على ذلك وعنفه قومه فقال

وما أحببت أرضكمُ ولكن أقبل إثر من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كلفي بلبنى بلاء ما أُسيغ له شرابا
اذا نادى المنادى باسم لبنى عييت فما أطيق له جوابا

وقال وقد نظر الى آثارها

ألا يا ربع لُبنى ما تقول أبِنْ لي اليوم ما فعل الحُلول
فلو أن الديار تجيب صبًّا لرد جوابي الربع المُحيل
ولو أني قدرت غداة قالت ودرت وماء مقلتها يسيل
نحرت النفس حين سمعت منها مقالتها وذاك لها قليل
شفيت غليل نفسي من فعالي ولم أغبر بلا عقل أجول
كأني والله بفراق لُبنى تهيم بفقد واحدها ثكول
ألا ياقلب ويحك كن جليداً فقد رحلت وفات بها الذَّميل
فانك لاتُطيق رجوع لُبنى اذا رحلت وان كثر العويل
وكم قد عشت كم بالقرب منها ولكن الفراق هو السبيل
فصبرًا كل مؤتلفين يوماً من الأيام عيشهما يزول

فلما جن عليه الليل انفرد وأوى الى مضجعه لم يأخذه القرار وجعل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرغ فيه ويبكي ويقول

بت والهم يا لُبينى ضجيعي وجرت مذ نأيت عني دموعي
وتنفست اذ ذكرتك حتى زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
أتناسالكِ كي يَريع فؤادي ثم يشتد عند ذاك ولوعي
يا لبينى فدتك نفسي وأهلي هل لدهر مضى لنا من رجوع

ومما قاله فى ظعنها

أيا كبداً طارت صدوعاً نوافذاً ... ويا حسرتا ماذا تغلغل فى القلب
فأقسم ما عُمْشُ العيون شوارف ... روائم بَوٍّ حائمات على سَقْب
تشممنه لو يستطعن ارتشفنه ... اذا سُفْنه يزددن نكباً على نكب
رئمْن فما تنحاش منهن شارف ... وحاولن حبساً فى المحول وفى الجدب
بأوجدَ مني يوم بانت حمولها ... وقد طلعت أولى الركاب من النقب
وكل ملمات الزمان وجدتها ... سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

خرج قيس فى فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد فأتى بلاد لُبنى ، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل اليها ، فاشتغل الفتيان بالصيد ، فلما قضَوْا وطَرهم منه رجعوا اليه وهو واقف ، فقالوا له قد عرفنا ما أردت باخراجنا معك وأنك لم تُرِد الصيد وانما أردت لقاء لبنى وقد تعذر عليك فانصرف الآن ، فقال

وما حائمات حُمْنَ يوماً وليلة ... على الماء يَغْشَيْنَ العِصِىَّ حَوَانِ
عوافي لا يصدُرن عنه لوجهة ... ولا هن من برد الحياض دوان
يَرَيْن حَبَاب الماء والموت دونه ... فهن لأصوات السُّقاة رَوَان
بأجهدَ مني حرَّ شوق ولوعة ... عليك ولكن العدو عدانى
خليلى انى ميت أو مكلم ... لبينى بسرى فامضيا وذَرانى
أنَلْ حاجتي وحدى ويارب حاجة ... قضيت على هول وخوف جنان
فانى أحق الناس ألاَّ تحاورا ... وتطَّرحا من لو يشاء شفانى
ومن قادنى للموت حتى اذا صفت ... مشاربه السم الذُّعاف سقانى

وجعل قيس يعاتب نفسه فى طلاقه لبنى ويقول فألاَّ رحلت بها عن بلده فلم أرَ ما يفعل ولم يرَنى ؟ فكان اذا فقدنى أقلع عما يفعله واذا فقدته لم أتحرج من فعله ، وما كان لو اعتزلته وأقمت فى حيها أو فى بعض بوادى العرب أو عصيته

فلم أُطعه ، هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد وها أنا ذا ميت مما فعلته فمن يرد روحي إليَّ وهل سبيل الى لبنى بعد الطلاق ؟ وكلما قرع نفسه وأنبها بلون من التقريع والتأنيب بكى أحر بكاء وألصق خده بالأرض ووضعه على آثارها وقال

ويلي وعَوْلي عليها حين تَلْفِتني ... من بعد ما أحرزت كفي بها الظَّفَرا
قد قال قلبي لطرفي وهو يعذُله ... هذا جزاؤك مني فاكدم الحجرا
قد كنت أنهاك عنها لو تطاوعني ... فاصبر فما لك فيها أجر من صبرا

وقال أيضاً

بانت لبنى فأنت اليوم متبول ... والرأى عندك بعد الحزم مخبول
أستودع الله لبنى اذ تفارقني ... بالرغم مني وقول الشيخ مفعول
وقد أراني بلبنى حق مقتنع ... والشمل مجتمع والحبل موصول

وقال

ألا ليت لُبنى فى خلاء تزورنى ... فأشكو اليها لوعتى ثم ترجع
صحا كل ذى لب وكل متيم ... وقلبى بلُبنى ما حييت مروَّع
فيا من لقلب ما يُفيق من الهوى ... ويا من لعين بالصبابة تدمع

وقال فى ليلته تلك

قد قلت للقلب لا لُبناك فاعترف ... واقض اللُّبانة ما قضيت وانصرف
قد كنت أحلف جهداً لا أفارقها ... أُفّ لكثرة ذاك القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتُلتت ... لا تأمنن أبداً من غش مكتنف
هيهات هيهات قد أمست مجاورة ... أهل العقيق وأمسينا على سَرَف
حى يمانون والبطحاء منزلنا ... هذا لعمرك شمل غير مؤتلف

فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذى سلكته يتنسم روائحها ، فسنحت له ظبية فقصدها ، فهربت منه ، فقال

ألا يا شبه لُبنى لا تُراعى ولا تتيمى قُلَلَ القلاع

وهى قصيدة طويلة يقول فيها

فوا كبدي وعاودنى وَداعى وكان فراق لُبنى كانخداع
تكنفني الوشاة فأزعجونى فيا لِلّهِ للواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسى على شىء وليس بمستطاع
كمغبون يعضّ على يديه تبين غَبْنه بعد البياع
بدار مَضيعة تركتك لُبنى كذاك الحينْ يَهْدِى للمضاع
وقد عشنا نَلَذّ العيش حيناً لو آن الدهر للانسان واع
ولكن الجميع الى افتراق وأسباب الحتوف لها دواع

وبعثت أمه بفتيات من قومه اليه يعبن اليه لُبنى ويعبنه بجزعه وبكائه، فأتينه فاجتمعن حواليه وجعلن يمازحنه ويعبن لُبنى عنده ويعيرنه بما يفعله، فلما أطلن أقبل عليهن وقال

يقرّ بعيني قربها ويزيدنى بها كَلَفاً من كان عندى يعيبها
وكم قائل قد قال تب فعصيته وتلك لعمرى توبة لا أتوبها
فيا نفس صبراً است والله فاعلمي بأول نفس غاب عنها حبيبها

ثم اجتمع النسوة فأطلن الجلوس عنده ومحادثته وهو ساه عنهن، ثم نادى يا لُبنى، فقلن له مالك ويحك؟ فقال خَدِرت رجلى «ويقال ان دعاء الانسان باسم أحب الناس اليه يذهب عنه خَدَر الرجل فناديتها لذلك» وقال

اذا خَدِرت رجلى تذكرت من لها فناديت لُبنى باسمها ودعوت
دعوت التى لو أن نفسى تطيعني لفارقتها من حبها وقضَيْت
بَرَت نَبلُها للصيد لبنى وريَّشَتْ وريَّشتُ أخرى مثلها وبَرَيت
فلما رمتني أقصدتني بسهمها وأخطأتها بالسهم حين رميت

وفارقت لبنى ضـــلة فكأنني قربت الى العيوق ثم هويت
فيا ليت أنى مت قبل فراقها وهل ترجعن فوت القضية ليتُ
فصرت وشيخى كالذى عثرت به غداة الوغى بين العداة كُميت
فقامت ولم تضرر هزالاً سوية وفارسها تحت السنابك ميت
فان يك تهيامى بلبنى غواية فقد يا ذريح بن الحباب غويت
فلا أنت ما أملت فيَّ رأيتـــه ولا أنا لبنى والحياةَ حويت
فوطن لملكى منك نفساً فانني كأنك بى قد يا ذريح قضيت

مرض قيس فسأل أبوه فتيات الحى أن يعدنه ويحدثنه لعله يتسلى أو يعلق بعضهن ، ففعلن ذلك ودخل اليه طبيب ليداويه والفتيات معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته ، فقال

عيد قيس من حب لبنى ولبنى داء قيس والحب داء شديد
واذا عادنى العوائد يوماً قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبنى تعود ثم أُقضَّى انهـــا لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها داء خبل فالقلب منه عميـــد

فقال له الطبيب منذ كم هذه العلة ؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال قيس

تعلق روحى روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافاً وفى المهد
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً وليس اذا متنا بمنصرم العهد
ولكنه باق على كل حادث وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

فقال له الطبيب ان مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المعايب والمساوى فان النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها ، فقال

اذا عبتها شبهتها البدر طالعاً وحسبك من عيب لها شبه البدر

لقد فضلت لُبنى على الناس مثل ما على ألف شهر فضلت ليلة القدر
اذا مامشت شبراً من الأرض أرجفت من البُهر حتى ما تزيد على شبر
لها كفل يرتجّ منها اذا مشت ومتن كغصن البان مضطمر الخصر

ودخل عليه أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنبه ولامه وقال له يا بنيّ اتق الله فى نفسك ان دمت على هذا الحال ، فقال

وفى عروةَ العُذْرى ان مت أسوة وعمرو بن عَجْلان الذى قتلت هند
وبى مثل ما ماتا به غير أنني الى أجل لم يأتنى وقته بعد
هل الحب الا عَبرة بعد زفرة وحر على الأحشاء ليس له برد
وفيض دموع تستهل اذا بدا لنا علَم من أرضكم لم يكن يبدو

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأنه يزوجه امرأة جميلة فلعله يسلو بها عن لُبنى ، فدعاه الى ذلك ، فأباه وقال

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها بشىء من الدنيا وان كان مقنعا
وأزجر عنها النفس اذ حيل دونها وتأبى اليها النفس الا تطلعا

فأعلمهم أبوه بما رد عليه ، قالوا فمره بالمسير فى أحياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه تقع على امرأة تعجبه ، فأقسم عليه أبوه أن يفعل ، فسار حتى نزل بحى من فزارة ، فرأى هناك جارية حسناء قد حسرت برقع خزّ عن وجهها وهى كالبدر ليلة تمامه ، فقال لها ما اسمك يا جارية ؟ فقالت لُبنى ، فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه ، ثم قالت ان لم يكن هذا قيس بن ذريح انه لمجنون ، فأفاق ، فنسبته فانتسب ، فقالت قد علمت انك قيس ولكن نشدتك بالله وبحق لُبنى الا أصبت من طعامنا ، وقدمت اليه طعاماً ، فأصاب منه باصبعه وركب ، فأتى على أثره أخ له كان غائباً فرأي مناخ ناقته ، فسألهم عنه ، فأخبروه ، فركب حتى رده الى منزله وحلف عليه ليقيمن عنده شهراً ، فقال لقد شققت عليّ

ولكنى سأتبع هواك والفزارى يزداد اعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصهر ، فقال ياهذا ان فيك لرغبة ولكني في شغل لاينتفع بى معه ، فلم يزل يعاوده والحى يلومونه ويقولون له قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبة ، فقال دعونى ففى هذا الفتى يرغب الكرام ، فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماة لبنى وقال أنا أسوق عنك صداقها ، فقال أنا والله يا أخى أكثر قومى مالاً فما حاجتك الى تكلف هذا ، وأنا سائر الى قومى وسائق اليها المهر ، ففعل وأعلم أباه الذى كان منه فسره وساق المهر عنه ورجع الى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته فلم يروه هش اليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر اليها وأقام على ذلك أياماً كثيرة ثم أعلمهم أنه يريد الخروج الى قومه أياماً فأذنوا له فى ذلك ، فمضى لوجهه الى المدينة ، وكان له صديق من الأنصار بها فأتاه فأعلمه الأنصاريّ أن خبر تزويجه بلغ لبنى فغمها وقالت انه لغدار ولقد كنت أمتنع من اجابة قومى الى التزويج فأنا الآن أجيبهم وقد كان أبوها شكا قيساً الى معاوية وأعلمه تعرضه لها بعد الطلاق فكتب الى مروان بن الحكم يهدر دمه ان تعرض لها وأمر أباها أن يزوجها رجلا يعرف بخالد بن حلّزة من بنى عبد الله بن غطفان ، فزوجها أبوها منه ، فجعل نساء الحى يقلن ليلة زفافها

لبينى زوجها أصبح لاحر بواديه
له فضل على الناس بما باتت تناجيه
وقيس ميت حى صريع فى بواكيه
فلا يبعده الله وبعداً لنواعيه

فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحرّ نشيج ويبكي أشد بكاء ثم ركب حتى أتى محلة قومها فناداه النساء ما تصنع الآن ههنا قد نقلت لبنى الى زوجها وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فنزل عن

راحلته وجعل يتمعك موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر بكاء ، ثم قال

الى الله أشكو فقد لبنى كما شكا ... الى الله فقدَ الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون فجسمه ... نحيل وعهد الوالدين قديم
بكت دارهم من نأيهم فتهللت ... دموعي فأيّ الجازعين ألوم
أمستعبر يبكي من الشوق والهوى ... أمَ آخر يبكي شَجْوه ويَهيم
تَهيَّضني من حب لبنى علائق ... وأصناف حب هوطن عظيم
ومن يتعلق حب لبنى فؤاده ... يمت أو يعش ماعاش وهو كليم
فاني وان أجمعت عنك تجلداً ... على العهد فيما بيننا لمقيم
وان زماناً شتت الشمل بيننا ... وبينكمُ فيه العدا لمَشوم
أفي الحق هذا أن قلبك فارغ ... صحيح وقلبي في هواك سقيم

وقال في رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيه

بنت لُبينى فهاج القلبَ من بانا ... وكان ما وعدت مَطْلاً ولَيَّانا
وأخلفتك مُنًى قد كنت تأمُلها ... فأصبح القلب بعد البين حيرانا
الله يدري وما يدري به أحد ... ماذا أجمجم من ذكراك أحيانا
يا أكمل الناس من قَرْن الى قدم ... وأحسن الناس ذا ثوب وعريانا
نعم الضجيع بعيد النوم تجلبه ... اليك ممتلئاً نوماً ويقظانا
لا بارك الله فيمن كان يحسبكم ... إلا على العهد حتى كان ما كانا
حتى استفقت أخيراً بعد ما نَكَحت ... فبت للشوق أُذْرى الدمع تَهْتَانا
إن تصْرِمي الحبل أو تُمسي مفارقة ... فالدهر يحدث للانسان ألوانا
وما أرى مثلكم في الناس من بشر ... فقد رأيت به حياً ونسوانا

وشكا أبو لبنى لمعاوية تعرض قيس لابنته بعد طلاقها فكتب معاوية الى الأمير يهدر دمه ان ألم بها وأن يشتد في ذلك فكتب مروان في ذلك الى صاحب

الماء الذى ينزله أبو لبنى كتاباً وكيداً ووجهت لبنى رسولاً الى قيس تعلمه ما جرى وتحذره وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهمه وقال له انتهى بك الأمر الى أن يهدر السلطان دمك فقال

فان يحجبوها أو يحل دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عينيَّ من دائم البكا ... ولن يُذهبوا ماقد أجنّ ضميرى
الى الله أشكو ما ألاقى من الهوى ... ومن حُرَقٍ تعتادنى وزفير
ومن حُرَق للحب فى باطن الحشى ... وليل طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعين غزيرة ... بكاء حزين فى الوثاق أسير
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حالي غبطةً وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لهم ... بطون الهوى مقلوبةً لظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور

وقال فى إهدار معاوية دمه إن هو زارها

إن تك لُبنى قد أتى دون قربها ... حجاب منيع ما إليه سبيل
فان نسيم الجو يجمع بيننا ... ونُبصر قَرْن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى ... ونعلم أيا بالنهار نقيل
وتجمعنا الارض القرار وفوقنا ... سماء نرى فيها النجوم تجول
الى أن يعود الدهر سلماً وتنقضى ... ترات بغاها عندنا وذحول

وحج قيس سنة واتفق أن حجت لُبنى فى تلك السنة فرآها فدَهش وبقى واقفاً ومضت لسبيلها ثم أرسلت اليه بالسلام مع امرأة كانت معها فألفته جالساً وحده ينشد ويبكى

ويومَ مِنًى أعرضتِ عني فلم أقل ... لحاجة نفس عند لُبنى مقالها
وفى اليأس للنفس المريضة راحة ... اذا النفس رامت خطة لا تنالها

فصارت المرأة تحدثه عن لبنى فسألها أن تبلغها سلامه فامتنعت عليه فأنشأ يقول

اذا طلعت شمس النهار فسلمى ... فآيةُ تسليمى عليها طلوعها
بعشر تحيات اذا الشمس أشرقت ... وعشر اذا آصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قوليَ اسلمى ... بكت جزعاً وارفضّ منها دموعها
وبان الذى تُخفى من الوجد فى الحَشَى ... اذا جاءها عنى حديث يروعها

ولما انصرف الناس من الحج مرض قيس مرضاً شديداً فلم يأته رسولها عائداً فقال

ألُبنى لقد حلّت عليك مصيبتى ... غداة غد اذ حل ما أتوقع
تُمنينى نَيلاً وتَلوينى قِلًى ... فنفسى شوقاً كل يوم تقطع
وقلبك قط لا يلين لما يرى ... فوا كبدى قد طال هذا التضرع
ألومك فى شأنى وأنت مُليمة ... لعمرى وأحفَى المحب وأقطع
أخبرت أنى فيك ميت حسرتى ... فما فاض من عينيك للوجد مدمع
ولكن لَعمرى قد بكيتك جاهداً ... وان كان دائى كله منك أجمع
صبيحة جاء العائدات يَعُدْنَنى ... فظَلّت علىّ العائدات تفَجّع
فقائلة جئنا اليه وقد قضى ... وقائلة لا بل تركناه ينزع
فما غشيت عيناكِ من ذاك مدمع ... وعينى على مابى بذكراك تدمع
اذا أنت لم تبكى على جنازة ... لديك فلا تبكى غداً حين أرفع

فبلغتها الأبيات فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاء كثيراً ، ثم خرجت اليه ليلاً على موعد ، فاعتذرت وقالت انما أبقى عليك وأخشى أن تقتل فأنا أتحاماك لذلك ولولا هذا لما افترقنا وودعته وانصرفت

ويروى أنه بلغها أنه عليل لما به وأنه سيموت فى سفره هذا ، فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها ما أراه الا كاذباً ومتعللاً لا عليلاً ، فبلغه ذلك فقال

تكاد بلاد الله يا أم معمر ... بما رحبت يوماً علي تضيق
تكذبني بالود لبنى وليتها ... تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني ... لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق اليك النفس ثم أردها ... حياء ومثلي بالحياء حقيق
أذود سوام النفس عنك وماله ... على أحد الا عليك طريق
فاني وان حاولت صرمي وهجرتي ... عليك من احداث الردى لشفيق
ولم أر أياماً كأيامنا التي ... مررن علينا والزمان أنيق
ووعدك إيانا ، ولو قلت عاجل ، ... بعيد كما قد تعلمين سحيق
وحدثتني يا قلب أنك صابر ... على البين من لبنى فسوف تذوق
فمت كمداً أو عش سقيماً فانما ... تكافئني ما لا أراك تطيق
أطعت وشاة لم يكن لك فيهم ... خليل ولا جار عليك شفيق
فان تك لما تسل عنها فانني ... بها مغرم صب الفؤاد مشوق
بلبنى أنادي عند أول غشية ... ويثنى بها الداعي لها فأفيق
شهدت على نفسي بأنك غادة ... رداح وأن الوجه منك عتيق
وأنك لم تجزيني بصحابة ... ولا أنا للهجران منك مطيق
وأنك قسمت الفؤاد فنصفه ... رهين ونصف في الحبال وثيق
صبوحي اذا ماذرت الشمس ذكركم ... ولي ذكركم عند المساء غبوق
اذا أنا عزيت الهوى أو تركته ... أتت عبرات بالدموع تسوق
كأن الهوى بين الحيازيم والحشى ... وبين التراقي واللهاة حريق
فان كنت لما تعلمي العلم فاسألي ... فبعض لبعض في الفعال فووق
سلي هل قلاني من عشير صحبته ... وهل مل رحلي في الرفاق رفيق
وهل تجتوي القوم الكرام صحابتي ... اذا اغبر مخشي الفجاج عميق

وأكتم أسرار الهوى فأميتها ... اذا باح مزاح بهن بروق
سعى الدهر والواشون بيني وبينها ... فقطع حبل الوصل وهو وثيق
هل الصبر الا أن أصد فلا أرى ... بأرضك الا أن يكون طريق

ثم أتى قومه فاقتطع قطعة من ابله ، وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويمتار لأهله بثمنها ، فعرف أبوه أنه انما يريد لُبنى ، فعاتبه وزجره عن ذلك ، فلم يقبل منه وأخذ ابله وقدم بها المدينة ، فبينا هو يعرضها إذ ساومه زوج لُبنى بناقة منها وهما لايتعارفان ، فباعه إياها ، فقال له اذا كان غد فأتنى فى دار كثير بن الصلت فاقبض الثمن ، قال نعم ، ومضى زوج لُبنى اليها ، فقال لها انى ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها فأعدي له طعاماً ، ففعلت ، فلما كان الغد جاء قيس فصوت بالخادم قولي لسيدك صاحب الناقة بالباب ، فعرفت لُبنى نَغْمته فلم تقل شيئاً ، فقال زوجها للخادم قولي له ادخل ، فدخل فجلس ، فقالت لُبنى للخادم قولي له يافتى مالك أشعث أغبر ؟ فقالت له ذلك ، فتنفس ثم قال لها هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة ، فقالت لها لبنى قولي له حدثنا حديثك ، فلما ابتدأ يحدث كشفت الحجاب وقالت حسبك قد عرفنا حديثك وأسبلت الحجاب ، فبهت ساعة لايتكلم ، ثم انفجر باكياً وخرج ، فناداه زوجها ويحك ما قصتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك وان شئت زدناك ، فلم يكلمه وخرج فاغترز فى رحله ومضى ، وقالت لبنى لزوجها ويحك هذا قيس بن ذريح فما حملك على ما فعلت به ؟ قال ما عرفته ، وجعل قيس يبكي فى طريقه ويندب نفسه ويوبخها على فعله ، ثم قال

أتبكى على لُبنى وأنت تركتها ... وأنت عليها بالملا أنت أقدر
فان تكن الدنيا بلُبنى تقلبت ... علىَّ فللدنيـــا بطون وأظهر
لقد كان فيها للأمانة موضع ... وللكف مرتاد وللعين منظر

وللحائم العطشان ريّ بريقها وللمرح المختال خمر ومسكر
كأنى لها أرجوحة بين أخبُل اذا ذُكرة منها على القلب تَخْطِر

وعاد الى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم ، فأنكروه وسألوه عن حاله ، فلم يخبرهم ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت فدخل اليه أبوه ورجال قومه فكلموه وعاتبوه وناشدوه الله ، فقال ويحكم أترونى أمرضت نفسى أو وجدت سلوة بعد اليأس فاخترت الهم والبلاء ؟ أولى فى ذلك صنع ؟ هذا ما اختاره لي أبواي وقتلانى به وقال

لقد عذبتني يا حب لُبنى فقَعْ إما بموت أو حياة
فان الموت أروح من حياة تدوم على التباعد والشتات

وقال الأقربون تعزَّ عنها فقلت لهم اذا حانت وفاتى

ودست اليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له استنشده فان سألك عن نسبتك فانتسب له خزاعياً ، فاذا أنشدك فقل له لِمَ تزوجت بعدها حتى أجابت الى أن تزوجت بعدك واحفظ ما يقول لك حتى ترده عليَّ ، فأتاه الرسول ، فسلم وانتسب خزاعياً وذكر أنه من أهل الشام واستنشده ، فأنشده قوله « وقد ذكرت قبل »

فأقسم ما عُمْش العيون شوارف روائم بوّ حانيات على سقب

فقال له الرجل فلِمَ تزوجت بعدها ؟ فأخبره الخبر ، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التى تزوجها وأنه لو رآها فى نسوة ما عرفها وأنه ما مد يده اليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب ، فقال له الرجل فانى جار لها وانها من الوجد بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلح حالها بك ، فحمّلني اليها ما شئت أؤده اليها ، قال تعود اذا أردت الرحيل ، فعاد اليه لما أراد الرحيل ، فقال تقول لها

ألا حَيِّ لُبنى اليوم ان كنت غاديا وألمم بها من قبل ألاَّ تلاقيا

وأهدِ لها منك النصيحة انها قليل ولا تخش الوشاة الأدانيا
وقل انني والراقصات الى منًى بأجبل جمْع ينتظرن المناديا
أصونك عن بعض الأمور مَضِنَّة وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا
تساقط نفسي حين ألقاك أنفساً يردْنَ فما يصدُرْن الا صواديا
فان أحْيَ أو أهلك فلست بزائل لكم حافظاً ما بلَّ ريق لسانيا
أقول اذا نفسي من الوجد أصعدت بها زَفْرة تعتادني هي ما هيا
وبين الحشَى والنحر مني حرارة ولوعة وجد تترك القلب ساهيا
ألا ليت لُبنى لم تكن لِيَ خُلَّة ولم ترني لُبنى ولم أدرِ ما هيا
سلي الناس هل خبَّرتُ سرك منهم أخا ثقة أو ظاهر الغشّ باديا
يقول لي الواشون لما تظاهروا عليك وأضحى الحبل للبين واهيا
لعمري لقَبْلَ اليوم حملت ما ترى وأنذرت من لُبنى الذي كنت لاقيا
خليليَّ مالي قد بَلِيتُ ولا أرى لبيني على الهجران الا كما هيا
ألا يا غراب البين مالك كلما ذكرت لبيني طرت لي عن شماليا
أعندك علم الغيب أم لست مُخبري عن الحي الا بالذي قد بدا ليا
جزعت عليها لو أرى ليَ مَجْزَعاً وأفنيت دمع العين لو كان فانيا
حياتك لا تغلي عليهـــا فانه كفى بالذي تلقى لنفسك ما هيا
تمر الليالي والشهور ولا أرى ولوعى بها يزداد الا تماديا
فما عن نوال من لُبينى زيارتي ولا قلة الالمام ان كنت قاليا
ولكنها صدت وحملت من هوى لها ما يؤُود الشامخاتِ الرواسيا

وهذه القصيدة تخلط بقصيدة المجنون التي على وزنها وقافيتها لتشابههما فقلما يتميزان

قال يحيى بن على الكنانى شهر أمر قيس بالمدينة ، وغنى فى شعره الغريض ومعبد ومالك وذووهم ، فلم يبق شريف ولا وضيع الا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس لما به ، وجاء زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها ، وقال قد فضحتني بذكرك ، فغضبت وقالت يا هذا انى والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فيما عندك ولا دلس أمرى عليك ، ولقد علمت أنى كنت زوجته قبلك ، وأنه أكره على طلاقى ، ووالله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه ان ألم بحينا فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل ، فتزوجتك وأمرك الآن اليك ، ففارقني فلا حاجة بى اليك ، فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجوارى المدينة يغنينها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك ، فلا تزداد الا تمادياً وبعداً ولا تزال تبكي كلما سمعت شيئاً من ذلك أحرّ بكاء وأشجاه ، وكانت امرأة من موالى بني زهرة يقال لها بريكة من أظرف النساء وأكرمهن وكان لها زوج من قريش له دار ضيافة ، فلما طالت علة قيس قال له أبوه انى لأعلم أن شفاءك فى القرب من لبنى ، فارحل الى المدينة ، فرحل اليها حتى أتى دار الضيافة التى لزوج بريكة ، فوثب غلمانه الى رحل قيس ليحطوه ، فقال لا تفعلوا فلست نازلاً أو ألقى بريكة فانى قصدتها فى حاجة فان وجدت لها عندها موضعاً نزلت بكم والا رحلت ، فأتوها فأخبروها ، فخرجت اليه ، فسلمت عليه ورحبت به وقالت حاجتك مقضية كائنة ما كانت فانزل ، فنزل ودنا منها فقال أأذكر حاجتى ؟ قالت إن شئت ، قال أنا قيس بن ذريح ، قالت حياك الله وقربك ، ان ذكرك لجديد عندنا فى كل وقت ، قال وحاجتي أن أرى لبنى ولو نظرة واحدة كيف شئت ، قالت ذلك لك ، فنزل بهم وأقام عندها وأخفت أمره ، ثم أهدى لها هدايا كثيرة وقال لاطفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بك ، ففعلت وزارتها مراراً ثم قالت لزوجها أأنت خير من زوجى ؟ قال لا ، قالت أفلبنى خير مني ؟ قال لا ، قالت فما بالي أزورها ولا تزورنى ؟ قال ذلك اليها ، فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها

أن قيساً عندها ، فتسارعت الى ذلك وأتتها ، فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها ، ويسألها فتخبره ثم قالت أنشدني ما قلت في علتك ، فأنشدها قوله

أعالج من نفسي بقايا حُشاشة ... على رَمَق والعائدات تعود
فان ذكرت لُبنى هَشِشت لذكرها ... كما هش للثدى الدَّرور وليد
أجيب بلُبنى من دعاني تجلداً ... وبي زَفَرات تنجلي وتعود
تعيد الى روحي الحياة وانني ... بنفسي لو عاينتني لأجود

وفيها يقول

ألا ليت أياماً مضين تعود ... فان عُدْنَ يوْماً إنني لسعيد
سقى دار لُبنى حيث حلت وخيمت ... من الأرض منهلُّ الغمام رعيد

وتمامها

على كل حال ان دنت أو تباعدت ... فان تَدْنُ منا فالدنو مزيد
فلا اليأس يسليني ولا القرب نافعي ... ولُبنى منوع ما تكاد تجود
كأني من لُبنى سليم مسهَّد ... يظَلّ على أيدى الرجال يَميد
رمتني لُبينى في الفؤاد بسهمها ... وسهم لُبينى للفؤاد صَيود
سلا كل ذي شَجْو علمت مكانه ... وقلبي للُبنى ما حييت ودود
وقائلة قد مات أو هو ميت ... وللنفس مني أن تَفيض رصيد
أعالج من نفسي بقايا حُشاشة ... على رَمَق والعائدات تعود

وعاتبته على تزوجه فحلف أنه لم ينظر اليها ملء عينيه ثم قال

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني ... عَلَق بقلبي من هواك قديم
يبقى على حدث الزمان وريبه ... وعلى جفائك انه لكريم
فصرمته وصَحَحْتِ وهو بدائه ... شتان بين مصحح وسقيم

وأريته زمناً فعـــاذ بحلمه ان المحب عن الحبيب حليم

فلم يزل معها يحدثها ويشكو اليها أعفَّ شكوى وأكرم حديث حتى أمسى فانصرفت ووعدته الرجوع اليه من غد فلم ترجع وشاع خبره فلم ترسل اليه رسولا فكتب هذه الأبيات فى رقعة ودفعها الى بريكة وسألها أن توصلها اليها ورحل متوجهاً الى معاوية والأبيات

بنفسى من قلبي له الدهرَ ذاكر ومن هو عنى معرض القلب صابر

ومن حبه يزداد عندى جِدَّة وحبى لديه مُخْلِق العهـد داثر

ثم ارتحل الى معاوية فدخل الى يزيد فشكا ما به اليه وامتدحه ، فرق له وقال له سل ماشئت ، إن شئت أن أكتب الى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت ، قال لا أريد ذلك ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد وأتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمى ، قال لو سألت هـذا من غير أن ترحل الينا فيه لما وجب أن تمنعه فأقم حيث شئت وأخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء وأحب ولا يعترض عليه أحد وأزال ما كان كتب به فى اهدار دمه ، فقدم الى بلده وبلغ الفرزدق بين خبره والمسامه بلبنى فكاتبوه فى ذلك وعاتبوه ، فقال للرسول قل للفتى (يعنى أخا الجارية التى تزوجهـا) يا أخى ما غررتك من نفسى ولقد أعلمتك انى مشغول عن كل أحد وقد جعلت أمر أختك اليك فأمض فيه من حكمك مارأيت فتكرم الفتى عن أن يفرق بينهما ، فمكثت فى خباء له مدة ثم ماتت

ومن قوله فى لُبنى

اذا ذكرت لبنى تأوه واشتكى تأوه محموم عليه البلابل

يبيت ويُضْحي تحت ظل منية به رَمَق تبكى عليه القبائل

قتيل لُبنى صدع الحب قلبه وفى الحب شغل للمحبين شاغل

وقال ابن أبى عتيق لقيس يوماً أنشدنى أحر ما قلت في لُبنى ، فأنشده

وانى لأهوى النوم فى غير حينه لعل لقاء فى المنـــام يكون
تحـدثني الأحلام أنى أراكم فيا ليت أحلام المنـــام يقين
شهدت بأنى لم أحُلْ عن مودة وأنى بكم لو تعلمين ضـنين
وأن فؤادى لايلين الى هوى سواك وان قالوا بلى سـيلين

فقال ابن أبى عتيق لقل ما رضيت به منها يا قيس ، قال ذلك جهد المقل

وأنشد له أحمد بن يحيى ثعلب وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره

سقى طَلَلَ الدار التى أنتمُ بها حيًّا ثم وَبْلٌ صَيِّب وربيع
مضى زمن والناس يستشفعون بى فهل لى الى لبنى الغداة شفيع
سأصرم لبنى حبلك اليوم مُسجِلا وان كان صَرْم الحبل منك يروع
وسوف أُسلى النفس عنك كماسلا عن البلد النائى البعيـد نزيع
وان مسنى للضر منك كآبة وان نال جسمى للفراق خشوع
يقولون صَبٌّ بالنساء موكل وما ذاك من فعل الرجال بديع
ندمت على ما كان منى ندامة كما ندم المغبون حـين يبيع
فقدتك من نفس شَعَاع ألم أكن نهيتك عن هـذا وأنت جميع
فقربت لي غير القريب وأشرقت هناك ثنايا ما لهن طلوع
الى الله أشكو نية شقت العصا هى اليوم شتى وهى أمسِ جميع
فيا حُجُرات الدار كيف تحملوا بذى سَلَم لا جادكن ربيع
فلولم يَهِجْنى الظاعنون لهـاجنى حمـائم وُرْق فى الديار وقوع
تداعَيْن فاستبكَيْن من كان ذاهوى نوائح لم تَقْطُر لهن دموع
اذا أمرتنى العاذلات بهجرها أبت كبـد عما يقلن صديع
وكيف أطيع العاذلات وذكرها يؤرقنى والعـاذلات هجوع

وقال عبد الملك بن عبد العزيز أنشدت أبا السائب المخزومى قول قيس

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد ... لها مثلاً فى سائر الناس يوصف

فمنهن حب للحبيب ورحمة ... بمعرفتى منه بما يتكلف

ومنهن ألاّ يعرِض الدهرَ ذكرُها ... على القلب إلا كادت النفس تتلف

وحب بدا بالجسم واللون ظاهر ... وحب لدى نفسى من الروح ألطف

فقال أبو السائب لا جرَم والله لأُخلصن له الصفاء ، ولأغضبن لغضبه ، ولأرضين لرضاه

وقصيدة قيس العينية من جيد شعره وهى

عفا سَرِف من أهله فسُراوع ... فجنبا أريك فالتلاع الدوافع (١)

فَعَيْقة فالأخياف أخياف ظبية ... بها من لبنى مَخْرَف ومرابع (٢)

لعل لبنى أن يحل لقاؤها ... ببعض البلاد ان ما حُمَّ واقع (٣)

بجزْع (٤) من الوادى خلاء أنيسه ... عفا وتخطته العيون الخوادع

ولما بدا منها الفراق كما بدا ... بظهر الصفا الصَّلْد الشقوق الشوائع (٥)

تمنيت أن تلقى لُبيناك والمنى ... تعاصيك أحياناً وحيناً تطاوع

وما من حبيب وامق لحبيبه ... ولا ذى هوى إلا له الدهرُ فاجع

وطار غراب البين وانشقت العصا (٦) ... ببَيْن كما شق الأديم الصوانع

ألا ياغراب البين قد طرت بالذي ... أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

---

(١) سرف وسراوع وأريك مواضع والتلاع واحده تلعة وهى مسيل ماء ارتفع من الارض الى بطن الوادى والدوافع جمع دافعة وهى التى تدفع الماء (٢) أخياف ظبية موضع والمخرف الذى يقيم فيه فى الخريف والمربع الموضع الذى يقيم فيه فى الربيع (٣) حم قدر

(٤) جزع الوادى منعطفه والخوادع واحدتها خادعة وهى التى لاتنام (٥) الصفا الصخر والصلد الصلب الذى اذا أصابه شيء صلد أى صوت والشوائع جمع شائعة وهى الظاهرة

(٦) أى تفرقت الجماعة

وانك لو أبلغتها قيلك اسلمى ... طوت حزناً وارفض منها المدامع
أتبكي على لُبنى وأنت تركتها ... وكنت كآت غيَّه وهو طائع
فلا تبكين فى إثر شيء ندامة ... اذا نزعته من يديك النوازع
فليس لأمر حاول الله جمعه ... مُشِتّ ولا ما فرق الله جامع
كأنك لم تَعنَه اذا لم تلاقها ... وان تلقها فالقلب راض وقانع
فياقلب خبرنى اذا شطت النوى ... بلُبنى وصدت عنك ما أنت صانع
أتصبر للبين المُشِتّ مع الجَوَى ... أمَ آنت امرؤ ناسى الحياء فجازع
فما أنا ان بانت لبينى بهاجع ... اذا ما استقلت بالنيام المضاجع
وكيف ينام المرء مستشعر الجوى ... ضجيع الأسى فيه نِكاس روادع (١)
فلا خير فى الدنيا اذا لم تُواتنا ... لُبينى ولم يجمع لنا الشمل جامع
أليست لبينى تحت سقف يُكنُّها ... وايای هذا ان نأت لى نافع
ويلبسنا الليل البهيم اذا دجا (٢) ... ونُبصر ضوء الصبح والفجر ساطع
تَطَا تحت رجليها بساطاً (٣) وبعضه ... أطاه برجلى ليس يطويه مانع
وأفرح أن تُمسى بخير وان يكن ... بها الحدث العادى ترعنى الروائع (٤)
كأنك بِدْع لم تر الناس قبلها ... ولم يطَّلعك الدهر فيما تطالع
فقد كنت أبكى والنوى مطمئنة ... بنا وبكم من علم ما البين صانع
وأهجركم هجر البغيض وحبكم ... على كبدى منه كلوم صوادع
وأعجَل للاشفاق حتى يشُفَّنى ... مخافة شحط الدار والشمل جامع
وأعمِد للارض التى من ورائكم ... لترجعنى يوماً عليك الرواجع

(١) المستشعر الذى لبس الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد والجوى الهوى الباطن والأسى الحزن ونكاس جمع نكس بالضم وروادع جمع رادعة وهى التى تردعه عن الحركة والتعرف (٢) دجا ألبس بظلمته كل شيء (٣) البساط الارض الواسعة
(٤) ترعنى تفزعنى

فيا قلب صبراً واعترافاً لما ترى ... ويا حبها قَعْ بالذى أنت واقع
لعمرى من أمسى وأنت ضجيعه ... من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
ألا تلك لُبنى قد تراخى مزارها ... وللبين غم ما يزال ينازع
اذا لم يكن الا الجوى فكفى به ... جوى حُرَق قد ضُمِّنتها الأضالع
أبائنة لبنى ولم تقطع المدى ... بوصل ولا صرم فييأس طامع
يظلّ نهار الواهين نهاره ... وتَهدِنُه[1] فى النائمين المضاجع
سواي فليلى من نهارى وانما ... تقسّم بين الهالكين المصارع
ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى ... لما حملته بينهن الأضالع
له وَجَبات[2] إثر لُبنى كأنها ... شقائق برق فى السحاب لوامع
نهارى نهار الناس حتى اذا دجا ... لى الليل هزتنى اليك المضاجع
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ... ويجمعنى والهم بالليل جامع
وقد نشأت فى القلب منك مودة ... كما نشأت فى الراحتين الأصابع
أبى الله أن يلقى الرشاد متيم ... ألا كل أمر حُمَّ لا بد واقع
هما بَرّحابى مُعْوِلَين كلاهما ... فؤاد وعين ماقُها[3] الدهرَ واسع
اذا نحن أنقدنا البكاء عشية ... فموعدنا قَرْن من الشمس طالع
وللحب آيات تبيّن بالفتى ... شحوب وتعرَى من يديه الأشاجع[4]
وما كل ما منتك نفسك خالياً ... تلاقى ولا كل الهوى أنت تابع
تداعت له الأحزان من كل وجهة ... فحن كما حن الظُّؤار السواجع[5]
وجانب قرب الناس يخلو بهمه ... وعاوده فيها هُيام مراجع

(١) تهدنه تسكته (٢) وجبات خفقات (٣) المأق من العين الجانب الذى يلى الانف
(٤) الاشاجع عروق ظاهر الكف (٥) الظؤار جمع ظئر وهى التى عطفت على ولد غيرها والسواجع جمع ساجعة وهى التى تمد حنينها على جهة واحدة

أراك اجتنبت الحي من غير بغضة ولو شئت لم يجنح اليك الأصابع
كأن بلاد الله ما لم تكن بها وان كان فيها الخلق قفر بلاقع
ألا انما أبكي لمـــا هو واقع وهل جزع من وشك بينك نافع
أحال عليَّ الهم من كل جانب ودامت ولم تقلع على الفواجع
فمن كان محزوناً غـداً لفراقنا فإنا الآن فليبكى لمـــا هو واقع
فليس محب دائماً لحبيبـــه ولا ثقة الا له الدهر فاجع

ذكر أكثر الرواة أن قيساً ولُبنى ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال انه مات قبلها فبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه ، ومنهم من قال بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها ، وقيل خرج ومعه جماعة من أهله ، فوقف على قبرها فقال

ماتت لُبينى فموتهـا موتى هل تنفعن حسرتى على الفوت
وسوف أبكى بكاء مكتئب قضى حياة وجداً على ميت

ثم أكب على القبر حتى أغمى عليه ، فرفعه أهله الى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلماً ثلاثاً حتى مات ، فدفن الى جنبها

مطيع بن إياس

هو مطيع بن إياس الديلى الكنانى من الديل بن بكر يكنى أبا سلمى شاعر من مخضرمى الدولتين الأُموية والعباسية وليس من فحول الشعراء فى تلك ، ولكنه كان ظريفاً خليعاً ، حلو العشرة ، مليح النادرة ماجناً متهماً فى دينه بالزندقة ، ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف فى وقت قتاله ابن الزبير وابن الأشعث ، فأقام بالكوفة وتزوج بها ، فولد له مطيع ، كان منقطعاً الى الوليد بن يزيد بن عبد الملك ومتصرفاً بعده فى دولتهم ومع أوليائهم وعمالهم وأقاربهم لا يكسد عند

أحد منهم ، ثم انقطع فى الدولة العباسية الى جعفر بن أبى جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات ، ولم أسمع له مع أحد منهم خبراً الا حكاية بوفوده على سليمان بن علي ، وأنه ولاه عملا وأحسبه مات فى تلك الأيام

ومن قوله وفيه غناء وكان الوليد بن يزيد يستحسنه

إ كليلها ألوان ووجهها فتّان
وخالها فريدٌ ليس لها جيران
اذا مشت تَثَنَّت كأنها ثعبان
قد جُدِّلت فجاءت كانها عِنان

كان مطيع ويحيى بن زياد والحارثى وابن المقفع ووالبة بن الحُباب يتنادمون ، ولا يفترقون ، ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك ، وكانوا جميعاً يرمَوْن بالزندقة

ومن قول مطيع يرثى يحيى بن زياد

يا أهل بكُّو لقلبي القَرِح وللدموع الذوارف السُّفُح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الأقدار لم يبتكر ولم يَرُح
ياخير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمسى للمدح

مرَّ مطيع بالرصافة فنظر الى جارية قد خرجت من قصر الرصافة كأنها الشمس حسناً وحواليها وصائف يرفعن أذيالها ، فوقف ينظر اليها الى أن غابت عنه ، ثم التفت الى رجل كان معه وهو يقول

لما خرجن من الرُّصا فة كالتماثيل الحسانِ
يَحْفُفْن أحور كالغزا ل يميس في جَدَل العِنان
قطعن قلبى حسرة وتقسما بين الأمانى
ويلي على تلك الشما ئل واللطيف من المعانى

يا طول حرّ صبابتي بين الغوانى والقيان

رحل مطيع الى هشام بن عمرو وهو بالسِّند مستميحاً له ، فلما رأته ابنته قد صح العزم على الرحيل بكت ، فقال لها

اسكتى قد حززت بالدمع قلبى طالما حز دمعكن القلوبا
دَعى أن تقطعى الآن قلبى وتُرِيني فى رحلتى تعذيبا
فعسى الله أن يدافع عني رَيْب ما تحذرين حتى أؤبا
ليس شيء يشاؤه ذو المعالى بعزيز عليه فادعى المجيبا
أنا فى قبضة الاله اذا ما كنت بعيداً أو كنت منك قريبا

مدح مطيع الغمر بن يزيد بقصيدته التى يقول فيها

لا تَلْحَ قلبك فى شقائه ودع المتيم فى بلائه
كفكف دموعك أن تفيض بناظر غَرِق بمائه
ودع النسيب وذكره فبحسب مثلك من عَنائه
كم لذة قد نلتها ونعيم عيش فى بهائه
بنواعم شبه الدُّمَى والليل فى ثِنْيَى عمائه
واذكر فتى بيمينه حَتْفُ الزمان لدى التوائه
واذا أميّة حصلت كان المهذب فى انتمائه
واذا الأمور تفاقمت عِظَماً فمصدرها برائه
واذا أردت مديحه لم يُكْدِ قولُك فى بنائه
فى وجهه علم الهدى والمجد في عِطْفَي ردائه

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سنية ، وحركته ورفعت من ذكره ثم وصله بأخيه الوليد فكان من ندمائه

وقال يستعطف يحيى بن زياد فى هجرة كانت بينهما وتباعد

يا مسمى باسم النبي الذى خص به الله عبده زكريا
فدعاه الاله يحيى ولم يجعل له الله قبل ذاك سميا
كن بصب أمسى بحبك برا ان يحيى كان برا تقيا

وقال يرثيه بعد وفاته

قد مضى يحيى وغودرت فردا نصب ما سر عيون الأعادى
وأرى عينى مذ غاب يحيى بدلت من نومها بالسهاد
وسدته الكف مني تراباً ولقد أرثى له من وساد
بين جيران أقاموا صموتاً لا يحيرون جواب المنادي
أيها المزن الذى جاد حتى أعشبت منه متون البوادى
اسق قبراً فيه يحيى فانى لك بالشكر مواف مغاد

وفد مطيع الى يزيد بن جرير بن خالد بن عبد الله القسرى وقد مدحه بقصيدته

أمن آل ليلى عزمت البكورا ولم تلق ليلي فتشفى الضميرا
وقد كنت دهرك فيما خلا لليلى وجارات ليلى زؤرا
ليالىَ أنت بها معجب تهيم اليها وتعصى الأميرا
واذ هى حوراء شبه الغزال تبصر فى الطرف منها فتورا
تقول ابنتي اذ رأت حالتى وقربتُ للبين عنساً وكورا
الى من أراك وقتك الحتو فَ نفسى تجشمت هذا المسيرا
فقلت الى البجلىّ الذى يفك العناة ويغنى الفقيرا
أخى العرف أشبه عند الندى وحملِ المئين أباه جريرا
عشير الندى ليس يرضى الندى يدَ الدهر بعد جرير عشيرا
اذا استكثر المجتدون القليل للمعتفين استقل الكثيرا
اذا أعسر الخير في المجتدين كان لديه عتيداً يسيرا

رليس بمانع ذى حاجة ولا خاذل من أتى مستجيرا
فنفسى وقتك أبا خالد اذا ما الكماة أغاروا النمورا
الى ابن يزيد أبى خالد أخى العرف أعملتها عَيْسجورا[1]
لنلقى فواضل من كفه فصادفت منه نوالا غزيرا
فان يكن الشكر حسن الثنا ء بالعرف مني تجدنى شكورا
بصيراً بما يستلذ الرُّوا ة من مُحْكَم الشعرحتى يسيرا

فلما بلغ يزيد خبره دعا به ليلا ، ولم يعلم أحداً بحضوره ، ثم قال له قد عرفت خبرك وانى متعجل لك جائزتك ساعتى هذه فاذا حضرت غداً فانى سأخاطبك مخاطبة فيها جفاء وأزودك بنفقة طريقك وأصرفك لئلا يبلغ أبا جعفر خبرى فيهلكني فأمر له بمائتي دينار ، فلما أصبح أتاه فاستأذنه في الانشاد ، فقال له ياهذا لقد رميت بآمالك غير مرمى ، وفى أى شىء أنا حتى ينتجعني الشعراء ؟ لقد أسأت إلىّ لأنى لا أستطيع تبليغك محابك ولا آمن سخطك وذمك ، فقال له تسمع ماقلت فانى أقبل ميسورك وأبسط عذرك ، فاستمع منه كالمتكلف المتكره فلما فرغ قال لغلامه كم مبلغ ما بقى من نفقتنا ؟ قال ثلثمائة درهم ، قال أعطه مائة لنفقة طريقه ومائة ينصرف بها الى أهله واحتبس لنفقتنا مائة درهم ، ففعل الغلام ذلك. وانصرف مطيع عنه شاكراً ولم يعرف أبو جعفر خبره

ومن قوله

خليلى مُخلف أبدا يمنيني غداً فغدا
و بعد غد و بعد غد كذا لا ينقضى أبدا
له جمر على كبدى اذا حركته وَقَدا
وليس بلابث جمر الـ ـغضى أن يحرق الكبدا

(١) الناقة السريعة القوية

سكر مطيع ليلة فعربد على يحيى بن زياد فهجره يحيى وحلف ألا يكلمه أبداً فكتب اليه مطيع

إن تصلني فمثلك اليوم يُرْجَى عفوه الذنب عن أخيه ووصلهُ
ولئن كنت قد هَمَمت بهجرى للذى قد فعلت انى لأهلهُ
وأحق الرجال أن يغفر الذنـــب لاخوانه الموفَّرُ عقـله
الكريم الذى له الحسب الثا قب فى قومه ومن طاب أصله
ولئن كنت لا تصاحب إلا صاحباً لا يزَلّ ما عاش فعله
لا تجـده وان جَهِدْت وانى بالذى لايكاد يوجد مثـــله
انما صاحبى الذى يغفر الذنـــب ويكفيه من أخيه أقله
الذى يحفظ القديم من العهـــد وان زَلّ صاحب قلّ عذْله
ورعى ما مضي من العهد منه حين يودى من الجهالة جهله
ليس من يظهر المودة افكا واذا قال خالف القولَ فعله
وصـــله للصديق يوماً فان طا ل فيومان ثم يَنْبَتّ حبـله

فصالحه يحيى وعاد لعشرته

وقال أيضاً فى ذلك

كنت ويحيى كيد واحدة نَرمى جميعاً ونرامى معا
إن عضني الدهر فقد عضه يوجعنا ما بعضنا أوجعا
أو نام نامت أعين أربع منا وان أسهر فلن يَهْجعا
يسرنى الدهر اذا سره وان رماه فلنـــا فجعا
حتى اذا ما الشيب فى مفْرَقى لاح وفى عارضه أسرعا
سعى وشـاة فمشَوْا بيننا وكاد حبل الود أن يقطعا
فلم أَلُمْ يحيى على فعـله ولم أقل ملَّ ولا ضـيعا

لكن أعداء لنا لم يكن شيطانهم يرى بنا مطمعا
بينا كذا غاش على غرّة فأوقد النيران مستجمعا
فلم يزل يوقده دائباً حتى اذا ما اضطرمت أقلعا

دعا مطيع صديقاً له من أهل بغداد الى بستان له بالكرخ يقال له بستان صباح فأقام معه ثلاثة أيام في فتيان من أهل الكرخ فكتب مطيع الى يحيي بن زياد الحارثى يخبره بأمره و يتشوقه قال

كم ليلة بالكرخ قد بتها جذلان فى بستان صباح
فى مجلس تنفح أرواحه ياطيبها من ريح وأرواح
يدير كأساً فاذا ما دنت حفّت بأكواب وأقداح
في فتية بيض بهاليل ما ان لهم فى الناس من لاح
لم يهنني ذاك لفقد امرىء أبيض مثل البدر وضاح
كأنما يشرق من وجهه اذا بدالي ضوء مصباح

فلما قرأ يحيى هذه الأبيات قام من وقته فركب اليهم وحمل اليهم ما يصلحهم من طعام وشراب وفاكهة فأقاموا فيه أياماً على قصفهم حتى ملّوا ثم انصرفوا

اجتمع حماد الراوية ومطيع ويحيي بن زياد وحكم الوادى يوماً على شراب لهم فى بستان بالكوفة وذلك فى زمن الربيع ودعوا جوهر المغنية فقال مطيع فى ذلك

خرجنا نمتطى الزهرا ونجعل سقفنا الشجرا
ونشربها معتقة تخال بكأسها شررا
وجوهر عندنا تحكى بدارة وجهها القمرا
يزيدك وجهها حسناً اذا ما زدته نظرا
وجوهر قد رأيناها فلم نر مثلها بشرا

مدح مطيع معن بن زائدة بقصيدته التى أولها

أهلا وسهلا بسيد العرب ذى الغُرر الواضحات والنجب
فتى نِزار وكهلها وأخى الـــجود حوى عانيه من كَثَب
قيل أتاكم أبو الوليد فقا ل الناس طراً فى السهل والرحب
أبو العُفاة الذى يلوذ به من كان ذا رغبة وذا رَهَب
جاء الذى تفرج الهموم به حين يُلَزُّ الوَضين بالحَقَب
جاء وجاء المضاء يقدُمه رأى اذا هم غير مؤتشب
شهم اذا الحرب شب دائرها أعادها عودة على القطب
يطفىء نيرانها ويوقدها اذا خبت نارها بلا حطب
الا بوقع المذكَّرات يُشَبَّـــهْنَ اذا ما انتُضين بالشهب
لم أر قِرْنا له يبارزه الا أراه كالصقر والخرب
ليث بخفّان قد حمى أَجَما فصار منها فى منزل أَشِب
شبلاه قد أدَّبا به فهما من شبهه فى جد وفى لعب
قد ومقا شكله وسيرته وأحكما منه أكرم الأدب
نعم الفتى تُقرن الصعاب به عند تجافى الخصوم للرُّكَب
ونعم ما ليلة الشتاء اذا اســـتنبح كلب القرى فلم يُجَب
لا نعم عنـــده مخالفة مثل اختلاف الصَّعود والصَّبب
يحضره لا فلا يهم بهـا ومنه تُضحى نَعَمْ على أَرَب
ترى له الحلم والنهى خلقاً فى صولة مثل جاحم اللهب
سيف الامامين ذاك وذا اذا قـل بناء الوفاء والحسب
ذا هَوادة لا تخاف نَبْوتها ودينه لا يشاب بالريب

فلما سمعها معن قال ان شئت مدحناك كما مدحتنا وان شئت أثبناك ، فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج الى الثواب فأنشأ يقول

ثناء من أمير خير كسب لصاحب فاقة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى ومامثل الدراهم من دواء

فضحك معن وقال لقد لطفت حتى تخلصت منها ، صدقت لعمرى ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بثلاثين الف درهم وخلع عليه وحمله

ومن شعره فى ابنة أحد الدهاقين كان يهواها وفارقها

أسعدانى يانخلتى حُلْوان وابكيالي من رَيْب هذا الزمان
واعلما أن ريبه لم يزل يفْـ ـرُق بين الأُلاَّف والجيران
ولَعمرى لو ذقتما ألم الفر قة قد أبكا كما الذى أبكانى
أسعدانى وأيقنا أن نحساً سوف يلقا كما فتفترقان
كم رمتني صروف هذى الليالى بفراق الأحباب والخلان
غير أنى لم تلق نفسى كما لاقيـ ـت من فرقة ابنة الدَّهقان
جارة لى بالرَّيّ تذهب همى ويسلى دنوها أحزانى
فجعتني الأيام أغبط ما كنـ ـت بصدع للبين غير مُدان
وبرغمي أن أصبحت لا تراها العـ ـين منى وأصبحت لا ترانى
ان تكن ودعت فقد تركت بى لَهَباً فى الضمير ليس بوان
كحريق الضِّراب فى قصب الغا ب رمته ريحان مختلفان
فعليك السلام ماساغ سلا ما عقلى وفاض لسانى

ومما يغني فيه من شعره

ألا ان أهل الدار قد ودعوا الدارا وقد كان أهل الدار فى الدار أجوارا
يبكى على إثر الجميع فلا يرى سوى نفسه فيها من القوم ديارا

وصف رجل مطيعاً فقال لا يصبر عنه العاقل اذا رآه ، ولا يصحبه أحد الا فتضح ، ووصفه آخر فقال كان اذا حضر ملك واذا غاب عنك شاقك واذا عرفت بصحبته فضحك

قدم مطيع من سفر فقدم بالرغائب ، فاجتمع هو وحماد عجرد بصديقته ظبية الوادى ، وكان مطيع قد أعطى صاحبته من طرائف ما أفاد ، فلما جلسوا يشربون غنت ظبية الوادى

أظن خليلي غدوة سيسير ... وربى على ألا يسير قدير
عجبت لمن أمسى محباً ولم يكن ... له كفن فى بيته وسرير

فما فرغت من الصوت حتى غنت صاحبة مطيع

ما أبالي اذا النوى قربتهم ... ودنونا من حل منهم وسارا

فجعل مطيع يضحك وحماد يشتمها

كان لمطيع صديق يقال له عمر بن سعيد فعاتبه فى أمر قينة يقال لها مكنونة كان مطيع يهواها حتى اشتهر بها ، وقال له ان قومك يشكونك ويقولون انك تفضحهم بشهرتك نفسك بهذه المرأة ، وقد لحقهم العيب والعار من أجلها ، فأنشأ مطيع يقول

قد لامني فى حبيبتى عمر ... واللوم فى غير كنهه ضجر
قال أفق ، قلت لا ، فقال بلى ... قد شاع فى الناس عنكما الخبر
قلت قد شاع فاعتذاري مما ... ليس لي فيه عندهم عذر
عجز لعمرى وليس ينفعني ... فكفَّ عنى العتاب ياعمر
وارجع اليهم وقل لهم قد أبى ... وقل لي لا أفيق فانتحروا
أعشق وحدى فيؤخذون به ... كالترك تغزو فيقتل الخزر

كان المنصور يريد البيعة للمهدى وكان ابنه جعفر يعترض عليه فى ذلك ، فأمر باحضار الناس ، فحضروا وقامت الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء فأكثرت فى وصف المهدى وفضائله وفيهم مطيع ، فلما نوع من كلامه فى الخطباء وإنشاده فى الشعراء قال يا أمير المؤمنين حدثني فلان عن فلان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال

المهدى منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك ، ثم أقبل على العباس فقال له أنشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال نعم مخافة من المنصور ، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدى ، ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لا يأنس به قال أرأيتم هذا الزنديق اذ كذب على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى استشهدنى على كذبه ، فشهدت له خوفاً وشهد كل من حضر علىَّ بأنى كاذب ، وبلغ الخبر جعفر بن أبى جعفر وكان مطيع منقطعاً اليه يخدمه ، فخافه وطرده عن خدمته

كان مطيع مع اخوان له على نبيذ وعندهم قينة تغنيهم ، فأومأ اليها مطيع بقبلة فقالت له تراب ، فقال

ان قلبي قد تصابى بعد ما كان أنابا
ورماه الحب منه بسهام فأصابا
قد دهاه شادن يلـ بس فى الجيد سخابا
فهو بدر فى نقاب فاذا ألقى النقابا
قلت شمس يوم دَجْن حسرت عنها السحابا
أحضر الناس بما أكـ رهه منه جوابا
فاذا قلت أنلني قبلة قال ترابا

كان أبو دهمان صديقاً لمطيع وكان يظهر للناس تألهاً ومروءة وسمتاً حسناً وكان ربما دعا مطيعاً ليلة من الليالي أن يصير اليه ، ثم قطعه عنه شغل ، وجاء مطيع فلم يجده ، فلما كان من الغد جلس مطيع مع أصحابه فأنشدهم فيه

ويلي ممن جفانى وحبه قد برانى
أغرّ كالبدر تعشى بحسنه العينان
جارى لا تعذلانى فى حبه ودعانى

فرب يوم قصير في جوسق وجنان
بالراح فيه يحيا والقصف والريحان
وعندنا قينتان وجهاهما حسنان
عوداهما غردان كأنما ينطقان
وعندنا صاحبان للدهر لا يخضعان
فكنت أول حام وأول السرعان
في فتية غير ميل عند اختلاف الطعان
من كل خوف مخيف في السر والاعلان
جمال كل عظيم يضيق عنه اليدان
وان ألح زمان لم يستكن للزمان
فزال ذاك جميعاً وكل شيء فان
من عاذري من خليل موافق مكذان
مداهن متوان يكني أبا دهمان
متى يعدك لقاء فالنجم والفرقدان
وليس يعتم الا سكران مع سكران
يسقيه كل غلام كأنه غصن بان
من خندريس عقار كحمرة الأرجوان

فلقيه بعد ذلك أبو دهمان فقال عليك لعنة الله فضحتني وهتفت بي وأذعت سري لا أكلمك أبداً ولا أعاشرك ما بقيت فما تفرق بين صديقك وعدوك

قال علي بن القاسم كنت آلف مطيع بن إياس وكان جاري وعنفني في عشرته جماعة وقالوا لي انه زنديق ، فأخبرته بذلك ، فقال وهل سمعت مني أو رأيت شيئاً يدل على ذلك ؟ أو هل وجدتني أخل بالفرائض من صلاة أو صوم ؟ فقلت والله

ما اتهمتك ولكني أخبرتك بما قالوا واستحييت منه ، فعجل على السكر ذات يوم في منزله ، فنمت عنده ومطرنا في جوف الليل وهو معي ، فصاح بي مرتين أو ثلاثاً فعلمت أنه يريد أن يصطبح فكسلت أن أجيبه ، فلما تيقن أني نائم جعل يردد على نفسه بيتاً قاله وهو

أصبحت جمّ بلابل الصدر عصراً أكاتمه الى عصر

فقلت في نفسي هذا يعمل شعراً في فن من الفنون فأضاف اليه بيتاً ثانياً وهو

ان بحت طُلّ دمي وان تركت وَقَدت عليّ توقد الجمر

فقلت في نفسي ظفرت بمطيع فتنحنحت ، فقال لي أما ترى هذا المطر وطيبه ؟ اقعد بنا حتى نشرب أقداحاً ، فاغتنمت ذلك ، فلما شربنا أقداحاً قلت له زعمتُ أنك زنديق ، قال وما الذي صح عندك أني زنديق ؟ قلت قولك « وأنشدته البيتين » فقال لي وكيف حفظت البيتين ولم تحفظ الثالث ؟ قلت والله ما سمعت معهما ثالثاً ، فقال بلى قد قلت ثالثاً ، قلت فما هو ؟ قال

ما جناه على أبي حسن عمر وصاحبه أبو بكر

كان مطيع نازلاً بكرخ بغداد وكان بها رجل يقال له الفهمي مغن محسن ، فدعاه مطيع ودعا بجماعة من اخوانه ، وكتب الى يحيى بن زياد يدعوه بهذه الأبيات

عندنا الفهمي مسرور وزمّار مجيد
ومعاذ وعياذ وعمير وسعيد
ونَدامى يُعملون القَلْز[1] والقَلْز شديد
بعضهم ريحان بعض فهمُ مسك وعود
غابت الأنحس عنهم وتلقتهم سعود
فترى القوم جلوساً والخنا عنهم بعيد

(١) القلز نوع من الشراب

ومطيع بن إياس فهو بالقصف وليد
وعلى كر الجديديـــن وما حل جليد

فأتاه يحيى فأقام عنده وشرب معهم ، وبلغت الأبيات المهدى فضحك لما بيعت جوهر التى كان مطيع يشبب بها قال

صاح غراب البين بالبين فكمدت أنشق بنصفين
قد صارلي خِدْنان من بعدها هم وغم شر خِـدْنين
أفدى التى لم ألق من بعدها أنساً وكانت قرة العين
أصبحت أشكو فرقة البين لما رأت فرقتهم عيني

كان مطيع يهوى جارية يقال لها ريم وقال فيها

ويوم ببغداد نعمنا صباحه على وجه حمراء المدامع تُطْرِب
ببيت ترى فيـه الزجاج كأنه نجوم الدُّجَى بين الندامى تَقَلَّب
يصرف ساقينا ويقطُب تارة فياطيبها مقطوبة حين يقطُب
علينا سحيق الزعفران وفوقنا أكاليل فيها الياسمين المذهب
فمازلت أسقى بين صنج ومِزْهر من الراح حتى كادت الشمس تغرب

وفيها يقول

يا ريم قد أتلفت روحى فما منها معى الا القليل الحقير
هل لك فى أجر تجازَىْ به فى عاشق يرضيه منك اليسير
يقبل ما جـدت به طائعاً وهو ان قل لديه كثير
لعمرىَ من أنتِ له صاحب ماغاب عنه فى الحياة السرور

وفيها يقول

يا ريم يا قاتلـــتي ان لم تجودى فمِدى
بيضت بالمَطْل وإخلا فك وعدي كبـدى

حالفت عيني سهدى وما بهـا من رمد
يا ليتني فى الأحـد أبليت مني جسدى
لمن به من شقوتى أخذت حتفي بيدى

ولمطيع فى جوهر

يا بأبى وجهك من بينهم فانه أحسن ما أبصر
يا بأبى وجهك من رائع بشبهه البدر اذا يزهر
جارية أحسن من حليها والحلى فيه الدر والجوهر
وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
جاءت بها بربر مكنونة يا حبـذا ما جلبت بربر
كأن في ريقتها قهوة صب عليها بارد أسمر

ومن قول مطيع

واهاً لشخص رجوت نائله حتى انثنى لي بوده صلفا
لانت حواشيه وأطمعني حتى اذا قلت نلته انصرفا

قال رجل من أهل الشام كنت يوماً نازلا بدير كعب وقد قدمت من سفر فاذا أنا برجل قد نزل الدير معه ثقـل وآلة وعَيْبَة ، فكان قريباً من موضعى فدعا بطعام فأكل ودعا الراهب فوهب له دينارين واذا بينه وبينه صداقة ، فأخرج له شراباً فجلس يشرب ومعه الراهب اذ دخل الدير رجل فجلس معهما فقطع حديثهما وثقل فى مجلسه وكان غَثَّ الحديث فأطال ، فجاءنى بعض غلمان الرجـل النازل فسألته عنه فقال هذا مطيع بن إياس ، فلما قام الرجل وخرج كتب مطيع على الحائط شيئاً وجعل يشرب حتى سكر ، فلما كان من غد رحل فجئت موضعه فاذا فيه مكتوب

طربة ما طربت فى دير كعب كدت أقضى من طربتى فيه نحبى
وتذكـرت اخوة ندماء لي فهاج البكاء تذكارُ صحبى

حين غابوا شتّى وأصبحت فرداً ونأوْا بين شرق أرض وغرب
وهمُ ما همُ فحسبي لا أبـــغي بديلا بهم لعمرك حسبي
أيهـــا الداخل الثقيل علينا حين طاب الحديث لي ولصحبي
خفّ عنـا فأنت أثقل واللّـــه علينا من فرسخي دير كعب
ومن النـاس من يخف ومنهم كرحى البزر ركبت فوق قلبي

ومن قوله فى صديق له فارقه

أيا ويحه لا الصبر يملك قلبه فيصبر لمـــا قيل سار محمد
فلا الحزن يفنيه ففى الموت راحة فحتى متى في جهـده يتجلد
وذا ضحى صرعاً باديات عظامه سوى أن روحاً بينها تتردد
كئيباً يمنى نفسه بلقـــائه على نأيه والله بالحزن يشهد
يقول لها صبراً عسى اليوم آئب بالفك أو جاء بطلعته الغد
وكنت يداً كانت بها الدهر قوتى فأصبحت مضنى منذ فارقنى اليد

ومن قوله

طبيبيَّ داويا ظاهـراً فمن ذا يداوى جوَى باطنا
فقوما اكويانى ولا ترحمـا من الكى مستحصفاً راصنا
ومرّا على منزل بالغُمَيـــم فانى عهدت به شادنا
فتور القيام رخيم الكلام كان فؤادى به راهنـا

بلغ مطيعاً أن حمـاد عجرد عاب شعراً ليحيى بن زياد قاله فى منقذ بن بدر الهلالى فأجابه منقذ عنه بجواب ، فاستخفهما عجرد وطعن عليهما فقال فيه مطيع

أيهـا الشاعر الذى عاب يحيى ومنقذا
أنت لو كنت شاعراً لم تقل فيهما كذا
لستَ والله فاعلمن لدى النقد جهبذا

تعدل الصبر بالرضا وتشيب الصفو بالقذى

قال أبو منيع الأحدب كنت جالساً مع مطيع بن اياس فمرت بنا مكنونة جارية المروانية وكان مطيع وأصحابنا يألفونها فلم تسلم وعبث بها مطيع فشتمته فالتفت إليّ وأنشأ يقول

فديت من مرَّ بنا يوماً ولم يتكلم
وكان فيما خلا منه كلما مرَّ سلم
وان رآنيَ حيا بطرفه وتبسم
لقد تبدل فيما أظن والله أعلم
فليت شعريَ ماذا عليَّ فى الود ينقِم
يا رب انك تعلم انى بمكنونَ مُغرم
وأننى فى هواها ألقى الهوان وأعظم
يا لائمى فى هواها احفظ لسانك تسلم
واعلم بأنك مهما أكرمت نفسك تُكرم
ان الملول اذا ما مل الوصال تجرم
أولى فما لي أُجفَى من غير ذنب وأحرم

كان مطيع يألف جوارى بربر ويألف منهن جاريتها المسماة جوهر وفيها يقول

خافي الله يا بربر لقد أفتنت ذا العسكر
اذا ما أقبلت جوهر يفوح المسك والعنبر
وجوهر درة الغوا ص من يملكُها يجبر
أما والله يا جوهر لقد فقت على الجوهر
لها ثغر حكى الدر وعينا رشأ أحور
فلا والله ما المهدى أولى منك بالمنبر

فان شئت ففى كفيـــك خلع ابن أبى جعفر

وفيها يقول

أنت ياجوهر عندى جوهرة فى قيـاس الدرر المشتهرة
أو كشمس أشرقت فى بيتها قذفت فى كل قلب شررة
وكأنى ذائق من فمهـا كلما قبلت فاها سكرة

وبيعت جوهرة فاشترتهـا امرأة هاشمية من ولد سليمان بن على كانت تغني بالبصرة وأخرجتها فقال مطيع فيها

لاتبعُدِيـــى ياجوهر عنا وان شط المزارُ
ويلى لقد بعدت ديا رك سلمت تلك الديار
يشفى بريقتها السقا م كأن ريقتها العُقار
بيضاء واضحة الجبيـــن كأن غرتها نهار
القلب قلبى وهو عنـــد الهـاشمية مستعار

دعا مطيعاً صديق له الى بستان بكَلْوَاذَى ، فمضى اليها فلم يستطبها فقال يهجوها

بلد تمطر التراب على النا س كما تمطر السماء الرَّذاذا
واذا ما أعاذ ربى بلاداً من خراب كبعض ماقد أعاذا
خربت عاجلا ولا أمهلت يو ماً ولا كان أهلها كلْوَاذَى

جلس مطيع فى العلة التى مات فيها فى قبة خضراء وهو على فرش أخضر فقال له الطبيب أى شيء تشتهى اليوم ؟ قال أشتهى ألا أموت ، ومات فى علته هـذه وذلك بعد ثلاثة أشهر مضت من خلافة الهادى

شعراء هذيل

أبو صخر الهذلي

هو عبد الله بن سلم السهمى أحد بني مرمض من هُذَيل

شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأُموية وكان موالياً لبني مروان متعصباً لهم ، وله فى عبد الملك بن مَرْوان مدائح وفى أخيه عبد العزيز وعبد العزيز بن خالد بن أسيد ، وحبسه ابن الزبير الى أن قتل

لما ظهر عبد الله بن الزبير بالحجاز وغلب عليها بعد موت يزيد بن معاوية ، وتشاغل بنو أمية بالحرب بينهم فى مَرْج راهط وغيره دخل عليه أبو صخر الهذلي فى هُذَيل وقد جاؤه ليقبضوا عطاءهم ، وكان عارفاً بهواه فى بنى أمية ، فمنعه عطاءه ، فقال علام تمنعني حقاً لي وأنا امرؤ مسلم ما أحدثت فى الاسلام حدثاً ولا أخرجت من طاعة يداً ، قال عليك بنى أمية فاطلب عندهم عطاءك ، قال إذاً أجدهم سِباطاً أكفهم سمحة أنفسهم بذلاء لأموالهم ، وهابين لمجتديهم كريمة أعراقهم ، شريفة أصولهم زاكية فروعهم ، قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبهم وسببهم ، ليسوا اذا نسبوا بأذناب ولا وشائظ ولا أتباع ، ولا هم فى قريش كفقعة القاع ، لهم السودد فى الجاهلية والملك فى الاسلام ، لا كمن لا يعد فى عِيرها ولا نفيرها ، ولا حكم آباؤه فى نَفيرها وقطميرها ، ليس من أحلافها المطيبين ، ولا من سادتها المطعمين ، ولا من جودائها الوهابين ، ولا من هاشمها المنتخبين ، ولا عبد شمسها المسودين ، وكيف تقاتل الرءوس بالأذناب ؟ وأين النصل من الجفن والسنان من الزُّجّ والذُّنابَى من القُدَامَى ؟ وكيف يفضل الشحيح على الجواد والسوقة على الملك ،

والجامع بخلاً على المطعم فضلاً ، فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه وعرق جبينه ، واهتزّ من قرنه الى قدمه ، وامتقع لونه ، ثم قال له يا ابن البوالة على عقبيها ويا جلف يا جاهل أما والله لولا الحرمات الثلاث حرمة الاسلام وحرمة الحرم وحرمة الشهر الحرام لأخذت الذى فيه عيناك ، ثم أمر به الى سجن عارم ، فحبس به مدة ، ثم استوهبته هذيل ومن له من قريش خؤلة فى هذيل ، فأطلقه بعد سنة وأقسم ألاّ يعطيه عطاء مع المسلمين أبداً ، فلما كان عام الجماعة وولي عبد الملك وحج لقيه أبو صخر ، فلما رآه عبد الملك قربه وأدناه وقال له انه لم يَخْفَ عليَّ خبرك ولا ضاع لك عندي هواك ولا موالاتك ، فقال اذ شفى الله منه نفسى ورأيته قتيل سيفك وصريع أوليائك مصلوباً مهتوك الستر مفرق الجمع فما أبالي ما فاتني من الدنيا ، ثم استأذنه فى الانشاد ، فأذن له ، فمثل بين يديه قائماً وأنشأ يقول

عفت ذا عرق عُصْلها [١] فرِئامها ... فضَحْياؤها وحش قداً جْلَى سوامُها
على أن مرْسَى خيمة خف أهلها ... بأبطح محلال [٢] وهيهات عامها
اذا اعتلجت فيها الرياح وأدرجت ... عشياً جرى فى جانبيها قُمامها [٣]
فان معاجى للخيام وموقفى ... برابية البَنْدين [٤] بال ثُمامها
لَجهل ولكني أسلى ضَمانة ... يضَعِّف أسرارَ الفؤاد سقامها
فأقصر فلا ما قد مضى لك راجع ... ولا لذة الدنيا يدوم دوامها
وفدِّ أمير المؤمنين الذى رمى ... بجأواء [٥] جُمهور تمور إكامها
من أرض قرى الزيتون مكة [٦] بعدما ... غُلبنا عليها واستُحِلّ حرامها

(١) عصل ورئام وضحياء مواضع بذات عرق (٢) أرض محلال أكثر الناس الحلول بها
(٣) القمامة الكناسة (٤) البند الذى يسكر من الماء يعنى بيوتاً ألقى عليها ثمام وشجر ينبت
(٥) كتيبة جأواء أى كدراء اللون فى حمرة وهو لون صدأ الحديد والاكام جمع أكم وهو جمع أكمة (٦) مكة مفعول رمى

وألحد فيها الفاسقون وأفسدوا ... فخافت فواشيها [١] وطار حمامها
يشج بها عَرْض الفلاة تعسفاً ... وأمّا اذا يخفى من أرض علامها
فصبحهم بالخيل تزحف بالقنا ... وبيضاء مثل الشمس يَبْرُق لامها
له عسكر ضافى الصفوف عَرَمْرَم ... وجهورةٌ يَزْهَى العدو احتدامها
فطهر منهم بطن مكة ماجد ... أبيّ شَبَاة الضيم حين يُسامها
فدع ذا وبشر شاعري [٢] أم مالك ... بأبيات مخزى طويل عُرامها
فان تبد تَجدع منْخِريك بمدية ... مشرشرة حرّى رميض [٣] حسامها
وان تَخْفَ عنا أو تَخَفْ من أذاتنا ... تنوشك نابا حيـــة وسِمَاها
ولولا قريش لاستُرِقت عجوزكم ... وطالت على قُطْبَىْ رحاها احتزامها

فأمر له عبد الملك بما فاته من العطاء ومثله صلة من ماله وكساه وحمله

كان أبو صخر منقطعاً الى أبى خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد مداحاً له ، فقال له يوماً ارْثِني يا أبا صخر وأنا حى حتى أسمع كيف تقول وأين مراثيك لي بعدي من مديحك إياي فى حياتى ؟ فقال له أعيذك بالله أيها الأمير بل يبقيك الله ويقدمني قبلك ، فقال ما من ذلك بد ، فرثاه بقصيدته التى يقول فيها

أبا خالد نفسى وقت نفسك الرَّدَى ... وكانت بها من قبل عَثْرتك العُثْر
لِتَبْكِك يا عبد العزيز قلائص ... أُضَرَّ بها نَصُّ الهواجر والزجر
سَمَوْن بنا يَجْتَبْنَ كل تَنوفة ... تَضِلّ بها عن بيضهن القطا الكُدْر
فما قَدِمت حتى تواتر سيرها ... وحتى أُنيخت وهى طالعة دُبْر
ففرج عن ركبانها الهمّ والطَّوى ... كريمُ المحيا ماجد واجد صقْر

(١) الفواشي كل شيء منتشر من المال كالغنم السائمة والابل وغيرها لانها تفشو أى تنتشر فى الارض (٢) رجلان من كنانة كانا مع ابن الزبير يمدحانه ويحرضانه على أبى صخر لعداوة كانت بينهما وبينه (٣) الرميض من النصال الحاد

أخو شتوات تقتل الجوع داره لمن جاء لا ضيق الفناء ولا وعر
ولا تهنىء الفتيانَ بعدك لذة ولا بلَّ هامَ الشامتين بك القطر
فان تُمسِ رمساً بالرصافة ثاوياً فما مات يا ابن العيص نائلك الغُمْر
وذى وَرَق من فضل مالك ماله وذى حاجة قد رِثْت ليس له وفر
فأضحى مُريحاً بعد ما قد يؤوبه وكلَّ به المولى وضاق به الأمر

فأضعف عبد العزيز جائزته ووصله وأمر أولاده فروَوْا القصيدة

كان لأبى صخر ابن يقال له داوود لم يكن له ولد غيره، فمات، فجزع عليه جزعاً شديداً حتى خولط، فقال يرثيه

لقد هاجني طيف لداود بعد ما دنت فاستقلت تاليات الكواكب
ومافى ذهول اليأس عن غير سلوة رواح من السقم الذي هو غالبى
وعندك لو يحيا صداك فنلتقى شفاء لما غادرت يوم التَّناضب
فهل لك طب نافعى من علاقة تُهيِّمني بين الحَشى والترائب
تشكيتها اذ صدّع الدهر شعبنا فأمست قد آعيت فى الرُّقى والطبائب
ولولا يقين أنما الموت عزمة من الله حتى يبعثوا للمحاسب
لقلت له فيما ألمّ برمسه هل أنت غداً غادٍ معى فمصاحبى
فماذا ترى فى غائب لا يُغِبُّنى (١) فلست بناسيه وليس بآئب
سألت مليكى اذ بلانى بفقده وفاة بأيدى الروم بين المقانب
ثَنَونى وقد قدمت ثأرى بطعنة تجيش بقلاّس من الجوف ثاعب (٢)
وقد خفت أن ألقى المنايا وانني لتابع من وافى حمام الجوالب
ولما أطاعن فى العدو تنفُّلاً الى الله أبغى فضله وأضارب

(١) أغب الزائر القوم جاءهم يوماً وتركهم يوماً (٢) ثاعب سائل وقلاس مبالغة من القلس وهو أن تخرج الطعنة الدم

وأعطف وراء المسلمين بشدة على دُبُر مُجْلٍ من العيش ذاهب

وبلغه أن رجلا من قومه عابه وقدح فيه فقال

بل قد أتانى ناصح عن كاشح بعداوة ظهرت وزَغْر[1] أقاول

أفحين أحكمني المشيب فلا فتًى غُمْر ولا قَحْم وأعصَل[2] بازلى

ولبست أطوار المعيشة كلها وعرفت من حق وراع عواذلى

وذببت عن أفناء خِنْدف كلها بمؤبَّدات للرجال عُدامل

أصبحت تقرضنى وتقرع مَرْوَتى بطرًا ولم يَرْعَب شعابك وابلى

وتنلك أظفارى ويُبْرِك مِسْحَلى برى الشَّسيب من السَّراء الذابل[3]

فتكون للباقين بعدك عبرة وأطأ جبينك وطأة المتثاقل

كان أبو صخر يهوى امرأة من قضاعة مجاورة فيهم يقال لها ليلى بنت سعد وتكنى أم حكيم وكانا يتواصلان برهة من دهرهما، ثم تزوجت ورحل بها زوجها الى قومه، فقال فى ذلك أبو صخر

ألَمّ خيال طارق متأوِّب لأم حكيم بعد ما نمت موصِب

وقد دنت الجَوْزاء وهى كأنها ومِرْزَمُها[4] بالغَوْر ثور وبَرْبَب

فبات شرابى فى المنام مع المنى غَرِيض اللَّمَى يَشفى جوى الحزن أشنب

قُضاعية أدنى ديار تَحُلُّها قَناة وأنَّى من قناة المُحَصَّب

سراج الدجى تغتلّ[5] بالمسك طَفْلة فلاهى متفال ولا اللون أكهب

ميثة ما تحت الثياب عميمة هضيم الحشى بكر المجسَّة ثيب

تعلقتها خَوْداً لذيذاً حديثها ليالي لا تُعْدَى ولا هى تحجب

(١) الزغر الكثرة (٢) أعصل اشتد ويراد بذلك كمال العقل والتجربة

(٣) المسحل المبرد والشسيب القوى والسراء تتخذ منه القسى (٤) المرزمان نجمان مع الشعريين (٥) تغتل تتطيب

فكان لها ودي ورَيْعة مَيْعتي ... وليداً الى أن رأسي اليوم أشيب
فلم أر مثلي أيأست بعد علمها ... بودي ولا مثلي على اليأس يَطْلب
ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الأرض سَبْسَب
لظلَّ صَدَى صوتي وان كنت رِمة ... لصوت صَدَى ليلى يَهَش ويَطْرَب

وقال وهي من مختار شعر هذيل

لليلى بذات البَين دار عرفتها ... وأخرى بذات الجيش آياتها عُفْر
وقفت برَسْميها فلما تنكرا ... صَدَفت وعيني دمعها سَرِب هَمْر
وفي الدمع ان كُذِّبتُ بالحب شاهد ... يبين ما أُخْفي كما بَيَّن البدر
صبرت فلما غال نفسي وشفَّها ... عَجاريف[1] ماتأتي به غُلب الصبر
اذا لم يكن بين الحبيبين رِدّة ... سوى ذكر شيء قد مضى دَرَس الذكر
اذا قلت هذا حين أسلو يَهيجني ... نسيم الصبا من حيث يَطَّلع الفجر
واني لتعروني لذكراك فَتْرَة ... كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر
صدقتِ أنا الصب المصاب الذي به ... تَباريح حب خامر القلبَ أو سحر
أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أغبِط الوحش ان أرى ... أليفين منها لا يروعهما الذُّعْر
فياهجر ليلى قد بلغت بي المدى ... وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر
ويا حبها زدني جوًى كل ليلة ... ويا سلوة الايام موعدك الحشر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فليست عشيات الحمى برواجع ... لنا أبداً ما أورق السَّلَمُ النَّضر
واني لآتيها وفي النفس هجرها ... بتاتاً لأُخرى الدهر ما وضح الدهر

(١) حوادث

فما هو الا أن أراها فُجاءة ... فأُبهَت لا عُرف لدىّ ولا نُكر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها ... وينبت فى أطرافها الورق الخضر

ومن قوله

بيد الذى شعَف الفؤاد بكم ... فرجُ الذى ألقَى من الهم
همٌّ من أجلك ليس يكشفه ... الا مليك جائز الحكم
فاستيقني ان قد كُلِفْت بكم ... ثم افعلى ما شئت عن علم
ولَمَا بقيتِ ليبقَينَّ جوى ... بين الجوانح مُضْرِعٌ جسمى
ويُقِرّ عينى وهى نازحة ... ما لا يَقَرُّ بعين ذى الحلم
أطلال نعم اذ كلفت بها ... يادينَ هذا القلب من نُعْم
ولو أنني أُسقى على سَقَمى ... بلَمَى عوارضها شفت سقمى
ولقد عجبت لنَيْل مقتدر ... يَسِط[1] الفؤاد بها ولا يُدمى
يرمى فيجرحني برَمْيته ... فلو أننى أرمى كما يرمى
أو كان قلب اذ عزمت له ... صَرْمى وهجرى كان ذا عزم
أو كان لي غُنْم بذكركم ... أمسيت قد أثريت من غنمى

عبيد الله بن عتبة

هو عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود الهذلى من سعد بن هُذيل بن مدركة أحد وجوه الفقهاء الذين روى عنهم الفقه والحديث وهو أحد السبعة من أهل المدينة وهم (١) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق (٢) عروة بن الزبير (٣) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام (٤) سعيد بن المسيب (٥) خارجة ابن زيد بن ثابت (٦) سليمان بن يسار (٧) وعبيد الله بن عبد الله ، وكان ضريراً

(١) وسطه يسطه حل وسطه

روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود عمه وأبى هريرة ، وكان ابن عباس يقدمه ويؤثره ، وروى عنه الزهرى وابن أبى الزناد وغيرهما من نظرائهما ، قال الزهرى كان عبيد الله بن عبد الله يلطف لابن عباس فكان يعزه عزاً ، وقال كنت أخدم عبيد الله حتى ان كنت لأستقى الماء الملح وان كان ليسأل جاريته فتقول غلامك الأعمش ، وقال أدركت أربعة بحور عبيد الله أحدهم ، وقال سمعت من العلم شيئاً كثيراً فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأنى كنت في شعب من الشعاب فوقعت فى الوادى ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول ليت لى مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بدية ، وقال لوكان عبيد الله بن عبد الله حياً ماصدرت الاعن رأيه ولوددت انلى بيوم من عبيد الله غرماً ، قال ذلك فى خلافته

دخل عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله على عمر بن عبد العزيز وهوأمير المدينة فقال عروة لشيء حدث به من ذكر عائشة وعبدالله بن الزبير سمعت عائشة تقول ما أحببت أحداً حبي عبد الله بن الزبير لا أعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبوى ، فقال عمر انكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير انتحال من لا يرى لكل مسلم معه فيها نصيباً ، فقال عروة بركة عائشة كانت أوسع من ألا يرى لكل مسلم فيها حق ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعته الرحم والمودة التى لا يشرك كل واحد منهما فيه عند صاحبه أحد ، فقال عمر كذبت ، فقال عروة هذا عبيد الله يعلم أنى غير كاذب وان من أكذب الكاذبين من كذب الصادقين ، فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء ، فأفف بهما عمر وقال اخرجا عنى ، ثم لم يلبث أن بعث الى عبيد الله رسولا يدعوه لبعض ما كان يدعوه اليه فكتب اليه عبيد الله

لعمرُ ابن ليلى وابن عائشة التى ... لمروان أدته أب غير زُمَّلِ
لو انهمُ عمّاً وجداً ووالداً ... تآسوا فسنوا سنة المتعطل
عذرت أبا حفص وان كان واحداً ... من القوم يهدى هديهم ليس يأتلى

ولكنهم فاتوا وجئت مصلِّياً تقرَّب اثر السابق المتمهل
وعمت فان تسبق فضنءٍ مبرِّز جواد وان تُسبق فنفسك فاعذُل
فمالك بالسلطان أن تحمل القذى جفون عيون بالقذى لم تكحل
وما الحق أن تهوى فتُسعف بالذى هويت اذا ما كان ليس بأعدل
أبى الله والأحساب أن ترغم الخنا نفوس كرام بالخنا لم توكل

جاء الى عمر فاستأذن عليه فرده الحاجب وقال له عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو مختلٍ به ، فانصرف غضبان ، وكان فى صلاحه ربما صنع الأبيات فقال لعمر

أبِنْ لى فكن مثلى أو ابتغ صاحباً كمثلك انى تابع صاحباً مثلي
عزيز اخائى لا ينال مودتى من الناس الا مسلم كامل العقل
وما يلبث الفتيان أن يتفرقوا اذا لم يؤلف روح شكل الى شكل

فأخبر عمر بأبياته فأرسل اليه يُقسم أنه ماعلم باتيانه ولا برد الحاجب اياه فعذره وأول هذه الأبيات

وانى امرؤ من يُصفِنى الود يَلْقَنى وان نزحت دار به دائم الوصل

ومنها

ولولا اتقائى الله قلت قصيدة تسير بها الركبان أبردُها يغلى
بها تنقض الأحلاس فى كل منزل وينفى الكرَى عنه بها صاحب الرحل
كفانى يسير اذ أراك بحاجتى كليلَ اللسان ما تُمِرّ وما تُحلى
تلاوذ بالأبواب منى مخافة الـــملامة والاخلاف شر من البخل

كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله يتجالسون بالمدينة زماناً ثم ان ابن حزم ولى امرتها وولى عراك القضاء، وكانا يمران بعبد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان وكان ضريراً فأخبر بذلك فأنشأ يقول

ألا أبلغا عنى عِراك بن مالك ولا تَدَعا أن تثنيا بأبى بكر

فقد جعلت تبدو شواكل منكما ... كأنكما بي مُوقَران من الصخر
وطاوعتماني داعكا[1] ذا معاكة ... لعمري لقد أزرى ومامثله يُزْرى
ولولا اتقائي ثم بقياي فيكما ... لَلُمتكما لوماً أحرّ من الجمر
فمسًّا تراب الارض منها خلقتما ... ومنها المعاد والمصير الى الحشر
ولا تأنفا أن تسألا وتسلما ... فما خشي الانسان شراً من الكبر
فلو شئت أن ألفي عدواً وطاعناً ... لألفيته أو قال عندي في السر
فان أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما ... ضحكت له حتي يلج ويستشري

ولعبيد الله شعر فحل جيد ليس بالكثير منه قوله

اذا كان لي سر فحدثته العدى ... وضاق به صدري فللناس أعذر
وسرك ما استودعته وكتمته ... وليس بسر حين يفشو ويظهر

وقوله لابن شهاب الزهري

اذا قلت أما بعد لم يُثْنَ منطق ... فحاذر اذا ما قلت كيف أقول
اذا شئت أن تلقى خليلاً مصافياً ... لقيت ، واخوان الثقات قليل

وأنشد لنفسه

لعمر أبي المُحْصين أيام نلتقي ... لما لا نلاقيها من الدهر أكثر
يعدون يوماً واحداً ان أتيتها ... وينسَوْن ما كانت على الدهر تهجر
وان أُولع الواشون عمداً بوصلنا ... فنحن بتجديد المودة أبصر

ومن جيد شعره وسهله

أعاذل عاجلُ ما أشتهي ... أحب من الآجل الرائث
سأُنفق مالي على لذتي ... وأوثر نفسي على الوارث
أبادر اهلاك مستهلك ... لمالي أو عبث العابث

(١) الدعك الحق والرعونة والمعك كالفرح الأحمق والمعاكة مصدره

وقوله يفتخر فى أبيات

اذا هى حلت وسط عوذ بن غالب فذلك وُدّ نازح لا أطالعه
شددت حيازيمى على قلب حازم كتوم لما ضُمّت عليه أضالعه
أناجى رجالاً لست مطلع بعضهم على سر بعض ان صدرى واسعه
بنى لي عبد الله فى ذروة العلا وعُتْبة مجداً لا تزال مصانعه

وقوله وفيه غناء

ان يكُ ذا الدهر قد أضربنا من غير ذَحْل فربما نفعا
أبكي على ذلك الزمان ولا أحسب شيئاً قد فات مرتجعا
اذ نحن فى ظل نعمة سلفت كانت لها كل نعمة تبعا

قدمت امرأة من ناحية مكة من هذيل وكانت جميلة فخطبها الناس وكادت تذهب بعقول أكثرهم ، فقال فيها

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجُدْت ولم يصعب عليك شديد
وحُبُّكِ يا أم الصبى مُدَلِّهِى شهيدي أبو بكر وانى شهيد
ويعلم وجدي القاسم بن محمد وعروة ما ألقى بكم وسعيد
ويعلم ما أخفى سليمان علمه وخارجة يُبدي لنا ويُعيد
منى تسألي عما أقول فتخبري فللحب عندي طارف وتَليد

فبلغت أبياته سعيد بن المسيب ، فقال والله لقد أمِنَ أن نسألنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها

والأبيات التي أولها

لعمرى لئن شطّت بعثمة دارُها لقد كمدت من وشك الفراق أليح[1]

(١) أهلك

أروح بهم ثم أغدو بمثله ويحسب أني في الثياب صحيح

قالها في زوجة له كانت تسمى عَثْمة ، فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها ، وله فيها أشعار كثيرة منها قوله يذكر ندمه على طلاقها

كتمتَ الهوى حتى أضر بك الكتم ولامك أقوام ولومهمُ ظلم
ألا من لنفس لا تموت فينقضي عناها ولا تحيا حياة لها طعم
أأترك اتيان الحبيب تأثماً الا ان هجران الحبيب هو الاثم
فذق هجرها قد كنت تزعم أنه رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

ومما قاله فيها وغنى فيه

عفت أطلال عَثَمة بالغميم فأضحت وهي موحشة الرسوم
وقد كنا نحل بها وفيها هضيم الكشح جائلة البَريم[1]

ومنه وفيه غناء

تغلغل حب عَثْمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
صدعت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم[2] فالتأم الفطور
أكاد اذا ذكرت العهد منها أطير لو أن انساناً يطير
غنى النفس ان أزداد حباً ولكني الى صلة فقير
وأنفذ قادحاك سواد قلبي فأنت عليَّ ما عشنا أمير

فقيل له أتقول في مثل هذا ؟ فقال في اللدود[3] راحة المؤود

مات عبيد الله سنة ١٠٢ ويقال سنة ٩٩ أو سنة ٩٨

---

(١) الخلخال (٢) ليم أصله لئم أي شد وجمع والفطور جمع فطر بالفتح وهو الشق
(٣) اللدود بالفتح ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شق الفم

أمية بن أبى عائذ

هو أمية بن أبي عائذ العَمْرى أحد بني عمرو بن الحرث بن تميم بن سعد بن هُذَيل شاعر اسلامى من شعراء الدولة الأُموية وكان أحد مداحى بنى مَرْوان ، وله فى عبد الملك وعبد العزيز ابنى مروان قصائد مشهورة ، وفد الي عبد العزيز الى مصر قاصداً له ، وقد امتدحه بقصيدته التى أولها

ألا ان قلبى مع الظاعنينا حزين فمن ذا يعزى الحزينا
فيالك من رَوْعة يوْمَ بانوا بمن كنت أحسب ألا تَبِينا

وفيها يقول

الى سيد النـاس عبد العزيـــز أعملت للسير حَرْفاً أمونا
صُهابيـــة كعلاة القيُو ن من ضرب جوهرها يخلصونا
اذا أزبدت من تبارى المطـــيّ خلْتَ بها خبَلاً أو جنونا
تؤم النواعش والفَرْقَدَيـــن تنضب للقصد منها الجبينا
الى معدن الخير عبد العز يز تبلغنا ظُلَّعاً قد حفينا
ترى الأُدْم والعيس تحت السو ح يَرْعُدن من عرق الأَيْن جونا
تســـير بمدحى عبد العزيـــز ركبان مكة والمنجدونا
مخبَّرة من صريح الكلا م ليس كما لفق المحدثونا
وكان امرأً سيداً ماجداً يُصفِى الفنيق ويفنى الهجينا

وطال مقامه عند عبد العزيز وكان يأنس اليه ووصله صلات سنية فاشتاق الى البادية والى أهله فقال لعبد العزيز

متى راكب من أهل مصر وأهله بمكة من مصرَ العشيةَ راجع
بلى انها قد تقطع الخَرْق ضُمَّر تبارى الشُرى والمسعفون الزعارع

متى ما تَجُزْها يا ابن مَرْوان تعترف بلاد سليمى وهى خَوْصاء ظالع
وباتت تؤمُّ الدار من كل جانب لتخرج واستدت عليها المصارع
فلما رأت ألاَّ خروج وانما لها من هواها ما تُجِنّ الأضالع
تمطت بمجد سبطرى فطالعت وماذا من اللوح اليمانى تطالع

فقال له عبد العزيز اشتقت الى أهلك يا أمية ، قال نعم والله أيها الأمير ، فوصله وأذن له

ومما يغنى فيه من شعره يصف به ناقته

تمر كجَنْدَلة المنجنيق يُرْمَى بها السوريوم القتال
فماذا تُخَطْرِف[1] من قُلة ومن حَدَب وإكام تَوال
ومن سيرها العَنَق[2] المسبَطِرّ والعَجْرَفيَّة بعد الكَلال

ومنه

أفاطم حُييت بالأسعد متى عهدنا بك لاتَبْعَدى
تبارك ذو العرش ماذا نرى من الحسن فى جانب المسجد
فان شئت آليت بين المقا م والركن والحجر الأسود
أنساك ما دام عقلى معى أمد به أمد السرمد

(١) تخطرف الشيء اذا جاوزه وتعداه والقلة أعلى الجبل والجدب جدور فى صبب والاكام جمع أكمة (٢) العنق السير السريع والمسبطر الممتد والعجرفية مشى فيه خرق وقلة مبالاة والكلال التعب

شعراء قريش

شعراء الحارث بن فهر

ابن هَرْمة

هو ابراهيم بن على بن سلمة بن هرمة من بنى الحارث بن فِهْر ، وفهر أصل قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يعد من قريش ، وقيس بن الحرث هم الخُلُج وكانوا فى عَدْوان ثم انتقلوا الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فلما استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتوه ليفرض لهم فأنكر نسبهم ، فلما استخلف عثمان أتوه فأثبتهم فى بني الحرث بن فهر وجعل لهم معهم ديواناً ، وسموا الخلج لأنهم اختلجوا ممن كانوا معه من عدوان ومن بنى نصر بن معاوية ، وأهل المدينة يقولون انما سموا الخلج لانهم نزلوا بالمدينة على خلج وواحدها خليج فسموا بذلك ، ولهم بالمدينة عدد

كان لابراهيم عم يقال له هرمة الأعور فأرادت الخلج نفيه منهم فقال أمسيت ألأم العرب دَعِيَّ أدعياء ثم قال يهجوهم

رأيت بنى فِهْرٍ سِباطاً أكفهم ... فما بال أنبوبى أكفهم قُفْدا[1]

ولم تدركوا ما أدرك القوم قبلكم ... من المجد الا دعوة ألحقت كدا

على ذى أيادى الدهر أفلح جدهم ... وخيّم فلم يصنع لكم جِدِكم جَدا

جاء رجل من أسلم عبد الله بن حسن ببادية وعنده ابن هرمة ، فقال ابن هرمة لعبد الله أصلحك الله سل الأسلمى أن يأذن لي أن أخبرك خبرى وخبره

(١) الأقفد الكز اليدين والرجلين القصير الاصابع والجمع قفد

فقال له عبد الله بن حسن ائذن له ، فأذن له الأسلمى ، فقال ابراهيم انى خرجت أصلحك الله أبغى ذوداً لي فأوحشت وتضيفت هـذا الأسلمى فذبح لي شاة وخبز لى خبزاً وأكرمنى ثم غدوت من عنده فأقمت ماشاء الله ، ثم خرجت أيضاً فى بُغاء ذود لى فأوحشت فضفته فقرانى بلبن وتمر ، ثم غدوت من عنده فأقمت ماشاء الله ثم خرجت فى بُغاء ذود لي فقلت لو ضفت هـذا الأسلمى فاللبن والتمر خير من من الطَّوَى ، فضفته فجاءنى بلبن حامض ، فقال الأسلمى قد أجبته أصلحك الله الى ماسأل فسله أن يأذن لى أن أخبرك لم فعلت ، فقال ائذن له ، فأذن له ، فقال الأسلمي ضافنى فسألته من هو ؟ فقال رجل من قريش ، فذبحت له الشاة التى ذكر ووالله لو كان غيرها عندى لذبحته له حين ذكر أنه من قريش ، ثم غدا من عندى وغدوت على الحى فقالوا من كان ضيفك البارحة ؟ قلت رجل من قريش ، فقالوا لا والله ماهو من قريش ولـكنه دعى فيها ، ثم ضافنى الثانية على أنه دعى فى قريش فجئته بلبن وتمر وقلت دعى قريش خير من غيره ، ثم غدا من عندى وغدوت على الحى فقالوا من كان ضيفك البارحة ؟ قلت الرجل الذى قلتم عليه انه دعى فى قريش فقالوا لا والله ما هو بدعيّ فى قريش ولـكنه دعى أدعياء قريش ، ثم جاءنى الثالثة فقريته لبناً حامضاً ووالله لو كان عندى شر منه لقريته اياه ، فانخذل ابن هرمة وضحك عبد الله وضحك جلساؤه معه

لقى ابن ميادة ابن هرمة فقال ابن ميادة والله لقد كنت أحب أن ألقاك لابد من أن نتهاجى وقد فعل الناس ذلك قبلنا ، فقال ابن هرمة بئس والله ما دعوت اليه وأحببته وهو يظنه جاداً ، ثم قال له ابن هرمة أنا والله الذى أقول

انى لميمون جواراً وانني ... اذا زجر الطير العدا لمَشوم
وانى لملآن العِنان مناقل ... اذا ماونى يوماً ألَفُّ سؤوم
فود رجال أن أمى تقنعت ... بشيب يُغَشّى الرأس وهى عقيم

فقال ابن ميادة وهل عندك جزاء ثكلتك أمك ؟ أنت ألأم من ذلك. ما قلت الا مازحاً

امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصله بعشرة آلاف درهم ، فقال لا تقع مني هذه قال ويحك انها كثيرة ، قال ان أردت أن تهنيني فأبح لى الشراب فانى مغرم به ، قال ويحك هذا حد من حدود الله ، قال احتل لي يا أمير المؤمنين ، قال نعم ، فكتب الى والي المدينة من أتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة واضرب ابن هرمة ثمانين ، فجعل الجلواز [1] اذا مر بابن هرمة سكران قال من يشترى الثمانين بالمائة ؟

روى مصعب بن عبد الله عن أبيه قال لقيني ابن هرمة فقال لى يا ابن مصعب أتفضل علىَّ ابن أذينة أما شكرت قولى

فمالك مختلاً عليك خصاصة كأنك لم تنبت ببعض المنابت

كأنك لم تصحب شعيب بن جعفر ولا مصعباً ذا المكرمات ابن ثابت

يعني مصعب بن عبد الله ، فقلت يا أبا اسحق أقلنى وروّنى من شعرك ماشئت فانى لم أرو لك شيئاً ، فروانى عباسياته

مدح ابن هرمة محمد بن عمران الطلحى وبعث اليه بالمديح مع ابن ربيح فاحتجب عنه فمدح محمد بن عبد العزيز وكان ابن هرمة مريضاً فقال قصيدته التى يقول فيها

انى دعوتك اذ جُفيت وشفَّنى مرض تضاعفنى شديد المشتكى

وحُبست عن طلب المعيشة وارتقت دونى الحوائج في وُعور المرتقى

فأجب أخاك فقد أناف بصوته يا ذا الاخاء ويا كريم المرتجى

ولقد جفأت صبيب عُكَّة [2] بيتنا ذوبا ومزت بصفوه عنك القذى

فخذ الغنيمة واغتنمنى انني غُنْم لمثلك والمكارم تشترى

لا ترمينّ بحاجتى وقضائها ضوج الحجاب كما رمى بى من رمى

فركب الى جعفر بن سليمان نصف النهار ، فقال ما نزعك يا أبا عبد الله فى

(١) الجلواز الشرطى (٢) العكة زقيق صغير للسمن وجفأ القدر أماله وصب مافيها

هذا الوقت ؟ قال حاجة لم أر فيها أحداً أكفى منى ، قال وما هي ؟ قال قدمدحنى ابن هرمة بهذه الأبيات فأردت من أرزاقى مائة دينار ، قال ومن عندى مثلها ، قال ومن الأمير أيضاً ؟ فجاءت المائتا دينار الى ابن هرمة فما أنفق منها الا ديناراً واحداً حتى مات ورد الباقى الى ورثته

أصابت ابن هرمة أزمة فركب الى الحسن بن زيد ببطن أزهر فدخل المسجد فلما مالت الشمس خرج الحسين مشتملا على قميصه فقال لمولى له أذن فأذن ، ثم قال له أقم فصلى ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال مرحباً بك يا أبا اسحق ، قال نعم بأبى أنت وأمى أبيات قلتها ، وقد كان عبد الله وحسن وابراهيم بنو حسن وعدوه شيئاً فأخلفوه ، فقال هاتها فقال

أما بنو هاشم حولى فقد قرعوا ... نبل الضباب التى جمعت فى قرن
فما بيثرب منهم من أعاتبه ... الا عوائد أرجوهن من حسن
الله أعطاك فضلا من عطيته ... على هنٍ وهن فيما مضى وهن

قال حاجتك ، قال لابن أبى مضرس علىَّ خمسون ومائة دينار ، فقال لمولى له ياهيثم اركب هذه البغلة فأتنى بابن مضرس ، فما صلى العصر حتى جاء به فقال له مرحباً بك يا ابن أبى مضرس أمعك ذكر حقك على ابن هرمة ؟ قال نعم ، قال فامحه ، فمحاه ، ثم قال ياهيثم بع ابن أبى مضرس من تمر الخانقين بمائة وخمسين ديناراً وزده على كل دينار ربع دينار وكل ابن هرمة بخمسين ومائة دينار تمراً ، فانصرف من عنده فلقيه بعد ذلك محمد بن عبد الله بن حسن بالسيالة وقد بلغه الشعر فغضب لأبيه وعمومته فقال ويلك أنت القائل « على هن وهن فيما مضى وهن » فقال لا ولكنى الذى أقول لك

لا والذى أنت منه نعمة سلفت ... نرجو عواقبها فى آخر الزمن
لقد أتيت بأمر ما عهدت له ... ولا تعهده قولى ولا سننى

فكيف أمشي مع الأقوام معتدلا وقد رميت برىء العود بالأبَن
ما عيرت وجهه أم مهجنة اذا القتام تغشّى أوجه الهجن

وأم الحسن أم ولد ، قيل لما قال ابن هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد قال عبد الله بن حسن والله ما أراد الفاسق غيرى وغير أخوى حسن وابراهيم وكان عبد الله يجرى على ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغضب عليه ، فأتاه يعتذر فنحي وطرد ، فسأل رجالا أن يكلموه فردهم ، فيئس من رضاه واجتنبه وخافه ، فمكث ما شاء الله ، ثم مر عشية وعبد الله على زَرْبِيّة فى ممر المنبر ولم تكن تبسط لأحد غيره فى ذلك المكان ، فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع المشى فكأن عبد الله رق له فأمر به فرد اليه فقال يافاسق ياشارب الخمر « على هن وهن » تفضل الحسن علىّ وعلى أخوى ، فقال بأبى أنت وأمى ورب هذا القبر ما عنيت الا فرعون وهامان وقارون أفتغضب لهم ، فضحك وقال والله ما أحسبك الا كاذبا قال والله ما كذبتك ، فأمر بأن ترد عليه جرايته

وقال وليس فيها حرف يعجم الا ما اصطلح عليه الكتاب من تصييرهم مكان الف ياء مثل أعلى فانها فى اللفظ بالالف وهى تكتب بالياء ومثل رأى ونحوهذا وهو فى التحقيق فى اللفظ بالألف وانما اصطلح الكتاب على كتابته بالياء

أرَسمُ سودة مَحْلٌ دارس الطلل معطل رده الأحوالُ كالخُلَل
لما رأى أهلَها سدوا مطالعها رام الصدود وعاد الود كالمَهَل
وعاد ودُّك داء لا دواء له ولو دعاك طَوال الدهر للرَّحَل
ما وصل سودة الا وصل صارمة أحلها الدهر داراً مأكل الوعل
وعاد أمواهها سُدْماً[1] وطار لها سهم دعا أهلها للصرم والعِلَل
صدوا وصدَّ وساء المرء صدهم وحام للورد رُدْهاً حومة العَلَل[2]

(١) مياه سدم متغيرة من طول المكث (٢) حومة الماء كثرته والعلل الشرب الثانى والرده مستنقع الماء

وحلّوه رداها ماؤها عسل ... ما ماء ردْه لعمر الله كالعسل
دعا الحمام حماماً سد مسمعه ... لما دعاه ودهر طامح الأمل
طموح سارحة حُوم ملمّعة ... ومُمْرع السرسهل ما كد السهل
وحاولوا رد أمر لا مرد له ... والصّرم داء لأهل اللوعة الوُصُل
أحلك الله أعلى كل مكرمة ... والله أعطاك أعلى صالح العمل
سهل موارده سَمْح مواعده ... مسود لكرام سادة حمل

كان المِسْور بن عبد الملك المخزومى يعيب شعر ابن هرمة وكان عالماً بالشعر والنسيب ، فقال فيه ابن هرمة

إياك لا أُلزمن لَحْيَيك من لُجُمى ... نكلاً ينكل قرّاضاً من اللجم
يَدِقّ لَحْيَيك أو تنقاد متبعاً ... مشى المقيد ذي القِرْدان والحَلَم (١)
انى اذا ما امرؤٌ خفّت نَعامته ... إليَّ واستحصدت منه قوى الوَذَم (٢)
عقدت في ملتقى أوداج لَبّته ... طوق الحمامة لا يَبْلَى على القدم
انى امرؤٌ لا أصوغ الحَلْى تَعمله ... كفاى لكن لسانى صائغ القلم
ان الأديم الذى أمسيت تَقْرِظه (٣) ... جهلاً لذو نَغَل باد وذو حَلَم
ولا يَئِطّ (٤) بأيدي الخالقين ولا ... أيدي الخوالق الا جيد الأدَم

قال ابن هَرْمة ما رأيت أحداً قط أسخى ولا أكرم من رجلين ابراهيم بن عبد الله بن مطيع وابراهيم بن طلحة بن عمرو ، أما ابراهيم بن طلحة فأتيته ، فقال أحسنوا ضيافة أبى اسحاق ، فأتيت بكل شىء من الطعام ، فأردت أن أنشده ،

(١) الحلم جمع حلمة وهى دودة تقع فى الجلد فتأكله فاذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقاً ، والقردان واحده قراد وهى دويبة تتعلق بالبعير ونحوه (٢) الوذم السيور بين آذان الدلو والعراق (٣) قرظ الاديم دبغه بالقرظ ، والنغل مصدر نغل الاديم فسد دباغه والحلم مصدر حلم الاديم فسد فى العمل ووقع فيه دود فتثقب (٤) يئط يصوت والخالق من خلق الاديم قدره قبل أن يقطعه

فقال ليس هذا وقت الشعر ، ثم أخرج الغلام إليَّ رقعة ، فقال ائت بها الوكيل ، فأتيته بها ، فقال ان شئت أخذت لك جميع ما كتب به وان شئت أعطيتك القيمة ، قلت وما أمر لي به ؟ فقال مائتا شاة برعائها وأربعة أجمال وغلام جمّال ومظلة وما تحتاج اليه وقوتك وقوت عيالك سنة ، قلت فأعطني القيمة ، فأعطاني مائتي دينار ، وأما ابراهيم بن عبد الله فأتيته في منزله بمُشاش على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفان فدخل الى منزله ثم خرج إليَّ برزمة ثياب وصرة من دراهم ودنانير وحلي ثم قال والله ما أبقينا في منزلنا ثوباً الا ثوباً نواري به امرأة ولا حلياً ولا ديناراً ولا درهماً ، وقال يمدح ابراهيم بن طلحة

أرقتني تلومني أم بكر ... بعد هدء واللوم قد يؤذيني
حذرتني الزمان ثم قالت ... ليس هذا الزمان بالمأمون
قلت لما هبّت تحذرني الدهـ ... ـر دعي اللوم عنك واستبقيني
ان ذا الجود والمكارم ابرا ... هيمَ يَعنيه كل ما يَعنيني
قد خبرناه في القديم فألفيـ ... ـنا مواعيده كعين اليقين
قلت ما قلت للذي هو حق ... مستبين لا للذي يُعطيني
نَصَحت[1] أرضَنا سماؤك بعدا ... لجَدب منها وبعد سوء الظنون
فرعينا آثار غيث هَراقتـ ... ـه يدا مُحكَم القوى ميمون

كان السري بن عبد الله باليمامة وكان يتشوق الى ابن هَرْمة ويحب أن يفد عليه ، فقيل له ما يمنعك أن تكتب اليه ؟ فيقول أخاف أن يكلفني من المؤونة ما لا أطيق ، فكتب بذلك الى ابن هَرْمة ، فكره أن يَقدَم عليه الا بكتاب منه ، ثم غلب فشخص اليه ومعه راويته ابن ربيح ، فقيل له ما يمنعك من القدوم على الأمير وهو من الحرص على قدومك على ما كُتب به اليك ؟ قال الذي منعه

(١) نصحت أمطرت

من الكتاب إليَّ ، ولما علم السرى بقدومه سر بذلك وجلس للناس مجلساً عاماً ، ثم أذن لابن هرمة فدخل عليه ، وكان ابن هرمة قصيراً دميماً أريمص وكان راويته طويلاً جسيماً نقى الثياب ، فسلم على السرى ثم قال له أصلحك الله انى قلت شعراً أثنيت فيه عليك ، فقال أنشد ، فقال هذا ينشد ، فجلس ، فأنشده ابن ربيح قصيدته التى أولها

عوجا على ربع ليلى أم محمود ... كيما نسائله من دون عبّود
عن أم محمود اذ شط المزار بها ... لعل ذلك يشفى داء معمود
فعرجا بعد تغوير وقد وقفت ... شمس النهار ولاذ الظل بالعود
شيئاً فما رجعت أطلالُ منزلة ... قَفْرٌ جوابا لمحزون الجوى مُودِ

ثم قال فيها يمدح السرى

ذاك السَّرِىّ الذى لولا تدفقه ... بالعرف مات حليف العُرْف والجود
من يعتمدك ابن عبد الله مجتمعاً ... لسَيْب عرفك يعمد خير معمود
يا ابن الأُساة الشُّفاة المستغاث بهم ... والمطعمين ذُرَى الكُوم القماحيد (١)
والسابقين الى الخيرات قومهمُ ... سبق الجياد الى غاياتها القُود
أنت ابن مسلَنْطَح البطحاء منبتكم ... بطحاء مكة لا روس القَرَاديد (٢)
لكم سقايتها قِدْماً ونَدْوتها ... قد حازها والد منكم لمولود
لولا رجاؤك لم تَعْسِف بنا قُلُص ... أجوازَ مهمهة قَفْرِ الصُّوَى (٣) بيد
لكن دعانى وميض لاح معترضاً ... من نحو أرضك فى دُهْم مناضيد

وأنشده أيضاً

أفي طَلَل قَفْرٍ تحمل آهله ... وقفت وماء العين ينهلّ هامله

(١) ناقة متعاد عظيمة السنام والجمع مقاحيد (٢) القردود ما ارتفع من الأرض وغلظ والجمع قراديد (٣) الصوى الاعلام

تسائل عن سلمى سفاهاً وقد نأت ... بسلمى نوًى شحط فكيف تسائله
وترجو ولم ينطق وليس بناطق ... جواباً محيلٌ قد تحمل آهله
ونُؤى كخط النون ما إن تبينه ... عفته ذيول من شمال تذائله[1]

ثم قال فيها

فقل للسَّرِيّ الواصل البرِّ ذى الندى ... مديحاً اذا ما بُثَّ صُدق قائله
جواد على العِلَّات يهتز للندى ... كما اهتز عَضْب أخلصته صياقله
نفى الظلم عن أهل اليمامة عدله ... فعاشوا وراح الظلم عنهم وباطله
وناموا بأمن بعد خوف وشدة ... بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خِدْنه ... ويعلم هذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحيا أرض حَجْر[2] وغيرها ... من الأرض حتى عاش بالبقل آكله
وأنت ترجَّى للذى أنت أهله ... وتنفع ذا القربى لديك وسائله

وأنشده أيضاً مما مدحه به قوله « عوجا نُحَيّ الطلول بالكثب » يقول فيها يمدحه

دع عنك سلمى وقل مخبرة ... لما جد الجد طيب النَّسَب
مَحْض مصفَّى العروق يحمده ... فى العسر واليسر كل مرتغب
الواهب الخيل فى أعِنَّتها ... والوصفاء الحسان كالذهب
مجداً وحمداً يفيده كرماً ... والحمد فى الناس خير مكتسب

فلما فرغ ابن ربيح قال السَّرِيّ لابن هرمة مرحباً بك يا أبا اسحاق ما حاجتك ؟ قال جئتك عبداً مملوكاً ، قال بل حراً كريماً وابن عمّ فما ذاك ؟ قال ما تركت لي مالاً الا رهنته ، ولا صديقاً الا كفته ، فقال له السرى وما

(١) الذألان الاسراع (٢) حجر مدينة اليمامة

دينك ؟ قال سبعمائة دينار ، قال قد قضاها الله جل وعز عنك ، فأقام أياماً ثم قال يتشوق الى بلده ويمدحه

أأحمامة فى نخـــل ابن هَدَّاج ... هاجت صبابةَ عانى القلب مهتاج
أم المخبِّرُ أن الغيث قد وضعت ... منه العِشار تماماً غير إخْداج[1]
شفَّت شوائفها بالفَرْش من مَلل ... الى الأعارف من حزن فأوجاج
حتى كأن وجوه الأرض مُلْبَسة ... طرائقاً من سَدَى عَصْب وديباج

يقول فيها فى مدح السرى

أما السرى فانى سوف أمدحه ... ما المادح الذاكر الاحسان كالهاجى
ذاك الذى هو بعد الله أنقذنى ... فلست أنساه إنقاذي وإخراجى
ليث بحَجْر اذا ما هاجه فزع ... هاج اليـــه بإلجام واسراج
لاحبونك مما أصطفى مِدَحاً ... مصاحبات لعُمَّار وحجاج
أُسدى الصنيعة من بر ومن لطف ... الى قَرُوع لِباب الملك وَلَّاج
كم من يد لك فى الأقوام قد سلفت ... عند امرىء ذي غنىً أوعند محتاج

فأمر له بسبعمائة دينار فى قضاء دينه ومائة دينار يتجهز بها ومائة دينار يعرِّض[2] بها أهله ومائة دينار اذا قدم على أهله

اجتمع قوم من قريش فزاروا ابن هرمة ، فقال لهم ما جاء بكم قالوا سمعنا شعرك فدعانا اليك سمعناك تقول

ان امرأً جعل الطريق لبيته ... طُنُباً وأنكر حقـــه للئيم

وسمعناك تقول

واذا تَنَوَّر طارق مستنبح ... نبحت فدلته علىَّ كلابى
وعَوَيْن يستعجلنه فلقينه ... يضربنه بشراشر الأذناب

(١) الاخداج أن تلد قبل تمام خلقها (٢) أى يهدى لهم بها هدية والعراضة بالضم الهدية

وسمعناك تقول

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل
لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع الا قريبة الأجل

فقال أما سمعتم قول الله تعالى للشعراء «وأنهم يقولون ما لا يفعلون»

قال العباس بن عبد الملك وكان بخيلاً لا يحب أن يعطى أحداً شيئاً ما بال الشعراء تمدح أهل بيتى أجمع ولا تمدحنى ؟ فبلغ ذلك ابن هرمة وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان

ومعجب بمديح الشعر يمنعه من المديح ثواب المدح والشفقُ
يا آبى المدح من قول يحبره ذو نيقة من حواشى شعره أنق
انك والمدحَ كالعذراء يعجبها مسُّ الرجال ويثني قلبها الفرَق

ثم قال يمدح عبد الواحد بن سليمان

أهل المدائح تأتيه فتمدحه والمادحون اذا قالوا له صدقوا
لا يستقر ولا تخفى علامته اذا القنا شال فى أطرافها الخرَق
فى يوم لا مال عند المرء ينفعه إلا السنان وإلا الرمح والدَّرَق
يطعن بالرمح أحياناً ويضربهم بالسيف ثم يدانيهم فيعتنق
يكاد بابك من جود ومن كرم من دون بوابه للناس يندلق
انى لأطوى رجالا أن أزورهم وفيهمُ عَكَر الأنعام والورق
طى الثياب التي لو كُشِّفت وجدت فيها العواوير فى التفتيش والخرق
وأترك الثوب يوماً وهو ذو سعة وألبس الثوب وهو الضيق الخلَق
اكرام نفسى وأنى لا يوافقني ولو ظَميت فحُمْتُ المشربُ الرَّنق

فلما قال هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد وهو أمير على الحجاز فأمر له

بثلثمائة دينار وخلعة موشية من ثيابه وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لقحة ومائة شاة وسأله عما يكفيه كل سنة ويكفى عياله من البر والتمر ، فأخبره فأمر له بذلك أجمع لسنة ، وقال له هذا لك علىّ مادمت فى الدنيا واقتطعه الى نفسه وأنس به وقال له لست بمحوجك الى غيرى أبداً ، فلما عزل عبد الواحد عن المدينة تصدى للوالي مكانه وامتدحه ، ولم يلبث عبد الواحد أن ولى بعد ذلك وبلغه الخبر فأمر أن يحجب عنه ابن هرمة وطرده وجفاه ، فلم يدع بالمدينة وجيهاً ولا رجلا له نباهة وقدر من قريش إلا سأله أن يشفع له فى أن يعيده الى منزلته عنده فيأبى ذلك ، فلما أعوزته الحيلة أتى عبد الله بن حسن فقال يا ابن رسول الله ان هذا الرجل كان يكرمنى وأخذ علىّ ألا أمدح غيره فأعطيته بذلك عهداً ثم دعانى الشره والكد الى أن مدحت الوالى بعده وقص عليه القصة وسأله أن يشفع له فركب معه ، فلما دخل عبد الله بن حسن الى عبد الواحد قام فعانقه وأجلسه الى جنبه ثم قال له أحاجة غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ، قال كل حاجة لك مقضية الا ابن هرمة ، فقال له إن أردت ألا تستثني فى حاجتى فافعل ، قال قد فعلت ، قال فحاجتى ابن هرمة ، قال قد رضيت عنه وأعدته الى منزلته ، قال أفتأذن له أن ينشدك ؟ قال تُعفينى من ذلك ، قال أسألك أن تفعل ، قال ائتوا به فدخل عليه وأنشده قوله فيه وهى من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيد شعر ابن هرمة

صرمت حبائلا من حب سلمى ... هند ما عهدت لمستراح
فانك ان تقم لا تلق هنداً ... وان ترحل فقلبك غير صاح
يظل نهاره يهذى بهند ... ويأرق ليله حتى الصباح
أعبد الواحد المحمود انى ... أغص حذار سخطك بالقراح
فشلت راحتاى وجال مهرى ... فألقانى بمشتجر الرماح
وأقعدنى الزمان فبت صفراً ... من المال المعزب والمراح

اذا نخمت غيرك فى ثنائى ونصحى فى المغيب وفى امتداحى
كأن قصائدى لك فاصطنعنى كرائم قد عُضِلن عن النكاح
فان أك قد هفوت الى أمير فعن غير التطوع والسماح
ولكن سقطة عيّت علينا وبعض القول يذهب فى الرياح
لعمرك انني وبنى عدى ومن يهوى رشادى أو صلاحي
اذا لم ترض عنى أو تصلنى لفى حَين أعالجه مُتاح
وانك ان حططت اليك رحلى بغربىٍّ السَّراة لذو ارتياح
هششت لحاجة ووعدت أخرى ولم تبخل بناجزة السراح
وجدنا غالباً خلقت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح
اذا جعل البخيل البخل تُرْساً وكان سلاحه دون السلاح
فان سلاحك المعروف حتى تفوز بعِرض ذى شيم صحاح

ولما سمع عبد الله بن حسن قوله

وجدنا غالباً كانت جناحا وكان أبوك قادمة الجناح

غضب حتى انقطع زره ثم وثب مغضباً ، فأدركه ابن هرمة وقال له جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله ، فقال ولكن لا جزاك الله خيراً ، أتقول لابن مروان « وكان أبوك قادمة الجناح » بحضرتى وأنا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن على بن أبى طالب عليه السلام ، فقال جعلني الله فداك انى قلت قولا أخدعه به طلباً لدنياه ووالله ماقست بكم أحداً قط أفلم تسمعنى قد قلت فيها « وبعض القول يذهب فى الرياح » فضحك عبد الله وقال قاتلك الله ما أظرفك

ومن قوله يمدحه

أجارتنا رَوّحى نَغْمة على هائم النفس مهتاجها
ولا خير فى ود مستكره ولا حاجة دون انضاجها

يقول فيها يمدح عبد الواحد

كأن قتودى على خاضب ... زفوف العشيات هدّاجها
الى ملك لا الى سوقة ... كسته الملوك ذري تاجها
تحلى الوفود بأبوابه ... فتلقى الغنى قبل ارتاجها
بقرّاع أبواب دور الملو ... ك عند التحية ولّاجها
الى دارذى حسب ماجد ... حمول المغارم فراجها
ركود الجفان غداة الصبا ... ويوم الشمال وارهاجها
وقفت بمدحيه عند الحجا ... زأنشد بين حجاجها
اذا قيل من خير من يرتجى ... لمعترّ فهر ومحتاجها
ومن يعجل الخيل يوم الوغى ... بالجامها قبل اسراجها
أشارت نساء بنى غالب ... اليك به قبل أزواجها

ومن مدائح ابن هرمة لعبد الواحد

أجارتنا بذي نفر أقيمى ... فما أبكى على الدهر الذميم
أقيمى وجه عامك ثم سيرى ... بلا واهي الجوار ولا مُليم
فكم بين الأقارع فالمنقّى ... الى أُحُد الى أكناف رِيم
الى الجمّاء من خد أسيل ... نقى اللوم ليس بذى كلوم
ومن عين مكحلة المآقى ... بلا كحل ومن كشح هضيم
أرقت وغاب عنى من يلوم ... ولكن لم أنم أنا للهموم
أرِقت وشفّنى وجع بقلبي ... لزينب أو أُميمة أو رَعوم
أقاسى ليلة كالحول حتى ... تبدى الصبح منقطع البَريم
كأن الصبح أبلق فى حُجول ... يَشِبّ ويتقى ضرب الشكيم
رأيت الشيب قد نزلت علينا ... روائعه بحجة مستقيم
اذا ناكرته ناكرت منه ... خصومة لا ألدّ ولا ظلوم

وودعنى الشباب فصرت منه كراض بالصغير من العظيم
فدع ما لايرد عليك شيئاً من الجارات أو دمن الرسوم
وقل قولا تطبّق مفصليه بمدحة صاحب الرأى الصّروم
لعبد الواحد الفلج المعلّى علا خلق النفورة والخصوم
دعته المكرمات فتناولته خطام المجد فى سن الفطيم

دخل ابن هرمة على المنصور وقال يا أمير المؤمنين انى قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله ، قال وماعسى أن تقول فيَّ بعد قول كعب الأشقرى في المهلب

براك الله حين براك بحراً وفجر منك أنهاراً غزارا

فقال قد قلت أحسن من هذا ، فقال هات فأنشده

له لحظات عن حفافيْ سريره اذا كرّها فيها عقاب ونائل
فأم الذى أمنت آمنة الرّدى وأم الذى خوفت بالثكل ثاكل

فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال له المهدى يا أمير المؤمنين قد تكلف فى سفره اليك نحوها ، فقال له المنصور يابني انى وهبت له ما هو أعظم من ذلك وهبت له نفسه أليس هو القائل يمدح عبد الواحد بن سليمان « اذا قيل من خير من يرتجى » الأبيات السابقة

ومما يغنى فيه من شعره

في حاضر لجب بالليل سامره فيه الصواهل والرايات والعكر (١)
وخُرّد كلمها حور مدامعها كأنها بين كُثبان النقا البقر

مرت إبل لمحمد بن عمران تحمل علفاً ، فقال محمد بن عبد العزيز الزهرى لابن هرمة ألا تستعلف محمد بن عمران ؟ وهو يريد أن يعرضه لمنعه فيهجوه ، فأرسل ابن هرمة في أثر الحمولة رسولا حتى وقف على ابن عمران فأبلغه رسالته ، فرد اليه الابل بما عليها وقال ان احتجت الى غيرها زدناك ، فأقبل ابن هرمة على

(١) العكر بالتحريك ما فوق خمسمائة من الابل

محمد بن عبد العزيز فقال له اغسلها عني فانه ان علم أنى استعلفته ولا دابة لى وقعت منه فى سوءة ، قال بماذا ؟ قال تعطينى حمارك ، قال هو لك بسرجه ولجامه ، فقال ابن هرمة من حفر حفرة سوء وقع فيها

قال ابن هرمة

ومهما ألام على حبهم فانى أحب بنى فاطمة
بني بنت من جاء بالمحكما ت والدين والسنن القائمة

فلقيه بعد ذلك رجل فسأله من قائلها ، فشتم قائلها ، فقال له ابنه يا أبت ألست قائلها ؟ قال بلى ، قال فلم شتمت نفسك ؟ قال أليس أن يشتم الانسان نفسه خير من أن يأخذه ابن قَحْطَبَة

قال عمر بن عبد العزيز وافينا الحج فى عام من الأعوام الخالية فأصبحنا بالسيالة فاذا ابن هرمة يستأذن على أخى محمد بن عبد العزيز فأذن له ، فدخل عليه فقال يا أبا عبد الله ألا أخبرك ببعض ما تستظرف ؟ قال بلى وربما فعلت يا أبا اسحق ، قال فانه أصبح عندنا ههنا منذ أيام محمد بن عمران واسمعيل بن عبد الله بن جبير وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين فاذا رسوله يأتينى أن أجب ، فخرجت حتى أتيته فأخبرنى بظلع جمليه وقال لي أردت أن أبعث الى ناضحين لي بعمق لعلى أوتى بهما الى هنا لأمضى عليهما ويصير هذان الظالعان الى مكانهما فتفرغ لنا دارك واشتر لنا علفاً واستلنه بجهدك فانا مقيمون ههنا حتى تأتى جمالنا ، فقلت له فى الرحب والقرب والدار فارغة وزوجته طالق ان اشتريت عود علف ، عندى حاجتك منه ، فأنزلته ودخلت الى السوق فما أبقيت فيه شيئاً من رِسْل ولا جداء ولا طُرفة ولا غير ذلك الا ابتعت منه فاخره وبعثت اليه به مع دجاج كان عندنا ، فبينا أنا أدور فى السوق اذ وقف علىَّ عبد لاسمعيل بن عبد الله يساومنى بحمل علف لي فلم أزل أنا وهو حتى أخذه منى بعشرة دارهم وذهب به فطرحه لظهره

وخرجت عند الرواح أتقاضى العبد ثمن حملى فاذا هو لاسمعيل بن عبد الله ولم أكن دريت ، فلما رآنى مولاه حيانى ورحب بى وقال هل من حاجة ياأباإسحق ؟ فأعلمه العبد ان العلف لى ، فأجلسنى فتغديت عنده ثم أمر لى مكان كل درهم منها بدينار وكانت معه زوجته فاطمة بنت عباد فبعثت الىّ بخمسة دنانير ، وراحوا وخرجت بالدنانير ففرقتها على غرمائى وقلت عند ابن عمران عوض منها ، فأقام عندى ثلاثاً وأتاه جماله فما فعل بى شيئاً ، فبينا هو يترحل وفي نفسه منى مالا أدرى به اذ كلم غلاماً له بشىء فلم يفهم ، فأقبل علىّ فقال ما أقدر على افهامه مع قعودك عندى والله آذيتني ومنعتنى ما أردت ، فقمت مغتماً بالذى قال حتى اذا كنت على باب الدار لقينى انسان فسألنى هل فعل الىّ شيئا ؟ فقلت أنا والله بخير اذ تلف مالى وربحت بدنى ، وطلع علىّ وأنا أقولها فشتمنى والله يا أبا عبد الله حتى ما أبقى لي وزعم أنه لولا احرامه لضربنى وراح وما أعطانى درهماً فقلت

يا من يُعين على ضيف ألمّ بنا ... ليس بذي كرم يرجى ولا دين
أقام عندى ثلاثاً سنة سلفت ... أغضيت فيها على الأقذاء والهُون
مسافة البيت عشر غير مشكلة ... وأنت تأتيه فى شهر وعشرين
لست تبالى فوات الحج ان بقيت ... ذات الكَلال وأسمنت ابن حرقين
تحدث النار عما فيك من كرم ... هيهات ذاك لضيفان المساكين
أصبحت تخزُن ما تحوى وتجمعه ... أبا سليمان من أشلاء قارون
مثل ابن عمران آباء له سلفوا ... يجزون فعل ذوى الاحسان بالهُون
ألا تكون كاسمعيل ان له ... رأياً أصيلاً وفعلاً غير ممنون
أو مثل زوجته فيما ألم بها ... هيهات من أمها ذات النطاقين

فلما أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز نحن نعينك يا أبا اسحق (لقوله يامن يعين) قال قد رفعك الله عن العون الذي أريده ما أردت الا رجلا مثل عبدالله

خنزيرة وطلحة أطباء الكلبة يمسكونه لى وآخذ خوط سلمة فأوجع به خواصره ، ولما بلغ فى انشاده قوله « مثل ابن عمران آباء له سلفوا » قال عذراً الى الله تعالى واليكم انى لم أعن من آبائه طلحة بن عبيد الله ، ونزل اليه اسمعيل بن جعفر فلم يكلمه حتى ضرب أنفه وقال له أفعنيت من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يادعي ؟ فدخل القوم بينهما ، وجاء رسول محمد بن طلحة الى ابن هرمة يدعوه ، فذهب اليه فقال ما الذى بلغنى من هجائك أبا سليمان ؟ والله لا أرضى حتى تحلف ألا تقول له أبداً الا خيراً وحتى تتلقاه فترضاه اذا رجع وتحتمل كل ما زل به اليك وتمدحه ، قال أفعل بالحب والكرامة ، قال واسمعيل بن جعفر لاتعرض له الا بخير ، قال نعم فأخذ عليه الأيمان فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلها ، واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عمران

ألم تر أن القول يخلص صدقه وتأبى فما تزكو لباغ بواطله
ذممت امرأ لم يطبع الذم عرضه قليلا لدى تحصيله من يشا كله
فما بالحجاز من فتى ذا إمارة ولاشرف الا ابن عمران فاضله
فتى لا يطور الذم ساحة بيته وتشقى به ليل التمام عواذله

مدح ابن هرمة محمد بن عمران فألفاه راويته وقد جاءته عير له تحمل غلة قد جاءته من الفرع أو خيبر ، فقال له رجل كان عنده اعلم والله ان أبا ثابت عمران ابن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بعيرك هذه ، فقال انما أراد أبو ثابت أن يعرضنى للسانه ، قودوا اليه القطار ، فقيد اليه

قدم جرير المدينة فأتاه ابن هرمة وابن أذينة فأنشداه فقال جرير القرشي أشعرهما والعربى أفصحهما

قال ابن هرمة يمدح أبا الحكم المطلب بن عبد الله

ولما رأيت الحادثات كنفننى وأورثنى بؤسى ذكرت أبا الحكم

سليل ملوك سبعة قد تتابعوا هم المصطفَوْن والمصفَّوْن بالكرم

فلاموه وقالوا أتمدح غلاماً حديث السن بمثل هذا ؟ قال نعم ، وكانت له ابنة يلقبها عينة فقال

كانت عينة فينا وهى عاطلة بين الجواري فحلاها أبو الحكم
فمن لحانا على حسن المقال له كان المُليم وكنا نحن لم نُلَم

أرسل ابن هرمة الى عبد العزيز بن المطلب كتاباً يشكو فيه بعض حاله ، فبعث اليه بخمسة عشر ديناراً ، فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد ذلك ، فقال انا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب وكان عبد العزيز قد خطب امرأة من ولد عمر ، فردته ، فخطب امرأة من بنى عامر بن لُؤَى فزوجوه ، فقال ابن هرمة

خطبت الى كعب فردوك صاغراً فحولت من كعب الى جذم عامر
وفى عامر عز قديم وانما أجازك فيهم هزل أهل المقابر

وقال فيه أيضاً

أبالبخل تطلب ما قدمت عرانين جادت بأموالها
فهيهات خالفت فعل الكرام خلاف الجمال بأبوالها

جلس ابن هرمة مع قوم على شراب ، فذكر الحكم بن المطلب فأطنب فى مدحه ، فقالوا انك لتكثر ذكر رجل لو طرقته الساعة فى شاة يقال لها غرّاء تسأله إياها لردك عنها ، فقال أهو يفعل هذا ؟ قالوا إيْ والله ، وكانوا قد عرفوا أن الحكم بها معجَب ، وكانت في داره سبعون شاة تحلب ، فخرج وفى رأسه ما فيه ، فدق الباب ، فخرج اليه غلامه ، فقال له أعلم أبا مروان بمكانى ، وكان قد أمر ألاَّ يحجب ابن هرمة عنه ، فأعلمه به فخرج اليه متشحاً فقال أفى مثل هذه الساعة يا أبا اسحاق ؟ فقال نعم جعلت فداك ولد لأخ لي مولود فلم تدرّ عليه أمه ، فطلبوا له شاة حلوبة فلم

يجدوها ، فذكرت شاة عندك يقال لها غراء ، فسألني أن أسألكها ، فقال أتجيء فى هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ؟ والله لا تبقى فى الدار شاة الا انصرفت بها ، سقهن معه يا غلام ، فساقهن ، فخرج بهن الى القوم ، فقالوا ويحك أى شيء صنعت ؟ فقص عليهم القصة ، وكان فيهن ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة

قال عمر بن أيوب الليثى شرب ابن هرمة عندنا يوماً فسكر ، فلما حضرت الصلاة تحرك فقال لي وهو يتوضأ ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمون أن الوليد قتل ، فرفع رأسه إلىَّ وقال

وكانت أمور الناس مُنْبَتَّةَ القُوى فشد الوليد حين قام نظامها

خليفة حق لا خليفة باطل رمى عن قناة الدين حتى أقامها

ثم قال له إياك أن تذكر من هذا شيئاً فانى لا أدري ما يكون

كان ابن الأعرابى يقول ختم الشعر بابن هرمة

كان ابن هرمة مغرماً بالنبيذ فمر على جيرانه وهو شديد السكر حتى دخل منزله ، فلما كان من الغد دخلوا اليه فعاتبوه على الحال التى رأوه عليها ، فقال لهم أنا فى طلب مثلها منذ دهر أما سمعتم قولي

أسأل الله سكرة قبل موتى وصياح الصبيان ياسكران

فنفضوا ثيابهم وخرجوا وقالوا ليس يفلح والله هذا أبداً

أنشد لابن هرمة

ما أظن الزمان يا أم عمرو تاركاً ان هلكت من يبكينى

فكان كذلك لقد مات فما كان يحمل جنازته الا أربعة نفر حتى دفن بالبقيع

ولد ابن هرمة سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة قصيدته التى يقول فيها

ان الغوانى قد أعرضن مقلِية لما رمى هدفَ الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة

شعراء عامر بن لؤى

ابن قيس الرقيات

هو عبد الله بن قيس العامرى من عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ، وانما لقب بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوه سمين جميعاً رقية ، وهو شاعر قريش فى الاسلام

أتى الى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى فقال له يا عمي انى قد قلت شعراً فاسمعه فانك ناصح لقومك فان كان جيداً قلت وان كان رديئاً كففت ، فقال له أنشد ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها

علل القوم يشربوا كي يلذّوا ويطربوا
انما ضلل الفؤا د غزال مربرب
فرشته على النما رق سعدي وزينب
منع اللهو والهوى وسُرَى الليل مصعب
وسياط على أكفّ رجال تقلب

فقال له يا ابن أخى قل فانك شاعر ، وهذه الأبيات يقولها فى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى وكان مروان بن الحكم لما ولى المدينة ولاه شرطته ، فقال انى لا أضبط المدينة بحرس المدينة فابغني رجالاً من غيرها ، فأعانه بمائتى رجل من أهل أيلة ، فضبطها ضبطاً شديداً ، فدخل المِسْوَر بن مَخْرمة على مروان فقال أما ترى ما يشكوه الناس من مصعب ؟ فقال

ليس بهذا من سياق عتب يمشى القطوف وينام الركب

وبقى الى أن ولى عمرو بن سعيد المدينة وخرج الحسين وعبد الله بن الزبير ،

فقال له عمرو اهدم دور بني هاشم وآل الزبير ، فقال لا أفعل ، فقال انتفخ سَحْرُك يا ابن أم حريث ألْق سيفنا ، فألقاه ولحق بابن الزبير ، وولى عمرو بن سعيد شرطته عمرو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دور بنى هاشم وآل الزبير ، ففعل وبلغ منهم كل مبلغ وهدم دار ابن مطيع التى يقال لها العَنقاء ، وضرب محمد بن المنذر مائة سوط ، ثم دعا بعروة بن الزبير ليضربه ، فقال له محمد أتضرب عروة ؟ فقال نعم الا أن تحتمل ذلك عنه ، فقال أنا أحتمله ، فضربه مائة سوط أخرى ، ولحق عروة بأخيه ، وضرب عمرو الناس ضرباً شديداً ، فهربوا منه الى ابن الزبير وكان المسور ابن مخرمة أحد من هرب منه ، ولما أفضى الأمر الى ابن الزبير أقاد منه وضربه بالسوط ضرباً مبرحاً ، فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين وقال للناس ان عمراً مات مرتداً عن الاسلام

وكان ابن قيس زبيرى الهوى وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك ، فلما قتل مصعب وقتل عبد الله هرب فلجأ الى عبد الله بن جعفر فسأل عبد الملك في أمره فأمنه ، قال ابن قيس خرجت مع مصعب حين بلغه شخوص عبد الملك اليه ، فلما نزل مصعب بمَسكِن ورأى معالم الغدر ممن معه دعا بمال ومناطق فملأ المناطق من ذلك المال وألبسنى منها وقال لي انطلق حيث شئت فانى مقتول ، فقلت له لا والله لا أريم حتى أرى سبيلك ، فأقمت معه حتى قتل ، ثم مضيت الى الكوفة فأول بيت صرت اليه دخلته فاذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظبيتان ، فرقيت فى درجة لها الى مشربة فقعدت فيها ، فأمرت لي المرأة بما أحتاج اليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقيم لي ما يصلحنى وتغدو عليَّ فى كل صباح فتسألنى بالصباح والحاجة ولا تسألنى من أنا ولا أسألها من هى وأنا فى ذلك أسمع الصياح فيَّ والجعل ، فلما طال بى المقام وفقدت الصياح فيَّ وغَرِضت بمكانى غدت عليَّ تسألني بالصباح والحاجة ، فعرفتها أنى قد

غرضت وأحببت الشخوص الى أهلي ، فقالت لي نأتيك بما تحتاج اليه ان شاء الله تعالى ، فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رَقِيت إليَّ وقالت اذا شئت ، فنزلت ، وقد أعدت راحلتين عليهما ما أحتاج اليه ومعهما عبد وأعطت العبد نفقة الطريق وقالت العبد والراحلتان لك ، فركبت وركب العبد معي حتى طرقت أهل مكة ، فدققت منزلي ، فقالوا من هذا ؟ فقلت عبد الله بن قيس الرقيات ، فولولوا وبكوا وقالوا ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت ، فأقمت عندهم حتى أسحرت ، ثم نهضت ومعي العبد حتى قدمت المدينة ، فجئت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء وهو يعشي أصحابه ، فجلست معهم وجعلت أتعاجم ، فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهي فقال ابن قيس ؟ قلت ابن قيس جئتك عائذاً بك ، قال ويحك ما أجدّهم في طلبك وأحرصهم علي الظفر بك ولكني ساكتب الى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك وعبد الملك أرق شيء عليها ، فكتب اليها يسألها أن تشفع الى عمها وكتب الى أبيها يسأله أن يكتب اليها كتابا يسألها الشفاعة ، فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسألها هل من حاجة ؟ فقالت نعم لي حاجة ، فقال قد قضيت كل حاجة لك الا ابن قيس ، فقالت لا تستثن عليَّ شيئاً ، فنفح بيده فأصاب خدها ، فوضعت يدها على خدها ، فقال لها يا ابنتي ارفعي يدك فقد قضيت كل حاجة لك وان كانت ابن قيس ، فقالت ان حاجتي ابن قيس تؤمنه فقد كتب إليَّ أبي يسألني أن أسألك ذلك ، قال فهو آمن فمريه يحضر مجلسي العشية ، فحضر ابن قيس وحضر الناس حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له فلما دخل عليه قال يا أهل الشام أتعرفون هذا ؟ قالوا لا ، قال هذا عبد الله بن قيس الرقيات الذي يقول

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشامَ غارة شعواء
تُذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن بُراها العقيلةُ العذراء

فقالوا يا أمير المؤمنين اسقنا دم هـذا المنافق ، قال الآن وقد أمنته وصار في منزلي وعلى بساطي قد أخرت الاذن له لتقتلوه فلم تفعلوا ، فاستأذنه ابن قيس أن ينشده مديحه فأذن له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها

عاد له من كثيرة[1] الطرب فمينـــه بالدموع تنسكب
كوفيـــة نازح محلتها لا أمَم[2] دارها ولا صَقَب
والله ما ان صَبَتْ إليَّ ولا ان كان بيني وبينها سبب
الا الذى أورثت كثيرة فى الـــقلب وللحب سَوْرة عجب

حتى قال فيها

ما نقموا من بني أمية إلـــا أنهم يحلُمون ان غضبوا
وانهم سادة الملوك فمـــا تصلح الا عليهم العرب
ان الأغر الذى أبوه أبوالـــعاصى عليه الوقار والحجب
خليفة الله فوق منبره جفت بذاك الأقلام والكتب
يعتدل التاج فوق مَفْرِقه على جبين كأنه الذهب

فقال له عبد الملك يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول فى مصعب

انما مصعب شهاب من اللـــه تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً ، فقال ابن قيس لعبد الله بن جعفر ما نفعني أماني تركت حياً كميت لا آخذ مع الناس عطاء أبداً ، فقال له عبد الله بن جعفر كم بلغت من السن ؟ قال ستين سنة ، قال تعمر نفسك ، قال عشرين سنة من ذي قبل فذلك ثمانون سنة ، قال كم

(١) هى الكوفية التى آوته (٢) يقول انها ليست بقريبة والصقب الملاصقة

عطاؤك ؟ قال ألفا درهم ، فأمر له بأربعين ألف درهم وقال ذلك لك عليَّ إلى أن تموت على تعميرك نفسك ، فعند ذلك قال ابن قيس يمدح عبد الله

تقدَّت[1] بى الشهباء نحو ابن جعفر ... سواء عليها ليلها ونهارها
تزور فتى قد يعلم الله انه ... تجود له كف بطىء[2] غِرارها
أتيناك نُثني بالذى أنت أهله ... عليك كما يثنى على الروض جارها
فوالله لولا أن تزور ابن جعفر ... لكان قليلاً فى دمشق مزارها
فان مت لم يوصل صديق ولم تقُم ... طريق من المعروف أنت مَنارها
ذكرتك أن فاض الفُرات بأرضنا ... وجاش بأعلى الرقتين بحارها
وعندى مما خوَّل الله هَجْمة ... عطاؤك منها شَوْلها[3] وعِشارها
مباركة كانت عطاء مبارك ... تمامح كبراها وتَنْمى صغارها

ومن قوله يمدحه

اذا زرت عبد الله نفسى فداؤه ... رجعت بفضل من نداه ونائل
وان غبت عنه كان للود حافظاً ... ولم يك عنى فى المغيب بغافل
تداركنى عبد الاله وقد بدت ... لذى الحقد والشَّنآن منى مقاتلى
فأنقذنى من غَمْرة الموت بعد ما ... رأيت حياض الموت جُمّ المناهل
حبانيَ لما جئته بعطيـــة ... وجارية حسناء ذات خلاخل

---

(١) تقدت سارت سيرا ليس بعجل ولا مبطىء وهذا البيت مما عيب على ابن قيس لانه نقض صدره بعجزه فقال فى أوله سار سيرا بغير عجل ثم قال سواء عليها ليلها ونهارها وهذا غاية الدأب فى السير فناقض معناه فى بيت واحد وأنشد ابن أبى عتيق هذا البيت فقال كانت هذه فيما أرى عمياء (٢) يعنى ان منعها المعروف بطىء وأصل الغرار أن تمنع الناقة درتها ثم يستعار فى كل ما أشبه ذلك (٣) الشول النوق التى شالت بأذنابها وكرهت الفحل وذلك حين تلقح واحدتها شائل

ومن قوله فى كثيرة

ظعنت لتحزننا كثيرة ولقد تكون لنا أميرة
أيام تلك كأنهـا حوراء من بقر غريرة
شبت[١] أمام لداتها بيضاء سابغة الغديرة
ريا الروادف غادة بين الطويلة والقصيرة
حلت فلاليح السوا د وحل أهلي بالجزيرة
صفراء كالسيراء لم تشمط عذوبتها بحورة[٢]
من نسوة كالبيض فى الـ ـأدحى بالدمث المطيرة
لم يصطلين غـداً ولم يضربن للبهم الحظيرة
جبن[٣] الفروج من المرا جل والمضلعة المنيرة
فوق الجلود يفوح فى أردانها عبق الذريرة
انى امرؤ لا يزدرى دفعى عن اعراض العشيرة
فى بيتها حسباً ومن أخلاق صالحها سريرة
أنفى القراقير الضغا ر وأحطم الفلك الكبيرة
أمى لقيس في الذرى وأبى لعاتكة المهيرة
بنت العواتك من بنى ذكوان لا عدمى فقيرة
فى بيتها عـدد الرجا ل وحولها مضر الكبيرة
بنيت عليها مثل ما بنيت على البيت الضفيرة[٤]
تدعو فيأتيها بها الـجرد البهاليل الذكورة
بالمرد والشمط المحـربة الخضارمة المغيرة

(١) سبقت بالشباب (٢) مرارة (٣) جبن قطعن والمراجل ضرب من البرود والمضلعة المسيرة والمنير من النير (٤) حجارة تبنى تمنع السيل من الماء مثل المسقاة

يخطفن أنفاساً كما خطفت أرانبها الصقورة
وأرومة عادية فيها وقبص[1] حصى كثيرة
أى امرىء حقر الرجا ل فنفسه تلك الحقيرة
بل رب دنيا قد رأيت كبيرة حقاً مزيرة
فأخال ذلك باطلاً مالم يكن عملاً ذخيرة

ومن قوله فيها

لججت بحبك أهل العراق ولولا كثيرة لم تلجج
فليت كثيرة لم تلقنى كثيرة أخت بني الخزرج
وما كلمتنا ولكنها جلت فرقة القمر الأبلج
تخاف كثيرة من حولها وتقتل بالنظر الأدعج
فكدت أموت وقد حملت خطيئته ربة الدملج

جاء ابن قيس سعيد بن المسيب فهش وقال مرحباً بظفر من أظفار العشيرة ما أحدثت بعدى ؟ قال قد قلت أبياتاً واستفتيتك فى بيت منها فاسمعها ، قال هات ، فأنشده

هل للديار بأهلها علم أم هل تبين فينطق الرسم
قالت رقية فيم تصرمنا أرقى ليس لوجهك الصرم
تخطو بخلخالين حشوهما ساقان مار عليهما اللحم
ياصاح هل أبكاك موقفنا أم هل علينا فى البكا اثم

فقال سعيد لا والله ما أبكانى ، فقال ابن قيس

بل ما بكاؤك منزلا خلقاً قفراً يلوح كأنه رسم

قال سعيد اعتذر الرجل ، ثم أنشد

(١) والقبص العدد الكثير

أتلبث فى تكريت لافى عشيرة شهود ولا السلطان منك قريب
وأنت امرؤ للحزم عندك منزل وللدين والاسلام منك نصيب

قال سعيد لا يقام على ذلك فاخرج منها ، قال قد فعلت ، قال قد أصبت أصاب الله بك

قال سعيد بن سلم دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق وانه لمعتمر اذ مررنا بسعيد بن المسيب فى مجلسه فسلمنا عليه فرد سلامنا ، ثم قال لنوفل يا أبا سعيد من أشعر أشاعرنا أم شاعركم ؟ « يعنى ابن قيس الرقيات وعمر بن أبى ربيعة » فقال نوفل حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال حين يقول صاحبنا

خليلى ما بال المطىّ كأنما تراها على الأدبار بالقوم تنكص
وقد أبعد الحادى سُراهن وانتحى لهن فما يألو عجول مقلّص
وقد قطعت أعناقهن صبابة فأنفسها مما تُكلّف شُخّص
يزدن بنا قرباً فيزداد شوقنا اذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبكم ما شئت ، فقال له نوفل صاحبكم أشهر بالقول فى الغزل أمتع الله بك وصاحبنا أكثر أفانين شعر ، قال صدقت ، فلما انقضى ما بينهما جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائة ، فلما انصرفنا قلت لنوفل أتراه يستغفر الله من انشاد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال كلا هو كثير الانشاد والاستنشاد للشعر فيه ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه

ومن قوله وفيه غناء

أمست رقية دونها البشر فالرقة البيضاء فالغمر

ومنه

رُقَيَّ بعيشك لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا
عدينا فى غد ان شئت إنا نحب وان مطلت الواعدينا

فاما تُنجزي وعدي واما نعيش بما نؤمل منك حينا
أغرك انني لاصبر عندى على هجر وانك تصبرينا
ويوم تبعتكم وتركت أهلى حنين العَود يتبع القرينا

ومنه

رقيـة تيمت قلبى فوا كبدى من الحب
نهـانى اخوتى عنها وما بالقلب من عتب

ومنه

حبذاك الدلال والغَنَج والتى فى عينها دَعَج
والتى ان حدثت كذبت والتى فى وعدها خَلَج
وترى فى البيت صورتها مثل ما فى البيعة السُّرُج
خبرونى هل على رجل عاشق فى قُبلة حرج

ومنه

قد أتانا من آل سُعْدى رسول حبذا ما يقول لي وأقول
من فتاة كأنها قَرْن شمس ضاق عنها دمالج وحجول
حبذا ليلتى بمرة كلب غال عنى بها الكوانين غول

أراد عبد الملك بن مروان البيعة لابنه الوليد بعد عبد العزيز بن مروان وكتب الى عبد العزيز يسأله ذلك فامتنع عليه وكتب اليه يقول له « لي ابن ليس ابنك أحب الىَّ منه ، فان استطعت ألا يفرق بيننا الموت وأنت لى قاطع فافعل » فرق له عبد الملك وكف عن ذلك فقال عبد الله بن قيس فى ذلك

يخلُفُك البيض من بنيك كما يخلف عود النُّضار فى شعبه
ليسوا من الخِرْوع الضعيف ولا أشباه عيدانه ولا غَرَبه
شُمّ العرانين ينظرون كما جَلَّت صقور الصلب من حدبه[1]

(١) جات نظرت والصلب موضع وحدبه ما ارتفع منه

نحن على بيعة الرسول وما أعطيت من عجمه ومن عربه
بها نُصرنا على العدو وبر عى الغيب فى نأيه وفي قُرْبه
نأتى اذا ما دعوت فى الزَّعَف لـــمسرود ابدانه وفى حُبَبه
يَهدى رِعالا أمام أرعن لا يعرف وجه البلقاء فى لجبه

فقال عبد الملك لقد دخل ابن قيس الرقيات مدخلا ضيقاً وتهدده وشتمه وقال أليس هو القائل

على بيعة الاسلام بايعن مُصْعَبا كراديس من خيل وجمعاً مباركا
تدارك أخرانا وتمضى أمامنا ويتبع ميمون النقيبة ناسكا
اذا فرغت أظفاره من كتيبة أمال على أخرى السيوف البواتكا

فلما بلغ عبد الله قول عبد الملك وشتمه إياه قال

بشر الظبي والغراب بسُعْدَى مرحباً بالذى يقول الغراب
قال لى ان خير سعدي قريب قد أتى أن يكون منه اقتراب
قلت أنى يكون ذاك قريباً وعليه الحصون والأبواب
حبذا الرَّيم ذو الوشاحين والقصـــر الذى لا تناله الأسباب
ان فى القصر لو دخلت غزالا مصفقاً موصداً عليه الحجاب
أرسلت أن فدتك نفسى فاحذر ههنا شرطة عليك غضاب
أقسموا ان رأوك لا تطعم الما ء وهم حين يقدرون ذئاب
قلت قد يغفل الرقيب ويُغفِي شُرْطة أو يحِنْ منها انقلاب
وعسى الله أن يؤتى أمراً ليس فيه على المحب ارتقاب
ارجعي فاقرئى السلام عليها ثم ردى جوابنا يا رَبَاب
حدثيها ما قد لقيت وقولى حق للعاشق الكريم ثواب
رجل أنت همه حين يُمسِى خامرته من أجلك الأوصاب
لا أشَمّ الريحان الا بعيني كرماً انما تشَم الكلاب

ربَّ زارٍ عليَّ لم يَرَ منى عثرة وهو مِمأس كذاب[1]
خادع الله حين جلله الشيـــب فأضحى قد بان منه الشباب
يأمر الناس أن يَبَرُّوا وينسى وعليه من كِبْرة جِلْباب
استفيقن فليس عندك علم لا تنامنّ أيها المغتاب
أيها المستحل لحمى كله من ورائى ومن وراك الحساب
تختِل الناس بالكتاب فهلا حين تغتابني نهاك الكتاب
لست بالمُخْبت التقى ولا المحـــض الذى لا تزينه الأنساب
انني والتى رمت بك كرهاً ساقطاً خلفها عليك التراب
لتلومن غِبّ رأيك فينا حين تبقى بعرضك الأندابه

ومن قوله يصف الثُّرَيا بنت عبد الله

يا سليمان إن تلاق الثريا تلق عيش الخلود قبل الهلال
حبذا الحج والثريا ومن بالـــخَيف من أجلها ومُلْقى الرحال
دُرة من عقائل البحر بكر لم تنلها مثاقب الآل[2]
تعقد المئزر السُّخام من الخـــز على حقْو بادن مِكْسال
قطنت مكة الحرام فشطت وعدتنى نوائب الأشغال

ومن قوله

بكرت على عواذلي يلحَيْنَنى وألومهنه
ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنّه[3]
ان العواذل لمنني ولن أطيع أمورهنه
فيما أُفيد من الغنى والله سوف يُبينهنّه
ولقد عصيت الناهيا ت النائرات جيوبهنه

(١) المأس التمام (٢) الذى يثقب اللؤلؤ (٣) نعم

حتى ارعويت الى الرشا د وما ارعويت لهيهنه
ووجدت مسكا خالصاً قد ذرّ فوق عيونهنه
واذا تضمّخ بالعبيـ ـر الورْدزان وجوههنه
يخفين فى المشى القريـ ـب اذا يزرن صديقهنه
وبنات كسرى فى الحريـ ـر عوامل يخدُمنهنه
متعطفات بالبرو دعلى البغال وفُرْهنه
واذا قعدن على البغال ملَت ظهور بغالهنه

ومن قوله

أم البنين سلبتني حلمى وقتلتني فتحملى اثمى
وتركتني أدعوالطبيب وما لطبيبكم بالداء من علم
بالله يا أم البنين ألم تخشى عليك عواقب الاثم
لله درُّك فى ابن عمك إذ زودته سقماً على السقم
وتركته يمشى وليس له عقل يعيش به مع الحزم
جنيَّة الأعلى وأسفلها وحِل موزرة من اللحم
وبوجهها ماء الشباب ولم تُقْبَل (١) بملعون ولاجهْم
لم تدر ما نَدْهُ الجمال ولم ترْبق (٢) بربق أول البهْم

ومن قوله يمدح سلامة القس وريا

لقد فتنت ريَّا وسلامة القسَّا فلم تترك القسّ عقلا ولا نفسا
فتاتان أما منهما فشبيهة الـ ـهلال وأخرى منهما تشبه الشمسا
فتاتان فى سعد السعود ولدتما ولم تلقيا يوماً هواناً ولا نحسا
تُسكِنَّان أبشاراً رقاقاً وأوجهاً عتاقاً وأطرافاً مخضَّبة مُلْسا

(١) أى لم تتلق عند ولادتها (٢) أى لم تشده والربق الحبل

ومن قوله فى عائشة بنت طلحة

ان الخليط قد ازمعوا تركي ... فوقفت فى عرصاتهم أبكي
جنّية خرجت لتقتلنا ... مطلية الأقراب[1] بالمسك
قامت تحيينى فقلت لها ... ويلى عليك وويلتى منك
عجباً لمثلك لا يكون له ... خرج العراق ومنبر الملك
ترمى لتقتلنا بأسهمها ... ونزفها[2] بالحلم والنسك
يا حبذا أم البنين على ... ما كان من بذل ومن ترك
ان تسلمي نسلم وان تدعى الـ ... إسلام لا نخذلك فى الشرك

ومن قوله يمدح بني أمية

تقول سلمى ألا تنام اذا ... نمنا ؟ فقلت الهموم والأرق
تمنعنى وادّ كار نصر بنى ... عمىَ اذ جاراني الرّهق
يا سلم نأى الديار عن بلد الـ ... ـوالد ذل ورحبها ضيق
لو كان حولى بنى أمية لم ... ينطق رجال اذا همُ نطقوا
ان جلسوا لم تضق مجالسهم ... أو ركبوا ضاق عنهم الأفق
بالخيل والرّجل والزّهاء ترى ... تخفق أوساط غابه الخرق
قد كنت في معشر أعزّ بهم ... فى حلق من ورائهم حلق
كم فيهمُ من فتى أخى ثقة ... عن منكبيه السربال منخرق
يمشى الى الموت حين يُبصره ... كما مشى فحل صرمة حنق

ومن قوله يشبب بأم البنين

أصحوت عن أم البنـ ـين وذكرها وعنائها
وهجرتها هجر امرىء ... لم يقلِ حمل اخائها

(١) جمع قرب بالضم وهو الخاصرة (٢) تتهمها

من خيفة الأعداء أن يوهوا أديم صفائها
قرشية كالشمس أشـــرق نورها ببهائها
زادت على البيض الحســـان بحسنها ونقائها
لما اسبكرّت للشبا ب وقنعت بردائها
لم تلتفت للِداتها ومضت على غُلوائها

ثم وصل هذه الأبيات بأبيات يمدح بها عبد الملك فقال

أنت ابن مُعتلَج البطا ح كدَيْها فكَدائها
فالبيت ذى الأركا ن فالمستنّ من بطحائها
فمحل أعـــلاها الى عَرَفاتهـــا فحِرائها
من سرها فيها ومعـــدن برها ووفائها
أوفى قريش بالعـــلا فى حكمها وقضائها
وأشـــدها آخيَّة فى عزها وثَرائها
وأمدها عند العلا كفاً بحبل رِشائها
ولأنت أعلمها بها وأصحها من دائها
وأتمها نســـباً اذا نسبت الى آبائها
ولبطن عائشـــة التى فضلت أروم نسائها
متعطِّف الأعياص حو ل سريرها وفِنائها
ولدت أغرّ مباركاً كالبدر وسط سمائها
فى ليلة لا نحس في سَحَريّها وعِشـــائها
ان البلاد سوى بلا دك ضاق عرض فضائها
فاجمع بَنِيَّ الى بنيـــك فأنت خير رِعائها
نشهدك منا مشهداً ضَنْكاً على أعدائها

نحن الفوارس من قريـــش يوم جدّ لقائها
وأعـــدها رِفْدًا اذا رَفَدت (١) برَفد انائها
وأعمهـــا بسجالها وأضنّهـــا بدمائها
وأحشّها للنار ليـــلة صرّها وشـــتائها
حين القَتار الى الفتا ة أحب من أحمائها

ولما قال « ولبطن عائشة » قال له عبد الملك قل « ولنسل عائشة » فقال لا بل « ولبطن عائشة » حتى ردد ذلك عليه ثلاث مرات وهو يأبى الا « ولبطن عائشة ». وعائشة أم عبد الملك بنت معاوية بن المغيرة بن العاصى بن أمية

وقال فيها

بان الخليط الذى به نثق واشتد دون المليحة القلق
من دون صفراء فى مفاصلها لين وفى بعض بطشها خُرُق
قد تفرّق الله فى المحارم أو تعجز فى نفسها فتمحق
انى لأُخلى لها الفراش اذا قَصَّع (٢) فى حُضن عرسه الفرِق
من غير بغض لها لدىّ ولـــكن ذاك منى سجية خُلق
لست بجثّامة له كَرِش يأكل ما استطاع ثم يغتبق
قد بَرِمت عرسه بمضجعه ودت لو ان العجوز ينطلق
يظلّ يتقى الوليد عن عُقُب القِدر قليل الحياء منسحق
ليس عَسٍ أن يقال مر به أفراس صدق وأينق عُتُق
اما بجاه الى الملوك وامـــا فى ظلال الرايات تختفق
تُمّت ألفى لدى قراعهمُ يحمل بَزّى ذو مَيعة تَقِق
طِرْفٌ لديه الجياد متعبة ساط اذا ما يُبلّه العرق

(١) الرفد بالكسر القدح والرفد بالفتح المصدر فجعله اناء (٢) قصع تلفف

ومن قوله يمدح عبد العزيز بن مروان من قصيدة أولها

طرقته أسماء أم حلما أم لم تكن من رجالنا أمما

يقول فيها

فُجعت بالغرّ من أمية حا شى واحداً نجتلى به الظلما
أعني ابن ليلى عبد العزيز ببا ب اليمون[1] تغدو جفانه رُدُما
يلتفت الناس حول منبره اذا عمود البرية انهدما
مجرّب الحزم فى الأمور وان خفّت حلوم بأهلها حلما
ينتهب الحمد باليدين كما ناهب فرسانُ غارة نعما
أغر أشياخه العُصاة[2] بنو أمية المرغمون من رغما
أشياخ صدق نموا بمعتلج البطحاء كانوا لقومهم عصما
نالوا مواريث من جدودهمُ فورّثوها مروان والحكما
أهل الحمالة والدّسيعة[3] والمفنون عند الشدائد البُهَما
اخترت عبد العزيز مرتغباً والله للمرء خير من قسما
من البهاليل من أمية يز داد اذا ما مدحته كرما
لايحسب المِدحة الخداع ولا يدرك تياره اذا التطما
جاءت به حرة مهذبة كلبية كان بيتها دَعِما
مِلْ أصبَغيات والفوارع لا يحملن فوق الكواهل الحُزَما
هن العرانين من قضاعة أمـ ـنا بيتهن يمنع الذمما
يغدو وفرسانه مواكبه ذا يَلْمَق[4] ناشياً ومستلما
تُكنُّه خرقة[5] الدّرفس من الشمـ ـس كليث يفرج الأجَما

(١) اسم لموضع الفسطاط (٢) هم بنو العاص بن أمية (٣) الدسيعة العطية الجزيلة
(٤) اليلمق القباء مستلما مستلئما (٥) هى الراية

دانت له الوحش والسباع كما ... دانت مجوس الأبلّة الصنما
يقوت شبلين عند مُطْرَقة ... قد ناهزا للفِطام أو فُطما
لم يأت يوم الا وعندها ... لحم رجال أو يولغان (١) دما
مُضَبَّر (٢) يحبس الخميس وان ... بَلّت يداه بقرنه ندما
كأنما كسرت سواعده ... فما استوى جَبرها ولا التأما
قد جربت وقعه السباعُ فما ... تغمز منه ضعفاً ولا هرَما
فذاك شبهته ابن ليلى ولكنّ ... ابن ليلى يفوقه شيما
من يهَب البُخت والولائد كالغزلان والخيل تعلك اللُّجما
والهَجْمة (٣) الجلّة والجراجر والأعبد فيها تشبه الأكما
والوصفاء الحسان والذهب الأحمر مجداً إفادة قُحما
مجداً تليداً بناه أوله ... أدرك عاداً وقبلها إرَما
ينكر لا ان لا لمنكرة ... من فيه الا محالفاً نَعَما

ومن قوله فى علة عبد الله بن جعفر التى مات فيها

بات قلبي تشفُّه الأوجاع ... من هموم تُجِنُّها الأضلاع
من حديث سمعته منع النو ... م فقلبي مما سمعت يُراع
اذ أتانا بما كرهنا أبو السلاَّ ... س كانت بنفسه الأوجاع
قال ما قال ثم راغ سريعاً ... أدركت نفسه المنايا السراع
قال يشكو الصداع وهو سقيم ... بك لا بالذى عنيت الصُّداع
أبنَ أسماء لا أبالك تعني ؟ ... انه غير هالك نفاع

(١) كان ابن قيس قال أو يالغان ثم غيرته الرواة فقد قال يونس ان ذلك لا يجوز فقيل له قد قاله ابن قيس الرقيات وهو حجازى فصيح فقال ليس بفصيح ولا ثقة شغل نفسه بالشرب بتكريت (٢) مضبر شديد تلزيز العظام مكتنز اللحم (٣) الهجمة من الابل ما بين السبعين الى المائة والجلة المسان منها والجراجر العظام

هاشمى بكفه من سجال الـــمجد سَجْلٌ يهان فيها المتاع
سَّم الناس كل ذلك منه شيمة الجود ليس فيه خداع
لم أجد بعدك الأخلاء الا كشِماد به قَذًى أو نِقاع[1]
بيته من بيوت عبد مناف مد أطنابَه المكان اليفاع
منتهى المجد والنبوة والخيـــر اذا قصر اللئام الرِّضاع
فستأتيك مدحة من كريم ناله من ندى سِجالك باع

ومن قوله لما ارتحل من الجزيرة الى فِلَسطين من قصيدة أولها

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصابيت اذ رأيت المشيبا

يقول فيها

هزئت أن زرأت بى الشيب عِرْسى لا تلومى ذؤابتي أن تشيبا
ان يشب مَفْرِقى فان قريشاً جعلت بينها الحروب حروبا
فاظعِنى فالحقى بقومك انى لا أرى أن أقيم فيكم غريبا
فانزلي بنى كنانة تلقَيْ فيهم العز ان دعوت قريبا
حيث ان خرَّ سيف مولاك لم تخشَيْ من الناس من تَجَنَّى الذنوبا
ثم لم تعدَمى اذا شئت منا فارساً يوم نجـــدة وخطيبا
طالما قد نزلتُ فى غدوات[2] الـــأرض أقْرُو بك المكان الخصيبا
حين للعيش لذة ولنا حا ل ولم تُجعل الخطوب خطوبا
فأرى الدهر قد تغير بالنا س وقد كانت الشعوب شعوبا
ان تَرَىْ بعد مَرْج آل أبى الضَّيْـــزن ضيماً ولن أُقاد جنيبا
حلَق من بنى كنانة حولي بفِلَسْطين يسرعون الركوبا
من رجال تُفْني الرجال وخيل رُجُم بالقنا تَسُدُّ الغيوبا[3]

(١) واحده نقع وهو الغبار (٢) نواحيها (٣) غيوب الارض مطمأنتها أى تسدها الخيل

لا يبالون من أقام اذا ما كشفوا بالسيوف يوماً عصيبا
ذاك خير من البليخ ومن صو ت ذئاب على يدعون ذيبا
ان قوم الفتى همُ الكنز فى دنياه والحال تسرع التغليبا
قد أطيع الخليل ما لم أر العجز وأعلو بعد الشُّوب سُهوبا
بأولات البُرَى عليها رحال الـمَيْس يتبعن بالرسيم الغبيبا(١)

ومن قوله يمدح عبد الله بن الزبير من كلمة أولها

زودتنا رقية الأحزانا يوم جازت حمولها سكرانا
رائحات عشية عن قُدَيد واردات مع الضحى عُسفانا

يقول فيها

قل لفِنْد يشيع الأظعانا طالما سر غيبنا وكفانا
أنا من أجلكم هجرت بنى زيد ومن أجلكم أحب أبانا
ودخلنا الديار ما نشتهيها طمعاً أن ننالها أو ترانا
وابن أسماء خير من مسح الركن فعالا وخيرهم بنيانا
واذا قيل مَن هِجان قريش كنت أنت الفتى وأنت الهِجانا

ومن قوله

ليت شعرى أأول الهَرْج هذا أم زمان من فتنة غير هَرْج
ان يعش مصعب فنحن بخير قد أتانا من عيشنا ما نرجّى
ملك يطعم الطعام ويسقى لبن البُخْت فى عِساس الخَلَنْج
جلب الخيل من تهامة حتى بلغت خيله قصور زَرَنْج
حيث لم تأت قبله خيل ذى الأكتاف يوقفن بين قُفّ ومَرْج

وهذا الشعر يقوله ابن قيس لمصعب بن الزبير لما حشد للخروج عن الكوفة

(١) الغبيب متن الارض

عامداً لمحاربة عبد الملك بن مروان ، وكان السبب فى ذلك انه لما كانت سنة اثنتين وسبعين استشار عبدُ الملك عبد الرحمن بن الحكم فى المسير الى العراق ومناجزة مصعب ، فقال يا أمير المؤمنين قد واليت عامين تغزو فيهما وقد خسرت خيلك ورجالك ، وعامك هذا عام حارد فأرح نفسك ورجلك ، ثم ترى رأيك ، فقال انى أبادر ثلاثة أشياء ، الشام أرض المال بها قليل فأخاف أن ينفد ماعندى ، وأشراف أهل العراق قد كاتبونى فدعونى الى أنفسهم ، وثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كبروا وفقدت أعمارهم وأنا أبادر بهم أحب أن يحضروا معى ، ثم دعا يحيى بن الحكم وكان يقول من أراد أمراً فليشاور يحيى بن الحكم فاذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه ، فقال ما ترى فى المسير الى العراق ، قال أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مصعباً بالعراق فلعن الله العراق ، فضحك عبد الملك ودعا عبد الله بن خالد بن أسيد فشاوره فقال يا أمير المؤمنين قد غزوت مرة فنصرك الله ثم غزوت ثانية فزادك الله بها عزاً فأقم عامك هذا ، فقال لمحمد بن مروان ما ترى؟ قال أرجو أن ينصرك الله أقمت أم غزوت فشمر فان الله ناصرك ، فأمر الناس فاستعدوا للمسير ، فلما أجمع عليه قالت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجه يا أمير المؤمنين وجه الجنود وأقم فليس الرأى أن يباشر الخليفة الحرب بنفسه ، فقال لو وجهت أهل الشام كلهم فعلم مصعب انى لست معهم لهلك الجيش كله ثم تمثل

ومستخبر عنا يريد بنا الردي ومستخبرات والعيون سواكب

ثم قدم محمد بن مروان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبشر بن مروان ونادى مناديه ان أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيد الناس محمد بن مروان ، وبلغ مصعب بن الزبير مسير عبد الملك فأراد الخروج فأبى عليه أهل البصرة وقالوا عدونا يُطلّ علينا « يعنون الخوارج » فأرسل اليهم المهلب وهو بالموصل وكان عامله عليها فولاه قتال الخوارج وخرج مصعب فقال بعض الشعراء

أكلّ عام لك بالجَبيرا تغزو بنا ولا تُفيد خيرا

وكان مصعب كثيراً ما يخرج الى باجُبَيرا يريد الشام ثم يرجع ، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأحوفية ونزل مصعب بمَسْكِن الى جنب أوَانا وخندق ، ثم تحول ونزل دير الجاثليق وهو بمسكن وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ، فقدم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه كل واحد منهما الى جيش والأمير محمد ، وقدم مصعب ابراهيم ابن الأشتر ، ثم كتب عبد الملك الى أشراف أهل الكوفة والبصرة يدعوهم الى نفسه ويمنيهم ، فأجابوه وشرطوا عليه شروطاً وسألوه ولايات وسأله ولاية أصبهان أربعون رجلاً منهم ، فقال عبد الملك لمن حضره ويحكم ما أصبهان هذه ؟ تعجباً ممن يطلبها ، وكتب لابراهيم بن الأشتر لك ولاية ما سقى الفرات ان تبعتني ، فجاء ابراهيم بالكتاب الى مصعب فقال هذا كتاب عبد الملك ولم يخصصني بهذا دون غيري من نظرائي فأطعني فيهم ، قال أصنع ماذا ؟ قال تدعوهم فتضرب أعناقهم ، قال أقتلهم على ظن ظننته ؟ قال فأوقرهم حديداً وابعث بهم الى أرض المدائن حتى تنقضي الحرب ، قال إذاً تفسد قلوب عشائرهم ويقول الناس عبث مصعب بأصحابه ، قال فان لم تفعل فلا تُمدني بهم فانهم كالموسة تريد كل يوم خليلاً وهم يريدون كل يوم أميراً ، فأرسل عبد الملك الى مصعب رجلا يدعوه الى أن يجعل الأمر شورى فى الخلافة ، فأبى مصعب ، فقدم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال اللهم انصر محمداً اللهم انصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة ، وقدم مصعب ابراهيم بن الأشتر فالتقت المقدمتان وبين عسكر مصعب وعسكر ابن الأشتر فرسخ ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد ، فتناوشوا قليلاً ، فقتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس وقتل صاحب لواء بشر وكان يقال له أسيد ، فأرسل محمد الى عبد الملك أن بشراً قد ضيع لواءه ، فصرف عبد الملك الأمر كله الى محمد وكف الناس وتواقفوا وجعل أصحاب ابن الأشتر يهمون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه ، فأرسل

عبد الملك الى محمد ناجزهم ، فأبى ، فأوفد اليه رسولاً آخر وشتمه ، فأمر محمد رجلا فقال له قف خلفي في ناس من أصحابك فلا تدعن أحداً يأتيني من قبل عبد الملك ، وكان قد دبر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة الى وقت رآه فكره أن يفسد عبد الملك تدبيره عليه ، فوجه اليه عبد الملك عبد الله بن خالد بن أسيد ، فلما رأوه أرسلوا الى محمد بن مروان ان هذا عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال ردوه بأشد ما رددتم به من جاء قبله ، فلما قرب المساء أمر محمد بن مروان أصحابه بالحرب وقال حركوهم قليلاً ، فتهايج الناس ، ووجه مصعب الى ابراهيم عتاب بن ورقاء الرياحي يعجز ابراهيم ، فقال قد قلت له لا تمدني بأحد من أهل العراق فلم يقبل ، واقتتلوا ، وأرسل ابراهيم بن الأشتر الى أصحابه بحضرة الرسول ليرى خلاف أهل العراق عليه فى رأيه ألاَّ تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهل الشام عنكم ، فقالوا فلم لا ننصرف ؟ وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً ، وصبر ابراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قتل ، فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال انطلق الى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر ، فذهب ، ثم رجع الى محمد فقال رأيتهم منكسرين ، وأصبح مصعب فدنا منه ودنا محمد بن مروان حتى التقوا فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان ، فدنا الى مصعب ثم ناداه فداك أبى وأمى ان القوم خاذلوك ولك الأمان ، فأبى قبول ذلك ، فدعا محمد بن مروان ابنه عيسى بن مصعب ، فقال أبوه انظر ما يراه محمد ، فدنا منه ، فقال له انى لكم ناصح ان القوم خاذلوكم ولك ولأبيك الأمان وناشده ، فرجع الى أبيه فأخبره ، فقال انى أظن أن القوم سبقونا فان أحببت أن تأتيهم ، فقال والله لا تتحدث نساء قريش أنى خذلتك ورغبت بنفسى عنك ، قال فتقدم حتى أحتسبك ، فتقدم وتقدم ناس معه فقتل وقتلوا وترك أهل العراق مصعباً وحده حتى بقى فى سبعة ، وجاء رجل من أهل الشام ليختز رأس عيسى فشد عليه مصعب فقتله ثم شد على الناس

فانفرجوا ، ثم رجع فقعد على مِرْفقة ديباج ، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشام فيفرجون عنه ، ثم يرجع ويقعد على المرفقة حتى فعل ذلك مراراً ، وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبيان فدعاه الى المبارزة ، فقال له اعزب يا كلب وشد عليه مصعب فضربه على البَيضة فهشمها وجرحه ، فرجع عبيد الله فعصب رأسه ، وجاء ابن أبي فروة كاتب مصعب فقال جعلت فداك قد تركك القوم وعندى خيل فاركبها وانج بنفسك ، فدفع فى صدره وقال ليس أخوك بالعبد ، فرجع ابن ظَبيان الى مصعب فحمل عليه وزرق زائدة بن قُدامة مصعباً ونادى يا لثارات المختار ، فصرعه ، ونزل اليه عبيد الله بن ظَبيان فاحتز رأسه ، فأتى به عبد الملك بن مروان ولما وضعه بين يديه سجد ، قال ابن ظبيان فهممت والله أن أقتله فأكون أفتك العرب قتلت ملكين من قريش فى يوم واحد ثم وجدت نفسى تنازعني الى الحياة فأمسكت ، فقال ابن قيس الرقيات يرثى مصعباً

ان الرزية يوم مَسْكِن والمصيبة والفجيعة
بابن الحَواريّ الذي لم يَعْدُه يوم الوقيعة
غدرت به مضر العرا ق وأمكنت منه ربيعة
وأصبتِ وترك يا ربيـ ـعَ وكنت سامعة مطيعة
يا لهف لو كانت لها بالدَّير يوم الدير شيعة
أو لم يخونوا عهده أهل العراق بنو اللكيعة
لوجدتموه حين يعـ ـدو لا يعرس بالمضيعة

وقال يرثيه

لقد أورث المصرين خزياً وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم
فما نصحت لله بكر بن وائل ولا صبرت عنـ ـد اللقاء تميم
ولو كان بكرياً تعطف حوله كتائب يَغْلى حَيْهُا ويدوم

ولكنه ضاع الذمام ولم يكن بها مُضَرى يوم ذاك كريم
جزى الله كوفياً هناك ملامة وبصريهم ان المليم مُليم
وان بنى العلّات أخلَوْا ظهورنا ونحن صريح بينهم وصميم
فان نَقْن لا يبقوا أولئك بعدنا لذى حرمة في المسلمين حريم

وكان مصعب لما قدم الكوفة يسأل عن الحسين بن علي عليه السلام وعن قتله فجعل عروة بن المغيرة يحدثه عن ذلك فقال متمثلا

فان الأولى بالطّف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال عروة فعلمت أن مصعباً لا يفر أبداً ، ولما كان يوم السبخة حين عسكر الحجاج بازاء شبيب الشاري قال له الناس لو تنحيت أيها الأمير عن هذه السبخة فقال لهم ما تنحونى والله اليه أنتن ، وهل ترك مصعب لكريم مَفَرّاً ، ثم تمثل قول الكَلحبة

اذا المرء لم يغشَ المكاره أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا

قال شيخ من أهل مكة فلما أتى عبد الله بن الزبير قتل مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدث به اماء مكة فى الطريق ، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم فنظرت اليه والكآبة على وجهه وجبينه يرشح عرقاً ، فقلت لآخر الى جنبى ماله لا يتكلم ؟ أتراه يهاب المنطق ؟ فوالله انه لخطيب فما تراه يهاب ؟ قال أراه يريد أن يذكر قتل مصعب سيد العرب وهو بفظيع تذكره غير ملوم ، فقال عبد الله بن الزبير الحمد لله الذى له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، الا انه لم يذل والله من كان الحق معه وان كان مفرداً ضعيفاً ولم يعز من كان الباطل معه وان كان في العدة والعدد والكثرة ، ثم قال انا قد أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا ، أتانا أن مصعباً قتل رحمة الله عليه ومغفرته ، فأما الذى حزننا من ذلك فان لفراق الحميم لَذْعة يجدها حميمه عند

المصيبة ، ثم يرعوى من بعدُ ذوالرأى والدين الى جميل الصبر ، وأما الذى سرنا منه فانا قد علمنا ان قتله شهادة له وانه عز وجل جاعل ذلك لنا وله ذخيرة ان شاء الله ، ان أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن ، لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيار الصالحين ، انا والله مانموت حتف أنوفنا مانموت الاقتلا قَعْصاً بالرماح وتحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل رجل منهم فى جاهلية ولا اسلام قط ، وان الدنيا عارية من الملك القهار الذى لايزول سلطانه ولا يبيد ملكه ، فان تقبل الدنيا علىّ لا آخذها أخذ الأَشِرِ البَطِرِ ، وان تدبر عنى لا أبك عليها بكاء الحزن المنهمر ، ثم نزل ، وقال رجل من بنى أسد بن عبد العزى يرثي مصعباً

لعمرك ان الموت منا لمولع ... بكل فتى رَحْب الذراع أريب
فان يك أمسى مصعب نال حتفه ... لقد كان صُلْب العود غير هَيوب
جميل المحيا يوهن القِرْن غَرْبه ... وان عضه دهر فغير رَهوب
أتاه حِمام الموت وسط جنوده ... فطاروا شلالا واستقوا بذَنوب
ولو صارحوا نالوا حُبّاً وكرامة ... ولكنهم دلّوا بغير قلوب

وقال عبد الملك يوماً لجلسائه من أشجع الناس ؟ فأكثروا فى هذا المعنى ، فقال أشجع الناس مصعب بن الزبير جمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وابنة الحميد بنت عبد الله بن عباس وولى العراقين ثم زحف الى الحرب فبذلت له الأمان والحِباء والولاية والعفو عما خلص فى يده فأبى قبول ذلك واطّرح كل ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره وأقبل بسيفه قُدُماً يقاتل مابقى معه الا سبعة نفر حتى قتل كريماً

ومن قول ابن قيس يمدح مصعباً

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها

رأت بى شيبة فى الرأ س منى ما أغيبها
فقالت أبن قيس ذا ؟ وغير الشيب يعجبها
رأتني قد مضت منى وغضّات صواحبها
ومثلك قد لهوت بها تمام الحسن أعيبها
لها بعل غيور قا عد بالباب يحجبها
يرانى هكذا أمشى فيوعدنى ويضربها
ظَلِلت على نمارقها أُفَدِّيها وأخلُبها
أحدثها فتومن لى فأصدُقها وأكذبها
فدع هذا ولكن حا جة قد كنت أطلبها
الى أم البنين متى يُقَرِّبها مقربها
أتتنى فى المنام فقلـ ـت هذا حين أُعقبها
فلما أن فرحت بها ومال على أعذبها
شربت بريقها حتى نَهِلت وبت أشربها
وبت ضجيعها جَذْلا ن تعجبني وأعجبها
وأضحكها وأبكيها وألبسها وأسلبها
أعالجها فتصرعني فأرضيها وأغضبها
فكانت ليلة فى النو م نسمرُها ونلعبها
فأيقظنَا منـاد فى صلاة الصبح يرقبها
فكان الطيف من جنـ ـية لم يُدْرَ مذهبها
يؤرقنا اذا نمنا ويبعد عنك مَنْزِبها
لمصعب عند جد القو ل أكثرها وأطيبها
وأمضاها بألوية يسد الفَجَّ مِقْنبها

اذا خرجت برابية سراياها وموكبها
بنصر الله يعلوها ويمريها ويغلبها
ويُذكيها بكفيه اذا ما لاح كوكبها

سلمة بن عياش

مولى بني حِسْل بن عامر بن لؤى . من مخضرمى الدولتين ، وكان يتدين ويتصون ، وانقطع الى جعفر ومحمد ابني سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ومدحهما فأكثر وأجاد ، ومما مدحهما به وفيه غناء قوله

أرقت وطالت ليلتى بأبان لبرق سرى بعد الهدوء يمان
يضىء بأعلام المدينة هُمَّدا الى أَمَج فالطلح طلح قنان

يقول فيها

وردت خليجى جعفر ومحمد وكل بَدِىٍّ من نداه سقانى
هما ابنا رسول الله وابنا ابن عمه فقد كرم الجدان والأبوان

ومن قوله وفيه غناء

أنار بدت وَهْناً لعينك ترمض ببغداد أم سار من البرق مُومِض
يضىء سناه مُكْفَهِراً كأنه حناتم سود أو عِشار تَمَخَّض

يقول فيها

ولولا انتظاري جعفراً ونواله لما كان فى بغداد ما أتبرض

ومن قوله يرثى أبا سفيان بن العلاء

لعمرك لا تعفو كلوم مصيبة على صاحب إلا فجعت بصاحب
تقطع أحشائى اذا ما ذكرتكم وتنهل عينى بالدموع السواكب
وكنت امرأ جلداً على ما ينوبنى ومعترفاً بالصبر عند المصائب

فهد أبو سفيان ركنى ولم أكن جزوعا ولا مستنكراً للنوائب
غنينا معاً بضعاً وستين حجة خليلى صفاء ودنا غير كاذب
فأصبح لما حالت الأرض دونه على قربه منى كمن لم أصاحب

ومن قوله يتغزل فى جارية يهواها اسمها بربر وهى جارية لمحمد بن سليمان

الى الله أشكو ما ألاقى من القلى لأهلى وما لاقيت من حب بربر
على حين ودعت الصبابة والصبا وفارقت أخدانى وشمرت مئزرى
نأى جعفر عنا وكان لمثلها وأنت لنا فى النائبات كجعفر

وقد وهبها له محمد ، وفيها يقول وفيه غناء

أظن الحب من وجدى سيقتلنى على بربر
وبربر درة الغوا ص من يملكها يحبر
فخافى الله يا بربر فقد أفتنت ذا العسكر
بحسن الدل والشكل وريح المسك والعنبر
ووجه يشبه البدر وعينى جؤذر أحور

شعراء جمح

أبو دهبل

هو وهب بن زَمْعة بن أسيد الجمحى من بنى جمح بن عمرو بن هُصص بن كعب وأمه من هُذَيل وإياها يعني بقوله

أنا ابن الفروع الكرام التى هُذَيل لأبياتها سابلة
هم ولدونى وأشبههم كما تشبه الليلة القابلة

كان أبو دَهْبَل رجلاً جميلاً شاعراً وكانت له حُجة يرسلها فتضرب منكبيه وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن

ومن قوله يفخر بقومه

قومى بنو جُمَح قوم اذا انحدرت شَهْباء تُبصر فى حافاتها الزَّغَفا
أهل الخلافة والموفون ان وعدوا والشاهدو الروع لاعُزْلاً ولا كُشُفا

وله أيضاً

أنا أبو دَهْبَل وَهْبٌ لوَهَب من جُمَح فى العز منها والحسب
والأُسْرة الخضراء والعِيص الأَشِب ومن هُذَيل والدى عالي النسب
أورثنى المجدَ أب من بعد أب رمحى رُدَيْنى وسيفى المستلب
وبَيْضتى قَوْنسها من الذهب درعى دِلاص سَرْدها سرد عجب
والقوس[1] فَجَّاء لها نبل ذَرِب محشورة أحكم منهن القطب
ليوم هيجاء أعـدت للرَّهب

(١) قوس فجاء بان وترها عن كبدها وذرب حاد ومحشورة من حشر السنان دققه ولطفه

كان أبو دهبل يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة وكانت امرأة جزْلة تجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والأخبار وكان أبو دهبل لايفارق مجلسها مع كل من يجتمع اليها ، وكانت هى أيضاً محبة له ، وكان أبو دهبل رجلا سيداً من أشراف بنى جُمَح ، وكان يحمل الحَمالات ويعطى الفقراء ويَقْرى الضيف ، وكانت عمرة توصيه بحفظ مابينهما وكتمانه فضمن لها ذلك ، واتصل مابينهما فوقفت عليه زوجته فدست الى عمرة امرأة داهية من عجائز أهلها ، فجاءتها فحادثتها طويلا ، ثم قالت فى عرُض حديثها انى لأعجب لك كيف لاتتزوجين أبا دهبل مع مابينكما ؟ قالت وأى شىء يكون بيني وبين أبى دهبل ؟ فتضاحكت وقالت أتسترين عني شيئاً قد تحدث به أشراف قريش في مجالسها وسوقة أهل الحجاز فى أسواقها والسقاة فى مواردها فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوَينه ؟ فوثبت من مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير اليها ، وجاء أبو دهبل على عادته فحجبته وأرسلت اليه بما كره ففى ذلك يقول

نطاول هـذا الليل ما يتبلج ... وأعيت غواشى عَبْرتى ما تُفرج
وبت كئيباً ما أنام كأنما ... خلال ضلوعى جمرة تتوهج
فطوراً أمني النفس من عمرة المني ... وطوراً اذا ماجا بى الحزن أنْشَج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن الى أن يوصل الحبل أحوج
رأوا غِرّة فاستقبلوها بإلبهم ... فراحوا على مالا يحب وأدلجوا
وكانوا أناساً كنت آمن غيبهم ... فلم يَتَّهِمهم حلمى ولم يتحرجوا
فليت كوائناً من أهلى وأهلها ... بأجمعهم فى قعر دجلة لججوا
هم منعونا ما نحب وأوقدوا ... علينا وشبّوا نار صَرْم تأجّج
ولو تركونا لاهدى الله سعيهم ... ولم يُلْحموا قولا من الشر يُنْسَج
لأوشك صَرْف الدهر يفرق بيننا ... ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج

عسى كربة أمسيت فيها مقيمة ... يكون لنا منها نجاة ومخرج
فيُكبت أعداء ويَجذل آلِف ... له كبد من لوعة الحب تَلْعَج
وقلت لعباد وجاء كتابها ... لهذا وربى كانت العين تَخْلُج
وانى لمحزون عشية زرتها ... وكنت اذا ما جئتها لا أُعرِّج
أخطط فى ظهر الحصير كأنني ... أسير يخاف القتل ولهان مُلْفَج (١)
وأشفق قلبى من فراق خليلة ... لها نسب فى فرع فِهْر متوج
وكف كهُدَّاب الدِّمَقْس لطيفة ... بها دوس حناء حديث مدرج
يجول وشاحاها ويغتصّ حِجْلها ... ويشبع منها وفق عاج ودُمْلُج
فلما التقينا لجلجت فى حديثها ... ومن آية الصَّرْم الحديث الملَجْلَج

وقال فيها

يا عَمْرَ حُمَّ فراقكم عَمْرا ... وعزمتِ منا النأى والهجرا
يا عمر شيخك وهو ذو كرم ... يحمى الذِّمار ويكره الصهرا
ان كان هذا السحر منك فلا ... ترعَنْ علىَّ وجددى السحرا
احدي بني أوْد كلفت بها ... حملت بلا وتر لنا وترا
وترى لها دَلاً اذا نطقت ... تركت بناتِ فؤاده صُعْرا
كتساقط الرطب الجنى من الـ ... أفنان لا نَشْرا ولا نَزْرا
أقسمت ما أحببت حبكم ... لا ثيباً خلقت ولا بكرا
ومقالة فيكم عَرَكت بها ... جنبى أريد بها لك العذرا
ومريد سركمُ عدلت به ... فيما يحاول معدلا وَعْرا
قالت يقيم بنا لنجزيه ... يوماً نخيم عندها شهرا
ما ان أقيم لحاجة عرضت ... الا لأُبْلِي فيكم العذرا

(١) ألفج الرجل لزق بالارض من كرب أو حاجة فهو ملفج على وزن اسم المفعول وهو نادر

وفيها يقول

يلومونني في غير ذنب جنيته ... وغيري في الذنب الذي كان ألوم
أمنّا أناساً كنت تأمنينهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوهموا
وقالوا لنا مالم نقل ثم أكثروا ... علينا وباحوا بالذي كنت أكتم
لقد كحلت عيني القذى لفراقكم ... وعاودها تهتانها فهي تسجم
وأنكرت طيب العيش مني وكدرت ... عليّ حياتي والهوى متقسم
وصافيت نسواناً فلم أرَ فيهمُ ... هواي ولا الود الذي كنت أعلم
أليس عظيما أن نكون ببلدة ... كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلم
ولا تصرميني أن ترَيْني أحبكم ... أبوء بذنبي انني أنا أظلم

حجت عاتكة بنت معاوية فنزلت من مكة بذي طُوَى فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق وذلك في وقت الهاجرة اذ أمرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها عليها شُفوف لها تنظر الى الطريق اذ مر بها أبو دَهْبَل وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً فوقف طويلاً ينظر اليها والى جمالها وهي غافلة عنه فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته فقال

انى دعاني الحين فاقتادني ... حتى رأيت الظبي بالباب
ياحسنه اذ سبني مدبراً ... مستتراً عني بجلباب
سبحان من وقفها حسرة ... صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها ان تطلبتها ... أب لها ليس بوهاب
أحلها قصراً منيع الذُّرى ... يحمى بأبواب وحجاب

وأنشد هذه الأبيات بعض اخوانه فشاعت بمكة وشهرت وغنى فيها المغنون حتى سمعتها عاتكة انشاداً وغناء فضحكت وأعجبتها وبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما ، فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام ونزل قريباً منها فكانت

تعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها ومرض بدمشق مرضاً شديداً فقال فى ذلك

طال ليلى وبت كالمحزون ... وملِلت الثواء فى جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى ... ظن أهلى مرجَّمات الظنون
فبكت خشية التفرق جُمْل ... كبكاء القَرين اثر القرين
وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوا ... ص ميزَت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها ... فى سناء من المكارم دون
ثم خاصرتها الى القبة الخضـــــراء تمشى فى مرمر مسنون
قبة من مَراجل ضربوها ... عند برد الشتاء فى قَيْطون
عن يسارى اذا دخلت من البا ... ب وان كنت خارجاً عن يمينى
ولقد قلت اذ تطاول سقمى ... وتقلبت ليلتى فى فنون
ليت شعري أمن هوًى طار نومى ... أم برانى البارى قصير الجفون

وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه حتى اذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبل فقال معاوية لحاجبه اذا أراد أبو دهبل الخروج فامنعه واردده الىَّ ، وجعل الناس يسلمون وينصرفون ، فقام أبو دهبل لينصرف فناداه معاوية يا أبا دهبل ادنُ الىَّ ، فلما دنا اليه أجلسه حتى خلا به ثم قال له ما كنت ظننت أن فى قريش أشعر منك حيث تقول « ولقد قلت البيتين » غير انك قلت « وهى زهراء البيتين » ووالله ان فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت ، وأى شىء زدت فى قدرها ؟ ولقد أسأت فى قولك

ثم خاصرتها الى القبة الخضـــــراء تمشى فى مرمر مسنون

فقال والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا وانما قيل على لسانى ، فقال له أما من جهتى فلا خوف عليك لأنى أعلم صيانة ابنتى نفسها وأعرف أن فتيان الشعر لم

يتركوا أن يقولوا النسيب فى كل من جاز أن يقولوه وكل من لم يجز وانما أكره لك جوار يزيد وأخاف عليك وثباته فان له سورة الشباب وأنفة الملوك ، وانما أراد معاوية أن يهرب أبو دهبل فتنقضي المقالة عن ابنته ، فحذر أبو دهبل فخرج الى مكة هارباً على وجهه فكان يكاتب عاتكة ، فبينا معاوية ذات يوم فى مجلسه اذ جاءه خصى له فقال يا أمير المؤمنين والله لقد سقط اليوم الى عاتكة كتاب فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحت مصلاها ومازالت خاثرة النفس منذ اليوم ، فقال له اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به فانطلق الخصى فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة فأخذ الكتاب وأقبل به الى معاوية فاذا فيه

أعاتكَ هلا اذ بخلت فلا تُرَى ... لذى صبوة زلفى لديك ولا يرقى
رددتِ فؤاداً قد تولى به الهوى ... وسكنت عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا
ولكن خلبتِ القلب بالوعد والمنى ... ولم أر يوماً منك جوداً ولا صدقا
أتنسَيْنَ أيامى بِرَعْك مُدْنَفاً ... صريعاً بأرض الشام ذا سقم مُلْفى
وليس صديق يرتضى لوصية ... وأدعو لدائى بالشراب فما أسقى
وأكبر همي أن أرى لك مرسلا ... فطول نهاري جالس أرقب الطرقا
فواكبدى اذ ليس لي منك مجلس ... فأشكو الذى بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة ... ويزداد قلبى كل يوم لكم عشقاً

فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث الى يزيد فأتاه ، فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً ، فقال يا أمير المؤمنين ما هذا الأمر الذى شجاك ؟ قال أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم وما أدري ما أعمل فى شأنه ، قال وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا الفاسق أبو دهبل كتب بهذه الأبيات الى أختك عاتكة فلم تزل باكية منذ اليوم وقد أفسدها فما ترى فيه ؟ فقال والله ان الرأى لهين ، قال وما هو ؟ قال عبد من عبيدك يكمن له فى أزقة مكة فيريحنا منه ، قال معاوية أف لك والله ان امرأ

يريد بك ما يريد ويسمو بك ما يسمو لغير ذى رأى وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش ، أو ما تعلم أنك اذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدوثة أبداً ؟ قال يا أمير المؤمنين انه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به ، قال وما هى ؟ قال

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل ... وما كل من يَلْحَى محباً له عقل
لقد كان فى حولين حالاً ولم أزر ... هواى وان خوفت عن حبها شغل
حمى الملك الجبار عنى لقاءها ... فمن دونها تُخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله ... ولا فى حبيب لا يكون له وصل
فوا كبدى انى شهرت بحبها ... ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجباً انى أكاتم حبها ... وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

فقال معاوية قد والله رفهت عنى فما كنت آمن أنه وصل اليها فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل فاخطب فيه يسير قم عنى ، فقام يزيد فانصرف وحج معاوية فى تلك السنة ، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبى دهبل ، ثم دعا بهم ففرق فى جميعهم صلات سنية وأجازهم جوائز كثيرة ، فلما قبض أبو دهبل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية ، فرجع اليه ، فقال له يا أبا دهبل ما لي رأيت أباخالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً فى قوارص تأتيه عنك وشعر لا تزال نطقت به وأنفذته الى خصمائنا وموالينا ؟ لا تعرض لأبى خالد ، فجعل يعتذر اليه ويحلف له أنه مكذوب عليه ، فقال له معاوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك عندنا هل تأهلت ؟ قال لا ، قال فأى بنات عمك أحب اليك ؟ قال فلانة ، قال قد زوجتكها وأصدقتها ألف دينار وأمرت لك بألف دينار ، فلما قبضها قال ان رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي

عما مضى فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق منى فقد أبحت له دمى وفلانة التى زوجتنيها طالق البتة ، فسرَّ ذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعده بادرار ما وصله به فى كل سنة ، وانصرف الى دمشق ولم يحجج معاوية فى تلك السنة الا من أجل أبى دهبل

وفد أبو دهبل على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق والهبرزى ، وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن ، فأنكره ورأى منه جفوة ، فمضى الى عمارة بن عمرو بن حزم وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حضرموت ، فقال يمدحه ويعرض بابن الأزرق

يارب حى بخير ما حييت انساناً عمارة
أعطى فأسنانا ولم يك من عطيته الصغارة
ومن العطية ما تُرى جذْماء ليس لها غزَارة
حجراً تقلبه وهل تعطى على المدح الحجارة
كالبغل يحمد قائماً وتذم مشيته المصارة

ثم رجع من عند عمارة فقال له حُنَين مولى ابن الأزرق فى السر أرى أنك عجلت على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم فعد اليه فانه غير تاركك واعلم أنا نخاف أن يكون قد عزل فلازمه ولا يفقِدك فانى أخاف أن ينساك ففعل وأعطاه وأرضاه ، فقال فى ذلك

ياحن انى لما حدثتنى أصُلا مُرَنَّح من صميم الوجد معمود
نخاف عزل امرىء كنا نعيش به معروفه ان طلبنا الجود موجود
اعلم بأنى لمن عاديت مضطغن ضبّاً وانى عليك اليوم محسود
وأن شكرك عندي لا انقضاء له ما دام بالهضب من لُبنان جلمود

أنت الممدح والمغلي به ثمناً ... اذ لا تمدح صُم الجندل السوده
ان تَغْدُ من مَتْلَي نَجْران مرتحلا ... يرحل من اليمن المعروف والجود
ما زلت فى دَفَعات الخير تفعلها ... لما اعترى الناس لأواء ومجهود
حتى الذى بين عُسْفان الى عَدَن ... لُحْبٍ(١) لمن يطلب المعروف أُخدود

ولى عبد الله بن الزبير ابراهيم الوَقَّاصى مكان ابن الأَزرق ، فاستأذنه أبو دهبل فى صحبة الوقاصى فأذن له فرجع معه حتى اذا دخلوا صنعاء لقيهم بجير بن ريسان الذى يقول فيه أبو دهبل

بُجَير بن ريسان الذى سكن الجَنَد ... يقول له الناس الجوادُ وما وَلَد
له نفحات حين يذكر فضله ... كسيل ربيع فى ضحاضحة السند

وأقام أبو دهبل معه فلم يصنع به خيراً ، فقال

ماذا رُزئنا غداة الخَلّ(٢) من رِمَع ... عند التفرق من خِيم ومن كرم
ظل لنا واقفاً يعطى فأكثر ما ... سمى وقال لنا فى قوله نَعَم
ثم انتحى غير مذموم واعيننا ... لما تولى بدمع واكف سجم
تحمله الناقة الأدماء معتجراً ... بالبرد كالبدر جلّى ليلة الظلم
وكيف أنساك لا أيديك واحدة ... عندي ولا بالذي أوليت من قدم
حتى لقينا بجيراً عند مَقْدَمنا ... فى موكب كضباع الجزع مرتكم
لما رأيت مقامى عند بابهمُ ... ودِدْت أنى بذاك الباب لم أقم

وقال أبو دهبل فى ابن الأَزرق لما عزل

فمن يك شانه العزل أو هد ركنه ... لأعدائه يوماً فما شانك العزل
وما أصبحْت من نعمة مستفادة ... ولا رَحِم الا عليها لك الفضل

(١) اللحب الطريق الواضح (٢) موضع بين مكة والمدينة ورمع موضع باليمن

وقال فيه أيضاً

عُقِم النساء فلم يلِدْن شبيهه ان النساء بمثله عُقْم
متهلل بنعم بلا متباعد سيان منه الوفر والعُدم
نزر الكلام من الحياء تخاله ضَمِناً وليس بجسمه سقم

وقال يمدحه

بأبي وأمي غير قول الباطل الكامل ابن الكامل ابن الكامل
والحازم الأمر الكريم برأيه والواصل الأرحام وابن الواصل
جمع الرياسة والسماح كليهما جمع الجفير قِدَاح نَبْل النابل

قال أبو عمرو الشيبانى كان ابن الزبير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن فمد يده الى أموالها وأعطى أعطية سنية وبث فى قريش منها أشياء جزيلة فأثنت عليه قريش ووفدوا اليه فأسنى لهم العطايا ، وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فحسده وعزله بابراهيم بن سعد بن أبى وقاص ، فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه ، فقال له مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل وقدم مكة ، فخافت قريش ابن الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت اليه لتمنعه ، فلما لقيهم نزلت اليه قريش فسلمت عليه وبسطت له أرديتها وتلقتهم اماؤهم وولائدهم بمجامر الأَلُوَّة والعود المندلى يبخرون بين يديه حتى دخل الى المسجد وطاف بالبيت ، ثم جاء الى ابن الزبير فسلم عليه وهم معه مطيفون به ، فعلم ابن الزبير أنه لاسبيل له اليه فما عرَّض ولا صرَّح له بشىء ومضى الى منزله

قدم سليمان بن عبد الملك مكة فى حر شديد فكان ينقل سريره بفِناء الكعبة وأعطى الناس العطاء ، فلما بلغ بنى جُمَح نودى بأبى دهبل ، فقال سليمان أين أبو دهبل الشاعر ؟ فأتى به ، فقال سليمان أنت أبو دهبل الشاعر ؟ قال نعم ، قال فأنت القائل

فتنة يشعلها من راءها حطب النار فدعها تشتعل
فاذا ما كان أمن فأنهم واذا ما كان خوف فاعتزل

قال نعم ، قال وأنت القائل

يدعون مَرْوان كيما يستجيب لهم وعند مروان حار القوم أو رقدوا
قد كان فى قوم موسى قبلهم جسد عِجْل اذا خار فيهم خَوْرة سجدوا

قال نعم ، قال فأنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ، لا والله ولا كرامة ، قال يا أمير المؤمنين ان قوماً فتنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم فعفوتم عنهم وانما فتنت فقلت بلسانى فلم لا يعفى عنى ؟ فقال سليمان قد عفونا عنك ، وأقطعه قطيعة بحاذان باليمن ، فقيل لسليمان كيف أقطعته هذه القطيعة ؟ قال أردت أن أمينه وأميت ذكره بها

ومن قوله فى قتل الحسين بن علي صلوات الله عليه وزكواته

تبيت سكارى من أمية نُوَّماً وبالطَّفّ قتلى ما ينام حميمها
وما أفسد الاسلام الا عصابة تأمَّر نَوْكاها ودام نعيمها
فصارت قناة الدين فى كف ظالم اذا اعوج منها جانب لا يقيمها

ومن قوله

سقى الله جارينا ومن حل وَلْيَه قبائل جاءت من سَهَام وسُرْدَد (١)
ومحصولة الدار التى خيمت بها سقاها فأروى كل رَبْع وفَدْفَد
فأنت التى كلفتني البَرْك شاتياً وأوردتنيه فانظري أين موردى
فواندمى اذ لم أعُج اذ تقول لي تقدم فشيعنا الى ضحى الغد
تكن سكناً أو تقدر العين أنها ستبكي مراراً فاسلُ من بعد واجهد
فأصبحت مما كان بيني وبينها سوى ذكرها كالقابض الماء باليد

(١) سردد فى ولاية اليمن وسهام موضع باليمامة

لعلك أن تلقى محباً فتشتفى بروية ريم بضة المتجرد
بلاد العدا لم تأتها غير أنها بها هم نفسى من تهام ومنجد
وما جعلت ما بين مكة ناقتى الى البرك الا نومة المتهجد
وكانت قبيل الصبح تنبذ رحلها بدورة من نفط القطا المتبدد

ومن قوله

ألا علق القلب المتيم كلثما لجاجاً ولم يلزم من الحب ملزما
خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادى بالصلاة فأعتما
فما نام من راع ولا ارتد سامر من الحى حتى جاوزت بى يلملما
ومرت ببطن الليث تهوى كأنما تبادر بالادلاج نهباً مقسما
وجازت على البزواء والليل كاسر جناحيه بالبزواء وردا وأدهما
فما ذر قرن الشمس حتى تبينت بعليب نخلاً مشرفاً ومخيما
ومرت على أشطان روقة بالضحى فما جرّرت للماء عيناً ولا فما
فما شربت حتى ثنيت زمامها وخفت عليها أن تجر وتكلما
فقلت لها قد بنت غير ذميمة وأصبح وادى البرك غيثاً مديما

ومن قوله يرثى ابن الأزرق

لقد غال هذا اللحد من بطن عليب فتى كان من أهل الندى والتكرم
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ونعم الفتى للطارق المتيمم
أألحق انى لا أزال على منى اذا صدر الحجاج عن كل موسم
سقى الله أرضاً أنت ساكن قبرها سجال الغوادى من سحيل ومبرم

وقع لأبى دهبل ميراث بمصر فخرج يريده ثم رجع من الطريق فقال

اسلمى أم دهبل بعد هجر وتقض من الزمان وعمر
واذكرى كرّى المطى اليكم بعدما قد توجهت نحو مصر

لا تخالي انى نسيتك لما حال نبش من به خلف ظهر
ان تكونى أنت المقدم قبلى وأطع يثوعند قبرك قبري

كان أبو ريحانة عم أبى دهبل شديد الخلاف على عبد الله بن الزبير فتوعده عبد الله بن صفوان ، فلحق بعبد الملك بن مروان ، فاستمده الحجاج فأمده بعبد الملك مولى عثمان فى أربعة آلاف ، فأشرف أبو ريحانة على أبى قبيس فصاح أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكة ؟ فقال له ابن أبى عتيق بلى والله قد أخزانا الله ، فقال له ابن الزبير مهلا يا ابن أخى ، فقال قلنا لك ائذن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا الى ماترى من الكثرة ، وقال أبو دهبل فى وعيد عبد الله بن صفوان عمه أبا ريحانة

ولا توعد لتقتله عليا فان وعيده كلأ وبيل
ونحن ببطن مكة اذ تداعى لرهطك من بني عمرو رعيل
أولو الجمع المقدم حين ثابوا اليك ومن يودعهم قليل
فلما أن تقانينا وأودى بثروتنا الترحل والرحيل
جعلت لحومنا غرضاً كأنا لتهلكنا عروبة أو سلول

شعراء عديّ بن كعب

عمرو بن سعيد

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي من عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ وأبوه أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حِراء ، فرجف بهم ، فقال اثبت حِراء فليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد

من قوله وفيه غناء

أمن آل ليلى بالملا متربع ... كما لاح وشم فى الذراع مرجَّع

سأتبع ليلى حيث سارت وخيمت ... وما الناس الا آلف ومودع

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل

هى زوج الزبير بن العوام قالت ترثيه لما قتل

غدر ابن جُرْموز بفارس بهمة ... يوْم اللقاء وكان غير مُعَرَّد

يا عمرو لو نبهتـــه لوجدته ... لا طائشاً رَعْش اللسان ولا اليد

شَلَّت يمينك إن قتلت لمسلماً ... حلت عليك عقوبة المتعمد

ان الزبير لذو بلاء صادق ... سَمْح ســـجيته كريم المشهد

كم غمْرة قد خاضها لم يَثْنِه ... عنها طرادك يا ابن فَقْع القَرْدَد

فاذهب فما ظفرت يداك بمثله ... فيمن مضى ممن يروح ويغتدى

ومن قولها ترثى زوجها عبد الله بن أبى بكر وكان أول أزواجها

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكَرَّ وأحمى فى الهياج وأصبرا

اذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

فأقسمت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة وما طرد الليل الصباح المنورا

ثم تزوجها عمر فلما قتل قالت ترثيه

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملّي على الامام النجيب
فجعتنا المنون بالفارس المعـ ـلم يوم الهياج والتلبيب
عصمة الله والمعين على الدهـ ـر غياث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

وقالت ترثيه أيضاً

منع الرقاد فعاد عيني عود مما تضمن قلبي المعمود
ياليلة حسبت عليَّ نجومها فسهرتها والشامتون هجود
قد كان يسهرني حذارك مرة فاليوم حق لعيني التسهيد
أبكي أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائح وصعيد

ولما انقضت عدتها من الزبير تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، فلما قتل قالت ترثيه

وحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً جادت المزن في ذرى كربلاء

ثم تأيمت بعده فكان عبدالله بن عمر يقول من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة ويقال ان مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام ، فامتنعت عليه وقالت ما كنت لأتخذ حمًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

شعراء تيم بن مرة

عبد الرحمن بن أبي بكر

هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله التيمي من تيم بن مرة بن كعب له صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولم يهاجر مع أبيه صغراً عن ذلك فبقي بمكانه ثم خرج قبل الفتح مع فتية من قريش مهاجراً الى النبي صلى الله عليه وسلم

استهيم بليلى بنت الجُودى بن عدىّ بن عمرو بن أبي عمرو الغسّاني فقال فيها

تذكرت ليلى والسماوة دونها ... وما لابنة الجودىّ ليلى ومالیا
وأنى تعاطى قلبه حارثية ... تحل بيُصرى أو تحل الحوانيا ؟
وكيف يلاقيها ؟ بلى ولعلها ... اذا الناس حجوا قابلاً ان تلاقيا

وقال فيها

بابنة الجُودى قلبي كئيب ... مستهام عندها ما ينيب
ولقد لاموا فقلت دعوها ... ان من تهوَيْن عنه حبيب
انما أبلى عظامى وجسمى ... حبها والحب شيء عجيب

فقال له عمر مالك ولها يا عبد الرحمن ؟ فقال والله ما رأيتها قط الا ليلة فى بيت المقدس فى جوار ونساؤها ينهادَيْن فاذا عثرت إحداهن قالت يا ابنة الجودى واذا حلفت إحداهن حلفت بابنة الجودى ، فكتب عمر الى صاحب الثَّغْر الذى هى به اذا فتح الله عليكم دمشق فقد غنمت عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودى ، فلما فتح الله عليهم غنموه إياها ، قالت عائشة فكنت أكلمه فيما يصنع بها فيقول

يا أخية دعيني فوالله لكأني أرشف من ثناياها حب الرمان ، ثم ملها وهانت عليه فكنت أكلمه فيما يسيء اليها كما كنت أكلمه في الاحسان اليها ، فكان احسانه أن ردها الى أهلها ، وكان فيما قالت له عائشة يا عبد الرحمن لقد أحببت ليلى فأفرطت وأبغضت ليلى فأفرطت ، فإما أن تنصفها وإما أن تجهزها الى أهلها ، فجهزها الى أهلها ، وكان عبد الرحمن اذا خرج من عندها ثم رجع اليها رأى في عينيها أثر البكاء فيقول ما يبكيك ؟ اختاري خصالاً أيها شئت فعلت بك ، إما أن أعتقك وأتزوجك ، فتقول لا أشتهيه ، وان شئت رددتك على قومك ، قالت ولا هذا أريد ، قال فأخبريني ما يبكيك ؟ قالت أبكي الملك من يوم البؤس

ومما قال فيها

فإما تصبحي بعد اقتراب بسَلْع أو ثَنِيَّات الوداع
فلم أُلفِظك من شبع ولكن لأقضي حاجة النفس الشعاع
كأن جوانح الأضلاع مني بُعيد النوم مُبطَنة اليَراع

وعبد الرحمن هو القائل لمروان يوم دعا الى بيعة يزيد انما تريدون أن تجعلوها كِسْرَوية أو هِرَقلية كلما هلك كسرى أو هرقل ملك كسرى أو هرقل ، فقال مروان أيها الناس هذا « الذي قال لوالديه أفٍّ لكما أتَعِدَانني أن أُخرج وقد خلت القرون من قبلي » ، فصاحت به عائشة ألعبد الرحمن تقول هذا ؟ كذبت والله ما هو به ولو شئت أن أسمي من أنزلت فيه لسميته ، ولكني أشهد أن رسول الله صلى الله عليه لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فَضَض من لعنة الله

وروى أنها قالت له يا مروان أفينا تتأول القرآن والينا تسوق اللعن ؟ والله لأقومن يوم الجمعة بك مقاماً تَوَدّ أني لم أقه ، فأرسل اليها بعد ذلك وترضاها واستعفاها وحلف ألاّ يصلي بالناس أو تؤمنه ، ففعلت

مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحبشي [1] فحمل فدفن بمكة ، فقدمت عائشة فوقفت على قبره ثم قالت

وكنا كندمانَيْ جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك لزرتك

عائشة بنت طلحة

هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله من تيم بن مرة أمها أم كلثوم بنت أبي بكر

كانت عائشة لا تستر وجهها من أحد ، فعاتبها مصعب في ذلك ، فقالت ان الله تبارك وتعالى وسمني بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضله عليهم فما كنت لأستره ، ووالله مافيَّ وَصْمة يقدر أن يذكرني بها أحد ، وطالت مراودة مصعب إياها في ذلك وكانت شَرِسة الخلق ، وكذلك نساء بني تيم هن أشرس خلق الله وأحظى عند أزواجهن ، وكانت عند الحسين بن علي صلوات الله عليهما أم اسحاق بنت طلحة فكان يقول والله لربما حملت ووضعت وهي مصارمة لي لا تكلمني

آلت عائشة من مصعب وقالت « على كظهر أمي » وقعدت في غرفتها وهيأت فيها ما يصلحها ، فجهد مصعب أن تكلمه ، فأبت ، فبعث اليها ابن قيس الرُّقَيات فسألها كلامه ، فقالت كيف بيميني ؟ فقال ههنا الشَّعبي فقيه أهل العراق فاستفتيه ، فدخل عليها فأخبرته ، فقال ليس هذا بشيء ، فقالت أتُحلِّفني وتخرج خائباً ؟ فأمرت له بأربعة آلاف درهم

كان أشعب يألف مصعباً فغضبت عليه عائشة يوماً ، وكانت من أحب الناس

---

(١) جبل من جبال مكة على أميال

اليه ، فشكا ذلك الى أشعب ، فقال مالى ان رضيت ؟ قال حكمك ، قال عشرة آلاف درهم ، قال هى لك ، فانطلق حتى أتى الى عائشة فقال جُعلت فداءك ، قد علمت حبى لك وميلى قديماً وحديثاً اليك من غير مَنالة ولا فائدة ، وهذه حاجة قد عرضت تمضين بها حقى وترتهنين بها شكرى ، قالت وما عناك ؟ قال قد جعل لى الأمير عشرة آلاف درهم ان رضيت عنه ، قالت ويحك لا يمكننى ذلك ، قال بأبى أنت وأمى فارضَىْ عنه حتى يعطينى ثم عودى الى ما عودك الله من سوء الخلق ، فضحكت منه ورضيت عن مصعب

أتى مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر وسعيد بن العاص عزّة الميلاء فقالوا انا خطبنا فانظرى لنا ، فقالت لمصعب يا ابن أبى عبد الله ومن خطبت ؟ فقال عائشة بنت طلحة ، فقالت فأنت يا ابن أبى أُحَيْحة ، قال عائشة بنت عثمان ، قالت فأنت يا ابن الصديق ، قال أم القاسم بنت زكريا بن طلحة ، قالت ياجارية هاتى مِنْقَلَىّ « تعني خفيها » فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت فديتك كنا فى مأدبة لقريش فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك فلم أدر كيف أصفك فديتك ، فألقى ثيابك ، ففعلت فأقبلت وأدبرت ، فقالت لها عزّة خذى ثوبك فديتك ، وأتت النسوة على مثل ذلك تقول ذلك لهن ، ثم أتت القوم فى السقيفة فقالوا ماصنعت ؟ فقالت يابن أبى عبدالله أما عائشة فلا والله إن رأيت مثلها مقبلة ومدبرة ، محطوطة المتنين ، ممتلئة الترائب ، نقية الثغر وصفحة الوجه ، فرعاء الشعر ، لفّاء الفخذين ، ممتلئة الصدر ، خميصة البطن ، ذات عُكَن ، مُسرولة الساق ، يرتجّ ما بين أعلاها الى قدميها ، وفيها عيبان أما أحدهما فيواريه الخمار وأما الآخر فيواريه الخف ، عظم القدم والأذن ، وكنت عائشة كذلك ، ثم قالت وأما أنت يا ابن أبى أُحيحة فانى والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لامرأة قط ، ليس فيها عيب ، والله لكأنما أفرغت إفراغاً ولكن

في الوجه ردة وان استشرتني أشرت عليك بوجه تستأنس به ، وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم كأنها خَوْط بانة تتثنى ، وكأنها جدل عِنان أو كأنها خِشْف يتثنى على رمل ، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت ، ولكنها شَخْتَة الصدر وأنت عريض الصدر فاذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملأ كل شيء مثله ، فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن . وكانت عائشة بنت طلحة تشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها ، فزوجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وهو ابن أخيها وابن خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عذرها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ، ولدت عمران « وبه كانت تكنى » وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، وتزوجها الوليد بن عبد الملك ، ولكل هؤلاء عقب ، وكان ابنها طلحة من أجواد قريش وله يقول الحزين الديلي

فان تك ياطلحَ أعطيتني عُذافرة تستخف العِفارا (١)
فما كان نفعك لي مرة ولا مرتين ولكن مرارا
أبوك الذي صدق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك بيضاء تيمية اذا نسب الناس كانوا نُضارا

صارمت عائشة زوجها عبدالله وخرجت من دارها غضبى ، فمرت في المسجد وعليها مِلحفة تريد عائشة أم المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فقال سبحان الله كأنها من الحور العين ، فمكثت عند عائشة أربعة أشهر ، وكان زوجها قد آلى منها ، فأرسلت عائشة اليه اني أخاف عليك الايلاء ، فضمها اليه وكان موليا منها فقيل له طلقها فقال

يقولون طلقها لأصبح ثاوياً مقيما عليَّ الهم أحلام نائم
وان فراقي أهل بيت أحبهم لهم زُلفة عندي لإحدى العظائم

(١) العذافر بضم العين العظيم الشديد من الابل والنافة عذافرة والجمع عذافرة بفتح العين والعفر بالكسر ذكر الخنازير والجمع عفار

فتوفى عبد الله بعد ذلك وهى عنده فما فتحت فاها عليه ، وكانت عائشة أم المؤمنين تعدد عليها هذا فى ذنوبها التى تعددها ، ثم تزوجها من بعده مُصعَب بن الزبير فأمهرها خمسمائة الف درهم وأهدى لها مثل ذلك ، فكتب اليه عبد الله بن الزبير يؤنبه على ذلك ويقسم عليه أن يلحق به بمكة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلا بالبيداء وقال له انى لأرجو أن تكون الذى يخسف به بالبيداء فما أمرتك بنزولها الا لهذا ، فصار اليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه ، وكان مصعب لا يقدر عليها الا بتلاح ينالها منه ويضربها ، فشكا ذلك الى ابن أبى فروة كاتبه ، فقال له أنا أكفيك هذا ان أذنت لي ، قال نعم افعل ما شئت فانها أفضل شيء نلته من الدنيا ، فأتاها ليلاً ومعه أسودان فاستأذن عليها ، فقالت له أفى مثل هذه الساعة ؟ قال نعم ، فأدخلته فقال للأسودين احفرا هنا بئراً ، فقالت له جاريتها وما تصنع بالبئر ؟ قال شؤم مولاتك أمرنى هذا الفاجر أن أدفنها حية وهو أسفك خلق الله لدم حرام ، فقالت عائشة فأنظرنى أذهب اليه ، قال هيهات لاسبيل الى ذلك ، وقال للأسودين احفرا ، فلما رأت الجد منه بكت ثم قالت يا ابن أبى فروة انك لقاتلى مامنه بد ؟ قال نعم وانى لأعلم أن الله سيجزيه بعدك ولكنه قدغضب وهو كافر الغضب ، قالت وفى أى شيء غضبه ، قال فى امتناعك عنه وقد ظن أنك تبغضينه وتتطلعين الى غيره فقد جن ، فقالت أنشدك الله إلا عاودته ، قال انى أخاف أن يقتلني ، فبكت وبكى جواريها ، فقال قد رققت لك ، وحلف أن يغرر بنفسه ، ثم قال لها فما أقوله ؟ قالت تضمن عني أنى لا أعود أبداً ، قال فمالي عندك ؟ قالت قيام بحقك ما عشت ، قال فأعطنى المواثيق ، فأعطته ، فقال للأسودين مكانكما ، وأتى مصعباً فأخبره فقال له استوثق منها بالأيمان ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب ، ودخل عليها مصعب يوماً وهى نائمة متصبحة ومعه ثمان لؤلؤات قيمتها عشرون الف دينار فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت له نومتى كانت أحب الىَّ من

هذا اللؤلؤ ، وصارمت مصعباً مرة فطالت مصارمتها له وشق ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج اليها ثم عاد وقد ظفر فشكت عائشة مصارمته الى مولاة لها فقالت لها الآن يصلح أن تخرجي اليه ، فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه ، فقال لها مصعب انى أشفق عليك من رائحة الحديد ، فقالت لهو والله عندى أطيب من ريح المسك الأذفر

وكان مصعب من أشد الناس اعجاباً بعائشة ولم يكن لها شبه فى زمانها حسناً ودَمانة وجمالاً وهيئة ومتانة وعفة ، دعت يوماً نسوة من قريش فلما جئنها أجلستهن فى مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب المجمر وخلعت على كل امرأة منهن خلعة تامة من الوشى والخز ونحوهما ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت ثم قالت لعزة هاتى ياعزة فغنينا من شعر امرىء القيس

وثَغْرٍ أغرَّ شتَيت النبات لذيذ المقبَّل والمبتسَم
وما ذقته غير ظن به وبالظن يقضى عليك الحكم

وكان مصعب قريباً منهن ومعه اخوان له فقام فانتقل حتى دنا منهن والستور مسبلة فصاح ياهذه انا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت فبارك الله فيك يا عزة ، ثم أرسل الى عائشة لتأذن لعزة أن تغنيه هو ومن معه الصوت ثم تعود ، ففعلت وخرجت اليه عزة فغنته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب يذهب عقله فرحاً ، ثم قال لها ياعزة انك لتحسنين القول والوصف وأمرها بالعود الى مجلسها ، وتحدث ساعة مع القوم ثم تفرقوا

لما قتل مصعب خطبها بشر بن مروان وقدم عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر التَّيْمى من الشام فنزل الكوفة فبلغه أن بشر بن مروان خطبها ، فأرسل اليها جارية لها وقال قولي لابنة عمى يقرئك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خير من هذا المبسور المطحول وأنا ابن عمك وأحق بك ، فتزوجته ، فبنى بها فى الخيرة ومهدت له سبعة

أفرشة عرضها أربع أذرع ، وقد حمل اليها ألف ألف درهم خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف درهم هدية ، قالت رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت تحت عمر ابن عبيد الله بن معمر وقد ولدت منه ابنه طلحة الجواد لمولاة عائشة أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم ، فأخبرت عائشة بذلك ، قالت فاني أتجرد فأعلميها ولا تعرفيها أني أعلم ، فقامت عائشة كأنها تغتسل وأعلمتها ، فأشرفت عليها مقبلة ومدبرة فأعطت رملة مولاتها ألفي درهم وقالت لوددت أني أعطيتك أربعة آلاف ولم أرها ، وكانت رملة قد أسنت وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف ، قال عمر بن عبيد الله لعائشة وقد أصاب منها طيب نفس ما مرَّ بي مثل يوم أبي فُدَيك ، فقالت له اعدد أيامك واذكر أفضلها ، فعدّ يوم سجستان ويوم قطري بفارس ونحو ذلك ، فقالت عائشة قد تركت يوماً لم تكن في أيامك أشجع منك فيه ، قال وأيّ يوم ؟ قالت يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر تريد قبح وجهها ، وكان عمر بن عبيد الله من أشد الناس غيرة ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار ، فقال لها انفضي التراب عني ، فأخذت منديلاً تنفض به عنه التراب ثم قالت له مارأيت الغبار على وجه أحد قط كان أحسن منه على وجه مصعب ، فكاد عمر يموت غيظاً ، وكانت عائشة من أشد الناس مغايظة لأزواجها وكانت تكون لمن يجيء يحدثها في رقيق الثياب فاذا قالوا جاء الأمير ضمت عليها مُطْرَفها وقطبت ، وكانت كثيراً ما تصف لعمر مصعباً وجماله تغيظه بذلك فيكاد يموت

مكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله ثماني سنين ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين فلما مات ندبته قائمة ولم تندب أحداً من أزواجها الا جالسة ، فقيل لها في ذلك ، فقالت كان أكرمهم عليَّ وأمسهم رحماً بي وأردت ألاَّ أتزوج بعده ، وكانت نَدْبة المرأة زوجها قائمة مما تفعله من لا تريد ألا تتزوج بعد زوجها ، فخطبها جماعة فردتهم ولم تتزوج بعده أبداً

دخلت عائشة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة فقالت له يا أمير المؤمنين مُرْ لي بأعوان فضم ، اليها قوماً يكونون معها ، فحجت ومعها ستون بغلاً عليها الهوادج والرحائل ، فعرض لها عروة بن الزبير فقال

عائش يا ذات البغال الستين أكل عام هكذا تحجين

فأرسلت اليه نعم يا عُرَيَّة فتقدم ان شئت ، فكف عنها ، وقد حجت معها سكينة بنت الحسين عليهما السلام ، وكانت عائشة أحسن آلة وثقلاً

فقال حاديها

عائش يا ذات البغال الستين لازلت ما عشت كذا تحجين

فشق ذلك على سكينة ونزل حاديها فقال

عائش هذى ضَرَّة تشكوك لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف

وفدت عائشة على هشام فقال لها ما أوفدك ؟ قالت حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق ، قال فانى أبُلّ رحمك وأعرف حقك ، ثم بعث الى مشايخ بنى أمية فقال ان عائشة عندي فاسْمُروا عندي الليلة ، فحضروا فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها الا أفاضت معهم فيه وما طلع نجم ولا غار الا سمته ، فقال لها هشام أما الأول فلا أنكره ، وأما النجوم فمن أين لك ؟ قالت أخذتها عن خالتى عائشة ، فأمر لها بمائة ألف درهم وردها الى المدينة

لما تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة تخرج الى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها ، فتجلس فيه بالعشيات فتناضل بين الرماة ، فمرَّ بها النميري الشاعر ، فسألت عنه فنسب ، فقالت ائتونى به ، فقالت له لما أتوها به أنشدنى مما قلت فى زينب ، فامتنع وقال ابنة عمى وقد صارت عظاماً بالية ، قالت أقسمت عليك لما فعلت فأنشدها تائيته (انظر ص ١٤٩ جزء ٤) ، فقالت والله

ما قلت الا جميلاً ولا وصفت الا كرماً وطيباً وتقى ودينا أعطوه ألف درهم ، فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها فقالت عليَّ به ، فجاء ، فقالت أنشدنى من شعرك في زينب ، فقال أوْ أنشدك قول الحرث فيك ؟ فوثب مواليها ، فقالت دعوه فانه أراد أن يستفيد لابنة عمه ، هات ، فأنشدها

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بلبك مَطْلع الشرق
وتنوء تثقلهـــا عجيزتها نهض الضعيف ينوء بالوسق
ما صبحت زوجاً بطلعتها الا غدا بكواكب الطَّلْق
قرشـية عبق العبير بها عبق الدهان بجانب الحُق
بيضاء من تَيم كافِت بها هذا الجنون وليس بالعشق

قالت والله ما ذكر الاجميلاً ذكر أنى اذا صبحت زوجاً بوجهى غدا بكواكب الطلق وانى غدوت مع أمير تزوجنى الى الشرق أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين ولا تعد الينا يا نميرى

ولى الحرث بن خالد على مكة فأذَّن المؤذن وخرج للصلاة ، فأرسلت اليه عائشـة بنت طلحة قد بقى من طوافي شيء لم آته « وكان يتعشقها » ، فأمر المؤذن فكف عن الاقامة ، ففرغت من طوافها ، وبلغ ذلك عبـد الملك فعزله ، فقال ما أهون والله غضبه وعزله إياى عند رضاها عنى

قال أبو هريرة لعائشة ما رأيت شيئاً أحسن منك الا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت والله لأنا أحسن من النار فى الليلة القرَّة فى عين المقرور

اسمعيل بن يسار

هو اسمعيل بن يسار النَّسائى مولى بنى تَيم بن مرة ، لقب بالنسائى لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه فيشتري منه من أراد التعريس من المتجملين ومن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك وقيل كان هو يبيع النجد والفرش التي تتخذ للعرائس ، وكان شَعوبياً شديد التعصب للعجم

كان منقطعاً الى آل الزبير ، فلما أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان وفد اليه مع عروة بن الزبير ومدحه ومدح الخلفاء من ولده بعده وعاش عمراً طويلاً الى أن أدرك آخر سلطان بنى أمية ولم يدرك الدولة العباسية ، وكان طيباً مليحاً مُدَّراً بطالاً مليح الشعر وكان كالمنقطع الى عروة بن الزبير

لما خرج عروة الى الشام أخرج معه اسمعيل فعادله ، فقال عروة ليلة من الليالي لبعض غلمانه انظر كيف ترى المحمل ، قال أراه معتدلاً ، فقال اسمعيل الله أكبر ما اعتدل الحق والباطل قبل الليلة قط ، فضحك عروة وكان يستخف اسمعيل ويستطيبه

كان اسمعيل ينزل فى موضع يقال له جديلة ، وكان له جلساء يتحدثون عنده ففقدهم أياماً وسأل عنهم ، فقيل هم عند رجل يتحدثون اليه طيب الحديث حلو ظريف قدم عليهم يسمى محمداً يكنى أبا قيس ، فجاء اسمعيل فوقف عليهم ، فسمع الرجل القوم يقولون قد جاء صديقنا اسمعيل بن يسار ، فأقبل عليه فقال أنت اسمعيل ؟ قال نعم ، قال رحم الله أبويك فانهما سمياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس ، فقال له اسمعيل ما اسمك ؟ قال محمد ، قال أبو من ؟ قال أبو قيس ، قال ولكن لا رحم الله أبويك فانهما سمياك باسم نبى وكنياك بكنية قرد ، فأفحم الرجل وضحك القوم ولم يعد الى مجالستهم ، فعادوا الى مجالسة اسمعيل

استأذن اسمعيل على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحجبه ساعة ثم أذن له ، فدخل يبكى ، فقال له الغمر مالك يا أبا فائد تبكي ؟ قال وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانيتى ومَرْوانية أبى أحجب عنك ؟ فجعل الغمر يعتذر اليه وهو يبكي ، فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج من عنده ، فلحقه رجل فقال له أخبرنى ويلك يا اسمعيل أىّ مروانية كانت لك أولأبيك ؟ قال بغضنا إياهم ، امرأته طالق ان لم تكن أمه تلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح ، وان لم يكن أبوه حضره الموت فقيل له قل لا إله الا الله فقال لعن الله مروان تقرباً الى الله تعالى وابدالاً له من التوحيد وإقامه له مقامه

كان اسمعيل له شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم ، ومن قوله فى ذلك

ما على رسم منزل بالجَناب ... لو أبان الغَدَاة رَجْعَ الجواب
غيرته الصَّبا وكل مُلِثّ ... دائم الوَدْق مكفَهِرّ السحاب
دار هند وهل زمانى بهنـــد ... عائد بالهوى وصَفْوِ الجناب
كالذى كان والصفاء مَصُون ... لم تَشِبْه بهِجْرة واجتناب
ذاك منها اذ أنت كالغصن غصن ... وهى رُودٌ كدُمْية المحراب
غادة تستبي العقول بعَذْب ... طيب الطعم بارد الأنياب
وأثيثٍ من فوق لون نقى ... كبياض اللُّجين فى الزُّرياب
فأقِلَّ المـــلام فيها وأقصر ... لج قلبى من لوعة واكتئاب
صاح أبصرت أو سمعت براع ... رد فى الضرع ما قرى فى العِلاب
انقضت شِرَّتى وأقصر جهلى ... واستراحت عواذلي من عتابى

وفيها

رب خال مُتَوَّج لي وعم ... ما جد مجتدّى كريم النصاب
انمـــا سمى الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركى الفخر يا أُمامَ علينا واتركي الجور وانطقى بالصواب
واسألي ان جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الأحقاب
اذ نربى بناتنـــا وتَدُسُّو ن سفاهاً بناتكم فى التراب

دخل اسمعيل على هشام بن عبد الملك فى خلافته بالرُّصافة وهو جالس على بركة له فى قصره ، فاستنشده وهو يرى أنه ينشد مديحاً له ، فأنشده قصيدته التى يفخر فيها بالعجم

يا رَبْع رامة بالعلياء من رِيم هل تَرْجعَنَّ اذا حييت تسليمى
ما بال حى غدت بُزْل المطى بهم تَخْدِى لغربتهم سـيراً بتقحيم
كأنني يوم ساروا شارب سَلِبت فؤادَه قهوةٌ من خمر داروم

حتى انتهى الى قوله

انى وجدك ما عودي بذي خَوَر عند الحِفاظ ولا حوضى بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجد أقوام ذوي حسب من كل قَرْم بتاج الملك معموم
جحاجح ســـادة بُلْج مَرازبة جُرْد عِتاق مساميح مطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معاً والهرمزان لفخر أو لتعظيم
أُسْد الكتائب يوم الروع ان زحفوا وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشُون في حلق المـاذِيّ سابغة مشي الضراغمة الأُســد اللَّهاميم
هناك ان تسألى تُنْبَى بأن لنا جُرْثومةً قهرت عز الجراثيم

فغضب هشام وشتمه وقال أعلىَّ تفخر ؟ وإبايَ تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك؟ غُطُّوه فى الماء ، فغَطُّوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ، ثم أمر باخراجه وهو يشرّ ، ونفاه من وقته فأخرجه عن الرصافة منفياً الى الحجاز ، وكان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً

ومما يغنى فيه من شعره

يا هند ردي الوصل أن يتصرما ... وصلي امرأً كلفاً بحبك مغرما
لو تبـــذلين لنا دلالك مرة ... لم نبغ منك سوى دلالك محرما
منع الزيارة أن أهلك كلهم ... أبدوا لزورك غلظة وتجهما
ما ضر أهلك لو تطوّف عاشق ... بفناء بيتك أو ألمّ فســـلما

ومنها

ان جُمْلا وان تبينت منها ... نكباً عن مودتي وازورارا
شردت بادٍّ كارها النوم عني ... وأطير العزاء مني فطارا
ما على أهلها ولم نأت سوءاً ... أن تحيا تحيـــة أو تزارا
يوم أبدَوْا لي التجهم فيها ... وحمَوْها لحاجة وضِرار

مدح اسمعيل رجلاً من أهل المدينة يقال له يسار بن أُنس وكان قد اتصل ببني مروان وأصاب منهم خيراً وكان اسمعيل صديقاً له فرحل الى دمشق اليه فأنشده مديحاً له ومتّ اليه بالجوار والصداقة فلم يعطه شيئاً ، فقال يهجوه

لعمرك ما الى حسن رحلنا ... ولا زرنا حسيناً يا ابن أنس
ولا عبداً لعبـدهمُ فنحظى ... بحسن الحظ منهم غير بخس
ولكن ضَبّ جنـدلة أتينا ... مُضبًّا في مكامنـه يغسى
فلمـا أن أتيناه وقلنا ... بحاجتنا تلون لون وَرْس
وأعرض غير منبلج لعُرف ... وظل مقرطباً ضرساً لضرس
فقلت لأهله أبه كُـزاز ؟ ... وقلت لصاحبي أتراه يمسى ؟
فـكان الغنم أن قمنا جميعاً ... مخافة أن نُزَنّ بقتل نفس

ومن شعره

كلّثم أنت الهم يا كلثم ... وأنتمُ دائي الذي أكتم

أكاتم الناس هوًى شفَّنى ... وبعض كتمان الهوى أحزم
قد لمتنى ظالماً بلا ظنِة ... وأنت فيما بيننا ألوَم
أبدى الذى تخفينه ظاهراً ... أرتد عنه فيك أو أُقدم
إما بيأس منك أو مطمع ... يُسدَى بحسن الود أو يُلْحَم
لا تتركينى هكذا ميتاً ... لا أُمنح الود ولا أُصرم
أوفى بما قلتِ ولا تندمى ... ان الوفى القول لا يندم
آية ماجئت على رِقْبة ... بعد الكرَى والحى قد نوَّموا
أُخافِتُ المشى حِذار العدى ... والليل داج حالك مظلم
ودون ماحاولت اذ زرتكم ... أخوك والخال معاً والحَمُ
وليس الا الله لي صاحب ... اليكم والصارم اللَّهْذَم
حتى دخلت البيت فاستذرفت ... من شفَق عيناك لا تُسْجم
ثم انجلى الحزن ورَوْعاته ... وغيب الكاشح والمبرِم
فبت فيما شئت من نعمة ... يمنحنيها نحرها والفم
حتى اذا الصبح بدا ضوؤه ... وغارت الجوزاء والمرْزَم
خرجت والوطء خفى كما ... ينساب من مكمنه الأرقم

قال محمد بن كِناسة اصطحب شيخ وشباب فى سفينة من الكوفة فقال بعض الشباب للشيخ ان معنا قينة لنا ونحن نُجلك ونحب أن نسمع غناءها ، قال الله المستعان فأنا أرقى على الظلال وشأنكم ، فغنت القينة « حتى اذا الصبح البيتين » فألقى الشيخ بنفسه فى الفُرات وجعل يخبط بيديه ويقول أنا الأرقم أنا الارقم ، فأدركوه وقد كاد يغرق فقالوا ما صنعت بنفسك ؟ فقال انى والله أعلم من معانى الشعر ما لا تعلمون

وفد عروة بن الزبير الى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه اسمعيل فمات فى تلك

الوفادة محمد بن عروة بن الزبير وكان مطلعاً على دواب الوليد فسقط من فوق السطح بينها فجعلت ترمحه حتى قطعته وكان جميل الوجه جواداً ، فقال اسمعيل يرثيه

صلى الاله على فتى فارقته ... بالشام فى جدث الطَّوِىِّ الملحَد
بوأته بيدىَّ دار اقامة ... نائى المحلة عن مَزَار العُوَّد
وغبرت أُعوله وقد أسلمته ... لصفا الأماعز والصفيح المسند
متخشعاً للدهر ألبَس حلة ... فى النائبات بحسرة وتجلد
أعنى ابن عروة انه قد هدَّنى ... فقد ابن عروة هدّة لم تقصد
فاذا ذهبت الى العزاء أرومه ... ليرى المكاشح بالعزاء تجلدى
منع التعزى أننى لفراقه ... لبِس العدو علىَّ جلد الأَرْبَد
ونأى الصديق فلا صديق أُعده ... لدفاع نائبة الزمان المفسد
فلئن تركتك يا محمد ثاوياً ... لبما تروح على الكرام وتغتدى
كان الذى يَزَعُ العدو بدفعه ... ويرد نخوة ذى المراح الأصيد
فمضى لوجهتـــه وكل معمَّر ... يوماً سيدركه حمام الموعد

دخل اسمعيل على عبد الملك بن مروان لما أفضى الأمر اليه بعد قتل عبدالله ابن الزبير فسلم ووقف موقف المنشد واستأذن فى الانشاد ، فقال له عبدالملك يا ابن يسار انما أنت امرؤ زبيرى فبأى لسان تنشد ؟ فقال يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأناً من ذلك وقد صفحت عن أعظم جرماً وأكثر غناء لأعدائك منى وأناشاعر مضحك ، فتبسم عبد الملك وأومأ اليه الوليد بأن ينشد فأنشد قوله

ألا يا لقومى للرقاد المسهَّد ... وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِى
وللحال بعد الحال يركبها الفتى ... وللحب بعد السلوة المتمرد
وللمرء يُلْحَى فى التصابى وقبله ... صبا بالغوانى كل قَرْم ممجد
وكيف تنامى القلب سلمى وحبها ... كجمر غضًى بين الشَّراسيف موقَد

ومنها

اليك امامَ الناس من بطن يثرب ... ونعم أخو ذى الحاجة المتعمد
رحلنا لأن الجود منك خليقة ... وانك لم يذمُمْ جنابك مجتد
ملكت فزدت الناس مالم يزدهمُ ... امام من المعروف غير المصرَّد
وقمت فلم تنقض قضاء خليفة ... ولكن بما ساروا من الفعل تقتدى
ولما وليت الملك ضاربت دونه ... وأسندته لا تأتلى خير مُسند
جعلت هشاماً والوليد ذخيرة ... وليين للعهد الوثيق المؤكد
وأمضيت عزماً فى سليمان راشداً ... ومن يعتصم بالله مثلك يرشُد

فأمر له عبد الملك بألف درهم صلة وزاد فى عطائه وفرض له ، وقال لولده أعطوه ، فأعطَوه ثلاثة آلاف درهم

وفد الى الوليد بن يزيد وقد أسن وضعف فتوسل اليه بأخيه الغمر ومدحه بقوله

نأتك سليمى فالهوى متشاجر ... وفي نأيها للقلب داء مُخامر
نأتك وهام القلب نأياً بذكرها ... ولَجَّ كما لج الخليع المقامر
بواضحة الأقراب خفّاقة الحشَى ... بَرَهْرَهة لا يجتويها المعاشر

يقول فيها يمدح الغمر بن يزيد

اذا عدد الناس المكارم والعلا ... فلا يفخرن يوماً على الغمر فاخر
فما مر من يوم على الدهر واحد ... على الغمر الا وهو فى الناس غامر
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابة ... كما خشعت يوماً لكسرى الأساور
أغرّ بطاحىّ كأن جبينه ... اذا ما بدا بدر اذا لاح باهر
وفى عِرْضه بالمال فالمال جُنَّة ... له وأهان المال والعرض وافر
وفى سَيْبه للمجتدين عمارة ... وفي سيفه للدين عز وناصر

نماه الى فرعَيْ لُؤَيّ بن غالب أبوه أبو العاصى وحرب وعامر
وخمسة آباء له قد تتابعوا خلائف عدل ملكهم متواتر
بهاليل سباقون فى كل غاية اذا استبقت فى المكرمات المعاشر
هم خير من بين الحَجُون الى الصَّفَا الى حيث أفضت بالبطاح الحزاور
وهم جمعوا هذا الأنام على الهدى وقد فرقت بين الأنام البصائر

فأعطاه الغمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة آلاف درهم لما مات محمد بن يسار ، وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل اسمعيل على هشام بن عروة فجلس عنده وحدثه بمصيبته ووفاة أخيه ثم أنشد يرثيه

عِيلَ العزاء وخانني صبري لما نعى الناعى أبا بكر
ورأيت رَيْب الدهر أفردني منه وأسلم للعدا ظهري
من طيب الأثواب مقتبل حلو الشمائل ماجد غمر
فمضى لوجهته وأدركه قدر أُتيح له من القدر
وغبرت مالي من تذكره الا الأسى وحرارة الصدر
وجوًى يعاودني وقلَّ له منى الجوى ومحاسن الذكر
لما هوت أيدى الرجال به فى قَعْر ذات جوانب غُبُر
وعلمت أنى لن ألاقيه فى الناس حتى ملتقى الحشر
كادت لفرقته وما ظلمت نفسى تموت على شفَا القبر
ولعمر من حُبس الهَدِيُّ له بالأَخْشَبَيْن صبيحة النحر
لو كان نيل الخلد يدركه بشر بطيب الخِيم والنَّجْر
لغبرتَ لا تخشى المنون ولا أودى بنفسك حادث الدهر
ولنعم مأوَى المرملين اذا قَحِطوا وأخلف صائب القطر
كم قلت آونة وقد ذَرِفت عيني فماء شؤونها يجرى

أنى وأى فتى يكون لنا شَرْواك عند تفاقم الأمر
لدفاع خَصم ذى مشاغبة ولعائل تَرِب أخى فقر
ولقد علمت وان ضُمِّنْتُ جَوًى مما أُجن كواهج الجمر
ما لامرىء دون المنية من نَفَق فيُحرزه ولا ستر

وكان بحضرة هشام رجل من آل الزبير فقال له أحسنت وأسرفت فى القول فلو قلت هذا فى رجل من سادات قريش لكان كثيراً ، فزجره هشام وقال بئس والله ماواجهت به جليسك ، فشكره اسمعيل وجزاه خيراً فلما انصرف تناول هشام الرجل الزبيرى وقال ما أردت الى رجل شاعر ملك قوله فصرف أحسنه الى أخيه ؟ مازدت على أن أغريته بعرضك وأعراضنا لولا انى تلافيته

ومن قوله يرثى محمد بن عروة بن الزبير

تلك عرسى تروم هجرى سفاهاً وجفتني فما توافى عناقى
زعمت أنها تواتى مع المـا ل وانى محالف املاقى
وتناست رزية بدِمَشْق أشخصت مهجة فويق التَّراقى
يوم تلقى نعش ابن عروة محمو لا بأيدي الرجال والأعناق
مستحثاً به سباقاً الى القبـــر وما ان لحثهم من سباق
ثم وليت موجعاً قد شجانى قرب عهد بهم وتلاق

محمد بن يسار

هو أخو اسمعيل بن يسار كان رثاء شاعراً من طبقة أخيه ، ولم أجد له خبراً فأذكره ولكن له أشعار كثيرة يغنى فيها ، منها قوله فى قصيدة طويلة

غَشِيت الدار بالسند دُوَين الشِّعب من أُحُد
عفت بعدى وغيرها تقادم سالف الأبد

ولاسمعيل ابن يقال له ابراهيم ، شاعر أيضاً وهو القائل

مضى الجهل عنك الى طيّته وآبكَ حلمك من غيبته
وأصبحت تُعجَب مما قد رأيـــت من نقض دهر ومن مرّته

داود بن سلم

هو داود بن سلم التيمى مولى بني تيم بن مرة مخضرم من شـعراء الدولتين الأموية والعباسية ، من ساكني المدينة وكان من أقبح الناس وجهاً

من قوله يمدح عمر بن عبد الله بن معمَر

واذا دعا الجانى النصير لنصره وأرتنى الغرر النضيرة معمر
متخازرين كأن أُسْد خَفِيَّة بمقامها مستبسلات تزْأَر
متجاسرين بحمل كل ملمة متجبرين على الذى يتجبر
عسل الرضا فاذا أردت خصامهم خلط السِّمامَ بفيك صاب مُمْقِر
لا يطبَعون ولا ترى أخلاقهم إلا تطيب كما يطيب العنبر
رفعوا بناى بعتق حوط دنية جدّى وفضلهم الذى لا ينكر

وحوط أبو أمه

كان داود من أبخل الناس فطرقه قوم وهو بالعقيق فصاحوا به العَشاء والقِرى يا ابن سلم ، فقال لهم لا عشاء لكم عندى ولاقرى ، قالوا فأين قولك فى قصيدتك اذ تقول فيها

يا دار هند ألا حييت من دار لم أقض منك لُبانانى وأوطارى
عودت فيها اذا ما الضيف نبهني عقر العَشارى على يسرى واعسارى

قال لستم من أولئك الذين عنيت

ودخل على السرى بن عبد الله الهاشمى وقد أصيب بابن له فوقف بين يديه ثم أنشده

يامن على الأرض من عُجْم ومن عرب ... استرجعوا خاست الدنيا بعباس
فجعت من سبعة قد كنت آملهم ... من ضِئْء والدهم بالسيد الراسى

ومن قوله

قل لأسماء أنجزى الميعادا ... وانظرى أن تزودى منك زادا
ان تكونى حللت رَبْعاً من الشا ... م وجاورت خيراً أو مُرادا
أو تناءت بك النوى فلقد قد ... ت فؤادى لحينه فانقادا
ذاك أنى علقت منك جوى الحـ ... ـب وليداً فزدت شيئاً فزادا

كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم أن يصله فلما مدح داود جعفر بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن تباعد شديد ، أغضب ذلك الحسن فقدم من حج أو عمرة فدخل عليه داود مسلماً فقال له الحسن أنت القائل فى جعفر

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر ... وكان المنى فى جعفر أن يؤمرا
حوى المنبرين الطاهرين كليهما ... اذا ما خطا عن منبر أمّ منبرا
كأن بني حواء صُفُّوا أمامه ... نخيَّر من أنسابهم فتخيرا

فقال داود نعم جعلنى الله فداءكم فكنتم خيرة اختياره وأنا الذى أقول

لعمرى لئن عاقبت أوجدت منعما ... بعفو عن الجانى وان كان معذرا
لأنت بما قدمت أولى بمنحة ... وأكرم فرعاً ان فخرت وعنصرا
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم ... ويدعو علياً ذا المعالي وجعفرا
وزيد الندى والسبط سبط محمد ... وعمك بالطَّفّ الزكي المطهرا
وما نال من ذا جعفر غير مجلس ... اذا ما نفاه العزل عنه تأخرا
بحقكم نالوا ذراها فأصبحوا ... يرَون به عزاً عليكم ومفخرا

فعاد الحسن الى ما كان عليه ولم يزل يصله ويحسن اليه الى أن مات

قال أبو الزناد كنت ليلة عند الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة حيال ذى الحُليفة نصف الليل جلوساً فى القمر وأبو السائب المخزومى معنا ، وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسماع ، وبين أيدينا طبق عليه فريك فنحن نصيب منه والحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة ، فأنشد الحسن قول داود ابن سلم وجعل يمد به صوته ويطربه

فعرسنا ببطن عُرَيتِنات ليجمعَنا وفاطمةَ المسير
أتنسى اذ تعرض وهو باد مقلَّدها كما برق الصَّبير
ومن يُطع الهوى يعرف هواه وقد ينبيك بالأمر الخبير
على أنى زفرت غداة هَرْشَى فكاد يَريهم مني الزفير

فأخذ أبو السائب الطبق فرفع به الى السماء فوقع الفريك على رأس الحسن بن زيد فقال له مالك ويحك ؟ أجننت ؟ فقال أبو السائب أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما أعدت انشاد هذا الصوت ومددته كما فعلت ، فما ملك الحسن نفسه ضحكاً وردد الأبيات لاستحلافه اياه ، قال أبو الزناد ، فلما خرجنا قال لي أبو السائب يا ابن أبى الزناد أما سمعت مدّه « ومن يطع الهوى يعرف هواه » قلت نعم ، فقال لو علمت أنه يقبل مالي لدفعته اليه بهذه الأبيات الثلاثة

بينما سعد بن ابراهيم فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يقضى بين الناس اذ دخل عليه زيد بن اسمعيل بن عبد الله بن جعفر ومعه داود بن سلم وعليهما ثياب ملونة يجرانها ، فأومأ أن يؤتى بهما ، فأشار الى زيد أن اجلس ، فجلس بالقرب منه وأومأ الى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثله ، ثم قال لعون من أعوانه ادع لي نوح بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ، فدعى له ، فجاء أحسن الناس سَمْتاً وتشميراً

ونقاء ثياب ، فأشار اليه فجلس ، ثم أقبل على زيد فقال له يا ابن أخى تشبه بشيخك هذا وسَمْته وتشميره ونقاء ثوبه ولا تعد الى هذا اللبس ، قم فانصرف ، ثم أقبل على ابنِ سلم « وكان قبيحاً » فقال له هـذا ابن جعفر أتحتمل هذا له وأنت لأى شىء أحتمل هـذا لك ألئوم أصلك أم لسماجة وجهك ؟ جرد ياغلام ، فجرد فضربه أسواطاً ، فقال ابن رهيمة

جلد العادل سـعد ابن سَلْم فى السماجة
فقضى الله لسعـد من أمير كل حاجة

قالت ظبية مولاة فاطمة بنت عمرو بن مصعب أرسلتنى مولاتى فاطمة فى حاجـة فمررت برَحَبة القضاء فاذا بضُبَيعة العَبْسى خليفة جعفر بن سليمان يقضى بين الناس ، فأرسل اليَّ فدعانى وقد كنت رطلت شَعرى وربطت فى أطرافه من ألوان العِهْن ، فقال ما هذا ؟ فقلت شىء أتحلى به ، فقال يا حَرَسى قنعها بالسوط ، فتناولت السوط بيدى وقلت قاتلك الله ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن ابراهيم ، سعد يجلد الناس فى السماجة وأنت تجلدهم فى الملاحة ، فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه وقال خلِّ عنها ، قالت فـكان جعفر يسوم بى وكانت مولاتى تقول لا أبيعها الا أن تَهْوَى ذلك وأقول لا أريد بأهلى بدلا الى أن مررت يوماً بالرحبة وهو فى منظرة دار مروان فأرسل اليَّ فدعانى فوجدته من وراء كِلَّة وأنا لا أشعر به وحازم وجرير جالسان ، فقال لي حازم الأمير يريدك ، فقلت لا أريد بأهلى بدلاً ، وكشفت الكلة عن جعفر بن سليمان فارتعت لذلك فقلت آه ، فقال مالك ؟ فقلت

سمعت بذكر الناس هنداً فلم أزل أخا سقم حتى نظرت الى هنـد

قال فأبصرت ماذا ويحك ؟ قلت

فأبصرت هنداً حرة غير انهـا تصدّى لقتل المسلمين على عمد

فضحك حتى استلقى وأرسل الى مولاتى ليبتاعني ، فقالت لا والله لا أبيعها حتى تستبيعنى ، فقلت والله لا أستبيعك أبداً

خرج داود الى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية، فلما نزل به حط غلمانه متاع داود وحلوا عن راحلته، فلما دخل عليه أنشأ يقول

ولما دُفعت الى أبوابهم ... ولاقيت حرباً لقيت النجاحا
وجدناه يحمَده المجتدون ... ويأبى على العسر الا سماحا
ويُغْشَوْن حتى يُرَى كلبهم ... يَهاب الهرير ويَنسى النُّباحا

فأجازهُ بجائزة سنية، ثم استأذنه فى الخروج، فأذن له وأعطاه ألف دينار، فلم يُعنه أحد من غلمانه ولم يقومها اليه، فظن أن حرباً ساخط عليه، فرجع اليه فأخبره بما رأى من غلمانه، فقال له سلهم لِمَ فعلوا بك ذلك؟ فسألهم، فقالوا انا ننزل من جاء ولا نرحل من خرج عنا، فسمع الغاضرى حديثه، فأتاه فحدثه فقال أنا يهودي ان لم يكن الذى قاله الغلمان أحسن من شعرك

ومما استحسن له

لجِجت من حبي فى تقريبه ... وعميت عيناى عن عيوبه
كذاك صرف الدهر فى تقليبه ... لا يُلبث الحبيبَ عن حبيبه
أو يغفر الأعظم من ذنوبه

ومن قوله

وما ذرَّ قرْن الشمس الا ذكرتها ... وأذكرها فى وقت كل غروب
وأذكرها ما بين ذاك وهذه ... وبالليل أحلامى وعند هُبوبى
وقد شفنى شوق وأبلانى الهوى ... وأعيا الذى بى طبُّ كل طبيب
وأعجب أنى لا أموت صبابة ... وما كمَد من عاشق بعجيب
وكل محب قد سلا غير أنني ... غريب الهوى ياويح كل غريب
وكم لام فيها من أخ ذى نصيحة ... فقلت له أقصر فغير مصيب
أتأمر إنساناً بفرقة قلبه ... أتصلح أجسام بغير قلوب

كان داود منقطعاً الى قثم بن العباس وفيه يقول

عتقت من حلى ومن رحلتى يا ناق ان أدنيتني من قُثَم
انك ان أدنيت منه غداً حالفني اليسر ومات العدم
فى وجهه بدر وفى كفه بحر وفى العِرْنين منه شمم
أصَمّ عن قيل الخنا سمعُه وما عن الخير به من صمم
لم يَدْرِ ما «لا» وبلى قد درى فعافها واعتاض منها نَعَمْ

دعا الحسن بن زيد اسحق بن ابراهيم بن طلحة التيمى أيام كان بالمدينة الى ولاية القضاء ، فأبى ، فحبسه وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه ، وبلغ ذلك الحسن بن زيد فأرسل اليه فأتى به ، فقال انك تلاججت علىَّ وقد حلفت ألاَّ أرسلك حتى تعمل لي فأبرر يميني ، ففعل ، فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس فى المسجد مجلس القضاء والجند على رأسه ، فجاءه داود بن سلم فوقف عليه فقال

طلبوا الفقه والمروءة والحلـــم وفيك اجتمعن يا اسحق

فقال ادفعوه ، فدفعوه ، فتنحى عنه فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ، فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء ، فلما سار الى منزله أرسل الى داود بن سلم بخمسين ديناراً وقال للرسول قل له يقول لك مولاك ما حملك على أن تمدحني بشىء أكرهه ؟ استعن بهذه على أمرك

قال داود كنت يوماً جالساً مع قُثَم بن العباس قبل أن يملكوا بفنائه ، فمرت بنا جارية فأعجب بها قثم وتمناها فلم يمكنه ثمنها ، فلما ولى قثم اليمامة اشترى الجارية انسان يقال له صالح ، فكتبت الى قثم

يا صاحب العِيس ثم راكبها أبلغ اذا ما لقيتـــه قُثَما
ان الغزال الذى أجاز بنا ممارضاً اذ توسط الحرما
حوّله صالح فصار مع الأنســـس وخلى الوحوش والسَّلَما

فأرسل قُثَم فى طلب الجارية ليشتريها فوجدها قد ماتت

موسى شهوات

هو موسى بن بشار التيمى بالولاء يلقب بشهوات لأنه كان سؤولاً ملحفاً وكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكى ، فاذا قيل له مالك ؟ قال أشتهى هذا ، فسمى موسى شهوات

شاعر من شعراء أهل الحجاز وكان الخلفاء من بنى أمية يحسنون اليه ويُدرون عطاءه وتجيئه صلاتهم الى الحجاز

من شعره يمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بقصيدة أولها

شاقني اليوم حبيب قد ظعن ... ففؤادي مستهام مرتهن
ان هنداً تيمتنى حقبة ... ثم بانت وهى للنفس شجن
فتنة ألحقها الله بنا ... عائذ بالله من شر الفتن

ومنها

حمزة المبتاع بالمال الثنا ... ويرى فى بيعه أن قد غبن
فهو ان أعطى عطاء فاضلاً ... ذا إخاء لم يكدره بمن
واذا ما سنة مجدبة ... برت الناس كبرى بالسفن
حسرت عنه نقياً عرضه ... ذا بلاء عند مخناها حسن
نور صدق بين فى وجهه ... لم يصب أثوابه لون الدرن
كنت للناس ربيعاً مغدقاً ... ساقط الأكناف ان راح ارجحن

وكان حمزة فتى كريماً جواداً على هوج كان فيه ، ولاه أبوه العراقين وعزل مصعباً لما تزوج سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم ، فلما ولى حمزة أساء السيرة وخلط تخليطاً شديداً ، وكان جواداً شجاعاً أهوج ، فوفدت الى أبيه الوفود فى أمره وكتب اليه الأحنف بأمره وما ينكره الناس منه وأنه يخشى أن تفسد عليه طاعتهم ، فعزله عن البصرة

مدح سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد وقد أعطاه بعد أن حرمه سعيد بن خالد العثمانى

أبا خالد أعنى سعيدَ بن خالد أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكننى أعنى ابن عائشة الذى أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى فان مات لم يرض الندى بعقيد
فدى للكريم العَبْشَمى ابن خالد بَنِىَّ ومالى طارفى وتَلِيدى
على وجهه تلقى الأيامن واسمه وكل جوارى طيره بسعود
أبان وما استغنى عن الثدى خيره أبان به فى المهد قبل قعود
دعُوه دعُوه انكم قد رقدتمُ وما هو عن أحسابكم برَقود
ترى الجند والجناب يغشَوْن بابه بحاجاتهم من سيد ومسود
فيعطِى ولا يعطَى ويُغشَى ويُجتدَى وما بابه للمجتدِى بسديد
قتلت أناساً هكذا فى جلودهم من الغيظ لم تقتلهمُ بحديد
يعيشون ما عاشوا بغيظ وان تَحِنْ منايا هُمُ يوماً تَحِنْ بحقود
فقل لبغاة العرف قد مات خالد ومات الندى الا فضول سعيد

لما زفت فاطمة بنت الحسين الى عبد الله بن عمرو بن عثمان عارضها موسى شهوات

طلحة الخير جدكم وخـير الفواطم
أنت للطاهرات من فرع تيم وهاشم
أرتجيكم لنفعكم ولدفع المظالم

فأمر له بكسوة ودنانير وطيب

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق ، وكان فتى جواداً سمحاً ، فلما ركب وثب اليه فأخذ بعنان دابته ثم قال

قم فصوت اذا أتيت دمشقاً يا يزيد بن خالد بن يزيد

يايزيد بن خالد ان تُجبنى يلقنى طائرى بنجم السعود

فأمر له بخمسين ألف درهم وكسوة وقال له كلما شئت فنادنا نجبك

سأل موسى بعض آل الزبير حاجة فدفعه عنها وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو ابن عثمان فبعث اليه بما كان التمسه من الزبيرى من غير مسئلة فوقف عليه موسى في المسجد ثم أنشأ يقول

ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس غير أنك فان

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير ألاَّ بقاء للانسان

قضي أبو بكر بن عبد الرحمن على موسى بقضية « وكان خالد بن عبد الملك استقضاه فى أيام هشام بن عبد الملك » فقال موسى يهجوه

وجدتك فهًّا فى القضاء مخلطاً فقدتك من قاض ومن متأمر

فدع عنك ماشيدته ذات رخة أذى الناس لاتحشرهمُ كل محشر

ثم ولى القضاء سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصارى فقال يمدحه

من سره الحكم صرفاً لامزاج له من القضاة وعدل غير مغموز

فليأت دار سعيد الخير ان بها أمضى على الحق من سيف ابن جُرْموز

وكان سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قد ولى المدينة واشتد على السفهاء والشعراء والمغنين ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه وكان قبيح الوجه فقال موسى يهجوه

قل لسعد وجه العجوز لقد كنـــت لما قد أتيت سعداً مخيلا

ان تكن ظالماً جهولاً فقد كا ن أبوك الأدنى ظلوماً جهولا

وقال يهجوه

لعن الله والعباد تطيط الـــوجه لايرتجى قبيح الجوار

يتقى الناس فحشه وأذاه مثل ما يتقون بول الحمار

لاتغرنك سجدة بين عينيـــه حذار منها ومنه حذار

إنها سجدة بها يخدع النا س عليها من سجدة بالدبار

شعراء مخزوم

خالد بن المهاجر بن خالد

هو خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة من مخزوم بن يقظة بن مرة كان الوليد سيداً من سادات قريش وجواداً من أجوادها ، وكان يلقب بالوحيد ، ولما مات أرخت قريش بوفاته لإعظامها إياه حتى كان عام الفيل فجعلوه تاريخاً ، وقيل انها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة سبع سنين الى أن كانت السنة التى بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها

وخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والغناء بحروبه المحل المشهور ، ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وبعد الحديبية هو وعمرو بن العاصى وعثمان بن أبى طلحة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها ، وشهد فتح مكة مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان أول من دخلها من مهاجرة العرب من أسفل مكة ، وشهد يوم مُؤْتة ، فلما قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب عليه السلام وعبد الله بن رَواحة ورأى ألاَّ طاقة للمسلمين بالقوم انحاز بهم وحامى عنهم حتى سلموا ، فلقبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، وكان يوم حُنَين فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه بنو سُلَيم ، فأصابته جراح كثيرة ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المشركين فنَفَثَ في جراحه فنهض ، وله آثار في قتال أهل الردة فى أيام أبى بكر رضى الله عنه مشهورة يطول ذكرها ، وهو فتح الحِيرة ، بعث اليه أهلها عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة ، فكلمه خالد ،

فقال له من أين أقبلت ؟ قال من ورائى ، قال وأين تريد ؟ قال أمامى ، قال ابن كم أنت ؟ قال ابن رجل واحد وامرأة ، قال فأين أقصى أثرك ؟ قال منتهى عمري ، قال أتعقل ؟ قال نعم وأقيد ، قال ما هذه الحصون ؟ قال بنيناها نتقى بها السفيه حتى يردعه الحليم ، قال لأمرٍ مّا اختارك قومك ، ما هذا فى يدك ؟ قال سم ساعة ، قال وما تصنع به ؟ قال أردت أن أنظر ما تردنى به فان بلغت ما فيه صلاح لقومى عدت اليهم والاشربته فقتلت نفسى ولم أرجع الى قومى بما يكرهون ، قال له خالد أرنيه ، فناوله إياه ، فقال خالد بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثم أكله فتجلّته غَشْيَة ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه ، فرجع ابن بقيلة الى قومه فأخبرهم بذلك وقال ما هؤلاء القوم الا من الشياطين وما لكم بهم طاقة فصالحوهم على ما يريدون ، ففعلوا ، وأمّره أبو بكر على جميع الجيوش التى بعثها الى الشام لحرب الروم وفيهم أبو عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل ، فرضُوا بامارته ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلق رأسه ذات يوم فأخذ خالد شعره فجعله فى قَلَنْسوة له ، فكان لا يلقى جيشاً وهو عليه الا هزمه ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وحمل عنه ، ورآه النبى صلى الله عليه متدلياً من هَرْشَى فقال نعم الرجل خالد بن الوليد ، ولما مات لم تبق امرأة من بني المغيرة الا وضعت لمتها على قبره « يعنى حلقت رأسها ووضعت شعرها على قبره » ، وقال عمر حينئذ دعوا نساء بني المغيرة يبكين على أبى سليمان ويُرِقن من دموعهن سَجْلاً أو سَجْلين ما لم يكن نَقْع أو لَقْلقة « والنقع مد الصوت بالنحيب واللقلقة مد اللسان بالولولة ونحوها »

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشبه الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمر سحراً ، فلقيه شيخ فقال له مرحباً بك أبا سليمان ، فنظر اليه عمر فاذا هو علقمة بن عُلاثة ، فرد عليه السلام ، فقال له عزلك عمر بن الخطاب ؟ فقال له عمر نعم ،

قال ما يشبع لا أشبع الله بطنه ، قال له عمر فما عندك ؟ قال ما عندى الا السمع والطاعة ، فلما أصبح دعا بخالد وحضر علقمة ، فأقبل على خالد فقال له ماذا قال لك علقمة ؟ قال ما قال لي شيئاً ، فقال اصدُقني ، فحلف خالد بالله ما لقيه ولا قال له شيئاً ، فقال له علقمة حِلاً أبا سليمان ، فتبسم عمر ، فعلم خالد أن علقمة قد غلط ، فنظر اليه وفطن علقمة ، فقال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين فاعف عني عفا الله عنك ، فضحك عمر وأخبره الخبر

ولما أراد معاوية أن يظهر العقد ليزيد قال لأهل الشام ان أمير المؤمنين قد كبرت سنه ودق عظمه واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون ؟ قالوا عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فسكت وأضمرها ، ودس ابن أثال الطبيب اليه فسقاه سماً فمات ، وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر خبره وهو بمكة وكان أسوأ الناس رأياً في عمه لأن أباه المهاجر كان مع علي عليه السلام بصفين وكان عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأى أبيه هاشمي المذهب دخل مع بنى هاشم الشعب ، فاضطغن لذلك ابن الزبير عليه فألقى عليه زِقّ خمر وصب بعضه على رأسه وشنع عليه أنه وجده مُمِلاً من الخمر فضربه الحد ، فلما قتل عمه عبد الرحمن مرَّ به عروة بن الزبير فقال له يا خالد أتدَع ابن أثال يفنى أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مُسْبل ازارك تجره وتخطِر فيه متخايلاً ؟ فحمى خالد ودعا مولى له يدعى نافعاً ، فأخبره الخبر وقال له لابد من قتل ابن أثال ، وكان نافع جَلْدًا شهماً ، فخرجا حتى قدما دِمَشْق ، وكان ابن أثال يمسى عند معاوية ، فجلس له فى مسجد دمشق الى أسطوانة وجلس غلامه الى أخرى حتى خرج ، فقال لنافع إياك أن تعرض له فانى أضربه ولكن احفظ ظهرى واكفني مَن ورائى فان رابك شيء تراه من خلفى فشأنَك ، فلما حاذاه وثب عليه خالد فقتله ، وثار اليه من كانوا معه ، فلما غشُوهما حملا عليهم فتفرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففاتا القوم ،

وبلغ معاوية الخبر ، فقال هـذا خالد بن المهاجر اقلبوا الزقاق الذى دخل فيه ، ففتش عليه فأتى به ، فقال لا جزاك الله من زائر خيراً قتلت طبيبى ، قال قتلت المأمور وبقى الآمر ، فقال له عليك لعنة الله أما والله لو كان تشهد مرة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال لا ، قال بلى والله ما اجترأت الا به ، ثم أمر به فطلب فوجد فضربه مائة سوط ، ولم يهيج خالداً بشىء أكثر من أن حبسه وألزم بني مخزوم دية ابن أثال اثنى عشر ألف درهم أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم وأخذ ستة آلاف ، ولم يزل ذلك في دية المعاهد حتى ولى عمر بن عبدالعزيز فأبطل الذى يأخذه السلطان لنفسه وأثبت الذى يدخل بيت المال

وخالد بن المهاجر الذى يقول

يا صاح يا ذا الضامر العَنْس ... والرحل ذى الأنساع والحِلْس[1]
سير النهار فلست تاركه ... وتُجِدّ سيراً كلما تمسي

ولما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال فى السجن

إمّا خطاى تقاربت ... مشى المقيد فى الحصار
فبما أمشّى فى الأبا ... طح يقتفى أثرى ازارى
دع ذا ولكن هل ترى ... ناراً تُشَبّ بذى مُرَار
ما إن تشب لقُرَّة ... بالمصطلين ولا قَتَار
ما بال ليلك ليس ينـ ... ـقص طوله طول النهار
أتقاصَرُ الأيام أم ... غَرَض الأسير من الأسار

فبلغت أبياته معاوية فرق له فأطلقه ، فرجع الى مكة ، فلما قدمها لقى عروة بن الزبير ، فقال له أما ابن أثال فقد قتلته وهذا ابن جُرْموز يفي أوصال الزبير فاقتله

(١) الحلس كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج كالمرشحة تكون تحت اللبد والانساع جمع نسع بالكسر وهو حبل من أدم يكون عريضاً على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال القطعة منه نسعة والعنس الناقة الصلبة القوية

ان كنت ثائراً ، فشكاه عروة الى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فأقسم عليه أن يمسك عنه ففعل

ومن قول خالد بن المهاجر بن خالد وفيه غناء

رب ليل ناعم أحييتـــه في عفاف عند أفناء الحشى
ونهار قد لهونا بالتي لا ترى شبهاً لها فيمن مشى
لطلوع الشمس حتى آذنت لغروب أنت تهوى من تشا
لسليمى ما دعت قُمْرِيَّة بهديل فوق غصن من غضى
وعُقار قهوة باكرتها في نَدَامَى كمصابيح الدجى
وجواد سابح أقحمتـــه حَوْمة الموت على زُرْق القنا

الحرث بن خالد

هو الحرث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي من مخزوم بن يقظة بن مرة

أمه فاطمة بنت سعيد بن الحرث بن هشام ، أحد شعراء قريش المعدودين الغزلين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل الى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبب بها ، وولاه عبد الملك ابن مروان مكة وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش

قال معاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء كان أبو عمرو اذا لم يحج استبضعني الخروف أسأل عنها الحرث بن خالد وآتيه بجوابها ، فقدمت عليه سنة من السنين وقد ولاه عبد الملك بن مَرْوان مكة فلما رآني قال يا معاذ هات ما معك من بضائع أبي عمرو فجعلت أتعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير

قال الخزامى كانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء الا في الشعر ، فلما نجم

فى قريش عمر بن أبى ربيعة والحرث بن خالد المخزومى والعَرْجى وأبو دَهْبَل وعبدالله ابن قيس الرقيات أقرت لها بالشعر أيضاً

تفاخر مولى لعمر ومولى للحرث بشعريهما ، فقال مولى الحرث لمولى عمر دعنى منك فان مولاك والله لا يعرف المنازل اذا قلبت « يعنى قول الحرث »

عفت الديار فما بها أهل ... حزانها ودِمانها السهل
انى وما نحروا غَداة منًى ... عند الجمار يؤودها العُقل
لو بُدِّلت أعلى مساكنها ... سُفلا وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها ... فيرده الإقواء والمَحْل
لعرفت مَغْناها بما اشتملت ... مني الضلوع لأهلها قبل

كان بنو مخزوم زبيرية الا الحرث بن خالد فانه كان مروانياً ، فلما ولى عبدالملك عام الجماعة وفد عليه الحرث فى دين كان عليه فظهرت له منه جفوة وأقام ببابه شهراً لا يصل اليه فانصرف عنه وقال فيه

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة ... فلما انجلت قطَّعت نفسى أذيمها
وما بى ان أقصيتنى من ضَراعة ... ولا افتقرت نفسى الى من يَضيمها
عطفت عليك النفس حتى كأنما ... بكفيك بؤسى أو عليك نعيمها

و بلغ عبد الملك خبره وأنشد الشعر فأرسل اليه من رده من طريقه ، فلما دخل عليه قال له حار أخبرنى عنك ، هل رأيت عليك فى المقام ببابى غَضاضة أو فى قصدى دناءة ؟ قال لا والله يا أمير المؤمنين ، قال فما حملك على ما قلت وفعلت ؟ قال جفوة ظهرت لي وكنت حقيقاً بغيرهذا ، فولاه مكة فحج بالناس وحجت عائشة بنت طلحة عامئذ فأرسلت اليه أخر الصلاة حتى أفرُغ من طوافى ، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها ثم أقيمت الصلاة فصلى بالناس ، وأنكر أهل الموسم ذلك من فعله وأعظموه ، فعزله ، وكتب اليه يؤنبه فيما فعل ،

فقال ما أهون غضبه اذا رضيت، فلما قضت حجها أرسل اليها يا ابنة عمى ألمِّى بنا أوعدينا مجلساً نتحدث فيه، فقالت في غد أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها فقال فيها

ما ضركم لو قلتمُ سددا ... ان المطايا عاجل غدها
ولها علينا نعمة سلفت ... لسنا على الأيام نجحدها
لو تممت أسباب نعمتها ... تمت بذلك عندنا يدها

ومما غنى فيه من قوله فيها

زعموا بأن البين بعد غد ... فالقلب مما أحدثوا يَجِف
والعين منذ أجَدّ بينهم ... مثل الجُمان دموعها تكِف
ومقالها ودموعها سُجُم ... أقلل حنينك حين تنصرف
تشكو ونشكو ما أشتّ بنا ... كل بوشك البين معترف

قدم المدينة قادم من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة فقالت له من أين أقبل الرجل ؟ قال من مكة، فقالت فما فعل الأعرابى ؟ فلم يفهم ما أرادت، فلما عاد الى مكة دخل على الحرث فقال له من أين ؟ قال من المدينة، قال فهل دخلت على عائشة بنت طلحة ؟ قال نعم، قال فعماذا سألتك ؟ قال قالت لي مافعل الأعرابى ؟ فقال له الحرث عد اليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقك وادفع اليها هذه الرقعة وكتب اليها فيها

من كان يسأل عنا أين منزلنا ... فالآ قحوانة منا منزل قمن
اذ نلبس العيش صفواً ما يكدره ... طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن
ليت الهوى لم يقربنى اليك ولم ... أعرفك اذ كان حظى منكم الحزن

لما ولى عبد الملك الحرث مكة بعث الي الغريض فقال له لا أرينّك فى عملى وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه فخرج الغريض الى ناحية الطائف وبلغ ذلك الحرث فرق له فرده وقال له لم كنت تبغضنا وتهجر شعرنا ولا تقربنا ؟ قال

الغريض كانت هفوة من هفوات النفس وخُطوة من خطوات الشيطان ومثلك من وهب الذنب وصفح عن الجرم وأقال العثرة وغفر الزلة ولست بعائد الى ذلك أبداً ، قال وهل غنيت فى شيء من شعرى ؟ قال نعم فى ثلاثة أصوات من شعرك ، قال هات ما غنيت ، فغنى

بان الخليط فما عاجوا ولا عدلوا ... اذ ودعوك وحنّت بالنوى الابل
كأن فيهم غداة البين اذ رحلوا ... أُذما أطاع لها الحَوْذان والنَّفَل

ثم غنى

يا ليت شعرى وكم من مُنْية قُدرت ... وَفقاً وأخرى أتى من دونها القدر
ومُضْمَر الكَشْح يَطويه الضجيع له ... طي الحمالة لاجاف ولا فقر
له شبيهان لا نقص يَعيبهما ... بحيث كانا ولا طول ولا قصر

فقال له الحرث يا غريض لا لوم فى حبك ولا عذر فى هجرك ولا لذة لمن لا يروح قلبه بك ، يا غريض لو لم يكن لي فى ولايتى مكة حظ الا أنت لكان حظاً وافياً كافياً ، يا غريض انما الدنيا زينة فأزين الدنيا ما فرح النفس ولقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء

ومنه

ان امرأً تعتاده ذكرَى ... منها ثلاثَ منًى لذو صبر
ومواقف بالمشعَرين لها ... ومناظر الجمرات والنحر
وافاضة الركبان خلفهمُ ... مثل الغمام أرذَّ بالقطر
حتى استلمن الركن فى أنف ... من ليلهن يطأن فى الأُزر
يقعدن في الطواف آونة ... ويطفن أحياناً على فَتر
ففرغن من سبع وقد جهدت ... أحشاءهن موائلُ الخُمر

لما مات عمر بن عبيد الله التيمى عن عائشة بنت طلحة قيل للحرث بن خالد مايمنعك الآن منها ؟ قال والله لايتحدث رجال من قريش أن نسيبى بها كان لشىء من الباطل

تنازع الحرث بن خالد وهو أمير مكة وأبان بن عثمان وهو أمير المدينة الحج بالناس سنة خروج ابن الأشعث لأن عبد الملك شغل عن أن يولي على الحج رجلا وكانت الغلبة لأبان ، فقال الحرث

فان تنج منها يا أبان مسلماً فقد أفلت الحجاج خيل شبيب
وكاد غداة الدير يُنفذ حضنه غلام بطعن القرن جِدّ طبيب
وأنسوه وصف الدير لما رآهمُ وحسَّن خوف الموت كل مغيب

فلقيه الحجاج بعد ذلك فقال مالي ولك ياحارث؟ أينازعك أبان عملا فتذكرنى؟ فقال له ما اعتمدت مساءتك ولكن بلغنى أنك أنت كاتبته ، قال والله مافعلت ، فقال له الحرث المعذرة الى الله واليك يا أبا محمد

قدمت عائشة مكة تريد العمرة فلم يتمكن الحرث من كلامها حتى خرجت ، فقال وذكر حاضنتها بسرة

يا دار أقفر رسمها بين المحصَّب والحَجون
أقوت وغير آيها مر الحوادث والسنين
واستبدلوا ظَلَف الحجا ز وسُرَّة البلد الأمين
يا بُسْرَ انى فاعلمى بالله مجتهداً يمينى
ما ان صرمت حبالكم فصلى حبالك أو ذرينى

وقال الحارث فى زوجته أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد وكناها بابنها عمران

يا أم عمران ما زالت وما برحت بى الصبابة حتى شَفَّنى الشفق

القلب تاق اليكم كى يلاقيكم كما يتوق الى منجاته الغرق
تنيل نزراً قليلا وهى مشفقة كما يخاف مسيس الحية الفرق

فأنشد رجل يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبيد الله بن مطيع هذا الشعر ثم فطن فأمسك فقال له لا عليك فانها كانت زوجه ، ويروى أنه قال له امض رحمك الله وما بأس ذلك رجل متزوج بنت عمه وكان لها كفأ كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ فكان ماذا ؟

بينا الحرث واقف على جمرة العقبة اذ رأى أم بكر وهى ترمى الجمرة فرأى أحسن الناس وجهاً ، وكان فى خدها خال ظاهر ، فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رحلها ، ثم أرسل اليها يسألها أن تأذن له فى الحديث فأذنت له ، فكان يأتيها يتحدث اليها حتى انقضت أيام الحج فأرادت الخروج الى بلدها فقال فيها

ألا قل لذات الخال ياصاح فى الخد تدوم اذا بانت على أحسن العهد
ومنها علامات بمجرى وشاحها وأخرى تزين الجيد من موضع العقد
وترعى من الود الذى كان بيننا فما يستوى راعى الأمانة والمبدى
وقل قد وعدت اليوم وعداً فأنجزي ولا تخلفى لاخير فى مخلف الوعد
وجودى علىّ اليوم منك بنائل ولا تبخلى قد متّ قبلك فى اللحد
فمن ذا الذى يبدى السرور اذا دنت بك الدار أو يُعْنَى بنأيكمُ بعدى
دنوكمُ منا رجاء نناله ونأيكمُ والبعد جهد على جهد
كثير اذا تدنو اغتباطى بك الهوى ووجدى اذا ما بنتمُ ليس كالوجد
أقول ودمعى فوق خدى مخضل له وَشَل قد بلّ نهتانه خدى
لقد منح الله البخيلة ودنا ومامنحت ودى بدعوى ولاقصد

وقال فى ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسعود ورآها تطوف وأمها ميمونة بنت أبى سفيان بن حرب

أطافت بنا شمس النهار ومن رأى ... من الناس شمساً بالعشاء تطوف
أبو أمها أوفى قريش بذمة ... وأعمامها امّا سألت ثقيف

وفيها يقول

أمن طلل بالجزع من مكة السدر ... عفا بين أكناف المشقر فالحضر
ظللت وظل القوم من غير حاجة ... لدن غدوة حتى دنت حزّة العصر
يبكّون من ليلى عهوداً قديمة ... وماذا يبكي القوم من منزل قفر

ويقول

لقد أرسلت فى السر ليلى تلومنى ... وتزعمني ذا مَلّة[1] طرِفاً جلدا
وقد أخلفتنا كل ما وعدت به ... ووالله ما أخلفتها عامداً وعدا
فقلت مجيباً للرسول الذي أتى ... تراه لك الويلات من قولها جدا
اذا جئتها فاقرِ السلام وقل لها ... دعى الجور ليلى واسلكى مسلكا قصدا
أفى مكثنا عنكم ليالي مرضتها ... تزيدينني لبلى على مرضى جهدا
تعُدّين ذنباً واحداً ما جنيته ... علىَّ وما أحصى ذنوبكمُ عدا
فان شئت حرمت النساء سواكمُ ... وان شئت لم أطعم نُقاخاً[2] ولا بَرْدا
وان شئت غُرنا[3] بعدكم ثم لم نزل ... بمكة حتى نجلسى قابلا نجدا

ومما قاله فى عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببسرة جاريتها

يا ربع بُسْرة بالحناب تكلم ... وأبن لنا خبراً ولا تستعجم
مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً ... خَلَقاً كحوض الباقر المتهدم
تسبي الضجيع اذا النجوم تغورت ... طوع الضجيع أنيسة المتوسَّم
قُبّ البطون أوانس مثل الدُّمَ ... يخلطن ذاك بعفة وتكرم

(١) الملة الملل والطرف من لا يثبت على صاحب (٢) النقاخ الماء البارد العذب الصافى لانه ينقخ العطش أى يكسره (٣) غار غوراً أتى الغور

ومنه

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت ... بعدي وبُدّل آيهن دُثورا
وتبدلت بعد الأنيس بأهلها ... غُفراً بواغم يرتعين وُعورا
من كل مُصْبِية الحديث ترى لها ... كفلا كرابية الكثيب وَثيرا
دع ذا ولكن هل رأيت ظعائناً ... قرِبن أجمالا لهن بكورا
قربن كل مُخَيّس[1] متجمل ... بُزُلا تشبه هامهن قبورا
يفتِنّ لا يألون كل معقّل ... يملأنه بحديثهن سرورا
يادار حسرها البلى تحسيرا ... وسفت عليها الريح بعدك بُورا
ومن التراب نخيله فمخيم ... بعراصها ومسير تسييرا
ياربع بسرة ان أضربك البلى ... فلقد عهدتك آهلا معمورا
عفت الرَّذاذ خلافه فكأنما ... بسط الشواطب فوقهن حصيرا[2]
ان يُمسِ حبلك بعد طول تواصل ... خَلَقاً ويصبح بيتكم مهجوراً
فلقد أراني والجديد الى بلىً ... زمناً بوصلك قانعاً مسرورا
جَذِلا بما لى عندكم لا أبتغى ... للنفس غيرك خلة وعشيرا
كنت المني وأعز من وطئ الحصا ... عندى وكنت بذاك منك جديرا

ومنها من أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أولها

هل تعرف الدار أضحت آيها عُجُما ... كالرق أجرى عليها حاذق قلما
بالخيف هاجت شؤوناً غير جامدة ... فانهلّت العين تُذرى واكفاً سَجِما
دار لبسرة أمست ما تكلمنا ... وقد أبنت لها لو تعرف الكلما
واهاً لبُسْرة لو يدنو الأمير بها ... ياليت بسرة قد أمست لنا أمما

(١) الابل المخيسة التى حوست للنحر أو القسم (٢) الشاطبة من النساء التى تشق الجريد لتعمل منه الحصير

حلت بمكة لا دار مصاقبة ... هيهات جيزون ممن يسكن الحرما
يا بسر انكمُ شطَّ البعاد بكم ... فما تنيلوننا وصلا ولا نعما
قد قلت بالخيف اذ قالت لجارتها ... أدام وصل الذى أهدى لنا الكلما
لا يرغم الله أنفاً أنت حامله ... بل أنف شانيك فيما سركم رَغِما
ان كان رابك شيء لست أعلمه ... مني فهذي يميني بالرضا سَلَما
أو كنت أحببت شيئاً مثل حبكمُ ... فلا أرحت اذاً أهلاً ولا نَعَما
لا تَكِلِيني الى من ليس يرحمنى ... وقاك من تُبغضين الحتف والسَّقما
ان الوشاة كثير ان أطعتهمُ ... لا يرقبون بنا إلاً ولا ذمما

ومنه

أثلَ جودى على المتيم أثلا ... لا تزيدى فؤاده بك خبلا
أثل انى والراقصات بجمع ... يتبارَيْن فى الأَزِمَّة فتلا
سانحات يقطعن من عرفات ... بين أيدى المطىّ حزناً وسهلا
والأُكف المضمرات على الركـ ... ـن بشعث سعَوْا الى البيت رجلا
لا أخون الصديق في السر حتى ... يُثقل البحر بالغرابيل نقلا
أو تمر الجبال مر سحاب ... مرتق قد وعى من الماء ثفلا
أنعم الله لي بذا الوجه عينا ... وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لاتُفْشِيَنّ حديثى ... يا ابن عمّ أقسمت قلت أجلْ لا
اتق الله واقبلى العذر مني ... وتجافَىْ عن بعض ما كان زلا
لا تصدى فتقتليَنى ظلماً ... ليس قتل المحب للحب حلاّ
ما أكن سؤتكم به فلك العُتْـ ... ـبَى لدينا وحق ذاك وقلا
لم أُرحب بأن سخطت ولكن ... مرحباً ان رضيت وأهلا
ان شخصاً رأيته ليلة البد ... ر عليه انثني الجمال وحلا

جعل الله كل أنثى فداء لك بل خدها لرجلك نعلا
وجهك البدر لو سألت به المز ن من الحسن والجمال استهلا
ان عند الطواف حين أتته لجمالاً فعماً وخلقاً رفلا (١)
وكمين الجمال ان بن عنها فاذا ما بدت لهن اضمحلا

ومنها

أحقاً أن جيرتنا استحبوا حزون الأرض بالبلد السخاخ (٢)
الى عقر الأباطح من ثبير الى ثور فمدفع ذى مراخ
فتلك ديارهم لم يبق فيها سوى طلل المعرس والمناخ
وقد تغنى بها فى الدار حور نواعم فى المجاسد كالأراخ (٣)

ومن قول الحرث فى أمة المالك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد

أقوى من ال ظليمة الحزم فالغمرتان فأوحش الخطم
فجنوب أثيرة فملحدها فالسدرتان فما حوى رسم
وبما أرى شخصاً به حسناً فى القوم اذ حيتكمُ نعم
اذ ودها صاف ورؤيتها أمنية وكلامها غنم
هيفاء ممـلوء مخلخلها عجزاء ليس لعظمها حجم
خُمصانة قلق مُوشَّحها رُودُ الشباب تلابها عظم
وكأن غاليـة تباشرها تحت الثياب اذا صفا النجم
أظليم ان مصابكم رجلاً أهدى السلام تحيـة ظلم
أقصيتـه وأراد سلمكمُ فليهنه اذ جاءك السلم

(١) الرفل الكثير اللحم (٢) السخاخ الارض اللينة الحرة (٣) الاراخ بكسر الهمزة بقر الوحش

ابنه أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة من مخزوم بن يقظة بن مرة

كان جده أبو ربيعة يسمى ذا الرمحين لطوله ، وكان يقال كأنه يمشي على رمحين ، وقيل انه قاتل يوم عكاظ برمحين ، فسمي ذا الرمحين لذلك ، وفيه يقول عبد الله بن الزبعرى

ألا لله قوم و لدت أخت بني سهم[1]

وأخت بني سهم هي ريطة بنت سعيد بن سهم وهي أم بني المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم وهم هشام وهاشم وأبو ربيعة والفاكه وعدة غيرهم لم يعقبوا وإياهم عنى أبو ذؤيب بقوله

صخب الشوارب لا يزال كأنه عبد لآل أبي ربيعة مسمع

وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بجيراً ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وكانت قريش تلقبه العدل لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنة ويكسوها هو من ماله سنة ، فأرادوا بذلك أنه وحده عدل لهم جميعاً في ذلك ، وفيه يقول ابن الزبعرى

بجير بن ذي الرمحين قرب مجلسي وراح عليَّ خيره غير عاتم

وقد قيل ان العدل هو عمه الوليد بن المغيرة ، وكان عبد الله تاجراً موسراً وكان متجره الى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً وأمه أسماء بنت مخرمة ، وكانت عطارة يأتيها العطر من اليمن ، وقد تزوجها هشام بن المغيرة أيضاً ، فولدت له أبا جهل والحرث بن هشام فهي أمهما وأم عبد الله وعياش ابني أبي ربيعة ، وكان لعبد الله

(١) أنظر صفحة ٢٣٥ من الجزء الثاني

عبيد من الحبشة يتصرفون فى جميع المهن ، وكان عددهم كثيراً ، وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى حُنَيْن هل لك فى حبش بني المغيرة تستعين بهم ؟ فقال لا خير فى الحبش ان جاعوا سرقوا وان شبعوا زَنَوْا وان فيهم خلتين جميلتين إطعام الطعام والبأس يوم البأس ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ربيعة على الجَنَد ومخاليفها فلم يزل عاملاً عليها حتى قتل عمر رحمة الله عليه ، وقيل ان عثمان بن عفان رحمه الله استعمله أيضاً عليها ، وأم عمر أم ولد يقال لها مجد سبيت من حضرموت أو من حمير ، ومن هناك أتاه الغزل يقال غزَل يمان ودَلّ حجازى

وكان لعمر ابنٌ صالح يقال له جَوان ، وفيه يقول العرْجى

شهيدي جوان على حبها ... أليس بعَدْل عليها جوان

جاء جوان الى زياد بن عبد الله الحارثى وهو إذ ذاك أمير على الحجاز فشهد عنده بشهادة ، فتمثل بهذا البيت ثم قال قد أجزنا شهادتك وقبله ، وجاء جوان الى العرجى فقال يا هذا مالي ولك تشهدنى في شعرك ؟ متى أشهدتني على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنت أشهد فى مثل ذلك ؟

استعمله بعض ولاة مكة على قبالة فحمل على خثعم فى صدقات أموالهم حملا شديداً ، فجعلت خثعم سنة جوان تاريخاً ، فقال ضُبارة بن الطفيل

أتلبَسنا ليلى على شعَث بنا ... من العام أو يرمى بنا الرَّجَوان

رأتنى كأشلاء اللجام وراقها ... أخو غزل ذو لِمَّة ودهان

ولو شهدتنى فى ليال مضَيْن لي ... لعامين مرًّا قبل عام جوَان

رأتنا كريمى معشر حُمَّ بيننا ... هوى فحفظناه بحسن صيان

نذود النفوس الحائمات عن الصِّبا ... وهن بأعناق اليه ثوان

وكان لعمر أيضاً بنت يقال لها أَمَة الواحد وكانت مسترضعة فى هذيل ، وفيها يقول عمر وقد خرج يطلبها فضل الطريق

لم تذرِ وليغفر لها ربها ما جشمتنا أَمَة الواحد
جشمت الهول براذيننا نسأل عن بيت أبى خالد
نسأل عن شيخ أبى كاهل أعيا خفاء نِشْدة الناشد

ولد عمر ليلة قتل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، فقيل أى حق رفع وأى باطل وضع ، ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها

قال يعقوب بن اسحاق كانت العرب تقر لقريش بالتقدم فى كل شىء عليها الا فى الشعر فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبى ربيعة فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها شيئاً ، وقال نصيب عمر بن أبى ربيعة أوصفنا لرَبّات الحجال ، وقال سليمان بن عبد الملك لعمر ما يمنعك من مدحنا ؟ قال انى لا أمدح الرجال ولكن أمدح النساء ، وسئل حماد الراوية عن شعر عمر ، فقال ذلك الفستق المقشر ، وسمع الفرزدق شيئاً من تشبيب عمر ، فقال هذا الذى كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه ، وقال عبد الله بن سلمة بن أسلم لقيت جريراً فقلت له يا أبا حَزْرة ان شعرك رفع الى المدينة وأنا أحب أن تسمعني منه شيئاً ، فقال انكم يا أهل المدينة يعجبكم النسيب وان أنسب الناس المخزومى « يعنى عمر »

بينا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه اذ أقبل عليه عمر فى ثوبين مصبوغين موردين حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا ، فأنشده

أمن آل نُعْم أنت غاد فمُبكر غداة غد أم رائح فمهجر
بحاجة نفس لم تقل فى جوابها فتُبلغ عذراً والمقالة تُعذِر
تهيم الى نُعْم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مُقصر

ولا قرب نُعْمٍ ان دنت لك نافع ... ولا نأيها يُسلى ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نُعْمٍ ومثلها ... نهى ذا النُّهَى لو يرعوى أو يفكر
اذا زرت نُعْماً لم يزل ذو قرابة ... لها كلما لاقيته يتنمر
عزيز عليه أن أمرّ ببابها ... مُسِرّ لي الشَّحناء والبغضَ مظهر
ألكني (١) اليها بالسلام فانه ... يشهّر إلمامي بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها ... بَدْفَع أكنان أهذا المشهّر
قفي فانظري يا أسمَ هل تعرفينه ... أهذا المغيريّ الذي كان يذكر
أهذا الذي أطريت نعتاً فلم أكد ... وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لا شك غير لونه ... سُرَى الليل يُحيي نَصَّه والتهجر
لئن كان إياه لقد حال بعدنا ... عن العهد والإنسان قد يتغير
رأت رجلاً مما اذا الشمس عارضت ... فيَضْحَى وأما بالعشي فيَخْصَر (٢)
أخا سفر جوّاب أرض تقاذفت ... به فلوات فهو أشعث أغبر
قليل على ظهر المطية ظله ... سوى ما نفى عنه الرداء المحبّر (٣)
وأعجبها من عيشها ظل غرفة ... وريّان ملتف الحدائق أخضر
ووالٍ كفاها كل شيء يهمها ... فليست لشيء آخر الليل تسهر
وليلة ذي دَوْران جشّمني السرى ... وقد يجشم الهولَ المحبُّ المغرر
فبت رقيباً للرفاق على شفا ... أحاذر منهم من يطوف وأنظر
أليهم متى يستمكن القوم منهم ... ولي مجلس لولا اللّبانة أوعر
وباتت قلوصي بالعراء ورحلها ... لطارق ليل أو لمن جاء معْور
وبت أناجي النفس أين خباؤها ... وكيف لما آتى من الأمر مصدر

(١) من الالوكة بمعنى تحميل الرسالة (٢) يضحى يظهر للشمس ويخضر يبرد
(٣) يصف نفسه أنه ضئيل لا يكاد يكون له ظل الا ما أراه رداؤه

فدلّ عليها القلبَ رَيَّا عرفتها ... لها وهوى النفس الذى كاد يظهر
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ... مصابيح شُبَّت بالعشاء وأنؤر[1]
وغاب قُمَير[2] كنت أرجو غيوبه ... ورَوَّح رُعيان ونَوَّم سُمَّر
ونَفَضْتُ[3] عنى العين أقبلت مشية الـ ... ـحُباب وركنى خيفة القوم أزور
فحييت اذ فاجأتها فتولهت ... وكادت بمكنون التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني ... وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك اذ هُنّا عليك ألم تخف ... رقيباً وحولي من عدوك حُضَّر
فوالله ما أدري أتعجيل حاجة ... سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادنى الشوق والهوى ... اليك وما عين من الناس تنظر
فقالت وقد لانت وأفرخ رَوعها ... كلاك بحفظ ربك المتكبر
فأنت أبا الخطاب غير مدافَع ... عليَّ أمير ما مكثت مؤمَّر
فبت قرير العين أعطيت حاجتى ... أقبل فاها فى الخلاء فأُكثر
فيالك من ليل تقاصر طوله ... وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
ويالك من ملهًى هناك ومجلس ... لنا لم يكدِّره علينا مكدر
يمج ذكيّ المسك منها مُفَلَّج ... رقيق الحواشى ذو غروب[4] مؤشَّر
يَرِف اذا يفتَرّ عنه كأنه ... حصى برد أو أقحوان منوَّر
وترنو بعينيها الى كما رنا ... الى رَبْرَب وسط الخميلة جؤذر

---

(١) جمع نار (٢) صغره لانه ناقص عن التمام ولما أنشد هذا سعيد بن المسيب قال ماله قاتله الله لقد صغر ما عظم الله ، يقول الله عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، والرعيان جمع راعى والسمر جمع سامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا

(٣) يقول احترست منها وأمنتها والنفضة امام العسكر بالتحريك القوم يتقدمون فينفضون الطريق وازور يعنى متجافيا يقال تزاور فلان اذا ذهب فى شق (٤) غرب كل شىء حده وانما يعنى الاسنان ومؤشر له أشر بضمتين وهو تشرير الاسنان

فلما تقضى الليـــل الا أقله ... وكادت توالي [1] نجمه تتغوّر
أشارت بأن الحي قد حان منهمُ ... هُبوب [2] ولكن موعد لك عزّور
فما راعني الا منادٍ برحـــلة ... وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر
فلما رأت من قد تثوّر منهمُ ... وأيقاظهم [3] قالت أشر كيف تأمر
فقلت أبادرهم فاما أفوتهم ... واما ينال السيف ثأراً فيثأر
فقالت أتحقيقاً لما قال كاشح ... علينا وتصديقاً لما كان يؤثر ؟
فان كان ما لابه منه فغيره ... من الأمر أدنى للخفاء وأستر
أقص على أختيّ بدء حديثنا ... ومالي من أن تعلما متأخّر
لعلهما أن تبغيـــا لك مخرجاً ... وأن تزحبا مِرْبأ [4] بما كنت أحضر
فقامت كئيباً ليس في وجهها دم ... من الحزن تذري عبرة تتحدر
فقامت اليها حرتان عليهما ... كسا آن من خزّ دمقس وأخضر
فقالت لأختيها أعينا على فتى ... أتى زائراً والأمر للأمر يُقدر
فأقبلتا فارتاعتـــا ثم قالتا ... أقلّي عليك الهمّ فالخطب أيسر
فقالت لها الصغرى سأعطيه مُطْرَفي ... ودرعي وهذا البُرْد ان كان يحذر
يقوم فيمشي بيننا متنكراً ... فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجنّي [5] دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومُعْصِر
فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي ... ألم تتق الأعداء والليل مُقْمر
وقلن أهذا دأبك الدهر سادراً ... أما تستحي أو ترعوي أو تفكر
اذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا ... لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

(١) التوالي التوابع وتتغور تغور فتذهب (٢) الهبوب الانتباه وعزور موضع بعينه
(٣) جمع يقظ بفتح الياء وضم القاف (٤) أي تنسح صدورهما وأحصر أضيق به ذرعاً
(٥) المجن الترس والمعصر التي بلغت شبابها والكاعب الناهد

فآخر عهد لي بها حين أعرضت ... ولاح لها خـــد نقي ومَحجِر
سوى أنني يا نُعْم قد قلت قولة ... لها والعِتاق الأرحبيات تُزجِر
هنيئاً لأهل العامرية نشرها الـــلذيذ وريّاها الذي أتذكر
وقمت الى عَنْس تخوّن (١) نَيّها ... سُرَى الليل حتى لحمها متحسر
وحبسي على الحاجات حتى كأنها ... بقية لوح أو شِجار (٢) مؤسّر
وماء بمَوْماة (٣) قليل أنيسه ... بسابس لم يحدث به الصيف محضر
به مبتنًى للعنكبوت كأنه ... على طَرَف الأرجاء (٤) خام مُنَشَّر
وردت وما أدري أما بعد موردي ... من الليل أم ما قد مضى منه أكثر
فقمت الى مِغْلاة (٥) أرض كأنها ... اذا التفتت مجنونة حين تنظر
تنازعني حرصاً على الماء رأسها ... ومن دون ما تهوى قليب مُعَوَّر (٦)
محاولة للماء لولا زمامها ... وجذبي لها كادت مراراً تكسر
فلما رأيت الضر منها وأنني ... ببلدة أرض ليس فيها مُعَصَّر (٧)
قصرت لها من جانب الحوض ناشئاً ... جديداً كقاب الشبر أو هو أصغر
اذا شرعت فيه فليس لملتقى ... مشافرها منه قَدِي الكف مُسْأَر (٨)
ولا دلو الا القَعْب كان رشاءه ... الى الماء نِسْع والجديل المضفّر
فسافت (٩) وما عافت ومارد شربها ... عن الرى مطروق من الماء أكدر

(١) تخون تنقص والنى الشحم (٢) الشجار خشب الهودج فاذا غشى غشاءه صار هودجاً والمؤسر مشدود بالاسار وهو الحبل ولم أجد أسر بالتشديد وانما الذى رأيته فى عامة كتب اللغة أسر بالتخفيف ويقال شجار مأسور لا مؤسر (٣) الموماة المفازة والبسابس جمع بسبس بفتح الباءين وهو القفر (٤) الارجاء النواحى والخام الكرباس لم يغسل (٥) المغلاة السهم (٦) القليب البئر ومعور مفسود المنبع (٧) المعصر الملجأ وأصله من العصر بالتحريك وهو الملجأ والمنجى (٨) مفعل من السؤر وهو بقية الماء التى يبقيها الشارب معناها اذا التقمت شفتاها عليه لم يبق منه شيء (٩) شمت والمطروق ماء السماء الذى تبول فيه الابل

فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال له والله يا ابن عباس انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحرام والحلال فتتثاقل عنا ويأتيك مُتْرَف من مترفى قريش فينشدك

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال ليس هكذا قال ، قال فكيف قال ؟ قال قال

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخصر

فقال ما ما أراك الا كنت حفظت البيت ، قال أجل وان شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها ، قال فانى أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أنى على آخرها ، فقال له بعضهم ما رأيت قط أذكى منك ، فقال لكنى ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب عليه السلام ، وكان ابن عباس يقول ما سمعت شيئاً قط الا رويته وانى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول ، ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة ، فقال انها « أمن آل نُعْم » يستجيدها ، وكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول هل أحدث المغيرى شيئاً بعدنا ؟

ومما يغني فيه من شعر عمر

تشطّ غداً دار جيراننا ولَلدار بعد غد أبعد

اذا سلكت غَمْرذى كِندة مع الركب قصد لها الفرقد

وحث الحُداة بها عيرها سراعا اذا ما دنت تُطرد

هنالك إما تعزّى الفؤا د واما على إثرهم تكمد

فلست ببدع لئن دارها نأت فالعزاء اذاً أجلد

صرمتِ وواصلتُ حتى عرفـــت أين المصادر والمورد

دعانى من بعد شيب القَذا ل رِيم له عنق أغيد

وعين تصابَى وتدعو الفتى لما تركه للفتى أرشد

فتلك التي شيعتها الفتا ... ة الى الخدر قلبي بها مقصد
تقول وقد جد من بينها ... غداة غد عاجل موفد
ألست مشيعنا ليلة ... تقضي اللُّبانة أو تعهد
فقلت بلى قد فل عندى لكم ... كلال المطى اذا تجهد
فعودى اليها فقولى لها ... مساء غد لكم موعد
وآية ذلك أن تسمعى ... اذا جئتكم ناشد ينشد
فرحنا سراعاً وراح الهوى ... الينا دليلاً بنا يقصد
فلما دنونا لجرس النبا ... ج اذا الضوء والحى لم يرقدوا
نأينا عن الحى حتى اذا ... تودع من نارها الموقد
وناموا بعثنا لها ناشداً ... وفى الحى بُغية من ينشد
فقامت فقلت بدت صورة ... من الشمس شيعها الأسعد
فجاءت تهادَى على رِقْبة ... من الخوف أحشاؤها تُرْعَد
وكفت سوابق من عَبرة ... على الخد جال بها الإثمد
تقول وتظهر وجداً بنا ... ووجدى لو أظهرت أوجد
لما شقائى تعلقتكم ... وقد كان لى عندكم مقعد
عراقية وتهامى الهوى ... يغور بمكة أو يُنجد

وهذا الشعر يقوله عمر فى امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجت فهويها وراسلها ودخل اليها وتحدث معها وخطبها فقالت أما ههنا فلا سبيل الى ذلك ولكن ان قدمت الى بلدى خاطباً تزوجتك ، فلم يفعل ، وفيها يقول وقد شيعها

قال الخليط غداً تصدُّعنا ... أو بعده أفلا تشيعنا ؟
أما الرحيل فدون بعد غد ... فمتى تقول الدارَ تجمعنا
لتَشُوقنا هند وقد علمت ... علماً بأن البين يقرَعنا

عجباً لموقفنا وموقفها ... وبسمع تربتها تراجعنا
ومقالها سر ليلة معنا ... نعهدْ فان البين فاجعنا
قلت العيون كثيرة معكم ... وأظن ان السير مانعنا
لا بل نزوركمُ بأرضكمُ ... فيطاع قائلكم وشافعنا
قالت أشيء أنت فاعله ... هذا لعمرك أم تخادعنا ؟
بالله حدث ما تؤمله ... واصدُق فان الصدق واسعنا
اضرب لنا أجلاً نعد له ... اخلاف موعده تقاطعنا

وشبب عمر بزينب بنت موسى الجمحية فى قصيدته التى يقول فيها

يا خليلىّ من مَلامِ دعانى ... وألمّا الغَداة بالأظعان
لاتلوما فى آل زينب ان القلـ ... ـب رَهْن بآل زينبَ عان
ما أرى ما بقيت أن أذكر المو ... قف منها بالخَيْف إلا شجانى
لم تَدَعْ للنساء عندى حظاً ... غير ما قلت مازحاً بلسانى
هى أهل الصفاء والود منى ... واليها الهوى فلا تعذُلانى
حين قالت لأختها ولأخرى ... من قَطين مولد حدثان
كيف لى اليوم أن أرى عمر المر ... سل سراً فى القوم أن يلقانى
قالتا نبتغى اليه رسولاً ... وتُميت الحديث بالكتمان

وكان سبب ذكره لها ان ابن أبى عَتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصفه من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله اليها فقال فيها الشعر وشبب بها فبلغ ذلك ابن أبى عتيق فلامه فيه وقال أتنطق الشعر فى ابنة عمى ؟ فقال عمر

انني اليوم عاد لي أحزانى ... وتذكرت مامضى من زمانى
وتذكرت ظبية أم ريم ... هاج لى الشوق ذكرها فشجانى

وهى طويلة يقول فيها

لاتلمني عتيق حسبي الذي بي ... ان بي يا عتيق ما قد كفاني
لاتلمني وأنت زينتها لي ... أنت مثل الشيطان للانسان
ان بي داخلا من الحب قد أبـ ... ـلى عظامي من مكنونه وبراني
لو بعينيك يا عتيق نظرنا ... ليلة السفح قرت العينان
ان بدا الكشح والوشاح من الدر ... وفصل فيه من المرجان
قد قلى قلبي النساء سواها ... غير ما قلت مازحاً بلساني

أنشد ابن أبي عتيق قول عمر

ومن لسقيم يكتم الناس ما به ... لزينب نجوى صدره والوساوس
أقول لمن يبغي الشفاء متى تجدْ ... بزينب تدركْ بعض ما أنت لامس
فانك ان لم تشفِ من سقمي بها ... فانك من طب الأطباء آئس
ولست بناس ليلة الدار مجلساً ... لزينب حتى يعلو الرأسَ رامس
فلما بدت قمراؤه وتكشفت ... دُجنَّته وغاب من هو حارس
وما نلت منها محرماً غير أننا ... كلانا من الثوب المورد لابس
نجيين نقضي اللهو في غير مأثم ... وان رغمت مِ الكاشحين المعاطس

فقال أبنا سخر ابن أبي ربيعة ؟ فأي محرم بقي ؟ ثم أتى عمر فقال ياعمر ألم تخبرني انك ما أتيت حراماً قط ، قال بلى ، قال فاخبرني عن قولك — كلانا من الثوب المورد لابس — ما معناه ؟ قال والله لأخبرنك ، خرجت أريد المسجد وخرجت زينب تريده ، فالتقينا فاتَّعدنا لبعض الشِّعاب ، فلما توسطنا الشِّعب أخذتنا السماء فكرهت أن يرى ثيابها بَلَل المطر ، فأمرت غلماني فسترونا بكساء خز ، فقال له ابن أبي عتيق هذا البيت يحتاج الى حاضنة

وقال عمر في زينب هذه

طال من آل زينب الاعراض ... للمُغيرى وما بها الإبغاض

ووليدين كان علقها القلـــب الى أن علا الرؤس بياض
حبلها عندنا متين وحبلى عندها واهن القوى أنقاض

ومما قال فيها وفيه غناء

أيها الكاشح المعير بالصَّر م تزحزح فما لها الهجران
لا مطاع فى آل زينب فارجع أو تكلم حتى يَمَلَّ اللسان
نجعل الليل موعداً حين نمسي ثم يُخفِي حديثنا الكتمان

كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصـــبر عن بعض نفسه الانسان

ولقد أشهد المحدَّث عند الـــقصر فيه تعفف وبيان
فى زمان من المعيشة لَذّ قد مضى عشره وهذا زمان

ومنها

يا من لقلب متيم كلف يهذى بخَوْد مريضة النظر
تمشى الهوينا اذا مشت قُطُفا وهي كمثل العُسْلوج فى الشجر
مازال طرفى يحار اذ برزت حتى رأيت النقصان فى بصرى
أبصرتها ليـــلة ونسوتها يمشين بين المقام والحجر
ما إن طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلا على قدَر
بيضاً حساناً خرائداً قُطُفاً يمشين هَوْناً كمشية البقر
قد فزن بالحسن والجمال معاً وفزن رسلاً بالدَّل والخفر
يُنصتن يوماً لها اذا نطقت كيما يُشَرِّفنها على البشر
قالت لِتِرْب لها تحدثها لنفسدن الطواف فى عمر
قومى تصدَّيْ له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم استبطرَت تسعى على أثرى
من يُسْقَ بعدي النكرى بريقتها يسق بكأس ذى لذة خصِر

ومنها

ألا يا بكر قد طرقا ... خيال هاج لى الأرقا
بزينب إنها همى ... فكيف بحبلها خلقا
خدلجة اذا انصرفت ... ألفت السهد والأرقا
وساقاً تملأ الخلخا ... ل فيه تراه مختنقا
اذا ما زينب ذكرت ... سكبت الدمع متسقا
كأن سحابة تهمى ... بماء حملت غدقا

ومنها

ألم بزينب ان البين قد أفدا ... قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
قد حلفت ليلة الصورين جاهدة ... وما على المرء الا الحلف مجتهدا
لأختها ولأخرى من مناصفها ... لقد وجدت به فوق الذى وجدا
لو جمع الناس ثم اختير صفوهم ... شخصاً من الناس لم أعدل به أحدا

اجتمع نسوة فذكرن عمر وشعره وظرفه ومجلسه وحديثه فتشوقن اليه وتمنينه ، فقالت سكينة أنا لكن به ، فبعثت اليه رسولاً أن يوافى الصورين ليلة سمتها ، فوافاهن على رواحله فحدثهن حتى طلع الفجر وحان انصرافهن ، فقال لهن والله انى محتاج الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة فى مسجده ولكن لاأخلط بزيارتكن شيئاً ، ثم انصرف الى مكة وقال فى ذلك ماتقدم .

أنشد جرير قول عمر

سائلا الربع بالبلى وقولا ... هجت شوقاً لى الغداة طويلا
أين حى حلوك إذ أنت محفو ... ف بهم آهل أراك جميلا
قال ساروا فأمعنوا واستقلوا ... وبرغمى لو استطعت سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاماً ... وأحبوا دماثة وسهولا

فقال ان هذا الذى كنا ندور عليه فأخطأناه وأصابه هذا القرشى

وأنشد مصعب قوله

يالَيتني قد أجزت الحبل نحوكمُ ... حبل المعرف أو جاوزت ذا عُشَر

ان الثَّواء بأرض لا أرالكمُ بها ... « فاستيقنيه » ثواء حق ذى كَدَر

وما مَلِلت ولكن زاد حبكمُ ... وما ذكرتك الا ظَلْت كالسَّدِر

ولا جَذِلت بشيء كان بعدكمُ ... ولا منحت سوالكَ الحب من بشر

أذْرِى الدموع كذي سُقْم يخامره ... وما يخامرنى سقم سوى الذكر

كم قد ذكرتك لو أجدى تذكركم ... يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

فقال ان لشعر عمر لموقعاً فى القلب ، ومخالطة للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعر يسحر لكان شعره سحرا

كان الحرث بن عبد الله أخو عمر رجلا صالحاً ديناً من سروات قريش ، وكان ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبل منه ، فأعطاه الف دينار على ألا يقول شعراً ، فأخذ المال وخرج الي أخواله بلَحْج وأبْيَن مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر ، فطرب يوماً فقال

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... اذا حللنا بسيف البحر من عدن

واحتلَّ أهلك أجياداً وليس لنا ... الا التذكر أو حظ من الحزن

لو أنها أبصرت بالجزع عَبرته ... ظنت بصاحبها أن ليس من وطنى

ما أنس لا أنس يوم الخَيْف موقفها ... وموقفى وكلانا ثَمَّ ذو شَجَن

وقولها للثُّريَّا وهى باكية ... والدمع منها على الخدين ذو سنن

بالله قولي له في غير مَعْتَبَة ... ماذا أردت بطول المكث فى اليمن

ان كنت حاولت دنيا أو رضيت بها ... فما أخذت بترك الحج من ثمن

فسارت القصيدة حتى سمعها أخوه الحرث فقال والله هذا شعر عمر قد فتَك وغدر

قال مولى لعمر كنت مع عمر وقد أسن وضعف فخرج يوماً يمشى متوكئاً على يدي حتى مرَّ بعجوز جالسة فقال هذه فلانة وكانت إلْفاً لي فعدل اليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها ثم قال هذه التى أقول فيها

ما زال طرفى يَحار اذ برزت حتى التقينا ليلاً على قَدَر

وجلس معها يحادثها فأطلعت رأسها الى البيت وقالت يا بناتى هذا أبو الخطاب عمر بن أبى ربيعة عندى فان كنتن تشتهين أن تَرَيْنَه فتعالَيْن ، فجئن الى مضرب قد حجزن به دون بابها ، فجعلن يثقبنه ويضعن أعينهن عليه يبصرن ، فاستسقاها عمر ، فقالت له أي الشراب أحب اليك ؟ قال الماء ، فأتى باناء فيه ماء ، فشرب ثم ملأ فمه فمجه عليهن وفى وجوههن من وراء الحاجز ، فصاح الجوارى وتهاربن وجعلن يضحكن ، فقالت له العجوز ويلك لا تَدَع مجونك وسفهك مع هذه السن ، فقال لا تلوميني فما ملكت نفسى لما سمعت من ضحكهن أن فعلت ما فعلت

بينما عمر يطوف بالبيت اذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وأنشدها وأنشدته وخطبها ، فقالت ان هذا لا يصلح ههنا ولكن ان جئتني الى بلدى وخطبتني الى أهلى تزوجتك ، فلما ارتحلوا جاء الى صديق له من بنى سَهْم وقال له ان لي اليك حاجة أريد أن تساعدنى عليها ، فقال له نعم ، فأخذ بيده ولم يذكر له ما هى ، ثم أتى منزله فركب نجيباً له وأركبه نجيباً وأخذ معه ما يصلحه وسارا لا يشك السهمى فى أنه يريد سفر يوم أو يومين ، فما زال يحفد حتى لحق بالرفقة ثم سار بسيرهم يحادث المرأة طول طريقه ويسايرها وينزل عندها اذا نزلت حتى ورد العراق فأقام أياماً ثم راسلها يستنجزها وعدها ، فأعلمته أنها كانت متزوجة بابن عم لها وولدت منه أولاداً ثم مات وأوصى بهم وبماله اليها ما لم تتزوج وأنها تخاف فرقة أولادها وزوال النعمة ، وبعثت اليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت ، فردها عليها ورحل الى مكة وقال فى ذلك

نام صحبي ولم أنم من خيال بنا ألم
طاف بالركب مَوْهِناً بين خاخ الى أضَم
ثم نبهت صاحباً طيب الخِيم والشِّيم
أرْيَحياً مساعداً غير نِكْس ولا بَرَم
قلت يا عمرو شَفِّنى لاعج الحب والألم
ائت هنداً فقل لها ليلة الخَيْف ذى السلم

قال عثمان بن ابراهيم الحاطبي أتيت عمر بن أبي ربيعة بعد أن نسك بسنين وهو فى مجلس قومه من بنى مخزوم فانتظرت حتى تفرق القوم ثم دنوت منه ومعى صاحب لي ظريف وقد كان قال تعال حتى نَهيجه على ذكر الغزل فننظر هل بقى فى نفسه منه شيء ، فقال له صاحبى يا أبا الخطاب أكرمك الله لقد أحسن العُذْرى وأجاد فيما قال ، فنظر اليه عمر ثم قال وماذا قال ؟ قل

لو جز بالسيف رأسى فى مودتها لمرَّ يهوِى سريعاً نحوها راسي

فارتاح عمر الى قوله وقال هاه لقد أجاد وأحسن ، فقلت والله دَرُّ جنادة العذرى ، فقال عمر ماذا يقول ويحك ؟ فقلت يقول

سرت لعينك سلمى بعد مَغْفاها فبت مستنبهاً من بعد مَنْراها
وقلت أهلاً وسهلاً من هداك لنا ؟ ان كنت تمثالها أو كنت إياها
من حبها أتمنى أن يلاقيني من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له وتُضمر النفس يأساً ثم تسلاها
ولو تموت لراعتنى وقلت ألا يا بؤس للموت ليت الموت أبقاها

فضحك عمر ثم قال وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أساء ولقد هيجتما علىَّ ساكناً وذكرتمانى ما كان غائباً ولأحدثنكم حديثاً حلواً ، بينا أنا منذ أعوام جالس اذ أتانى خالد الخِرِّيت فقال يا أبا الخطاب مرَّت بى أربع نسوة قبل العشاء يُرِدن موضع

كذا وكذا لم أرَ مثلهن فى بَذْو ولا حَضَر فيهن هند بنت الحرث المرِّيَّة فهل لك أن تأتيهنَّ متنكراً فتسمع من حديثهن وتتمتع بالنظر اليهن ولا يعلمن من أنت ، فقلت له ويحك وكيف لي أن أخفى نفسى ؟ قال تلبَس لِبْسة أعرابى ثم تجلس على قَعود لي فلا يَشْعُرْن الا بك قد هجمت عليهن ، ففعلت ما قال ، وجلست على قَعود ثم أتيتهن فسلمت عليهن ثم وقفت بقربهن فسألنى أن أنشدهن وأحدثهن ، فأنشدتهن لكُثَيِّر وجَميل والأحوص ونصيب وغيرهم ، فقلن لي ويحك يا أعرابى ما أملحك وأظرفك لو نزلت وتحدثت معنا يومنا هذا فاذا أمسيت انصرفت فى حفظ الله ، قال فأنخت بعيرى ثم تحدثت معهن وأنشدتهن ، فسررن بى وجذِلن بقربى وأعجبهن حديثى ، ثم انهن تغامزن وجعل بعضهن يقول لبعض كأنا نعرف هذا الأعرابى ما أشبهه بعمر بن أبى ربيعة ، فقالت إحداهن فهو والله عمر ، فمدت هند يدها فانتزعت عمامتى فألقتها عن رأسى ثم قالت هه يا عمر أراك خدعتنا منذ اليوم بل نحن خدعناك واحتلنا عليك بخالد فأرسلناه اليك لتأتينا فى أسوأ هيئة ونحن كما ترى ، ثم أخذنا فى الحديث فحادثتهن ساعة ، ثم ودعتهن وانصرفت ، فذلك قولي

ألم تسأل الأطلال والمتربعا ببطن حَلِيَّات دَوارس بلقعا
الى السَّفح من وادى المغمَّس بدلت معالمه وبلا ونكباء زَعْزَعا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعد ما زكأن[1] فؤاداً كان قدماً مفجعا
بهند وأتراب لهند اذ الهوى جميع واذ لم نخش أن يتصدعا
واذ نحن مثل الماء كان مزاجه كما صفق الساقى الرحيق المشعشعا
واذ لا نطيع الكاشحين ولا نرى لواش لدينا يطلب الصَّرم مطمعا
تنوعتْن حتى عاود القلب سقمه وحتى تذكرت الحديث المودعا

(١) ضرين

فقلت لمطريهن بالحسن انما ضررت فهل تسطيع نفعاً فتنفعا
وأشريت فاستشرى(١) وان كان قد صحا فؤاد بأمثال المهى كان موزعا
وهيجت قلباً كان قد ودع الصبّا وأشياعه فاشفع عسى أن تشفعا
لئن كان ما حدثت حقاً فما أرى كمثل الأولى أطريت فى الناس أربعا
فقال تعال انظر ، فقلت وكيف لى ؟ أخاف مقاماً أن يشيع فيشنعا
فقال اكتفل ثم التثم فأت باغياً فسلم ولا تكثر بأن تتورعا
فانى سأخفى العين عنك فلا ترى مخافة أن يفشو الحديث فيسمعا
فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبى لموعده أزجى قعوداً موقعا
فلما تواقفنا وسلمت أشرقت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما عرفننى وقلن امرؤٌ باغ أكلَّ وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لتميم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا
فلما تنازعن الأحاديث قلن لي أخفت علينا أن نغر ونخدعا
فبالأمس أرسلنا بذلك خالداً اليك وبينا له الشأن أجمعا
فما جئتنا الا على وفق موعد على ملأ منا خرجنا له معا
رأينا خلاء من عيون ومجلساً رميث الربا سهل المحلة ممرعا
وقلن كريم نال وصل كرائم فحق له فى اليوم أن يتمتعا

ومما قاله فى هند هذه

ألم تسأل الأطلال والمنزل الخلق ببُرقة ذى ضال فيخبر ان نطق
ذكرت به هنداً فظلت كأننى أخو نشوة لاقى الحوانيت فاغتبق
وموقفها وهناً علينا ودمعها سريع اذا كفت تحدر واتّسق
وموقف أتراب لها اذ رأيننى بكين وأبدَين المعاصم والحدَق

(١) أشريته أغريته واستشرى لح

رأين لها شجواً فعُجن لشجوها جميعاً وأقلان التنازع والنَّزق
اذ الحبل موصول واذ ودنا معاً جميعاً واذ تحظى الرسائل والملق
وقلن امكثي ما شئت لا من أمامنا نخاف ولا نخشى من الآخر اللحق

ومنها

هاج الغَرِيض الذِّكر لما غدوا فانشمروا
على بغال شُحج[1] قد ضمهن السفر
فيهن هند ليتني ما عمرت أُعمَّر
حتى اذا ما جاءها حتف أتاني القدر

ومنها

تصابى وما كل التصابى بطائل وعاود من هند جوًى غير زائل
عشية قالت صدعت غربة النوى فما من تلاقٍ قد أرى دون قابل
وما أنسَ م الأشياء لا أنس مجلساً لنا مرة منها بقَرْن المنازل
بنخلة بين النخلتين يُكننا من الغيث عند العين برد المراجل

اجتمع جميل وعمر بالأبطح فأنشد جميل قصيدته التى يقول فيها

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى بُثَينة أو أبدت لنا جانب البخل

ثم قال لعمر هل قلت في هذا الروىّ شيئاً ؟ قال نعم ، قال فأنشدنيه ، فأنشده قوله

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقربني يوم الحِصَاب[2] الى قتلى
فطارت بحد من سهامى وقارنت قرينتها حبل الصفاء الى حبلى
فلما تواقفنا عرفت الذى بها كمثل الذى بى حذوك النعل بالنعل
فقلت لها هذا عشاء وأهلنا قريب ألَمَّا تسأمى مركب البغل
فقالت فما شئتن ، قلن لها انزلى فللأرض خير من وقوف على رجل

(١) الشحيج صوت البغل وفعله شحج كجعل وضرب (٢) موضع رمى الجمار بمنى

نجوم دَرَارِيّ تكنفن صورة ... من البدر وافت غير هُوج ولا عُجْل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى ... عدو مقامى أو يرى كاشح فعلى
فقالت وأرخت جانب الستر انما ... معى فتكلم غير ذي رِقْبة أهلى
فقلت لها مابى لهم من ترقب ... ولكن سرى ليس يحمله مثلى
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا ... وهن ظَعِينات بحاجة ذي الشكل
عرفن الذي تهوى فقلن ائذنى لنا ... نَطُفْ ساعة فى برد ليل وفى سهل
فقالت فلا تلبثن ، قلن تحدثى ... أتيناك وانسَبْنَ انسياب مَهَا الرمل
وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما ... أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

فقال جميل هيهات يا أبا الخطاب لا أقول مثل هذا سَجِيس الليالى ، والله ما خاطب النساء مثلك أحد ، وسمع الفرزدق هذه القصيدة فلما بلغ قوله « وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما » صاح وقال هذا والله الذى أرادته فأخطأته الشعراء وبكت على الديار

قال الزبير بن بكار أدركت مشيخة من قريش لا يَزِنون بعمر بن أبى ربيعة شاعراً من أهل دهره فى النسيب ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه والتحلى بمودته والابتيار [1] فى شعره

قال مصعب راق عمر بن أبى ربيعة الناس وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسْر ، من ذلك قوله

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ... وجوه زَهاها الحسن أن تتقنعا
تبالَهْنَ بالعرفان لما عرفنني ... وقلن امرؤ باغٍ أكَلَّ وأوضعا

وحسن الوصف من ذلك قوله

لها من الرِّيم عيناه وسُنَّته ... وغُرَّة السابق المختال اذ صَهَلا

(١) الابتيار أن يفعل الانسان الشىء فيذكره ويفخر به والابتهار أن يقول مالا يفعل

ودقة معناه وصواب مصدره ، من ذلك قوله

عوجا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحوِلا والربع من أسماء والمنزلا
بسابع البَوْبَة لم يَعْدُه تقادم العهد بأن يؤهلا

وقصده للحاجة ، من ذلك قوله

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرَك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمان

واستنطاقه الربع ، من ذلك قوله

« سائلا الربع بالبلى وقولا » الأبيات

وانطاقه للقلب ، من ذلك قوله

قال لى فيها عتيق مقالا فجرت مما يقول الدموع
قال لي وَدِّع سليمى ودَعْها فأجاب القلب لا أستطيع

وحسن عزائه ، من ذلك قوله

ألحق أن دار الرباب تباعدت اذا انبتّ حبل أن قلبك طائر
أفق قد أفاق العاشقون وفارقوا الهوى واستمرت بالرحيل المرائر
نزِع النفس واستبق الحياة فانما تُباعد أو تدنى الرَّباب المقادر
اميتُ حبها واجعل قديم وصالها وعشرتها كمثل من لا تعاشر
وهَبْها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار أو من غيبته المقابر
وكالناس عُلقت الرباب فلا تكن أحاديث من يبدو ومن هو حاضر

وحسن غزله فى مخاطبة النساء ، قال الزبيرى وقد أجمع أهل بلدنا ممن لهم علم بالشعر ان هذه الأبيات أغزل ما سمعوا وهى

تقول غداة التقينا الرَّباب أياذا أفلت افول السِّماك
وكفَّت سوابق من عَبرة كما ارفضَّ نظم ضعيف السلاك

فقلت لها من يطع فى الصديـــق أعداءه يجتنبه كذاك
أغرك أنى عصيت الملا م فيك وان هوانا هواك
وألاَّ أرى لذة فى الحياة تقرّ بها العين حتى أراك
فكان من الذنب لى عندكم مكارمتى واتباعى رضاك
فليت الذى لام فى حبكم وفى أن تُزارى بقرْن وقاك
همومَ الحياة وأسقامها وان كان حتْف جهيد فداك

وعفة مقاله ، من ذلك قوله

طال ليلى واعتادنى اليوم سقم وأصابت مقاتلَ القلب نُعْم
حلوة الوجه والشمائل والجو هر تكليمها لمن نال غُنْم
وحديث بمثله تنزل العُصْـــمُ رخيم يشوب ذلك حلْم
هكذا وصف ما بدا لى منها ليس لي بالذي تغيب علم
ان تجودى أو تبخلي فبحمد لستِ يا نعم فيهما من يذم

وقلة انتقاله ، من ذلك قوله

أيها القائل غير الصواب أمسك النصح وأقلل عتابى
واجتنبنى واعلم أن ستعصى ونخير لك طول اجتنابى
ان تقل نصحاً فعن ظهر غش دائم الغمر بعيد الذهاب
ليس لى علم بما قلت انى عالم أفهم رجع الجواب
انما قرة عيني هواها فدع اللوم وكِلْني لما بى
لا تلمنى فى الرَّباب وأمست عدلت للنفس بَرْدَ الشراب
هى والله الذى هو ربى صادقاً أحلف غير الكذاب
أكرم الأحياء طراً علينا عند قرب منهمُ واجتناب

خاطبتني ساعة وهي تبكي ثم عزّت خُلتي في الخطاب
وكفاني مِذرَهاً لخصوم لو سواها عند جد تباب

واثبانه الحجة ، من ذلك قوله

خليلي بعضَ اللوم لا ترحلا به رفيقكما حتى تقولا على علم
خليلي من يَكْلف بآخر كالذي كَلِفت به يدمَل فؤاداً على سقم
خليلي ما كانت تصاب مقاتلي ولا غرتي حتى وقعت علي نُعْم
خليلي حتى لُفَّ حبلي بخادع مُوَقٍّ اذا يُرمَى صَيوداً اذا يَرمي
خليلي لو يرقى خليل من الهوى رَقَيت بمايدني النوار من العُصْم
خليلي ان باعدت لا نت وان أَنِن تَباعَدْ فلم أَنبُل بحرب ولا سلم

وترجيحه الشك في موضع اليقين ، من ذلك قوله

نظرت اليها بالمحَصَّب من مني ولي نظر لولا التحرجُ عارم
فقلت أشمس أم مصابيح بِيعة بدت لك خلف السَّجف أم أنت حالم
بعيدة مَهْوَى القُرط إما لنوفل أبوها وإما عبدُ شمس وهاشم
ومد عليها السَّجف يوم لقيتها على عجل تُبْناعها والخوادم
فلم أستطعها غير أن قد بدا لنا عشية راحت وجهها والمعاصم
معاصم لم تضرب على البَهْم بالضحى عصاها ووجه لم تلُحْه السمائم
نُضار ترى فيه أساريع مائه صبيح تغاديه الأكفُّ النواعم
أذا مادعت أترابها يكتنفنها تمايلن أو مالت بهن المآكم
طلبن الصِّبا حتى اذا ما أصبنه نزعن وهن المسلمات الظوالم

وطلاوة اعتذاره ، من ذلك قوله

عاود القلب بعضُ ماقد شجاه من حبيب أمسى هَوانا هواه

يالقومى فكيف أصبر عمن ... لاترى النفس طيب عيش سواه
أرسلت اذ رأت بعادي ألاَّ ... يقبلَن فى مُحَرِّشاً ان أتاه
دون أن يسمع المقالة منا ... وليُطعْنى فان عندى رضاه
لاتُطع بى فدتك نفسى عدواً ... لحديث على هواه افتراه
لاتطع بى من لو يرانى وإيا ... كِ أسيرَىْ ضرورة ما عناه
ماضِرارى نفسى بهجر من ليـ ... ـس مسيئاً ولا بعيداً تراه
واجتنابى بيت الحبيب وما الخُلـ ... ـد بأشهى إليَّ من أن أراه

وعطفه المساءة على العُذَّال ، من ذلك قوله

لاتلُمنى عتيقُ حسبى الذي بى ... ان بى ياعتيق ما قد كفانى
لاتلمنى وأنت زينتها لى ... أنت مثل الشيطان للانسان

وحسن تفجعه ، من ذلك قوله

هجرتَ الحبيب اليوم من غير ما اجترم ... وقطَّعت من ذى ودك الحبل فانصرم
أطعتَ الوُشاة الكاشحين ومن يُطع ... مقالة واش يقْرَع السن من ندم
أتانى عدو كنت أحسب أنه ... شفيق علينا ناصح كالذي زعم
فلما تباثثنا الحديث وصَرَّحت ... سرائره عن بعض ما كان قد كتم
تبين لى ان المحرِّش كاذب ... فعندى لك العُتْبَى على رَغْم من رَغِم
فلم أر لوم النفس بعد الذى مضى ... وبعد الذى آلت وآليت من قسم
ظلمت ولم تعتب وكان رسولها ... اليك سريعاً بالرضا لك اذ ظلم

وتبخيله المنازل ، من ذلك قوله

عرفت مَصِيف الحى والمتربَّعا ... ببطن حَلِيَّات دوارس بَلْقَعا
أرى السرح من وادى العقيق تبدلت ... معالمه وَبْلا ونكباء زعزعا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما ... نَكأْن فؤاداً كان قدماً مفجعا

وصدق الصفاء ، من ذلك قوله

كلِ وصل أمسى لديك لأنثى غيرها وصلها اليها أداء
كل أنثى وإن دنت لوصال أو نأت فهى للرَّباب الفداء

وقوله

أحب لحبك من لم يكن صفياً لنفسى ولا صاحبا
وأبذل مالي لمرضاتكم وأُعتِب من جاءكم عاتبا
وأرغب فى ود من لم أكن الى وده قبلكم راغبا
ولو سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلت جانبا
ليممت طيّتهـــا انني أرى قربها العجب العاجبا

ومما قدح فيه فأورى قوله

طال ليلى وتعنَّانى الطرب واعترانى طول هم ووَصَب
أرسلت أسماء فى مَعْتَبة عتبتها وهى أحلى مَن عتب
أن أتى منها رسول مَوْهِناً وجد الحى نياماً فانقلب
ضرب الباب فلم يشعر به أحد يفتح باباً إذ ضرب
قال أيقاظ ولكن حاجة عرضت تكتم منا فاحتجب
ولعَمْدا رَدَّنى فاجتهدت بيمين حِلْفة عند الغضب
يشهد الرحمن لا يجمعنا سقف بيت رجباً بعد رجب
قلت حِلاً فاقبلى معذرتى ما كذا يجزي محب من أحب
ان كفِّي لكِ رَهْنٌ بالرضا فاقبلى ياهند ، قالت قد وجب

ومن شعره الذى اعتذر فيه فأبرأ قوله

فالتقينا فرحبتْ حين سلّمـــتُ وكفَّت دمعاً من العين ثارا
ثم قالت عند العتاب رأينا منك عنا تجلداً وازورارا

قلت كلا لاه ابن عمك بل خفـــنا أموراً كنا بها أغمارا
فجعلنا الصدود لما خشينا قالة الناس للهوى أستارا
ليس كالعهد اذ عهدت ولكن أوقد الناس بالنميمة نارا
فلذاك الاعراض عنه وما آ ثر قلبي عليك أخرى اختيارا
لا أبالي اذا النوى قربتكم فدنوتم من حل أو من سارا
فالليالي اذا نأيت طوال وأراها اذا قربت قصارا

ومن تشكيه الذى أشجى فيه قوله

لعمرك ماجاوزت غُمْدان[1] طائعاً وقصر شَعوب أن أكون به صَبَا
ولكن حُمّى أضرعتني[2] ثلاثة مُجَرَّمة ثم استمرت بنا غِبّا
وحتى لو ان الخلد يعرض اذ مشت الى الباب رجلى ما تقلت لها اربا
فانك لو أبصرت يوم سَويقة مُناخي وحبسي العِيسَ دامية حُدْبا
ومَصْرَع اخواني كأن أنينهم أنين المكاكي صادفت بلداً خِصْبا
اذاً لاقشعر الرأس منك عجابة ولاستفرغت عيناك من سَكْبه غَرْبا

ومن اقدامه عن خبرة ، ولم يعتذر بغرة ، قوله

صرمت وواصلت حتي عرفـــت أين المصادر والمورد
وجربت من ذاك حتى عرفـــت ما أتوقى وما أعمِد

ومن أسره النوم قوله

نام صحبي وبات نومي أسيرا أرقب النجم مَوْهِناً أن يغورا

ومن غمه الطير قوله

فرحنا وقلنا للغلام اقض حاجة لنـا ثم أدركنا ولا نتغبر

---

(١) قصر باليمن وقصر شعوب باليمن أيضاً معروف بالارتفاع (٢) أضرعته الحمى أذلته وفى المثل الحمى أضرعتنى عند النوم يضرب فى الذل عند الحاجة

سراعاً نَعُمّ الطيران سنحت لنا وان تلقنا الركبان لانتحير

ومن اغذاذه السير قوله

قلت سيرا ولا تقيما بيثرى وحفير فما أحب حفيرا
واذا ما مررتما بعُمان فأقِلاَّ به الثواء وسيرا
انما قصرنا اذا حَسَر السير بعيراً أن نستجد بعيرا

ومن تحييره ماء الشباب قوله

أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب
ثم قالوا تحبها قلت بَهْراً عدد القطر والحصا والتراب
وهي مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

ومن تقويله وتسهيله قوله

قالت على رِقْبة يوماً لجارتها ماتأمرين ؟ فان القلب قد تبلا
وهل لى اليوم من أخت موافية منكن أشكو اليها بعض مافعلا
فراجعتها حصان غير فاحشة برَجْع قول ولب لم يكن خَطِلا
لا تذكري حبه حتى أراجعه انى سأكفيكه ان لم أمت عجلا
فاقْنَىْ حياءك فى ستر وفى كرم فلستِ أول أنثى عُلِّقت رجلا

وأما ماقاس الهوى فقوله

وقرين أسباب الهوى لمتيم يقيس ذراعاً كلما قِسْن أصبعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله

وأنِصّ[1] المطى يتبعن بالركب سراعاً نواعم الأظعان
فنصيد الغرير من بقر الوحش ونلهو بلذة الفتيان
في زمان لو كنت فيه ضجيعي غير شك عرفت لى عصيانى

(١) نص ناقته استحثها واستقصى آخر ماعندها من السير

وتقلبت في الفراش ولا تدريـــن الا الظنون أين مكانى

ومن محالفته بسمعه وطرفه

سمعي وطرفي حليفاها على جسدي فكيف أصبر عن سمعي وعن بصري

لو طاوعاني على ألاَّ أكلمها اذاً لقضَّيت من أوطارها وطرى

ومن اتراصه[1] نعت الرسل

فبعثت كاتمة الحديـــث رقيقة بجوابها

وحشية انســـية خراجة من بابها

فرقت فسهلت المعا رض من سبيل نقابها

ومن اعلانه الحب واسراره

شكوت الحب أعلن بعضه وأخفيت منه في الفؤاد غليلا

ومما بطن فيه وأظهر

حبكم يا آل ليـلى قاتلي ظهر الحب بجسمي و بَطَن

ليس حب فوق ما أحببتكم غير أن أقتل نفسي أو أُجَن

ومما ألح فيه وأسف

ليت حظي كطَرفة العين منها وكثير منها القليل المهنّا

أو حديث على خلاء يُسَلّي ما يُجِنّ الفؤاد منها ومنا

كبرت ربِّ نعمةً منك يوماً أن أراها قبل الممات وممّا

ومن جنيه الحديث

وجَوارٍ مساعفات على اللهـــو مُسِرَّات باطن الأضغان

صيد للرجال يرشُقْن بالطَّر ف حسان كخُذَّل الغزلان

قد دعاني وقد دعاهن للهو شجون من أعجب الأشجان

(١) أترص الشيء أحكمه وقومه وورد في الاصل بالباء ولا معنى له

فاجتنينا من الحديث ثماراً ما جنى مثلها لعمرك جان
ومن ضربه الحديث ظهراً لبطن
فى خلاء من الأنيس وأمن فبثثنا غليلنا واشتفينا
وضربنا الحديث ظهراً لبطن وأتينا من أمرنا ما هوينا
فمكثنا بذاك عشر ليال فى قضاء لدَيننا واقتضينا
ومن إذلاله صعب الحديث
فلما أفضنا فى الهوى نستبينه وعاد لنا صعب الحديث ذَلولا
شكوت اليها الحب أظهر بعضه وأخفيت منه فى الفؤاد غليلا
ومن قناعته بالرجاء من الوفاء قوله
فعِدى نائلاً وان لم تُنيلى انه ينفع المحب الرجاء
ومن إعلائه قاتله
فبعثت جاريتى فقلت لها اذهبى واشكي اليها ما علمت وسلمى
قولي يقول تحرجى فى عاشق كلِف بكم حتى الممات مقسَّم
ويقول انك قد علمت بأنكم أصبحتمُ يا بسر أوجه ذى دم
فكي رهينته فان لم تفعلي فاعلى على قتل ابن عمك واسلمى
فتضاحكت عجباً وقالت همه ألاَّ يعلِّمنا بما لم نعلم
علمى به والله يغفر ذنبه فيما بدا لي ذو هوى متقسم
طرف ينازعه الى أدنى الهوى ويبتّ خلة ذى الوصال الأقدم
ومن تنفيضه النوم
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شُبَّت بالعِشاء وانؤر
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه وروَّح رعيان ونَوَّم سمر
ونفَّضت عنى النوم أقبلت مشية الحباب ركني خشية القوم أزور

ومن اغلاقه رهن نفس واهداره قتلاه

فكم من قتيل ما يُباء به دم ومن غَلِق رهناً اذا لفه مِنَى

ومن مالىء عينيه من شيء غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمَى

وكان بعد هذا كله شاعراً فصيحاً مقولاً

نظر عمر الى رجل يكلم امرأة فى الطواف فعاب ذلك عليه وأنكره ، فقال انها ابنة عمى ، قال ذاك أشنع لأمرك ، فقال انى خطبتها الى عمى فأبى الا بصداق أربعمائة دينار وأنا غير مطيق ذلك وشكا اليه من حبها وكلفه بها أمراً عظيماً وتحمل به على عمه ، فسار معه اليه فكلمه ، فقال هو مُملق وليس له ما أصلح به أمره ، فقال له عمر وكم الذى تريده منه ؟ قال أربعمائة دينار ، فقال له هى علىَّ فزوجه

كان عمر حين أسن حلف ألا يقول بيت شعر الا أعتق رقبة ، فانصرف عمر الى منزله يحدث نفسه فجعلت جارية له تكلمه فلا يرد عليها جواباً ، فقالت له ان لك لأمراً وأراك تريد أن تقول شعراً ، فقال

تقول وليدتى لما رأتنى طَرِبت وكنت قد أقصرت حينا

أراك اليوم قد أحدثت شوقاً وهاج لك الهوى داء دفينا

وكنت زعمت أنك ذو عزاء اذا ما شئت فارقت القرينا

بربك هل أتاك لها رسول فشاقك أم لقيت لها خدينا

فقلت شكا إلىَّ أخ محب كبعض زماننا اذ تعلمينا

فقص علىَّ ما يلقى بهند فذكَّر بعض ما كنا نسينا

وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

وكم من خلة أعرضت عنها لغير قِلًى وكنت بها ضنينا

أردت بعادها فصددت عنها ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم لكل بيت واحد

كان عمر يساير عروة بن الزبير ويحادثه ، فقال له وأين زين المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عروة ، وكان يسمى بذلك لجماله ، فقال عروة هو أمامك ، فركض يطلبه فقال له عروة يا أبا الخطاب أولسنا أكفاء كراماً لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال بلى بأبي أنت وأمي ولكني مُغْرًى بهذا الجمال أتبعه حيث كان ، ثم التفت اليه وقال

انى امرؤ مولَع بالحسن أتبعه ... لا حظ لي فيه الا لذة النظر

ثم مضى حتى لحقه فسار معه وجعل عروة يضحك من كلامه تعجباً منه

رأى عمر رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه فسأل عنه ، فقيل له هذا مالك بن أسماء بن خارجة ، فجاءه فسلم عليه وقال له يا ابن أخي ما زلت أتشوقك مذ بلغني قولك[1]

ان لي عند كل نفحة بستا ... ن من الورد أو من الياسمينا
نظرةً والتفاتة أتمنى ... أن تكونى حللت فيمن يلينا

ومن شعر عمر

يقولون انى لست أصدُقك الهوى ... وإنيَ لا أرعاك حين تغيب
فما بال طرفى عفَّ عما تساقطت ... له أعين من معشر وقلوب
عشية لا يستنكف القوم أن يرَوْا ... سَفاه امرىء مما يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك أو مضت له ... بعين الصبي كَسْلَى القيام لعوب
تروَّح يرجو أن تُحَطَّ ذنوبه ... فآب وقد زادت عليه ذنوب
وما النسك أسلانى ولكن للهوى ... على العين مني والفؤاد رقيب

اتَّعد عمر ونسوة من قريش العقيق للحديث فتحدثوا ملياً ومطروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلوا عليهن بمُطْرَفه وبردين له حتى استترن من المطر الى أن سكن ، فقال عمر

(١) رسمت كلمة بستان فى ص ٨١ من الجزء الرابع خطأ حيث كتبت بستاناً وكلها فى الشطر الاول والصواب ما هنا وهى مضاف اليه واسم ان فى البيت الثانى نظرة

ألم تسأل المنزل المقفرا ... بياناً فيكتم أو يخبرا
ذكرت له بعض ما قد شجاك ... وحق لذى الشجو أن يذكرا
مقام المحبين اذ ظاهرا ... كساء وبردين أن يمطرا
وممشى الثلاث به موهناً ... خرجن الى زائر زوّرا
الى مجلس من وراء القبا ... ب سهل الرُّبا طيب أعفرا
غفلن عن الليل حتى بدت ... تباشير من واضح أسفرا
فقمن يقفّين آثارنا ... بأكسية الخزّ أن يقفرا
مهاتان شيعتنا ربربا ... أسيلا مقلّده أحورا
وقمن وقلن لوَ أن النها ... ر مُدَّ له الليل فاستأخرا
قضينا به بعض أشجاننا ... وكان الحديث به أجدرا

وقال فى مثل هذا المعنى

أفى رسم دار دمعك المترقرق ... سفاهاً وما استنطاق ما ليس ينطق
بحيث التقى جمْع ومُفْضَى مُحَسِّر ... مغانى قد كانت على العهد تُخْلِق
ذكرت به ما قد مضى من زماننا ... وذكرك رسمَ الدار مما يشوق
مقاماً لنا عند العشاء ومجلساً ... به لم يكدره علينا معوق
ومَمْشَى فتاة بالكساء يُكِنُّها ... به تحت عين برقها يتألّق
يبُلّ أعالي الثوب قطر وتحته ... شُعاع بدا يُعْشِى العيون ويشرق
فأحسن شىء بدء أول ليلة ... وآخره حزن اذا يتفرق

ومما قاله وفيه غناء

صرمت حبلك البغوم وصدت ... عنك فى غير ريبة أسماء
والغوانى اذا رأينك كهلاً ... كان فيهن عن هواك التواء
حبذا أنت يا بغوم وأسما ... ء وعيش يكفنا وخلاء

ولقد قلت ليلة الجزل لمـــا أخضلت ريطتى علىَّ السماء
ليت شعرى وهل يردَّن ليتٌ هل لهذا عند الرَّباب جزاء
كل وصل أمسى لدىَّ لأنثى غيرها وصـــلها اليها أداء
كل خلق وان دنا لوصال أو نأى فهو للرباب الفـــداء
فعِدى نائلاً وان لم تنيلى انما ينفع المحب الرجاء

حجت أمّ محمد بنت مروان بن الحكم فلما قضت نسكها أتت عمر وقد أخفت نفسها فى نسوة ، فحدثها ملياً ، فلما انصرفت أتبعها عمر رسولاً عرف موضعها وسأل عنها حتى أثبتها ، فعادت اليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إياها ، فقالت نشدتك الله أن تشهرنى بشعرك وبعثت اليه بألف دينار ، فقبلها وابتاع بها حللاً وطيباً فأهداه اليها ، فردته ، فقال لها والله لئن لم تقبليه لأنهينه فيكون مشهوراً ، فقبلته ، فقال فيها

أيها الراكب المجد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه صحيحاً سليماً ففؤادي بالخَيْف أمسى مُعارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا كل يومين حجة واعتمارا

وقال فى حميدة جارية ابن ماجه

حُمِّل القلب من حُميدة ثقلاً ان فى ذاك للفؤاد لَشـــغلا
ان فعلْتِ الذى سألتُ فقولي حَمْدَ خيراً و أتبعى القول فعلا
وصليني فأشهد الله انى لست أصفى سواك ما عشت وصلا

وفيها يقول

يا قلب هل لك عن حميدة زاجر أم أنت مدَّ كر الحياء فصابر
فالقلب من ذكرى حميدة موجَع والدمع منحدر ودمعى فاتر
قد كنت أحسب أنني قبل الذى فعلت على ما عند حمدة قادر

حتى بدا لي من حميدة خلتي ... بَيْنٌ وكنت من الفراق أحاذر

ومن قوله فى هند بنت الحرث المرية

أصبح القلب مريضاً ... راجع الحب الغريضا
وأجدَّ الشوق وهناً ... أن أرى برقاً وميضا
ثم بات الركب نوًّا ... ماً ولم أطعم غُموضا
ذاك من هند قديماً ... تركها القلب مهيضا
اذ تبدت لي فأبدت ... واضح اللون نحيضا
وعذاب الطعم غُراً ... كأقاح الرمل بيضا

ومنها

اربت الى هند وتربين مرة ... لها اذا تواقفنا بفرغ القطع
وقالت فتاة كنت أحسب أنها ... مغفَّلة فى مئزر لم تَدَرَّع
لهن وماشاورنها ليس ماأرى ... بحسن جزاء للحبيب المودع
فقلن لها لاشاب قَرْنَك فافتحي ... لنا الباب مايخفى من الأمر نسمع

ومنها

لما ألَمَّت بأصحابى وقد هجعوا ... حسبت وسط رحال القوم عطَّارا
من طيب نَشر التى تامتك اذ طرقت ... ونفحك المسك والكافور اذ ثارا
فقلت من ذا المحيي وانتبهت له ... ومن محدثنا هذا الذى زارا
قالت محباً رماه الحب آونة ... وهيجته دواعي الحب اذ حارا
ألا انزلوا نعمت دار بقربكم ... أهلاً وسهلاً بكم من زائر زارا

وأول هذه القصيدة

يا صاحبي قفا نستخبر الدارا ... أقوت فهاجت لنا بالنَّعف تذكارا
تبدل الربع ممن كان يسكنه ... أُدْم الظباء به يمشين استارا

وقد أرى مرة سرباً بها حسناً ... مثل الجآذر لم يُمسَسن أبكارا
فيهن هند وهنـد لاشبيه لها ... فيمن أقام من الأحيـاء أو سارا
هيفاء مقبـلة عجزاء مدبرة ... تخالها فى ثياب العصب دينارا
تفترّ عن ذى غروب طعمه ضَرَب ... تخـاله بَرَداً من مُزْنة مارا
كأن عقد وشاحيها على رشإٍ ... يقرو من الروض روض الحزن أثمارا
قامت تهادَى وأتراب لها معها ... هوناً تدافع سيل الزُّل اذ مارا
يمن مورقة الأفنان دانية ... وفى الخـلاء فما يؤنسن ديارا
تقول ليت أبا الخطاب واقفنـا ... كى نلهوَ اليوم أو يُنشدنا أشعارا
فلم يَرُعهن الا العيس طالعة ... بالقوم يحملن ركباناً وأكوارا
وفارس يحمل البـازى فقلن له ... هاهم أولاء وما أكثرن اكثارا
لمـا وقفنا وريعنا ركائبنا ... بدلن بالعرف بعد الرجع انكارا
قلن انزلوا نعمت دار بقربكمُ ... أهلاً وسهلاً بكم من زائر زارا

ومنهـا

ألم تربع على الطلل ... ومَغنى الحى كالخلل
تعفّى رسمه الأروا ... ح من صبا ومن شَمَل
وأنداء تبـاكره ... وجون واكف السبل
هند ان هنـداً حبـها ... قد كان من شغلى
ليالى تستبى عقلي ... بوخف وارد جَئِل
وعيني مُغْزِل حورا ... ء لم تكحل من الخذل
فلما أن عرفت الدا ... ر عجت لرسلها جملى
وقلت لصاحبى عوجا ... فعاجوا هزّة الابل
وقالوا قف ولا تعجل ... وان كنا على عجل

قليل في هواك اليو م ما نلقى من العمل

ومنها

هاج ذا القلب منزل بالبَلِيَّين مُحْوِل
غيرت آيه الصبا وجنوب وشمأل
ولقد كان آهلا فيه ظبى مبتل
طيب النشر واضح أحور العين أكحل
فلئن بان أهله فبما كان يؤهل
قد أرانا بغبطة فيه نلهو ونجذل
بجوار خرائد ذاك والود يبذل
ان هنداً قد أرسلت وأخو الشوق مرسل
أرسلت تستحثنى وتُقَدِّى وتعذُل
أين بات ليلة بين غصنين يذبل
تحت عين يكننا برد عصب مهلهل

ومنها

ياصاح هل تدري وقد جَمَدت عينى بما أُخفى من الوجد
لما رأيت ديارها دَرَست وتبدلت أعلامها بعدى
وذكرت مجلسها ومجلسنا ذات العشاء بمهبط النجد
ورسالة منها تعاتبني فرددت مَعْتَبَة على هند

ومنها

ليت هنداً أنجزتنا ماتعد وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لايستبد
ولقد قالت لجارات لها ذات يوم وتعرت تبترد

أكما ينعتني تُبصرنني عَمْرَ كن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تَوَد
حسداً حملنه من أجلها وقديماً كان في الناس الحسد
غادة تفترّ عن أشنبة حين تجلوه أقاح أو برد
ولها عينان في طرفيهما حور منها وفي الجيد غيَد
ولقد أذكر اذ قيل لها ودموعي فوق خدي تَطَّرِد
قلت من أنت؟ فقالت أنا من شفه الوجد وأبلاه الكمد
نحن أهل الخَيف من أهل منى ما لمقتول قتلناه قود
انما ضلل قلبي فاحتوى صعدة في سابري تطرد
انما أهلك جيران لنا انما نحن وهم شيء أحد
حدثوني انها لي نفثت عُقداً يا حبذا تلك العقد
كلما قلت متى ميعادنا ضحكت هند وقالت بعد غد

ومنها

يامن لقلب دَنِف مغرم هام الى هند ولم يظلم
هام الى رِيم هضيم الحشى عَذْب الثنايا طيب المبسم
لم أحسب الشمس بليل بدت قبلي لذي لحم ولا ذي دم
قالت ألا انك ذو مَلَّة يصرفك الأدنى عن الأقدم
قلت لها بل أنت معتلة في الوصل ياهند لكي تصرمي

ومنها

لج قلبي في التصابي وازدهى عني شبابي
ودعاني لهوى هند فؤاد غير نابي
قلت لما فاضت العينا ن دمعاً ذا انسكاب

ان جفتني اليوم هند بعد ود واقتراب
فسبيل الناس طراً لفناء وذهاب

وشبب عمر بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، ومن قوله فيها

ضاق الغداة بحاجتي صدري ويئست بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التي علقت عرَضاً فيا لحوادث الدهر
مذكورة رَدْع العبير بها جمّ العظام لطيفة الخصر
وكأن فاها عند رقدتها تجرى عليه سُلافة الخمر
وبجيد آدم شادن خرِق يرعى الرياض ببلدة قفر
لما رأيت مطيها حزُقا خفق الفؤاد وكنت ذا صبر
وتبادرت عيناي بعدهم وانهلّ مدمعها على الصدر
ولقد عصيت ذوى أقاربها طراً وأهل الود والصهر
حتى لقد قالوا وقد كذبوا أجننت أم بك داخل السحر

ولما قدمت فاطمة بنت عبد الملك مكة جعل عمر يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكر اسمها فرَقاً من عبد الملك ومن الحجاج ، لأنه كان كتب اليه يتوعده ان ذكرها أو عرض بذكرها ، فلما قضت حجها وارتحلت أنشأ يقول

كدت يوم الرحيل أقضى حياتى ليتني مت قبل يوم الرحيل
لا أطيق الكلام من شدة الخو ف ودمعى يسيل كلّ مسيل
ذرفت عينها وفاضت دموعى وكلانا يلقى بلب أصيل
لو خلت خلتى أحسنت نوالاً أو حديثاً يشفى من التنويل

وفيها يقول

يا خليلي شفني الذِّكر وحمول الحى اذ صدروا
ضربوا حمرة القباب لها وأديرت حولها الحُجَر

سلكوا شِعْبَ النقاب بها ... زمراً تحتثُّهـا زُمَر
وطرقت الحى مكتتما ... ومعي عَضْب به أثر(١)
وأخ لم أخش نَبْوته ... بتوخى أمرهم خبر
واذا رِيم على فُرُش ... فى حجال الخزّ مختدر
حوله الأحراس ترقبه ... نُوَّم من طول ماسهروا
أشبهوا القتلى وما قتلوا ... ذاك الا أنهم سَمَروا
فدعت بالويل ثم دعت ... حرة من شأنها الخَفَر
ثم قالت للتى معهـا ... ويح نفسى قد أتى عمر
ماله قد جاء يطرقنـا ... ويرى الأعداء قدحضروا
لشقائى كان عُلِّقنا ... ولحيني ساقه القدر
قلت عرضى دون عرضكمُ ... ولمن ناواكم الحجر

بينما عمر يطوف بالبيت اذ رأى عائشة بنت طلحة ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهى تريد الركن تستلمه فبهت لما رآها ورأته ، وعلمت أنها قد وقعت فى نفسه ، فبعثت اليه بجارية لها وقالت قولي له اتق الله ولا تقل هُجْراً فان هـذا مقام لابد فيه مما رأيت ، فقال للجارية اقرئيها السلام وقولى لها ان ابن عمك لايقول إلا حسناً ، وقال فيها

لعائشة ابنة التيمى عنـدى ... حِمًى فى القلب ما يُرْعى حماها
يذكرنى ابنةَ التيمى ظبى ... يرود بروضـة سهل رُباها
فقلت له وكاد يُراع قلبي ... فـلم أرَ قطّ كاليوم اشتباها
سوى خَمْش بساقك مستبين ... وان شواك لم يشبه شَواها

(١) الأثر بالفتح جوهر السيف

وانك عاطل عار وليست بعارية ولا عُطُل يداها
وانك غير أفرع[1] وهي تُدْنى على المتنين أسحمَ قد كساها
ولو قعدت ولم تَكْلَف بود سوى ماقد كُلِفْت به كفاها
أظَلَّ اذا أكلمها كأني أكلم حيـة غلبت رُقاها
تبيت الىَّ بعد النوم تسرى وقد أمسيت لا أخشى سراها

وقال فيها أشعاراً كثيرة فبلغ ذلك فتيان بنى تيم ، أبلغهم اياه فتى منهم وقال لهم يابنى تيم بن مرة ها الله ليقذفن بنو مخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون ، فمشى ولد أبى بكر وولد طلحة الى عمر فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم ، فقال لهم والله لا أذكرها فى شعر أبداً ، ثم قال بعد ذلك فيها وكنى عن اسمها قصيدته

يا أم طلحة ان البين قد أفِدا قل الثواء لئن كان الرحيل غدا
أمسى العراق لا يدرى اذا برزت من ذا تطوّف بالأركان أوسجدا

ولم يزل ينسب بعائشة أيام الحج ويطوف حولها ويتعرض لها وهى تكره أن يرى وجهها حتي وافقها وهى ترمى الجمار سافرة فنظر اليها ، فقالت أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يافاسق فقال

انى وأول ما كلفت بذكرها عجب وهل فى الحى من متعجب
نعت النساء فقلن لست بمبصر شبهاً لها أبداً ولا بمقرب
فمكثن حيناً ثم قلن توجهت للحج موعدها لقاء الأخشب
أقبلت أنظر مازعمن وقلن لى والقلب بين مصدق ومكذب
فلقيتها تمشى تهادَى مَوْهِناً ترمى الجمار عشية فى موكب
غراء يُعشي الناظرين بياضها حوراء فى غُلَوَاء عيش معجب
ان التى من أرضها وسمائها جلبت لحينك ليتها لم تجلب

(١) الافرع التام الشعر

ومما يغنى فيه من قوله فى عائشة بنت طلحة

من لقلب أمسى رهيناً معنًّى ... مستكيناً قد شفّه ما أجنّا
اثر شخص نفسى فدت ذاك شخصاً ... نازح الدار بالمدينة عنا
ليت حظى كطرفة العين منها ... وكثير منها القليل الهنّا

لقى عمر عائشة بنت طلحة بمكة وهى تسير على بغلة لها فقال لها قفى حتى أسمعك ما قلت فيك ، قالت أو قد قلت يافاسق ؟ قال نعم ، فوقفت ، فأنشدها

يا ربة البغلة الشهباء هل لك فى ... أن تنشرى ميتاً لا ترهقى حرجا
قالت بدائك مت أو عش تعالجه ... فما نرى لك فيما عندنا فرجا
قد كنت حملتنا غيظاً نعالجه ... فان بعدنا فقد عنّيتنا حججا
حتى لو استطيع مما قد فعلت بنا ... أكلت لحمك من غيظ ومانضجا

فقالت لاورب هذه البَنِيَّة ما عنيتنا طرفة عين قط ، ثم قالت لبغلتها عدَسْ ، وتمام هذه الأبيات

فقلت لا والذى حج الحجيج له ... ما مُحّ حبك من قلبى ولا نهجا
ولا رأى القلب من شىء يسر به ... مذ بان منزلكم منا ولا ثُلِجا
ضنت بنائلها عنه فقد تركت ... فى غير ذنب أبا الخطاب مختلجا

فلم تزل عائشة تداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرض لها حتى قضت حجها وانصرفت الى المدينة فقال فى ذلك

ان من تهوى مع الفجر ظعن ... للهوى والقلبُ متباعُ الوطن
بانت الشمس وكانت كلما ... ذكرت للقلب عاودت الدَّرَن
يا أبا الخطاب قلبى هائم ... فأتمر أمر رشيد مؤتمن
نظرت عينى اليها نظرة ... تركت قلبى لديها مرتهن
ليس حب فوق ما أحببتها ... غير أن أقتل نفسى أو أُجن

عمر وكلثم بنت سعد المخزومية

كان عمر يهوى كلثم بنت سعد فأرسل اليها رسولا فضربتها وحلقتها وأحلفتها ألا تعاود ، ثم أعادها ثانية ، ففعلت بها مثل ذلك ، فتحاماها رسله ، فابتاع أمة سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله فأحسن اليها وكساها وأنسها وعرفها خبره وقال لها ان أوصلت لي رقعة الى كلثم فقرأتها فأنت حرة ولك معيشتك ما بقيت ، فقالت اكتب لي مكاتبة واكتب حاجتك فى آخرها ، ففعل ذلك ، فأخذتها ومضت الى باب كلثم فاستأذنت فخرجت اليها أمة لها ، فسألتها عن أمرها ، فقالت مكاتبة لبعض أهل مولاتك جئت أستعينها فى مكاتبتى وحادثتها وأنشدتها حتى ملأت قلبها ، فدخلت الى كلثم وقالت ان بالباب مكاتبة لم أر قط أجمل منها ولا أكمل ولا آدب ، فقالت ائذنى لها ، فدخلت ، فقالت من كاتبك ؟ قالت عمر بن أبى ربيعة الفاسق فاقرئى مكاتبتى ، فمدت يدها لتأخذها ، فقالت لها لي عليك عهد الله أن تقرئيها ، فان كان منك اليَّ شيء مما أحبه والا لم يلحقنى منك مكروه ، فعاهدتها وأعطتها الكتاب فاذا أوله

من عاشق صب يُسِرُّ الهوى ... قد شفَّه الوجد الى كلثم
رأتك عينى فدعانى الهوى ... اليك للحين ولم أعلم
قتلتنا يا حبذا أنتمُ ... فى غير ما جرْم ولا مَأْثم
والله قد أنزل فى وحيه ... مبيناً فى آيه المحكم
من يقتل النفس كذا ظالماً ... ولم يُقِدْها نفسه يظلم
وأنت ثارى فتلافَىْ دمى ... ثم اجعليه نعمة تنعمي
وحكمى عدلاً يكن بيننا ... أوأنت فيما بيننا فاحكمى
وجالسينا مجلساً واحداً ... من غير ما عار ولا محرم

وخبريني بالذي عندكم بالله في قتل امرىء مسلم

فلما قرأت الشعر قالت لها انه خداع ملق وليس لما شكاه أصل ، قالت يامولاتي فما عليك من امتحانه ؟ قالت قد أذنت له وما زال حتى ظفر ببغيته ، فقولي له اذا كان المساء فليجلس في موضع كذا وكذا حتى يأتيه رسولي ، فانصرفت الجارية فأخبرته ، فتأهب لها ، فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل اليها وقد تهيأت أجمل تهيئة وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس فتركته حتى سكن ثم قالت اخبرني يافاسق ألست القائل

هلا ارعويت فترحمي صبا صَدْيان لم تدَعي له قليا
جشِم الزيارة في مودتكم وأراد ألاّ ترهقي ذنبا
ورجا مصالحة فكان لكم سلماً وكنت تَرَينه حربا
يأيها المصفي مودته من لا يزال مسامياً خطبا
لاتجعلن أحداً عليك اذا أحببته وهوِيته ربا
وصل الحبيب اذا سعفت به واطوِ الزيارة دونه غِبّا
فلذاك أحسن من مواظبة ليست تزيدك عنده قربا
لا بل يَملُّك عند عودته فيقول هاء وطالما لبى

فقال لها جعلت فداك ، ان القلب اذا هَوِى نطق اللسان بما يهوى ، وقد تزوجها عمر فولدت منه ابنين أحدهما جوان وماتت عنده

عمر ولبابة

رأى لبابة بنت عبد الله بن عباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت فراى أحسن خلق الله فكاد عقله يذهب فقال فيها

وَدِّع لُبابة قبل أن تترحلا واسأل فان قَلالة أن تسألا

البَث بعمرك ساعة وتأنَّها فلعل ما بَخلتْ به أن يبذلا
قال ائتمر ماشئت غير مخالف فيما هَويت فاننا لن نعجلا
لسنا نُبالى حين تقضي حاجة ما بات أو ظل المطى معقَّلا
حتى اذا ما الليل جَنَّ ظلامه ونظرت غفلة حارس أن يمحلا
خرجت تَأَطَّر في الثياب كأنها أيْم يَسيب على كثيب أهيلا
رحَّبتُ حين رأيتها فتبسمت لتحيتي لما رأتني مقبلا
وجلا القناع سحابة مشهورة غراء تُعْشى الطَّرْف أن يتأملا
فلبثت أُرْقيها بما لو عاقل يُرْقَى به ما استطاع ألَّاينزلا

عمر والثريا بنت على بن عبد الله

وشبب عمر بالثريا بنت على بن عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر من بني عبد شمس بن عبد مناف ، وكان مسهبا بها وكانت عُرضة ذلك جمالا ، وكانت تصيف بالطائف ، وكان عمر يغدو اليها كل غداة اذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قبلهم ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال ما استظرفنا خبراً ، الا أنى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً على امرأة من قريش اسمها اسم نجم فى السماء وقد سقط عني اسمه ، فقال عمر الثريا ؟ قال نعم ، وكان قد بلغ عمر قبل ذلك أنها عليلة ، فوجه فرسه على وجهه الى الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريق كُداء وهى أخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهى تتشوف له وتشرف فوجدها سليمة عميمة ومعها أختاها رُضَيّا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت والله أنا أمرتهم لأختبر مالي عندك ، فقال عمر

تشكَّى الكُمَيت الجرى لما جهَدته وبين لو يستطيع أن يتكلما

فقلت له أن ألق للعين قُرَّة فهان على أن تَكِلَّ وتسأما
لذلك أدنى دون خلى رباطه وأوصى به ألاَّ يهان ويكرما
عدمت إذًا وفرى وفارقت مهجتى لئن لم أقِلْ قَرْنًا انِ الله سلما

عمر ورملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية

ومن قوله في رملة بنت عبد الله بن خلف الخزاعية

أصبح القلب في الحبال رهينا مُقْصَدًا يوم فارق الظاعنينا
قلت من أنتم ؟ فصدت وقالت أمبـــدّ سؤالك العالمينا
فرأت صَرمى الفتاة وقالت خبريه ، منَ أجل من تكتمينا
نحن من ساكنى العراق وكنا قبله قاطنين مكة حينا
قد صدقناك اذ سألت فمن أنـــت ؟ عسى أن يجر شأن شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالنعـــت بظن وما قبلنا يقينا
بسواد الثَّنيتَين ونعت قد نراه لناظر مستبينا

ولما بلغ الثريا شعره أبلغتها إياه أمّ نوفل وكانت غضبى عليه هجرته ، فقال

قال لي صاحبى ليعلم ما بى أتحب القَتول أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالما ء اذا مامنعت برد الشراب
مَنْ رسولي الى الثريا ؟ فانى ضقت ذَرْعًا بهجرها والكتاب
أرهقت أمّ نوفل اذ دعتها مهجتى ، ما لقاتلي من متاب
حين قالت لها أجيبي فقالت من دعانى ؟ قالت أبو الخطاب
أبرزوها مثل المهاة تهادَى بين خمس كواكب أتراب
فأجابت عند الدعاء كما لبـــى رجال يرجون حسن الثواب
وهى مكنونة تحير منها في أديم الخدين ماء الشباب

دُمية عند راهب ذي اجتهاد صوروها فى جانب المحراب
ثم قالوا تحبها ؟ قلت بَهْراً عدد النجم والحصى والتراب
حين شب القتول والجيد منها حسن لون يَرِفّ كالزِّرياب
ذكرتني من بهجة المشى لما برزت من دُجنّة وسحاب
سلبتنى مُجاجة المسك عقلى فسلوها ماذا أحل اغتصابى ؟
فارجحنّت فى حسن خلق عميم تتهادى فى مشيها كالحباب

ومن قوله فيها

مرحباً ثم مرحباً بالتى قا لت غداة الوداع عند الرحيل
للثريا قولي له أنت همي ومُنَى النفس خالياً وخليلى

ومنه

زعموا بأن البين بعد غد فالقلب مما أزمعوا يَجِف
تشكو وأشكو ما أجد بنا كل لو شك البين يعترف
حلفوا لقد قطعوا بينهم وحلفت ألفاً مثل ما حلفوا

ومنه

فلوت رأسها ضراري وقالت لا وعيشى ولو رأيتك متّا
حين آثرت بالمودة غيرى وتناسيت وصلنا ومللتا
قد وجدناك اذ خُبرت مَلولا طَرِفاً لم تكن كما كنت قلتا

ومنه

يا خليلىَّ سائلا الأطلالا ومحلا بالروضتين أحالا
وسَقاه لولا الصبابة حبسى فى رسوم الديار ركباً عِجالا
بعد ما أقفرت مِنَ آل الثريا وأجدّت فيها النعاج طلالا

ولما أنشد ابن أبي عتيق قوله « من رسولي الى الثريا » قال إيلى أراد ، وبى نوه ، لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص فأصلح بينهما ، ونهض فجاء إلى قوم من بني الدِّيل بن بكر لم تكن تفارقهم نجائب لهم فرُبَّه يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم وركب وركب معه بلال مولاه ، فسار سيراً شديداً ، فقال له بلال أبق على نفسك فان ماتريده ليس يفوتك ، فقال له ويحك « أبادر حبل الود أن يتقضبا ، وما حلاوة الدنيا ان تم الصدع بين عمر والثريا ، فقدما مكة ليلاً غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه وسلم عليه ولم ينزل عن راحلته ، فقال له اركب أصلح بينك وبين الثريا فأنا رسولك الذي سألت عنه ، فركب معهما وقدموا الطائف وقد كان عمر أرضى أم نوفل فكانت تطلب له الحيل لاصلاحها فلا يمكنها ، فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك فجئتك به معترفاً لك بذنب لم يجنه ، معتذراً اليك من اساءته اليك ، فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذى يقولون مالا يفعلون ، فصالحته أحسن صلح وأتمه وأجمله ، وكروا الى مكة فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتي رحل

ولما تزوج الثريا سهيل بن عبد العزيز بن مروان قال عمر

أيها الطارق الذى قد عنانى ... بعد ما نام سامر الركبان
زار من نازح بغير دليل ... يتخطى اليَّ حتى أتانى

وفيها يقول

أيها المنكح الثُّرَيَّا سُهَيلا ... عَمْرَك اللهَ كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت ... وسهيل اذا استقل يمانى

ثم كتب اليها بهذه الأبيات

كتبت اليك من بلدى ... كتاب مُوَلَّه كَمِد
كئيب واكف العينـ ... ـن بالحسرات منفرد

يؤرقه لهيب الشو ق بين السحر والكبد
فيمسك قلبه بيد ويمسح شعره بيد

وسألها الوليد بن عبد الملك أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت نعم ، اما انه يرحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر ، أروى قوله

ما على الرسم بالبَلِيَّيْن لو بَيَّـــــن رجع السلام أو لو أجابا
فالى قصر ذى العُشَيرة فالطا ئف أمسى من الأنيس يَبابا
اذ فؤادي يهوى الرَّباب وأنّى الـــــدهر حتى الممات أنسى الرَّبابا ؟
وبما قد أرى به حى صدق ظاهرى العيش نعمة وشبابا
وحساناً جواريا خَفِرات حافظات عند الهوى الأحسابا
لا يكثرن فى الحديث ولا يَتْبَعْـــــنَ يبغين بالبهام الظرابا[1]

لما تزوج سهيل الثريا ونقلها الى الشام بلغ عمر الخبر ، فأتى المنزل الذي كانت الثريا تنزله فوجدها قد رحلت منه يومئذ ، فخرج في أثرها فلحقها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مهاجرته لأمر أنكرته عليه ، فلما أدركهم نزل عن فرسه ودفعه الى غلامه ومشى متنكراً حتى مر بالخيمة فعرفته الثريا وأثبتت حركته ومشيته فقالت لحاضنتها كليه ، فسلمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على مابلغ الثريا عنه فاعتذر وبكى فبكت الثريا وقالت ليس هذا وقت العتاب مع وشك الرحيل ، فحادثها الى طلوع الفجر ، ثم ودعها وبكيا طويلاً ، وقام فركب فرسه ووقف ينظر اليهم وهم يرحلون ، ثم أتبعهم بصره حتى غابوا وأنشأ يقول

يا صاحبيَّ قفا نستخبر الطَّللا عن حال من حله بالأمس ما فعلا
فقال بالأمس لما أن وقفت به ان الخليط أجدَّ البين فاحتملا
وخادعتك النَّوَى لما رأيتهمُ فى الفجر يحتثّ حادي عيسهم زَجِلا

(١) البهام جمع بهمة بالفتح وهى أولاد الضأن والمعز والبقر والظراب بالكسر جمع ظرب كفرح وهو الجبل المنبسط يريد أنهن لسن خوادم

لما وقفنا نحييهم وقد صرخت هواتف البين واستولت بهم أصلا
صدت بعاداً وقالت للتى معها بالله لوميه فى بعض الذى فعلا
وحدثيه بما حدثت واستمعى لما يقول ولا تعبي به جذلا
حتى يرى أن ماقال الوشاة له فينا لديه الينا كله نقلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظى في بعض معتبة أن تغضبى الرجلا
فان عهدى به والله يحفظه وان أتى الذنب ممن يكره العذلا
لوعندنا اغتيب أو نيلت نقيصته ما آب مغتابه من عندنا جذلا
قلت اسمعى فلقد أبلغت فى لطف وليس يخفى على ذى اللب من هزلا
هذا أرادت به بخلا لأعذرها وقد أرى أنها ان تقدم العللا
ما سمى القلب إلا من تقلبه ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلا
أما الحديث الذى قالت أتيت به فما عتبت به اذ جاءنى تبلا
ما ان أطعت بها بالغيب قد علمت مقالة الكاشح الواشى اذا محلا
انى لأرحبه فيها بسخطته وقد يرى أنه قد غر بى زللا

حضر ابن أبى عتيق عمر بن أبى ربيعة وهو ينشد قوله

ومن كان محزوناً باهراق عبرة وهى غربها فليأتنا نبكه غدا
نعنه على الإثكال ان كان ثاكلا وان كان محزوناً وان كان مقصدا

فلما أصبح ابن أبى عتيق أخذ معه خالداً الخريت وقال له قم بنا الى عمر، فمضيا اليه، فقال له ابن أبى عتيق قد جئناك لموعدك، قال وأى موعد بيننا؟ قال قولك « فليأتنا نبكه غدا » قد جئناك والله لانبرح أوتبكي ان كنت صادقاً أو ننصرف على انك غير صادق، ثم مضى وتركه

قدم عمر الكوفة فنزل على عبد الله بن هلال الذى كان يقال له صاحب ابليس، وكان له قينتان حاذقتان، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال فى ذلك

يا أهل بابلَ ما نفست عليكمُ من عيشكم إلا ثلاث خلال

ماء الفرات وطيب ليل بارد وغناء مُسْمِعتين لابن هلال

خرج عمر والحرث بن خالد وأبو ربيعة المُطْلقي ورجل من بني مخزوم وابن أخت الحرث يشيعون بعض خلفاء بني أمية ، فلما انصرفوا نزلوا بسَرِف فلاح لهم برق ، فقال الحرث كلنا شاعر فهلموا نصف البرق ، فقال أبو ربيعة

أرِقت لبرق آخر الليل لامع جرى من سناه ذو الربى فيتابع

فقال الحرث

أرقت له ليل التمام ودونه مَهامِهُ مَوْماة وأرض بلاقع

فقال المخزومي

يضيء عِضاه الشوك حتى كأنه مصابيح أو فجر من الصبح ساطع

فقال عمر

أيا رب لا آلو المودة جاهداً لأسماء فاصنع بي الذي أنت صانع

ثم قال مالي وللبرق والشوق

نظر عمر في الطواف الى امرأة شريفة أحسن خلق الله صورة فذهب عقله عليها وكلمها فلم تجبه فقال فيها

الريح تسحب أذيالا وتنشرها يا ليتني كنت ممن تسحب الريح

كيما تجر بنا ذيلا فتطرحنا على التي دونها مغبرَّة شوح

أنَّى بقربكمُ أم كيف لي بكمُ هيهات ذلك ما أمست انا روح

فليت ضعف الذي ألقى يكون بها بل ليت ضعف الذي ألقى تباريح

احدى بُنَيات عمي دون منزلها أرض بقيعانها القيصوم والشيح

فبلغها شعره فجزعت منه ، فقيل لها اذكريه لزوجك فانه سينكر عليه قوله ، فقالت كلا والله لا أشكوه الا الى الله ، ثم قالت اللهم ان كان نوه باسمي ظالماً فاجعله طعاماً للريح ، فضرب الدهر ضرباته ، ثم انه غدا يوماً على فرس فهبت ريح فنزل فاستتر بسَلَمة فعصفت الريح فخدشه غصن منها فدَمِي ووَرِم به ومات من ذلك

شعراء أسد بن عبد العزى

جعفر بن الزبير

هو جعفر بن الزبير بن العوام الأسدي من أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب ، من شعره وفيه غناء

هل فى ادكار الحبيب من حرج ... أم هل لهمّ الفؤاد من فرج
أم كيف أنسى رحيلنا حُرُما ... يوماً حللنا بالنخل من أَمَج
يوم يقول الرسول قد أذنت ... فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أسعى الى رحالهمُ ... فى نفحة من نسيمها الأَرِج

شهد جعفر مع أخيه عبد الله خربه وقاتل يوم قتل عبد الله حتى جمد الدم على يده ، وفي ذلك يقول

لعمرك انى يوم أجلت ركائبى ... لأطيب نفساً بالجلاد لدى الركن
ضنين بمن خلفى شحيح بطاعتي ... طِراد رجال لا مطاردة الحصَن[1]
غداة تحامتنا تُجيب وغافق ... وهمدان تبكى من مطاردة الطبن

كانت بينه و بين أخيه عروة معاتبة ، فقال فى ذلك

لا تلحيَنّى يا ابن أمى فاننى ... عدو لمن عاديت يا عرو جاهد
وفارقت اخوانى الذين تتابعوا ... وفارقت عبد الله والموت عائد
ولولا يمين لا أراك أبرها ... لقد جمعتنا بالقباء المقاعد

ومن قوله يرثى ابناً لأسماء بنت مصعب بن ثابت

---

(١) جمع حصان

أهاجك بَيْنٌ من حبيب قد احتمل نعم ففؤادى هائم العقل مختبل
وقالوا صُحَيْرات اليمام وقد موا وابلهمُ من آخر الليل فى النفل
مررن على ماء العُشَيرة والهوى على مَلَل يالهف نفسى على ملل
فتى السن كهل الحلم يهتز للندى أمر من الدِّفلى وأحلى من العسل

غزا صالح بن جعفر أرض الروم فقال فيه جعفر

قد راح يوم السبت حتى راحوا مع الجمال والتُّقَى صـــلاح
من كل حى نفر سماح بيض الوجوه عرب صحاح
وفزعوا وأخذ الســـلاح مصاعب يكرهها الجراح

ولجعفر شعر كثير قد نحل عمر بن أبى ربيعة بعضه ودخل فى شعره

لما تزوج الحجاج وهو أمير المدينة بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أتى رجل سعيد بن المسيب فذكر له ذلك ، فقال انى لأرجو ألا يجمع الله بينهما ولقد دعا داع بذلك فابتهل وعسى الله فان أباها لم يزوج الا الدراهم ، فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرد البريد الى الحجاج وكتب اليه يغلظ له ويقصِّر به ويذكر تجاوزه قدره ويقسم بالله لئن هو مسها ليقطعن أحب أعضائه اليه ويأمره بتسويغ أبيها المهر وبتعجيل فراقها ، ففعل ، فما بقى أحد فيه خير الا سره ذلك ، وقال جعفر بن الزبير في ذلك

وجدتَ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسف حيًا من الأمر الذى جئت تنكف
ونبئت أن قد قال لما نكحتها وجاءت به رسل تَخُبّ وتوجف
ستعلم انى قد أنفت لما جرى ومثلك منه عمرك الله يأنف
ولولا انتكاس الدهر ما نال مثلها رجاؤك اذ لم يرج ذلك يوسف
أبنت المصفى ذي الجناحين تبتغى لقد رمت خطباً قدره ليس يوصف

قال شعيب بن جعفر فرض سليمان بن عبد الملك للناس فى خلافته وعرض

الفرض ، وكان ابن حزم فى ذلك محسناً يعلم الله أنه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفعهم بذلك ، قال شعيب فقال لي سليمان من أنت ؟ فقلت شعيب ابن جعفر بن الزبير ، فقال ما فعل جعفر ؟ فقال له عمر بن عبد العزيز على الكبر والعيال ، فقال قل له يحضر الباب ، فقال لجعفر احضر الباب ، فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير فرفع معه رقعة وأرسله الى عمر بن عبد العزيز فيها يقول

يا عمر بن عمر بن الخطاب ان وقوفى من وراء الباب

يعدل عندي حَطْم بعض الأنياب

فلما قرأها عمر عذره عند سليمان ، فأمر له سليمان بألف دينار فى دينه وألف دينار معونة على عياله وبرقيق من البيض والسودان وبكثير من طعام الجارى وأن يدّان من الصدقة بألفى دينار ، فلما جاء ذلك الى أبى قل أعطيته من غير مسألة ؟ فقيل نعم ، قال الحمد لله ما أسخى هذا الفتى ، ما كان أبوه سخياً ولا ابن سخى ولكن هذا كأنه من آل حرب ثم قال

فما كنت دياناً فقد دنت اذ بدت صكوك أمير المؤمنين تدور[1]

يوصل الى الأرحام قبل سؤالهم وذلك أمر فى الكرام كثير

قال بعض من روى هذا الخبر عن ابن الزبير والناس لا ينظرون فى عيب أنفسهم وما كان لجعفر أن يعيب أحداً بلبخل وما رؤى في الناس أبخل منهم أهل البيت ولا من عبد الله بن الزبير خاصة وما كان فيهم جواد غير مصعب

(١) كان السلطان بالمدينة اذا جاء مال الصدقة ادّان من أراد من قريش منه وكتب بذلك صكاً عليه فيستعيدهم به ويختلفون اليه ويداورونه فاذا غضب على أحد منهم استخرج ذلك منه حتى كان هرون الرشيد فكامه عبد الله بن مصعب فى صكوك بقيت من ذلك على غير واحد من قريش فأمر بها فخرقت عنهم فهذه هى الصكوك التى يردها

عبد الله بن مصعب

هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير الأسدى

شاعر فصيح ذو عارضة وبيان واعتبار من الرجال وكلام فى المحافل وقد نادم أوائل الخلفاء من بنى العباس وتولى لهم أعمالاً ، وكان خرج مع محمد بن عبد الله ابن الحسن بالمدينة على أبى جعفر المنصور فيمن خرج من آل الزبير ، فلما قتل استتر عنه وقيل بل كان استتاره مدة يسيرة الى أن حج أبوجعفر وأمن الناس جميعاً

قال محمد بن أبى فروة دخلت على المهدى واذا هو يكتب على الأرض بفحمة قول عبد الله بن مصعب

فان يحجبوها أو يَحُلْ دون وصلها ... مقالة واش أو وعيـــد أمير
فلم يمنعوا عينيَّ من دائم البكاء ... وان يخرجوا ما قد أجَنَّ ضميرى
وما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور
الى الله أشكو ما ألاقى من الجوى ... ومن نفس يعتادنى وزفير

ويقول أحسن والله عبد الله بن مصعب ما شاء

ومن قوله وقد رأى على الحَوْءب جارية من بنى بكر بن كلاب فهويها وهو يته

يا جُمْل للواله المستعبر الصب ... ماذا تضمن من حزن ومن نَصَب
أنى أتيحت له للحين جارية ... فى غير ما أمَم منها ولا كَثَب
جارية من أبى بكر كلفت بها ... ممن يحل من الحصباء والحَوَب
من غير معرفة الا تعرضها ... حيناً كذلك ان الحين مجتلبي
قامت تعرض لى عمداً فقلت لها ... يا عمرَك اللهَ هل تدرين ماحسبى

فخطبها ، وكانت العرب لا تنكح الرجل امرأة شبب بها قبل خطبته ، فلم يزوجوها إياه فلما يئست منه قالت

اذا خَدِرت رجلي ذكرت ابن مُصْعَب فان قيل عبد الله خف فتورها
ألا ليتني صاحبت ركب ابن مصعب اذا مظاياه اتلأبَّت صدورها
لقد كنت أبكي واليمامة دونه فكيف اذا التفت عليه قصورها

وكان لها إخوة شُرُس غيرُ فقتلوها

وكان مصعب يلقب عائد الكلب لقوله

مالي مرضت فلم يعدني عائد منكم ويمرض كلبكم فأعود
وأشد من مرضي عليَّ صدودكم وصدود عبدكمُ عليَّ شديد

ومن قوله وفيه غناء

شطت ولم تَنُب الرباب ولعل للكلف الثواب
نعب الغراب فراعني للبين اذ نعب الغراب

تم الجزء السادس

ويليه الجزء السابع وأوله

شعراء بني عبد مناف

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	**شعراء الديل بنو بكر**
٢	أبو الأسود الدؤلي
٢٤	الحزين الديلي
٣١	أبو العباس الأعمى
٣٦	**شعراء ليث بنو بكر**
٣٦	أبو الطفيل
٣٩	عروة بن أذينة
٤٤	المتوكل الليثي
٤٩	قيس بن ذريح
٧٤	مطيع بن إياس
٩٢	**شعراء هذيل**
٩٢	أبو صخر الهذلي
٩٨	عبيد الله بن عتبة
١٠٤	أمية بن أبي عائذ
١٠٦	**شعراء قريش**
١٠٦	**شعراء الحرث بنو فهر**
١٠٦	ابن هرمة
١٢٩	**شعراء عامر بنو لؤى**
١٢٩	ابن قيس الرقيات
١٥٢	سلمة بن عياش

ص	الموضوع
١٥٤	**شعراء جمح**
١٥٤	أبو دهبل
١٦٧	**شعراء عدى بنو كعب**
١٦٧	عمرو بن سعيد
١٦٧	عاتكة بنت زيد
١٦٩	**شعراء تيم بنو مرة**
١٦٩	عبد الرحمن بن أبي بكر
١٧١	عائشة بنت طلحة
١٧٩	اسمعيل بن يسار
١٨٧	محمد بن يسار
١٨٨	داود بن سلم
١٩٤	موسى شهوات
١٩٧	**شعراء مخزوم**
١٩٧	خالد بن المهاجر بن خالد
٢٠١	الحرث بن خالد
٢١١	عمر بن أبي ربيعة
٢٦٠	**شعراء أسد بنو عبد العزى**
٢٦١	جعفر بن الزبير
٢٦٤	عبد الله بن مصعب

رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس

(C)
41

مُهذّبُ الأغانى

صنفه

محمد الخضرى

المفتش بوزارة المعارف

الجزء السابع

فى الشعراء الإسلاميين والمحدثين

حقوق الطبع محفوظة لمصنفه

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٢٣٤٦ / ٢٥ / ٢٠٠٠

893.7Isl
033
v.7-9
45-39141

بسم الله الرحمن الرحيم

شعراء بني عبد مناف

الأسود بن عمارة

هو الأسود بن عمارة بن الوليد النوفلي ، من نوفل بن عبد مناف بن قصي من شعره قوله وفيه غناء

خليلي من سعد ألما فسلما ... على مريم لا يُبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته ... فهل من نوال قبل ذاكِ فنعلما

وكان أبوه عمارة شاعراً أيضاً وهو الذي يقول

تلك هند تصدّ للبين صدًّا ... أدلالاً أم هند تهجر جِدًّا
أم لتنكا به قروح فؤادي ... أم أرادت قتلي ضِراراً وعمدا
قد براني وشفّني الوجد حتى ... صرت مما ألقى عظاماً وجلدا
أيها الناصح الأمين رسولاً ... قل لهند عني اذا جئت هندا
علم الله أن قد أوتيت مني ... غير مَنّ بذاكِ نصحاً وودا
ما تقربت بالصفاء لأدنو ... منك إلا ازددت نأياً وبعدا

والأسود هو الذي يقول لمحمد بن عبد الله بن كثير بن الصَّلت

ذكرناك شُرْطياً فأصبحت قاضياً ... وصرت أميراً أبشري قحطانُ
أرى نَزَوات بينهن تفاوت ... وللدهر أحداث وذا حدثان
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي ... لكل أناس دولة وزمان

وانما خاطب بني عمرو بن عوف لأن الكثيري كان قد تزوج اليهم ، وانما قال أبشري قحطان لأن كثير بن الصلت من كندة حليف قريش ، وكان محمد هذا على شرطة المدينة ، ثم ولي القضاء ، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن على

العبلى

هو عبد الله بن عمر بن عبد الله من بني عبد شمس بن عبد مناف

شاعر مجيد من شعراء قريش ، ومن مخضرمي الدولتين ، وقيل له العبْلى وليس منهم لأن العبلات من ولد أمية الأصغر بن عبد شمس ، سموا بذلك لأن أمهم عَبْلة بنت عبيد التيمية ولدت لعبد شمس أُمية الأصغر وعبد أُمية ونوفلاً ، والعبلى من عبد العزى بن عبد شمس ، وانما أدخلهم الناس فى العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والاسلام وكثر أشرافهم فجعل سائر بنى عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة فسمّوهم أمية الصغرى ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم

كان عبد الله فى أيام بنى أمية يميل الى بني هاشم ويذم بني أمية ولم يكن منهم اليه صنعٌ جميل فسلم بذلك في أيام بني العباس ، ثم خرج على المنصور فى أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن

قسم هشام بن عبد الملك أموالا وأجاز بجوائز فلم يعطه شيئاً فقال

خَسَّ حظى أن كنت من عبد شمس ليتنى كنت من بني مخزوم
فأفوزَ الغداة منهم بسهم وأبيع الأب الشريف بلُوم

فلما استخلف المنصور كتب الى السَّرِيّ بن عبد الحكم أن يوجه به اليه ففعل ، فلما قدم عليه قال له أنشدنى ما قلت فى قومك ، فاستعفاه ، فقال له لا أُعفيك ، فقال أعطني الأمان ، فأعطاه ، فأنشده

AS 39141 مجلس ١٤ ١٩٤٦ TLF

مابال عينك جائلاً أقذاؤها شَرِقت بعَبرتها وطال بكاؤها
ذكرت عشيرتها وفرقة بينها فطوت لذلك غُلة أحشاؤها
واعتادها ذكر العشيرة بالأسَى فصباحها نابٍ بها ومساؤها
شَرِكُ العدا فى أمرهم فتفاقمت منها الفتوق وفُرِّقت أهواؤها
ظلت هناك ومايعاتب بعضها بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها
الا بمرهفَة الظُّبات كأنهـــا شُهُب تقلّ اذا هوت أخطاؤها
وبعُسَّل زرق يكون خضابها عَلَق النحور اذا تفيض دماؤها
فبذا كمُ أمست تعاقب بينها فلقد خشيت بأن يُحَمَّ فِناؤها
ماذا أؤمل ان أُمية ودعت وبقاء سكان البلاد بقاؤها
أهل السياسة والرياسة والندى وأسود حرب لايَخيم لقاؤها
غيث البلاد همُ وهم أمراؤها سُرُج يُضيء دُجَى الظلام ضياؤها
فلئن أمية ودعت وتتابعت لغَواية جميت لها حلفاؤها
ليودَّعن من البرية عزُّها ومن البلاد جمالها ورجاؤها
ومن البلية ان بقيتَ خلافهم فرداً تَهيجك دورهم وخلاؤها
لهفى على حرب العشيرة بينها هلا نهي جهالَها حلماؤها
هلا نُهِىَ تنهَى الغُواة عن التى يُخشى على سلطانها غوغاؤها
وتقًى وأحلام لهـا مُضَرِية فيها اذا تَدْمَى الكلوم دماؤها
لمـا رأيت الحرب توقد بينها وتشب نار وقودها وذكاؤها
نوهت بالملك المهيمن دعوة ورواح نفسي فى البلاد دعاؤها
ليرد أُلفتها ويجمع أمرهـا بخيارها نخيارها رحمـــاؤها
فأجاب ربى فى أمية دعوتى وحَمَى أمية أن يُهَدَّ بناؤها
فبنو أمية خير من وطىء الثرى شرفاً وأفضـل ساسة أمراؤها

فقال له اخرج عني لاقرب الله دارك ، فخرج حتى قدم المدينة فألفى محمد بن عبد الله قد خرج فبايعه

كان العبلى مخفوًا فى أيام بنى مروان ، وكان منقطعاً الى بني هاشم ، فلما أفضت الخلافة اليهم لم يُبقوا على أحد من بنى أمية ، وكان الأمر فى قتلهم جداً إلا من هرب وطار على وجهه ، فخاف العبلى أن يقع به مكروه فى تلك الفورة ، فتوارى وأخذ داود بن على حرمه وماله فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح فدخل عليه فى غُمار الناس متنكراً وجلس حَجْرَة [1] حتى انفض القوم وتفرقوا وبقى أبو العباس مع خاصته فوثب اليه فوقف بين يديه وقال

ألا قل للمنازل بالسِّتار ... سقيتِ الغيث من دِمَن قفار
فهل لك بعدنا علم بسَلْمى ... وأتراب لها شبه الصُّوار [2]
أوانس لا عوابس جافيات ... عن الخلق الجميل ولا عوارى
وفيهن ابنة القُصَوّى [3] سلمى ... كهمّ النفس مُفْعَمة الإزار
تلوث [4] خمارَها بأحَمّ جَعْد ... تَضِل العاليات به المَدارى
بَرَهْرَهة منعمة نمتها ... أبوتها الى الحسب النُّضار
فدع ذكر الشباب وعهد سلمى ... فمالك منهما غير ادِّكار
وأهد لهاشم غُرر القوافى ... تنحلها بعلم واختبار
لعمرك انني ولزومَ نجد ... ولا ألقى حِباء بنى الخيار
لكالبادي لأبْرَدَ مستهلّ ... بحوباء كبطن العَيْر عار
سأرحل رحلة فيها اعتزام ... وجد في رواح وابتكار
الى أهل الرسول غدت برحلى ... عُذَافرة ترامى بالصحارى

---

(١) أى ناحية (٢) الصوار القطيع من البقر (٣) نسبة الى قصى بن كلاب
(٤) تلفه وتعصبها والمدارى جمع مدرى بالكسر وهو المشط

تؤم المعشر الأبرار تبغي فكاكاً للنساء من الإسار
أيا أهل الرسول وصيدَ فهر وخير الواقفين على الجمار
أتؤخذ نسوتي ويحاز مالي وقد جاهرت لو أغنى جهاري
وأُذعَر أن دعيت لعبد شمس وقد أمسكت بالخُرَم الصواري (١)
بنصرة هاشم شهَرت نفسي بداري للعدا وبغير داري
بقربَى هاشم وبحق صهر لأحمد لفه طيب النِّجار
ومنزل هاشم من عبد شمس مكان الجِيد من عليا الفقَار

فقال له السفاح من أنت ؟ فانتسب له ، فقال حق لعمرى أعرفه قديماً ومودة لا أجحدها ، وكتب له الى داود باطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه واكرامه وأمر له بنفقة تبلغه المدينة

جاء العبلى الى سويقة وهو طريد بني العباس وذلك بعقب بني أمية وابتداء خروج ملكهم الى بني العباس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسويقة ، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره ، فأنشده ، فقال له أريد أن تنشدنى شيئاً مما رثيت به قومك ، فأنشده

تقول أُمامة لما رأت نشوزي عن المضجَع الأنفس
وقلة نومى على مضجعى لدى هَجْعة الأعين النُّعَّس
أبى ما عراك ؟ فقلت الهموم منعن أباك فلا تُبْلسى (٢)
عرَوْن أباك فحبّسنه من الذل في شر ما مَحْبِس
لفقد العشيرة اذ نالها سهام من الحرب لم تبأس
رمتها المنون بلا نُصَّل ولا طائشات ولا نُكَّس

(١) صراه الله منعه وحفظه وهو صار وهى صارية والجمع الصوارى
(٢) أبلس انكسر وحزن

بأسهمها الخالسات النفوس متى ما اقتضت مهجة تَخْنِس
فصرعاهمُ في نواحي البلاد تلقَّى بأرض ولم تُرْمَس
كريم أصيب وأثوابه من العار والذم لم تَدْنَس
وآخر قد طار خوف الرَّدَى وكان الهمام فلم يَخْسِس
فكم غادروا من بوا كي العيو ن مرضى ومن صبية بؤّس
اذا ما ذكرتُهمُ لم تنم لحر الهموم ولم تجلس
يُرَجِّعن مثل بكاء الحما م فى مأتم قلق المجلس
فذاك الذى غالني فاعلمى ولا تسأليني فتستنحسى
وأشياء قد ضفنني بالبلاد ولست لهن بمستحلس
أفاض المدامع قتلى كُدَى وقتلى بكُثْوة لم تُرْمس
وقتلى بوَجّ وباللّابتين من يَثْرِب خير ما أنفس
وبالزّابيين نفوس ثوت وقتلى بنهر أبى فُطْرُس
أولئك قومى تداعت بهم نوائب من زمن متعس
أذلت قيادى لمن رامنى وألزقت الرَّغم بالمَعْطِس
فما أنس لا أنس قتلاهمُ ولا عاش بعدهمُ من نسى

خرج العبلى مع محمد بن عبد الله بن حسن فولاه الطائف ثم بلغه خروج الحسن ابن معاوية من مكة فاستخلف على الطائف وخرج ليتلقى الحسن بالعَرْج فركب البحر ومضى العبلى هاربًا على وجهه الى اليمن ، فذلك حين يقول

هيجت للأجزاع حول غُراب واعتاد قلبك عائد الأطراب
وذكرت عهد معالم بلوَى الثرى هيهات تلك معالم الأحباب
هيهات تلك معالم من ذاهب أمسى بحَوْض أو بحَقْل قِباب
قد حل بين أبارق ما ان له فيها من الخوان ولا أصحاب

شطَّت نواه عن الأليف وساقه لقُرَى يمانيـــة حمام كتاب
يا أخت آل أبي عديّ أقصرى وذرى الخضاب فما أوان خضاب
أتخضّبين وقد تخرم غالباً دهر أضرّ بها حديد الناب
والحرب تعرُك غالباً بجرانهـــا وتعضُّ وهى حديدة الأنياب
أم كيف نفسك تستلذ معيشة أو تنقعين لها ألذ شراب

كان العبلى يكره ما يجرى عليه بنو أمية من ذكر علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه وسبه على المنابر ويظهر الانكار لذلك ، فشهد عليه قوم من بنى أمية بمكة بذلك ونهوْه عنه ، فانتقل الى المدينة وقال

شرَّدوا بى عند امتداحى عليًا ورأوْا ذاك فيَّ داء دَوِيًا
فوربى ما أبرح الدار حتى تُختلَى مهجتى بحبى عليا
وبنيـــه لحب أحمد انى كنت أحببتهم بحبى النبيا
حب دين لاحب دنيا وشر الـــحب حبٌّ يكون دنياويا
صاغنى الله فى الذُّؤابة منهم لا زَنيماً ولا سَنيداً دعيًّا
عَدَوياً خالي صريحاً وجدي عبد شمس وهاشم أبويا
فسواء علىَّ لست أبالي عبشمياً دعيت أم هاشميا

وفد العبلى الى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بهذه القصيدة

ليلتى من كَنود بالغوْر عودى بصفاء الهوى منُ أم أسـيد
ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا عهده فارجعى به ثم زيدى
قد تولى عصر الشباب فقيداً رب جارٍ يبين غير فقيد
خَلَق الثوب من شباب ولبس وجديد الشباب غير جديد
فاسر عنك الهموم حين تداعت بعلاة مثل الفنيق وَخُود (١)

(١) صفة من وخد يخد أسرع

عنتريس [١] توفى الزمام بنعم ... مثل جذع الأشاءة المجرود
وارم جوز الفلا بها ثم سُمْها ... عجرفيَّ النجاد بالتوخيد
وهشاماً خليفة الله فاعمد ... واصر من مرَّة القوىّ الجليد
تلقه محكم القوى أريحيًّا ... ذا قرًى عاجل وسيب عتيد
ملك يشمل الرعية منه ... بأياد ليست بذات خمود
أخضر الربع والجناب خصيب ... أفيح المستراد للمستريد
ذكرت ناقتى البطاح فحنت ... حين أن أُوردت قبور ثمود
قلت بعضَ الحنين ياناق سيرى ... نحو برق دعا لغيث عميد
فأغذَّت فى السير حتى أتتكم ... وهى قوداء فى سواهم قود
قد براها السُّرَى اليك وسيرى ... تحت حر الظهيرة الصيخود
وطوى طائد العرائك [٢] منها ... غول بيد تجتابها بعد بيد
وأتتكم حُدْب الظهور وكانت ... مُسْنَمات ممرها بالكديد
واطمأنت أرض الرُّصافة بالخصـ ... ـب ولم تُلْق رحلها بالصعيد
نزلت بامرىء يرى الحمد غُنْماً ... باذل متلف مفيد معيد
بذل العدل فى القصاص فأضحى ... لا يخاف الضعيفُ ظلمَ الشديد
من بنى النَّضْر من ذُرَى منبت النضـ ... ـر بأوْرَى زَنْد وأكرم عود
فهو كالقلب فى الجوانح منها ... واسط سرَّ جذْمها والعديد
بين مَرْوان والوليد فبخ بخ ... للكريم المجيد غير الزهيد
لو جرى الناس نحو غاية مجد ... لرهان فى المحفل المشهود

(١) العنتريس الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم . والأشاء صغار النخل واحدها أشاءة (٢) جمع عريكة وهى السنام

لعلاهم بسابقَيْن من المجـــد على الناس طارف وتليد
انكم معشر أبى الله إلا أن تفوزوا بدارها المحشود
لم يَرَ الله معشراً من بني مَرْ وان أولى بالملك والتسويد
قادة ســـادة ملوك بحار وبهاليـل للقروم الصِّيد
أَرْبَحون ماجدون خِضَمُّو ن حُماة عند ارتداد الجلود
يقطعون النهار بالرأى والحز م ويُحيون ليلهم بالسـجود
أهل رِفْد وسُودَد وحياء ووفاء بالوعـــد والموعود
ويَرَوْن الجوار من حرم اللَّـــه فما الجار فيهمُ بوحيـد
لو بمجد نال الخلود قبيل آلَ مرْوان فزْتمُ بالخلود
يا ابن خير الأخيار من عبد شمس يا إمام الورى ورب الجنود
عبد شمس أبوك وهو أبونا لا نناديك من مكان بعيد
ثم جدى الأدنى وعمك شيخى وأبو شيخك الكريم الجدود
فالقَرابات بيننا واشـجات محكمات القُوَى بحبل شديد
فأثبني ثواب مثلك مثلى تلقَني للثواب غير جحود
ان ذا الجدّ من حبوت بود ليس من لا تَوَدّ بالمجدود
وبحسب امرئ من الخير يرجى كونه عند ظلك الممدود

أبو قطيفة

هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط أبان بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وهو من العنابس من بني أمية ، وكان لأمية من الولد أحد عشر ذكراً كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه وهم العاص وأبو العاص ، والعيص وأبو العيص وعمرو وأبو عمرو ، وحرب وأبو حرب ، وسفيان وأبو سفيان ، والعويص ، فمنهم

الأعياص وهم الأربعة الأولون والأخير ، ومنهم العنابس وهم الباقون ، وانما سموا العنابس لأنهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعُكاظ وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالا شديداً فشبهوا بالأسد ، والأسد يقال لها العنابس واحدها عنبسة ، وأم أبي معيط آمنة بنت أبان العامرية ولها يقول نابغة بن جَعْدة

وشاركنا قريشاً فى تقاها وفى أنسابها شَرَكُ العِنان
بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أبان

وكانت آمنة هذه تحت أمية بن عبد شمس فولدت العاص وأبا العاص وأبا العيص والعويص وصفية وتوبة وأرْوَى بنى أمية ، فلما مات تزوجها ابنه أبو عمرو « وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده » فولدت له أبا معيط ، فكان بنو أمية من آمنة اخوة أبى معيط وعمومته

وأسر عقبة بن أبى معيط فى يوم بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً فقال له يامحمد أنا خاصة من قريش ؟ قال نعم ، قال فمن للصبية بعدى ؟ قال النار ، فلذلك يسمى بنوأبى معيط صبية النار ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فضرب عنقه وقيل بل قتله عاصم بن ثابت ، حدث عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمر فقلت اخبرنى بأشد شىء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رحمه الله حتي أخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » ؟

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان بن عفان لأمه أمهما أرْوَى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، والبيضاء وعبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم توءمان ، وكان عقبة بن أبى معيط قد تزوجها بعد

وفاة عفان فولدت له الوليد وخالداً وعمارة وأم كلثوم ، كل هؤلاء اخوة عثمان لأمه

والوليد يكنى أبا وهب وكان من فتيان قريش وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم قال سعيد بن العاص لم يكن يجلس مع عثمان رضى الله عنه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبى العاص والوليد بن عقبة ، فأقبل الوليد يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم فلما رآه عثمان زحل له عن مجلسه ، فلما قام الحكم قال الوليد والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدرى بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك ، فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه انه شيخ قريش فما البيتان اللذان قلتهما ؟ قال قلت

رأيت لعم المرء زُلْفَى قرابة ... دون أخيه حادثاً لم يكن قِدْما
فأملت عمراً أن يشب وخالداً ... لكى يدعوانى تحت مزْحمة عَمّا

يعني عمراً وخالداً ابنى عثمان ، فرق له عثمان وقال قد وليتك العراق « يعني الكوفة » ، فقدمها وعليها سعد بن أبى وقاص ، فأخبر بقدومه فقال وماصنع ؟ قال وقف فى السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئاً من شأنه ، فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن له ، فسلم عليه بالامرة وجلس معه ، فقال له سعد ما أقدمك يا أبا وهب ؟ قال أحببت زيارتك ، قال وعلى ذلك أجئت بريداً ؟ قال أنا أرزن من ذلك ولكن القوم احتاجوا الى عملهم فسرحونى اليه وقد استعملنى أمير المؤمنين على الكوفة ، فمكث طويلا ثم قال لا والله ما أدرى أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ؟ ثم قال

خذيني فجريني ضُباع فانما ... بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

فقال أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك ، ولو شئت أجبتك ولكني أدع ذلك لما تعلم ، نعم والله قد أمرت بمحاسبتك والنظر فى أمر عمالك ، ثم بعث الى عماله فحبسهم وضيق عليهم ، فكتبوا الى سعد يستغيثون فكلمه فيهم ، فقال أوله معروف عندك موضع ؟ قال نعم والله ، فخلى سبيلهم

قالوا كان الوليد شريب خمر ، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلى بهم الصبح فى المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت اليهم وقال أزيدكم ؟ وتقيأ في المحراب وقرأ بهم فى الصلاة وهو رافع صوته

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة الى عثمان فأخبروه خبره وشهدوا عليه بشربه الخمر ، فأتى به فأمر رجلا بضربه الحد ، فلما دنا منه قال له نشدتك الله وقرابتى من أمير المؤمنين فتركه ، فخاف على بن أبى طالب رضى الله عنه أن يعطل الحد فقام اليه ، فقال له الوليد نشدتك بالله وبالقرابة ، فقال على اسكت أبا وهب انما هلكت بنو اسراءيل بتعطيلهم الحدود ، فحده وقال لتدعونى قريش بعد هذا جلادها ، وقال الوليد بعد ما جلد اللهم انهم شهدوا على بزور فلا ترضهم عن أمير ولا ترض عنهم أميراً ، فقال الحطيئة يكذّب عنه

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر
خلعوا عنانك اذ جريت ولو تركوا عنانك لم تزل تجرى
ورأوا شمائل ماجد أنف يعطى على اليسور والعسر
فنُزعت مكذوباً عليك ولم تنزع الى طمع ولا فقر

فقال رجل من بني عجل يرد على الحطيئة

نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم ؟ ثملا وما يدرى
ليزيدهم خيراً ولو قبلوا لقرنت بين الشفع والوتر
فأبَوا أبا وهب ولو فعلوا وصلتْ صلاتهمُ الى العشر

ولما ضرب عثمان الوليد الحد قال انك لتضربني اليوم بشهادة قوم ليقتلنك عاماً قابلاً

وكان أبو زبيد الطائى وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة ، فأنزله

الوليد داراً لعقيل بن أبى طالب على باب المسجد فاستوهبها منه فوهبها له ، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة لأن أبا زبيد كان يخرج من منزله حتى يشق الجامع الى الوليد فيسمُر عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد وهوسكران فذلك نبههم عليه

قال الوليد بن عقبة لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، أنا أحد منك سناناً ، وأبسط منك لساناً ، وأملأ لكتيبة طعاناً ، فقال له على اسكت فانما أنت فاسق وقد نزل القرآن « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ؟ لايستوون »

وقال قتادة فى قوله تعالى « ان جاءكم فاسق بنبأ » هذا فى الوليد بن عقبة بعثه النبى صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق مصدِّقاً فلما رأوه أقبلوا نحوه ، فهابهم ، فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الاسلام ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبث عيونه ، فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، وروى عن الوليد أنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤسهم فجيء بى اليه وأنا مُخَلَّق فلم يمسَنى وما منعه الا أن أمى خلقتنى بخلوق فلم يمسنى من أجل الخلوق ، وروى الحسن أن الوليد كان عنده ساحر يريه كتيبتين تقتتلان فتحمل احداهما على الأخرى فتهزمها ، فقال الساحر أيسرك أن أريك هذه المنهزمة تغلب الغالبة فتهزمها ؟ قال نعم ، وأخبر جندب بذلك فاشتمل على السيف ثم جاء فقال أفرجوا فأفرجوا فضربه حتى قتله ، ففزع الناس وخرجوا فقال يأيها الناس لاعليكم انما قتلت هذا الساحر لئلا يفتنكم فى دينكم ، فحبسه قليلا وتركه

قدم الوليد الكوفة زائراً للمغيرة بن شعبة فأتاه أشراف أهل الكوفة يسلمون

عليه ، فقالوا والله ما رأينا بعدك مثلك ، فقال أخيراً أم شراً ؟ فقالوا بل خيراً ، قال ولكني ما رأيت بعدكم شراً منكم ، فأعادوا الثناء عليه ، فقال بعضَ ما تثنون فوالله ان بغضكم لتلف وان حبكم لصَلَف ، وكان قبيصة بن جابر ممن كثر على الوليد فقال معاوية يوماً والوليد وقبيصة عنده ياقبيصة ما كان شأنك وشأن الوليد ؟ فقال خير يا أمير المؤمنين ، فى أولُ وصل الرَّحم وأحسن الكلام فلا تسل عن الشكر وحسن الثناء ، ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا منهم فاما ظالمون فنستغفر الله واما مظلومون فغفر الله له وخذ فى غير هذا يا أمير المؤمنين فان الحديث ينسى القديم ، قال ولم ؟ فوالله لقد أحسن السيرة وبسط الخير وكف الشر ، قال فأنت أقدر على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ، قال اسكت لاسكتّ ، فسكت وسكت القوم ، فقال له مالك لا تتحدث ؟ قال نهيتنى عما كنت أحب فسكت عما أكره

خرج الوليد غازياً للروم وعلى مقدمته عتبة بن فرقد ، فلقيه الروم فقاتلوه ، فقال له رجل من العرب نصرانى لست على دينكم ولكني أنصحكم للنسب فالقوم مقاتلوكم الى نصف النهار فان رأوكم ضعفاء أفنَوْكم وان صبرتم هربوا وتركوكم ، فقال سليمان بن ربيعة يا معشر المسلمين ما عذركم غداً عند الله ان أصيب عتبة بن فرقد وأصحابه ولم يعنه أحد منكم ؟ فركب معه ثلاثة آلاف رجل على البغال يجنبون الخيل ، فلحقوا عتبة وأصحابه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم الله الروم ، فقال الوليد

أتانى من الفَجّ الذى كنت آمناً بقية شُذَّاذ من الخيل ظُلَّع
عليها العبيد يضربون جُنوبها ونازل منا كل خرق سَمَيْذع
فانى زعيم أن تصيح نساؤهم صياح دَجاج القرية المتوزع

ولما نزع عثمان الوليد من الكوفة أمر عليها سعيد بن العاصى ، فلما أقبل عامداً للكوفة جعل يرتجز فى طريقه

ويل نُسَيَّات العراق منى كأننى سَمْعَمَعَ من جن

ولما قدم الكوفة قال اغسلوا هذا المنبر فان الوليد كان رجساً ، فلم يصعده حتى غسل عيباً على الوليد ، وكان الوليد أسن منه وأسخى نفساً وألين جانباً وأرضى عندهم ، فقال بعض شعرائهم

يا ويلنا قد ذهب الوليد وجاءنا من بعده سعيد
ينقص فى الصاع ولا يزيد فجوّع الاماء والعبيد

وقال آخر

فررت من الوليد الى سعيد كأهل الحجْر اذ جزعوا فباروا
يلينا من قريش كل عام أمير محدث أو مستشار
لنا نار تحرقنا فنخشى ولبس لهم فلا يخشون نار

وسعيد هذا هو صاحب القصر الذى يقول فيه أبو قطيفة

القَصْر فالنخل [١] فالجَمّاء بينهما أشهى الى القلب من أبواب جيرون
الى البَلاط فما حازت قرائنه [٢] دور نزحن عن الفحشاء والهُون
قد يكتم الناس أسراراً فأعلمها ولا ينالون حتى الموت مكنونى

وهذا القصر قد صار الى معاوية ، قال مصعب بن الزبير لما حضرت سعيد بن العاصي الوفاة وهو فى قصره هذا قال له ابنه عمرو لو نزلت الى المدينة ، فقال يا بنيَّ ان قومى لن يضنوا عليَّ بأن يحملونى على رقابهم ساعة من نهار واذا أنا مت فآذنهم فاذا واريتنى فانطلق الى معاوية فانعنى له وانظر في ديني واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليه قصري هذا فانى انما اتخذته نزهة وليس بمال ، فلما مات آذن الناس به فحملوه من قصره حتى دفن بالبقيع ورواحل عمرو بن سعيد

(١) نخل كان لسعيد عند قصره وبين الجماء وهى أرض كانت له ، وأبواب جيرون بدمشق
(٢) القرائن دور كانت لبنى سعيد بن العاص متلاصقة سميت بذلك لاقترانها ، ونزحن بعدن

مُناخة ، فعزاه الناس على قبره وودعوه ، فكان هو أول من نعاه الى معاوية ، فتوجع له وترحم عليه ثم قال هل ترك ديناً ؟ قال نعم ثلثمائة الف ، قال هى علىَّ ، قال قد ظن ذلك وأمرنى ألاَّ أقبله منك وأعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه ، قال فاعرض علىَّ ، قال قصره بالعرصة ، قال قد أخذته بدينه ، قال هو لك على أن تحملها الى المدينة وتجعلها بالوافية ، قال نعم ، فحملها له الى المدينة وفرقها فى غرمائه ، وكان أكثرها عِدات ، فأتاه شاب من قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه ، فأرسل الى المولى فأقرأه الصك ، فلما قرأه بكى وقال نعم هذا خطه وهذه شهادتى عليه ، فقال له عمرو من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون الف درهم وانما هو صُعلوك من صعاليك قريش ؟ قال أخبرك عنه ، مرَّ سعيد بعد عزله فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار الى منزله فوقف له سعيد فقال ألك حاجة ؟ قال لا الا أنى رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال لي ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب على نفسه هذا الدين وقال انك لن تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا فاذا أتانا شيء فأتنا ، فقال عمرو لا جرم والله لا يأخذها الا بالوافية أعطه إياها ، فدفع اليه عشرين ألف درهم ، وكان الرجل يأتى سعيداً يسأله فلا يكون عنده فيقول ما عندي ولكن اكتب علىَّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول أترونني أخذت منه ثمن هذا ؟ لا ولكنه يجيء فيسألنى فيتردد وجهه فى وجهي فأكره رده

لما قتل عثمان أرسل علي فأخذ ما كان في داره من السلاح وابل الصدقة فذلك حيث يقول الوليد

ألا من لليل لا تغور كواكبه اذا غار نجم لاح نجم يراقبه
بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم ولا تُنْهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم لا تعجلوا باقادة سواء علينا قاتلوه وسالبه

فقد يجبر العظم الكسير وينبرى لذى الحق يوماً حقه فيطالبه
وإنا وإياكم وما كان منكمُ كصَدْع الصفا لا يَرْأب الصدع شاعبه
بنى هاشم كيف التعاقد بيننا وعند علىّ سيفه ونجائبه
لعمرك لا أنسى ابن أَرْوَى وقتله وهل ينسينَّ الماء ما عاش شاربه
همُ قتلوه كى يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكِسْرَى مرازبه
وانى لمجتاب اليكم بجحفل يُصِمّ السميعَ جرْسُه وجلائبه

وقال يرثى عثمان ويحرض معاوية

فوالله ما هند بأُمك ان مضي النهار ولم يُثأَر بعثمان ثائر
أيقتل عبد القوم سيدَ أهله ولم تقتلوه ليت أُمك عاقر
وانا متى نقتلهمُ لا يُقِد بهم مقيد وقد دارت عليك الدوائر

وقال وقد أبلغه بجاد مولى عثمان مقتل عثمان

طال ليلى وملَّنى عوادى وتجافى عن الضلوع مهادى
من حديث نمى إلىَّ فما ير قأ دمعى ولا أُحِسُّ رقادى
ليت أنى هلكت قبل حديث سلّ جسمى وريعَ منه فؤادى
يوم لاقيت بالبلاط بجاداً ليت أنى هلكت قبل بجاد
وبنفسى التى أحب وأهلى وبمالي وطارفى وتِلادى
قلت لا تغضبى فذلك قولي بلسانى وما يجن فؤادى

وفد الوليد وكان جواداً على معاوية ، فقيل له هذا الوليد بن عقبة بالباب ، فقال والله ليرجعن معطياً غير معطًى فانه الآن قد أتانا يقول علىَّ دين وعلىَّ كذا وكذا ، يا غلام ائذن له ، فأذن له ، فسأله وتحدث معه ثم قال والله ان كنا لنحب ايثار مالك بالوادى وقد أعجب أمير المؤمنين فان رأيت أن تهبه ليزيد فعلت ، فقال الوليد هو ليزيد ، ثم خرج وجعل يختلف الى معاوية أياماً فقال له يوماً انظر

يا أمير المؤمنين فى شأنى فان علىّ مؤونة وقد أرهقنى دين ، فقال له معاوية ألا تستحيى لحسبك ونسبك تأخذ ما تأخذه فتبذره ثم لا تنفك تشكو ديناً ، فقال له الوليد أفعل ، ثم انطلق مكانه فصار الى الجزيرة فقال

فاذا سئلت تقول لا ... واذا سألت تقول هات
تأبى فعال الخير لا ... ترعوى وأنت على الفرات
أفلا تميل الى نعم ... أو ترك لا حتى الممات

فبلغ معاوية مقدمه الجزيرة فخافه وكتب اليه أن أقبل إلىّ ، فكتب اليه

أعفّ وأستغنى كما قد أمرتنى ... فأعط سواى ما بدا لك وانحل
سأحدو ركابى عنك ان عزيمتي ... اذا نابنى أمر كسلّة منصل
وانى امرؤٌ للرأى منى تعطف ... وليس شبا قفل علىّ بمقفل

ورحل الى الحجاز فبعث اليه معاوية بجائزة

وأبو قَطيفة يكنى أبا الوليد ، وأبو قطيفة لقب لقب به ، وأمه بنت الربيع بن ذى الخمار من بني أسد بن خزيمة

لما سار الحسين بن على عليهما السلام الى العراق شمر ابن الزبير للأمر الذى أراده ولبس المُعافرىّ وشبر بطنه وقال انما بطنى شبر وما عسى أن يسع الشبر ، وجعل يظهر عيب بنى أمية ويدعو الى خلافهم ، فأمهله يزيد سنة ثم بعث اليه عشرة من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير ، وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النفر الراكب ، وهم عبد الله بن عضاه الأشعرى ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذامى ، وسعد بن حمزة الهَمْدانى ، ومالك بن هُبيرة السَّكونى ، وأبو كَبْشة السَّكْسَكى ، وزُمَّل بن عمر العذرى ، وعبد الله بن مسعدة الفزارى وأخوه عبد الرحمن ، وشريك بن عبد الله الكنانى ، وعبد الله بن عامر الهمدانى ، وجعل عليهم النعمان ابن بشير فأقبلوا حتى قدموا مكة على ابن الزبير ، فكان النعمان يخلو به فى الحِجْر

كثيراً ، فقال له عبد الله بن عضاه يوماً يا ابن الزبير ان هذا الأنصارى والله ما أمر بشيء الا وقد أمرنا بمثله ، الا أنه قد أُمِّر علينا وانى والله ما أدرى ما بين المهاجرين والأنصار ، فقال ابن الزبير يا ابن عضاه مالى ولك ؟ انما أنا بمنزلة حمام من حمام مكة ، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة ؟ قال نعم ، وما حرمة حمام مكة ؟ ياغلام ائتنى بقوسي وأسهمى ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه فى كبد القوس ثم سدده نحو حمامة من حمام المسجد وقال ياحمامة أيشرب يزيد بن معاوية الخمر ؟ قولى نعم فوالله لئن فعلت لأرمينك ، ياحمامة أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتقيمين فى الحرم حتى يستحلّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينك ، فقال ابن الزبير ويحك أوَ يتكلم الطائر ؟ قال لا ولكنك يا ابن الزبير تتكلم ، أقسم بالله لتبايعن طائعاً أو مكرهاً أو لتعرفن راية الأشعريين فى هذه البطحاء ثم لا أعظم من حقها ماتعظم ، فقال ابن الزبير أوَ يستحل الحرم ؟ قال انما يُحله من ألحد فيه ، فحبسهم شهراً ثم ردهم الى يزيد ولم يجبه الى شيء ، وقال أبو العباس الأعمى يذكر ذلك وشبر ابن الزبير بطنه

مازال فى سورة الأعراف يدرُسها حتى فؤادى مثل الخزّ فى اللين
لو كان بطنك شبراً قد شبعت وقد أفضلت فضلاً كثيراً للمساكين

ثم ان ابن الزبير مضى الى صفية بنت أبى عبيد زوج عبد الله بن عمر فذكر لها أن خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله عليه السلام والمهاجرين والأنصار من أثرة معاوية وابنه وأهله بالفيء وسألها مسألته أن يبايعه ، فلما قدمت له عَشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير واجتهاده وأثنت عليه وقالت ما يدعو الا الى طاعة الله عز وجل وأكثرت القول فى ذلك ، فقال لها أما رأيت بغلات معاوية اللواتى كان يحج عليهن الشُّهب ؟ فان ابن الزبير ما يريد غيرهن ، وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأ على ذلك أكثر الناس ، فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله بن

حنظلة وأهل المدينة المسجد وأتوا المنبر فخلعوا يزيد فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص المخزومي خلعت يزيد كما خلعت عمامتي ونزعها عن رأسه وقال اني لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ولكن عدو الله سكّير خمّير، وقال آخر خلعته كما خلعت نعلي، وقال آخر خلعته كما خلعت ثوبي، وقال آخر قد خلعته كما خلعت خفي حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك، وامتنع عبد الله بن عمر ومحمد بن علي بن أبي طالب، وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قول كثير حتى أرادوا اكراهه على ذلك فخرج الى مكة وكان هذا أول ماهاج الشر بينه وبين ابن الزبير، واجتمع أهل المدينة لاخراج بني أمية عنها فأخذوا عليهم العهود ألاّ يعينوا عليهم الجيش وأن يردوهم عنهم فان لم يقدروا على ردهم لا يرجعوا الى المدينة معهم، فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم فان الجنود تأتيكم وتطؤكم وأعذر لكم ألاّ تخرجوا أميركم انكم ان ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم على اخراجي وما أقول هذا الا نظراً لكم أريد به حقن دمائكم، فشتموه وشتموا يزيد وقالوا لا نبدأ إلا بك ثم نخرجهم بعدك، فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن ان هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى فضم عيالنا، فقال لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء فقام وهو يقول قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً، ثم أتى علي بن الحسين عليهما السلام فسأله أن يضم أهله وثقله، ففعل ووجههم وامرأته أم أبان بنت عثمان الى الطائف ومعها ابناه عبد الله ومحمد، فعرض حريث رقّاصة [1] لثقل مروان وفيه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فضربته بعصا فكادت تدق عنقه فولى ومضى، ومضوا الى الطائف وأخرجوا بني أمية فنخس بهم سليمان بن أبي جهم العدوي

(١) مولى لبني بهز من سليم كان بعض عمال المدينة قطع رجله فكان اذا مشى كأنه يرقص فسمي رقاصة

وحريث رقاصة، فأراد مروان أن يصلي بمن معه فمنعوه وقالوا لا يصلي والله بالناس أبداً ولكن ان أراد أن يصلي بأهله فليصل، فصلى بهم ومضى فمر مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهري فقال له هلم إليَّ يا أبا عبد الملك فلا يصل اليك مكروه ما بقي رجل من بني زُهرة، فقال له وصلتك رَحِم، قومنا على أمر فأكره أن أعرضك لهم، وقال ابن عمر بعد ذلك لما أخرجوا وندم على ما كان قاله لمروان لو وجدت سبيلا الى نصر هؤلاء لفعلت فقد ظلموا وبغى عليهم، فقال ابنه سالم لو كلمت هؤلاء القوم، فقال يابني لاينزع هؤلاء القوم عما هم عليه وهم بعين الله ان أراد أن يغير غير، فمضوا الى ذي خُشُب وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان واتبعهم العبيد والصبيان والسفلة يرمونهم، ثم رجع حريث رقاصة وأصحابه الى المدينة، وأقامت بنو أمية بذي خُشُب عشرة أيام وسرحوا حبيب بن كُرَّة الى يزيد بن معاوية يعلمونه وكتبوا اليه يسألونه الغوث، وبلغ أهل المدينة أنهم وجهوا رجلا الى يزيد فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني بَهْز بن سليم وحريث رقاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أمية منها فنخس حريث بمروان فكاد يسقط عن ناقته فتأخر عنها وزجرها وقال اعلي واسلمي، فلما كانوا بالسُّويداء عرض لهم مولى لمروان فقال جعلت فداك لو نزلت فأرحت وتغديت فالغداء حاضر كثير قد أدرك، فقال لايدعُني رقاصة وأشباهه وعسى أن يمكن الله منه فتقطع يده، ونظر مروان الى ماله بذي خُشُب فقال لا مال الا ما أحرزته العِياب، فمضوا فنزلوا وادي القُرى، فدخل حبيب بن كرة على يزيد وهو واضع رجليه في طست لوجع كان يجده بكتاب بني أمية وأخبره الخبر، فقال أما كان بنو أمية ومواليهم الف رجل؟ قال بلى وثلاثة آلاف، قال أفعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار؟ قال كثرهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقة، فندب الناس وأمر عليهم صخر بن أبي الجَهْم القيني فمات قبل أن يخرج الجيش فأمر عليهم مسلم بن عقبة الذي يسمى

مسرفاً وقال لبزيد ما كنت مرسلا الى المدينة أحداً لا قصر وما صاحبهم غيرى ، انى رأيت فى منامى شجرة غَرْقَد تصيح « على يدى مسلم » فأقبلت نحو الصوت فسمعت قائلاً يقول أدرك ثأرك أهل المدينة قتلة عثمان فخرج مسلم ، وكان من قصة أهل الحَرَّة ما كان على يده ، فقال أبو قطيفة فى ذلك لما أخرجوا عن المدينة

بكى أُحُد لمـــا تحمل أهلُه ... فكيف بذي وجد من القوم آلِف
منَ أجل أبى بكرٍ جَلَت عن بلادها ... أميـــة والأيام ذات تصارف

وقال أيضاً

بكى أُحُد لمـــا تحمل أهلُه ... فسَلْع فدار المال أمست تَصَدَّع
وبالشام اخوانى وجل عشـيرتى ... فقد جعلت نفسى اليهم تَطَلَّع

وقال

ليت شعري هل البَلاط كهدى ... والمصلَّى الى قصور العقيق
لامني فى هواك يا أم يحيى ... من مُبين بغشه أو صـــديق

وكان ابن الزبير قد نفى أبا قطيفة مع من نفاه من بني أمية عن المدينة الى الشام فلما طال مقامه بها قال

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا ... قُباء وهل زال العقيق وحاضره
وهل بَرِحت بطحاء قبر محمد ... أراهطُ غُرّ من قريش تباكره
لهم منتهى حبى وصفو مودتى ... ومحض الهوى مني وللناس سائره

وقال

ليت شـعرى وأين مني لَيْت ... أعلى العهد يَلْبَنَ (١) فبَرام
أم كهدى العقيق أم غيرته ... بعدىَ الحـــادثات والأيام
وبأهلى بدلت عَكًّا ولَخْما ... وجُذاما وأين مني جُذام

(١) جبل قرب المدينة وبرام جبل فى بلاد بنى سليم عند الحرة من ناحية البقيع

وتبدلت من مساكن قومى والقصور التى بها الآطام (١)
كل قصر مشيد ذي أواس (٢) يتغنى على ذراه الحمام
اقرئ منى السلام ان جئت قومى وقليل لهم لدىَّ السلام
أقطع الليل كله باكتئاب وزفير فما أكاد أنام
نحو قومى اذ فرقت بيننا الدا روحادت عن قصدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عنت الدهر وحرب يشيب منها الغلام
فلقد حان أن يكون لذا الدهر عنا تباعد وانصرام

ولما بلغ ابن الزبير هذا الشعر قال أحسن والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، من لقيه فليخبره أنه آمن فليرجع ، فأخبر بذلك فانكفأ الى المدينة راجعاً ، فلم يصل اليها حتى مات

وقال

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا جبوب المصلَّى أم كعهد القرائن (٣)
وهل أدْوُر حول البلاط عوامر من الحى أم هل بالمدينة ساكن
اذا برقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أتركها رغبة عن بلادها ولكنه ما قدَّر الله كائن
أحن الى تلك الوجوه صبابة كأنى أسير فى السلاسل راهن

وكان يتحرق على المدينة فأتى عبَّاد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له ان أخاً له أخبره أن العراقين قد فتحا ، فقال عبد الملك لأبى قطيفة لما يعلمه من حبه المدينة أما تسمع الى ما يقول عباد عن خاله قد طابت لك المدينة الآن فقال أبو قطيفة

(١) الآطام الدور المسطحة السقوف (٢) الآسية الدعامة وجمعها أواس ويروى ذى أواش كأنه أراد أن هذه القصور موشية أى منقوشة (٣) القرائن موضع بالمدينة والبلاط موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين المسجد وسوق المدينة والجبوب الأرض الصلبة

انى لأحمق من يمشى على قدم ان غرتى من حياتى حال عبّاد
أنشا يقول لنا المصران قد فتحا ودون ذلك يوم شره باد

وأُمّ أبى قطيفة أَرْوَى بنت أبى عقيل بن مسعود وهى أُمّ أخيه خالد ، وفى ذلك يقول

أنا ابن أبى مُعَيط حين أَنْمِى لأكرم ضِئْضِئى وأعز جيل
وأَنْمِى للعقائل من قُصَىّ ومخزوم فما أنا بالضئيل
وأَرْوَى من كُريز قد نمتنى وأروى الخير بنت أبى عقيل
كلا الحيين من هذا وهذا لعمر أبيك فى الشرف الطويل
فعدّد مثلهن أبا ذباب (١) فيعلم ما تقول ذوو العقول
فما الزّرقاء (٢) لى أُمًّا فأَخزى ولا لى فى الأزارق من سبيل

بلغ أبا قطيفة أن عبد الملك ينتقصه فقال

نبئت أن ابن العَمَلَّس عابنى ومن ذا من الناس البرىء المسلم
فمن أنتمُ من أنتمُ خبروا فمن فقد جعلت أشياء تبدو وتكتم

فبلغ ذلك عبد الملك فقال ما ظننت أنا نجهل والله لولا رعايتى لحرمته لألحقته بما يعلم ولقطعت جلده بالسياط

طلق أبو قطيفة امرأته ثم ندم ، فقال بعد أن تزوجها رجل من أهل العراق

فيا أسفا لفرقة أُمّ عمرو ورحلة أهلها نحو العراق
فليس الى زيارتها سبيل ولا حتى القيامة من تلاق
وعلّ الله يَرْجِعها الينا بموت من حليل أو طلاق
فأرجع شامتاً وتقرّ عينى ويجمع شملنا بعد افتراق

(١) يعنى عبد الملك بن مروان (٢) الزرقاء احدى أمهاته من كندة وكان يعير بها

ورثى سعيد بن عثمان بن عفان بقوله

يا عين جودي بدمع منك تهتانا وابكي سعيد بنَ عثمان بنِ عفانا
ان ابن زينة لم تصدق مودته وفر عنه ابن أرطاة بن سَيْحانا

يزيد بن معاوية

مما يغني فيه من شعره

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب
الى القَيْنَات واللذا ت والصهباء والطرب
وباطيـــة مُكَلَّلة عليها سادة العرب
وفيهن التى تَبَلت فؤادك ثم لم تتب

قدم سلم بن زياد على يزيد فنادمه فقال له ليلة ألا أُوليك خراسان ، قال بلى وسجستان ، فعقد له فى ليلته فقال

اسقنى شربة تروِّى عظامى ثم عد واسق مثلها ابن زياد
موضع السر والأمانة منى وعلى ثغر مغنمى وجهادى

ومن قوله فى إجارته للأخطل من الأنصار

دعا الأخطل الملهوف بالشر دعوة فأىّ مجيب كنت لما دعانيا
ففرج عنه مشهد القوم مشهدى وألسنة الواشين عنه لسانيا

ومن قوله فى علة أبيه التى مات فيها

جاء البريد بقرطاس يَخُبّ به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا فى صحيفتكم قال الخليفة أمسى مثبتاً وجعا
مادت بنا الأرض أو كادت تميدبنا كأن ما عزّ من أركانها انقلعا
من لم تزل نفسه توفى على وجل توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

لما وردت وباب القصر منطبق لصوت رملة هدّ القلب فانصدعا

وكان يومئذ غازياً غزاة الصائفة ، وسبب ذلك أن معاوية وجه جيشاً الى بلد الروم ليغزوا الصائفة ، فأصابهم جُدَرِيّ ، فمات أكثر المسلمين ، وكان ابنه يزيد مصطبحاً بدير مُرَّان مع زوجته أُمّ كلثوم فقال

اذا ارتفقت على الأنماط مصطبحاً بدير مُرَّان عندى أُمّ كلثوم

فما أُبالي بما لاقت جنودهمُ بالغُذْقدونة من حُمَّى ومن موم(١)

فبلغ شعره أباه ، فقال أَجَلْ والله ليلحقن بهم فليصيبنه ما أصابهم ، فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القسطنطينية ، فنظر الى قبتين مبنيتين عليهما ثياب الديباج فاذا كانت الحملة للمسلمين ارتفع من احداهما أصوات الدفوف والطبول والمزامير ، واذا كانت الحملة للروم ارتفع من الأخرى ، فسأل يزيد عنهما ، فقيل له هذه بنت ملك الروم وتلك بنت جَبَلَة بن الأيهم ، وكل واحدة منهما تظهر السرور بما تفعله عشيرتها ، فقال أمَ والله لأسرنَّها ، ثم حث العسكر وحمل حتى هزم الروم فأجرهم فى المدينة وضرب باب القسطنطينية بعود حديد كان فى يده فهشمه حتى انخرق فضرب عليه لوح من ذهب فهو عليه حتى اليوم

قال القَحذمى كانت مَيْسون بنت بَحْدَل الكلبية تزين يزيد بن معاوية وترجّل جمته ، فاذا نظر اليه معاوية قال

فان مات لم يفلح مزينه بعده فعوض عليه يا مزينَ التمائما

قال لقيط بن نصر المحاربى كان يزيد بن معاوية أول من سن الملاهى فى الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الفتك وشرب الخمر ، وكان ينادم عليها سرجون النصرانى مولاه والأخطل ، وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده فيخلع عليه ويصله ، فغناه يوماً

(١) الموم البرسام وأشد الجدرى والغذقدونة اسم جامع للثغر الذى منه المصيصة وطرسوس وغيرهما

يا للرجال لمظلوم بضاعتـــه ببطن مكة نائى الأهل والنفر

فاعترته أريحية فرقص حتى سقط ، ثم قال اخلعوا عليه خلعاً يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء ، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف والخز حتى غاب فيها

خالد بن يزيد

هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان من رجالات قريش سخاء وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه ، وكان يوصف بالعلم ويقول الشعر ، خطب رملة بنت الزبير وقال فيها

أليس يزيد السيرُ فى كل ليلة وفى كل يوم من أحبتنا قربا

أحن الى بنت الزبير وقد علت بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا

اذا نزلت أرضاً تحبب أهلها الينا وان كانت منازلها حربا

وان نزلت ماء وان كان قبلها مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا

تجول خلا خيل النساء ولا أرى لرملة خلخالا يجول ولا قُلبا

أقلوا علىَّ اللوم فيهـــا فاننى تخيرتها منهم زبيرية قلبا

أحب بنى العوام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

قال أبو زيد وزادوا فى الأبيات

فان تسلمى نُسلم وان تتنصرى تخط رجال بين أعينهم صلبا

وتزوج بنت عبد الله بن جعفر بن علىّ بن أبى طالب عليه السلام فقال فيها

جاءت بها دُهم البغال وشهبها مقنعة فى جوف حِدْج مخدر

مقابلة بين النبى محمـــد وبين علىّ والحوارى جعفر

منافية جادت بخالص ودها لعبـــد منافى أغر مشهر

العرجى

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاصى بن أمية ، وأمه آمنة بنت سعيد بن عثمان ، وقيل له العَرْجى لأنه كان يسكن عَرْج الطائف ، وكان من شعراء قريش ومن شهر بالغزل منهما ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك وتشبه به فأجاد ، وكان مشغوفاً باللهو والصيد ، حريصاً عليهما ، قليل المحاشاة لأحد فيهما ، ولم يكن له نباهة في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه ، شبب بجيداء وهى أم محمد بن هشام بن اسمعيل المخزومى ، وكان ينسب بها ليفضح ابنها لا لمحبة كانت بينهما ، فكان ذلك سبب حبس محمد اياه وضربه له حتى مات في السجن فقال فى حبسه

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثَغْر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتهم بنحرى
أجرر فى المجامع كل يوم فيالله مظلمتى وقسرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً ولم تلك نسبتى فى آل عمرو

كان لأبى حنيفة جار بالكوفة يغني ، فكان اذا انصرف وقد سكر يغنى فى غرفته ويسمع أبو حنيفة غناءه فيعجبه ، وكان كثيراً ما يغنى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلقيه العسس ليلة فأخذوه وحبس ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة فسأل عنه من غد فأخبر ، فدعا بسواده وطويلته فلبسهما وركب الى عيسى بن موسى فقال له ان لي جاراً أخذه عسسك البارحة فحبس وما علمت منه الا خيراً ، فقال عيسى سلموا الى أبى حنيفة كل من أخذه العسس البارحة ، فأطلقوا جميعاً فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سراً ألست كنت تغنى يافتى كل ليلة « أضاعونى وأى فتى

أضاعوا » فهل أضعناك ؟ قال لا والله أيها القاضى ولكن أحسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك ، قال لتعد الى ما كنت فتغنيه فانى كنت آنس بك ولم أر به بأساً ، قال أفعل ، وقال الاصمعى مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفاً ويغنى « أضاعونى وأى فتى أضاعوا » فقلت له أما سداد الكنيف فأنت ملىء به وأما الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه ، وكنت حديث السن فأردت العبث به ، فأعرض عنى ملياً ثم أقبل على فأنشد متمثلا

وأكرم نفسى انني ان أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له ، فبأى شيء أكرمتها ؟ فقال بلى والله ان من الهوان لشراً مما أنا فيه ، فقلت وماهو ؟ فقال الحاجة اليك والى أمثالك من الناس ، قال الأصمعى فانصرفت عنه وأنا أخزى الناس ، قال اسحاق الموصلى اختصر الأصمعى فيما أرى الجواب وستر أقبحه على نفسه والافكناس كنيف قائم يكنسه ويعبث به هذا العبث فيرضى بهذا الجواب الذى لايجيب بمثله الأحنف بن قيس لو كانت المخاطبة له

كانت مولاة لثقيف اسمها كلابة عند عبد الله بن القاسم الأموى العَبْلى وكان يبلغها تشبيب العرجى بالنساء وذكره لهن فى شعره وكانت كلابة تكثر أن تقول لشدّ ما اجترأ العرجى على نساء قريش حتى يذكرهن في شعره ، ولعمرى مالقى أحداً فيه خير ولئن لقيته لأسودن وجهه ، فبلغه ذلك عنها ، وكان العبلى نازلا على ماء لبنى نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تَبالة الي مكة والعَرج أعلاها قليلا مما يلى الطائف ، فبلغ العرجى أنه خرج الى مكة فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت اليه كلابة وكان خلفها فى أهله فصاحت به اليك ويحك ، وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو الى القصر ، فاستسقاها ماء فأبت أن تسقيه وقالت لايوجد والله أثرك عندى أبداً فيلصق بى منك عسر ، فانصرف وقال ستعلمين وقال

حُور بعثن رسولاً فى ملاطفة ... ثَقْفاً اذا عقل النَّسَّاءة الوَهَم
الىَّ أنْ إيتنا هُدْاً اذا غفلت ... أحراسنا، وافتضحنا انهمُ علموا
فجئت أمشى على هول أُجَشَّمه ... تجشمُ المرء هولاً في الهوى كرم
اذا تخوفت من شىء أقول له ... قد جفّ فامض بشىء قُدِّر القلم
أمشى كما حركت ريح يمانية ... غصناً من البان رَطْباً طَلَّه الدِّيم
فى حلة من طراز السوس مُشْرَبة ... تعفو بهُدَّابها ما أثرت قدم
خلت سبيلى كما خليت ذا عذر ... اذا رأته عتاق الخيل ينتجم
وهن في مجلس خال وليس له ... عين عليهن أخشاها ولا قدم
حتى جلست إزاء الباب مكتتما ... وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
أبدَيْن لى أعيناً نُجْلاً كما نظرت ... أُدْم هِجان أتاها مُصْعَب قَطِم
قالت كُلابة من هذا ؟ فقلت لها ... أنا الذى أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤ جد بى حب فأحرضنى ... حتى بَليت وحتى شفنى السَّقَم
لا تَكِلينى الى قوم لوانّهمُ ... من بغضنا أُطعموا لحمي اذاً طَعِموا
وأنعمى نعمة تُجْزَيْ بأحسنها ... فطالما مسنى من أهلك النعم
ستر المحبين فى الدنيا لعلهمُ ... أن يحدثوا توبة فيها اذا أثموا
هذى يمينىَ رهن بالوفاء لكم ... فارضَيْ بها ولأنف الكاشح الرَّغم
قالت رضيت ولكن جئت فى قمر ... هلا تلبثت حتى تدخل الظلم
فبت أُسقى بأكواس أُعَلُّ بها ... من بارد طاب منها الطعم والنسم
حتى بدا ساطع للفجر تحسبه ... سنا حريق بليل حين يضطرم
كغُرَّة الفرس المنسوب قد حُسرت ... عنه الجلال تلالا وهو يلتجم
ودعتهن ولا شىء يراجعني ... الا البنان وإلا الأعين السُّجُم
اذا أردن كلامى عنده اعترضت ... من دونه عبرات فانثنى الكلم

تكاد اذ رمن نهضاً للقيام معى أعجازهن من الأنصاف تنقصم

فسمع ابن القاسم العبلى بالشعر يغنى به ، وكان العرجى أعطاه جماعة من المغنين وسألهم أن يغنوا فيه ، فصنعوا في أبيات منه عدة ألحان ، وقال والله لأجد لهذه الأمة شيئاً أبلغ من ايقاعها تحت التُّهَمة عند ابن القاسم ليقطع مأكلتها من ماله ، فلما سمع العبلى بالشعر يغنى به أخرج كلابة واتهمها ، ثم أرسلها بعدزمان على بعير بين غرارتى بعر فأحلفها بمكة بين الركن والمقام أن العرجى كذب فيما قاله ، فحلفت سبعين يميناً ، فرضي عنها وردها ، فكان بعد ذلك اذا سمع قول العرجى « فطالما مسني من أهلك النعم » قال كذب والله مامسه ذلك قط

وقال يشبب بامرأة من بني نصر بن معاوية اسمها عاتكة

يادار عاتكة التى بالأزهر[1] أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
لم ألق أهلك بعد عام لقيتهم ياليت أن لقاءهم لم يقدر
بفناء بيتك وابن مِشْعب[2] حاضر فى سامر عَطِر وليل مقمر
مستشعرين مَلاحفاً هَرَوِيَّة بالزعفران صباغها والعصفر
باتا بأنعم ليلة حتى بدا صبح تَلوّح كالأغرّ الأشقر
فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

وقال فى أُمّ الأوقص التيمية ، وكان يتعرض لها فتستتر منه فاحتال حتى رآها وقال

أقول لصاحبىَّ ومثل ما بى شكاه المرء ذو الوجد الأليم
الى الأخوين مثلهما اذا ما تأوَّبه مؤرقة الهموم
لحيني والبلاء لقيت ظهراً بأعلى النقع أختَ بني تميم
فلما أن رأت عيناى منها أسيل الخد فى خَلْق عَميم

(١) الأزهر على ثلاثة أميال من الطائف (٢) مغن من أهل مكة كان في زمن ابن سريج

وعيني جؤذر خرق وثغر كلون الأقحوان وجيد ريم
حنا أترابها دوني عليها حنوّ العائدات على السقيم

وتزوج العرجى أم عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان ، وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها

أن عثمان والزبير أحلا دارها باليفاع اذ ولداها
انها بنت كل أبيض قرم نال فى المجد من قصيّ ذراها
سكن الناس بالظواهر منها وتبوّا لنفسه بطحاها

ولما تزوج الرشيد زوجته العثمانية أعجب بها فكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات

قال عبد الله بن عمر العمرى خرجت حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رفثت فيه فأدنيت ناقتى منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسناً ثم قالت تأمل ياعم فانى ممن عناه العرجي بقوله

أماطت كساء الخزّ عن حرّ وجهها وأدنت على الخدين بُرْداً مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقلت لها أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار ، وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال أما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها اعزُبى قبحك الله ولكنه ظَرف عباد أهل الحجاز

ومما قاله العرجى في أم محمد بن هشام

عوجى علينا ربة الهودج انك الا تفعلى تحرَجى
انى أتيحت لي يمانية احدى بنى الحرث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله ما نلتقى إلا على منهج
فى الحج ان حجت وماذا منى وأهله ان هى لم تحجج ؟
أيسر ما نال محب لدى بين حبيب قوله عرّج

نقض لكم حاجة أو نقل هل لىَ مما بيَ من مخرج

وقال يشبب بجبرة المخزومية ، وهى زوج محمد بن هشام

عوجى على فسلمى جَبْرُ فيم الصدود وأنتمُ سَفْرُ
ما نلتقى إلا ثلاث منًى حتى يفرق بيننا النَّفْرُ
الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر الا الحول والشهر

ومما قاله العرجى فى سجنه

وكم من كاعب حوراء بكر ألوف الستر واضحة التراق
بكت جزعا وقد سُمرت كُبول وجامعة يشد بها خناق
على دهماء مشرفة سَموق ثناها القمح مزلفة التراق
علىَّ عباءة بلقاء ليست مع البلوى تغيب نصف ساق
كأن على الخدود وهن شُعْث سجال الماء يبعث فى السواق
فقلت تجلداً وحلفت صبراً الى ذا اليوم ما رفعت أماقى
سينصرنى الخليفة بعد ربى ويغضب حين يخبر عن مساقى
وتغضب لي بأجمعها قصى قطين البيت والدمث الرقاق
بمجتمع السيول اذا تنحى لئام الناس فى الشعب العاق

وكان الوليد مضطغناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام فلما ولى الخلافة قبض عليه وعلى أخيه ابراهيم وأشخصا اليه الى الشام ، ثم دعا بالسياط ، فقال له محمد أسألك بالقرابة ، قال وأى قرابة بينى و بينك ؟ وهل أنت الا من أشجع ؟ قال فأسألك بصهر عبد الملك ، قال لم تحفظه ، فقال ياأمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشى بالسياط الا فى حد ، قال فى حد أضربك وقوَد أنت أول من سن ذلك على العرجي وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان فما رعيت حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا

الخبر وأنا ولي ثأره ، اضرب ياغلام ، فضربهما ضرباً مبرحاً وأثقلا بالحديد ووجه بهما الى يوسف بن عمر بالكوفة وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يتلفا ، وكتب اليه احبسهما مع ابن النصرانية « يعنى خالداً القَسْرى » ونفسك نفسك ان عاش أحد منهم ، فعذبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالا عظيما ، حتى لم يبق فيهم موضع للضرب ، فكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوه بها ، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل ابراهيم لينظر فى وجه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً ومات خالد القسري معهما في يوم واحد

قال مصعب بن عبد الله أتانى أبو السائب المخزومى ليلة بعد ما رقد السامر ، فأشرفت عليه ، فقال سهرت وذكرت أخاً لي أستمتع به فلم أجد سواك فلو مضينا الى العقيق فتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا فأنشدته فى بعض ذلك بيتين للعرجى « باتا بأنعم ليلة » فقال أعده علىَّ ، فأعدته ، فقال أحسن والله امرأته طالق ان نطق بحرف غيره حتى يرجع الى بيته ، فلقينا عبد الله بن حسن بن حسن ، فلما صرنا اليه ووقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلىَّ وقال متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت منذ الليلة ، فقال انا لله وأى كهل أصيبت به قريش ؟ ثم مضينا فلقينا محمد بن عمران التيمى قاضى المدينة يريد مالاً له على بغلة له ومعه غلام على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ، فسلم ثم قال كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال

فتلازما عند الفراق صبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فالتفت إلىَّ وقال متى أنكرت صاحبك ؟ قلت آنفاً ، فلما أراد المضى قلت أفتدعه هكذا ؟ والله ما آمن أن يتهور فى بعض آبار العقيق ، قال صدقت ياغلام

قَيْدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعه فى رجله وهو ينشد البيت ويشير بيده اليه يرى أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه يا غلام أوصله على بغلتى وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه فاته أخبرته بخبره ، فقال قبحك الله فضحت شيخاً من شيوخ قريش وغررتني

أنشد ابن جندب الهذلي ابنَ أبي عتيق قول العرجى

وما أَنْسَ مِ الأَشياء لا أنس قولها لخادمها قومى اسألي لي عن الوتر
فقالت يقول الناس فى ستَّ عشرةً فلا تعجلي منه فانك فى أجر
فما ليلة عندى وان قيل جمعة ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بعادلة الاثنين عندى وبالحرَى يكون سواء منهما ليلة القَدْر

فقال ابن أبي عتيق أشهدكم أنها حرة من مالي ان أجاز ذلك أهلها ، هذه والله أفقه من ابن شهاب

قال مَسلمة بن ابراهيم بن هشام كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب فذكر قول العرجى

أين ما قلتِ مت قبلك أينا أين تصديق ما وعدتِ الينا
فلقد خفت منك أن تَصْرِمى الحبل وأن تجمعى مع الصَّرْم بَيْنا
ما تقولين فى فتى هام اذ ها م بمن لا يُنال جهلاً وحينا
فاجعلي بيننا وبينك عدلاً لا تَحيفى ولا يَحيف علينا
واعلمي أن في القضاء شهوداً أو يميناً فأحضرى شاهدينا
خُلتى لو قدرت منك على ما قلتِ لي فى الخلاء حين التقينا
ما تحرجتِ من دمى علم اللَّه ولو كنتُ قد شهدت حُنينا

فقال أيوب لأشعب ما تظن أنها وعدته ؟ قال أخبرك يقيناً لا ظناً أنها وعدته أن تأتيه فى شِعْب من شعاب العَرْج يوم الجمعة اذا نزل الرجال الى الطائف للصلاة

فعرض لها شغل فقطعها عن موعده ، قال فمن كان الشاهدان ؟ قال كثير وعوير وكلّ غير خير ، فند أبو زيد مولي عائشة بنت سعد وزور الفرق مولى الأنصار ، قال فمن العَدْل ؟ قال حصين بن عرير الحميرى

كان العرجى يستقى على ابله فى شملتين ثم يغتسل ويلبس حلتين بخمسمائة دينار ثم يقول

يوْماً لأصحابى ويوْماً المال مِدْرَعة يوْماً ويوْماً سِرْبال

كان العَرْجى غازياً فأصابت الناس مجاعة ، فقال للتجار أعطوا الناس وعلىّ ما تعطون ، فلم يزل يعطيهم ويطعم الناس حتى أخصبوا ، فبلغ ذلك عشرين ألف دينار فألزَمها العَرْجى نفسه ، وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال بيت المال أحق بهذا ، فقضى التجار ذلك المال من بيت المال

عبد الرحمن بن الحكم

هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاصي بن أمية ، يكنى أبا مطرِّف

شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه

قدم على معاوية وقد عزَل أخاه مروان عن الحجاز وولى سعيد بن العاصى ، وكان مروان وجه به وقال القه أمامى فعاتبه لي واستصلحه ، فدخل عليه وهو يعشى الناس فأنشأ يقول

أتتك العِيس تنفخ فى بُراها تكشف عن مناكبها القطوع

بأبيض من أمية مضْرَحِىّ كأن جبينه سيف صنيع

فقال معاوية أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً ؟ فقال أىّ ذلك شئت فقال له ما أشاء من ذلك شيئاً ، وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه الذى عنّ له فقال له على أىّ الظهر أتيتنا ؟ قال على فرسى ، قال وما صفته ؟ قال أجش هزِيم ، يعرض بقول النجاشى له

ونجى ابنَ حرب سابح ذو عُلالة أجشّ هزيم والرماح دَوان

اذا خلت أطراف الرماح تناله مرَرْته به الساقان والقـــدمان

فغضب معاوية وقال أما انه لا يركبه صاحبه فى الظلم الى الريب ولا هو ممن يتسور على جاراته ولا يتوثب على كنائنه بعد هجعة الناس ، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك ، فخجل عبد الرحمن وقال يا أمير المؤمنين ما حملك على عزل ابن عمك ؟ أجناية أوجبت سخطاً أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال لتدبير استصلحته ، قال فلا بأس بذلك وخرج من عنده فلقى أخاه مروان فأخبره بما جرى بينه وبين معاوية ، فاستشاط غيظاً وقال له قبحك الله ما أضعفك ، أعرّضت للرجل بما أغضبه حتى اذا انتصف منك أحجمت عنه ؟ ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه مرحباً بأبى عبد الملك لقد زُرتنا عن اشتياق منا اليك ، قال لا ها الله ما زُرتك لذلك ولا قدمت عليك فألفيتك الا عاقاً قاطعاً والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبى العاصى والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يا بنى حرب وشرفوكم وواسَوْكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم حتى اذا وليتم وأفضى الأمر اليكم أبيتم الا أثَرة وسوء صنيعة وقبح قطيعة ، فرويداً رويداً قد بلغ بنو الحكم وبنو بنيه نيفاً وعشرين وانما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين ، ويعلم امرؤ أين يكون منهم حينئذ ثم هلم للجزاء بالحسنى وبالسوءى بالمِرْصاد ، فقال له معاوية عزلتك لثلاث لو لم يكن منهن الا واحدة لأوجبت عزلك ، إحداهن أنى أمَّرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تُعْدِها ، فقال له مروان أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ولكن اذا تساوت الأقدام علم أين موقعه ، وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه

ثم جعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله انى لتأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ستراً ، فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هناك ، فقال له مروان هو ذاك الآن والله انى لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وقد كاد ولدى أن يكملوا العدة ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع مني ، فانخزل معاوية ثم قال

فان أكُ في شراركمُ قليلاً فانى في خياركمُ كثير
بغاث الطير أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مقلات نزُور

فما فرغ مروان من كلامه حتى استخذى معاوية فى يده وخضع له وقال لك العُتْبَى وأنا رادك الى عملك ، فوثب مروان وقال كلا والله وعيشك لا رأيتنى عائداً اليه أبداً وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية ما رأيت قط لك سقطة مثلها ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه اذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له ادن منى أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له ان الحكم بن أبى العاصى كان أحد من وفد مع أختي أمّ حبيبة لما زفت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى تولى نقلها اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدّ النظر اليه ، فلما خرج من عنده قيل له يا رسول الله لقد أحددت النظر الى الحكم ، فقال ابن المخزوميه ؟ ذلك الرجل اذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدي فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف لا يسمعن هذا أحد منك فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك وان يقض الله عز وجل أمراً يكن ، فقال له معاوية فاكتمها عليَّ يا أبا بحر إذاً فقد لعمرى صدقت ونصحت

وقال عبد الرحمن فى غضب معاوية من تعريضه

أتقطر آفاق السماء له دماً اذا قيل هذا الطِّرْف أجرد سابح
فحتى متى لا ترفع الطِّرْف ذِلة وحتى متى تعيا عليك المنادح

قال ابن أبى مليكة رأيت بنى أمية يتتابعون نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بنى أمية عن الحجاز فذهبت معهم وأنا غلام ، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده فدخلنا عليه ، فقال له عبيد الله بن عمير مالي أراك تذرف عيناك ؟ فقال له ان هذا «يعنى عبد الرحمن بن الحكم» قال بيتاً أبكانى وهو

وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتى وعبد مناف لم تغلها الغوائل

فذكر قرابة بيننا وبين بني عمنا بنى أمية وانا انما كنا أهل بيت واحد في الجاهلية حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيننا أيما دخل

ومن قول عبد الرحمن فى جارية لاخيه مروان كان يهواها واسمها شنباء

لعمر أبى شنباء انى بذكرها وان شحطت دار بها لحقيق
وانى لها لا ينزع الله مالها عليَّ وان لم ترْعَه لصديق
ولماذ كرت الوصل قالت وأعرضت متى أنت عن هذا الحديث مفيق ؟

لما ادعى معاوية زياداً قال ابن الحكم

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل الهجان
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سمية غير دان

فبلغ ذلك معاوية فحلف ألاَّ يرضى عن عبد الرحمن حتى يرضى عنه زياد ، فخرج الى زياد فلما دخل عليه قال إيه ياعبد الرحمن أنت القائل « ألا أبلغ » فقال لا أيها الأمير ما هكذا قلت ولكنى قلت

ألا من مبلغ عنى زياداً مغلغلة من الرجل الهجان
من ابن القرْم قرم بنى قصى أبى العاص ابن آمنة الحصان
حلفت برب مكة والمصلى وبالتوراة أحلف والقران

لأنت زيادة فى آل حرب أحب الى من وُسْطَى بنانى
سررت بقربه وفرحت لما أتانى الله منه بالبيان
وقلت له أخو ثقة وعم بعون الله فى هذا الزمان
كذاك أراك والأهواء شتَّى فما أدرى بغيب ما ترانى

فرضى عنه زياد وكتب له بذلك الى معاوية ، فلما دخل عليه بالكتاب قال أنشدنى ماقلت لزياد ، فأنشده ، فتبسم ثم قال قبح الله زياداً ما أجهله والله لما قلت له أخيراً حيث تقول « لأنت زيادة فى آل حرب » شر من القول الأول ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه

استعمل معاوية الحرث بن الحكم على غزاة البحر فنكص واستعفى ، فوجه مكانه ابن أخيه عبد الملك بن مروان وهو يومئذ شاب فمضى وأبلى وحسن بلاؤه ، فقال عبد الرحمن لأخيه الحرث

شنئتك اذ رأيتك حوْتكياً قريب الخُصيتين من التراب
كأنك قملة لقحت كشافاً لبرغوث ببعرة أو صُواب
كفاك الغزوَ اذ أحجمت عنه حديثُ السن مقتبل الشباب
فليتك حيضة ذهبت ضلالا وليتك عند منقطع التراب

لطم عبد الرحمن مولى لأهل المدينة حنّاطاً ، وأخوه مروان يومئذ وال لأهل المدينة ، فاستعدى الحناط عليه فأجلسه مروان بين يديه وقال له الطمْه ، فقال الحناط والله ما أردت هذا وانما أردت أن أعلمه أن فوقه سلطاناً ينصرنى عليه وقد وهبتها لك ، قال لست أقبلها منك نخذ حقك ، فقال والله لا ألطمه ولكنى أهبها لك ، فقال مروان ان كنت ترى أن ذلك يسخطنى عليك والله لا أسخط نخذ حقك ، فقال قد وهبتها لك ولست والله لألطمه ، قال لست والله قابلها فان وهبتها فهبها لمن لطمك أو لله عز وعلا ، فقال قد وهبتها لله ، فقال عبد الرحمن يهجو أخاه مروان

كل ابن أم زائد غير ناقص وأنت ابن أم ناقص غير زائد
وهبت نصيبى منك يامروكله لعمرو وعثمان الطويل وخالد

نظر عبد الرحمن الى قتلى قريش يوم الجمل فبكي وأنشأ يقول

أياعين جودى بدمع سَرِب على فتية من خيار العرب
وما ضرهم غير حين النفو س أىُّ أميرى قريش غلب

وكانت بينه وبين عبد الرحمن بن حسان مهاجاة ، وقد كانا قبل خليلين ، وسبب التهاجى أنهما خرجا الى الصيد بأكلب لهما فى امارة مروان فقال ابن الحكم لابن حسان

ازجر كلابك انها قَلَطية (١) بقع ومثل كلابكم لم تصطد
من كان يأكل من فريسة صيده فالتمر يغنينا عن المتصيِّد

فرد عليه ابن حسان

انا أناس ريقون وأمكم كسكلابكم فى الولغ والمتردَّد
حزناكمُ للضب نحترشونه والريفَ نمنعكم بكل مهند

ثم رجعا الى المدينة فجعلا يتقارضان فقال ابن الحكم

ومثل أمك أم العبد قد ضربت عندى ولي بغناء مزهر جرم
وأنت عند ذناباها تعاونها على القدور بخثى خاثر البرم

فنقضها ابن حسان عليه بقصيدته التى يقول فيها

يأيها الراكب المزجي مطيته اذا عرضت فسائل عن بني الحكم
القائلين اذا لاقوا عدوهمُ فِرُّوا فكُرُّوا على النسوان والنَّعم
وكم أمين نصيح الجيب قال لكم ألا نهيتم أخاكم يابنى الحكم
عن رجل لابغيض فى عشيرتكم ولا ذليل قصير الباع معتصم

(١) القلطى القصير جداً من الناس والسنانير والكلاب

وقال ابن حسان

صار الذليل عزيزاً والعزيز به ذل وصار فروع الناس أذنابا
انى لملتمس حتى يبين لكم فيكم متى كنتم للناس أربابا
ففارقوا طلعكم ثم انظروا وسلوا عنا وعنكم قديم العلم أنسابا
فكيف يضحك أو تعتاده ذُكر يا بؤس للدهر للانسان ريَّابا

ولما كثر التهاجى بينهما وأفحشا كتب معاوية يومئذ « وهو الخليفة » الى سعيد بن العاص « وهو عامله على المدينة » أن يجلد كل واحد منهما مائة سوط ، وكان ابن حسان صديقاً لسعيد وما مدح أحداً قط غيره ، فكره أن يضربه أو يضرب ابن عمه فأمسك عنهما ، ثم ولي مروان فلما قدم أخذ ابن حسان فضربه مائة سوط ولم يضرب أخاه ، فكتب ابن حسان الى النعمان بن بشير وهو بالشام وكان كبيراً مكيناً عند معاوية

ليت شعرى أغائب أنت بالشا م خليلى أم راقد نعمان
آية ما تكن فقد يرجع الغا ئب يوماً ويوقظ الوسنان
ان عمراً وعامراً أبوينا وحراماً قِدْماً على العهد كانوا
أفهم مانعوك أم قلة الكتـــاب أم أمرى عليك هوان
يوم أنبئت أن ساقى رُضت وأتاكم بذلك الركبان
ثم قالوا ان ابن عمك يلوى من أمور أتى بها الحدثان
انما الرمح فاعلمنَّ قنـــاة أو كبعض العيدان لولا السنان

وهى قصيدة طويلة ، فدخل النعمان على معاوية فقال يا أمير المؤمنين انك أمرت سعيداً أن يضرب ابن حسان وابن الحكم مائة مائة فلم يفعل ، ثم وليت مروان فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه ، قال فتريد ماذا ؟ قال أن تكتب اليه بمثل ما كتبت الى سعيد ، فكتب معاوية يعزم عليه أن يضرب أخاه مائة و بعث

الى ابن حسان بحلة ، فلما قدم الكتاب على مروان بعث الى ابن حسان انى مخرجك وانما أنا مثل والدك وما كان ما كان منى اليك الا على سبيل التأديب لك واعتذر اليه ، فقال ابن حسان ما بدا له فى هذا إلا لشىء قد جاءه ، وأبى أن يقبل منه ، فأبلغ الرسول ذلك مروان فوجه اليه بالحلة فرمى بها فى الحُشّ ، فقيل له حلة أمير المؤمنين وترمى بها فى الحش ؟ قال نعم ما أصنع بها ؟ وجاءه قومه فأخبروه الخبر ، فقال قد علمت انه لم يفعل ما فعل الا لأمر قد حدث ، فقال الرسول لمروان ما تصنع بهذا ؟ قد أبى أن يعفو فهلم أخاك ، فبعث مروان الى الأنصار وطلب اليهم أن يطلبوا اليه أن يضربه خمسين فانه ضعيف فطلبوا اليه فأجابهم فضربه خمسين ، فلقى ابن حسان بعض من كان لا يهوى ما ترك من ذلك فقال له أضربك مائة ويضربه خمسين ؟ بئسما صنعت اذ وهبتها له ، قال انه عبد وانما ضربه ما يضرب العبد نصف ما يضرب الحر ، فحمل هذا الكلام حتى شاع فى المدينة وبلغ ابن الحكم فشق عليه فأتى أخاه مروان بن الحكم فقال له لاحاجة لنا فيما تركت فهلم فاقتص فضرب ابن الحكم خمسين أخرى فقال ابن حسان يهجو ابن الحكم

دع ذا وعد قريض شعرك فى امرىء ... يهذى وينشد شعره كالفاجر
عثمان عمكمُ ولستم مثله ... وبنو أمية منكم كالآمر
وبنو أبيه سخيفة أحلامهم ... فُحش النفوس لدى الجليس الزائر
أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر
هم ينظرون اذا مددت اليهمُ ... نظر التيوس الى شفار الجازر
خُزر العيون منكس أذقانهم ... نظر الذليل الى القوى القاهر

فقال ابن الحكم

لقد أبقى بنو مروان حزناً ... مبيناً عاره لبني سواد
أطاف به صبيح فى مشيد ... ونادى دعوة يابنى سعاد
لقد أسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لاحياة لمن تنادى

أم حكيم

هى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن العاص ، أمها زينب بنت عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام ، وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش ، فكانت قريش تقول لأمّ حكيم الواصلة بنت الواصلة لأنهما وصلتا الجمال بالكمال ، وأمّ زينب سُعدى بنت عوف الطائية وكانت عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة فولدت له ملحة وريطة ، ثم توفى عنها فخلف عليها طلحة بن عبيد الله فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها فخطبها عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فتكلم بنوها وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالا ، فقالت انه قد بقى فى رحم أمكم فضلة شريفة لا بد من خروجها فتزوجها فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه وزينب وهى أم أم حكيم ، وكان المغيرة أحد أجواد قريش والمطعمين منهم ، وقد قدم الكوفة على عبد الملك بن بشر ابن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلما قدم تغيبوا فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبث المغيرة الجفان فى السكك والقبائل يطعم الناس فقال فيه شاعر من أهل الكوفة

أتاك البحر طمّ على قريش مُغيرى فقد زاغ ابن بشر

وقال مصعب الزبيرى هو « يعنى المغيرة » مطعم الجيش بمني وهو الى الآن يطعم عنه ، وكانت أخته زينب أحسن الناس وجهاً ، وقد كان أعلاها قضيباً وأسفلها كثيباً ، تزوجها أبان بن مروان بن الحكم فولدت له عبد العزيز بن أبان ثم مات عنها فخطبها يحيى بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا الى عبد الملك فأرسل يحيى الى المغيرة بن عبد الرحمن كم الذى تأمل من عبد الملك ؟ والله لا يزيدها على الف دينار ولا يزيدك على خمسمائة دينار ولها عندى خمسون الف دينار ولك عندي عشرون الف دينار ان زوجتنيها ، فزوجه إياها على ذلك ، فغضب عليه

عبد الملك وقال دخل علىّ فى خطبتى والله لايخطب على منبر مادمت حياً ولارأى منى ما يحب ، فأسقطه فقال يحيى

ألا لا أبالي اليوم ان أسلب ان بقيت لي كمكتان وزينب

وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد تزوجها فى حياة جده عبد الملك ، ولما عقد النكاح بينهما عقد فى مجلس عبد الملك وأمر بادخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا فى ذلك أشعاراً كثيرة يرويها الناس فاختير منهم جرير وعدي بن الرقاع فدخلا وبدأ عدى لموضعه منهم فقال

قمر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ماغابا وما طلعا
ما وارت الأستار مثلهما ممن رأى هذا ومن سمعا
دام السرور له بها ولها وتهنيا طول الحياة معا

وقال جرير

جمع الأمير اليه أكرم حرة في كل ما حال من الأحوال
حكمية علمت الرَّوابى كلها بمفاخر الأعمام والأخوال
واذا النساء تفاخرت ببعولة فخرتهم بالسيد المفضال
عبد العزيز ومن يكفّ نفسه أخلاقه يابتْ بأكسف بال
هنأتكم بمودة ونصيحة وصدقت فى نفسى لكم ومقالي
فلتهنك النعم التى خولتها يا خير مأمول وأكرم وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ولعدى بن الرقاع بمثلها وقضى لأهله ومواليه يومئذ مائة حاجة وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتاب بعشرة دنانير عشرة دنانير ، فلم تزل عند عبد العزيز مدة ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر فملكته وأحبها وذهبت بقلبه كل مذهب فلم ترض منه الا بطلاق أم حكيم فطلقها فتزوجها هشام بن عبد الملك ، ثم مات عبد العزيز فتزوج هشام ميمونة

أيضاً وكان شديد المحبة لأم حكيم فطلق لها ميمونة اقتصاصاً لها منها فيما فعلته بها في اجتماعهما عند عبد العزيز وقال لها هل أرضيتك منها ؟ فقالت نعم ، فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام وكان من رجالات بني امية وكان أجد من يطعن على الوليد بن يزيد ويغرى الناس به

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب لاتكاد تفارقه ومن قولها فى ذلك

ألا فاسقياني من شرابكما الوَرْدى وان كنت قد أنفدت فاسترهنا بُرْدى
سِواري ودُمْلوجي ومامَلكت يدى مباح لكم نَهْب ولا تقطعوا وِرْدى

وكأسها الذى كانت تشرب فيه مشهور عند الناس الى اليوم وهو فى خزائن الخلفاء حتى الآن وفيه يقول الوليد بن يزيد

عللانى بعاتقات الكروم واسقيانى بكأس أم حكيم
انها تشرب المدامة صرفاً في اناء من الزجاج عظيم
جنبونى أذاة كل لئيم انه ما علمت شر نديم
ثم ان كان في النداى كريم فأذيقوه بعض مس النعيم
ليت حظي من النساء سليمى ان سلمى جنينتى ونعيمى
فدعونى من الملامة فيها ان من لامنى لغير رحيم

فيقال ان الشعر بلغ هشاماً فقال لأم حكيم أوَ تفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت أو تصدق الفاسق فى شىء فتصدقه فى هذا ؟ قال لا ، فقالت هو كبعض كذبه

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد فقال

فحسب أبى العباس كأس وقَينة وزِق اذا دارت به فى الذوائب
ومن جلساء الناس مثل ابن مالك ومثل ابن جزء والغلام ابن غالب

فقال الوليد يهجوه ويعيره بشرب أمه الشراب

ان كأس العجوز كأس رِواء ليس كأس ككأس أم حكيم

انها تشرب الرساطون صرفاً في اناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعير أو الفيـــل لظلا في سكرة وغموم
ولدته سكرى فلم تحسن الطلـــق فوافى لذاك غير حكيم

وكان لهشام منها ابن يقال له مسلمة ويكنى أبا شاكر وكان هشام ينوه باسمه ، وأراد أن يوليه العهد بعده وولاه الحج ، فحج بالناس ، وفيه يقول عروة بن أُذينة لما وفد على هشام وفرق في الحجاز على أهلها مالاً كثيراً وأحبه الناس ومدحوه

أتينا نمُتّ بأرحامنـا وجئنا بأمر أبي شاكر

قال اسمعيل بن مجمع كنا نخرج ما في خزائن المأمون من الذهب والفضة ونزكي عنه ، فكان فيما يزكي عنه قائم كأس أم حكيم ، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا ووصفه اسمعيل فقال كأس كبير من زجاج أخضر مقبضه من ذهب

آدم بن عبد العزيز

هو آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو أحد من مَنَّ عليه أبو العباس السفاح من بني أمية لما قتل من وجد منهم ، وكان آدم في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب ثم نَسَكَ بعد ما عمر ومات على طريقة محمودة

ومن قوله وفيه غناء

هاك فاشربها خليلي في مدى الليل الطويل
قهوة في ظل كرم سُبِئت من نهر بيل
لونها أصفر صافٍ وهي كالمسك الفتيل
في لسان المرء منها مثل طعم الزنجبيـــل
ريحهـــا ينفح منها ساطعاً من رأس ميل
من يَنَلْ منها ثلاثاً ينس منهاج السبيل

فمتى ما نال خمسا تركته كالقتيل
ليس يدري حين ذاكم ما دَبِير من قَبيل
ان سمعى عن كلام اللائمى فيها الثقيل
الشديد الوَقْر انى غير مطواع ذليل
قل لمن يلحاك فيها من فقيه أو نبيل
أنت دَعْها وارج أخرى من رحيق السلسبيل
تعطش اليوم وتسقى فى غد نعت الطلول

فلما سمع المهدي هذين البيتين قال له ويلك تزندقت ؟ قال لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشياً تزندق ؟ والمحنة فى هذا اليك ولكنه طرب غلبنى وشعر طفح على قلبى فى حال الحداثة ، فنطقت به ، فخلى سبيله ، وكان المهدى يحبه ويكرمه لظَرفه وطيب نفسه

ومن قوله

اسقنى واسق غصينا لا تبع بالنقد دينا
اسقنيها مزة الطعم تريك الشين زينا

ومنه

اسقني يا معاوية سبعة أو ثمانية
اسقنيها وغنني قبل أخذ الزبانية
اسقنيها مدامة مزة الطعم صافية

وهو الذى يقول

أحبك حبين لي واحد وآخر انك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الطباع فشىء خصصتِ به عن سواك
وأما الذى هو حب الجمال فلست أرى ذاك حتى أراك

ولست أمنّ بهذا عليك لك المن فى ذا وهذا وذاك

وقال لما نزع عن الخمر

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر ليجزيه يوماً بذلك قادر
شربت فلما قيل ليس بنازع نزعت وثوبى من أذى اللوم طاهر

وآدم الذى يقول

أقول وراعني ايوان كسرى برأس معان أو ادروسنان
وأبصرت البغال مربطات به من بعد أزمنة حسان
يعز على أبى ساسان كسرى بموقفكن فى هذا المكان
شربت على تذكر عيش كسرى شراباً لونه كلز عفران
ورحت كأننى كسرى اذا ما علاه التاج يوم المهرجان

مات آدم على توبة ومذهب جميل

الوليد بن يزيد

هو أبو العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه امّ الحجاج بنت محمد بن يوسف وهى بنت أخى الحجاج ، وفيه يقول أبو نخيلة

بين أبى العاصى وبين الحجاج يالكما نورا سراج وهاج
عليه بعد عمه عقد التاج

وأمّ يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وأمها أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأمّ عبد الله بن عامر أمّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب ، ولذلك يقول الوليد بن يزيد

أنا ابن أبى العاصى وعثمان والدي ومروان جدي ذو الفعال وعامر
أنا ابن عظيم القريتين وعزها ثقيف وفهر والعصاة الأكابر

نبيّ الهدى خالى ومن يك خاله نبيّ الهدى يقهر به من يفاخر

وكان الوليد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم وكان فاسقاً خليعاً متهماً فى دينه مرمياً بالزندقة وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل ، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ، ومن الناس من ينفى ذلك عنه وينكره ويقول أنه نُحِله وألصق اليه والأغلب الأشهر غير ذلك

لما وجه يزيد بن عبد الملك الجيوش الى يزيد بن المهلب وعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق قال العباس يا أمير المؤمنين ان أهل العراق أهل غدر وارجاف وقد وجهتنا محاربين والأحداث نحدث ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا مات أمير المؤمنين ولم يعهد فيفُتّ ذلك فى أعضاد أهل الشام فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ، قال غداً ، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فأتى يزيد فقال يا أمير المؤمنين أيما أحب اليك ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال بل ولد عبد الملك ، قال فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال اذا لم تكن في ولدي فأخى أحق بها من ابن أخى ، قال فابنك لم يبلغ فبايع لهشام ثم لابنك بعد هشام ، والوليد يومئذ ابن احدى عشرة سنة ، قال غداً أبايع له ، فلما أصبح فعل ذلك وبايع لهشام وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه ، فلما أدرك الوليد ندم أبوه فكان ينظر اليه ويقول الله بينى وبين من جعل هشاماً بينى وبينك ، وتوفى يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة ، فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزلة مدة ، ثم طمع فى خلعه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة ، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وادمانه على الشراب ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به وولاه الحج ليظهر ذلك بالحرمين فيسقط ، فحج وظهر منه فعل كثير مذموم وتشاغل بالمغنين وبالشراب ، وأمر مولى له فحج بالناس ، فلما حج طالبه هشام بأن

يخلع نفسه فأبى ذلك ، فحرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاء شديداً ، فخرج متبدِّياً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدباً ، وكان يرمى بالزندقة ، وحرض هشام الناس على خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام وأمه أمّ حكيم بنت يحيى ابن الحكم ، وكان مسلمة يكنى أبا شاكر « كنى بذلك لمولى كان لمروان يكنى أبا شاكر كان ذا رأى وفضل وكانوا يعظمونه ويتبركون به » فأجابه الى خلع الوليد والبيعة لمسلمة محمد وابراهيم ابنا هشام بن اسمعيل المخزومى والوليد وعبد العزيز وخالد بن القعقاع بن خويلد العبسى وغيرهم من خاصة هشام ، وكتب الى الوليد ما تدع شيئاً من المنكر الا أتيته وارتكبته غير متحاشٍ ولا مستتر ، فليت شعرى مادينك ؟ أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب اليه الوليد

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
نشربها صرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وقال يعيرنى بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة فالزم الأدب واحضر الصلوات ، وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة فأظهر النسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال رجل من موالى أهل المدينة

يأيها السائل عن ديننا نحن على دين أبى شاكر
الواهب البُزْل بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

وبلغ خالداً القسرى ما عزم عليه هشام ، فقال أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ، فبلغت هشاماً عنه هذه ، فكان ذلك سبباً لإيقاعه به ، وكان هشام يكثر تنقص الوليد فكان مسلمة بن عبد الملك يعاتب هشاماً ويكفه فمات مسلمة فغمّ الوليد ورثاه فقال

أتانا بريدان من واسط يَخُبَّان بالكتب المعجمة
أقول وما البعد الا الرَّدَى أمَسْلَمَ لا تبعدن مسلمة

فقد كنت نوراً لنا فى البلاد تضىء فقد أصبحت مظلمة
كتمنا لنعيك نخشى اليقين فجلّى اليقين عن الجَمْجَمة
وكم من يتيم تلافيته بأرض العدو وكم أيّمة
وكنت اذا ما الحرب درّت دماً نَصَبْتَ لها راية معلَمة

بينما هشام واقف يوم توفى مسلمة بن عبد الملك اذ طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مُطْرَف خز عليه فوقف على هشام فقال يا أمير المؤمنين ان عُقْبَى من بقى لحوق من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى واختل الثغر فوَهَى ، وعلى أثر من سلف يمضى من خلف فتزودوا فان خير الزّاد التقوى ، فأعرض عنه هشام ولم يرد جواباً ، ووجم الناس فما همَسَ أحد بشىء ، فمضى الوليد وهو يقول

أهيْنَمة حديث القوم أم هم سكوت بعد ما متَع النهار
عُزَير كان بينهمُ نبياً فقول القوم وحى لا يحار
كأنا بعد مسلمة المرجّى شُرُوب طوّحت بهمُ عُقار
أوَالاف هجان فى قيود تَلَفّت كلما حنّتْ ظُؤار
فليتك لم تمت وفداك قوم تزيح غيبهم عنا الديار
سقيم الصدر أو شكس نكيد وآخر لا يزور ولا يزار

يريد بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد ويعنى بالشكس هشاماً والذى لا يزُور ولا يزَار مروان بن محمد

لما أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده قال الوليد

كفرتَ يداً من منعم لو شكرتَها جزاك بها الرحمن ذوالفضل والمن
رأيتك تبنى جاهداً فى قطيعتى ولوكنت ذا حزم لهدّمت ما تبنى
أراك على الباقين تبنى ضغينة فيا وَيْحَهم ان مت من شر ما تجنى

كأنى بهم يوماً وأكثرُ قولهم أياليت أنّا حين ياليت لاتغنى

عتب هشام على الوليد خاصتَه فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته ومواليه فنزل بالأبلق بين أرض بَلْقَين وفَزارة على ماء يقال له الأغدق وخلف بالرُّصافة كاتبه عياض بن مسلم ليكاتبه بما يحدث وأخرج معه عبدالصمد بن عبدالأعلى فشربوا يوماً فقال له الوليد يا أبا وهب قل أبياتاً نغني فيها ، فقال أبياتاً وأمر عمر الوادى فغنى فيها وهي

ألم تر للنجم اذ سبعا يبادر فى بُرْجه المرجعا
تحير عن قصد مَجْراته أتى الغَوْر والتمس المطلَعا
فقلت وأعجبني شأنه وقد لاح اذلاح لي مُطمعا
لعل الوليد دنا ملكه كتأميل ذى الجَدْب أن يَمْرَعا
عقدنا له محكمات الامو رطوعاً وكان لها موضعا

فروى هذا الشعر و بلغ هشاماً فقطع عن الوليد ما كان يجرى عليه وعلى أصحابه وحرمهم وكتب الى الوليد قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خِدْناً ومحدثاً ونديماً وقد حقق ذلك ما بلغني عنك ولن أبرئك من سوء فأخرج عبد الصمد مذموماً فأخرجه الوليد وقال

لقد قذفوا أبا وهب بأمر كبير بل يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير

فكتب الوليد الى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد واعتذر اليه من منادمته وسأله أن يأذن لابن سهيل فى الخروج اليه ، وكان من خاصة الوليد ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيره ، وكان ابن سهيل من أهل النباهة وقد ولى الولايات ولى دِمَشق مراراً وولى غيرها ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه ضرباً مُبَرِّحاً وألبسه المسوح وقيده وحبسه ، فغم ذلك الوليد وقال من يثق بالناس ومن

يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤم قدمه أبي على ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع معي ما ترون ولا يعلم ان لي في أحد هوى الا أضر به ، كتب الي بأن أخرج عبد الصمد فأخرجته ، وكتبت اليه في أن يأذن لابن سهيل في الخروج الي فضربه وطرده وقد علم رأيي فيه ، وعرف مكان عياض مني وانقطاعه الي فضربه وحبسه يضارني بذلك ، اللهم أجرني منه ، ثم قال الوليد

أنا النذير لمسدى نعمة أبدا ... الى المقاريف لما يَخْبُرُ الدَّخَلا
ان أنت أكرمتهم ألفيتهم بطِروا ... وان أهنتهمُ ألفيتهم ذُلُلا
أتشمَخون ومنا رأس نعمتكم ... ستعلمون اذا أبصرتم الدولا
انظر فان أنت لم تقدر على مثل ... لهم سوى الكلب فاضربهم مثلا
بينا يسمنه للصيد صاحبه ... حتى اذا ما استوى من بعد ما هَزَلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته ... ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا

وقال الوليد أيضاً يفتخر على هشام

أنا الوليد أبو العباس قد علمت ... عُلْيا مَعَدّ مدى كري واقدامي
اني لفي الذروة العليا اذا انتسبوا ... مقابل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ لم يكن وَكِلاً ... على منار مضيآت وأعلام
حللت من جوهر الأعياص قد علموا ... في باذخ مشمخر العز قمقام
صعب المرام يسامي النجم مطلعه ... يسمو الى فرع طود شامخ سام

فلما سمع ذلك هشام قال والله ما علمت له معد كراً واقداماً الا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه فان كان يعني ذلك بكره واقدامه فعسى

وبلغ الوليد ان العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يعيبونه بالشراب فلعنهم وقال انهم ليعيبون على مالو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال وهو من جيد شعره ومختاره

ولقد قضيت وان تجلل لمتي شيب على رغم العدا لذاتى
من كاعبات كالدُّمى ومناصف ومراكب للصيد والنشوات
فى فتية تأبى الهوانَ وجوههم شم الأنوف جحاجح سادات
ان يَطلبوا بترِاتهم يعطَوْا بها أو يُطْلَبوا لا يُدرَكوا بترات

كتب الوليد الى هشام ، بلغنى ما أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنى ومحو من محا من أصحابى وانه صرمنى وأهلى ولم أكن أخاف أن يبتلى الله أمير المؤمنين بذلك فيَّ ، ولا ينالنى مثله منه ، ولم يبلغ استصحابى لابن سهيل ومسئلتى فى أمره أن يجرى على ماجرى ، وان كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين فبحسب العَيْر أن يقرب من الذئب ، وعلى ذلك فقد عقد الله لى من العهد وكتب لى من العمر وسبب لى من الرزق مالا يقدر أحد دونه تباك وتعالى على قطعه عنى دون مدته ، ولا صرفه عن مواقعه المحتومة له ، فقدر الله يجرى على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا ، لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله ، والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم بما يستوجبون من الله العقوبة عليه ، وأمير المؤمنين أحق بالنظر فى ذلك والحفظ له ، والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته ، ويحسن القضاء له فى الأمور بقدرته ، وكتب اليه فى آخر كتابه

أليس عظيما أن أرى كل وارد حياضَك يوماً صادراً بالنوافل
فأرجع محمود الرجاء مُصَرَّداً بتحلئة عن ورد تلك المناهل
فأصبحت مما كنت آمل منكم وليس بلاق ما رجا كل آمل
كمقتبض يوماً على عرض هبْوة يشد عليها كفه بالأنامل

فكتب اليه هشام قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع وغير ذلك ، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجرى عليك ولا يتخوف على نفسه اقتراف المأثم فى الذى أحدث من قطع ما قطع ومحو ما محا من صحابتك

لأمرين ، أما أحدهما فان أمير المؤمنين يعلم مواضعك التى كنت تصرف ما يجريه عليك وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دارة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم فى سفهك ، وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من اعطائه إياك باستئناف قطعه عنك ، وأما ابن سهيل فلعمرى لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لقدجعله الله لذلك أهلاً وهل زاد ابن سهيل « لله أبوك » على أن كان زَفَّانا مغنياً قد بلغ فى السفه غايته ، وليس مع ذلك ابن سهيل بشر ممن كنت تستصحب فى الأمور التى ينزل أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمرى أهلاً للتوبيخ فيه ، وأما ما ذكرت مما سببه الله لك فان الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له والله بالغ أمره ، ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه الا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً وان الله ولى ذلك منه وانه لابد له من مفارقته وان الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولى أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم ، وان أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله فى الرضاية لهم فان بلاء الله أعظم عند أمير المؤمنين من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره الا بعون منه ، ولئن كان قدر الله لأمير المؤمنين وفاة تعجيل فان فى الذى هو مفض وصائر اليه من كرامة الله لخلفاً من الدنيا ، ولعمرى ان كتابك لأمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك ، فأبق على نفسك وقصر من غُلوَائها واربَع على ظَلَعك فان لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء من عباده ، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور اليه وأرضاها له ، وكتب فى أسفل الكتاب

اذا أنت سامحت الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال

والسلام

قال أبو الزبير المنذر بن عمر وكان كاتباً للوليد ، أرسل إليَّ الوليد صبيحة اليوم الذى أتته فيه الخلافة ، فأتيته ، فقال لي يا أبا الزبير ما أتت عليَّ ليلة أطول من هذه الليلة ، عرفتني أمور وحدثت نفسى فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أُولع بى فاركب بنا نتنفس ، فركب وسرت معه ، فسار ميلين ووقف على تل ، فجعل يشكو هشاماً اذ نظر الى رهج قد أقبل وسمع قعقعة البريد ، فتعوذ بالله من شر هشام وقال ان هذا البريد قد أقبل بموت حى أو بملك عاجل ، فقلت لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك ويبقيك اذ بدا رجلان على البريد يُقبلان أحدهما مولى لأبى سفيان بن حرب فلما قربا رأيا الوليد فنزلا يعدوان حتى دنوا ، فسلما عليه بالخلافة ، فوَجَم وجعلا يكرران بالخلافة ، فقال ويحكم ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ قالا نعم ، قال فمرحباً بكما ، ما معكما ؟ قالا كتاب مولاك سالم بن عبدالرحمن ، فقرأ الكتاب وانصرفنا ، وسأل عن مولاه عياض بن مسلم الذى كان هشام ضربه وحبسه ، فقالا يا أمير المؤمنين لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله ، فلما صار الى حال لا ترجى الحياة لمثله معها أرسل عياض الى الخزّان احتفظوا بما فى أيديكم فلا يصلن أحد الى شىء ، وأفاق هشام افاقة فطلب شيئاً فمنعه فقال أرانا كنا خزاناً للوليد ، وقضى من ساعته فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشام ، فختم الأبواب والخزائن وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفنوه من الخزائن ، فكفنه غالب مولى هشام ولم يجدوا قمقماً حتى استعاروه ، وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن اسمعيل المخزومى فأخذا بعد أن عاذ ابراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك ، فقال الوليد ما أراه الا قد نجا ، فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله ان الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً للظالمين فخذه برد ما فى يده من مال الله ، فقال صدقت ، وأخذهما فبعث بهما الى يوسف بن عمر ، وكتب اليه أن يبسط عليهما العذاب حتى يتلفا ، ففعل ذلك بهما ، وماتا جميعاً فى العذاب بعد أن أقيم ابراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منه المظالم

قالوا ولما نعى هشام للوليد قال والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر ، ثم أنشأ يقول

طاب يومى ولذَّ شرب السُّلافة اذ أتانا نَعِيّ من بالرُّصافة
وأتانا البريد ينعى هشاماً وأتانا بخاتم للخلافة
فاصطبحنا من خمر عانة صرفاً ولهونا بقَينة عزَّافة

وقال

طال ليلى فبت أُسقى المداما اذ أتانى البريد ينعى هشاما
وأتانى بحلة وقضيب وأتانى بخاتم ثم قاما
فجعلت الولى من بعد فقدي يفضل الناس ناشئاً وغلاما
ذلك ابني وذاك قَرْم قريش خير قَرْم وخيرهم أعماما

وقال

هلك الأحول المشؤ م فقد أرسل المطر
ثمت استخلف الوليد فقد أورق الشجر

وقال

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياله الأوفر قد أُترعا
كِلنا له الصاع التى كالها فما ظلمناه بها أصوعا
لم نأت ما نأتيه عن بدعة أحله الفرقان لى أجمعا

وحلف ألا يبرح موضعه حتى يغني فى هذا الشعر ويشرب عليه ، فتغنى له فيه وشرب وسكر ، ثم دخل فبويع له بالخلافة ، وسمع صياحاً فسأل عنه فقيل له هذا من دار هشام يبكيه بناته فقال

انى سمعت بليل ورا المصلى برنة
اذا بنات هشام يندبن والدهنه

يندبن قرماً جليلاً قد كان يعضدهنه

وللوليد أشعار جياد فوق هذا الشعر ، فمنها وهو ما برّز فيه وجوّده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله فى صفة الخمر

اصدع نجيّ الهموم بالطرب وانعم على الدهر بابنة العنب
واستقبل العيش فى غضارته لا تقفُ منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادمها فهى عجوز تعلو على الحِقب
أشهى الى الشرّب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورقّ جوهرها حتى تبدت فى منظر عجب
فهى بغير المزاج من شرر وهى لدى المزج سائل الذهب
كأنها فى زجاجها قبَس تذكو ضياء فى عين مرتقب
فى فتية من بني أمية أهل المجد والمأثرات والحسب
مافى الورى مثلهم ولا بهم مثلى ولا منتمٍ لمثل أبى

ومن قوله

اذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزع
وكانوا اذا هموا باحدى هنَاتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

ومن نادر شعره قوله

فان تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتى وبعدى
وسوف تلوم نفسك ان بقينا وتبلو الناس والأحوال بعدى
فتندم فى الذى فرطت فيه اذا قايست فى ذمى وحمدى

لما خرج زيد بن على رضى الله عنه على هشام منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة فكتب الوليد الى أهل المدينة لما استخلف

ألا أيها الركب المخبّون بلغوا سلامى سكان البلاد فأسمعوا

وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة بوالده فاستبشروا وتوقعوا
سيوشك الحاق بكم وزيادة وأعطية تأتي تباعاً فتشفع
ضمنت لكم ان لم تصابوا بمهجتي بأن سماء الضر عنكم ستقلع

فقال حمزة بن بيض يرد على الوليد لما فعل خلاف ذلك

وصلت سماء الضر بالضر بعدما زعمت سماء الضر عنا ستقلع
فليت هشاماً كان حياً يسوسنا وكنا كما كنا نرجى ونطمع

بعث الوليد الى جماعة من أهله لما ولى الخلافة فقال أتدرون لم دعوتكم ؟ قالوا لا ، قال فليقل قائلكم ، فقال رجل منهم أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته واحسانه ، فقال نعم ولكني

أشهد الله والملائكة الأبـــرار والعابدين أهل الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب الكا س والمض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى عليّ بالأقداح

وفد سعد بن مرة بن جبير ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج الى متنزه له فصاح به يا أمير المؤمنين وافدك وزائرك ومؤملك ، فتبادر اليه الحراس ليصدوه عنه ، فقال دعوه ، ادنُ اليَّ ، فدنا اليه فقال من أنت ؟ قال رجل من أهل الحجاز شاعر ، قال تريد ماذا ؟ قال تسمع مني أربع أبيات ، قال هات ، فقال

شمن المخايل نحو أرضك بالحيا ولقين ركباناً بعُرفك قُفَّلا

قال ثم مه ؟ قال

فعمدن نحوك لم يبُحن بحاجة الا وقوع الطير حتى ترحلا

قال ان هذا لسير حثيث ، ثم ماذا ؟ قال

يعمدن نحو مُوطىء حجراته كرماً ولم تعدل بذلك معدلا

قال قد وصلت اليه فمه ؟ قال

لاحت له نيران حى تُصطلى فاخترن تارك فى المنازل منزلا

كان الوليد فى حياة أبيه متزوجاً سعدة بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فرأى أختها سلمى فوقعت بقلبه ، فلما مات أبوه طلق سعدة زوجته وخطب سلمى الى أبيها فلم يزوجه ورده أقبح رد ، وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسل ، ثم ندم على طلاقه سعدة وكان لها من قلبه محل ولم تحصل له سلمى ، فاهتم لذلك وجزع ، وراسل سعدة وقد كانت زوجت فلم ينتفع بذلك ، ومن قوله فيها

فما مسك يُعَلّ بزنجبيل ولا عسل بألبان اللقاح
بأشهى من بُجاجة ريق سلمى ولا مافى الزقاق من القَراح
ولا والله ما أنسى حياتى وثاق الباب دونى واطراحى

وكان قد تزيا زى بائع زيت ودخل قصرها ليراها فلما رأته عرفته وقالت هو والله الفاسق الوليد

ولما طال بالوليد مابه كتب الى أبيها

أبا عثمان هل لك فى صنيع تصيب الرشد فى صلتى هديتا
فأشكر منك ما تسدى وتحيى أبا عثمان ميتة ومِيتا

فلم يجبه الى ذلك حتى ولي الخلافة فلما وليها زوجه اياها فلم يلبث الا مدة يسيرة حتي ماتت ، وقال فيها ليلة زفت اليه

خف من دار جيرتى يا ابن داود أنسها

وهى طويلة وفيها مما يغنى به

أوَ لا تخرج العرو س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا وهى لم يقض لبسها
برزت كالهلال فى ليلة غاب نحسها

بين خمس كواعب أكرم الخمس جنسها

ولما ماتت قال

ألما تعلما سلمى أقامت مضمنة من الصحراء لحدا
لعمرك ياوليد لقد أجنّوا بها حسباً ومكرمة ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهل أن يُفدّى
فلم أر ميتاً أبكى لعين وأكثر جازعاً وأجل فقدا
وأجدر أن تكون لديه ملكا يريك جلادة ويُسر وجدا

ومما قاله الوليد فى سلمى وغنى المغنون فيه

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوال
عفاه كل حنّان عسوف الوَبْل هطال
لسلمى قرة العين وبنت العم والخال
بذلت اليوم فى سلمى خِطاراً أتلفت مالى
كأن المسك فى فيها سحيق بين جِريال

ومنها

منازل قد تحل بها سليمى دوارس قد أضر بها السنون
أميت السر حفظاً ياسليمى اذا ما السر باح به الخزون

ومنها

أرانى قد تصابيت وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب لقد صمت وصليت
اذا شئت تصبرت ولا أصبر ان شيت
ولا والله لا يصبر فى الديمومة الحوت
سليمى ليس لي صبر وان رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين وفديت وحييت
ألا أحبب بزَوْرا ر من سلمى ببيروت
غزال أدعج العينين نقى الجيد والليت

ومنها

عتبت سلمى علينا سفاهاً أن سببت اليوم فيها أباها
كان حق العتب يا قوم مني ليس منها كان قلبي فداها
فلئن كنت أردت بقلبي لأبى سلمى خلاف هواها
فثكلت اليوم سلمى فسلمى ملأت أرضى معاً وسماها
غير أنى لا أظن عدواً قد أتاها كاشحاً فأذاها
فلها العتبى لدينا وقلت أبداً حتى أنال رضاها

وكان الوليد قد لقى سعيد بن خالد فقال له يا أبا عثمان أتردنى على سلمى ؟ وكأنى بك لو قد وليت الخلافة خطبتني فلم أجبك وان تزوجتها حينئذ فهى طالق ثلاثاً ، فقال له سعيد ان المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيق بأكثر مما قلت فأمضه الوليد وتشاتما وتسامعا وافترقا ، وبلغ الوليد أن سلمى جزعت لما جرى وضبت الوليد ونالت منه ، فقال ما تقدم وقال أيضاً

على الدور التى بليت سفاهاً قفا يا صاحبي فسائلاها
دعتك صبابة ودعاك شوق وأخضل دمع عينك ما قياها
وقالت عند هجوتنا إياها أردت الصرم فانتده انتداها
أردت بعادنا بهجاء شيخى وعندك خلة تبغي هواها
فان رضيت فذاك وان تمادت فهيها خطة بلغت مداها

ومنه

خبروني ان سلمى خرجت يوم المصلى

فاذا طـــير مليح فوق غصن يتفلى
قلت من يعرف سلمى ؟ قال ها ثم تعلى
قلت يا طير ادنُ مني قال ها ثم تدلى
قلت هل أبصرت سلمى ؟ قال لا ثم تولى
فنكا فى القلب كلما باطناً ثم تعـــلى

وقال يعتذر من هجائه أباها

ألا أبلغ أبا عثما ن عُذرة معتب أسفا
فلست كمن يودُّك باللســـان ويكثر الحلفا
عتبت عليَّ فى أشـيا ء كانت بيننا سرفا
فلا تشمت بى الأعدا ء والجيران ملتهفا
تودّ لو انني لحم رأته الطير فاختطفا
ولا ترفع به رأساً عفا الرحمن ما سلفا

ومما قاله فيها

اسقني يا ابن سالم قد أنارا كوكب الصبح وانجلى واستنارا
اسقني من سُلاف ريق سليمى واسق هذا النديم كأساً عُقارا

ومنهـا

ســقيت أبا كامل من الأصفر البابلى
وســقّيتها معبداً وكل فتى بازل
لي المحض من ودهم ويغمرهم نائلى
فمـا لامني فيهمُ سوى حاسد جاهل

ومنها وهو من أملح شعره

أراني الله يا ســـلمى حياتى وفى يوم الحساب كما أراك

ألا تجزين من تيمت عصراً ومن لو تطلبين لقد قضاك
ومن لو مت مات ولا تموتى ولو أُنسِى له أجل بكاك
ومن حقاً لو أُعطِى ما تمنى من الدنيا العريضة ما عداك
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً إذاً ذاق الممات وما عصاك
أثيبى عاشقاً كلفاً معنّى اذا خدِرت له رجل دعاك

كانت العرب تقول ان الانسان اذا خدِرت قدمه دعا باسم أحب الناس اليه فسكنت

ومنها

ويْح سلمى لو ترانى لعناها ما عنانى
متلفاً فى اللهو مالي عاشقاً حور القيان
انما أحزن قلبى قول سلمى اذ أتانى
ولقد كنت زماناً خالي الدهر لشانى
شاق قلبى وعنانى حب سلمى وبرانى
ولكم لام نصيح فى سليمى ونهانى

ومنها

بلغا عني سليمى وسلاها لي عما
فعلت فى شأن صب دَنِف أُشْعِر همّا
ولقد قلت لسلمى اذ قتلت البين علما
أنت همى يا سليمى قد قضاه الرب حتما
نزلت فى القلب قسراً منزلاً قد كان يُحمى

ومنها

يا سليمى يا سليمى كنت للقلب عذابا

يا سليمى ابنة عمى ... بَرَدَ الليل وطابا
أيما واش وشى بى ... فاملئى فاه ترابا
ريقها فى الصبح مسك ... باشر العذب الرُّضابا

ومنها

أسلمى تلك حييت ... قفى نخبرك ان شيت
وقيلى ساعة نشكو ... اليك الحب أو بيتى
فما صهباء لم تكس ... قذًى من خمر بَيْرُوت
نوت فى الدن أعواماً ... ختيماً عند حانوت

ومنها

يامن لقلب في الهوى متشعب ... بل من لقلب بالحبيب عميد
سلمى هواه ليس يعرف غيرها ... دون الطريف ودون كل تليد
ان القرابة والسعادة ألفا ... بين الوليد و بين بنت سعيد
ياقلب كم كَلِف الفؤاد بغادة ... ممكورة ريَّا العظام خريد

ومنها

قد تمنى معشر اذ طربوا ... من عُقار وسوام وذهب
ثم قالوا لى تمن واستمع ... كيف ننحو فى الأمانى والطلب
فتمنيت سليمى انها ... بنت عمى من لهاميم العرب

ومنها

هل الى أم سعيد ... من رسول أو سبيل
ناصح يخبر أنى ... حافظ ود خليلى
يبذل الود لغيرى ... وأكافى بالجميل
لست أرضى لخليلى ... من وصالى بالقليل

ومنها

طاف من سلمى خيال بعد ما نمت فهاجا
قلت عُج نحوى أسائلك عن الحب فعاجا
يا خليلى يا نديمى قم فأنفث لى سراجا
بفلاة ليس ترعى أنبتت شيحاً وحاجا

ومنها

أم سلام أثيبى عاشقاً يعلم الله يقينا ربه
أنكم من عيشه فى نفسه ياسليمى فاعلميه حسبه
فارحميه انه يَهذى بكم هائم صب قد أودى قلبه
أنت لو كنت له راحمة لم يكدَّر ياسليمى شربه

ومنها

رب بيت كأنه متن سهم سوف نأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حييت
أم سلام لا برحت بخير ثم لازلت جنتى ما حييت
طرباً نحوكم وتَوْقاً وشوقاً لادٌّ كار بكم وطيب المبيت
حينما كنتمُ من بلاد وسرتم فوقاك الاله ما قد خشيت

ومنها

طرقتنى وصحابى هجوع ظبية أدماء مثل الهلال
مثل قرن الشمس لما تبدت واستقلت فى رؤوس الجبال
تقطع الأهوال نحوى وكانت عندنا سلمى ألوف الحِجال
كم أجازت نحونا من بلاد وحشة قتالة للرجال

ومنها

أنا الوليد الامام مفتخراً أنعم بالى وأتبع الغزلا

أهوى سليمى وهي تصرمني وليس حقاً جفاء من وصلا
أسحب بردي الى منازلها ولا أبالي مقال من عذلا

وقال الوليد على لسان سلمى

اقرئ مني على الوليد السلاما عدد النجم قلَّ ذا للوليد
حسداً ماحسدت أختي عليه ربنا بيننا وبين سعيد

كانت للوليد جارية يتمال لها صَدوف فغاضبها ثم لم يطعه قلبه فجعل يتسبب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلمه في حاجة وقد عرف خبره فبَرِم به فأنشده

أعتبت أن عتبت عليك صدوف وعتاب مثلك مثلها تشريف
لاتقعدن تلوم نفسك دائماً فيها وأنت بحبها مشغوف
ان القطيعة لا يقوم بمثلها الاالقوى، ومن يحب ضعيف
الحب أملك للفتى من نفسه والذل فيه مسلك مألوف

فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها وأمر بقضاء حوائج القرشي كلها

ومن قوله

قامت إليَّ بتقبيل تعانقني رَيَّا العظام كأن المسك في فيها
ادخل فديتك لايشعر بنا أحد نفسي لنفسك من داء تفديها
بتنا كذلك لانوم على سرر من شدة الوجد تدنيني وأدنيها
حتي اذا مابدا الخيطان قلت لها حان الفراق فكاد الحزن يشجيها
ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد والله عني بحسن الفعل يجزيها

مر الوليد وهو متصيد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب فوقف عليهن واستسقاهن وحدثهن وأمر لهن بصلة ثم مضى وهو يقول

ولقد مررت بنسوة أعشينني حور المدامع من بني المنجاب

فيهن خرعبة مليح دلّها غرّق الوشاح دقيقة الأنياب
زين الحواضر ماثوت فى حضرها وتزين باديها من الأعراب

خرج الوليد يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالا فأتى به فقال حلوه فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى ، ثم أنشأ يقول

ولقد صدنا غزالاً سانحاً قد أردنا ذبحه لما سنح
فاذا شبهك ما ننكره حين أزجى طرفه ثم لمح
فتركناه ولولا حبكم فاعلمى ذاك لقد كان انذبح
أنت ياظبى طليق آمن فاغدُ فى الغزلان مسروراً ورُحْ

خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب فقيل له ان اليوم الجمعة فقال والله لأخطبنّهم اليوم بشعر ، فصعد المنبر فخطب فقال

الحمد لله ولى الحمد أحمده فى يُسرنا والجهد
وهو الذى فى الكرب أستعين وهو الذي ليس له قرين
أشهد فى الدنيا وما سواها ألا إله غيره إلهـا
ما إن له فى خلقه شريك قد خضعت لملكه الملوك
أشهد أن الدين دين أحمد فليس من خالفه بمهتد
وانه رسول رب العرش القادر الفرد الشديد البطش
أرسله فى خلقه نذيراً وبالكتاب واعظاً بشيرا
ليظهر الله بذاك الدينا وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع الله فقد أصابا أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القران والهدى السبيل قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقى لديكم حى صحيح لا يزال فيكم
انكم من بعد أن تزلّوا عن قصده أو نهجه تضلوا

لا تتركُنْ نصحى فانى ناصح ان الطريق فاعلمُنَّ واضح
من يتق الله يجد غِب التقى يوم الحساب صائراً الى الهدى
ان التقى أفضل شيء فى العمل أرى جماع البر فيه قد دخل
خافوا الجحيم اخوتى لعلكم يوم اللقاء تعرفوا ما سركم
قد قيل فى الأمثال لو علمتم فانتفعوا بذاك ان عقلتم
ما يزرع الزارع يوماً يحصده وما يقدِّم من صلاح يحمده
فاستغفروا ربكمُ وتوبوا فالموتُ منكم فاعلموا قريب

كان للوليد ابن يقال له مؤمن فمات فنعاه اليه سنان الكاتب فقال الوليد

أتانى سنان بالوداع لمؤمن فقلت له انى الى الله راجع
ألا أيها الحانى عليه ترابه هُبلت وشَلت من يديك الأصابع
يقولون لاتجزع وأظهر جلادة فكيف بما تحنى عليه الأضالع

قال يزيد بن أبى مساحق السُلمى مؤدب الوليد شعراً وبعث به الى النوار جارية الوليد فغنته به وهو

مضى الخلفاء بالامر الحميد وأصبحت المذمة للوليد
تشاغل عن رعيته بلهو وخالف فعل ذى الرأى الرشيد

فكتب اليه الوليد

ليت حظى اليوم من كل معاش لي وزاد
قهوةٌ أبذُل فيها طارفى ثم تلادى
فيظَل القلب منها هائماً فى كل وادى
ان فى ذاك صلاحي وفلاحى ورشادى

قال الوليد بن يزيد يابنى أمية اياكم والغناء فانه ينقص الحياء ويزيد فى الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر فان كنتم لابد فاعليه فجنبوه

النساء ، وانى لأقول ذلك على انه أحب الىَّ من كل لذة وأشهى الىَّ من الماء الى ذي الغُلة ولكن الحق أحق أن يقال

عقد الوليد ولاية العهد لابنيه عثمان ثم سعيد والحكم فقيل له ان الناس قد أنكروا مافعلت وقالوا يبايع لمن لم يحتلم فقال أفأدخل بيني وبين ابنى غيرى فيلقى منه كما لقيت من الأحول بعد أبى ؟ ثم أنشأ يقول

سرى طيف ظبي بأعلى الغُوَيـ ـر ليلاً فهيج قلباً عميدا
وأرَّق عينى على غِـرة فبات بحزن يقاسى السهودا
نؤمل عثمان بعد الوليـ ـد للعهد فينا ونرجو سعيدا
كما كان اذ كان فى دهره يزيد يرجي لتلك الوليدا
على انها شسعت شسعة فنحن نرجى لها أن تعودا
فان هى عادت فعاص القريـ ـب منها لتوأس منها البعيدا

لما انهمك الوليد على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القَصف والعسف مع المغنين كان نديمه القاسم بن الطويل العبادى ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً فكان لا يصبر عنه ، فشرب يوماً حتى غلب عليه السكر فنام فى موضعه فانصرف ابن الطويل ، فلما أفاق الوليد سأل عنه فعرف خبره حين انصرافه فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سبرة اثتني برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله فى طشت بين يديه ، فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه فاسترجع وندم على ما فرط منه وجعل يقلب الرأس بيده ، ثم قال يرثيه

عينيَّ للحدث الجليل جودا بأربعة هموله
جودا بدمعى انه يشفى الفؤاد من الغليل
لله قـبر ضمنت فيه عظام ابن الطويل

ماذا تضمن اذ ثوى فيه من اللب الأصيل
قد كنت آوى من هوا ك الى ذُرا كهف ظليل
أصبحت بعدك واحداً فرداً بمَدرجة السيول

ثم دخل الى جواريه فقال والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل ، فيقال انه لم يعش بعده الا مديدة حتى قتل والله أعلم

كان بين الحكم بن الزبير وبين بكر بن نوفل شيء فى وكالة للوليد ، يخاصم بكراً فى الرحبة من أرض دمشق وكان قد استولى عليها ، فقطع شفُره الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه ، فقال الوليد فى ذلك

أيا حكمُ المتبول لو كنت تعتزى الى أُسرة ليسوا بسود زعانف
لأيقنت قد أدركت وِتْرَك عَنْوة بلاحكم قاض بل بضرب السوالف

فلما استخلف الوليد بعث الى بكر فقال ألا تعطى حكم بن الزبير حقه ؟ قال لا ، فأمر به فشُتِرت عينه ثم قال

يارب أمر ذي شئون جَحفل قاسيت فيه حلَبات الأحول

أهدى رجل الى هشام بن عبد الملك خيلاً فكان فيها فرس مربوع قريب الركاب ، فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام فنهر الرجل وشتمه وقال أتجيء بمثل هذا الى أمير المؤمنين ؟ ردوه عليه ، فردوه ، فلما خرج وجه اليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه فهو فرسه الذى يسميه السندى

خرج الوليد يوماً يتصيد وحده فانتدَب اليه مولى لهشام يريد الفتك به ، فلما بصر به الوليد صاوله فقهره بفرسه الذى كان تحته فقتله وقال فى ذلك

ألم ترَ أنى بينما أنا آمن يخُبّ بى السندي قفراً فيافيا
تطلّعت من غَور فأبصرت فارساً فأوجست منه خيفة أن يرانيا
ولما بدا لي أنما هو فارس وقفت له حتى أتى فرمانيا

رماني ثلاثاً ثم اني طعنته فرَوَّيت منه صَعْدتي وسنانيا

وقال في فرسه السندي

قد اغتدى بذي سَبيب هيكل (١) مشرَّب مثل الغراب أرجَل (٢)

أعددته لحَلَبات الأحول وكل نقع ثائر لجَحْفل

وكل خطب ذي شئون مُعْضِل

فقال هشام لكنا أعددنا له ما يسوءه ، نخلعه ونُقْصيه فيكون مُهاناً مدحوراً مطروداً

لما ولي الخلافة خطب سلمى التي كان ينسِب بها فزوجها لما مضى صدر من خلافته ، فأقامت عنده سبعة أيام فماتت ، فقال يرثيها

ياسلم كنت كجنة قد أطعمت أفنانها دانٍ جناها موضع

أربابها شُغفاً عليها نومهم تحليل موضعها ولما يهجعوا

حتى اذا فسخ الربيع ظنونهم نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

دخل ابن الأقرع على الوليد فقال له أنشدني قولك في الخمر ، فأنشده قوله

كُميت اذا شُجت وفي الكأس وَرْدة لها في عظام الشاربين دبيب

تريك القذى من دونها وهي دونه لوجه أخيها في الاناء قطوب

فقال الوليد شربتها يا ابن الأقرع ورب الكعبة ، فقال يا أمير المؤمنين لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها

نظر الوليد الى أمّ حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلما رآها أعجبته وراعه جمالها وحسنها ، فسأل عنها ، فقيل ان له لها زوجاً ، فأنشأ يقول

انما هاج لقلبي شجوه بعد المشيب

---

١) السبيب من الفرس شعر الذنب والعرف والناصية وهيكل مرتفع

٢) الأرجل ذو الترجيل وهو بياض في احدى رجلي الدابة

نظرة قد وقرت فى القلـــب من أُمّ حبيب
فاذا ما ذقت فاها ذقت عذباً ذا غُروب
خالط الراح بمسك خالص غير مشوب

لما ظهرت المسوِّدة بخراسان كتب نصر بن سيار الى الوليد يستمده فتشاغل عنه ، فكتب اليه كتاباً وكتب فى أسفله يقول

أرى خَلَل الرَّماد وميض جمر وأَحْرِ بأن يكون له ضِرام
فان النار بالعُودين تذكى وان الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعرى أأيقاظ أميـــة أم نيام ؟

فكتب اليه الوليد قد أقطعتك خراسان فاعمل لنفسك أودع فانى مشغول عنك بابن سُريج ومعبد والغريض

قال عبدالصمد بن موسى الهاشمى انما أغلى الجوهر بنو أمية ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقود ويغيرها فى اليوم مراراً كما تغير الثياب شغفاً ، فكان يجمعه من كل وجه ويغالي به ، وكان يوْماً فى داره على فرس له وجارية تضرب الطبل قدامه فأخذه منها ووضعه على رقبته ونفر الفرس من صوت الطبل ، فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة وكان خليعاً

لما أظهر الوليد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب وانهمك فى اللذات شتمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله فلما لم ينفع دبروا فى خلعه ، فكلم بشر بن الوليد أخاه العباس بن الوليد فى أن يخلع الوليد بن يزيد فنهاه العباس وقال يابنى مروان أظن ان الله قد أذن فى هلاككم ثم قال

انى أعيذكمُ بالله من فتن مثل الجبال تَسامى ثم تندفع
ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لاتُلحمن ذئاب الناس أنفسكم ان الذئاب اذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكمُ فثَمَّ لا فدية تغنى ولا جزع

فلما استجمع ليزيد بن عبد الملك أمره وهو متبد أقبل الى دمشق ، وبين مكانه الذى كان متبدياً فيه وبين دمشق أربع ليال ، فأقبل الى دمشق متنكراً فى سبعة أنفس على حمر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزَّة ، فقال مولى لعباد بن زياد انى لبجَرود « وبين جرود ودمشق مرحلة » اذ طلع علينا سبعة معتمّين على حمر فنزلوا وفيهم رجل طويل جسيم فرمى بنفسه فنام وألقَوا عليه ثوْباً ، وقالوا لي هل عندك شيء نشتريه من طعام ؟ فقلت أما بيع فلا وعندي من قراكم ما يشبعكم ، فقالوا فعجله ، فذبحت لهم دَجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز وقلت أيقظوا صاحبكم للغداء ، فقالوا هو محموم لايأكل ، فسفَروا للغداء فعرفت بعضهم ، وسفر النائم فاذا هو يزيد بن الوليد فعرفته فلم يكلمني ، ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً فى نفر من أصحابه مشاة الى معاوية بن معاذ وهو بالمزَّة وبينها وبين دمشق ميل فأصابهم مطر شديد فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا يزيد بن الوليد ، فقال له معاوية ادخل أصلحك الله ، قال فى رجلي طين وأكره أن أفسد عليك بساطك ، فقال ما تريد بى أفسد ، فمشى على البساط وجلس على الفراش ، ثم كلم معاوية فبايعه ، وخرج الى دمشق فنزل دار ثابت بن سليمان مستخفياً ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، فخاف عبد الملك فخرج فنزل قنطا واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير ابن عبد الله السلمى ، وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور ، وقيل لعامل دمشق ان يزيد خارج ، فلم يصدق ، وأرسل يزيد الى أصحابه بين المغرب والعشاء فى ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة فكمنوا فى ميضأة عند باب الفراديس ، حتى اذا أذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلّوا ، وللمسجد حرس قد وكلوا باخراج الناس من المسجد بالليل فاذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب

المسجد الأبواب ودخل الدار من باب المقصورة فيدفع المفاتيح الى من يحفظها ويخرج ، فلما صلى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب حتى لم يبق فى المسجد الا الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحرس ، ومضى عنبسة الى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال قم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً ، فلما كنا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة وقالوا نحن رسل الوليد ففتح لهم خادم الباب ودخلوا ، فأخذ الخادم واذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خزان البيت وصاحب البريد ، وأرسل الى كل من كان يحذره فأخذه ، وأرسل من ليلته الى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك والى محمد بن الحجاج فأخذهما ، وبعث أصحابه الى الخشبية فأتوه وقال للبوابين لا تفتحوا الأبواب غدوة الا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا ، فتركوا الأبواب فى السلاسل ، وكان فى المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة فلم يكن الخزان قبضوه فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه ، وأصبحوا وجاء أهل المزة مع حريث بن أبى الجهم فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة

اذا استُنزلوا عنهن للطعن أرقلوا الى الموت ارقال الجمال المصاعب

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون انظروا الى هذا كان قبيل يسبح وهو الآن ينشد الشعر ، وأمر يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فوقف بباب الجابية فنادى ألا من كان له عطاء فله أربعون ديناراً في العطاء ومعونة ألف درهم ، فبايع له الناس وأمر بالعطاء ، وندب يزيد بن الوليد الناس الى قتال الوليد مع عبد العزيز وقال من انتدب معه فله ألفان ، فانتدب ألفا رجل فأعطاهم وقال موعدكم دنية ، فوافى دنية ألف ومائتا رجل فقال ميعادكم مصنعة بالبرية وهى لبنى عبد العزيز بن الوليد

فوافاه ثمانمائة رجل ، فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ، ومع عبد العزيز فرسان منهم منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السلمى والأصبغ بن ذؤالة وشبيب ابن أبى مالك الغسانى وحميد بن نصر اللخمى ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد ، فقال الوليد أخرجوا إلىَّ سريراً ، فأخرجوه فصعد عليه وأتاه خبر العباس بن الوليد انى أجيئك ، وأتى الوليد بفرسين الزابد والسندي وقال أعلي يتواثب الرجال وأنا أثب على الأسـد وأعَض الأفاعى ؟ وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ، ولم يكن بينهم كبير قتال ، فقتل يزيد بن عثمان الخشبي « وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار » وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتى الوليد فأرسل منصور بن جمهور فى جريدة خيل وقال انكم تلقَون العباس بن الوليد ومعه بنوه فى الشِّعب فخذوه ، وخرج منصور في تلك الخيل وتقـدموا الى الشعب واذا العباس ومعه بنوه قد تقدموا أصحابه ، فقال له اعدل الى عبد العزيز ، فشتمهم ، فقال له منصور والله لئن تقدمت لأُنفذن حِضنيك بالرمح ، فقال إنا لله ، فأقبلوا به يسوقونه الى عبد العزيز ، فقال له عبد العزيز بايع ليزيد ، فبايع ووقف ونصب راية وقال هذا العباس قد بايع ونادى منادي عبد العزيز من لحق بعباس فهو آمن ، فقال العباس انا لله خدعة من خدع الشيطان هلك والله بنو مروان ، فتفرق الناس عن الوليد وأتَوا العباس ، وظاهر الوليد فى درعين وقاتلهم ، وقال الوليد من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعة بعدة رؤوس ، فقال اكتبوا أسماءهم ، فقال له رجل من مواليه ليس هذا يا أمير المؤمنين يوْماً يقاتل فيه بالنَّسيئة ، ثم سمعهم يفترون عليه فدخل القصر وأغلق الباب وقال

دعوا لي سليمى والطِّلاء وقَيْنة ... وكأساً ، ألا حسبي بذلك مالا
اذا ماصفا عيش برملة عالج ... وعانقت سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم لاثبت الله ملككم ... ثباتاً يساوى ما حييت عِقالا

وخلوا عِنانى قبل غيرى وماجرى ولا تحسدونى ان أموت هُزالا

وقد أحاط الجند بالقصر فقال لهم الوليد من وراء الباب أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه ؟ فقال يزيد بن عنبسة السَّكسكي كلمني ؟ فقال له الوليد يا أخا السكاسك ما تنقمون مني ؟ ألم أزد فى أعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمت زَمْناكم ودفعت عنكم المؤن ؟ فقال ماننقم عليك فى أنفسنا شيئاً ولكن ننقم عليك انتهاك ماحرم الله وشرب الخمور ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفاف أوامر الله ، قال حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أغرقت نأكثرت وان فيما أحل الله لسَعَة ورجع الى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ فعلوا الى الحائط ، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة ، فنزل وسيف الوليد الى جنبه فقال له يزيد نحّ سيفك ، فقال له الوليد لو أردت السيف لكانت لي ولك حالة غير هذه ، فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولي يزيد بن عبدالملك والسرى بن زياد فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة وضربه السرى بن زياد على وجهه وجروه بين خمسة ليخرجوه ، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه واحتز رأسه أبو علاقة القضاعى وخاط الضربة التى فى وجهه بالعقب وقدم بالرأس على يزيد قدم به روح بن مقبل وقال أبشر ياأمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فاستتم الأمر له ، وقال الأصبغ بن ذُؤالة الكلبي فى قتل الوليد وأخذهم ابنيه

من مبلغٌ قيساً وخِنْدِف كلها وساداتهم من عبدشمس وهاشم
قتلنا أمير المؤمنين بخالد وبعنا ولبى عهده بالدراهم

ولما قتل الوليد قال أيوب السختيانى ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه ، وانما قال ذلك تخوفاً من الفتنة

وروى المدائني أن ابناً للغمر بن يزيد بن عبدالملك دخل على الرشيد فقال من

أنت ؟ قال من قريش ، قال من أيها ؟ فأمسك ، قال قل وأنت آمن ولو أنك مروانى ، قال أنا ابن الغمر بن يزيد ، قال رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتلة عمك جميعاً فانهم قتلوا خليفة مجمعاً عليه ، ارفع الىَّ حوائجك ، فقضاها

وذكر المهدي ليلة الوليد بن يزيد فقال كان ظريفاً أديباً ، فقال له شبيب بن شبة يا أمير المؤمنين ان رأيت ألاَّ تجرى ذكره على سمعك ولسانك فافعل فانه كان زنديقاً ، فقال اسكت فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به ، وروى أن المهدى هو الذى قال أحسبه كان زنديقاً فقام ابن علاثه الفقيه فقال يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل أعظم من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرنى من كان يشهده فى ملاعبه وشربه عنه بمروءة فى طهارته وصلاته ، وحدثنى أنه كان اذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيبة ومصبغة ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة فيصلى فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع فاذا فرغ عاد الى تلك الثياب التى كانت عليه قبل ذلك ثم يعود الى شربه ولهوه ، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهدي صدقت بارك الله عليك يا ابن علاثة

نصيب

هو نُصَيب بن رَبَاح الأموى بالولاء ، مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً فحلاً فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح ولم يكن له حظ فى الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال انه لم ينسب قط إلا بامرأته ، وكان أهل المدينة يدعونه النصيب تفخيما له ويروون شعره ، وكان كبير النفس مقدماً عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم

قال نصيب قلت الشعر وأنا شاب فأعجبنى قولي فجعلت آتى مشيخة بنى

خمرة ومشيخة بني خزاعة فأنشدهم القصيدة من شعرى ثم أنسبها الى بعض شعرائهم الماضين فيقولون أحسن والله هكذا يكون الكلام وهكذا يكون الشعر ، فلما سمعت ذلك منهم علمت أنى محسن فأزمعت الخروج الى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ بمصر

خرج الى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر لأول مرة فأقصى عن بابه فرأى رجلا جاء على بغلة حسن الشارة سهل المدخل يؤذن له اذا جاء فأخبره خبره وأنه شاعر مدح الأمير ، فقال له أنشدنى ، فأنشده فأعجبه شعره ، فقال ويحك أهذا شعرك ؟ فاياك أن تنتحل فان الأمير راوية عالم بالشعر وعنده رواة ، وطلب منه أن يقول أبياتاً يذكر فيها حَوف[1] مصر وفضله على غيره فقال من عنده

سرى الهم تَثْنيني اليك طلائعه ... بمصر وبالخوف اعترتنى روائعه

وبات وسادى ساعد قل لحمه ... عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

وذكر فيها الغيث فقال

وكم دون ذاك العارض البارق الذى ... له اشتقت من وجه أسيل مدامعه

تمشى به أفناء بكر ومَذْحِج ... وأفناء عمرو وهو خِصْب مرابعه

فكل مَسيل من تِهامة طيب ... دَميث الربا تسقى البحارَ دوافعه

أعنّى على برق أريك وميضه ... تضىء دُجُنّات الظلام لوامعه

اذا اكتحلت عينا محب بضوئه ... تجافت به حتى الصباح مضاجعه

هنيئاً لأم البَحْتَرِىّ الرِّوا به ... وان أنهج الحبل الذى أنا قاطعه

ومازلت حتى قلت انى لخالع ... ولائى من مولى نمتني فوارعه

ومانح قوم أنت منهم مودتى ... ومتخذ مولاك مولى فتابعه

فسهل له الاذن ، فدخل على عبد العزيز وأنشده فأعجبه شعره ، ومما أنشده إياه

(١) الحوف بمصر حوفان الشرقى والغربى وهما متصلان أول الشرقى من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط يشتملان على بلدان وقرى كثيرة وحوف رمسيس موضع آخر بمصر

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غامرة
فبابك ألين أبوابهم ودارك مأهولة عامرة
وكلبك آنسُ بالمعتفين من الأُم بالابنة الزائرة
وكفك حين ترى السائلين أندَى من الليلة الماطرة
فمنك العطاء ومنا الثناء بكل محيَّرة سائرة

فأعطاه ألف دينار فرجع الى مواليه واشترى منهم نفسه وأمه وأخته ثم اشترى ابن خالة له اسمه سحيم فأعتقه ، ثم مرَّ به يوماً وهو يزفن ويزمر مع السودان فأنكر ذلك عليه وزجره ، فقال له ان كنت أعتقتني لأكون كما تريد فهذا والله مالا يكون أبداً وان كنت أعتقتني لتصل رحمي وتقضي حقي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أريده أزفن وأزمر وأصنع ماشئت ، فانصرف نصيب وهو يقول

انى أرانى لسحيم قائلا ان سحيما لم يُنبني طائلا
نسيت إعمالي لك الرواحلا وضربي الأبواب فيك سائلا
عند الملوك أستثيب النائلا حتى اذا أنست عتقاً عاجلا
وليتني منك القفا والكاهلا أخلُقاً شَكْساً ولوناً حائلا

ومما مدح به سليمان بن عبد الملك

أقول لركب صادرين لقيتهم قفَا ذاتِ أوْشال ومولاك قارب
قِفُوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه من أهل وَدَّان طالب
فعاجوا فأثنَوْا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
فقالوا عهدناه وكل عشية بأبوابه من طالب العرف راكب
هو البدر والناس الكواكب حوله ولا تشبه البدرَ المضيء الكواكب

وكان اذا قدم على هشام بن عبد الملك أخلى له مجلسه واستنشده مراثي بني أمية فاذا أنشده بكى وبكى معه ، وأنشده يوماً قصيدة له مدحه بها منها

اذا استبق الناس العلا سبقتهمُ يمينك عفواً ثم صلَّت شمالها

فقال له هشام يا أسود بلغت غاية المدح فسلنى ، فقال يدك بالعطية أجود وأبسط من لسانى بمسألتك ، فقال هذا والله أحسن من الشعر ، وحباه وكساه وأحسن جائزته

دخل نصيب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أمير المدينة وهو جالس بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، فقال له أيها الأمير ائذن لي أن أنشدك من مراثى عبد العزيز فقال لا تفعل فتحزنى ولكن انشدنى قولك « قفا أخوى » فان شيطانك كان لك فيها ناصحاً حتى لقنك إياها ، فأنشده

قفا أخويَّ ان الدار ليست كما كانت بعهدكما تكون
ليالي تعلمان وآل ليلى قَطِين الدار فاحتمل القَطين
فعوجا فانظرا أتُبين عما سألناها به أم لا تُبين
فظلا واقفين وظل دمعى على خدى تجود به الجفون
فلولا أن رأيت اليأس منها بدا ان كدت ترشقك العيون
فرحت فلم يلمك الناس فيها ولم تَغْلَق كما غَلِق الرهين

وكان بمَلَل امرأة ينزل الناس بها فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الملك بن زَمْعَة وعمران بن عبد الله بن مُطيع ونُصَيب ، فلما رحلوا وهب لها القرشيان ولم يكن مع نصيب شيء ، فقال لها اختاري ان شئت أن أضمن لك مثل ما أعطياك اذا قدمت وان شئت قلت فيك أبياتاً تنفعك ، قالت بل الشعر أحب إليَّ ، فقال

ألا حى قبل البين أمّ حبيب وان لم تكن منا غداً بقريب
لئن لم يكن حبِّيك حباً صدقته فما أحد عندى اذا بحبيب
سهام أصابت قلبه مَلَليَّة غريب الهوى يا ويح كل غريب

فشهرها بذلك فأصابت بقوله فيها خيراً

ومن قوله

ألا ياعُقاب الوكر وكر ضَرِيَّة[1] سقتك الغوادى من عُقاب ومن وكْر
تمر الليالي ما مررن ولا أرى مرور الليالى مُنْسياتى ابنة العمْر
تقول صلينا واهجرينا وقد ترى اذا هجرت ألاَّ وصال مع الهجر
فلم أرض ماقالت ولم أبد سُخطة وضاق بما جمجمت من حبها صدري
وقفت بذى دَوْران[2] أنشد ناقتى ومالي لديها من قَلوص ولا بَكْر
وما أنشد الرُّعيان إلا تَعِلَّة بواضحة الأنياب طيبة النَّشْر
أما والذى حج الملبُّون بيته وعظم أيام المناسك والنحر
لقد زادنى للجفر[3] حباً وأهله ليالٍ أقامتهن ليلي على الجفر
فهل يؤمنِّى الله انى ذكرتها وعللت أصحابى بها ليلة النَّفْر
وسكَّنت مابى من سآمٍ ومن كَرَى وما بالمطايا من جنوح ولا فَتْر

ومن قوله في عبد العزيز بن مروان

يقول فيحسن القول ابن ليلى ويفعل فوق أحسن ما يقول
فتى لا يَرْزأ الخلان إلا مودتهم ويرزؤه الخليل
فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النِّيل الذى فى مصر نيل

قال قائل لنصيب أيها العبد مالك وللشعر ؟ فقال أما قولك عبد فما ولدت إلا وأنا حر ولكن أهلى ظلمونى فباعونى وأما السواد فأنا الذى أقول

وان أك حالكا لونى فانى بعقل غير ذى سقط وعاء
وما نزلت بى الحاجات إلا وفي عرضي من الطمع الحياء

(١) قرية عامرة قديمة على وجه الدهر فى طريق مكة من البصرة ونجد (٢) موضع بين قديد والجحفة (٣) موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة

وقف نصيب على أبيات فاستسقى ماء ، فخرجت اليه جارية بلبن أوماء فسقته وقالت تشبب بى ، فقال وما اسمك ؟ فقالت هند ، ونظر الى جبل وقال وما اسم هذا العلم ؟ قالت قبا فأنشأ يقول

أحب قُبا من أجل هندولم أكن ... أبالى أقرباً زاده الله أم بعدا
ألا إن بالقيعان من بطن ذى قُبا ... لنا حاجةً مالت اليه بنا عمدا
أرُونى قُبا أنظر اليه فاننى ... أحب قبا انى رأيت به هندا

فشاعت هذه الأبيات وخطبت الجارية من أهلها وأصابت خيراً بقول نصيب فيها

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فقال له حدثنى يانصيب ببعض ما مر عليك ، فقال نعم يا أمير المؤمنين علقت جارية حمراء فمكثت عندها زماناً تمنينى بالأباطيل ، فلما ألححت عليها قالت اليك عنى فوالله لكأنك من طوارق الليل ، فقلت لها فأنت والله لكأنك من طوارق النهار ، فقالت ما أظرفك يا أسود ، فغاظنى قولها فقلت لها هل تدرين الظرف ؟ الظرف العقل ، ثم قالت انصرف حتى أنظر في أمرك ، فأرسلت لها هذه الأبيات

فان أك حالكاً فالمسك أحوى ... وما لسواد جلدى من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناء ... كبعد الأرض من جَوّ السماء
ومثلى فى رجالكمُ قليل ... ومثلك ليس يُعْدَم فى النساء
فان ترضَىْ فردّى قول راض ... وان تأبَىْ فنحن على السواء

فلما قرأت الشعر قالت المال والشعر يأتيان على غيرهما فتزوجتنى

وأنشد له الأصمعى ، وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول قاتل الله نصيباً ما أشعره

فان يك من لونى السواد فانه ... لكالمسك لايروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابى سوادى وتحتها ... لباس من العلياء بيض بَائقه

ولا خير فى ود امرىء متكاره عليك ولا فى صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثل ما بذلت له فاعلم بأنى مفارقه

أبطأت جائزة النصيب مرة عند عبد العزيز فقال

وان وراء ظهرى يا ابن ليلى أناساً ينظرون متى أؤوب
أمامة منهمُ ولما أقيها غداة البين فى أثرى غروب
تركت بلادها ونأيت عنها فأشبه ما رأيت بها السلوب
فأتبع بعضنا بعضاً فلسنا نثيبك لكنِ الله المثيب

فعجل جائزته وسرحه

ومن قوله

أراكِ طموح العين ميالة الهوى لهذا وهذا منك ود ملاطف
فان تحملى ردفين لا أك منهما فحبي فرد لست ممن يرادف

مدح نصيب عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس فأمر له بعشر قلائص وكتب بها الى رجلين من الأنصار واعتذر اليه وقال له والله ما أملك إلا رزقى وانى لأكره أن أبسط يدى في أموال هؤلاء القوم ، فخرج حتى أتى الأنصاريين فأعطاهما الكتاب مختوماً وقرآه وقالا قد أمر لك بثمانى قلائص ، ودفعا ذلك اليه ، ثم عزل ابن الضحاك وولى مكة رجل من بنى نصر من هوازن فأمر بأن يتبع ما أعطى ابن الضحاك ويرتجع ، فوجد باسم نصيب عشر قلائص ، فأمر بمطالبته بها ، فقال والله مادفع الىَّ إلا ثمانى قلائص ، فقال والله ماتخرج من الدار حتى تؤدى عشر قلائص أو أثمانها ، فلم يخرج حتى قبض ذلك منه ، فلما قدم على هشام سمَر عنده ليلة وتذاكروا النصرى فأنشده قوله فيه

أفى قلائص جُرْب كن فى عمل أُرْدَى وتنزع من أحشائى الكبد
ثمانياً كن فى أهلى وعندهمُ عشر فأى كتاب بعدنا وجدوا

أخانني أخوا الأنصار فانتقصا منها فعندهما النقد الذى نقدوا
وان عاملك النصرى كلفني فى غير نائرة ديناً له صفد
أذنب غيرى ولم أذنب يكلفنى أم كيف أفتل لاعقل ولا قود

فقال هشام لاجرم لايعمل لى النصرى عملاً أبداً ، فكتب بعزله عن المدينة

قال عبد الملك لنصيب أنشدنى ، فأنشده قصيدته التى يقول فيها

ومضمر الكشح يطويه الضجيع به طى الحمائل لاجاف ولا فقر
وذى روادف لايلفى الإزار بها يُلْوَى ولو كان سبعاً حين يأتزر

فقال له يانصيب من هذه ؟ قال بنت عم لي نوبية لو رأيتها ما شربت من يدها الماء ، فقال لو غير هذا قلت لضربت الذى فيه عينيك

كان نصيب يكنى أبا الحجناء فهجاه شاعر من أهل الحجاز فقال

رأيت أبا الحجناء في الناس حائراً ولون أبى الحجناء لون البهائم
تراه على ما لاحه من سواده وان كان مظلوماً له وجه ظالم

فقيل لنصيب ألا تجيبه ؟ فقال لا ولو كنت هاجياً لأحد لأجبته ولكن الله أوصلنى بهذا الشعر الى خير فجعلت على نفسى ألا أقوله في شر وما وصفنى الا بالسواد وقد صدق أفلا أنشدكم ما وصفت به نفسى ؟ قالوا بلى فأنشدهم قوله

ليس السواد بناقصى مادام لي هذا اللسان الى فؤاد ثابت
من كان ترفعه منابت أهله فبيوت أشعارى جُعلن منابتى
كم بين أسودَ ناطق ببيانه ماضى الجنان وبين أبيض صامت
انى ليحسدنى الرفيع بناؤه فضلَ البيان وليس بى من شامت

أنشد نصيب جريراً شيئاً من شعره فقال له كيف ترى يا أبا حزرة ؟ فقال له أنت أشعر أهل جلدتك ، وقال نصيب دخلت على عبد العزيز بن مروان فقال لي أنت أشعر أهل جلدتك والله مازاد عليها ، فقال له عبد الرحمن يا أبا محجن أفرضيت

منه أن جعلك أشعر السودان فقط ؟ فقال له ودِدْت والله يا ابن أخى أن أعطانى أكثر من هذا ولكنه لم يفعل ولست بكاذبك

قال محمد بن عبد ربه دخلت مسجد الكوفة فرأيت رجلاً لم أر قط مثله ولا أشد سواداً منه ولاأنقى ثياباً منه ولا أحسن زيًا ، فسألت عنه فقيل هذانصيب ، فدنوت منه فحدثته ثم قلت له أخبرنى عنك وعن أصحابك فقال ، جميل امامنا ، وعمر بن أبى ربيعة أوصفنا لربّات الحجال ، وكثير أبكانا على الدِّمن وأمدحنا للملوك ، وأما أنا فقد قلت ما سمعت ، فقلت له ان الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، فضحك ثم قال أفتراهم يقولون انى لا أحسن أن أمدح ؟ فقلت لا ، فقال أفما ترانى أحسن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ؟ قال قلت بلى ، قال فانى رأيت الناس رجلين ، اما رجل لم أسأله شيئاً فلا ينبغى أن أهجوه فأظلمه ، أو رجل سألته فمنعنى فنفسى كانت أحق بالهجاء اذ سولت لى أن أسأله وأن أطلب ما لديه

خرج نصيب هو وكثير والأحوص غِبّ يوم أمطرت فيه السماء فقال هل لكم أن نركب جميعاً فنسير حتى نأتى العَقيق فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم ،فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا حتى أتَوا العقيق فجعلوا يتصفحون ويرَوْن بعض مايشتهون حتى رفع لهم سواد عظيم فأمُّوه حتى أتَوْه فاذا وصائف ورجال من الموالى ونساء برَزات فسألنهم فاستحيَوْا أن يجيبوهن من أول وَهلة ، فقالوا لا نستطيع أو نمضى فى حاجة لنا ، فحلفنهم أن يرجعوا اليهن ، ففعلوا وأتوهن فسألنهم النزول، فنزلوا ، ودخلت امرأة من النساء فاستأذنت لهم فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت ادخلوا ، فدخلوا على امرأة برزَت على فرش لها فرحبت وحيَّت ، واذا كراسى موضوعة فجلسنا جميعاً فى صف واحد كل انسان على كرسى ، فقالت ان أحببتم أن ندعو بصبى لنا

فنصيِّحه ونَعْرُك أذنه فعلنا وان شئتم بدأنا بالغَداء ، فقلنا بل تدعين بالصبى ولن يفوتنا الغـداء ، فأومأت بيدها الى بعض الخدم فلم يكن الا كلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سترت عليها بمُطْرَف فأمسكوه عليها حتي ذهب بُهْرها ثم كشف عنها واذا جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتها فرحبت بهم وحيتهم ، فقالت لها مولاتها خذى ويحك من قول النصيب عافى الله أبا محجن

ألا هل من البين المفرق من بُدّ وهل مثل أيامى بمنقطع السـعد
تمنيت أيامى أولئك والمـنى على عهد عاد ما تُعيد وما تُبدى

فجاءت به أحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت ثم قالت لها خذي أيضاً من قول أبى محجن عافى الله أبا محجن

أرِق المحب وعاده سُهُده لطوارق الهمّ التى ترده
وذكرت من رقت له كبدى وأبى فليس ترق لي كبده
لا قومه قومى ولا بلدى فتكون حيناً جيرة بلده
ووجَدت وجداً لم يكن أحد من أجله بصبابة يَجِده
ألا ابن عجلان الذى تبَلت هند فقات بنفسـه كمده

فجاءت به أحسن من الأول فكدت أطير سروراً ثم قالت لها ويحك خذي من قول أبى محجن عافى الله أبا محجن

فيا لك من ليل تمتعت طوله وهل طائف من نائم متمتع
نعم ان ذا شَجْو متى يلق شجوه ولو نائماً مستعتِب أو مودِّع
له حاجة قد طالما قد أسرها من الناس فى صدر بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها يكون لها يوماً من الدهر منزع
وقد قُرعت فى أمّ عمرو لي العصا قديماً كما كانت لذي الحلم تُقْرع

فجاءنى والله شيء حيرنى وأذهلني طرباً لحسن الغناء وسروراً باختيارها هذا الغناء في شعري وماسمعت فيه من حسن الصنعة وجودتها واحكامها ، ثم قالت لها خذي أيضاً من قول أبى محجن عافى الله أبا محجن

يأيها الركب انى غير تابعكم حتى تُلموا وأنتم بى ملمُّونا
فما أرى مثلكم ركباً كشكلكمُ يدعوهمُ ذو هوى ألاَّ يعوجونا
أم خبرونى عن داء بعلمكم وأعلم الناس بالداء الأطبونا

فقال نُصَيب فوالله لقد زهوت بما سمعت زَهْوًا خيل إليَّ أنى من قريش وأن الخلافة لي ، ثم قالت حسبك يابنية هات الطعام ياغلام ، فوثب الأحوص وكثير وقالا والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجلس فقد أسأت عشرتنا واستخففت بنا وقدمتِ شعر هذا الأسود على أشعارنا وأسمعت الغناء فيه وان فى أشعارنا لما يفضل شعره وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا ، فقالت على معرفة كل ما كان مني فأي شعركما أفضل من شعره ؟ أقولك يا أحوص ؟

يقَر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء مابه العين قرت

أمْ قولك يا كثير ؟

وما حسبت ضمرية جـــدوية سوى التيس ذى القرنين أن لها بعلا

فخرجا مغضَبين واحتبستني ، فتغديت عندها وأمرتْ لي بثلاثمائة دينار وحلتين وطيب ، ثم دفعت إليَّ مائتي دينار وقالت ادفعها الى صاحبيك فان قبلاها والا فهى لك ، فأتيتهما فأخبرتهما القصة فأما الأحوص فقبلها وأما كثير فلم يقبلها وقال لعن الله صاحبتك ولعنك معها فأخذتها وانصرفت ، فسئل نصيب ممن المرأة ؟ فقال من بنى أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد

وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان إياها ، فخرج هارباً منه فنزل بقرية من الصعيد يقال لها سُكَر ، فقدم عليه حين نزولها رسول لعبد الملك ،

فقال له عبد العزيز ما اسمك ؟ فقال طالب بن مدرك ، فقال أوه ما أرانى راجعاً الى الفُسطاط أبداً ومات فى تلك القرية ، فقال نصيب يرثيه

أُصبت يوْم الصعيد من سُكَرَ مصيبة ليس لي بها قِبَل
تالله أنسى مصيبتي أبداً ما أسمعتني حنينها الابل
ولا التبكى عليـــه أعوله كل المصيباب بعده جَلَل
لم يعلم النعْش ما عليه من الـــعُرْف ولا الحاملون ما حملوا
حتى أجنّوه فى ضريحهمُ حتى انتهى من خليلك الأمل

دخل نصيب على عبد الملك فقال له أنشدنى بعض ما رثيت به أخي ، فقال

عرفت وجربت الأمور فما أرى كماض تـــلاه الغابر المتأخر
ولكن أهل الفضل من أهل نعمتى يمرون أُســـلافاً أمامى وأغبُر
فان أبكه أُعذر وان أغلب الأسى بصبر فمثلي عند ما اشتد يصبر
وكانت ركابى كلما شئت تنتحى جِماحاً فتقضى نَحْبها وهى تضمر
ترى الورد يشرى والثناء غنيمة لديك وتثنى بالرضا حين تصدُر
فقد عَرِيت بعد ابن ليلى فانما ذراها لمن لاقت من الناس منظر
ولو كان حياً لم يزل بدفوفها مراد لغربان الطريق ومنقر
فان كن قد نلن ابن ليلى فانه هو المصطفى من أهله المتخير

فلما سمع عبد الملك قوله « فان أبكه أعذر » قال ويلك أنا كنت أحق بهذه الصفة فى أخى معك فهلا وصفتنى بها وجعل يبكى

قال عبد الله بن اسحاق البصرى لو وليت العراق لاستكتبت نصيباً لفصاحته وحسن تخلصه الى جيد الكلام كقوله

فلا النفس مَلَّتها ولا العين تنتهى اليها سوى فى الطرف عنها فترجع
رأتها فما ترتدُّ عنها سآمة ترى بدلاً منها به النفس تقنع

قال نُصَيب لأُمّ بكر الخزاعية

ألا ليت شعري ما الذى تَجِدِين بى غدا غربة النأى المفرق والبعد
لدى أُمّ بكر حين تغترب النوى بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدى
أتصرمني عند الذين همُ العدى فتُشْمِتَهم بى أم تدوم على العهدِ

فصاحت بل والله أدوم على العهد ، وكان نصيب ربما قدم من الشام فيطرح فى حجر أُمّ بكر أربعمائة دينار وان عبد الملك بن مروان ظهر على تعلقه بها وتشبيبه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كف

قال حفص الثقفى رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس مجلسنا وعليه قميص قُوهى ورداء حِبَرَة فجعل ينشدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال ان الوادى مَسبَعَة فمن أهل المجلس ؟ قالوا ثقيف ، فعرف أنا نُبغض ابن هشام ويبغضنا ، فقال انا لله أبعد ابن ليلى أمتدح ابن جَيْدَاء ، فقال له أهل المجلس يا أبا محجن أتطلب القريض أحياناً فيعسر عليك ؟ قال إىْ والله لربما فعلت فآمر براحلتى فيشد بها رحلى ، ثم أسير فى الشعاب الخالية وأقف فى الرِّباع المَقْوِية فيُطرِبنى ذلك ويفتح لي الشعر والله انى على ذلك ما قلت بيتاً قط تستحيي الفتاة الحَيِية من إنشاده فى ستر أبيها

قال ابن أبى عتيق لنصيب انى خارج أفترسل الى سعدى بشىء ؟ قال نعم ببيتى شعر ، قال فقل ، فقال

أتصبر عن سُعدى وأنت صبور وأنت بحسن الصبر منك جدير
وكدت ولم أُخلق من الطير ان بدا سَنا بارق نحو الحجاز أطير

فأنشد ابن أبى عتيق سعدى البيتين ، فتنفست تنفسة شديدة ، فقال ابن أبى عتيق أوه أجبته والله بأجود من شعره ولو سمعك خليلك انَعق وطار اليك

استبطأ هشام بن عبد الملك حين ولى الخلافة نصيباً ألاَّ يكون جاءه وافداً عليه مادحاً له ووجد عليه وكان نصيب مريضاً فبلغه ذلك حين بَرَأ ، فقدم عليه وعليه أثر المرض وعلى راحلته أثر النَّصَب ، فانشده

حلفت بمن حجت قريش لبيته وأهدت له بُدْناً عليها القلائد
لئن كنت طالت غيبتى عنك اننى بمَبْلَغ حولي فى رضاك لجاهد
ولكننى قد طال سقمى وأكثرت عليَّ العهادَ المشفقات العوائد
صريع فراش لا يزلن يقُلن لي بنصح واشفاق متى أنت قاعد ؟
فلما زجرت العِيسَ أسْرت بحاجتى اليك وذلت للسان القصائد
وانى فلا تستبطنى بمودتى ونصحى واشفاقى لديك لعامد
فلا تُقْصِنى حتى أكون بصَرْعة فييأس ذو قربى ويَشْمَت حاسد
أنلنـــي وقربني فانك بالغ رضاى بعفو من نداك وزائد
أبِتْ نائماً أما فؤادى فهمه قليل وأما مس جلدى فبارد
وقد كان لي فيكم اذا ما لقيتكم لِيَان ومعروف وللخير قائد
اليك رحلت العِيس حتى كأنها قِسِيّ السرى ذَبْلَى بَرَتْها الطرائد
وحتى هواديها دقاق وشكوها صَريف وباقى النَّقْى منها صرائد
وحتى ونت ذات المراح فأذعنت اليك وكل الراسيات الحوافد

فرق له هشام وبكى وقال ويحك يا نصيب لقد أضررنا بك وبرواحلك ووصله وأحسن صلته واحتفل به

دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال له وطال الحديث بينهما هل عشقت قطّ ؟ قال نعم أمة لبني مُدْلج، قال فكنت تصنع ماذا ؟ قال كانوا يحرسونها مني فكنت أقنع أن أراها فى الطريق وأشير اليها بعيني أو حاجبي وفيها أقول

وقفت لها كيما تمر لعلـــني أُخالسها التسليم ان لم تسلم
ولما رأتنى والوشاة تحدرت مدامعها خوفاً ولم تتكلم
مساكين أهل العشق ما كنت أشترى جميع حياة العاشـــقين بدرهم

فقال له عبد العزيز ويحك فما فعلت ؟ قال بيعت ، قال فهل فى نفسك شىء منها ؟ قال نعم عقابيل[1] أحزان

قدم نصيب على عبد الواحد النصرى وهو أمير المدينة بفرض من أمير المؤمنين يضعه في قومه من بنى ضمرة ، فأدخلهم عليه ليفرض لهم وفيهم أربعة غِلْمة لم يحتلموا ، فردهم النصرى ، فكلمه نصيب كلاماً غليظاً ادلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار اليه ابراهيم بن عبد الله بن مطيع أن اسكت وكُفّ واخرج فانى كافيك ، فلما خرج لقيه نصيب فقال له أشرت إلىّ فكرهت أن أغضبك فما كرهت لي من مراجعته والصلابة له ومن ورائى المستعتَب من أمير المؤمنين ؟ قال ابراهيم هو رجل عربى حديد غَلِق وخشيت ان جاذبته شيئاً ألاّ يرجع عنه وأن يمضى عليه ويلجَ فيه وهو مالك للأمر وله فيه سلطان ، فأردت أن تخرج قبل أن يلجّ ويظهر منه ما لا يرجع عنه فيمضى عليه ويلج فيه فتنتظر فيفكر لتصادف منه طيب نفس ونرفِدك عنده فقال نصيب

يومان يوم لرُزَيق فَسْل ويومه الآخر سَمْح فضل

أنا جعلت فداك فاعل ذلك فاذا رأيت القول فأشر حتى أكلمه ودخل اليه نصيب عشيات ، كل ذلك يشير اليه ابن مطيع ألاّ يكلمه حتى صادف عشية من العشيات منه طيب نفس فأشار اليه أن كلمه ، فكلمه نصيب فأصاب مَخْتِله وكلامه ثم قال انى قد قلت شعراً فاسمعه أيها الأمير وأجزه ، ثم قال

أهاج البكا ربع بأسفل ذى السدر عفاه اختلاف العصر بعدك والقطر
نعم فثنانى الوجد فاشتقت للذى ذكرت وليس الشوق الا مع الذكر
حلفت برب الموضعين لربهم وحرمة ما بين المقام الى الحِجْر
لئن حاجتى يوماً قضيت ورِشْتنى بنفحة عرف من يديك أبا بشر

(١) العقابيل بقايا العشق

إذاً تعرفَنَّ الدهر منى مودة ونصحاً على نصح وشكراً على شكر
سقى الله صَوْب المزن أرضاً عمرتها بريّ فأسقاها بلاد بنى نصر
بوجهك فاستعملت ما دمت خائفاً لربك تقضى راشداً آخر الدهر
لتنقذ أصحابى وتستر عورة بدت لك من صحبي فانك ذو ستر
فما بأمير المؤمنين الى التى سألت فأعطانى لقومى من فقر
وقد خرجت منه اليك فلا تكن بموضع بيضات الأنوق من الوَكْر

فقال عثمان بن حيّان المرّى وهو عنده وكان قد جاءه بالقَوَد من ابن حزم : قد احتلم القوم أيها الأمير واستوجبوا الفرض ورفده ابن مطيع فأحسن واشتد عليه أن شركه ابن حيان فى رفده وتشييعه ، وقال النصرى لابن مطيع وابن حيان صدقتما قد احتلموا واستوجبوا الفرض ، افرض لهم يافلان « لكاتب من كتابه » ففرض لهم

أجدبت ابل لنصيب وحالت وكان لرجل من أسلم عليه ثمانية آلاف درهم فوفد على عبد العزيز بن مروان فقال له جعلنى الله فداءك انى حملت دينها فى ابل ابتعتها مجديات حيال وقد قلت فيها شعراً ، قال أنشد ، فأنشده

فلما حملت الدين فيها وأصبحت حيالاً مُسنات الهوى كدت أندم
على حين أن راث الربيع ولم يكن لها بصعيد من تِهامة مقْفَم
ثمانية للأسلمى وما دنا لفحش ولا تدنو الى الفحش أسلم

فقال له عبد العزيز فما دينك ويحك ؟ قال ثمانية آلاف درهم ، فلما رجع أنشد الأسلمى الشعر فترك له ما عليه وقال الثمانية الآلاف لك

أتى نصيب مكة فأتى المسجد الحرام ليلا ، فبينما هو كذلك اذ طلع ثلاث نسوة فجلسن قريباً منه وجعلن يتحدثن ويتذاكرن الشعر والشعراء واذا هن من أفصح النساء وأدبهن ، فقالت إحداهن قاتل الله جميلاً حيث يقول

وبين الصفا والمروتين ذكرتكم بمختلف ما بين ساع وموجف
وعند طوافى قد ذكرتك ذكرة هى الموت بل كادت عن الموت تضعف

فقالت الأخرى بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول

طلعن علينا بين مروة والصفا يمُرْن على البطحاء مَوْر السحائب
فكدن لعمر الله يحدثن فتنة لمختشع من خشية الله تائب

فقالت الأخرى قاتل الله ابن الفاعلة نصيباً حيث يقول

ألام على ليلى ولو أستطيعها وحرمة ما بين البَنِيَّة والستر
لملت على ليلى بنفسى ميلة ولوكان فى يوْم التحالق والنحر

فقام نصيب اليهن فسلم عليهن فردون عليه السلام ، فقال لهن انى رأيتكن تتحادثن شيئاً عندى منه علم ، فقلن ومن أنت ؟ فقال اسمعن أولا ، فقلن هات ، فأنشدهن قصيدته التى أولها

ويوم ذى سَلَم شاقتك نائحة ورقاء فى فَنَن والريح تضطرب

فقلن له نسألك بالله وبحق هذه البَنِيَّة من أنت ؟ فقال أنا ابن المظلومة المقذوفة بغير جرم ، نصيب ، فقمن اليه فسلمن عليه ورحبن به واعتذرت اليه القائلة وقالت والله ما أردت سوءاً وانما حملنى الاستحسان لقولك على ما سمعت ، فضحك وجلس اليهن فحادثهن الى أن انصرفن

ومن شعره من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان

أمعارف الدِّمن القفار توهم ولقد مضى حول لهن مُجَرَّم
ولقد وقفت على الديار لعلها بجواب رَجْع تحيـــة تتكلم
عن علم ما فعل الخليط فما درت أنَّى توجه بالخليط الموسم
ولقد عهدت بها سعاد وانها بالله جاهـــدة اليمين لتقسم
انى لأوجه من تكلم عندها بأَلِيَّة ومخالف من يزعم
فلها لدينا بالذى بذلت لنـــا ود يطول له العَناء ويعظم

قال أبو النجم أتيت الحكم بن المطلب فمدحته وخرج الى السقاية فخرجنا معه ومعه عدة من الشعراء ، فبينا هو فى موضع أضحي به يوماً واقفاً اذا براكب يوضع فى السَّراب واذا هو نصيب ، فتقدم اليه فمدحه فأمر بانزاله ، فمكث أياماً حتى أتاه فقال انى خلفت صبية صغاراً وعيالاً ضعافاً ، فقال ادخل الحظيرة فخذ منها سبعين فريضة ، فقال له جعلني الله فداك قد أحسنت ومعي ابن أخ لي أخاف أن يثلمها علىَّ ، قال ادخل فخذ له سبعين فريضة أخرى ، فانصرف بمائة وأربعين فريضة

قيل لنصيب قد هَرِم شعرك ، قال لا والله ماهرم ولكن العطاء هرم ومن يعطينى مثل ما أعطانى الحكم بن عبد المطلب ؟ خرجت وهو ساع على بعض صدقات المدينة فلما رأيته قلت

أبا مروان لستَ بخارجى ... وليس قديم مجدك بانتحال
أغرّ اذا الرّواق انجاب عنه ... بدا مثل الهلال على المثال
ترا آه العيون كما تراءى ... عشية فطرها وضح الهلال

فأعطانى أربعمائة ضائنة ومائة لِقحة وقال ارفع فراشى فرفعته فأخذت من تحته مائتى دينار

قال سعيد بن بشر الخارجي انى لمع أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة فى حواء له اذ جاء كثير ، فحياه ، فاحتفى به ودعا بالغداء فشرعنا فيه وشرع معنا كثير ، وجاء رجل فسلم ، فرددنا عليه السلام واستدنيناه فاذا هو نصيب فى بِزّة جميلة قد وافى الحج قادماً من الشام ، فأكب على أبى عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه الى الغداء فأكل مع القوم ، فرفع كثير يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عبيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى ، فتركوه ، وأقبل كثير على نصيب وقال والله يا أبا محجن ان أثر أهل الشام عليك لجميل ، لقد رجعت هذه الكرة ظاهر الكبر قليل الحياء

فقال له نصيب لكن أثر الحجاز عليك أبا صخر غير جميل وانك لزائد النقص كثير الحماقة ، فقال كثير أنا والله أشعر العرب حيث أقول لمولاتك

اذا أمسيت بطن صحاح دونى وعَمْق دون عزَّة فالبقيع
فليس بلائمى أحد يصلى اذا أخذت مجاريها الدموع

فقال نصيب أنا والله أشعر منك حيث أقول لابنة عمك

خليلى ان حلت كليبة بالرُّبا فذى أَمَج فالشِّعب ذى الماء والحَمْض
فأصبح من حَوْران رحلى بمنزل يبعده من دونها نازح الأَرض
وأيأستما أن يجمع الدهر بيننا نخوضا بى السم المضرج بالمحض
ففى ذاك من بعض الأمور سلامة وللموت خير من حياة على غمض

فاقتحم اليه كثير وثبت له نصيب ، فلما نالته رجلاه رمحه نصيب بساقه رَمْحة طاح منها بعيداً عنه فما زال راقداً حتى أيقظناه عشياً لرمى الجمار

قال أنيس بن ربيعة الأسلمى غدوت يوماً الى أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة ومعه محمد بالرحبة فألفيت عنده جماعة منا ومن غيرنا ، فأتاه آت فقال ذاك النصيب بالفَرْش منذ ثلاث متململ مقلد وكأنه واله فى اثر قوم ظاعنين ، فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه ، فاذا نصيب على المنحر من صفَر ، فلما عاينا وعرف أباعبيدة هبط ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه تبع قوماً سائرين وأنه وجد آثارهم ومحالهم بالفَرْش فاستوهله ذلك ، فضحك به أبو عبيدة والقوم وقالوا له انما يُهْتَر اذا عشق من انتسب عُذْرياً فأما أنت فمالك ولهذا ؟ فاستحيا وسكن ، وسأله أبو عبيدة هل قلت فى مقامك شعراً ؟ قال نعم وأنشد

لعمرى لئن أمسيت بالفَرْش مُقصَداً وبَرَّح بى وَهْج بقلبى أو صفر
وهمت شؤنى واستهلت مدامعى لربع قديم العهد ينتكف الأثر (١)

(١) انتكف أثره اعترضه فى مكان سهل

دعا أهله بالشام برق فأوجفوا ولم أر متبوعاً أضر من المطر
لتستبدلن قوماً وعينا سواهما وإلا أتى قصداً حُشاشتك القدر
خليلي فيما عشتما أو رأيتما هل اشتاق مضرور الى من به أضر
نعم ربما كان الشقاء متيحاً يغطى على عقل ابن آدم والبصر

فانصرف به الى منزله وأطعمه وكساه وحمله وانصرف وهو يقول

أصاب دواء علتك الطبيب وخاض لك السلوان الربيب
وأبصر من رُقاك منفثات وداؤك كان أعرف بالطبيب

دخل نصيب على يزيد بن عبد الملك فأنشده قصيدة امتدحه بها فطرب لها يزيد واستحسنها وقال أحسنت يانصيب سلنى ماشئت ، فقال يدك ياأمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لسانى بالمسألة ، فأمر به فملىء فمه جوهراً ، فلم يزل به غنياً حتى مات

دخل على ابراهيم بن هشام وهو وال على المدينة فأنشده قوله

يا ابن الهشامين لا بيتٌ كبيتكم اذا تسامت الى أحسابها مُضَر

فقال ابراهيم قم الى تلك الراحلة المرحولة فخذها برحلها ، فقام اليها نصيب متباطئاً والناس يقولون مارأينا عطية أهنأ من هذه ولا أكرم ولا أعجل ولا أجزل ، فسمعهم نصيب فأقبل عليهم وقال والله انكم قلما صاحبتم الكرام وماراحلة ورحل حتى ترفعوهما فوق قدرهما ؟

وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان بمصر فوقف على الباب فاستأذن ، فلم يؤذن له ، فأرسل اليه حاجبه قيساً فقال استنشده فان كان شعره رديئاً فارده وان كان جيداً فأدخله ، فقال نصيب ان هذا لكلام رجل ذهن ، فأدخله ، فلما واجهه أنشده قصيدته التى أولها

ألا أيها الريع المقيم بعُنْبُب سقتك الغوادى من مُراح ومعْزب
بذى هَيْدَب أما الرُّبى تحت وَدْقه فتُروى وأما كل واد فيَزْعَب[1]

(١) زعب الوادى تملأ

يقول فيها

ألا هل أتى الصقر ابن مروان أننى ... أُرد لدي الأبواب عنه وأحجب

وأنى ثويت اليوم والأمس قبله ... على الباب حتى كادت الشمس تغرب

وأنى اذا رمت الدخول تردنى ... مهابة قيس والرِّتاج المضبَّب

ومنهـا

وأهلى بأرض نازحون وما لهم ... بهـا كاسب غيرى ولا متقلب

فهـل تُلحقنِّيهم بعبل مواشك ... على الأين من نُجب ابن مروان أصهب

أبو بكرات ان أردت افتحاله ... وذو وثبات بالرديفين متعب

فقال له عبـد العزيز ادخل على المهارى فخذ منها ما شئت فلو كنت سألت غيره لأعطيتك ، فدخل فرده الجمال ، فقال عبـد العزيز دعه فانما يأخذ الذى نعت ، فأخذه

الفضل بن العباس اللهبى

هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لَهَب بن عبد المطلب أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم وكان شديد الأُدمة وهو الذى يقول

وأنا الأخضر من يعرفني ... أخضر الجِلْدَة فى بيت العرب

من يساجِلْنى يساجل ماجداً ... يملأ الدلو الى عقد الكَرَب (١)

انما عبـد مناف جوهر ... زيَّن الجوهر عبد المطلب

كل قوم صيغة من تبرهم ... وبنو عبد مناف من ذهب

نحن قوم قد بنى الله لنا ... شرفاً فوق بيوتات العرب

بنبى الله وابنى عمـــه ... وبعباس بن عبد المطلب

(١) الكرب الحبل يشد فى وسط العراق ليلى الماء فلا يعض الحبل الكبير

وهو هاشمى الأبوين امه بنت العباس بن عبد المطلب

وكان النبى صلى الله عليه وسلم زوَّجَ عتبة إحدى بناته ، فلما بعثه الله نبياً أقسمت عليه أُمّ جميل أن يطلقها ، فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه وقال يا محمد اشهد أنى نصرانى قد كفرت بربك وطلقت ابنتك ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عليه كلباً من كلابه يقتله ، فبعث الله عز وجل أسداً فافترسه ، خرج الى الشام في ركب فيهم هَبَّارُ بنَ الأسود حتى اذا كانوا بوادى القاصرة وهى مسبعة نزلوه ليلاً فافترشوا صفاً واحداً ، فقال عتبة أتريدون أن تجعلونى حَجْرة ؟ لا والله لا أبيت الا وسطكم ، فبات وسطهم ، قال هبار فما أنبهنى الا السبع يشَم رءوسهم رجلاً رجلاً حتى انتهى اليه فأنشب أنيابه فى صدغيه ، فصاح اىْ قوم قتلتني دعوة محمد ، فأمسكوه فلم يلبث أن مات فى أيديهم

مرَّ الفضل بالأحوص وهو ينشد وقد كان اجتمع الناس عليه بجُدّة ، فقال له انك يا أحوص لشاعر ولكنك لا تعرف الغريب ولا تغرب ، قال انى لأبصر الناس بالغريب والإغراب ، أفتسمع ؟ قال نعم ، فقال

ما ذات حبل يراها الناس كلهمُ وسط الجحيم ولا تخفى على أحد
كل الحبال حبال الناس من شَعَر وحبلها وَسْط أهل النار من مَسَد

فقال له الفضل

ماذا أردت الى شتمى ومنقصتى ماذا أردت الى حَمَّالة الحطب
ذكرت بنت قُرُوم سادة نُجُب كانت حليلة شيخ ثاقب النسب

فانصرف عنه ، ومرَّ الحزين بالفضل يوم جمعة وعنده قوم ينشدهم ، فقال له الحزين أتُنشد الشعر والناس يروحون الى الصلاة ؟ فقال له الفضل ويحك يا حزين أتتعرض لي كأنك لا تعرفنى ؟ قال بلى والله انى لأعرفك ويعرفك كل من يقرأ سورة « تَبَّتْ يدا أبى لهَب » ، وقال يهجوه

اذا ما كنت مفتخراً بجد ففرج عن أبى لَهَب قليلا
فقد أخزى الاله أباك دهراً وقلَّد عرسه حبلاً طويلا

فأعرض عنه الفضل وتبرم من جوابه ، وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه

قدم الوليد بن عبد الملك حاجاً وهو خليفة فدخل عليه الفضل فشكا اليه كثرة العيال وسأله ، فأعطاه مالاً وابلاً ورقيقاً ، فلما مات الوليد وولى سليمان فحج أتاه فسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال

يا صاحب العِيس التى رحلت محبوسة لعشية النَّفْر
أُمْرُر على قبر الوليد فقل له صلى الاله عليك من قبر
ياواصل الرَّحِم التي قُطعت وأصابها الحُقُرات فى الدهر
انى وجدت الخل بعدك كاذباً فبرئت من كذب ومن غدر
ولقد مررت بنسوة يَنْدُبنه بيض السواعد من بنى فِهْر
تبكي لسيدها الأجل وما تبكين من ناب ولا بكر
يندُبنه ويقلن سيدنا تاج الخلافة آخر الدهر
ماذا لقيت جزيت صالحة من صفوة الاخوان لوتدرى ؟

قال على بن محمد النوفلى كان أبى عند الحسين بن عيسى بن على وهو والي البصرة وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كان فيهم بقية حسنة فى ذلك الدهر ، فأفاضوا فى ذكر بني هاشم وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم فمن منشد شعراً ومتحدث حديثاً وذاكر فضيلة من فضائل بنى هاشم ، فقال أبى قد جمع هذا الكلام الفضل بن العباس اللَّهَبى ، ثم أنشد قوله

ما بات قوم كرام يدَّعون يداً الا لقومى عليهم منة ويد
نحن السَّنام الذى طالت شَظِيَّته فما يخالطه الأدواء والعَمَد[1]

(١) العمد داء يصيب البعير من مؤخر سنامه الى عجزه فلا يلبث أن يقتله والشظية الشظى وهو عظيم صغير مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف

فمن صلى صلاتنا وذبح ذبيحتنا عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يداً عليه بما هداه الله الى الإسلام به ونحن قومه فتلك منة لنا على الناس

قدم الفضل على عبد الملك بن مروان فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزيادى والله ما أسمع شعراً ، فلما كان العشى راح اليه الفضل فوقف بين يديه ثم قال يا أمير المؤمنين

أتيتك خالاً وابن عم وعمة ولم أكُ شعباً لا طريدٌ مشعب
فصِلْ واشجات بيننا من قرابة ألا صلةُ الأرحام أتقى وأقرب
ولا تجعلنّى كامرىء ليس بينه وبينكمُ قربى ولا متنسب
أتحدب من دون العشيرة كلها وأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزيادى هذا والله يا أمير المؤمنين الشعر

لما قدم الفضل على عبد الملك أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم حج الوليد فأمر له بمثلها ، فلما قدم الأصبحى على المهدى قال المهدى لمن حضركم كان عبد الملك أعطى الفضل اللهبى لما مدحه ؟ فما أعلم هاشمياً مدحهم غيره ، فقيل له أعطاه عشرة آلاف درهم ، قال فكم أعطاه الوليد ؟ قال مثل عطية أبيه ، فأمر للأصبحى بثلاثين ألف درهم

خرج علي بن عبد الله بن عباس بالفضل اللهبى الى عبد الملك بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ومعه حادٍ يحدو به وعلي بن عبد الله يسايره على نجيب له ومعه بغلة تُجنب ، فحداها حادى عبد الملك ، فقال

يأيها البكرُ الذى أراكا عليك سهل الأرض فى مَمشاكا
ويحك هل تعلم مَنْ علاكا ان ابن مروان على ذراكا
خليفة الله الذى امتطاكا لم يعلُ بكراً مثل ما علاكا

فعارضه الفضل فحدا بعلى بن عبد الله بن عباس فقال

يأيها السائل عن عليّ سألت عن بدر لنا بدريّ
مقدم في الخير أبطحى أغلب فى العلياء غلّابى
ولين الشيمة هاشمى جاء على بكر له مهريّ

فنظر عبد الملك الى علي فقال هذا محتور آل أبى لهب ؟ قال نعم ، فلما أعطى قريشاً مرّ به اسمه فخرج وقال يعطيه علي

الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس

كان من فتيان بنى هاشم وظرفائهم وشعرائهم وقد روى الحديث وحمل عنه وله شعر صالح ، ومن قوله فى عابدة بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصى وهى أخت عمرو بن شعيب الذى يروى عنه الحديث

أعابدَ ان الحب لا شك قاتلى لئن لم تقارضني هوى النفس عابدة
أعابدَ خافي الله في قتل مسلم وجودي عليه مرة قط واحدة
فان لم تريدي فيَّ هجراً ولا هوى فكم غير قتلى يا عبيدة راشدة
فكم ليلة قد بت أرعى نجومها وعبدة لا تدري بذلك راقدة

ومن قوله فيها

أعابدَ حييتم على النأى عابدا سقاك الاله المنشئات الرواعدا
أعابدَ ما شمس النهار اذا بدت بأحسن مما بين عينيك عابدا

وقد تزوج الحسين عابدة هذه وولدت منه وبسببها ردت على ولد عمرو بن العاصى أموالهم فى دولة بنى العباس

كان مالك بن أبى السمح المغنى صديقاً للحسين ونديماً له وكان يتغنى فى أشعاره وله يقول الحسين

لا عيش الا بمالك بن أبى السمح فلا تلحنى ولا تلم

أبيض كالسيف أو كما يلمع البا رق فى حِنْدِس من الظلم
يصيب من لذة الكريم ولا يهتك حق الإسلام والحرم
يارب يوْم لنا كحاشية البر د ويوْم كذاك لم يدم
قد كنت فيه ومالك بن أبى السمح الكريم الأخلاق والشيم
من ليس يعصيك ان رشدت ولا يجهل منك الترخيص فى اللمم

عبد الله بن معاوية

هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وأم عبد الله بن جعفر وسائر بنى جعفر أسماء بنت عُمَيْس بن مَعْقل من خَثْعَم وأمها هند بنت عوف امرأة من حرَس ، وهذه الحرسية أكرم الناس أحماء ، أحماؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وجعفر وحمزة والعباس وأبو بكر رضى الله تعالى عنهم ، وانما صار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحمائها أنه كان لها أربع بنات ، ميمونة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأم الفضل زوج العباس وأم بنيه ، وسلمى زوج حمزة وأم ابنته ، وهن بنات الحرث ، وأسماء بنت عُمَيس أختهن لأمهن كانت عند جعفر بن أبى طالب ، ثم خلف عليها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، ثم خلف عليها على بن أبى طالب عليه السلام ، وولدت من جميعهن ، وهن اللواتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهن الأخوات المؤمنات ميمونة وأم الفضل وسلمى وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن

قال ابن عباس دخل النبى صلى الله عليه وسلم على فاطمة وعلي عليه السلام ليلة بنى بها فأبصر خيالاً من وراء الستر فقال من هذا ؟ فقالت أسماء ، قال بنت عميس ؟ قالت نعم أنا التي أحرس ابنتك يارسول الله فان المرأة ليلة بنائها لابد لها من امرأة تكون قريباً منها ان عرضت لها حاجة أفضت بها اليها ، فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانى أسأل إلهى أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان ، وقد أدرك عبد الله بن جعفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب ، ومرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعبد الله وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان فقال ما تصنع بهذا ؟ قال أبيعه ، قال ما تصنع بثمنه ؟ قال أشتري به رطباً فآكله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فى صفقة يمينه ، فكان يقال ما اشترى شيئاً الا ربح فيه

قُمِر الحزين الديلى فى العقيق فى غداة باردة فى ثيابه فمر به عبد الله بن جعفر وعليه مقطعات خز ، فاستعار الحزين من رجل ثوباً ثم قام اليه فقال

أقول له حين واجهته عليك السلام أبا جعفر

فقال وعليكم السلام ، فقال

فأنت المهذب من غالب وفى البيت منها الذى يذكر

فقال كذبت ياعدو الله ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال

فهذى ثيابيَ قد أخلقت وقد عضنى زمن منكر

قال هاك ثيابى ، فأعطاه ثيابه

وقف أعرابى على مروان بن الحكم أيام الموسم بالمدينة فسأله ، فقال يا أعرابى ماعندنا مانصلك به ولكن عليك بابن جعفر ، فأتى الأعرابى باب عبد الله بن جعفر فاذا ثقله قد سار نحو مكة ورحلته بالباب عليها متاعه وسيفه معلق ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابى يقول

أبو جعفر من أهل بيت نبوة صلاتهمُ للمسلمين طهور

أبا جعفر ان الحجيج ترحلوا وليس لرحلي فاعلمنَّ بعير

أبا جعفر ضن الأمير بماله وأنت على مافى يديك أمير

وأنت امرؤ من هاشم في صميمها اليك يصير المجد حيث تصير

فقال يا أعرابى سار الثقل فدونك والراحلة بما عليها واياك أن تخدع عن السيف فانى أخذته بألف دينار ، فأنشأ الأعرابى يقول

حباني عبد الله نفسى فداؤه بأعْيَس موَّار سباط مَشافره
وأبيضَ من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليل داجٍ عساكره
وكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر سيجري له باليمن والبشر طائره
فياخير خلق الله نفساً ووالداً وأكرمه للجار حين يجاوره
سأُثني بما أوليتني يا ابن جعفر وما شاكر عُرْفاً كمن هو كافره

جاء شاعر الى عبد الله بن جعفر فأنشده

رأيت أبا جعفر فى المنام كسانى من الخَزِّ دُراعة[1]
شكوت الى صاحبى أمرها فقال ستؤتى بها الساعة
سيكسوكها الماجد الجعفرىّ ومن كفه في الدهر نفاعة
ومن قال للجود لا تَعْدُنى فقال لك السمع والطاعة

فقال عبد الله لغلامه ادفع اليه دراعتى الخز ، ثم قال له كيف لو ترى جبتى المنسوجة بالذهب التى اشتريتها بثلثمائة دينار ، فقال له الشاعر دعني اغفى اغفاءة أخرى فلعلى أرى هذه الجبة فى المنام ، فضحك منه وقال ياغلام ادفع اليه جبتى الوشى ، وكان أهل المدينة يدَّانون بعضهم من بعض الى أن يأتى عطاء عبد الله ابن جعفر

جلب رجل الى المدينة سكراً فكسد عليه، فقيل له لو أتيت ابن جعفر قبله منك وأعطاك الثمن ، فأتى ابن جعفر فأمر باحضاره وبسط له ، ثم أمر به فنثر ، فقال للناس انتهبوا ، فلما رأى الناس ينتهبون قال جعلت فداك آخذ معهم ؟ قال نعم ، فجعل

(١) الدراعة جبة مشقوقة المقدم

الرجل يهيل فى غرائره ، ثم قال لعبدالله أعطنى الثمن ، فقال وكم ثمن سكرك ؟ قال أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها

باع أعرابى راحلة من عبد الله بن جعفر ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر به له ، ثم عاوده ثلاثاً يقتضيه الثمن ويأمر له به فقال فيه

لاخير فى المجتدى في الحين تسأله فاستمطروا من قريش خير مختدَع
تخال فيـــه اذا حاورته بَلَهًا من جوده وهو وافى العقل والورع

لما ولي عبد الملك الخلافة جفا عبد الله بن جعفر فراح يوماً الى الجمعة وهو يقول اللهم انك عودتني عادة جريت عليها فان كان ذلك قد انقضى فاقبضنى اليك ، فتوفى فى الجمعة الأخرى وهو ابن سبعين سنة فى سنة ثمانين وهو عام الجُحاف « لسيل كان بمكة جحف الحاج فذهب بالابل عليها الحمولة » وكان الوالى على المدينة يومئذ أبان بن عثمان فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو الذى صلى عليه ، ولما مات شهده أهل المدينة كلهم ، وكان عبد الله مأوى المساكين وملجأ الضعفاء فما تنظر الى ذى حِجًى الا رأيته مستعبراً قد أظهر الهلَع والجزع ، فلما فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شفير القبر فقال رحمك الله يا ابن جعفر ان كنت لرحماً لواصلاً ولأهل الشر لمبغضاً ولأهل الريبة لقالياً ، ولقد كنت فيما بينى وبينك كما قال الأعشى

رعيت الذى قد كان بينى وبينكم من الود حتى غيبتني المقابر

فرحمك الله يوم ولدت ويوم كنت رجلاً ويوم مت ويوم تبعث حياً ، والله لئن كانت هاشم أصيبت بك لقد عم قريشاً كلها هلكك فما أظن أن يرى بعدك مثلك ، فقام عمرو بن سعيد بن العاصى الأشدق فقال لا إله الا الله الذى برأ الأرض ومن عليها واليه ترجعون ، ما كان أحلى العيش بك يا ابن جعفر وما أسمج ما أصبح بعد ، والله لو كانت عيني دامعة على أحد لدمعت عليك ، كان والله حديثك

غير مَشُوب بكذب وودك غير ممزوج بكَدَر ، فوثب ابن للمغيرة بن نوفل فقال ياعمرو بمن تعرض بمزج الود وشوب الحديث ؟ أفبابني فاطمة ؟ فهما والله خير منك ومنه ، فقال على رسلك يالُكَع أردت أن أدخلك معهم هيهات لست هناك ، والله لومت أنت ومات أبوك ما مدحت ولا ذممت ، فتكلم بما شئت فلن تجدلك مجيباً ، فما هو الا أن سمعهما الناس يتكلمان فحجزوا بينهما

وأم معاوية بن عبد الله بن جعفر أم ولد ، وكان من رجالات قريش ولم يكن فى ولدعبد الله مثله ، ولد وأبوه عند معاوية فأتاه البشير بذلك وعرف معاوية الخبر فقال سمه معاوية ولك مائة ألف درهم ، ففعل وأعطاه المال وأعطاه عبد الله للذي بشره به ، وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده ويقول ان يرد الله عز وجل بهم خيراً يتأدبوا ، فلم يُنجب فيهم غير معاوية

كان معاوية بن عبد الله قد عود ابن هَرْمة البرّ فجاءه يوماً وقد ضاقت يده وأخذ خمسين ديناراً ديناً فرفع اليه مع جاريته رقعة فيها مديح له يسأله فيها أيضاً براً ، فقال للجارية قولي له أيدينا ضيقة وما عندنا شيء إلا شيئاً أخذناه بكلفة ، فرجعت جاريته بذلك فأخذ الرقعة فكتب فيها

فانى ومدحك غيرَ المصيب كالكلب ينبح ضوء القمر

مدحتك أرجو لديك الثواب فكنت كالعاصر جنب الحجر

وبعث بالرقعة الى الجارية فدفعتها الى معاوية ، فقال لها ويحك قد علم بها أحد ، قالت لا والله انما دفعها من يده الى يدى ، قال فخذى هذه الدنانير فادفعيها اليه ففرجت بها اليه ، فقال كلا زعم أنه لا يدفع إليَّ شيئاً

وكان معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية خاصة فسمى ابنه يزيد بن معاوية ، ولما حضرت عبد الله بن جعفر الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنَفاً كان فى أذنه وأوصى اليه ، وفى ولده من هو أسن منه ، وقال انى لم أزل أؤملك لها ، فلما توفى احتال

بدين أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه وقسم أموال أبيه بين ولده ولم يستأثر عليهم بدينار ولادرهم ولا غيرهما

وأم عبد الله بن معاوية أم عون بنت عياش بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ، وكان عبد الله من فتيان بنى هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم ولم يكن محمود المذهب فى دينه ، كان يرمى بالزندقة و يستولي عليه من يعرف ويشهر أمره فيها ، ويكنى أبا معاوية وله يقول ابن هرمة قصيدته التى أولها

عاتب النفس والفؤاد الغَوِيَّا ... فى طِلاب الصبا فلست صبيا
عجبت جارتى لشيب علانى ... عَمْرَكَ اللهَ هل رأيت بَدِيَّا
انما يُعذَر الوليد ولا يعـــذر من عاش من زمان عتِيّا

يقول فيها يمدحه

أُحْبُ مدحاً أبا معاوية المـا ... جد لا تُلْفِهِ حَصوراً عَيِيا
بل كريماً يرتاح للمجد بَسّا ... ماً اذا هزه السؤال حييا
ان لى عنده وان رَغِمَ الأعـــداء حظاً من نفسه وقَفِيا
ان أمت تبق مدحتى واخائى ... وثنائى من الحياة مَليا
يأخذ السبق بالتقدم فى الجر ... ى اذا ما الندَى تنحى عليا
ذو وفاء عند العدات وأوصا ... ه أبوه ألاَّ يزال وَفِيـا
فرَعَى عُقْدة الوَصاة فأكرم ... بهما موصياً وهـذا وصيا
يا ابن أسماء [1] فاسقِ دلوي فقد أو ... ردتها منهلا يَسِيجَ [2] رَوِيا

مدح ابن هرمة عبـد الله بن جعفر فأتاه فوجد الناس بعضهم على بعض على بابه ، قال ابن هرمة ورآنى بعض خدمه فعرفنى فسألته عن الذين رأيتهم ببابه فقال عامتهم غرماء له ، فقلت ذلك شر ، واستؤذن لى عليه فقلت لم أعلم والله بهؤلاء

(١) يعني أمه أسماء وهى أم عون بنت عياش (٢) يسيل

الغرماء ببابك ، فقال لاعليك أنشدنى ، قلت أعيذك بالله واستحييت أن أنشد ، فأبى إلا أن أنشده ، فأنشدته قصيدتى التي أقول فيها

فإلاّ تُواتِ اليوم سلمى فربما ... شربنا بحوض اللهو غير المرَنَّق
فدعها فقد أعذرت فى ذكر وصلها ... وأجريت فيها شأْوغرب ومشرق
ولكن لعبد الله فانطق بمدحة ... يجيرك من عسر الزمان المطبق
أخ قلت للأدنَيْن لما مدحته ... هلموا وسارى الليل مِ الآن فاطرُق
شديد التأنى فى الأمور مجرَّب ... متى يَعْرُ أمر القوم يفرِ ويخلُقِ
ترى الخير يجرى فى أسرَّة وجهه ... كما لألأت فى السيف جرية رونق
كريم اذا ما شاء عدَّ له أباً ... له نسب فوق السِّماك المحلَّق
وأماً لها فضل على كل حرة ... متى ماتسابق بابنها القوم تسبق
حلات محل القلب من آل هاشم ... فعُشّك مأوَى بيضها المتفلق
ولم تك فيها بالمعرَّى نصابه ... اليها ولا كالراكب المتعلق
فمن مثل عبد الله أو مثل جعفر ... ومثل أبيك الأريحى المرهَّق

فقال من ههنا من الغرماء ؟ فقيل فلان وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارّهما وخرجا وقيل لابن هرمة اتبعهما ، فأعطياه مالا كثيراً

قدم عبد الله بن معاوية الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ومستميحاً له ، فتزوج بالكوفة بنت الشرفى بن عبد المؤمن الرياحى ، فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقالوا له اخرج فأنت أحق بهذا الأمر من غيرك واجتمعت له جماعة فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلا وقد خرج عليه ، وقيل انما كان خروجه فى أيام يزيد بن عبد الملك ظهر بالكوفة ودعا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع اليه وبايعه بعض أهل الكوفة ولم يبايعه كلهم وقالوا ما فينا بقية قد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت

وأشاروا عليه بقصد فارس وبلاد المشرق فقبل ذلك وجمع جموعاً من النواحى فغلب على ماه الكوفة وماه البصرة وهَمَذان وقُمّ والرَّىّ وقُومَس وأصبهان وفارس ، وأقام هو بأصبهان ، وكان الذى أخذ له البيعة بفارس محارب بن موسى مولى بنى يشكر ، فدخل دار الامارة بنعل ورداء واجتمع الناس اليه فأخذهم بالبيعة ، فقالوا علامَ نبايع ؟ فقال على ما أحببتم وكرهتم ، فبايعوا على ذلك وكتب عبد الله بن معاوية الى الأمصار يدعو الى نفسه لا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم واستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر وأخاه يزيد على شِيراز وأخاه علياً على كِرْمان وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها ، وقصدته بنو هاشم جميعاً منهم السفاح والمنصور وعيسى بن على ، وقصده وجوه قريش من بنى أمية وغيرهم ، فممن قصده من بنى أمية سليمان بن هشام بن عبد الملك وعمرو بن سهيل بن عبد العزيز ، فمن أراد منهم عملاً قلده ومن أراد منهم صلة وصله ، فلم يزل مقيما فى هذه النواحى التي غلب عليها حتى ولى مروان بن محمد فوجه اليه عامر بن صبارة فى جيش كثيف ، فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابه وحضهم على الخروج اليه فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَش هو واخوته قاصدين لخراسان وقد ظهر أبومسلم بها ونفى عنها نصر بن سيار ، فلما صار فى بعض الطريق نزل على رجل من التنّاء[1] ذى مروءة ونعمة وجاه فسأله معونته ، فقال له من أنت من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أأنت ابراهيم الامام الذى يدعى له بخُراسان ؟ قل لا ، قال فلاحاجة لي فى نصرتك ، فخرج الى أبى مسلم وطمع فى نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده وجعل عليه عيناً يرفع اليه أخباره ، فرفع اليه أنه يقول ليس فى الأرض أحمق منكم يا أهل خُراسان فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم اليه مقاليد أموركم من غير أن تراجعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله مارضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام فقالت « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

(١) التناء الدهاقين واحدها تانىء

الدماء ؟ » حتى قال لهم « انى أعلم مالا تعلمون » ثم كتب اليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التى يقول فيها « الى أبى مسلم من الأسير فى يديه بلا ذنب ولا خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ، ومولي صنائع وان الودائع رِعْية وان الصنائع عارية ، فاذكر القصاص واطلب الخلاص ، ونبه للفكر قلبك واتق الله ربك ، وآثر مايلقاك غداً على مالا يلقاك أبداً ، فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ماخلفت ، وفقك الله لما ينجيك وآتاك شكر ما يبليك » فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال لقد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا فلو خرج وملك أمرنا لأهلكنا ، ثم أمضى تدبيره فى قتله

وكان عبد الله بن معاوية قاسياً وكان مع قسوته من ظرفاء بنى هاشم وشعرائهم وهو الذى يقول

ألا يَزَعُ القلب عن جهله ... وعما يؤنّب من أجله
فأبدل بعد الصبا حلمه ... وأقصر ذو العذل عن عذله
فلا تركبنّ الصنيع الذى ... تلوم أخاك على مثله
ولا يعجبنك قول امرىء ... يخالف ما قال فى فعله
ولا تُتْبع الطَّرْف ما لا تنال ... ولكن سل الله من فضله
فكم من مُقِلٍّ ينال الغنى ... ويحمد فى رزقه كله

ومنه

اذا افتقرت نفسى قصرت افتقارها ... عليها فلم يظهر لها أبداً فقرى
وان تَلْقَنى فى الدهر مُندوحة الغنى ... يكن لأخلائى التوسع فى اليسر
فلا العسر يُزْرِى بى اذ هو نالنى ... ولا اليسر يوماً ان ظفرت به فخرى

كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس وكان حسين

هذا وابن معاوية يرميان بالزندقة ، فقال الناس انما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله

وان حسيناً [١] كان شيئاً ملفقاً فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة فان عرضت أيقنت ألاَّ أخاليا
فلا زاد ما بيني وبينك بعد ما بلوتك في الحاجات إلاَّ تماديا
فلست براء عيب ذي الود كله ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
كلانا غني عن أخيه حياته ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وله في الحسين أشعار كلها معاتبات فمنها

قل لذي الود والصفاء حسين أقدُر الود بيننا قدره
ليس للدابغ المحلم بُدّ من عتاب الأديم ذي البَشَرة
لست ان زاغ ذو إخاء وود عن طريق بتابع أثره
بل أقيم القناة والود حتى يتبع الحق بعدُ أو يذَره

وقال له

ان ابن عمك وابن أمـك مُعْلَم شاكي السلاح
يقَص [٢] العدو وليس يرـ ضي حين يبطش بالجَناح
لا تحسبَن أذى ابن عمـك شرب ألبان اللِّقاح
بل كالشَّجا تحت اللَّها ة اذا يسوغ بالقَراح
من لا يزال يسوءه بالغيب ان يلحاك لاح

فقال حسين له

(١) في الكامل رأيت فضيلا وقوله كان شيئاً ملفقاً يريد كان أمراً مغطى والتمحيص الاختبار
(٢) وقص عنقه يقصها كسرها ودقها

أبرق لمن يخشى وأرْ عد غير قومك بالسلاح
لســـنا نقر لقائل الا المقرظ بالصلاح

ومما يغني فيه من شعره

يهيم بجُمل وما ان يرى له من سبيل الى جمله
كأن لم يكن عاشق قبله وقد عشق الناس من قبله
فمنهم مَنِ الحب أودى به ومنهم مَنَ آشـفى على قتله

ومنـه

يا قوم كيف سَواغ عيـــش ليس تؤمن فاجعاته
ليست تزال مُطلةً تغدو عليك مُنغَّصاته
الموت هول داخل يوْماً على كره أناته
لابد للحذِر النفو ر منَ أن تقنَصه رُماته
قد أمنح الود الخليـــل بغير ما شيء رزَاته
وله أقيم قناة ودي ما استقامت لي قَناته

ومنـه

سلا ربة الخِدْر ماشأنها ؟ ومن أيّما شأنا تعجب ؟
فلست بأول من فاته على إربه بعض ما يطلب
وكائن تعرض من خاطب فزوج غير الذى يخطب
وأنـكحها بعده غيره وكانت له قبله تُحجب
وكنا حديثا صفيين لا نخاف الوشاة وما سببوا
فان شطَّت الدار عنا بها فبانت وفى الناس مستعتَب
وأصبح صدع الذى بيننا كصدع الزجاجة ما يُشْعب
وكالدَّر ليست له رجعة الى الضرع من بعد ما يحلب

حدث محمد بن يحيى أن عبد الله بن معاوية مرَّ بجده عبد الحميد في مزرعته بصُرَّام وقد عطش فاستسقاه فخاض له سويق لوز فسقاه إياه ، فقال عبد الله

شربت طَبَرْزَذًا بغَرِيض مُزْن ... كذوب الثلج خالطه الرُّضاب[1]

فقال عبد الحميد يجيبه

فما إن ماؤنا بغَرِيض مُزْن ... ولكن الملاح بكم عِذَاب
وما إن بالطَّبَرْزَذ طاب لكن ... بمسكٍ لا به طاب الشراب
وأنت اذا وطئت تراب أرض ... يطيب اذا مشيت بها التراب
لأن نَدَاك يُطفى المَحْل عنها ... وتحييها أياديك الرِّطاب

عبد الله بن الحسن

هو أبو محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أُمه فاطمة بنت الحسين ، وأُمها أُمّ اسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأُمها الجرباء بنت قَسامة الطائية سميت بذلك لحسنها كانت لا تقف الى جنبها امرأة وان كانت جميلة الا استقبح منظرها لجمالها ، وكان النساء يتحامين أن يقفن الى جنبها ، فشبهت بالناقة الجرباء التى تتوقاها الابل مخافة أن تُعْدِيها ، وكانت أُمّ اسحق من أجمل نساء قريش وأسوإهن خلقاً وكانت عند الحسن بن علي قبل أخيه الحسين ، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين فقال يا أخى انى أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، فلما توفى تزوجها الحسين ، وتزوج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين فى حياة عمه وهو زوجه إياها ، خطب الى عمه الحسين وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين اختر يا بنيَّ أحبهما اليك ، فاستحيا الحسن ولم يُحِرْ جواباً ، فقال له الحسين فانى قد اخترت منهما لك ابنتى فاطمة فهى أكثر

(١) الرضاب ماء المسك ورضاب كل شيء ماؤه والطبرزذ السكر الأبيض الصلب

شبهاً بامى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يقولون ان امرأة سكينة مردودتها لمنقطعة القرين فى الجمال ، ولما حضرت الحسن بن الحسن الوفاة جزع وجعل يقول انى لأجد كرباً ليس هو الا كرب الموت ، فقال له بعض أهله ما هذا الجزع ؟ تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جدك وعلى عليّ والحسن والحسين وهم آباؤك ، فقال لعمرى ان الأمر كذلك ولكن كأنى بعبدالله ابن عمرو بن عثمان حين أموت وقد جاء فى مُضَرَّجَين وهو يُرَجِّل جُمَّته يقول أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمى وما به الا أن يخطب فاطمة بنت الحسين فاذا جاء فلا يدخل عليَّ ، فصاحت فاطمة أتسمع ؟ قال نعم ، قالت أعتقت كل مملوك لي ان أنا تزوجت بعدك أحداً أبداً ، فسكن الحسن وما تنفس ولا تحرك حتى قضى ، فلما ارتفع الصياح أقبل عبد الله على الصفة التى ذكرها الحسن ، فقال بعض القوم ندخله وقال بعضهم لايدخل وقال قوم لايضر دخوله ، فدخل وفاطمة تصكّ وجهها فأرسل اليها وصيفاً كان معه فجاء يتخطى الناس حتى دنا منها فقال يقول لك مولاى أبقى على وجهك فان لنا فيه أرباً ، فأرسلت يدها في كمها واختمرت وعرف ذلك منها فما لطمت وجهها حتى دفن ، فلما انقضت عدتها خطبها ، فقالت كيف لي بنذرى ويميني ؟ فقال نخلف عليك بكل عبد عبدين وبكل شيء شيئين ، ففعل وتزوجته

وكان عبد الله بن الحسن شيخ أهله وسيداً من ساداتهم ومقدماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً ، وحبسه المنصور فى الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابناه محمد وابراهيم فمات فى الحبس ، قال مُصْعَب الزبيرى انتهى كل حسن الى عبد الله بن حسن ، وكان يقال من أحسن الناس ؟ فيقال عبدالله بن الحسن ، ويقال مَنْ أفضل الناس ؟ فيقال عبد الله بن الحسن ، وكان يقول أنا أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدتني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، وقد اجتمعت له

ولادة الحسن والحسين عليهما السلام ، وقال محمد بن حجازة الدهان رأيت عبد الله ابن الحسن فقلت هذا والله سيد الناس كان مكسوًّا نوراً من قرنه الى قدمه

جاء منظور بن زبّان الفزارى الى حسن بن حسن وهو جده أبو أمه فقال له لعلك أحدثت بعدى أهلاً ؟ قال نعم تزوجت بنت عمى الحسين بن علي ، قال بئسما صنعت أما علمت أن الأرحام اذا التقت أضوَت ؟ كان ينبغى ان تتزوج فى الغرب ، قال فان الله عز وجل قد رزقني منها ولداً ، قال أرنيه ، فأخرج اليه عبد الله بن الحسن ، فسرَّ به وقال أنجبت هذا والله ليث عادٍ ومعدوٌّ عليه ، قال فان الله قد رزقني منها ولداً ثانياً ، قال فأرنيه ، فأراه ابراهيم بن حسن

لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذى يدعى الرُّصافة « رُصافة أبى العباس » قال لعبد الله بن حسن ادخل فانظر ودخل معه ، فلما رآه تمثل

ألم ترَ حَوْشباً أمسى يبَنّى بناء نفعه لبني بُقيلة
يؤمل أن يعمر عمر نوح وأمر الله يحدث كل ليلة

فاحتملها أبو العباس ولم يبكته بها ولم تزل فى نفس أبى جعفر عليه

قال محمد بن عبدة لما استخلف أبو جعفر ألحَّ في طلب محمد والمسألة عنه وعمن يُؤويه ، فدعا ببني هاشم رجلاً رجلاً ، فسألهم عنه ، فكلهم يقول ياأمير المؤمنين قد علم أنك عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافاً ولا يحب لك معصية وما أشبه هذه المقالة الا حسن بن زيد فانه أخبره خبره وقال والله ما آمن وثوبه عليك فانه للَّذى لا ينام عنك فرَ رأيك ، فأيقظ من لا ينام

وروى عقبة بن سلم أن أبا جعفر دعاه فسأله عن اسمه ونسبه فقال أنا عقبة بن سلم بن نافع من الأزْد من بني هُناءة ، قال انى أرى لك هيئة وموضعاً وانى لا ريدك لأمر أنا به معنى لم أزل أرتاد له رجلاً عسى أن تكونه إن كفيتنيه رفعتك ،

فقال أرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين فيَّ ، قال فأخفِ شخصك واستر أمرك وأتني فى يوم كذا وكذا ، فأتيته ، فقال ان بنى عمنا هؤلاء قد أبوْا الا كيداً للملكنا ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف من ألطاف بلادهم ، فاخرج بكُسَى وألطاف وعين حتى تأتيهم متنكراً بكتاب تكتبه عن أهل هذه القرية ثم تسير ناحيتهم فان كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبب بهم والله وأقرب ، وان كانوا على رأيهم علمت ذلك وكنت على حذر واحتراس ، فاشخص حتى تلقى عبد الله بن حسن متقشفاً متخشعاً ، فان جبهك وهو فاعل فاصبر وعاود ، فان عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته ، فان ظهر لك ما فى قلبه فاعجل إليَّ ، فشخص حتى قدم على عبد الله بالكتاب فأنكره ونهره وقال ما أعرف هؤلاء القوم ، فلم يزل ينصرف ويعود اليه حتى قبل كتابه وألطافه وأنس به ، فسأله عقبة الجواب ، فقال أما الكتاب فانى لا أكتب الى أحد ولكن أنت كتابى اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم أن ابني خارجان لوقت كذا وكذا ، فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر فأخبره الخبر ، وسأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنيه لما حج ، فقال لا علم لي بهما حتى تغالظا ، فأمضَّه أبو جعفر ، فقال له يا أبا جعفر بأى أمهاتى تُمضُّنى ؟ أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفاطمة بنت أسد أم بفاطمة بنت حسين أم أمّ أسحاق بنت طلحة أم خديجة بنت خويلد ؟ قال لا بواحد منهن ولكن بالجَرْباء بنت قَسامة ، فوثب المسيَّب بن زهير فقال دَعْنى يا أمير المؤمنين أضرب عنقه ، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال هَبْه لي يا أمير المؤمنين فأنا أستخرج لك ابنيه ، فتخلصه منه ، قال صالح صاحب المصلى انى لواقف على رأس أبى جعفر وهو يتغدى بأوْطاس وهو متوجه الى مكة ومعه على مائدته عبد الله بن حسن وأبو الكرام الجعفرى وجماعة من بنى العباس ، فأقبل على عبد الله بن حسن فقال يا أبا محمد محمد وابراهيم

أراهما قد استوحشا من ناحيتى وانى لأحب أن يأنسا بى وأن يأتيانى فأصلهما وأخلطهما بنفسى، وعبد الله مطرق طويلاً، ثم رفع رأسه وقال وحقك يا أمير المؤمنين فمالي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ولقد خرجا من يدى، فيقول أبو جعفر لا تفعل يا أبا محمد اكتب اليهما والى من يوصل كتابك اليهما، فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامة غدائه اقبالاً على عبد الله وعبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرر عليه لا تفعل يا أبا محمد، وكان أبو جعفر قال لعقبة بن سلم اذا صرت بمكان كذا وكذا لقيني بنو حسن فيهم عبد الله فأنا مبجله ورافع مجلسه وداع بالغداء، فاذا فرغنا من طعامنا فلحظتك فامثُلْ بين يديه قائماً فانه سيصرف بصره عنك، فدُر حتى تغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم حسبك، وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عقبة، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدى أبى جعفر فقال أقِلْنِي يا أمير المؤمنين أقالك الله، قال لا أقالنى الله ان أقلتك، ثم أمر بحبسه، قال العباس بن جعفر لما حج أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن، فانهما وإياى لعنده وهو مشغول بكتاب ينظر فيه اذ تكلم المهدى فلحن، فقال عبد الله يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدِّل لسانه؟ فانه يَغْفُلُ غفل الأمة، فلم يفهم، وغمزت عبد الله فلم ينته، وعاد لأبى جعفر فاحتفظ من ذلك وقال له أين ابنك؟ قال لا أدرى، قال لتأتينّى به، قال لو كان تحت قدمىّ ما رفعتهما عنه، قال يا ربيع قم به الى الحبس، وتوفي عبد الله فى محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة خمس وأربعين ومائة

ولعبد الله شعر يغنى فيه وهو قوله

يا هند انك لو علمـــت بعاذلين تتابعا
قالا فلم أسمع لمـا قالا وقلت بل اسمعا
هند أحب إليَّ من مالي وروحى فارجعا

ولقد عصيت عواذلي وأطعت قلباً موجعا

وهند التى عناها هي زوجته هنـد بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود الأسدية القرشية، وكان أبو عبيدة جواداً ممدحاً، وكانت هند قبل عبد الله ابن الحسن تحت عبد الله بن مروان فمات عنها، قال عبد الرحمن بن جعفر زوَّجَ عبد الملك بن مروان ابنـه عبد الله هند بنت أبى عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لمـا كان يقال انه كائن في أولادهما فمات عنهما عبد الله أو طلقهما، فتزوَّجَ هنداً عبد الله بن الحسن وتزوَّجَ رَيطة محمد بن علي فجاءت بأبى العباس السفاح

لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منـه، فقال عبد الله بن حسن لأُمه فاطمة اخطبى عليَّ هنداً، فقالت إذاً تردك، أتطمع فى هند وقد ورثت ما ورثته وأنت تَرِب لا مال لك؟ فتركها ومضى الى أبى عبيدة أبى هند، فخطبها اليه، فقال فى الرحب والسَّعة أما منى فقد زوجتك، مكانك لاتبرح، ودخل على هند، فقال يا بنية هـذا عبد الله بن حسن أتاكِ خاطباً، قالت فما قلت له؟ قال زَوَّجْتُه، قالت قد أحسنتَ قد أجزتُ ما صـنعت، وأرسلت الى عبد الله لا تبرح حتى تدخل على أهلك، فتزينت له، فبات بها معرِّساً من ليلته ولا تشعر أُمه، فأقام سـبعاً، ثم أصبح فى يوْمِ سابعه غادياً على أُمه وعليه ردع الطيب وفى غير ثيابه التى تعرف، فقالت له يا بنيَّ من أين لك هـذا؟ قال من عند التى زعمت أنها لا تريدنى

كان عبد الله بن مصعب كثيراً ما كان يستنشد أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها

ان عينى تعودت كحل هند جمعت كفها مع الرفق لينا

الحسين بن علي

هو الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، واسم أبى طالب عبد مناف ، واسم عبد المطلب شيبة الحمد ، واسم هاشم عمرو ، وأم على بن أبى طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وهى أول هاشمية تزوجها هاشمى ، وهى أم سائر ولد أبى طالب ، وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكان على سمى الحسين حرباً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين

تزوج الحسين الرباب بنت امرىء القيس بن عدى الكلبية وهي أم سُكَينة وهذا لقب لها واسمها آمنة ، قالت سكينة عاتب عمى الحسن أبى فى أمى فقال

لعمرك انى لأحب داراً تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالى وليس لعاتب عندى عتاب
فلست لهم وان غابوا مضيعاً حياتى أو يغيبنى التراب

وامرؤ القيس بن عدى أسلم على يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فما صلى صلاة حتى ولاه عمر ، وما أمسى حتى خطب اليه على عليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوجه إياها فولدت له عبد الله وسكينة ، وكانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن ، وخطبت بعد قتل الحسين فقالت ما كنت لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قيل لسكينة أنت تمزحين كثيراً وأختك لا تمزح ، فقالت لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة « تعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم » وسميتمونى باسم جدتى التي لم تدرك الاسلام « تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم »

رثت الرباب بنت امرىء القيس زوجها الحسين بن على حين قتل فقالت

ان الذى كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
سبطَ النبي جزاك الله صالحة عنا وجُنبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرِّحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يغني ويأوِى اليه كل مسكين
والله لا أبتغى صهراً بصهركمُ حتى أغيب بين الرمل والطين

كانت سكينة في مأتم فيه بنت لعثمان فقالت بنت عثمان أنا بنت الشهيد ، فسكتت سكينة ، فقال المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله ، قالت سكينة هذا أبى أو أبوك ؟ فقالت العثمانية لا أفخر عليكم أبداً

كانت سكينة تجىء يوم الجمعة فتقوم بازاء خالد بن عبد الرحمن بن الحرث بن الحكم اذا صعد المنبر فاذا شتم علياً شتمته هى وجواريها فكان يأمر الحرس يضربون جواريها

قال مصعب كانت سكينة عفيفة سليمة بَرَزة من النساء تجالس الأَجِلَّة من قريش وتجتمع اليها الشعراء وكانت ظريفة مزاحة ، وقالت سكينة أدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة ، وقال مصعب كانت سكينة أحسن الناس شَعراً وكانت تصفف جُمّتها تصفيفاً لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك ، وكانت تلك الجمة تسمى السكينية ، وكان عمر بن عبد العزيز اذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه

كانت سكينة مزاحة فلسعتها دَبْرة ، فقالت أمها مالك ياسيدتى فضحكت وقالت لسعتنى دُبيرة مثل الأُبيرة أوجعتني قُطيرة

تزوجت سكينة عدة أزواج منهم عبد الله بن الحسن بن علي وهو ابن عمها وأبو عُذْرتها ، ومُصْعب بن الزبير ، وعبد الله بن سليمان الحزامى ، وزيد بن عمرو بن

عثمان ، والأصبغ بن عبد العزيز بن مروان ولم يدخل بها ، وابراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف ولم يدخل بها ، ومهرها مصعب ألف ألف درهم وحملها اليه أخوها علي بن الحسين فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت من مصعب بنتاً فسمتها الرباب ، فلما قتل مصعب ولى أخوه عروة تركته فزوجها ابنه عثمان بن عروة فماتت وهى صغيرة فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار ، قالت سعيدة بنت عبد الله بن سالم لقيت سكينة بين مكة ومنى فقلت قفى يا ابنة الحسين فكشفت عن بنتها من مصعب واذا هى قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ فقالت ما ألبستها اياه الا لتفضحه

قالت سكينة لعائشة بنت طلحة أنا أجمل منك وقالت عائشة بل أنا، فاختصمتا الى عمر بن أبى ربيعة فقال لأقضين بينكما ، أما أنت ياسكينة فأملح وأما أنت ياعائشة فأجمل منها ، فقالت سكينة قضيت لي والله ، وكانت سكينة تسمى عائشة ذات الأذنين ، وكانت عظيمة الأذنين

ولما تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان شرطت عليه ألا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، وأن يقيمها حيث جلتها أم منظور ، ولا يخالفها في أمر تريده ، فكانت تقول له يا عثمانى اخرج بنا الى مكة ، فاذا خرج فسارت يوماً أو يومين قالت ارجع بنا الى المدينة ، فاذا رجع يومه ذلك قالت اخرج بنا الى مكة ، فقال له سليمان بن عبد الملك اعلم أنك قد شرطت لها شروطاً ان لم تف لها فطلقها ، فطلقها

قال سفيان بن حرب رأيت سكينة بنت الحسين ترمى الجمار فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها

قيل ان سكينة خرجت بها سلعة فى أسفل عينها حتى كبرت ثم أخذت وجهها وعينها وعظم ما بها ، وكان درافيس منقطعاً اليها فى خدمتها ، فقالت له ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال لها أتصبرين على ما يَمَسّك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت نعم ، فأضجعها وشق جلد وجهها أجمع وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروقها ، وكان

منها شيء تحت الحدقة فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع ورد العين الى موضعها وسكينة مضطجعة لاتتحرك ولا تئن حتى فرغ مما أراد وزال ذلك عنها و برئت منه ، و بقى أثر تلك الحزازة فى مؤخر عينها فكان أحسن شيء فى وجهها من كل حلي وزينة ولم يؤثر ذلك فى نظرها ولا فى عينها

ابن رهيمة المدنى

كان يشبب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وفيها يقول

أقصدت زينب قلبي بعد ما ذهب الباطل عني والغزل
وعلا المفرق شيب شامل واضح فى الرأس مني واشتعل

ويقول

أقصدت زينب قلبي وسبت عقلى ولبى
تركتني مستهاماً أستغيث الله ربى
ليس لي ذنب اليها فتجازيني بذنبى
ولها عندى ذنوب فى تنائيها وقربى

ويقول

وجد الفؤاد بزينبا وجداً شديداً متعبا
أصبحت من وجدى بها أدعى سقيماً مسهبا
وجعلت زينب سُترة وأتيت أمراً معجبا

ويقول

انما زينب المنى وهى الهم والهوى
ذات دل تُضني الصحيح وتُبرى من الجوى
لا يغرنك ان دعو ت فؤادى الى النوى

واحذري هجرة الحبيـــب اذا مل وانزوى

ويقول

انمـــا زينب همى بأبى تلك وأمى
بأبى زينب لا أكـــنى ولكنى أسمى
بأبى زينب من قا ض قضى عمداً بظلمى
بأبى من ليس لى فى قلبها قيراط رحم

ويقول

يازينب الحسناء يازينب يا أكرم الناس اذا تنسب
تقيك نفسي حادثات الردى والأم تفديك معاً والأب
هل لك فى ود امرىء صادق لا يمذق الود ولا يكذب
لا يبتغى فى وده محرماً هيهات منك العمل الأريب

ويقول

فليت الذى يلحى على زينب المنى تعلقه مما لقيت عشير
فحسبى له بالعشر مما لقيته وذلك فيما قد تراه يسير

وهذه كلها غنى فيها يونس الكاتب أصواته المعروفة بالزيانب

وقد استعدى عليه أخوها هشامَ بنَ عبد الملك فأمر بضربه خمسمائة سوط وأن يباح دمه ان وجد قد عاد لذكرها وأن يفعل ذلك بكل من غنى فى شىء من شعره، فهرب هو ويونس فلم يقدر عليهما، فلما ولى الوليد بن يزيد ظهرا وقال ابن رهيمة

لئن كنت أطردتنى ظالماً لقد كشف الله ما أرهب
ولو نلت منى ما تشتهي لقلّ اذا رضيت زينب
وما شئت فاصنعه بى بعدذا فحبى لزينب لا يذهب

عبد الله بن جحش الصمالك[1]

من قوله في صهباء الهذلية وقد تزوَّجها

نعم الضجيع اذا النجوم تغورت ... بالغَوْر أُولاها على أُخراها
عَذْب مقبلها وثير ردفها ... عَبْل شَواها طيب مَجْناها
صفراء يَطويها الضجيع لحينها ... طى الحمالة لين مَثْناها
لو يستطيع ضجيعها لأجنَّها ... فى الجوف حب نسيمها ونَشاها[2]
يا دار صهباء التى لا أنتهى ... عن ذكرها أبداً ولا أنساها

ومن قوله

هل يبلغنها السلام أربعة ... منى وان يفعلوا فقد نفعوا
على مِصَكَّين[3] من جمالهم ... وعَنْتَرِيسَيْن فيهما سَطَع
قرب جيرانا جمالهمُ ... صبحاً فأَضْحَوْا بها قد انتجعوا
ما كنت أدرى بوَشْك بينهمُ ... حتى رأيت الحُداة قد طلعوا
قد كاد قلبى والعين تُبصرهم ... لما تولى بالقوم ينصدع
ساروا وخلفت بعدهم دَنِفاً ... أليس بالله بئسما صنعوا؟

ومن قوله

أَجَدَّ اليوم جيرتك الغيارا ... رَواحاً أم أرادوه ابتكارا
بعينك كان ذاك وإن يَبينوا ... يَزدك البين صَدْعاً مستطارا
بلى أبقت من الجيران عندى ... أناساً ما أوافقهم كثارا
وما ذا كثرة الجيران تغنى ... اذا ما بان من أهوى فسارا؟

---

(١) لم نتحقق من نسبة هذا الشاعر (٢) النشا نسيم الريح الطيبة (٣) المصك القوى من الناس وغيرهم والعنتريس الناقة الغليظة الوثيقة والسطع طول العنق

الطبقة الثالثة

الشعراء المحدثون

شعراء قحطان

شعراء حمير

ابن وهيب

هو محمد بن وهيب الحميري صليبة ، شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وله أشعار كثيرة يذكرها فيها ويتشوقها ويصف ايطانه إياها ومنشأه بها

من قوله يمدح المعتصم وفيه غناء

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر
يحكى أفاعيله فى كل نائبة الغيث والليث والصِّمصامة الذكر

ومن قوله من كلمة يمدح بها الحسن بن رجاء بن الضحاك

أجارتنا ان التعفف بالياس وصبراً على استدرار دنيا بإبساس[1]
حَرِيَّان ألاَّ يُقْذِيا بمذلة كريماً وألاَّ يحوجاه الى الناس
أجارتنا ان القداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس

دخل محمد بن وهيب على أبى دلف القاسم بن عيسى فأعظمه جداً ، فلما انصرف قال له أخوه معَقِّل يا أخى فعلت بهذا ما لم يستأهله ، ما هو فى بيت من

(١) أبس الحالب بالناقة دعاها للحلب

الشرف ولا فى جمال من الأدب ولا بموضع من السلطان ، فقال بلى يا أخى انه لحقيق بذلك ، أو لا يستحقه وهو القائل ؟

يدل على أنني عاشق ... من الدمع مستشهد ناطق
ولي مالك أنا عبد له ... مقر بأنى له وامق
اذا ما سموت الى وصله ... تعرض لي دونه عائق
وحاربنى فيه ريب الزمان ... كأن الزمان له عاشق

لما قدم المطلب بن عبد الله بن مالك من الحج لقيه محمد بن وهيب مستقبلاً مع من تلقاه ودخل اليه مهنئاً بالسلامة بعد استقراره وعاد اليه فى الثانية ، فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها يقول فيها

وما زلت أستدعى لك الله غائباً ... وأظهر اشفاقاً عليك وأكتم
وأعلم أن الجود ما غبت غائب ... وأن الندى فى حيث أنت محيم
الى أن زجرت الطير سعداً سوانحاً ... وحُمَّ لقاء بالسعود مقدم
وظل يناجينى بمدحك خاطرى ... وليلىَ ممدود الرواقين أدهم
وقالوا طواه الحج فاخشع لفقده ... ولا عيش حتى يَسْتَهِلّ المحرم
سيفخر ماضم الحطيم وزمزم ... بمُطَّلب لو أنه يتكلم
وما خلقت الا من الجود كفه ... على أنها والبأس خِدْنان تَوْءم
أعدت الى أكناف مكة بهجة ... خزاعية كانت تُجَلّ وتُعْظَم
ليالي سُمَّار الحجون الى الصفا ... خزاعة اذ خلت لها البيت جُرْهُم
ولو نطقت بطحاؤها وحجونها ... وخَيْفُ منًى والمأزمان وزمزم
إذاً لدعت أجزاء جسمك كلها ... تنافس فى أقسامه لو تحكم
ولو رد مخلوق الى بدء خلقه ... اذا كنت جسماً بينهن تقسم

سما بك منها كل خَيْف فأبطح نما بك منه الجوهر المتقدم
وحن اليك الركن حتى كأنه وقد جئته حلٌّ عليك مسلم

فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طرف ما قدم به وحمله

كان محمد بن وهيب لما قدم المأمون من خراسان مضاعاً مطرحاً انما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفدهم فيحظى باليسير ، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوسقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنسه فتوسل اليه محمد بن وهيب بالحسن بن رجاء حتى أوصله مع الشعراء ، فلما انتهى اليه القول استأذن فى الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده القصيدة التى أولها

ودائع أسرار طوتها السرائر وباحت بمكنوناتهن النواظر
ملكت لها طى الضمير وتحته شبَا لوعة عَضْبُ الغِرارين باتر
فأُعجم عنها ناطق وهو معرب وأعجبت العجمَ الجفون المواطر
ألم تقذنى السراء فى رتق الهوى غريراً بما تجنى على الدوائر
تسالمنى الأيام في عُنْفُوانه ويَكْلَؤُنى طرف من الدهر ناظر
الى الحسن البانى العلا حين يمتت عوالي المنى حيث الحيَا المتظاهر
الى الأمل المبسوط والأجل الذى بأعدائه تكبو الجدود العواثر
ومن أنبعت عينَ المكارم كفُّه يقوم مقام القطر والروض داثر
تعصب تاج الملك فى عُنْفُوانه وأطَّت به عصرَ الشباب المنابر
تعطفه الأيام قبل عيانه ويصدرعنه الطَّرْف والطرف حاسر
به تُجْتَدَى النعمى وتستدرك المنى وتستكمل الحسنى وترعى الأواصر
أهاب بنا داعى نوالك مؤذناً بدونك الا أنه لا يحاور
قسمت صروف الدهر بأساً ونائلا فمالك موتور وسيفك واتر

ولما رأى الله الخلافة قد وهت دعائمها والله بالأمر خابر
بنى بك أركاناً عليها محيطة فأنت لها دون الحوادث ساتر
وأرعنَ فيه للسوابغ جنة وسقف سماء أنشأته الحوافر[1]
لها فلك فيه الأسنة أنجم ونقع المنايا مستطير وثائر
أجزت قضاء الموت فى مُهَج العدا به فاستباحتها المنايا الغوادر
لك اللحظات الكالئات قواصداً بنعمى وبالبأساء فيه شوازر
ولو لم تكن الا بنفسك فاخراً لما انتسبت الا اليك المفاخر

فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره الى الأرض وقال أحسنت والله وأجملت ولو لم تقل قط ولا تقول فى باقى دهرك غير هذا لما احتجت الى القول وأمر له بخمسة آلاف دينار، فأحضرت، واقتطعه الى نفسه فلم يزل فى جَنْبته أيام ولايته وبعد ذلك الى أن مات ما تصدى لغيره

كان محمد بن وهيب قد مدح على بن هشام وتردد اليه والى بابه دفعات فحجبه، ولقيه يوماً فعرض له فى طريقه وسلم عليه فلم يرفع اليه طَرْفه وكان فيه تيه شديد، فكتب اليه رُقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت اليه خرقها وقال أى شىء يريد هذا الثقيل السيىء الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مغضباً وقال والله ما أردت ماله وانما أردت التوصل بجاهه وسيغنى الله جل وعز عنه أما والله لأذمن فعله وقال يهجوه

أزرت بجود على خيفةُ العدم فصد منهزماً عن شأوِ ذى الهمم
لو كان من فارس فى بيت مكرمة أو كان من ولد الأملاك فى العجم
أو كان أوله أهل البطاح أو الركـ ـب الملبُّون اهلالاً الى الحرم
أيام تتخذ الأصنام آلهة فلا ترى عاكفاً إلا على صنم
لشجعته على فعل الملوك لهم طبائع لم ترُعْها خيفة العدم

(١) يعنى أن على الدروع من الغبار ما قد غشيها فصار كالجُنة لها

لم تَنْدَ كفاك من بذل النوال كما ... لم يَنْدَ سيفك مذ قُلِّدتَه بدم
كنت امرأ رفعته فتنة فعلا ... أيامَهـــا غادراً بالعهد والذمم
حتى اذا انكشفت عنا غياهبها ... ورُتِّب الناس بالأحساب والقدم
مات التخلق وارتدَّتك مرتجماً ... طبيعة نَذْلة الأخلاق والشيم
كذاك من كان لا رأساً ولا ذنباً ... كزَّ اليدين حديث العهد بالنعم
هيهات ليس بحمال الديات ولا ... معطى الجزيل ولا المرهوب ذى النقم

فلما بلغت هذه الأبيات على بن هشام ندم على ما كان منه وجزع وقال لعن الله اللَّجاج فانه شر خلق تخلقه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال الله يعلم انى لا أدخل على الخليفة عليَّ السيف الا وأنا مستح منه أذكر قول ابن وهيب

لم تند كفاك من بذل النوال كما ... لم يندَ سيفك مذ قلدته بدم

ومن جيد شعره ونادره

نم فقد وكَّلتَ بى الأرقا ... لاهياً تُغْرِي بمن عشقا
انما أبقيت من جسدى ... شَبَحاً غير الذي خَلِقا
كنت كالنقصان فى قمر ... ما خفى منه الذى اتسقا
وفتىً ناداك من كَثَب ... أسعرت أحشاؤه حُرَقا
غرقت فى الدمع مقلته ... فدعا انسانُها الغرقا
انمـــا عاقبت ناظره ... اذ أعاد الطرف مسترقا
ما لمن تمت محاسنه ... أن يعادى طرف من رَمَقا
لك أن تبدى لنا حسناً ... ولنا أن نُعمِل الحَدَقا
قدحت كفاك زَنْدَ هوى ... فى سواد القلب فاحترقا

لما قدم المأمون ولقيه الحسن بن سهل دخلا جميعاً فعارضهما ابن وهيب فقال

اليوم جردت النعماء والمـنن ... فالحمد لله حلَّ العقـدةَ الزمن

اليوم أظهرت الدنيا محاسنها للناس لما التقى المأمون والحسن

فلما جلسا سأله المأمون عنه ، فقال رجل من حمير شاعر مطبوع اتصل بى متوسلا الى أمير المؤمنين وطلب الوصول اليه مع نظرائه ، فأمر المأمون بايصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له فى الانشاد أنشده قوله

طلَلان طال عليهما الأمد دَثَرا فلا علَم ولا نَضَد
لبِسا البِلى فكأنما وجدا بعد الأحبة مثل ماوجدوا
إمّا طواك سلو غانية فهواك لا ملَل ولا فنَد
ان كنت صادقة الهوى فردي فى الحب منهلِيَ الذى أرِد
أدَمِي هرَقتِ وأنت آمنة أم ليس لى عقل ولا قوَد
ان كنت فتّ وخانني سبب فلربما يخطىء مجتهد

حتى انتهى الى قوله فى مدح المأمون

يا خير منتسب لمكرمة فى المجد حتى ينتج العدد
فى كل أنمـــلة لراحته نوْء يَسِحّ وعارض حشد
واذا القنا رَعَفت أسنته علَقًا وضم كعوبه قِصَد
فكأن ضوء جبينه قمر وكأنه فى صولة أسد
وكأنه روح تدبرنا حركاته وكأننا جسد

فاستحسنها المأمون وأمر بأن تعد أبيات قصيدته ويعطى لكل بيت ألف درهم فعدت فكانت خمسين فأعطاه خمسين ألف درهم

وله فى المأمون والحسن بن سهل خاصة مدائح شريفة نادرة ، من عيونها قوله للمأمون

العذر ان أنصفت متضح وشهيد حبك أدمع سفُح
فضحت ضميرك عن ودائعه ان الجفون نواطق فُضُح
واذا تكلمت العيون على إعجامها فالسر منفضح

وبما أبيت معانق قمر للحسن فيه مخايل نُصُح
نشر الجمال على محاسنه بدعاً وأذهب همَّه الفرح
يختال فى حلل الشباب به مَرَح وداؤك أنه مَرِح
ما زال يُلثمني مَراشفه ويُعلِّلُني الأبريق والقدح
حتى استرد الليل خلعته ونشا خِلال سواده وَضَح
وبدا الصباح كأن غرَّته وجه الخليفة حين يمتدح

يقول فيها

نشرت بك الدنيا محاسنها وتزينت بصفاتك المدح
وكأن ما قد غاب عنك له بازاء طرفك عارضاً شبح
واذا سلمت فكل حادثة جَلَل فلا بؤس ولا ترَح

قصد محمد بن وهيب المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعى ، وكان له صديقاً حفياً ، وكان كثير الرفد له والثواب على مدائحه فأنشده قوله فيه

دماء المحبين لا تُعْقل (١) أما فى الهوى حكم يعدل ؟
تعبدنى حوَر الغانيات ودان الشباب له الأخضل
ونظرة عين تلافيتها غِرارا (٢) كما ينظر الأحول
مقسَّمة بين وجه الحبيب وطرف الرقيب متى يغفُل
أذم على غربات النوى اليك السلو ولا أذهل
وقالوا عزاؤك بعد الفراق اذا حُمَّ مكروهه أفضل
أقيدى دماً سفكته العيون بايماض كحلاء لا تكحل
فكل سهامك لى مُقْصِد (٣) وكل مواقعها مقتَل

(١) عقل القتيل وداه أى أدى ديته (٢) أى على عجل
(٣) أقصد السهم أصاب فقتل مكانه

سلام على المنزل المستحيل وان ضن بالمنطق المنزل
وعض الضريبة يلقى الخطوب يجد عن الدهر ما ينكل
تغلغل شرقاً الى مغرب فلما تبدت له الموصل
ثوى حيث لا يستهل الأريب ولا يؤلف اللقن الأحول
لدى مالك قابلته السعود وجانبته الأنجم الأفل
لأيامه سطوات الزمان وانعامه حين لا موئل
سما مالك بك للباهرات وأوحدك المربأ الأطول
وليس بعيداً بأن تحتذى مذاهب آسادها الأشبل

فوصله وأحسن جائزته وأقام عنده مدة ثم استأذنه فى الانصراف فلم يأذن له وزاد فى ضيافته وجدد له صلة فأقام عنده برهة أخرى ثم دخل اليه فأنشده

ألا هل الى فيء العقيق وظله الى قصر أوس فالحزير معاد ؟
وهل بأكناف المصلى فسفحه الى السور مغدى ناعم ومراد ؟
فلا تنسني نهر الأبلة نية ولا عرصات المربدين بعاد
هنالك لا تبني الكواكب خيمة ولا تتهادى كلثم وسعاد
أجدى لا ألقى النوى مطمئنة ولا يزدهيني مضجع ومهاد

فقال أبيت الا الوطن والنزاع اليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وأوقر له زورقاً من طرف الموصل وأذن له

كان يتردد الى مجلس يزيد بن هرون فلزمه عدة مجالس يملى فيها كلها فضائل أبى بكر وعمر وعثمان ولم يذكر شيئاً من فضائل على فقال فيه ابن وهيب

آتى يزيد بن هرون أداجله في كل يوم ومالي وابن هرون
فليت لي ببزيد حين أشهده راحاً وقصفاً وندماناً تسليني
أغدو الى عصبة صمت مسامعهم عن الهدى بين زنديق ومأفون

لا يذكرون علياً فى مشاهدهم ولا بنيه بني البيض الميامين
انى لأعلم أنى لا أحبهمُ كما همُ بيقين لا يحبونى
لو يستطيعون من ذكرى أبى حسن وفضله قطعونى بالسكاكين
ولست أترك تفضيلى له أبداً حتى الممات على رغم الملاعين

كان يأتى محمد بن القاسم بن يوسف فقال له يوماً انك تأتينا وقد عرفت مذاهبنا فنحب أن نعرف مذهبك فنوافقك أو نخالفك ، فقال فى غد أبين لك أمري ، فلما كان من غد كتب اليه

أيها السائل قد بينت ان كنت ذكيا
أحمد الله كثيراً بأياديه عليا
شاهداً ألاَّ إله غيره مادمت حيا
وعلى أحمد بالصد ق رسولاً ونبيا
ومنحت الود قربا ه ووالیت الوصيا
وأتانى خبر مطَّرح لم يك شيا
أن على غير اجتماع عقدوا الأمر بَدِيًا
فوقفت القوم تيماً وعَدِيًّا وأُمَيَّا
غير شتام ولكنى توليت عليا

شعراء كندة

اسمعيل القراطيسى

هو اسمعيل بن مَعْمَر الكوفي مولى الأشاعثة ، وكان مألفاً للشعراء ، فكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون

ومن شعره وفيه غناء

ويلى على ساكن شط الصَّراة [1] من وجنتيه شِمْت برق الحياة
ما ينقضى من عجب فكرتى فى خَصْلَة فرَّط فيها الولاة
ترك المحبين بلا حاكم لم يقعدوا للعاشقين القضاة
وقد أتانى خبر ساءنى مقالها فى السر واسوءتاه
أمثل هذا يبتغى وصلنا أما يرى ذا وجهه فى المراة

وفى معنى قوله وقد أتانى البيتين قبل

جارية أعجبها حسنها فمثلها فى الناس لم يخلق
خبرتها أنى محب لها فأقبلت تضحك من منطق
والتفتت نحو فتاة لها كالرشأ الوسنان فى قَرطق
قالت لها قولي لهذا الفتى انظر الى وجهك ثم اعشق

مدح الفضل بن الربيع فحرمه ، فقال

ألا قل للذى لم يهده الله الى نفع
لئن أخطأتُ فى مدحيك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أحللت حاجاتى بواد غير ذي زرع

(١) الصراة نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى ويصب فى دجلة

شعراء مذحج

سليمان بن وهب

هو أخو الحسن بن وهب ، كان أخوه الحسن بن وهب ينتمى الى بنى الحرث بن كعب ، استوزره المهتدى ولقبه الوزير حقاً لأن من كان قبله كان غير مستحق للوزارة ولا مستقل بها ، ولما ولاه قام اليه رجل من ذوى حرفته فقال أعز الله الوزير خادمك المؤمل دولتك ، السعيد من أيامك ، المطوىّ القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرتهن بشكر نعمتك ، وقد قال الشاعر

وفيت كل أديب ودنى ثمناً ... الا المؤمل دولاتى وأيامى
فانى ضامن ألاّ أكافئه ... الا بتسويغه فضلى وانعامى

وانى لكما قال القَيْسِىّ : ما زلت أمتطى النهار اليك ، وأستدل بفضلك عليك ، حتى اذا جنّنى الليل فقبض البصر ، ومحا الأثر ، أقام بدنى وسافر أملى ، والاجتهاد واذ بلغتك فهو مرادى فقط ، فقال له سليمان لا عليك فانى عارف بوسيلتك محتاج الى كفايتك ولست أؤخر عن أمرى النظر فى أمرك وتوليتك ما يحسن أثره عليك

لما استوزر سليمان جلس للناس ، فدخل اليه شاعر يقال له هرون بن محمد البالسى فذكر مظلمة له ببلده ، ثم أنشده

زيد فى قدرك العلىّ علوّ ... يا ابن وهب من كاتب ووزير
أسفر الشرق منك والغرب عن ضو ... ء من العدل فاق ضوء البدور
أنشر الناسَ غيثُكم بعد ما كا ... نوا رُفاتاً من قبل يوم النشور

شَرَّد الجَوْرَ عدلُكم فسرحنا بينكم بين روضه وسرور

فوقع فى ظلامته ووصله بمائتى دينار

قال احمد بن الخصيب لمهدي يزيد بن محمد المهلبى عند سليمان بن وهب بعد ما استوزره المهدى وقد أجلسه الى جانبه وهو ينشد قوله

وهبتم لنا يا آل وهب مودة فأبقت لنا جاهاً ومجداً يؤثل

فمن كان للآثام والذل أرضه فأرضكمُ للأجر والعز منزل

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد سألوكم فوق ما كان يسأل

يقصر عن مسعاكم كل آخر وما فاتكم ممن تقدم أول

بلغت الذى قد كنت أملته لكم وان كنت لم أبلغ بكم ما أؤمل

فقطع عليه سليمان الإنشاد وقال له يا أبا خالد فأنت والله عندى كما قال عمارة ابن عقيل لابنه

أقهقه مسروراً اذا أبْتَ سالماً وأبكى من الاشفاق حين تغيب

فقال له يزيد فيسمع مني الوزير آخر الشعر لا أوله ، وتم فقال

ومالي حق واجب غير أنني بجودكمُ فى حاجتي أتوسل

وأنكمُ أفضلتمُ وبَرِرْتمُ وقد يستتم النعمةَ المتفضل

وأوليتمُ فعلاً جميلاً مقدماً فعودوا فان العود بالخير أجمل

وكم مُلْحِف قد نال ما رام منكمُ ويمنعنا من مثل ذاك التجمل

وعودتمونا قبل أن نسأل الغنى ولا بذل للمعروف والوجه يبذل

فقال له سليمان لا تبرح والله الا بقضاء حوائجك كائنة ما كانت ، ولو لم أستفد من كتبة أمير المؤمنين الا شكرك لرأيتُ جنابى بذلك مُمْرِعاً وغرسى مثمراً ، ثم وقع له في رقاع كثيرة

قال على بن الحسين الاصبهانى حضرت أبا عبد الله الباقطانى وهو يتقلد ديوان

المشرق وقد تقلد ابن أبي السلاسل ماسندان ومهرجان قذق [1] وجاءه يأخذ كتبه، فجعل يوصيه كما يوصي أصحاب الدواوين والعمال، فقال ابن أبي السلاسل كأنك استكثرت هذا العمل أيضاً قد كنت تكتب لأبي العباس بن ثوابة ثم صرت صاحب ديوان، فقال له الباقطاني يا جاهل يا مجنون لولا أنه قبيح عليّ مكافأة مثلك لراجعت الوزير أيده الله في أمرك حتى أزيل يدك، ومن لي أن أجد مثل أبي ثوابة في هذا الوقت فأكتب له ولا أريد الرياسة؟ ثم أقبل علينا يحدثنا فقال دخلت مع أبي العباس بن ثوابة الى المهتدي وكان سليمان بن وهب وزيره، وكان يدخل اليه الوزير وأصحاب الدواوين والعمال والكتاب فيعملون بحضرته فيوقع اليهم في الأعمال، فأمر سليمان أن يكتب عنه عشرة كتب مختلفة الى جماعة من العمال، فأخذ سليمان بيد أبي العباس بن ثوابة ثم قال له أنت اليوم أحدّ ذهناً مني فهلم نتعاون، فدخلا بيتاً ودخلت معهما وأخذ سليمان خمسة أنصاف وأبو العباس خمسة أنصاف أخر، فكتبا الكتب التي أمر بها سليمان وما احتاجا الى نسخة وقد أكمل كل واحد منهما ما كتب به صاحبه فاستحسنه وقرظه، ثم وضع سليمان الكتب بين يدي المهتدي فقال له وقد قرأها أحسنت ياسليمان ونعم الرجل أنت لولا المعجل والمؤجل، وكان سليمان اذا ولي عاملاً أخذ منه مالاً معجلاً وأجل له مالاً الي أن يتسلم عمله، فقال له يا أمير المؤمنين هذا قول لا يخلو من أن يكون حقاً أو باطلاً، فان كان باطلاً فليس مثلك من يقوله، وان كان حقاً وقد علمت أن الاصول محفوظة فما يضر من يساهمني من عمالي على بعض ما يصل اليهم من بر من غير تحيف للرعية ولا نقص للأموال؟ فقال اذا كان هكذا فلا بأس، ثم قال له اكتب الى فلان العامل بقبض ضيعة فلان المصروف المعتقل في يده وبباقي ماعليه من المصادرة، فقال له أبو العباس بن ثوابة كلنا يا أمير المؤمنين خدمك وأولياؤك وكلنا حاطب

(١) كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق الى همذان في تلك الجبال

فى حبلك وساع فيما أرضاك وأيد ملكك، أفنمضى ما تأمر به على ماخيلت أم نقول الحق ؟ قال بل قل الحق يا أحمد ، فقال يا أمير المؤمنين الملك يقين والمصادرة شك، أفترى أن أزيل اليقين بالشك ؟ قال لا ، قال فقد شهدت للرجل بالملك وصادرته عن شك فيما بينك وبينه وهل خانك أم لا ؟ فتجعل المصادرة صلحاً ، فاذا قبضت ضيعته بهذا فقد أزلت اليقين بالشك ، فقال له صدقت ، ولكن كيف الوصول الى المال ؟ فقال له أنت لابد لك من عمال على أعمالك وكلهم يرتزق ويرتفق فيحوز رزقه ورفقه الى منزله فاجعله أحد عمالك ليصرف أحد هذين الوجهين الي ماعليه ويسعفه معاملوه فيتخلص بنفسه وضيعته ويعود اليك مالك ، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك ، فلما خرجا عن حضرة المهتدى قال له سليمان عهدى بهذا الرجل عدوك وكل واحد منكما يسعى على صاحبه فكيف زال ذلك حتي نبت عنه فى هذا الوقت نيابة أحيته بها وتخلصت نفسه ونعمته ؟ فقال انما كنت أعاديه وأسعى عليه وهو يقدر على الانتصاف منى فأما وهو فقير الىَّ فهذا مما يَحظُره الدين والصناعة والمروءة ، فقال له سليمان جزاك الله خيراً ، أما والله لأشكرن هذه النية لك ولأعتقدنك من أجلها أخاً وصديقاً ولأجعلن هذا الرجل لك عبداً مابقى ، ثم قال الباقطانى فمن كان هذا وزنه وفعله يعاب من يكتب له ؟

ومن قوله وقد نكبه الواثق وفيه غناء

نوائب الدهر أدبتني وانما يوعظ الأديب
قد ذقت حلواً وذقت مراً كذاك عيش الفتى ضروب
ما مرَّ بؤس ولا نعيم إلا ولي فيهما نصيب

كتب اليه على بن يحيى فى جفوة نالته منه

جفانى أبو أيوب نفسى فداؤه فعاتبته كيما يريغ ويُعتبا
فوالله لولا الظن مني بوده لكان سهيل من عتابيه أقربا

فكتب اليه سليمان

ذكرت جفائى وهو من غير شيمتى ... وانى لدان من بعيد تقربا
فكيف بخلٍّ لي أضَن بوده ... وأصفيه وداً ظاهراً ومغيبا
على بن يحيى لاعدمت اخاءه ... فما زال فى كل الخصال مهذبا
ولكن أشغالاً غدت وتواترت ... فلما رأيت الشغل عاق وأتعبا
ركنت الى عذر الأخلاء انهم ... كرام وان كان التواصل أوجبا
فان يطّلب منى عتابك أوبة ... ببر تجدنى بالأمانة معتبا

جاءته رقعة من بعض أصحابه وفيها

هبنى رضيت منك بالقليل ... أكان فى التأويل والتنزيل
أو خبر جاء عن الرسول ... أو حجة فى فِطر العقول
مستحسن من رجل جليل ... عال له حظ من الجميل
يَنقُص ما أشاع بالتطويل ... والقول دون الفعل بالتحصيل
ليس كذا وصف الفتى النبيل

فكتب له بولاية ناحية وأنفذ اليه مائتي دينار وكتب فى رقعة

ليس الى الباطل من سبيل ... الا لمن يعدل عن تعديل
وقد وفينا لك بالتحصيل ... فاطو الذى كان عن الخليل
فضلاً عن الخليط والنزيل ... وعد من القول الى الجميل
وعِفَّ في الكثير والقليل ... تحظ من الرتبة بالجزيل

أهدى الى سليمان بن عبد الله بن طاهر سلال رطب من ضيعته وكتب اليه يقول

اذن الأمير بفضله ... وبجوده وبنبله
لوليه في بره ... بجناه سكر نخله
فبعثت منه بسلة ... تحكي حلاوة عدله

كتب سليمان بقلم صلب فاعتمد عليه اعتماداً شديداً فصر القلم فى يده فقال

اذا ما حددنا وانتضينا قواطعاً أصمَّ الذكيَّ السمع منها صريرها
تظَل المنـايا والعطايا شوارعاً تدور بما شئنا وتمضى أمورها
تساقط في القرطاس منها بدائع كمثـــل اللآلي نظمها ونثيرها
تقود أبيَّات البيان بفطنة يكشف عن وجه البلاغة نورها

ومن قوله يرثى أخاه الحسن

مضى مذ مضى عز الليالي وأصبحت لآلي الحجي والقول ليس لها نظم
وأضحى نَجِيّ الفـكر بعد فراقه اذا هم بالافصاح منطقه كظم

ومن قوله وفيه غناء

أمين الخالق البـارى وراعى كل مخلوق
أدر راحك فى المعشو ق من راحة معشوق

لما قبض الموفق علي سليمان بن وهب وابنه عبد الله تذاكر جماعة أنه انما استكتبهما ليقف منهما على ذخائر موسى بن بُغا وودائعه فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة مالهما فقال ابن الرومى وكان حاضراً

ألم تر أن المال يُتلف ربه اذا جُمَّ آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير بجمّه وسد مغيض الماء فهو غريقه

ومات سليمان فى محبسه وهو مطالب

شعراء أنمار

محمد بن بشير

هو محمد بن بشير الرِّياشي يقال أنه مولى لهم ويقال أنه منهم صليبة وبنو رياش يذكرون أنهم من خثعم

شاعر ظريف من شعراء المحدثين متقلل لم يفارق البصرة ولا وفد الى خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده وصحبة طبقته وكان ماجناً هجاء خبيثاً

من قوله يصف بستاناً له

لي بستان أنيق زاهر ... ناضر الخضرة رَيَّان يَرِف[1]

راسخ الأعراق رَيَّان الثَّرى ... غَدِق[2] تربته ليست تَجِف

لمجارى الماء فيه سنن ... كيفما صَرَّفته فيه انصرف

مشرق الأنوار ميَّاد الندى ... منثن في كل ريح منعطف

تملك الريح عليه أمره ... فاذا لم يؤنس الريح وقف

يكتسي في الشرق ثوبي يُمْنة ... ومع الليل عليها يلتحف

ينطوي الليل عليه فاذا ... واجه الشرق تجلى وانكشف

صابر ليس يبالي كثرة ... جزَّ بالمنجل أو منه نتف

كلما ألحق منه جانب ... لم يتلبث منه تعجيل الخلف

لا ترى للكف فيه أثراً ... فيه بل ينمي على مسّ الأكُف

فترى الأطباق لا تمهله ... صادرات واردات تختلف

---

(١) رف النبات اهتز واضطربت أغصانه (٢) عشب غدق مبتل ريان

فيه للخارف من جيرانه كلما احتاج اليه مخترَف
أُقحوان وبَهار مونق وسوى ذلك من كل الطُّرَف
وهو فى الأيدى يحيَّوْن به وعلى الآناف طوراً يستشف

طلب محمد بن بشير من ابن أبى عمر المدينى فراخاً من الحمام الهندي فوعده أن يأخذها له من المثنى ابن زهير، ثم نور عليه أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه فقال ابن بشير

يارب ربَّ الرائحين عشية بالقوم بين منًى وبين ثَبير
والواقفين على الجبال عشية والشمس جانحة الى التغوير[١]
حتى اذا طفَل[٢] العَشِيّ ووجهت شمس النهار وآذنت بغؤور
رحلوا الي جيف نواحلَ ضمها طول السِّفار وبعد كل مسير
ابعث على طير المدينى الذى قال المحال وجاءنى بغرور
ابعث على عجل اليها بعد ما يأخذن زينتهن فى التحسير[٣]
فى كل ماصفوا المراحل وابتدَوا فى المبتدين بهن والتكسير
ومَضَين عن دور الخُرَيبة[٤] زُلْفة دون القصور وحمرة المأخور
مع كل ريح يعتري بهبوبها فى الجو بين شواهن وصقور
من كل أكلف[٥] بات يدْجُن ليله فعدا بعدوة ساغب ممطور
ضَرِم[٦] يقلب طرفه متناسياً شيئاً فكان له من التقدير
يأتى بهن ميُامناً وميامراً صكا بكل مزلق ممكور[٧]

(١) غورت الشمس غربت (٢) طفلت الشمس دنت للغروب وغارت الشمس غؤراً غربت (٣) التحسير خرجت من الريش العتيق الى الحديث وحسرها أبان ذلك ثقلها لانه فعل فى مهلة (٤) الخريبة موضع بالبصرة (٥) الاكلف مالونه الكلفة وهى حمرة كدرة تعلو الوجه (٦) الضرم الجائع (٧) الممكور الأسد المتلطخ بدماء الفرائس كأنه صبغ بالمكر وهو المغرة بفتحتين

من طائر متحير عن قصده ... أو ساقط خَلِج الجناح كسير
لم ينج منه شريدهن فان نجا ... شيئاً فصار بجانبات الدور
لمشمِّرين عن السواعد حُسَّراً ... عنها بكل رشيقة التوتير (١)
سُدَّ (٢) الأكف الى المقاتل صُيَّب ... سُحْت الجيوف بجؤجؤ ونحور
ليس الذى تُخْطِى يداه رَمِيَّة ... منهم بمعدود ولا معذور
يتسرعون وتمتطى أيديهمُ ... في كل طائفة الجدار بتُور
عُطُف السِّيات (٣) دوائر فى عِطفها ... تُعْزَى صناعتها الى عصفور
ينفين عن حُدْب الأكف نواقبا ... متشابهات القِدِّ والتدوير
تجرى بها مهج النفوس وانها ... لنواضل سُلَّت من التحبير
ما ان تقصِّر عن مَدًى متباعد ... فى الجو تحسِر طرف كل بصير
حتى تراه مُزَمَّلاً بدمائه ... فكأنه متضمخ بعبير
فيظَلَّ يومهمُ بعيش ناصب ... نصب المراجل معجل التنوير
ويؤوب ناجيهن بين مُضَرَّج ... بدم ومخلوب الي ميسور
عارى الجَناح من القوادم والقرا ... كاس عليه مائر (٤) التامور
فيؤوده متيقن فى مشيه ... خُطُف (٥) المؤخر مُشْبَع التصدير
ذو حُلْكة مثل الدُّجى أو غُبْشة ... شَغْب شديد الجد والتيسير
فيمر منها في البرارى والقُرَى ... من كل أعْبل كالسِّنان هصور
فى حين تُؤْذيها المبايت مَوْهِناً ... أو بعد ذلك آخر التحسير
يختص كل سليل سابق غاية ... مَحْض النِّجار مجرَّب مخبور

(١) وتر القوس شد وترها (٢) سد جمع الأسدّ وهو المصيب والجؤجؤ الصدر
(٣) سية القوس طرف قابها وقيل رأسها وقيل ما اعوج من رأسها (٤) مار الدم على وجه الأرض انصب فتردد عرضاً والتامور القلب (٥) الخطف الضمر

عجل عليه بما دعوت له به أره بذاك عقوبة التنوير
حتى يقول جميع من هو شامت هذى اجابة دعوة ابن بشير
فلأُلفينك عند حالَيْ حسرة وتأسف وتلهف وزفير
ولتُلْفَيَنَ اذا رمتك بسهمها أيدى المصائب منك غير صبور

وأنشد لنفسه فى مجلس أبى محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض

ويل لمن لم يرحم الله ومن تكون النار مثواه
واغفلتا فى كل يوم مضى يذكرنى الموت وأنساه
من طال فى الدنيا به عمره وعاش فللموت قُصاراه
كأنه قد قيل في مجلس قد كنت آتيه وأغشاه
محمد صار الى ربه يرحمنا الله وإياه

ومن قوله

ماذا يكفك الرَّوْحاتِ والدُّلَجا البَرَّ طوراً وطوراً تركب اللُّججا
كم من فتى قَصُرت فى الرزق خطوته ألفيته بسهام الرزق قد فُلِجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
ان الأمور اذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أخْلِقْ بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُذْمن القرع للأبواب أن يلجا
فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زَلَقاً عن غِرَّة زلجا
ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا
لا يُنْتَج الناس إلا من لقاحهم يبدو لقاح الفتى يوماً اذا نُتِجا

ومن شعره وقد رأى قوماً من أهل الجدل يتصايحون فى المقالات والحجج

يا سائلى عن مقالة الشيع وعن صنوف الأهواء والبدع
دع عنك ذكر الأهواء ناحية فليس ممن شهدتَ ذو ورع

كل أناس بَدِيُّهم حسن ثم يصيرون بعد للسُّمَع
أكثر ما فيه أن يقال لهم لم يك فى قوله بمنقطع

هوى قينة فكتبت اليه زوجته تعاتبه فكتب اليها

لا تذكرى لوعة إثرى ولا جزعا ولا تقاسين بعدى الهم والهَلَعا
بل ائتسي تجدى ان ائتسيت أُسًى بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا
ما تصنعين بعين عنك قد طمحت الي سواك وقلب عنك قد نزعا
ان قلت قد كنت فى خفض وتكرمة فقد صدقت ولكن ذاك قد نزعا
وأى شيء من الدنيا سمعت به الا اذا صار في غاياته انقطعا
ومن يطيق خليعاً عند صبوته أم من يقوم لمستور اذا خلعا

وكان له صديق يقال له داود وكان اذا انصرف من مجلس أخذه معه فيمشى قدامه فان كان فى الطريق طين أو بئر أو أذى لقى داود شره وحذره ابن بشير ، ثمات داود ، وانصرف ابن بشير ليلة وهوسكران فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل فى رجله عظم ولقى عنتاً فقال يرثى ابن داود

أقول والأرض قد غشَّى وجللها ثوب الدجى فهوفوق الأرض ممدود
وسد كل فروج الجو منطبقاً وكل فرج به فى الجو مسدود
وفى الوداع وفى الأبداء[1] لي عنت دون المسير وباب الدار مسدود
من لي بداود فى ذى الحال يرشدنى من لي بداود ؟ لهفى ، أين داود ؟
لهفى على رجله ألاَّ أقدمها قدام رجلى فتلقاها الجلاميد
اذ لا أزال اذا أقبلت ينكبني حرف وجرْف ودكان واخدود
فان تكن شوكة كانت تحل به أو نكبة فى سواد الليل أوعود

(١) البدء والبدىء البئر التى حفرت فى الاسلام حديثة وليست بعادية

هجمت شاة منيع البقال على دار ابن بشير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلها ، فقال فى ذلك

قل لبُغاة الآداب ما صنعت منها اليكم فلا تضيعوها
وضمنوها صحف الدفاتر بالحبـــر وحسن الخطوط أوعوها
فان عجزتم ولم يكن عَلَف يسـيغها عندكم فبيعوها

قال القاسم بن حسن كنا فى مجلس ومعنا محمد بن بشير وعمرو القصافي وعندنا مغنية حسـنة الوجه شَهلة [١] تغني غناء حسناً ، فكنا معها فى أحسن يوْم ، وكان القصافي يَعين [٢] فى كل شىء يستحسـنه ويحبه ، فما برحنا المجلس حتى عانها ، فانصرفت محمومة شاكية العين ، فقال ابن بشير

ان عمراً جنى بعينيه ذنباً قل مني عليه فيه الدعاء
عان عيناً ، فعينه للتى عا ن فدى ، وقل منه الفداء
شرّ عين تَعِين أحسنَ عين تحمل الأرض أو تُقِلّ السماء

استعار ابن بشير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضى عليه فى حاجة أرادها ، فمنعه ، فمضى اليها ماشياً وكتب الى عمرو القصافى وكان جاراً للهاشمى وصديقاً يشكوه اليه ويخبره بخبره

ان كنتُ لا عَيْر لي يوْماً يبلغني حاجي وأقضي عليه حق اخوانى
وضن أهل العواري حين أسألهم من أهل ودى وخُلْصانى وجيرانى
فان رجليَّ عندي لا عَدِمتهما رجلا أخى ثقة مذ كان جولان
يبلغاني حاجاتي وان بعدت ويدنيانَى مما ليس بالدانى
كأن خلقى اذا ما جدَّ جِدّهما إعصارَ عاصفة مما يُثيران

---

(١) الشهلة أن يشوب سواد العين زرقة وقيل أقل من الزرق في الحدقة وأحسن منه
(٢) عان أصاب بالعين

رِجلاىَ لم يألما نَكْباً كأنهما قطًّا وقدًّا وادماجاً مدَا كان (١)
ان يبعثا فى دَهاس (٢) يبعثا رَهَجاً أو فى حزون ذكا فيها شهابان
فالحمد لله يا عمرو الذى بهما عن العوارى وعن ذا الناس أغنانى

قال محمد بن سعد كنا فى حلقة التوّزى فلما تقوضت أنشدنا محمد بن بشير لنفسه

جهد المقلّ اذا أعطاه مصطبر أو مكثر من غنًى سيّان فى الجود
لا يَعْدَم السائلون الخير أفعله اما نوال واما حسن مردود

فقلنا له ما هذا التكارم وقمنا الى بيته فأكلنا من جِلّة تمر كانت عنده أكثرها وحملنا بقيتها ، فكتب الى والي البصرة عمرو بن حفص

يا أبا حفص بحرمتنا أعِدْ نفساً حين تُنْتَهَك
خذ لنا ثاراً بجِلّتنا فبك الأوتار تُدَّرك
زارنا زَوْر فلا سلموا وأصيبوا أيّة سلكوا
أكلوا حتى اذا شبعوا أخذوا الفضل الذى تركوا

فبعث الينا فأحضرنا فأغرمنا مائة درهم وأخذ من كل واحد منا جِلّة تمر ودفع ذلك اليه

حدث القاسم بن الحسن قال خرجنا مع بعض ولد النُّوْشَجانى الى قصر له فى بستانهم بالجعفرية ومعنا محمد بن بشير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فاذا هو قد خرب واختل ، فقال فيه ابن بشير

ألا يا قصر قصر النُّوشَجانى أرى بك بعد أهلك ما شجانى
فلو أُعفِى البلاء ديارُ قوم لفضلٍ منهمُ ولعُظْم شان
لما كانت ترى بك بينات تلوح عليك آثار الزمان

(١) المداك حجر يسحق عليه الطيب (٢) الدهاس مكان لين سهل لا يبلغ أن يكون رملا وليس بتراب ولا طين والرهج الغبار أو ما أثير منه

كان محمد بن بشير صديقاً لدُواد بن احمد بن أبى دواد كثير الغشيان له ، ففقده أهله أياماً وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحاب له قد خرجوا يتنزهون ، فجاؤا الى دواد بن احمد يسألونه عنه ، فقال لهم اطلبوه فى منزل حُسن المغنية ، فان وجدتموه والا فهو في حبس أبى شجاع صاحب شرطة خُمار التركى ، فلما كان بعد أيام جاءه ابن بشير فقال له إيه أيها القاضى كيف دللت عليَّ أهلي ؟ قال كما بلغك ، قال وقد قلت فى ذلك أبياتاً ، قال أوَ فعلت ذلك أيضاً ؟ زدنى من برك هات إيش قلت ؟ فأنشده

ومرسلةٍ توجه كل يوْم إليَّ وما دعا للصبح داع
تسائلني وقد فقدوه حتى أرادوا بعده قسم المتاع
اذا لم تلقه فى بيت حسن مقيماً للشراب وللسماع
ولم يُرَ فى طريق بني سَدوس يخط الأرض منه بالكُراع
يدِق حزونها بالوجه طوراً وطوراً باليدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى فلا تغلط حَبِيسَ أبى شجاع

فجعل ابن بشير يضحك ويقول أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره ، ثم لم يبرح حتى أعطاه دواد مائتي درهم وخلع عليه خلعة من ثيابه

كان ابن بشير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه ، من ذلك قوله

اذا ما غدا الطلاب للعلم مالهم من الحظ الا ما يدوَّن فى الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهمُ فمحبرتى أُذْنى ودفترها قلبى

كان ابراهيم بن رَباح اذا حزَبه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن بشير

تخطى النفوس مع العِيا ن وقد تصيب مع المظنة

كم من مضيق فى الفضا ء ومَخْرَج بين الأَسِنَّة

كان يعاشر ولد جعفر بن سليمان فأخذ منه قُثَم بن جعفر ألواح آبنوس كان يكتب فيها بالليل ، فقال في ذلك

أبقت الألواح اذ أخذت حرقة في القلب تضطرم
زانها فصان من صَدَف واحمرار السير والقلم
وتولى أخذها قُثَم لا تولى نفعها قثم

كان يعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشمى لملال كان فيه ، فكتب اليه ابن بشير

قد كنت منقبضاً وأنت بسطتني حتى انبسطت اليك ثم قبضتني
أذكرتني خلق النفاق وكان لي خلقاً فقد أحسنت اذ أذكرتني
لو دام ودك وانبسطتُ الى امرىء فى الود بعدك كنتَ أنت غررتني
فهلمَّ نجتذب التذاكر بيننا ونعود بعدُ كأننا لم نفطِن

قال عبد الله بن محمد بن بشير كان أبى مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشراب وما بات قط الا وهو سكران وما نبذ قط نبيذاً وانما كان يشربه عند اخوانه ويستسقيه منهم ، فأصبحنا بالبصرة يوْماً على مطر هادىء ولم تمكنه معه الحركة الى قريب من اخوانه ولا بعيد ، وكان يجن اذا فقد النبيذ ، فكتب الى والي البصرة محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان

كم فى علاج نبيذ التمر لي تعب الطبخ والدلك والمعصار والعكر
وان عدلت الى المطبوخ معتمداً رأيتني منه عند الناس أشتهر
نقل الدِّنان الى الجيران يفضحني والقِدْر يتركني فى القوم أعتذر
فصرت فى البيت أستسقى وأطلبه من الصديق ورسلي فيه تبتدر

فمنهمُ باذل سَمْح بحاجتنـــا ومنهمُ كاذب بالزور يعتـذر
فسقّنى رِىّ أيام لتمنعـــني من الدّساتيج لا يُزْرِى بها السفر
وان تكن حاجتى ليست بحاضرة وليس فى البيت من آثارها أثَر
فاستسق غيرك أوفاذكر له خبرى ان اعتراك حياء منك أو حَصَر
ما كان من ذلكم فَلْيَأْتنى عجلاً فانى واقف بالباب أنتظر
لا لي نبيذ ولا حر فيـدعونى وقد حمانيَ من تطفيليَ المطر

فضحك لما قرأها وبعث اليه بزق نبيذ ومائتى درهم ، وكتب اليه اشرب النبيذ وأنفق الدراهم الى أن يُمسك المطر ويتسع لك التطفيل ومتى أعوزك مكان فاجعلني فَيْئَة لك والسلام

شعراء طيء

أبو تمام

هو حبيب بن أوس الطائى ، مولده ومنشؤه منبج بقرية منها يقال لها جاسم شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعانى غواص على ما يستصعب منها ويعسر متناوله على غيره ، وله مذهب فى المطابق هو كالسابق اليه جميع الشعراء وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فان له فضل الإكثار فيه والسلوك فى جميع طرقه ، والسليم من شعره النادر لا يتعلق به أحد ، وله أشياء متوسطة ورديئة رذلة جداً ، وفى عصرنا هذا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف ، وأقوام يتعمدون الردىء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون القحة والمكابرة فى ذلك ليقول الجاهل بهم انهم لم يبلغوا علم هذا وتميزه الا بأدب فاضل وعلم ثاقب ، وهذا ما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس وطلب معايبهم سبباً للترفع وطلباً للرياسة ، وليست إساءة من أساء في القليل وأحسن فى الكثير مسقطة احسانه ، ولو كثرت إساءته أيضاً ثم أحسن لم يقل له عند الاحسان أسأت ولا عند الصواب أخطأت ، والتوسط في كل شىء أجمل والحق أحق أن يتبع ، وقد روى عن بعض الشعراء أن أبا تمام أنشده قصيدة له أحسن في جميعها الا فى بيت واحد ، فقال له يا أبا تمام لو ألقيت هذا البيت ما كان فى قصيدتك عيب ، فقال له أنا والله أعلم منه مثل ما تعلم ولكن مثل شعر الرجل عنده مثل أولاده فيهم الجميل والقبيح والرشيد والساقط وكلهم حلو فى نفسه فهو وان أحب الفاضل لم يبغض الناقص وان هوِيَ بقاء المتقدم لم يهوَ موت المتأخر ، واعتذاره بهذا ضد ما وصف به نفسه فى مدحه الواثق حيث يقول

جاءتك من نظم اللسان قلادة سِمْطان فيها اللؤلؤ المكنون
حُذِيت حذاء الحَضرمية أرهفت وأجابها التخصير والتاسين
انسية وحشية كثرت بها حركات أهل الأرض وهي سكون
ينبوعها خَضِل وحَلْيُ قريضها حلى الهدى ونسيجها موضون
أما المعانى فهى أبكار اذا نُصَّت ولكن القوافى عُون
أحذاكها صَنَعَ الضمير يمده جفر اذا نَضَب الكلام معين
ويسىء بالاحسان ظناً لا كمن هو بابنه أو شعره مفتون

فلو كان يسىء بالاحسان ظناً ولا يفتتن بشعره كنا فى غنى عن الاعتذار له، وقد فضل أبا تمام من الرؤساء والكبراء والشعراء من لا يشق الطاعنون عليه غباره ولا يدركون وان جدوا آثاره، وما رأى الناس بعده الى حيث انتهوا له فى جده نظيراً ولا شكلاً، ولولا أن الرواة قد أكثروا فى الاحتجاج له وعليه وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره، وأفرط معادوه فى التسطير برديئه والتنبيه على رذله ودنيئه لذكرت منه طرفاً ولكن قد أتى من ذلك ما لا مزيد عليه

أخبرنى عمى قال حدثني أبى قال سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول أشعر الناس طراً الذى يقول

وما أبالي وخير القول أصدقه حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمى

فأحببت أن أستثبت ابراهيم بن العباس وكان في نفسى أعلم من محمد وآدب فجلست اليه وكنت أجرى عنده مجرى الولد فقلت له من أشعر أهل زماننا هذا؟ فقال الذى يقول

مطر أبوك أبو أهلَة وائل ملأ البسيطة عدة وعديدا
نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا
ورثوا الأبوة فالحظوظ وأصبحوا جمعوا جدوداً فى العلا وجدودا

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه

قدم عمارة بن عقيل بغداد ، فاجتمع الناس اليه فكتبوا شعره وشعر أبيه وعرضوا عليه الأشعار ، فقال بعضهم ههنا شاعر يزعم أنه أشعر الناس طراً ويزعم غيرهم ضد ذلك ، فقال أنشدونى قوله ، فأنشدوه

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد ... وعاد قتادا عندها كل مرقد

وأنقذها من غمرة الموت أنه ... صدود فراق لا صدود تعمد

فأجرى لها الاشفاق دمعاً مورداً ... من الدم يجرى فوق خد مورد

هى البدر يغنيها تورد وجهها ... الى كل من لاقت وان لم تودد

ثم قطع المنشد ، فقال له عمارة زدنا من هذا ، فوصل نشيده وقال

ولكننى لم أحو وفراً مجمعاً ... ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطنى الأيام نوماً مسكناً ... ألذ به الا بنوم مشرّد

فقال عمارة لله دَرّه لقد تقدم فى هذا المعنى من سبقه اليه على كثرة القول فيه حتى لقد حبب الاغتراب هيه ، فأنشده

وطول مُقام المرء فى الحىّ مُخْلِقٌ ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة ... الى الناس أن ليست عليهم بسَرْمد

فقال عمارة كمل والله لئن كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعانى واطراد المراد واتساقه الكلام فان صاحبكم هذا أشعر الناس

وكان على بن الجهم يصف أبا تمام ويفضله ، فقال رجل والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا ، فقال ان لم يكن أخاً بالنسب فانه أخ بالأدب والمودة أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول

ان يُكْدِ مطّرف الأخاء فاننا ... نغدُو ونسرى فى إخاء تالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عَذْب تحدر من غمام واحد

أو يفترق نسب يؤلفْ بيننا أدب أقمناه مقام الوالد

جرى ذكر أبي تمام في حلقة دعبل فقال كان يتبع معانيَّ فيأخذها ، فقال له رجل في مجلسه وأي شيء من ذلك أعزَّك الله ؟ قال قولي

وان امرأً أسدى إليَّ بشافع اليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج انه يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال الرجل فكيف قال أبو تمام ؟ فقال قال

فلقيت بين يديه حلو عطائه ولقيت بين يديَّ مُرَّ سؤاله

واذا امرؤٌ أسدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل أحسن والله لئن كان أخذه منك لقد أجاد فصار أولي به منك وان كنت أخذته منه فما بلغت مبلغه ، فغضب دعبل وانصرف

وكان محمد بن حازم الباهلي يقدم أبا تمام ويفضله ويقول لولم يقل الا مرثيته التي أولها

أصمَّ بك الناعي وان كان أسمعا وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

وقوله

لو يقدرون مشَوْا على وَجَناتهم وجباههم فضلاً عن الأقدام

لكفاه ، وقال عبيدالله بن عبد الله بن طاهر كان عمارة بن عقيل عندنا يوماً فسمع مؤدباً كان لولد أخي يروِّيهم قصيدة أبي تمام

الحق أبلج والسيوف عَوار فحذار من أسد العَرين حذار

فلما بلغ الى قوله

سود اللباس كأنما نسجت لهم أيدي السَّموم مَدارعاً من قار

بكروا وأسْرَوْا في بطون ضوامر قِيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفر من الأسفار

فقال عمارة لله دَرُّه ما يعتمد معنى الا أصاب أحسنه كأنه موقوف عليه

قال ابراهيم بن العباس ما اتكلت فى مكاتبتى قط الاعلى ماجاش به صدرى الا أنى قد استحسنت قول أبى تمام

اذا مارقٌ بالغدر حاول غَدْرة ... فذاك حَرِىٌّ أن تئيم حلائله

فان باشر الإصحارَ فالبيض والقنا ... قِراه وأحواض المنايا مناهله

وان يبن حيطاناً عليه فانما ... أولئك عُقَّالاته لا معاقله

والا فأعلمه بأنك ساخط ... ودعه فان الخوف لا شك قاتله

فأخذت هذا المعنى فى بعض رسائلى فقلت ما كان يُحرزهم يُبْرزهم وما كان يعقلهم يعتقلهم ، ثم قال ان أبا تمام اختُرِم وما استمتع بخاطره ولا نزح رَكِىّ فكره حتى انقطع رِشاء عمره

قال محمد بن جابر الأزدى ، وكان يتعصب لأبى تمام ، أنشدت دعبل بن على شعراً لأبى تمام ولم أعلمه أنه له ، ثم قلت له كيف تراه ؟ قال أحسنُ من عافية بعد يأس ، فقلت انه لأبى تمام ، فقال لعله سرقه

وقال يزيد المهلبي ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهماً بالشعر فى حياة أبى تمام فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه

لما قدم أبو تمام خُراسان اجتمع الشعراء اليه وسألوه أن ينشدهم فقال قد وعدنى الأمير أن أنشده غداً وستسمعونني ، فلما دخل على عبد الله أنشده

هن عوادي يوسف وصواحبه ... فعزماً فقِدْماً أدرك السؤلَ طالبه

فلما بلغ الى قوله

وقلقل نابى من خُراسان جأشُها ... فقلت اطمئني أنضرُ الروض عازبه

وركبٍ كأطراف الأسنة عرَّسوا ... على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره ... وليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس ما يستحق هذا الشعر غير الأمير حفظه الله ، وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير ، فقال بل نضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا ، فلما فرغ من القصيدة نثر عليه الف دينار فلقطها الغلمان ولم يَمَسّ منها شيئاً ، فوجد عليه عبد الله وقال يترفع عن برى ويتهاون بما أكرمته ، فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك ، فقال أبو تمام

لم يبق للصَّيف لا رسم ولا طلل ولا قشيب فيستكسى ولا سَمَل
عَدَل من الدمع أن يبكى المصيف كما يُبكَى الشباب ويبكى اللهو والغزل
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت يسراه وهى لباس بعده بدل

فدخل أبو العميثل شاعر آل طاهر الى عبد الله فقال أيها الأمير أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ؟ فوالله لولم يكن له من النباهة فى قدره والاحسان فى شعره والشائع من ذكره لكان الخوف من شره والتوقى لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقداً بك أمله مُعْمِلاً اليك ركابه متعباً فيك فكره وجسمه وفى ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولولم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله

يقول فى قَومَس صحبى وقد أخذت منا السُّرى وخطا المهْرِيَّة القُود
أمطلعَ الشمس تبغى أن تَؤُمَّ بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

لكفى ، فقال له عبد الله نبهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ، ولك ولأبى تمام العُتْبَى ، وأمر له بألفى دينار وما يحمله من الظهر وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر ببذرقته الى آخر عمله

قال جابر الكرخى انه حضر أبا دلف وعنده أبو تمام وقد أنشده قصيدته

على مثلها من أربُع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

فلما بلغ الي قوله

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على ماوُطدت من مناقب
فأنتم بذى قارٍ أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
محاسن من مجد متى تقرنوا بها محاسن أقوام تكن كالمعايب

فقال أبو دُلَف يامعشر ربيعة ما مدحتم بمثل هذا الشعر قط فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يرمون بها اليه ، فقال أبو دُلَف قد قبلها منكم وأعاركم لبسها وسأنوب عنكم فى ثوابه ، تم القصيدة يا أبا تمام ، فتممها فأمر له بخمسين الف درهم وقال والله ماهى بازاء استحقاقك وقدرك فاعذِرْنا ، فشكره وقام ليقبل يده فحلف ألاَّ يفعل ، ثم قال له أنشدنى قولك فى محمد بن حميد

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلَّت عليه القنا السمر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده اليه الحفاظ المر والخُلُق الوعر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخصمك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه فلم ينصرف الاوأكفانه الأجر
كأن بنى نبهان يوم مُصابه نجوم سماء خر من بينها البدر
يعزَّوْن عن ثاوٍ يعزى به العلا ويبكى عليه الجود والبأس والشعر

فأنشده إياها ، فقال والله لَوددت أنها فيَّ ، فقال بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون المقدم ، فقال انه لم يمت من رثى بهذا الشعر أو مثله

خرج أبو تمام الى خالد بن يزيد بن مزيد وهو بأرمينية فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة لسفره وقال تكون العشرة الآلاف موفورة فان أردت الشخوص فاعْجَلْ وان أردت المقام عندنا فلك الحباء والبر ، قال بل أشخص ، فودعه ، ومضت أيام وركب خالد يَصيد فرآه تحت شجرة وبين يديه رِكْوَة فيها شراب وغلام يغنيه بالطنبور ، فقال أبو تمام ؟ قال خادمك وعبدك ، قال ما فعل المال ؟ فقال

علمني جودك السماح فما أبقيت شيئاً لديَّ من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لي قدرةً كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبات وفي الساعة ما تجتنيه من سنتك
فلست أدري من أين تُنفق لو لا أن ربي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة آلاف أخرى فأخذها وخرج

قدم أبو تمام مادحاً للحسن بن رجاء فاستنشده قصيدته اللامية التي مدحه بها فلما انتهى الى قوله

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة فأنا المقيم قيامة العذال
عطفت ملامتها على ابن ملمة كالسيف جاذب الصبر شَخْت الآل
عادت له أيامه مسودة حتى توهم أنهن ليال

فقال له الحسن والله لاتسود عليك بعد اليوم ، فلما قال

لاتنكري عُطْل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري حيث الركاب يَنصها محيي القريض الى مميت المال

فقام الحسن على رجليه وقال والله لا أتممتها إلا وأنا قائم ، فقام أبو تمام لقيامه وقال

قد قلت وهي تنال من عُرض الفلا بملاطس[1] في الوَخْد غير أوال
أحوامل الأثقال انك في غد بفناء أحملَ منك للأثقال
لما وردنا ساحة الحسن انقضى عنا تعجرف دولة الإمحال
أحيا الرجاء لنا برغم نوائب كثرت بهن مصارع الآمال
أغلى عذارى الشعر ان مهورها عند الكرام وان رخصن غوال
ترد الظنون بنا على تصديقها ويحكم الآمال في الأموال
أضحى سمي أبيك فيك مصدقاً بأجل فائدة وأيمن فال

(١) الملاطس الأخفاف والوخد الاسراع وأوال أوائل

ورأيتني فسألت نفسك سيبها لِيَ ثم جدت وما انتظرت سؤالي
كالغيث ليس له أريد نواله أولم يُرَد بُدّ من التهطال

فتعانقا وجلسا ، فقال له الحسن ما أحسن ماجلوت هذه العروس ، فقال والله لو كانت من الحور العين لكان قيامك لها أوفى مهورها

كان دِعْبل عند الحسن بن رجاء يضع من أبي تمام ، فقال له قائل يا أباعلي اسمع مني ماقاله فان أنت رضيته فذاك والا وافقتك على ما تذمه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألاّ ترضاه ، ثم أنشده

أما انه لولا الخليط المودع ومغنًى عفا منه مصيف ومربع

فلما بلغ الى قوله

هو السيل ان واجهته انقدّت طوعه وتقتاده من جانبيه فيتبع
ولم أر نفعاً عند من ليس ضائراً ولم أر ضراً عند من ليس ينفع
مَعاد الورى بعد الممات وسَيْبه مَعاد لنا قبل الممات ومرجع

فقال له دعبل لم ندفع فضل هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه على من يتقدمه ، وتنسبون اليه ما قد سرقه ، فقال له احسانه صيرك له عائباً وعليه عاتباً

أنشد أبو تمام أبا الحسن محمد بن الهيثم بالجبل

أسقى ديارهم أجشُّ هزيم وغدت عليهم نضرة ونعيم

فلما فرغ أمر له بألف دينار وخلع عليه خلعة حسنة ، فلما كان من غد كتب اليه أبو تمام

قد كسانا من كسوة الصيف خِرْق مُكْتَسٍ من مكارم ومساع
حلة سابِرِيَّة (١) ورداء كسحا القيض أورداء الشجاع

(١) سابرية رفيعة جيدة والسحا النواحي والقيض القشرة العليا اليابسة على البيضة

كالسَّراب الرَّقراق فى النعت إلا انه ليس مثلَه فى الخداع
قصبياً تسترجف الريح متنيه بأمر من الهبوب مطاع
رَجَفاناً كأنه الدهرَ منه كبدُ الضب أو حشا المرتاع
يطرد اليوم ذا الهجير ولو شبّه فى حره بيوم الوداع
لازماً ما يليه تحسبه جز ءا من المتنين والأضلاع
حلة من أغرّ أروعَ رَحْب الصد ر رحب الفؤاد رحب الذراع
سوف أكسوك ما يعفى عليها من ثناء كالبُرْد برد الصناع
حسن هاتيك فى العيون وهذا حسنه فى القلوب والأسماع

فقال محمد بن الهيثم ومن لا يعطى على هذا ملكه ؟ والله لا بقى فى دارى ثوب الا دفعته الى أبى تمام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت

جاء دعبل الى الحسن بن وهب فى حاجة بعد وفاة أبى تمام ، فقال له رجل فى المجلس يا أبا على أنت الذى تطعن على من يقول

شهدت لقد أقوت مغانيكمُ بعدي ومحّت كما محت وَشائع من برد
وأنجدتمُ من بعد اتهام داركم فيادمع أنجدنى على ساكني نجد

فصاح دعبل أحسن والله ، وجعل يردد « فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد »

ثم قال رحمه الله لوكان ترك لي شيئاً من شعره لقلت انه أشعر الناس

مات لعبد الله بن طاهر ابنان صغيران فى يوم واحد فدخل عليه أبو تمام فأنشده

ما زالت الأيام تخبر سائلاً أن سوف تفجع مُسْهِلا أو عاملا
ان المنون اذا استمر مريرها كانت لها جثث الأنام مقاتلا
فى كل يوم يعتبطن نفوسنا عبط المنجب جلّة وأفائلا
ما ان ترى شيئاً لشيء محيياً حتى تلاقيه لآخر قاتلا
من ذاك أجهد أن أراه فلا أرى حقاً سوى الدنيا يسمى باطلا

لله أية لوعة ظلمتـــا بها تركت بكيّات العيون هواملا
مجد تأوب طارقاً حتى اذا قلنا أقام الدهرَ أصبح راحلا
نجمان شاء الله ألاّ يطلعا الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضراً لأجلّ منها بالرياض ذوابلا
لو يُنْسَآن لكان هذا غاربا للمكرمات وكان هـذا كاهلا
لخفى على تلك المخايل منهما لو أُمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكوتهما حجى وصباهما حِلْماً وتلك الأريحية نائلا
ولأعقب النجم المرزّ بديمة ولعاد ذاك الطَّل جَوْداً وابلا
ان الهلال اذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

قال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائي في قصيدة مدحك بها ألف دينار ، قال لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ولكني أعطيته خمسمائة دينار للذي قاله للمعتصم

فاشدد بهارون الخلافة انه سكَن لوحشتها ودار قرار

فتبسم وقال انه لحقيق بذلك ، وتمام الأبيات

بفتى بني العباس والقمر الذي حفّته أنجم يَعرُب ونزار
كرم الخؤولة والعمومة مجده سلفا قريش فيه والأنصار
هو نَوء يمن فيهمُ وسعادة وسراج ليل فيهمُ ونهار
فاقمع شياطين النفاق بمهتد ترضى البرية هديه والباري
ليسير في الآفاق سيرة رأفة ويسوسها بسكينة ووقار
فالصين منظوم بأندلس الى حيطان رومية فملك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك مِعْصَم ما كنت تتركه بغير سوار
فالأرض دار أقفرت ما لم يكن من هاشم رب لتلك الدار

سُوَر القران الغر فيكم أنزلت ولكم تصاغ محاسن الأشعار

قال ميمون بن هارون مر أبو تمام برجل يقول لآخر جئتك فاحتجبت عني ، فقال له السماء اذا احتجبت بالغيم رجي خيرها ، فتبينت في وجه أبي تمام أنه قد أخذ المعنى ليضمنه في شعره ، فما لبثنا الا أياماً حتى أنشدت قوله

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً ان السماء ترجَّى حين تحتجب

قال محمد بن موسى بن حماد كنا عند دعبل أنا والقاسم في سنة خمس وثلاثين ومائتين بعد قدومه من الشام فذكرنا أبا تمام فثلبه وقال هو سروق للشعر ، ثم قال لغلامه يا ثقيف هات تلك المخلاة ، فجاء بمخلاة فيها دفاتر ، فجعل يمرها على يده حتى أخرج منها دفتراً فاذا فيه قال مُكْنِف أبو سُلْمى من ولد زهير بن أبي سلمى يرثي ذُفَافة العبسي

أبعد أبي العباس يستعتب الدهر وما بعده للدهر عُتْبَى ولا عذر
ولو عوتب المقدار والدهر بعده لما أعتبا ما أورق السَّلَم النَّضْر
ألا أيها الناعي ذفافة ذا الندى تَعَسْتَ وشَلَّت من أناملك العشر
أتنعى فتى من قيس عَيلان صخرة تفلق عنها من جبال العدى الصخر
اذا ما أبو العباس خلى مكانه فلا حملت أنثى ولا مسها طُهْر
ولا أمطرت أرضاً سماء ولاجرت نجوم ولا لذت لشاربها الخمر
كأن بني القعقاع يوم وفاته نجوم سماء خرَّ من بينها البدر
توفيت الآمال بعد ذُفَافة وأصبح في شغل عن السفر السَّفْر
يعزُّون عن ثاوٍ تعزَّى به العلا ويبكي عليه المجد والبأس والشعر
وما كان الا مال من قلَّ ماله وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر

ثم قال سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها في قصيدته

كذا فليجلّ الخطب وليفْدَح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

البحترى

هو الوليد بن عبيد الله بن يحيى البُحْتُري الطائى من بُحْتُر بن عَتود ثم من طيء ويكنى أبا عبادة

شاعر فاضل حسن المذهب نقى الكلام مطبوع ، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء ، وله تصرف حسن فاضل نقى فى ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نَزْرة ، وجيده منه قليل ، وكان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب فى قلة بضاعته فى هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به وقال له اجمع كل شىء قلته فى الهجاء ، ففعل ، فأمره باحراقه ، ثم قال له يا بنيَّ هذا شىء قلته فى وقت فشفيت به غيظي وكافأت به قبيحاً فعل بى وقد انقضى أربى فى ذلك وان بقى روى ، وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة وأخشى أن يعود عليك من هذا شىء فى نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولا لي منه ، قال فعلمت أنه قد نصحني وأشفق علىَّ فأحرقته ، والذى وجدناه وبقى فى أيدى الناس من هجائه فأكثره ساقط لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه وتنبيء بركاكتها وغثاثة ألفاظها عن قلة حظه فى الهجاء ، وكان البحتري يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو مذهبه وينحو نحوه فى البديع الذى كان أبو تمام يستعمله ، ويراه صاحباً وإماماً ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبينه قول منصف ان جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه خير من وسط أبى تمام ورديئه وكذا حكم هو على نفسه

ومن شعر البحتري يمدح محمد بن على القُمِّي

أمواهب هاتيك أم أنواء ... هُطُل ؟ وأخذ ذاك أم اعطاء ؟
ان دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا ... ذهب السخاء فلا يُحَسّ سخاء
ليس الذى حَلَّت تميم وسطه الدَّ ... هْناء لكن صدرك الدهناء

ملك أغر لآل طلحة مجده كفاه أرض سمحة وسماء
وشريف أشراف اذا احتكت بهم جُرْب القبائل أحسنوا وأساؤا
لهم الفِناء الرَّحب والبيت الذى أُدَد أواخ حوله وفناء
وخؤلة فى هاشم ود العدى أن لم تكن ولهم بها ما شاؤا
بين العواتك والفواطم منتمى يزكو به الأخوال والآباء
أمحمد بن على اسمع عُذرة فيها شفاء للمسىء وداء
مالي اذا ذكر الوفاء رأيتني مالي مع النفر الكرام وفاء
يضفو على العذال وهو مقارب ويضيق عني العذر وهو فضاء
انى هجرتك اذ هجرتك وحشة لا العَوْد يذهبها ولا الابداء
أخجلتني بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالصبر حتى اننى متوهم ألاَّ يكون لقاء
صلة غدت فى الناس وهى قطيعة عجبٌ، وبرٌّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعر سائر يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى يتم لك الثناء مخلداً أبداً كما تمت لي النعماء
فتَظَلّ تحسُدك الملوك الصِّيد بى وأظلّ يحسدنى بك الشعراء

أنشد البحتري أبا تمام يوْماً شيئاً من شعره، فتمثل ببيت أوس بن حجر

اذا مُقرِم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مقرم

ثم قال له نعيت والله إليَّ نفسي، فقال أعيذك بالله من هذا القول، فقال ان عمري لن يطول وقد نشأ فى طيء مثلك، أما علمت أن خالد بن صفوان رأى شبيب ابن شَبة وهو من رهطه يتكلم فقال يا بنيَّ لقد نعى الى نفسى احسانك فى كلامك لأنا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط الا مات من قبله، فقال بل يبقيك الله ويجعلنى فداءك ومات أبو تمام بعد سنة

وما يعرف له هجاء جيد الا قصيدتين إحداهما فى ابن أبى قماش قوله

مرّت على عزمها ولم تقف مبدية للشنآن والشغف

يقول فيها له

قد كان حقاً عليك أن تعرف المكنون من سر صدرها الكلف

بما تعاطيت فى الغيوب وما أوتيت من حكمة ومن لطف

فكيف أخطأت يا أخىّ ولم تفزع الى ما سطرت فى الصحف

وكيف ما دلك القران على ما فيه من ذاهب ومؤتنف

هلا زجرت الطير العليمة أو عفت لها أو نظرت فى الكتف

حملتها والفراق محتشد لراكب منكما ومرتدف

ورحما والنحوس تنبىء عن حال من الرائحين مختلف

أما أرتك النجوم أنكما فى حالتى ثابت ومنصرف

وما رأيت المريخ قد جاسد الزهرة فى الجد منه والشرف

يخبر فى ذاك أن زائرة تشفى مزوراً من لاعج الدنف

من أين أغفلت ذا وأنت على التقويم والزيج جد معتكف

وهى طويلة ولم يكن مذهبى ذكرها الا للاخبار عن مذهبه فى هذا الجنس ، وقصيدته فى يعقوب بن الفرج النصرانى فانها وان لم تكن فى أسلوب هذه وطريقتها فانها تجري مجرى التهكم باللفظ الطيب الخبيث المعانى وهى

تظن شجونى لم تعتلج وقد خلج البين من قد خلج

قال عبد الله بن الحسين بن سعد « وقد أنشد البحترى شعراً لنفسه قد كان أبو تمام قال فى مثله » أنت والله أشعر من أبى تمام فى هذا الشعر ، قال كلا والله ان أبا تمام للرئيس والاستاذ والله ما أكلت الخبز الا به ، فقال له المبرد لله درك يا أبا الحسن فانك تأبى الا شرفاً من جميع جوانبك

قيل للبحترى ان الناس يزعمون أنك أشعر من أبى تمام ، فقال والله ماينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز الا به ولوددت أن الأمر كما قالوا ولكنى والله تابع له آخذ منه لائذ به ، نسيمى يَرْكُدعند هوائه ، وأرضى تنخفض عند سمائه

قال البحترى كان أول أمري فى الشعر ونباهتي أن صرت الى أبى تمام وهو بحمْص ، فعرضت عليه شعري وكان الشعراء يَعْرِضون عليه أشعارهم ، فأقبل عليَّ وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لي أنت أشعر من أنشدنى فكيف بالله حالك ؟ فشكوت خَلة ، فكتب الى أهل مَعَرَّة النعمان وشهد لي بالحذق فى الشعر وشفع لي اليهم وقال امتدحهم ، فصرت اليهم ، فأكرمونى بكتابه ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكان أول مال أصبته ، وكانت نسخة كتاب أبى تمام « يصل كتابى هذا على يد الوليد بن عبادة الطائى وهو على بذاذته شاعر فأكرموه »

قال البحتري أول ما رأيت أبا تمام أنى دخلت على أبى سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتى

أأفاق صب من هَوًى فأُفيقا ... أم خان عهداً أم أطاع شفيقا
ان السلو كما تقول لَراحة ... لو راح قلبي للسلو مطيقا
هذا العقيق وفيه مرأًى مونِق ... للعين لو كان العقيق عقيقا
أشقيقةَ العلَمين هل من نظرة ... فتَبُلّ قلباً للغليل شقيقا
وسَمتك أردية السماء بديمة ... تحيي رجاء أو ترد عشيقا
ولئن تناول من بشاشتك البلى ... طَرَفاً وأوحش أنسك المؤموقا
فلرب يوْم قد غنينا نجتلى ... مَغْناك بالرَّشأ الأنيق أنيقا
علّ البخيلة أن تجود بها النوى ... والدار تجمع شائقاً ومشوقا

كذب العواذل أنت أقتل لحظة وأغض أطرافاً وأعذبُ ريقا
ماذا عليك لو اقتربت لموعد يُنئي الجوى وسقيننا الترنيقا
غدت الجزيرة فى جناب محمد رَيَّا الجناب مغارباً وشروقا
برقت مخايله لهـــا وتخرقت فيها عزَالي جوده تخريقا
صفحت له عنها السنون وواجهت أطرافُها وجه الزمان طليقا
رفع الأمير أبو سـعيد ذكرها وأقام فيهـــا للمكارم سوقا
يستمطرون يداً يفيض نوالها فيُغرّق المحروم والمرزوقا
يقظ اذا اعترض الخطوب برأيه ترك الجليل من الخطوب دقيقا

الى أن انتهى منها ، فسرّ بها أبو سعيد وقال أحسنت والله يا فتى وأجدت ، وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضر عنده تكاد تمس ركبته ركبته ، فأقبل عليَّ وقال يا فتى أما تستحيي مني ؟ هذا شعر لي تنتحله وتنشده بحضرتى ، فقال له أبو سعيد أحقاً تقول ؟ قال نعم وانما علقه مني فسبقني به اليك وزاد فيه ، ثم اندفع فأنشد أكثر القصيدة حتى شككني علم الله في نفسي وبقيت متحيراً ، فأقبل عليَّ أبو سعيد فقال يا فتى قد كان فى قرابتك وودك لنا ما يغنيك عن هذا ، فجعلت أحلف له بكل مُحَرَّجة الأيمان أن الشعر لي ما سبقنى اليه أحد ولا سمعته منه ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئاً ، وأطرق أبو سعيد وقطع بى حتى تمنيت أنى سخت فى الأرض ، فقمت منكسر البال أجرّ رجلى فخرجت فما هو الا أن بلغت الدار حتى خرج الغلمان فردونى ، فأقبل عليَّ الرجل فقال الشعر لك يا بنيَّ والله ما قلته ولا سمعته الا منك ولكننى ظننت أنك تهاونت موضعي فأقدمت على الإنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى وتكاثرنى حتى عرَّفنى الأمير نسبك وموضعك ولوددت ألاَّ تلد أبداً طائية الا مثلك ، وجعل أبو سعيد يضحك ، ودعانى أبو تمام وضمنى اليه وعانقنى وأقبل يقرظنى

ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به ، ثم حظى البحترى بأبى سعيد وكان مداحاً له طول أيامه ولابنه بعده ورثاهما بعد مقتلهما فأجاد ، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه ، وروى أنه قيل له فى ذلك ، فقال من تمام الوفاء أن تفضل المراثى المدائح لا كما قال الآخر ، وقد سئل عن ضعف مراثيه ، فقال كنا نعمل للرجاء ونحن اليوم نعمل للوفاء وبينهما بعد

كان البحترى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبخلهم على كل شىء ، وكان له أخ وغلام معه فى داره ، فكان يقتلهما جوعاً فاذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمى اليهما بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً ويقول كلا أجاع الله أكبادكما وأطال اجهادكما

اجتازت جارية بالمتوكل معها كوز ماء وهى أحسن من القمر فقال لها ما اسمك ؟ قالت برهان ، قال ولمن هذا الماء ؟ قالت لستى قبيحة ، قال صبيه فى حلقى ، فشربه على آخره ، ثم قال للبحترى قل فى هذا شيئاً ، فقال

ما شربة من رحيق كأسها ذهب جاءت بها الحور من جنات رضوان
يوماً بأطيب من ماء بلا عطش شربته عبثاً من كف برهان

قدم البحترى النيل على احمد بن على الاسكافى مادحاً له فلم يثبه ثواباً يرضاه بعد أن طالت مدته ، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها

ما كسبنا من احمد بن على ومن النيل غير حمّى النيل
وضلال منى وخسران سعى طلبي النيل عند غير منيل
يا أبا الصقر كم يد لك عندي ذات عرض فى المكرمات وطول
كشفاء السقام فى عقب يأس من تلافيه أو شفاء الغليل
اكفنى دقة اللئام بتخفيفك ما آد من خراجى الثقيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها

قصة التل فاسمعوها عجابة ان فى مثلها تطول الخطابة

ادعى التل فرقتان تلاحَوا ... آل عبد الأعلى وآل ثوابة
حكم العادل الجنيدى فيهم ... بصواب فلا عدمنا صوابه
احفروا التل يا بنى عبد الأعلى ... وأثيروا صخوره وترابه
ان وجدتم فيه شباك أبيكم ... كنتمُ دون غيركم أربابه
أو وجدتم محاجماً ان حفرتم ... زال شك العطاية المرتابة
فبدت جَونة من الخوص فيها ... آلة الشيخ وهو حد لبابة
خالد لا سقى الاله صداه ... فبنوه اللئام شانوا الكتابة

فجمع الى هجائه إياه هجاء أبى ثوابة ، فبلغ ذلك أحمد بن ثوابة ، فبعث اليه بألف درهم وثياب ودابة بسرجها ولجامها ، فرده اليه وقال قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفدكم ، فكتب اليه ، أما الإساءة فمغفورة وأما المعذرة فمشكورة والحسنات يذهبن السيئات وما يأسو جراحك مثل يدك ، وقد رددت اليك ما رددته علىَّ وأضعفته ، فان تلافيت ما فرط منك أثبنا وشكرنا وان لم تفعل احتملنا وصبرنا ، فقبل ما بعث به وكتب اليه ، كلامك والله أحسن من شعري وقد أسلفتني ما أخجلني وحملتني ما أثقلني وسيأتيك ثنائى ، ثم غدا اليه بقصيدة أولها

ضلال لها ماذا أرادت الى الصد ... ونحن وقوف من فراق على حد
مزاولة أن تخلط الود بالقِلَى ... ومغرمة أن تلحق القرب بالبعد
رأت لِمَّة عُلِّي بياضاً سوادُها ... تعاقب مبيض عليها ومسود
فلا تسألا عن هجرها ان هجرها ... جنى الصبر يسقى مرُّه من جنى الشهد
ولا تعجبا من بخل دعد بنيلها ... وفى النفر الأعْلَيْن أبخل من دعد
أضنُّ أخلاء وضن أحبة ؟ ... فلا خلة تصفى ولا خلة تجدى

يقول فيها

رحيل اشتياق مبرِح وصبابة ... الى قرية النعمان والسيد الفرْد

الى سابق لا يعلق القوم شأوه بسعى ولا يهدون منه الى قصد
الى أبيض الأخلاق ما مرّ أبيض من الدهر الاعن جدّى منه أو رفد
جدير اذا ما زرته عن جنابة وان طال عهد أن يكون على العهد
وان أنا أهديت القريض مجازياً فلن يوكس المهدى اليه ولا المهدى
مزايدة منى ومنه وكلنا الى أمد دانى النصيب من البعد
تشذب من يعطى الرغائب دونه وبان به ما بان بالكوكب السعد
فمن أين جئنا جمة من عطائه وردنا وسير العيس خمس الى الورد
يغض عن المرفوع من درجاته وان زيد فى سلطان ذى تُدْرَإ نجد
ويخشى شذاه وهو غير مسلط وقد يتوقى السيف والسيف فى الغمد
اذا قارعوه عن علَى الأمر قارعوا صليب الصفا من دونها خشن الحد

وقال فيه بعد ذلك

برق أضاء العقيقُ من ضرَمه يكشف الليل عن دجى ظُلَمه
ذكرنى بالوميض حين سرى من ناقض العهد ضوء مبتسمه
ثغر حبيب اذا تألق فى لمَاه عاد المحب فى لمَمه
مهفهف يعطف الوشاح على ضعيف مجرَى الوشاح منهضمه
يجذبه الثقل حين ينهض من ورائه والخفوق من أممه
اذا مشى أدمجت جوانبه واهتز من قرنه الى قدمه
قد حال من دونه البعاد وتشـ ـريق صدور المطى فى لقمه

يقول فيها

متى تسلْ عن بنى ثوابة يخبر ك السحاب المحبوك عن ديمه
تُبِلّ من مَحلها البلاد بهم كما يُبِل المريض من سقمه
أقسمت بالله ذى الجلالة والعـ ـز ومثلى من بَرَّ فى قسمه

وبالمصلى ومن يطيف به والحجر المبتغى ومستلمه
أذا اشرأبُّوا له فملتمس بكفه أو مقبّل بفمه
ان المعالى سلكن قصد أبى العباس حتى عُددن من شيمه
معظَّم لم يزل تواضعه لآمليه يزيد فى عظمه
غير ضعيف الوفاء ناقصه ولا ظنين التدبير متهمه
ما السيف عضباً يضىء رونقه أمضى على النائبات من قلمه
حامى على المكرمات مجتهداً جهد المحامى عن ماله ودمه
ما خالف الملك حالتيه ولا غيَّر عز السلطان عن كرمه
تم على عهده القديم لنا والسيل يجرى على مَدَى قدمه
يدنو الينا بالأُنس وهو أخ للنجم فى بَأْوه وفى بُدُمه
اذا رأينا ذوى عنايته لديه خلناهمُ ذوى رحمه
وان نزلنا حريمه فلنا هناك أمن الحمام فى حرمه
كان له الله حيث كان ولا أخلاه من طَوْله ومن نعمه
حاجتنا أن تدوم مدته وسؤلنا أن نعاذ من عدمه
له أياد عندى ولي أمل ما زال فى عهده وفى ذمه

وقال فيه أيضاً

أن دعاه داعي الهوى فأجابه ورمى قلبه الصبا فأصابه
عبت ما جاءه ورب جهول جاء ما لايعاب يوماً فعابه
ليت شعرى غداة يُغْرَى بسُعدى أي شىء من الرباب أرابه
أهو الجد من صريمة عزم أم هو الهزل فى الهوى والدُّعابه
خون عين لم أحتسبه وقلب لم أخف يوم رامتين انقلابه
بات يخشى على البعاد اجتنابى شق نفس قد كنت أخشى اجتنابه

صافحاً عن خفى ذنبى وقد صا فحت فى ساعة الوداع خضابه
رشأ ان أعاد كر بلحظ أشعل القلب مُضنياً أو أذابه

يقول فيها

قد مدحنا ايوان كسرى وجئنا نستثيب النعمى من ابن ثوابة
بيت فخر كان الغنى لو يوافى زائر البيت عنده أربابه
واذا ما أخل بالحق قوم فمن الحق أن تنوب القرابة
أنتمُ منهمُ خلا ما لبستم بعدهم من مُعار زِىّ الكتابة
همم فى السماء تذهب علوا ورباع مغشية منتابة
ورجال ان ضيع الناس أمراً حفظوا المجد أن يضيعوا طِلابه
ما سعَوْا يخلفون غير أبيهم كل ساع منا يريد نصابه
جمعتهم أكرومة لم يجوزوا منتهاها جمع القِداح الربابة
خلق فيهمُ تردد فيهم وليته عصابة عن عصابة
كالحسام الجُراز يبقى على الدهر ويفني فى كل عصر قرابه

ولم يزل ابن ثوابة يصله بعد ذلك ويتابع بره لديه حتي افترقا

كان نسيم غلام البحترى الذى يقول فيه

دعاءَبرتى تجرى على الجَوْر والقصد أظن نسيماً قرف الهم من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه فيا عجبا للدهر فقد على فقد

غلاماً رومياً ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه ويعتمد أن يصيره الى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفُق عنده الأدب ، فاذا حصل في ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يَهَبه له ، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكفى الناس أمره

حدث البحترى قال قال لي أبو تمام بلغنى أن بني حُميد أعطَوْك مالاً جليلاً

فيما مدحتهم به فأنشدنى ، فأنشدته بعض ما قلته فيهم ، فقال لي كم أعطوك ؟ فقلت كذا وكذا ، فقال ظلموك والله ماوفوك حقك فلم أستكثر مادفعوه اليك والله لبيت منها خير مما أخذت ، ثم قال لعمرى لقد استكثرت واستكثر لك لما مات الناس وذهب الكرام وغاضت المكارم فكسدت سوق الأدب ، أنت والله يابنى أمير الشعراء غداً بعدي ، فقمت فقبلت رأسه ويديه ورجليه وقلت له والله لهذا القول أسر لقلبى وأقوى لنفسي مما وصل اليّ من القوم

حدث أبو العَنْبَس الصيمرى قال كنت عند المتوكل والبحترى ينشد

عن أى ثغر تبتسم ... وبأى طرف تحتكم
حسن يَضَن بوصله ... والحسن أشبه بالكرم
أفديه من ظلم الوشا ... ة وان أساء وان ظلم
يهنيك أنك لم تذق ... سُهْداً وانيَ لم أنم
وكأن فى جسمي الذى ... فى ناظريك من السقم
أقسمت بالبيت الحرا ... م وحرمة الشهر الأصم
وعلى أمير المؤمنيـ ... ـن فانها حق القسم
لقد اصطفى رب السما ... ء له الخلائق والشيم
ملك غدا وجبينه ... شمس الضحى بدر الظلم
قل للخليفة جعفر الـ ... ـمتوكل بن المعتصم
المرتضى ابن المجتبي ... والمنعم ابن المنتقم
أما الرعية فهى من ... أمنات عدلك فى حرم
نعم عليها في بقا ... ئك فلتتمّ لها النعم
يا بانى المجد الذي ... قد كان قُوض فانهدم
اسلم لدين محمد ... فاذا سلمت فقد سلم

نلنا الهدى بعد العمى بك والغنى بعد العدم

وكان البحترى من أبغض الناس انشاداً ، يتشادق ويتزاور فى مشيه ، مرة جانباً ومرة القهقرى ، ويهز برأسه مرة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول مالكم لاتقولون أحسنت ؟ هذا والله مالايحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل عليَّ وقال أما تسمع ياصيمَرى ما يقول ؟ فقلت بلى ياسيدى فمرنى فيه بما أحببت ، فقال بحياتى اهجُه على هذا الروى وأنشدنيه ، فقلت تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس وحضرنى على البديهة أن قلت

أدخلت رأسك فى الرحم وعلمت أنك تنهزم
يا بحتري حذار ويـــحك من قَضاقضة ضُغُم
فلقد أسلت بوالديـــك من الهجاسيل العَرِم
فبأي عرض تعتصم وبهتكه جف القلم
والله حلفة صادق وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الاما م ابن الامام المعتصم
لأصيرنك شهرة بين المسيل الى العلم
حيث الطلول بذى سلم حيث الأراكة والخيم
يا ابن الثقيلة والثقيـــل على قلوب ذوى النعم
وعلى الصغير مع الكبيـــر ابن الموالي والحشم

فغضب وخرج يعدو وجعلت أصيح به « وعلمت أنك تنهزم » والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عن عينه ، قال أحمد بن زياد فحدثني أبى قال جاءنى البحترى فقال يا أبا خالد أنت عشيرتى وابن عمي وصديقي وقد رأيت ماجرى عليَّ أفتأذن لى أن أخرج الى منبج بغير اذن ؟ فقد ضاع العلم وهلك الأدب ، فقلت لاتفعل

من هذا شيئاً فان الملوك تمزح بأعظم مما جرى ومضيت معه الى الفتح فشكا اليه ذلك فقال له نحواً من قولي ووصله وخلع عليه فسكن الى ذلك

ومن شعره وفيه غناء

كم ليلة فيك بت أسهرها ... ولوعة من هواك أضمرها
وحرقة والدموع تطفئها ... ثم يعود الجوى فيُسعرها
يا علو علّ الزمان يعقبنا ... أيام وصل نظلّ نشكرها
بيضاء رُود الشباب قد غُمست ... فى خجل دائبا يعصفرها
مجدولة هزها الصبا فشجا ... قلبك مسموعها ومنظرها
لا تبعث العُود تستعين به ... ولا تبيت الأوتار تخفرها
الله جار لها فما امتلأت ... عينى الا من حيث أبصرها

ومن قوله يرثى سليمان بن وهب

أأخىّ نهنه دمعك المسفوكا ... ان الحوادث ينصرمن وَشيكا
ما أذكرتك بمُتْرِح صَرْف الجوى ... الا ثنتــــه بمفرح ينسيكا
الدهر أنصف منك فى أحكامه ... اذ كان يأخـذ بعض ما يعطيكا
وقليل هذا السعى يَكْسبك الغنى ... ان كان يغنيك الذى يكفيكا
نلقى المنون حقائقاً وكأننا ... من غِرَّة نلقى بهن شكوكا
لا تركنن الى الخطوب فانها ... لُمَع تسرك مرة وتسوكا
هذا سليمان بن وهب بعـدما ... طالت مساعيه النجوم سُموكا
وتَنَصَّف الدنيا يدبر أهلها ... سبعين حولاً قد تمن دكيكا[1]
أغرت به الأقدار بَغْت ملمة ... ما كان رسم حديثها مأفوكا
فكأنما خَضَد الحِمام بيومه ... غصناً بمنخرق الرياح نهيكا

(١) دكيك تام

بلغ عبيد الله فارع مذحج ... شرفاً ومعطى فضلها تمليكا
ما حق قدرك أن أحمل مرسلاً ... غيرى اليك ولو بعثت ألوكا[1]
أنت الذى لو قيل للجود اتخذ ... خلاً أشار اليك لا يعدوكا
وكأنما آليت والمعروف لا ... تألوه مصطفياً ولا يألوكا
ان الرزيئة فى الفقيد فان هفا ... جزع بصبرك فالرزيئة فيكا
ومتى وجدت الناس إلا تاركاً ... لحميمه فى الترب أو متروكا
بلغ الارادة أن فداك بنفسه ... ووددت لو تفديه لا يفديكا
لو ينجلى لك ذخرها من نكبة ... جلل لأضحكك الذي يبكيكا
ولحال كل الحول من دون الذى ... قد بات يسخطك الذى يرضيكا
ما يوم أمك وهو أروع نازل ... فاجك الا دون يوم أبيكا
كلم أعيد على حشاك ولحة ... مما عهدت الحادثات تريكا
وفجيعة الأيام قسم سويت ... فيه البرية سوقة وملوكا
غبء توزعه الأنام تخفّ ... ألاً تزال تصيب فيه شريكا

(١) الألوك الرسالة

شعراء حكم

أبو نُواس (١)

هو الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح الحَكَمِي من حكم بن سعد العشيرة بن مالك اخوة طيىء ، وأبو نواس كنيته ونواس من أسماء ملوك اليمن

نشأ أبو نواس بالبصرة وقرأ القرآن على يعقوب الحَضْرمى ، فلما حذَق القرآن رمى اليه يعقوب بخاتمه وقال اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة ، وكان حسن الوجه رقيق اللون أبيض حلو الشمائل ، وكان فى رأسه سماحة وتسفيط ، وكان ألثغ بالراء يجعلها غيناً ، وكان نحيفاً وفى حلقه بُحَّة لا تفارقه ، قال الجاحظ ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبى نواس ولا أفصح لهجة منه مع حلاوة ومجانبة لاستكراه

ثم كبر وتأدب وصحب أهل المجد والمجَّان واشتهى الكلام فقعد الى أصحابه فتعلم منهم شيئاً من الكلام ثم دعاه ذلك الى الزندقة ، ثم مَجَن فى شعره وشخص الي مدينة السلام فأقام بها وعاشر الملوك فحط منه مجونه ووضعه خبث لسانه وكثرة شَغْبه وعبثه

وكان ينادم ولد المهدى ويلازمهم فلم يُلْقَ مع أحد من الناس غيرهم ، ثم نادم القاسم ابن الرشيد ولقى منه أشياء كرهها وكرهت له ففارقه

ثم جلس أبو نواس الى الناشىء الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرُّمَّة فأقبل الناشىء على أبيه هانىء وقال له ان عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقولنه بلسان شتوم

ثم اتصل بوالبة بن الحُباب الأسدى ، لقيه بدار النجاشى الأسدى والى الأهواز للمنصور ، فقال له والبة انى أرى فيك مخايل فلاح وأرى أنك لا تضيعها

(١) من ترجمة أبى نواس المحفوظة بدار الكتب الملكية لابن منظور

وستقول الشعر وتعلو فيه فاصحبني حتى أخرجك ، فقال ومن أنت ؟ قال أبو أسامة ، قال والبة ؟ قال نعم ، قال أنا والله جعلت فداك فى طلبك ، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بغداد من أجلك ، قال ولماذا ؟ قال شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك ، قال وماهى ؟ فأنشده

ولها ولا ذنب لهـــا حب كأطراف الرماح
جرحت فؤادي بالهوى فالقلب مجروح النواحى
سـلّ الخليفة صارماً هو للفساد وللصـلاح
أجداه كف أبى الوليـــد يدا مباريةَ الرياح
ألقى بجانب خَصره أمضى من الأجل المُتاح
وكأنما ذَرّ الهبـــا ء عليه أنفاس الرياح

فمضى معه ، ثم سأله أن يخرج الي البادية مع وفد بنى أسـد ليتعلم العربية والغريب فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبة ورجع الى بغـداد

جاء أبو نواس الى بشار فأنشده قصـيدته اللامية التى يصف فيها النخل فاستحسنها ، فلما خرج قال بشار لقد حسدت هذا الغلام على هذا وما أخرج منه عن قول شاعر الكوفة « يعني والبة »

وكان أبو نواس متكلماً جَدِلاً راوية فحلاً رقيق الطبع ثابت الفهم فى الكلام اللطيف ، ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره منها قوله

وذات خـد مورَّد فضـــيّة المتجرد
تأمّلُ العـين منها محاسـناً ليس تنفد
فبعضـه قد تناهى وبعضـــه يتولد
والحسن فى كل شيء منها معـاد مردد

ومنها قوله

يا عاقد القلب عنى هلا تذكرت حلاً
تركت غيي قليلاً من القليل أقلاً
يكاد لا يتجزى أقل فى اللفظ من لا

ومنها قوله في امرأة اسمها حسن

ان اسم حسن لوجهها صفة ولا أرى ذا في غيرها جمعا
فهى اذا سميت فقد وصفت فيجمع الاسم معنيين معا

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة

قل لزهير اذا حدا رشدا أقلل أو اكثر فأنت مهذار
سخنت من شدة البرد حتى صرت عندى كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتى كذلك الثلج بارد حار

هذا شيء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند فانهم يقولون ان الشيء اذا أفرط في البرودة انقلب حاراً ، وقالوا ان الصندل يحك منه اليسير فيبرد فاذا أكثر منه سخن

قالوا كان أبو نواس دعياً يخلط فى دعوته فمن ذلك قوله يهجو عرب البصرة

ألا كل بصري يرى انما العلا مكمهة سحق لهن جرين [1]
فان تغرسوا نخلاً فان غراسنا ضراب وطعن فى النحور سخين
فان أك بصرياً فان مهاجري دمشق ولكن الحديث فنون
مجاور قوم ليس بيني وبينهم أواصر الا دعوة وظنون
اذا مادعا باسمى العريف أجبته الى دعوة مما علىَّ تهون

ثم هجا اليمن فى هذه القصيدة بقوله

(١) المكمهة الغراس الكثيرة والسحق الطويلة يريد النخل والجرين الحب المحصود

لأزد عمان بالمهلب نزوة اذا افتخر الأقوام ثم تلين
وبكر ترى أن النبوة أنزلت على مسمع فى الرحم وهو جنين
وقالت تميم لا نرى أن واحداً كأحنفنا حتى الممات يكون
فما لمت قيساً بعدها فى قتيبة ونخر به ان الفخار فنون

وانما نشأ أبو نواس بالبصرة وليس له بدمشق قبل ولا بعد

ومما هجا به اليمن أيضاً قوله لهاشم بن حديج

وردنا على هاشم مصره فبارت تجارتنا عنده

يقول فيها

رأيتك عند حضور الخوان شديداً على العبد والعبدة
وتحتدّ حتى يخاف الجليس شذاك عليه من الحدة
وتختم ذاك بفخر عليه بكندة فاسلح على كندة
فان حديجاً له هجرة ولكنها زمن الردة
وما كان ايمانكم بالرسول سوى قتلكم صهره بعده
تعدونها في مساعيكمُ كعد الأهلة معتدة
وما كان قاتله في الرجال بحمل لطُهْر ولا رشدة
فلو شهدته قريش البطاح لما محشت ناركم جلده (١)

وقوله أيضاً

ما منك سلمى ولا أطلالها الدُّرُس ولا نواطق من طير ولا خُرُس
يا هاشم بن حديج لو عددت أباً مثل القَلَمَّس لم يعلق بك الدنس
اذ صبح الملكَ النعمان وافده ومن قُضاعة أسرى عنده حُبُس
فابتاعهم باخاء الدهر ما عَمَروا فلم ينل مثلها من مثلهم أنَس

١) المحش قشر الجلد عن اللحم

أو رحت مثل حُوَيّ فى مكارمه هيهات منك حُوَيّ حين يلتمس
أو كالسَّمَوْءَل اذ طاف الهمام به فى جَحْفَل لَجِب الأصوات يرتجس
فاختار ثُكْلاً ولم يغدِر بذمته اذ قيل أشرف تَرَ الأوداج تنبجس
ما زاد ذاك على تيه خصصت به وكيف يعدل غير السوءة الغَرَس

وقوله

يا هاشم بن حديج ليس فخركمُ بقتل صهر رسول الله بالسَّدد
أدرجتمُ فى إهاب العَيْر جثته فبئس ما قدمت أيديكمُ لغد
ان تقتلوا ابن أبى بكر فقد قتلت حُجْرًا بدارة مَلحوب بنو أسد
وطرَّدوكم الى الأجبال من أجإ طرد النعام اذا ما تاه فى البلد
وقد أصاب شَراحيلا أبو حَنَش يوْمَ الكُلاب فما دافعتمُ بيد
ويوْمَ قلتم لزيد وهو يقتلكم قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
وكل كندية قالت لجارتها والدمع ينهلّ من مثنًى ومنفرد
ألهى امرأ القيس تشبيب بغانيه عن ثأره وصفات النَّوْء والوتد

وكان أبو نُواس في أول دعوته ادعى أنه من ولد عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان من بنى عامر بن تيم اللات بن ذُهْل بن ثعلبة ، فقيل لأبى نواس ان الرجل الذى تدعى اليه لا عقب له فلو قلت انك من ولد أخيه أبان بن زياد قلنا معك ، فاستحيا أبو نُواس وهرب من بني تيم اللات وقد كان يراقبهم ، ثم طلب الأخبار واستعد وتقرعن المثالب والأنساب لمكان هذه القضية وأقام لهذه الغلطة بالبصرة فى العطارين ، فاذا كان العشى أتى أبا عبيدة يسأله أخبار العرب وأيام الناس ، ثم اختلف الى أبى محمد خَلَف الأحمر مولى الأشعريين فكان يسأله عن الشعر ومعانيه ، ورثى خلفا بعد موته بقصائد من شعره منها قصيدته التى أولها قوله

لو كان حَيّ واثلاً (١) من التلف لواءلت شَغْوَاء فى أعلى شعف
أم فُرِيخ أحرزته فى لَجَف (٢) مزَغَّب الألغاد لم يأكل بكف
كأنه مستقعد من الخَرَف هانيك أو عصماء فى أعلى شرف
تروغ فى الطُّبَّاق (٣) والنَّدْع الأَلَفّ أودى جميع العلم مذ أودى خَلَف
من لا يعُدّ العلم الا ما عرف قَلَيْذَم (٤) من العيالم الخُسُف
كنا متى نشاء منه نغترف رواية لا تُجتَنى من الصحف

ومنها قوله يرثيه

لا تنَل العُصْم فى الهِضاب ولا شَغْوَاء تغذو فرخين في لَجَف
يُكنُّها الجو فى النهار ويُؤْ ويها سواد الدجى الى شَرَف
تحنو بجُؤشوشها (٥) على ضَرِم كقَعِدة المنحني من الخَرَف
ولا شَبوب (٦) باتت تؤرقه النَّـــثْرة منها بوابل قَصِف
دان على الأرض والوَصيد (٧) وفى بَهْو أمين الإياد ذى هَدَف
دَيْدَنه ذاك طول ليـــلته حتى اذا انجاب عنه حاجب السَّدَف
غدا كوقف الهَلوك ينهفت الـــقِطْقِط (٨) من منبتيه والكتف

(١) ناجيا والشغواء العقاب لزيادة منقارها الأعلى على الأسفل والشعف رءوس الجبال
(٢) اللجف الغار فى الجبل وزغب صار ذا زغب وهو صغار الريش والالغاد جمع لغد بالضم وهو لحمة فى الحلق (٣) الطباق والندع نوعان من الشجر (٤) القليذم البئر الغزيرة والعياليم جمع عيلم وهو البئر الكثيرة الماء والخسف جمع خسيفة وهى البئر التى حفرت في حجارة فنبع منها ماء غزير لا ينقطع (٥) الجؤشوش الصدر والضرم فرخ العقاب (٦) الشبوب الشاب من النيران والغنم والنثرة منزلة من منازل القمر (٧) الوصيد بيت كالحظيرة يتخذ من الحجارة للمال أى الغنم وغيرها في الجبال والاياد التراب يجعل حول الحوض أو الخباء يقوى به أو يمنع ماء المطر والهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل (٨) القطقط المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر وقيل هو دون الرذاذ وقيل البرد أو صغاره وانهفت انخفض واتضع

كأن شذراً وهت معاقده بين صلاه فلعب الشنف
وأخدرى صُلْب النواهق صلصال أمين الفصوص والوظف
منفرد فى الفلاة توسعه رياً وما يختليه من علف
ما ترك الموت من أولى شبحا بادت بتلك القلال والشعف
لما رأيت المنون آخذة كل شديد وكل ذى ضعف
بت أعزى الفؤاد عن خلف وبات دمعى إلاَّ يفيضْ يكف
أنسى الرزايا ميت فُجعت به أمسى رهين التراب فى جدف
كان يُسنّى (١) برفقه غُلُقا فى غير عىّ منه ولا عنف
يجوب عنك التى عشيت بها من قبل حتى يشفيك فى لطف
لا يهم الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لامها مع الألف
ولا يعمّى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف
وكان ممن مضى لنا خلفاً فليس منه اذ بان من خلف

واختلف أبو نواس الى أبى زيد فكتب الغريب من الألفاظ ، ثم نظر فى نحو سيبويه ، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد وأزهر السمّان وغيرهم فلم يتخلّف عن أحد وأدرك الناس فعلم ، ثم قدم بغداد بعد ذلك

وكان أيضاً يتنزر ويدعى للفرزدق ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازنى فهجاه الحكم وذكر بريه العود وبغى عليه ونكبه ، ولما قال أبو نواس قصيدته التى يهجو بها خِنْدِف وهى

ألم تربع على الطلل الطّماس (١) عفاه كل أسحم ذى ارتجاس
وذارى الترب مُرْتكم حصاه نسيج المِيْث معنقة الدّهاس (٢)

(١) سناه تسنية سهله وفتحه (٢) طماس بالكسر دارسة والأسحم السحاب والارتجاس الرعد (٣) المعنقة حبل من الرمل

سوى سُفْعٍ أعارتها الليالى سواد الليل من بعد اغبساس[١]
وأورق حالفَ المثواة هابٍ كضاوىّ الفراخ من الهُلاس[٢]
منازل من عُفَيْرة أو سليمى أو الدَّهماء أخت بني الحِماس
كأن معاقد الأوضاح منها بجيد أغنَّ نوَّم فى الكِناس
وتبسيم عن أغرّ كأن فيه مُجَاج سلافة من بيت راس
فمن ذا مبلغٌ عمراً رسولاً فقد ذكَّرت ودك غير ناس
فلم أهجرك هجر قِلًى ولكن نوائب لا تزال لها نقاسى
نوائب تعجز الأدباء عنها ويعيا دونها اللَّقِن النِّطاسى
وقد ناخت عن أحساب قوم هُمُ ورثوا مكارم ذى نُواس
فان تك أوقدت للحرب نار فماغطيت خوف الحرب راسى
سأُبلى خير ما أبلى محام اذا ما النبل أُلجم بالقياس[٣]
وسَمْت الوائلين بفاقرات بهن وسَمْت رهط أبى فِراس
وقالت كاهل وبنو قُعَيْن حنانك اننا لسنا بناس
فما بال النعاج تَغَت بشتمى وفى زَمَعاتهن دم الفراس
وماحامت عن الأحساب الا لترفع ذكرها بأبى نُواس

عارضه الحكم وهجاه فانقلب على النزارية وادعى أنه من حاء وحَكَم ، فزجره يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له أنت خُوزى فمالك ولحاء وحكم ؟ فقال له أنا مولى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض انه لظريف اللسان غزير العلوم فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويكايد عنا ويهجو النزارية ، فكان كما قلوا وكما ظنوا ، فانقلب الى اليمن وعدل عن كنيته بأبى فراس وا كتنى بأبى نُواس تشبهاً

(١) الاغباس بياض فيه كدرة والسفع يريد بها الاثافى (٢) الهلاس الضمور والضاوى وهاب لونه لون الهباء (٣) جمع قوس

بكنية ذى نُواس كما كانت اليمن تكتنى ، وندم على هجاء اليمن ووجدهم له أنصر ولدعوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكِنْدِى من هجائه ومدح اليمن فقال

أهاشم خذ مني رضاك وان أتى ... رضاك على نفسي فغير مَلوم
فأقسم ما جاوزت بالشتم والدى ... وعرضى وما مزقت غير أديمي
فعُدت بحَقْوَى هاشم فأعاذنى ... كريم أراه فوق كل كريم
وان امرأً أغضى على مثل زَلَّتى ... وان جرحت فيه لجِدّ حليم
تطاول فوق الناس حتى كأنما ... يَرَوْن به نجماً أمام نجوم
اذا امتازت الأحساب يوماً بأهلها ... أناخ الى عادِيَّة وصميم
الى كل معصوب به التاج مِقْوَل ... اليـــه أيادى عامر وتميم

وكان قبل أن ينتمي لليمن ويدعى لنزار يتعاجم في شعره ، فمن ذلك قوله

فاسقنيها وغن صو ... تاً ، لك الخير ، أعجما
ليس في نعت دِمْنة ... لا ولا زجر أشأما

وقوله

ودار نَدَامَى عطلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى ... وأضغاث رَيحان جَنىّ ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم ... وانى على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منهم غير ما شهدت به ... بشرقىّ ساباطَ الديار البَسابس
أقمنا بها يوْماً ويوْماً وثالثاً ... ويوْماً له يوْم الترحل خامس
تدار علينا الراح فى عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس
قوارتها كسرى وفى جنَباتها ... مَهَى تدَّريها بالقسِىِّ الفوارس
فللخمر[1] ما زُرَّت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليـه القلانس

(١) يعنى أن الخمر مصبوب فيها الى حلوق الصور صرفاً وقوله وللماء يعنى انهم صبوا الماء فى مزجها حتى علا رءوسها

وقوله يصف كَرْمة وعبر عنها بالهَجمة وهو يريد الدنان

لنا هَجمة لايدرك الذئب سَخْلها ولا راعها نَزْو الفِحالة والخَطْر
اذا امتحنت ألوانها مال صفوها الى الكُمْت الا أن أوبارها خضر
وان قام فيها الحالبون أتتهمُ بنجلاء[1] ثقب الجوف درّتها الخمر
مسارحها الغربيّ من نهر صَرْصر فقُطْربُّل فالصالحيـــة فالعَقر
تراث أبي ساسان كسرى ولم تكن مواريث ما أبقت تميم ولا بكر
قصرت بها ليـلى وليل ابن حرة له حسب زاكٍ وليس له وَفْر

وفي تعاجم أبي نواس فى شعره يقول الرَّقاشي يهجوه

نَبَطِيّ فاذا قيـــل له أنت مولى حَكَم قال أَجَل
هو مولى الله اذ كان به لاحقاً فالله أعلى وأجل
واضعاً نسبته حيث اشتهى فاذا مارابه ريب رَحَل

فقال أبو نواس يهجوه

هجوت الفضل دهرى وهوعندى رقاشي كما زعم المســـول
فلما سوئلت عنه رَقاش لنعـــلم ما تقول وما يقول
ولما أن نصصناه اليها لتعـــلم ما يقال وما نقول
وجدنا الفضل أبعد من رقاش من الأُتْن ادعت فيها الفُيول
وجدنا الفضل أكرم من رقاش لأن الفضل مولاه الرسول

يريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم أنا مولى من لا مولى له

وقال أيضاً يهجوه

قل للرَّقاشى اذا جئتـــه لو متَّ يا أحمق لم أهجُكا

(١) يريد بالنجلاء البزال وهو موضع سيل الشراب من البزل

لأنني أكرم عرضي ولا أقرنه يوماً الى عرضكا
ان تهجُني تهج فتى ماجداً لا يرفع الطرف الى مثلكا
دونك عرضي فاهجه راشداً لا تدْنَس الأعراض من هجوكا
والله لو كنتُ جريراً لما كنت بأهجي لك من أصلكا

وقال أيضاً يهجوه

يا عربياً من صنعة السوق وصنعة السوق ذات تشقيق
ما رأيكم يا نزار في رجل يدخل فيكم من خلق مخلوق
ويحمل الوطب والعِلاب ولا يصلح الا لحمل ابريق
لقد ضربنا بالطبل أنك في القوم صحيح وصيح في البوق
قد أخذ الله من رَقَاشَ على تركهم المجد بالمواثيق
فالناس يسعَون للعلا قُدُماً وهم وراء مكسرو السوق
هذا كذاكم وفي الهياج اذا هيج فما شئت من بواشيق

وقال أيضاً يهجوه

أصبح الفضل ظاهر التيه وذاك مذ صرت أهاجيه
لله شعري أيّ مفْوَاهة لكل مَنْ دوني قوافيه
كم بين فضل منذ هاجيته وبينه قبلَ أهاجيه
فالحمد لله وان كنت لم أحفل بقوم نصحوا فيه
رضيت أن يشتمني ساقط شبسْعي خيرٌ من مواليه

وكان أبو نواس في دعاويه يتماجن ويعبث ويخفي نسبه واسم امه لئلا يهجى، وذلك مشهور عنه ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم، والمذكور من أمره أنه كان مولى الحكميين يفتخر باليمن ويمدحهم لذلك ويمدح العجم ويذكرهم لأنه منهم، فلذلك قال في العجم ما قال

وصف العلماء لشعره

كان أبو عبيدة يقول ذهبت اليمن بجد الشعر وهزله ، امرؤ القيس بجده وأبو نواس بهزله ، وكان يقول ذهبت اليمن بجيد الشعر فى قديمه وحديثه ، امرؤ القيس في الأوائل وأبو نواس في المحدَثين ، وكان يقول شعراء اليمن ثلاثة امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس ، وقال أيضاً أبو نواس فى المحدَثين مثل امرىء القيس في المتقدمين فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعانى وأرشدهم الى طريق الأدب والتصرف في فنونه ، وكان يقول يعجبنى من شعر أبى نواس قوله

بنينا على كسرى سماء مُدَامة مكلَّلة حافاتهـــا بنجوم
فلو رُدَّ في كسرى بن ساسان روحه إذاً لاصطفانى دون كل نديم

وسئل يعقوب بن السِّكِّيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء ، فقال اذا أردت من الجاهليين فلامرىء القيس والأعشى ، ومن الإسلاميين فلجرير والفرزدق ومن المحدَثين فلأبى نواس فحسب ، وقيل للعتبى من أشعر الناس ؟ قال عند الناس أم عندى ؟ قيل عند الناس ، قال امرؤ القيس ، قيل فعندك ، قال أبو نواس

وقال عبد الله بن محمد بن عائشة من طلب الأدب فلم يَرْوِ شعر أبى نواس فليس بتام الأدب ، وسئل من أشعر المحدَثين ؟ فقال الذى يقول

كأن ثيابه أطلعـــن من أزراره قمرا
يزيدك وجهه حسناً اذا ما زدته نظرا
بعين خالط التفتيـــر من أجفانها الحورا
ووجه سابريّ لو تصوَّب ماؤه قطرا
وقد خطَّت حواضنه له من عنبر طُرُرا

وقال ابراهيم بن العباس الطويل اذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبى نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورائد ظرفه

وكان أبو نواس يقول عن نفسه ، سفُلت عن طبقة من تقدمني من الشعراء وعلوت عن طبقة من معى ومن يجيء بعدى فأنا نسيج وحدى

وحدث جماعة من الرواة ممن شاهد أبا نواس قالوا كان أقل ما فى أبى نواس قول الشعر وكان مخلاً راوية عالماً

وقال أبو عبيدة بلغنى أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فتلقانى وهو سكران ماطرٌ شاربه بعد ، فقلت له كيف فلان عندك ؟ فقال ثقيل الظل ، جامد النسيم ، فقلت زد ، فقال مظلم الهواء منتن الفناء ، فقلت زد ، فقال غليظ الطبع بارد الشكل ، قلت زد ، فقال وَخْم الطلعة عسر القلعة ، قلت زد ، قال نائى الجَنَبَات بارد الحركات ، قال فخففت عنه ، فقال زدنى سؤالاً أزدك جواباً ، فقلت كفى من القلادة ما أحاط بالعنق

وقال سليمان بن أبى سهل لأبى نواس ما الذى استجيد من أجناس شعرك ؟ فقال أشعارى في الخمر لم يقل مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعرى ان لم يزاحم غزلي ما قلته فى الطرد ، وكان يقول ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخَنْساء وليلى فما ظنك بالرجال ؟ وانى لأروى سبعمائة أرجوزة ما تعرف ، وكان قد استأذن خَلَفاً فى نظم الشعر فقال لا آذن لك في عمل الشعر الا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ، فغاب عنه مدة وحضر اليه فقال له قد حفظتها ، فقال أنشدها ، فأنشده أكثرها في عدة أيام ، ثم سأله أن يأذن له في نظم الشعر ، فقال له لا آذن لك الا أن تنسي هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له هذا أمر يصعب على فانى قد أتقنت حفظها ، فقال له لا آذن لك الا أن تنساها ، فذهب الى بعض الدِّيَرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال قد نسيتها حتى كأن لم أكن قد حفظتها قط ، فقال له الآن فانظم الشعر

وكان أبو نواس يقول لا أكاد أقول شعراً جيداً حتى تكون نفسى طيبة وأكون في بستان مونق وعلى حال ارتضيها من صلة أُوصَل بها أو وعد بصلة ، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعاراً لا أرضاها ، وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيراً منها ويترك صافيها ولا يسره كل ما يقذف به خاطره ، وكان يهمه الشعر فى الخمر فلا يعمله الا في وقت نشاطه ، ولم يكن فى الشعر لا بالبطىء ولا بالسريع بل كان فى منزلة وسطى

وكان الأصمعى يقول يعجبني من شعر الشاعر بيت واحد قد أجاد قائله وهو

ضعيفة كَرّ الطرف تحسب أنها قريبة عهد بالافاقة من سقم

وانى لآتى الأمرَ من حيث يتقى ويعلم سهمى حين أنزع من أرمى

قال العتابى لرجلين تناظرا فى شعر أبى نواس والله لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد

وقال أبو عمرو الشيبانى أشعر الناس في وصف الخمر ثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس

قال محمد بن عمر لم يكن شاعر في عصر أبى نواس الا وهو يحسُده لميل الناس اليه وشهوتهم لمعاشرته وبعد صيته وظَرْف لسانه

وقال أبو حاتم سئل أبو نواس عن شعره فقال اذا أردت أن أجِدّ قلت مثل قصيدى « أيها المنتاب عن عُفُره » واذا أردت العبث قلت مثل قصيدى « طاب لهوى لعميده » فأما الذى أنا فيه وحدى وكله جيد فاذا وصفت الخمر

وقال أبو ذكوان كنا عند التوَّزي فذكرت عنده أبا نواس فوضع منه بعض الحاضرين ، فقال له التوزي أتقول هذا لرجل يقول

يخافه الناس ويرجونه كأنه الجنة والنار

ويقول

ما فاته جود ولاحل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

ويقول

فتمشت في مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم

قال ابن الاعرابى يوماً لجلسائه ما أشعرُ ماقال أبو نواس في الخمر؟ فقال بعضهم

اذا عبّ فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

وقال آخر

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها حصباء درّ على أرض من الذهب

وقال آخر

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقاً وما لم تكن فيه من البيت مغرب

وقال آخر

فكأن الكؤس فينا نجوم دائرات بروجها أيدينا

وقال آخر

صفراء لاتنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

فقال ابن الأعرابى ان هذا كله لشاعر انفرد بالاحسان فيه ، وتقدم من سبقه ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله فى قوله

لا ينزل الليل حيث حلت فدهر شُرّابها نهار

قال مسلم بن بهرام لقيت أبا العناهية فقلت له من أشعر الناس ؟ قال تريد جاهليتها أو اسلاميها أو مولدها ؟ قال كُلاً أريد ، قال الذى يقول فى المديح

اذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذى نثنى

وان جرت الألفاظ يوماً بمِدحة لغيرك انساناً فأنت الذى نعنى

والذى يقول فى الزهد

ألا رب وجه فى التراب عتيق ويا رب حسن فى التراب رقيق

ويارب حزم في التراب ونجدة ... ويارب رأى فى التراب وثيق
فقل لقريب الدار انك راحل ... الى منزل نائى المحل سحيق
وما الناس الا هالك وابن هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

وكان يقول سبقنى أبو نواس الى ثلاثة أبيات وددْت انى سبقته اليها بكل ما قلته فانه أشعر الناس فيها منها قوله

يا كبير الذنب عفو اللّـــه من ذنبك أكبر

وقوله

من لم يكن لله متهماً ... لم يُمس محتاجاً الى أحد

وقوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

ثم قال قلت فى الزهد ستة عشر الف بيت وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه الأبيات

وقال الجاحظ سمعت النَّظام يقول وقد أنشد شعراً لأبى نواس ، كأن هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه ، وقال بعضهم كأن المعانى حبست عليه فأخذ حاجته وفرق الباقى على الناس

وقال أبو حاتم كانت المعانى مدفونة حتى أثارها أبو نواس

ورد على العتابى بحلب عدة من الكبار من أهل قِنَّسْرين فدخلوا وسلموا وكان فى يده رقعة ينظر اليها ، فقال لهم لقد سلك صاحب هذه الرقعة وادياً ماسلكه أحد قبله ، فنظروا فاذا هو شعر أبى نواس فى جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفى وهو قوله

ربعُ الكَرَى بين الجفون مُحيل ... عفَّى عليه بكى عليك طويل

يا ناظراً ما أقلعت لحظاته حتى تشحَّط بينهن قتيل
أحلت قلبى من هواك محلة ما حلها المشروب والمأكول
بكمال صورتك التى من دونها يتخير التشبيه والتمثيل
فوق القصيرة والقصيرة فوقها دون السمين ودونها المهزول

ومما أنشده العتابى لأبى نواس فقال أحسن وأجاد

متنايه بجماله صَلِف لا يستطاع كلامه تِيها
للحسن فى وجناته بدع ما إن يَمَلّ الدرس قاريها
لو كانت الأشياء تعقله أجْلَلْته اجلال باريها
لو تستطيع الأرض لانقبضت حتى يصير جميعه فيها

وقوله

ان السحاب لتستحيى اذا نظرت الى نداك فقاسته بما فيها
حتى تهُم باقلاع فيمنعها خوف من السخط من اجلال منشيها

وأنشد محمد بن صالح بن بيهس الكلابى قوله فى الزهد

أخى ما بال قلبك ليس ينقى ؟ كأنك لا تظن الموت حقا
ألا يا ابن الذين فنُوا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما للنفس عندك من مقام اذا ما استكملت أجلاً ورزقا
وما أحد بزادك منك أحظى ولا أحد بذنبك منك أشقى
ولا لك غير تقوى الله زاد اذا جعلت الى اللّهوات ترقى

وقوله فى رثاء محمد الأمين

طوى الموت ما بينى وبين محمد وليس لما تطوى المنية ناشر
فلا وصل الا عَبرة تستديمها أحاديث نفس مالها الدهرَ ذاكر
لئن عَمِرت دور بمن لا أوَدّه لقد عمرت ممن أحب المقابر

وكنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

فقال بحق ماغلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره

قال محمد بن جعفر كنا عند أبي نعيم فتذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حين ذكرت شعر لبيد يرثي أخاه أربد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتاً ، قلنا أنشدناها فقال

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا خلفاً في أراذل النسناس

في أناس نعدّهم من عديد فاذا فتشوا فليسوا بناس

كلما جئت أبتغي الفضل منهم بدرني قبل السؤال بياس

وبكوا لي حتى تمنيت أني مُفْلت عند ذاك رأساً براس

ثم قال أتدرون لمن الشعر ؟ قلنا لا ، قال للحسن بن هانيء

قال أبو عبد الرحمن الضرير رأيت مسلم بن الوليد بجرجان وهو يتولاها فسألني عمن خلفت من الشعراء ، فقلت له أما من الكوفيين فأبو نواس وهو مقدم عندهم ، فقال ويحك كيف يتقدم وهو يقول « رويدك يا انسان لا أنت تقفز » أرأيت قوله تقفز خرجت من بين فكي شاعر قط ؟ ثم قال ويلك وكيف يكون كذلك وهو يحيل ويتخطى من صفة المخلوق الى صفة الخالق ؟ فقلت مثل ماذا من قوله ، قال أما فيما أحال فكقوله

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

وهذا من الاغراق المستحيل في العقول ومما ليس على مذهب القوم ، وأما في تخطيه بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقوله

يجل أن تلحق الصفات به فكل خلق تخلقه مثل

وكقوله

برىء من الأشباه ليس مثل

ومما قيل عن أبي نواس ان الشعر انما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لايحسنهما ، وأجود شعره فى الخمر والطرد ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له وانما سرقه ، وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبنى عليه حتى يجىء به قبيحاً مثل قوله « وداونى بالتي كانت هى الداء » أخذه من قول الأعشى « وأخرى تداويت منها بها » والذى أخذه منه أحسن ، ومنها أيضاً قوله « ان الشباب مطية الجهل » أخذه من قول النابغة الجعدى « فان مطية الجهل الشباب » وقوله « كطلعة الأشمط من إهابه » أخذه من قول أبى النجم « كطلعة الأشمط من كسائه » ولكن رزق أبو نواس فى شعره أن سار وحمله الناس وقدمه أهل عصره وان له على ذلك لأشياء حساناً لا يدفعها ولا يطرحها الا جاهل بالكلام أو حاسد

ومن أحسن مدائح أبى نواس قوله من أرجوزة يمدح الفضل بن الربيع

أعيا مُجاريك الخَطَر أبوك جلَّى عن مُضَر
يوْم الرواق المحتضر والخوف يفْرِى ويذر
لما رأى الأمر اقمطَرّ[1] قام كريماً فانتصر
كهَزَّة العَضْب الذكر ما مس من شىء هبَر
وأنت تقتاف الأثر من ذى حُجول وغُرُر
معيد وِرْد وصَدَر وان علا الأمر اقتدر
فأين أصحاب الغمَر اذ شربوا كأس المقَر[2]
وقصروا فيمن قصر هيهات لايخفى القمر
أصحرت[3] اذ دبُّوا الخمَر شكراً وحُرّ من شكر

(١) اشتد (٢) المر (٣) أصحرت أى برزت الى الصحراء ودبوا الخمر أى مشوا مختفين والخمر ما ستر من شجر أو بناء أو نحوه

فالله يعطيك الشَّبَرَ (١) وفى أعاديك الظَّفَرَ
والله من شاء نصر وأنت ان خفنا الحَصَرَ (٢)
وهَرَّ دهر وكَشَرَ عن ناجذيه وبَسَرَ
أغْنَيت ما أغنى المطر وفيك أخلاق اليَسَرَ
فان أَبَوْا الا العَسَرَ أمررت (٣) حبلاً فاستمر
حتى ترى تلك الزُّمَرَ تَهْوِى لأذقان الثُّغَرَ (٤)
من جد ألوي (٥) لو نَتَرَ اليه طود لانأطَرَ (٦)
صعب اذا لاقى أبَرَ وان هفا القوم وَقَرَ
أو رهبوا الأمر جَسَرَ ثم تسامى ففغَرَ
عن شِقْشِق ثم هَدَرَ ثم تناجى فخطر
بذى سبيب وعُذَرَ يمضع أطراف الوبر
هل لك والهَلَ خيرَ فيمن اذا غبت حضر
أو نالك القوم ثَأَرَ وان رأى خيراً شكر
أو كان تقصير عَذَرَ

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع

ساد الملوك ثلاثة ما منهمُ ان حصِّلوا الا أغرّ قريع
ساد الربيع وساد فضل بعده وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

وقال يمدح الفضل بن الربيع لما قدم بغداد على محمد الأمين بالأموال والقضيب والخاتم حين مات الرشيد ، وقد اشتد فرح الأمين به فقربه وألطفه وقلده الأمور

(١) الخير والقرة (٢) ضيق الصدر (٣) أى أحكمت فتله (٤) جمع ثغرة وهى نقرة النحر (٥) الألوى الشديد الخصومة (٦) اعوج وانثنى

وفوض اليه ما وراء بابه فهو الذى يولي ويعزل ويحل ويعقد عن محمد الأمين

لعمرك ما غاب الأمين محمد عن الأمر يعنيه اذا شهد الفضل
ولولا مواريث الخلافة انها له دونه ما كان بينهما فضل
لئن كانت الأجساد فيها تباينت فقولهما قول وفعلهما فعل
أرى الفضل للدنيا وللدين جامعاً كما السهم فيه الريش والفوق والنصل

وقال وأجاد

ياقلب ويحك جدّ منك ذا الكلف ومن كلفت به جافٍ كما تصف
وكان فى الحق أن يهواك مجتهداً كذاك خبر منا الغابرَ السلف
قل للمليح أما تروى الحديث بما خالفت فيه وقد جاءت به الصحف ؟
ان القلوب لأجناد مجندة لله فى الأرض بالأهواء تختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

وقال فى الاعتذار

رسولي قال أوصلت الكتابا فما ردوا عليك له جوابا
فقلت أليس قد قرؤا كتابى فقال بلى فقلت الآن طابا
فأرجو أن يكون همُ جوابى بلا شك اذا عرفوا خطابا
أجيد لك المنى يا قلب كيلا تموت على غمًّا واكتئابا

وقال يعتذر الى رحمة بن نجاح حين مرض ولم يعده

انى حُمت ولم أشعر بحمًّا كا حتى تحدث عوادى يشكوا كا
فقلت ما كانت الحمى لتعهدنى من غير ما علة الا لحمًّا كا
وخصلة هى أيضاً يستدل بها عافانى الله منها حين عافا كا
أما اذا اتفقت نفسى ونفسك في هذا وذاك وفي هذا وفي ذا كا
فكن لنا رحمة نفسى فداك ولا تكن خلافاً لما ذو العرش سما كا

فقد علمت يقيناً أو ستعلمه ... صنيع حبك في قلبي وذكراكا

وله في عزة النفس

ومستعبد اخوانه بثرائه ... لبست له كبراً أبرّ على الكبر
اذا ضمني يوماً وإياه مَحْفِل ... يرى جانبي وَعْراً يزيد على الوعر
أخالفه في شكله وأجره ... على المنطق المبرور والنظر الشزر
وقد زادني تيهاً على الناس أنني ... أراني أغناهم وان كنت ذا فقر
فوالله لا يبدي لساني لَحَاجة ... الى أحد حتى أُغَيَّب في قبري
فلا يطمعن في ذاك منّيَ طامع ... ولا صاحب التاج المحجب في القصر
فلو لم أرِثْ فخراً لكانت صيانتي ... عن الناس حسبي من سؤالي من الفخر

وله أيضاً في معنى ذلك

لا أعير الناس سمعي ... ليعيبوا لي حبيبا
لا ولا أحفظ منهم ... لأخلائي العيوبا
فاذا ما كان كون ... قمت بالغيب خطيبا
أحفظ الاخوان كيما ... يحفظوا مني المغيبا

وقال يعاتب عمرا الوراق

يا من جفاني وملاً ... نسيت أهلاً وسهلا
ومات مَرْحَبُ لما ... رأيت مالي قَلاَّ
انى أظنك تحكى ... فيما فعلت القِرِلَّى[1]
تلقاه في الشر يناًى ... وفي الرخا يتدلى

(١) القرلى مولى كان لحمير وكان لا يسمع لأحد شيئاً الا جاء اليه وداخله ولا يتخلف عن طعام لأحد واذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك فضرب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوقى عليه ، القرلى

وقال يخاطب أبان بن عبد الحميد قبل أن يتهاجيا

أأبان نكّب عن عداوتنا ... لك غير قَرْع صفاتنا لَهْو
انى يزيدك أن تصيِّر لي ... شغلاً هجاءك انني خلو

وقال يصف نديماً

ومستطيل على الصهباء باكرها ... في عصبة باصطباح الراح حُذَّاق
حتى حساها فلم يلبث وما لبثت ... أن خرَّ ميتاً صريعاً ماله واق
فكل كف رآها ظنها قدَحاً ... وكل شخص رآه ظنه الساقى

لما عمل أبو نواس قصيدته التى أولها « مستعبد اخوانه بثرائه » بلغت الأمين فبعث اليه وعنده سليمان بن أبى جعفر ، فلما دخل عليه افترى عليه وقال يامدعى ولاء حاء وحكم أتدري من توليت ؟ والى من ادعيت ؟ الى الأُلْأم قبيلتين في اليمن علوج باغين ، أنت تكتسب بشعرك أوساخ أيدى الناس اللئام وتقول « ولا صاحب التاج المحجب فى القصر » أما والله ما نلت مني شيئاً بعد ذلك أبداً ، فقال له سليمان بن أبى جعفر إيْ والله ثم هو مع هذا من كبار الثنوية « وكان يرمى بذلك » ، فقال له الأمين وهل يشهد عليه شاهد بشىء من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة نفر ، فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مطير ، فوضع قدحه تحت السماء فى المطر ، فوقع فيه المطر ، فقالوا له ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة مَلَك ، فكم ترانى أشرب الساعة من الملائكة ؟ ثم شرب ما فى القدح ، فغضب الأمين وأمر به الى السجن ، وذلك قول أبى نواس

يارب ان القوم قد ظلموني ... وبلا اقتراف معطِّل حبسوني
والى الجحود بما عرفت خلافه ... ربى اليك بكذبهم نسبوني
ما كان الا الجرى فى ميدانهم ... فى كل خزى والمجانة ديني
لا العذر يقبل لي ويفرق شاهدى ... منهم ولا يرضَوْن حلف يميني

ما كان لو يدرون أول مخبأ في دار منقصة ومنزل هون
أما الأمين فلست أرجو دفعه عني فمن لي اليوم بالمأمون ؟

فبلغت أبياته المأمون فقال والله لئن لحقته لأغنينه غنى لا يؤمله ، فمات قبل دخول الأمين بغداد

وقال يصف نديماً

وغرير الشباب محتبك الحسـ ـن على جيده مناط التميم
قد غذاه النعيم فاحمرت الوجـ ـنة منه على فساد الحلوم
فهو عفّ الجفون فى النظر العمـ ـد حذاراً على فؤاد النديم
يتثنى اذا مشى فهو لدْن فى اعتدال بجودة التقويم
أندبت كفّه الزجاجة وَهْناً فهى فيها جراح تلك الكلوم
فهو الراحل المطى الينا من أباريق قهوة الخُرْطوم
بنت كَرْم أباحها كرم الجو هر منه ورقة فى الأديم
تلحق الظبي والظليم من الجر ى وتزرى بكربة المغموم
ونديم فديته من نديم وجهه جالب لكل نعيم
مج في الكأس ريقه وسقانى من شراب معتق مختوم

ومن قوله يعاتب عمرا الوراق

يا واضعاً بَيْض القطا تحت الزمامج [1] للفراخ
لو أيقنت ما تحتهـ ـا لم تأْلُ من نقر السِّباخ [2]
يا غارساً بيمينـ ـه شجر الحِفاظ على السباخ
فسـ ـد الخلائق كلهم فانظر لنفسك من تؤاخى

(١) الزمامج جمع زمجى كزمكى أصل ذنب الطائر (٢) هو الصماخ

وقاله أيضاً يعاتبه

يا مادح القوم اللئـا م وطالباً رِفْد الشِّحاح
اشغل قريضك بالنسيـ ـب وبالفُكاهة والمزاح
حدثت وجوه ليس تأ لم غير أطراف الرماح
وأكف قوم ليس ينـ ـبط ماءها غير المساحى
ما شئت من مالٍ حَمَى يأوِى الى عرض مُماح

عزم عيسى بن أبى جعفر المنصور على أبى نواس أن يقيم معه بالقُفْص أسبوعاً وحمله وخلع عليه ووصله ، فلما أقاموا الاسبوع وأرادوا الانصراف قال له بحياتى عليك صف مجلسنا هذه الأيام كلها التى أقمناها ، فأنشأ يقول

يا طيبنا بقصور القُفْص مشرقة فيها الدَّساكر والأنهار تطَّرد
لما أخذنا بها الصهباء صافية كأنها النار وسط الكأس تتقد
جاءتك من بيت خمار بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس ترتعد
فقام كالغصن قد شدت مناطقه ظبي يكاد من التهييف ينعقد
فاستلَّها من فم الابريق فانبعثت مثل اللسان جرى واستمسك الجسد
فلم نزل فى صباح السبت نأخذها والليل أجمعه حتى بدا الأحد
ثم ابتدأنا الطِّلا باللهو من أمَم فى نعمة غاب عنها الضيق والنكد
حتى بدت غرة الاثنين واضحة والسعد معترض والطالع الأسد
وفى الثلاثاء أعملنا المطي بها صهباء ما قرَّعتها بالمزاج يد
والأربعاء كسرنا حَدَّ سَوْرتها والكأس يضحك في تيجانها الزَّبَد
ثم الخميس وصلناه بليلته قصفاً وتم لنا بالجمعة العدد
يا حسننا وبحار القَصف تغمرنا فى لجة الليل والأوتار تغترد
في مجلس حوله الأشجار محدقة وفى جوانبه الأنهار تطرد

لا نستخف بساقينا لغرته ولا يرد علينا حكمه أحد
عند الأمير أبي عيسى الذي كملت أخلاقه فهي كلأ وراق تنتقد

ولما أنشد الأمين قصيدته التي يقول فيها

أيا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالي بها حتى اذا ما ملكتها أهنت لاكرام الخليل مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر عنها حتى ما تقل جفونها
تروع بنفس المرء عما يسوءه ويخذله ألا يزال قرينها
كأن يواقيتاً روا كد حولها وزرق سنانير تدير عيونها
وشمطاء حل الدهر منها بنجوة دلفت اليها فاستلت جنينها
كأنا حلول بين أكناف روضة اذا ما سلبناها مع الليل طينها

قال له ألم أنهك عن شرب الخمر؟ قال بلى والله يا أمير المؤمنين والله ما شربتها مذ نهيتني عنها ومنعتني من شربها وأنا الذى أقول

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما
نالني بالملام فيها امام لا أرى لى خلافه مستقيما
فاصرفاها الى سواى فانى لست الا على الحديث ندبما
كبر حظى منها اذا هى دارت أن أراها وأن أشم النسيما
فكأنى وما أزين منها قعدى يحسن التحكيما
كل عن حمله السلاح الى الحرب فأوصى المقيم ألا يقيما

وأنشده يمدحه

ألا يا خير من رأت العيون نظيرك لا يحس ولا يكون
وفضلك لا يحد ولا يجارى ولا تحوى حيازتها الظنون

فأنت نسيج وحدك لا شبيه نحاشيه عليك ولا خدين
خلقت بلا مشاكلة لشيء فأنت الفوق والثقلان دُون
كأن الملك لم يك قبل شيئاً الى أن قام بالملك الامين

ومن قوله يصف حراقة ركبها الأمين وكانت على مثال الأسد

سخر الله للأمين مطايا لم تسخَّر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن بحراً سار فى الماء راكباً ليث غاب
أسداً باسطاً ذراعيه يعدو أهزَت الشدق كالح الأنياب
لا يعانيه باللجام ولا السو ط ولا غمز رجله فى الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو رة ليث تمر مرَّ السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه كيف لو أبصروك فوق العُقاب
ذات زَوْر ومِنْسَر وجناحيـــن تشق العُباب بعد العُباب
تسبق الطير فى السماء اذا ما اســـتعجلوهـا بجيئة وذهاب
بارك الله للأمين وأبقا ه وأبقى له رُواء الشباب
ملك تقصر المدائح عنه هاشمى موفق للصواب

قال الحسن بن أبى المنذر لما قال أبو نواس

ديار نَوار ما ديار نوار كسونك شجواً هن منه عَوار

يمدح بها العباس بن عبد الله بن جعفر أنشدت للرشيد الى أن سمع قوله

يقولون فى الشيب الوقار لأهله وشيبى بحمد الله غير وقار

فأمر الرشيد باحضاره وقال له ويلك أتخالف الاسلام فى شىء من أمرك ؟ قال وماذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يشيب الرجل المؤمن شيبة في الاسلام الا كانت له حجاباً من النـار » وتقول أنت كذا وكذا ؟ وما أظنك الا على غـير دين الاسلام ، فمن أين زعمت انه غير وقار ؟

فقال يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك انظر الى البيت الذى بعده ، فقال ماهو ؟ قال

اذا كنت لا أنفك عن أَرْيَحيّة ... الى رَشَأٍ يسعي بكأس عُقار

انما قلت « وشيبي بحمد الله غير وقار » اذا كنت على هذه الحال وأشباهها لما أجاوز به من تعجيل الذنوب وتأخير التوبة ، قال أنت أعلم بخبث لسانك وسريرتك وقبح عملك فمن ثم شهدت بما شهدت به على نفسك

دخل أبو نواس بعد مانسك على قوم من اخوانه عندهم شراب ومغن فعرضوا عليه الجلوس فأبى ، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب

اذا لم تنه نفسك عن هواها ... وتحسن صونها فاليك عني

فانى قد شبعت من المعاصى ... ومن ادمانها وشبعن مني

ومَنْ أسوا وأقبح من لبيب ... يري متطنزاً فى مثل سني ؟

ومن شعر أبى نواس

عفّى المصلّى وأقوت الكُثُب ... مني فالمِرْبدان فاللهب

منازل قد عمرتها يَفَعا ... حتى بدا في عذارى الشهب

في فتية كالسيوف هزهمُ ... شَرْخ شباب وزانهم أدب

ثم أراب الزمان فانقسموا ... أيدى سبا فى البلاد فانشعبوا

لن يخلف الدهر مثلهم أبداً ... علىَّ هيهات شأنهم عجب

لما تيقنت أن روحتهم ... ليس لها ما حييت منقلَب

أبليت صبراً لم يُبْلِهِ أحد ... واقتسمتني مآرب شعب

لذاك انى اذا رزئت أخاً ... فليس بيني و بينه نسب[1]

قُطْرُبُّل مربعي ولي بقرى الكَرْ ... خ مصيف وأمى العنب

ترضعني درها وتلحفنى ... بطلها والهجير يلتهب

(١) يريد أن مواخاته على المجون فلا يبكي صاحبه

اذا ثنته الغصون جلّلني فينان [1] مافى أديمه جرب
تبيت فى مأتم حمائمه كما تراءى الفواقد السُّلُب
يهب شوقى وشوقهن معا كأنما يستخفنا الطرب
فقمت أحبو الى الرضاع كما تحامل الطفل مسه السَّغَب
حتى تخيرت بنت دَسكرة قد عجمتها السنون والحِقب
هتكت عنها والليل معتكر مهلهل النسج ماله هُدُب
من نسج خرقاء لاتشد لها أخيّة فى الثرى ولا طُنُب
ثم توجأت خصرها بشبا الإ شـــفى فجاءت كأنها لهب
فاستوسق الشرب للندام وأجـــراها عليهن اللجين والضرب
أقول لما تحاكيا شبهاً أيهما للتشـــابه الذهب
هما سواء وفرق بينهما انهما جامد ومنسكب
ملس وأمثالها محفرة صور فيها القسوس والصلب
يتلون انجيلهم وفوقهم سماء خمر نجومها حبب
كأنهـــا لؤلؤ تبدده أيدى عذارى أفضى بها اللعب

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأمين من شرب الخمر وذلك أن المأمون أمر الخطباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبى نواس ويقولون هو جليسه ونديمه وينشدون على المنابر شعره فمنعه الأمين فقال

غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء الثمينا
من سُلاف كأنه كل طيب يتمنى مخبر أن يكونا
أكل الدهر ما تجشم منها وتبقى لسانها المكنونا
ثم شُجّت فاستضحكت عن لآل لو تجمعن فى يد لاقتنينا

(١) الفينان الظل الكثيف والجرب أى لاخلل فيه

واذا ما لمستها فهبـــاء يمنع الكف ما يبيح العيونا
فى كؤوس كأنهن نجوم باديات كأنهـا أيدينا
طالعات مع السقاة علينا فاذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد قلت قوم من قرة يصطلونا
وغزال يديرها بينـان ناعمات يزيدها العسر لينا
ذاك عيش لو دام لى غير أنى عفته مكرهاً وخفت الأمينا
أدر الكاس حان أن يسقينا وانقر العود انه يلهينا
ودع الذكر للطلول اذا ما دارت الكأس يسرة ويمينا

ومن قول أبى نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبى جعفر

غرد الديك الصدوح فاسقني طاب الصبوح
اسقني حتى ترانى حسناً عندى القبيح
قهوة تذكر نوحاً حين شاد الفلك نوح
نحن نخفيهـا ويأبى طيب عرف فيفوح
فكأن القوم نهبى بينهم مسك ذبيح
أنا فى دنيا من العبـــاس أغدو وأروح
هاشمى عبـــدلى عنـده يغلو المديح
علم الجود كتاب بين عينيه يلوح
كل جود يا أميرى ما خلا جودك ريح
انمـا أنت عطايا أبداً ما تســـتريح
بجّ صوت المـال مما منك يشكو ويصيح
ما لهـذا أحد فو ق يديد أو نصيح

جدتَ بالأموال حتى قبل ما هذا صحيح
فهو بالمال جواد وهو بالعِرْض شحيح
صور الجود مثالاً وله العباس روح

قال محمد بن عيينة لقيت أبا نواس بعسكر مُكْرَم فقلت له أحب أن تنشدني من شعرك شيئاً تَضنّ به على غيري فأنشدني

يكفي الكريمَ من الكلا م لمن يحادثه أقله
والشيء شيء لم يزل بأدقه يأتي أجلُّه
ان لم يصبك من الكريم الحر وابله فطَلُّه
يبدي مكارمه كما يبدي فِرِنْد السيف سلُّه
والنذل يوقع نفسه متعمداً فيما يُذِله
والحر يكرم نفسه بالصفح عمن لا يجله

وقال أبو نواس يمدح الأمين

صببت على الأمين ثياب مدحي فكل الناس حسَّن واستجادا
ولولا فضله ما جاد شعري ولا أعطتنيَ الفطن القيادا
وقالوا قد أجدت فقلت انى وجدت القول يمكنني فجادا

ومن خمرياته

ذكر الصَّبوح بسُحْرَة فارتاحا وأملَّه ديك الصباح صياحا
أوفي على شرف الجدار بسُدْفة غَرِداً يصفق بالجناح جَناحا
فأدر صباحك بالصَّبوح ولا تكن كمسوِّفين غدَوْا عليك شِحاحا
ان الصبوح جلاء كل مخمر بدرت يداه بكأسه الاصباحا
وخَدينِ لذات معلل صاحب تقنات منه فُكاهة ومزاحا
نبهته والليل ملتبس به وأزحت عنه نعاسه فانزاحا

قل ابغني المصباح ، قلت له اتئد حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها فى الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحا
من قهوة جاءتك قبل مزاجها عُطُلاً فألبسها المزاج وشاحا
شك البُزال فؤادها فكأنها أهدت اليك بريحها تفاحا
صفراء تفترس الفِراس فلا ترى منها بهن سوى السُّبات جراحا

ومنها

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأساً اذا انحدرت فى حلق شاربها أجدْته حمرتَها في العين والخد
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة من كف لؤلؤة ممشوقة القد
تسقيك من طرفها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بد
لي نشوتان وللنَّدمان واحدة شيء خصصت به من دونهم وحدى

كان الأصمعى يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة

أما ترى الشمس حلت الحَمَلا وطاب وقت الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كَمَلا
واكتست الأرض من زخارفها وَشْيَ ثياب تخاله حُلَلا
فاشرب على جدّة الزمان فقد أصبح وجه الزمان مقتبلا
من قهوة تذهب الهموم فلا أرهب فيها الملام والعذَلا
كرْخية تترك الطويل من العيـــش قصيراً وتبسط الأملا
تلمع لمعَ السَّراب فى قدح القـــوم اذا ما حبا بها انفصلا
يقول صَرِّف اذا مزجت له من لم يكن للكثير محتملا
فسقّ هـــذا بقدر طاقته واحمل على ذا بقدر ما احتملا
عجنا بشيئين من طبائعها حسن وطيب ترى به المثلا

كان أبو نواس لا يستنشد شيئاً من شعره الا أنشد هذه القصيدة

وخيمة ناطور [١] برأس مُنيفة تهمّ يدا من رامها بزليل
اذا عارضتها الشمس فاء ظلالها وان واجهتها آذنت بدخول
حططنا بها الأنقال فلّ [٢] هجيرة عبورية تذكى بغير فتيل
تأنت [٣] قليلاً ثم فاءت بمذقة من الظل فى رثّ الأباء ضئيل
كأنا لديها بين عطفى نعامة جفا زوْرها عن مبْرَك و مقيل
حلبت لأصحابى بها درة الصبا بصهباء من ماء الكروم شمُول
اذا ما أتت دون اللّهاة من الفتى دعا همُّه من صدره برحيل
فلما توفى الشمس جنح من الدجى تصابيت واستجملت غير جميل
وعاطيت من أهوى الحديث كما بدا وذللت صعباً كان غير ذليل
فغنى وقد وسّدت يسراى خده ألا ربما طالبت غير مُنيل
وأنزلت حاجاتى بحَقْوَى مساعد وان كان أدنى صاحب وخليل
وأصبحت أحْمى السكر والسكر محسن ألا رب احسان عليك ثقيل
كفى حزناً أن الجواد مقتّر عليه ولا معروف عند بخيل
سأبغى الغنى إما جليس خليفة يقوم سواء أو مخيف سبيل
بكل فتى لا يستطار جَنانه اذا نوه الزحفان باسم قتيل
لنخمس مال الله من كل فاجر أخى بطنة للطيبات أكول
ألم ترَ أن المال عون على الندى وليس جواد مقتر كبخيل

(١) الناطور حافظ النخل والكرم والزرع (٢) أى منهزمى هاجرة وعبورية نسبها الى الشعرى العبور وأيام طلوعها أيام الحر الشديد (٣) يعنى الشمس أى توقفت فى الجو عند زوالها وفاءت بمذقة أى دخلت عليهم من تلك الخيمة الخلقة التى ثبتت على الأباء الضعيف من القصب الرث فلم تقو الشمس عليهم ولم تمنعهم الخيمة بستر قوى فيصير ظلا ولكنه شمس وظل فشبهت بالممذوق من اللبن أى الممزوج

فان استزيد أنشد هذه القصيدة الأخرى

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
كان الجمالَ اذا ارتديت به ومشيت أخطِر صيت النعل
كان البليغَ اذا نطقت به وأصاخت الآذان للمملى
كان المشفع فى مآربه عند الفتاة ومدرك النَّبْل
والآمرى حتى اذا عزمت نفسى أعان يدىّ بالفعل
فالآن صرت الى مقاربة وحططت عن ظهر الصبا رحلى
والراح أهواها وان رزأت بُلَغَ المعاش وقلت فضلى
صفراء مجّدها مَرازبها جلت عن النظراء والمثل
ذخرت لآدم قبل خلقته فتقدمته بخطوة القبـــل
فأتاك شيء لا تلامسه الا بحسن غريزة العقل
فترود منها العين فى بشر حرّ الصفيحة ناصع سهل
فاذا علاها الماء ألبسها حبباً شبيه جلاجل الحجْل
حتى اذا سكنت جوانحها خطت بمثل أكارع النمل
خطين من شتى ومجتمع غُفْل من الإعجام والشكل
فاعذِرْ أخاك فانه رَجل مَرَنت مسامعه على العذل

ومن طيب شعره والشطر الأول من القصيدة لفظ ابن الدُّمينة

أعاذل ما على وجهى قُتوم ولا عرضى لأول من يسوم
يفضلني على الفتيان أنى أبيت فلا ألام ولا ألوم
أعاذل ان يكن بُرْدَاى رَثًّا فلا يَعْدَمْك بينهما كريم
شُققت من الصبا واشتُقّ مني كما اشتقت من الكَرَم الكروم
فلست أسوم للذات نفسى مياومة كما دفع الغريم

ومتصلٍ بأسباب المعالى له في كل مكرُمة قديم
رفعت له النداء بقُمْ فخذها وقد أخذت مطالعها النجوم
بتفدية تزال النفس فيها وتمتهن الخؤولة والعموم
فقام وقمت من أخوين هاجا على طرب وليلهما بهيم
أجر الزِّق وهو يجر رجلا يجور به النعاس ويستقيم
سل النَّدمان ما أولته منها وسلها ما احتوى منها الكريم
كلا الشخصين منتصف ولكن قضت وَطَراً وذامنها سقيم

وقال

انى صرفت الهوى الى قمر لم تبتذله العيون بالنظر
اذا تأملته تعاظمك الـ إقرار انه من البشر

ومن قوله

يا شقيق النفس من حَكَم نمتَ عن ليلى ولم أنم
فاسقنى البكر التى اختمرت بخِمار الشيب في الرحم
ثمت انصات الشبات لها بعد ما جازت مدى الهرم
فهي لليوم التى بُزِلت وهي تَرب الدهر فى القدم
عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم ماثلة ثم قصت قصة الأُمم
فرعنها بالمزاج يد خلقت للسيف والقلم
فى نَدامَى سادة زهر أخذوا اللذات من أمم
فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء في السقم
فعلت في البيت اذ مزجت مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السَّفْر بالعلم

ومن طرديات أبي نواس في صفة الكلب

أنعت كلباً أهلُه من كَدَه ... قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده ... وكل رفد نالهم من رِفده
يظلّ مولاه له كعبده ... يبيت أدنى صاحب من مهده
وان عري جلّله ببرده ... ذا غُرة محجلاً بزنده
تلذّ منه العين حسن قده ... يا حسن شدقيه وطول قده
تلقى الظباء عنتاً من طرده ... يشرب كأساً شدها من شده
يا له من كلب نسيج وحده

أبو نواس وجنان

كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة ، ويقال ان أبا نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها ، وقيل له يوماً ان جنان قد عزمت على الحج فكان هذا سبب حجه وقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا ان أقامت على عزيمتها ، وقال وقد حج وعاد

ألم تر أنني أفنيت عمري ... بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبباً اليها ... يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت جنان ... فيجمعني واياها المسير

قال من شهده حين حج مع جنان وقد أحرم لما جنه الليل جعل يلبي بشعر ويحدو به ويطرب ، فغنى به كل من سمعه وهو قوله

الهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك ... والليل لما أن حلك

والسابحات في الفلك على مجارى المنسلك
ما خاب عبد أملك أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك كل نبى ومَلَك
وكل من أهلّ لك سبح أو لبى فلك
يا مخطئاً ما أغفلك عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك لبيك ان الملك لك
والحمد والنعمة لك والعز لاشريك لك

وفيها يقول

جفن عينى قد كاد يسقط من طول ما اختلج
وفؤادي من حرّ حبك والهجر قد نَضَج
خبرينى فدتك نفسى وأهلى متى الفرج
كان ميعادنا خرو ج زياد فقد خرج
أنت من قتل عائذ بك في أضيق الحرج

كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبى نواس ، فانصرفت منه وهو جالس مع أصحابه فرآها فأنشدهم بديهاً قوله

شهدت جَلْوَة العروس جنان فاستمالت بحسنها النظارة
حسبوها العروس حين رأوها مادهانا بها سواكِ عمارة (١)

غضبت جنان من كلام كلمها به أبو نواس ، فأرسل يعتذر اليها ، فقالت للرسول قل له « لابرح الهجران رَبْعك ، ولا بلغت أملك من أحبتك » فرجع اليه الرسول فسأله عن جوابها فلم يخبره ، فقال

فديتك فيم عتْبك من كلام نطقت به على وجه جميل

(١) هى زوج عبد الرحمن الثقفى وهى مولاة جنان

وقولك للرسول عليكَ غيرى فليس الى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول له انكسار وحالٌ ما عليها من قبول
ولو ردت جنان مَرَدَّ خير تبين ذاك في وجه الرسول

وكان أبو نواس صادقاً في محبة جنان من بين من كان ينسب به من النساء ويداعبه ، وكان لها محباً ولم تكن تحبه ، فما عاتبها به حتى استمالها بصحة حبه لها فصارت تحبه بعد نُبُوِّها عنه قوله

جِنان ان جُدْت يا منای بما آمل لم تقطر السماء دما
وان تَمادَيْ ولا تماديت فى منعك أُصبح بقفرة رِمَما
عَلِقت من لو أتى على أنفس الـــماضين والغابرين ما ندما
لو نظرت عينه الى حجر وَلَّد فيه فتورها سَقَما

مرَّت به امرأة ممن يداخل الثقفيين ، فسألها عن جنان وألحف فى المسألة واستقصى ، فأخبرته خبرها وقالت قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنى أسمع « ويحك قد آذانى هذا الفتى وأبرمني وأحرج صدري وضيق عليَّ الطرق بحِدّة النظر وتهتكه ، فقد لهِجَ قلبى بذكره والفكر فيه من كثرة فعله لذلك حتى رحمته » ، ثم التفت فأمسكت عن الكلام ، فَسُرَّ أبو نواس بذلك ، فلما قامت المرأة أنشأ يقول

يا ذا الذى عن جنان ظل يخبرنا بالله قل وأَعِدْ ياطيب الخبر
قال اشتكتك وقالت ما ابتُليت به أراه من حيث ما أقبلت فى أثرى
ويُعمل الطرف نحوي ان مررت به حتى ليُخْجِلني من حِدّة النظر
وان وقفت له كيما يكلمني فى الموضع الخلو لم ينطق من الحَصَر
مازال يفعل بى هـذا ويُدْمنه حتى لقد صار من همى ومن وطَرِى

مرَّ به محمد بن حفص التيمي وقد خلا بامرأة يكلمها وكانت قد جاءته برسالة جنان ، فقال له اتق الله ، قال انها حرمتي ، قال فصنها عن هذا الموضع ، وانصرف عنه ، فكتب اليه أبو نواس

ان التي أبصرتهـــا بُكراً أكلمها رسول
أدت إليَّ رسالة كادت لها نفسي تسيل
من ساحر العينين يجـــذب خَصْره ردف ثقيل
متقلد قوس الصِّبا يرمي وليس له رسيل
فلوَ آن أذنك بيننا حتى تسمع ما تقول
لرأيت ما استقبحت من أمري هو الأمر الجميل

ثم وجه بها ، فألقيت في الرقاع بين يدي القاضي ، فلما رآها ضحك وقال ان كانت رسولاً فلا بأس

كان أبو عثمان أخا أبي أمية مولى جنان ، وكانت له بحَكَمان [1] ضيعة كان ينزلها هو وابن عم له يقال له أبو مية ، فقال أبو نواس فيه قوله

أسأل القادمين من حَكَمان كيف خلفتما أبا عثمان
وأبا مَيَّة المهـــذب والما جد المرتجى لريب الزمان
فيقولان لي جنان كما سر ك في حالها فســل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يُغْنِ عندهم كتماني

قال أبو نواس يذكر مأتماً بالبصرة حضرته جنان

يا منسيَ المأتم أشـجانه لمـــا أتاهم في المعزَّينا
سرت قناع الوَشْي عن صورة ألبسها الله التحاسينا

(١) اسم لضياع بالبصرة سميت بالحكم بن أبي العاصي الثقفي وهذا اصطلاح لأهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفاً ونوناً

فاستفتنهنَّ بتمثالها فهن للتكليف يبكينا
حق لذاك الوجه أن يزدهى عن حزنه من كان محزونا

أشرف أبو نواس من دار على منزل عبد الوهاب الثقفى ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها وفى يدها خضاب ، فقال

يا قمراً أبرزه مأتم ينذب شجواً بين أتراب
يبكي فيذري الدم من عينه ويلطم الورد بعنَّاب
لا تبكِ ميتاً حلَّ فى حفرة وابكِ قتيلاً لك بالباب
أبرزه المأتم لي كارهاً برَغْم دايات وحجاب
لازال موتاً دأب أحبابه ولا تزل رؤيتـــه دابى

وجهت جنان الى أبى نواس قد شهرتني فاقطع زيارتك عني أياماً لينقطع بعض القالة ، ففعل وكتب اليها

انا اهتجرنا الى الناس اذ فطنوا وبيننا حين نلتقى حسن
ندافع الأمر وهو مقتبل فشب حتى عليه قد مرَنوا
فليس تقذى عين معاينة له وما إن تمجُّه أذن
ويح ثقيف ماذا يضرهمُ ان كان لي في ديارهم سكن
يُسَرُّ ما بيننا الحديث فان زدنا ينمّوا وما لذا ثمن

وكتب اليها من بغداد

كفى حزناً ألاَّ أرى وجه حيلة أزور بها الأحباب في حَكَمان
وأقسم لولا أن تنال معاشر جناناً بما لا أشتهى لجنان
لأصبحت منها دانى الدار لاصقاً ولكنَّ ما أخشى فديت عدانى
فواحزناً حزناً يؤدِّي الى الرَّدَى فأصبح مأثوراً بكل لسان

أراني انقضت أيامُ وصلي منكمُ وآذن فيكم بالوداع زماني

بلغ أبا نواس أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر ، فقال

وأبأبى من اذا ذكرت له وطول وجدي به تنقصني
لو سألوه عن وجه حجته في سبه لي لقال يعشقني
نعم الى الحشر والتناد نعم أعشقه أو ألفّ في كفني
أصيح جهراً لا أستتر به عنفني فيه من يعنفني
يا معشر الناس فاسمعوه وعوا ان جناناً صديقة الحسن

فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجرته ، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحته ، فكتب اليها

اذا التقى في النوم طيفانا عاد لنا الوصل كما كانا
يا قُرَّة العين فما بالُنا نَشْقَى ويلتذ خيالانا
لو شئتِ اذ أحسنتِ لي في الكرَى أتممت إحسانك يقظانا
يا عاشقين اصطلحا في الكرى وأصبحا غَضْبَى وغضبانا
كذلك الأحلام غدارة وربما تصدق أحيانا

رآها يوماً في ديار ثقيف ، فجبهته بما كره ، فغضب وهجرها مدة ، فأرسلت اليه رسولاً تصالحه ، فرده ولم يصالحها ورآها فى النوم تطلب صلحه فقال

دسَّت له طيفها كيما تصالحه فى النوم حين تأبَّى الصلح يقظانا
فلم يجد عند طيفى طيفها فرجاً ولا رثى لتشكيه ولا لانا
حسبت أن خيالي لا يكون لما أكون من أجله غضبان غضبانا
جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا فلم يكن هيناً منك الذى كانا

ومما قاله فيها

أما يَفْنَى حديثك عن جنان ولا تبقى على هذا اللسان
أكل الدهر قلت لها وقالت فكم هذا ؟ أما هذا بفان ؟
جعلت الناس كلهمُ سواء اذا حدثت عنها في البيان
عدوك كالصديق وذا كهذا سواء والأباعد كالأدانى
اذا حدثت عن شأن توالت عجائبه أتيتهمُ بشان
فلو موهت عنها باسم أخرى علمنا اذ كنيت منَ أنت عان

قدم رجل البصرة فاشترى جنان من مواليها ورحل بها ، فقال أبو نواس

أما الديار فقلما لبثوا بها بين استباق العِيس والركبان
وضعوا سياط الشوق فى أعناقها حتى اطَّلعن بهم على الأوطان

وكتب اليها

أكثري المحو فى كتابك واحميه اذا محوته باللسان
وامرريه بالماء بين ثنايا ك العذاب المفلَّجات الحسان
انني كلما مررت بسطر فيه محو لطعته بلسانى
تلك تقبيلة لكم من بعيد أُهديت لي وما برحت مكانى

قال محمد بن ابراهيم بن كثير الصوفي دخلنا على أبي نواس نعوده في علته التي مات فيها ، فقال له على بن صالح الهاشمى يا أبا على أنت فى أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنات فتب الى الله عز وجل ، فبكى ساعة ثم قال ساندونى ساندونى ، ثم قال أأخوف بالله عز وجل وقد حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبى شفاعة وانى اختبأت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى يوم القيامة ، أفترانى لا أكون منهم ؟

ومن قوله فى مرض موته

دب فيَّ السقام علواً وسفلاً وأرانى أموت عضواً فعضوا
ليس تمضى من لحظة بىَ الا نقصتني بمرها فيَّ جزْوا
ذهبت جدتى بحاجة نفسى وطلبت طاعة الله نضوا
لهف نفسي على ليال وأيا م تجاوزتهن لعباً ولهوا
قد أسأنا كل الإساءة فالا ـــهم صفحا عنا وغفرا وعفوا

ثم قال

شعر حي أتاك من لفظ ميت صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى كاد عن عين الخلائق يخفى
لو تأملتني لتبصر وجهي لم تبن من كتاب وجهي حرفا
ولكررت طرف عينيك فيمن قد براه السقم حتى تعفى

وكان عمر أبى نواس تسعاً وخمسين سنة وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين (سنة ١٩٨)

شعراء الازد

أبو الشيص

هو محمد بن رزين بن سليمان الخزاعي الأزدي القحطاني وكنيته أبو جعفر وهو عم دعبل بن علي بن رزين لَحّا

شاعر من شعراء عصره متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم ابن الوليد وأشجع وأبي نواس فخمل وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعي وكان أميراً على الرَّقَّة فمدحه بأكثر شعره فقلما يروى له في غيره وكان عقبة جواداً فأغناه عن غيره ، ولأبي الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضاً صالح الشعر وكان منقطعاً الى محمد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج الى الناس

قال أبو خالد العامري لابن المعتز من أخبرك أنه كان في الدنيا أشعر من أبي الشيص فكذبه، والله لكان الشعر عليه أهون من شرب الماء على العطشان، وكان من أوصف الناس للشراب وأمدحهم للملوك ، وليس توجد هذه الصفات كما ذكر في ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد

وعمي أبو الشيص في آخر عمره وله مراث في عينيه قبل ذهابهما وبعده ، ومن قوله في ذلك

يا نفس بكِّي بأدمع هُتُن ... وواكف كالجُمان في سنن
على دليلي وقائدي ويدي ... ونور وجهي وسائس البدن
أبكي عليها بها مخافة أن ... يقرنني والظلام في قرن

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودعبل في مجلس فقالوا اينشد كل واحد منكم أجود ماقاله من الشعر ، فاندفع رجل كان معهم فقال اسمعوا مني

أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، قالوا هات ، فقال لمسلم أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت

اذا ما علت منا ذؤابة واحد وان كان ذا حلم دعته الى الجهل
هل العيش الا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

فقال له مسلم صدقت ، ثم أقبل على أبي نواس فقال له كأني بك يا أبا على قد أنشدت

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
تسقيك من عينها خمراً ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بُد

فقال له صدقت ، ثم أقبل على دعبل فقال يا أبا على فكأني بك تنشد قولك

اين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

قال صدقت ، ثم أقبل على أبي الشيص فقال له وأنت يا أبا جعفر كأني بك تنشد

لا تنكري صدى ولا اعراضي ليس المقل عن الزمان براض

فقال لا ما هذا أردت ولا هذا بأجود شيء قلته ، قالوا فأنشدنا ما بدا لك ، فأنشدهم قوله

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوم
أشبهتِ أعدائي فصرت أحبهم اذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن يكرم

وله وهو مما غنى فيه

بالله قل يا طلل أهلك ماذا فعلوا
فان قلبي حذر من أن يبينوا وَجِل

وله في جارية سوداء

لم تنصفى يا سميـة الذهب تتلف نفسى وأنت فى لعب
يا ابنة عم المسك الذكى ومن لولاك لم يتخذ ولم يطب
ناسبك المسك فى السواد وفى الريـــح فأكرم بذاك من نسب

ومن مدائحه في عقبة قصيدته التى أولها

لا تنكرى صدى ولا اعراضى ليس المقل عن الزمان براض

ومنهـا

أكل الوجيف لحومها ولحومهم فأتوك أنقاضاً على أنقاض

قيل لأبى نواس من أشعر طبقات المحدثين ؟ قال الذى يقول

يطوف علينا بهـا أحور يداه من الكأس مخضوبتان

والشعر لأبى الشيص

ومن قوله

وشادن كالبدر يجلو الدجى في الفرق منه المسك مذرور
يحاذر العين على صـدره فالجيب منه الدهرَ مزرور

كان أبو الشيص صديقاً لمحمد بن سليمان بن اسحق الهاشمى وهما حينئذ مملقان فنال محمد بن اسحق مرتبة عند سلطانه واستغنى فجفا أبا الشيص وتغير له فكتب اليه

الحمـد لله رب العـالمين على قربى وبعدك مني يا ابن اسحق
ياليت شعرى متى تُجدى عليّ وقد أصبحت رب دنانير وأوراق
تجدى علىّ اذا ما قيل مَنْ راق والتفت الساق عند الموت بالساق
يوم لعمرى تهم الناسَ أنفسُهم وليس ينفع فيه رقيـة الراقى

دعبل

هو دِعْبِل بن على بن رزين الخُزاعى الأزدى يكنى أبا على

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهه أحسن اليه أم لم يحسن ولا أفلت منه كبير أحد ، وكان شديد التعصب على الزيدية للقحطانية وقال قصيدة يرد فيها على الكميت بن زيد ويناقضه فى قصيدته المذهبة التى هجا بها قبائل اليمن — ألا حييت عنا يا مدينا — وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه وقصيدته « مدارس آيات خلت من تلاوة » من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة فى أهل البيت عليهم السلام وقصد بها أبا على بن موسى الرضا بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه فأعطاه بها أهل قُمّ ثلاثين الف درهم فلم يبعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم انها انما تراد لله عز وجل وهى محرمة عليكم ، فدفعوا اليه ثلاثين الف درهم فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون فى كفنه ، فأعطوه فردكمّ فكان من أكفانه

قال ابراهيم بن المهدى للمأمون قولا فى دعبل يحرضه عليه فضحك المأمون وقال انما تحرضنى عليه لقوله فيك

يا معشر الأجناد لا تقنطوا ... وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطَوْن حُنَيْنِية[1] ... يلتذها الأمرد والأشمط
والمَعْبَدِيَّات[2] لقوادكم ... لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده ... خليفة مصحفه البَرْبَط
قد ختم الصك بأرزاقكم ... وصح العزم فلا تسخطوا

(١) يريد أصواتاً منسوبة الى حنين الحيرى المغنى (٢) يريد أصواتاً منسوبة الى معبد المغنى

بَيْعة ابراهيم مشؤومة يقتل فيها الخلق أو يقحطوا

فقال له ابراهيم فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال دع هذا عنك فقد عفوت عنه فى هجائه إياى لقوله هذا ، وضحك ، ثم دخل أبو عباد فلما رآه المأمون من بعد قال لابراهيم دعبل يجسر على أبى عباد في الهجاء ويحجم عن أحد فقال له وكأن أبا عباد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين قال لا ولكنه حديد جاهل لايؤمن وأنا أحلُم وأصفح والله ما رأيت أبا عباد مقبلا الا أضحكنى قول دعبل فيه

أولى الأمور بضيعة وفساد أمر يدبره أبو عباد
خَرِق على جلسائه فكأنهم حضروا لملحمة ويوم جلاد
يسطو على كتابه بدواته فمضمَّخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هرقل مُقْلِت حَرِد يجر سلاسل الأقياد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه فأصحُّ منه بقيةُ الحداد

وكان بقية هذا مجنوناً فى المارستان

قال مهرويه لم يزل دعبل عند الناس جليل القدر حتى رد على الكُمَيت بن زيد فكان ذلك مما وضعه

قال أبو خالد الخزاعى لدعبل ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد وترت الناس جميعاً فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ، فقال ويحك انى تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لاينتفع بهم الا على الرهبة ولا يبالي بالشاعر وان كان مجيداً اذا لم يُخَف شره ولَمَنْ يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب اليك فى تشريفه ، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم وليس كل من شرفته شرف ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فاذا رآك أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاك وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ان الهجاء

المقنّع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع ، فضحك أبو خالد وقال هذا والله مقال من لا يموت حتف أنفه

قال دعبل قال لي أبي رزين ما قلت من الشعر قط الا هذين البيتين

خليلي ماذا أرتجى من غد امرىء ... طوى الكشح عني اليوم وهو مكين

وان امرأ قد ضن منه بمنطق ... يسد به فقر امرىء لضنين

وبيتين آخرين وهما

أقول لما رأيت الموت يطلبني ... يا ليتني درهم فى كيس مياح

فياله درهماً طالت صيانته ... لا هالك ضيعة يوماً ولا ضاح

كان سبب خروج دعبل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كل ليلة بكسبه الى منزله ، فلما طلع مقبلاً اليهما وثبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كمه فاذا هى ثلاث رمانات فى خرقة ، ولم يكن كيسه ليلتئذ معه ، ومات الرجل مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان فى ذلك ، فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد

قال أحمد بن خالد كنا يوماً بدار صالح بن على من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا ، فأخذناه ، فقال صالح ما نصنع به ؟ قلنا نذبحه ، فذبحناه وشويناه ، وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط فى دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء وينتابهم الناس ، فجلس دعبل على باب المسجد وقال

أسر المؤذنَ صالح وضيوفه أسر الكميِّ هفا خلال المأقِط
بعثوا عليه بنيهمُ وبناتهم من بين ناتفة وآخر سامط
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا خاقان أو هزموا قبائل نائط[1]
نهشوه فانتزعت له أسنانهم وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي وقد رجع الى البيت ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل، ثم أنشدت الشعر وقال لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه الا اشتريته وبعثت به الى دعبل والا وقعنا فى لسانه، ففعلت ذلك

قال أحمد بن أبي كامل كان دعبل ينشدنى كثيراً هجاء له فأقول له فيمن هذا؟ فيقول ما استحقه أحد بعينه بعد وليس له صاحب فاذا وَجِدَ على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه فى الشعر

بلغ اسمعيل بن جعفر بن سليمان أن دعبلاً هجاه، فتوعده بالمكروه وشتمه، وكان اسمعيل على الأهواز فهرب من زيد بن موسي بن جعفر بن محمد لما ظهر وبيض فى أيام أبي السَّرايا، فقال دعبل يعير اسمعيل بذلك

لقد خلَّف الأهواز من خلف ظهره يريد وراء الزَّاب من أرض كَسْكَر
يهوِّل اسمعيلُ بالبيض والقَنا وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفر
وعاينته فى يوم خلَّى حريمه فيا قبحها منه ويا حسن منظر

كان دعبل يختلف الى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث وهو خرَّجه وفهَّمه وأدَّبه، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه، فقال يهجوه

يا بُؤس للفضل لو لم يأت ما عابه يستفرغ السم من صماء قرِضابه

(١) قبيلة من همدان وأصله جبل نزلوا به فنسبوا اليه

ما إن يزال وفيه العيب يجمعه جهلاً لأعراض أهل المجد عيابه
ان عابني لم يعب الا مؤدبه ونفسه عاب لما عاب أدّابه
فكان كالكلب ضرّاه مكلّبه لغيره فمدا فاصطاد كلاّبه

وقال يهجو جعفر بن محمد

ما جعفر بن محمد بن الأشعث عندي بخير أبوة من عثعث
عبثاً رأيتك بي تمارس حية سوارة ان هجتها لم تلبث
لو يعلم المغرور ما قد حاز من خزى لوالده اذاً لم يعبث

فلقيه عثعث ، فقال له عليك لعنة الله أى شيء كان بيني وبينك حتى ضربت بي المثل في خسة الآباء ؟ فضحك وقال لا شيء والله الا اتفاق اسمك واسم ابن الأشعث في القافية أوَ لا ترضى أن أجعل أبك وهو أسود خيراً من أباء الأشعث بن قيس

كان دعبل يقول ما كانت لأحد قط عندي منة الا تمنيت موته

دخل دعبل الرّيّ في أيام الربيع ، فجاءهم ثلج لم يَرَوْا مثله في الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً وكتبه في رقعة وهو

جاءنا دعبل بثلج من الشعـــر فجادت سماؤنا بالثلوج
نزل الرّيّ بعد ما سكن البر د وقد أينعت رياض المروج
فكسانا ببرده لا كساه اللّـــه ثوباً من كُرْسف [1] محلوج

فألقى الرقعة في دهليز دعبل ، فلما قرأها ارتحل عن الرى

فخرَ قوم من خزاعة على دعبل يقال لهم بنو مكلم الذئب وكان جدهم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه أن الذئب أخذ من غنمه شاة فتبعه ، فلما غشيه بالسيف قال مالي ولك تمنعني رزق الله ؟ قال فقلت ياعجباً لذئب يتكلم ، فقال أعجب منه أن محمداً نبي قد بعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه ، فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جدهم ، فقال دعبل يهجوهم

(١) الكرسف القطن

يهمُّ علينا بأن الذئب كلمكم فقد لعمري أبوكم كلم الذيبا
فكيف لو كلم الليث الهصور إذاً أفنيتم الناس مأكولاً ومشروبا
هذا السنيدي لا أصل ولا طرف يكلم الفيل تصعيداً وتصويبا

قال دعبل فى الفضل بن مَرْوان

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل وقلت فسيرت المقالة فى الفضل
ألا ان فى الفضل بن سهل لعبرةً ان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل فى الفضل بن يحيى مواعظ اذا فكر الفضل بن مروان فى الفضل
فأبق جميلاً من حديث تفزبه ولا تدع الاحسان والأخذ بالفضل
فانك قد أصبحت الملك قيِّماً وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
ولم أرَ أبياتاً من الشعر قبلها جميع قوافيها على الفضل والفضل
وليس لها عيب اذا هى أنشدت سوى أن نصحى الفضل كان من الفضل

فبعث اليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له قد قبلت نصحك فاكفنى خيرك وشرك

كان دعبل جالساً بالبصرة وعلى رأسه غلامه تقنف فمر به اعرابى يرفل فى ثياب خز، فقال لغلامه ادع لي هذا الأعرابى، فأومأ اليه الغلام فجاءه، فقال له دعبل من الرجل؟ قال من بنى كلاب، قال من أى ولد كلاب أنت؟ قال من ولد أبى بكر، فقال أتعرف القائل

ونبئت كلباً من كلاب يسبني ومحض كلاب يقطع الصلوات
فان أنا لم أعلم كلاباً بأنها كلاب وانى باسل النقمات
فكان اذاً من قيس عَيْلان والدي وكانت أمى اذاً من الحَبَطات

وهذا الشعر لدعبل يقوله فى عمرو بن عاصم الكلابى، فقال له الأعرابى من أنت؟ فكره أن يقول له من خزاعة فيهجوهم، فقال أنا أنتمي الى القوم الذين يقول فيهم الشاعر

أناس عليّ الخير منهم وجعفر وحمزة والسجاد ذو الثفنات
اذا نخروا يوماً أتوا بمحمد وجبريل والفرقان والسورات

فوثب الأعرابي وهو يقول مالي الى محمد وجبريل والفرقان والسورات مُرْتقى.

سأل دعبل نصر بن منصور بن بسام حاجة فلم يقضها لشغل عرض له دونها، فقال يهجو بني بسام

حواجب كالحبال سود الى عثانين كالمخالي
وأوجه جَهمة غلاظ عُطْل من الحسن والجمال

كتب دعبل الى أبي نَهْشَل بن حُميد الطوسي قوله

انما العيش في منادمة الاخوا ن لا في الجلوس عند الكِعاب
وبصِرف كأنها ألسن البر ق اذا استعرضت رقيق السحاب
أن تكونوا تركتمُ لذة العيـ ـش حذار العقاب يوم العقاب
فدعوني وما ألذّ وأهوى وادفنوا بي في صدر يوم الحساب

دخل دعبل على علي بن موسى الرضا فقال له أنشدني شيئاً مما أحدثت فأنشده

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مُقْفِر العَرَصات

حتى انتهى الى قوله

اذا وُتروا مدوا الى واتريهمُ أكُفّاً عن الأوتار منقبضات

فبكى حتى أغمي عليه وأومأ اليه خادم كان على رأسه أن اسكت، فسكت ساعة، ثم قال له أعد، فأعاد حتى انتهى الى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الاولى وأومأ الخادم اليه أن اسكت، فسكت، فمكث ساعة أخرى ثم قال له أعد، فأعاد حتى انتهى الى آخرها فقال له أحسنت ثلاث مرات، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه ولم تكن وقعت الى أحد بعد، وأمر له من في منزله بحلي كثير أخرجه اليه الخادم، فقدم العراق فباع كل درهم منها

بعشرة دراهم اشتراها منه الشيعة فحصل له مائة الف درهم فكان أول مال اعتقده

قال دعبل كان لي صديق متخلف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أنهاه عنه اذا أنشدني ، فأنشدني يوماً

ان ذا الحب شديد ليس ينجيه الفرار
ونجا من كان لا يعشـــق من ذل المخازي

فقلت له هـذا لا يجوز ، البيت الأول على الراء والثاني على الزاى ، فقال لا تنقطه ، فقلت له فالأول مرفوع والثاني مخفوض ، فقال أنا أقول له لا تنقطه وهو يشكه

قال محمد بن زكريا الفرغاني سمعت دعبلا يقول في كلام جرى « لَيْسك » فأنكرته عليه فقال دخل زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا زيد ما وصف لي رجل الا رأيته دون وصفه لَيْسك ، يريد غيرك

قال علي بن عبد الله بن سعد قال لي دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصراني الحربي

زُنَّاره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدود

فقال والله ما أعلمني حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكراً على قوله « كأنه من كبدي مقدود »

قال دعبل مكثت محموستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه الا وأنا أقول فيه شعراً

قال عمرو بن مسعدة حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له المأمون أي شيء ترْوِي لأخي خُزاعة يا قاسم ؟ فقال وأي أخي خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال أما من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين ، وأما من مواليهم فطاهر وابنه عبد الله ، فقال ومن عسى من

هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل ؟ هات أى شيء عندك فيه ، فقال وأي شيء أقول فى رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم فقرن احسانهم بالاساءة وبذلهم بالمنع وجودهم بالبخل حتى جعل كل حسنة منهم بازاء سيئة ، قال حين يقول ماذا ؟ قال حين يقول فى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو أصدق الناس له وأقربهم منه وقد وفد اليه الى مصر فأعطاه الجزيل وولاه ولم يمنعه ذلك أن قال فيه

اضرب ندى طلحة الطلحات متئداً ... بلؤم مطلب فينا وكن حكما
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم ... فلا تحس لها لؤماً ولا كرما

فقال المأمون قاتله الله ما أغوصه وألطفه وأدهاه وجعل يضحك ، ثم دخل عبد الله بن طاهر فقال أى شيء تحفظ ياعبد الله لدعبل ؟ فقال أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين قال هاتها ويحك فأنشده

سقيا ورعيا لأيام الصبابات ... أيام أرفل فى أثواب لذاتى
أيام غصنى رطيب من ليانته ... أصبو الى غير جارات وكنّات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه ... واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله ... نحو الهداة بنى بيت الكرامات

فقال المأمون انه قد وجد والله مقالاً فقال ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله فى وصف غيرهم

قال أبو شراعة قصدت الحسن بن رجاء بالأهواز فصادفت ببابه دعبل بن على وجماعة من الشعراء وقد اعتل عليهم بدين لزمه ومصادرة فكتب اليه

المال والعقل شيء يستعان به ... على المقام بأبواب السلاطين
وأنت تعلم انى منهما عطل ... اذا تأملتنى يا ابن الدّهاقين
هل تعلم اليوم بالأهواز من رجل ... سواك يصلح للدنيا وللدين
فوعدنا وعداً قربه ثم تدافع فكتب اليه

آذنت حبتى بأمر قبيح من فراق للطيلسان القبيح
فكأنى بمن يزيد على الجبـــة فى ظل دار سهل بن نوح
أنت روح الأهواز يا ابن رجاء أى شىء يعيش الا بروح

فأذن له وللجماعة وقضى حوائجنا

كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى فلم يرض ما فعلاه به ، فقال يهجوهما

ما زال عصياننا لله يرذلنا حتى دُفعنا الى يحيى ودينار
وغُدين علجين لم تقطع ثمارهما قد طال ما سجدا للشمس والنار

وكان منحرفاً عن آل طاهر مع ميلهم اليه وأياديهم عنده فقال فيهم

وأبقى طاهر فينا ثلاثاً عجائب تُستخف لها الحلوم
ثلاثة أعبد لأب وأم تميز عن ثلاثتهم أروم
فبعض فى قريش منتماه ولا غيرَ ومجهول كريم
وبعضهم يُهَشّ لآل كسرى ويزعم انه علج لئيم
فقد كسرت مناسبهم علينا وكلهمُ على حال زنيم

قال دعبل حججت أنا وأخى رزين وأخذنا كتباً الى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولاها فصرنا من مكة الى مصر فصحبنا رجل يعرف بأحمد بن فلان السراج ، فما زال يحدثنا ويؤنسنا طول طريقنا ويتولى خدمتنا كما يتولاها الرفقاء والأتباع ، ورأيناه حسن الأدب ، وكان شاعراً ولم نعلم وكتمنا نفسه وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن نقول فى المطلب قصيدة ننحله اياها ، فقال ان شئتم وأرانا بذلك سروراً وتقبلا له ، فعملنا قصيدة وقلنا له تنشدها المطلب وانك تنتفع بها ، فقال نعم ووردنا مصر به فدخلنا الى المطلب وأوصلنا اليه كتباً كانت معنا وأنشدناه ، فسر بموضعنا ووصفنا له أحمد السراج هذا وذكرنا له أمره فأذن له

فدخل عليه ونحن نظن انه سينشد القصيدة التى تحلناه إياها ، فلما مثل بين يديه عدل عنه وأنشده

لم آت مطلباً الا بمطلب وهمة بلغت بى غاية الرتب
أفردته برجاء أن تشاركه فيَّ الوسائل أوألقاه فى الكتب

وأشار الى كتبي التى أوصلتها اليه وهى بين يديه فكان ذلك أشد من كل شيء مرَّ بى منه عليَّ ، ثم أنشد

رحلت عيسي الى البيت الحرام على ماكان من وَصَب فيها ومن نَصَب
ألقى بها وبوجهى كل هاجرة تكاد تقدح بين الجلد والعَصَب
حتى اذا ماقضت نُسْكي ثنيت لها عطف الزمام فأمّت سيد العرب
فأممتك وقد ذابت مفاصلها من طول ماتعب لاقت ومن نصب
انى استجرت باستارين[1] مستلماً ركنين مطلباً والبيتَ ذا الحجب
فذاك للآجل المأمول ألمَسه وأنت للعاجل المرجو والطلب
هذا ثنائى وهذى مصر سانحة وأنت أنت وقد ناديت من كثب

فصاح مطلب لبيك لبيك ، ثم قام فأخذ بيده وأجلسه معه وقال يا غلمان البِدَر ، فأحضرت ، ثم قال الخلع ، فنشرت ، ثم قال الدواب ، فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيظنا بكتمه ايانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم ، فخرج بما أمر له به وخرجنا صفراً ، وكانت التى مدح بها دعبل المطلب قصيدته التى يقول فيها

أبعد مصر و بعد مطلب ترجو الغنى ان ذا من العجب
ان كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب

(١) هذا على معنى استار كذا واستار كذا

ثم ولي دعبل بن علي بعد ذلك على أسوان ، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه فقال

أمطلب أنت مستعذِب ... حُمَيًّا الأفاعى ومستقتل
فان أشْفِ منك تكن سُبَّة ... وان أعفُ عنك فما تفعل
ستأتيك إمّا وردت العراق ... صحائف يأثرها دعبل
منمقة بين أثنائهـــا ... مَخَازٍ تُخَطّ فلا ترحل
وضعت رجالاً فما ضرهم ... وشرفت قوماً فلم ينبُلوا
فأيّهم الزين وسط الملا ... عطية أم صالح الأحول
أم الباذجانى أم عامر ... أمين الحمام التى تزجل
تنوّط مصر بك المخزيات ... وتبصق في وجهك الموصل
ويوم الشُّراة تحسَّيتها ... يطيب لدى مثلها الحنظل
توليت ركضاً وفتياننا ... صدور القنا فيهمُ تَعْمِل
اذا الحرب كنت أميراً لها ... فحظهمُ منك أن يقتلوا
فمنك الرءوس غداة اللقاء ... وممن يحاربك الأنصل
شعارك فى الحرب يوم الوغى ... اذا انهزموا، عجلوا عجلوا
هزائمك الغُرّ مشهورة ... يقرطس[1] فيهن من ينْضل
فأنت لأولهـــم آخر ... وأنت لآخرهم أول

وبلغ المطلب هجاؤه اياه بعـد أن ولاه فعزله عن أسوان فأنفذ اليه كتاب العزل مع مولى له وقال انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فاذا علاه فأوصل الكتاب اليه وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر واصعد مكانه ، فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دعبل دعنى أخطب فاذا نزلت قرأتم ، قال لا

(١) قرطس أصاب القرطاس أى الغرض

قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً

ومن قول دِعْبل وفيه غناء

أين الشباب وأيَّةَ سلكا ... لا أين يطلب ضل بل هلكا

لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

يا ليت شعري كيف يومكما ... يا صاحبيَّ اذا دمى سفكا

لا تأخذوا بظُلامتي أحداً ... قلبي وطرفي في دمي اشتركا

أخذ البيت الثاني من قول مسلم بن الوليد

مستعبر يبكي على دمنة ... ورأسه يضحك فيه المشيب

فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه ، وقال الأصمعي سرقه من قول الحسين بن مُطَير الأسدي

أين أهل القِباب بالدَّهناء ... أين جيراننا على الأحْساء

فارقونا والأرض مُلْبَسة نَوْ ... ر الأقاحي تُجادُ بالأنْواء

كل يوم بأقحوان جديد ... تضحك الأرض من بكاء السماء

قال ابراهيم بن المدبر لقيت دعبل بن علي فقلت له انت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول

انى من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرفتك بمقْعَد

رفعوا محلك بعد طول خموله ... واستنقذوك من الحَضيض الأوْهد

وأولها

أخذ المشيب من الشباب الأغيد ... والنائبات من الأنام بمرصد

فقال يا أبا اسحق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها

وقال دعبل بن علي يرثي ابن عم له من خزاعة نعى اليه ، قال محمد بن يزيد ولقد أحسن فيها ما شاء

كانت خُزاعة ملء الأرض فاتسعت ... فقَصَّ مرّ الليالي من حواشيها
هذا أبو القاسم الثاوى ببَلْقَعة ... تَسفى الرياح عليه من سوافيها
هبت وقد علمت ألاَّ هبوب به ... وقد تكون حسيراً اذ يُباريها
أضحى قِرًى للمنايا اذ نزلن به ... وكان فى سالف الأيام يَقْريها

مدح عبد الرحمن بن خاقان وطلب منه بِرْذَوْناً فحمله اليه غامراً ، فكتب اليه

حملتَ على قارح غامر ... فلا للركوب ولا للثمن
حملتَ على زَمِن ظالع ... فسوف تكافا بشكر زَمِن

فبعث اليه ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه وألفى درهم

كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت الشُّراة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ويوا كلونه ويشاربونه ويبَرونه ، وكان اذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بغلاميه نفنف وشعف وكانا مغنيين فأقعدهما يغنيان وسقاهم وشرب معهم وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يواصلونه ويصلونه ، وأنشد دعبل لنفسه فى بعد اسفاره

حلات محلا يقصر البرق دونه ... ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

قال البحترى دعبل بن على أشعر عندى من مسلم بن الوليد لأن كلام دعبل أدخل فى كلام العرب من كلام مسلم ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصب له

كان المعتصم يُبغض دعبلاً لطول لسانه وبلغ دعبلاً أنه يريد اغتياله وقتله ، فهرب الى الجبل وقال يهجوه

بكى لشتات الدين مكتئب صَبّ ... وفاض بفرط الدمع من عينه غَرْب
وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لُب
وما كانت الأنباء تأتى بمثله ... يُملَّك يوماً أو تَدين له العُرْب
ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السلف الماضين اذ عظم الخَطْب

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة ... خيار اذا عدوا وثامنهم كلب
واني لأعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم ... وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان يثلم ثلمة ... يظل لها الإسلام ليس له شعب

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ... في خير قبر لخير مدفون
لن يجبر الله أمة فقدت ... مثلك الا بمثل هارون

فقال دعبل يعارضه

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا ... في شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما ... خلقك الا من الشياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من ... أضر بالمسلمين والدين

وقال في ذلك وفي قيام الواثق

الحمد لله لا صبر ولا جلد ... ولا عزاء اذا أهل البلا رقدوا
خليفة مات لم يحزن له أحد ... وآخر قام لم يفرح به أحد

ولقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه

ألم يأن للسفر الذين تحملوا ... الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها ... وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالي صرفهن كما ترى ... لكل أناس جدبة وربيع

ثم قال ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري وهجيراي ومسليتي حتى أعود

ومن قول دعبل وفيه غناء

سرى طيف ليلى حين آن هبوب ... وقضيت شوقاً حين كاد يذوب

فلم أر مطروقاً يحـــل برحلة ... ولا طارقاً يقري المنى ويثيب

ومن قوله

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب ... رأت بي شيباً عجلته خطوب

وما شيبتي كبرة غير انني ... بدهر به رأس الفطيم يشيب

وقال في صالح بن عطية الأضجم وكان من أقبح الناس وجهاً وخاطب فيها المعتصم

قل للامام امام آل محمـــد ... قول امريء حدِب عليك محام

أنكرت أن تفتر عنك صنيعة ... في صالح ابن عطية الحجام

ليس الصنائع عنده بصنائع ... لكنهن طوائل الاســـلام

اضرب به جيش العـدو فانه ... جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام ما زال دعبل مائلاً الى مسلم بن الوليد مقراً بأستاذيته حتى ورد عليه بجُرْجان ، فجفاه مسلم وكان فيه بخل ، فهجره دعبل وكتب اليه

أبا مَخْلَد كنا عقيـدَيْ مودة ... هوانا وقلبانا جميعاً معاً معا

أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي ... وأجزع اشفاقاً من آن تتوجعا

فصيرتني بعد انتكاثك مُتْهماً ... لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا

غششْتَ الهوى حتى تداعت أصوله ... بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا

وأنزلت من بين الجوانح والحشَى ... ذخيرة وُدّ طالما قد تمنعا

فلا تَلْحيني ليس لي فيك مطمع ... تخرقت حتى لم أجد لك مَرْقَعا

فهَبْك يميني استأكلت فقطعتها ... وجشّمت قلبي صبره فتشجعا

ثم تهاجرا فما التقيا بعد ذلك

ومن مديحه للمطلب

زمني بمطلب سقيت زمانا ما كنت إلا روضة وجنانا
كل الندى الا نداك تكلف لم أرض بعدك كائناً من كانا
أصلحتني بالبر بل أفسدتني فتركتني أتسخط الاحسانا

أجرى الرشيد على دعبل رزقاً سنياً فكان أول من حرضه على قول الشعر فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله من العطاء السني والغنى بعد الفقر والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام وهجا الرشيد

وليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمانٍ ومن بكر ومن مضر
ألا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر ونحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
اربع بطوس على القبر الزكي اذا ما كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ماينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر

استدعى بعض بني هاشم دعبلا وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام فقصده اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاه فكتب اليه دعبل

دليتني بغرور وعدك في متلاطم من حومة الغرق
حتى اذا شمت العدو وقد شهر انتقاصك شهرة البلق
أنشأت تحلف أن ودك لي صاف وحبلك غير منحذق
وحسبتني فتعا بقرقرة فوطئتني وطأ على حنق

ونصبتني علماً على غرض ترميني الأعداء بالحدق
وظننت أرض الله ضيقة عني وأرض الله لم تضق
من غير ماجرم سوى ثقة مني بوعدك حين قلت ثق
ومودة تحنو عليك بها نفسي بلا منّ ولا ملق
فمتى سألتك حاجة أبداً فاشدد بها قفلاً على غلق
وقف الاخاء على شفا جرف هارٍ فبعه بيعة الخلق
وأعدّ لي قفلاً وجامعة فاشدد يدي بها الى عنق
أعفيك مما لا تحب بها واسدد عليّ مذاهب الأفق
ما أطول الدنيا وأعرضها وأدلّني بمسالك الطرق

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد

جئت بلا حرمة ولا سبب اليك إلا بحرمة الأدب
فاقض ذمامي فانني رجل غير ملحّ عليك في الطلب

فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجه بصرة فيها ألف درهم وكتب اليه

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ولو انتظرت كثيره لم يقلل
نخذ القليل وكن كأنك لم تقل ونكون نحن كأننا لم نفعل

مات دعبل بقرية من قرى السوس بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره بعكازها زج مسموم فمات من غد

عبد الله بن طاهر

كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء يستغني به عن التقريظ له والدلالة عليه وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يدفع وفي السماحة والشجاعة مالا يقارب فيه أحد

أعطاه المأمون مال مصر لسنة خراجها وضياعها فوهبه كله وفرقه فى الناس ورجع صفراً من ذلك فغاظ المأمون فعله فدخل اليه يوم مقدمه فأنشده أبياتاً قالها فى هذا المعنى وهى

نفسى فداؤك والأعناق خاضعة ... للنائبات أبيًّا غير مهتضم
اليك أقبلت من أرض أقمت بها ... حولين بعدك فى شوق وفي ألم
أقفو مساعيك اللائى خصصت بها ... حذو الشراك على مثل من الأدم
فكان فضلى فيها انني تبع ... لما سننت من الانعام والنعم
ولو وكلت الى نفسى عنيت بها ... لكن بدأت فلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال والله ما نفست عليك مكرمة نلتها ولا أحدوثة حسن عندك ذكرها ولكن هذا شيء اذا عودته نفسك افتقرت ولم تقدر على لم شعثك واصلاح حالك ، وزال ما كان فى نفسه

لما فتح عبد الله مصر سوغه المأمون خراجها فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز بها كلها ثلاثة آلاف الف دينار أو نحوها فأتاه معلى الطائى وقد أعلموه ماصنع بالناس في الجوائز وكان عليه واجداً فوقف بين يديه تحت المنبر فقال أصلح الله الأمير أنا معلى الطائى وقد بلغ مني ما كان منك من جفاء وغلظ فلا يغلظن على قلبك ولا يستخفنك الذى بلغك أنا الذى أقول

يا أعظم الناس عفواً عند مقدرة ... وأظلم الناس عند الجود للمال
لو أصبح النيل يجرى ماؤه ذهباً ... لما أشرت الى خزن بمثقال
تغلى بما فيه رق الحمد تملكه ... وليس شيء أعاض الحمد بالغالي
تفك باليسر كف العسر من زمن ... اذا استطال على قوم باقلال
لم تخل منك من جود لمختبط ... ومرهف قاتل فى رأس قتال
وما بثثت رعيل الخيل فى بلد ... الا عصفن بأرزاق وآجال

ان كنت منك على بال منحت به فان شكرك من قلبي على بال
ما زال مقتضباً لولا مجاهرة من ألسن خُضْن فى صدرى بأقوال

فضحك عبد الله وسر بما كان منه وقال يا أبا السمراء أقرضنى عشرة آلاف دينار فما أمسيت أملكها فأقرضه فدفعها اليه

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر وكان نديمه وجليسه وكان له مؤثراً مقدماً فأصاب منه معروفاً كثيراً وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك ، ثم انه وجد عليه فى بعض الأمر فجفاه وظهر له منه بعض مالم يحبه فرجع حينئذ الى بغداد وقال

ان كان عبد الله خلانا لا مبدئاً عرفاً واحسانا
فحسبنا الله رضينا به ثم بعبد الله مولانا

يعني به المأمون ، وغنت فيه جاريته وسمعه المأمون فاستحسنه ووصله وإياها فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر فغاظه ذلك وقال أجل صنعنا المعروف الى غير أهله فضاع

ولعبد الله ألحان صاغها فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه فى شعر أخت عاصية فانه صوت نادر جيد صحيح العمل مزدوج النغم بين لين وشدة على رسم الحذاق من القدماء وهو

هلا سقيتم بنى سهم أسيركمُ نفسى فداؤك من ذى غلة صادى
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مُضَرَّج بعد ما جادت بازباد

ومن غنائه أيضاً

راح صحبى وعاود القلب داء من حبيب طلابه لي عناء
حسن الرأى والمواعيد لا يُلـ ـفى لشىء مما يقول وفاء
من تعزى عمن يحب فانى ليس لى ماحييت عنه عزاء

ابن أبي عيينة

هو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي

شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء وأنفذ أكثر شعره في هجاء ابن عمه خالد وكان من شعراء الدولة العباسيه من ساكني البصرة

وقال محمد بن يزيد كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً من غير أدب موصوف ولا رواية كثيرة وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويقل التكلف وكان يتعشق فاطمة بنت عمر ويُسر عشقها ويلقبها دنيا كتماناً لأمرها وكانت امرأة جليلة سرية من النساء وكان أبوها من أشد الفرسان وشجعانهم ، ومن قوله في فاطمة هذه

تجني علينا آل مكتومة الذنبا ... وكانوا لنا سلماً فأضحوا لنا حربا
يقولون عز القلب بعد ذهابه ... فقلت ألا طوبى لو أن لي قلبا
وقالوا تجنبنا فقلت أبعد ما ... غلبتم على قلبي بسلطانكم غصبا
غضاب وقد ملوا وقوفي ببابهم ... ولكن دنيا لا مَلولا ولا غَضْبى
وقد أرسلت في السر أني بريئة ... ولم تر لي فيما ترى منهمُ ذنبا
وقالت لك العُتْبى وعندي لك الرضا ... وما ان لهم عندي رضاء ولا عُتْبى
ونيتها تلهو اذا اشتد شوقها ... بشعري كما تلهو المغنية الشَّرْبى
فأحببتها حباً يقرّ بعينها ... وحبي اذا أحببت لا يشبه الحبا
فيا حسرتا نغصت قرب ديارها ... فلا زُلفة منها أُرجّي ولا قربا
لقد شمت الأعداء أن حيل بينها ... وبيني ألا للشامتين بنا العُتْبى

ومما قاله فيها وغنى فيه

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ ... في حفظه عجب وفي تضييعك

ونأيت عنه فما له من حيلة ... الا الوقوف الى أوان رجوعك
متخشعاً يُذرى عليك دموعه ... أسفاً ويعجب من جمود دموعك
ان تقتليه وتذهبى بفؤاده ... فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك

ومن قوله فيها

دعوتك بالقرابة والجوار ... دعاء مصرح بادى السرار
لأنى عنك مشغول بنفسى ... ومحترق عليك بغير نار
وأنت توقّرين وليس عندى ... على نار الصبابة من وقار
فأنت لأن مابك دون مابى ... تدارين العدو ولا أدارى
ولو والله تشتاقين شوقى ... جَمَحْتِ الى مخالعة العذار
ألا ياوهب فيم فضحت دنيا ... وبحت بسرها بين الجواري
أما والراقصاتِ بكل واد ... غَوادٍ نحو مكة أو سَوارِ
لقد فضلت دنيا فى فؤادى ... كفضل يدى اليمين على اليسار
فقولي ما بدا لك أن تقولي ... فانى لا ألومك أن تغارى

وقال فيها وهو من ظريف أشعاره

رق قلبى لك يا نور عيني ... وأبى قلبك لى أن يَرِقا
فأراك الله موتى فانى ... لست أرضى أن تموتى وأبقى
أنا من وجدى بدنيای منها ... ومن العذل فيها مُلقّى
زعموا انى صديق لدنيا ... ليت ذا الباطل صار حقا

وقال فيها أيضاً

عيشها حلو وعيشك مر ... ليس مسرور كمن لا يسر
كديم الحب تسخن فيه ... عينه أكثر مما تقرّ
قلت للائم فيها الهُ عنها ... لا يقع بيني وبينك أمر

أترانى مقصراً عن هواها كل مملوك اذاً ليَ حر

ومنه

جئت قالت دنيا علام نهاراً زرت ؟ هلا انتظرت المساء
كنت ذا معجباً برأيك لانفـــرق فاستحى ياقليل الحياء
ذاك اذ روحها وروحى مزاجا ن كأصفى خمر بأعذب ماء

ومنه

جعلت حبك من قلبى بمنزلة هى المصافاة بين الماء والراح
تهتز مثل اهتزاز الغصن حركه مرورغيث من الوَسمىّ سحاح

ومن قوله فيها

ألم تنهَ قلبك أن يعشـقا ومالك والعشقَ لولا الشقا
أمن بعد شربك كأس النُّهَى وشمك ريحان أهل التقى
عشقت فأصبحت فى العالمـــين أشهرَ من فرس أبلقا
أدنياى من غمر بحر الهوى خذي بيدي قبل أن أغرقا
أنا لكِ عبد فكونى كمن اذا سره عبـــده أعتقا
ألم أخدَع الناس عن وصلها وقد يخدع العاقل الأحمقا
بلى فســـبقتهم انني أحب الى الخير أن أسبقا
ويوم الجنازة اذ أرسـلت على رقعة أن جُز الخندقا
وعُجْ فانظر لنا مجلساً برفق وإياك أن تخرقا
فجئنا كغصنين من بانة قرينين خِدْنين قد أورقا
فقالت لأخت لها استنشديـــه من شعره المحكم المنتقى
فقلت أمرت بكتمانه وحذرت ان شاع أن يسرقا
فقالت بعيشك قولي له تمنع لعلك أن تنفقا

ومما قاله فيها

ألا في سبيل الله ما حل بي منك ... وصبرُك عني حين لا صبر لي عنك
وتركُكِ جسمي بعد أخذكِ مهجتي ... ضَئيلاً فهلاَّ كان من قبل ذا تركي
فهل حاكم في الحب يحكم بيننا ... فيأخذ لي حقي ويُنْصفني منك
لقد كنت يوم القصر مما ظننتِ بي ... بريئاً كما أني بريء من الشرك
يذكرني الفردوس طوراً فأرعوى ... وطوراً يواتيني الى القَصْف والفتك
بغَرْس كأبكار الجواري وتربة ... كأن ثراها ماء ورد على مسك
وسِرْب من الغزلان يرتَعْنَ حوله ... كما استلَّ منظوم من الدر من سلك
وورقاء تحكي الموصلي اذا غدت ... بتغريدها أحْبِبْ بها وبمن تحكي
فياطيب ذاك القصر قصراً ومنزلا ... بأفْيَح سهل غير وَعْر ولا ضَنْك
كأن قصور القوم ينظرن حوله ... الى ملك مُوفٍ على منبر الملك
يُدل عليها مستظلا بظلها ... فيضحك منها وهي مطرقة تبكي

وقال لما بلغه أنها زوجت وكان اسحق الموصلي يستحسن هذا الشعر ويستجيده

أرى عهدها كالورد ليس بدائم ... ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وعهدي لها كالآس حسناً وبهجة ... له نَضْرَة تبقى اذا ما انقضى الورد
فما وجد العُذْري اذ طال وجده ... بعَفْراء حتى سَلَّ مهجتَه الوجد
كوجدي غداة البين عند التفاتها ... وقد شَفَّ عنها دون أترابها البُرْد
فقلت لأصحابي هي الشمس ضوؤها ... قريب ولكن في تناولها بعد
واني لمن تهدَى اليه لحاسد ... جرى طائري نحسا وطائره سعد

ومن قوله فيها

ما لدنيا تجفوك والذنب منها ... ان هذا منها لخِبٌّ ومكر

عرفت ذنبها إليَّ فقالت ... ابدُروا القوم بالصياح يفِروا
قد أمرت الفؤاد بالصبر عنها ... غير أن ليس لي مع الحب أمر
وكتمت اسمها حذاراً من النا ... س ومن شرهم وفى الناس شر
ويقولون بح لنا باسم دنيا ... واسم دنيا سر على الناس ذخر

ومن قوله لرجل من جيرانه كان يستثقله ، فسأله حاجة فقضاها ثم سأله أخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة

خفف على اخوانك المؤنا ... ان شئت أن تبقى لهم سكنا
لا تُلْحِفَنَّ اذا سألت فى الـ ... ـإلحاف اجحاف بهم وعنا

فقام الرجل وانصرف

وفد الى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة وكان من قبله ، فعزله وأجزل صلته ، فقال

ياذا اليمينين قد أوقرتني مناً ... تبْرَى هى الغاية القصوى من المنن
ولست أسْطِيع من شكر أجىء به ... الا استطاعة ذى روح وذى بدن
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة ... أوْفَى من الشكر عند الله فى الثمن
أخلصتها لك من قلبي مهذبة ... حَذْواً على مثل ما أوليت من منن

وكان أمير البصرة اسمعيل بن سليمان قد أساء مجاورة ابن أبى عيينة حتى تباعد ما بينهما وقبح وأظهر اسمعيل تنقصه وعيبه ، فخرج يشكوه الى طاهر ، فلما دخل عليه سأله عن حوائجه وأدناه وأمره برفعها ، فأنشده

من أوحشته البلاد لم يقُم ... فيها ومن آنسته لم يَرِم
ومن يَبِتْ والهموم قادحة ... فى صـــدره بالزِّناد لم ينم
ومن يرى النقص من مواطنه ... يُزِلْ عن النقص موطىء القدم
والقرب ممن نأى بجانبـه ... صَدْع على الشعب غير ملتئم

ورب أمر يَعْيَا اللبيب به يَظَلّ منه فى حيرة الظلم
صبر عليه كَظْم على مَضَض وتركه من مواقع الندم
ياذا اليمينين لم أزرك ولم آتِكَ من خلة ومن عدم
اني من الله في مُراح غنى ومنتدًى واسع وفي نعم
زارتك بى همـــة منازعة الى العلا من كرائم الهمم
وانني للجميل محتمـــل في القدر من منصبى ومن شيمى
وقد تعلقت منك بالذمم الـــكبرى التى لا تخيب في الذمم
فان أَنَلْ بغيتى فأنت لها فى الحق حق الرجاء والرَّحِم
وان يَعُقْ عائق فلست على جميل رأى عندى بمتهم
فى قَدَر الله ما أحمَّـــله تعويق أمرى في اللوح والقلم
لم يضق الصبر والفجاج على حر كريم بالصبر معتصم
ماض كحد السنان في طَرَف الـــعامل أوحد مُصْلَت خَذِم
اذا ابتلاه الزمان كشَّفه عن ثوب حرية وعن كرم
ما ساء ظني الا بواحدة فى الصدر محصورة عن الكلم
لِيَهْنِ قوماً جُزْتُ المدى بهمُ ولم تقصر فيهمُ ولم تُلِم
وليس كل الدِّلاء راجعة بالنصف من ملئها الى الوَذَم
ترجع بالحمأة القليلة أحـــياناً ورَنْق الصَّبابة الأمم
ما تنبت الأرض كل زهرتها ولا تعم السماء بالديم
ما فيَّ نقص عن كل منزلة شريفة والأمور بالقسم

فأجابه طاهر

من تستضفه الهموم لم ينم الا كنوم المريض ذى السقم
ولا يزال قلبه يكابد ما تولد فيه الهموم من ألم

وقد سمعت الذي هتفت به ... وما بأذني عنك من صمم
وقد علمنا أن ليس تصحبنا ... لفاقة فيك لا ولا عـــدم
الا لحق وحرمة وعلى ... مثلك رعى الحقوق والحرم
أنت امرؤٌ لا تزول عن كرم ... الا الى مثله من الكرم
وأنت امرؤٌ من أسرة جحاجحة ... فازوا بحسن الفعال والشيم
فما ترم من جسيم منزلة ... فالحكم فيه اليك فاحتكم
ان كنت مستسقياً سماحتنا ... منا تجُدك اليدان بالديم
أو ترم في بحرنا بدلوك لا ... نعدمك ملأً لها الى الوَذَم
انا أناس لنـــا صنائعنا ... في العرب معروفة وفي العجم
مغتنمو كسب كل محمدة ... والكسب للحمد غير مغتنم

فاحتكم عليه عزل اسمعيل بن جعفر عن البصرة فعزله عنها وأمر له بمائة الف درهم فقال أبو عيينة في عزله

لا تعدم العزل يا أبا الحسن ... ولا هُزالاً في دولة السمن
ولا انتقالاً من دار عافية ... الى ديار البلاء والمحن
أنا الذي ان كفرت نعمته ... أزال ما في جنبيك من تكن

وقال يرثي أخاه داود

أنائحة الحمام قفي فنوحي ... على داودَ رَهْناً في ضريح
لدى الأحباب من هَمَذان راحت ... به الأيام للموت المريح
ولم تشهد جنازته البواكي ... فتبكيه بمُنْهَلّ سفوح
وكوني مثله اذ كان حياً ... جواداً بالغَبُوق وبالصَّبوح
أنائحة الحمام فلا تشحّي ... عليه فليس بالرجل الشحيح
ولا بمثمِّرٍ مالاً لدنيـــا ... ولا فيها بمِغمار طموح

يبيع كثير ما فيها بباق ثمين من عواقبه ربيح
ومن آل المهلب فى لُباب لُباب الخالص المحض الصريح
هم أبناء آخرة ودنيا وأهداف المرائى والمديح

كان لابن أبى عيينة بستان وضيعة فى بعض قطائع المهلب بالبصرة فأوطنها وصيرها منزله وأقام بها وفيها يقول

ياجنة فاقت الجنان فما تبلغها قيمة ولا ثمن
ألفتها فاتخذتها وطناً ان فؤادى لأهلها وطن
زُوّج حيتانُها الضِّباب بها فهذه كِنَّة وذا خَتَن
فانظر وفكر فيما نطقت به ان الأريب المفكر الفطن
من سُفن كالنعام مقبلة ومن نعام كأنها سفن

ومما أنشده لنفسه وفيه غناء

لا يكن منكِ ما بدالي بعينيك من اللحظ حيلة واختداعا
ان يكن فى الفؤاد شىء وإلا فدعيني لاتقتليني ضياعا
فلعلى اذا قربت تباعدت وأظهرت جفوة وامتناعا
حين نفسى لا تستطيع لما قد وقعت فيه من هواها ارتجاعا

كان ابن أبى عيينة قد قصد قَبيصة بن رَوْح بن حاتم المهلبى واستماحه فلم يجد عنده ما قدره فيه فانصرف مغاضباً ، فوجه اليه داود بن مزيد بن حاتم فترضاه وبلغ ما أحبه ورضيه من بره ومعونته فقال يمدحه ويهجو قبيصة

أقَبيصَ لست وان جهدت بمدرك سعى ابن عمك ذى العلا داود
شتان بينك ياقبيصَ وبينه ان المذمم ليس كالمحمود
اختار داود بناء محامد واخترت أكل شبارق[1] وثريد

(١) الشبارق ما اقتطع من اللحم صغيراً وطبخ

قد كان مجد أبيك لو أحييته ... رَوْح أبى خلف كمجد يزيد
لكن جرى داود جري مبرز ... فحوى المدى وجريت جرى بليد
داود محمود وأنت مذمم ... عجباً لذاك وأنتما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد ... نصفاً وسائره لحُشّ يهود
فالحش أنت له وذاك لمسجد ... كم بين موضع مَسْلَح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لأنه ... جادت يداه وأنت قُفْل حديد

ولى خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب جُرْجان فسأل أبا عيينة أن يصحبه ويخرج معه ووعده الاحسان والولاية وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عيينة جندياً فجرد اسمه فى جريدته وأخرج رزقه معه ، فلما حصل بجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد واقتصر على ذلك وتشاغل عنه وجفاه ، فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه وبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهله ووجوه رعيته ، فلم يقدر على معاقبته لموضع أبيه وسنه ومحله فى أهله ، فدعا به وقال انه قد بلغني انك تريد أن تهرُب فاما ان أقمت لى كفيلاً برزقك أورددته ، فأتاه بكفيل ، فأعنته ولم يقبله ولم يزل يردده حتى ضَجِر فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه ولَجّ أبو عيينة فى هجائه وأكثر فيه حتى فضحه فقال فيه

دنيا دعوتك مسرعاً فأجيبى ... وبما اصطفيتك فى الهوى فأثيبى
دومى أدُمْ لك بالصفاء على النوى ... انى بعهدك واثق فثقى بى
ومن الدليل على اشتياقى عَبرتى ... ومَشيبُ رأسى قبل حين مشيب
أبكي اليك اذا الحمامة طرَّبت ... ياحسن ذاك اليّ من تطريب
تبكى على فَنَن الغصون حزينة ... حزن الحبيبة من فراق حبيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا ... ان البكا حسن بكل غريب
أفلا ينادى للقتول برحلة ... تَشفى جَوَى من أنفس وقلوب

مالى اصطفيت على التعسف خالداً ... والله ما أنا بعدها بأريب
تبًّا لصحبة خالد من صحبة ... وخالد بن يزيد من مصحوب
يا خالد بن قبيصة هيجت بى ... حرباً فدونك فاصطبر لحروبى
لما رأيت ضمير غشك قد بدا ... وأبيت غير تجهم وقطوب
وعرفت منك خلائقاً جربتها ... ظهرت فضائحها على التجريب
خليت عنك مفارقاً لك عن قِلًى ... ووهبت للشيطان منك نصيبى
فلئن نظرت الى الرُّصافة مرة ... نظراً يفرج كربة المكروب
لأُمزقنك قائماً أو قاعداً ... ولأروين عليك كل عجيب
ولتأتين أباك فيك قصائد ... حبرتها بتشكر مقلوب
ولَيُنْشَدَنّ بها الامام قصيدة ... ولتُشْتَمَنّ وأنت غير مَهيب
ولأُذينك مثل ما آذيتنى ... ولأُشلِيَن على نعاجك ذيبى

لقى دِعْبِل أبا عيينة فقال له أنشدنى قولك فى ابن عمك ، فأنشده

ياحفص عاط أخاك عاطهْ ... كأساً تُهيِّج من نشاطه
صِرْفاً يعود لوقعها ... كالظبى أُطلق من رباطه
صبًّا طوت عنه الهمو ... م نعيمَه بعد انبساطه
فبكى وحق له البكا ... لشقائه بعد اغتباطه
جزع المذمم خالد ... لما وقعت على قماطه
فانظر الى نزواته ... من منطقى والى اختلاطه
دعني وايا خالد ... فلأقطعن عُرا نياطه
انى وجدت كلامه ... فيه مشابهُ من ضُراطه
رجل يُعد لك الوعيد ... اذا وطئت على بساطه
واذا انتظرت غداءه ... نخف البوادر من سياطه

يا خال صدَّ المجد عنـــك فلن تجوز على صراطه
وعَرِيت من حلل الندى عُرْيَ اليتيم ومن رباطه
فاذا تطـاولت الرؤ س فغط رأسك ثم طاطه

فقال له دعبل أغرقت والله فى النزع وأسرفت وهتكت ابن عمك وقتلته وغضضت منه ، وانما استنشدتك وأنا أظن انك قلت كما يقول الناس قولاً متوسطاً ولو علمت أنك بلغت به هـذا كله لما استنشدتك وجعل يعيد « فغط رأسك ثم طاطه » ويقول قتله والله

ومن مشهور قوله فيه

ألا خبروا ان كان عندكم خَبَرْ أنَقْفُل أم نَثْوِى على الهم والضجر
نفى النومَ عن عيني تعرض رحلة بها الهم واستولى بها بعده السهر
فان أَشْكُ من ليلى بجُرْجان طوله لقد كنت أشكو فيه بالبصرة القصر
فيا حبـذا بطن الحزير وظهره ويا حسن واديه اذا ماؤه زخر
ويا حبـــذا نهر الأُبُلَّة منظراً اذا مد فى إبَّانه النهر أو جزَر
وفتيان صدق همهم طلب العلا وسيماهمُ التحجيل فى المجد والغُرَر
لعمرى لقد فارقتهم غير طائع ولا طيب نفساً بذاك ولا مقر
وقائلة ماذا نأَى بك عنهمُ فقلت لها لا علم لي فسلي القدر
فيا سفراً أودى بلهوي ولذتى ونغصني عيشي عدِمتك من سفر
دعونى وايا خالد بعد ساعة سيحمله شعري على الأبلق الأغر
كأنى بصـدق القول لما لقيته وأعلمته بما فيه ألقمته الحجر
دنيء به عن كل خير بلادة لكل قبيح عن ذراعيه قد حسَر
له منظرَ يُعْمي العيون سماجة وان يُختبر يوماً فيا سوء مختبر
أبوك لنا غيث يعاش بوَبْله وأنت جراد ليس يُبقي ولا يذر

له أثر فى المكرمات يسرنا وأنت تُعفّى دائماً ذلك الأثر
لقد قنعت قحطان خزياً بخالد فهل لك فيه يُخزِك الله يا مُضَر

ومن جيد قوله أيضاً يهجوه

على إخوتى مني السلامُ تحية تحيـــة مُثْنٍ بالأخوة حامد
وقل لهمُ بعد التحية أنتمُ بنفسى ومالي من طريف وتالد
وعز عليهم أن أقيم ببلدة أخا سَقَم فيها قليل العوائد
لئن ساءهم ما كان من فعل خالد لقد سرهم ما قد فعلت بخالد
وقد علموا أن ليس مني بمُفْلِت ولا يومه المسكين مني بواحد
أخالد لا زالت من الله لعنة عليك وان كنت ابن عمى وقائدى
أخالد كانت صحبتيك ضلالةً عصيت بها ربى وخالفت والدى
وأرسل يبغى الصلح لما تكنفت عوارضَ جنبيه سياطُ القصائد
فأرسلت بعد الشر انى مسالم الى غير ما لا تشتهى غير عائد

وكان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة شاعراً وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد البرمكي بأبيات رائية أولها

اسلم وان كان فيك عنى قبض لكفيك وازورار
تلحظني عابساً قطوباً كأنما بى اليك ثار
لو كان أمراً عتبت فيه يجوز لي منه اعتـــذار
أو كنتُ سآلة حريصاً لحان منى لك القِرار
أو كنت نَذْلاً عديم عقل لا منصب لي ولا نِجار
أو لم أكن حاملاً بنفسى ما تحمل الأنفس الكبار
وأنني من خيار قومى وكل أهلى فتى خيـــار
عذرت أن نالني جفاء منك وأن نالني ضرار

لكن ذنبى اليك أنى قحطان لي الجد لا نِزار
عليك مني السلام هذا أوان ينأى بى المزار
ما كنت الا كلحم ميت دعا الى أكله اضطرار
راحت على الناس لابن يحيى محمد ديمة غزار
ولم يكن ما قد نلت منه بقدر ما ينجلى الغبار
قد أصبح الناس فى زمان أعلى من السِّفْلة الشرار
يستأخر السابق الذكى فيه ويستقدم الحمار
وليس للمرء ما تمنى يوماً وما ان له اختيار
ما قدر الله فهو آت وفى مقاديره الخيار

كان ابن أبى عيينة يشبب بوهبة جارية القروى ثم عدل عن التشبيب بها الى دنيا وذكرها جميعاً فى شعره فقال

أرسلت وهبة لما رأتني بعد سقم من هواها مفيقا
أتغيرت ؟ كأن لم تكن لي قبل أن تعرف دنيا صديقا
قد لعمرى كان ذاك ولكن قطعت دنيا عليك الطريقا

لما ولى عمر بن حفص البصرة قال ابن أبى عيينة في ذلك وفى دنيا يكنى بها عن فاطمة

هنيئاً لدنيا هنيئاً لها قدوم أبيها على البصرة
على أنها أظهرت نخوة وقالت لي الملك والقدرة
فيا نور عيني كذا عاجلاً عليَّ تطاولت بالإمرة

وفيها يقول

يا حسنها يوم قالت لي مودعة لا تنس ماقلت ، من فيها الى أذنى
كأنني لم أصل دنيا علانية ولم أزر أهل دنيا زورة الختن

جسمي معي غير أن الروح عندكمُ فالروح فى وطن والجسم فى وطن
فليعجب الناس منى أن لي جسداً لا روح فيه ولا روح بلا بدن

قدم الكوفة فى بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها وأقام بها مدة وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً ، فقال فيها

لعمرى لقد أعطيت بالكوفة المنى وفوق المنى بالغانيات النواعم
ونادمت أخت الشمس حسناً فوافقت هواى ومثلى مثلها فليندم
وأنشدتها شعرى بدنيا فعربدت وقالت ملول عهده غير دائم
فقلت لها يا ظبية الكوفة اغفرى لقد تبت مما قلت توبة نادم
فقالت قد استوجبت منا عقوبة ولكن سنرعى فيك رَوْح بن حاتم

كان لأبى حذيفة مولى جعفر بن سليمان جارية مغنية يقال لها بستانُ ، فبلغه أن أبا عيينة ذكر لبعض اخوانه محبة لها ولاستماع غنائها ، فدعاه وسأله أن يطرح الحشمة بينه وبينه ، فأجابه الى ذلك وقال لما سكر وانصرف من عنده فى ذلك

ألم ترَنى على كسلى وفتْرى أجبت أبا حذيفة اذ دعانى
وكنت اذا دعيت الى سماع أجبت ولم يكن منى توان
كأنا من بشاشتنا ظَلِلْنا بيوم ليس من هذا الزمان

أعرس داود بن محمد بن عيينة أخو أبى عيينة بالبصرة وأخوه غائب يومئذ مع ابن عمه خالد بجرجان ، فكتب داود الى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته ويخبره نقله أهله اليه ، فقال أبو عيينة فى ذلك

ألا ما لعينك معتلة وما لدموعك منهلَّة
وكيف بجرجان صبر امرىء وحيد بها غير ذى خلة
وأطول بليلك أطول به اذا عسكر القوم بالأثلة
وراعك من خيله حائر من القوم ليست له قبلة

يسوقك نحوهمُ مكرها ... وداود بالمصر في غفلة
عروس ينعم من تحته ... سرير ومن فوقه كِلَّة
وما مدنف بين عواده ... ينادى وفى سمعه ثقلة
بأوجع منى اذا قيل لي ... تأهب الى الرَّى بالرحلة
ومالي وللرَّيّ لولا الشقا ... ء ان كنت عنها لفى عزلة
أكلَّف أجبالها شاتياً ... على فرس أو على بغلة
وأهون من ذاك لو سهلوه ... ركوب القراقير في دِجلة
تروح الينا بها طربة ... رواح الندامَى الى دلة
أخالد خذ من يدي لطمة ... تغيظ ومن قدمى رَكْلَة
جمعت خصال الردى جملة ... وبعت خصال الندى جملة
فما لك فى الخير من خلة ... ولكم لك فى الشر من خلة
ولما تناضلَ أهل العلى ... نُضلت فأذعنت للنضلة
فما لك فى المجد ياخالد ... مفرطة لا ولا خصلة
وأسرعت في هدم ماقد بنى ... أبوك وأشياخه قبله
وكانت من النبع عيدانهم ... نُضاراً وعودك من أثلة
فيا عجباً نَبْعة أنبتت ... خلافاً وريحانة بقلة
ثيابك للعيد مطوية ... وعرضك للشتم والبِذْلة
أجعت بنيك وأعريتهم ... ولم تؤت فى ذاك من قلة
اذا ما دعينا لقبض العطاء ... وهيأت كيسك للغلة
وجِلَّة تمر تغادى بها ... فتأتى على آخر الجلة
وتُقصى بنيك وهم بالعرا ... ء نُزْلهمُ الملح والمَلة
ولو كان خبز وتمر لديك ... لما طمعوا منك في فضلة

وتصبح تقلس عن تخمة كأن جشاءك عن فجلة
اذا الحي راعهمُ رائع فأرهب من غادة طفلة
وليث يصول على قرنه اذا ما دعيت الى أكلة
فلله درك عند الخوا ن من فارس صادق الحملة
وان جاءك الناس في حاجة تفكرت يومين في العلة
وتلقاهمُ أبداً كالحاً كأن قد عضضتَ على بصلة
فهذا نصيبي من خالد لكم هنة بتة بتلة
واني لصحبته مبغض ولا خير في صحبة السفلة

ومن مختار ما قاله فيه

قل لدنيا بالله لا تقطعينا واذكرينا في بعض ما تذكرينا
لا تخوني بالغيب عهد صديق لم تخافيه ساعة أن يخونا
واذكري عيشنا واذ نفض الريـ ـح علينا الخيريّ والياسمينا
حفظ الله اخوتي حيث كانوا من بلاد سارين أم مُدْجلينا
فتية نازحون عن كل عيب وهمُ في المكارم الأولونا
وهمُ الأكثرون يعلم ذاك النـ ـاس والأطيبون للأطيبينا
أزعجتني الأقدار عنهم وقد كنـ ـت بقربي منهم شحيحاً ضنينا
وتبدلت خالداً لعنة اللـ ـه عليه ولعنة اللاعنينا
رجل يقهر اليتيم ولا يؤ تي زكاة وينهر المسكينا
ويصون الثياب والعرض بالـ ـ ويرائي ويمنع الماعونا
نزع الله منه صالح ما أعـ ـطاه آمين عاجلاً آمينا
فلعمرُ المبادرين الى مكـ ـة وفداً غادين أو رائحينا
ان أضياف خالد وبنيه ليجوعون فوق ما يشبعونا

وتراهم من غير نسك يصومو ن ومن غير علة يحتمونا
يا بني خالد دعوه وفِرّوا كم على الجوع ويحكم تصبرونا

قال الرشيد للفضل بن الربيع من أهجى المحدثين عندك يافضل فى عصرنا هذا؟ قال الذى يقول فى ابن عمه

لو كما ينقص يزدا د اذاً نال السماء
خالد لولا أبوه كان والكلب سواء
أنا ما عشت عليه أسوأ الناس ثناء
ان من كان مسيئاً لحقيق أن يساء

فقال الرشيد هذا ابن أبي عيينة ولعمرى لقد صدقت

كان لأبى عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة أحدهما مهلبي والآخر مولي للأزد وكلهم شاعر ظريف فكانوا يمدحون السَّراة من أهل جُرجان فيصيبون منهم ما يقوتهم ، وولى موسى الهادى الخلافة فكتب ابن أبي عيينة الى من كان فى خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة

كيف صبرى ومنزلي جرجان والعراق البلاد والأوطان
نحن فيها ثلاثة حلفاء وندامَى على الهوى اخوان
نتساقى الهوى ونطرب للذكـ ـر كما تُطْرِب النَّشاوَى القِيان
واذا ما بكى الحمام بكينا لبكاه كأننا صبيان
يا زمانى الماضى ببغداد عُدْلى طالما قد سررتنى يا زمان
يا زمانى المسىء أحسن فقدماً كان عندى من فعلك الاحسان
ما يريد العذال مني أما يتْـ ـرك أيضاً بغمه الانسان
ويقولون املك هواك وأقصر قلت مالي على الهوى سلطان
أيها الكاتم الحديث وقد طا ل به الأمر وانتهى الكتمان

قد لعمري عرَّضت حيناً فبين ... ليس بعد التعريض الا البيان
واتخـذ خالداً عدواً مبيناً ... ما تعادى الانسان والشيطان
والهُ عنه فمـا يضرك منه ... عض كلب ليست له أسنان
ولعمري لولا أبوه لنالتـــه ... بسوء مني يد ولسان
قل لفتياننا المقيمين بالبـا ... ب ثقوا بالنجاح يا فتيان
لاتخافوا الزمان قد قام موسى ... فلكُمْ من رَدَى الزمان أمان
أوَلم تأته الخلافة طوعاً ... طاعة ليس بعدها عصيان
فهي منقادة لموسى وفيها ... عن سواه تقاعس وحِران
قل لموسى يامالك الملك طوعاً ... بقياد وفى يديك العِنان
أنت بحر لنـا ورأيك فينا ... خير رأى رأى لنا سلطان
فاكفنا خالداً فقد سامنا الخَسْـــف رماه لحتفه الرحمن
كم الى كم يُغْضَى على الذل منه ... والى كم يكون ذاك الهوان

فلما قرأ هـذه القصيدة موسى الهادى أمر له بصلة وأعطاه ما فات من رزقه وأقفله من جيش خالد اليه

يزيد المهلبي

كان أخص الناس بالمنتصر ، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل فدخل المتوكل يوماً على المنتصر على غفلة فسمع كلامه فاستحسنه ، فأخذه اليه فجعله فى جلسائه ، وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان فلم يقدر على ذلك لملازمته أباه ، فعتب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به ، فلما أفضت اليه الخلافة استأذن عليه ، فحجبه وأمر بأن يعتقل فى الدار فحبس أكثر يومه ، ثم أذن له فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده فأمره بالجلوس ثم استأذنه فى الانشاد فأذن ، فأنشده

ألا يا قوم قد برح الخفاء ... وبان الصبر منى والعزاء
تعجب صاحبى لضياع مثلى ... وليس لداء محروم دواء
جفانى سيد قد كان براً ... ولم أذنب فما هذا الجفاء
حللت بداره وعلمت أنى ... بدار لا يخيب بها الرجاء
فلما شاب رأسى فى ذراه ... حجبت بعقب مابعد الرخاء
فان تنأى ستورَ الاذن عنا ... فما نأت المحبة والثناء
وان يك كادنى ظلماً عدو ... فعند البحث ينكشف الغطاء
ألم تر ان بالآفاق منا ... جماجم حشو أقبرها الوفاء
وقد وصف الزمانَ لنا زياد ... وقال مقالة فيها شفاء
ألا يا رب مغموم سيحظى ... بدولتنا ومسرور يساء
أمنتصر الخلائف جدت فينا ... كما جادت على الأرض السماء
وسعت الناس عدلاً فاستقاموا ... بأحكام عليهن الضياء
وليس يفوتنا ما عشت خير ... كفانا أن يطول لك البقاء

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

تم الجزء السابع

ويليه الجزء الثامن وأوله

مسلم بن الوليد

فهرس الكتاب

ص	الموضوع
٢	**شعراء بنى عبد مناف**
٢	الأسود بن عمارة
٣	العبلى
١٠	أبو قطيفة
٢٦	يزيد بن معاوية
٢٨	خالد بن يزيد
٢٩	العرجى
٣٧	عبد الرحمن بن الحكم
٤٥	أم حكيم
٤٨	آدم بن عبد العزيز
٥٠	الوليد بن يزيد
٨٠	نصيب
١٠٠	الفضل بن العباس اللهبى
١٠٤	الحسين بن عبد الله
١٠٥	عبد الله بن معاوية
١١٦	عبد الله بن الحسن
١٢٢	الحسين بن على

ص	الموضوع
١٢٥	ابن رهيمة المدنى
١٢٧	عبد الله بن جحش الصعاليك
١٢٨	**الطبقة الثالثة**
١٢٨	**الشعراء المحدثون**
١٢٨	**شعراء قحطان**
١٢٨	**شعراء حمير**
١٢٨	ابن وهيب
١٣٧	**شعراء كندة**
١٣٧	اسمعيل القراطيسى
١٣٨	**شعراء مذحج**
١٣٨	سليمان بن وهب
١٤٤	**شعراء أنمار**
١٤٤	محمد بن بشير
١٥٤	**شعراء طيء**
١٥٤	أبو تمام
١٦٦	البحترى

تابع الفهرست

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٨٠	شعراء حكم	٢٢٦	دعبل
١٨٠	أبو نواس	٢٤٣	عبد الله بن طاهر
٢٢٣	شعراء الأزد	٢٤٦	ابن أبي عيينة
٢٢٣	أبو الشيص	٢٦٣	يزيد المهلبي